58- 114 Surah Mujadilah to Annaas

Tafsir Roohul Bayan

Ismail Haqqi

سُورَةُ الْمُجَادَلَةِ الي سورة النَّاس

تفسير روح المعاني

سورة المجادله

مَدَنِيَّةٌ

وَهِيَ اثْنَتَانِ وَعِشْرُونَ آيَةً

١

{ قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها } سمع مجاز مرسل عن أجاب بعلاقة السببية والمجادلة المفاوضة على سبيل المنازعة والمبالغة يعنى كار براندن باكسى بر سبيل نزاع ، واصله من جدلت الحبل اى احكمت فتله فكأنه المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه والمراد هنا المكالمة ومراجعة الكلام اى معاودته والمعنى قد أجاب الله دعاء المرأة التى تكالمك فى حق زوجها استفتاء وتراجعك الكلام فى شأنه وفيما صدر عنه فى حقها من ظهاره اياها بغير وجه مشروع وسبب مقبول

{ وتشتكى الى الله } عطف على تجادلك اى تتضرع الى الله وتظهر مابها من المكروه قال فى المفردات الشكاية والشكاة والشكوى اظهار البث يقال شكوت واشتكيت واصل الشكوى فتح الشكوة واظهار مافيها وهى سقاء صغير يجعل فيه الماء وكان فى الاصل استعارة كقوله بثثت له مافى وعائى ونفضت مافى جرابى اذا اظهرت مافى قلبك وفى كشف الاسرار الاشتكاء اظهار مايقع بالانسان من المكروه والشكوى اظهار مايصنعه غيره به وفى تاج المصادر الاشتكاء كله كردن وشكوه كرفتن ، وهى قربة صيغرة والمجادلة هى خولة بنت ثلب بنماللك ابن خزاعة الخزرجية وزوجها اوس بن الصامت اخو عبادة روى انها كانت حسنة البدن رآها اوس وهى تصلى فاشتهى مواقعتها فلما سلمت روادها فأبت وكان به خفة فغضب عليها بمقتضى البشرية وقال انت على كظهر امى وكان اول اظهار وقع فى الاسلام ثم ندم على ماقال بناء على ان الظهار والايلاء كانا من طلاق الجاهلية فقال لها ما اظنك الى وقد حرمت على فشق ذلك عليها فاتت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وعائشة رضى

الله عنها تغسل شق رأسه فقالت يارسول الله ان زوجى اوس بن الصامت أبو ولدى وابن عمى واحب الناس الى ظاهر منى وما ذكر طلاقا وقد ندم على فعله فهل من شيء يجمعنى واياه فقال عليه السلام (مأراك الا وقد حرمت عليه) فقالت لاتقل ذلك يارسول الله وذكرت فاقتها ووحدتها بتفانى اهلها وان لها صبية صغارا فقالت ان ضممتهم الى جاعوا وان ضممتهم الى أبيهم ضاعوا فاعاد النبى عليه السلام قوله الاول وهو حرمت عليه فجعلت تراجع رسول الله مقالتها الاولى وكلما قال لها رسول الله حرمت عليه هتفت وقالت أشكو الى الله مما لقيت من زوجى حال فاقتى ووحدتى وقد طالت معه صبحتى ونفضت له بطنى تريد بذلك انى قد بلغت عنده سن الكبر وصرت عقيما لا ألد بعد وكانت فى كل ذلك ترفع رأسها الى السماء على ماهو عادة الناس استنزالا للامر الالهى من جانب العرش وتقول اللهم أنزل على لسان نبيك فقامت عائشة تغسل الشق الآخر من رأسه عليه السلام وهى مازالت فى مراجعة الكلام مع رسول الله وبث الشكوى الى الله حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآيات الاربع

سمعا لدعائها وقبولا لشكواها فكانت سببا لظهور امر الظهار وفى قد اشعار بأن الرسول والمجادلة كانا يتوقعان أن ينزل الله حكم الحادثة ويفرج عنها كربها لانها انما تدخل على ماض متوقع

{ والله يسمع تحاوركما } اى يعلم تراجعكما وتخاطبكما وتجاوبكما فى أمر الظهار فان التحاور بمعنى التجاوب وهو رجع الكلام وجوابه يعنى يكديكر را جواب دادان ، من الحور بمعنى الرجوع وذلك كان برجوع الرسول الى الحكم بالحرمة مرة بعد أخرى ورجوع المجادلة الى طلب التحليل كذلك ومثله المحاروة فى البحث ومنه قولهم فى الدعاء نعوذ بالله من الحور بعد الكور اى الرجوع الى النقصان بعد الوصول الى الزيادة او الى الوحشة بعد الانس وقال الراغب الحور التردد اما بالذات

واما بالتفكر

وقيل نعوذ بالله من الحور بعد الكور اى من التردد بالامر بعد المضى فيه او من نقصان وتردد فى الحال بعد الزيادة فيها وصيغة المضارع

للدلالة على استمرار السمع حسب استمرار التحاور وتجدده وفى نظمها فى سلك الخطاب مع أفضل البريات تغليب اذ القياس تحاورها وتحاورك تشريفا لها من جهتين والجملة استئناف جار مجرى التعليل لما قبله فان الحافها فى المسألة ومبالغتها فى التضرع الى الله ومدافعته عليه السلام اياها بجواب منبيء عن التوقف وترقب الوحى وعلمه تعالى بحالهما من دواعى الاجابة وفى كشف الاسرار ليس هذا تكرارا لان الاولى لما حكته عن زوجها والثانى لما كان يجرى بينها وبين رسول الله لان الاول ماضى والثانى مستقبل

{ ان الله سميع بصير } مبالغ فى العلم بالمسموعات والمبصرات ومن قضيته أن يسمع تحاورهما ويرى مايقارونه من الهيئات التى من جملتها رفع رأسها الى السماء وسائر آثار التضرع

يامن يرى مافى الضمير ويسمع ... أنت المعد لكل مايتوقع

يامن يرجى للشدآئد كلها ... يامن اليه المشتكى والمفزع

مالى سوى قرعى لبانك حيلة ... ولئن رددت فاى باب أقرع

حاشى للطفك أن تقنط عاصيا ... الفضل أجزل والمواهب اوسع

وفى الآية دليل على ان امن انقطع رجاؤه عن الخلق ولم يبق له فى مهمه احد سوى ربه وصدق فى دعائه وشكواه كفاه الله ذلك من كان اضعف فالرب به ألطف

دعاى ضعيفان اميد وار ... زباروى مردى به آيد بكار

وفيها ان من استمع الله ورسوله والورثة الى كلامه فسائر الناس اولى (روى) ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه مر بهذه المرأة فى خلافته وهو على حمار والناس معه فاستوقفته طويلا ووعظته وقالت ياعمر قد كنت تدعى عميرا ثم قيل لك عمر ثم قيل لك امير المؤمنين فاتق الله ياعمر فاه من أيقن الموت خاف الفوت ومن أيقن الحساب خاف العذاب وهو واقف يسمع كلامها فقيل له يا امير المؤمنين أتقف لهذه العجوز هذا الوقوف الطويل فقال والله لو حبستنى من اول النهار الى آخره مازلت الا

للصلاة المكتوبة أتدرون من هذه العجوز هى خولة بن ثعلب سمع الله قولها من فوق سبع سموات أيسمع رب العالمين قولها ولايسمعه عمر وهذه الفوقية لايلزم منها الجهة لان الله هو العلى المتعال فاعرف ثم انه من اكبر الذنوب أن يقول الرجل لاخيه اتقى الله فيقول فى جوابه عليك نفسك اى الزم نفسك أنت تأمرنى بهذا وذلك لانه اذا ذكر اسم الله يلزم التعظيم له سوآء صدر من مسلم او كافر وأعلم الناس لايستغنى عن تنبيه وايقاظ

بكوى آنجه دانى سخن سود مند ... وكرهيج كس رانيا يد بسند

يقال اللائق بالعاقل أن يكون كالنحل يأخذ من كل شىء ثم يخرجه عسلا فيه شفاء من كل دآء وشمعا له منافع لاسيما الضياء فطالب الحكمة يأخذها من كل مقام سوآء قعد او قام (المرء لولا عرفه فهو الدمى . ولامسك لولا عرفه فهو الدم)

العرف الاول بالضم بمعنى المعروف والثانى بالفتح الرآئحة و الدمى بضم الدال وفتح الميم جمع دمية وهى الصورة المنقشة من رخام او عاج

{ الذين يظاهرون منكم } أيها المؤمنون فلا يلحق بهم الذمى لانه ليس من اهل الكفارة لغلبة جهة العبادة فيها فلا يصح ظهاره

{ من نسائهم } هذا شروع فى بيان الظهار فى نفسه وحكمه المترتب عليه شرعا بطريق الاستئناف والظهار لغة مصدر ظاهر الرجل اى قال لزوجته أنت على كظهر امى و الظهر العضو والجارحة ويعبر عن البطن بالظهر اى أنت على حرام كبطن امى فكنى عن البطن بالظهر الذى هو عمود البطن لئلا يذكر مايقارب الفرج تأدبا ثم قيل ظاهر من امرأته فعدى بمن لتضمين معنى التجنب لاجتناب أهل الجاهلية من المرأة المظاهر منها اذ الظهار طلاق عندهم كما مر فى قولهم آلى منها لما ضمنه من معنى التباعد من الالية بمعنى الحلف وفى القرءآن واجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام اى بعدنى واياهم من عبادة الاصنام فمعنى البعد انما هو الاجتناب ونحوه المتعدى بمن لان معنى الابتدآء الذى هو معنى من لايخلو عن البعد فان من معانى عن لا من ثم انه ألحق الفقهاء بالظهر نحو البطن

والفخذ والفرج مما يحرم النظر اليها من الام فمن قال أنت على كبطن امى او فخذها او فرجها كان ظهارا بخلاف مثل اليد أو الرجل وكذا ألحقوا بالام سائر المحارم فلو وضع المظاهر مكان الام ذات رحم محرم منه من نسب كالخالة والعمة او رضاع او صهر كان ظهارا مثل أن يقول أنت عليه كظهر خالتى او عمتى او اختى نسبا او رضاعا او كظهر امرأة ابنى او أبى ولو شبهها بالخمر والخنزيرأو الدم او الميتة او قتل المسلم او الغيبة والنميمة او الزنى او الربا او الرشوة فانه ظهار اذا نوى وفى أنت على كأمى صح نية الكرامة اى استحقاق البر فلا يقع طلاق ولا ظهار وصح نية الظهار بأن يقصد التشبيه بالام فى الحرمة فيترتب عليه احكام الظهار لاغير ونية الطلاق بأن يقصد ايجاب الحرمة فان لم ينو شيأ لغا وأنت على حرام كأمى صح فيه مانوى من ظهار او طلاق وايلاء ولو قال أنت امى او اختى او بنتى بدون التشبيه فهو ليس بظهار يعنى ان قال ان فعلت كذا فانت امى وفعلته فهو باطل وان نوى التحريم ولو قالت لزوجها أنت على كظهر امى فانه ليس بشىء

وقال الحسن انه يمين وفى ايراد منكم مع كفاية من نسائهم مزيد توبيخ للعرب وتقبيح لعادتهم فى الظهار فاه كان من أيمان جاهليتهم خاصة دون سائر الامم فلا يليق بهم بعد الاسم أن يراعوا تلك العادة المستهجنة فكأنه قيل منكم على عادتكم القبيحة المستنكرة ويحتمل أن يكون لتخصيص نفع الحكم الشرعى للمؤمنين بالقبول والاقتدآء به اى منكم أيها المؤمنون المصدقون بكلام الله المؤتمرون بأمر الله اذا الكافرون لايستمعون الخطاب ولا يعلمونن بالصواب وفى من نسائهم اشارة الى أن الظهار لايكون فى الامة ومن ذلك قالوا ان للظهار ركنا وهو التشبيه المذكور وشرطا وهو أن يكون المشبه منكوحة حتى لايصح من الامة واهلا وهو من كان من اهل الكفارة حتى لايصح للذمى والصبى والمجنون وحموهو حرمة الوطىء حتى يكفر مع بقاء اصل الملك

{ ماهن امهاتهم } خبر للموصول اى مانساؤهم امهاتهم على الحقيقة فهو كذب بحت يعنى ان من يقول لامرأته أنت على كظهر أمى ملحق فى كلامه هذا للزوج بالام وجاعلها مثلها وهذا تشبيه باطل لتباين

الحالين وكانوا يريدون بالتشبيه الحرمة فى المظاهر منها كالحرمة فى الام تغليظا وتشديدا فان قيل فحاصل الظهار مثلا أنت محرمة على كما حرمت على امى وليس فيه دعوى الامومة حتى تنفى وتثبت للوالدات يقال ان ذلك التحريم فى حكم دعوى الامومة او أن المراد نفى المشابهة لكن نفى الامومة للمبالغة فيه

{ ان } نافية بمعنى ما

{ امهاتهم } فى الحقيقة والصدق

{ الا اللائى } جمع التى اى النساء اللاتى

{ ولدنهم } اى ولدن المظاهر بن فلا تشبه بهن فى الحرمة الا من ألحقها الشرع بهن من ازواج النبى عليه السلام والمرضعات ومكوحات الآباء لكرامتهن وحرمتهن قد خلى بذلك فى حكم الامهات

واما الزوجات فأبعد شيء من الامومة فلا تلحق بن بوجه من الوجوه

{ وانهم } اى وان المظاهرين منكم

{ ليقولن } بقولهم ذلك

{ منكرا من القول } على ان مناط التأكيد ليس صدور القول عنهم فان أمر محقق بل كونه منكرا اى عند الشرع وعند العقل والطبع ايضا كما يشعر به تنكيره وذلك لان زوجته ليست بامه حقيقة ولا ممن ألحقه الشرع بها فكان التشبيه بها الحاقا لأحد المتباينين بالآخر فكان منكرا مطلقا غير معروف

{ وزورا } اى كذبا باطلا منحرفا عن الحق فان الزور بالتحريك الميل فقيل للكذب زور بالضم لكونه مائلا عن الحق

قال بعضهم ولعل قوله وزورا من قيل عطف السبب على المسبب فن قلت قوله أنت على كظهر امى انشاء لتحريم الاستمتاع بها وليس بخبر والانشاء لايوصف بالكذب قلت هذا الانشاء يتضمن الحاق الزوجة

المحللة بالام المحرمة ابدا وهذا الحاق مناف لمقتضى الزوجية فيكون كاذبا

وعن أبى بكر رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(ألا أنبئكم باكبر الكبائر) قلنا بلى يارسول الله قال (الاشراك بالله وعقوق الوالدين) وكان متكئا فجلس وقال (ألا وقول الزور وشهادة الزور الا وقول الزور وشهادة الزو الا وقول الزور وشهادة الزور) فما زال يقولها حتى قلت لايسكت رواه البخارى

قال بعضهم لما كان مبنى طلاق الجاهلية الامر المنكر الزور لم يجعله الله طلاقا ولم تبق الحرمة الا الى وقت التكفير وقال الظهار الذى هو من طلاق الجاهلية ان كان فى الشرع بمقدار من الزمان اولا طلاقا كانت الآية ناسخة والا فلا لان النسخ انما يدخل فى الشرآئع وما قال عليه السلام انها حرمت فلا يعين شيأ من الطرفين الا أن بعض المفسرين جعله مؤيدا للوجه الاول

{ وان الله لعفو غفور } اى مبالغ فى العفو والمغفرة لما سلف منه على الاطلاق على المذهب الحق او بالمناب عنه على مذهب الاعتزال وذلك ان مادون الشرك حكمه موكول الى مشيئة الله ان شاء يغفره وان لم يتب العبد عنه وان شاء يغفره بعد التوبة وما اذا لم يتب عنه فعذبه عليه فانما يعذبه لى حسب ذنبه لكن الظاهر هنا الحث على التوبة لكون الكلام فى دم الظهار وانكاره

٣

{ والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا } اللام والى يتعاقبان كثيرا نحو يهدى للحق والى الحق فالمعنى والذين يقولون ذلك القول المنكر ثم يعودون الى ماقالوا ولاى مافات عنهم بسببه من الاستمتاع بالتدارك والتلافى بالتقرر والتكرر ومنه قولهم عاد الغيث لعى مأفسد اى تداركه باصلاح فافسده امساكه واصلاحه احياؤه ففيه اطلاق اسم السبب على المسبب فان العود الى الشىء من اسباب التدارك والوصول اليه فيكون مجازا مرسلا قال ابن الشيخ العود يستعمل على

معنيين أحدهما أن يصير الى شيء قد كان عليه قبل ذلك فتركه فيكون بمعنى الرجوع الى مافارق عنه والآخر أن يصير ويتحول الى شيء وان لم يكن ذلك للتدارك والوصول هو العود بهذاالمعنى وهو العود الى شيء مطلقا فحاصل المعنى ثم يعودون الى تدارك ماقالوا ودفع مالزم عليهم به من الفساد من حرمة الحلال ويجوز أن يكون المعنى ثم يريدون العود الى ماحرموا على أنفسهم بلفظ الظهار من الاستمتاع ففيه تنزيل للقول منزلة المقول فيه

{ فتحرير رقبة } التحرير جعل الانسان حرا وهو خلاف العبد والرقية ذات مرقوق مملوك سوآء كان مؤمنا او كافرا ذكرا او انثى صغيرا او كبيرا هنديا او روميا فالمعنى فتداركه او فالواجب اعتاق رقبة اى رقبة كانت وان كان تحرير المؤمن اولى والصالح أحسن فيعتقها مقرونا بالنية وان كان محتاجا الى خدمتها فلو نوى بعد العتق او لم ينو لم يجزىء وان وان وجد ثمن الرقبة وهو محتاج اليه فله الصيام كما فى الكواشى ولا يجزىء ام الولد والمدبر ولمكاتب الذى ادى شيأ فان لم

يؤد جاز ويجب أن تكون سليمة من العيوب الفاحشة بالاتفاق

وعند الشافعى يشترط الايمان قياسا على كفارة القتل كما قال تعالى

{ فتحرير رقبة مؤمنة } قلنا حمل المطلق على المقيد انما هو عند

اتحاد الحادثتين واتحاد الحكم ايضا وهنا ليس كذلك والفاء للسببية ومن

فوآئدها الدلالة على تكرير وجوب التحرير بتكرر الظهار لان تكرر السبب

يوجب تكرر المسبب كقرآءة آية السجدة فى موضعين فلو ظاهر من امرأته

مرتين او ثلاثا فى مجلس واحد او مجالس متفرقة لزمه بكل ظهار كفارة

{ من قبل أن يتماسا } اى من قبل أن يستمتع كل من المظاهر

والمظاهر منها بالآخر جماعا وتقبيلا ولمسا ونظرا الى الفرج بشهوة وذلك

لان اسم التماس بتناول الكل وان وقع شيء من ذلك قبل التكفير يجب

عليه أن يستغفر لانه ارتكب الحرام ولا يعود حتى يكفر وليس عليه سوى

الكفارة الاولى بالاتفاق وان أعتق بعض الرقبة ثم مس عليه أن يستأنف

عند أبي حنيفة رحمه الله ولا تسقط الكفارة بل يأتى بها على وجه القضاء

كما لو أخر الصلاة عن وقتها فانه لايسقط عنه اتيانها بل يلزمه قضاؤهاوفى

الآية دليل على ان المرأة لايسعها أن تدع الزوج أن يقربها قبل الكفارة لانه نهاهما جميعا عن المسيس قبل الكفارة قال القهستانى لها مطالبة التكفير وكذا لو طلقها ثم تزوجها بعد العدة او زوج آخر حرم وطئها قبل التكفير ثم العود والموجب لكفارة الظهار عند أبى حنيفة رحمه الله هو العزم على جماعها فمتى عزم على ذلك لم تحل له حتى يكفر ولو ماتت بعد مدة قبل أن يكفر سقطت عنه الكفارة لفوت العزم على جماعها

{ ذلكم } اى الحكم بالكفارة أيها المؤمنون

{ توعظون به } الوعظ زجر يقترن بتخويف اى تزجرون به من ارتكاب المنكر المذكور فان الغرامات مزاجر من طعاطى الجنايات والمراد بذكره بيان ان المقصود من شرع هذا الحكم ليس تعريضكم للثواب بمباشرتكم لتحرير الرقبة الذى هو علم فى استتباع الثواب العظيم بل هو ردعكم وزجركم عن مباشرة مايوجبه والحاصل ان فى المؤاخذة الدنيوية نفعا لكل من المظاهر وغير المظاهر بأن يحصل للمظاهر الكفارة والتدارك ولغير المظاهر الاحتياط والاجتناب كما قيل

نرود مرغ سوى دانه فراز ... جون دكر مرغ بينداندر بند

{ والله بما تعلمون } من جناية الظهار والتكفير ونحو ذلك من قليل وكثير

{ خبير } اى علام بظواهرها وبواطنها ومجازيكم بها فحافظوا احدود ماشرع لكم ولا تخلوا بشىء منها

٤

{ فمن لم يجد } اى فالمظاهر الذى لم يجد الرقبة وعجز عنها بأن كان فقيرا وقت التكفير وهو من حين العزم الى أن تقرب الشمس من الغروب من اليوم الاخير مما صام فيه من الشهرين فلا يتحقق العجز الحقيقى الا به والاعتبار بالمسكن والثياب التى لابد منها فان المعتبر فى ذلك هو الفضل والذى غاب ماله فهو واجد

{ فصيام شهرين } اى فعليه صيام شهرين

{ متتابعين } ليس فيهما رضمان والا الايام الخمسة المحرم

وصومها اى يوما العيد وايام التشريق فيصلهما بحث لايفصل يوما عن يوم

ولاشهرا عن شهر بالافطار فان افطر فيهما يوما أو اكثر بعذر او بغير

عذر استأنف ولم يحسب ماصام بالا بالحيض كما سيجيىء

{ من قبل أن يتماسا } ليلا او نهارا عمدا او خطأ ولو جامع

زوجة اخرى ناسيا لا يستأنف ولو أفطرت المرأة للحيض فى كفار

القتل او الفطر فى رمضان لا تستأنف لكنها تصل صومها بأيام حيضها

ثم انه ان صام بالاهلة أجزأه وان صام ثمانية وخمسين بأن كان كل من

الشهرين ناقصا وان صامها بغيرها فلا بد من ستين يوما حتى لو أفطر

صبيحة تسعة وخمسين وجب عليه الاستئناف

{ فمن لم يستطع } اى الصيام بسبب من الاسباب كالهرم

والمرض المزمن اى الممتد الغير المرجو برؤه فانه بمنزلة العاجز من كبر السن

وان كان يرجى برؤه واشتدت حاجته الى وطىء امرأته فالمختار أن يتنظر

البرء حتى يقدر على الصيام ولو كفر بالاطعام ولم ينتظر القدرة على

الصيام أجزأه ومن الاعذار الشبق المفرط وهو أن لايصبر على الجماع فانه عليه السلام رخص للاعرابى أن يعطى الفدية لاجله

{ فاطعام ستين مسكينا } الاطعام جعله الغير طاعما ففيه رمز الى جواز التمليك والاباحة فى الكفارة والمسكين ويفتح ميمه من لاشىء له او له مالايكفيه وأسكنه الفقر اى قلل حركته والذليل والضعيف ما فى القاموس قال القهستانى فى شرح مختصر الوقاية قيد المسكين اتفاقى لجواز صرفه الى غيره من مصارف الزكاة.

يقول الفير انما خص المسكين بالذكر لكونه أحق بالصدقة من سائر مصارف الزكاة كما ينبيء عنه ماسبق آنفا من تفسير القاموس واطعام ستين مسكينا وان أعطاه فى يوم واحد وبدفعات لايجوز على الصحيح فيطعم لكل مسكين نصف صاع من برا او صاعا من غيره كما فى الفطرة والصاع اربعة امداد ونصفه مدان ويجب تقديمه على المسيس لكن لايستأنف ان مس فى خلال الاطعام لان الله تعالى لم يذكر التماس مع الاطعام هذا عند أبى حنيفة رحمه الله

واما عند الآخرين فالاطعام محمول على المقيد فى العتق والصيام

ويجوز دفع الكفارة لكافر واخراج القيمة عند ابى حنيفة رحمه الله خلافا للثلاثة وفى الفقه هذا اذا كان المظاهر حرا فلو كان عبدا كفر بالصوم وان اعطاه الملى المال وليس له منعه عن الصوم فان أعتق وأيسر قبل التكفير كفر بالمال

{ ذلك } اى ذلك البيان والتعليم للاحكام والتنبيه علها واقع او فعنا ذلك

{ لتؤمنوا بالله ورسوله } وتعملوا بشرآئعه التى شرعها لكم وترفضوا ما كنتم عليه من جاهليتكم ان قيل اذا كان ترك الظهار مفروضا فما بال الفقهاء يجعلونه بابا فى الفقه أجيب بأن الله وان أنكر الظهار وشنع على من تعود به من الجاهلين الا انه تعالى وضع له احكاما يعمل بها من ابتلى به من الغافلين فبهذا الاعتبار جعلوه بابا ليبينوا تلك الاحكام وزادوا قدر مايحتاج اليه من ان المحققين قالوا ان اكثر الاحكام الشرعية للجهال فان الناس لو احترفوا عن سوء المقال والفعال لما احتيج الى تكثير القيل والقال

ودلت الآية على ان الظهار أكثر خطأ من الحنث فى اليمين لكون كفارته اغلظ من كفارة الحنث واللام فى لتؤمنوا للحكمة والمصلحة لانها اذا قارنت فعل لله تكون للمصلحة لانه الغنى المطلق واذا قارنت فعل العبد تكون للغرض لانه المحتاج المطلق فأهل السنة لايقولون لتلك المصلحة غرضا اذ الغرض فى العرف مايستكمل به طالبه استدفاعا لنقصان فيه تنفر عنه طبعه والله منزه عن هذا بلا خلاف والمعتزلة يقولون بناء على انه هو الشيء الذى لاجله يراد المراد ويفعل عندهم ولو قلنا بهذا المعنى لكنا قائلين بالغرض وهم لو قالوا بالمعنى لما كنا قائلين به

{ وتلك } اشارة الاحكام المذكورة من تحريم الظهار وايجاب العتق للواجد وايجاب الصوم لغير الواجد ان استطاع وايجاب الاطعام لمن لم يسطع

{ حدود الله } التى لايجوز تعديها وشرآئعه الموضوعة لعباده التى لايصح تجاوزها الى مايخالفها جمع حد وهو فى اللغة المنع والحاجز بين الشيئين الذى يمنع اختلاطاحدهما بالآخر وحد الزنى وحد الخمر سمى بذلك لكونه مانعا لمتعاطيه عن المعاودة لمثله وجميع حدود الله على اربعة

اضرب اما شيء لايجوز أن يتعدى بالزيادة عليه والا القصور عنه كأعداد ركعات صلاة الفرض

واما شيء يجوز الزيادة عليه ولا يجوز النقصان منه

واما شيء يجوز النقصان منه ولايجوز الزيادة عليه

واما شيء يجوز الزيادة عليه والنقصان منه كما فى المفردات

{ وللكافرين } اى الذين لايعلمون بها ولا يقبلونها

{ عذاب اليم } عبر عنه بذلك للتغليظ على طريقة قوله تعالى

{ ومن فكر فان الله غنى عن العالمين } يعنى ان اطلاق الكفر لتأكيد الوجوب والتغليظ على تارك العمل لا لانه كفر حقيقة كما يزعمه الخوارج

قال بعضهم فى قوله عليه السلام (من ترك الصلاة فقد كفر) اى قارب الكفر يقال دخل البلدة لمن قاربها قال فى برهان القرءآن قوله

{ وللكفارين عذاب اليم } وبعده

{ وللكافرين عذاب مهين } لان الاول متصل بضده وهو الايمان

فتوعدهم على الكفر العذاب الاليم هو جزاء الكافرين والثانى متصل بقوله

{ كبتوا } وهو الاذلال والاهانة فوصف العذاب مثل ذلك فقال

{ وللكافرين عذاب مهين } انتهى والأليم بمعنى المؤلم اى الموجع

كالبديع بمعنى المبدع او بمعنى المتألم لكن اسند مجازا الى العذاب مبالغة كأنه

فى الشدة بدرجة تتألم بها نفسه وفى اثبات العذاب للكافرين حث المؤمنين

على قبول الطاعة ولما نزلت هذه الآيات الاربع تلاها عليه السلام فقال

لاوس بن الصامت رضى الله عنه (هل تستطيع عتق رقبة) قال اذن

يذهب جل مالى قال (فصيام شهرين متتابعين) قال يارسول الله اذا لم

آكل فى اليوم ثلاث مرات كل بصرى وخشيت أن تعشو عينى قال (

فاطعام ستين مسكينا) قال لا الا أن تعيننى عليه قال (اعينك بخمسة

عشر صاعا وانا داع لك بالبركة) وتلك البركة بقيت فى آله كما فى عين المعانى.

يقول الفقير فى وجوه الاحكام المذكورة اما وجه العتق فلان العاصى اتسحق النار بعصيانه العظيم فجعل عتق المملوك فدآء لنفسه من النار كما قال عليه لسلام (من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل ارب منها اربا منه من النار) ودل تقييد الرقبة بالمؤمنة على أفضلية اعتاق المؤمن وايضا ان ثمن العبد اكثر غالبا من فدية الاطعام والمال يعد من النفس لشدة علاقة النفس به ففى بذله تخليص لها من رذيلة البخل وتنحية لها عن النار

واما الوجه فى الصيام فلأن الاصل فيه صيام شهر رمضان وهو ثلاثون يوما ففى صيام ستين يوما تضعيف المشقة وتشديد المحنة على النفس

واما الوجه فى اطعام المساكين اما فى نفس الاطعام فلأن الصوم التخلق بوصف الصمدية فاذا فات عنه ذلك لزوم المعالجة بضده وهو الاطعام لان فى بذل المال اذابة النفس كما فى الصوم ومن هذا يعرف سر التنزيل من الرقبة الى الصوم ثم منه الى الاطعام

واما فى عدد المساكين فلأن الاطعام بدل من الصيام وخلف له فروعى فيه من العدد ماروعى فى الصيام ويجوز أن يقال ان الله تعالى خلق آدم عليه السلام من ستين نوعا من طبقات الارض فأمر باطعام ستين مسكينا من اولاد آدم حتى تقع المكافأة لجميع اولاده لانه لايخرج احد منهم عن هذه الستين نوعا وايضا سر العدد كون عمر هذه الامة بين الستين والسبيعن فمن راعى العدد فكانما عبد الله ستين سنة التى هى مبلغ عمره ومنتهى امده بحسب الغالب فيتخلص من النار ولكن فيه اشارة الى فضيلة الوقت فانه اذا فات العمل من محله لاينجبر بالقضاء بكماله الاولى بل يصير ساقطا عن درجة الكمال الاولى بستين درجة ولذا وجب صيام ستين واطعامها (قال المولى الجامى)

هردم از عمر كرامى هست كنج بى بدل ... ميرود كنجى جنين
هر لحظه برباد آخ آخ

(وقال الشيخ سعدى)

مكن عمر ضايع بافسوس وحيف ... كه فرصت عزيزست
والوقت سيف

وفى الاشارة الى أن النفس مطية الروح وزوجته فاذا ظاهر زوج الورح من زوجة النفس بقطع الاستمتاع عنها لغلبة الروحانية عليها ثم بحسب الحكمة الالهية المقتضية لتعلق زوج الروح مع زوجة النفس أراد أن يستمتع منها فعلى زوج الروح يجب من طريق الكفارة تحرير رقبة عن ذلك الاستمتاع والتصرف فيها بأن لايستمتع ولا يتصرف فيها الا بامر الحق ومقتضى حكمته لا بمقتضى طبعه ومشتهيات هواه فانه لايجوز له وعلى تقدير شدة اشتباك زوج الروح بزوجة النفس وقوة ارتباطهما الذاتية ارتباط الراكب بالمركوب وارتباط ربان السفينة بالسفينة ان لم يقدر على تحرير رقبة

عن هذا الارتباط فيجب على زوج الروح أن يصوم شهرين ممتابعين من قبل أن يتماسا يعنى أن يمسك نفسه عن الالتفات الى الكونين على الدوام والاستمرار من غير تخلل النفات وان لم يتمكن من قطع هذا التفات لبقاء من بقايا انانيته فيه فيجب عليه اطعام ستين مسكينا من مساكين القوى الروحانية المستهلكة تحت سلطنة النفس وصفاتها ليقيمهم على التخلق بالاخلاق الالهية والتحقق بالصفات الروحانية

ه

{ ان الذين يحادون الله ورسوله } اى يعادونهما ويشاقونهما وكذا اولياء الله فان من عادى اولياء الله فقد عادى الله وذلك لان كلا من المتعاديين كما انه يكون فى عدوة وشق غيره عدوه الآخر وشقه كذلك يكون فى حد غير حد الآخر غير ان لورود المحادة فى اثناء ذكر حدود الله دون المعاداة والمشاقة من حسن الموقع مالا غاية ورآءهوبالفارسية مخالفت ميكنند باخدا ورسول او از حدود امر ونهى تجاوز مينمايند ، وقال بعضم المحادة مفاعلة من فلظ الحديد والمراد المقابلة بالحديد سوآء كان فى ذلك

حديد حقيقة او كان ذلك منازعة شديدة شبيهة بالخصومة بالحديد وقال بعضهم فى معنى الآية يحادون اى يضعون او يختارون حدودا غير حدودهما ففيه وعيد عظيم للملوك والامرآء السوء الذين وضعوا امورا خلاف ماحده الشرع وسموها القانون و نحوه

بادشاهى كه طرح ظلم افكند ... باى ديوان ملك خويش بكند

{ كبتوا } اى اخزوا يعنى خوار ونكو سار كرده شوند ، وفى المفردات الكبت الرد بعنف وتذليل وفى القاموس كبته يكبته صرعه وأخزاه وصرفه وكسره ورد العدو بغيظه واذله قال ابن الشيخ وهو يصلح لان يكون دعاء عليهم واخبارا عما سيكون بالماضى لتحققه اى سيكبتون ويدخل فيهم المنافقون والكافرون جمعيا اما الكافرون فمحادتهم فى الظاهر والباطن واما المنافقون ففى الباطن قط

{ كما كبت الذين من قبلهم } من كفار الامم الماضية المعادين للرسل عليهم السلام مثل اقوام نوح وهود وصالح وغيرهم ، وكان السرى

رحمه الله يقول عجبت من ضعيف عصى قويا فيقال له كيف ذلك ويقول وخلق الانسان ضعيفا

{ وقد أنزلنا آيات بينات } حال من واو كبتوا اى كبتوا لمحادتهم والحال انا قد أنزلنا آيات واضحات فيمن حاد الله ورسوله ممن قبلهم من الامم وفيما فعلنا بهم اوآيات بينات تدل على صدق الرسل وصحة ماجاء به والسؤال بأن الانزال نقل الشيء من الأعلى الى الأسفل وهو انما يتصور فى الاجسام والآيات التى هى من الكلام من الاعراض الغير القارة فكيف يتصور الانزال فيها مجاب عنه بأن المراد منه انزال من يتلقف من الله ويرسل الى عباده تعالى فيسند اليها مجازا لكونها المقصودة منه أو المراد منه الايصال والاعلام على الاستعارة

{ وللكافرين } بتلك الآيات او بكل مايجب الايمان به

{ عذاب مهين } يذهب بعزهم وكبرهم من الاهانة بمعنى التحقير والمراد عذاب الكبت الذى هو فى الدنيا فيكون

ابتدآء كلام او عذاب الآخر فيكون للعطفبمعنى ان لهم الكبت فى الدنيا ولهم عذاب مهين فى الآخرة فهم معذبون فى الدارين

قال بعضهم وصف الله العذاب الملحق بالكفارين اولا بالايلام وثانيا بالاهانة لان الايلام يلحق بهم اولا ثم يهانون به واذا كانت الاهانة مافى الآخرة فالتقديم ظاهر وقد سبق غير هذا وفى الآية اشارة الى أن من يعادون مظاهر الله وهم الاولياء المتحققون بالله المجتمعون باسماء الله ويشاققون مظاهر رسوله وهم العلماء القائمون باحكام الشرآئع حجوا وافحموا بأبلغ الحجج واظهر البراهين من الكرامات الظاهرة ونشر العلوم الباهرة وكيف لا وقد أنزلنا بصحة ولايتهم وآثار وراثتهم آيات بينات فمن سترها بستائر ظلمات انكاره قله عذاب القطعية الفظيعة والاهانة من غير ابانة

٦

{ يوم يبعثهم الله } منصوب باذكر المقدر تعظيما لليوم وتهويلا له والمراد يوم القيامة اى يحييهم الله بعد الموت للجزآء

{ جميعا } اى كلهم بحيث لايبقى منهم احد غير مبعوث فيكون تأكيدا للضمير أو مجتمعين فى حالة واحدة فيكون حالا منه

{ فينبئهم بما عملوا } من القبائح ببينان صدورها منهم او بتصويرها فى تلكل النشأة بما يليق بها من الصور الهائلة على رؤوس الاشهاد وتخجيلا لهم وتشهيرا لحالهم وتشديدا لعذابهم والا فلا فائدة فى نفس الانباء لينبهوا على ماصدر منهم

{ احصاه الله } كأنه قيل كيف ينبئهم بأعمالهم وهى اعراض منقضية متثلاشية فيل احصاه الله اى أحاط به عددا وحفظه كما علمه لم يفت منه شىء ولم يغب قال الراغب الاحصاء التحصيل بالعدد يقال أحصيت كذا وذلك من لفظ الحصى واستعمال ذلك فيه لانهم كانوا يعتمدون اعتماد نافيه على الاصابع وقال بعضهمالاحصاء عد باحاطة

وضبط اذا اصله العدد بآحاد الحصى للتقوى فى الضبط فهو اخص من العد لعدم لزوم الاحاطة فيه

{ ونسوه } اى والحال انهم قد نسوه لكثرته او لتهاونهم حين ارتكبوه لعدم اعتقادهم

{ والله على كل شىء شهيد } لايغيب عنه امر من الامور فالشهيد بمعنى الشاهد من الشهود بمعنى الحضور ، وكفته اند كواهست ومناسب آن مكافات خواهد فرمود وكسى كواهى اورد نتواند كرد

حاكم زحكم دم نزندكر كواه نيست ... حاكم كه خود كواه بود قصه مشكلست

فلابد من استحضار الذنوب والبكاء عليها وطلب التوبة من الله الذى يحصى كل شىء ولاينساه قبل أن يجيىء يوم ايفتضح فيه المصر على رؤوس الاشهادة ولا يقبل الدعاء والمعذرة من العباد ، واعلم ان القول بأنه تعالى شهيد قول بأنه حاضر لكن بالحضور العلمى لا بالحضور الجسمانى

فانه منزه عن ذلك فقول من قال الله حاضر محمول على الحضور العملى

فلا وجه لاكفار قائلة مع وجوده فى القرءآن

٧

{ ألم تر أن الله يعلم مافى السموات وما فى الارض } استشهاد

على شمول شهوده تعالى والهمزة للانكار المقرر بالرؤية لما أن الانكار نفى

معنى ونفى النفى يقرر الاثبات فتكون الرؤية ثابتة مقرر والخطاب

للرسول عليه السلام او لكل من يستحق الخطاب ولمعى أمل تعلم علما

يقينيا بمرتبة المشاهدة انه تعالى يعمل مافى السموات ومافى الارض من

الموجودات سوآء كان ذلك بالاستقرار فيهما او بالجزائية منهما (روى

) عن ابن عباس رضى الله عنهما انها نزلت فى ربيعة وحيبب ابنى عمرو

وصفوان بن امية كانوا يوما يتحدثون فقال أحدهم ارتى الله يعلم ما نقول

فقال الآخر يعلم بعضا وقال الثالث ان كان يعلم بعضه فهو يعلم كله

وصدق لان من علم بعض الاشياء بغير سبب فقط علمها كلها لان كونه

عالما بغير سبب ثابت له مع كل معلوم فنزلت الآية

{ مايكون من نجوى ثلاثة } ما نافية ويكون تامة بمعنى يوجع ويقع ومن مقحم ونجوى فاعله وهو مصدر بمعنى التناجى كالشكوى بمعنى الشكاية يقال نجاه نجوى ونجوى ساره كناجاه مناجاة والنجوى السر الذى يكتم اسم ومصدر كما فى القاموس وأصله أن تخلو فى نجوة من الارض اى مكان مرتفع منفصل بارتفاعه عما حوله كأن المتناجى بنجوة من الارض لئلا يطلع عليه احد والمعنى مايقع من تناجى ثلاثة نفر ومسارتهم فالنجوى مصدر مضاف الى فاعله

{ الا هو } اى الله تعالى

{ رابعهم } اى جاعلهم اربعة من حيث انه تعالى يشاركهم فى الاطلاع عليها كما قال الحسين النورى قدس سره الا هو رابعهم علما وحكما لا نفاس وذاتا وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال اى مايوجد فى حال ما الا فى هذه الحال وفى الكلام اعتبار التصبير قال النصر ابادى من شهد معية الحق معه زجره عن كل مخالقة وعن ارتكاب كل محذور ومن لايشاهد معيته فانه مختط الى الشبهات والمحارم

{ ولا خمسة } اى ولا نجوى خمسة نفر

{ الا هو سادسهم } الا وهو تعالى جاعلهم ستة فى الاطلاع على ما وقع بينهم وتخصيص العددين بالذكر لخصوص الواقعة لان المنافقين المجتمعين فى النجوى كانوا مرة ثلاثة واخرى خمسة ويقال ان التشاور غالبا انما يكون من ثلاثة الى ستة ليكونوا اقل لفظا واجدر رأيا واكتم سرا ولذا ترك عمر رضى الله عنه حين علم بالموت امر الخلافة شورى بين ستة اى على أن يكون امر الخلافة بين ستة ومشاورتهم واتفاق رأيهم وفى الثلاثة اشارة الى الروح والسر والقلب وفى الخمسة اليها باضافة النفس والهوى ثم عمم الحكم فقال

{ ولا أدنى من ذلك } اى اقل مما ذكر كالاثنين والواحد فان الواحد ايضا يناجى نفسه وبالفارسية ونه كمتر باشد ازسه عدد

{ ولا اكثر } كالستة ومافوقها

{ الا هو معهم } اى الله مع المتناجين بالعلم والسماع يعلم مايجرى بينهم و لايخفى عليه ماهم فيه فكأنه ماشاهدهم ومحاضرهم وقد تعالى عن المشاهدة والحضور معهم حضورا جسمانيا

{ اينما كانوا } اى فى اى مكان كانوا من الاماكن ولو كانوا تحت الارض فان علمه تعالى بالاشياء ليس لقرب مكانى حتى يتفاوت باختلاف الامكنة ولو كانوا تحت الارض فان علمه تعالى بالاشياء ليس لقرب مكانى حتى يتفاوت باختلاف الامكنة قربا وبعدا

اين معيت دربيابد عقل وهوش ... زين معيت دم مزن بتشين خموش

قرب حق بابنده دورست از قياس ... بر قياس خود منه آنرا اساس

قال بعض العارفين ، اكر مؤمنات امت احمد را خود اين تشريف بودى كه رب العاليمن درين سوره ميكويد كه مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم الى قوله

{ هو معهم } تمام بودى اصحاب كهف را باجلال رتبت ايشان وكمال منزلت ميكويد ، ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم افنظر كم من فرق بني من كان الله رابعهم وسادسهم وبين من كان اخس الحيوانات رابعهم وسادسهم وحظية المؤمن من المعية أن يعلم ان الخير فى أن يكون جليسه صالحا وكلامه نافعا ولا يتكلم بمالا طائل تحته فيكون عيبا فى حصيفته وعيشا فى صحبته ومعية الله تعالى على العموم كما صرح به قوله تعالى

{ وهو معكم أينما كنتم } ثم انه قد يكون له تعالى معية مخصوصة ببعض عباده بحسب فيضه وايصال لطفه اليه ونحو ذلك

{ ثم ينبئهم بما علموا } اى يخبرهم بالذى عملوه فى الدنيا

{ يوم القيامة } تفضيحا لهم واظهارا لما يوجب عذابهم

{ ان الله بكل شيء عليم } لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل سوآء ، يعنى نسبت علم او باهمة معلومات يكسانست حالات اهل آسمانرا جنان داندكه حالات اهل زمين را وعلم او بمخفيات امور بدان وجه احاطه كندكه بجليات

نهان وأشكارا هردوا يكسانست بر علمت ... نه اين رازود تربينى نه آنرا ديد تردانى

من عرف انه العالم بكل شيء راقبه فى كل شيء واكتفى بعلمه فى كل شيء فكان واثقابه عند كل شيء ومتوجها له بكل شيء قال ابن عطاء الله متى علمت عدم اقبال الناس عليكم او توجههم بالذم اليكم فارجع الى علم الله فيك فان كل لايقنعك علمه فيك فمصيبتك بعدم قناعتك بعلمه أشد من مصيبتك بوجود الاذى منهم انتهى والتخلق بهذا الاسم تحصيل العلم وافادته للمحتاجين اليه ومن أدمن ذكر ياعلام الغيوب

بصيغة الندآء الى أن يغلب عليه منه حال فانه يتكلم بالمغيبات ويكشف

مافى الضمائر وترقى رحه الى أن يرقى فى العلم العلوى ويتحدث بامور

الكائنات والحوادث قال الفقهاء من قال بأن الله تعالى علام بذاتته اى لا

عالم بعلمه قادر بذاته ابلاقادر بقدرته يعنى لايثبت له صفة العلم القائمة

بذاته ولا صفة القدرة كالمعتزلة والجهمية يحكم بكفره لان نفى الصفات

الالهية كفر قال الرهاوى من اقر بوحدانية الله وانكر الصفات

كالفلاسفة والمعتزلة لايكون ايمانه معتبرا كذا قالوا وفيه شىء بالنسبة الى

المعتزلة فانهم من اهل القبلة ومن ثمة قال فى شرح العقائد والجمع بين قولهم

لايكفر أحد من أهل القبلة وقولهم بكفر من قال بخلق القرءآن واستحالة

الرؤية وسب الشيخين وامثال ذلك مشكل انتهى

٨

{ الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه } نزلت

فى اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتحلقون ثلاثة وخمسة

ويتغمازون بأعينهم اذا رأوا المؤمنين يريدون أن يغيظوهم فنهاهم رسول

الله عليه السلام ثم عادوا لمثل فعلهم والخطاب للرسول والهمزة للتعجيب من حالهم وصيغة المضارع للدلالة على تكرر عودهم وتجدده واستحضار صورته العجيبة قال الخدرى رضى الله عنه خرج عليه السلام ذات ليلة ونحن نتحدث فقال (هذه النجوى ألم تنهوا عن النجوى) فقلنا تبنا الى الله انا كنا فى حديث الدجال قال ألا اخبركم بما هو أخوف عليكم منه هو الشرك الخفى يعنى المراآة

{ ويتناجون } وراز ميكويند

{ بالاثم والعدوان ومعصية الرسول } عطف على قوله

{ يعودون } داخل فى حكمه وبيان لما نهوا عنه لضرره فى اليدن اى بما هو اثم فى نفسه وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول والعدوان الظلم والجور والمعصية خلاف الطاعة

{ واذا جاؤك } وجون برتو آنيد ، يعنى اهل النجوى

{ حيوك } ترا تحيت وسلام كنند والتحية فى الاصل مصدر حياك

على الاخبار من الحياة فمعنى حياك الله جعل لك حياة ثم استعمل للدعاء

بها ثم قيل لكل دعاء فغلب فى الاسلام فكل دعاء تحية لكون جميعه غير

خارج عن حصول حياة او سبب حياة اما فى الدنيا

واما فى الآخرة

{ بما لم يحيك به الله } اى بشيء لم يقع من الله أن يحييك به

فيقولون السام عليك والسام بلغة اليهود ، مرك است ياقتل بشمشير ،

وهم يوهمون انهم يقولون السلام عليك وكان عليه السلام يرد عليهم فيقول

عليكم بدن الواو ورواية وعليكم بالواو خطأ كذا فى عين المعانى او يقولون

العم صباحا وهو تحية الجاهلية من النعومة اىليصر صاحبك ناعما لينا

لابؤس فيه والله سبحانه يقول

{ وسلام على المرسلين } واختلفوا فى رد السلام على اهل الذمة

فقال ابن عباس والشعبي وقتادة هو واجب لظاهر الامر بذلك وقال مالك

ليس بواجب فان رددت فقل عليكم وقال بعضهم يقول فى الرد علاك السلام اى ارتفع عنك وقال بعضم المالكية يقول فى الرد السلام عليك بكسر السين يعنى الحجارة

{ ويقولون فى انفسهم } اى فميا بينهم ا ذا خرجوا من عندك

{ لولا يعذبنا بما نقول } لولا تحضيضية بمعنى هلا اى هلا يعذبنا الله ويغضب علينا ويقهرنا بجرآءتنا على الدعاء بالشر على محمد لو كان نبيا حقا

{ حسبهم } بس است ايشانرا

{ جهنم } عذابا مبتدأ وخبر أى محسبهم وكافيهم جهنم فى التعذيب من أحسبه اذا كفاه

{ يصلونها } يدخلونها ويقاسون حر هالا محالة وان لم يعجل تعذيبهم لحكمة والمراد الاستهزآء بهم والاستخفاف بشأنهم لكفرهم وعدم ايمانهم

{ فبئس المصير } اى جهنم قال فى برهان القرءآن الفاء لما فيه

من معنى التعقيب اى فبس المصير ماصاروا اليه وهو جهنم انتهى

قال بعض المفسرين وقوله ذلك من جلمة ماعفلوا عما عندهم من

العلم فانهم كانوا اهل كتاب يعلمون ان بعض الانبياء قد عصاه امته وآذوه

ولم يعجل تعذيبهم لحكمة ومصلحة علمها عند الله تعالى نتهى ، ثم ان

الله يستجيب دعاء رسول الله عليه السلام كما روى ان عائشة رضى الله

عنها سمعت قول اليهود فقالت علكيم السام والذام واللعن فقال عليه

السلام (ياعائشة ارفقى فان الله يحب الرفق فى كل شىء ولا يحب الفحش

والتفحش الا سمعت ومارددت عليهم فقلت عليكم فيستجاب لى فيه

)وقس عليه حال الورثة الكاملين فان أنفاسهم مؤثرة فمن تعرض لواجد

منهم بالسوء فقد تعرض لسوء نفسه وفى البستان

كزيرى بجاهى در افتاده بود ... كه از هول او شير نرماده بود

همه شب زفرياد وزارى نخفت ... يكى برسرش كوفت سنكى وكفت

توهر كز رسيدى بفرياد كس ... كه ميخواهى امروز فريادرس

كه بر جان ريشت نهد مرهمى ... كه جانها بنالد زدستت همى

تومارا همى جاه كندى براه ... بسر لاجرم بر فتادى بجاه

٩

{ يا أيها الذين آمنوا } بألسنتهم وقلوبهم

{ اذا تناجيتم } جون راز كوبيد بايكديكر ، يعنى فى انديتكم وخلواتكم

{ فلا تتناجوا بالاثم والعدون } كما يفعله المنافقون واليهود

{ وتناجوا بالبر والتقوى } اى بما يتضمن خبر المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول قال سهل رحمه الله بذكر الله وقرآءة القرءآن والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

{ واتقوا الله الذى اليه تحشرون } وحده لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فيجازيكم بكل ماتأتون وما تذرون ، يعنى بسوى او جمع كرده خواهيد شد بس از موت ، دلت الآية على ان التناجى ليس بمنهى عنه مطلقا بل مأمور به فى بعض الوجوه ايجابا او استحبابا واباحة على مقتضى المقام ان قيل كيف يأمر الله بالاتقاء عنه وهو المولى الرحيم والقرب منه الذ المطالب والانس به اقصى المآرب فالتقوى توجب الاجتناب والحشر اليه يستدعى الاقبال اليه يجاب بأن فى الكلام مضافا اذا التقدير اتقوا عذاب اللّهاو قهر الله او غيرها فان قيل ان العبد لو قدر على الخلاص من العذاب والقهر لأسرع اليه لكنه ليس بقادر عليه كما قال تعالى

{ ان يمسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله } والامر انما يكون بالمقدور

{ لايكلف الله نفسا الا وسعها } أجيب بأن المراد الاتقاء عن السبب من الذنوب المعاصى الصادرة عن العبد العاصى فالمراد واتقوا مايفضى الى عذاب الله ويقتضى قهره فى الدارين من الاثم والعدوان ومعصية الرسول التى هى السبب الموجب لذلك فالمراد النهى عن مباشرة الاسباب والامر بالاجتناب عها ان قيل ان ذلك الاتقاء انما يكون بتوفيق الله له فان وفق العبد له فلا حاجة الى الامر به وان لم يوفقه فلا قدرة له عليه والامر انما يحسن فى المقدور أجيب بأنه تعالى علمه الحق اولا ووهب له اردة جزئية يقدر بها على اختيار شىء فله الاختيار السابق على ارادة الله تعالى ووجود الاختيار فى الفاعل المختار امر يطلع عليه كل احد حتى الصبيان

١٠

{ انما النجوى } المعهودة التى هى التناجى بالاثم والعدوان بقرينة ليحزن

{ من الشيطان } لامن غيره فانه المزين لها والحامل عليها فكأنها منه

{ ليحزن الذين آمنوا } خبر آخر من الحزن بالضم بعده السكون متعد من الباب الاول لا من الحزن بفتحتين لازما من الرابع كقوله تعالى

{ ياعباد لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون } فيكون الموصول مفعوله وفى القاموس الحزن بالضم ويحرك الهم والجمع احزان وحزن كفرح وحزنه الامر حزنان بالضم وأحزنه جعله حزينا وحزنه جعل فيه حزنا وقال الراغب الحزن والحزن خشونة فى الارض وخشونة فى النفس لما يحصل فيها من الغم ويضاده الفرح ولاعتبار الخشونة بالغم قيلخشنت بصدره اذا احزنته والمعنى انما هى ليجعل الشيطان المؤمنين محزنين بتوهمهم انها فى نكبة أصابهم فى سيرتهم يعنى ان غزاتهم غلبوا وان أقاربهم قتلوا متألمين بذلك

فاترين فى تدبير الغزو الى غير ذلك مايشوش قلوب المؤمنين وفى الحديث (اذا كنتم ثلاث فلا يتناج اثنان دون صاحبهما فان ذلك يحزنه)

{ وليس } اى الشيطان او التناجى

{ بضارهم } بالذى يضر المؤمنين

{ الا باذن الله } اى بمشيئته وارادته اى ما أراده من حزن او وسوسة كما روى ان فاطمة رضى الله عنها رأت كأن الحسن والحسين رضى الله عنهما أكلا من أطيب جزور بعثه رسول الله اليهما فماتا فلما غدت سألته عليه السلام وسأل هو جبريل ملك الرؤيا فقال لاعلم لى به فعلم انه من الشيطان وفى الكشاف الا باذالله ابمشيئته وهو أن يقضى الموت على أقاربهم او الغلبة على الغزاة قال فى الاسئلة المقحمة اين ضرر الحزن قلت ان الحزن اذا سلمت عاقبته لايكون حزنا فى الحقيقة وهذه نكتة اصولية اذ الضرر اذا كانت عاقبته

الثواب لايكون ضررا فى الحقيقة والنفع اذا كانت عاقبته العذاب لايكون نفعا فى الحقيقة

{ وعلى الله } خاصة

{ فليتوكل المؤمنون } ليفوضوا امورهم اليه وليثقوا به ولا يبالوا بنجواهم فانه تعالى يعصمهم من شرها وضررها ، ذكر بما سخن خصم تندخوى مكوى كه اهل مجلس مارا ازان حسابى نيست وفى الآية اشارة الى أن الشيطان يناجى النفس الامارة ويزين لها المعارضات ونحوها ليقع القلب والروح فى الحزن والاضطراب وضيق الصدر ويتقاعد ان من شؤم المعارضة عن السير والطير فى عالم الملكوت ويحرمان من مناجاة الله والطبيعة والشيطان لانها ظلمانية وان كل موافقة فهى فى القلب والروح والسر لانها نورانية الا أن يغلب عليها ظلمة اهل الظلمة وتختفى انوارها تحت تلك الظلمة اختفاء نور الشمس تحت ظلمة السحاب الكثيف فليكن العبد على المعالجة دآئما لكن ينبغى له التوكل التام فان المؤثر فى كل شىء هو الله تعالى

١١

{ يا ايها الذين آمنوا } يعنى المخلصين

{ اذا قيل لكم } من اى قائل كان من الاخوان

{ تفسحوا } التفسح جاى فراخ كردن وفراخ نشتن در مجلس ، وكذا الفسح لكن التفسح يعدى بفى والفسح باللام اى توسعوا ليفسح بعضكم عن بعض ولا تتضاموا من قولهم افسح اعنى اى تنح وأنت فى فسحة من دينك اى فى وسعة ورخصة وفلان فسيح الخلق اى واسع الخلق

{ المجالس } قال فى الارشاد متعلق بقيل.

يقول الفقير الظاهر انه متعلق بقوله

{ تفسحوا } لأن البيهقى صرح فى تاج المصادر بان التفسح يعدى بفى على ما أشرنا اليه آنفا

{ فافسحوا } بس جاى كشاده كنيد بر مردم

{ يفسح الله لكم } اى فى كل ماتريدون التفسح فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغيرها فان الجزآء من جنس العمل والآية عامة فى كل مجلس اجتمع فيه المسلمون للخير والأجر سوىء كان مجلس رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وكانوا يتضامون تنافسا فى القرب منه عليه السلام وحرصا على استماع كلامه او مجلس حرب وكانوا يتضامون فى مراكز الغزاة ويأتى الرجل الصف ويقول تفسحوا ويأبون لحرصهم على الشهادة او مجلس ذكر او مجلس يوم الجمعة وان كل واحد وان كان أحق بمكان الذى سبق السبق اليه لكنه يوسع لاخيه مالم يتأذ لذلك فيخرجه الضيق من موضعه وفى الحديث (لايقيمن احدكم الرجل من مجلسه ثم يخلفه فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا)وفى رواية (لايقيمن احدكم أخاه يوم الجمعة ولكن ليقل افسحوا)

وقيل ان رجلا من الفقرآء دخل المسجد وأراد أن يجلس بجنب واحد من الاغنياء فلما قرب منه قبض الغنى اليه ثوبه فرأى رسول الله عليه السلام ذلك فقال للغنى (أخشيت أن يعديه غناك ويعديك فقره) وفيه

حث على التواضع والجلوس مع الفقرآء والتوسعة لهم فى المجالس وان كانوا شعثا غبرا

{ واذا قيل انشزوا } يقال نشز الرجل اذا نهض وارتفع فى المكان نشزا والنشز كالفلس وكذا النشز بفتحتين المكان المرتفع من الارض ونشز فلان اذا قصد نشزا ومنه فلان عن مقره وقلب ناشز ارتفع عن مكانه رعبا والمعنى واذا قيل لكم قوموا للتوسعة على المقبلين اى من جاء بعدكم

{ فانشزوا } فارتفعوا وقوموا يعنى اذا كثرت المزاحمة وكانت بحيث لاتحصل التوسعة بتنحى احد الشخصين عن الآخرة حال قعود الجماعة

وقيل قوموا جميعا تفسحوا حال القيام فانشزوا ولاتثاقلوا عن القيام او اذا قيل لكم قوموا عن مواضعكم فانتقلوا منها الى موضع آخر لضرورة داعية اليه اطيعوا من أمركم به وقوموا عن مجالسكم وتوسعوا لهم فقال عليه السلام (قم يافلان ويافلان) فأقام من المجلس بعدد المقبلين من اهل بدر فتغامز به المنافقون أنه ليس من العدل أن يقيم أحدا من

مجلسه وشق ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف رسول الله عليه السلام الكراهية فى وجوههم فانزل الله الاية فالقائل هو الرسول عليه السلام ويقال واذا قيلانشزوا اى انهضوا عن مجلس رسول الله اذا امرتم بالنهوض عنه فانهضوا ولا تملوا رسول لله بالارتكان فيه او انهضوا ال الصلاة او الى الجهاد او الشهادة أو غير ذلك من اعمال الخير فانهضوا ولا تتنبطوا ولا تفرطوا فالقائل يعم الرسول وغيره

{ يرفع الله الذين آمنوا منكم } جواب للامر اى من فعل ذلك طاعة للامر وتوسعة للاخوان يرفعهم الله بالنصر وحسن الذكر فى الدنيا والايوآء الغرف الجنان فى الآخرة لان من تواضع رفعه الله ومن تكبر وضعه فالمراد الرفعة المطلقة الشاملة للرفعة الصورية والمعنوية

{ والذين اوتوا العلم } اى ويرفع العلماء منهم خاصة فهو من عطف الخاص على العلم للدلالة على علو شأنهم وسمو مكانهم حتى كانهم جنس آخر

{ درجات } اى طبقات عالية ومراتب مرتفعة بسبب ماجمعوا من العلم والعمل لعلو درجته يقتضى للعمل المقرون به مزيد رفعة لايدرك شاؤه العمل الغارى عنه وان كان فى غاية الصلاح ولذا يقتدى بالعالم فى افعاله ولا يقتدى بغيره فعلم من هذا التقرير انه لاشركة للمعطوف عليه فى الدرجات كما قال ابن عباس رضى الله عنهما ثم الكلام عند قوله منكم وينتصب الذين اوتوا العلم بفعل مضمر اى ويرفعهم درجات وانتصاب درجات اما على اسقاط الخافض اى الى درجات او على المصدرية اى رفع درجات فحذف المضاف او على الحالية من الموصول اى ذوى درجات

{ والله بما تعملون } اى بعملكم او بالذى تعملونه

{ خبير } علام لايخفى عليه شيء منه لاذاته جنسا او نوعا ولا كفيفة اخلاصا او نفاقا او رياء او سمعة ولا كمية قلة او كثرة فهو خبير بتفسحكم ونشزكم ونيتكم فيهما فلا تضيع عند الله وجعله بعضهم تهديدا لمن لم يمتثيل بالامر او استكرهه فلا بد من التفسح والطاعة وطلب العلم

الشريف ويعلم من الآية سر تقدم العالم على غيره فى المجالس والمحاضر لان الله تعالى قجمه واعلاه حيث جعل درجاته عالية وفى الحديث

(فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب) اى فضل العالم الباقى بالله على العابد الفانى فى الله كما فى التأويلات النجمية وقال فى عين المعانى المراد علم المكاشفة فى ماورد فضل العالم على العابد كفضلى على امتى اذ غيره وهو علم المعاملة تبع للعمل لثبوته شرطا له اذا لعلم انما يتعد به اذا كان مقرونا بعلم المعاملة

قال بعضهم المتعبد بغير علم كحمار الطاحونة يدرو ولا يقطع المسافة

علم جندانكه بيشترتى خوانى ... جون عمل درتونيست نادانى

وحي يمدح العلم فالمراد به العلم المقرون بالعمل

رفعت آدمى بعلم بود ... هر كرا علم بيش رفعت بيش

قيمت هركسى بدانش اوست ... سازدافزسون بعلم قيمت خويش

(وقال بعضهم)

مرابتجربه معلوم كشت آخر حال ... كه عزمرد بعلم است وعز علم بمال

وعن بعض الحكماء ليت شعرى اى شيء ادرك من فاته العلم واى شيء فات من ادرك العلم وكل علم لم يوطد بعمل فالى ذل يصير وعن الزهرى رضى الله عنهاالعلم ذكر فلا يحبه الا ذكروه الرجال قال مقاتل اذا انتهى المؤمن الى باب الجنة يقال له لست بعالم ادخل الجنة بعملك ويقال للعالم قف على باب الجنة واشفع للناس وعن أبي الدردآء رضى اللعنه عنه قال لأن أعلم مسألة احب الى من أن أصلى مائة ركعة ولأن أعلم مسألة أحب الى من أن أصلى ألف ركعة قال ابو هريرة وابو ذر رضى الله عنهما سمعنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول (اذا جاء الموت طالب العلم على هذه الحال مات وهو شهيد) واعلم ان جميع الدرجات اما باعتبار تعدد اصحابها فان لكل عالم ربانى درجة عالية او باعتبار تعددها لقوله عليه السلام (بين العالم والعابد مائة درجة

بين كل درجة حضر الجواد المضمر سبعين سنة الحضر) بضم الحاء المهملة

ارتفاع الفرس فى عدوه والجواد الفرس السريع السير وتضمير الفرس ان

تعلفه حتى سمن ثم ترده الى القوت وذلك فى اربعين يوما والمضمار الموضع

يضمر فيه الخيل وغاية الفرس فى السباق

١٢

{ يأيها الذين آمنوا } بالايمان الخالص

{ اذا ناجيتم الرسول } المناجاة باكسى راز كفتن ، اى اذا

كلمتموه سرا فى بعض شؤونكم المهمة الداعية الى مناجاته عليه

السلام ومكالمته سرا بالفارسية جون خواهيدكه راز كوييد بارسول وفى

بعض التفاسير اذا كالمتموه سرا استفسار لحال مايرى لكم من الرؤيا ففيه

ارشاد للمقتدين الى عرضها على المقتدى بهم ليعبروها لهم ومن ذلك عظم

اعتبار الواقعات وتعبيرها بين ارباب السلوك حتى قيل ان على المريد أن

يعرض واقعته على شيخه سوآء عبر الشيخ او لم يعبر فان الله تعالى قال

{ ان الله يأمركم أن تودوا الامانات الى اهلها } وهى من جملة الامانة عند المريد لابد ان يؤديها الى الشيخ لما فيها من فائدة جليلة له وقوة لسلوكه وفى التعبير أثر قوى على ماقال عليه السلام (الرؤيا على ماولت)

{ فقدموا بين يدى نجواكم صدقة } اى فتصدقوا قبلها على المستحق كقول عمر رضى الله عنه افضل ماوتيت العرب الشعر يقدمه الرجل امام حاجته فيستمطر به الكريم ويستنزل به اللئيم يريد قبل حاجته فهو مستعار ممن له يدان على سبيل التخييل فقوله نجواكم استعارة بالكناية وبين يدى تخييلية وفى بعض التفاسير اذا أردتم عرض رؤياكم عليه ليعبرها لكم فتصدقوا قبل ذلك بشيء ليكون ذلك قوة لكم ونفعا فى اموركم والآية نزلت حين اكثر الناس عليه السؤال حتى اسأموه واملوه فأمرهم الله بتقديم الصدقة عند المناجاة فكف كثير من الناس اما الفير فعلسرته

واما الغنى فلشحه وفى هذا الامر تعظيم الرسول ونفع الفقرآء والزجر عن الافراط فى السؤال والتمييز بين المخلص والمنافق ومحب الآخرة ومحب الدنيا واختلف فى انه لنلدب او للوجوب لكنه نسخ بقوله تعالى

{ ءاشفقتم } الآية وهو وان كان متصلا به تلاوة لكنه متراخ عنه نزولا على ماهو شأن الناسخ واختلف فى مقدار تأخر الناسخ عن المنسوخ فقيل كان ساعة من النهار والظاهر انه عشر ايام لما روى عن على رضى الله عنه انه قال ان فى كتاب الله لآية ماعمل بها احد قبلى ولا يعمل بها احد بعدى كان لى دينار فصرفته وفى رواية فاشتريت به عشرة دراهم فكنت اذا ناجيته عليه السلام تصديقت بدرهم يعنى كنت اقدم بين يدى نجواى كل يوم درهما الى عشرة ايام و اسأله خصلة من الخصال الحسنة كما قال الكلبى تصدق به فى عشر كلمات سألهن رسول الله عليه السلام وهو على القول بالوجوب محمول على انه لم يتفق للاغنياء مناجاة فى مدته وهى عشرة ايام فى بعض الروايات اما لعدم المحوج اليها والاشفاق وعلى التقديرين لايلزم مخالفة الامر وان كان للاشفاق وفى بعض التفاسير ولا

يظن ظان ان عدم عمل غيره من الصحابةرضى الله عنهم بهذا لعدم الاقدام على التصدق كلا كيف ومن المشهور صدقة أبي بكر وعثمان رضى الله عنهما بألوف من الدراهم والدنانير مرة واحدة فهلا يقدم هذا شأنه على تصدق دينار او دينارين وكذا غيرهما فلعله لم يقع حال اقتضت النجوى حينئذ وهذا لاينافى الجلوس فى مجلسه المبارك والتكلم معه لمصلحة دينية او دنيوية بدون النجوى اذا المناجاة تكلم خاص وعدم الخاص لايقتضى عدم العام كما لايخفى وعن على رضى الله عنه قال لما نزلت الآية دعانى رسول الله فقال

(ماتقول فى دينار) قلت لايطيقونه قال (فنصف دينار) قلت لايطيقونه قال (فكم) قلت حبة او شعيرة قال (انك لزهيد) اى رجل قليل المال لزهدك فيه فقدرت على حالك ومافى بالك من الشفقة على المؤمنين وقوله حبة او شعيرة اى مقدارها من ذهب وعن ابن عمر رضى الله عنه كان لعلى رضى الله عنه ثلاث لو كانت لى واحدة منهم كانت أحب الى من حمر النعم تزويجه فاطمة رضى الله عنها واعطاؤه

الراية يوم خيبر وآية النجوى قوله حمر النعم بسكون ميم الحمر وهى من انفس اموال العرب يضربون بها المثل فى نفاسة الشىء وانه ليس هناك اعظم منه

قال بعضهم ان رسم النثارات للملوك والرؤساء مأخوذ من أدب الله تعالى فى شأن رسوله حيث قال

{ يأأيها الذين أمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة } { ذلك } التصدق

{ خير لكم } أيها المؤمنون من امساكه وبالفارسية بهترست مرشمارا زيراكه طاعت بيفزايد

{ وأطهر } لانفسكم من دنس الريبة ودرن البخل الناشىء من حب المال الذى هو من اعظم حب الدنيا وهو رأس كل خطيئة وبالفارسية وياه كيزه تر براى آنكه كناهان محو كند ، وهذا يشعر بالندب لكن قوله تعالى

{ فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم } منبيء عن الوجوب لانه ترخيص لمن لم يجد فى المناجاة بلا تصدق والمعنى بالفارسية بس اكر نيابيد جيزى كه صدقه دهيد بس خداى تعالى آمر زنده است مركسى راكه اين كناه كند مهر بانست بنده راكه تكليف مالا يطاق ننمايد.

قال بعض اهل الاشارة ان الله تعالى أدب اهل الارادة بهذه الآية أن لايناجوا شيوخهم فى تفسير الالهام واستفهام علم المكاشفة والاسرار الا بعد بذل وجودهم لهم والايمان بهم بشرط المحبة والارادة فان الصحة بهذه الصفة خير لقلوبهم واطهر لنوفسهم فان ضعفوا عن بعض القيام بحقوقهم ومعهم الايمان والارادة وعلموا قصورهم فى الحقيقة فان الله تعالى يتجاوز عن ذلك التقصير وهو رحيم بهم يبلغهم الى درجة الاكابر (قال المولى الجامى)

جه سود اى شيخ هرساعت فزون خر من طاعت ... جونتوانى

كه يك جواز وجود خويشتن كانى ...

١٣

{ أأشقتهم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات } الاشفاق الخوف من المكروه ومعنى الاستفهام التقرير كان بعضهم ترك المناجاة للاشفاق ولا مخالفة للامر وجمع صدقات لجمع المخاطبين قال فى بعض التفاسير أفرد الصدقة اولا لكفاية شىء منها وجمع ثانيا نظرا الى كثرة التناجى والمناجى والمعنى اخفتم الفقر يا أهل الغنى من تقديم الصدقات فيكون المفعول محذوفا للاختصار وأن تقدموا فى تقدير لان تقدموا أو أخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر قال الشاعر

هو عليك ولا تولع باشفاق ... فانما مالنا للوارث الباقى

{ فاذا لم تفعلوا } ما أمرتم به وشق عليكم ذلك وبالفارسية بس جون نكر ديد اين كاررا

{ وتاب الله عليكم } بأن رخص لكم فى أن لاتفعلوه وأسقط عنكم تقديم الصدقة وذلك لانه لاوجه لحملها على قبول التوبة حقيقة

اذ لم يقع منهم التقصير فى حق هذا الحكم بأن وقعت المناجاة بلا تصدق

وفيه اشعار بأن أشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما رأى منهم من الانفعال

ماقام مقام توبتهم واذ على بابها يعنى الظرفية والمضبمعنى انكم تركتم ذلك

فيما مضى وتجاوز الله عنكم بفضله فتداركوه بما تؤمرون به بعد هذا

وقيل بمعنى اذا للمستقيل كما فى قوله

{ اذا الاغلال فى اعناقهم } او بمعنى ان الشرطية وهو قريب مما

قبله الا ان يستعمل فيما يحتمل وقوعه واللا وقوعه

{ فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة } مسبب عن قوله

{ فاذا لم تفعلوا } اى فاذ فرطتم فيما أمرتم به من تقديم الصدقات

فتداركوه بالمواظبة على اقامة الصلاة وايتاء الزكاة المفروضة

{ واطيعوا الله ورسوله } فى سائر الاوامر فان القيام بها كالجابر لما

وقع فى ذلك من التفريط وهوتعميم بعد التخصيص لتتميم النفع

{ والله خبير بما تعملون } عالم بالذى تعملون من الاعمال الظاهرة والباطنة لايخفى عليه خافية فيجازيكم عليه فاعملوا مأمركم به ابتغاء لمرضاته لارياء وسمعة وتضرعوا اليه خوفا من عقوباته خصوصا بالجماعة يوم الجمعة ومن الادعية النبوية (اللهم طهر قلبى من النفاق وعلم الرياء ولسانى من الكذب وعينى من الخيانة انك تعلم خائنة الاعين ما تخفى الصدور) وفى تخصيص الصلاة والزكاة بالذكر من بين العبادات المرادة بالامر بالطاعة العامة اشرة الى علو شانهما واناقة قدرهما فان الصلاة رئيس الاعمال البدنية جامعة لجميع انواع العبادات من القيام والركوع والسجود والقعود ومن التعوذ والبسملة والقرآءة والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والصلاة على النبي عليه السلام من الدعاء الذى هو مخ العبادة ومن ذلك سميت صلاة وهى الدعاء لغة فهعبادة من عبدالله تعالى بها فهو محفوظ بعبادة العابدين من اهل السموات والارضين ومن تركها فهو محروم منها فطوبى لأهل الصلاة وويل لتاركها وان الزكاة هى ام الاعمال المالية بها يطهر القلب من دنس البخل والمال من خبث الحرمة فعلى هذا

هى بمعناالطهارة وبها ينمو المال فى الدنيا بنفسه لانه يمحق الله الربا ويربى الصدقات وفى الآخرة بأجره لانه تعالى يضاعف لمن يشاء وفى الحديث (من تصدق بقدر تمرة من كسب حلال ولا يقبل الله الا الطيب فان الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربى احدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل) فعلى هذا هى من الزكاة بمعنى النماء اى الزيادة وفى البستان

بدنا توانى كه عقبى خرى ... يخرجان من ورنه حسرت خورى

زر ونعمت آيدكسى رابكار ... كه ديوان عقبى كند زر نكار

١٤

{ الم تر } تعجيب من حال المنافقين الذين يتخذون اليهود اولياء ويناصحونهم وينقلون ايهم اسرار المؤمنين والخطاب للرسول عليه السلام او لكل من يسمع ويعقل وتعدية الرؤية بالى لكونها بمعنى النظر اى ألم تنظر يعنى أيا نمى نركى

{ الى الذين تولوا } من التولى بمعنى الموالاة

الا بمعنى الاعراض اى والوا يعنى دوست كرفتند

{ قوما غضب الله عليهم } وهم اليهود كما انبأ عنه قوله تعالى

{ من لعنه الله وغضب عليه } والغضب حركة للنفس مبدأها

ارادة الانتقام وهو بالنسبة اليه تعالى نقيض الرضى او ارادة

الانتقام او تحقيق الوعيد او الأخذ الأليم والبطش الشديد او هتك

الاسرار والتعذيب بالنار او تغيير النعمة

{ ماهم } اى الذين تولوا

{ منكم } فى الحقيقة

{ ولا منهم } اى من القوم المغضوب عليهم لانهم منافقون

مذبذبون بين ذلك لهم وان كانوا كفارا فى الواقع لكنهم ليسوا من اليهود

حالا لعدم اعتقادهم بما اعتقدوا وعدم وفائهم لهم ومالآ لان المنافقين فى

الدرك الاسفل من النار والجملة مستأنفة

{ ويحلفون على الكذب } الحلف العهد بين القوم والمحالفة المعاهدة والحلف اصله اليمين التى يأخذ بعضهم من بعض بها العهد ثم عبر به عن كل يمين اى يقولون والله انا لمسلمون فالكذب المحلوف عليه هو ادعاء الاسلام وهو عطف على تولوا وادخل فى حكم التعجيب وصيغة المضارع للدلالة على تكرر الحلف وتجدده حسب تكرر مايقتضيه

{ وهم يعلمون } ان المحلوف عليه كذب كمن يحلف بالغموس وهو الحلف على فعل او ترك ماض كاذبا عمدا سمى بالغموس لانه يغمس صاحبه فى الاثم ثم فى النار ولم يجعل حلفهم غموسا لان الغموس حلف على الماضى وحلفهم هذا على الحال والجملة حال من فاعل يحلفون مقيدة لكمال شناعة مافعلوا فان الحلف على مايعلم انه كذب فى اماية القبح وفى هذه التقييد دلالة على ان الكذب يعم مايعلم المخبر عدم مطابقته للواقع ومالا يعلمه فيكون حجة على النظام والجاحظ (وروى) انه عليه السلام كان فى حجرة من حجراته فقال (يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان) فدخل عبدالله بن نبتل المنافق بتقديم

النون على الباء الموحدة كجعفر وكان ازرق فقال له عليه السلام (لم تشتمنى أنت وأصحابك) فحلف بالله مافعل فقال عليه السلام (فعلت) فانطلق بأصحابه فحلفوا بالله ماسبوه فنزلت فالكذب المحلوف عليه على هذه الرواية هو عدم شتمهم

١٥

{ اعد الله لهم } بسبب ذلك

{ عذابا شديدا } دردنيا بخوارى ورسوايي ودر آخرت بآتش دوزخ والمراد نوع من العذاب عظيم فالنوعية مستفادة من تنكير عذابا والعظيم من توصيفة بالشدة

{ انهم ساء ما كانوا يعملون } اى تمرنوا عليه واصروا وتمرنهم اى اعتيادهم واستمرار على مثل ماعملوه فى الحال من العمل السوء مستفاد من كان الدالة على الزمان الماضى اى العمل السيء دأبهم

١٦

{ اتخذوا أيمانهم } الفاجرة التى يحلفون بها عند الحاجة واليمن فى الحلف مستعار من اليد اعتبارا بما يفعله المحالف والمعاهد عنده

{ جنة } وهى الترس الذى يجن صاحبه اى يستره والمعنى وقاية وسترة يسترون بها من المؤمنين ومن قتلهم ونهب أموالهم ، يعنى بناهاى كه خون ومال ايشان درامان ماند ، فالاتخاذ عبارة عن اعدادهم لايمانهم الكاذبة وتهيئتهم الها الى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا من المؤاخذة لاعن استعمالها بالفعل فان ذلك متأخر عن المؤآخذة المسبوقة بوقوع الجناية والخيانة واتخاذ الجنة لابد أن يكون قبل المؤآخذة وعن سببها ايضا كما تعرب عنه الفاء فى قوله

{ فصدوا } اى منعوا الناس وصرفوهم

{ عن سبيل الله } اى عن دينه فى خلال أمنهم وسلامتهم وتثبيط من لقوا عن الدخول فى الاسلام وتضعيف أمر المسلمين عندهم

{ فلهم } بسبب كفرهم وصدهم

{ عذاب مهين } مخزى بين اهل المحشر وعيد ثان بوصف آخر لعذابهم

وقيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة

١٧

{ لن تغنى عنهم اموالهم ولا أولادهم من الله } اى من عذابه تعالى

{ شيأ } قليلا من الاغناء يقال أغنى عنه كذا اذا كفاء يعنى انهم يحلفون كاذبين للوقاية المذكورة ولا تنفعهم اذا دخلوا النار أموالهم ولا اولادهم التى صانوها وافتخروا بها فى الدنيا او يقولون ان كان مايقول محمد حقا لندفعن العذاب عن أنفسنا بامولنا وأولادنا فأكذبهم الله بهذه الآية فان يوم القيامة يوم لاينفع فيه مال ولابنون ولايكفى أحد احدا فى شأن من الشؤون

{ اولئك } الموصوفون بما ذكر من الصفات القبيحة قال فى برهان القرءآن بغير واو موافقة للجمل التى قبلها ولقوله

{ اولئك حزب الله } { اصحاب النار } اى ملازموها ومقارنوها او مالكوها لكونها حاصلهم وكسبهم الذى اكتسبوه فى الدنيا بالسيئة المردية المؤدية الى التعذيب

{ هم فيها خالدون } لايخرجون منها ابدا وضميرهم لتقوية الاسناد ورعاية الفاصلة لا للحصر لخلود غير المنافقين فيها من الكفار

١٨

{ يوم يبعثهم الله جميعا } يادكن روزى راكه برانكيزد خداى تعالى همه منافقان ازقبور وزنده كند بس ازمرك ، وجميعا حال من ضمير المفعول بمعنى مجموعين

{ فيحلفون } فى ذلك اليوم وهو يوم القيامة

{ له } اى الله تعالى على انهم مسلمون مخلصون كما قالوا

{ والله ربنا ماكنا مشركين } { كما يحلفون لكم } فى الدنيا

{ ويحسبون } فى الآخرة مصدره الحسبان وهو أن يحكم لاحد النقيضين من غير أن يخطر الآخر بباله فيحسبه ويعقد عليه الاصبع ويكون بعرض أن يعترية فيه شك ويقاربه الظن لكن الظن أن يخطر النقيضين بباله فيغلب احدهما الآخر

{ انهم } بتلك الأيمان الكاذبة

{ على شىء } من جلب منفعة او دفع مضرة كما كانوا عليه فى الدنيا حيث كانوا يدفعون بها عن أنفسهم وأموالهم ويستجرون بها فوآئد دنيوية

{ الا انهم هم الكاذبون } المبالغون فى الكذب الى غاية لامطمح ورآءها حيث تجاسروا على الكذب بين يدى علام الغيوب وزعموا أن أيمانهم الفاجرة ترويج الكذب لديه كما تروجه عند الغافلين والأحرف تنبيه والمراد التنبيه على توغلهم فى النفاق وتعودهم به بحيث لاينكفون عنه موتا ولا حياة ولو ردوا لعادوا لما نهو عنه وانهم لكاذبون

١٩

{ استحوذ عليهم الشيطان } من حذت الابل اذا استوليت عليها وجمعتها وسقتها سوقا عنيفا اى استولى عليهم الشيطان وملكهم لطاعتهم له فى كل مايريد منهم حتى جعلهم رعيته وحزبه وهو مما جاء على الاصل كاستصوب واستنوق اى على خلاف قياس فان القياس أن يقال استحاذ فهو فصيح استعمالا وشاذ قياسا (وحكى)ان عمر رضى الله عنه قرأ استحاذ

{ فأسناهم ذكر الله } المصدر مضاف الى المفعول اى كان سببا بالاستيلا ء لنسيانه تعالى فلم يذكره بقلوبهم ولا بألسنتهم

{ اولئك } المنافقون الموصوفون بما ذكر من القبائح

{ حزب الشيطان } اى جنوده واتباعه الساعون فيما أمرهم به والحزب الفريق الذى يجمعه مذهب واحد

{ الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون } اى الموصوفون بالخسران

الذى لاغاية ورآءه حيث فوتوا على أنفسهم النعيم المقيم وأخذوا بدله

العذاب الأليم قال بعض المشايخ بوأه الله الدرجات الشوامخ علامة

استحواذ الشيطان على العبد أن يشغله بعمارة ظاهره من المآكل والملابس

ويشغل قلبه عن التفكر فى ألاء الله ونعمه عليه والقيام بشكرها ويشغل

لسانه عن ذكر ربه بالكذب واللغو والغيبة والبهتان وسمعه عن الحق بسماع

اللهو والهذيان قال بعض أهل الاشارة اذا اراد الشيطان أن ينبت فى سبخة

ارض النفس الامارة حنظل الشهوة يثبت اليها ويغريها على انفاذ مرادها

فتكون النفس مركبة فيهجم الى بلد القلب ويخرجه بأن يدخل فيه ظلمة

الطبيعة فلا ترى عين القلب مسلك الذكر وصفاته فلما احتجب عن

الذكر صار وطن ابليس وجنوده وغلب الملعون عليه وهذا يكون بارادة الله

تعالى وسببه استحواذ غرور الملعون وتزيينه بأن يلبس امر الدين بأمر الدنيا

ويغويه من طريق العلم فاذا لم يعرف دقائقه صار قرينه والشيطان دون الملك

والرحمن اذلا يجتمع الحق مع الباطل

نظر دوست نادر كند سوى تو ... جو در روى دشمن بود روى

تو

ندانى كه كمتر نهد دوست باى ... جو بيند كه دشمن بود درسراى

٢٠

{ ان الذين يحادون الله ورسوله } اى يعادونهما ويخالفون أمرهما ويتعدون حدودهما ويفعلون معهما فعل من ينازع اخر فى ارض فيغلب على طائفة منها فيجعل لها حدا لايتعداه خصمه ولما كانوا لايفعلون ذلك الا لكثرة اعوانهم واتباعهم فيظن من رأهم انهم الآعزآء الذين لا أحد أعز منهم قال تعالى نافيا لهذا الغرور الظاهر

{ اولئك } الا باعد والاسافل بمافعلوا من المحادة

{ فى الاذلين } اى فى جملة من هو اذل خلق الله من الاولين والآخرين لاترى أحدا أذل منهم لان ذلة أحد المتخاصمين على مقدار عزة الآخر وحيث كانت عزة الله متناهية كانت ذلة من يحاده كذلك وذلك

بالسبى والقتل فى الدنيا وعذاب النار فى البرخة سوآء كانوا فارس والروم او اعظم منهم سوقة كانوا او ملوكا كفرة كانوا اوفسقه

٢١

{ كتب الله } استنئاف وارد لتعليل كونهم فى الاذلين اى قضى وأثبت فى اللوح وحيث جرى ذلك مجرى القسم أجيب بما يجاب به

{ لاغلبن انا ورسولى } اكده لما لهم من ظن الغلبة بالكثرة والقوة والمراد والغلبة بالحجة والسيف او بأحد هما والغلبة بالحجة ثابتة لجميع الرسل لانهم الفائزون بالعاقبة الحميدة فى الدنيا والآخرة

واما الغلبة بالسيف فهى ليست بثابته للجميع لان منهم من لم يأمر بالحرب قال الزجاج غلبة الرسل على نوعين من بعث منهم بالحرب فهو غالب بالحرب ومن لم يؤمر بالحرب فهو غالب بالحجة واذا انضم الى الغلبة بالحجة الغلبة بالسيف كان اقوى

محالست جون دوست دارد ترا ... كه دردست دشمن كذارد ترا

وعن مقاتل انه قال المؤمنون لئن فتح الله لنا مكة والطائف وخيبر وما حولهن رجونا أن يظهرنا الله تعالى على فارس والروم فقال رئيس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول أتظنون الروم وفارس كبعض القرى التى غلبتم عليه والله انهم لاكثر عدد او أشد بطشا من أن تظنوا فيم ذلك فنزل قوله تعالى

{ كتب الله } الآية قال البقلى رحمه الله كتب الله على نفسه فى الازل ان ينصر اولياءه على اعدآئه من شياطين الظاهر والباطن ويعطيهم رايات نصرة الولاية فحيث تبدوا راياتهم التى هى سطوع نور هيبة الحق من وجوههم صار الاعدآء مغلوبين بتأييد الله ونصرته قال أبو بكر بن طاهر رحمه الله اهل الحق لهم الغلبة ابدا ورايات لاحق تسبق رايات غيره جميعا لان الله تعالى جعلهم اعلاما فى خلقه واوتادا فى ارضه ومفزعا لعباده وعمارة لبلاده فمن قصدهم بسوء كبه الله لوجهه واذله فى طاهر عزه

{ ان الله } تعليل للقهر والغلبة اكده لان افعالهم مع اوليائه افعال من يظن ضفعه

{ قوى } على نصر انبيائه

قال بعضهم القوى هو الذى لايلحقه ضعف فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى افعاله ولايمسه نصب ولاتعب ولايدركه قصور ولاعجوز نقض ولا ابرام والقوة فى الاصل عبارة عن شدة البنية وصلابتها المضادة للعضف ويراد بها القدرة بالنسبة الى الله تعالى

{ عزيز } لايغلب عليه فى مراده

حكمى كه آن زباركه كبريا يود ... كس را دران مجال تصرف كجا كبود

فان قلت فاذا كان الله قويا عزيزا غير عاجز فما وجه انهزام المسلمين فى بعض الاحيان وقد وعد النصرة قلت ان النصرة والغلبة منصب شريف فلا يليق بالكافر لكن الله تعالى تارة يشدد المحنة على الكفار واخرى على المؤمنين لانه لو شدد المحنة على الكفار فى جميع الاوقات وأزالها عن المؤمنين فى جميع الاوقات لحصل العلم الضرورى بأن

الايمان حق وما سواه باطل ولو كان كذلك لبطل التكليف والثواب والعقاب فلهذا المعنى تارة يسلط الله المحنة على أهل الايمان واخرى على اهل الكفر لتكون الشبهات باقية والمكلف يدفعها بواسطة النظر فى الدلائل الدالة على صحة الاسلام فيعظم ثوابه عند الله ولان المؤمن قد يقدم على بعض المعاصى فيكون تشدد المحنة عليه فى الدينا تمحيصا لذنوبه وتطهيرا لقلبه

واما تشديد المحنة على الكافر فهو من قبيل الغضب ألا ترى ان الطاعون مثلا رحمة للمؤمنين ورجز للكافرين وما من سابق عدل الا له لاحق فضل ولا سابق فضل الا له حق عدل غير أن اثرى العدل والفضل قد يتعلقان بالبواطن خاصة وقد يتعلق أحدهما بالظاهر والآخرة بالباطن وقد يكون اختلاف تعلقها فى حالة واحدة وقد يكون على البدل وعلى اقدر تعلق الأثر السابق يكون تعلق الأثر اللاحق وقد أجرى ا لله سبحانه آثار عدله على ظواهر أصفيائه دون بواطنهم ثم عقب ذلك بايراد آثار فضله على بواطنهم وظواهرهم حتى صار من قاعدة الحكمة والالهية تفويض

مما لك الارض للمستضعفين فيها كالنجاشى حيث بيع فى صغره وذلك كثير موجود باستقرآء فمن كمال تربية الحكيم لمن يريد اعلاء شأنهم أن يجرى على ظاهرهم من آثار العدل مافيه تكميل لهم وتنوير لمداركهم وتطهير لوجودهم وتهذيب وتأديب الى غير ذلك من فوآئد التربية ومن تتبع احوال الاكابر من آدم عليه السلام وهلم جرا رأى من احسن بلاء الله مايشهد لما قرر بالصحة والمبتلى به يصبر على ذلك بل يتلذذ كماهو شأن الكبار

هرجه از دست توآبد خوش بود ... كرهمه درياى بر آتش بود

وفى الآية اشارة الى اعدآء النفوس الكافرة فانها تحمل القلوب والارواح على مخالفات الشريعة وموافقات الطبيعة وتمحو الذكر من ألواحها بغلبة المحبة الدنيا وشهواتها لكن الله تعالى ينصرها ويؤيدها حتى تغلب على النفوس الكافرة بسطوات الذكر فيحصل لها غاية الذلة كأهل الذمة فى بلدة المسلمين وذلك لان الله تعالى كتب فحائف الاستعدادات غلبتها على النفوس وذلك من باب الفضل والكرم

{ لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر } الخطاب للنبى عليه السلام او لكل احد وتجدا مامتعد الى اثنين فقوله تعالى { يوادون من حاد الله ورسوله } مفعوله الثانى او الى واحد بأن كان بمنى صادف فهو حال من مفعوله لتخصيصه بالصفة وهو يؤمنون والموادة المحابة مفاعله من المودة بمعنى المحبة وهى حالة تكون فى القلب اولا ويظهر آثارها فى القلب ثانيا والمراد بمن حاد الله ورسوله المنافقون واليهود والفساق والظلمة والمبتدعة والمراد بنفى الوجدان نفى الموادة على معنى انه لاينبغى أن يتحقق ذلك حقه أن يمتنع ولا يوجد بحال وان جد فى طلبه كل أحد وجعل مالا ينبغى وجوده غير موجود لشركته فى فقد الخير ويجوز أن يقال لاتجد قوما كاملى الايمان على مايدل عليه سياق النظم فعدم الوجدان على حقيقته قال فى كشف الاسرار أخبر أن الايمن يفسد بموادة الكفار وكذا بموادة من حكمهم وعن سهل بن عبدالله التسترى قدس سره من صحح ايمانه واخلص توحيده فانه لايأنس الى مبتدع ولايجالسه ولا

يؤاكله ولا يشاربه ولا يصاحبه ولايظهر من نفسه العداوة والبغضاء ومن داهن مبتدعا سلبه الله حلاوة السنن ومن تحب الى مبتدع لطلب عز فى الدنيا او عرض منها اذله الله بتلك العزة وأفقره الله بذلك الغنى ومن ضحك الى مبتدع نزع الله نور الايمان من قلبه ومن لم يصدق فليجرب

واما المعاملة للمبايعة العادية او للمجاورة او للمرافقة بحيث لاتضر بالدين فليست بمحرمة بل قد تكون مستحبة فى مواضعها قال ابن الشيخ المعنى لايجتمع الايمان مع ودادة اعدآء الله فان قيل اجتمعت الامة على أن يجوز مخالطتهم ومعاملتهم ومعاشرتهم فما هذه الموادة المحرمة فالجواب ان الموادة المحرمة هى ارادة منافعه دينا ودنيا مع كونه كافرا وما سوى ذلك جائز (روى) عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم انه كان يقول (اللهم لاتجعل لفاجر عندى نعمة فانى وجدت فيما أوحى الى لاتجد قوما)الخ فعلم منه ان الفساق واهل الظلم داخلون فيمن حادالله ورسوله اى خالفهما وعاداهما واستدل مالك بهذه الآية على معاداة القدرية وترك مجالستهم وهم القائلون بنفى كون الخير والشر كله بتقدير الله

ومشيئته يعنى هم الذين يزعمون ان كل عبد خالق لفعله ولا يرون الكفر والمعاصى بتقدير شالله وسموا بذلك لمبالغتهم فى نفيه وكثرة مدافعتهم اياه

وقيل لاثباتهم للعبد قدرة الايجاد وليس بشىء لان المناسب حينئذ القدرى بضم القاف

{ ولو كانوا } اى من حاد الله ورسوله وبالفارسية واكرجه باشند از مخالفان خدا ورسول ، والجمع باعتبار معنى من كما انلا الافراد فيما قبله باعتبار لفظها

{ آباءهم } اى آباء الموادين

{ او ابناءهم } قدم الاقدم حرمة ثم الاحكم محبة

{ او اخوانهم } نسبا

{ او عشيرتهم } العشيرة اهل الرجل الذين يتكثر بهم اى يصيرون بمنزلة العدد الكامل وذلك ان العشرة هو العدد الكامل فصار العشيرة لكل

جماعة من أقارب الرجل يتكثر بهم والعشير والمعاشر قريبا او معارفا وفى القاموس عشيرة الرجل بنوا أبيه الادنون او قبيلته انتهى

يعنى ان المؤمنين المتصلين فى الدين لايوالون هؤلاء الاقرباء بعد ان كانوا محادين الله ورسوله فكيف بغيرهم فان قضية الايمان بالله ان يهجر الجميع بالكلية بل أن يقتلهم ويقصدهم بالسوء كما روى ان أبا عبيدة قتل أباه الجراح يوم بدر وان عبدالله بن عبدالله بن ابى بن سلول جلس الى جنب رسول الله عليه السلام فشرب رسول الله الماء فقال عبدالله رضى الله عنه يارسول الله ابق فضلة من شرابك قال (فما تصنع بها) فقال اسقيها أبي لعل الله يطهر قلبه ففعل فآتاها فقال ماهذا قال فضلة من شرا ب رسول الله جئتك بها لتشربها لعل الله يطهر قلبك فقال له أبوه هلا جئتنى ببول امك فرجع الى النبى عليه السلام فقال يارسول الله ائذن لى فى قتل أبي فقال عليه السلام(بل ترفق به وتحسن اليه) وان أبا قحافة قبل ان اسلم سب النبي عليه السلام فصكه أبو بكر رضى الله عنه صكة اى ضربه ضربة سقط منها فقال عليه عليه السلام (او فعتله

) قال نعم قال (فلا تعد اليه) قال والله لو كان السيف قريبا منى لقتلته قال فى التكملة فى هذه الرواية نظر لان هذه السورة مدنية أبو بكر مع أبيه الآن بمكة انتهى.

يقول الفقير لعله على قول من قال ان العشر الاولى من هذه السورة مدنى والباقى مكى وان أبا بكر رضى الله عنه دعا ابنه عبدالرحمن الى البراز يوم بدر فأمره عليه السلام أن يقعد قال يارسول الله دعنى اكن فى الرعلة الاولى وهى القطعة من الفرسان فقال عليه السلام (متعنا بنفسك ياأبابرك أما تعلم ان بمنزلة سمعى وبصرى) ، يقول الفقير يعلم منه فضل أبي بكر على على رضى الله عنهما فان هذا فوق قوله عليه السلام (لعلى أنت منى بمنزلة هرون من موسى) فتفطن لذلك وان مصعبا رضى الله عنهقتل أخاه عبدي بن عمير بأحد وان عمر رضى الله عنه قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر وان عليا وحمزة وعبيد بن الحارث رضى الله عنهم قتلوا يوم بدر عتبة وشبية ابنى ربيعة والوليد بن عتبة وكانوا من عشيرتهم وقرابتهم وكل ذلك من باب الغيرة والصلابة كما

قال عليه السلام (الغيرة من الايمان والمنية من النفاق ومن لاغيره له لادين له)

(وروى) عن الثورى انه قال كانوا يرون انها نزلت فيمن يصحب السلطان ففيه زجر عن مصاحبتهم وعن عبدالعزيز بن أبى داؤد انه لقيه المنصور فى الطواف فلما عرفه هرب منه وتلاها وفى الحديث (من مشى خلف ظالم سبع خطوات فقد أجرم) وقد قال الله تعالى

{ انا من المجرمين منتقمون } { اولئك } اشارة الى الذين لا يوادونهم وان كانوا أقرب الناس اليهم وأمسهم رحما

{ كتب } الله سبحانه

{ فى قلوبهم الايمان } اى اثبته فيها وهو الايمان الوهبى ا لذى وهبه الله لهم قبل خلق الاصلاب والارحام اذ لا يزال بحال ابدا كالايمان المستعار وفيه دلالة على خروج العمل من مفهوم الايمان فان الجزء الثابت

فى القلب ثابت فيه قطعا ولا شىء من اعمال الجوارح يثبت فيه وهو حجة ظاهرة على القدرية حيث زعموا أن الايمان والكفر يستقل بعملهما العبد

{ وأيدهم } اى قواهم واصله قوى يدهم

{ روح منه } اى من عندالله فمن لابتدآء الغاية وهو نور القرءآن او النصر على العدو او نور القلب وهو بادراك حقيقة لحال والرغبة فى الارتقاء الى المدارج الرفيعة الروحانية والخلاص من درك عالم الطبيعة الدنية وكل ذلك سمى روحا لكونه سببا للحياة قال سهل رحمه الله حياة الروح بالتأييد وحياة النفس بالروح وحياة الروح بالذكر وحياة الذكر بالذاكر وحياة الذاكر بالمذكور

{ ويدخلهم } فى الآخرة

{ جنات تجرى من تحتها } اى من تحت اشجارها او قصورها

{ الانهار } الاربعة يعنى جويها ازاب وشير وخمر وعسل

{ خالدين فيها } ابد الآباد لايقرب منهم زوال ولا موت ولا مرض ولا فقر كما قال عليه السلام (ينادى مناد آن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا وآن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا وآن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا وآن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا)

{ رضى الله عنهم } خشنود شد خداى ازايشان بطاعتى كه دردنيا كردند ، وفى الارشاد استئناف جار مجرى التعليل لما أفاض عليهم من آثار رحمته العاجلة والآجلة والرضى ترك السخط

{ ورضوا عنه } وخشنود شدند ايشان ازخداى بكرامتى كه وعده كرده ايشانرا درعقبى ، وفى الارشاد بيان لابتهاجهم بما اوتوه عاجلا وآجلا

{ اولئك حزب الله } تشريف لهم ببيان اختصاصهم به عز وجل اى جنده وانصار دينه قال سهل رضى الله عنه الحزب الشيعة وهم الابدال وارفع منهم الصديقون

{ الا ان حزب لله هم المفلحون } الناجون من المكروه والفائزون بالمحبوب دون غيرهم المقابلين لهم من حزب الشيطان المخصوصين بالخذلان والخسران وهو بيان لاختصاصهم بالفوز بسعادة النشأتين وخير الدارين وقال بعض أهل الاشارة حزب الله أهل معرفته ومحبته وأهل توحيده هم الفائزون بنصرة الله من مهالك القهريات ومصارع الامتحانات وجدوا الله بالله اذا ظهر واحد منهم ينهزم المبطلون ويتفرق المغالطون لان الله تعالى أسبل على وجوهم نور هيبته وأعطى لهم اعلام عظمته يفر منهم الاسود ويخضع لهم الشامخات كلأهم الله بحسن رعايته ونورهم بسنا قدرته ورفع لهم اذكارهم فى العالمين وعظم اقدارهم وكتم اسرادهم ،

واما ثعلبى ازجرجانى كه اوازمشايخ خود شنيده كه داود عليه السلام از حق تعالى برسيد كه حزب توكيست خطاب آمد از حضرت عمزت كه الغاضة ابصارهم والسليمة اكفهم والنقية قلوبهم اولئك حزبى وحول عرشى هركه جشم اواز محارم فروبسته بود ودست او از آزار خلق

واخذ حرام كوناه باشد ودل حود ازما سوى باكيزه كرده از جمله حزب حضرت الله است ودرين باب كفته اند

ازهرجه نار واست برودیدها ببند ... وزهر جه نابسند بود دست بازدار

لوح دل ازغبار تعلق بشوى باك ... تابا شدت بحلقه اهل قلوب بار

وفى الآية اشارة الى ابوة الروح بالنسبة الى السر والخفى والقلب والنفس والهوى وصفاتها لولادة الكل عن مادة ازدواج الروح مع القالب والى نبوة الكل الى الروح والى اخوة السر مع النفس واخوة القلب مع الهوى وعشيرة صفاتهما مع الخفى لكون الكل من واد واحد واصل متحد هو الروح فمن قطع ارتباط التعلق مع النفس والهوى وصفاتهما الظلمانية الشيطانية بالتوجه الكلى الروحى والسرى والقلبى والخلفى الى الحضرة الالهية فهم الذين كتب الله فى ألواح قلوبهم وصفاح اسرارهم الايمان الحقيقى

الشهودى العيانى وأيدهم بروح الشهود الكلى الجمعى الجامع بين شهود الوحدة الذاتية الحقيقية وبين شهود الكثرة الاسمائية النسبية والجمع بين الشهودين دفعة واحدة من غير تخلل بينهما ومن غير احتجاب أحدهما عن الآخر ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار مياه التجليات الذاتية والصفاتية والاسمائية المشتملة على العلوم والمعارف والحقائق والحكم على الدوام والاستمرار رضى الله عنهم بفنائهم عن الناسوتية ورضوا عنه ببقائهم بلا هوتيته اولئك حزب الله اى مظاهر ذاته وصفاته واسمائه ألا ان حزب الله هم المفلحون لقيامهم بقيومية الحق تعالى ، واعلم انه كائن الدنيا والآخرة يومان متعاقبان متصلاقان فمن ذلك يعبر الدنيا باليوم وعن الآخرة بغد ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من ابناء الآخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا فانكم اليوم فى دار العمل والاحساب وأنتم غدا فى دار الآخرة ولاعمل ونعيم الدنيا منقطع دون نعيم الآخرة ثم ان هذا شأن الابرار

واما المقربون فهم أهل الله لا أهل الدارين ونعيمهم ماذكر من التجليات فهم حزب الله حقيقة لكمال نصرتهم فى الدين ظاهرا او باطنا

سُورَةُ الْحَشْرِ مَدَنِيَّةٌ

وَهِيَ أَرْبَعٌ وَعِشْرُونَ آيَةً

١

{ سبح لله مافى السموات ومافى الارض } التسبيح تبعيد الهل عن السوء وتظهيره عما لايليق بشأن الوهيته ويكون بالجنان واللسان والحال والاول اعتقاد العبد بتعاليه عما لايليق بالالوهية وذلك لان من معانى التفعيل الاعتقاد بشىء والحكم به مثل التوحيد والتمجيد والتعظيم بمعنى الاعتقاد بالوحدة والمجد والعظمة والحكم بها وعلى هذا المعنى مثل التكفير والتضليل ومثل التجويز والترجيح والثانى القول بما يدعل على تعاليه مثل التكبير والتهليل والتأمين بمعنى أن يقول الله اكبر

ولا اله الا الله وآمين وهو المشهور وعند الناس والثالث دلالة المصنوعات

على ان صانعها متصف بنعوت الجلال متقدس عن الامكان وما يتبعه

والمفسرون فسروا مافى القرءآن من امثال الآية الكريمة على كل من الثانى

والثالث ليعم تسبيح الكل كذا فى بعض التفاسير وجمهور المحققين على ان

هذا التسبيح تسبيح بلسان العبارة والاشارة لا بلسان الاشارة فقط فجميع

الموجودات من العقلاء وغيرهم سبحه تعالى يعنى تسبيح ميكويد كه وبه

باكى مستأنس ميكند مرخدايرا كه مستحق ثناست ، كما سبق تحقيقه

فى اول سورة الحديد وفى مواضع أخر من القرءآن

بذكرش هرجه بينى در خروش است ... دل داند درين معنى كه

كوش است

نه بلبل بر كلش تسبيح خوانست ... كه هر خارى به توحيد ش

زبانست

وفى الحديث (انى لأعرف حجرا بمكة كان سلم على قبل أن أبعث انى لأعرفه الآن) وعن ابن مسعود رضى الله عنه ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل على ان شهادة الجوارح والجلود مما نطق به القرءآن الكريم وقال مجاهد كل الاشياء تسبح لله حيا كان او جمادا وتسبيحها سبحان الله وبحمده وهذا على الاطلاق

واما بالنسبة الى كل موجود فالتسابيح مختلفة فلكل موجود تسبيح مخصوص به من حيث مايقتضيه نشأته كما قال بعض الكبار فاذا رأيت هؤلاء العوالم مشتغلين بالذكر الذى أنت عليه فكشفك خيالى غير صحيح لاحقيقى وانما ذلك خيالك أقيم لك فى الموجودات فاذا شهدت فى هؤلاء تنوعات الاذكار فهو الكشف الصحيح انتهى

{ وهو العزيز } ذو العزة القاهرة

{ الحكيم } ذو الحكمة الباهرة وفى ايراد الوصفين بعد التسبيح اشارة الى الباعث له والداعى اليه لان العزة أثر الجلال والحكمة أثر الجمال فله الاتصاف بصفات الكمال

وفى التأويلات النجمية

{ سبح لله مافى السموات } واقامة البراهين القطعية والادلة الفكرية لعدم جدواها فى تحصيل المطلوب فان ذاته المطلقة جامعة للتنزيه العقلى والتشبيه النفسى كما قال

{ ليس كمثله شيء } وهو التنزيه

{ وهو السميع البصير } وهو التشبيه فجمعت ذاته المطلقة باحدية الجمعية بين التنزيه والتشبيه دفعة واحدة بحيث يكون التنزيه عين التشبيه والتشبيه عن التنزيه كما قال العارف المحقق قدس سره (فان قلت بالامرين كنت مسددا ، وكنت اماما فى المعارف سيدا) فان التنزيه نتيجة اسمه الباطن والتشبيه نتيجة اسمه الظاهر فافهم جدا وهو العزيز المنيع جنابه

أن ينزه من غير التشبيه الحكيم الذى تقتضى حكمته أن لايشبه من غير التنزيه (روى) ان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لما قدم المدينة صالح بن النضير كأمير وهم رهط من اليهود من ذرية هرون أخى موسى عليه السلام قال السهيلى رحمه الله ونسبتهم الى هرون صحيحة لان النبى عليه السلام قال لصفية رضى اللع نها بنت حيي بن أخطب سيد بنى النضير وقد وجدها تبكى لكلام قيل لها أبوك هرون وعمك موسى وبعلك محمد عليه السلام والحديث معروف ومشهور وفى بعض الكتب من أولاد الكاهن بن هرون ونزلوا قريبا من المدية فى فتن بنى اسرآئيل انتظارا لبعثة النبى عليه السلام وكان يقال لهم ولبنى قريظة الكاهنان لانهم من أولاده ايضا وكان بنو النضير وقريظة وبنوا قينقاع فى وسط ارض العرب من الحجاز وان كانوا يهودا والسبب فى ذلك ان بنى اسرآئيل كانت تغير عليهم العماليق فى ارض الحجاز وكانت منازلهم يثرب والجحفة الى مكة فشكت بنوا اسرآئيل ذلك الى موسى عليه السلام فوجه اليهم جيشا وأمرهم أن يقتلوهم ولا يبقوا منهم أحدا ففعلوا ذلك وترك منهم ابن مالك لهم كان

غلاما حسنا فرقوا له ثم رجعوا الى الشأم وموسى قد مات فقالت بنو اسرآئيل قد عصيتم وخالفتم فلا نؤويكم فقالوا نرجع الى البلاد التى غلبنا عليها ونكون بها فرجعوا الى يثرب فساتوطنوها وتناسلوا بها الى أن نزل عليهم الاوس والخزرج بعد سيل العرم فكانوا معهم الى الاسلام فلما هاجر عليه السلام عاهد بنى النضير على أن لايكونوا له ولا عليه فلما ظهر عليه السلام اى غلب يوم بدر قالوا فيما بينهم النبى الذى نعته فى التوراة لاترد له راية يعنى نتوان بودكه كسى بروى ظفر يابد يارايت اقبال وى كسى بيفكند ، فلما فكان يوم أحد ما كان ارتابوا ونكثوا فخرج كعب من الأشرف فى اربعين راكبا الى مكة فحالفوا قريشا عند الكعبة على قتاله عليه السلام وعاهدوا على الاضرار به ناقضين العهد ، كعب اشرف باقوم خود بمدينه باز آمد وجبريل امين رسول را خبرداد ازان عهد وبيمان كه درميان ايشان رفت ، فأمر عليه السلام محمد بن مسلمة الانصارى بفتح الميم وكان أخا كعب من الرضاعة فقتل كعبا غيلة بالكسر اى خديعة فان الغيلة أن يخدعه فيذهب به الى موضع فاذا صار اليه قتله وذلك انه

أتاه ليلا فاستخرجه من بيته لقوله انى أتيتك لاستقرض منك شيأ من التمر
فخرج اليه فقلته ورجع الى النبى عليه السلام واخبره ففرح به لانه أضعف
قلوبهم وسلب وقوتهم وفى بعض الاخبار انه عليه السلام ذهب الى بنى
النضير لاستعانة فى دية فى نفر من اصحابه اى دون العشرة فيهم أبو بكر
وعمر وعلى رضى الله عنهم فقالوا له يا أبا القاسم حتى تطعم وترجع
بحاجتك وكان عليه السلام جالسا الى جنب جدار من بيوتهم فخلا
بعضهم ببعض وقالوا انكم لن تجدوا الرجل على مثل هذه الحالة فهل من
رجل يعلو على هذا البيت فيلقى عليه صخرة فيريحنا منه فقال احد ساداتهم
وهو عمرو بن جحاش انا لذلك فقال لهم أحد ساداتهم وهو سلام بن
مشكم لاتفعلوا والله ليخبرن بما هممتم به انه لنقض للعهد الذى بيننا وبينه
فلما صعد الرجل ليلقى الصخرة أتى رسول الله الخبر من السماء بما أراد
القوم فقام عليه السلام مظهرا انه يقضى حاجته وترك اصحابه فى مجالسهم
ورجع مسرعا الى المدينة فسألوه فقال رأيته داخل المدينة فأقبل أصحابه
حتى انتهوا عليه فأخبرهم بما أرادت بنوا النضير فندم اليهود وقالوا قد أخبر

بأمرنا فأرسل عليه السلام اليهم محمد بن مسلمة رضى الله عنه ان اخرجوا من بلدى اى لان قريتهم زاهرة كانت من اعمال المدينة فلا تساكنونى بها فلقد هممتم بما هممتم من الغدر فسكتوا ولم يقولوا حرفا فأرسل اليهم المنافقون أن اقيموا فى حصونكم فانا نمدكم فارسلوا الى رسول الله انا لانخرج من ديانا فافعل مابدا لك وكان المتولى أمر ذلك سيد بنى النضير حيي بن أخطب والد صفية ام المؤمنين فاغتر بقول المنافقين فسار رسول الله عليه وسلم مع المؤمنين وهو على حمار مخطوم بليف وحمل رايته على رضى الله عنهحتى نزل بهم وصلى العصر بفنائهم وقد تحصنوا وقاموا على حصنهم يرمون النبل والحجارة وزربوا على الازقة وحصنوها فاحاصرهم النبى عليه السلام احدى وعشرين ليلة فلما قذف الله فى قلوبهم الرعب وأيسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فأبى عليهم الا الجلاء على أن يحمل كل ثلاث ابيات على بعير ماشاؤا من متاعهم الا السلاح.

بس ششنصد شتربار خودرا بر آراستند واظهار جلادت نموده دفعها ميزدند وسرور كويان از بازار مدينه كذشتندت ، فجاؤا الشأم الى

اريحا من فلسطين والى اذرعات من دمشق الا أهل بيتين منهم آل أبي الحقيق وآل حيي بن أخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة وهى بالكسرة بلد بقرب الكوفة ولم يسلم من بنى النضير الا رجلان احدهما سفيان بن عمير بن وهب والثانى سعد بن وهب اسلما على اموالهم فأحرزاه فأنزل الله تعالى

{ سبح لله } الى قوله

{ والله على كل شىء قدير } قال محمد جلاء بنى النضير كان مرجع النبى عليه السلام من احد سنة ثلاث من الهجرة وكان فتح بنى قريظة مرجعه من الاحزاب فى سنة خمس من الهجرة وبينهما سنتان وفى انسان العيون كانت غزوة بنى النضير فى ربيع الاول من السنة الرابعة والجلاء بالفتح الخروج من البلد والتفرق منه يقال أجليت القوم عن منازلهم وجلوتهم فاجلوا عنها وجلوا اى ابزتهم عنها فان اصل الجلو الكشف الظاهر ومنه الطريقة الجلوتية بالجيم فانها الجلاء والظهور بالصفات الالهية

كما عرف فى محله والجلاء اخص من الخروج والاخراج يكون للجماعة والواحد

وقيل فى الفرق بينهما ان الجلاء كان مع الاهل والولد بخلاف الخروج فانه لايستلزم ذلك قال العلماء مصالحة اهل الحرب على الجلاء من ديارهم من غير شيء لايجوز الآن وانما كان ذلك فى اول الاسلام ثم نسخ والآن لابد من قتالهم او سبيهم او ضرب الجزية عليهم

۲

{ هو الذى } اوست خداوندى كه ازروى اذلال

{ اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب } بيان لبعض آثار عزته واحكام حكمته اى امر باخراج اهل التوراة يعنى بنى النضير

{ من ديارهم } جمع دار والفرق بين الدار والبيت ان الدار دار وان زالت حوآئطها والبيت ليس بيت بعدما انهدم لان البيت اسم مبنى مسقف مدخله من جانب واحد بنى للبيتوتة سوآء كان حيطانه

اربعة او ثلاثة وهذا المعنى موجود فى الصفة الا ان مدخلها واسع فيتناولها اسم البيت والبيوت بالمسكن اسم اخص والابيات بالشعر كما فى المفردات

{ لاول الحشر } اللام تتعلق باخرج وهى للتوقيت اى عند او حشرهم الى الشأم وفى كشف الاسرار اللام لام العلة اى اخرجوا ليكن حشرهم الشام اول الحشر والحشر اخراج جمع من مكان الى آخر وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط اذ كان انتقالهم من بلاد الشأم الى جانب المدينة عن اختيار منهم وهم اول من اخرج به جزيرة العرب الى الشأم فعلى هذا الوجه ليس الاول مقابلا للآخر وسميت جزيرة لانه أحاط بها بحر الحبشة وبحر فارس ودجلة والفرات قال الخليل بن احمد مبدأ الجيرة من حفر أبى موسى الى اليمن فى الطول من رمل يبرين وهو موضع بحذآء الاحساء الى منقطع السماوة فى العرض والسماوة بالفتح موضع بين الكوفة والشأم او هذا اول حشرهم وآخر حشرهم اجلاء عمر رضى الله عنه اياهم من خيبر الى الشام وذلك حين بلغه الخبر عن النبى عليه السلام (لايبقين دينان فى جزيرة العرب)

وقيل آخر حشرهم حشر يوم القيامة لان المحشر يكون بالشأم

{ ماظننتم } أيها المسلمون

{ ان يخرجوا } من ديارهم بهذا الذل والهوان لشدة بأسهم ووثاقة حصونهم وكثرة عددهم وعددهم

{ وظنوا } اى هؤلاء الكافرون ظنا قويا هو بمرتبة اليقين فانه لايقع الا بعد فعل اليقين او مانزل منزلته

{ انهم مانعتهم حصونهم من الله } الحصون جمع حصن بالكسر وهو كل موضع حصين لايوصل الى جوفه والقلعة الحصن الممتنع على الجبل فالاول اعم من الثانوتحصن اذا اتخذ الحصن مسكنا ثم تجوزيه فقيل درع حصينة لكونها حصنا للبدن وفرس حصان لكونه حصنا لراكبه والمعنى ظنوا ان حصونهم تمنعهم من بأس الله وقهره وقدم الخبر وأسند الجملة الى ضميرهم للدلالة على فرط وثوقهم بحصانتها واعتقادهم فى انفسهم انهم فى عزة ومنعة لايبالى بسببها فتقديم المسند يفيد قصر المسند

اليه على المسند فان معنى قائم زيد أن زيدا مقصور على القيام لايتجاوزه الى القعود وكذا معنى الآية ان حصونهم ليس لها صفة غير المانعية ويجوز أن يكون مانعتهم خبرا لأن وحصونهم مرتفعا على الفاعلية لاعتماده على المبتدأ فان قيل ما المانع من جعل مانعتهم مبتدأ وحصونهم خبرا فان كليهما معرفة قلت كون مانعتهم نكرة لان اضافتها غير مخصصة وان القصد الى الاخبار عن الحصون

{ فأتاهم الله } اى امر الله وقدره المقدور لهم

{ من حيث لم يحتسبوا } ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب من الاشرف غرة على يد اخيه فانه مما أضعف قوتهم وقل شوكتهم وسلب قلوبهم الأمن والطمأنينة بما قذف فيها من الرعب والفاء اما للتعقيب اشارة الى أن البأس لم يكن متراخيا عن ظنهم او للسبب اشارة الى انهم انما أخذوا بسبب اعجابهم بأنفسهم وقطعهم النظر الى قدرة الله وقوته

{ وقذف فى قلوبهم الرعب } القذف الرمى البعيد والمراد هنا الالقاء قال فى الكشاف قذف الرعب واثباته وركزه ومنه قالوا فى صفة الاسد مقذف لما ان قذف باللحم قذفا لاكتنازه وتداخل اجزآئه والرعب الانقطاع من امتلاء الخوف ولتصور الامتلاء منه قيل رعبت الحوض اى ملأته وباعتبار القطع قيل رعبت السنام اى قطعته

قال بعضهم الرغب خوف يملأ القلب فيغير العقل ويعجز النفس ويشوش الرأى ويفرق التدبير ويضر البدن والمعنى أثبت فيها الخوف الذى يرعبها ويملأها لان المعتبر هو الثابت وماهو سريع الزوال فهو كغير الواقع وقال بعضهم فلا يلزم التكرار لان الرعب الذى اشتمله قوله

{ فأتاهم الله } هو أصل الرعب وفرق بين حصول اصله وبين ثباته ودلت الآية على ان وقوع ذلك الرعب صار سببا فى اقدامهم على بعض الافعال وبالجملة فالفعل لايحصل الا عند حصول داعية متاكدة فى القلب وحصول تلك الداعية لايكون الا من الله فكانت الافعال بأسرها مستندة الى الله بهذا الطريق كذا فى اللباب

{ يخربون بيوتهم بأيديهم } الجملة استئناف لبيان حالهم عند الرعب اى يخربونها بأيديهم لسيدوا بما نقضوا منها من الخشب والحجارة افواه الأزقة ولئلا تبقى بعد جلائهم مساكين للمسلمين ولينقلبوا معهم بعض آلاتها المرغوب فيها مما يقبل النقل والاخراب والتخريب واحد يقال خرب المكان خرابا وهو ضد العمارة وقد اخربه وخربهاى افسده بالنقض والهدم غير أن فى التشديد مبالغة من حيث التكثير لكثرة البيوت وهو قرآءة أبي عمرو وفرق أبي عمرو بين الاخراب والتخريب فقال خرب بالتشديدبمعنى هدم ونقض وافسد واخرب بالهمزة ترك الموضع وقال اى ابو عمرو وانما اخترت التشديد لان الاخراب ترك الشىء خرابا بغير ساكن وبنوا النضير لم يتركوها خرابا وانما خربوها بالهدم كما يدل عليه قوله

{ بأيديهم وأيدى المؤمنين } ان قيل البيوت هى الديار فلم يقل يخربون ديارهم على وفق ماسبق وايضا كيف ماكان الاخراج من ديارهم وهى مخربة أجيب بان الدار ماله بيوت فيجوز اخراب بعضها وابقاء بعضها على مقتضى الرأى فيكون الخروج من الباقى على ان الاخراج لايقتضى

العمارة اذ يجوز أن يكون باخراب المساكن والطرح منها قال سهل رحمه الله يخربون بيوتهم بأيديهم اى قلوبهم بالبدع وفى كشف الاسرار نخست دين ودل خويش ازروى باطن خراب كردند تا خرابى باطن بظاهر سرايت كرد وخانه خد نيز خراب كردند

{ وأيدى المؤمنين } حيث كانوا يرخبونها ازالة لمتحصنهم ومتمنعهم وتوسيعا لمجال القال واضرار ابهم واسناد هذا اليهم لما انهم السبب فيه فكأنهم كلفوهم اياه وامروهم به وهذا كما فى قوله عليه السلام

(لعن الله من لعن والديه) وهو كقوله عليه السلام (من اكبر الكبائر أن سب الرجل والديه) فقالوا وكيف يسب الرجل والديه فقال (يساب الرجل فيسب أباه ويسب امه فيسب امه).

يقول الفقير فى اشارة الى ان استناد الكفار الى الحصون والاحجار وان اعتماد المؤمنين على الله الملك الغفار ولاشك ان من اعتمد على المأ من الحقيقى ظفر بمراده فيه ديناه وآخرته ومن استند الى ما سوى الله تعالى

خسر خسرانا مبينا فى تجارته وان الانسان بنيان الرب فربما قتل المرء نفسه وتسبب له فهدم بنيان الله فصار ملعونا وقس على هذا حال القلب فانه بيت الله واجتهد حتى لايغلب عليه النفس والشيطان (قال الحافظ)

من آن نيكن سليمان بهيج نستانم ... كه كاه كاه برودست اهر من باشد

{ فاعتبروا } بس عبرت كيريد

{ ياولى الابصار } اى ياولى الالباب والعقول والبصائر يعنى اتعظوا بما جرى عليهم من الامور الهائلة على وجه لاتكاد تهتدى اليه الافكار واتقوا مباشرة ما أداهم اليه من الكفر والمعاصى وانتقلوا من حال الفريقين الى حال أنفسكم فلا تعولوا على تعاضد الاسباب كبنى النضير الذين اعتمدوا على حصونهم ونحوها بل توكلوا على الله تعالى وفى عين المعانى فاعتبروا بها خراب جميع الدينا

جهان اى بسر مالك جاويد نيست ... ز دينا وفادارى اميد نيست

والاعتبار مأخوذ من العبور وهو المجاوزة من شيء الى شيء ولهذا سميت العبرة عبرة لانها تنتقل من العين الى الحد سمى اهل التعبير لان صاحبه ينتقل من المتخيل الى المعقول وسميت الالفاظ عبارات لانها تنقل المعانى من لسان القائل الى عقل المستمع ويقال السعيد من اعتبر بغيره لانه ينتقل عقله من حال ذلك الغير الى حاله نفسه

جو بركشته بتختى در افتند ببند ... ازونيك بختان بكيرند بند

والبصر يقال للجارحة الناظرة وللقوة التى فيها ويقال القلب المدركة بصيرة وبصر ولايكاد يقال للجارحة بصيرة كما فى المفردات قال بعض التفاسير الابصار جمع بصر وهو مايكون فى الرأس وبه يشاهد عالم الملك وهو عالم الشهادة حتى لو كان بين الرآئي والمرئى مقدار عدة آلاف سنة يشاهده فى طرفة عين بوصول نور من حدقة العين الى المرئى حكاية للرآئى

والبصيرة فى القلب كالبصر فى الرأس وبها يشاهد عالم الملكوت وهو عالم الغيب حتى لو كان المشاهد فى العالم وفى اللوح المحفوظ بل فى علم الله تعالى مما تتعلق مشيئة الله بمشاهدة احد اياه من عباده لشاهده فى آن واحد وقد يشاهد الممتنع والمحال وغير المتناهى بنوع مشاهدة كما نجده فى وجداننا وكل ذلك من غرآئب صنع الله وجعل البعض البصر ههنا مجازا عن المشاهدة لانه كثيرا مايكون ىلة لمشاهدتها ويكون هو معتبرا باعتبارها حتى لولاها يكون هو فى حكم المفقود وبهذا الاعتبار اورد الابصار فى مقام البصائر فقال فى تفسيره فتعظوا وانظروا فيما نزل بهم ياذوى العقول والبصائر وهذا هو الاليق بشأن الاتعاظ والاوفق لقوله تعالى فاعتبروا ياولى الالباب اذ للب وهو العقل الخالص عن الكدورات البشرية والبصيرة التى هى عين القلب حين ما كانت مجلوة خاصة بالعقلاء اللائقين للخطاب بالامر بالاعتبار

واما البصر فيوجد فى البهائم والبصيرة الغير المجلوة فتوجد فى العوام وجعله البعض الآخر على حقيقته فقال فى تفسيره فاعتبرنا من عاين تلك

الوقائع لكن مآل القولين واحد اذ مجرد البصر المعاين لايفيد الاعتبار بلا بصيرة صحيحة وفى الوسيط معى الاعتبار النظر فى الامور ليعرف بها شيء آخر من جنسها قال يحيي بن معاذ رحمه الله من لم يعتبر بالمعاينة استغنى عن الموعظة وقد استدل بالآية على حجية القياس من حيث انه أمر بالمجاوزة من حال الى حال وحملها عليها فى حكم لما بينهما من المشاركة المقتضية له كما فصل فى الكتب الاصولية وأشار بأهل الكتاب الى يهودى النفس ونصرانى الهوى وانما نسبنا التنصر الى الهوى والتهود الى النفس لغلبة عطلة النفس فان الهوى بالنسبة الى النفس كالروح بالنسبة الى الجسم البدنى ولهذا المعنى قيل الهوى روح النفس ينفخ فيها هوى الشهوات الحيوانية ويهوى الى هاوية الجحيم والله تعالى يستأصلها من ديار صفاتها الظلمانية بالصدمة الاولى من قتال الحشر الاول وظنوا ان حصون طباعهم الرديئة تمنعهم عن الانسلاخ من صفلتهم الخسيسة فأتاهم الله بالتجلى القهرى وقذف فى قلوب النفس والهوى رغب المفارقة بينهما فان كل واحد منهما كان متمسكا بالآخر تمسك الروح بالبدن وقيام البدن بالروح يخربون بيوت

صفاتهم بأيدى اهوآئهم المضلة وبقوة أيدى الروح والسر والقلب لغلبة نوريتهم عليها فاعتبروا يا اولى الابصار الذى صار الحق تعالى بصرهم كما قال فى يبصر وبى يسمع وبى يبطش الحديث بطوله

٣

{ ولولا ان كتب اللّه } حكم

{ عليهم } اى على بنى النضير

{ الجلاء } اى الخروج من اوطانهم على ذلك الوجه الفظيع وقد سبق الكلام فى الجلاء ولولا امتناعية وما بعدها مبتدأ فان أن منخففة من الثقيلة اسمها ضمير الشأن المقدر اى ولولا أنه وكتب اللّه خبرها والجملة فى محل الرفع بالابتدآء بمعنى ولولا كتاب اللّه عليهم الجلاء واقع فى علمه او فى لوحه

{ لعذبهم فى الدنيا } بالقتل والسبى كما فعل ببنى قريظة من اليهود

ق لبعضهم لما استحقوا بجرمهم العظيم قهرا عظيما اخذوا بالجلاء الذى

جعل عديلا لقتل النفس لقوله تعالى

{ ولو أنا كتبنا علم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم مافعلوه

الى قليل منهم } مع ان فيه احتمال ايمان بعضهم بعد مدة وايمان من

يتولد منهم

{ ولهم فى الآخرة عذاب النار } استئناف غير متعلق بجواب لولا

اذ لو كان معطوفا عليه لزم أن ينجوا من عذاب الآخرة ايضا لان لولا

تقتضى انتفاء الجزآء لحصول الشرط وانما جيىء به لبيان انهم ان نجوا من

عذاب الدنيا بكتابة الجلاء لانجاة لهم من عذاب الآخرة يقول الفقير لايلزم

من نجاتهم من عذاب الدنيا أن لايكون جلاؤهم من قبيل العذاب وانما لم

يكن منه بالنسبة الى عذاب الاستئصال والوجه فى جلائهم انهم قصدوا

قتل النبى عليه السلام وقتله شر من ألف قتل فأخذوا بالجلاء ليموتوا كل

يوم ألف مرة لان انقطاع النفس عن مألوفاتها بمنزلة موتها فجاء الجزآء من

جنس العمل قال بعض أهل الاشارة ولولا ان كتب الله على يهودى النفس ونصرانى الهوى جلاء الانسلاخ من ديار وجوداتهم لعذبهم فى طلب الدنيا ومحبتها ولهم فى آخر الامر عذاب نار القطيعة عن مألوفاتهم الطبيعية ومستحسناتهم الحسية

٤

{ ذلك } اى ما حاق بهم وسيحيق

{ بأنهم } اى بسبب انهم

{ شاقوا الله ورسوله } خالفوا امرهما وفعلوا مما حكى عنهم من القبائح والمشاقة كون الانسان فى شق ومخالفة فى شق

{ ومن يشاق الله } كائنا من كان

{ فان الله شديد العقاب } له فهو نفس الجزآء بحذف العائد او تعليل للجزآء المحذوف اى يعاقبه الله فان الله شديد العقاب فاذا لهم عقاب شديد ايضا لكونهم من المشاقين وأيا ما كان فالشرطية تحقيق

للسببية بالطريق البرهانى وفيه اشعار بأن المخالفة تقتضى المؤاخذة بقدر قوتها وضعفها فليحذر المؤمنون من العصيان مطلقا

همينست بسندست اكر بشنوى ... كه كرخار كارى سمن ندروى

اعلم ان الله الذى هو الاسم الاعظم جامع لجميع الاسماء الالهية المنقسمة الى الاسماء الجلالية القهرية والجمالية اللطيفة والتشاقق فيه استدعاء احد الشقين من التجليين الجمالى والجلالى بأن يطلب الطالب منه اللطف والجمال وهو ممن يستحق القهر والجلال لاممن يستحق اللطف والجمال فهو يستدعى من الحق شيأ لاتقتضى حكمته البالغة اعطاءه اياه وهو من قبيل التحكم الذى لايجوز بالنسبة الى الله تعالى كما قال تعالى

{ ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان أصابه فتنة انقلب على وجهه } (قال الحافظ)

درين جمن نكنم سرزنش بخود رويي ... جنانكه برورشم ميدهند مى رويم

والمشاقة مع الرسول عليه السلام المنازعة فى حكمة امره ونهيه مثل

اسرار الصلوات الخمس واختلاف اعدادها وقرآءتها جهرا وسرا ومثل اسرار

الزكاة واختلاف احكامها ومثل احكام الحج ومناسكه ونحن امرنا بمحض

الامتثال والانقياد وما كلفنا بمعرفة اسرارها وحقائقها والنبى عليه السلام مع

كمال عرفانه وجلال برهانه يقول ان أتبع الا مايوحى الى وقال نحن نحكم

بالظواهر والله يعلم السرآئر وقوله

{ فان الله شديد العقاب } ومن شدة عقابه ابتلاء عبده بامتثال

هذه الاشياء مع عدم تكليفه اياه بمعرفة حقائقها والمراد بالعقاب الاتعاب

والا فالاحكام من قبيل ارحمة لا العذاب ولذا من قال هذه الطاعات

جعلها الله علينا عذابا من غير تأويل كفر

٥

{ ماقطعتم من لينة } ما شرطية نصب بقطعتم واللينة فعلة نحو حنطة من اللون على ان أصلها لونه فياؤها مقلوبة عن واو لكسرة ماقبلها نحو ديمة وفيمة وتجمع على ألوان وهى كضروب النخل كلها

وقيل من اللين وتجمع على لين وأليان وهى النخلة الكريمة الشجرة بكونها قريبة من الارض والطيبة الثمرة قال الراغب في المفردات اللين ضد الخشونة ويستعمل ذلك فى الاجسام ثم يستعار للخلق ولغيره من المعانى فيقال فلان لين وفلان خشن وكل واحد منهما يمدح به طورا ويذم به طورا بحسب اختلاف المواضع وقوله ماقطعتم من لينةاى من نخلة ناعمة ومخرجة مخرج فعلة نحو حنطة ولا يختص بنوع منه دون نوع انتهى والمعنى اى شىء قطعتم من نخلة من نخيلهم بأنواعها

وقيل للينة ضروب النخل كلها ماخلا العجوة والبرنية وهما أجود النخل

{ او تركتموها } اسمير لما وتأنيثه لتفسيره باللينة كما فى قوله تعالى

{ مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها } { قائمة } حال من ضمير المفعول

{ على اصولها } كما كانت من غير أن تتعرضوا لها لشىء من القطع جمع اصل وهو مايتشعب منه الفرع

{ فباذن الله } فذاك اى قطعها وتركها بأمر الله فلا جناح عليكم فيه فان فى كل من القطع والترك حكمة ومصلحة

{ وليخزى الفاسقين } اى وليذل اليهود الخارجين عن دآئرة الاسلام اذن فى قطعها وتركها فهو علة لمحذوف يقال خزى الرجل لحقه انكسارا اما من نفسه وهو الحياء المفرط ومصدره الخزاية وما من غيره وهو ضرب من الاستخفاف ومصدره الخزى أذن الله فى قطعها وتركها لانهم اذا رأو المؤمنين يتحكمون فى اموالهم كيف احبوا ويتصرفون فيها حسبما شاؤا من القطع والترك يزدادون غيظا ويتضاعفون حسرة وذلك ان رسول الله عليه السلام حين أمر أن تقطع نخيلهم وتحرق قالت اليهود وهم بنوا

النضير يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد فى الارض فما بال قطع النخيل واحراقها فشق ذلك على النبي عليه السلام كان فى أنفس المؤمنين ايضا من ذلك شيء فنزل وجعل أمر رسول الله أمره تعالى لانه عليه السلام ماينطق عن الهوى استدل به على جواز هدم ديار الكفرة وقطع اشجارهم مثمرة كانت او غير مثمرة واحراق زروعهم زيادة لغيظهم وتخصيص اللينة بالقطع ان كانت من الالوان ليستبقوا لأنفسهم العجوة والبرنية اللتين هما كرام النخيل وان كانت هى كرام النخيل ليكون غيظهم أشد ويقال ان العتيق والجوة كانتا مع نوح فى السفينة والعتيق الفحل وكانت العجوة أصل الاناث لكها فلذا شق على اليهود قطعها وظهر من هذا أن اللون هو ماعدا العجوة والبرنى من انواع التمر بالمدينة والبرنى بالفارسية حمل مبارك او جيد لان اصله برنيك فعرب ومن انواع تمر المدينة الصيحانى وفى شرح مسلم للنووى ان انواع التمر مائة وعشرون وفى تاريخ المدينة الكبير للسيد السمنودى أن انواع التمر بالمدينة التى أمكن

جمعها بلغت مائة وبضعا وثلاثين ويوافقه قوله بعضهم اختبرناها فوجدنا اكثر مما ذكره النووى قال ولعل مازال على ما ذكر حدث بعد ذلك

واما انواع التمر بغير المدينة كالمغرب فلا تكاد تنحصر فقد نقل ان عالم فاس محمد بن غازى أرسل الى عالم سلجماسة ابراهيم بن هلال يسأله عن حصر انواع التمر بتلك البلدة فأرسل اليه حملا او حملين من كل نوع تمرة واحدة فأرسل اليه هذا ماتعلق به علم الفقير وأن تعدوا نعمة الله لاتحصوها وفى نسق الازهار ان بهذه البلدة رطبا يسمى البتونى وهو أخضر اللون واحلى من عسل النحل ونواه فى غاية الصغر وكانت العجوة خير أموال بنى النضير لانهم كانوا يقتاتونها وفى الحديث

(العجوة من الجنة وتمرها يغذى أحسن الغذآء) روى ان آدم عليه السلام نزل بالعجوة من الجنة وفى البخارى من تصبح كل يوم على سبع تمرات عجوة لم يصبه فى ذلك اليوم سم ولا سحر وقد جاء فى العجوة العالية شفاء وانها ترياق اول البكرة وفى كلام بعضهم العجوة ضرب من التمر اكبر من الصيحانى وتضرب الى السواد وهى مما غرسه النبى عليه

السلام بيده الشريفة وقد علمت انها فى نخل بنى النضير وعن ابن عباس رضى الله عنهما هبط آدم من الجنة بثلاثة اشياء بالآسة وهى سيدة ريحان الدنيا والسنبلة وهى سيدة طعام الدنيا والعجوة وهى سيدة ثمار الدنيا وفى الحديث (ان العجوة من غرس الجنة وفيها شفاء وانها ترياق اول البركة وعليكم بالتمر البرنى فكلوه فانه يسبح فى شجره ويستغفر لآكله وانه من خير تمركم وانه دوء وليس بدآء) وجاء بيت لاتمر فيه جياع أهله قال ذلك مرتين ولما قطعت العجوة شق النساء الجيوب وضربن الخدود ودعون بالويل كما فى انسان العيون قال بعض أهل الاشارة يشير الى من قطع نخلة محبة الدنيا من ارض قلبه بأمر الله وحكمته المقتضية لذلك الامر بالقطع وهم المحرومون المنقطعون عن الدنيا ومحبتها وشهواتها ولذاتها المتوجهون الى طريق السلوك الى الله بتزكية النفس وتصفية القلب وتخلية السر وتحلية الروح والى من ترك الدنيا فى ارض قلبه قائمى على اصولها على حالها باذن الله وحمته البالغة المقتضية لابقائها وهم الكاملون المكملون الواصلون المواصلون الذين ليس للدنيا و لا للآخرة عندهم قدر ومقدار

مازاغ نظر ظاهرهم ولا بصر باطنهم اليهما لاشتغالهم بذكر الله اى بذكر ذاته وصفاته واسمائه كما قال فى حقهم رجال لا تلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله وليخزى الفاسقين الذين خرجوا من مقام المعرفة والعرفان وما عرفوا ان للحق عبادا ليس للدنيا والآخرة عندهم قدر ومقدار ومازاغ بصر ظاهرهم ولا نظر باطنهم اليهما وطعنوا فيهم بمحبة الدنيا ونسبوا اليهم حب الشهوات الحيوانية واللذات الجسمانية فأخزاهم الله بشؤم هذا الطعن والله يشهد انهم لكاذبون (قال الحافظ)

بس تجربه كرديم درين دير مكافات ... بادرد كشان هركه در افتاد بر افتاد

٦

{ وما أفاء الهل على رسوله } شروع فى بيان ح ال ماأخذ من أموالهم بعد بيان ما حل بأنفسهم من العذاب العاجل والآجل وما فعل بديارهم ونخيلهم من التخريب والقطع وما موصولة مبتدأ وقوله

{ فما أوجفتم } خبره ويجوز جلعها شرطية وقوله

{ فما اوجفتم } جوابا والفيء فى الاصل بمعنى الرجوع وافاء أعاد وارجع فهو على اصل معناه هنا والمعنى ما أعاده اليه من مالهم اى جعله عائدا ففيه اشعار بأنه كان حقيقا بأن يكون له عليه السلام وانما وقع فى أيديهم بغير حق فرجعه الله الى مستحقه لانه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق ليتوسلوا به الى طاعته فهو جدير بأن يكون للمطيعين وهو عليه السلام رأسهم ورئيسهم وبه أطاع من أطاع فكان أحق به فالعود على هذا بمعنى أن يتحول الشيء الى ما فارق عنه وهو الاشهر ويجوز أن يكون معناه صيره له فالعود على هذا بمعنى أن يتحول الشيء الى مافارق عنه وان لم يكن ذلك التحول مسبوقا بالحصول له والحمل هنا على هذا المعنى لايحوج الى تكلف توجيه بخلاف الاول وكلمة على تؤيد الثانى وقال بعضهم أفاء الله مبنى على ان الفيء الغنيمة فمعنى أفاء الله على رسوله جعله فيناله خاصة وقال الراغب الفيء والفيئة الرجوع الى حالة محمودة

وقيل للغنيمة التى لايلحق فيها مشقة فيء

قال بعضهم سمى ذلك بالفيء تشبيها بالفيء الذى هو الظل تنبيها على ان أشرف اعراض الدنيا يجرى مجرى ظل زآئل والفئة الجماعة المتظاهرة التى يرجع بعضهم الى بعض فى التعاضد وقال المتطرزى فى المغرب فى الفرق بين الغنيمة والفيء والنفل ان الغنيمة عن أبي عبيد ما نيل من أهل الشرك عنوة والحرب قائمة وحكمها أن تخمس وسائرها بعد الخمس للغانمين خاصة والفيء مانيل منهم بعد ماتضع الحرب اوزارها وتصير الدار دار اسلام وحمه أن يكون لكافة المسلمين ولا يخمس والنفل ماينفله الغازياى يعطاه زآئدا على سهمه وهو أن يقول الامام او الامير من قتل قتيلا فله سلبه او قال للسرية ما أصبتم فلكم ربعه او نصفه ولا يخمس وعلى الامام الوفاء به وعن على بن عيسى الغنيمة اعم من النفل والفيء اعم من الغنيمة لانه اسم لكل ماصار للمسلمين من أموال أهل الشرك قال أبو بكر الرازى فالغنيمة فيء والجزية فيء وما اهل الصلح فيء والخراج

فيء لان ذلك كله مما أفاء الله على المسلمين من المشركين وعند الفقهاء كل مايحل أخذه من أموالهم فهو فيء

{ منهم } اى بنى النضير

{ فما } نافية

{ اوجفتم عليه } اى فما أجريتم على تحصيله وتغنمه من الوجيف وهو سعرة السير يقال اوجفت البعير أسرعته وفى القاموس الوجيف ضرب من سير الخيل والابل

وقيل اوجف فأعجب

{ من خيل } من زآئدة بعد النفى اى خيلا وهو جماعة الافراس لا واحدا له او واحده خائل لانه يختال والجمع اخيال وخيول كما فى القاموس وقال الراغب الخيلاء التكبر من تخيل فضيلة تترا أى للانسان من نفسه ومنها تتأول لفظة الخيل لما قيل انه لايركب أحد فرسا الا وجد فى نفسه نخوة والخيل فى الاصل اسم للافراس والفرسان جميعا قال تعالى

{ ومن رباط الخيل } ويستعمل فى كل واحد منهما منفردا نحو ماروى يا خيل الله اركبى فهذا للفرسان وقوله عليه السلام (عفوت لكم عن صدقة الخيل) يعنىالافراس انتهى والخيل نوعان عتيق وهجين فالعتيق ما أبواه عربيان سمى بذلك لعتقه من العيوب وسلامته من الطعن فيه بالامور المنقصة وسميت الكعبة بالبيت العتيق لسلامتها من عيب الرق لانه لم يملكها ملك قط واذا ربط الفرس العتيق فى بيت الم يدخله شيطان والهجين الذى ابوه عربى وامه عجمية والفرق ان عظم البر ذونه اعظم من عظم الفرس وعظم الفرس اصلب وأثقل البر ذونة احمل من الفرس والفرس أسرع منه والعتيق بمنزلة الغزال والبر ذونة بمنزلة الشاة او الفرس برى المنامات كبنى آدم ولا طحال له وهو مثل لسرعته وحركته كما يقال للبعير لامرارة له اى له جسارة

{ ولاركاب } هى مايركب من الاب خاصة كما ان الراكب عندهم راكبها لاغير

واما راكب الفرس فانهم يسمونه فارسا ولا واحد لها من لفظها

وانما الواحدة منها راحلة قال فى المفردات الركوب فى الاصل كون الانسان

على ظهر حيوان وقد يستعمل فى السفينة والراكب اختص فى التعارف

بممتطى البعير جمعه ركب وركبان وركوب واختص الركاب

بالمركوب والمعنى ما قطعتم ولها شقة بعيدة ولا لقيتم مشقة شديدة ولا قتالا

شديدا وذلك وانه كانت قرى بنى النضير على ميلين من المدينة وهى ساعة

واحدة بحساب الساعات النجومية فذهبوا اليها مشيا وما كان فيهم راكب

الا النبعليه السلام وكان يركب حمارا مخطوما بليف على ماسبق او جملا

على ماقاله البعض فافتتحها صلحا من غير أن يجرى بينهم مسايفة كأنه

قال ما أفاء الله على رسوله منهم فما حصلتموه بكد اليمين وعرق الجبين

{ ولكن الله يسلط رسوله على من يشاء } اى سنته تعالى جارية

علىأن يسلطهم على من يشاء من اعدآئهم تسليطا خاصا وقد سلط

النبي عليه السلام على هؤلاء تسليطا غير معتاد من غير أن تقتحموا

مضايق الحطوب وتقاسموا شدآئد الحروب فلا حق لكم فى اموالهم يعنى ان

الامر فيه مفوض اليه يضعه حيث يشاء فلا يقسم قسمة الغنائم التى قوتل

عليها واخذت عنوة وقهرا وذلك انهم طلبوا القسمة كخيبر فنزلت

{ والله على كل شيء قدير } فيفعل مايشاء كما يشاء تارة على

الوجوه المعهودة واخرى على غيرها

تيغى آسمانش از فيض خود دهد آب ... تنها جهان بكيرد بى

منت سپاهى

اعلم ان الفيض الالهى الفائض من الله على ساحة قلب السالك

على قسمين اما بالوهب المحض من خزانة اسمه الوهاب من غير تعمل من

العامل فيه من ركض خيل النية الصالحة ومن سوق ركاب العمل الصالح

من الفرآئض والنوافل فهو مقطوع الروابط من جانب السالك العامل فليس

للسالك أن يضيف ذلك الفيض والوارد القلبى الى نفسه بوجه من الوجوه

ولا الى الاعمال الصادرة منه بسبب الاعضاء والجوارح بل يتركه على صرافة

الوهب الربانى وطراوة العطاء الامتنانى والآية الكريمة دالة على هذا القسم

واما مشوب بتعمله فهو من خزناة اسمه الجواد فله أن يضيفه الى نفسه واعضائه وجوارحه ليظهر اثره عليها كلها والآية الثالثة الآتية تشير الى القسم الثانى وقد جمع بينهما قوله

{ لأكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم } افن الاول اشارة الى الاول والثانى الى الثانى وأراد برسوله رسول القلب وانما سمى القلب بالرسول لان الرسالة من حضرة الروح الى النفس الكافرة والهوى الظالم بدعوتهما الى الحق تعالى بالايمان والهدى

٧

{ ما افاء الله على رسوله من اهل القرى } بيان لمصارف الفيء بعد بيان افاءته عليه صلّى الله عليه وسلّم من غير ان يكون للمقاتلة فه حق ولذا لم يعطف عليه كأنه لما قيل ما افاء الله على رسوله من اموال بنى النضير شيء لم تحصلوه بالقتال والغلبة فلا يقسم قسمة الغنائم فكأنه قيل فكيف يقسم فقيل ما افاء الله الخ قال فى برهان

القرءآن قوله وما أفاء الله وبعده ما أفاء الله بغير واو لان الاول معطوف

على قوله ما قطعتم من لينة والثانى استئناف وليس له به تعلق وقول من

قال بدل من الاول مزيف عند اكثر المفسرين انتهى واعادة عين

العبارة الاولى لزيادة التقرير ووضع اهل القرى موضع ضميرهم للاشعار

بشمول ما لعقاراتهم ايضا فالمراد بالقرى قرى بنى النضير (

وقالالكاشفى) من اهل القرى از اموال واملاك اهل دهها وشهرها كه

بحرب كرفته نشود وفى عين المعانى اى قريظة والنضير بالمدينة وفدك وخيبر.

وفى انسان العيون وفسرت القرى بالصغرى ووادى القرى اى بثلث

ذلك كما فى الامتاع وينبع وفسرت بنى النضير وخيبر اى بثلاثة حصون

منها وهى الكيتيه والوطيح والسلالم كما فى الامتاع وفدك اى نصفها قال

العلماء كانت الغنائم فى شرع من قبلنا الله خاصة لايحل منها شيء لأحد

واذا غنمت الانبياء عليهم السلام جمعوها فتنزل نار من السماء فتأخذها

فخص نبينا عليه السلام من بينهم أن احلت له الغنائم قال عليه السلام (

احلت لى الغنائم ولم تحل لاحد من قبلى)

{ فلله وللرسول } يأمران ما احبا

وقيل ذكر الله للتشريف والتعظيم والتبريك وسهم النبي عليه السلام سقط بموته (روى) عن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ان اموال بني النضير كانت مما افاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه فكانت لرسول الله خالصة وكان ينفق على اهله منها نفقة سنة وما بقى جعله فى الخيل والسلاح عدة فى سبيل الله

{ ولذى القربى } وهم بنوا هاشم وبنوا المطلب الفقرآء منهم لما حرموا الصدقة اى الزكاة وروى ابو عصمة عن ابي حنفيفة رحمه الله انه يجوز دفع الزكاة الى الهاشمى وانما كان لايجوز فى ذلك الوقت يجوز النفل بالاجماع وكذا يجوز النفل للغنى كذا فى فتاوى العتابى وذكر فى المحيط بعد ما ذكر هذه الرواية (وروى) ابن ساعدة عن ابي يوسف رحمه الله انه لابأس بصدقة بنى هاشم بعضهم على بعض ولا أرى الصدقة عليهم وعلى مواليهم من غيرهم كذا فى النهاية وقال فى شرح الآثار عن ابى حنيفة رحمه الله ان الصدقات كلها جائزة على بنى هاشم والحرمة كانت فى عهد

النبي عليه السلام لوصول خمس الخمس اليهم فلما سقط ذلك بموته حلت لهم الصدقة قال الطحاوى وبالجواز نأخذ كذا فى شرح الوقاية لابن مالك

{ واليتامى } جمع يتيم واليتيم انقطاع الصبى عن ابيه قبل بلوغه وفى سائر الحيوانات من قبل امه

{ والمساكين } جمع مسكين ويفتح ميمه وهو من لاشيء له او له مالا يكفيه او اسكنه الفقر اى قلل حركته والذليل الضعيف كما فى القاموس وهو من السكون فنونه اصلية لانون جمع ولذلك تجرى عليه الاعاريب الثلاثة

{ وابن السبيل } اى المسافر البعيد عن ماله وسمى به لملازمة له كما تقول للص القاطع ابن الطريق وللمعمر ابن الليالى ولطير الماء ابن الماء وللغراب ابن دأية باضافة الابن الى دأية البعير لكثرة وقوعه عليها اذا دبرت والدأية الجنب قال اهل التفسير اختلف فى قسمة الفيء قيل يسدس لظاهر الآية ويصرف منهم الله على عمارة الكعبة وسائر المساجد ويصرف

مابقى وهى خمسة اسداس الستة الى المصارف الخمسة التى يصرف اليها خمس الغنيمة

وقيل يخمس لان ذكر الله للتعظيم ويصرف قول والى العساكر والثغور على قول وهو الاصح عند الشافعية والى مصالح المسلمين على قول

وقيل يخمس خمسة كالغنيمة فانه عليه السلام كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الاخماس الاربعة كما يشاء اى كان يقسم الفيىء اخماسا ويصرف الاخماس الاربعة لذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ويخمس الخمس الباقى ويختار خمس الخمس لنفسه ويصرف الاخماس الاربعة الباقية كما ياشاء والآن على الخلاف المذكور من صرف سهمه عليه السلام الى الامام او العساكر والثغور او مصالح المسلمين

وفى التأويلات النجمية ذووا القربى الروح والقلب والسر والخفى هم مقربوا الحق تعالى بقرب الحسب والنسب واليتامى المتولدات من النفس

الحيوانية الباقية بعد فناء النفس بحسب سطوات تجليات القهر والمساكين هم الاعضاء والجوارح وابن السبيل القوى البشرية والحواس الخمس المسافرون الى عوالم المعقولات والمتخيلات الموهومات والمحسوسات بقدم العقل او الخيال والوهم والحس وقال بعض اهل الاشارة ذووا القربى هم الذين شاركوه فى بعض مقاماته عليه السلام واليتامى هم الذين انقطعوا عما دون الحق الى الحق فيقوا بين الفقدان والوجدان طلاب الوصول والمساكين هم الذين ليس لهم بلغة المقامات وليسوا بمتمكنين فى الحالات وابن السبيل هم الذين سافروا من الحدثان الى القدم

{ كيلا يكون } علة لقوله

{ فلله وللرسول } اى تولى اللّه قسمة الفيىء وبين قسمته لئلا يكون اى الفيىء الذى حقه أن يكون للفقرآء يعيشون به

{ دولة } بضم الدال وقرىء بفتحها وهى مايدول للانسان اى يدور من الغنى والجد والغلبة اى كيلا يكون جدا

{ بين الاغنياء منكم } يتكاثرون به والخطاب للانصار لانه لم

يكن فى المهاجرين فى ذلك الوقت غنى كما فى فتح الرحمن او كيلا يكون

دولة جاهلية بينكم فان الرؤساء منهم كانوا يستأثرون بالغنيمة ويقولون من

عزيز اى من غلب سلب فيجعلون الاستقلال بمال الغنيمة والانفراد به

منوطا بالغلبة عليه فكل من غلب على شيء منه يستقل به ولا يعطيء

الفقرآء والضعفاء شيأ منه (قال الكاشفى) در معالم آورده كه اهل

جاهيت جون غنيمتى كرفتندى مهتر ايشان ربعى بر داشتى واز باقى نيز

بر اىخود تحفه اختيار كردى وانرا صفى كفتندى وباقى را باقوم كذا شتى

وتوانكران قوم بردرويشان دران قسمت حيف كردندى جمعى از رؤساى

اهل ايمان درغانيم بنى النضير همين خيال بسته كفتند يارسول الله شما ربعى

ونصفى مغنم را برداريد وبكذاريد تاباقى را قسمت كنيم حق سبحانه

وتعالى آنرا خاصه حضرت بيغمبر عليه السلام كردانيد وقسمت آنرا

بروجهى كه مذكور شد مقرر ساخت وفرمودكه حكم فى بيدا كرديم

تانباشد آن فىء كردان دست بدست ميان توانكران از شما كه زياده از

حق خود بردارند وفقر ارا اندك دهند يا محروم سازند جنانكه در زمان جاهليت بوده ،

وقيل الدولة بالضم ما يتداول كالغرفة اسم مايغترف اى ان الدولة اسم للشىء الذى يتداوله القوم بينهم فيكون مرة لهذا ومرة لهذا والتداول بالفارسية از يكديكر فرا كرفتن.

وتداول القوم كذا وداول الله بينهم كذا فالمعنى كيلا يكبون الفيىء شيأ يتداوله الاغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقرآء والدولة بالفتح مصدر بمعنى التداول وفيه اضمار محذوف فالمعنى كيلا يكون ذا تداول بينهم او كيلا يكون امساكه واخذه تداولا لايخرجنه الى الفقراء

وقيل هى بالفتح بمعنى انتقال حالة سارة الى قوم عن قوم وتستعمل فى النفس الحالة السارة التى تحدث للانسان يقال هذه دولة فلان

وقيل الضم للاغنياء والفتح للفقرآء وفى الحديث (اعتمنوا دولة الفقرآء) كما فى الكواشى وفى الآية اشارة الى اعطاء كل ذى حق حقه

كيلا يحصل بين الاغنياء والفقرآء نوع من الجور والدولة الجاهلية يقال كان الفقراء فى مجلس سفيان الثورى امرآء اى كالامرآء فى التقديم والاكرام والعزة

{ وما آتاكم الرسول } ما موصولة والعائد محذوف والايتاء الاعطاء المناولة اى ما اعطاكموه ايها المؤمنون من الفيىء

{ فخذوه } فانه حقكم

{ وما نهاكم عنه } اى عن اخذه

{ فانتهوا } عنه

{ واتقوا اللّه } فى مخالفته عليه السلام

{ ان لله شديد العقاب } فيعاقب من يخالف امره ونهيه والاول حمل الآية على العموم فالمعنى وما آتاكم الرسول من الامر مطلقا فيئا او غيره اصولا اعتقادية اوفروعا عملية فخذوه اى فتمسكوا به فانه واجب عليكم ، هر شربتى از دست او درآيد بستانيد كه حيات شما در

آنست وآن لوح راخوانيد كه نويسد زيرا ضروريات شما در صفحه او بيانست وما نهاكم عن تعاطيه ايا كان فانتهوا عنه زيرا امر ونهى او بحق است هركه ممتثل امر او كردد نجات يابد وهركه از نهى او اجتناب ننمايددر ورطه هلاك افتد

آنكس ه شد متابع امر توقد ندجا ... وانكو خلاف راى توورزيد قد هلك

وفيه دليل على ان كل ما امر به النبي عليه السلام امر من الله تعالى قال العلماء اتباع الرسول عليه السلام فى الفرآئض العينية فرض عين وفرض كفاية فى الفروش على سبيل الكفاية وواجب فى الواجبات وسنة فى السنن فما علمنا من افعاله واقعا على جهة نقتدى به فى اتباعه على تلك الجهة ومالم نعلم على اى جهة فعله فلنا فعله على أدنى منازل افعاله وهو الاباحة (روى) ن ابن مسعود رضى الله عنه لقى رجلا محرما وعليه ثيابه فقال انزع عنك هذا فقال الرجل أتقرأ على بهذا آية من كتاب الله قال نعم ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا (وروى) عن ابن

مسعود رضى الله عنه (قال لعن الله الواشمات) اى فاعلات الوشم وهو مايوشم به اليد من نؤورأو نيلج قال فى القاموس الوشم كالوعد غرز الابرة فى البدن ور النليج عليه والنؤور كصبور النيلج ودخان الشحم وحصاة كالثمد تدق فيسفها اللثة (والمستوشمات) يقال استوشمت الجارية طلبت ان يوشم بها (والمتنمصات للحسن) وهى اى المتنصمة التى تنتف شعرها يعنى بركننده موى از براى حسن ، قال فى القاموس التمص نتف العشر ولعنت النامصة وهى مزينة النساء بالنمص والمتنمصة وهى مزينة به (المغيرات خلق الله) آن زنانى كه تغيير كنند آفريده خدارا ، ويدخل فيه تحديد الاسنان واصلاحها ببعض الآلات وثقب الانف

واما ثقب الاذن فمباح للنساء لاجل التزيين بالقرط وحرام على الرجال كحلق اللحية (فبلغ ذلك امرأة من بنى أسد يقال لها ام يعقوب فجاءت) بس آمدآن زن نزد (ابن مسعود رضى الله عنه فقالت قد بلغنى انك قلت كيت وكيت) يعنى مار رسيده است كه توكفته جنين وجنين (فقال ومالى لا ألعن من لعن رسول الله ومن هو فى كتاب الله) يعنى ابن

مسعود كفت جكونه لعنت نكنم آنراكه لعنت كرده است رسول الله

وآنراكه در كتاب الله است (فقالت لقد قرأت مابين اللوحتين فما وحدت

فيه ماتقول قال لئن كنت قرأته لقد وجدته اما قرأت وما آتاكم الرسول

فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا قالت بلى قال فانه عليه السلام قد نهى عنه

) ولذلك قرأ ابن عباسرضى الله عه هذه الآية للنهى عن الدباء والختم

والنقير والمزفت والدباء بالضم والمد القرعة والختم بفتح الحاء والتاء وسكون

النون قبلها جرة خضرآء والنقير مانقيب من حجر وخشب ونحوهما والمزفت

بالضم والتشديد جرة او خابية طلبت ولطخت بالزفت بالكسر اى القار

وحل عند الامام الاعظم اتخاذ نبيذ التمر والذرة ونحوه بأن يلقى فى هذه

الاوعية وان حصل الاشتداد بسببها وفى الحديث

(القرءآن صعب عسر على من كرهه ميسر على من تبعه وحديثى

صعب مستصعب وهو الحكمة فمن استمسك بحديثى وحفظه كان مع

القرءآن ومن تهاون بحديثى خسر الدنيا والآخرة وامرتم أن تأخذوا بقولى

وتتبعوا سنتى فمن رضى بقولى فقد رضى بالقرءآن ومن استهزأ بقولى فقد

استهزأ بالقرءآن قال الله تعالى { وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهو }) وسئل سهل رحمه الله عن شرآئع الاسلام فقال ماآتاكم الرسول من خير الغيب ومكاشفة الرب فخذوه باليقين وما نهاكم عنه من النظر الى غير الله فانتهوا عنه

وفى التأويلات النجمية يخاطب به ذوى الحقوق من المراتب الاربع ويقال لهم ما أعطاكم رسول القلب من الفيض الذى حصل له بمددكم الصورى ومعونتكم المعنوية من قبل قتل النفس الكافرة والهوى الظالم فاقبلوه منه بحسن التلقى ولطف القبول وانه اعطاكم على حسب استعدادكم ومامنع عنه فامتنعوا عن الاعتراض عليه واتقوا الله فى الاعتراض فان الله شديد العقاب بحر مانكم من حسن التوجه اليه ولطف الاستفاضة عنه

٨

{ للفقراء المهاجرين } بدل من لذى القربى وما عطف عليه لا من الله والرسول والا يلزم دخول الرسول فى زمرة الفقرآء وهو لايسمى فقيرا

لانه يوهم الذم والنقصان لان اصل الفقر كسر فقار الظهر من قولهم فقرته ولهذا سميت الحاجة والداهية فاقرة لانهما تغلبان الانسان وتكسران فقار ظهره واذا لم يصح تسيمة الرسول فقيرا فلأن لايصح تسميته تعالى فقيرا اولى من ان الله تعالى أخرجه عليه السلام من الفقرآء هنا بقوله

{ وينصرون الله ورسوله } بقى ان ابن السبيل الذى له مال فى وطنه لايسمى فقيرا نص عليه فى التلويح وغيره ومن أعطى اغنياء ذوى القربى كالشافعى خص الابدال بما بعده بخلاف أبى حنيفة رحمه الله فان استحقاق ذوى القربى الفيىء مشروط عنده بالفقر

واما تخصيص اعتبار الفقر بفيىء بنى النضير فتعسف ظاهر كما فى الارشاد

{ الذين اخرجوا من ديارهم } از سراهاى ايشان كه درمكه داشتند

{ واموالهم } ودور افتاده انداز مالهاى خود ، حيث اضطرهم

كفار مكة الى الخروج واخذوا اموالهم ودور افتاده انداز مالهاى خود .

حيث اضطرهم كفا مكة الى الخروج واخذوا اموالهم وكانوا مائة رجل

فخرجوا منها والافهم هاجروا باختيارهم حبا لله ورسوله واختاروا الاسلام

على ماكانوا فيه من الشدة حتى كان الرجل يعصب الحجر على بطنه

ليقيم صلبه من الجوع وكان الرجل يتخذ الحفيرة فى الشتاء ماله دار غيرها

وصح عن رسول الله عليه السلام انه كان يستفتح بصعاليك المهاجرين

وقال عليه السلام (ابشروا يامعشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم

القيامة تدخلون الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم) وذلك مقدار خمسمائة

عام

{ يبتغون فضلا من الله ورضوانا } اى حال كونهم طالبين منه

تعالى رزقا فى الدنيا ومرضاة فى الآخرة وصفوا اولا بما يدل على استحقاقهم

للفيىء من الاخراج من الديار وقد أعاد ذلك ثانيا بما يوجب تفخيم شأنهم

ويؤكده فهو حال من واو واخرجوا وفى ذكر حالهم ترقٍ من العالى الى الأعلى فان رضوان الله اكبر من عطاء الدنيا

{ وينصرون الله ورسوله } عطف على يبتغون فهى حال مقدرة اى ناوين نصرة الله باعلاء دينه ونصرة رسوله ببذل وجودهم فى طاعته او مقارنة فان خروجهم من بين الكفار مراغمين لهم مهاجرين الى المدينة نصرة واى نصرة

{ اولئك } المهاجرون الموصوفون بما ذكر من الصفات الحميدة

{ هم الصادقون } الراسخون فى الصدق حيث ظهر ذلك بما فعلوا ظهورا بينا كأن الصدق مقصور عليهم لكمال آثاره الصدق صدقة السر يعنى صدقه ملك سراست وصداق الجنة يعنى صداق سراى سرورست وصديق الحق يعنى صديق بادشاه حق است راست كارى بيشه كن كاندر مصاف رستخيز ، نيستند از خشم حق جزرا استنكاران رستكار مصطفى عليه السلام كفت مامهتر كليت عالم ايم وبهتر ذريت

آدم ومارا بدین فخرنه شربتهای کرم بردست مانهادند وهدیتهای شریف بحجره مافرستادند ولباسهای نفیس درمایوشیدند وطراز اعزاز براستین ماکشیدند ومارا بدان هیج فخرنه کفتند مهترا بس اختیار توجیست وافتخار توبجیست کفت اختیار ما آنست وافتخار مابدانست که روزی ساعتی جوییم وبا این فقرای مهاجرین جون بلال وصهیب وسلمان وعمار ساعتی حدیث اوکییم

بردل ذکر امتش نثارست مرا ... وزفقر لباس اختیارست مرا

دینار ودرم بجه کارست مرا ... باحق همه کارجن بکارست مرا

بدانکه فقر دواست یکی آنست که رسول خدا ازان استعاذه کرده کفته أعوذ بك من الفقر وديكر آنست که رسول خدا کفته الفقر فخری آن یکی نزدیك بکفر واین یکی نزدیك بحق اما آن فقرکه بکفر نزدیك است فقر دلست که علم وحکمت واخلاص وصبر ورضا وتسلیم وتوکل ازدل ببرد تادل ازین ولایتها درویش کردد وجون زمین خراب شود

دل خراب شود منزل شيطان كردد آنكه جون شيطان فرود آمد سباه

شيطان روى بوى نهند شهوت وغضب وحسد وشرك وشك وشبه ونفاق

ونشان اين فقر آن بودكه هرجه بيند همه كثر بيند سمع اوهمه مجاز شنود

زبان همه دروغ وغيبت كويد قدم بكوى همه ناشايست نهد اين آن فقرست

كه رسول خدا كفت كاد الفقر أن يكون كفرا الله انى أعوذ بك من الفقر

والكفر اما آن فقركه كفت الفقر فخرى آنست كه مرداز دنيا برهنه كردد

ودرين برهنكى بدين نزديك كردد وفى الخبر(الايمان عريان ولباسه التقوى

) هما نست كد متصوفه آنرا تجريد كويندكه مرد مجرد شوادز رسوم انسانيت

جنانكه تيغ مجرد شوادز نيام خويش وتيغ مادامكه درنيام باشد هنرش

آشكارا نكردد وفعل او بيدا نيايد همجنين دل تادر غلاف انسانيت است

هنروى آشكارا نكردد وازوى كارى نكشايد جون از غلاف انسانيت

برهنه كردد صورتها وصفتها درو بنمايد ، وقال الشيخ نجم

الدين الكاشفى رحمه الله الافتقار على ثلاثة اقسام افتقار الى الله دون

الغير واليه الاشارة بقوله عليه السلام (الفقر سواد الوجه فى الدارين) انتها

وفى كل من الاحاديث المذكورة معانٍ اخر جلية على اولى الالباب وطعن اهل الحديث فى قوله (الفقر فخرى لكن معناه صحيح اللهم اغننى بالافتقار اليك) وسئل الحسين رحمه الله من الفقرآء قال (الذين وقفوا مع الحق راضين على جريان ارادته فيهم) وقال بعضهم هم الذين تركوا اكل سبب وعلاقة ولم يلتفتوا من الكونين الى شىء سوى ربهم فجعلهم الله ملوكا وخدمهم الاغنياء تشريفا لهم

وفى التأويلات النجمية ابدل الله من ذوى القربى المهاجرين الى الله اى ذووا القربى هم المهاجرون من قرية النفس الى مدينة الروح والقلب بالسير والسلوك وقطع المفاوز النفسانية والبواد الحيوانية المخرجون من ديار وجوداتهم واموال صفاتهم واخلاقهم الى حضرة خالقهم ورازقهم طالبين من فضله وجوده جوده ونور رضوان صفاته ونعوته ناصرين الله بمظهريتم لله الاسم الجامع ورسوله بمظهريتهم لاحكامه وشرآئعه الظاهرة اولئك هم الصادقون فى مقام الفناء عنهم فى ذواتهم وصفاتهم وافعالهم والبقاء به اى بذاته وصفاته وافعاله جعلنا الله واياكم هكذا بفضله

{ والذين تبوأوا الدار والايمان } كلام مستأنف مسوق لمدح الانصار بخصال حميدة من جملتها محبتهم للمهاجرين ورضاهم باختصاص الفيء بهم احسن رضى واكمله والانصار بنوا الاوس والخزرج ابنى حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة ابن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الازد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب ابن يعرب بن قحطان قال فى القاموس قحطان بن عامر بن شالخ ابو حى انتهى وهو اصل العرب العرباء ومن الانصار غسان كشداد ماء قرب الجحفة نزل عليه قوم من ولد الازد فشربوا منه فنسبوا اليه وأصل البوآء مساواة الاجزآء فى المكان خلال النبو الذى هو منافاة الاجزآء يقال مكان بوآء اذا لم يكن نابيا بنازله وبوأت له مكانا سويت (وروى) انه عليه السلام كان يتبوأ لبوله كما يتبوأ لمنزله وتبوؤا المنزل اتخاذه منزلا والتمكن والاستقرار فيه فالمتبوأ فيه لابد أن يكون من قبيل المنازل والامكنة والدار هى المدينة وتسمى قديما يثرب وحديثا طيبة وطابة كذلك بخلاف

الايمان فانه ليس من هذا القبيل فمعنى تبوئهم الدار والايمان انهم اتخذوا المدينة والايمان مباءة وتمكنوا فيهما اشد تمكن على تنزيل الحال منزلة المكان

وقيل ضمن النبوؤ معنى اللزوم

وقيل تبوأوا الدار وأخلصوا الايمان او قبلوه او آثروه كقول من قال

علفتها تبنا وماء باردا ، اى وسقيتها ماء باردا فاختصر الكلام

وقيل غير ذلك.

يقول الفقير لعل اصل الكلام والذين تبوأوا دار الايمان فان المدينة يقال لها دار الايمان لكونها مظهره ومأوى اصله كما يقال لها دار الهجرة وانما عدل الى ماذكر من صورة العطف تنصيصا على ايمانهم اذ مجرد التبوء لايكفى فى المدح

{ من قبلهم } اى من قبل هجرة المهاجرين فقدر المضاف لان الانصار لم يؤمنوا قبل المهاجرين بل منهم من آمن قبل الهجرة ومنهم من آمن بعدها قال بعدها

قال بعضهم مراد انصارندكه درديار خود ايمان آوردند وبد وسال

بيش ازقدوم حضرت مساجد ساختند ، وربوا الاسلام كما يربى الطير

الفرخ قال فى الارشاد يجوز أن يجعل اتخاذ الايمان مباءة ولزومه واخلاصه

عبارة عن اقامة كافة حقوقه التى من جملتها اظهار عامة شعائره واحكامه

ولا ريب فى تقدم الانصار فى ذلك على المهاجرين لظهور عجزهم عن

اظهار بعضها لا عن اخلاصه قلبا واعتقادا اذ لايتصور تقدمهم عليهم فى

ذلك وفى الآية اشارة الى دار القلب التى هى دار الصدق والاخلاص والى

الايمن الاختصاصى الوهبى بتحقيقه وتثبيته

{ يحبون من هاجر اليهم } خبر للموصول اى يحبونهم من حيث

مهاجرتهم اليهم لمحتبهم الايمان ولان الله وحبيبه احباهم وحبيب الحبيب

حبيب وفى كشف الاسرار كنايتست ازمهمان دوستى انصار

{ ولايجدون فى صدورهم } اى فى نفوسهم

{ حاجة } اى شيأ محتاجا اليه

{ مما اوتوا } اى مما اوتى المهاجرون من الفيىء وغيره ومن بيانية

يقال خذ منه حاجتك اى ماتحتاج اليه والمراد من نفى الوجدان نفى العلم

لان الوجدان فى النفس ادراك علمى وفيه من المبالغة ماليس فى يعلمون

وقال بعضهم طلب محتاج اليه يعنى ان نفوسهم لم تبتغ ما اوتوا ولم تطمح

الى شىء منه يحتاج اليه

وقيل وجدا على تقديمهم عليهم وغيظا وحسدا ونحو ذلك قال

الراغب الحاجة الى الشىء الفقر اليه من محبته

{ ويؤثرون } اى يقدمون المهاجرين فالمفعول محذوف

{ على انفهسم } فى كل شىء من اسباب المعاش جودا وكرما

حتى ان من كان عنده امرأتان كان ينزل عن احداهما ويزوجها واحدا منهم

والايثار عطاؤك ما أنت تحتاج اليه وفى الخبر

(لم يجتمع فى الدنيا قوم قط الا وفيهم اسخياء وبخلاء الا فى

الانصار فان كلهم اسخياء مافيهم بخيل)

{ ولو كان بهم خصاصة } اى حاجة وخلة واصلها خصاص

البيت وهى فرجة شبه حالة الفقر والحاجة ببيت ذى فرج فى الاشتمال

على مواضع الحاجة قال الرغب عبر عن الفقر الذى لايسد بالخصاصة

كما عبر عنه بالخلة والخص بيت من قصب وشجر وذلك لما يرى منه من

الخصاصة وكان عليه السلام قسم أماول بنى النضير على المهاجرين ولم

يعط الانصار الا ثلاثة نفر محتاجين ابا دجانة سماك بن خرشة وسهل بن

حنيف والحارث بن الصمة رضى الله عنهم وروى لم يعط الا رجلين سهلا

وابا دجانة فان الحارث بن الصمة قتل فى بئر معونة وقال لهم ان شئتم

قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم وشاركتموهم فى هذه الغنيمة وان

شئتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم يقسم لكم شىء من الغنيمة فقالت

الانصار بل نقسم لهم من أموالنا وديارانا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم

فيها فنزلت وكان عليه السلام أعطى بعض الاراضى وابقى بعضها يزرع له

ولما أعطى المهاجرين امرهم برد ما كان للانصار لاستغنائهم عنهم ولانهم

لم يكونوا ملوكهم وانما كانوا دفعوا لهم تلك النخيل لنتفعوا بثمرها ويدخل

فى ايثارهم المهاجرين بالفيىء سائر الايثارات وعن انس رضى الله عنه انه قال اهدى لرجل من الانصار رأس شاة وكان مجهودا فوجه به الى جار له زاعما انه احوج اليه منه فوجه جاره ايضا الى آخر فلم يزل يبعث به واحدا الى آخر حتى تداول ذلك الرأس سبعة بيوت الى أن رجع الى المجهود الاول قال حذيفة العدوى انطلقت يوم اليرموك اطلب ابن عم لى ومعى شيء من الماء وانا اقول ان كان به رمق سقيته فاذا أنا به فقلت اسقيك فأشار برأسه أن نعم فاذا برجل يقول آه آه فأشار الى ابنى عمى ان انطلق اليه فاذا هو هشام بن العاص فقلت أسقيك فأشار أن نعم فسمع آخر يقول آ آه فأشار هشام أن انطلق اليه فجئت اليه فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات فرجعت الى ابن عمى فاذا هو قد مات وهذا من قبيل الايثار باللنفس وهو فوق الايثار بالمال

فداى دوست نكرديم عمر ومال دريغ ... كه كار عشق زما اين قدر نمى آيد

وقال فى التكملة الصحيح ان الآية نزلت فى أبى طلحة الانصارى رضى الله عنه حين نزل برسول الله عليه السلام ضيف ولمن يكن عنده مايضيفه به فقال ألا رجلا يضيف هذا رحمه الله فقام أبو طلحة فانطلق به الى رحله وقال لامرأته اكرمى ضيف رسول الله فنومت الصبية واطفأت السراج وجعل الضيف يأكل وهما يريان انهما يأكلان معا ولايفعلان فنزلت الآية وكان قناعت السلف اوفر ونفوسهم اقنع وبركتهم اكثر ونحن نؤثر أنفسنا على الغير فاذا وضعت مائدة بين ايدينا يريد كل منا آن يأكل قبل الآخر ويأخذ اكثر مما يأخذ الرفيق ولذلك لم توجد بركة الطعام وينفد سريعا ويروى انه وقع بين ملك ووزيره انه قال الملك ان العلماء احسن حالا واصلح بالا من الفقرآء وقال الوزير بخلاف ذلك ثم قال الوزير نمتحنهما فى أمرين فبعث احدا بعده آلاف درهم الى اهل المدرسة فقال اذهب وقل لهم ان الملك امرنى أن أعطى هذه الدراهم افضلكم واكملكم فمن هو فقال واحد منهم انا وقال الآخر كذب بل هو انا وهكذا ادعى كل منهم الافضلية فقال الرسول لم يتميز الأفضل عندى

ولم أعرفه ولم يعط شيأ فعاد واخبر بما وقع ثم ارسل الوزير تلك الدراهم الى اهل الخانقاه ففعلوا عكس مافعله العلماء واعطى بيده سيفا فقال اذهب فقل لهم ان الملك امرنى أن اضرب عنق رئيسكم فمن هو فقال واحد انا وقال الآخر ل انا وهكذا قال كل منهم ايثار ابقاء اخيه واختيار فدآء رفيقه بنفسه فقال الرسول لم يتميز ماهو الواقع عندى فرجع وأخبر بما وقع فأرسل السيف الى العلماء ففعلوا عكس ما فعلوه الفقرآء فحج عليه بذلك الوزير على الامير وان تشاهد أن فقرآء زماننا على عكس هؤلاء الفقرآء فى البلاد والممالك قال أبو يزيد البسطامى قدس سره غلبنى رجل شاب من اهل بلخ حيث قال لى ماحد الزهد عندكم فقلت اذا وجدنا اكلنا واذا فقدنا صبرنا فقال هذا فعل كلاب بلخ عندنا بل اذا فقدنا شكرنا واذا وجدنا آثرنا

كريم كامل آنرامى شناسم اندرين دوران ... كه كرنانى رسد آزآسياى جرخ كردانش

زاستغناى همت باوجود فقر وبى بركى ... زخود واكير دوسازد ننثار بى نوا بانش

وفى العوارف من اخلاق الصوفية الايثار والمواساة وحملهم على ذلك فرط الشفقة والرحمة طبعا وقوة اليقين شرعا لانهم يؤثرون الموجود ويصبرون على المفقود قال يوسف بن الحسين رحمه الله من رأى لنفسه ملكا لايصح له الايثار لانه يرى نفسه احق بالشيء برؤية ملكه انما الايثار لمن يرى الاشياء للحق فمن وصل اليه فهو احق به فاذا وصل شيء من ذلك اليه يرى نفسه ويده فيه غصب اويد امانة يوصلها الى صاحبها ويؤديها اليه ، معاذ بن جبل راديدندكه دربازار مكه ميكر ديد وزيره تره ميجيد وميكفت هذا ملكك مع رضاك وملك الدنيا مع سخطك

خيز يارا تابميخانه زمانى دم زنيم ... آتش اندر ملكت آل بنى آدم زنيم

هرجه اسبابست جمع آييم وبس جمع آوريم ... بس بحكم حال

بيزارى همه برهم زنيم

{ ومن يوق شح نفسه } وهركه نكاه داشته شود ازبخل

نفس او يعنى منع كند نفس را از حب مال وبغض اتفاق الوقاية حفظ

الشيء مما يؤذيه ويضره والشح بالضم والكسر بخل مع حرص فيكون

جامعا بين ذميمتين من صفات النفس وأضافته الى النفس لانه غريزة فيها

مقتضية للحرص على المنع الذى هو البخل اى ومن يوق بتوفيق الله

شحها حتى يخالفها فيما يغلب علها من حب المال وبغض الاتفاق

{ فاولئك هم المفلحون } الفائزون بكل مطلوب الناجون من كل

مكروه والفلاح اسم لسعادة الدارين والجملة اعتراض وارد لمدح الانصار

والثناء عليهم فان الفتوة هى الاوصاف المذكورة فى حقهم فلهم جلائل

الصفات ودقائق الاحوال ولذا قال عليه السلام (آية الايمان حب

الانصار) قال السهروردى فى العوارف السخاء صفة غريزية فى مقابلة

الشح والشح من لوازم صقة النفس حكم الله بالفلاح لمن يوقى

الشح اى لمن أنفق وبذلك والنبى عليه السلام نبه بقوله (ثلاث مهلكات وثلاث منجيات) فجعل احدى المهلكات شحا مطاعا ولم يقل مجرد الشح يكون مهلكا بل انما يكون مهلكا اذا كان مطاعا فاما كونه موجودا فى النفس غير مطاع لاينكر ذلك لانه من لوازم النفس مستمد من اصل جبلتها الترابى وفى التراب قبض وامساك وليس ذلك بالعجب من الآدمى وهو جبلى فيه وانما العجب وجود السخاء فى الغريزة وهو فى نفوس الصوفية الداعى لهم الى البذل والايثار والسخاء اتم واكمل من الجود وفى مقابلة الجود البخل وفى مقابلة السخاء الشح الجود والبخل يتطرق اليهما الاكتساب بطريق العادة بخلاف الشح والسخاء اذا كانا من ضرورة الغريزة وكل سخى جواد وليس كل جواد سخيا ولاحق تعالى لايوصف بالسخاء لان السخاء من نتيجة الغرآئز والله تعالى منزه عن الغريزة والجود يتطرق اليه الرياء ويأتى به الانسان متطلعا الى عوض من الخلق والثواب من الله تعالى والسخاء لا يتطرق اليه الرياء لانه ينبع من النفس الزكية المرتفعة عن الاعواض دنيا وآخرة لان طلب العوض مشعر بالبخل لكونه معلولا

بالعوض فاتمحض سخاء فالسخاء لأهل الصفاء والايثار لاهل الانوار

وقال الحسن رحمه الله الشح هو العمل بالمعاصى كأنه يشح بالطاعة فدخل

فيه ماقيل الشح أن تطمح عين الرجل الى ماليس له وقال عليه السلام

(من الشح نظرك الى امرأة غيرك) وذلك فان الناظر يشح بالغض

والعفة فلا يفلح (وروى) ان رجلا قال لعبد الله بن مسعود رضى الله

عنه انى أخاف أن اكون قد هلكت قال وما ذاك قال اسمع الله يقول

{ ومن يوق شحن نفسه فاولئك هم المفلحون } وأنا رجل شحيح

لايكاد يخرج من يدى شيء فقال عبدالله ليس المراد الشح الذى ذكر الله

فى القرءآن أن تأكل مال أخيك ظلما ولكن ذاك البخل ورئيس الشيء

البخل وفسر الشح بغير ذلك وعن الحكيم الترمذى قدس سره الشح اضر

من الفقر لان الفقير يتسع اذا وجد بخلاف الشحيح وعن أبى هريرة رضى

الله عنه انه سمع رسول الله عليه السلام يقول (لايجتمع غبار فى سبيل الله

ودخال جنهم فى جوف عبد ابدا ولا يجتمع الشح والايمان فى قلب عبد

ابدا) وقال عليه السلام (من أدى الزكاة المفروضة وقرى الضيف واعطى

فى النائبة فقد برىء من الشح والشح اقبح من البخل) وقال عليه السلام (اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فانه اهلك من كان قبلكم فحملهم على أن يسفكوا دماءهم ويستحلواك محارهم) (قال الحافظ)

احوال كنج قارون كاايام داد برباد ... باغنجة باز كويد تا زر نهان نداردد

(وقال المولى الجامى فى ذم الخسيس الشحيح)

هرجند زندلاف كرم مرد درم دوست ... در يوزه احسان زدرا ونتوان كرد

ديرين مثلى هست كه از فضله حيوان ... نار نج توان ساخت ولى بو نتوان كرد

١٠

{ والذين جاؤا من بعدهم } هم الذين هاجروا بعد ماقوى

الاسلام فالمراد جاؤا الى المدينة او التابعون باحسان وهم الذين بعد

الفريقين الى يوم القيامة ولذلك قيلان الآية قد استوعبت جميع المؤمنين

فالمراد حينئذ جاؤا الى فضاء الوجود وفى الحديث (مثل امتى مثل المطر

لايدرى اوله خير ام آخره) يعنى در منفعت وراحت همچون باران بهار

انند بارانراننده كه اول آن بهترست ياآخر نفعى است عامر او عامه خلق

را حال امت من همچنين است همان درويشان آخر الزمان آن شكستكان

سرافكنده وهمين عزيزان وبزركوران صحابههمه برادرانند ودر مقام منفعت

وراحت همه يكدست ويكسانند هم كالقطر حيث ماوقع نفع بر مثال

بارانند ياران هركجاكه رسد نفع رساند هم در بوستان هم در خارستان

هم بريحان وهم بر ام غيلان همچنين اهل اسلام درراحت يكديكر ورأفت

بريكديكر يكسانند ويك نشانند

{ يقولون } خبر للموصول والجملة مسوقة لمدحهم بمحتبهم لمن تقدمهم من المؤمنين ومراعاتهم لحقوق الآخرة فى الدين والسبق بالايمان اى يدعون لهم قائلين

{ ربنا اغفر لنا } مافرط منا

{ ولاخواننا } أى فى الدين الذى هو اعز واشرف عندهم من النسب

{ الذين سبقونا بالايمان } وصفوهم بذلك اعترافا بفضلهم

جو خواهى كه نامت بود جاودان ... مكن نام نيك بزركان نهان

قدموا انفسهم فى طلب المغفرة لما فى المشهور من ان العبد لابد أن يكون مغفور له حتى يستجاب دعاؤه لغيره وفيه حكم بعدم قبول دعاء العاصين قبل أن يغفر لهم وليس كذلك كما دلت عليه الاخبار فلعل الوجه ان تقديم النفس كونها اقرب النفوس مع ان فى الاستغفار اقرارا بالذنب فالاحسن للعبد أن يرى او لاذنب نفسه كذا فى بعض التفاسير يقول

الفقير نفس المرء أقرب اليه من نفس غيره فكل جلب او دفع فهو انما يطلبه اولا لنفسه لاعطاء حق الاقدم

واما غيره فهو بعده ومتأخر عنه وايضا ان ذنب نفسه مقطوع بالنسبة اليه

واما ذنب غيره فمحتمل فلعل الله قد غفر له وهو لايدرى وايضا تقديمهم فى مثل هذا المقام لايخلوا عن سوء أدب وسوء ظن فى حق السلف

{ ولاتجعل فى قلوبنا غلا } اى حقدا وهو ذميمة فاحشة فورد المؤمن ليس بحقود يعنى كينه كش.

قال الراغب الغل والغلول تدرع الخيانة والعداوة لان الغلالة اسم مايلبس بين الشعار والدثار وتستعار للدرع كما تستعار الدرع لها

{ للذين آمنوا } على اطلاق صحابة او تابعين وفيه اشارة الى أن الحقد على غيرهم لائق لغيرة الدين وان لم يكن الحسد لائقا (قال الشيخ سعدى)

دلم خانه مهريارست وبس ... از ان مى نكنجد درو كين كس

{ ربنا انك رؤف رحيم } اى مبالغ فى الرأفة والرحمة فحقيق بأن

يجيب دعاءنا وفى الآية دليل على ان الترحم والاستغفار واجب على

المؤمنين الآخرين للسابقين منهم لاسيما لآبائهم ولمعلمهم امور الدين

قالت عائشة رضى الله عنها امروا أن يستغفروا لهم فسبوهم وفى الحديث

(لاتذهب هذه الامة حتى يعلن آخرها اولها) وعن عطاء قال

قال عليه السلام (من حفظنى فى اصحابى كنت له يوم القيامة حافظا

ومن شتم اصحابى فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين) فالرافضة

والخوارج ونحوهم شر الخلائق خارجون من اقسام المؤمنين لان الله تعالى

رتبهم على ثلاثة منازل المهاجرين والانصار والتابعين الموصوفين بما ذكر

الله فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجا من اقسامهم قال

حجة الاسلام الغزالى رحمه الله يحرم على الواعظ وغيره رواية مقتل

الحسين رضى الله عنه وحكاياته وماجرى بين الصحابة من التشاجر

والتخاصم فانه يهيج بغض الصحابة والطعن فيهم وهم اعلام الدين وماوقع

بينهم من المنازعات فيحمل على محامل صحيحة فلعل ذلك الخطأ فى الاجتهاد لا لطلب الرياسة او الدنيا كما لايخفى وقل فى شرح الترغيب والترهيب المسمى بفتح القريب والحذر ثم الحذر من التعرض لما شجر بين الصحابة فانهم كلهم عدول خير القرون مجتهدون مصيبهم له اجران ومخطئهم له أجر واحد وقال الشيخ عز الدين بن عبدالسلام فى فصل آفات اللسان الخوض فى الباطل هو الكلام فى المعاصى كحكاية أحوال الوقاع ومجالس الخمور وتجبر الظلمة وحكاية مذاهب أهل الاهوآء وكذا حكاية ماجرى بين الصحابة رضى الله عنهم

اى دل از من اكر بجويي بند ... رو باصحاب مصطفى دل بند

همه ايشان آمده ذيشان ... خواهشى كن شفاعتى زيشان

وقال بعض أهل الاشارة ربنا اغفر لنا اى استر ظلمة وجودنا بنور وجودك واستر وجودات اخواننا الذين سبقونا بالايمان وهم الروح السر والقلب السابقون فى السلوك من قرية النفس الى مدينة الروح المؤمنين بأن

الفناء الوجودى الامكانى يستلزم الوجود الواجبى الحقانى ولاتجعل فى قلوبنا شك الاثنينية والغيرية للذين آمنوا باخوانية المؤمنين لقوله تعالى

{ انما المؤمنون اخوة } انك رؤف بمن شاهد الكثرة قائمة بالوحدة رحيم بمن شاهد الوحدة ظاهرة بالكثرة وفى تكرير ربنا اظهار لكمال الضراعة وفى الأثر (من حز به أمر فقال خمس مرات ربنا انجه الله مما يخاف) قال الامام الرازى اعلم ان العقل يدل على تقديم ذكر الله فى الدعاء لان ذكر الله تعالى بالثناء والتعظيم بالنسبة الى جوهر الروح كالاكسير الاعظم بالنسبة الى النحاس فكما ان ذرة من الاكسير اذا وقعت على عالم النحاس انقلب الكل ذهبا ابريزا فكذا اذا وقعت ذرة من اكسير معرفة جلال الله تعالى على جوهر الروح قوى صفاء وكمل اشراقا ومتى صار كذلك كانت قوته أقوى وتأثيره اكمل وكان حضور الشيء المطلوب عنده اقوى واكمل وهذا هو السبب فى تقديم الدعاء بالثناء انتهى والوارد فى القرءآن من الدعاء مذكور غالبا بلفظ الرب فان على العبد أن

يذكر اولا ايجاد الله واخراجه من العدم الى الوجود الذى هو أصل المواهب ويتفكر فى تربية الله اياه ساعة فساعة

واما دعوات رسول الله عليه السلام فاكثرها الابتداء بقوله اللهم لانه مظهر الاسم الجامع وقد كان يجمع بينهما ويقول اللهم ربنا كما جمع عيسى عليه السلام وقال اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء والله سميع الدعاء وقابل الرجاء

١١

{ الم تر } استئناف لبيان التعجب مما جرى بين الكفرة والمنافقين من الاقوال الكاذبة والاحوال الفاسدة والمعنى آيانكاه نكرده يامحمد أو يا من له حظ من الخطاب

{ الى الذين نافقوا } من اهل المدينة قال الراغب النفق الطريق النافذ والسرب فى الارض النافذ ومنه نافقاء اليربوع وقد نافق اليربوع ونفق

ومنه النفاق وهو الدخول فى الشرع من باب والخروج عنه من باب على هذا نبه بقوله

{ ان المنافقين هم الفاسقون } اى الخارجوع عن الشرع

{ يقولون لاخواهم الذين كفروا من اهل الكتاب } اللام للتبليغ والمراد بالاخوان بنوا النضير وبأخوتهم اما توافقهم فى الكفر فان الكفر ملة واحدة او صداقتهم وموالاتهم

{ لئن اخرجتم } اللام موطئة للقسم وهى اللام الداخلة على حرف الشرط بعد تمام القسم ظاهرا او مقدرا ليؤذن ان الجواب له للشرط وقد تدخل علىغير الشرطوالمعنى والله لئن اخرجتم أيها لاخوان من دياركم وقراكم قسرا باخراج محمد واصحابه اياكم منها

{ لنخرجن معكم } البتة ونذهبن فى صحبتكم اينما ذهبتم لتمام المحبة بيننا وبينكم وهو جواب للقسم وجواب الشرط مضمر ولما كان

جواب القسم وجواب الشرط متماثلين اقتصر على جواب القسم واضمر جواب الشرط وجعل المذكور جوابا للقسم بسعة وكذا قوله

{ لا يخرجون معهم } وقوله

{ لا ينصرونهم } كل واحد منهما جواب القسم ولذلك رفعت الافعال ولم تجزم وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه

{ ولا نطيع فيكم } اى فى شأنكم

{ احدا } يمنعنا من الخروج معكم

{ ابدا } وان طال الزمان ونصبه على الظرفية وهو لاستغراق المستقبل كما ان الازل لاستغراق الماضى ولاستعمالهما فى طول الزمانين جدا قد يضافان الى جمعهما فيقال أبد الآباد وازل الآزال

واما السرمد فلاستغراق الماضى والمستقبل يعنى لاستمرار الوجود لا الى نهاية فى جانبهما (ومنه قول المولى الجامى)

دردت زازل آيد تاروز ابد بايد ... جوق شكر كزار دكس اين دولت سرمدرا

{ وان قوتلتم } اى قاتلكم محمد واصحابه حذفت منه اللام الموطئة

{ لننصرنكم } اى لنعاوننكم على عدوكم ولا نخذلكم

{ والله يشهد انهم لكاذبون } فى مواعيدهم المؤكدة بالايمان الفاجرة

١٢

{ لئن اخرجوا } قهرا واذلالا

{ لايخرجون معهم } الخ تكذيب لهم فى كل واحد من اقوالهم على التفصيل بعد تكذيبهم فى الكل على الاجمال

{ ولئن قوتلوا لاينصرونهم } وكانا الامر كذلك فان ابن أبي واصحابه ارسلوا الى بنى النضير وذلك سرا ثم اخلفوهم يعنى ان ابن أبي

ارسل اليهم لاتخرجوا من دياركم واقيموا فى حصونكم فان معى ألفين من قومى وغيرهم من العرب يدخلون حصنكم ويموتون عن آخرهم قبل أن يوصل اليكم وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان فطمع بنوا النضير فيما قاله اللعين وهو جالس فى بيته حتى قال احد سادات بنى النضير وهو سلام بن مشكم لحيي بن أخطب الذى كان هو المتولى لامر بنى النضير والله ياحيي ان قول ابن ابى الباطل وليس بشىء وانما يريد أن يورطك فى الهلكة حتى تحارب محمدا فيجلس فى بيته ويتركك فقال حيي نأبى الا عداوة محمد والا قتاله فقال سلام فهو والله جلاؤنا من ارضنا وذهاب أموالنا وشرفنا وسبى ذرارينا مع قتل مقاتلينا فكان ماكان كما سبق فى اول السورة وفيه حجة بينة لصحة النبوة واعجاز القرءآن

اما الاول فلانه أخبر عما سيقع فوقع كما اخبر وذلك لان نزول الآية مقدم على الواقعة وعليه يدل النظم فان كلمة ان للاستقبال

واما الثانى فمن حيث الاخبار عن الغيب

{ ولئن نصروهم } على الفرض والتقدير

{ ليولن الادبار } فرارا وانهزاما جمع دبر ودبر الشىء خلاف القبل اى الخلف وتولية الادبار كناية عن الانهزام الملزوم لتولية الادبار قال فى تاج المصادر التولية روى فراكردن وبشت بكردانيدن . وهى من الاضداد

{ ثم لاينصرون } اى المنافقون بعد ذلك اى يهلكهم الله ولاينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم بنصرهم اليهود او لينهزمن اليهود ثم لاتنفعهم نصرة المنافقين وفى الآيةتنبيه على ان من عصى الله ورسوله وخالف الامر فهو مقهور فى الدنيا والآخرة وان كان سلطانا ذا منعة وما يقع احيانا من الفرصة فاستدرج وغايته الى الخذلان

صعوه كوبا عقاب سازد جنك ... دهد از خون خود برش رازنك

واشارة الى ان الهوى وصفاته كالمنافقين والنفس الكافرة واتباعها كاليهود وبينهما اخوة وهى الظلمة الذاتية والصفاتية وبين حقائقهما

وحقائق الروح والسر والقلب تنافر كتنافر النور والظلمة فالهوى وصفاته يقولون للنفس وصفاتها لان اخرجكم الروح والسر والقلب من ديار وجوداتكم وأنانياتكم بسبب غلبة انوارهم على ظلمات وجوداتكم لنخرجن معكم ولاتخالفكم وان قوتلتم بسيف الرياضة ورمح المجاهدة نقويكم بالقوى الشهوانية الحيوانية الهيمية السبعية وهم لايقدرون على شيء بغير اذن الله فهم كاذبون فى قولهم ولايخرج الهوى وصفاته معهم لان الهوى والنفس وان كانا متحدين بالذات لكنهما مختلفان بالصفات كاختلاف زيد وعمرو فى الصفات واتحادهما فى الذات وهو الانسانية وارتفاع احدهما لايستلزم ارتفاع الآخر والهوى بسبب غلبة روحانية القالب عليه يميل الى الروح تارة وبسبب غلطته ايضا يميل الى النفس اخرى فلا ينصر النفس دآئما ولئن نصرها بنفخ نار الظلمة فى حطب وجودها لينهزم بسبب سطوات اشعة انوار الروح والسر والقلب انهزام النور من الظلمة ونفار الليل من النهار ألا ان حزب الله هم الغالبون

١٣

{ لانتم } يامعشر المسلمين وبالفارسية هرآينه شماكه مؤمنانيد

{ اشد رهبة } الرهبة مخافة مع تحتزن واضطراب وهى هنا مصدر من المبنى للمفعول وهو رهب اى أشد مرهوبية وذلك لان أنتم خطاب للمسلمين والخوف ليس واقعا منهم بل من المنافقين فالمخاطبون مرهوبون غير خائفين

{ فى صدورهم } اى صدور المنافقين

{ من الله } اى من رهبة الله بمعنى مرهوبيته قال فى الكشاف قوله فى صدورهم دال على نفاقهم يعنى انهم يظهرون لكم فى العلانية خوف الله وأنتم اهيب فى صدورهم من الله فان قلت كأنهم كانوا يرهبون من الله حتى يكون رهبتهم منه أشد قلت معناه ان رهبتهم فى السر منكم أشد من رهبتهم من الله التى يظهر ومنها لكم وكانوا يظهرون رهبة شديدة من الله.

يقول الفقير انما رهبوا من المؤمنين لظهور نور الله فيهم فكما ان الظلمة تنفر من النور والاتقاومه فكذا أهل الظلمة ينفر من أهل النور ولايقوم معه ومرادنا بالظلمة ظلمة الشرك والكفر والرياء والنفاق وبالنور نور التوحيد والايمان والاخلاص والتقوى ولذلك قال تعالى

{ اعلموا ان الله مع المتقين } حيث ان الله تعالى اثبت معيته لأهل التقوى فنصرهم على مخالفيهم

{ ذلك } اى ماذكر من كون رهبتهم منكم أشد من رهبة الله

{ بانهم } اى بسبب انهم

{ قوم لايفقهون } اى شيأ حتى يعلموا عظمة الله تعالى فيخشوه حق خشيته قال بعض الكبار ليس العظمة بصفة للحق تعالى على التحقيق انما هى صفة للقلوب العارفة به فهى عليها كالردآء على لابسه ولو كانت العظمة وصفا للعظيم لعظم كل من رأه ولم يعرفه وفى الحديث (ان الله يتجلى يوم القيامة لهذه الامة وفيها منافقوها فيقول أنا ربكم

فيستعيذون به منه ولايجدون له تعظيما وينكرونه لجهلهم به) فاذا تجلى لهم فى العلامة التى يعرفونه بها وجدوا عظمته فى قلوبهم وخروا له ساجدين والحق اذا تجلى لقلب عبد ذهب منه اخطار الاكوان ومابقى الا عظمة الحق وجلاله وفيه تنبيه على ان من علامات الفقه أن يكون خوف العبد من الله أشد من خوفه من الغير وتقبيح لحال اكثر الناس على ماترى وتشاهد قال عليه السلام (من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين) قال بعض العارفين الفقيه عند أهل الله هو الذى لايخاف الا من مولاه ولا يراقب الا اياه ولا يلتفت الى ماسواه ولا يرجوا الخير من الغير ويطير فى طلبه طيران الطير قال بعض الكبار لانقص الكمل من الرجال خوفهم من سبع او ظالم اونحو ذلك لان الجزع فى النشأة الانسانية اصلى فالنفوس ابدا مجبولة على الخوف ولذة الوجود بعدم العدم لايعدلها لذة وتوهم العدم العينى له ألم شديد فى النفوس لايعرف قدره الا العلماء بالله فكل نفس تجزع من العدم أن يلحق بها او بما يقاربها وتهرب منه وترتاع وتخاف على ذهاب عينها فالكامل اضعف الخلق فى نفسه لما يشهده من الضعف فى

تألمه بقرصة برغوث فهو آدم ملئان بذله وفقره مع شهوده اصله علما وحالا كشفا ولذلك لم يصدر قط من رسول ولا نبى ولا ولى كامل فى وقت حضوره انه ادعى دعوى تناقض العبودية ابدا

١٤

{ لايقاتلونكم } اى اليهود والمنافقون بمعنى لايقدرون على قتالكم ولايجترئون عليه

{ جميعا } اى مجتمعين منفقين فى موطن من المواطن

{ الا فى قرى } جمع قرية وهى مجتمع الناس للتوطن

{ محصنة } محكمة بالدروب والخنادق وما اشبه ذلك قال الراغب اى مجعولة بالاحكام كالحصون

{ او من ورآء جدر } دون أن يحضروا لكم ويبارزوكم اى يشافهوكم بالمحاربة لفرط رهبتهم جمع جدار وهو كالحائط الا ان الحائط يقال اعتبارا بالاحاطة بالمكان والجدار يقال اعتبار بالنتو

والارتفاع ولذا قيل جدر الشجر اذا خرج ورقه كأنه حمص وجدر الصبى اذا خرج جدرية تشبيها بجدر الشجر

{ بأسهم بينهم شديد } استئناف سيق لبيان ان ماذكر من رهبتهم ليس لضعفهم وجبنهم فى انفسهم فان بأسهم وحربهم بالنسبة الى اقرانهم شديد وانما ضعفهم وجبنهم بالنسبة اليكم بما قذف الله فى قلوبهم من الرعب وايضا ان الشجاع يجبن والعزيز يذل اذا حارب الله ورسوله قال فى كشف الاسرار اذا أراد الله نصرة قوم استأسد أرنبهم واذا أراد الله قهر قوم استرنب اسدهم

اكر مردى ازمردى خود مكوى ... نه هرشهسوارى بدر برى كوى

ان قيل ان البأس شدة الحرب فما الحاجة الى الحكم عليه بشديد أجيب بأنه أريد من البأس هنا مطلق الحرب فاخبر بشدته لتصريح الشدة او أريد المبالغة فى اثبات الشدة لبأسهم مبالغة فى شدة بأس المؤمنين لغلبته على بأسهم بتأييد الله ونصرته لهم عليهم والظرف متعلق بشديد

والتقديم للحصر ويجوز أن يكون متعلقا بمقدر صفة اوحالا اى باسهم الواقع بينهم او واقعا بينهم فقولهم الظرف الواقع بعد المعرفة يكون حالا البتة ليس بمرضى فان الامرين جائزان بل قد ترجح الصفة

{ تحسبهم } يا محمد او يأكل من يسمع ويعقل

{ جميعا } مجتمعين متفقين ذوى ألفة واتحاد

{ وقلوبهم شتى } اى والحال ان قلوبهم متفرقة لا الفة بينها فهم بخلاف من وصفهم بقوله

{ ولكن الله ألف بينهم } جمع شتيت كمرضى ومريض وبالفارسية براكنده وبريشان ، يقال شت يشت شتا وشتاتا وشتيتا فرق وافترق كانشت وتشتت وجاؤا اشتاتا اى متفرقين فى النظام وفى الآية تشجيع لقلوب المؤمنين على قتالهم وتحسير لهم وان اللائق بالمؤمن الاتفاق والاتحاد صورة ومعنى كما كان المؤمنون متفقين فى عهد النبى عليه السلام ويقال الاتفاق قوة والافتراق هلكة والعدو ابليس يظفر فى الافتراق

بمراده قال سهل أهل الحق مجتمعون ابدا موافقون وان تفرقوا بالابدان وتباينوا بالظواهر واهل الباطن متفرقون ابدا وان اجتمعوا بالابدان وتوافقوا بالظواهر لان الله تعالى يقول

{ تحسبهم } الخ

{ ذلك بأنهم } اى ماذكر من تشتت قلوبهم بسبب انهم

{ قوم لايعقلون } اى لايعقلون شيأ حتى يعرفوا الحق ويتبعوه وتطمئن به قلوبهم وتتحد كلمتهم ويرموا عن قوس واحدة فيقعون فى تيه الضلال وتتشتت قلوبهم حسب تشتت طرقه وتفرق فنونه وتشتت القلوب يوهن قواهم لان صلاح القلب يؤدى الى صلاح الجسد وفساده الى فساده كما قالوا كل اناء يترشح بما فيه علم ان الله تعالى ذم الكفار فى القرءآن بكل من عدم الفقه والعلم والعقل قال الراغب الفقه هو التوصل الى علم غائب بعلم شاهد فهو أخص من العلم والعلم ادراك الشيء بحقيقته وهو نظرى وعملى وايضا عقلى وسمعى والعقل يقول للقوة المتهيئة لقبول العلم

ويقال للعلم الذى يستفيده الانسان بتلك القوة عقل ولهذا قال امير المؤمنين على رضى الله عنه ، وان العقل عقلان ، فمسموع ومطبوع ، ولانفع مطبوع ، اذا لم يك مسموع ، كما لاتنفع الشمس ، وضوء العين ممنوع ، والى الاول أشار عليه السلام بقوله

(ماخلق الله شيأ اكرم عليه من العقل) والى الثانى أشار بقوله (ماكسب احد شيأ افضل من عقل بهدية الى هدى او يرده عن ردى) وهذا العقل هو المعنى بقوله

{ ومايعقلها الا العالمون } وكل موضع ذم الكفار بعدم العقل فاشار الى الثانى دون الاول وكل موضع رفع التكليف عن لعبد لعدم العقل فاشارة الى الاول انتهى

وفى الحديث (العقل نور فى القلب يفرق به بين الحق والباطل) وعن انس رضى الله عنه قيل يارسول الله الرجل يكون حسن العقل كثير الذنوب قال (وما من آدمى الا له ذنوب وخطايا يقترفها فمن كان سجيته

العقل وغريزته اليقين لم تضره ذنوبه) قيل كيف ذلك يارسول الله قال (

لانه كلما اخطأ لم يلبث أن يتدارك ذلك بتوبة وندامة على ما كان منه

فيمحو ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة) وعنه ايضا رضى الله

عنه أتى قوم على رجل عند رسول الله حتى بالغوا فى الثناء بخصال الخير

فقال رسول الله (كيف عقل الرجل) فقالوا يارسول الله نخبرك عنه

باجتهاده فى العبادة واصناف الخير وتسألنا عن عقله فقال نبى الله (ان

الأحمق يصيب بحمقه اعظم من فجور الفاجر وانما يرتفع العباد غدا فى

الدرجات وينالون الزلفى من ربهم على قدر عقولهم) قال على بن عبيدة

العقل ملك والخصال رعية فاذا ضعف عن القيام عليها وصل الخلل اليها

فسمعه اعرابى فقال هذا الكلام يقطر عسله وقال بعضهم اذا كمل العقول

نقص الفضول اى لان العقل يعقله ويمنعه عما لا يعنيه كل شيء اذا كثر

رخص غير العقل فان اذا كثر غلا وقال اعرابى لو صور العقل لاضلمت

معه الشمس ولو صور الحمق لاضاء معه الليل انور شيء والحمق اظلمه

وقبل العاقل يعيش بعقله حيث كان كما يعيش الأسد بقوته اى ففى

العقل قوة شجاعة الأسد ويعلم منه بالمقايسة ان فى الحمق ضعف حال الأرنب ونحوه

كشتى بى لنكر آمد مردشر ... كه زباد كر نيابد او حذر

لنكر عقلست عاقل را امان ... لنكرى در يوزه كن از عاقلان

١٥

{ كمثل الذين من قبلهم } خبر متبدأ محذوف تقديره مثلهم اى مثل المذكورين من اليهود والمنافقين وصفتهم العجيبة وحالهم الغريبة كمثل أهل بدر وهم مشركوا اهل مكمة او كمثل بنى قينقاع على ماقيل انهم اخرجوا قبل بنى النضير وبنوا قينقاع مثلثة النون والضم اشهر كانوا اشجع اليهود واكثرهم اموالا فلما كانت وقعة بدر اظهروا البغى والحسد ونبذوا العهد كبنى النضير فأخرجهم رسول الله من المدينة الى الشأم اى لان قريتهم كانت من اعمالها ودعا عليهم فلم يدر الحول عليهم حتى هلكوا اجمعون وقد عرفت قصتهم فى الجلد الاول

{ قريبا } انتصابه بمثل اذ التقارير كوقوع مثل الذين الخ يعنى بدلالة المقام لا لاقتضاء الاقرب اى فى زمان قريب قال مجاهد كانت وقعة بدر قبل غزوة بنى النضير بستة اشهر فلذلك قال قريبا فتكون قبل وقعة أحد

وقيل بسنتين فتكون تلك الغزوة فى السنة الرابعة لان غزوة بنى النضير كانت بعد أحد وهى كانت بعد بدر بسنة

{ ذاقوا وبال امرهم } قال الراغب الوبل والوابل المطر الثقيل القطار ولمراعاة الثقل قيل للامر الذى يخاف ضرره وبال وطعام وبيل والامر واحد الامور لا الاوامر اىذاقوا سوء عاقبة كفرهم فى الدنيا وهو عذاب القتل ببدر وكانت غزوة بدر فى رمضان من السنة الثانية من الهجرة قبل غزوة بنى النضير

{ ولهم } فى الآخرة

{ عذاب أليم } مؤلم لايقادر قدره حيث يكون مافى الدنيا بالنسبة اليه كالذوق بالنسبة الى الاكل والمعنى ان حال هؤلاء كحال اولئك فى الدنيا والآخرة لكن لاعلى ان حال كلهم كحالهم بل حال بعضهم الذين هم اليهود كذلك

واما حال المنافقين فهو مانطق به قوله تعالى

١٦

{ كمثل الشيطان } فان خبر ثان للمبتدأ المقدر مبين لحالهم متضمن لحال اخرى لليهود وهى اغترارهم بمقالة المنافقين اوله وخيبتهم آخرا وقد اجمل فى النظم الكريم حيث اسند كل من الخبرين الى المقدر المضاف الى ضمير الفريقين من غير تعيين ما أسند اليه بخصوصة ثقة بأن السامع يرد كلا من المثلين الى مايماثله كأنه قيل مثل اليهود فى حلول العذاب بهم كمثل الذين من قبلهم ومثل المنافقين فى اغرآئهم اياهم على القتال حسبما حكى عنهم كمثل الشيطان

{ اذ قال للانسان اكفر } قول الشيطان مجاز عن الاغوآء والآغراء اى اغراء على الكفر اغرآء الآمر المأمور على المأمور به

{ فلما كفر } الانسان المذكور اطاعة لاغوآئه وتبعا لاهوآئه

{ قال } الشيطان

{ انى بريىء منك } اى بعيد عن عملك وأملك غير راض بكفرك وشركك وبالفارسية من بيزارم ازتو ، يقال برىء يبرأ فهو بريىء واصل البرء والبرءآءة والتبرى التفصى مما يكره مجاورته قال العلماء ان أريد بالانسان الجنس فهذا التبرى من الشيطان يكون يوم القيامة كما ينبىء عنه قوله تعالى

{ انى اخاف الله رب العالمين } وان أريد ابو جهل على أن يكون اللام للعهد فقوله تعالى

{ اكفر } اى دم على الكفر.

بس جون برآن ثبات ورزيد ونهاك شرك درزمين دل او استحكام

يافت ، قال ابى الخى عبارة عن قول ابليس له يوم بدر لاغالب لكم اليوم

من الناس وانى جار لكم فلما ترآءت الفئتان نكص على عقبيه وقل انى

بريىء منكم انى أرى مالاترون انى أخاف شالله والله شديد العقاب يعنى لما

قاتلوا ورأى ابليس جبرآئيل مع محمد عليهما السلام خافه فتبرأ منهم وانهزم

قال بعضهم هذا من كذبات اللعين وانه لو خاف حقيقة وقال

صدقا لما استمر على ما ادى الى الخوف بعد ذلك كيف وقد طلب

الانظار الى البعث للاغوآء وقال أبو الليث قال ذلك على وجه الاستهزآء

ولا بعد ان يقول له ليوقعه فى الحسرة والحرقة انتهى ، يقول الفقير الظاهر

ان الشيطان يستشعر فى بعض المواد جلال الله تعالى وعظمته فيخافه حذرا

من المؤآخذة العاجلة وان كان منظرا ولا شك ان كل احد يخاف السطوة

الالهية عند طهور اماراتها ألا ترى الى قوله تعالى

{ وظنوا انهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين } على ان نحو

قاطع الطريق وقاتل لنفس ربما فعل ما فعل وهو خائف من الأخذ

١٧

{ فكان عاقبتهما } اى عاقبة الشيطان وذلك الانسان وهو بالنصب على انه خبر كان واسمها قوله

{ أنهما فى النار } وقرىء بالعكس وهو اوضح

{ خالدين فيها } مقيمين لايبرحان وهو حال من الضمير المقدر فى الجار والمجرور المستقر وروى خالدان على انه خبرأن وفى النار لغو لتعلقه بخالدان

{ وذلك } اى الخلود فى النار

{ جزآء الظالمين } على الاطلاق دون هؤلاء خاصة وقال بعض أهل التفسير المراد بالانسان برصيصا الراهب من بنى اسرآئيل ، در روز كار فترت صومعه ساخته بود هفتاد سال دران صومعه مجاور كشته وخدايرا برستيده وابليس دركار وى فرومانده روزى مرده شياطين راجمع

كرد وكفت من يكفيني امر هذا الرجل يكى كفت من اين كار كفايت

كنم ومراد تو ازوى حاصل كنم بدر صومعه وى رفت برزى راهبان

ومتعبدان كفت مرد راهم عزلت وخلوت مى طلبم تراجه زيان اكر من

بصحبت توبيايم ودر خلوت خدايرا عبادت كنم برصيصا بصحبت وى

تن درنداد وكفت انى لفى شغل عنك يعنى مرادر عبادت الله جندان

شغلست كه براوى صحبت تونيست وعادت برصيصا آن بودكه جون

درنمازشدى ده روز از نماز بيرون نيمادى وروزه دار بود وهرده روز افطار

كردى شيطان برابر صومعه وى درنماز يستاد وجهد وعبادت خود برجهد

وعبادت برصيصا اورا بخود راه داد جون آن عبادت وجهد فراوان وى ديد

وخودرا در جنب وى قاصر ديد آنكه شيطان بعدازيك سال كفت مرا

رفيقى ديكر است وظن من جنان بودكه تعبد واجتهاد توازوى زيادتست

اكنون كه ترا ديدم نه جنانست كه مى بنداشتم وبا نزديك وى ميروم

برصيصا مفارقت وى كراهيت داشت وبصحبت وى رغبتى تمام مى نمود

شيطان كفت مرانا جارست رفتن اما ترا دعايى آموزم كه بيمار ومبتلى

وديوانه كه بروى خوانى در وقت الله تعالى اورا شفادهد وترا اين به بشاد ازهزار عبادت كه كننى كه خلق خدا يرا ازتو نفع بودو راحت برصيصا كفت اين نه كار منست كه آنكه از وقت ورد خود بازمانم وسيرت وسريرت من در شغل مردم شود شيطان تا آنكه ميكوشيدكه آن دعا ويرا درآموخت واورا برسر آن خانه كفت ان بصاحبكم جنونا فأعالجه جون اوراديد كفت انى لا اقوى على جنه يعنى من باديواو برنيايم لكن شمارا رشاد كنم بكسى كه اورا دعا كند در وقت شفا يابد واو برصيصاى راهب است كه در صومعه نشيند اورا بروى بردند ودعا كرد وآن ديو ازوى باشد وصحت يافت بس اين شيطان برفت وزنى را از دختران ملوك بنى اسرآئيل رنجه وديوانه كرد وآن زن جمال باكمال داشت واورا سه برادر بودند شيطان بصورت طبيب بيش ايشان رفت وآن دخترا بوى نمودند كفت ان الذى عرض لها مارد لايطاق ولكن سأرشدكم الى من يدعو له يعنى بران راهب شويدكه دعا كند وشفايابد كفتند ترسيم كه فرمان مانبرد كفت صومعه سازيد درجنت صومعه وى وزن را دران صومعة بخاباید وباوى كوييد اين

امانت است بنزديك تونهاديم ومارفيتم ازبهر خدا واميد ثواب نظر ازوى

بازمكير ودعايي كن تاشفايابد ايشان همجنان كردند وراهب از صومعه

خود بزير آمد واورا ديد زنى بغايت جمال واز جمال وى درفتنه افتاد

شيطاناو را آن ساعت وسوسه كردكه واقعها ثم تب زيرا كه درتوبه كشاده

ورحمت خدا فراوانست راهب بفرمان شيطان كام خود ازوى برداشت وزن

بار كرفت راهب بشيمان كشت واز فضيحت ترسيد همان شيطان دردل

وى افكندكه اين زن را ببايد كشت وبنهان بايد كرد جون برادران آيند

كويم كه ديواورا ببرد وايشان مرا براست دراند واز فضيحت ايمن كردم

آنكه از زنا واز قتل توبه كنم برصيصا اورا كشت ودفن كرد جون برادران

آمدند وخواهر را نديدند كفت جاء شيطانها فذهب بهاولم اقو عليه ايشان

اورا راست داشتند وباز كستند شيطان آن برادر انرا بخواب نمودكه راهب

خواهر شما كشت ودر فلان جايكه دفن كرد سه شب ببابى ايشانرا جنين

خواب مى نمود تايشان رفتند وخواهر را كشته از خاك برداشتند برادران

اورا ازصومعه بزير آوردند وصومعه خراب كردند واورا بيش بادشاه وقت

بردند تا بفعل وكناه خود مقر آمد وبادشاه بفرمود تا اورا بردار كنند آن ساعت شيطان برا بروى آمد وكفت اين همه ساخته وآراسته منست اكر آنجه من فرمايم بجاى آرى ترا نجات وخلاص بديد آيد كفت هرجه فرمايي ترا اطاعت كنم كفت مراسجده بكن آن بدبخت اورا سجده كرد وكافر كشت واورا در كفر بردار كردند وشيطان آنكه كفت انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما يعنى الشيطان وبرصيصا العابد كان آخر امرهما انهما فى النار خالدين فيها وذلك جزآء الظالمين

خيالات نادان خلوت نشين ... بهم بركند عاقبت كفر ودين

كزودست بايد كزو برخورى ... نبايد كه فرمان دشمن برى

بى نيك مردان ببايد شتافت ... كه هركين سعادت طلب كردیافت

وليكن تو دنبال ديو خسى ... ندانم كه در صالحان كى رسى

والمراد من هذا الشيطان هو الشيطان الابيض الذى يأتى الصلحاء

فى صورة الحق (قال الكاشفى) آن بى سعادت بعد از عبادت هفتاد

سال بورطه شقاوت ابدى كرفتار كشت ، غافل مشوكه مركب مردان

مردرا ، درسنكلاخ وسوسه بيها بريد اند وفى زهرة الرياض غير الله الايمان

على برصيصا بعدما عبدالله مائتين وعشرين سنة لم يعص الله فيها طرفة

عين وكان ستون ألفا من تلامذته يمشون فى الهوآء ببركته وعبد الله حتى

تعجب الملائكة من عبادته قال الله تعالى لهم لماذا تتعجبون منه انى لاعلم

مالا تعلمون ففعلمى انه يكفر ويدخل انلار ابدا فسمع ابليس وعلم ان

هلاكه على يده فجاء الى صومعته على شبه عباد وقد لبس المسح فناداه

فقال له برصيصا من أنت وما تريد قال انا عابد اكون لك عونا على

عبادة الله ق لله برصيصا من أراد عبادة الله فالله يكفيه صاحبا فقام ابليس

يعبد الله ثلاثى ايام ولم يأكل ولم يشرب قال برصيصا انا افطر وانام وآكل

واشرب وأنت لاتأكل ثم قال انى عبدت الله مائتين وعشرين سنة فلا أقدر

على ترك الأكل والشرب قال ابليس انا اذنبت ذنبا فمتى ذكرته يتنغص

على النوم والأكل والشرب قال برصيصا ماحيلتى حتى اصير مثلك قال اذهب واعص الله ثم تب اليه فانه رحيم حتى تجد حلاوة الطاعة قال كيف اعصيه بعد عبادته كذا وكذا سنة قال ابليس الانسان اذا اذنب يحتاج الى المعذرة قال اى ذنب تشير به قال الزنى قال لا أفعله قال أن تقتل مؤمنا قال لا أفعله قال اشرب الخمر المسكر فانه اهون وخصمك الله قال اين أجده قال اذهب الى قرية كذا فذهب فرأى امرأة جميلة تبيع خمرا فاشترى منه الخمر وشربها وسكر وزنى بها فدخل عليهما زوجها فضربه وقتله ثم ان ابليس تمثل فى صورة الانسان وسعى به الى السلطان فأخذه وجلده للخمر ثمانين جلدة وللزنى مائة وامر بالصلب لاجل الدم فلما صلب جاء اليه ابليس فى تلك الصورة قال كيف ترى حالك قال من أطاع قرين السوء فجزآؤه هكذا قال ابليس كنت فى بلائك مائتين وعشرين سنة حتى صلبتك فلو أرد النزول انزلتك قال أريد واعطيك ماتريد قال اسجد لى مرة واحدة قال كيف اسجد على الخشب قال اسجد بالايماء فسجد وكفر فذلك قوله تعالى

{ كمثل الشيطان } الخ قال ابن عطية هذا اى كون المراد بالانسان برصيصا العابد ضعيف والتأويل الاول هو وجه الكلام وفى القصة تحذير عن فتنة النساء (روى) انه عليه السلام كان يصلى فى بيت ام سلمة رضى الله عنها فقام عمر بن ام سلمة ليمر بين يديه فأشار اليه ان قف فوقف ثم قامت زينب بنت ام سلمة لتمر بين يديه فأشار اليها أن قفى فأبت ومرت فلما فرغ من صلاته نظر اليها وقال (ناقصات العقل ناقصات الدين صواحب يوسف صواحب كرسف) يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام قال الخبازى فى حواشى الهداية قال مولانا حميد الدين رحمه الله كرسف اسم زاهد وقع فى الفتنة بسبب امراة وقال المطرزى فى المغرب كرسف رجل من زهاد بنى اسرآئيل كان يقوم الليل ويصوم النهار فكفر بسبب امرأة عشقها ثم تداركه الله بما سلف منه فتاب عليه هكذا فى الفردوس ومنه الحديث

(صاحبات يوسف صاحبات كرسف) انتهى.

قال ابن عباس رضى الله عنهما وكانت الرهبان فى بنى اسرائيل

لايمشون الا بالتقية والكتمان وطمع أهل الفجور والفسق فى الاخبار

فرموهم بالبهتان والقبيح حتى كان امر جريج الراهب فلما برأه الله مما رموه

به انبسطت بعدها الرهبان وظهروا للناس وفى الحديث (كان جريج رجلا

عابدا فاتخذ صومعة كان فيها فأتته امه وهو يصلى فقالت ياجريج فقال

أى بقلبه اى رب امى وصلاتى فاقبل على صلاته فانصرفت فلما كان

الغد أتته وهو يصلى فقالت ياجريج فقال اى رب امى وصلاتى فأقبل

على صلاته فانصرفت فلما كان الغد أتته فقالت ياجريج فقال اى رب

امى وصلاتى فأقبل على صلاته فقالت اللهم لاتمته حتى ينظر الى وجوه

المومسات فتذاكر بنوا اسرآئيل جريجا وعبادته وكانت امرأة بغى يتمثل

بحسنها فقالت اى شئتم لافتننه لكم قال اى النبى عليه السلام فتعرضت

له فلم يلتفت اليها فأتت راعيا كان يأوى الى صومعته فامكنته من نفسها

فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت هو من جريج فأتوه فاستنزلوه

وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه فقال ما شأنكم فقالوا زنيت بهذه البغى

فولدت منك فقال أين الصبي فجاؤا به فقال دعوني حتى أصلي فصلي

فلما انصرف أتى بالصبي فطعن في بطنه وقال ياغلام من أبوك فقال فلان

الراعي قال اى النبي عليه السلامفأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به

وقالوا له نبني لك صومعتك من ذهب قال لا اعيدوها من طين كما كانت

ففعلوا وبينا صبي يرضع من امه فمر رجل راكبا على دابة فارهة وهيئته

حسنة فقالت امه اللهم اجعل ابني مثل هذا فترك الثدى واقبل عليه فنظر

اليه فقال اللهم لاتجعلني مثله ثم اقبل على ثديه فجعل يرتضع قال اى

الراوى وهو أبو هريرة رضى الله عنه فكأني انظر الى رسول الله عليه السلام

وهو يحكى ارتضاعه بأصابعه السبابة في فمه فجعل يمصها قال اى النبي

عليه السلام ومر بجارية وهم يضربونها ويقولون زنيت سرقت وهى تقول

حسبي الله ونعم الوكيل فقالت امه اللهم لاتجعل ابني مثملها فترك الرضاع

ونظر اليها فقال اللهم اجعلني مثلها فهناك تراجعا الحديث فقالت امه قد

مر رجل حسن الهيئة فقلت اللهم اجعل ابني مثله فقلت اللهم لاتجعلني

مثله ومروا بهذه الامة وهم يضربونها ويقولون زنيت وسرقت فقلت اللهم

لاتجعل ابنى مثلها فقلت اللهم اجعلنى مثلها قال اى الرضيع ان ذلك الرجل كان جبرا فقلت اللهم لاتجعلنى مثله وان هذه يقولون لها زنيت سرقت ولم تزن ولم تسرق فقلت اللهم اجعلنى مثلها) انتهى الحديث

وفيه اشارة الى انه ينبغى للمؤمن أن لايمد عينيه الى زخارف الدنيا ولا يدعو الله فيما لايدرى اهو خير له امر شر بل ينبغى له أن يطلب منه البرءآة من السوء وخير الدارين كما قال تعالى { ربنا آتنا فى الدينا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار } نسأل الله سبحانه العفو والعافية مطلقا

١٨

{ يا أيها الذين آمنوا } ايمانا خالصا

{ اتقوا الله } فى كل ما تأتون وما تذرون فتحرزوا عن العصيان بالطاعة وتجنبوا عن الكفران بالشكر وتوقوا عن النسيان بالذكر واحذروا عن الاحتجاب عنه بأفعالكم وصفاتكم بشهود افعاله وصفاته

{ ولتنظر نفس ماقدمت لغد } ما شرطية اى اى شيء قدمت

من الاعمال ليوم القيامة ، تا ارك تقديم خيرات وطاعت كند شكر كزارى

نمايد ودرزيادتى آن كوشد واكر معاصى فرستاده توبه كندو بشيمان شوده

عنبر عن يوم القيامة بالغد لدنوه لان كل آت قريب بعنى سماه باليوم الذى

يلى يومك تقريبا له وعن الحسن رحمه الله لم يزل بقربه حتى جعله كالغد

ونحوه قوله تعالى

{ كأن لم تغن بالأمس } يريد تقريب الزمان الماضى او عبر عنه

به لان الدنيا اى زمانها كيوم والآخر كغده لاختصاص كل منهما بأحوال

واحكام متشابهة وتعقيب الثانى الاول فقوله لغد استعارة يقول الفقير انما

كانت الآخرة كالغد لان الناس فى الدنيا نيام ولا انتباه الا عند الموت

الذى هو مقدمة القيامة كما ورد به الخبر فكل من الموت والقيامة كالصباح

بالنسبة الى الغافل كما ان الغد صباح بالنسبة الى النائم فى الليل ودل هذا

على ان الدنيا ظلمانية والاخرة نوارنية وتنكيره لتفخيمه وتهويله

كأنه قيل لغد لايعرف كنهه لغاية عظمه واصله غدو حذفوا الواو بلا عوض واستشهد عليه بقول البيد

وما الناس الا كالديار واهلها ... بها يوم حلوها وغدوا بلاقع

اذ جاء به على اصله والبيت من ابيات العبرة

واما تنكير نفس فلاستقلال الانفس النواظر فيما قمن لذلك اليوم الهائل كأنه قيل ولتنظر نفس واحدة فى ذلك

قال بعضهم الاستقلال يكون بمعنى عد الشيء قليلا وبمعنى الانفراد فى الامر فعلى الاول يكون المراد استقلال الله النفوس الناطقة كما قال تعالى

{ لكن اكثر الناس لايعملون } { ولكن اكثرهم يجلهون } فكأنه اقيم الأكثر مقام الكل مبالغة فأمر على الوحدة فلا يضره وجود النفس الكاملة العاقلة الناظرة الى العواقب بالنظر الصائب والرأى الثاقب وعلى الثانى يكون المراد انفراد النفوس فى النظر واكتفاءها فيه بدون

انضمام نظر الاخرى فى الاطلاع على ماقدمت خيرا او شرا قليلا او كثيرا وجودا او عدما وفيه حث عظيم

جهل من وعلم توفلك راجه تفاوت ... آنجاكه بصر نيست جه خوبى وجه زشتى

{ واتقوا الله } تكرير للتأكيد والاهتمام فى شأن التقوى واشارة الى ان اللائق بالعبد أن يكون كل امره مسبوقا بالتقوى ومختوما بها او الاول فى اداء الواجبات كما يشعر به مابعده من الامر بالعمل الثانى فى ترك المحارم كما يؤذن به الوعيد بقوله سبحانه

{ ان الله خبير بما تعملون } اى عالم بما تعملونه من المعاصى فيجزيكم يوم الجزآء عليها ، ودر كشف الاسرار فرمه ده كه اول اشارتست باصل تقوى ودوم بكمال آن يا اول تقواى عوامست وآن برهيز كرده باشد از محرمات وسوم تقواى خواص وآن اجتناب بود از هرجه مادون حقست

اصل تقوى كه زاد اين راهست ... ترك مجموع ماسوى اللهست

والتقوى هو التجنب عن كل مايؤثم من فعل او ترك وقال بعض البكار التقوى وقاية النفس فى الدنيا عن ترتب الضرر فى الآخرة فتقوى العامة عن ضرر الافعال وتقوى الخاصة عن ضرر الصفات وتقوى اخص الخواص عن جميع ماسوى الله تعالى ، عزيزى كفته است كه دنيا سفالى است وآن نيز درخواب وآخرت نيز جوهرى است يافته دربيدارى مردنه آنست كه درسفال بخواب ديده متقى شود مرد مردان آنست كه دركوهر دربيدارى يافته متقى شود فلابد من التقوى مع وجود العمل (قال الصائب)

بى عمل دامن تقى زمناهى جبدن ... احتراز سك مسلخ بود از شاشه خويش

وفى الآية ترغيب فى الاعمال الصالحة وفى الأثر (ان ابن آدم اذا مات قالت الناس ما خلف وقالت الملائكة ماقدم) وعن مالك بن دينار

رحمه الله مكتوب على باب الجنة وجدنا ماعلمنا ربحنا ماقدمنا خسرنا ماخلفنا

بقدر الكد تكتسب المعالى ... ومن الطلب العلى سهر الليالى

(وحكى) عن مالك بن دينار رحمه الله ايضا انه قال دخلت جبانة البصرة فاذا انا بسعدون المجنون فقلت له كيف حالك وكيف أنت فقال يا مالك كيف حال من أصبح وأمسى يريد سفرا بعيدا بلا اهبة ولا زاد ويقدم على رب عدل حاكم بين العباد ثم بكى بكاء شديدا فقلت مايبكيك قال والله مابيكت حرصا على الدنيا ولا جزعا من الموت والبلى لكن بكيت ليوم مضى من عمرى ولم يحسن فيه عملى ابكانى والله قلة الزاد وبعد المسافة والعقبة الكؤود ولا أدرى بعد ذلك اصير الى الجنة ام الى النار فقلت ان الناس يزعمون انك مجنون فقال وأنت أغتررت بما اغتبر به بنوا الدنيا زعم الناس انى مجنون ومابى جنة لكن حب مولاى قد خالط قلبى وجرى بين لحمى ودمى فأنا من حبه هائم مشغوف فقلت ياسعدون فلم تجالس الناس ولاتخالطهم فأنشد

كن من الناس جانبا ... وارض بالله صاحبا

قلب الناس كيف ... شئبت تجدهم عقاربا

وفى التأويلات النجمية يايها الذى آمنوا بالايمان الحقيقى الشهودى الوجودى اجعلوا الله وقاية نفوسكم فى اضافة الكمالات اليه ولتنظر نفس كاملة عارفة بذات الله وصفاته ما هيأت لغد يوم الشهود واتقوا الله عن الالتفات الى غيره ان الله خبير بما تعملون من الاقبال على الله والادبار عن الدنيا ومن الادبار عن الله والاقبال على الدنيا انتهى ويدخل فى قوله نفس النفوس الجنية لانهم من المكلفين فلهم من التقوى والعمل ما للانس كما عرف فى مواضع كثيرة

١٩

{ ولاتكونوا } أيها المؤمنون

{ كالذين } اى كاليهود والمنافقين فالمراد بالموصول المعهودين بمعونة المقام او الجنس كائنا من كان من الكفار امواتا او احياء

{ نسوا الله } فيه حذف المضاف اى نسوا حقوقه تعالى ما قدروه حق قدره ولم يراعوا مواجب اموره ونواهيه حق رعايتها

{ فأنساهم } بسبب ذلك

{ أنفسهم } اى جعلهم ناسين لها فلم يسمعوا ماينفعها ولم يفعلوا مايخلصها فالمضى على اصله او أراهم يوم القيامة من الاهوال ماأنساهم أنفسهم فالمضى باعتبار التحقق قال الراغب النسيان ترك الانسان ضبط ما استودع اما لضعف قلبه وما عن غفلة او عن قصد حتى ينحذف عن القلب ذكره وكل نسيان من الانسان ذمه الله به فهو ماكان اصله من تعمد وماعذر فيه نحو ماروى عن النبى عليه السلام رفع عن امتى الخطأ والنيسان فهو مالم يكن سببه منه فقوله

{ فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا } هو ما كان سببه عن تعمد منهم وتركه على طريق الاهانة واذا نسب ذلك الى الله فهو تركه اياهم استهانة بهم ومجازاة لما تركوه كما قال فى اللباب قد يطلق النسيان على

الترك ومنه نسو الله فنسهم اى تركوا طاعة الهل ترك الناسى فتركهم الله

وقال بعض المفسرين ان قيل النسيان يكن بعد الذكر وهو ضد الذكر لانه

السهو الحاصل بعد حصول العلم فهل كان الكفار يذكرون حق الله

ويعترفون بربويته حتى ينسوا بعد أجيب بأنهم اعترفوا وقالو بلى يوم الميثاق

ثم نسوا ذلك بعدما خلقوا والمؤمنون اعترفوا بها بعد الخلق كما اعترفوا قبله

بهداية الله وراعوا حقها قل او كثر جل او صغر (سئل ذو النون المصرى

قدس سره) عن سر ميثاق ألست بربكم هل تذكرة فقال كأنه الآن فى

اذنى ، ودرنفخات مذكورست كه على سهل اصفهانى راكتند كه روز بلى

راياد دارى كفت جون ندارم كويي دى بود شيخ الاسلام خواجه انصارى

فرمودكه درين سخن نقص است صوفى رادى وفردا جه بود آن روز را

هنوز شب درنيامده وصوفى درهمان روزست ، ويدل عليه قوله الآن انه

على ماكان عليه ثم ان قوله تعالى

{ ولا تكونوا } الخ تنبيه على ان الانسان بمعرفته لنفسه يعرف الله

فنسيانه هو من نسيانه لنفسه كما قال فى فتح الرحمن لفظ هذه الآية يدل

على انه من عرف نفسه ولم ينسها عرف ربه وقد قال على رضى الله عنه اعرف نفسك تعرف ربك وقال سهل رحمه الله نسوا الله عند الذنوب فأنساهم الله أنفسهم عند الاعتذار وطلب التوبة ومن لطائف العرفى

مالب آلوده بهر توبه بكشاييم ليك ... بانك عصيان ميزند ناقوس استغفار ما

{ اولئك } الناسون المخذولون بالانساء

{ هم الفاسقون } الكاملون فى الفسوق والخروج عن طريق الطاعة وهم للحصر فأفاد ان فسقهم كان بحيث ان فسق الغير كأنه ليس بفسق بالنسبة اليه فالمراد هنا الكافرون لكن على المؤمن الغافل عن رعاية حق ربوبية الله ومراعاة حظ نفسه من السعادة الابدية والقربة من الحضرة الاحدية خوف شديد وخطر عظيم وفيه اشارة الى ان الذين نسوا الله هم الخارجون عن شهود الحق فى جميع المظاهر الجمالية والجلالية وحضوره الداخلقون فى مقام شهود أنفسهم فمن اشتغل بقضاء حظوظ نفسه بقى

مع تجليات ربه مع الله كان من الغافلين عن اللذات الحقيقية ومن فنى عن

شهوات نفسه بقى مع تجليات ربه

٢٠

{ لايستوى اصحاب النار } الذين نسوا الهل فاستحقوا الخلود

فى النار والنار باللام من اعلام جهنم كالساعة للقيامة ولذا كثير ما تذكر

فى مقابلة الجنة كما فى هذا المقام وجاء فى الشعر

الجنة الدار فالعم ان عملت بما ... يرضى الاله وان فرطت فالنار

هما محلان ماللناس غير هما ... فانظر لنفسك ماذا أنت تختار

والصيحة فى الاصل اقران الشيء بالشيء فى زمان ما قبل او كثر

وبذلك يكون كل منهما صاحب الآخر وان كانت على المداومة والملازمة

يكون كمال الصحبة ويكون الصاحب المصاحب عرفا وقد يطلق على

الطرفين حينئذ صابح ومصاحب ايضا ومن ذلك يكنى عن زوجة بالصاحبة

وقد يقال للمالك لكثرة صحبته بمملوكه كماقيل له الرب لوقوع تربية المالك

على مملوكه فيقال صاحب المال كما يقال رب المال فاطلاق اصحاب النار

واصحاب الجنة على أهلهما اما باعتبار الصحبة الابدية والاقتران الدآئم

حتى لايقال للعصاة المعذبين بالنار مقدار ماشاء الله اصحاب

النار او باعتبار الملك مبالغة ورمزا الى انها جزآء لاهلهما باعتبار كسبهما

بأعمالهم الحسنة او السيئة

{ واصحاب الجنة } الذين اتقوا الله فاستحقوا الخلود فى الجنة قال

فى الارشاد لعل تقديم اصحاب النار فى الذكر للايذان من اول الامر بأن

القصور الذى ينبيء عنه عدم الاستوآء من جهتهم لامن جهة مقابليهم

فان مفهوم عدم الاستوآء بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا وان جاز

اعتباره بحب زيادة الزآئد لكن المتبادر اعتباره بحسب نقصان الناقص

وعليه قوله تعالى

{ هل يستوى الاعمى والبصير ام هل تستوى الظلمات والنور

} الى غير ذلك من المواضع

واما قوله تعالى

{ هل يتسوى الذين يعلمون والذين لايعلمون } فلعل تقديم الفاضل فيه لان صلته ملكة والاعدام مسبوقة بملكاتها وقال بعضهم قدم اصحاب النار لذكر الذين نسوا الله قبله ولكثرة اهلها ولان او طاعة اكثر الناس بالخوف ثم بالرجاء ثم بالمحبة فى البعض ولا دلالة فى الآية الكريمة على ان المسلم لايقتص بالكافر وان الكفار لايملكون أموال المسلمين بالقهر كما هو مذهب الشافعى لان المراد عدم الاستوآء فى الاحوال الاخروية كما ينبىء عنه التفسير من الفريقين بصاحبية النار وصاحبية الجنة وكذا قوله تعالى

{ اصحاب الجنة هم الفائزون } فانه استئناف مبين لكيفية عدم الاستوآء بين الفريقين فالفوز الظفر مع حصول السلامة اى هم الفائزون بكل مطلوب الناجون من كل مكروه فهم اهل الكرامة فى الدارين واصحاب النار أهل الهوان فيهما وفيه تنبيه للناس بأنهم لفرط غفلتهم ومحبتهم العاجلة اتباع الشهوات كأنهم لايعرفون الفرق بين الجنة والنار وبين

اصحابهما حتى احتاجوا الى الاخبار بعدم الاستوآء كما تقول لمن يعق أباه

هو أبوك تجعله بمنزلة من لايعرفه فتنبه بذلك على حق الابوة الذى يقتضى

البر والتعطف فكذا نبه الله تعالى الناس بتذكير سوء حال أهل النار وحسن

حال أهل الجنة على الاعتبار والاحتراز عن الغفلة ورفع الرأس عن المعاصى

والتحاشى من عدم المبالاة قال عليه السلام

{ ان أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر الى جنانه وازواجه ونعيمه

وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة واكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة

وعشية } ثم قرأ

{ وجوده يومئذ ناضرة الى ربها ناضرة } وقال عليه السلام (ان

أهون اهل النار عذابا من له نعلان وشراكان من نار يغلى منهما دماغه

كما يغلى المرجل مايرى ان احدا أشد منه عذابا) وروى الشيخ الحجازى

ليلة يردد قوله تعالى

{ وجنة عرضها السموات والارض } ويبكى فقيل له قد ابكتك

آية ماييكى عند مثلها فقال فما ينفعنى عرضها اذا لم يكن لى فيها موضع

قدم وخرج على سهلالصعلوكى من مسخن حمام يهودى فى طمر أسود

من دخانه فقال ألستم ترون الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر

فقال سهل على البداهة اذا صرت الى عذاب الله كانت هذه جنتك واذا

صرت الى نعيم الله كانت هذه سجنى فتعجبوا من كلامه (قال الشيخ

سعدى)

جومارا بدنياتو كردى عزيز ... بعقبى همان جشم داريم نيز

عزيزى وخوارى توبخشى وبس ... عزيز توخوارى نه بيند زكس

خدايا بعزت كه خوارم مكن ... بذل كنه شرمسارم مكن

قال بعض اهل الاشارة اصحاب النار فى الحقيقة اصحاب

المجاهدات الذين احترقوا بنيرانها وأصحاب الجنة أصحاب المواصلات الذين

وقعوا فى روح المشاهدات وفى الظاهر أصحاب النار أصحاب النفوس

والاهوآء الذين أقبلوا على الدنيا وأصحاب الجن اصحاب القلوب والمراقبات قال الحسين النورى قدس سره اصحاب النار اصحاب الرسوم والعادات وأصحاب الجنة أصحاب الحقائق والمشاهدات والمعاينات

٢١

{ لو أنزلنا هذا القرءآن } العظيم الشأن المنزل عليكم ايها الناس المنطوى على فنون القوارع او المنزل عليك يا محمد او على محمد بحسب الالتفات فى الخطاب قالابن عباس رضى الله عنهما ان السماء اطت يعنى آو ازداد من ثقل الالواح لما وضعها الله عليها فى وقت موسى فبعث الله لكل حرف منها ملكا فلم يطيقوا حلمها فخففها على موسى وكذلك الانجيل على عيسى والفرقان على محمد عليهم السلام ثم انه لايلزم فى الاشارة وجود جملة المشار اليه ذى الابعاض المترتبة وجودا بل يكفى وجود بعض الاشارة حقيقة ووجود بعض آخر حكما ويحتمل أن يكون المشار اليه هنا الآية السابقة من قوله تعالى

{ يا أيها الذين آمنوا } الخ فان لفظ القرءآن كما يطلق على المجموع يطلق على البعض منه حقيقة بالاشتراك او باللغة او مجازا بالعلاقة فيكون التذكير باعتبار تذكير المشار اليه

{ على جبل } من الجبال وهى ستى آلاف وستمائمة وثلاثة وسبعون جبلا سوى التلول كما فى زهرة الرياض وهى محركة كل وتد للارض عظم وطال فان انفرد فأكمه وقنة بضم القاف و اعتبر معانية فاستعير واشتق منه بحسبه فقيل فلان جبل لايتد حرج تصور المعنى الثابت وجبله ا لله على كذا اشارة الى ماركب فيه من الطبع الذى يأبى على الناقل نقله

{ لرأيته } يامن من شأنه الرؤية اويا محمد مع كونه علما فى القسوة وعدم التأثر مما يصدمه

{ خاشعا } خاضعا ذليلا وهو حال من الضمير المنصوب فى قوله

{ لرأيته } لانه من الرؤية البصرية

قال بعضهم الخشوع انقياد الباطن للحق والخضوع انقياد الظاهر له وقال بعضهم الخضوع فى البدن والخشوع فى الصوت والبصر قال الراغب الخشوع ضراعة واكثر مايستعمل فميا يوجد فى الجوارح والضراعة اكثر ماتستعمل فيما يوجد فى القلب ولذلك قيل فيما روى اذا ضرع القلب خشعت الجوارح

{ متصدعا من خشية الله } اى متشققا منها أن يعصيه فيعاقبه والصدع شق فى الاجسام الصلبة كالزجاج والحديد ونحوهما ومنه استعير الصداع وهو الانشقاق فى الرأس من الوجع قال العلماء هذا بيان وتصوير لعلو شأن القرءآن وقوة تأثير مافيه من المواعظ أريد به توبيخ الانسان على قسوة قلبه وعدم تخشعه عند تلاوته وقلة تدبره فيهوالمعنى لو ركب فى الجبل عقبل وشعور كما ركب فيكم أيها الناس ثم أنزل عليه القرءآن ووعد وأوعد حسب حالكم لخشع وخضع وتصدع من خشية الله حذرا من ان لايؤدى حق الله تعالى فى تعظيم القرءآن والامتثال لما فيه من امره ونهيه والكافر المنكر اقسى منه ولذا لا يتأثر اصلا (مصراع) اى دل سنكين تويك ذره

سوهان كيرنيست ، وهو كما تقول لمن تعظه ولا ينجع فيه وعظك لو كلمت هذا الحجر لأثر فيه ونظيره قول الامام مالك للشافعى لو رأسيت أبا حنيفة رأيت رجلا لو كلمك فى هذه السارية ان يجعلها ذهبا لقامت حجته

دلرا اثر روى توكل بوش كند ... جانرا سخن خوب تو مدهوش كند

آتش كه شراب وصل تونوش كند ... از لطف تو سوختن فراموش كند

يقول الفقير فيه ذهول عن ان الله تعالى خلق الاشياء كلها ذات حياة وادراك فى الحقيقة والا لما اندك الجبل عند التجلى وملا شهد للمؤذن كل رطب ويابس سمع صوته ونحو ذلك وقد كاشف عن هذه الحياة اهل الله وغفل عنها المحجوبون على ما حقيق مرارا نعم فرق بين الجبل عند

التجلى وعندما أنزل عليه القرءآن وبينه عند الاستتار وعدم الانزال فان اثر الحياة فى الصورة الاولى محسوس مشاهد للعامة والخاصة

واما فى الصورة الثانية فمحسوس للخاصة فقط فاعرف

{ وتلك الامثال } اشارة الى هذا المثل والى امثاله فى مواضع من التنزيل اى هذا القول الغريب فى عظمة القرءآن ودناءة حال الانسان وبيان صفتهما العجيبة وسائر الامثال الواقعة فى القرءآن فان لفظ المثل حقيقة عرفية فى القول السائر ثم يستعار لكل امر غريب وصفة عجيبة الشان تشبيها له بالقول السائر فى الغرابة لانه لايخلو عن غرابة

{ نضربها للناس } بيان ميكنيم مرانسانرا قد جاء فى سورة الزمر ولقد ضربنا للناس فى هذا القرءآن من كل مثال بالاخبار على المضى مع انها مكية وقال هنا نضربها بالاستقبال مع ان السورة مدنية فلعل الاول من قبيل عدما سيحقق مما حقق لتحققه بلا خلاف والثانى من قبيل التعبير

عن الماضى بالمضارع لاحضار الحال اولارادة الاستمرار على الاحوال بمعنى ان شأننا ان نضرب الامثال للناس

{ لعلهم يتفكرون } اى لمصلحة التفكر ومنفعة التذكر ، يعني شايد كه انديشه كنند دران وبهره بردارند ازان بايمان ، ولا يقتضى كون الفعل معللا بالحكمة والمصلحة ان يكون معللا بالغرض حتى تكون افعاله تعالى معلة بالاغراض اذا الغرض من الاحتياج والحكمة اللطف بالمحتاج وعن بعض العلماء انه قال من عجز عن ثمانية فعليه بثمانية اخرى لينال فضلها من أراد فضل صلاة الليل وهو نائم فلا يعص بالنهار ومن أراد فضل صيام التطوع وهو مفطر فليحفظ لسانه عما لايعنيه ومن أراد فضل العلماء فعليه بالتفكر ومن أراد فضل المجاهدين والغزاة وهو قاعد فى بيته فليجاهد الشيطان ومن أراد فضل الصدقة وهو عاجز فليعلم الناس ماسمع من العلم ومن أراد فضل الحج وهو عاجز فليتزم الجمعة ومن اراد فضل العابدين فليصلح بين الناس ولا يوقع العداوة ومن أراد فضل الابدال فليضع يده على صدره ويرضى لاخيه مايرضى لنفسه قالعليه السلام (

اعطوأ اعينكم حظها من العبادة) قالوا ماحظها من العبادة يارسول الله قال

(النظر فى المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه) (وفى المثنوى)

خوش بيان كرد آن حكيم غزنوى ... بهر محجوبان مثال معنوى

كه ز قرآن كرنه بيند غير قال ... اين عجب نبودزاصحاب ضلال

كز شعاع آفتاب برز نور ... غير كرمى مى نيابد جشم كور

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ركعتان مقتصدتان فى تفكر خير من قيام اليلة بلا قلب وعن الحسن البصرى رحمه الله من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو ومن لم يكن سكوته تفكرا فهو سهو ومن لم يكن نظره عبرة فهو لهو وعن أبى سليمان رحمه الله الفكرة فى الدنيا حجاب عن الآخرة وعقوبة لاهل الولاية والفكرة فى الآخرة تورث الحكمة وتحيي القلب وكثيرا ماينشد سفيان بن عيينة ويقول

اذا المرء كانت له فكرة ... ففى كل شىء له عبرة

والتفكر اما أن يكون فى الخالق او الخلق والاول اما فى ذاته او فى صفاته او فى افعاله اما فى ذاته فممنوع لانه لايعرف الله الا الله الا أن يكون التفكر فى ذاته باعتبار عظمته وجلاله وكبريائه من حيث وجوب الوجود ودوام البقاء وامتناع الامكان والفناء والصمدية التى هى الاستغناء عن الكل

واما فى صفاته فهو فيها باعتبار كمالها بحيث يحيط علمه بجميع المعلومات وقدرته بجميع الاشياء وارادته بجميع الكائنات وسمعه بجميع المسموعات وبصره بجميع المبصرات ونحو ذلك

واما فى افعاله فهو فيها بحسب شمولها وكثرتها ومتانتها ووقوعها على الوجه الاتم كل يوم هو فى شأن والثانى اما أن يكون فيما كان من العلويات والسفليات اوفيما سيكون من اهوال القيامة واحوال الآخرة الى الآباد قال بعض العارفين الفكر اما فى آيات الله وصنائعه فيتولد منه المعرفة

واما فى عظمة الله وقدرته فيتولد منه الحياة

واما فى نعم الله ومنته فيتولد منه المحبة

واما فى وعد الله بالثواب فيتولد منه الرغبة فى الطاعة وما فى وعيد الله بالعقاب فيتولد منه الرهبة من المعصية

واما فى تفريط العبد فى جنب الله فيتولد منه الحياء والندامة والتوبة

ومن مهمات التفكر أن يتفكر المتفكر فى امر نفسه من مبدأه ومعاشه ومن اطاعته لربه ببدنه ولسانه وفؤاده ولو صرف عمره فى فكر نفسه نظرا الى اول أمره واوسطه وآخره لما اتم وفى الآية اشارة الى ان الله لو تجلى بصورة القرءآن الجمعى المشتمل على حروف الموجودات العلوية وكلمات المخلوقات السفلية على جبل الوجود الانسانى لتلاشى من سطوة التجلى والى ان العارف ينبغى أن يذوب تحت الخطاب الالهى من شدة التأثير والى ان هذه الامة حملوا بهمتهم مالم تحمله الجبال بقوتها كما قال تعالى { فأبين أن يحلمنها وأشقفن منها وحملها الانسان }

{ هو الله الذى لا اله الا هو } هو فى اصل وضعه كناية عن
المفرد المذكر الغائب وهى كناية عن المفردة المؤنثة الغائبة وكثيرا مايكنى به
عمن لايتصور فيه الذكورة والانوثة كما هو ههنا فانه راجع الى الله تعالى
للعلم به ولك أن تقول هو موضوع لمفرد ليس فيه تأنيث حقيقة وحكما
وهر لمفرد يكون فيه ذلك وهو مبتدأ خبره لفظة اللّهبمعنى هو المعبود بالحق
المسمى بهذا الاسم الاعظم الدال على جلال الذات وكمال الصفات فلا
يلزم أن يتحد المبتدأ والخبر بأن يكون التقدير الله الله اذ لا فائدة فيه او الله
بدل من هو والموصول مع صلته خبر المبتدأ او هو اشارة الى الشان والله
مبتدأ والذى لا اله الا هو خبره والجملة خبر ضمير الشان ولا فى كلمة
التوحيد لنفى فراد الجنس على الشمول والاستغراق واله مبنى على الفتح
بها مرفوع المحل على الابتدآء والمراد به جنس المعبود بالحق لا مطلق جنس
المعبود حقا او باطلا والا فلا يصح فى نفسه لتعدد الآلهة الباطلة ولا يفيد
التوحيد الحق والا هو مرفوع على البدلية من محل المنفى او من ضمير الخبر

المقدر للا والخبر قد يقدر موجود فيتوهم ان التوحيد يكون باعتبار الوجود
لا الامكان فان نفى وجود اله غير الله لايستلزم نفى امكانه وقد يقدر
ممكن فيتوهم ان اثبات الامكان لايقتضى الوقوع فكم من شيء ممكن لم
يقع وقد يقدر لنا فيتوهم انه لابد من مقدر فيعود الكلام والجواب انه اذا
كان المراد بالاله المعبود بالحق كما ذكر فهو لايكون الا ربع العالمين
مستحقا لعبادة المكلفين فاذا نفيت الالوهية على هذاالمعنى عن غيره تعالى
واثبتت له سبحانه يندفع التوهم على التقدير كلها ان قيل ان أراد القائل
لا اله الا الله شمول النفى له تعالى ولغيره فهو مشكل نعوذ بالله مع ان
الاستثناء يكون كاذبا وان أراد شموله لغيره فقط فلا حاجة الى الاستثناء
أجيب بأن مراده فى قلبه هو الثانى الا انه يرى التعميم ظاهرا فى اول الامر
ليكون الاثبات بالاستثناء آكد فى آخر الامر فالمعنى لا اله غيره وهذا حال
الاستثناء مطلقا قال الشيخ أبو القاسم هذا القول وان كان ابتدآؤه النفى
لكن المراد به الاثبات ونهاية التحقيق فان قول القائل لا اخ لى سواك ولا
معين لى غيرك آكد من قوله أنت أخى ومعينى كل من لا اله الا الله ولا

اله الا هو كلمة توحيد لو روده فى القرءآن بخلاف لا اله الا الرحمن فانه ليس بتوحيد مع ان اطلاق الرحمن على غيره تعالى غير جائز واطلاق هو جائز نعم ان الاولى كونه توحيدا الا انه لم يشتهر به التوحيد اصالة بخلافهما.

اعلم ان هو من اسماء الذات عند اهل المعرفة لانه بانفراده عن انضمام لفظ آخر اشارة الى الله مستجمع لجميع الصفات المدلول عليها بالاسماء الحسنى فهو جملة الاذكار عند الابرار قال الامام القشيرى رحمه الله هو للاشارة وهو عند هذه الطائفة اخبار عن نهاية التحقيق فاذا قلت هو لايسبق الى قلوبهم غيره تعالى فيكتفون به عن كل بيان يتلوه لاستهلاكهم فى حقائق القرب واستيلاء ذكر الحق على اسرارهم وقال الامام الفاضل محمد بن أبو بكر الرازى رحمه الله فى شرح الاسماء الحسنى ، اعلم ان هذا الاسم عند اهل الظاهر مبتدأ يحتاج الى خبر ليتم الكلام وعند اهل الطريق لايحتاج بل هو مفيد وكلام تام بدون شيء آخر يتصل به او يضم له لاستهلاكهم فى حقائق القرب واستيلاء ذكر الحق على

اسرارهم وقال الشيخ العارف احمد الغزالى آخو الامام محمد الغزالى رحمه
الله كاشف القلوب بقوله لا اله الا الله وكاشف الارواح بقو ل الله وكاشف
الاسرار بقول هو هو لا الا الله قوت القلوب والله قوت الارواح وهو قوت
الاسرار فلا اله الا الله مغناطيس القلوب والله مغناطيس الارواح وهو
مغناطيس الاسرار والقلب والروح والسر بمنزلة درة فى صدفة فى حقة فانظر
انه رحمه الله فى اى درجة وضع هو عن بعض المشايخ رأيت بعض الواهين
فقلت له ما اسمك فقال هو قلت من أنت قال هو قلت من أين تجيىء
قال هو قلت من تعنى بقولك هو قال هو فما سألته عن شىء الا قال
هو فقلت لعلك تريد الله فصاح وخرجت روحه فكن من الذاكرين بهو ولا
تلتفت الى المخالفين فانهم من اهل لاهوآء ولكل من العقل والنفس والقلب
والروح معنيان اما العقل فيطلق على قوة دراكة توجد فى الانسان بها يدرك
مدركاته وعلى لطيفة ربانية هى حقيقة الانسان المستخدمة للبدن فى الامور
الدنيوية والاخروية وهى العالم والعارف والعاقل وهى الجاهل والقاصر
والغافل الى غير ذلك وكذا النفس تطلق على صفة كائنه فى الانسان جامعة

للاخلاق المذمومة داعية الى الشهوات باعثة على الاهوآء والآفات وتطلق على تلك اللطيفة المذكورة كما قال بعض الافاضل

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته ... وتطلب الربح مما فيه خسران

عليك بالنفس فاستكمل فضائلها ... فأنت بالنفس لا بالجسم انسان

وكذا القلب يطلق على قطعة لحم صنوبرية تكون فى جوف الانسان وعلى تلك اللطيفة وكذا الروح يطلق على جسم لطيف وعلى اللطيفة الربانية المذكورة فكل من الالفاظ الأربعة يطلق على نفس الانسان الذى هو المتكلم والمخاطب والمثاب والمعاقب بالاصالة وتبيعتها يقع الثواب والعقاب للجسد الذى هو القفص لها فالتغاير على هذا اعتبارى فان النفس نفس باعتبار انها نفس الشىء وذاته وعقل باعتبار ادراكها وقلب باعتبار انقلابها من شىء الى شىء وروح باعتبار استراحتها بما يلائمها وتستلذ به وعلى المعانى الأخر لهن حقيقى ثم ان النفس اما أن تكون تابعة

للهوى فهى الامارة لمبالغة أمرها للاعضاء بالسيئات فذكر دآئرة النفس لا اله الا الله

واما أن يهب الله له الانصاف والندامة على تقصيراتها والميل الى التدارك لما فات من المهمات فهى اللوامة للومها صاحبها بل نفسها على سوء عملها فذكر هذه الدآئرة الله الله ويقال لها دئرة القلب لانقلابها الى جانب الحق

واما أن تطمئن الى الحق وتستقر فى الطاعة وتتلذذ بالعبادة فهى المطمئنة لاطمئنانها تحت أمر الله بحب الله ويقال لهذه الدائرة دآئرة الروح لاستراحتها بعبادة الله وذكره وتلذذها بشكره وذكر هذ الدآئرة هو هو

واما ماقال بعض الكبار من ان الذكر بلا اله الا الله أفضل من الذكر بكلمة الله الله وهو هو من حيث انها جامعة بين النفى والاثبات ومحتوية على زيادة العلم والمعرفة فبالنسبة الى حال المبتدى فكلمة التوحيد تظهر مرءآة النفس بنارها فتوصل السالك الى دآئرة القلب وكلمة الله تنور

القلب بنورها فتوصل الى دائرة الروح وكلمة هو تجلى الروح فتوصل من شاء الله الى دآئرة السر والسر لفظ استأثره المشايخ للحقيقة التى هى ثمرة الطريقة التى هى خلاصة الشريعة التى هى لازمة القبول لكل مؤمن اما أخذا مما روى عن النبي عليه السلام انه قال حكاية عن الله

(بيني وبين عبدى سر لايسعه ملك مقرب ولا نبي مرسل)

واما لكونه مستورا عن اكثر الناس ليس من لوازم الشريعة والطريقة ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم يشهد الله اينما يبد واه لا اله الا هو

هست هر ذره بو خدت خويش ... بيش عارف كواه وحدت او

باك كن جامى از غبار دويي ... لو خاطر كه حق يكيست نه دو

{ عالم الغيب والشهادة } اللام للاستغراق فيعلم كل غيب وكل شهادة اى ماغاب عن الحسن من الجواهر القدسية واحوالها وما حضر له

من الاجرام واعراضها ومن المعدوم والموجود فالمراد بالغيب حينئذ ماغاب عن الوجود ومن السر والعلانية ومن الآخرة والاولى ونحو ذلك قال الراغب ماغاب عن حواس الناس وبصائرهم وما شهدوه بهما والمعلومات او معدومات يمتنع وجودها او معدومات يمكن وجودها

واما موجودات يمتنع عدمها او موجودات لايمتنع عدمه ولكل من هذه الاقسام الاربعة احكام وخواص والكل معلوم لله تعالى وقدم الغيب على الشهادة لتقدمه فى الوجود وعلق العلم القديم به من حيث كونه موجودا ، واعلم ان ماورد من اسناد علم الغيب الى الله فهو الغيب بالنسبة الينا لا بالنسبة اليه تعالى لانه لايخفى على الله شيء فى الارض ولا فى السماء واذا انتفى الغيب بالنسبة اليه انتفى العلم به ايضا وايضا لما سقطت جميع النسب والاضافات فى مرتبة الذات البحت والهوية انتفت النسبة العلمية مطلقا فانتفى العلم بالغيب فافهم

{ هو الرحمن الرحيم } كرر هو لان له شأنا شريفا ومقاما منيفا من اشتغل به ملك من اعرض عنه هلك والله تعالى رحمته الدنيوية عامة لكل انسى وجنى مؤمنا كان او كافار

اديم زمني سفره عام اوست ... برين خان يغما جه دشمن جه دوست

على ما قال عليه السلام أيها الناس ان الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر وان الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك عادل قادر يحق فيها الحق ويبطل الباطل كونوا من ابناء الآخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا فان كل ام يتبعها ولدها ولذلك يقال يارحمن الدنيا لان مافيه زيادة حرف يراد به زيادة فى المعنى ورحمته الاخروية خاصة بالمؤمنين ولذا يقال يارحيم الآخرة فعلى هذا فى معنى الرحمن زيادة باعتبار المنعم عليه ونقصان باعتبار الانواع والافراد فى تخصيص هذين الاسمين المنبيئن عن وفور رحمته فى الدارين تنبيه على سبق رحمته وتبشير للعاصين أن لايقنطوا من رحمة الله وتنشيط للمطيعين بأنه يقبل القليل ويعطى الجزيل وحظ العبد من اسم

الرحمن الرحيم أن يكون كثير الرحمة بأن يرحم نفسه اولا ظاهرا وباطنا ثم يرحم غيره بتحصيل مراده وارشاده والنظر اليه بعين الرحمة كما قال بعض المشايخ

وارحم جميع الخالق كلهموا ... وانظر اليهم بعين اللطف والشفقة

وقر كبير همو وارحم صغير همو ... وراع فى كل خلق حق من خلقه

قال الزروقى رحمه الله كل الاسماء يصح التخلق بمعانيها الا الاسم الله فانه للتعلق فقط وكل الاسماء راجعة اليه فالمعرفة به معرفة بها ولابد للعبد من قلب مفرد فيه توحيد مجرد وسر مفرد وبه يحصل جميع المقاصد سئل الجنيد قدس سره كيف السبيل الى الانقطاع الى الله تعالى قال بتوبة الاصرار وخوف يزيل التسويف ورجاء يبعث على مسالك لعمل واهانة النفس بقربها من الاجل وبعدها من الأمل قيل له بما يصل العبد الى هذا قال بقلب مفرد فيه توحيد مجرد انهى وهو عجيب وفى التأويلات النجمية تشير الآية الى هويته الجامعة عالم غيب الوجود المسمى باسم الباطن وعالم

الشهادة الوجود المسمى باسم الظاهر وهو الرحمن الرحيم اى هو المتجلى بالتجلى الرحمانى العام وهو المتجلى بالتجلى الرحيمى الخاص وهو المطلق عن العموم والخصوص فى عين العموم والخصوص غير اعتباراته وحيثياته

٢٣

{ هو الله الذى لا اله الا هو } كرر هو لابراز الاعتناء بامر التوحيد يعنى اوست خداى كه هيچ وجه نيست خداى سزاى برستش مكروى

{ الملك } بادشاهى كه جلال ذاتش ازوجه احتياج مصونست وكما صفاتش باستغناء مطلق مقرون فمعناه ذو الملك والسلطان والملك بالضم هو التصرف بالامر والنهى فى الجمهور وذلك يختص بسياسة الناطقين ولهذا يقال ملك الناس ولا يقال ملك الاشياء فقوله تعالى

{ ملك يوم الدين } تقديره الملك فى يوم الدين كما فى المفردات وعبدالملك هو الذى يملك نفسه وغيره بالتصرف فيه بما شاء الله وامره به

فهو أشد الخلق على خليقته قال الامام الغزالى قدس سره مملكة العبد الخاصة به قلبه وقالبه وجنده شهوته وغضبه وهواه ورعيته لسانه وعيناه ويداه وسائر اعضائه فاذا ملكها ولم يطعها فقد نال تملكه درجة الملك فى عالمه (قال الشيخ سعدى)

وجود توشهريست برنيك وبد ... توسلطان ودستور دانا خرد

هما ناكه دونان كردن فراز ... درين شهر كبرست وسودا وآز

جو سلطان عنايت كند بابدان ... كجا ماند آسايش بخردان

فان انظم اليه استغناؤه عن كل الناس واحتاج الناس كلهم اليه وفى حياتهم العاجلة والآجلة فهو الملك فى العالم العرضى وتلك رتبة الانبياء عليهم السلام فانهم استغنوا فى الهداية الى الحياة الآخرة عن كل احد الا عن الله تعالى واحتاج اليهم كل احد ويليهم فى هذا الملك العلماء الذين هم ورثة الانبياء وانما ملكهم بقدر مقدرتهم على ارشاد العباد واستغنائهم عن الاسترشاد وهذا الملك عطية للعبد من الملك الحق الذى لامثنوية فى

ملكه والافلا ملك للعبد كما قيل لبعض العارفين الك ملك فقال انا عبد

لمولاى فليس لى نملة فمن انا حتى اقول لى شىء هذا كلام من استغرق فى

ملاحظة ملكية الله ومالكيته فما حكى ان بعض الآمراء قال لبعض

الصلحاء سلنى حاجتك قال أولى تقول هذا ولي عبدان هما سيداك قال

من هما قال الشهوة والغضب وفى بعض الرواية الحرص والهوى غلبتهما

وغلباك وملكتهما وملكاك فهو اخبار عن لطف الله وتمليكه من ضبط

نفسه واستخدامها فيما يرضاه الهل نصحا لذلك الأمير ولغيره من

السامعين شاهدين او غائبين

قال بعضهم لبعض الشيوخ اوصنى فقال كن ملكا فى الدنيا تكن

ملكا فى الآخرة معناه اقطع طمعك وشهوتك فى الدنيا فان الملك فى الحرية

والاستغناء ومن مقالات أبى يزيد البسطامى قدس سره فى مناجاته الهى

ملكى اعظم من ملكك وذلك لان الله تعلى ملك أبا يزيد وهو متناه وأبا

يزيد ملك الهل وهو باق غير متناه وخاصية اسم الملك صفاء القلب

حصول الفناء الاهمرة ونحوها فمن واضب عليه وقت الزوال كل يوم مائة

مرة صفا قلبه وزال كدره ومن قرأه بعد الفجر مائة واحدى وعشرين مرة اغناه الله من فضله اما باسباب او بغيرها

{ القدوس } وهو من صيغ المالبغة من القدس وهو النزاهة والطهارة اى البليغ فى النزاهة عما يوجب نقصانا ما وعن كل عيب وهو بالعبرى قديسا ونظيره السبوح وفى تسبيح الملائكة سبوح قدوس رب الملائكة والروح قال الزمخشرى ان الضفادع تقول فى نقيقها سبحان الله الملكم القدوس قال ثعلب كل اسم على فعول فهو مفتوحالاول الا السبوح القدوس فان الضم فيهما اكثر وقد يفتحان وقال بعضهم المفتوح قليل فى الصفات كثير فى الاسماء مثل التنور والسمور والسفود وغيرها قال بعض المشايخ حقيقة القدس الاعتلاء عن قبول التغير ومنه الارض المقدسة لانها لاتتغير بملك الكافر كما يتغير غيرها من الارضين واتبع هذا الاسم اسم الملك لما يعرض للملوك من تغير أحوالهم بالجور والظلم والاعتدآء فى الاحكام وفيما يترتب عليها فان ملكه تعالى لايعرض له مايغيره لاستحالة ذلكفى وصفه وقال بعضهم التقديس التطهير وروح القدسجبريل عليه

السلام لانه ينزل بالقدس من الله اى مايطهر به نفوسنا من القرءآن والحكمة والفيض الالهى والبيت المقدس هو المطهر من النجاسة اى الشرك او لانه يتطهر فيه من الذنوب وكذلك الارض المقدسة وحظيرة القدس الجنة (قال الكاشفى) قدوس يعنى باك از شوائب مناقص ومعايب ومنزه از طوق آفات ونوايب.

وقال الامام الغزالى رحمه الله هن المنزه عن كل وصف يدركه حس او يتصوره خيال او يسبق اليه وهم او يختلج به ضمير أو يفضى به تفكر وليست أقول منزه عن العيوب والنقائض فان ذلك يكاد يقرب من ترك الأدب فليس من الأدب ان يقول القائل ملك البلد ليس بحائك ولا حجام ولا حذآء فان نفى الوجود يكاد يوهم امكان الوجود وفى ذلك الايهام نقص بل أقول القدوس هو المنزه عن كل وصف من اوصاف الكمال الذى يظنه اكثر الخلق كما لا قال الزروقى رحمه الله كل تنزيه توجه الخلق به الى الخالق فهو عائد اليهم لان الحق سبحانه فى جلاله لا يقبل ما يحتاج للتنزيه منه لاتصافه بعلى الصفات وكريم الاسماء وجميل الافعال

على الاطلاق فليس لنا من تقدسه الا معرفة انه القدوس فافهم وعبد القدوس هو الذى قدسه الله عن الاحتجاب فلا يسع قلبه غير الله وهو الذى يسع قلبه الحق كما قال لايسعنى ارضى وسمائى ويسعنى قلب عبدى ومن وسع الحق قدس عن الغير اذا لايبقى عند تجلى الحق شىء غيره فلا يسع القدوس الا القلب المقدس عن الاكوان

قال بعضهم حظ العارف منه أن يتحقق انه لايحق الوصول الا بعد العروج من عالم الشهادة الى عالم الغيب وتنزيه السر عن المتخيلات والمحسوسات والتطواف حول العلوم الالهية والمعارف الزكية عن تعلقات الحس والخيال وتطهير القصد عن أن يحوم حول الحظوظ الحيوانية واللذآئذ الجسمانية فيقبل بشرا شره على الله سبحانه شوقا الى لقائه مقصور الهم على معارفه ومطالعة جماله حتى يصل الى جناب العز وينزل بحبوحة القدس وخاصية هذا الاسم انه اذا كتب سبوح قدوس رب الملائكة والروح على خبز اثر صلاة الجمعة واكله يفتح الله له العبادة ويسلمه من الآفات وذلك بعد ذكر عدد ماوقع عليه وفى الأربعين الادريسية ياقدوس الطاهر من كل

آفة فلا شيء يعادله من خلقه قال السهر وردى من قرأه كل يوم الف مرة

فى خلوة اربعين يوما شمله بما يريد وظهرت له قوة التأثير فى العالم

{ السلام } ذو السلامة من كل آفة ونقص وبالفارسية سالم از

عيوب وعلل ومبرا از ضعف وعجز وخلل وهو مصدر بمعنى السلامة

وصف به للمبالغة لكونه سليما من النقائض او فى اعطائه السلامة

فيكون بمعنى التسليم كالكلام بمعنى التكليم فما ورد من قوله أنت

السلام معناه أنت الذى سلم من كل عيب وبرىء من كل نقص وقوله

ومنك السلام اى الذى يعطى السلامة فيسلم العاجز من المكاره ويخلصه

من الشدآئد فى الدارين ويستر ذنوب المؤمنين وعيوبهم فيسلمون من الخزى

يوم القيامةاو يسلم على المؤمنين فى الجنة لقوله تعالى

{ سلاما قولا من رب رحيم } وقوله واليك يرجع السلام اشارة

الى ان كل من عليها فان ويبقى وجه ربك وقوله وحينا ربنا بالسلام طلب

السلامة منه فى الحياة الدنيا وفى الآخرة قال الامام الغزالى رحمه الله ه الذى

يسلم ذاته من العيب وصفاته من النقص وافعاله من الشر يعنى ليس فى

فعله شر محض بل فى ضمنه خير اعظم منه فالمقضى بالاصالة هو الخير

وهو والقدوس من الاسماء الذاتية الا أن يكون بمعنى المسلم قال الراغب

السلام والسلامة التعرى من الآقات الظاهرة الباطنة قيل وصف الله

بالسلام من حيث لا تلحقه العيوب والآفات التى تلحق الخلق انتهى وعبد

السلام هو الذى تجلى له اسم السلام فسلمه من كل نقص آفاة وعيب

فكل عبد سلم من الغش والحقد والحسد وارادة الشر قلبه وسلم من الآثام

والمحظورات جوارحه وسلم من الانتكاس والانعكاس صفاته فهو الذى

يأتى الله بقلب سليم وهو السلام من العباد القريب فى وصفه من السلام

المطلق الحق الذى لامثنوية فى صفاته وأعنى بالانتكاس فى صفاته أن يكون

عقله أسير شهوته وغضبه اذ الحق عكسه هو أن تكون الشهوة والغضب

اسيرى العقل وطوعه فاذا انعكس فقد انتكس ولا سلامة حيث يصير

الأمير مأمورا والملك عبدا ولن يوصف بالسلام والاسلام الا من سلم

المسلمون من لسانه ويده وخاصية هذا الاسم صرف المصائب والآلام حتى

انه اذا قرىء على مريض مائة واحدى عشرة مرة برىء بفضل الله مالم يحضر اجله او يخفف عنه

{ المؤمن } اى الموحد نفسه بقوله

{ شهد الكله انه لا اله الا هو } قاله الزجاج او واهب الأمن وهو طمأنينة النفس وزوال الخوف قال ابن عباس رضى الله عنهما هو الذى آمن الناس من ظلمه وآمن من آمن من عذابه وهو من الايمان الذى هو ضد التخويف كما فى قوله تعالى

{ وآمنهم من خوف } وعنه ايضا انه قال اذا كان يوم القايمة اخرج أهل التوحيد من النار واول من يخرج من وافق اسمه اسم نبى حتى اذا لم يبق فيها من يوافق اسمه اسم نبى قال الله لباقه أنتم المسلمون وانا السلام وأنتم المؤمنون وانا المؤمن فيخرجهم من النار ببركة هذين الاسمين (قال الكاشفى) ايمن كننده مؤمنان ازعقوبت نيران با داعى خلق بايمان وامان يامصدق رسل باظهار معجزه وبرهان ، قال الامام الغزالى رحمه الله

المؤمن المطلق هو الذى لايتصور امن وامان الا ويكون مستفادا من جهته وهو الله تعالى وليس يخفى ان الاعمى يخاف أن يناله هلاك من حيث لايرى فعينه البصيرة تفيد امنا منه والأقطع يخاف آفة لاتندفع الا باليد واليد السليمة أمان منها وهكذا جميع الحواس والاطراف ولمؤمن خالقها ومصورها ومقومها ولو قدرنا انسانا وحده مطلوبا من جهة اعدآئه وهو ملقى فى مضيق لاتتحرك عليه اعضاؤه لضعفه وان تحركت فلا سلاح معه وان كان معه سلاح لم يقاوم اعدآءه وحده وان كانت له جنود لم يأمن ان تنكسر جنوده ولا يجد حصنا يأوى اليه فجاء من عالج ضعفه فقواه وامده بجنود واسلحة وبنى حوله حصنا فقد افاده امنا وامانا فبالحرى أن يسمى مؤمنا فى حقه والعبد ضعيف فى اصل فطرته وهو عرضة الامراض والجوع والعطش من باطنه وعرضة الآفات المحرقة والمغرفة والجارحة والكاسرة من طاهره ولم يؤمنه من هذه المخاوف الا الذى اعد الادوية دافعه لامراضه والاطعمة مزيلة لجوعه والأشربة مميطة لعطشه والاعضاء دافعة عن بدنه والحواس جواسيس منذرة بما يقرب من مهلكاته ثم خوفه الأعظم من هلاك

الآخرة ولايحصنه منها الا كلمة التوحيد والله هاديه اليها ومرغبه فيها حيث

قال لااله الا الله حصنى فمن دخله أمن من عذابى فلا امن فى العالم الا

وهومستفاد من اسباب هو منفرد بخلقها والهداية الى استعمالها وعبد المؤمن

هو الذى آمنه الله من العقاب وآمنه الناس على ذواتهم وأموالهم واعراضهم

ومن المصطلحات فحظ العبد من هذا الوصف أن يأمن الخلق كلهم جانبه

بل يرجو كل خائف الاعتضاد به فى دفع الهلاك عن نفسه فى دينه ودنياه

كما قال عليه السلام (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليؤمن من جاره

بوآئقه) فى ترجمة وصايا الفتوحات واكر خواهى كه از هيجكس نترسى

هيج كس را مترسان تا ازهمه آمن باشى جون همه كسى ازتو آمن باشند

شيخ اكبر قدس سره الاطهر فرموده كه در عنفوان شباب كه هنوز بدين

طريق رجوع نكرده بودم در صحبت والده وجمعى در سفر بودم ناكاه

ديدم كله كور خردر مرعى ومن برصيد ايشان عظيم حريص بودم وكو

دكان من باره دور بودند در نفس من اين فكر افتادكه ايشانرا نر نجانم

ودل بران نهادم وخاطررا برترك تعرض وايذاى ايشان تكين كردم وحصانى

که بروی سوار یودم بجانب ایشان میل میکرد سر او محکم کردم ونیزه

بدست من بود جون بدیشان رسیدم ودرمیانه ایشان در آدم وقت بودکه

سنان نیزه ببعضی میرسید واودر جرا کردن خود بود والله هیج یکی سر

بر نداشت تامن از میان ایشان کذشتم بعد ازان کود کان وغلامان

رسیدند وآن جماعات حمر وحش از ایشان رمیدند ومتفرق شدند ومن

سبب آن نمی دانستم تا وقتی که بطریق الله رجوع کردم ومرا در معامله

نظر افتاد دانستم که آن امان که در نفس من بود در نفوس ایشان سرایت

کرد واحق العباد بأسم المومن من كان سببا لأمن الحق من عذاب الله

بالهداية الى طريق الله والارشاد الى سبيل النجاة وهذه حرفة الانبياء والعلماء

ولذلك قال عليه السلام

(انكم تتهافتون فى النار تهافت الفراش وانا آخذ بحجزكم) لعلك

تقول الخوف من الله على الحقيقة فلا مخوف الا هو فهو الذى خوف

عباده وه الذى خلق اسباب الخوف فكيف ينسب اليه الا من فجوابك

ان الخوف مه والأمن منه وهو خالق سبب الأمن والخوف جميعا وكونه

مخوفا لايمنع كونه مؤمنا كما ان كونه مذلا لم يمنع كونه معزا بل هو المعز والمذل وكونه خافضا لم يمنع كونه رافعا بل هو الرافع الخافض فكذلك هو المؤمن المخيف لكن المؤمن ورد التوقيف به خاصة دون المخوف وخاصية هذا الاسم وجود التأمين وحصول الصدق والتصديق وقوة الايمان فى العموم لذاكره ومن ذلك أن يذكره الخائف ستا وثلاثين مرة فانه يأمن على نفسه وماله ويزاد فى ذلك بحسب القوة والضعف

{ المهيمن } قال بعض المشايخ هذا الاسم من اسمائه التى علت بعلو معناها عن مجارى الاشتقاق فلا يعلم تأويله الا الله تعالى وقال بعضهم هو المبالغ فى الحفظ والصيانة عن المضار من قولهم هيمن الطائر اذا نشر جناحه على فرخه حماية له وفى الارشاد الرقيب الحافظ لكل شىء وقال الزروقى هو لغة الشاهد ومنه قوله تعالى

{ ومهيمنا عليه } يعنى شاهدا عالما وقال بعضهم مفيعل من الامن ضد الخوف واصله مؤأمن بهمزتين فقلبت الهمزة الثانية ياء لكراهة اجتماعهما فصار مؤيمن ثم سيرت الاولى هاء كما قالوا فى أراق الماء هراقه

فيكون فى معنى المؤمن (حكى) ان ابن قتيبة لما قال فى المهيمن انه مصغر من مؤمن والاصل مؤيمن فأبدلت الهمزة هاء قيلله هذا يقرب من الكفر فليتق الله قائله وذلك لان فيه ترك التعظيم وقال الامام الغزالى رحمه الله معنى المهيمن فى حق الله انه القائم على خلقه باعمالهم وارزاقهم وآجالهم وانما قيامه عليهم باطلاعه واستيلائه وحفظه وكل مشرف على كنه الامر مستول عليه حافظ له فهو مهيمن عليه والاشراف يرجع الى العلم والاستيلاء الى كمال القدرة والحفظ الى الفعل فالجامع بين هذه المعانى اسمه المهيمن ولن يجمع ذلك على الاطلاق والكمال الا الله تعالى ولذلك قيل انه من اسماء الله تعالى فى الكتب القديمة وعبدالمهيمن هو الذى شاهد كون الحق رقيبا شهيدا على كل شيء فهو يرقب نفسه وغيره بايفاء حق كل ذى حق عليه لكونه مظهر الاسم المهيمن يعنى حظ العارف منه أن يراقب قلبه ويحفظ قواه وجوارحه و يأخذ حذره من الشيطان ويقوم بمراقبة عباد الله وحفظهم فمن عرف انه المهيمن خضع تحت جلاله وراقبه فى كل احواله واستحيي من اطلاعه عليه فقام بمقام المراقبة لديه (

حكى) ان ابراهيم بن أدهم رحمه الله كان يصلى قاعدا فجلس ومد رجليه فهتف به هاتف هكذا تجالس الملوك وان الحريرى كان لايمد رجليه فى الخلوة فقيل له ليس يراك احد فقا حفظ الأدب مع الله احق.

يقول الفقير يقرب من هذا ما وقع لى عند الكعبة فانى بعدما طفت بالبيت استندت الى مقام ابراهيم حباله فقيل لى من قبل الله تعالى ماهذا البعد عين القرب فعلمت ان ذلك من ترك الأدب فى مجالسة الله معى فلم ازل ألازم باب الكعبة فى الصف الاول مدة مجاورتى بمكة وخاصية هذا الاسم الاشراف على البواطن والاسرار ومن قرأة مائة مرة بعد الغسل والصلاة فى خلوة بجمع خاطر نال ماأراد ومن نسبته المعنوية علام الغيوب عند التأمل وفى الاربعين الادريسية ياعلام الغيوب فلا يفوت شيء من علمه ولا يؤوده قال السهرودى من دوام عليه قوى حفظه وذهب نسيانه

{ العزيز } غالب در حكم يابخشنده عزت ،

قال بعضهم من عز اذا غلب فمرجعه القدرة المتعالية عن المعارضة والممانعة اومن عز عزازة اذا قل فالمراد عديم المثل كقوله تعالى

{ ليس كمثله شيء } وقال الامام الغزالى رحمه الله العزيز هو الخطير الذى يقل وجود مثله وتشتد الحاجة اليه ويصعب الوصول اليه فما لم يجمع هذه المعانى الثلاثة لم يطلق عليه العزيز فكم من شيء يقل وجوده ولكن اذا لم يعظم خطره ولم يكثر نفعه لم يسم عزيزا وكم من شيء يعظم خطره ويكثر نفعه ولا يوجد نظيره ولكن اذا لم يصعب الوصول اليه لم يسم عزيزا كالشمس مثلا فانها لانظير لها والارض كذلك والنفع عظيم فى كل واحدة منهما الحاجة شديدة اليهما ولكن لاتوصفان بالعزة لانه لايصعب الوصول الى مشاهدتهما فلابد من اجتماع المعانى الثلاثة ثم فى كل واحد من المعانى الثلاثة كمال ونقصان فالكمال فى قلة الوجود أن يرجع الى الواحد اذ لا اقل من الواحد ويكون بحيث يستحيل وجود مثله وليس هذا الا الله تعالى فان الشمس وان كانت واحدة فى الوجود فليست واحدة فى الامكان فيمكن وجود مثلها والكمال فى النفاسة وشدة الحاجة أن يحتاج اليه كل

شيء فى كل شيء حتى فى وجوده وبقائه وصفاته وليس ذلك الكمال الا

لله تعالى وعبد العزيز هو الذى اعز الله بتجلى عزته فلا يلغبه شيء من

أيدى الحدثان والاكوان وهو يغلب كل شيء قال الغزالى رحمه العزيز من

العباد من يحتاج اليه عباد الله فى مهام امورهم وهى الحياة الاخروية والسعادة

الابدية وذلك مما يقل لامحالة وجوده ويصعب ادراكه وهذه رتبة الانبياء

عليهم السلام ويشاركهم فى العز من يتفرد بالقرب منهم اى من درجتهم

فى عصرهم كالخلفاء وورثتهم من العلماء وعزة كل واحد بقدر علو رتبه

عن سهولة النيل والمشاركة وبقدر غنائه فى ارشاد الخلق وقال بعضهم حظ

العبد من هذا الاسم أن يعز نفسه فلا يستهينها بالمطامع الدنية ولايدنيها

بالسؤال من الناس والافتقار اليهم قيل انما يعرف عزيزا من اعز امر الله

بطاعته فاما من استهان باوامره فمن المحال أن يكون متحققا بعزته وقال

الشيخ ابو العباس المرسى رحمه الله ولله مارأيت العز الا فى رفع الهمة عن

المخلوقين فمن عرف انه العزيز لايعتقد لمخلوق جلالا دون جلال الله

تعالى فالعزيز بين الناس فى المشهور من جعله الله ذا قدر ومنزلة بنوع شرف

باق او فان فمنهم من يكون عزيزا بطاعة الله تعالى ومنهم من يكون بالجاه ومنهم من يكون عزيز بالعلم والمعرفة والكمال ومنهم من يكون بالسطوة والشوكة والمال ثم منهم من يكون عزيزا فى الدارين ومنهم من يكون فى الدنيا لافى العقبى ومنهم من يكون على العكس فكم من ذليل عند الناس عزيز عند الله وكم من عزيز عند الناس ذليل عند الله والعزيز عند المولى هو الاصل والاولى قال فى ابكار الافكار غير رسول لله عليه السلام اسم العزيز لان العزة لله وشعار العبد الذلة والاستكانة وخاصية هذا الاسم وجود الغنى والعز صورة او حقيقة او معنى فمن ذكره اربعين يوما فى كل يوم اربعين مرة اعانه الله واعزه فلم يحوجه الى أحد من خلقه وفى الاربعين الادريسية ياعزيز المنيع الغالب على امره فلا شيء يعادله قال السهر وردى رحمه الله من قرأه سبعة ايام متواليات كل يوم الفا اهلك خصمه وان ذكره فى وجه العسكر سبعين مرة ويثير اليهم بيده فانهم ينهزمون

{ الجبار } الذى جبر خلقه على مأراد اى قهرهم واكرههم عليه او جبر أحوالهم اى اصلحها فعلى هذا يكون الجبار من الثلاثى لامن

الافعال وجبر بمعنى اجبر لغة تميم وكثير من الحجازيين واستدل بورود الجبار
من يقول ان امثله مبالغة تأتى من المزيد عن الثلاثى فانه من اجبره على
كذا اى قهره وقال الفرآء لم اسمع فعال من افعل الا فى جبر ودراك فانهما
من اجبر وأدرك قال الراغب اصل الجبر اصلاح الشىء بضرب من القهر
وقد يقال فى اصلاح المجرد نحو قول على رضى الله عنه ياجابر كل كسير
ومسهل كل عسير والاجبار فى الاصل حمل الغير على أن يجبر الامور لكن
تعورف فى الاكراه المجرد وسمى الذين يدعون ان الله تعالى يكره العباد على
المعاصى فى تعارف المتكلمين مجبرة وفى قول المتقدمين جبرية والجبار فى
صفة الانسان يقال لمن يجبر نقيصته بادعاء منزلة من المعالى لايستحقها
وهذا لايقال الا على طريقة الذم وفى وصف الله لانه الذى يجبر الناس
بفائض نعمه او يقهرهم على مايريده من مرض وموت وبعث ونحوها وهو
لايقهر الاعلى ماتقتضى الحكمة أن يقهر عليه فالجبار المطلق هو الذى
ينفذ مشيئته على سبيل الاجبار فى كل أحد ولا ينفذ فيه مشيئة احد (
روى) ان فى بعض الكتب الاليهة عبدى تريد وأريد ولايكون الا مأأريد

فان رضيت بما أريد كفيتك ماتريد وان لم ترضى بما أريد أبقيتك فيما تريد ثم لايكون الا ماأريد وعبد الجبار هو الذى يجبر كسر كل شيء ونقصه لان الحق جبر حاله وجعله بتجلى هذا الاسم جابر الحال كل شيء مستعليا عليه من علم انه الجبار دق فى عينه كل جبار كان راجعا اليه فى كل امر بوصف الافتقار بجبر المكسور من اعماله وترك الناقص من آماله فتم له الاسلام الاستسلام وارتفعت همته عن الاكوان فيكون جبارا على نفسه جابرا لكسر عباده وقال بعضهم حظ العارف من هذا الاسم أن يقبل على النفس ويجبر نقائصها باستكمال الفضائل ويحملها على ملازمة التقوى والمواظبة على الطاعة ويكسر منها الهوى والشهوات بأنواع الرياضات ويرتفع عما سوى الحق غير ملتفت الى الخلق فيتحلى بحلى السكينة والوقار بحيث لايزلزله تعاور الحواديث ولا يؤثر فيه تعاقب النوافل بل يقوى على التأثير فى الانفس والآفاق بالارشاد والاصلاح وقال الامام الغزالى رحمه الله الجبار من العباد من ارتفع عن الاتباع ونال درجة الاستتباع وتفرد بعلو رتبته بحيث يجبر الخلق بهيئته وصورته على الاقتدآء

وبمتابعته فى سمته وسيرته فيفيد الخلق ولا يستفيد يؤثر ولا يتأثر ويستتبع ولا يتبع ولا يشاهده احد الى ويفنى عن ملاحظة نفسه ويصير مستوفى الهم غير ملتفت الى ذاته ولا يطمع احد فى استدراجه واستتباعه وانما حظى بهذا الوصف سيد الاولين والآخرين عليه السلام حيث قال

(لو كان موسى بن عمران حيا ما وسعه الا اتباعى وانا سيد ولد آدم ولا فخر) وخاصية هذا الاسم الحفظ من ظلم الجبابرة والمعتدين فى السفر والاقامة يذكر بعد قرآءة المسبعات عشر صباحا ومساء احدى وعشرين مرة ذكره الزروقى فى شرح الاسماء الحسنى

{ المتكبر } الذى تكبر عن كل مايوجب حاجة او انقصانا او البليغ الكبرياء والعظمة يعنى ان صيغة التفعل للتكلف بما لم يكن فاذا قيل تكبر وتسخى دل على انه يرى ويظهر الكبر والسخاء وليس بكبير ولا سخى والتكلف بما لم يكن كان مستحيلا فى حق الله تعالى حمل على لازمه وهو أن يكون ماقام به من الفعل على اتم مايكون واكمله من غير أن يكون هناك تكلف واعتمال حقيقة ومنه

ترحمت على ابراهيم بمعنى رحمته كمال الرحمة واتممتها عليه فاذا قيل انه تعالى متكبر كان المعنى انه البالغ فى الكبر أقصى المراتب (روى) عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال رأيت رسول الله عليه السلام قائما على هذا المنبر يعنى منبر رسول الله فى المدينة وهو يحكى عن ربه تعالى فقال (ان الله عز وجل اذا كان يوم القيامة جمع السموات والارضيين فى قبضته تبارك وتعالى ثم قال هكذا وشد قبضته ثم بسطها ثم يقول انا الله انا الرحمن انا الرحيم انا الملك انا القدوس انا السلام انا المؤمن انا المهيمن انا العزيز انا الجبار انا المتكبر انا الذى بدأت الدنيا ولم تك شيأ انا الذى اعدتها اين الملوك اين الجبابرة)

قهار بى منازع وغفار بى ملال ... ديان بى معادل وسلطان بى سباه

باغيير او ضافت شاهى بود جنان ... بريك وجوب باره زشطرنج نام شاه

قال الراغب التكبر يقال على وجهين احدهما أن تكون الافعال الحسنة كثيرة فى الحقيقة وزآئدة على محاسن غيره وعلى هذا وصف الله بالمتكبر وهو ممدوح والثانى أن يكون متكلفا لذلك متشبعا وذلك فى وصف عامة الناس والموصوف به مذموم وفى الحديث (الكبرياء ردآئى والعظمة ازارى فمن نازعنى فى شيء منهما قصمته)

قال بعضهم الفرق بين المتكبر والمستكبر ان المتكبر عام لاظهار الكبر الحق كما فى اوصاف الحق تعالى ولاظهار الكبر الباطل كما فى قوله سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق والكبر ظن الانسان انه اكبر من غيره والتكبر اظهاره ذلك كما فى العوارف والاستكبار اظهار الكبرياء باطلا كما فى قوله تعالى فى حق ابليس استكبر وغير ذلك كما تجده فى موارد استعمالاته فى القرءآن والحديث وقال فى الاسئلة المقحمة مامعنى المتكبر من اسماء الله فان التكبر مذموم فى حق الخلق والجواب معناه هو المتعظم عما لايليق به سبحانه وهو من الكبرياء لامن التكبر ومعناه المبالغة فى العظمة والكبرياء فى الله وهو الامتناع عن الانقياد

فلهذا كان مذموما فى حق الخلق وهو صفة مدح فى حق الله تعالى

انتهى فان قلت ماتقول فى قوله عليه السلام حين قال له عمه ابو طالب

ماطوعك ربك يامحمد (وأنت ياعم لو أطعته أطاعك) قلت هذه

الاطاعة والانقياد للمطيع لا للخارج عن امره فلا ينافى عدم انقياده لغيره

فهو المتكبر للمتكبر كما انه المطيع للمطيع

قال بعضهم المتكبر هو الذى يرى غيره حقيرا بالاضافة الى ذاته

فنظير الى الغير نظر المالك الى عبده وهو على الاطلاق لا يتصور الا الله

تعالى فانه المتفرد بالعظمة والكبرياء بالنسبة الى كل شىء من كل وجه

ولذلك لايطلق علىغيره تعالى الا فى معرض الذم لما انه يفيد التكلف فى

اظهار مالا يكون قال عليه السلام

(تحاجت النار والجنة فقالت هذه يدخلنى الجبارون المتكبرون

وقالت هذه يدخلنى الضعفاء والمساكين فقال لهذه أنت عذابى اعذب بك

من أشاء وقال لهذه أنت رحمتى أرحم بك من اشاء ولكل واحدة منكما

ملؤها) من عرف علوه تعالى وكبرياءه لازم طريق التواضع وسلك سبيل

التذلل قيل الفقير فى خلقه احسن منه فى جديد غيره فلا شىء احسن
على الخدم من لباس التواضع بحضرة السادة قال بعض الحكماء ماعز الله
عبدا بمثل مايدل على ذل نفسه ما اذله بمثل مايدل على عز نفسه (
حكى) ان بعضهم قال رأيت رجلا فى الطوف وبين يديه خادمان يطردان
الناس ثم بعد ذلك رأيته يتكفف على جسر فسألته عن ذلك فقال انى
تكبرت فى موضع يتواضع الناس فيه فوضعناى الله فى موضع يترفع فيه
الناس وعبد المتكبر هو الذى فنى تكبره بتذلله للحق حتى قام كبرياء الله
مقام كبره فيتكبر بالحق على ما سواه فلا يتذلل للغير قال الامام العزالى
قدس سره المتكبر من العباد هو الزاهد ومعنى زهد العارف ان يتنزه عما
يغشل سره عن الحق ويتكبر فى كل شىء سوى الله تعالى فيكون مستحقرا
للدنيا والآخرة مرتفعا عن أن يشغله كلتاهما عن الحق وزهد العارف معاملة
ومعاوضة فهو انما يشترى بمتاع الدنيا متاع الآخرة فتيرك الشىء عاجلا
طمعا فى اضعافه آجلا وانما هو مسلم ومبايعة ومن استعبدته شهوته المطعم
والمنكح فهو حقير وانما المتكبر من يستحقر كل شهوة وحظ بتصور أن

تشاركه فيها البهائم وخاصية هذا الاسم الجلالة ظهور الخير والبركة حتى ان من ذكره ليلة دخوله بزوجته عند دخوله عليها وقرأه قبل جماعها عشرا رزق منها ولدا صالحا ذكرا وفى الاربعين الادريسية ياجليل المتكبر على كل شيء فالعدل امره والصدق وعده قال السهر وردى رحمه الله مداومه بلا فترة يجل قدره ويعز أمره ولايقدر أحد على معارضته بوجه ولا بحال

{ سبحان الله عما يشركون } تنزيه له تعالى عما يشركون به تعالى او عن اشراكهم به اثر تعداد صفات لايمكن أن يشاركه تعالى فى شيء منها شيء ما اصلا اسبحوا الله تسبيحا ونزهوه تنزيها عما يشركه الكفار به من المخلوقات فالله تعالى اورده لاظهر كمال كبريائه او للعجب من اثبات الشريك بعد ماعينوا آثار اتصافه بجلال الكبرياء وكمال العظمة

وفى التأويلات النجمية قوله سبحانه

{ هو الله الذى لا اله الا هو الملك } الخ يشير الى وحدانية ذاته وفردانية صفاته وتصرفه فى الاشياء على مقتضى حكمته الازلية والى نزاهته

عن النقائص الامكانية ووصف الامن بين العدم المحض بسبب التحقق بالوجود المطلق والى حفظ الاشياء فى عين شيئيته واعزازه اولياءه وقهره واذلاله اعدآءه والى كمال كبريائه بظهوره فى جميع المظاهر والى نزاهة ذاته عما يشركون معنى فى ذاته وفى صفاته وفى عرآئس البقلى سبحان الله عما يشركون اليه بالنواظر والخواطر انتهى

٢٤

{ هو الله الخالق } اى المقدر للاشياء على مقتضى حكمته ووفق مشيئته فان اصل معنى الخلق التقدير كما يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بمقياس وان شاع فى معنى الايجاد على تقدير واستوآء وسوآء كان من مادة كخلق الانسان من نطفة ونحوه او من غير مادة كخلق السموات والارض وعبد الخالق هو الذى يقدر الاشياء على وفق مراد الحق لتجلية له بوصف الخلق والتقدير فلا يقدر الا بتقديره تعالى وخاصية هذا الاسم أن يذكر فى جوف الليل ساعة فما فوقها فيتنور قلب ذاكره ووجهه وفى

الاربعين الادريسية خالق من فى السموات ومن فى الارض وكل اليه معاده

قال السهروردى يذكر لجمع الضائع الغائب البعيد الغيبة خمسة آلاف مرة

{ البارىء } الموجد للاشياء بريئة من التافوت فان البرء الايجاد

على وجه يكون الموجد بريئا من التفاوت والنقصان عما يقتضيه التقدير

على الحكة البالغة والمصلحة الكاملة وعبدالبارىء هو الذى يبرأ عمله من

التفاوت والاختلاف فلا يفعل الا ماايناسب حضرة الاسم البارىء متعادلا

متناسبا بريئا من التفاوت كقوله تعالى

{ ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت } وخاصية هذا الاسم أن

يذكره سبعة أيام متوالية كل يوم مائة مرة للسلامة ومن الآفات حتى من

تعدى التراب عليه فى القبر وفى الاربعين الادريسية يابارىء النفوس بلا

مثال خلا من غيره قال السهروردى يفتح لذاكرة ابواب الغنى والعز

والسلامة من الآفات واذا كتب فى لوح من قير وعلق على المجنون نفعه

وكذلك اصحاب الامراض الصعبة

{ المصور } الموجد لصور الاشياء وكيفياتها كما أراد يعنى بحشنده

صورت هر مخلوق ، كما يصور الاولاد فى الارحام بالشكل واللون

المخصوص فان معنى التصوير تخصيص الخلق بالصور المتميزة والاشكال

المتعينة قال الراغب الصورة ماتتميز به الاعيان عن غيرها وهى محسوسة

كصورة الانسان ومعقولة كالعقل وغيره من المعانى وقولهعليه السلام (ان

الله خلق آدم على صورته) أراد بالصورة ماخص الانسان به من الهيئة

المدركة بالبصر وبالبصيرة وبها فضله على كثير من خلقه واضفاته على الله

على سبيل الملك لا على سبيل البعضية والتشبيه بل على سبيل التشريف

له كقوله بيت الله وناقة الله وروح الله.

يقول الفقير الضمير المجرور فى صورته يرجع الى الله لا الى آدم

والصورة الالهية عبارة عن الصفات السبع المرتبة وهى الحياة والعلم والارادة

والقدرة والسمع والبصر والكلام وآدم مظهر هذه الصفات بالفعل بخلاف

سائر الموجودات واطلاق الصورة على الله تعالى مجاز عند أهل الظاهر اذ

لا تستعمل فى الحقيقة الا فى المحدوسات

واما عند اهل الحقيقة فحقيقة لان العالم الكبير بأسره صورة الحضرة الالهية فرقا وتفصيلا وآدم صورته جمعا واجمالا

اى زهمه صورت خوب توبه ... صورك الله على صورته

روى تو آيينه حق بينى است ... در نظر مردم خود بين منه

بلكه حق آيننه وتو صورتى ... وهم توى رابميان ره مده

صورت از آيينه نباشد جدا ... انت به متحد فانتبه

هركه سر رشته وحدت نيافت ... بيش وى اين نكته بود مشتبه

رشته يكى دان وكره صد هزار ... كيست كرين نكته كشايد كره

هركه جو جامى بكره بندشد ... كر بسر رشته رود باز به

والحاصل ان الخالق هنا المقدر على الحكمة الملائمة لنظام العالم والبارىء الموجد على ذلك التقدير والمصور المبدع لصور الكائنات واشكال المحدثات بحيث يترتب عليها خواصهم ويتم بها كمالهم وبهذ ظهر وجه

الترتيب بينهما واستلزام التصوير البرء والبرء الخلق استلزام الموقوف للموقوف عليه كما قال الامام العزالى رحمه الله وقدس سره قد يظن ان هذه الاسماء مترادفة وان الكل يرجع الى الخلق والاختراع ولاينبغى أن يكون كذلك بل كل مايخرج من العدم الى الوجود يفتقر الى التقدير اولا والى الايجاد على وفق التقدير ثانيا والى التصوير بعد الايجاد ثالثا والله تعالى خالق من حيث انه مقدر وبارىء من حيث انه مخترع موجد ومصور من حيث انه مرتب صور المخترعات احسن ترتيب وهذا كالبناء مثلا فانه محتاج الى مقدر يقدر مالابد منه من الخشب واللبن ومساحة الارض وعدد الابنية وطولها وعرضها وهذا يتولاه المهندس فيرسمه ويصوره ثم يحتاج الى بناء يتولى الاعمال التى عندها تحدث وتحصل اصول الابنية ثم يحتاج الى مزين ينقش ظاهره ويزين صورته فيتولاه غير النباء هذه هى العادة فى التقدير والبناء والتصوير وليس كذلك فى افعال الله تعالى بل هو المقدر والموجد والمزين فهو الخالق البارىء المصور فقدم ذكر الخالق على البارىء لان الارادة والتقدير متقدمة على تأثير القدرة وقدم البارىء على المصور

لان ايجاد الذات متقدم على ايجاد الصفات وعن حاطب بن أبى بلتعة رضى الله عنه انه قرأ البارىء المصور بفتح الواو ونصب الرآء يبرأ المصور اى يميز مايصوره بتفاوت الهيئات واختلاف الاشكال وعبد المصور هو الذى لايتصور ولا يصور الا ماطابق الحق ووافق تصويره لان فعله يصدر عن مصوريته تعالى ولذا

قال بعضهم حظ العارف من هذه الاسماء أن لايرى شيأ ولايتصور امرا الا ويتأمل فيما فيه من باهر القدرة وعجائب الصنع فيترقى من المخلوق الى الخالق وينتقل من ملاحظة المصنوع الى ملاحظة الصانع حتى يصير بحيث كلما نظر الى شىء وجد الله عنده وخاصية الاسم المصور الاعانة على الصنائع العجيبة وظهور الثمار ونحوها حتى ان العاقر اذا ذكرته فى كل يوم احدى وعشرين مرة على صوم بعد الغروب وقبل الافطاعل سبعة ايام زال عقمها وتصور الولد فى رحمها باذن الله تعالى

{ له الاسماء الحسنى } لدلالتها على المعانى الحسنة كما سبق فى سورة طه (قال الكشافى) مر اوراست نامهاى نيكى كه در شرع وعقل

بسنديده ومستحسن باشد ، والحسنى صيغة تفضيل لانها تأنيث الاحسن كالعليا فى تأنيث الاعلى وتوصيف الاسماء بها للزيادة المطلقة اذ لا نسبة لاسمائه الى غير الاسماء من اسماء الغير كما لانسبة لذاته المتعالية الى غير الذوات من ذوات الغير واسماء الله تسعة وتسعون على ماجاء فى الحديث ونقل صاحب اللباب عن الامام الرازى انه قال رأيت فى بعض كتب الذكر ان لله تعالى اربعة آلاف اسم الف منها فى القرءآن والاخبار الصحيحة والف فى التوراة والف فى الانجيل والف فى الزبور (روى) ان من دعاء رسو الله عليه السلام

(اسألك بكل اسم سميت به نفسك او انزلته فى كتابك او علمته احدا من خلقك او استأثرت به فى علم الغيب) فلعل كونها تسعة وتعسين بالنظر الى الاشهر الاشرف الاجمع وتعدد الاسماء لايدل على تعدد المسمى لان الواحد يسمى ابا من وجه وجدا من وجه وخالا من وجه وعالما من جه وذاته متحدة قال عبدالرحمن البسطامى قدس سره فى ترويح القلوب اعلم ان من السر المكتوم فى الدعاء أن تأخذ حروف الاسماء التى تذكر

بها مثل قولك الكبير المتعال ولا تأخذ الا الف واللام بل تأخذ كبير متعال

وتنظر كم لها من الاعداد بالجمل الكبير فتذكر ذلك العدد فى موضع خال

من الاصوال بالشرآئط المعتبرة عند اهل الخلوة لاتزيد على العدد ولاتنقص

منه فانه يستجاب لك بالوقت وهو الكبريت الاحمر باذن الله تعالى فان

الزيادة على العدد المطلوب اسراف والنقص منه اخلال والعدد فى الذكر

بالاسماء كسنان المفتاح لانها زادت ونقصت لاتفتح الباب وقس عليه باب

الاجابة فافهم السر وصن الدر ، ثم اعلم ان العارفين يلاحظون فى الاسماء

آلة التعريف واصل الكلمة والملامية يطرحون منها آلة التعريف لانها زآئدة

على اصل الكلمة قال العلماء الاسم هو اللفظ الدال على المعنى بالوضع

والمسمى هو المعنى الموضع له والتسمية وضع اللفظ له او اطلاقه عليه

واطلاق الاسم على الله تعالى توقيفى عند البعض بحث لايصح اطلاق

شىء منه عليه الا بعد ان كان واردا فى القرءآن او الحديث الصحيح وقال

آخرون كل لفظ دل على معنى يليق بجلال الله وشأنه فهو جائز الاطلاق

والا فلا ومن أدلة الاولين ان الله عالم بلا مرية فيقال له عالم وعليم وعلام

لوروده فى الشرع ولا يقال له عارف اوفقيه او متيقن الى غير ذلك مما يفيد معنى العلم ومن أدلة الآخرين ان الاسماء الله وصفاته مذكورة بالفارسية والتركية والهندية وغيرها مع انها لم ترد فى القرءآن والحديث ولا فى الاخبار وان المسلمين اجمعوا على جواز اطلاقها ومنها ان الله تعالى قال ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها والاسم لايحسن الا لدلالته على صفات الكمال ونعوت الجلال فكل اسم دل على هذه المعانى كان اسما حسنا وانه لافائدة فى الالفاظ الا رعاية المعانى فاذا كانت المعانى صحيحة كان المنع من اطلاق اللفظ المفيد غير لائق غاية مافى الباب أن يكون وضع اسم علما له مستحدثا وذكر مايوهم معنى غير لائق به تعالى ليس بأدب اما ذكر ماهو دال على معنى حسن ليس فيه ايهام معنى مستنكر مستنفر فليس فيه من سوء الأدب شيء

{ يسبح له مافى السموات والارض } ينطق بتنزهه عن جميع النقائص تنزها ظاهرا قال فى كشف الاسرار يسبح له جميع الاشياء اما بيانا ونطقا

واما برهانا وخلقا وقد مر الكلام فى هذا التسبيح مرارا وجمهور المحققين على انه تسبيح عبارة وهو لاينافى تسبيح الاشارة وكذا العكس

{ وهو العزيز الحكيم } الجامع للكمالات كافة فانها مع تكثرها وتشعبها راجعة الى الكمال فى القدرة والعلم قال الامام الغزالى رحمه الله الحيكم ذو الحكمة والحكمة عبارة عن معرفة افضل الاشياء بأجل العلوم واجل الاشياء هو الله تعالى واجل العلوم هو العلم الازلى الدآئم الذى لايتصور زواله فليس يعلم الله حقيقة الا الله ومن عرف جميع الاشياء ولم يعرف الله قدر الطاقة البشرية لم يستحق أن يسمى حكيما فمن عرف الله فهو حكيم وان كان ضعيف القوة فى العلوم الرسمية كليل اللسان قاصر البيان فيها الا نسبة حكمة العبد الى حكمة الله كنسبة معرفته الى معرفته بذاته وشتان بين المعرفتين فشتان بين الحكمتين ولكنه مع بعده عنه هو أنفس المعارف واكثرها خيرا ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا ما يذكر الا اولوا الالباب وعبد الحكيم هو الذى بصره الله بمواقع الحكمة فى الاشياء ووفقه للسداد فى القول والصواب فى العمل وهو يرى خللا فى

شيء الا يسده ولا فسادا الا يصلحه وخاصية هذا الاسم دفع الدواهى

وفتح باب الحكمة فمن اكثر ذكره صرف الله عنه مايخشاه من الدواهى

وفتح له باب الحكمة وانما مدح الله نفسه بهذه الصفات العظام تعليما

لعباده المدح بصفاته العلى بعد فهم معانيها ومعرفة استحقاقه بذلك طلبا

لزيادة تقربهم اليه قال ابو الليث فى تفسيره فان قال قائل قد قال الله فلا

تزكوا أنفسكم فما الحكمة فى ان الله تعالى نهى عن عباده عن مدح أنفسهم

ومدح نفسه قيل له عن هذا السؤال جوابان احدهما ان العبد وان كان فيه

خصال الخير فهو ناقص واذا كان ناقصا لايجوز له أن يمدح نفسه والله

تعالى تام الملك والقدرة فيستوجب بهما المدح فمدح نفسه ليعلم عباده

فيمدحوه والجواب الآخر أن العبد وان كان فيه خصال لخير فتلك افضل

من الله تعالى ولم يكن ذلك بقوة العبد فلهذا لايجوز أن يمدح نفسه ونظير

هذه ان الله تعالى نهى عباده أن يمنوا على احد بالمعروف وقد من على

عباده للمعنى الذى ذكر فى المدح قال بعض الكبار تزكية الانسان لنفسه

سم قاتل وهى من باب شهادة الزور لجهله بمقامه عند الله الا أن يترتب على ذلك مصلحة دينية فللانسان ذلك كما قال عليه السلام

(انا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر) اى لافتخر عليكم بالسيادة انما الفخر بالعبودية والفخر بالذات لايكون الا لله وحده

واما الفخر فى عباده فانما هو للرتب فيقال صفة العلم افضل من صفة الجهل ونحو ذلك ولايخفى ان الرتب نسبة عدمية فما افتخر من افتخر الا بالعدم ولذلك امر الله نبيه أن يقول انما انا بشر مثلكم فلم ير لذاته فضلا على غيره ثم ذكر شرف الرتبة بقوله يوحى الى ، اعلم ان الاولى لك أن تسكت عن بحثين وتكل العلم فيهما الى الله العليم الخبير احدهما مايكون بين العلماء من ان صفات الله الثابتة هل هى موجودات بوجودات مستقلة غير وجوده تعالى اولا بعد الايمان باتصافه تعالى بها وكمالها ودوامهاوالثانى مايكون بين المشايخ من ان الوجود هل هو واحد والله سبحانه وتعالى هو ذلك الوجود وسائر الموجودات مظاهر له لا وجود لها بالاستقلال او له تعالى وجود زآئد على ذاته واجب لها

مقتضية هى اياه ولغيره تعالى من الموجودات وجودات اخر غير الوجود الواجب على ماهو البحث الطويل بنيهم والى ذلك يرشدك ماقالوا من ان ماتصف اللّه به فهو واجب لايتغير اصلا ومالم يتصف به فهو ممتنع لايكون قعطا فاذا اختلف اثنان فى ذاته وصفاته تعالى فلا جرم ان واحدا منهما اما بنفى الواجب اويثبت الممتنع وكلاهما مشكل وان مابهم علمه فالأدب فيه السكوت بعد الايمان بما ظهر من القرءآن والحديث واتفاق الصحابة رضى الله عنهم فان المرء لايسأل الا عن علم لزمه فى اقامة الطاعة وادامة العبادة لمولاه قال صاحب الشرعة ولا يناظر احد فى ذاته الله وصفاته المتعال عن القياس والاشباه والا وهام والخطرات وفى الحديث (ان هلاك هذه الامة اذا نطقوا فى ربهم وان ذلك من اشراط الساعة) فقد كان عليه السلام يخر ساجدا لله تعالى متى ماسمع مايتعالى عنه رب العزة ولايجيب السائل عن الله الا بمثل ماجاء به القرءآن فى آخر سورة الحشر من ذكر افعاله وصفاته ولا يدقق الكلام فيه تدقيقا فان ذلك من الشيطان وضرر ذلك وفساده اكثر من نفعه قال بعض الكبار مافى الفرق الاسلامية اسوء

حالا من المتكلمين لانهم ادعوا معرفة الله بالعقل على حسب ماعطاهم
نظرهم القاصر فان الحق منزه عن أن يدرك او يعلم بأوصاف خلقه عقلا
كاناو علما روحا كان او سرا فان الله ماجعل الحواس الظاهرة والباطنة
طريقا الا الى معرفة المحسوسات لاغير والعقل بلا شك منها فلا يدرك
الحق بها لانه تعالى ليس بمحسوس ولا بمعلوم معقول وقد تبين لك بهذا
خطأ جميع من تكلم فى الحق وصفاته لما لم يعلمه من الحق ولا من
رسله عليه السلام وقال بعض العارفين سبب توقف العقول فى قبول ماجاء
فى الكتاب والسنة من آيات الصفات واخبارها حتى يؤول ضعفها وعدم
ذوقها فلو ذاقوا كاذاقة الانبياء وعلموا على ذلك بالايمان كما عملت
الطائفة لأعطاهم الكشف ما اجاله العقل من حيث فكره ولم يتوقفوا فى
نسبة تلك الاوصاف الى الحق فاعلم ذلك وعمل به تعرف أن علم القوم
هو الفلك المحيط الحاوى على جميع العلوم (حكى) ان الفاضل محمد
الشهرستانى صاحب كتاب الملل والنحل كان من كبار المتكلمين وفحولهم
وكان له بحث كثير فى علم الكلام ربما لم يسبق اليه سواه حتى جمع فى ذلك

الكتاب تلك المباحث القطيعة ثم انتهى امره الى العجز فيه والتحير فى ذاته حتى رجع الى مذهب العجائز فقال عليكم بدين العجائز فانه من أسنى الجوآئز واشند

لقد طفت فى تلك المعاهد كلها ... وسيرت طرفى بين تلك المعالم

فلم أر الا واضعا كف حائر ... على ذقن اوقارعا سن نادم

ثم قال والوجه أن يعتقد العبد الدين الذى جاء به محمد عليه السلام ودعا اليه واليه اناب ولايدخل فى ذلك شيأ من نظر عقله لافى تنزيه ولا فى تشبيه بل يؤمن بكل آية جاءت فى ذاته الله وصفاته على بابها ويكل علمها الى الله الذى وصف ذاته بها هذا هو طريق السلامة والدين الصحيح وعلى ذلك كانت الصحابة والسلف الصالحون رضى الله عنهم واليه تنتهى الراسخون فى العلم والعقلاء المحققون عند آخر أمرهم ومن وفقه الله كان عليه وآل نظره اليه ومن بقى على ماأعطاه نظره واجتهاده فليس ذلك بمتبع محمدا عليه السلام فيما جاء به مطلقا لانه

ادخل فيه حاصل نظره و تأويله واتكل على رأيه وعقله وهذه وصيتى اليكم ان أردتم السلامة وعدم المطالبة ومن أراد غير ذلك لم ينج من السؤال وكان على خطر فى المآل لان القطع بما اراد الله عسير فانا رأينا العقلاء اختلفت أدلتهم فى الله فالمعتزلى يخالف الاشعرى وبالعكس وهم يخالفون الحكماء وبالعكس كل طائفة تجهل الأخرى وتكفرها فعلمنا ان سبب ذلك هو اختلاف نظرهم وعدم عثورهم على الدليل الصحيح اما كلهم او بعضهم ورأينا الانبياء عليهم السلام لم يختلف منهم اثنان فى الله قط عز وجل وكل دعوا اليه تعالى على باب واحد وكان اختلافهم فى فروع الاحكام بحكم الله تعالى لافى اصولها قط قال الله تعالى سبحانه { شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه }

فقوله ولا تتفرقوا فيه دليل على اجتماعهم على امر واحد فى الاصول لانه الفروع معلومة بوقوع الاختلاف فيها وذلك لاضر وانما يضر الاختلاف فى الاصول اذ لو وقع الاختلاف فيها لما وقع الاتفاق ولكانت

الدعوة لاتصح لان الاله الذى يدعو أليه هذا غير الاله الذى يدعو ذلك اليه والله تعالى قال

{ والهكم اله واحد } وعم الطوآئف كلها من آدم عليه السلام بالخطاب وهلم جرا الى يوم القيامة الى هنا من كلامه اوره حضرة الشيخ صدر الدين قدس سره فى رسالته المعمولة وصية للطالبين وعظة للراغبين ، ثم اعلم ان من شرف هذه الاسماء المذكورة فى الآخرة ماقال ابو هريرة رضى الله عنه سألت حبيبي رسول الله عليه السلام عن اسم الله الأعظم فقال (هو آخر الحشر) وفى عين المعانى قال عليه السلام (سالت جبريل عن اسم الله الأعظم فقال عليك بآخر الحشر فاكثر قرآءته فأعدت عليه فأعاد على) وعنه عليه السلام (من قال حين يصبح ثلاث مرات اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرآ ثلاثى آيات من آخر الحشر وكل الله به سبعين الف ملك يصلون عليه) وفى بعض الروايات (يحرسنه حتى يمسى فان مات فى ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسى كان بتلك المنزلة) رواه مقعل بن يسار رضى الله عنهوانما

جمع بين استعاذة وقرآءة آخر الحشر والله اعلم لان فى الاستعاذة الاشعار بكمال العجز والعبودية وفى آخر الحشر الاقرار بجلال القدرة والعظمة والربوبية فالاول تخلية عن العجب والثانى تخلية بالايمان الحق وبهما يتحقق منزل قوله تعالى

{ الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة } فيترتب عليه قوله تعالى

{ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا } كما فى تفسير الفاتحة للمولى الفنارى رحمه الله وعن أبي امامة رضى الله عنه يقول قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (من قرأ خواتيم الحشر من ليل او نهار فقبض من ذلك اليوم او الليلة فقد استوجب الجنة) وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (من قرأ سورة الحشر لم يبق جنة ولا نار ولا عرش ولا كرسى ولاحجاب ولا السموات السبع والارضون السبع والهوام والطير والريح والشجر والدواب والجبال والشمس والقمر والملائكة الا صلوا

عليه فان مات اى من يومه او ليلته مات شهيدا) كما فى كشف الاسرار

وقوله مات شهيدا اى يثاب ثواب الشهادة على مرتبة وللشهادة مراتب

قد مرت

سُورَةُ الْمُمْتَحِنَةِ مَدَنِيَّةٌ

وَهِيَ ثَلاَثَ عَشَرَةَ آيَةً

١

{ يا ايها الذين آمنوا لاتتخذوا عدو وعدوكم اولياء } نزلت فى

حاطب ابن أبي بلتعة العبسى وحاطب بالحاء المهملة قال فى كشف

الاسرار ولد فى زمن رسول اللّهصلّى الله عليه وسلّم واصله من الازد وهو

حى باليمن واعتقه عبيد الله بن حميد بن زهير الذى قتله على رضى الله

عنه يوم بدر كافرا وكان حاطب يبيع الطعام ومات بالمدينة وصلى عليه

عثمان رضى الله عنه وكان من المهاجرين وشهد بدرا وبيعة الرضوان وعمم

الله الخطاب فى الآية تعميما للنصح والعدو فعلو من عدا كعفو من عفا

ولكونه على زنة المصدر اوقع على الجمع ايقاعه على الواحد والمراد هنا

كفار قريش وذلك انه لما تتجهز رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لغزوة

الفتح فى السنة الثامنة من الهجرة كتب حاطب الى أهل مكة ان رسول

الله يريدكم فخذوا حذركم فانه قد توجه اليكم فى جيش كالليل وارسل

الكتاب مع سارة مولاة بنى عبد الملطب اى معتقهم اعاطاهم عشرة دنانير وبردة وكانت سارة قدمت من مكة وكانت مغنية فقال لها عليه السلام لماذا جئت فقالت جئت لتعطينى شيأ فقال مافعلت بعطيانك من شبان قريش فقالت مذ قتلتهم ببدر لم يصل الى شيء الا القليل فأعاها شيأ فرجعت الى كة ومعها كتاب حاطب فنزل جبرآئيل عليه السلام بالخبر فبعث رسول الله عليه السلام عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد وقال (انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ موضع بين الحرمين وخاخ بالمعجمتين يصرف ويمنع فان بها ظعينة وهى المرأة مادامت فى الهودج واذا لم تكن فيه فهى المرأة معها كتاب حاطب الى اهل مكة فخذوه منها فخلوها فان أبت فاضربوا عنقها) فادركوها ثمة فجحدت فسل على رضى الله عنه سيفه فأخرجته من عقاصها اى من ضفائرها (روى) ان رسول الله عليه السلام امن جميع الناس يوم فتح مكة الا اربعة هى أحدهم فأمر بقتلها فاستحضر رسول الله حاطبا فقال (ماحملك على هذا) فقال يارسول الله ما كفرت منذ اسملت ولا غششتك منذ نصحتك الغش ترك النصح

والنصح عبارة عن التصديق بنبوته ورسالته الانقياد لأوامره ونواهيه ولكننى

كنت امرأ ملصقا فى قريش اى حليفا ولم اكن من انفسهم ومن معك من

المهاجرين كان له فيهم قرابات يحمون اهاليهم وأموالهم وليس فيهم من

يحمى اهلى فأردت أن آخذ عندهم يدا اى اجعل عندهم شيأ فصدقه

رسول الله وقبل عذره فقال عمر رضى الله عنه يارسول الله دعنى أضرب

عنق هذا المنافق فقال (ياعمر انه شهد بدرا ومايدريك لعل الله اطلع على

من شهد بدرا فقال اعلموا ماشئتم فقد غفرت لكم)

ففاضت عينا عمر رضى الله عنه وفى القصة اشارة الى جواز هتك

ستر الجواسيس وهتك استار المفسدين اذا كان فيه مصلحة او فى ستره

مفسدة وان من تعاطى امرا محظورا ثم ادعى له تأويلا محتملا قبل منه وان

العذر مقبول عند كرام الناس (روى) ان حاطبا رضى الله عنه لما سمع

{ يا أيها الذين آمنوا } غشى عليه من الفرح بخطاب الايمان لما

علم ان الكتاب المذكور ماخرجه عنا لايمان لسلامة عقيدته ودل قوله

{ وعدوكم } على اخلاصه فان الكافر ليس بعدو للمنافق بل للمخلص

{ تلقون اليهم بالمودة } الود محبة الشيء وتمنى كونه ويستعمل فى كل حال واد من المعنيين اى توصلون محبتكم بالمكاتبة ونحوها من الاسباب التى تدل على المودة على ان الباء زآئدة فى المفعول كما فى قوله تعالى

{ ولا تقلوا بأديكم الى التهلكة } او تلقون اليهم أخبار النبى عليه السلام بسبب المودة التى بينكم وبينهم فيكون المفعول محذوفا للعلم به والباء للسببية والجملة حال من فاعل لاتتخذوا حال كونكم ملقين المودة فان قلت قد نهوا عن اتخاذهم اولياء مطلقا فى قوله تعالى

{ ياآيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى اولياء } والتقييد بالحال يوهم جواز اتخاذهم اولياء اذا انتفى الحال قلت عدم جوازه مطلقا لما علم من القواعد الشرعية تبين انه لا مفهوم للحال هنا البتة فان

قلت كيف قال لاتتخذوا عدوى وعدوكم اولياء العداوة والمحبة لكونهما متنافيتين لاتجتمعان فى محل واحد والنهى عن الجميع بينهما فرع امكان اجتماعهما قلت انما كان الكفار أعدآء للمؤمنين بالنسبة الى معاداتهم لله ورسوله ومع ذلك يجوز أن يتحقق بينهم الموالاة والصداقة بالنسبة الى الامور الدنيوية والاغراض النفسانية فنهى الله عن ذلك يعنى فلم يتحقق وحدة النسبة من الوحدات الثمان وحيث لم يكتف بقوله عدوى بل زاد قوله وعدوكم دل على عدم مروءتهم وفتوتهم فانه يكفى فى عداوتهم لهم وترك موالاتهم كونه اعدآء الله سوآء كانوا اعدآء لهم ام لا

{ وقد كفروا بما جاءكم من الحق } حال من فاعل تلقون وةالحق هو القرءآن او دين الاسلام او الرسول عليه السلام

{ يخرجون الرسول واياكم } حال من فاعل كفروا اى مخرجين الرسول واياكم من مكة والمضارع لاستحضار الصورة

{ ان تؤمنوا بالله ربكم } تعليل للاخراج وفيه تغليب المخاطب على الغائب اى على الرسول والالتفات من التكلم الى الغيبة حيث لم يقل ان تؤمنوا بى للاشعار بما يوجب الايمان من الالوهية والربوبية

{ ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى } متعلق بلا تتخذوا كأنه قيل لاتتولوا اعدآئى ان كنتم اوليائى وانتصاب جهادا وابتغاء على انهما مفعول لهما لخرجتم اى ان كنتم خرجتم عن اوطانكم لاجل هذين فلا تتخذوهم اولياء لا تلقوا اليهم بالمودة والجهاد بالكسر القتال مع العدو كالمجاهدة وفى التعريفات هو الدعاء الى الدين الحق

وفى المفردات الجهاد والمجاهدة استفراغ الوسع فى مدافعة العدو و هو جهاد العدو الظاهر وجهاد الشيطان وجهاد النفس ويكون باليد واللسان والمرضاة مصدر كالرضى وفى عطف وابتغاء مرضاتى على جهادا فى سبيلى تصريح بما علم التزاما فان الجهاد فى سبيل الله انما هو لاعلاء دين الله لا لغرض آخر واسناد الخروج اليهم معللا بالجهاد والابتغاء يدل

على ان المراد من اخراج الكفرة كونهم سببا لخروجهم باذيتهم لهم فلا ينافى تلك السببية كون ارادة الجهاد والابتغاء علة له

{ تسرون اليهم بالمودة } استئناف وارد على نهج العتاب والتوبيخ كأنهم سألوا ماذا صدر عنا حتى عوتبنا فقيل تلقون اليهم المودة سرا على ان الباء صلة جيىء بها لتأكيد التعدية او الاخبار بسبب المودة ويجوز أن يكون تعدية الاسرار بالباء لحمله على نقيضه الذى هو الجهر

{ وانا اعلم } حال من فاعل تسرون اى والحال انى اعلم منكم

{ بما أخفيتم وما أعلنتم } من مودة الاعدآء والاعتذار وغير ذلك فاذا كان بينهما تساو فى العلم فأى فائدة فى الاسرار والاعتذار

{ ومن } وهركه

{ يفعله منكم } اى الاتخاذ المنهى عنه اى ومن يفعل مانهيت عنه من موالاتهم والاقرب من يفعل الاسرار

{ فقد ضل سوآء السبيل } فقد اخطأ طريق الحق والصواب الموصل الى الفوز بالسعادة الابدية وبالفارسية بس بدرستى كه او ازراه راست كم شد ، وهو من اضافة الصفة الى الموصوف وضل متعد وسوآء السبيل مفعوله ويجوز أن يجعل قاصرا وينتصب سوآء السبيل على الظرفية قال القرطبي هذا كله معاتبة لحاطب وهو يدل على فضله ونصيحته لرسول الله وصدق ايمانه فان المعاتبة لاتكون الا من حبيب لحبيب كما قيل اذا ذهب العتاب فليس ود ، ويبقى الود مابقى العتاب والعتاب اظهار الغضب على حد لشىء مع بقاء المحبة بالترك وفى الآية اشارة الى عداوة النفس والهوى والشيطان فانا تبغض عبادة الله وتعبض عباد الله ايضا اذا لم يكونوا مطيعين لها فى انفاذ شهواتها وتحصيل مراداتها واصل عداوة النفس أن تفطمها من مألوفاتها وتحبسها فى محبس المجاهدة وعلامة حب الله بغض عدو الله قال عليه السلام (أفضل الايمان الحب فى الله والبعض فى الله) قال أبو حفص رحمه الله من احب نفسه فقد اتخذ عدو الله وعدوه وليا وان النفس تخالف مأمرت به وتعرض عن سبيل الرشد وتهلك محبها

ومتبعها فى اول قدم وجاء فى اخبار داود عليه السلام ياداود عاد نفسك

فليس لى فى المملكة منازع غيرها وفى كشف الاسرار بلشكر اندك روم از

قيصر بتوان ستد وبجمله اولياى روى زمين نفس را ازيكى نتوان ستد زيرا

نفس راحيل بسيارست احمد حضروية بلخى رحمه الله كويد نفس خودرا

بانواع رياضات ومجاهدات مقهور كرده بودم روزى نشاط غزا كرد عجب

داشتم كه ازنفس نشاط طاعت نيايد كفتم درزير اين كويي جه مكر باشد

مكردر كرسنكى طاقت نمى داردكه بيوسته اورا روزه همى فرمايم خواهد

درسفر روزه بكشايد كفتم اى نفس اكر اين سفر بيش كيرم روزه نكشايم

كفت روا دارم كفتم مكر از انست كه طاقت نماز شب نميدارد مخواهدكه

درسفر بخسبد كفتم درسفر قيام شب كم نكنم جنانكه در حضر كفت

روا دارم تفكر كردم كه مكر ازان نشاط سفر غزا كرده كه درحضر باخلق

مى نياميزدكه اورا در خلوت وعزلت ميدارم مرادش آنست كه باخلق

صحبت كند كفتم اى نفس هرجاكه روم درين سفرا ترا بخرابه فروآرم كه

هيج خلق رانه بينى كفت روا دارم از دست وى عاجز ماندم بالله تعالى

زاريدم وتضرع كردم تا از مكروى مرا آكاهى دادكه در غزاكشن يكباركى

باشد وبهمة جهان شودكه احمد حضرويه بغزا شهادت يافت كفتم سبحان

الله آن خداونديكه نفسى آفريند بدين معيوبى كه بدنيا منافق باشد وبعد

ازمرك مرايي باشدنه درين جهان حقيقت اسلام خواهدنه دران جهان

آنكه كفتم اى نفس اماره والله كه باين غزا نروم تاتودر زير طاعت زنا

ربندى بس در حضر آن رياضات ومجاهدات كه دران بودم زيادت

كردم قوله بما أخفيتم اى من دعوى الانانية وما أعلنتم من العبودية كما

هو شأن النفس وقال ابو الحسين الوراق رحمه الله بما أخفيتم فى باطنكم

من المعصية وما أعلنتم فى ظاهركم للخلق من الطاعة انتهى

٢

{ ان يقفوكم } اى يظفروا بكم ويتمكنوا منكم والثقف الحذق

فى ادراك الشىء وفعله وثقفت كذا اذا ادركته ببصرك الحذق فى النظر ثم

قد تجوز به فاستعمل فى الادراك وان لم يكن معه ثقافة كما فى هذا الموضع

ونحوه

{ يكونوا لكم اعدآء } اى يظهروا مافى قلوبهم من العداوة ويرتبوا

عليها احكامها ولا ينفعكم الفاء المودة اليهم

{ ويبسطوا } ويطيلوا

{ اليكم ايديهم وألسنتهم بالسوء } او بما يسوءكم من القتل

والاسر والشتم

{ وودوا لو تكفرون } اى تمنوا ارتدادكم وكونكم مثلهم كقوله

{ ولن ترضى عنك اليهوم ولا النصارى حتى تتبع ملتهم } فكلمة

لو هنا مصدرية وصيغة الماضى للايذان بتحقق ودادتهم قبل أن يقفوهم

ايضا فهو معطوف على يبسطوا

٣

{ لن تنفعكم ارحامكم } اى قراباتكم قال الراغب الرحم رحم

المرأة وهى فى الاصل وعاء الولد فى بطن امه ومنه استعير الرحم للقرابة

لكونهم خارجين من رحم واحدة

{ ولا اولادكم } الذين توالون المشركين لاجلهم وتتقربون اليهم

محاماة عليهم جمع ولد بمعنى المولود يعم الذكر والانثى

{ يوم القيامة } بجلب نفع او دفع ضر ظرف لقوله

{ لن تنفعكم } فيوقف عليه ويبتدأ بما بعده

{ يفصل بينكم } استئناف لبيان عدم نفع الارحام والاولاد

يومئذ اى يفرق الله بينكم بما اعتراكم من الهول الموجب لفرار كل منكم

من الآخر حسبما نطق به قوله تعالى

{ يوم يفر المرء من اخيه وامه } الآية فملالكم ترفضون حق الله

لمراعاة حق من يفر منكم غدا

وقيل يفرق بين الوالد وولده وين القريب وقريبه فيدخل أهل طاعته

الجنة اهل معصيته النار

{ والله بما تعملون بصير } فيجازيكم به وهو ابلغ من خبير لانه

جعله كالمحسوس بحس البصر مع ان المعلوم هنا اكثره المبصرات من الكتاب

والاتيان بمن يحمل الكتاب واعطاء الاجرة للحمل وغيرها وفى الآية اشارى الى عداوة النفس وصفاتها للروح واخلاقه فان النفس ظلمانية سفلية كثيفة والروح وقواه نورانية علوية لطيفة ولا شك ان بين النور والظلمة تدافعا ولذا تجتهد النفس أن تغلب الرح بظلمانيتها حتى يكون الحكم لها فى مملكة الوجود وهو تصرفها باليد

واما بسط لسانه بالسوء فيمدح الاخلاق الذميمة وذم الاخلاق الحميدة فالقالب كبلد فيه اشراف وارذال كل بطن واحد لان القوى الخيرة والشريرة انما حصلت من ازدواج الروح مع القالب فالنفس وصفاتها من الارذال وعلى مشرب قابيل وكنعان ولدى آدم ونوح عليهما السلام فليست من الاهل فى الحقيقة والروح وقواه من الاشراف وعلى مشرب هابيل ونحو فهى من الاهل فى الحقيقة ولذا تنقطع هذه النسبة يوم القيامة فيكون الروح فى النعيم ولنفس فى الجحيم عند تجلى اللطف والجمال والقهر والجلال جعلنا الله واياكم من اهل الكمال والنوال

٤

{ قد كانت لكم } أيها المؤمنون

{ اسوة حسنة } قال الراغب الاسوة والاسوة كالقدوة والقدوة هى الحالة التى يكون الانسان عليها فى اتباع غيره ان حسنا وان قبيحا ون سارا وان ضارا والاسى الحزن وحقيقته اتباع الفائت بالغم والمعنى خصلة حميدة حقيقة بأن يؤتسى ويقتدى بها ويتبع اثرها وقوله اسوة اسم كانت ولكم خبرها وحسنة صفة اسوة مقيدة ان عمت الاسوة المحمودة والمذمومة وكاشفة مادحة ان لم تعلم

{ فى ابراهيم والذين معه } اى من اصحابه المؤمنين صفة ثانية لاسوة وقولهم لى فى فلان اسوة اى قدوة من باب التجريد لا ان فلانا نفسه هو القدوة ويجوز أن يكون على حذف المضاف اى لى فى سنته وافعاله واقواله

وقيل المراد الانبياء الذين كانوا فى عصره وقريبا منه قال ابن عطية وهذا القول ارجع لانه لم يرد أن ابراهيم كان له اتباع مؤمنون فى مكافحة

نمرود وفى البخارى انه قال لسارة حين رحل به الى الشأم مهاجرا بلاد نمرود ماعلى الارض من يعبد الله غيرى وغيرك

{ اذ قالوا } ظرف لخبر كان ومعمول له او لكان نفسها عند من جوز عملها فى الظرف وهو الاصح

{ لقومهم } الكفار

{ انا برءآء منكم } جميع بريىء كظريف وظرفاء يعنى مابيزاريم ازشما

{ ومما تعبدون من دون الله } من اصنام اظهروا البرآءة او لامن انفسهم مبالغة وثانيا من عملهم الشرك اذ المقصود من البرءآة اولا من معبودهم هو البرآءة من عبادته ويحتمل أن تكون البرآءة منهم أن لايصاحبوهم ولا يخالطوهم ومن معبودهم أن لايقربوا منه ولا يلتفتوا نحوه ويحتمل أن تكون البرآءة منهم بمعنى البرآءة من قرابتهم لان الشرك يفصل

بين القرابات ويقطع الموالاة وحاصل الآية هلا فعلتم كما فعل ابراهيم حيث تبرأ من أبيه وقومه لكفرهم وكذا المؤمنون

{ كفرنا بكم } اى بدينكم على اضمار المضاف والكفر مجاز عن عدم الاعتداد والجحد والانكار فان الدين الباطل ليس بشىء اذ الدين الحق عند الله هو الاسلام

{ وبدا } بدا الشيء بدوا وبدآء اى ظهر ظهورا بينا والبادية كل مكان يبدو مايعن فيه اى يعرض

{ بيننا } ظرف لبدا

{ وبينكم العداوة والبغضاء ابدا } اى هذا دأبنا معكم لانتركه والبغض ضد الحب (وقال الكاشفى) وآشكار اشد ميان ماوشماد شمنى بدل ودشمنى بدست يعنمحاربه ابدا هميشه يعنى بيوسته دشمنى قائم خواهد بود درميان بدل ودست

{ حتى } غاية لبدا

{ تؤمنوا بالله وحده } وتتروكوا ما أنتم عليه من الشرك فتنقلب العداوة حنيئذ ولاية والبغضاء محبة والمقت مقة والوحشة الفة فالبغض نفور النفس من الشيء الذى ترغب عنه والحب انجذاب النفس الى الشيء الذى ترغب فيه فان قلت ماوجه قوله

{ حتى تؤمنوا بالله وحده } ولا بد فى الايمان من الايمان بالله وملائكته وتبه ورسله واليوم الآخر قلت الايمان بالله فى ح ال وحدته يستلزم الايمان بالجميع مع ان المراد الوحدة الالهية ردا للاصنام قال بعض المشايخ اسوة ابراهيم خلة الله والتبرى مما دون الله والتخلق بخلق الله والتأوه والبكاء من شوق الله وقال ابن عطاء رحمه الله الاسوة القدوة بالخليل فى الظاهر من الاخلاق الشريفة وهو السخاء وحسن الخلق واتباع ما امر به على الكرب وفى الباطن الاخلاص فى جميع الافعال والاقبال عليه فى كل الاوقات وطرح الكل فى ذات الله تعالى واسوة رسول الله عليه السلام فى الظاهر العبادات دون البواطن والاسرار لان اسراره لايطيقها أحد من الخلق لانه باين الامة بالمكان ليلة المعراج ووقع عليه تجلى الذات

سيهدار رسل سرخيل دركاه ... سرير افروز ملك لى مع الله

{ الا قول ابراهيم لأبيه } آزر

{ لأستغفرن لك } يا أبي استثناء من قوله تعالى

{ أسوة حسنة } فان استغفاره عليه السلام لأبيه الكافر وان ك

ان جائزا عقلا وشرعا لو قومه قبل تبين انه من اصحاب الجحيم كما نطق

به النص لكنه ليس مما ينبغي أن يؤتسى به اصلا اذ المراد به مايجب

الائتساء به حتما لورود الوعيد على الاعراض عنه بما سيأتى من قوله تعالى

{ ومن يتولى فان الله هو الغنى الحميد } فاستثناؤه من الاسوة انما

يفيد عدم استدعاء الايمان والمغفرة للكافر المرجو ايمانه وذلك لايرتاب فيه

عاقل

واما عدم جوازه فلا دلالة للاستنثاء عليه قطعا وحمل الأب على

العم يخالف العقل والنقل لان الله تعالى يخرج الحى من الميت والعبرة

بالحسب لا بالنسب وعن علىرضى الله عنه شرف المرء بالعلم والأدب لا بالاصل والنسب

هنر بنماى اكر دارى نه كوهر ... كل از خارست وابراهيم از آزر

{ وما املك لك من الله من شيء } من تمام القول المستثنى فمحله النصب على انه حال من فاعل لاستغفرن لكم اى استغفر لك وليس فى طاقتى الا الاستغفار دون منع العذاب ان لم تؤمن فمورد الاستثناء نفس الاستغفار لا قيده الذى هو فى نفسه من خصال الخير لكونه اظهارا للعجز وتفويضا للامر الى الله تعالى وفى هذه الآية دلالة بينه على تفضيل نبيه محمد عليه السلام وذلك انه حين امر بالاقتدآء به امر على الاطلاق ولم يستثن فقال وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وحين امر بالاقتدآء بابراهمي استثنى وايضا قال تعالى فى سورة الاحزاب

{ لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يردو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا } فأطلق الاقتدآء ولم يقيده بشىء (قال الصائب)

هلاك حسن خدا داد او شوم كه سرابا ... جو شعر حافظ شيرازى انتخاب ندارد

{ ربنا } الخ من تمام مانقل عن ابراهيم ومن معه من الاسوة الحسنة

{ عليك توكلنا } اعتمدنا يعنى از خلق بريديم واعتماد كلى بر كرم تونموديم

{ واليك أنبنا } رجعنا بالاعتراف بذنوبنا وبالطاعة

{ واليك المصير } اى الرجوع فى الآخرة وتقديم الجار والمجرور لقصر التوكل والانابة والمصير على الله تعالى

سوى توكدريم روى ودل بتو بستيم ... زهمه باز آمديم وباتو

نشستيم

هرجه نه بيوند يار بود برديم ... هرجه نه بيمان دوست بود

كستيم

قالوا بعد لمجاهدة وشق العصا التجاء الى الله تعالى فى جميع امورهم

لاسيما فى مدافعة الكفرة وكفاية شرورهم كما ينطق به قوله تعالى

ه

{ ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا } بأن تسلطهم علنا فيفتنونا

بعذاب لا نطيقه فالفتنة بمعنى المفعول وربنا بدل من الاول وكذا قوله ربنا

فيما بعده وقال بعضهم ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا فتقتر علينا الرزق

وتبسطه عليهم فيظنوا انهم على الحق ونحن على الباطل

{ واغفر لنا } مافرط منا من الذنوب والا كان سببا لظهور

العيوب وباعثا للابتلاء المهروب

{ ربنا } تكرير الندآء للمبالغة فى التضرع والجؤار فيكون لاحقا بما قبله ويجوز أن يكن سابقا لما بعده توسلا الى الثناء باثبات العزة والحكمة والاول اظهر وعليه ميل السجاوندى حيث وضع علامة الوقف الجائز على ربنا وهو فى اصطلاحه مايجوز فيه الوصل والفصل باعتبارين وتلك العلامة الجيم بمسماة وهو ، ج ،

{ انك انت العزيز } الغالب الذى لايذل من التجأ اليه ولا يخيب رجاء من توكل عليه

{ الحكيم } لايفعل الا مافيه حكمة بالغة وقال بعض أهل الاشارة تعز اولياءك بالفناء فيك وتحميهم ببقائك بلطائف حكمتك فيكون المراد بالفتنة غلبة ظلمة النفس الهوى وبالمغفرة الستر بالهوية الاحدية عن الانيات وبالصفات الواحدية عن التعينات

٦

{ لقد كان لكم فيهم } اى فى ابراهيم ومن معه

{ اسوة حسنة } تكرير للمبالغة فى الحث على الأتساء به عليه السلام وذلك صدر بالقسم وجعله الطيبى من التعميم بعد التخصيص وفى برهان القرءآن كرر لانالاول فى القول والثانى فى الفعل وفى فتح الرحمن الاولى اسوة فى العداوة والثانية فى الخوف والخشية وفى كشف الاسرار الاولى متعلقة بالبرآءة من الكفار من فعلهم والثانيةامر بالأتساء بهم لينالوا من ثوابهم مانالوا وينقلبوا الى الآخرة كانقلابهم

{ لمن كان يرجو الله } بالايمان بلقائه

{ واليوم الآخر } بالتصديق بوقوعه

وقيل يخاف الله ويخاف عذاب الآخرة لان الرجاء والخوف يتلا زمان والرجاء ظن يقتضى حصول مافيه مسرة وفى المفردات الرجاء والطعم توقع محبوب عن امارة مظنونة او معلومة والخوف توقع مكروه عن امارة مظنونة او معلومة وفى بعض التفاسير الرجاء يجيىء بمعنى توقع الخبر وهو الامل وبمعنى توقع الشر وهو الخوف وبمعنى التوقع مطلقا وهو

فى الاول حقيقة وفى الاخيرين مجاز وفى الثانى من قبيل ذكر الشىء وارادة ضده وهو جائز وفى الثالث من قبيل ذكر الخاص وارادة العام وهو كثير قوله

{ لمن كان } الخ بدل من لكم وفائدته الايذان بان من يؤمن بالله واليوم الآخر لايترك الاقتدآء بهم وان تركه من مخايل عدم الايمان بهما كما ينبىء عنه قوله تعالى

{ ومن يتول فان الله هو الغنى لحميد } فانه مما يوعد بأمثاله الكفرة اى ومن يعرض عن الاقتداء بهم فى التبرى من الكفار وولاهم فان الله هو الغنى وحده عن خلقه وعن موالاتهم ونصرتهم لاهل دينه لم يتعبدهم لحاجته اليهم بل هو ولى دينه وناصر حزبه وهو الحميد المستحق للحمد فى ذاته ومن صحاح الاحاديث القدسية (ياعبادى انكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى ياعبادى لو أن اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل احد منكم مازاد ذلك فى ملكى شيا ياعبادى لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على افجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكى شيأ ياعباى لو ان اولكم وآخركم

وانسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل انسان مسألته مانقص ذلك من عندى الا كما ينقص المخيط اذا دخل البحر ياعبادى انما هى اعمالكم احصيها لكم ثم اوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه) قوله هى ضمير القصة يعنى ماجزآء اعمالكم الا محفوظ عندى لاجلكم ثم أؤديها اليكم وافية ثم الحميد فعيل بمعنى المفعول وجوز الامام القشيرى رحمه الله أن يكون بمعنى الفاعل اى حامد لنفسه وحامد للمؤمنين من عباده قال شارح المشكاة وحظ العبد من اسم الحميد أن يسعى لينخرط فى سلك المقربين الذين يحمدون الله لذاته لا لغيره قال الشيخ ابو القاسم رحمه الله حمد الله الذين هو من شكره يجب أن يكون على شهود المنعم لان حقيقة الشكر الغيبة لشهود المنعم عن شهود النعمة (روى) ان داود عليه السلام قال فى مناجاته كيف اشكر لك وشكرى لك نعمة منك على فأوحى الله اليه الآن قد شكرتنى وقال بعض اهل الاشارة لقد كان فى ابراهيم الخفى ومن معه من قواه الروحانية المجردة من المواد الحسية والمثالية والعقلية اسوة حسنة

وهى البرآءة من قومهاى النفس الامارة والهوى المتبع فمن تأسى واستمر على ذلك بلغ المطلوب المحبوب ومن اعرض عن ذلك التأسى فان الله غنى عن تأسه حميد فى ذاته وان لم يكن حمده انتهى كلامه

٧

{ عسى الله ان يجعل } شايد آنكه خداى تعالى بيدا كند

{ بينكم وبين الذين عاديتم منهم } اى من اقاربكم المشركين وعسى من الله وعد على عادة الملوك حيث يقولون فى بعض الحوآئج عسى ولعل فلا يبقى شبهة للمحتاج فى تمام ذلك وقال الراغب ذكر الله فى القرءآن عسى ولعل تذكرة ليكون الانسان منه على رجاء لاعلى أن يكون هو تعالى راجيا اى كونوا راجين فى ذلك والمعاداة والعداء باكسى دشمنى كردن

{ مودة } اى بأن يوافقوكم فى الدين وعدهم الله بذلك لما رأى منهم من التصلب فى الدين والتشدد فى معاداة آبائهم وابنائهم وسائر

اقربائهم ومقاطعتهم اياهم بالكلية تطيبا لقلوبهم ولقد انجز وعده الكريم حين أباح لهم الفتح فأسلم قمهم كأبى سفيان وسهل بن عمرو وحكيم بن حزام والحارث ابن هشام وغيرهم من صناديد العرب وكانوا اعدآء أشد العداوة فتم بينهم من التحاب والتصافى ماتم

{ والله قدير } اى مبالغ فى القدرة فيقدر على تقليب القلوب وتغيير الاحوال وتسهيل اسباب المودة

{ والله غفور رحيم } فيغفر لمن اسلم من المشركين ويرحمهم بقلب معاداة قاربهم موالاة

وقيل غفور لما فرط منكم فى موالاتهم من قبل ولما بقى فى قلوبكم من ميل الرحم قال ابن عطاء رحمه الله لاتبغضوا عبادى كل البغض فانى قادر على أن أنقلكم من البغض الى المحبة كنقلى من الحياة الى الموت ومن الموت الى النشور كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم اذا انظر الى خالد بن الوليد وعكرمة بن أبى جهل قرأ

{ يخرج الحى من الميت } لانهما من خيار الصحابة وابواهما اعدى عدو لله ورسوله وكان بعضهم يبغض عكرمة ويسب أباه لما سلف منه من الأذى حتى ورد النهى عنه بقوله عليه السلام (لاتؤذوا الاحياء بسبب الاموات) فقلت الله ذلك محبة فكانوا اخوانا فى الله وفى الحديث (من نظر الى اخيه نظر مودة لم يكن فى قلبه احنه لم يطرف حتى يغفر الله له ماتقدم من ذنبه) وقال سقراط أثن على ذى المودة خيرا عند من لقيت فان رأس المودة حسن الثناء كما ان رأس العداوة سوء الثناء وعنه لاتكون كاملا حتى يأمنك عدوك فكيف بك اذا لم يأمنك صديقك قال داود عليه السلام اللهم انى اعوذ بك من مال يكون على فتنة ومن ولد يكون على ربا ومن حليلة تقرب المشيب واعوذ بك من جار ترانى عيناه وترعانى اذناه ان رأى خيرا دفنه وان سمع شرا طار به ومن بلاغات الزمخشرى محل المودة والاخاء حال الشدة دون الرخاء (قال الحافظ)

وفامجوى زكس ورسخن نمى شنوى ... بهرزه طالب سيمرغ وكيميامى باش

٨

{ لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين } اى على الدين او فى حق الدين واطفاء نور

{ ولم يخرجوكم من دياركم } اى لاينهاكم الله عن مبرة هؤلاء فان قوله تعالى

{ ان تبروهم } بدل من الموصول بدل الاشتمال لان بينهم وبين البر ملابسة بغير الكلية والجزيئة فكان المنهى عنه برهم بالقول وحسن المعاشرة والصلة بالمال لا انفسهم وبالفارسية از آنكه نيكويي كنيد با ايشان

{ وتقسطوا اليهم } تفسير لتبروا وضمن تقسطوا معنى الافضاء فعدى تعديته اى تفضوا اليهم بالقسط والعدل ولا تظلموهم وناهيك بتوصية الله المؤمنين ان يستعملوا القسط مع المشركين ويتحاموا ظلمهم مرحمة عن حال مسلم يجترىء على ظلم اخيه المسلم كما فى الكشاف

وقال الراغب القسط النصيب بالعدل كالنصف والنصفة فالمعنى عدل كنيد

وفرستيد قسطى وبهره براى ايشان از طعام وغير او

{ ان الله يحب المقسطين } اى العادلين فى المعاملات كلها (

روى) ان قتيلة بنت عبد العزى على زنة التصغير قدمت فى المدة التى

كانت فيها المصالحة بين رسول الله عليه السلام وبين كفار قريش مشركة

على بنتها اسماء بنت ابى بكر رضى الله عنها بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن

لها بالدخول فنزلت فأمرها رسول الله أن تدخلها وتقبل منها وتكرمها

وتحسن اليها وكانت قتيلة زوجة أبى بكر وكان طلقها فى الجاهلية ، وآورده

اندكه قوم خزاعة رابا حضرت رسول عليه السلام عهد وبيمان بود وهركز

قصد مسلما نان نكردند ودشمنان دين را يارى ندادند حق تعالى در باره

ايشان اين آيت فرستاد يامراد زنان وكودكانند كه ايشانرا در قتل واخراج

جندان مدخلى نيست ، وفى فتح الرحمن نسختها اقتلوا المشركين والاكثر

على انها غير منسوخة وفى بعض التفاسير القسوط الجور والعدول عن الحق

والقسط بالكسر العدل فالاقساط اما من الاول بمعنازالة القسوط فهمزته

للسلب كأشكيته بمعنى ازلت عنه الشكاية وسلبتها فمن ازال الظلم اتصف بالعدل

واما من الثانى بمعنى ان يصير ذا قسط فهمزته للصيرورة مثل اورق الشجر اى صار ذا ورق وفى الآية مدح للعدل لان المرء به يصير محبوبا لله تعالى ومن الاحاديث الصحيحة قوله عليه السلام (ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين للذين يعدلون فى حكمهم واهليهم وماولوا) (قال الحافظ)

شاه را به بود از طاعت صد ساله وزهد ... قد ريكساعته عمرى كه در وداد كند

وقال خطابا لبعض الملوك

جويبار ملك را آب ازسر شمشيرتست ... خوش درخت عدل بنشان بيخ بدخواهان بكن ...

٩

{ انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدارين } واطفاء نوره

{ واخرجوكم من دياركم } وهم عتاة اهل مكة وجبابرتهم

{ وظاهروا على اخراجكم } وهم سائر اهلها ، يعنى معاونت

كردند وهم بشت شدند با اعادى

{ او تولوهم } بدل اشتمال من الموصول اى انما ينهاكم عن أن

تتولوهم والتولى دوستى داشتن باكسى

{ ومن يتولهم } وهركه دوست دارد ايشانرا

{ فاولئك هم الظالمون } لوضعهم الولاية فى موضع العداوة وهم

الظالمون لأنفسهم بتعريضها للعذاب وحساب المتولى اكبر وفساد التولى

اكثر ولذلك اورد كلمة الحصر تغليظا وجمع الخبر باعتبار معنى المبتدأ ،

بكسل زدوستان دغا باز وحيله ساز ، يارى طلب كه طالب نقش بقابود

، جعلنا الله واياكم من الذين يطلبون الباقى لا الفانى.

يقول الفقير كان الظاهر من امر المقابلة فى الآيتين أن يقال فى الاولى ان تولوهم كما فى الثانية او يعكس ويقال فى الثانية أن تبروهم كما فى الاولى او يذكر كل منهما فى كل من الآيتين لكن الدلائل العقلية والشواهد النقلية دلت على ان موالاة الكافر غير جائزة مقاتلا كان او غيره بخلاف المبرة فانها جائزة لغير المقاتل غير جائزة للمقاتل كالموالاة فحيت اثبت المبرة بناء على امر ظاهر فى باب الصلة نفى الموالاة ضمنا وحيث نفى الموالاة فنى المبرة ضمنا وانما لم تجز المبرة للمقاتل لغاية عداوته ونهاية بغضه ان قيل ان الاحسان الى من اساء من اخلاق الابرار قلنا ان المبرة تقتضى الالفة فى الجملة والاحسان بقطع اللسان ويثلم السيف فيكون حائلا بين المجاهد والجهاد الحق وقد امر الله باعلاء الدين

١٠

{ يا أيها الذين آمنوا } بيان لحكم من يظهر الايمان بعد بيان حكم فريقى الكافرين

{ اذا جاءكم المؤمنات } اى بدلالة ظاهر حالهن واقرارهن بلسانهن او المشارفات للايمان ولا بعد أن تكون التسمية بالمؤمنات لكونهن كذلك فى علم الله وذلك لاينافى امتحان غيره تعالى

{ مهاجرات } من بين الكفار حال من المؤمنات

{ فامتحنوهن } فاختبروهن بما تغلب به على ظنكم موافقة قلوبهن للسانهن فى الايمان قيل انه من أرادت منهم اضرار زوجها قالت سأهاهجر الى محمد عليه السلامفلذلك مر النبى بامتحانهن وكان عليه السلام يقول للتى يمتحنها (بالله الذى لا اله الا هو ماخرجت عن بغض زوج اى غير بغض فى الله لحب الله بالله ماخرجت رغبة عن ارض الى ارض بالله ماخرجت التماس دنيا بالله ماخرجت عشقا لرجل من المسلمين بالله ماخرجت لحدث احدثه بالله ماخرجت الا رغبة فى الاسلام وحب لله ولرسوله)فاذا حفلت بالله الذى لا اله الا هو على ذلك اعطى النبى عليه السلام زوجها مهرها وما انفق عليها ولا يردها الى زوجها قال السهيلى نزلت فى ام كلثوم بن عقبة بن ابى معيط وهى امرأة عبدالرحمن بن عوف

ولدت له ابراهيم بن عبدالرحمن وكانت ام كلثوم اخت عثمان بن عفان رضى الله عنه لامه أروى وافادت الآية ان الامتحان فى محله حسن نافع ولذا تمتحن المنكوحة ليلة الزفاف وتستوصف الاسلام مع سهولة فى السؤال واشارة الى الجواب لانها لو قالت ماأعرف بانت من زوجها

خوش بودكر محك تجربة آد بميان ... تاسيه روى شود دروغش باشد

{ والله اعلم بايمانهن } منكم لانه المطلع على مافى قلوبهن فلا حاجة له الى الامتحان وليس ذلك للبشر فيحتاج اليه والجملة اعتراض

{ فان علمتموهن } بعد الامتحان

{ مؤمنات } العلم الذى يمكنكم تحصيله وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات وانما سماه علما ايذانا بأنه جار مجرى العلم فى وجوب العلم به ففى علمتموهن استعارة تبعية

{ فلا ترجعوهن الى الكفار } من الرجع بمعنى الرد لا من الرجوع ولذلك عدى الى المفعول اى لاتردوهن الى ازواجهن الكفرة لقوله تعالى

{ لاهن حل لهن ولا هم يحلون لهن } فان تعليل للنهى عن رجعهن اليم يعنى لاتحل مؤمنة لكافر لشرف الايمان ولا نكاح كافر لمسلمة لخبث الكفر وبالفارسية نه ايشان يعنى زنان حلا لندمر كافر انرا ونه كافران حلال ميشوند مرين زنانرا جه تباين دارند جدايي افكنده ميان ايشان ، والتكرير اما لتأكيد الحرمة والا فيكفى نفى الحال من احد الجانبين اولان الاول لبيان زوال النكاح الاول والثانى لبيان امتحان النكاح الجديد

{ وآتوهم ما انفقوا } ها هو الحم الثانى اى واعطوا ازواجهن مثل مادفعوا اليهم من المهور وذلك اى بيان المراد بما انفقوا هو المهور أن صلح الحديبية كان على ان من جاءنا منكم رددناه فجائت سبيعة بن الحارث الاسلمية مسلمة والنبى عليه السلام بالحديبية فأقبل زوجها مسافر المخزومى طالبا لها فقال يا محمد اردد على امرأتى فانك قد شرطت أن ترد علينا من اتاك منا فنزلت لبيان ان ا لشرط انما كان فى الرجال دون

النساء فاستحلفها رسول الله فحلفت فأعطى زوجها ما انفق وهوالمهر بالانفاق وتزوج بها عمر رضى الله عنه وانما رد لرجال دون النساء لضعف النساء عن الدفع عن انفهسن وعجزهن عن الصبر على الفتنة وفى اللباب ان المخاطب بهذا هو الامام ليؤتى من بيت المال الذى لايتعين له مصرف وان المقيمة منهن على شركها مردودة عليهم وان المؤمن يحل له أن ينكح كتابية فان الرجال قوامون على النساء فليس تسلطه عليها كتسلط الكافر على المسلمة ولعل المراد بايتاء ما أنفقوا رعاية جانب المؤمن بالحث على اظهار المروئة وايثار السخاء والا فمن المسائل المشهورة ان المرأة تملك تمام المهر بخلوة صحيحة فى قطعة من اليوم او الليلة وان لم يقع استمتاع اصلا وايضا ان فى الانفاق تأليف القلوب وامالتها الى جانب الاسلام وأفادت الآية ان اللائق بالولى كائنا من كان أن يحذر تزويج مؤمنة له ولاية عليها بمبتدع تفضى بدعته الى الكفر وللحاكم أن يفرق بينه وبينها ان ظهرت منه تلك البدعة الا أن يتوب ويجدد ايمانه ونكاحه سئل الرستغفنى عن المناكحة بين اهل السنة وبين اهل الاغتزال فقال لاتجوز كما فى مجمع

الفتاوى وقس عليه سائر الفرق الضالة التى لم يكن اعتقادهم كاعتقاد اهل السنة ولزمهم بذلك الاعتقاد اكفارا وتضليل ولهم كثرة فى هذه الاعصار جدا قال فى بعض التفاسير اخاف أن يكون من تلك المبتدعة بعض المتصوفة من أهل زماننا الذى يدعى ان شيخه قطب الزمان يجب الاقتداء به على كل مسلم حتى ان من لم يكن من جملة مريديه كان كفارا وان مات من لم يمت مؤمنا فيستدل بقوله عليه السلام

(من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية) ويقول المراد بالامام هو القطب وشيخنا هو القطب فمن لم يعرف قطبيته ولم يتبعه مات على سوء الحال وجوابه ان المراد بالامام هو الخليفة والسلطان وقريش اصل فيه لقوله عليه السلام (الامام من قريش ومن عداهم تبع لهم كشريف الكعبة مع آل عثمان) فالشريف احدى الذات ولذا لاقوة له وآل عثمان واحدى الذات ولذا صار مطهر سر قوله تعالى

{ هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين } فاعرف الاشارة وايضا المراد من لامام نبى ذلك الزمان وهو فى آخر الزمان رسولنا محمد عليه

السلام ولاشك ان من لم يعرفه ولم يصدقه مات ميتة جاهلية ولئن سلم ان المراد بالامام هو القطب من طريق الاشارة فلا شك ان للقطبية العظمى شرآئط لايوجد واجد منها فى الكذابين فلا يثبت لهم القطبية اصلا على ان التصديق بالقطب لايستلزم صحبته لان مبنى هذا الامر على الباطن فالاقطاب لم يهتد اليهم الا اقل الافراد فاظهارهم لقطبيتهم خارج عن الحكمة ولما قربت القيامة وقع أن يتغير احوال كل طائفة عاما فعاما شهرا فشهرا اسبواعا فاسبوعا يوما فيوما لايزال هذا التغيير الى انقراض الاخيار لانه لاتقوم الساعة الا على الاشرار وفى المرفوع

(لايأتيكم زمان الا والذى بعده شر منه حتى تلقوا ربكم) (قال الحافظ)

روزى اكر غمى رسدت تنك دل مباش ... روشكر كن مبادكه از يد بتر شود

وفى الحديث (ما من بنى بعثه الله فى امة قبلى الا كان له من امته حوارين واصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ويفعلون مالا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ليس ورآء ذلك من الايمان حبة خردل) رواه مسلم وقال عليه السلام (يذهب الصالحون الاول فالاول ويبقى حفالة كحفالة الشعير او التمر لايبالى بهم الله واول التغير كان فى الامرآء ثم فى العلماء ثم فى الفقرآء ففىكل طائفة اهل هدى واهل هوى فكن من اهل الهدى او المشبيهن بهم فان من تشبه بقوم فهو منهم ومن كثر سواد قوم فهو منهم) وفى الحديث (من احب قوما على عملهم حشر فى زمرتهم وحوسب بحسابهم وان لم يعلم بعملهم)

{ ولاجناح عليكم } هذا هو الحكم الثالث يقال جنحت السفينة اى مالت الى احد جانبيها وسمى الاثم المائل بالانسان عن الحق جناحا ثم سمى كل اثم جناحا

{ أن تنكحوهن } اى تنكحوا المهاجرات وتتزوجوهن وان كان لهن ازواج كفار فى دار الحرب فان اسلامهن حال بينهن وبين ازواجهن الكفار

{ اذا آتيتموهن اجورهن } اذا ظرفية محضة او شرطية جوابها محذوف دل عليه ماتقدمها شرط ايتاء المهر فى نكاحهن ايذانا بأن ماأعطى ازواجهن لايقوم مقام المهر لأن ظاهر النظم يقتضى ايتاءين ايتاء الى الازواج وايتاء اليهن على سبيل المهر وفى التيسير التزمتم مهورهن ولم يرد حقيقة الادآء كما فى قوله تعالى

{ حتى يعطوا الجزية عن يد } أى يلتزموها استدل بالآية ابو حنيفة رحمه الله على ان احد الزوجين اذا خرج من دار الحرب مسلما او بذمة وبقى الآخر حربيا وقعت الفرقة ولايرى العدة على المهاجرة ولا على الذميمة المطلقة ولا على المتوفى عنها زوجها ويبيح نكاحها الا أن تكون حاملا لانه تعالى نفى الجناح من كل وجه فى نكاحهن بع ايتاء

المهور ولم يقيد بمضى العدة وقالا عليها العدة وفى الهداية قول أبى حنيفة فيما اذا كان معتقدهم انه لاعدة

واما اذا كانت حاملا فقد قال عليه السلام

(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يسقين ماءه زرع غيره)

{ ولا تمسكوا بعصم الكوافر } هذا هو الحكم الرابع والامساك جنك درزدن ، ويعدى بالباء والعصم جمع عصمة وهى مايعتصم به من عقد وسبب والكوافر جمع كافرة والكوافر طائفتان من النساء طائفة قعدت عن الهجرة وثبتت على الكفر فى دار الحرب وطائفة ارتدت عن الهجرة ولحقت بازواجها الكفار والمعنى لايكن بينكم وبين المشركات عصمة ولا علقة زوجية وقال ابن عباس رضى الله عنهما من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتدن بها من نسائه كما قال بعض اهل التفسير المراد بالعصمة هنا النكاح بمعنى من كانت له زوجة كافرة بمكة او ارتدت ورجعت اليها فلا يعتد بها وبعدها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها منه فجاز

له أن يتزوج بأربع سواها وبرابعة وباختها من غير تربص وعدة وبالفارسية وما يستيد بنكه داشتن زنان كافره وايشانرا بزنان خود مشمريد ، فيكون اشارة الى حكم اللاتى بقين فى دار الكفر وما اسلمن ولا هاجرن بعد اسلام ازاجهن وهجرتهم وعن النخعى هى المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر فيكون قوله

{ ولاتمسكوا } بمقابلة قوله

{ اذا جاءكم المؤمنات } يعنى ان قوله

{ اذا جاءكم } الخ اشارة الى حكم اللاتى اسلمن وخرجن من دار الكفر وقوله

{ ولا تمسكوا } الخ اشارى الى حكم المسلمات اللاتى ارتددن وخرجن من دار الاسلام الى دار لكفر وعلى التفسيرين زال عقد النكاح بينهن وبين ازواجهن وانقطعت عصمتهن عنهم باختلاف الدارين فالعصمة هى المنع أريد بها فى الآية عقد النكاح الذى هو سبب لمنع

ازواجهن اياهن عن الاطلاق اى لاتعتدوا بما كان بينكم وبينهن من العقد الكائن قبل حصول اختلاف الدارين والفرقة عند الخليفة تقع بنفس الوصول الى دار الاسلام فلا حاجة الى الطلاق بعد وقوع الفرقة وكانت زينب بنت رسول الله عليه السلاة والسلام امرأة أبي العاص ابن الربيع فلحقت بالنبى عليه السلام واقام ابو العاص بمكة مشركا ثم اتى المدينة فاسلم فرجها عليه رسول الله عليه السلاموإذا اسلم الزوجان معا او اسلم زوج الكتابية فما على نكاحهما بالاتفاق واذا اسلمت المرأة فان كان مدخولا بها فأسلم فى عدتها فهى امرأته بالاتفاق وان كانت غير مدخول بها وقعت الفرقة بينهما وكان فسخا عند الثلاثة وقال ابو حنيفة يعرض عليه الاسلام فان أسلم فهى امرأته والا فرق القاضى بينهما بآبائه عن الاسلام وتكون هذه الفرقة طلاقا عند أبي حنيفة ومحمد وفسخا عند أبي يوسف ولها المهر ان كانت مدخولا بها والا فلا بالاتفاق وما اذا ارتد احد الزوجين المسلمين فقال أبو حنيفة ومالك تقع الفرقة حال الردة بلا تأخير قبل الدخول وبعده وقال الشافعى واحمد ان كانت الردة من احدهما قبل

الدخول انفسخ النكاح وان كانت بعده وقعت الفرقة على انقضاء العدة فان أسلم المرتد منهما فى العدة ثبت النكاح والا انفسخ بانقضائها ثم ان كان المرتد الزوجة بعد الدخول فلها المهر وقبله لاشيء لها وان كان الزوج فلها الكل بعده والنصف قبله بالاتفاق كذا فى فتح الرحمن وقال سهر رحمه الله فى الآية ولا توافقوا اهل البدع فى شيء من آرآئهم

{ واسألوا ماأنفقتم } هذه هو الحكم الخامس اى واسألوا الكافر ايها المؤمنون ماأنفقتم يعنى آنجه خرج كرده آيد من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار اى اذا ارتدت امرأة احدكم ولحقت بدار الحرب فاسألوا مهرها ممن تزوجها ولعل هذا لتطرية قلوب بعض المؤمنين بالمقابلة والمعادلة والا فظاهر حال الكرام الاستغناء عنه

{ وليسألوا } اى الكفار منكم

{ ماأنفقوا } من مهور ازواجهم المهاجرات اى يسأل كل حربى اسلمت امرأته وهاجرت الينا من تزوجها منا مهرها وبالفارسية عصمت

زوجيه منقطع شد ميان مؤمن وكافرة وميان كافر ومؤمنة بس هربك بايدكه

رد كند مهريرا كه بصاحبه خود داده اند ، وظاهر قوله وليسألوا يدل على

ان الكفار مخاطبون بالاحكام وهو أمر للمؤمنين بالاداء مجازا من قبيل

اطلاق الملزوم وارادة اللازم كما فى قوله تعالى

{ وليجدوا فيكم غلظة } افنه بمعنى واغلظوا عليهم

{ ذلكم } الذى ذكر فى هذه الآية من الاحكام

{ حكم الله } ماحكم الله به لان يراعى وقوله تعالى

{ يحكم بينكم } كلام مستأنف للتأكيد والحث على الرعاية

والعمل به قال فى فتح الرحمن ثم نسخ هذا الحكم بعد ذلك الا قوله

{ لاهن حل لهم ولاهم يحلو لهن } { والله عليم } بمصالحكم

{ حكيم } بشرع ماتقتضيه الحكمة البالغة قال ابن العربى كان

حكم الله هذا مخصوصا بذلك الزمان فى تلك النازلة خاصة وقال الزهرى

ولولا هذه الهدنة والعهد الذى كان بين رسول الله وبين قريش يوم الحديبية

لامسك النساء ولم يرد الصداق وكذا كان يصنع ممن جاءه من المسلمات قبل العهد روى انه لما نزلت الآية ادى المؤمنون مامروا به من مهور المهاجرات الى ازاجهن المشركين وابى المشركون أن يؤدوا شيا من مهور الكوافر الى ازاجهن المسلمين وقالوا نحن لانعلم لكم عندنا شيأ فن كان لنا عندكم شيء فوجهوا به فنزل قوله تعالى

١١

{ وان فاتكم } الفوت بعد الشيء عن الانسان بحيث يتعذر ادراكه وتعديته بالى لتضمنه معنى السبق او الانفلات دل عليه قوله

{ فآتوا الذين ذهبت ازواجهم } اى الى الكفار والمعنى سبقكم وانقلبت منكم اى خرج وفر منكم فجأة من غير تردد ولا تدبر وبالفارسية واكرفوت شود از شما امؤمنان

{ شيء من ازواجكم الى الكفار } اى احد من ازواجكم الى الكفار ودارهم ومهر او بدست شمانيابد.

وقد قرىء به وايقاع شىء موقعه للتحقير والاشباع فى التعميم لان النكرة فى سياق الشرط تفيد العموم والشىء لكونه اعم من الاحد أظهر احاطة لاصناف الزوجات اى اى نوع وصنف من النساء كالعربية او العجمية او الحرة او الامة او نحوها او فاتكم شىء من مهور ازواجكم على حذف المضاف ليتطابق الموصوف وصفته والزوج هنا هى المرأة (روى) انها نزلت فى ام الحكم بنت ابى سفيان فرت فتزوجها ثقفى لوم ترتد امرأة من قريش غيرها واسلمت مع قريش حين اسلموا وسيأتى غير ذلك

{ فعاقبتم } من العقبة وهى النوبة والمعاقبة المناوبة يقال عاقب الرجل صاحبه فى كذا اى جاء فعل كل واحد منهما بعقب فعل الآخر والمعنى وجاءت عقبتكم ونوبتكم من اداء المهر بأن هاجرت امرأة الكافر مسلمة الى المسلمين ولزمهم المرتدة ممن تزوجها منهم شبه ماحكم به على المسلمين والكافرين من اداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة واداء اولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بأمر يتعاقبون فيه كما يتعاقب فى الركوب

ونحو اى يتناوب والا فأدآء كل واحد من المسلمين والكفار لايلزم أن يعقب ادآء الآخر لجواز أن يتوجه الادآء لاحد الفريقين مرارا متعددة من غير أن يلزم الفريق الآخر شيء وبالعكس فلا يتعاقبون فى الآداء

{ فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل مآأنفقوا } اى من المهاجرة التى تزوجتموها ولاتؤتوا زوجها الكافر يعنى ان فاتت امرأة مسلم الى الكفار ولم يعط الكفار مهرها فاذا فاتت امرأة كافر الى المسلمين اى هاجرت اليهم وجب على المسلمين أن يعطوا المسلم الذى فاتت امرأته الى الكفار مثل مهر زوجته الفائتة من مهر هذه المرأة المهاجرة ليكون كالعوض لمهر زوجته الفائتة ولا يجوز لهم أن يعطوا مهر هذه المهاجرة زوجها الكافر قبل جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهادرين ست نسوة ام الحكم بنت أبي سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهرى وفاطمة بنت امية كانت تحت عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهى اخت ام سلمة وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان وعبدة بنت عبدالعزى بن نضلة وزوجها عمرو بن عبدور وهند بن أبي جهل كانت تحت هشام بن العاص

وكلثوم بنت جرول كانت تحت عمر رضى الله عنه واعطاهم رسول الله عليه السلام مهر نسائهم من الغنيمة كما فى الكشاف

{ واتقوا الله الذى أنتم به } لابغيره من الجبت والطاغوت

{ مؤمنون } فان الايمان به تعالى يقتضى التقوى منه تعالى

قال بعضهم حكم اين آيات تاباقى عهد باقى بود جون مرتفع كشت اين احكام منسوخ كشت ، وفى الآية اشارة الى المكافأة ان خيرا فخير وان شرا فشر (حكى) ان اخوين فى الجاهلية خرجا مسافرين فنزلا فى ظل شجرة تحت صفاة فلماذا الرواح خرجت لهما من تحت الصفاة حية تحمل دينارا فألقته اليهما فقالا ان هذا لمن كنز فأقاما عليه ثلاثة ايام كل يوم تخرج لهما دينارا فقال احدهما للآخر الى متى ننتظر هذه الحية ألا نتقتلها ونحفر عن هذا الكنز فنأخذه فنهاه اخوه وقال ماندرى لعلك تعطب ولا تدرك المال فأبى عليه فأخذ فاسا معه ورصد الحية حتى خرجت فرضبها ضربة جرحت رأسها ولم تقتلها فبادرت الحية فقتلته ورجعت الى

جحرها فدفنه اخوه واقام حتى اذا كان الغد خرجت الحية معصوبا رأسها ليس معها شيء فقال ياهذه انى والله مارضيت بما أصابك ولقد نهيت أخرى عن ذلك فهل لك أن نجعل الله بيننا لاتضرين بى ولا أضر بك وترجعين الى ماكنت عليه فقالت الحية لا فقال ولم قالت لانى لانى اعلم ان نفسك لاتطيب لى ابدا وأنت ترى قبر أخيك ونفسى لاتطيب لك وانا اذكر هذه الشجة فظهر من هذه الحكاية سر المكافأة وشرف التقوى فانه لو اتقى الله ولم يضع الشر موضع الخير بل شكر صنيع الحية لازداد مالا وعمرا

كرم كن نه برخاش وجنك آورى ... كه علام بزيرنكين آورى

جوكارى بزآيد بلطف وخوشى ... جه حاجت بتندى وكردن كشى

نمى ترسى اى كرك ناقص خرد ... كه روزى بلنكيت برهم درد

١٢

{ يا ايها النبى } ندآء تشريف وتعظيم

{ اذا جاءك المؤمنات } جون بيايند بتوزنان مؤمنة

{ يبايعنك } اى مبايعات لك اى قاصدات للمبايعة فهى حال مقدرة نزلت يوم الفتح فانه عليه السلام لما فرغ من بيعة الرجال شرع فى بيعة النساء سميت البيعة لان المبايع يبيع نفسه بالجنة المبايعة مفاعلة من البيع ومن عادة الناس حين المبايعة أن يضع احد المتبايعين يده على يد الآخر لتكون معاملتهم محكمة مثبتة فسميت المعاهدة بين المعاهدين مبايعة تشبيها لها بها فى الاحكام والابرام فمبايعة الامة رسولهم التزام طاعته وبذل الوسع فى امتثال اوامره واحكامه والمعاونة له ومبايعته اياهم الوعد بالثواب وتدبير امورهم و القيام بمصالحهم فى الغلبة على اعدائهم الظاهرة والباطنة والشفاعة لهم يوم الحساب ان كانوا ثابتين على تلك المعاهدة قائمين بما هو مقتضى المواعدة كام يقال بايع الرجل السلطان اذا اوجب على نفسه الاطاعة له وبايع السلطان الرعية اذا قيل القيام بمصالحهم واوجب على نفسه حفظ نفوسهم واموالهم من ايدى الظالمين

{ على ان لايشركن بالله شيأ } اى شيأ من الاشياء او شيأ من الاشتراك والظاهر ان المراد الشرك الاكبر ويجوز التعميم وللشرك الاصغر الذى هو الرياء فالمعنى الأن لايتخذن الها غير الله ولا يعملن الا خالصا لوجهه

مرايي هركس معبود سازد ... مرايي را زان كفتند مشرك

(قال الحافظ)

كوبيا باورنمى دارند روز داورى ... كين همه قلب ودغل دركار داور ميكنند

{ ولايسرقن } السرقة اخذ ماليس له اخذه فى خفاء وصار ذلك فى الشرع لتناول الشىء من موضع مخصوص وقدر مخصوص اى لايأخذن مال احد بغير حق ويكفى فى قبح السرقة ان النبى عليه السلام لعن السارق

{ ولايزنين } الزنى وطيء المرأة من غير عقد شرعى يقصر واذا

مد يصح أن يكون مصدر المفاعلة قال مظهر الدين الزنى فى اللغة عبارة

عن المجامعة فى الفرج على وجه الحرام ويدخل فيه اللواطة واتيان الهائم تم

كلامه قال عليه السلام (يقتل الفاعل والمفعول به) وثبت ان عليا رضى

الله عنه احرقهما وان أبا بكر رضى الله عنه هدم عليهما حائطا وذلك

بحسب مارأيا من المصلحة وقال عليه السلام (معلون من أتى امرأته فى

دبرها)

واما الاتيان من دبرها فى قبلها فمباح قال فى اللباب انفق المسلمون

على حرمة الجماع فى زمن الحيض واخلتفوا فى وجوب الكفارة على من

جامع فيه فذهب اكثرهم الى انه لاكفارة عليه فيستغفر وذهب قوم الى

وجوب الكفارة عليه تم كلامه وقال عليه السلام (من أتى بهيمة فاقتلوه

واقتلوها معه) قيل لابن عباس رضى الله عنهما ماشأن البهيمة قال

ماسمعت فيها من رسول الله شيأ ولكن اكره أن يحل لحمها وينتفع بها

كذلك

{ ولايقتلن اولادهن } أريد به وأد البنات اى دفنهن احياء خوف العار والفقر كما فى الجاهلية قال عليه اسلام

(لاتنزع الرحمة الا من شقى) (قال الحافظ)

هيج رحمى نه برادربه برادر ... هيج شوقى نه بدر رابه بسرمى بينم

دخترا نراهمه جنكست وجدل بامادر ... بسر انرا همه بدخواه بدرمى بينم

حكى ان هرون الرشيد زوج اخته من جعفر بشرط أن لايقرب منها فلم يصبر عنها فظهر حملها فدفنهما هرون حيين غضبا عليهما ويقال ولايشربن دوآء فيسقطن حملهن كما فى تفسير ابى الليث وفى نصاب الاحتساب تمنع القابلة من المعالجة لاسقاط الولد بعدما استبان خلقه وفنخ فيه الروح ومدة استبانة والنفخ بمائة وعشرين يوما

واما قبله فقيل لابأس به كالعزل

وقيل يكره لان مآل الماء الحياة كما اذا اتلف محرم بيضة صيد الحرم

ضمن لان مآلها الحياة فلها حكم الصيد بخلاف العزل لان ماء الرجل

لاينفخ فيه الروح الا بعد صنع آخر وهو الالقاء فى الرحم فلا يكون مآله

الحياة ولعل اسناد الفعل الى النساء اما باعتبار الرضى به او بمباشرته بأمر

زوجها

{ ولايأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن } الباء للتعدية

والبهتان الكذب الذى يبهت المذكوب عليه اى يدهشه ويجعله متحيرا

فيكون اقبح انواع الكذبوهو فى الاصل مصدر يقال بهت زيد عمرا بهتا

وبهتا وبهتانا اى قال عليه ومالم يفعله فزيد باهت وعمر ومبهوت والذى

بهت به مبهوت به واذا قالت لزوجها هذا ولدى منك لصبرى التقطتة

فقط بهتته به اى قالت عليه مالم يفعله جعله نفس البهتان ثم وصفه بكونه

مفترى مبالغة فى وصفهن بالكذب والافترآء الاختلاق يقال فرى فلان

كذبا اذا خلقه وافتراه اختلقه قوله يفترينه اما فى موضع جر على انه صفة

لبهتان او نصب على انه حال من فاعل يأتين وقوله بين ايديهن متعلق

بمحذوف هو حال من الضمير المنصوب فى يفترينه اى يختلقنه مقدرا وجوده بين ايديهن وارجلهن على أن يكون المراد بالبهتان الولد المبهوت به كما ذهب اليه جمهور المفسرين وليس المعنى على نهيهن عن أن يلحقن بأزواجهن ولدا التقطنه من بعض المواضع وكانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدى منك فى بطنى الذى بين يديي ووضعته من فرجى الذى هو بين رجلى فكنى عنه بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها لان بطنها الذى تحمله فيه بين يديها ومخرجه بين رجليها والمعنى ولايجئن بصبى ملتقط من غير ازواجهن فانه افترآء وبهتان لهم والبهتان من الكبائر الى تتصل بالشرك

{ ولا يصينك فى معروف } اى لا يخالفن امرك فيما تأمرهن به وتنهاهن عنه على ان المراد من المعروف الامور الحسنة التى عرف حسنها فى الدين فيؤمر بها والشؤون السيئة التى عرف قبحها فيه فينهى عنها كمنا قيل كل ماوافق فى طاعة الله فعلا او تركا فهو معروف وكما روى عن بضع اكابر المفسرين من انه هو النهى عن النياحة والدعاء بالويل

وتمزيق الثوب وحلق الشعر ونتفه ونثره وخمش الوجه وان تحدث المرأة الرجال

الا ذا رحم محرم وان تخلو برجل غير محرم وأن تسافر الا مع ذى رحم محرم

فيكون هذا للتعميم بعد التخصيص ويحتمل أن يكون المراد من المعروف

مايقابل المنكر فيكون ماقبله للنهى عن المنكر وهذا للامر بالمعروف لتكون

الآية جامعة لهما والتقييد بالمعروف مع ان الرسول عليه السلام لايأمر الابه

للتنبيه على انه لايجوز طاعة مخلوق فى معصية الخالق لانه لما شرط ذلك

فى طاعة النبى عليه السلام فيكف فى حق غيره وهو كقوله

{ الا ليطاع باذن الله } كما قال فى عين المعانى فدل على ان

طاعة الولاة لاتجب فى المنكر ولم يقل ولا يعصين الله لان من اطاع الرسول

فقد أطاع الله ومن عصاه فقد عصى الله وتخصيص الامور المعدودة بالذكر

فى حقهن لكثرة وقوعها فيما بينهن مع اختصاص بعضها بهن ووجه

الترتيب بين هذه المنهيات انه قدم الا قبح علماهو أدنى قبحا منه كذلك

الى آخرها ولذا قدم ماهو الاظهر والأغلب فيما بينهن وقال صاحب

اللباب ذكر الله تعالى فى هذه الآية لرسول الله عليه السلام فى صفة البيعة

خصالا ستا هن اركان مانهى عنه فى الدين ولم يذكر اركان ما أمر به وهى ايضا ست الشهدة والصلاة والزكاة والصيام والحج والاغتسال من الجنابة وذلك لان النهى عنها دآئم فى كل زمان وكل حال فكان التنبيه على اشتراك الدآئم اهم وآكد

{ فبايعهن } جواب لاذا فهو العامل فيها فان الفاء لاتكون مانعة وهو امر من المبايعة اى فبايعهن على ماذكر وما لم يذكر لوضوح امره وظهور اصالته فى المبايعة من الصلاة والزكاة وسائر اركان الدين وشعائر الاسلام اى بايعهن اذا بايعنك بضمان الثواب على الوفاء بهذه الاشياء فان المبايعة من جهة الرسول هو الوعد والثواب ومن جهة الآخر التزام طاعته كما سبق وتقييد مبايعتهن بما ذكر من جنيئهن لحثهن على المسارعة اليها مع كمال الرغبة فيها من غير دعوة لهن اليها

{ واستغفر لهن الله } زيادة على مافى ضمن المبايعة من مضان الثواب والاستغفار طلب المغفرة للذنوب والستر للعيوب

{ ان الله غفور رحيم } اى مبالغ فى المغفرة والرحمة فيغفر لهن

ويرحمهن اذا وفين بما بايعن عليه بزركى فرمود مردمان ميكويند رحمت

موقوفست بر ايمان يعنى تابنده ايمان نيارد مستحق رحمت نشود ومن مى

كويم كه ايمان موقوفست برحمت يعنى تا برحمت خود توفيق نبخشد كسى

بدولت ايمان نرسد (مصراع) توفيق عزيزست بهركسى ندهند.

يقول الفقير الامر بالاستغفار لهن اشارة الى قبول شفاعة

حبيبه عليه السلام فى حقهن فهو من رحمته الواسعة وقد عمم هذا الامر

فى سورة الفتح فاستفاد جميع عباده وامائه الى يوم القيامة من بحر هذا

الفضل مايغنيهم ويرويهم وهو الفياض قال الامام الطيبى لعل المبالغة فى

الغفور باعتبار الكيفية وفى الغفار باعتبار الكمية كما قال بعض الصالحين

انه غافر لانه يزيل معصيتك من ديوانك وغفور لانه ينسى الملائكة افعالك

السوء وغفار لانه تعالى ينسيك ايضا ذنبك كما تستحيي وحظ العارف

منه أن يستر من اخيه مايجب ان يستر منه ولا يفشى منه الا احسن ما

كان فيه ويتجاوز عما يندر عنه يكافىء المسيىء اليه بالصفح عنه والانعام

عليه نسأل الله سبحانه أن يجعلنا متخلقين باخلاقه الكريمة ومتصفين بصفاته العظيمة انه هو الغفور الرحيم واختلف فى كيفية مبايعته عليه السلام فى بيعة النساء ودعا بقدح من ماء فغمس فيه يده ثم غمس ايديهن فجاءت هند بنت عتبة امرأة أبى سفيان متنقبة متنكرة خوفا من رسول الله أن يعرفها لما صنعته بحمزة رضى الله عنه يوم احد من المثلة فلما قال عليه السلام

(ابايعكن على أن لاتشركن بالله شيأ) رفعت هند رأسها فقالت والله لقد عبدنا الاصنام وانك لتأخذ علينا امرا مارأيناك اخذته على الرجال تبايع الرجال على الاسلام والجهاد فلما قال عليه السلام (ولا يسرقن) قالت ان ابا سفيان رجل شحيح وانى اصبت منه ماله هنات اى شيأ يسيرا فما أدرى ايحل لى فقال ابو سفيان ماصبت فهو لك حلال فضحك عليه السلام وقالت (أنت هند) قالت نعم فاعف عما سلف يانبى الله عفا الله عنك فعفا عنها فقال (ولايزنين) فقالت وهل تزنى الحرة فقال عمر رضى الله عنه لو كان قلب نساء العرب على قلب هند مازنت

امرأة قط فقال (ولايقتلن اولادهن) فقالت ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا فانتم وهم اعلم وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله فقال (ولا يأتين ببهتان) فقالت والله ان البهتان لامر قبيح وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال (ولا يعصينك فى معروف) فقالت والله ماجلسنا مجلسنا هذا وفى انفسنا أن نعصيك فى شيء (وروى) انه عليه السلام بايعهن وبين يديه وايديهن ثوب قطرى والقطر بالكسر ضرب من البرود يأخذ بطرف منه و يأخذن بالطرف الآخر توقيا عن مساس ايدى الاجنبيات (وروى) انه جلس على الصفا ومعه عمر رضى الله عنه اسفل منه فجعل عليه السلام يشترط عليهن البيعة وعمر تصافحهن (وروى) ان عمر رضى الله عنه كان يبايع النساء بامره عليه السلام ويبلغهن عنه وهو اسفل منه عند الصفا (وروى) انه عليه لسلام كلف امرأة وقفت على الصفا فبايعهن وهى امية اخت خديجة رضى الله عنها خالة فاطمة رضى الله عنها والاظهر والاشهر

ماقالت عائشة رضى الله عنها والله ماخذ رسول الله على النساء قط الا

بما امر الله ومامست كف رسول الله كف امرأة قط وكان يقول

(اذا اخذ عليهن قد بايعتك على كلها) وكان المؤمنات اذا هاجرن

الى رسول الله يمتحنهن بقول الله

{ يا أيها النبى اذا جاءك المؤمنات } الخ فاذا اقررن بذلك من

قولهن قال لهن (انطلقن فقد بايعتكن).

يقول الفقير انما بايع عليه السلام الرجال مع مس الأيدى دون

النساء لان مقام الشارع يقتضى الاحتياط وتعليم الامة والا فاذا جاز

مصافحة عمر رضى الله عنهلهن كما فى بعض الروايات جاز

مصافحته عليه السلام لهن لانه اعلى حالا من عمر من كل وجه وبالجملة

كانت البيعة مع النساء والرجال امرا مشروعا بأمر الل وسنته بفعل رسول

الله ومن ذلك كانت عادة مستحسنة بين الفقراء الصوفية حين ارادة التوبة

تثبيتا للايمان وتجديدا لنور الايقان على ماشبعت الكلام عليه فى المبايعة

فى سورة الفتح وذكرنا كل طرف منها فيها فارجع وفى التأويلات النجمية قوله تعالى

{ يا أيها النبى اذا جاءك } الخ يخاطب نبى الروح ويشير الى النفوس المؤمنة الداخلة تحت شريعة نبى الروح يبايعنك على أن لايشركن بالله شيئأ من حب الدنيا وشهواتها ولذاتها وزينتها وزخارفها ولايسرقن من اخلاق الهوى المتبع وصفاته الرديئة ولايزنين اى مع الهوى بالاتفاق معه والاتباع له ولا يقتلن اولادهن اى لايمنعن ولا يرددن اولاد الخواطر الروحانية والالهامات الربانية ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن يعنى لايدعين بما لم يحصل لهن من المواهب العلوية من المشاهدات والمعاينات والتجريد والتفريد ولا من العطايا السفلية من الزهد والورع والتوكل والتسليم لانهن مابلغن بعد اليها ولا يعصينك فى معروف اى فى كل ما تأمرهن من الاخلاق والاوصاف فبايعهن اى فاقبل مبايعتهن بين يديك بالصدق والاخلاص واستغفر لهن الله مما وقع منهن قبل دخولهن

فى ظل انوارك من المخالفات الشرعية والموافقات الطبيعية ان الله غفور

يسترها بالموافقات الشرعية رحيم بهن يرحمهن بالمخالفات الطبيعية

١٣

{ يا أيها الذين آمنوا لاتتلوا قوما } دوستى ميكند باكروهى كه

، فالتولى هنا بمعنى الموالاة والموادة

{ غضب الله عليهم } صفة لقوها وكذا قد يئسوا وهم جنس

الكفار لان كلهم مغضوب عليهم لارحمة لهم من الرحمة الاخروية

وقيل الهيود لماروى انها نزلت فى بعض فقرآء المسلمين كانوا

يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم وهو قول الاكثرين وقد قال تعالى فى

حق اليهود وغضب الله عليهم وجعل منهم القردة والخنازير والقوم الرجال

وربما دخل النساء فيه على سبيل التبع لان قوم كل نبى رجال ونساء

{ قد يئسوا من الآخرة } اليأس انقطاع الطمع يعنى نوميد شدند

از آخرت ، لكفرهم بها وعدم ايقانهم على أن يراد بقوما عامة الكفرة ومن

لابتدآء الغاية اولعلمهم بأنه لاخلاق لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت فى التوراة المؤيد بالآيات على أن يراد به اليهود والتقدير من ثواب الآخرة يعنى انهم اهل الكتاب يؤمنون بالقيامة لكنهم لما اصروا على الكفر حسدا وعنادا يئسوا من ثوابها قال عليه السلام (يامعشر اليهود ويلكم اتقوا لله فواللّه الذى لا اله الا هو انكم لتعلمون انى رسول لله حقا انى جئتكم بحق أفلسموا)

{ كما يئس الكفار من اصحاب القبور } من بيان للفكار أى كائنين منهم اى كما يئس منها الذين ماتوا منهم لانهم وقفوا على حقيقة الحال وشاهدوا حرمانهم من نعيمها المقيم وابتلاءهم بعذابها الأليم والمراد وصفهم بكمال اليأس منها قال مقاتل ان الكافر اذا وضع فى قبره اتاه ملك شديد الانتهار ثم يسأله من ربك ومادينك ومن نبيك فيقول لاأدرى فيقول الملك أبعدك الله انظر الى منزلتك من النار فيدعو بالويل والثبور ويقول هذا لك فيفتح باب الجنة فيقول هذا لمن آمن باللّه فلو كنت

آمنت بربك نزلت الجنة فيكون حسرة عليه وينقطع رجاؤه ويعلم انه لا حظ له فيها وييأس من خير الجنة

وقيل من متعلقة بيئس فالمعنى كما يئسوا من موتاهم أن يبعثوا ويرجعوا الى الدنيا احياء الاظهار فى موضع الاضمار للاشعار بعلة يأسهم وهو الكفر والقبر مقر الميت والمقبرة موضع القبور وفى الآية اشارة الى الابدان المريضة المعتلة النجسة الخبيثة المظلمة فان الكفار أيسوا من خروج ضيق قبور اخلاقهم السيئة الى سعة فضاء صفاتهم الحسنة وكذا سائرهم من اهل الحجب الكثيفة ومن اصحاب القبور من حالة على عكس هذا كما أشار النبى عليه السلام بقوله (كن فى الدنيا كأنك غريب او عابر سبيل وعد نفسك من اصحاب القبور) وهم من ماتوا بالاختيار قبل الموت بالاضطرار وذلك بالنفاء التام فكانت اجسادهم لارواحهم كالقبور للموتى نسأل الله الختم بالسعادة بحرمة من له كمال السيادة والدفن فى احب البقاع اليه والقدوم بكمال البشرى عليه والقيام بمزيد الخفر لديه

خدايا بحق بنى فاطمة ... كه بر قول ايمان كنم خاتمه

خداوندكار انظركن بجو ... كه جرم آيداز بندكان در وجود

جومارا بدنيا تو كردى عزيز ... بعقبى همين جشم داريم نيز

سُورَةُ الصَّفِّ مَدَنِيَّةٌ

وَهِيَ أَرْبَعَ عَشَرَةَ آيَةً

١

{ سبح لله } نزهه عن كل مالايليق بجنابه العلى العظيم

{ مافى السموات } من العلويات الفاعلة

{ وما فى الارض } من السفليات القابلة آفاقا وانفسا اى سبحه جميع الاشياء من غير فرق موجود وموجود كما قال تعالى

{ وان من شىء الا يسبح بحمده } { وهو العزيز } الغالب الذى لايكون الا مايريد

{ الحكيم } الذى لايفعل الا بالحكمة فلا عزيز ولاحيكم على الاطلاق غيره فلذا يجب تسبيحه قال فى كشف الاسرار من أراد يصفو له تسبيحه فليصف عن آثار نفسه قلبه ومن أراد أن يصفو له فى الجنة عيشة فليصف عن اوضار الهوى دينه

٢

{ يا أيها الذين آمنوا } ايمانا رسميا

{ لم تقولون مالا تفعلون } روى ان المسلمين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله تعالى لبذلنا فيه أموالنا وانفسنا فلما نزل الجهاد كرهوه فنزلت تعبيرا لهم بترك الوفاء ولم مركبة من اللام الجارة وما الاستفهامية قد حذفت ألفها تخفيفا لكثرة استعمالها معا كما فى عم وفيم ونظائرهما معناها لاى شىء تقولون نفعل مالا تفعلون من الخير والمعروف عل ان مدار التعبير والتوبيخ فى الحقيقة عدم فعلهم وانما وجهه الى قولهم تنبيها على تضاعف معصيتهم ببيان ان المنكر ليس ترك الخير الموعود فقط بل الوعد

به ايضا وقد كانوا يحسبونه معروفا ولو قيل لم لا تفعلون ماتقولون لفهم منه ان المنكر هو ترك الموعود فليس المراد من ماحقيقة الاستفهام لان الاستفهام من الله محال لانه عالم بجميع الاشياء بل المراد الانكار والتوبيخ علىأن يقول الانسان من نفسه مالا يفعله من الخير لانه ان اخبر أنه فعل فى الماضى والحال ولم يفعله كان كاذبا وان وعد أن يفعله فى المستقبل ولايفعله كان خلفا وكلاهما مذموم كما قال فى الكشاف هذا الكلام يتناول الكذب واخلاف الموعود وهذا بخلاف ماذا وعد فلم يف بميعاده لعذر من الاعذار فانه لا اثم عليه وفى عرآئس البقلى حذر الله المريدين أن يظهروا يدعوى المقامات التى لم يبلغوا اليها لئلا يقعوا فى مقت الله وينقطعوا عن طريق الحق بالدعوى بالباطل وايضا زجر الاكابر فى ترك بعض الحقوق ومن لم يوف بالعهود ولم يأت بالحقوق لم يصل الى الحق والحقيقة وايضا ليس للعبد فعل ولا تدبير لانه اسير فى قبضة العزة يجرى عليه احكام القدرة وتصاريف المشيئة فمن قال فعلت او أتيت او شهدت فقد نسى مولاه وادعى ماليس له ومن شهد من نفسه طاعة كان الى العصيان اقرب لان

النسيان من العمى وفى التأويلات النجمية يأأيها المؤمنون المقلدون لم تذمون الدنيا بلسان الظاهر وتمدحونها بلسان الباطن شهادة ارتكابكم انواع الشهوات الحيواينة واصناف اللذات الجسمانية او تمدحون الجهاد بلسانكم وتذمونه بقلوبكم وذلك يدل على اعراضكم عن الحق واقبالكم على النفس والدنيا وهذا كبر مقتا عند الله تعالى كما قال

٣

{ كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون } كبر من باب نعم وبئس فيه ضمير مبهم مفسر بالنكرة بعده وأن تقولوا هو المخصوص بالذم والمقت البغض الشديد لمن يراه متعاطيا لقبيح يقال مقته فهو مقيت وممقوت وكان يسمى تزوج امرأة الأب نكاح المقت وعند الله ظرف للفعل بمعنى فى علمه وحكمته والكلام بيان لغاية قبح مافعلوه اى عظم بغضا فى حكمته تعالى هذا القول المجرد فهو أشد ممقوتية ومبغوضية فمن مقته الله فله النار ومن احبه الله فله الجنة (قال الكاشفى) ونزد بعضى علما آيت عامست يعنى هركه سخنى كويد ونكند درين عتاب داخلست

ویا آن علما نیزکه خلق رابعمل خیر فرمایند وخود ترک نمایند این سیاست خواهد بود

لاتنه عن خلق و تأتی مثله ... عار علیك اذا فعلت عظیم

واوحی الله تعالی الی عیسی علیه السلام یابن مریم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحی منی وحضرت بیغمبر علیه السلام درشب معراد دیدکه لبهای جنین کسان بمقراض آتشبن می بریدند

ازمن بکوی علام تفسیر کوی را ... کردر عمل نکوشی نادان مفسر

بار درخت لعم ندایم بجز عمل ... باعلم اکر عمل نکنی شاخ بی بری

قیل لبعض السلف حدثنا فسکت ثم قیل له حدثنا فقال لهم اتأمروننی أن اقول مالا افعل فأستعجل مقت الله قال القرطبی رحمه الله ثلاث آیات منعتنی ان اقص علی الناس

{ أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفكسم } وما اريد ان اخالفكم الى ماناكم عنه

{ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون } وقد ورد الوعيد فى حق من يترك العلم فالخوف اذا على كل منهما فى درجة متناهية فيكف على من يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف واكثر الناس فى هذا الزمان هكذا والعياذ بالله تعالى قال فى اللباب ان الآية توجب على كل من ألزم نفسه عملا فيه طاعة الله أن يفى به فان من التزم شيأ لزم شرعا اذا الملتزم اما نذر تقرب مبتدأ كقوله لله على صلاة او صوم او صدقة ونحوه من القرب فليزمه الوفاء اجماعا او نذر مباح وهو ماعلق بشرط رغبة كقوله ان قدم عائبى فعلى صدقة او بشرط رهبة كقوله ان كفانى الله شر كذا فعلى صدقة ففيه خلاف فقال مالك وابو حنيفة يلزمه الوفاء به وقال الشافعى فى قول لايلزم وعموم الآية حجة لنا لانها بمطلقها تتناول ذم من قلا مالا يفعله على اى وجه كان من مطلق اى مقيد بشرط

٤

{ ان الله يحب الذين يقاتلون } اعدآء الله

{ فى سبيله } فى طريق مرضاته واعلاء دينه اى يرضى عنهم وثنى عليهم

{ صفا } صف زده در برابر خصم ، وهو بيان لما هو مرضى عنده تعالى بعد بيان ماهو ممقوت عنده وهذا صريح فى ان ماقاوه عبارة عن الوعد بالقتال وصفا مصدر وقع موقع الفاعل او المفعول ونصبه على الحالية من فاعل يقاتلون اى صافين انفسهم او مصفوفين والصف ان يجعل الشىء على خط مستو كالناس والاشجار

{ كأنهم بنيان مرصوص } حال من المستكن فى الحال الاولى والبنيان الحائط وفى القاموس البناء ضد الهدم بناه بنيا وبناءه وبنيانا وبنية وبناية والنباء المبنى والبنيان واحد لايجمع دل عليه تذكير مرصوص وقال بعضهم بينان جمع بنيانه على حد نخل ونخلة وهذا النحو من الجمع يصح تأنيثه وتذكيره الرص اتصال بعض البناء بالبعض واستكامه

كما قال فى تاج المصادر الرص استوار بر آوردن بنا ، قال ابن عباس رضى الله عنهما يوضع الحجر على الحجر ثم يرص باحجار صغار ثم يوضع اللبن عليه فيسيمه اهل مكة المرصوص والمعنى حال كونهم مشبهين فى تراصهم من غير فرجة وخلل ببنيان رص بعضه الى بعض ورصف حتى صار شيأ واحدا وقال الراغب بينان مرصوص اى محكم كأنما بنى بالرصاص يعنى كوبيا ايشان در اسحكام بنا اندريخته ازار زير كنايتست ازثبات قدم ايشان در معركه حرب وبيكديكر باز جسبيدن ، وقول الفرآء وتراصوا فى الصلاة اى تضايقوا فيها كما قال عليه السلام (تراصوا بينكم فى الصلاة لايتخللكم الشياطين فالرحمة فى مثل هذا المقام رحمة فلابد من سد الخلل او المحاذاة بالمناكب كالبنيان المرصوص) ولاينافيه قول سفيان ينبغى أن يكون بين الرجلين فى الصف قدر ثلثى ذراع فذاك فغيره كما فى المقاصد الحسنة وعن بعضهم فيه دليل على فضل القتل راجلا لان الفرسان لايصطفون على هذه الصفة كما فى الكشاف.

يقول الفقير الدليل على فضل الراكب على الراجل ان له سهمين

من الغنيمة وانما حث عليه السلام على التراص لان المسلمين يومئذ كانوا

راجلين غالبا ولم يجدوا راحلة ونحوها الا قليلا قال سعيد ابن جبير رضى

الله عنه هذا تعليم من الله للمؤمنين كيف يكونون عند قتال عدوهم ولذلك

قالوا لايجوز الخروج من الصف الا لحاجة تعرض للانسان او فى رسالة

يرسله الامام او منفعة تظهر فى المقام المنتقل اليه كفرصة تنتهز ولا خلاف

فيها وفى الخروج عن الصف للمبارزة خلاف لابأس بذلك ارهابا للعدو

وطلبا للشهادة وتحريضا على القتال

وقيل لايبرز احد لذلك لان فيه رياء او خروجا الى ما نهى الله عنه

وانما تكون المبارزة اذا طلبها الكافر كما كانت فى حروب النبى عليه

السلام يوم بدر وفى غزوة خيبر قال فتح الرحمن اما حكم الجهاد فهو فرض

كفاية على المستطيع بالاتفاق اذا فعله البعض سقط عن الباقين وعند

النفير العام وهو هجوم العدو يصير فرض عين بلا خلاف ففى الآية زجر

عن التباطىء وحث على التسارع ودلالة على فضيلة الجهاد وروى فى الخبر

انه لما كان يوم مؤتة بالضم موضع بمشارف الشام قتل فيه جعفر ابن أبى طالب وفيه كانت تعمل السيوف كما فى القاموس وكان عبدالله بن رواحة رضى الله عنه احد الآمراء الذين امرهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ناداهم ياهل المجلس هذا الذى وعدكم ربكم فقاتل حتى قتل فى مسجده على حياته وجلس اليه رسول الله يوما وقال امرت أن أجلس وامر ابن رواحة أن يمضى فى كلامه كما فى كشف الاسرار ثم ان الجهاد اما مع الاعدآء الظاهرة كالفكار والمنافقين

واما مع الاعدآء الباطنة كالنفس والشيطان وقال عليه السلام

(المجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله المهاجر من هاجر الخطايا والذنوب واعظم المجاهدة فى الطاعة الصلاة لان فيها سر الفناء وتشق على النفس)

٥

{ واذ قال موسى لقومه } كلام مستأنف مقرر لما قبله من شناعة

ترك القتال واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبى عليه

السلام بطريق التلوين اىاذكر لهؤلاء المؤمنين المتقاعدين على القتال وقت

قول موسى لبنى اسرآئيل حين نديهم الى قتال الجبابرة بقوله

{ ياقوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ولاترتدوا على

ادباركم فتنقلبوا خاسرين } فلم يمتثلوا بأمره وعصروه أشد عصيان حيث

{ قالوا ياموسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا

منها فان يخرجوا منها فانا داخلون } الى قوله

{ فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون } واصروا على

ذلك وآذوه عليه السلام كل الأذية كذا فى الاشاد.

يقول الفقير لاشك ان قتل الآعداء من باب التسبيح لانهم الذين

قالوا اتخذ الله ولدا وعبدوا معه الاصنام فكان فى مقالتهم توسيع ساحة

التنزيه ولذا بدأ الله تعالى فى عنوان السورة بالتسبيح وأشار بلفظ الحكيم

الى ان القتال من باب الحكمة وانه من باب دفع القضاء بالقضاء على مايعرفه اهل الله وبلفظ العزيز الى غلبة المؤمنين المقاتلين ثم انهم كرهوا ذلك كأنهم لم يثقوا بوعد الله بالغلبة ووقعوا من حيث لم يحتسبوا فى ورطة نسبة العجز الى الله سبحانه ولذا تقاعدوا عن القتال وبهذا التقاعد حصلت الاذية لهعليه السلام لان مخالفة اولى الامر اذية لهم فأشار الحق تعالى بقصة موسى الى ان الرسول حق وان الخروج عن طاعته فسق وان الفاسق مغضوب الله تعالى لان الهداية من باب الرحمة وعدمها من باب السخط والعياذ بالله تعالى من سخطه وغضبه وأليم عذابه وعقابه

{ ياقوم } اى كروه من ، فأصله ياقومى ولذا تكسر الميم ولولا تقدير الياء لقيل ياقوم بالضم لانه حينئذ يكون مفردا معرفة فيبنى على الضم وهو ندآء بالرفق والشفقة كما هو شأن الانبياء ومن يليهم

{ لم تؤذوننى } جرامى رنجانيد مرا ، اى بالمخالفة والعصيان فيما امرتكم به والاذى مايصل الى الانسان من ضرر اما فى نفسه او فى جسمه او قنياته دنيويا كاناو أخرويا قال فى القاموس آذى فعل الأذى

وصاحبه اذى واذاة واذية ولا تقل ايذآء انتهى فلفظ الايذآء فى افواه العوم من الاغلاط وربما تراه فى عبارات بعض المصنفين

{ وقد تعلمون انى رسول الله اليكم } جملعة حالية مؤكدة لانكار الأذية ونفى سببها وقد لتحقيق العلم لا للتوقع ولا للتقريب ولا للتقليل فانهم قالوا ان قد اذا خدلت على الحال تكون للتحقيق واذا دخلت على الاستقبال تكون للتقليل وصيغة المضارع للدلالة على استمرار العلم اى والحال انكم تعلمون علما قطيعا مستمرا بمشاهدة ماظهر بيدى من المعجزات انى مرسل من الله اليكم لأرشدكم الى خير الدنيا والآخرة ومن قضية علمكم بذلك أن تبالغوا فى تعظيمى وتسارعوا الى طاعتى فان تعظيمى تعظيم لله واطاعتى اطاعة له وفيه تسلية للنبى عليه السلام بأن الاذية قد كانت من الامم السالفة ايضا لأنبيائهم والبلاء اذا عم خف وفى الحديث

(رحمة الله على أخى موسى لقد اوذى باكثر من هذا فصبر) وذلك انه عليه السلام لما قسم غنائم الطائف قال بعض المنافقين هذه القسمة ماعدل فيها ما أريد بها وجه الله فتغير وجهه الشريف وقال ذلك

{ فلما زاغوا } الزيغ الميل عن الاستقامة والنزايغ التمايل اى اصروا على الزيغ عن الحق الذى جاء به موسى واستمروا عليه

{ ازاغ الله قلوبهم } اى صرفها عن قبول الحق والميل الى الصواب لصرف اختيارهم نحو الغي والضلال وقال الراغب فى المفردات اى لما فارقوا الاستقامة عاملهم بذلك وقال جعفر لما تركوا او امر الخدمة نزع الله من قلوبهم نور الايمان وجعل للشيطان اليهم طريقا فأزاغهم عن طريق الحق وادخلهم فى مسالك الباطل وقال الواسطى لما زاغوا عن القربة فى العلم ازاغ الله قلوبهم فى الخلقة وقال بعضهم لما زاغوا عن العبادة ازاغ الله قلوبهم عن الارادة يقول الفقير لما زاغوا عن رسالة موسى ونبوته أزاغ الله قلوبهم عن ولايته وجمعيته فهم رأوا موسى على انه موسى لا على انه رسول نبى فحرموا من رؤية الحق تعالى

{ والله لايهدى القوم الفاسقين } اعتراض تذييلى مقرر لمضمون

ماقبله من الازاغة وموذن بعليته اى لايهدى القوم الخارجين عن الطاعة

ومنهاج الحق المصرين على الغواية هداية موصلة الى البغية لاهداية موصلة

الى مايوصل اليها فانها شاملة للكل والمراد جنس الفاسقين وهم داخلون

فى حكمهم دخولا اوليا ووصفهم بالفسق نظرا القوله تعالى

{ فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين } وقوله تعالى

{ فلا تأس على القوم الفاسقين } قال الامام هذه الآية تدل

على عظم اذى الرسول حتى انه يؤدى الى الكفر وزيغ القلوب عن الهدى

انتهى ، ويتبعه اذى العالمين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر لان

العلماء ورثة الانبياء فأذاهم فى حكم أذاهم فكما ان الانبياء والاولياء

داعون الى الله تعالى على بصيرة فكذلك رسل القلوب فانهم يدعون القوى

البشرية والطبيعية من الصفات البشرية السفلية الاخلاق الروحانية العلوية

ومن ظلمة الخلقية الى نور الحقية فمن مال عن الحق وقبول الدعوة لعدم

الاستعداد الذاتى ضل بالتوجه الى الدنيا والاقبال عليها فأنى يجد الهداية الى حضرة الحق سبحانه

٦

{ واذ قال عيسى ابن مريم } اما معطوف على اذ الاولى معمول لعاملها

واما معمول لمضمر معطوف على عاملها وابن هنا وفى عزيز ابن الله باثبات الالف خطا لندرة وقوعه بين رب وعبد وذكر وانثى

{ يابنى اسرآئيل } اى فر زندان يعقوب ، ناداهم بذلك استمالة لقلوبهم الى تصديقه فى قوله

{ انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة } فان تصديقه عليه اللام اياها من اقوى الدواعى الى تصديقهم اياه اى ارسلت اليكم لتبليغ احكامه التى لابد منها فى صلاح اموركم الدينية ، والدنيوية در حالتى كه باور دارنده ام من آنجيز را كه بيش منسب ازكتاب

تورات يعنى قبل ازمن نازل شده ومن تصديق كرده م كه آن ازنزد خداست ، وقال ابو الليث يعنى اقرأ عليكم الانجيل موافقا للتوراة فى التوحيد وبعض الشرآئع قال القاضى فى تفسيره ولعله لم يقل ياقوم كما قال موسى لانه لانسب له فيهم اذ النسب الى الآباء والا فمريم من بنى اسرآئيل لان اسرآئيل لقب يعقوب ومريم من نسله ثم ان هذا دل على ان تصديق المتقدم من الانبياء والكتب من شعائر اهل الصدق ففيه مدح لامة محمد عليه السلام حيث صدقوا الكل

{ ومبشرا } التبشير مرده دادن

{ برسول يأتى من بعدى } معطوف على مصدقا داع الى تصديقه عليه السلام من حيث ان البشارة به واقعة فى التوراة والعامل فيهما ما فى الرسول من معنى الارسل الجار فانه صلة للرسول والصلاة بمعزل عن تضمن معنى الفعل وعليه يدور العمل اى ارسلت اليكم حال كونى مصدقا لما تقدمنى من التوراة ومبشرا بمن يأتى من بعدى من رسول وكان بين مولده وبين الهجرة ستمائة وثلاثون سنة وقال بعضهم بشرهم به

ليؤمنوا به عند مجيئه او ليكون معجزة لعيسى عند ظهوره والتبشير به تبشير بالقرءآن ايضا وتصديق له كالتوراة

{ اسمه احمد } اى محمد صلّى الله عليه وسلّم يريد أن دينى التصديق بكتب الله وانبيائه جميعا ممن تقدم وتأخر فذكر اول الكتب المشهورة الذى يحكم به النبيون والنبي الذى هو خاتم النبيين وعن اصحاب رسول الله انهم قالوا اخبرنا يارسول الله عن نفسك قال انا دعوة ابراهيم وبشرى عيسى ورأت امى رؤيا حين حملتنى انه خرج منها نور اضاء لها قصور بصرى فى ارش الشأم وبصرى كحبلى بلد الشام وكذا بشر كل نبى قومه بنبينا محمد عليه السلام والله تعالى افرد عيسى عليه السلام بالذكر فى هذا الموضع لانه آخر نبى قبل نبينا فبين ان البشارة به عمت جميع الانبياء واحدا بعد واحد حتى انتهت الى عيسى كما فى كشف الاسرار وقال بعضهم كان بين رفع المسيح ومولد النبى عليه السلام خمسمائة وخمس واربعون سنة تقريبا وعاش المسيح الى ان رفع ثلاثا وثلاثين سنة وبين رفعه والهجرة الشريفة خمسمائة وثمان وتسعون سنة ونزل

عليهجبريل عشر مرات وامته امة مرحومة جامعة لجميع الملكات الفاضلة قيل قال الحواريون لعيسى ياروح الله هل بعدنا امة قال نعم امة محمد حكماء وعلماء ابرار واتقياء كأنهم من الفقه انبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منه اليسير من العمل واحمد اسم نبينا صلّى الله عليه وسلّم قال حضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر فى كتاب تلقيح الاذهان سمى من حيث تكرر حمده محمدا ومن حيث كونه حامل لوآء الحمد احمد انتهى قال الراغب احمد اشارة للنبى عليه السلام باسمه تنبيها على انه كما وجد اسمه احمد يوجد جسمه وهو محمود فى اخلاقه وافعاله واقواله وخص لفظ احمد فيما بشر به عيسى تنبيها انه احمد منه ومن الذين قبله انتهى ويوافقه مافى كشف الاسرار من ان الالف فيه للمبالغة فى الحمد وله وجهان احدهما انه مبالغة من الفاعل اى الانبياء كلهم محمودون لما فيهم من الخصال الحميدة وهو اكثر مناقب واجمع للفضائل والمحاسن التى يحمد بها انتهى

زصد هزار محمد که در جهان آید ... یکی بمزلت وفضل مصطفی ترسد

قال ابن الشيخ فى حواشيه يحتمل أن يكون احمد منقولا من الفعل المضارع وأن يكون منقولا من صفة وهى افعل التفضيل وهو الظاهر وكذا محمد فانه منقول من الصفة ايضا وهو فى معنى محمود ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار فانه محمود فى الدنيا بما هدى اليه ونفع به من العلم والحكمة ومحمود فى الآخرة بالشفاعة وقال الامام السهيلى فى كتاب التعريف والاعلام احمد اسم علم منقول من صفة لا من فعل وتلك الصفة افعل التى يراد بها التفضيل فمعنى احمد الحامدين لربه عز وجل وكذلك قال هو فى المعنى لانه يفتح عليه فى المقام المحمود بمحامد لم تفتح على احد قبله فيحمد ربه بها وكذلك يعقد لوآء الحمد

واما محمد فمنقول من صفة ايضا وهو فى معنى محمود ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار فحمد هو الذى حمد مرة بعد مرة كما ان المكرم من اكرم مرة بعد مرة وكذلك الممدح ونحو ذلك فاسم محمد مطابق لمعناه والله

تعالى سماه به قبل أن يسمى به نفسه فهذا علم من اعلام نبوته اذ كان اسمه صادقا عليه فهو محمود فى الدنيا بما هدى اليه ونفع به من العلم والحكمة وهو محمود فى الآخرة بالشفاعة فقد تكرر معنى الحمد كما يقتضى اللفظ ثم انه لم يكن محمدا حتى كان حمد ربه فنبأه وشرفه ولذلك تقدم اسم احمد على الاسم الذى هو محمد فذكره عيسى عليه لسلام فقل اسمه احمد ذكره موسى عليه السلام حين قال له ربه تلك امة احمد فقال اللهم اجعلنى من امة احمد فبأحمد ذكره قبل أن يذكره بمحمد لان حمده لربه كان قبل حمد الناس فلما وجد بعث كان محمدا بالفعل وكذلك فى الشفاعة يحمد ربه بالمحامد التى يفتحها عليه فيكون احمد الناس لربه ثم يشفع فيحمد على شفاعته فانظر كيف كان ترتيب هذا الاسم قبل الاسم الآخر فى الذكر وفى الوجود وفى الدنيا وفى الآخرة تلح لك الحكمة الالهية فى تخصيصه بهذين الاسمين وانظر كيف انزلت عليه سورة الحمد وخص بها دون سائر الانبياء وخص بلوآء الحمد وخص بالمقام المحمود وانظر كيف

شرع له سنة وقرءآنا أن يقول عند اختتام الافعال وانقضاء الامور الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى

{ وقضى بينهم بالحق }

وقيل

{ الحمد لله رب العالمين } وقال ايضا

{ وآخر دعواهم الحمد لله رب العالمين } تنبيها لنا على ان الحمد مشروع عند انقضاء الامور وسن عليه السلام الحمد بعد الاكل والشرب وقال عند انقضاء السفر آئبون تائبون لربنا حامدون ثم انظر لكونه عليه السلام خاتم الانبياء ومؤذنا بانفصال الرسالة وانقطاع الوحى ونذيرا بقرب الساعة وتمام الدنيا مع ان الحمد كما قدمنا مقرون بانقضاء الامور مشروع عندها تجد معانى اسمه جميعا وما خص به من الحمد والمحامد مشاكلا لمعناه مطابقا لصفته وفى ذكره برهان عظيم وعلم واضح على نبوته وتخصيص الله

له بكرامته وانه قدم له هذه المقامات قبل وجوده تكرمة له وتصديقا لامره عليه السلام انتهى كلام السيهلى.

يقول الفقير الذى يلوح بالبال ان تقدم الاسم احمد على الاسم محمد من حيث انه عليه السلام كان اذ ذاك فى عالم الارواح متميزا عن الاحد بميم الامكان فدل قلة حروف اسمه على تجرده التام الذى يقتضيه موطن عالم الارواح ثم انه لما تشرف بالظهور فى عالم العين الخارج وخلع الله عليه من الحكمة خلعة اخرى زآئدة على الخلع التى قبلها ضوعف حروف اسمه الشريف فقيل محمد على ما يقتضيه موطن العين ونشأة الوجود الخارجى ولا نهاية للاسرار والحمد لله تعالى قال حضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر فى كتاب مواقع النجوم مانتظم من الوجود شيء بشيء ولا انضاف منه شيء الى شيء الا لمناسبة بينهما ظاهرة او باطنة فالمناسبة موجودة فى كل الاشياء حتى بين الاسم والمسمى ولقد أشار أبو يزيد السهيلى وان كان اجنبيا عن اهل هذه الطريقة الى هذا المقام فى كتاب المعارف والاعلام له فى اسم النبى عليه السلام محمد واحمد وتلكم على

المناسبة التى بين افعال النبى عليه السلام واخلاقه وبين معانى اسميه محمد واحمد انتهى كلام الشيخ أشار رضى الله عنه الى ماقدمناه من كلام السهيلى وقال بعضه العارفين سمى عليه السلام بأحمد لكون حمده اتم واشتمل من حمد سائر الانبياء والرسل اذ محامدهم لله انما هى بمقتضى توحيد الصفات والافعال وحمده عليه السلامانما هو بحسب توحيد الذات المستوعب لتوحيد الصفات والافعال انتهى.

قال فى فتح الرحمن لم يسم بأحمد أحد غيره ولا دعى به مدعو قبله وكذلك محمد ايضا لم يسم به احد من العرب ولاغيرهم الى أن شاع قبيل وجود عليه السلامومیلاده اى الكهان والاحبار ان نبيا يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب ابناءهم بذلك رجاء أن يكون احدهم هو وهم محمد بن احيحة بن الجلاح الاوسى ومحمد بن مسلمة الانصارى محمد بن الرآء البكرى محمد بن سفيان بن مجاشع ومحمد بن حمدان الجعفى ومحمد بن خزاعة السلمى فهم ستة لاسابع لهم ثم حمى الله كل من تسمى

به ان يدعى النبوة او يدعيها احد له او يظهر عليه سبب يشكك احدا
فى امره حتى تحققت السمتان له عليه السلام ولم ينازع فيهما انتهى.

واختلف فى عدد اسماء النبي عليه السلام فقيل له عليه السلام ألف اسم كما ان لله تعالى ألف اسم وذلك فانه عليه السلام مظهر تام له تعالى فكما ان اسماءه تعالى اسماء له عليه السلام منه جهة الجمع فله عليه السلام اسماء أخر من جهة الفرق على متقتضيه الحكمة فبهذا الموطن فمن اسمائه محمد اى كثير الحمد لان اهل السماء والارض حمدوه فى الدنيا والآخرة ومنها احمد اى اعظم حمدا من غيره لانه حمد الله تعالى بمحامد لم يحمد بها غيره ومنها المقفى بتشديد الفاء وكسره لانه أتى عقيب الانبياء وفى قفاهم وفى التكملة هو الذى قفى على اثر الانبياء اى اتبع آثارهم ومنه نبى التوبة لانه كثير الاستغفار والرجوع الى الله او لان التوبة فى امته صارت اسهل الا ترى ان توبة عبدة العجل كانت بقتل النفس او لان توبة امته كانت ابلغ من غيرهم حتى يكون التائب منهم كمن لا ذنب له لايؤاخذه به فى الدنيا ولا فى الآخرة وغيرهم يؤاخذ فى

الدنيا لا فى الآخرة منها نبي الرحمة لان كان سبب الرحمة وهو الوجود لقوله تعالى (لولاك لما خلقت الافلاك) فى كتاب البرهان للكرمانى لولاك يا محمد لما خلقت الكائنات خاطب الله النبي عليه السلام بهذا القول انتهى قيل الاولى ان يحترز عن القول بأنه لولا الانبياء عليه السلام لان لما خلق الله آدم وان كان هذا شيأ يذكره الواعظ على رؤوس المنابر يرون به تعظيم محمد عليه السلام لان النبي عليه السلام وان كان عظيم المرتبة عند الله لكن لكل نبي من الانبياء مرتبة ومنزلة وخاصية ليست لغيره فيكون لك نبي اصلا لنفسه كما فى التاتار خانية.

يقول الفقير كان عليه السلام نبي الرحمة لانه هو الأمان الاعظم ماعاش و مادامت سنته باقية على وجه الزمان قال تعالى

{ وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون } قال امير المؤمنين على رضى الله عنه كان فى الارض امانان فرفع احدهما وبقى الآخر فاما الذى رفع فهو رسول الله عليه السلام

واما الذى بقى فالاستغفار وقرأ بعد هذه الآية ومنها نبى

الملحمة اى الحرب لانه بعث بالقتال فان قلت المبعوث بالقتال كيف

يكون رحمة قلت كان امم الانبياء يهلكون فى الدنيا اذا لم يؤمنوا بهم بعد

المعجزات ونبينا عليه السلام بعث بالسيف ليرتدعوا به عن الكفر ولا

يستأصلوا وفى كونه عليه السلام نبى الحرب رحمة ومنها الماحى وهو الذى

محا الله به الكفر او سيئات من اتبعه ومنه الحاشر وهو الذى يحشر الناس

على قدمه اى على اثره ويجوز أن يراد بقدمه عهده وزمانه فيكون المعنى ان

الناس يحشرون فى عهده اى فى دعوته من غير أن تنسخ ولا تبدل ومنها

العاقب وهو الذى ليس بعده نبى لا مشرعا ولا متابعا اى قد عقب الانبياء

فانقطعت النبوة قال عليه السلام (ياعلى أنت منى بمنزلة هرون من موسى

) الا انه لانبى بعدى اى بالنبوة العرفية بخلاف النبوة التحقيقية التى هى

الانباء عن الله فانها باقية الى يوم القيامة الا انه لايجوز أن يطلق على أهلها

النبى لايهامه النبوة العرفية الحاصلة بمجيىء الوحى بواسطة جبرآئيل عليه

السلام ومنها الفاتح فان الله فتح به الاسلام ومنها

الكاف قيل معناهاالذى ارسل الى الناس كافة وليس هذا بصحيح لان كافة لايتصرف منه فعل فيكون منه اسم فاعل وانما معناه الى كف الناس عن المعاصى كذا فى التكملة.

يقول الفقير هاذ اذا كان الكاف مشددا

واما اذا كان مخففا فيجوز أن يشاربه الى المعنى الاول كما قال تعالى

{ يس } أى يا سيد البشر ومنها صاحب الساعة لانه بعث مع الساعة نذير للناس بين يدي عذاب شديد ومنه الرؤف والرحيم والشاهد والمبشر والسراج المنير وطه ويس والمزمل والمدثر وعبد الله وقثم اى الجامع للخير ومنها ، ن ، اشارة الى اسم النور والناصر ومنها المتوكل والمختار والمحمود والمصطفى واذا اشتقت اسماؤه من صفاته كثرت جدا ومنها الخاتم بفتح التاء اى احسن الانبياء خلقا وخلقا فكأنه جمال الانبياء كالخاتم

الذى يتجمل به اى لما اتقنت به النبوة وكملت كان كالخاتم فكأنه الذى يختم به الكتاب عند الفراغ منه

واما الخاتم بكسر التاء فمعناه انه آخر الانبياء فهو اسم فاعل من ختم ومنها راكب الجمل سماه به شيعا النبى عليه السلام فان قلت لم خص بركوب الجمل وقد كان يركب غيره كالفرس والحمار قلت كان عليه السلام من العرب لامن غيرهم كما قال احب العرب لثلاث لانى عربى والقرءآن عربى ولسان اهل الجنة عربى والجمل مركب العرب مختص بهم لاينسب الى غيرهم من الامم ولايضاف لسواهم منها صاحب الهرواة سماهبه سطيح الكاهن والهراوة بالكسر العصا فان قلت لم خص بالعصا وقد كان غيره من الانبياء يمسكها قلت العصا كثيرا ماتستعمل فى ضرب الابل وتخص بذلك كما قال به فى صفة البعير

ينوخ ثم يضرب بالهراوى ... فلا عرف لديه و لانكير

فركوبه الجمل وكونه صاحب هراوة كناية عن كونه عربيا

وقيل هذا اشارة الى قله فى الحديث فى صفة الحوض اذ ود الناس عنه بعصاى ومنه روح الحق سماه به عيسى عليه السلام فى الانجيل وسماه ايضا المنخنا بمعنى محمد ياخود آنكه خداى بفرستد اورا بعد ازمسيح ، وفى التكملة هو بالسريانية ومنها حماطى بالعبرانية وبر قليطس بالرومية بمعنى محمد وماذ ماذ بمعنى طيب طيب وفار قليطا مقصورا بمعنى احمد وروى فار قلبط بالباء

وقيل معناه الذى يفرق بين الحق والباطل وروى ان معناه بلغة النصارى ابن الحمد فكأنه محمد واحمد (وروى) انه عليه السلام قال (اسمى فى التوراة احيد لانى احيد امتى عن النار واسمى فى الزبور الماحى محا الله بى عبدة الاوثان واسمى فى الانجيل احمد وفى القرءآن محمد لانى محمود فى اهل السماء والارض) فان قلت قال رسول اللّهعليه السلام (لى خمسة اسماء) فذكر محمدا احمد والماحى والحاشر والعاقب وقد بلغت اكثر من ذلك قلت تخصيص الوارد لاينافى ماسواه فقد خص الخمسة اما لعلم السامع بما سواها فكأنه قال لى خمسة زائدة على ما تعلم او لفضل فيها

كأنه قال لى خمسة اسماء فاضلة معظمة او لشهرتها كأنه قال لى خمسة اسماء مشهورة او لغير ذلك مما يحتمله اللفظ من المعانى

وقيل لان الموحى اليه فى ذلك الوقت كان هذه الاسماء

وقيل كانت هذه الاسماء معروفة عند الامم السالفة ومكتوبة فى الكتب المتقدمة وفيه ان اسماءه الموجودة فى الكتب المتقدمة تزيد على الخمسة كما فى التكملة لابن عسكر

{ فلما جاءهم } اى الرسول المشبر به الذى اسمه احمد كما يدل عليه الآيات اللاحقة

واما ارجاعه الى عيسى كما فعله بعض المفسرين فبعيد جدا وكون ضمير الجمع راجعا الى بنى اسرآئيل لاينافى ماذكرنا لان نبينا عليه السلام مبعوث الى الناس كافة

{ بالبينات } اى بالمعجزات الظاهرة كالقرءآن ونحوه والباء للتعدية ويجوز أن تكون للملابسة

{ قالوا هذا } مشيرين الى ماجاء به او اليه عليه السلام

{ سحر مبين } ظاهر سحريته بلا مرية وتسميته عليه السلام سحرا للمبالغة ويؤيده قرآءة من قرأ هذه ساحر وفى الآية اشارة الى عيسى القلب واسرآئيل الروح وبنية النفس والهوى وسائر القوى الشريرة فانها متولدة من الروح والقالب منسلخة عن حكم ابيها فدعاها عيسى القلب لعلو مرتبته عليه فلما جاءها بصور التجليات الصفاتية والاسمائية قالت هذا ارم وهمى متخيل لا وجود له ظاهر البطلان وهكذا براهين اهل الحق مع المنكرين

٧

{ ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب } وكيست ستمكار تر از ان كس كه دروغ مى سازد بر الله ، والفرق بين لكذب والافترآء ه أن الافترآء افتعال الكذب من قول نفسه والكذب قد يكون على وجه التقليد للغير فيه

{ هو } اى والحال ان ذلك المفترى

{ يدعى } من لسان الرسول

{ الى الاسلام } الذى به سلامة الدارين اى اى الناس اشد ظلما ممن يدعى الاسلام الذى يوصله الى سعادة الدارين فيضع موضع الاجابة الافترآء على الله بقولهلكلامه الذى هو دعاء عباده الى الحق هذا سحر فاللام فى الكذب للعهد اى هو أظلم من كل ظالم وان لم يتعرض ظاهر الكلام لنفى المساوى ومن الافترآء على الله الكذب فى دعوى النسب والكذب فى الرؤيا والكذب فى الاخبار عن رسو الله عليه السلام.

واعلم ان الداعى فى الحقيقة هو الله تالى كما قال تعالى

{ والله يدعو الى دار السلام } بأمره الرسول عليه السلام كما قال

{ ادع الى سبيل ربك } وفى الحديث عن ربيعة الجرشى (قال أتى نبى الله عليه السلام فقيل له لتنم عينك ولتسمع اذنك وليعقل قلبك) قال

فنامت عيناى وسمعت اذناى وعقل قبلى فقيل لى سيد نبى دارا فصنع مأدبة وارسل دعايا فمن أجاب الداعى دخل الدار واكل من المأدبة ورضى عنه السيد من لم يجب الداعى لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة وسخط عليه السيد قال فالله السيد ومحمد الداعى والدار الاسلام والمأدبة الجنة ودخل دعوة النبى دعوة ورثته لقوله أدعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى ولابد أن يكون الداعى اميرا او مأمورا وفى المصابيح فى كتاب العلم قال عوف بن مالك رضى الله عنه لايقص الا امير اومأمور او مختال رواه أبو داود وابن ماجهقوله او مختال هو المتكبر والمراد به هنا الواعظ الذى ليس بأمير ولا مأمور مأذون من جهة الامير ومن كانت هذه صفته فهو متكبر فضولى طالب للرياسة

وقيل هذا الحديث فى الخطبة خاصة كما فى المفاتيح

{ والله لايهدى القوم الظالمين } اى لايرشدهم الى ما فيه فلاحهم لعدم توجههم اليه

{ يريدون ليطفئوا نور اللّه } الاطفاء الاخماد وبالفارسية فروكشتن

آتش وجراغ ، اى يريدون أن يطفئوا دينه او كتابه او حجته النيرة واللام

مزيدة لما فيها من معنى الارادة تأكيدا لها كما زيدت لما فيها من معنى

الاضافة تأكيدا لها فى لا أبا لك او يريدون الافترآء ليطفئوا نور اللّه وقال

الراغب فى المفردات الفرق ان فى قوله تعالى

{ يريدون أن يطفئوا نور اللّه } يقصدون اخفاء نور اللّه وفى قوله

تعالى

{ ليطفئوا } يقصدون امرا يتوصلون به الى اطفاء نور اللّه

{ بافواههم } بطعنهم فيه وبالفارسية بدهنهاى خود يعنى بكفتار

نابسنديده وسختان بى ادبانه ، مثلث حالهم بحال من ينفخ فى نور الشمس

ليطفئه

{ والله متم نوره } اى مبلغه الى غايته بنشره فى الآفاق واعلائه

جلمة حالية من فاعل يريدون او يطفئوا

{ ولو كره الكافرون } اتمامه ارغاما لهم وزيادة فى مرض قلوبهم

ولو بمعنى ان وجوابه محذوف اى وان كرهوا ذلك فالله يفعله لا محالة (قال

الكشافى) وكراهت ايشانرا اثرى نيست در اطفاى جراغ صدق وصواب

همجون ارادت خفاش كه غير موثر است درنابودن آفتار.

شب بره خواهد كه نبود آفتاب ... تابيند ديده او مرزو بوم

دست قدرت هر صباحى شمع مهر ... مى فروزد كورى خفاش

شوم

(وفى المثنوى)

شمع حق را بف كنى تواى عجوز ... هم توسوزى هم

سرت اى كنده بوز

كمى شود دريا زبور سك نجس ... كى شود خورشيد از يف منطمس

هركه بر شمع خدا آرد بفو ... شمع كى ميرد بسوزد بوز او

جون تو خفاشان بسى بينند خواب ... كين جهان مانده يتيم از آفتاب

اى بريده آن لب وحلق ودهان ... كه كند تعف سوى مه يا آسمان

تف برويش باز كردد بى شكى ... تف سوى كردون نيابد مسلكى

تا قيامت تف بر وبار دز رب ... همجون تبت بر روان بو لهب

قال ابن الشيخ اتمام نوره لما كان من اجل النعم كان استكراه الكفار اياه اى كافر كان من اصناف الكفرة غاية فى كفران النعمة فلذلك اسند كراهة اتمامه الى الكافرين فان لفظ الكافر أليق بهذا المقام

واما قوله

{ ولو كره المشركون } فانه قد ورد فى مقابلة اظهار دين الحق الذى معظم اركانه التوحيد وابطال الشرك وكفار مكة كارهون له من اجل انكارهم للتوحيد واصرارهم على الشرك فالمناسب لهذا المقام التعرض لشركهم لكونه العلة فى كراهتهم الدين لحق قال بعض جحدوا ما ظهر لهم من صحة نبوة النبى عليه السلام وانكروه بالسنتهم واعرضوا عنه بنفوسهم فقيض الله لقبوله انفسا اوجدها على حكم السعادة وقلوبا زينها بأنوار المعرفة واسرارا نورها بالتصديق فبذلوا له المهج والأموال كالصديق والفاروق واجلة الصحابة رضى الله عنهم

يقول الفقير هكذا احوال ورثة النبى عليه السلام فى كل زمان فان الله تعالى تجلى لهم بنور الازل والقدم فكرهه المنكرون وأرادوا أن يطفئوه لكن الله اتم نوره وجعل لاهل تجليه اصحابا واخوانا يذبون عنهم وينفذون امورهم الى أن يأتيهم امر الله تعالى يقضوا نحبهم وفى الآية اشارة الى ان النفس لابد وأن تسعى فى ابطال نور القلب اطفائه لان النفس والهوى من

المظاهر القهرية الجلالية المنسوبة الى اليد اليسرى والروح والقلب من المظاهر الجمالية اللطيفة المنسوبة الى اليد اليمنى كماجاء فى الحديث (الربانى)

(ان الله مسح يده اليمنى على ظهر آدم الأيمن فاستخرج منه ذرارى كالفضة البيضاء وقال هؤلاء للجنة ومسح يده اليسرى على ظهر آدم الأيسر فاستخرج منه كالحمة السودآء وقال هؤلاء للنار) فلا بد للنفس من السعى فى اطفاء نور القلب وللقلب ايضا من السعى فى اطفاء نار النفس ولو كره الكافرون الساترون القلب بالنفس الزارعون بذر النفس فى ارض القلب

٩

{ هو الذى ارسل رسوله } محمد صلّى الله عليه وسلّم

{ بالهدى } بالقرءآن او بالمعجزة فالهدى بمعنى مابه الاهتدآء الى الصراط المستقيم

{ ودين الحق } والملة الحنيفية التى اختارها لرسوله ولامته وهو من اضافة الموصوف الى صفته مثل عذاب الحريق

{ ليظهره على الدين كله } ليجعله ظاهرا اى عاليا وغالبا على جميع الأديان المخالفة له

{ ولو كره المشركون } ذلك الاظهار ولقد انجز الله وعده حيث جعله بحيث لم يبق دين من الأديان الا وهومغلوب مقهور بدين الاسلام فليس المراد انه لايبقى دين آخر من الأديان بل العلو والغلبة والأديان خمسة اليهودية والنصرانية والمجوسية والشرك والاسلام كما فى عين المعانى للسجاوندى وقال السهيلى فى كتاب الامالى فى بيان فائدة كون ابواب النار سبعة وجدنا الاديان كما ذكر فى التفسير سبعة واحد للرحمن وستة للشيطان فالتى للشيطان اليهودية والنصرانية والصابئية وعبادة الاوثان المجوسية وامم لاشرع لهم ولايقولون بنبوة وهم الدهرية فكأنهم كلهم على دين واحد أعنى الدهرية وكل من لايصدق برسول فهؤلاء ستة اصناف والصنف السابع هو من اهل التوحيد كالخوارج الذين هم كلاب النار

وجميع اهل البدع المضلة والجبابرة الظلمة والمصرون على الكبائر من غير

توبة ولا استغفار فان فيهم من ينفذ فيه الوعيد ومنهم من يعفو الله عنه

فهؤلاء كلهم صنف واحد غير انه لايحتم عليهم بالخلود فيها فهؤلاء سبعة

اصناف ستة مخلدون فى النار وصنف واحد غير مخلد وهم منتزعون يوما

لقيامة من اهل دين الرحمن ثم يخرجون بالشفاعة فقد وافق عدد الابواب

عدد هذه الاصناف وتبينت الحكمة فى ذكرها فى القرءآن لما فيها من

التخويف والارهاب فنسأل الله العفو العافية والمعافاة وفى بعض التفاسير

الاشراك هو اثبات الشريك لله تعالى فى الالوهية سوآء كانت بمعنى وجوب

الوجود او استحقاق العبادة لكن اكثر المشركين لم يقولوا بالاول لقوله تعالى

{ لئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله } فقد

يطلق ويراد به مطلق الكفر بناء على ان الكفر لايخلو عن شرك مايدل

عليه قوله تعالى

{ ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك } فان المعلوم فى

الدين انه تعالى لايغفر كفر غير المشركين المشهورين من اليهود والنصارى

فيكون المراد لايغفر أن يكفر به وقد يطلق ويراد به عبدة الاصنام وغيرها فان أريد الاول فى قوله

{ ولو كره المشركون } يكون ايراده ثانيا لوصفهم بوصف قبيح آخر وان أريد الثانى فلعل ايراد الكافرين اولا لما ان اتمام الله نوره يكون بنسخ غير الاسلام والكافرون كلهم يكرهون ذلك وايراد المشركين ثانيا لما ان اظهار دين الحق يكون باعلاء كلمة الله واشاعة التوحيد المنبيء عن بطلان الآلهة الباطلة وأشد الكارهين لذلك المشركون والله اعلم بكلامه

وفى التأويلات النجمية هو الذى ارسل رسول القلب الى امة العالم الاصغر الذى هو المملكة الانفسية الاجمالية المضاهية للعالم الاكبر وهو المملكة الآفاقية التفصيلية بنور الهداية الازلية ودين الحق الغالب على جميع الأديان وهو الملة الحنيفية السهلة السمحاء ولو كره المشركون الذين اشركوا مع الحق غيره وما عرفوا ان الغير والغيرية من الموهومات التى اوجدتها قوة الوهم والا ليس فى الوجود الا الله وصفاته انتهى (قال الكمال الخجندى
(

له فى كل موجود علامات وآثار ... دو عالم برزمعشوقست كويك عاشق صادق

(وقال المولى الجامى)

كرتويي جمله در فضاى وجود ... هم خود انصاف ده بكو حق كو

درهمه اوست بيش جشم شهود ... جيست بندارى هستيء من وتو

يقول الفقير هذه الكلمات المنبئة عن وحدة الوجود قد اتفق عليها اهل الشهود قاطبة فالطعن لواحد منهم بأن وجودى طعن لجميعهم وليس الطعن الا من الحجاب الكثيف والجهل العظيم والا فالامر اظهر على البصير

١٠

{ يا أيها الذين آمنوا هل ادلكم } آيا دلالت كنم شمارا

{ على تجارة } سيأتى بيان معناها

{ تنجيكم } ان تكون سببا لانجاء الله اياكم وتخليصه وافادت الصفة المقيدة ان من التجارة مايكون على عكسها كما أشار اليها قوله تعالى

{ يرجون تجارة لن تبور } فان بوار التجارة وكسادها يكون لصاحبها عذابا أليما كجمع المال وحفظه ومنع حقوقه فانه وبال فى الآخرة فهى تجارة خاسرة وكذا الاعمال التى لم تكن على وجه الشرع والسنة او أريد بها غير الله

{ من عذاب اليم } اى مؤلم جسمانى وهو ظاهر وروحانى وهو التحسر التضجر كأنهم قالوا كيف نعمل او ماذا نصنع فقيل

١١

{ تؤمنون بالله ورسوله } مراد آنست كه ثابت باشيد برايمان كه دارين

{ وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم } بما لهاى خودكه زاد وسلاح

مجاهدان خربد

{ وانفسكم } وبنفسهاى خود كه متعرض قتل وحرب شويد ،

قدم الاموال لتقدمها فى الجهاد او للترقى من الأدنى الى الأعلى وقال

بعضهم قدم ذكر المال لان الانسان ربما يضن بنفسه ولانه اذا كان له مال

فانه يؤخذ به النفس لتغزو وهذا خبر فى معنى الامر جيىء به للايذان

بوجوب الامتثال فكأنه وقع فأخبر بوقوعه كما تقول غفر الله لهم جعلت

المغفرة لقوة الرجاء كأنها كانت ووجدت وقس عليه نحو سلمكم الله

وعافاكم الله واعاذكم الله وفى الحديث (جاهدوا المشركين باموالكم

وأنفسك وألسنتكم) ومعنى الجهاد بالألسنة اسماعهم مايكرهونه ويشق

عليهم سماعه من هجو وكلام غليظ ونحو ذلك وأخر الجهاد بالألسنة لانه

اضعف الجهاد وأدناه ويجوز أن يقال ان اللسان احد وأشد تأثيرا من

السيف والسنان قال على رضى الله عنه ، جراحات السنان لها التثام ،

ولا يلتام ماجرح اللسان فيكون من باب الترقى من الأدنى الى الأعلى

وكان حسان رضى الله عنه يجلس على المنبر فيهجوا قريشا باذن رسول الله عليه السلام ثم ان التجارة التصرف فى راس المال طلبا للربح والتاجر الذى يبيع ويشترى وليس فى كلام العرب تاء بعدها جيم غير هذه اللفظة

واما تجاه فاصلها وجاه وتجوب وهى قبيلة من حمير فالتاء للمضارعة طمعا لنيل الفضل والزيادة فان التجارة هى معاوضة المال بالمال لطمع الريح والايمان والجهاد شبها بها من حيث ان فيهما بذل النفس والمال طمعا لنيل رضى الله تعالى والنجاة من عذابه (قال الحافظ)

فداى دوست نكرديم عمر مال دريغ ... كه كار عشق زما اين قدر نمى آيد

{ ذلكم } اى ماذكر من الايمان والجهاد بقسمية

{ خير لكم } على الاطلاق او من اموالكم وانفسكم

{ ان كنتم تعلمون } اى ان كنتم من اهل العلم فان الجهلة لايعتد بافعالهم او ان كنتم تعلمون انه خير لكم حيئنذ لانكم اذا علمتم ذلك

واعتقدتموه احببتم الايمان والجهاد فوق ماتحبون أنفسكم وأموالكم فتخلصون وتفلحون فعلى العاقل تبديل الفانى بالباقى فانه خير له وجاء رجل بناقة مخطومة وقال هذه فى سبيل الله فقال عليه السلام

(لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة) بزركى فرموده كه اصل مرابحه درين تجارت اينست كه غير حق رابدهى وحق را بستانى ودر نفحات ازابى عبد الله اليسرى قدس سره نقل ميكندكه بسروى آمد وكفت سبوى روغن داشتم كه سرمايه من بود ازخانه بيرون مى آوردم بيفتادوبشكست وسرمايه من ضايع شد كفت افرزند سرمايه خود آن سازكه سرمايه بدرتست والله كه بدر ترا هيج نيست دردنيا وآخرت غير الله شيخ الاسلام عبد الله الانصارى قدس سره فرمودكه سود تمام آن بودكه بدرش هم نبودى اشارت بمرتبه فناست درباختن سود وسرمايه در بازار شوق لقا

تاجند ببازار خودى بست شوى ... بشتاب كه از جام فنامست شوى

ازمايه سود دوجهان دست بشوى ... سود توهمان به كه تهى دست شوى

ودخل فى الآية جهاد أهل البدعة وهم ثنتان وسبعون فرقة ضالة آن كافر خرابى حصن اسلام خواهد اين مبتدع ويرانى حصار سنت جويد آن شيطان در تشويش ولايت دل كوشد اين هواى نفس زيرو زبرىء دين توخواهد حق تعالى ترابر هريكى ازين دشمنان سلاحى داده تا اورابدان قهر كنى قتال باكافران بشمشيرسياست است وبامبتدعان بتيغ زبان وحجت وبا شيطان بمداومت ذكر حق وتحقيق كلمه وبا هواى نفس بتير مجاهدة وسنان رياضت اينست بهين اعمال بنده وكريده طاعات رونده جنانجه رب العزة كفت ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون وقال بعض الكبار يا أيها الذين آمنوا بالايمان التقليدى هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله رسوله اى تحقيقا ويقينا استدلاليا وبعد صحة الاستدلال تجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وانفسكم لان بذل المال والنفس فى سبيل الله لايكون الا بعد اليقين.

واعلم ان التوحيد اما لسانى

واما عيانى اما التوحيد اللسانى المقترن بالاعتقاد الصحيح فأهله قسمان قسم بقوا فى التقليد الصرف ولم يصلوا الى حد التحقيق فهم عوام المؤمنين وقسم تشبثوا بذيل الحجيج والبراهين النقلية والعقلية فهؤلاء وان خرجوا عن حد التقليد الصرف لكنهم لم يصلوا الى نور الكشف والعيان كما وصل اهل الشهود والعرفان

واما التوحيد العيانى فعلى مراتب المرتبة الاولى توحيد الافعال والثانية توحيد الصفات والثالثة توحيد الذات فمن تجلى له الافعال توكل واعتصم ومن تجلى له الصفات رضى وسلم ومن وصل الى تجلى الذات فنى فى الذات بالمحو والعدم

١٢

{ يغفر لكم ذنوبكم } فى الدنيا وهو جواب الامر المدلول عليه بفلظ الخبر ويجوز أن يكون جوابا لشرط او لاستفهام دل عليه الكلام

تقديره أن تؤمنوا وتجاهدوا اوهل تقبلون وتفعلون مادللتكم عليه يغفر لكم وجعله جوابا لهل أدلكم بعيد لان مجرد الدلالة لايوجب المغفرة

{ ويدخلكم } فى الآخرة

{ جنات } اى كل واحد منكم جنة ولابعد من لطفه تعالى أن يدخله جنات بأن يجعلها خاصة له داخلة تحت تصرفه والجنة فى اللغة البستان الذى فيه اشجار متكاثفة مظلة تستر ماتحتها

{ تجرى من تحتها } أى من تحت اشجارها بمعنى تحت اغصان اشجارها فى اصولها على عروقها او من تحت قصورها وغرفها

{ الانهار } من اللبن والعسل الخمر والماء الصافى

{ ومساكن طيبة } اى ويدخلكم مساكن طيبة ومنازل نزهته كائنة

{ فى جنات عدن } اى اقامة الخلود بحيث لايخرج منها من دخلها يعارض من العوارض وهذا الظرف صفة مختصة بمساكن وهى جميع

مسكن بمعنى المقام والسكون ثبوت الشىء بعد تحرك ويستعمل فى الاستيطان يقال سكن فلان فى مكان كذا استوطنه واسم المكان مسكن فمن الاول يقال سكنت ومن الثانى يقال سكنته قال الراغب اصل الطيب مايستلذه الحواس وقوله ومساكن طيبة فى جنات عدن اى طاهرة زكية مستلذة وقال بعضهم طيبتها سعتها ودوام امرها وسئل رسول الله عليه السلام عن هذه المساكن الطيبة فقال (قصر من لؤلؤ فى الجنة فى ذلك القصر سبعون دارا من ياقوته حمرآء فى دار سبعون بيتا من زمردة خضرآء فى كل بيت سبعون وصيفا ووصيفة قال فيعطى الله المؤمن من القوة فى غداة واحدة مايأتى على ذلك كله) قال فى الكبير أراد بالجنات البساتين التى يتناولها الناظر لانه تعالى قال بعده

{ ومساكن طيبة فى جنات عدن } والمعطوف يجب أن يكون مغايرا للمعطوف عليه فتكون مساكنهم فى جنات عدن ومناظرهم الجنات التى هى البساتين ويكون فائدة وصفها بأنها عدن انها تجرى مجرى الدار التى يسكنها الانسان

واما الجنات الأخر فهى جارية مجرى البساتين التى قد يذهب

الانسان اليها لاجل التنزه وملاقاة الاحباب وفى بعض التفاسير تسمية دار

الثواب كلها بالجنات التى هي بمعنى البساتين لاشتمالها على جنات كثيرة

مترتبة على مراتب بحسب استحاقاقات العالمين من الناقصين والكاملين

ولذلك أتى بجنات جمعا منكرا ثم اختلفوا فى عدد الجنات المشتملة على

جنات متعددة فالمروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انها سبع جنة

الفردوس جنة عدن جنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليون

فى كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على تفاوت الاعمال

والعمال (وروى) عنه انها ثمان دار الجلال ودار القرار ودار السلام وجنة

عدن وجنة المأوى وجنة الخلد وجنة الفردوس وجنة النعيم وقال ابو

الليث الجنان اربع كما قال تعالى

{ ولمن خاف مقام ربه جنتان } ثم قال

{ ومن دونهما جنتان } فذلك جنان اربع احداهن جنة

الخلد والثانية جنة الفردوس والثالثة جنة المأوى والرابعة جنة عدن وابو ابها

ثمانية بالخبر وخازن الجنة يقال له رضوان وقد ألبسه الله الرأفة والرحمة كما ان خازن النار ويقال له مالك قد ألبسه الله الغضب والهيبة وميل الامام الغزالى رحه الله الى كون الجنان اربعا فلعل الجنات فى الآية باعتبار الافراد لا باعتبار الاسماء ومايستفاد من قلتها بحسب ان الجمع السالم من جموع القلة ليس بمراد فانها من الوجود الانسانى اربع جنان فالغالب فى الجنة الاولى التنعم بمقتضى الطبيعة من الاكل والشرب والوقاع وفى الثانية التلذذ بمقتضى النفس كالتصرفات وفى الثالثة التلذذ بالاذواق الروحانية كالمعارف الالهية وفى الرابعة التلذذ بالمشاهدات وذلك على أعلى اللذات لانها من الخالق وغيرها من المخلوق ان قلت لم لم تذكر ابواب الجنة فى القرءآن وانها ثمانية كما ذكرت ابواب النار كما قال تعالى

{ لها سبعة أبواب } قلت ان الله سبحانه انما يذكر من اوصاف الجنة مافيه تشويق اليها وترغيب فيها وتنبيه على عظم نعميها وليس فى كونها ثمانية او اكثر من ذلك او اقل زيادة فى معنى نعيمها بل لو دخلوا من باب واحد او من ألف باب لكان ذلك سواء فى حكم السرور

بالدخول ولذلك لم يذكر اسم خازن الجنة اذ لا ترغيب فى ان يخبر عن اهل الجنة انهم عند فلان من الملائكة او فى كرامة فلان وقد قال

{ وسقاهم ربهم شرابا طهورا } ولا شك أن من جدثت عنه انه عند الملك يسقيه ابلغ من الكرامة من أن يقال هو عند خادم من خدام الملك او فى كرامة ولى من اوليائه بخلاف ذكر ابواب النار وذكر مالك فان فيه زيادة ترهيب قال سهل قدس سره اطيب المساكن مازال عنهم جميع الاحزان واقر أعينهم بمجاورته فهذا الجوار فوق سائر الجوار وقال بعضهم ومساكن طيبة برؤية الحق تعالى فان المساكن انما تطيب بملاقاة الاحباب ورؤية العاشق جمال المعشوق ووصول المحب الى صحبة المحبوب وكذا مساكن القلوب انما تطيب بتجلى الحق ولقاء جماله جعلنا الله واياكم من اهل الوصول واللقاء البقاء

{ ذلك } اى ماذكر من المغفرة وادخال الجنات المذكورة بما ذكر من الاوصاف الجميلة

{ الفوز العظيم } الذى لافوز ورآءه قال بعض المفسرين الفوز يكون بمعنى النجاة من المكروه وبمعنى الظفر بالبغية والاول يحصل بالمغفرة والثانى بادخال الجنة والتنعيم فيها وعظمه باعتبار انه نجاة لا ألم بعده وظفر لا نقصان فيه شانا وزمانا ومكانا لانه فى غاية الكمال على الدوام فى مقام النعيم علم ان الآية الكريمة أفادت ان التجارة دنيوية واخروية فالدنيا موسم التجارة والعمر مدتها والاعضاء والقوى رأس المال والعبد هو المشترى من وجه والبائع من وجه فمن صرف رأس ماله الى المنافع الدنيوية التى تنقطع عند الموت فتجارته دنيوية كاسدة خاسرة وان كان بتحصيل علم دينى او كسب عمل صالح فضلا عن غيرهما

(فانما الاعمال بالنيات ولكل امرىء مانوى) ومن صرفه الى المقاصد الأخروية التى لاتنقطع ابدا فتجارته رآئجة رابحة حرية بأن يقال

{ فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم } ولعل المراد من التجارة هنا بذل المال والنفس فى سبيل الله وذكر الايمان

لكونه اصلا فى الاعمال ووسيلة فى قبول الآمال وتوصيف التجارة بالانجاء

لان النجاة يتوقف عليها الانتفاع فيكون قوله تعالى

{ يغفر لكم } بيان سبب الانجاء وقوله

{ يدخلكم } بما يتعلق به بيان المنفعة الحاصلة من التجارة مع ان

التجارة الدنيوية تكون سببا للنجاة من الفقر المنقطع والتجارة الأخروية

تكومن سببا للنجاة من الفقر الغير المنقطع قال عليه السلام (نعمتان

مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ) يعنى ان نعمتى الصحة

والفراغ كرأس المال للمكلف فينبغى أن يعامل الله الايمان به وبرسوله ويجاهد

مع النفس لئلا يغبن ويربح فى الدنيا والآخرة ويجتنب معاملة الشيطان لئلا

يضيع رأس ماله مع الربح (قال الحافظ)

كارى كنيم ورنه خجالت براورد ... روزى كه رخت جان بجهان

دكر كشيم

(وقال أيضا)

كوهر معرفت اندوز كه ياخود ببرى ... كه نصيب دكر انست

نصاب زروسيم

(وقال أيضا)

دلا دلالت خيرى كنم براه نجات ... مكن بفسق مباهات زهدهم

مفروش

(وقال المولى الجامى)

از كسب معارف شده مشغوف زخارف ... در هاى ثمين داده

وخر مهره خريده

(وقال)

جان فداى دوست كن جامى كه هست ... كمترين كارى درين

ره بذل روح

۱۳

{ واخرى } اى ولكن الى هذه النعم العظيمة نعمة اخرى عاجلة فأخرى مبتدأ حذف خبره والجملة عطف على يغفر لكم على المعنى

{ تحبونها } وترغبون فيها وفيه تعريض بأنهم يؤثرون العاجل على الآجل وتوبيخ على محبته وهو صفة بعد صفة لذلك المحذوف

{ نصر من الله } بدل او بيان لتلك النعمة الاخرى يعنى نصر من الله على عدوكم قريش وغيرهم

{ وفتح قريب } اى عاجل عطف على نصر (قال الكاشفى) مراد فتح مكة است يافتح روم وفارس ابن عطا فرمودن كه نصر توحيد است وفتح نظر بجمال ملك مجيد.

وقد بين انواع الفتوح فى سورة الفتح بمقتضاه فى طريق الجهاد الاصغر وان كان تجارة رابحة الا ان اصحابها لم يتخصلوا بعد من الاعواض والاغراض فللسالك الى طريق الجهاد الاكبر تجارة أخرى فوق تلك التجارة اربح من الاولى هى نصر من الله بالتأييد الملكوتى والكشف النورى وفتح

قريب الوصول الى مقام القلب ومطالعة تجليات الصفات وحصول مقام

الرضى وانما سماه تجارة لان صفاتهم الظلمانية تبدل هناك بصفات الله

النورانية وانما قال تحبونها لان المحبة الحقيقية لاتكون الا بعد الوصول الى

مقام القلب ومن دخل مقام المحبة بالوصول الى هذا المقام فقد دخل

فى اول مقام لخواص فالمعتبر من المنازل منزل المحبة واهله عبيد خلص

لايتوقعون الاجرة بعملهم بخلاف من تنزل عن منزلة المحبة فانهم اجرآء

يعلمون للاجرة قال بعض العارفين من عبدالله رجاء للثواب وخوفا من

العقاب فمعبودة فى الحقيقة هو الثواب والعقاب والحق واسطة فالعبادة

لاجل تنعم النفس فى الجنة والخلاص من النار معلول ولهذا قال المولى

جلال الدين الرومى قدس سره

هشت جنت هفت دوزخ بيش من ... هست بيدا همجوبت بيش

شمن

(وقال بعضهم)

طاعت ازبهر جزا شرك خفيست ... ياخدا جوباش ويا عقبى طلب

واعلم ان من جاهد فانما يجاهد لنفسه لانه يتخلص من الحجاب فيصل الى الملك الوهاب

{ وبشر المؤمنين } عطف على محذوف مثل قل

{ ياأيها الذين آمنوا } وبشرهم يا أكمل الرسل بأنواع البشارة الدنيوية والاخروية فلهم من الله فضل واحسان فى الدارين وكان فى هذا دلالة على صدق النبى لانه اخبر عما يحصل ويقع فى المستقبل من الايام على ماخبره

وفى التأويلات النجمية يشير الى تواتر النعم وتواليها وفتح مكة القلب بعد النصر بخراب بلدة النقص وبشر المؤمنين المحبين الطالبين بالنصر على النفس فتح مكة القلب انتهى وفيه اشارة الى ان بلدة النفس انما تخرب بعد التأييد الملكوتى وامداد جنود الروح بان تغلب القوى الروحانية

على القوى النفسانية كما يغلب اهل الاسلام على اهل الحرب فيخلصون القلعة من ايدى الكفار وزيلون آثار الكفر و الشرك بجعل الكنائس مساجد وبيوت الاصنام معابد ومساكن الكفار مقار المؤمنين المخلصين والله المعين على الفتح المطلق كل حين

١٤

{ يا أيها الذين آمنوا كونوا انصار الله } اى انصار دينه جمع نصير كشريف واشراف

{ كما قال عيسى ابن مريم للحواريين } سيأتى بياهم

{ من } كيستند

{ انصارى الى الله } قال بعض المفسرين من يحتمل ان يكون استفهاما حقيقة ليلعلم وجود الانصار ويتسلى به ويحتمل العرض والحث على النصرة وفيه دلالة على ان غير الله تعالى لايخلوا عن الاحتياج

والاستنصار وانه فى وقته جائز حسن اذا كان لله فى الله والمعنى من جندى متوجها الى نصرة الله كما يقتضيه قوله تعالى

{ قال الحواريون نحن انصار الله } فان قوله عيسى لا يطابق جواب الحواريين بحسب الظاهر فان ظاهر قول عيسى يدل على انه يسأل من ينصره فكيف يطابقه جواب الحواريين بانهم ينصرون لله ايضا لاوجه لبقاء قول عيسى على ظاهره لان النصرة لاتتعدى بالى فحمل الانصار على الجند لانهم ينصرون ملكهم ويعينونه فى مراده ومراده عليه السلام نصرة دين الله فسأل من يتبعه ويعينه فى ذلك المراد ويشاركه فيه فقوله متوجها حال من ياء المتكلم فى جندى والى متعلق به لا بالنصرة والاضافة الاولىاضافة احد المتشاركين اللآخر لما بينهما من الاختصاص يعنى الملابسة المضححة للاضافة المجازية لظهور ان الاختصاص الذى تقتضيه الاضافة حقيقة غير متحقق فى اضافة انصارى والاضافة الثانية اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى ان كونوا انصار الله كما كان الحواريون انصاره حين قال لهم عيسى من انصارى الى

الله او قل لهم كونوا كما قال عيسى للحواريين والحواريون اصفياؤه وخلصانه من الحور وهو البياض الخالص وهم اول من آمن به وكانوا اثنى عشر رجلا قال مقاتل قال الله لعيسى اذا دخلت القرية فائت النهر الذى عليه القاصرون فاسألهم النصرة فأتاهم عيسى وقال من انصارى الى الله فقالوا نحن ننصرك فصدقوه ونصروه (وقال الكاشفى) وفى الواقع نصرت كردند دين عيسى رابعد از رفع وى وخلق را بخدا دعوت نمودند ، فالحواريون كانوا قصارين

وقيل كانوا صيادين قال بعض العلماء انما سموا حواريين لصفاء عقائدهم عن التردد والتلوين او لانهم كانوا يطهرون نفوس الناس بافادتهم الدين والعلم المشار اليهبقوله تعالى

{ انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا } وانما قيل كانوا قصارين على التمثيل والتشبيه وانما قيل كانوا صيادين لاصطيادهم نفوس الناس وقودهم الى الحق وقوله عليه السلام (الزبير ابن عمتي وحواريي) وقوله يوم الاحزاب (من يأتيني بخبر القوم) فقال الزبير

انا فقال عليه السلام (ان لكل نبى حواريا وحواريي الزبير) فشبهه بهم فى النصرة وقال بعض المفسرين دل الحديث على ان الحواريين ليسوا بمختصين بعيسى اذ هو فى معنى الاصحاب الاصفياء وقال معمر رضى الله عنه كان يحمد الله لنبينا عليه السلام حواريون نصروه حسب طاقتهم وهم سبعون رجلا وهم الذين بايعوه ليلة العقبة وقال السهيلى كونوا انصار الله فكانوا انصارا وكانوا حواريين والانصار الاوس الخزرج ولم يكن هذا الاسم قبل الاسلام حتى سماهم الله به وكان له عليه السلام حواريون ايضا من قريش مثل الخلفاء الاربعة والزبير وعثمان بم مظعون وحمزة بن عبد المطلق وجعفر بن ابى طالب ونحوهم

{ فآمنت طائفة } اى جماعة وهى اقل من الفرقة لقوله تعالى

{ فلولا نفر من كل فرقه منهم طائفة } { من بنى اسرآئيل } اى آمنوا بعيسى واطاعوه فيما امرهم به من نصرة الدين

{ وكفرت طائفة } اخرى به وقاتلوه

{ فايدنا الذين آمنوا } اى قوينا مؤمنى قومه بالحجة او بالسيف

وذلك بعد رفع عيسى

{ على عدوهم } اعلى الذين كفروا وهو الظاهر فايراد العدو

اعلام منه ان الكافرون عدو للمؤمنين عداوة دينية

وقيل لما رفع عيسى عليه السلام تفرق القوم ثلاث فرق فرقة قالوا

كان الله فارتفع وفرقة قالوا كان ابن الله فرفعه الله اليه وفرقة قالوا كان عبدا

لله ورسوله فرفعه الله وهم المؤمنون وابتع كل فرقة منهم طائفة من الناس

فاقتتلوا وظهرت الفرقتان الكافرتان على الفرقة المؤمنة حتى بعث الله

محمدا صلّى الله عليه وسلّم فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرة فذلك قوله

تعالى

{ فايدنا الذين آمنوا على عدوهم } { فأصبحوا } صاروا

{ ظاهرين } غالبين عالين يقال ظهرت على الحائط علوته وقال

قتادة فأصبحوا ظاهرين بالحجة والبرهان كما سبق لأنهم قالوا فيما روى

ألستم تعلمون ان عيسعليه السلام كان ينام والله تعالى لاينام انه يأكل ويشرب والله منزه عن ذلك وفى الآية اشارة الى غلبة القوى الروحانية على القوى النفسانية لان القوى الروحانية مؤمنون متنورون بنور الله متقون عما سوى الله تعالى والقوى النفسانية كافورن مظلمون بظلمة الاكوان متلوثون بالعلاقات المختلفة ولاشك ان الله مع الذين اتقوا الذين هم محسنون فبنور الاسلام والايمان والتقوى والهدى يزيل ظلمة الشرك والكفر والتعلق والهوى مع ان اهل الايمان وان كانوا اقل من اهل الكفر فى الظاهر لكنهم اكثر منهم فى الباطن فهم السواد الاعظم والمظاهر الجمالية ، واعلم ان الجهاد دآئم ماض الى يوم القيامة انفسا وآفاقا لان الدنيا مشتملة على اهل الجمال والجلال وكذا الوجود الانسانى مادام فى هذا الوطن فاذا صار الى الموطن الآخر فما اهل جمال فقط وهو فى الجنة

واما اهل جلال فقط وهو فى الدار والله يحفظنا واياكم

سُورَةُ الْجُمُعَةِ مَدَنِيَّةٌ

وَهِيَ إِحْدَى عَشَرَةَ آيَةً

١

{ يسبح لله مافى السموات ومافى الارض } جميعا من حى وجامد تسبيحات مستمرة فما فى السموات هى البدائع العلوية ما فى الارض هو الكوآئن السفلية فللكل نسبة الى الله تعالى بالحياة والتسبيح

{ الملك } بادشاهى كه ملك او دائمست وبى زوال

{ القدوس } باك از سمت عيب وصفت اختلال

{ العزيز } الغالب على كل ما أراد

{ الحكيم } صاحب الحكمة البديعة البالغة وقد سبق معانى هذه الاسماء فى سورة الحشر والجمهور على جر الملك وما بعده على انها صفات لاسم الله عز وجل.

يقول الفقير بدأ الل تعالى هذه السورة بالتسبيح لما فيها من ذكر البعثة اذا خلاء العالم من المرشد معاف للحكمة ويجب تنزيه الله عنه ولما اشتملت عليه من بيان ادعاء اليهود كونهم ابناء الله واحباءه ولما ختمت به من ذكر ترك الذكر واستماع الخطبة المشتملة على الدعاء والحمد والتسبيح ونحو ذلك وفى التأويلات النجمية يعنى ينزه ذاته المقدسة مافى سموات المفهوم من مفهومات العامة ومفهومات الخاصة ومفهومات اخص الخاصة وما فى ارض المعلوم من معلومات العامة ومعلومات الخاصة ومعلومات اخص الخاصة وانما أضفنا السموات الى المفهوم واضفنا الارض الى المعلوم لفوقية رتبة الفهم على ربتة العلم وذلك قوله

{ ففهمناها سليمان وكلا آتينا حموعلما } ويدل على ذلك اصابة سليمان حقيقة المسألة المخصوصة بحسب نور الفهم لابحسب قوة العلم وهو العزيز الذى يعز من يشاء بخلعة نور الفهم الحكيم الذى يشرف من يشاء بحكمته بلبسه ضياء العلم

٢

{ هو الذى بعث فى الاميين } جمع امى منسوب الى امة العرب وهم قسمان فعرب الحجاز من عدنان وترجع الى اسماعيل عليه السلام وعرب اليمن ترجع الى قحطان وكل منهم قبائل كثيرة والمشهور عند اهل التفسير ان الامى من لايكتب ولا يقرأ من كتاب وعند اهل الفقه من لايعلم شيأ من القرءآن كأنه بقى على ماتعلمه من امه من الكلام الذى يتعلمه الانسان بالضرورة عند المعاشرة والنبى الامى منسوب الى الامة الذين لم يكتبوا لكونه على عادتهم كقولك علمى لكونه على عادة العامة

وقيل سمى بذلك لانه لم يكتب ولم يقرأ من كتاب وذلك فضيلة له لاستغنائه بحفظه واعتماده على ضمان الله له عنه بقوله

{ سنقرئك فلا تنسى }

وقيل سمى بذلك لنسبته الى ام القرى وفى كشف الاسرار سمى العرب اميين لانهم كانوا على نعت امهاتهم مذ كانت بلا خط ولا كتاب

نسبوا الى ماولدوا عليه من امهاتهم لان الخط والقرآءة والتعليم دون ماجبل

الخلق عليه ومن يحسن الكتابة من العرب فانه ايضا امى لانه لم يكن لهم

فى الاصل خط ولا كتابة قيل بدئت الكتابة بالطائف تعلمها ثقيف واهل

الطائف من اهل الحيرة بكسر الحاء وسكون المثناة من تحت بلد قرب

الكوفة واهل الحيرة اخذوها من اهل الانبار وهى مدينة قديمة على الفرات

بينها وبين بغداد عشرة فراسخ ولم يكن فى أصحاب رسول الله عليه

السلام كاتب الا حنظلة الذى يقال له غسيل الملائكة ويسمى حنظلة

الكاتب لانه ظهر الخط فى الصحابة بعد فى معاوية بن سفيان وزيد بن

ثابت وكانا يكتبان لرسول الله عليه السلام وكان له كتاب ايضا غيرهما

واختلفوا فى رسول الله عليه السلام انه هل تعلم الكتابة بآخرة من عمره

اولا لعلمائنا فيه وجهان وليس فيه حديث صحيح ولما كان الخط صنعة

ذهنية وقوة طبيعية صدرت بالآلة الجسمانية لم يحتج اليه ثم كان القلم

الاعلى يخدمه واللوح المحفوظ مصحفه ومنظره وعدم كتابته مع علمه بها

معجزة باهرة له عليه السلام اذا كان يعلم الكتاب علم الخط واهل الحرف

حرفتهم وكان اعلم بكل كمال اخروى او دنيوى من اهله ومعنى الآية هو الذى بعث فى الاميين اى فى العرب لان اكثرهم لايكتبونولا يقرأون من بين الامم فغلب الاكثر وانما قلنا اكثرهم لانه كان فيهم من يكتب ويقرأ وان كانوا على قلة

{ رسولا } كائنا

{ منهم } اى من جملتهم ونسبهم عربيا اميا مثلهم.

تارسالت اوازتهمت دور باشده فوجه الامتنان مشاكلة حاله لاحوالهم ونفى التعلم من الكتب فهم يعلمون نسبه واحواله ، ودر كتاب شعيا عليه لسلام مذكور است كه انى ابعث اميا فى الاميين واختم به النبيين (قال الكاشفى) ودر اميت آن حضرت عليه السلام نكتهاست ايجا بسه بيت اختصار ميرد

فيض ام الكتاب بروردش ... لقب امى ازان خدا كردش

لوح تعليم ناكرفته بير ... همه زاسرار لوح داده خبر

برخط اوست انس وجانراسر ... كه نخواندست خط ازان جه خطر

والبعث فى الاميين لاينافى عموم دعوته عليه السلام فالتخصيص بالذكر لا مفهوم له ولو سلم فلا يعارض المنطوق مثل قوله تعالى { وما أرسلناك الا كافة للناس } على انه فرق بين البعث فى الاميين والبعث الى الاميين فبطل احتجاج اهل الكتاب بهذه الآية على انه عليه السلام كان رسول الله الى العرب خاصة رد الله بذلك ماقال اليهود للعرب طعنا فيه نحن اهل الكتاب وأنتم اميون لاكتاب لكم

{ يتلو عليهم آياته } اى القرءآن مع كونه اميا مثلهم لم يعهد منه قرآءة ولا تعلم والفرق بين التلاوة والقرآءة ان التلاوة قرآءة القرءآن متتابعة كالدراسة والا وارد المظفة والقرءآة اعم لانها جمع الحروف باللفظ لا اتباعها

{ ويزكيهم } صفة اخرى لرسولا معطوفة على يتلو أى يحملهم على مايصبرن به ازكياء من خبائث العقائد والاعمال وفيه اشارة الى قاعدة

التسليك فان المزكى فى الحقيقة وان كان هو الله تعالى كما قال بل الله يزكى من يشاء الا ان الانسان الكامل مظهر الصفات الالهية جميعا ويؤديد هذا المعنى اطلاق نحو قوله تعالى

{ من يطع الرسول فقد أطاع الله } { ويعلمهم الكتاب والحكمة } قال فى الارشاد صفة اخرى لرسولا مترتبة فى الوجود على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية التى هى عبارة عن تكميل النفس بحسب قوتها العلمية وتهذيبها المتفرغ على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصلة بالعلم المترتب على التلاوة للايذان بأن كلا من الامور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلو روعى ترتيب الوجود لتبادر الى الفهم كون الكل نعمة واحدة وهو السر فى التعبير عن القرءآن تارة بالآيات وأخرى بالكتاب والحكمة رمزا الى انه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة انتهى

وقال بعضهم ويعلمهم القرءآن والشريعة وهى ماشرع الله لعباده من الاحكام او لفظه ومعناه او القرءآن والسنة كما قاله الحسن او الكتاب الخط كما قاله ابن عباس او الخير والشر كما قاله

ابن اسحق والحكمة الفقه كما قاله مالك او العظة كما

قاله الاعمش او كتاب احكام الشريعة واسرار آداب الطريقة حال معانيه

الحكمية والحكمية ولكن تعليم حقائق القرءآن وحمه مختص باولى الفهم

وهم خواص الاصحاب رضى الله عنهم وخواص التابعين من بعدهم الى

قيام الساعة لكن معلم الصحابة عموما وخصوصا هو النبى عليه

السلام بلا واسطة ومعلم التابعين قرنا بعد قرن هو عليه السلام ايضا لكن

بواسطة ورثة امته وكمل اهل دنيه وملته لو لم يكن سوى هذا التعليم معجزة

لكفاه قال البوصرى فى القصيدة البردية

كفاك بالعلم فى الامى معجزة ... فى الجاهلية والتأديب فى اليتم

اى كفاك العلم الكائن فى الامى فى وقت الجاهلية وكفاك ايضا

تنبيه على الآداب لعلمه بها فى وقت اليتم معجزة

{ وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين } ان ليست شرطية ولا

نافية بل هى المخففة واللام هر الفارقة بينها وبين النافية والمعنى وان الشأن

كان الاميون من قبل بعثته مجيئه لفى ضلال مبين من الشرك خبث الجاهلية لاترى ضلالا اعظم منه وهو بيان لشدة افتقارهم الى من يرشدهم وازاحة لما عسى يتوهم من تعلمه عليه السلام من الغير فان المبعوث فيهم اذا كانوا فى ضلال قبل البعثة زال توهم انه تعلم ذلك من احد منهم قال سعدى المفتى والظاهر ان نسبة الكون فى الضلال الى الجميع من باب التغليب والا فقد كان فيهم مهتدون مثل ورقة بن نوفل وزيد بن نفيل وقس بن ساعدة وغيرهم ممن قال رسول الله عليه السلام فى كل منهم يبعث امة واحدة.

يقول الفقير هو اعتراض على معنى الازاحة المذكورة لكنه ليس بشيء فان اهتدآء من ذكره من نحو ورقة انما كان فى باب التوحيد فقط فقد كانوا فى ضلال من الشرآئع والاحكام ألا ترى الى قوله تعالى { ووجدك ضالا فهدى } مع انه عليه السلام لم يصدر منه قبل البعثة شرك ولا غيره من شرب الخمر والزانى واللغو واللهو فكونهم مهتدين من وجه لا ينافى كونهم ضالين من وجه آخر دل على هذا المعنى قوله تعالى

{ يتلو عليهم } الخ فان بالتلاوة وتعليم الاحكام والشرآئع حصل تزيكة النفس والنجاة من الضلال مطلقا فاعرفه

٣

{ وآخرين منهم } جمع آخر بمعنى غير وهو عطف على الاميين اى بعثه فى الاميين الذين على عهده وفى آخرين من الاميين او على المنصوب فى يعلمهم ايعلمهم ويعلم آخرين منهم وهم الذين جاؤا من العرب فمنهم متعلق بالصفة لآخرين اى وآخرين كائنين منهم مثلهم فى العربية والامية وان كان المراد العجم فمنهم يكون متعلقا بآخرين (قال الكاشفى) اصح اقوال آنست كه هركه باسلام در آمده ودرمى آيد بعد از وفات آن حضرت عليه السلام همه درين آخرين داخلند ، فيكون شاملا لكل من اسلم وعمل صالحا الى يوم القيامة من عربى وعجمى وفى الحديث (ان فى اصلاب رجال من امتى رجالا ونساء يدخلون الجنة بغير حساب) ثم تلا الآية

{ لمايلحقوا بهم } صفة لآخرين اى لم يلحقوا بالاميين بعد ولم يكونوا فى زمانهم وسيلحقون بهم ويكونون بعدهم عربا وعجما وذلك لما ان منفى لما لابد أن يكون مستمر النفى الى الحال وأن يكون متوقع الثبوت بخلاف منفى لم فانه يحتمل الاتصال نحو

{ ولم اكن بدعائك رب شقيا } والانقطاع مثل

{ لم يكن شيأ مذكورا } ولهذا جاز لم يكن ثم كان ولم يجز لما يكن ثم كان بل يقال لما يكن وقد يكون (روى) سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه ان النبعليه السلام قال (رأيتنى أسقى غنما سودا ثم اتبعتها غنما عفرا اولها يا أبا بكر) فقال يانبى الله اما السود فالعرب

واما العفر فالعجم تتبعك بعد العرب فقال عليه السلام (كذلك اولها الملك يعنى جبرآئيل عليه السلام) يقال شاة عفراء يعلو بياضها حمرة ويجمع على عفر مثل سودآء وسود

وقيل لما يلحقوا بهم فى الفضل والمسابقة لان التابعين لايدركون

شيأ مع الصحابة وكذلك العجم مع العرب ومن شرآئط الدين معرفة فضل

العرب على العجم وحبهم ورعاية حقوقهم وفى الآية دليل على ان رسول

الله صلّى الله عليه وسلّم رسول نفسه وبلاغه حجة لاهل زمانه ومن بلغ

لقوله تعالى

{ ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده } { وهو العزيز

} المبالغ فى العزة والغلبة ولذلك مكن رجلا اميا من ذلك امر العظيم

{ الحكيم } المبالغ فى الحكمة ورعاية المصلحة ولذلك اصطفاه

من بين كافة البشر

٤

{ ذلك } الذى امتاز به من بين سائر الافراد وهو أن يكون نبى

ابناء عصره ونبى ابناء العصور الغوابر

{ فضل الله } واحسانه

{ يؤتيه من يشاء } تفضلا وعطية لا تأثير للاسباب فيه فكان الكرم منه صر فالا تمازجه العلل ولا تكسبه الحيل

{ والله ذو الفضل العظيم } الذى يستحقر دونه نعم الدنيا ونعيم الآخرة وفى كشف الاسرار

{ والله ذو الفضل العظيم } على محمد وذو الفضل العظيم على الخلق بارسال محمد اليهم وتوفيقهم لمابيعته انتهى.

يقول الفقير وايضا

{ والله ذو الفضل العظيم } على اهل الاستعداد من امة محمد بارسال ورثة محمد فى كل عصر اليهم وتوفيقهم للعمل بموجب اشاراتهم ولولا اهل الارشاد والدلالة لبقى الناس كالعميان لايدرون اين يذهبون وانما كان هذا الفضل عظيما لان غايته الوصول الى الله العظيم وقل بعض الكبار

{ والله ذو الفضل العظيم } اذ جميع الفضائل الاسمائية تحت الاسم الاعظم وهو جامع احدية جميع الاسماء

وقيل لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ذهب اهل الدثور بالاجور فقال (قولوا سبحان الله والحمد لله والا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم) فقالوها وقالها الأغنياء فقيل انهم شاركونا فقال

{ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء } وفى بعض الروايات (اذا قال الفقير سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر مخلصا وقال الغنى مثل ذلك لم يلحق الغنى بالفقير فى فضله وتضاعف الثواب وان أنفق الغنى معها عشرة آلاف درهم وكذلك اعمال البر كلها) (قال الشيخ سعدى قدس سره)

نقنطار زر بخش كردن زكنج ... نباشد جو قيراطى ازدست رنج

٥

{ مثل الذين حملوا التوراة } اى علموها وكلفوا العمل بها وهم اليهود ومثلهم صفتهم العجيبة

{ ثم لم يحملوها } اى لم يعملوا بما فى تضاعيفها من الآيات الى من جملتها الآيات الناطقة بنوبة رسول الله عليه السلام واقتنعوا بمجرد قرآءتها

{ كمثل الحمار } الكاف فيه زآئدة كما فى الكواشى والحمار حيوان معروف يعبر به عن الجاهل كقولهم هو اكفر من الحمير اى اجهل لان الكفر من الجهالة فالتشبيه به لزيادة التحقير والاهانة ولنهاية التهكم والتوبيخ بالبلادة اذا لحمار يذكر بها والبقر وان كان مشهورا بالبلادة الا انه لا يلائم الحمل

تعلم يافتى فالجهل عار ... ولا يرضى به الا حمار

{ يحمل اسفارا } اى كتبا من العلم يتعب بحملها ولا ينتفع بها ويحمل اما حال والعامل فيها معنى المثل اوصفة للحمار اذ ليس المراد معينا

فان المعرف بلام العهد الذهنى فى حكم النكرة كما فى قول من قال ولقد

امر على اللئيم يسبنى والاسفار جمع سفر بسكر السين وهو الكتاب كشبر

واشبار قال الراغب السفر الكتاب الذى يسفر عن الحقائق اى يكشف

وخص لفظ الاسفار فى الآية تنبيها على ان التوراة وان كانت تكشف عن

معانيها اذا قرئت وتحقق مافيها فالجاهل لايكاد يستبينها كالحمار الحامل

لها وفى القاموس السفر الكتاب الكبير او جزء من اجزآء التوراة وفى هذا

تنبيه من الله على انه ينبغى لمن حمل الكتاب أن يتعلم معانيه ويعلم مافيه

ويعمل به لئلا يلحقه من الذم ما لحق هؤلاء (قال الشيخ سعدى) مراد

از نزول قرآن تحصيل سيرت خوبست نه ترتيل سوره مكتوب

علم جندانكه بيشتر خوانى ... جون عمل درتونيست تادانى

نه محقق بود نه دانشمند ... جار بايي برو كتابى جند

آن تهى معزرا جه علم وخبر ... كه برو هيز مست يا دفتر

(وقال الكاشفى)

كفت ايزد يحمل اسفاره ... بار باشد علم كان نبود زهو

علمهاى اهل دل حمالشان ... علمهاى اهل تن احما لشان

جون بدل خوانى زحق كيرى سبق ... جون بكل خوانى سبه سازى ورق

وفى التأويلات النجمية يعنى مثل يهود النفس فى حمل توراة العلم والمعرفة بصحة رسالة القلب وعدم اتباع رسومه واحكامه كمثل الحمار البدن فى حمله اثقال الامتعة النفسية الا قمشة الشريفة والملابس الفاخرة والطيالس الناعمة فكما ان حمار البدن لايعرفها ولا يعرف شرفها ولا كرامتها كذلك يهود النفس لاتعرف رفعة رسول القلب ولا رتبته ونعم مايحكى عن بعض الظرفاء انه حضر دعوة لطعام فلم يلتفتوا اليه اوجلسوه فى مكان نازل ثم انه خرج واستعار ألبسة نفيسة وعاد الى المجلس فلما رأوه على زى الاكابر عظموه واجلسوه فوق الكل فلما حضر الطعام قال ذلك الظريف خطابا لكمه كل والكم لايدرى مالطعام وم اللذة لكن نظر اهل

الصورة مقصور على الظاهر لايرون الفضل الا بالزخارف والزين فما أبعد هؤلاء عن ادراك المعانى والحقائق

{ بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله } اى بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله على أن التمييز محذوف والفاعل المفسر له مستتر والمذكور هو المخصوص بالذم وهم اليهود الذين كفروا بما فى التوراة من الآيات الشاهدة بصحة نبوة محمد عليه السلام

{ والله لايهدى القوم الظالمين } الواضعين للتكذيب فى موضع التصديق او الظالمين لأنفسهم بتعريضها للعذاب الخالد باختيار الضلالة على الهداية والشقاوة على السعادة والعداوة على العناية كاليهود ونظائرهم وفيه تقبيح لهم بتشبيه حالهم بحال الحمار والمشبه بالقبيح قبيح وقد قال تعالى

{ ان أنكر الاصوال لصوت الحمير } فصوت الجاهل والمدعى منكر كصوت الحمار وأضل وانزل فهو ضار محض وفى الحمار نفع لانه

يحمل الاثقال ويركبه النساء والرجال وقد قال فى حياة الحيوان ان اتخذ

خاتم من حافر الحمار الاهلى ولبسه المصروع لم يصرع ثم ان فى الحمار

شهوة زآئدة على شهوات سائر الحيوانات وهى من الصفات الطبيعية

البهيمية فمن أبدلها بالعفة نجا وسلم من التشبيه المذكور وكم ترى من

العلماء الغير العاملين ان اعينهم تور على نظر الحرام ومع الهم من النحاك

يتجاوزون الى الزنى لعدم قوتهم الشهوية بالشريعة اقوالهم لا أعمالهم واحوالهم

نسأل الله العصمة مما يوجب المقت والنقمة انه ذو المنة والفضل والنعمة

٦

{ قل يا أيها الذين هادوا } من هاد يهود اذا تهود أى تهودوا

التهود جهود شدن ودين جهود داشتن وبالفارسية ايشان كه جهود شديد

وازراه راست بكشتيد ، فان المهاداة الممايلة ولذا قال بعض

المفسرين اى مالوا عن الاسلام والحق الى اليهودية وهى من الاديان الباطلة

كما سبق قال الراغب الهود الرجوع برفق وصار فى التعارف التوبة

قال بعضهم يهود فى الاصل من قولهم انا هدنا اليك اى تبنا وكان اسم مدح ثم صار بعد نسخ شريعتهم لازما لهم وان لم يكن فيه معنى المدح كما ان النصارى فى الاصل من قولهم نحن انصار الله ثم صار لازما لهم بعد نسخ شريعتهم ثم ان الله تعالى خاطب الكفار فى اكثر المواضع بالواسطة ومنها هذه الآية لانهم ادخلوا الواسطة بينهم وبين الله تعالى وهى الاصنام

واما المؤمنون فان الله تعالى خاطبهم فى اغلب المواضع بلا واسطة مثل يايها الذين آمنوا لامنهم اسقطوا الوسائط فأسقط الله بينه وبينهم الوسائط

{ ان زعمتم } الزعم هو القول بلا دليل والقول بأن الشىء على صفة كذا قولا عير مستند الى وثوق نحو زعمتك كريما وفى القاموس الزعم مثلثة القول الحق والباطل والكذب ضد واكثر مايقال فيما يشك فيه انتهى.

فبطل ماقال بعضهم من ان الزعم بالضم بمعنى اعتقاد الباطل وبالفتح بمعنى قول الباطل قال الراغب الزعم حكاية قول يكون مظنة للكذب ولهذا جاء فى القرءآن فى كل موضع ذم القائلون به

وقيل للمتكفل والرئيس زعيم للاعتقاد فى قولهم انه مظنة للكذب

{ انكم اولياء الله } جمع ولى بمعنى الحبيب

{ من دون الناس } صفة اولياء اى من دون الاميين وغيرهم ممن ليس من بنى اسرآئيل وقال بعضهم من دون المؤمنين من العرب والعجم يريد بذلك ما كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه ويدعون ان الدار الآخرة لهم عند الله خالصة وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا فأمر رسول الله عليه السلام بأن يقول لهم اظهار لكذبهم ان زعمتم ذلك

{ فتمنوا الموت } اى فتمنوا من الله أن يميتكم من دار البلية الى دار الكرامة وقولوا اللهم أمتنا والتمنى تقدير شىء فى النفس وتصويره فيها وبالفارسية آرزوا خواستن ،

قال بعضهم الفرق بين التمنى والاشتهاء ان التمنى اعم من الاشتهاء لانه يكون فى الممتنعات دون الاشتهاء

{ ان كنتم صادقين } جوابه محذوف لدلالة ماقبله عليه اى ان كنتم صادقين فى زعمكم واثقين بأنه حق فتمنوا الموت فان من أيقن انه من اهل الجنة احب أن يتخلص اليها من هذه الدار التى هى قرارة اكدار ولا يصل اليها احد الا بالموت قال البقلى جرب الله المدعين فى محبته بالموت وافرز الصادقين من بينهم لما غلب عليهم من شوق الله وحب الموت فتبين صدق الصادقين ههنا من كذب الكاذبين اذ الصادق يختار اللحوق اليه والكاذب يفر منه قال عليه السلام (من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن أبغض لقاء الله أبغض الله لقاءه) قال الجنيد قدس سره المحب يكون مشتاقا الى مولاه ووفاته احب اليه من البقاء اذ علم ان فيه الرجوع الى مولاه فهو يتمنى الموت ابدا

٧

{ ولا يتمنونه ابدا } اخبار بما سيكون منهم وابدا ظرف بمعنى الزمان المتطاول لا بمعنى مطلق الزمان والمراد به ماداموا فى الدنيا وفى البقرة

{ ولن يتمنوه } لان دعواهم فى هذه السورة بالغة قاطعة وهى كون الجنة لهم بصفة الخلوص فمبالغ فى الرد عليهم بلن وهو ابلغ ألفاظ النفى ودعواهم فى الجمعة قاصرة مترددة وهى زعمهم انهم واولياء الله فاقتصر على لا كما فى برهان القرءآن

{ بما قدمت ايديهم } الباء متعلقة بما يدل عليه النفى اى يأبون التمنى بسبب اماعملوا من الكفر والمعاصى الموجبة لدخول النار نحو تحريف احكام التوراة وتغيير النعت النبوى وهم يعرفون انهم بعد الموت يعذبون بمثل هذه المعاصى ولما كانت اليد بين جوارح الانسان مناط عامة افاعليه عبر بها تارة عن النفس وأخرى عن القدرة يعنىان الايدى هنا بمعنى الذوات استعملت فيها الزيادة احتياجها اليها فكأنها هى

{ والله عليم بالظالمين } وضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالظلم فى كل امورهم اى عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصى المفضية الى افانين العذاب وبما سيكن منهم من الاحتراز عما يؤدى الى ذلك فوقع الامر كما ذكر فلم يتمن منهم احد موته وفى الحديث (لايتمنين احدكم الموت اما محسنا فان يعيش يزدد خيرا فهو خير له

واما مسيئا فلعله ان يستعتب) اى يسترضى ربه بالتوبة والطاعة وما روى عن بعض ارباب المحبة من التمنى فلغاية محبتهم وعدم صبرهم على الاحتراق بالافتراق ولا كلام فى المشتاق المغلوب المجذوب كما

قال بعضهم

غافلان ازمرك مهلت خواستند ... عاشقان كفتند نى زود بان

فللتمنى اوقات واحوال يجوز باعتبار ولايجوز بآخر اما الحال فكما فى الاشتياق الغالب

واما الوقت فكما أشار اليه قوله عليه لسلام (اللهم انى اسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحسب المساكين فاذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنى اليك غير مفتون) (روى) انه عليه لسلام قل فى حق اليهود (لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه ومابقى على وجه الارض يهودى) ثم ان الموت هو الفناء عن الارادات النفسانية والاوصاف الطبيعية كما قال عليه السلام (موتوا قبل أن تموتوا) فمن له صدق ارادة وطلب يحب ان يموت عن نفسه ولا يبالى سقط على الموت ام سقط الموت عليه وان كان لذلك مرا فى الظاهر لكنه حلو فى الحققة وفيه حياة حقيقية وشفاء للمرض القلبي

جه خوش كفت بكروزدار وفروش ... شفا بايدت داروى تلخ وش

واما من ليس له صدق ارادة وطلب فانه يهرب من المجاهدة مع النفس ويشفق ان يذبح بقرة الطبيعة فهو عند الموت الطبيعى يقاسى من المرارات مالا تفى ببيانه العبارات والله الحفيظ

٨

{ قل ان الموت الذى تفرون منه } ولا تجسرون على أن تتمنوه

مخالفة أن تؤخذوا بوبال كفركم

{ فانه ملاقيكم } البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف

يثنيه يعنى بكيرد شمارا وشربت آن بجشيد وفرار سودى نداردہ ، والفاء

لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف اى باعتبار كون الموصوف

بالموصوف فى حكم الموصول اى ان فررتم من الموت فانه ملاقيكم كأن

الفرار سبب لملاقاته وسرعة لحوقه اذ لايجد الفار بركة فى عمره بل يفر الى

جانب الموت فيلاقيه الموت ويستقبله وقد قيل اذا ادبر الامر كان العطب

فى الحيلة

{ ثم } اى بعد الموت الاضطرارى الطبيعى

{ تردون } الرد صرف الشىء بذاته او بحالة من احواله يقال

رددته فارتد والآية من الرد بالذات مثل قوله تعالى

{ ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه } ومن الرد الى حالة كان عليها قوله تعالى

{ يردوكم على ادباركم } { الى عالم الغيب والشهادة } الذى لاتخفى عليه احوالكم اى ترجعون الى حيث لاحاكم ولا مالك سواه وانما وصف ذاته بكونه عالم الغيب والشهادة باعتبار أوحوالهم الباطنة واعمالهم الظاهرة وقد سبق تمام تفسيره فى سورة الحشر

{ فينبئكم } بس خبر دهدشمارا

{ بما كنتم تعملون } من لكفر والمعاصى والفواحش الظاهرة والباطنة بأن يجازيكم بها

وفى التأويلات النجمية يشير الى الموت الارادى الذى هو ترك الشهوات ودفع المستلذات الذى تجتنبون منه لضعف همتكم الروحانية ووهن نهمتكم الربانية فانه ملاقيكم لايفارقكم ولكن لاتشعرون به لانهماككم فى بحر الشهوات الحيوانية واستهلاككم فى تبار مشتهياتكم

الظلمانية فانكم فى لبس من خلق جديد ولا تزالون فى الحشر والنشر كا قال وجاءكم الموج من كل مكان اى موج الموت فى كل لذة شهية ونعمة نعيمة ثم تردون الى عالم الغيب غيب النيات وغيب الطويات القلبية السرية والشهادة شهادة الطاعات والعبادات فينبئكم اى فيجازيكم بما كنتم تعملون بالنية الصالحة القلبية او بالنية الفاسدة النفسية انتهى ، وفيه اشارة الى انه كما لاينفع الفرار من الموت الطبيعى كذلك لاينفع الفرار من الموت الارادى لكن ينبغى للعاقل آن يتنبه لفنائه فى كل آن ويختار النفاء حبا للبقاء مع الله الملك المنان.

اعلم ان الفرار الطبيعى من الموت بمعنى استكراه الطبع وتنفره منه معذور صاحبه لان الخلاص منه عسير جدا الا للمشتاقين الى لقاء الله تعالى (حكى) انه كان ملك الملوك أراد أن يسير فى الارض فدعا بثياب ليلبسها فلم تعجبه فطلب غيرها حتى لبس ما اعجبه بعد مرات وكذا طلب دابة فلم تعجبه حتى أتى بدواب فركب احسنها فجاء ابليس فنفخ فى منخره فملأه كبرا ثم سار وسارت معه الخيول وهو لاينظر الى الناس

كبرا فجائه رجل رث الهيئة فسلم فلم يرد عليه السلام فأخذ بلجام دابته

فقال ارسل اللجام فقد تعاطيت امرا عظيما قال ان لى اليك حاجة قال

اصبر حتى انزل قال لا الا الآن فقهره على لجام دابته قال اذكرها قال هو

سر فدنا اليه فساره وقال انا ملك الموت فتغير لون الملك واضطرب لسانه

ثم قال دعنى حتى ارجع الى اهلى واقضى حاجتى فأودعهم قال لا والله

لاترى اهلك ومالك ابدا فقبض روحه فخر كأنه خشبة ثم مضى فلقى

عبدا مؤمنا فى تلك الحال فسلم فرد عليه السلام فقال ان لى اليك حاجة

اذكرها فى اذنك فقال هات فساره انا ملك الموت فقال مرحبا واهلا بمن

طالت غيبته فوالله ما كان فى الارض غائب أحب الى أن القاه منك فقال

ملك الموت اقض حاجتك التى خرجت لها فقال مالى حاجى اكبر عندى

ولا احب من لقاء لله قال فاختر على اى حالة شئت أن اقبض روحك

فقال أتقدر على ذلك قال نعم انى امرت بذلك قال فدعنى حتى اتوضأ

واصلى فاقبض روحى وانا ساجد فقبض روحه وهو ساجد (وفى المثنوى

(

بس رجال از نقل عالم شادمان ... وز بقايش شادمان اين كودكان

جونكه آب خوش نديدآن مرغ كور ... بيش او كوثر نمايد آب شور

واما الفرار العقلى بمعنى استكراهه الموت او بمعنى الانتقال من مكان الى مكان فالاول منهما ان كان من الانهماك فى حظوظ الدنيا فمذموم وان كان من خوف الموقف فصاحبه معذور كما حكى ان سليمان الدارانى قدس سره قال قلت لامى أتحبين الموت قالت لا قلت لم قالت لانى لو عصيت آدميا ماشتهيت لقاءه فكيف احب لقاءه وقد عصيته وقس عليه الاستكراه رجاء الاستعداد لما بعد الموت

واما الثانى منهما فغير موجه عقلا ونقلا اذا المشاهدة تشهد أن لامخلص من لموت فأينما كان العبد فهو يدرك

واما الفرار من بعض الاسباب الظاهرة للموت كهجوم النار الحرقة للدور والسيل المفرط فى الكثرة والقوة حمل العدو الغالب والسباع والهوام الى غير ذلك فالظاهر انه معذور فيه بل مأمور

واما الفرار من الطاعون فما يرجحه العقل والنقل عدم جوازه ، اما العقل فما قاله الامام الغزالى رحمه الله من ان سبب الوباء فى الطب الهوآء المضر واظهر طرق التداوى الفرار من المضر ولا خلاق انه غير منهى عنه الا ان الهوآء لايضر من حيث انه يلاقى ظاهر البدن من حيث دوام الاستنشاق له فانه اذا كان فيه عفونة ووصل الى الرئه والقلب وباطن الاحشاء اثر فيها بطول الاستنشاق فلا يظهر الوباء على الظاهر الا بعد طول التأثير فى الباطن فالخروج من البلد لايخلص غالبا من الاثر الذى استحكم من قبل ولكنه يتوهم الخلاص فيصير هذا من جنس الموهومات كالرقى والطيرة وغيرهما وانه لو رخص للاصحاء فى الخروج لما بقى فى البلد الا المرضى الذين اقعدهم الطاعون وانكسرت قلوبهم ولم يبق فى البلد من يسقيهم الماء ويطعمهم الطعام وهم يعجزون عن مباشرتهما بأنفسهم فيكون

ذلك سعيا فى اهلاكهم تحقيقا وخلاصهم منتظركما ان خلاص الاصحاء منتظر فلو اقاموا لم تكن الاقامة قاطعة لهم بالموت ولو خرجوا لم يكن الخروج قاطعا بالخلاص وهو قاطع فى اهلاك الباقين والمسلمون كالبنيان يشد بعضهم بعضا المؤمنون كالجسد الواحد اذا اشتكى مه عضو تداعى الى الاشتكاء سائر اعضائه هذا هو الذى يظهر عندنا فى تعليل الهى وينعكس هذا فيما اذا لم يقدم بعد على البلد فانه لم يؤثر الهوآء فى باطنه وليس له حاجة اليهم ،

واما النقل فقوله تعالى

{ ألم ترى الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم } فانه انكار لخروجهم فرارا منه وتعجيب بشأنهم ليعتبر العقلاء بذلك ويتيقنوا أن لامفر من قضاء الله فالمهنى عنه هو الخروج فرارا فان الفرار من القدر لايغنى شيأ وفى الحديث (الفار من الطاعون كالفار من الزخف والصابر فيه له اجر شهيد) وفى الحديث (يختصم الشهدآء والمتوفون على فراشهم الى ربنا عز وجل فى الذين يتوفون

فى الطاعون فيقول الشهدآء اخواننا قتلوا كما قتلنا ويقول المتوفون اخواننا ماتوا على فراشهم كما متنا فيقول ربنا انظروا الى جراحهم فان اشبهت جراحهم جراح المقتولين فانهم منهم فاذا جراحهم قد اشبهت جراحهم).

يقول الفقير دل عليه قوله عليه السلام فى الطاعون (انه وخز اعدآئكم من الجن) والوخز طعن ليس بنافذ والشيطان له ركض وهمز ونفث ونفخ ورخز والجنى اذا وخز العرق من مراق البطن اى مارق منها ولان خرج من وخزه الغدة وهى التى تخرج فى اللحم فيكون وخز الجنى سبب الغدة الخارجة فحصل التوفيق بين حديث الوخز وبين قوله عليه السلام (غدة كغدة البعير تخرج من مراق البطن) وباقى مايتعلق بالطاعون سبق فى سورة البقرة وقد تكفل بتفاصيله رسالة الشفاء لادوآء الوباء لابن طاش كبرى فارجع

٩

{ يأيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة } النداء رفع الصوت وظهوره ونداء الصلاة مخصوص فى الشرع بالالفاظ المعروفة والمراد بالصلاة صلاة الجمعة كل دل عليه يوم الجمعة والمعنى فعل النداء لها اى اذن لها والمعتبر فى تعلق الامر الآتى هو الاذان الاول فى الاصح عندنا لان حصول الاعلام به لا الاذان بين يدى المنبر وقد كان لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم مؤذن واحد فكان اذا جلس على المنبر اذن على باب المسجد فاذا نزل اقام الصلاة ثم كان ابو بكر وعمر رضى الله عنهما على ذلك حتى اذا كان عثمان رضى الله عنه وكثرت الناس وتباعدت المنازل زاد مؤذنا آخر فأمر بالتأذين الاول على دار له بالسوق يقال لها الزورآء ليسمع الناس فاذا جلس على المنبر اذن المؤذن الثانى فاذا نزل أقام للصلاة فلم يعب ذلك عليه

{ من يوم الجمعة } بضم الميم وهو الاصل والسكون تخفيف منه ومن بيان لاذا وتفسير لها اى لا بمعنى انها لبيان الجنس على ماهو المتبادر فان وقت النداء جزء من يوم الجمعة لايحمل عليه فكيف يكون بيانا له

بل المقصود انها لبيان ان ذلك الوقت فى اى يوم من الايام اذ فيه ابهام فتجامع كونها بمعنى فى كما ذهب اليه بعضهم وكونها للتبعيض كما ذهب اليه البعض الآخر وائما سمى جمعة لاجتماع الناس فيه للصلاة فهو على هذا الاسم اسلامى

وقيل اول من سماه جمعة كعب بن لؤى بالهمزة تصغير لأى سماه بها لاجتماع قريش فيه اليه وكانت العرب قبل ذلك تسميه العروبة بمعنى الظهور وعروبة وباللام يوم الجعة كما فى القاموس وقان ابن الاثير فى النهاية الافصح انه لايدخلها الالف واللام

وقيل ان الانصار قالوا قبل الهجرة لليهود يوم يجمعون فيه فى كل سبعة ايام وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله ونصلى فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الأحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى سعد بن زرارة رضى الله عنه بضم الزاى فصلى بهم ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه وحين اجتمعوا ذبح لهم شاة فتعشوا وتغذوا منها لقلتهم وبقى فى اكثر القرى التى يقال فيها الجمعة

عادة الاطعام بعد الصلاة الى يومنا هذا فأنزل الله آية الجمعة فهى اول جمعة فى الاسلام

واما اول جمعمة جمعها رسول الله عليه السلام فهى انه لما قدم المدينة مهاجرا نزل قبا على بنى عمرو بن عوف يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر بيع الاولحين امتد الضحى ومن تلك السنة يعد التاريخ الاسلامى فأقام بها يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة ماعدا المدينة فأدركته صلاة الجمعة فى بنى سالم بن عوف فى بطن وادٍ لهم قد اتخذ القوم فى ذلك الموضع مسجدا فخطب وصلى الجمعة وهى اول خطبة خطبها بالمدينة وقال فيها

(الحمد لله واستعينه واستهديه وأومن به ولا اكفره واعادى من يكفر به وأشه أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق والنور والموعظة والحكمة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الاجل من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله

ورسوله فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيدا اوصيكم بتقوى الله فان خير
ما أوصى به المسلم المسلم ان يحضه على الآخرة وأن يأمره بتقوى الله
واحذر ماحذركم الله من نفسه فان تقوى منعمل به ومخافته من ربه عنوان
صدق على مايبغيه من الآخرة ومن يصلح الذى بينه وبين الله من امره فى
السر والعلانية لاينوى به الا وجه الله يكون له ذكرا عاجل امره وذخرا فيما
بعد الموت حين يفتقر المرء الى ماقدم وما كان مما سوى ذلك يود لو أن
بينه وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد هو الذى صدق
قوله وانجز وعده ولا خلف لذلك فانه يقول مايبدل القوى لدى وما انا
بضلام للعبيد فاتقوا الله فى عاجل امركم وآجله فى السر والعلانية فانه
مايتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما
وان تقوى الله توقى مقته وتوقى عقوبته وتوقى سخطه وان تقوى الله تبيض
الوجه وترضى الرب وترفع الدرجة فخذوا بحظكم ولاتفرطوا فى جنب الله
فقد علمكم فى كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا وليعلم الكاذبين
فأحسنوا كما احسن الله اليكم وعادوا اعدآءه وجاهدوا فى الله حق جهاده

هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حى عن بينة ولاحول ولاقوة الا بالله فاكثروا ذكر الله واعملوا لما بعد الموت فان من يصلح مابينه وبين الله يكفر الله مابينه وبين الناس ذلك بان الله يقضى على الناس ويقضون عليه ويملك من الناس ولايملكون منه الله اكبر ولاحول ولا قوة الى بالله العلى العظيم) انتهت الخطبة النبوية ثم ان هذه الآية رد لليهود فى طعنهم للعرب وقولهم لنا السبت ولا سبت لكم

{ فاسعوا الى ذكر الله } قال الراغب السعى المشى السريع وهو دون العدو اى امشوا واقصدوا الى الخطبة والصلالة لاشتمال كل منهما على ذكر الله وما كان من ذكر رسول الله والثناء عليه وعلى خلفائه الراشدين واتقياء المؤمنين والموعظة والتذكير فهو فى حكم ذكر الله

واما ماعدا ذلك من ذكر الظلمة وألقابهم والثناء عليهم والدعاء لهم وهم احقاء بعكس ذلك فمن ذكر الشيطان وهو من ذكر الله على مراحل كما فى الكشافوبالفارسية رغبت كنيد بدان وسعى نماييد دران.

وعن الحسن رحمه الله اما والله ماهو بالسعى على الاقدام ولقد نهوا

أن يأتوا الصلاة الا وعليهم السكينة والوقار ولكن بالقلوب والنيات

والخشوع والابتكار ولقد ذكر الزمخشرى فى الابتكار قولا وافيا حيث قال

وكانت الطرقات فى ايام السلف وقت السحر وبعد الفجر

مغتصة اى مملوءة بالمبكرين الى الجمعة يمشون بالسرج وفى الحديث (اذا

كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على ابواب المسجد بأيديهم صحف من

فضة واقلام من ذهب يكتبون الاول فالاول على مراتبهم فاذا خرج الامام

طويت الصحف واجتمعوا للخطبة والمهجر الى الصلاة كالمهدى بدنه ثم

الذى يليه كالمهدى بقرة ثم الذى يليه كالمهدى شاة حتى ذكر الدجاجة

والبيضة) وفى عبارة السعى اشارة الى النهى عن التثاقل وحث على

الذهاب بصفاء قلب وهمة لابكسل نفس وغمة وفى الحديث (اذا اذن

المؤذن اى فى الاوقات الخمسة ادبر الشيطان وله حصاص) وهو بالضم

شدة العدو وسرعته وقال حماد بن سلمة قلت لعاصم بن أبى النجود ما

الحصاص قال اما رأيت الحمار اذا اصر باذنيهاى ضمهما الى رأسه ومصع

بذنبه اى حركه وضرب به وعدا اى اسرع فى المشى فذلك حصاصه وفيه اشارة الى ان ترك السعى من فعل الشيطان وهذا بالنسبة الى غير المريض والاعمى والعبد والمرأة والمقعد والمسافر فانهم ليسوا بمكلفين فهم غير منادين اى لاسعى من المرضى والزمنى والعميان وقد قال تعالى

{ فاسعوا }

واما النسوان فهن امرن بالقرار فى البيوت بالنص والعبد والمسافر مشغولان بخدمة المولى والنقل قال النصر آبادى العوام فى قضاء الحوآئج فى الجمعات والخواص فى السعى الى ذكره لعلمهم بأن المقادير قد جرت فلا زيادة ولا نقصان وقال بعضهم الذكر عند المذكور حجاب والسعى الى ذكر الله مقام المريدين يطلبون من المذكور محل قربة اليه والدنو منه

واما المحقق فى المعرفة وقد غلب عليه ذكر الله اياه بنعت تجلى نفسه لقلبه

{ وذروا البيع } يقال فلان يذر الشىء اى يقذفه لقلة اعتداده به ولم يستعمل ماضيه وهو وذر اى اتركوا المعاملة فالبيع مجاز عن المعاملة مطلقا كالشرآء والاجارة والمضاربة وغيرها ويجوز ابقاء البيع على حقيقته ويلحق به غيره بالدلالة وقال بعضهم النهى عن البيع يتضمن النهى عن الشرآء لانهما متضايفان لايعقلان الا معا فاكتفى بذكر احدهما عن الآخر واراد الامر بترك مايذهل عن ذكر الله من شواغل الدنيا وانما خص البيع والشرآء من بينها لان يوم الجمعة يوم تجمع فيه الناس من كل ناحية فاذا دنا وقت الظهيرة يتكاثر البيع والشرآء فلما كان ذلك الوقت مظنة الذهول عن ذكر الله والمضى الى المسجد قيل لهم بادروا تجارة الآخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا الى ذكر الله الذى لاشىء انفع منه واربح وذروا البيع الذى نفعه يسير وربحه قليل

{ ذلكم } اى السعى الى ذكر الله وترك البيع

{ خير لكم } من مباشرته فان نفع الآخرة اجل وابقى

{ ان كنتم تعلمون } الخبر والشر الحقيقين روى انه عليه السلام خطب فقال

(ان الله افترض عليكم الجمعة فى يومى هذا وفى مقامى هذا فمن تركها فى حياتى وبعد مماتى وله امام عادل او جائر من غير عذر فلا بارك الله له ولاجمع الله شمله ألا فلا حج له ألا فلا صوم له ومن تاب تاب الله عليه)

١٠

{ فاذا قضيت الصلاة } التى نوديتم لها اى اديت وفرغ منها

{ فانتشروا فى الارض } لاقامة مصالحكم والتصرف فى حوآئجكم اى تفرقوا فيها بأن يذهب كل منكم الى موضع فيه حاجة من الحوآئج المشروعة التى لابد من تحصيلها للمعيشة فانقلت مامعنى هذا الامر فانه لو لبث فى المسجد الى الليل يجوز بل هو مستحب فالجواب ان

هذا امر الرخصة لا امر العزيمة اى لاجناح عليكم فى الانتشار بعدما اديتم حق الصلاة

{ وابتغوا من فضل الله } اى الربح يعنى اطلبوا لأنفسكم واهليكم من الرزق الحلال بأى وجه يتيسر لكم من التجارة وغيرها من المكاسب المشروعة دل هذا المعنسبب قوله

{ واذا رأوا تجارة } الخ كما سيأتى فالامر للاطلاق بعد الحظر اى للاباحة لا للايجاب كقوله

{ واذا حللتم فاصطادوا } وذكر الامام السرخسى ان الامر للايجاب لما روى انه عليه السلام قال (طلب الكسب بعد الصلاة هو الفريضة بعد الفريضة) وتلاقوله تعالى

{ فاذا قضيت الصلاة } وقل انه للندب فعن سيعد بن جبير اذا انصرفت من الجمعة فساوم بشيء وان لم تشتره وعن ابن عباس رضى الله عنهما لم يؤمروا بطلب شيء من الدنيا انما هو عبادة المرضى وحضور

الجنائز وزيارة اخ فى الله وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم (قال الكاشفى) وكفته اند انتشارهم در زمين مسجداست جهت رفتن بمجلس علما ومذكران ،

وقيل صلاة التطوع والظاهر ا ن مثل هذا ارشاد للناس الى ماهو الاولى ولاشك فى اولوية المكاسب الاخروية مع ان طلب الكفاف من الحلال عبادة وربما يكون فرضا ان الاضطرار

{ واذكروا الله } بالجنان واللسان جميعا

{ كثيرا } اى ذكرا كثيرا او زمانا كثيرا ولاتخصوا ذكره تعالى بالصلاة.

يقول الفقير انما امر تعالى بالذكر الكثير لان اللسان هو العالم الاصغر المقابل للعالم الاكبر وكل مافى العالم الاكبر فانه يذكر الله تعالى بذكر مخصوص له فوجب على اهل العالم الاصغر أن يذكروا الله تعالى بعدد أذكار اهل العالم الاكبر حتى تتقابل المرءآتان وينطبق الاجمال

والتفصيل فان قلت فهل فى وسع الانسان أن يذكر الله تعالى بهذه المرتبة

من الكثرة قلت نعم اذا كان من مرتبة السر بالشهود التام والحضور الكامل

كما قال ابو يزيد البسطامى قدس سره الذكر الكثير ليس بالعدد لكنه

بالحضور انتهى وقد يقيم الله القليل مقام الكثير كما رى ان عثمان رضى

الله عنه صعد المنبر فقال الحمد لله فارتج عليه فقال ان أبا بكر وعمر رضى

الله عنها كانا يعدان لهذا المقام مقالا وانكم الى امام فعال احوج منكم الى

امام قوال وستأتيك الخطب ثم نزل ومنه قال امامنا الاعظم ابو حنيفة رحمه

الله ان اقتصر الخطيب على مقدار مايسمى ذكر الله كقولهاالحمد لله

سبحان الله جاز وذلك لان الله تعالى سمى الخطبة ذكرا له على انا

نقول قوله عثمان ان ابا بكر وعمر الخ كلام ان كلام من باب الخطبة

لاشتماله على معنى جليل فهو يجامع قول صاحبيه والشافعى لابد من

كلام يسمى خطبة وهذا مما لا يتنبه له احد والحمد لله على الهامه

وقال سعيد بن جبير رضى الله عه الذكر طاعة الله فمن أطاع الله فقد ذكر

ومن لم يطعه فليس بذاكر وان كان كثير التسبيح والذكر بهذا المعنى يتحقق

فى جميع الاحوال قال تعالى

{ رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله } والذكر الذى امر

بالسعى اليه اولا هو ذكر خاص لايجامع التجارة اصلا اذا المراد منه الخطبة

والصلاة امر به اولا ثم قال اذا فرغتم منه فلا تتركوا طاعته فى جميع ما

تأتونه وتذرونه

{ لعلكم تفلحون } كى تفوزوا بخير الدارين ، الحاصل ذكروى

موجب جميعت ظاهر وباطن وسبب نجات دنيا وآخرتست

از ذكر خدا مباش يكدم غافل ... كز ذكر بود خير دو عالم

حاصل

ذكراست كه اهل شوق رادرهمه حال ... آسايش جان باشد

وآرامش دل

وفى التأويلات النجمية اذا حصلت لكم ياهل كمال الايمان الذوقى العيانى صلاة الوصلة والجمعية والبقاء والفناء فسيروا فى ارض البشرية بالاستمتاع بالشهوات المباحة والاسترواح بالروآئح الفائحة والمراتعة فى المراتع الارضية وابتغوا من فضل الله من التجارات المعنوية الرابحة واذكروا نعم الله عليكم الظاهرة من الفناء من ناسوتيتكم الظلمانية والباطنة من البقاء بلاهويته النوارنية لعلكم تفوزون بهذه النعم الظاهرة والباطنة بارشد الطالبين الصادقين المتوجهين الى الله بالورح الصافى والقلب الوافى قال فى الاشباه والنظائر اختص يوم الجمعة باحكام لزوم صلاة الجمعة واشتراط الجماعة لها وكونها ثلاثة سوى الامام والخطبة لها وكونها قبلها شرط وقرآءة السورة المخصوصة لها وتحريم السفر قبلها بشرطةه واستنان الغسل لها الطيب ولبس الاحسن وتقليم الاظفار وحلق الشعر ولكن بعدها افضل والبخور فى المسجد والتبكير لها والاشتغال بالعبادة الى خروج الخطيب ولايسن الابراد بها ويكره افراده بالصوم وافراد ليلته بالقيام وقرآءة الكهف فيه ونفى كراهة النافلة وقت الاستوآء على قول أبى يوسف المصحح

المعتمد وهو خير ايام الاسبوع ويوم عيد وفيه ساعة اجابة وتجتمع فيه الارواح وتزار فيه القبور و يأم الميت فيه من عذاب القبر ومن مات فيه اوفى ليلته امن من فتنة القبر وعذابه ولا تسجر فيه جهنم وفيه خلق آدم وفيه اخرج من الجنة وفيه تقوم الساعة وفيه يزور اهل الجنة ربهم سبحانه وتعالى انتهى واذا وقعت الوقفة بعرفة يوم الجمعة ضوعف الحج سبعين لان حج الوداع كان كذلك ذكره فى عقد الدرر واللآلى

١١

{ واذا رأوا } اى علموا

{ تجارة } هى تجارة دحية بن خليفة الكلبى

{ او } سمعوا

{ لهوا } هو مايشغل الانسان عما يعنيه ويهمه يقال ألهى عن كذا اذا اشغله عما هو أهم والمراد هنا صوت الطبل ويقال له اللهو الغليظ وكان دحية اذا قدم ضرب الطبل ليعلم به (قال الكاشفى) وكاروان جون

رسيدى طبل شادى زدندى ، كما يرمى اصحاب السفينة فى زماننا البنادق وما يقال له بالتركى ، طوب ، او كانوا اذا اقبلت العير استقبلوها اى اهلها بالطبول والدفوف والتصفيق وهو المراد باللهو

{ انفظوا اليها } الفض كسر الشىء وتفريق بين بعضه وبعض كفض ختم الكتاب ومنه استعير انفض القم اى تفرقوا وانتشروا كما فى تاج المصادر الانفضاض شكسته شدن وبرا كنده شدن ، وحد الضمير لان العطف بأولا يثنى معه الضمير وكان المناسب ارجاعه الى احد الشيئين من غير تعيين الى ان تخصيص التجارة برد الكناية اليها لانها المقصودة وللدلالة على ن الانفضاض اليها مع الحاجة اليها والانتفاع بها اذا كان مذموما فما ظنك بالانفضاض الى اللهو وهو مذموم فى نفسه ويجوز أن يكون الترديد للدلالة على ان منهم من انفض لمجرد سماع الطبل ورؤيته فاذا كان الطبل من اللهو وان كان غليظا فما ظنك بالمزمار ونحو وقد يقال الضمير للرؤية المدلول عليهابقوله رأوا وقرىء اليهما على ان او للتقسيم (روى) ان دحية بن خليفة الكلبى قدم المدينة بتجارة من الشام كان ذلك

قبل اسلامه وكان بالمدينة مجاعة وغلاء سعر وكان معه جميع مايحتاج اليه من بر ودقيق وزيت وغيرها والنبى عليه السلام يخطب يم الجمعة فملا علم اهل المسجد ذلك قاموا اليه خشية أن يسبقوا اليه يعنى تابيشى كيرند از يكديكر بخريدن طعام ، فما بقى معه عليه السلام الا ثمانية او احد عشر او اثنا عشر او اربعون فيهم ابو بكر وعمر وعثما وعلى وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبدالرحمن بن عوف وابو عبيدة بن الجراح وسعيد بن زيد وبلا وعبد الله بن مسعود وفى رواية عمار بن ياسر بدل عبد الله وذكر مسلم ان جابرا كان فيه وكان منهم ايضا امرأة فقال عليه السلام (والذى نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا لاضرم الله عليهم الوادى نارا) وفى المعانى لولا الباقون لنزل عليهم الحجارة

{ وتركوك } حال كونك

{ قائما } اى على المنبر (روى) عن جابر بن عبدالله رضى الله عنه قال كان النبى عليه السلام يخطب يوم الجمعة خطبتين قائما يفصل بينهما بجلوس ومن ثمة كانت السنة فى الخطبة وفيه اشعار بأن الاحسن فى

الوعظ على المنبر يوم الجمعة القيام وان جاز القعود لانه والخطبة من واد واحد لاشتماله على الحمد والثناء التصلية والنصيحة والدعاء قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده قدس سره ان الخطبة عبارة عن ذكر الله والموعظة للناس وكان عليه السلام مستمرا فى ذكر الله تعالى ثم لما أراد التنزل لارشاد الناس بالموعظة جلس جلسة خفيفة غايته ان ماذكره الفقهاء من معنى الاستراحة لازم لما ذكرنا وكان عليه السلام يكتفى فى الاوائل بخطبة واحدة من غير أن يجلس اما لانه لعظم قدره كان يجمع بين الوصال والفرقة او لان افعاله كانت على وفق الوحى ومقتضى امر الله فيجوز أن لايكون مأمورا بالجلسة فى الأوآئل ثم صار على قياس النسخ وايضا وجه عدم جلوسه عليه السلام فى الخطبة فى بعض الاوقات هو انه عليه السلام كان يرشد اهل الملكوت كما يرشد اهل الملك فمتى كان ارشاده فى الملكوت لا يتنزل ولايجلس ومتى كان فى الملك بأن لم يكن فى مجلس الخطبة من هو من اهل الملكوت يتنزل ويجلس مجلس الملك فان معاشر الانبياء يكلمون الخلق على

قدر عقولهم ومراتبهم وكان عليه السلام متى أراد الانتقال من ارشاد اهل الملك الى ارشاد اهل الملكوت يقول

(أرحنى يابلال) ومتى أراد التنزل من ارشاد اهل الملكوت الى ارشاد اهل الملك يقول لعائشة رضى الله عنها (كلمينى ياحميرآء) ، اعلم انه كان من فضل الاصحاب رضى الله عنهم وشأنهم أن لايفعلوا مثل ماذكر من التفرق من مجلس النبى عليه السلام وتركه قائما فذكر بعضهم وهو مقاتل بن حيان ان الخطبة يوم الجمعة كانت بعد الصلاة مثل العيدين فظنوا انهم قد قضوا ما كان عليهم وليس فى ترك الخطبة شىء فحولت الخطبة بعد ذلك فكانت قبل الصلاة كان لايخرج واحد لرعاف اواحداث بعد النهى حتى يستأذن النبى عليه السلام يشير اليه بأصبعه التى تلى الابهام فيأذن له النبى عليه السلام يشير اليه بيده قال الامام السهيلى رحمه الله وهذا الحديث الذى من اجله ترخصوا لانفسهم فى ترك سماع الخطبة وان لم ينقل من وجه ثابت فالظن الجميل بأصحاب رسول الله عليه السلام موجب لانه كان صحيحا.

يقول الفقير هب انهم ظنوا انهم قد قضوا ما كان عليهم من فرض الصلاة فكيف يليق بهم أن يتركوا مجلس النبى عليه السلام ومن شانهم أن يستمعوا ولم يتحركوا كأن على رؤسهم الطير ولعل ذلك من قبيل سائر الهفوات التى تضمنت المصالح والحكم الجليلة ولو لم يكن الا كونه سببا لنزول هذه الآية التى هى خير من الدنيا وما فيها لكفى وفيها من الارشاد الالهى لعباده مالا يخفى

{ قل ماعند الله } من الثواب يعنى ثواب نماز واستماع خطبه ولزوم مجلس حضرت بيغمبر عليه السلام وما موصولة خاطبهم الله بواسطة النبى عليه السلام لان الخطاب مشوب بالعتاب

{ خير } بهتراست وسودمندتر

{ من اللهو } از استماع لهو

{ ومن التجارة } واز نفع تجارت فان نفع ذلك محقق مخلد بخلاف مافيهما من النفع المتوهم فنفع اللهو ليس بمحقق ونفع التجارة ليس بمخلد

وما ليس بمخلد فمن قبيل الظن الزآئل ومنه يعلم وجه تقديم اللهو فان

للاعدام تقدسا على الملكات قال البقلى وفيه تأديب المريدين حيث

اشتغلوا عن صبحة المشايخ بخلواتهم وعباداتهم لطلب الكرامات ولم يعلموا

ان مايجدون فى خلواتهم بالاضافة الى مايجدون فى صحبة مشايخهم لهو

قال سهل رحمه الله من شغله عن ربه شىء من الدنيا والآخرة فقد اخبر

عن خسة طبعه ورذالة همته لان الله فح له الطريق اليه واذن له فى مناجاته

فاشتغل بما يفنى عا لم يزل ولا يزال وقال بعضهم ما عند الله للعباد والزهاد

غدا خير مما نالوه من الدنيا نقدا وما عند الله للعارفين نقدا من واردات

القلوب وبوادر الحقيقة خير مما فى الدنيا والعقبى

{ والله خير الرازقين } لانه موجد الارزاق فاليه اسعوا ومنه اطلبوا

الرزق (قال الكشافى) وخداى تعالى بهترين روزى دهند

كانست يعنى آنانكه وسائط ايصال رزقند وقت باشدكه بخيلى كنند

وشايد نيز مصلحت وقت ندانند نقلست كه بكى ازخلفاى بعداد بهلول

را كفت بياتا روزى هرروز تو مقرر كنم تاوقت متعلق بدان نباشد بهلول

جواب دادکه جنین میکردم اکر جند عیب نبودی اول آنکه توندانند که مراجه باید دوم نشناسی که مراکی باید سوم معلوم نداری که مرا جند باید وحق تعالی کافل رزق منست این همه میداند وازروی حکمت بمن میرساند ودیکر شاید که برمن غضب کنی وآن وظیفه ازمن باز کیری وحق سبحانه وتعالی بکناه ازمن روزی باز نمیدارد

خدايي که اوساخت ازنیست هست ... بعصیان در رزق بکرس نیست

از وخواه روزی که بخشنده اوست ... بر آرنده کارهر بنده اوست

وقیل لبعضهم من این تأکل فقال من خزانة ملك لایدخلها اللصوص ولا یأکلها السوس وقال حاتم الاصم قدس سره لامرأته انی أرید السفشر فکم اضع لك من النفقة قالت بقدر ماتعلم انی اعیش بعد سفرك فقال وماندری کم نعیش قالت فکله الی من یعلم ذلك فلما سافر حاتم

دخل النساء عليها يتوجعن لها من كونه سافر وتركها بلا نفقة فقالت انه كان اكالا ولم يكن رزاقا

قال بعضهم قوله تعالى

{ خير من اللهو } وقوله

{ خير الرازقين } من قبيل الفرض والتقدير اذ لاخيريه فى الله ولا رازق غير الله فكان المعنى ان وجد فى اللهو خير فماعند الله اشد خيرية منه وان وجد راقون غير الله فالله خيرهم واقواهم قوة اولاهم عطية والرزق هو المنتفع به مباحا كان او محظورا

وفى التأويلات النجمية

{ والله خير الرازقين } لاحاطته على رزق النفس وهو الطاعة والعبادة بمقتضى العلم الشرعى ورزق القلب وهو المراقبة المواظبة على الاعمل القلبية من الزهد والورع والتوكل والتسليم والرضى والبسط والقبض والانس والهيبة ورزق الروح بالتجليات والتنزلات والمشاهدات والمعاينات

ورزق السر برفع رؤية الغير والغيرية ورزق الخفاء بالنفاء فى الله والبقاء به وهو خير رزق فهو خير الرازقين (وفى المثنوى)

هرجه ازيارت جدا اندازد آن ... مشنو آنرا كه زيان دارد زيان

كربود آن سود صد در صد مكير ... بهر زرمكسل زكنجور اى فقير

آن شنوكه جند يزدان زجر كرد ... كفت اصحاب نبى را كرم وسرد

زانكه دربانك دهل درسال تنك ... جمعه را كردند باطل بى درنك

تانبايد ديكران ارزان خرند ... زان سبب صرفه زما ايشان برند

ماند بيغمبر بخلوت درنماز ... بادوسه درويش ثابت برنياز

كفت طبل ولهو وبازركانى ... جو نتان ببريد از ربانى

قد فضضتم نحو قمح هائما ... ثم خليتم نبيا قائما

بهر كندم تخم باطل كاشتند ... وآن رسول حق را بكذا شتند

صحبت او خير من لهواست ومال ... بين كرا بكذاشتى جشمى بمال

خودنشد حرص شمارا اين يقين ... كه منم رزاق وخير الرزاقين

آنكه كندم راز خودروزى دهد ... كى توكلهات را ضايع كند

ازپى كندم جدا كشتى ازان ... كه فرستادست كندم زآسمان

وفى الاحياء يستحب أن يقول بعد صلاة الجمعة اللهم ياغنى ياحميد يامبدى يا معيد يارحيم ياودود أغننى بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك فيقال من دوام على هذا الدعاء اغناه الله تعالى عن خلقه ورزقه من حيث لايحتسب وفى الحديث (من قال يوم الجمعة اللهم أغننى بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك سبعين مرة لم تمر به جمعتا حتى يغنيه الله) رواه انس بن مالك رضى الله عنه

سُورَةُ "الْمُنَافِقُونَ" مَدَنِيَّةٌ

وَهِيَ إِحْدَى عَشَرَةَ آيَةً

١

{ اذا } جون

{ جاءك المنافقون } احضروا مجلسك وبالفارسية بتوآيند دو رويان ، والنفاق اظهار الايمان باللسان وكتمان الكفر بالقلب فالمنافق هو الذى يضمر الكفر اعتقادا ويظهر الايمان قولا وفى المفردات النفاق الدخول فى الشرع من باب والخروج من هـ من باب من النافقاء احدى جحرة اليربوع والثعلب والضب يكتمها ويظهر غيرها فاذا أتى من قبل القاصعاء وهو الذى يدخل منه ضرب النافقاء برأسه فانتفق والنفق هو السرب فى الارض النافذ

{ قالوا } مؤكدين كلامهم بان واللام للايذان بأن شهادتهم هذه صادرة عن صميم قلوبهم وخلوص اعتقادهم وفور رغبتهم ونشاطهم والظاهر انه الجواب لاذا لان الآية نظير قوله تعالى

{ واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا }

وقيل جوابه مقدر مثل أرادوا أن يخدعوك

وقيل استئناف لبيان طريق خدعتهم

وقيل جوابه قوله

{ فاحذرهم } { نشهد } الآن او على الاستمرار

{ انك لرسول الله } والشهادة قول صادر عن علم حصل بشهادة بصر او بصيرة

{ والله يعلم انك لرسوله } اعتراض مقرر لمنطوق كلامهم لكونه مطابقا للواقع ولا زالة ايهام ان قولهم هذا كذب لقوله

{ والله يشهد } الخ وفيه تعظيم للنبى عليه السلام وقال ابو الليث والله يعلم انك لرسوله من غير قولهم وكفى بالله شهيدا محمد رسول الله.

اعلم ان كل ماجاء فى القرءآن بعد العلم من لفظة ان فهى بفتح الهمزة لكونها فى حكم المفرد الا فى موضعين احدهما

{ والله يعلم انك لرسوله } فى هذه السورة والثانى

{ قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون } فى سورة الانعام وانما كان كذلك فى هذين الموضعين لانه يأتى بعدهما لام الخبر فانكسرا اى لان اللام لتأكيد معنى الجملة ولا جملة الا فى صورة المكسورة وقال بعضهم اذا دخلت الام الابتدآء على خبرها تكون مكسورة لاقتضاء لام الابتدآء الصدارة كما يقال لزيد قائم وتؤخر اللام لئلا يجتمع حرفا التأكيد واختير تأخيرها الترجيح ان فى التقديم لعالميته فكسرت لاجل اللام

{ والله يشهد } شهادة حقة

{ ان المنافقين لكاذبون } اى انهم والاظهار فى موضع الاضمار لذمهم والاشعار بعلية الحكم اى لكاذبون فيما ضمنوا مقالتهم من انها صادرة عن اعتقاد وطمأنينة قلب فان الشهادة وضعت للاخبار الذى طابق فيه اللسان اعتقاد القلب اطلاقها على الزور مجاز كاطلاق البيع على الفاسد نظيره قولك لمن يقول أنا أقرأ الحمد لله رب العالمين كذبت فالتكذيب بالنسبة الى قرآئته لا بالبنسبة الى المقروء الذى هو الحمد لله رب العالمين ومن هنا يقال ان من استهزأ بالمؤذن لايكفر بخلاف من استهزأ بالاذان فانه يكفر

قال بعضهم حجة شرعية تظهر الحق ولا توجبه فهى الاخبار بما علمه بلفظ خاص ولذلك صدق المشهود به وكذبهم فى الشهادة بقوله

{ والله يعلم } الخ دلت الآية على ان العبرة بالقلب والاخلاص وبخلوصه يحصل الخلاص وكان عليه السلام يقبل من المنافقين ظاهر الاسلام

واما حكم الزنديق فى الشرع وهو الذى يظهر الاسلام ويسر الكفر فانه يستتاب وتقبل توبته عند ابي ولا تقبل عن ابى حنيفة والشافعى رحمهما الله قال سهل رحمه الله اقروا بلسانهم ولم يعترفوا بقلوبهم فذلك سماهم الله منافقين ومن اعترف بقبله واقر بلسانه ولم يعمل باركانه مافرض الله من غير عذر ولا جهل كان كأبليس وسئل حذيفة من المنافق قال الذى يصف الاسلام ولا يعمل به وهم اليوم شر منهم لانهم كانوا يومئذ يكتمونه وهم اليوم يظهرونه وفى الآية اشارة الى ان المنافقين الذامين للدنيا وشهواتها باللسان المقبلين عليها بالقلب وان كانوا يشهدون بصحة الرسالة لظهور انوارها عليهم من المعجزات والكرامات لكنهم كاذبون فى شهاداتهم لاعراضهم عنه عليه السلاموومتابعته واقبالهم على الدنيا وشهواتها فحقيقة الشهادة انما تحصل بالمتابعة وقس عليه شهادة اهل الدنيا عند ورثة الرسول قال الحسن البصرى رحمه لله يا ابن آدم لايغرنك قول من يقول المرء مع من احب فانك لاتلحق الابرار الا بأعمالهم فان اليهود والنصارى يحبون انبياءهم وليسوا معهم وهذه اشارة الى ان مجرد

ذلك من غير موافقة فى بعض الاعمال او كلها لاينفع كما فى احياء العلوم ولذا قال حضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر المرء مع من احب فى الدنيا بالطاعة والأدب الشرعى وفى الآخرة بالمعاينة والقرب المشهدى انتهى

فاذا كانت المحبة لمجردة بهذه المثابة فما ظنك بالنفاق الذى هو هدم الاس والاصل وبناء الفرع فلا اعتداد بدعوى المنافق ولا بعمله وفى التأويلات القاشانية المنافقون هم المذبذبون الذين يجذبهم الاستعداد الاصلى الى نور الايمان والاستعداد العارضى الذى حدث برسوخ الهيئات الطبيعية والعادات الرديئة الى الكفر وانما هم كاذبون فى شهادة الرسالة لان حقيقة معنى الرسالة لايعلمها الى الله والراسخون فى العلم الذين يعرفون الله ويعرفون بمعرفته رسول الله فان معرفة الرسول لاتمكن الا بعد معرفة الله وبقدر العلم بالله يعرف الرسول فلا يعلمه حقيقة الا من انسلخ عن علمه وصار عالما بعلم الله وهم محجوبون عن الله بحجب ذوتهم وصفاتهم وقد اطفأوا نور استعدادتهم بالغواشى البدنية والهيئات الظلمانية فانى يعرفون

رسول الله حتى يشهدوا برسالته انتهى قال الشيخ ابو العباس معرفة الولى اصعب من معرفة الله فان الله معروف بكماله وجماله وحتى متى يعرف مخلوقا مثله يأكل كما يأكل ويشرب كما يشرب

٢

{ اتخذوا } اى المنافقون

{ ايمانهم } الفاجرة التى من جملتها ماحكى عنهم لان الشهادة تجرى مجرى الحلف فيما يراد به من التوكيد وبه استشهد ابو حنيفة رحمه الله على أن اشهد يمين واليمين فى الحلف مستعار من اليمين التى بمعنى اليد اعتبارا بما يفعله المحالف والمعاهد عنده واليمين بالله المصادقة جائزة وقت الحاجة صدرت من النبى عليه السلام كقولهوالله والذى نفسى بيده ولكن اذا لم يكن ضرورة قوية يصان اسم الله العزيز عن الابتذال

{ جنة } اى وقاية وترسا عما يتوجه اليهم من المؤاخذة بالقتل والسبى او غير ذلك واتخاذها جنة عبارة عن اعدادهم وتهيئتهم لها الى وقت

الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا من المؤاخذة لاعن استعمالها بالفعل فان ذلك متأخر عن المؤاخذة المسبوقة بوقوع الجناية واتخاذ الجنة لابد أن يكون قبل المؤآخذة وعن سببها ايضا كما يفصح عنه الفاء فى قوله

{ فصدوا عن سبيل الله } يقال صده عن الامر صدا اى منعه وصرفه وصد عنه صدودا اى اعرض ووالمعنى فمنعوا وصرفوا من أراد الدخول فى الاسلام بأنه عليه السلام ليس برسول ومن أراد الانفاق فى سبيل الله بالنهى عنه ما سيحكى عنه ولاريب فى أن هذا الصد منهم متقدم على حلفهم بالفعل واصل الجن ستر الشىء عن الحاسة يقال جنه الليل واجنه والجنان القلب لكونه مستورا عن الحاسة والمجن والجنة الترس الذى يجن صاحبه والجنة كل بستان ذى شجر يستر بأشجاره الارض

{ انهم ساء ما كانوا يعملون } اى ساء الشىء الذى كانوا يعملونه من النفاق والصد والاعراض عن سبيله تعالى فى ساء معنى التعجب وتعظيم امرهم عند السامعين

٣

{ ذلك } القول الشاهد بأنهم اسوأ لناس اعمالا وبالفارسية اين حكم حق ببدى أعمال ايشان

{ بأنهم } اى بسبب انهم

{ آمنوا } اى نطقوا بكلمة الشهادة كسائر من يدخل الاسلام

{ ثم كفروا } اى ظهر كفرهم بما شوهد منهم من شواهد الكفر ودلائله من قولهم ان كان مايقوله محمد حقا فنحن حمير وقولهم فى غزوة تبوك أيطمع هذا الرجل أن يفتح له قصور كسرى وقيصر هيهات فثم للتراخى او كفروا سرا فثم للاستبعاد ويجوز أن يراد بهذه الآية اهل الردة منهم كما فى الكشاف

{ فطبع الله على قلوبهم } ختم عليها يعنى مهر نهاده شد ، حتى تمرنوا على الكفر واطمأنوا به وصارت بحيث لايدخلها الايمان جزآء على نفاقهم ومعاقبة على سوء افعالهم فليس لهم ان يقولوا ان الله ختم على

قلوبنا فكيف نؤمن والطبع أن يصور الشىء بصورة ما كطبع السكة وطبع الدار هم وهو أعم من الختم واخص من النقش كما فى المفردات

{ فهم لايفقهون } حيقة الايمان ولا يعرفون حقيقته اصلا كما يعرفه المؤمنون والفقه لغة الفهم واصطلاحا علم الشريعة لانه الاصل فيما يكتسب بالفهم والدراية وان كان سائر العلوم ايضا لاينال الا بالفهم دل الكلام على ان ذكر بعض مساوى العاصى عند احتمال الفائدة لايعد من الغيبة المنهى عنها بل قد يكون مصلحة مهمة على ماروى عنه عليه السلام اذكروا الفاجر بما فيه كى يحذره الناس وفى المقاصد الحسنة ثلاثة ليست لهم غيبة الامام الجائر والفاسق المعلن بفسقه والمبتدع الذى يدعو الناس الى بدعته وقال القاشانى ذلك بسبب انهم آمنوا بالله بحسب بقية نور الفطرة والاستعداد ثم كفروا اى ستروا ذلك النور بحجب الرذآئل وصفات نفوسهم فطبع على قلوبهم برسوخ تلك الهيئات وحصول الرين من المسكوبات فحجبوا عن ربهم بالكلية فهم لايفهمون منعى الرسالة ولا علم التوحيد والدين

٤

{ واذا رأيتهم } وجون به بينى منافقا نراجون ابن ابى وامثال او ، الرؤية بصرية

{ تعجبك اجسامهم } بشكفت آرد ترا اجسام ايشان ، لضخامتها ويروقك منظرهم لصباحة وجوههم واصله من العجب والشىء العجيب هو الذى يعظم فى النفس امره لغرابته والتعجب حيرة تعرض للنفس بواسطة ما يتعجب منه

{ وان يقولوا } وجون سخن كويند

{ تسمع لقولهم } لفصاحتهم وذلاقة ألسنتهم وحلاوة كلامهم واللام صلة

وقيل تصغى الى قولهم وكان ابن ابى جسيما صبيحا فصيحا يحضر مجلس رسول الله عليه السلام فى نفر من امثاله وهم رؤساء المدينة وكان عليه السلام ومن معه يعجبون بهياكلهم ويسمعون الى كلامهم وان

الصباحة حسن المنظر لايكون الا من صفاء الفطرة فى الاصل ولذا

قال عليه السلام (اطلبوا الخير عند حسان الوجوه) اغالبا وكم من رجل

قبيح الوجه قضاء للحوائج

قال بعضهم

يدل على معروفه حسن وجهه ... ومازال حسن الوجه احد

الشواهد

وفى الحديث (اذا بعثتم الى رجلا فابعثوه حسن الوجه حسن الاسم

) ثم لما رأى عليه السلام غلبة الرين على قلوب المنافقين وانطفاء نور

استعدادهم وابطال الهيئات الدنية العارضية خواصهم الاصلية ايس منهم

وتركهم على حالهم (وروى) عن بعض الحكماء انه رأى غلاما حسنا

وجهه فاستنطقه لظنه ذكاء فطنته فما وجد عنده معنى فقال ما احسن

هذا البيت لو كان فيه ساكن وقال آخر طشت ذهب فيه خل

{ كأنهم خشب مسندة } فى حيز الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى هم كأنهم او كلام مستأنف لامحل له والخشب بضمتين جميع خشبة كأكم واكمة او جمع خشب محركة كأسد واسد وهو ماغلظ من العيدان والاسناد الامالة ومسندة للتكثير فان التسنيد تكثير الاسناد بكثرة المحال اى كأنها أسندت الى مواضع والمعنى بالفارسيةكويا ايشان جو بهاى خشك شده ا ند بديوار بازنهاده ، شبهوا فى جلوسهم فى مجالس رسول الله مستندين فيها بخشاب منصوبة مسندة الى الحائط فى كونهم اشباحا خالية عن العلم والخير والانتفاع ولذا اعتبر فى الخشب التنسيد لان الخشب اذا انتفع به كان فى سقف او جدار او غيرهما من مظان الانتفاع فكما ان مثل هذا الخشب لانفع فيه فكذا هم لانفع فيهم وكما ان الروح النامية قد زالت عنهم فهم فى زوال استعداد الحياة الحقيقية والروح الانسانى بمثابتها.

يقول الفقير فيه اشارة الى ان الاستناد فى مجالس الاكابر او فى مجالس العلم من ترك الأدب ولذا منع الامام مالك رحمه الله هرون من الاستناد حين سمع منه الموطأ (حكى) ان ابراهيم بن ادهم قدس سره

كان يصلى ليلة فأعي فجلس ومد رجليه فهتف به هاتف اهكذا تجالس الملوك وكان الحريرى لايمد رجليه فى الخلوة ويقول حفظ الأدب مع الله احق وهذا من أدب من عرف معنى الاسم المهيمن فان من عرف معناه يكون مستحييا من اطلاعه تعالى عليه ورؤيته له وهو المراقبة عند اهل الحقيقة ومعناه علم القلب باطلاع الرب ودلت الآية وكذا قوله عليه السلام

(انه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لايزن عند الله جناح بعوضة) (مثل المؤمن مثل السنبلة يحركها الريح فتقوم مرة وتقع اخرى ومثل الكافر مثل الارزة لاتزال قائمة حتى تنقر) قوله الارزة بفتح ألهمزة وبرآء مهملة ساكنة ثم زاى شجرة يشبه الصنوبر يكون بالشأم وبلاد الارمن

وقيل هو شجر الصنوبر والانقعار ، ازبن بركنده شدن يعنى مثل منافق مثل صنوبر براست كه بلند واستوار بر زمين تاكه افتادن وازبيخ بر آمدن ، وفيه اشارة الى ان المؤمن كثير الابتلاء فى بدنه وماله غالبا فيكفر عن سيئاته والكافر ليس كذلك فيأتى بسيئاته كاملة يوم القيامة

{ يحسبون } يظنون

{ كل صيحة } كل صوت ارتفع فان الصيحة رفع الصوت وفى القاموس الصوت بأقصى الطاقة وهو مفعول اول ليحسبون والمفعول الثانى قوله

{ عليهم } اى واقعة علهيم ضارة ، ومراد از صيحة هر فريادى كه برآيد وهرآوازى كه درمدينه بركشند.

وقال بعضهم اذا نادى مناد فى العسكر لمصلحة او انفلتت دابة او انشدت ضالة او وقعت جلبة بين الناس ظنوه ايقاعا بهم لجنبهم واستقرار الرعب فى قلوبهم والخائن خائف وقال القاشانى لان الشجاعة انما تكون من اليقين من نور الفطرة وصفاء القلب وهم منعمسون فى ظلمات صفات النفوس محتجبون باللذات والشهوات كأهل الشكوك والارتياب فلذلك غلب عليهم الجبن والخور انتهى وفى هذا زيادة تحقر لهم وتخفيف لقدرهم كما قيل اذا رأى غير شىء ظنه رجلا

وقيل كانوا على وجل من أن ينزل الله فيهم مايهتك استارهم ويبيح دماءهم واموالهم

{ هم العدو } اى هم الكاملون فى العداوة الراسخون فيها فان اعدى الاعادى العدو المكاسر الذى يكاسرك وتحت ضلوعه دآء لايبرح بل يلزم مكانه ولم يقل هم الاعدآء لان العدو لكونه بزنة المصادر يقع على الواحد وما فقوه

{ فاحذرهم } اى فاحذر أن تثق بقولهم وتميل الى كلامهم او فاحذر مما يلتهم لاعدآئك وتخذيلهم اصحابك فانه يفشون سرك للكفار

{ قاتلهم الله } دعاء عليهم وطلب من ذاته تعالى أن يلعنهم ويخزيهم ويميتهم على الهوان والخذلان كما قال ابن عباس رضى الله عنهما اى لعنهم قال سعدى المفتى ولا طلب هناك حقيقة بل عبارة

الطلب للدلالة على ان اللعن عليهم مما لابد منه قال الطيبى يعنى انه من اسلوب التجريد كقرآءة ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله

{ ومن كفر فامتعه } ياقادر ويجوز أن يكون تعليما للمؤمنين بأن يدعوا عليهم بذلك ففيه دلالة على ان للدعاء على اهل الفساد محلا يحسن فيه فقاتل الله المبتدعين الضالين المضلين فانهم شر الخصماء واضر الاعدآء وايراده فى صورة الاخبار مع انه انشاء معنى للدلالة على وقوعه ومعنى الانشاء بالفارسية هلاك كناد خداى ايشانرا يالعنت كنادج برايشانن وقال بعضهم اهلكهم وهو دعاء يتضمن الاقتضاء والمنابذة وتمنى الشر لهم ويقال هى كلمة ذم وتوبيخ بين الناس وقد تقول العرب قاتله الله ماشعره فيضعونه موضع التعجب

وقيل احلهم حل من قاتله عدو قاهر لكل معاند

{ انى يؤفكون } تعجيب من حالهم اى كيف يصرفون عن الحق والنور الى ماهم عليه من الكفر والضلال والظلمة بعد قيام البرهان من

الافك بفتح الهمزة بمعناالصرف عن الشىء لان الافك بالكسر بمعنى الكذب

قال فى التأويلات النجمية اذا رأيتهم من حيث صورهم المشكلة تعجبك اجسام اعمالهم المشوبة بالرياء والسمعة الخالية عن ارواح النبات الخالصة الصافية وان يقولوا قولا بالحروف والاصوات مجردا عن المعانى المصفاة تصغ الى قولهم المذكوب المردود كان صورهم المجردة عن المعنى المخيلة صورتها القوة الخالية بصرة الخشب المسندة الى جدار الوهم لا روح فيها ولامعنا يحسبون كل صيحة صاح بها صور القهر واقعة عليهم لضعف قلوبهم بمرض النفاق وعلة الشقاق هم الكاملون فى العداوة الذاتية والبغضاء الصفاتية فاحذرهم بالصورة والمعنى قاتلهم الله بالخزى والحرمان والسوء والخذلان أنى يعدلون عن طريق الدين الصدق

٥

{ واذا قيل لهم } عند ظهور جنايتهم بطريق النصيحة ، در معالم

آورده كه بعد از نزول اين آيتها قوم ابن أبي ويرا كفتندابن آيتها درباره

تونازل شده برو نزديك رسول خداى تابراى توآمر زش طلبد آن منافق

كردن تاب داد وكفت مرا كفتند ايمان آور آوردم تكليف كرديد كه زكاة

مال بده دادم همين مانده است كه محمد را سجده مى بايد كرد آيت

آمدكه ، واذا قيل لهم

{ تعالوا } اصله تعاليوا فأعل بالقلب والحذف الا ان واحد

الماضى تعالى باثبات الالف المقلوبة عن الياء المقلوبة عن

الواو الواقعة رابعة وواحد الامر تعالى بحذفها وقفا وفتح اللام واصل معنى

التعالى الارتفاع فاذا امرت منه قلت تعالى وتعالوا فتعالوا جمع امر الحاضر

فى صورة الماضى ومعناه ارتفعوا فيقوله من كان فى مكان عال لمن هو

اسفل منه ثم كثر واتسع فيه حتى عمم يعنى ثم استعمل فى كل داع يطلب

المجيء فى المفرد وغيره لما فيه من حسن الأدب اى هلموا

وائتوا وبالفارسيةبياييد باعتذار ، ومن الأدب أن لا يقال

تعالى فلان او تعاليت يافلان او أنا او فلان متعال باى معنى أريد لانه مما اشتهر به الله فتعالى الله الملك الحق

{ يستغفر لكم رسول الله } بالجزم جواب الامر اى يدع الله لكم ويطلب منه أن يغفر بلطفه ذنوبكم ويستر عيوبكم وهومن اعمل الثانى لان تعالوا يطلب رسول الله مجرورا بالى اى تعالوا الى رسول الله ويستغفر يطلب فاعلا فاعمل الثانى ولذلك رفعه وحدف من الاول اذ التقدير تعالوا اليه

{ لووا رؤسهم } يقال لوى الرجل راسه اماله والتشديد للتكثير لكثرة المحال وهى الرؤوس قال فى تاج المصادر التلوية نيك بيجانيدن اى عطفوها استكبارا جنانجة كسى ازمكر وهى روى بتابد وقال القاشانى لضراوتهم بالامور الظلمانية فلا يألفون النور ولا يشتاقون اليه ولا الى الكمالات الانسانية لمسخ الصورة الذاتية

{ ورأيتهم يصدون } من الصدوود بمعنى الاعراض اى يعرضون عن القائل او عن الاستغفار (وقال الكاشفى) اعراض ميكنند ازرفتن

بخدمت حضرت بيغمبر صلّى الله عليه وسلّم وذلك لانجذابهم الى الجهة السفلية والزخارف الدنيوية فلا ميل فى طباعهم الى الجهة العلوية والمعانى الاخروية (وفى المثنوى)

صورت رفعت بود افلاك را ... معنىء رفعت روان باك را

صورت رفعت براى جسمهاست ... جسما دربيش معنى اسمهاست

{ وهم مستكبرون } عن ذلك لغلبة الشيطنة واستيلاء القوة الوهمية واحتجابهم بالانانية وتصور الخيرية وفى الحديث (اذا رأيت الرجل لجوجا معجبا برأيه فقد تمت خسارته)

٦

{ سوآء عليهم أستغفرت لهم } كما اذا جاؤك معتذرين من جناياتهم وفى كشف الاسراركان عليه السلام يتسغفر لهم على معنى سؤاله لهم بتوفيق الايمان ومغفرة العصيان

وقيل لما قال الله

{ ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم } قال عليه السلام (لأزيدن على السبعين) فأنزل الله

{ سوآء } الخ وهو اسم بمعنى مستو خبر مقدم وعليهم متعلق به ومابعده من المعطوف عليه والمعطوف مبتدأ بتأويل المصدر لاخراج الاستفهام عن مقامه فالهمزة فى أستغفرت للاستفهام ولذا فتحت وقطعت والاصل ءاستغفرت فحذفت همزة الوصل التى هى الف الاستفعال للتخفيف ولعدم اللبس

{ ام لم تستغفر لم } كما اذا أصروا على قبائحهم واستكبروا عن الاعتذار والاستغفار

{ لن يغفر الله لهم } ابدا لاصرارهم على الفسق ورسوخهم فى الكفر وخروجهم عن دين الفطرة القيم

{ ان الله لايهدى القوم الفاسقين } الكاملين فى الفسق الخارجين

عن دآئرة الاستصلاح المنهمكين فى الكفر والنفاق او الخارجين عن دآئرة

المحقين الداخلين فى دآئرة الباطلين المبطلين وفى الآية اشارة الى عدم

استعدادهم لقبول الاستغفار لكثافة طباعهم المظلمة وغلظة جبلتهم الكدرة

ولو كان لهم استعداد لقبوله لخرجوا عن محبة الدنيا ومتابعة النفس والهوى

الى موافقة الشرع ومتابعة الرسول والهدى ولما بقوا فى ظلمة الشهوات

الحيوانية والاخلاق البهيمية والسبعية (قال الحافظ)

عاشق كه شدكه يار بحالش نظر نكرد ... اى خواجه دردنيست

وكرنه طبيب هست

ومنه يعلم ان الجذبة من جانب المرشد وان كان لها تأثير عظيم

لكن اذا كان جانب المريد خاليا عن الارادة لم ينفعه ذلك ألا ترى ان

استغفار النبى عليه السلامليس فوقه شيء مع انه لم يؤثر فى الهداية واصل

هذا عدم اصابة رشاش النور فى عالم الارواح ومن لم يجعل الله نورا فما له

من نور (حكى) ان شيخا مر مع مريد له خدمه عشرين سنة على قرية

فيها شيخ فان يضرب الطبل فأشار اليه الشيخ فطرح الطبل وتبعه حتى اذا كانوا على ساحل البحر ألقى الشيخ سجادته على البحر وقعد عليها مع الطبال وبقى المريد العتيق فى الساحل يصيح كيف ذلك فقال الشيخ هكذا قضاء الله تعالى

٧

{ هم الذين يقولون } اى للانصار وهو استئناف جار مجرى التعليل لفسقهم او لعدم مغفرته تعالى لهم وهو حكاية نص كلامهم

{ لاتنفقوا } لاتعطوا النفقة التى يتعيش لها

{ على من عند رسول الله } يعنون فقرآء المهاجرين وقولهم رسو الله اما للهزء والتهكم او لكونه كالقلب له عليه السلام واشتهاره به فلو كانوا مقرين برسالته لما صدر عنهم ما صدر ويجوز أن ينطقوا بغيره لكن الله تعالى عبر به اكراما له واجلالا

{ حتى ينفضوا } اى يتفرقوا عنه ويرجعوا الى قبائلهم وعشائرهم (وقال الكاشفى) تا متفرق كردند غلامان بزد خواجكان روند وبسران بدران بيوندند ، والانفضاض شكسته شدن وبراكنده شدن ، وانما قالوه لاحتجابهم بأفعالهم عن رؤية فعل الله وبما فى ايديهم عما فى خزآئن الله فيتوهمون الانفاق منهم لجهلهم

{ ولله خزآئن السموات والارض } رد وابطال لما زعموا من ان عدم انفاقهم يؤدى الى انفضاض الفقرآء من حوله عليه السلام ببيان ان خزآئن الارزاق بيد الله خاصة يعطى من يشاء يمنع من يشاء ومت تلك الخزآئن المطر والنبات قال الراغب قوله تعالى

{ ولله خزآئن السموات والارض } اشارة منه الى قدرته تعالى على مايريد ايجاده او الى الحالة التى اشير اليها بقوله عليه السلام (فرغ ربكم من الخلق والاجل والرزق) والمراد من الفراغ اتمام القضاء فهو مذكور بطريق التمثيل بنى اتم قضاء هذه الكليات فعلمه السابق وتخفظ وكذا المخزن بالفتح وقد سبق فى قوله تعالى

{ وان من شيء الا عندنا خزآئنه } { ولكن المنافقين لايفقهونه

} ذلك لجهلهم بالله وبشؤونه ولذلك يقولون من مقالات الكفر مايقولون

خواجه بنداركه روزى اودهد ... لاجرم براين وآن منت نهد

زان سببها او يكى شد بس اكر ... كم شود هستند اسباب دكر

حكم روزى بر سببها مى نهد ... بى سببها نيز روزى ميد هد

قال رجل لحاتم الاصم رحمه الله من اين تأكل قال من خزانة ربى

فقال الرجل أيلقى عليك الخبز من السماء فقال لو لم تكن الارض له فيها

خزآئن لكان يلقى على الخبز من السماء خلق الله فى الارض الاسباب

ومنها فتح الابواب قال بعض الكبار مراعاة حق ام الولد من الرضاع اولى

من مراعاة ام الولادة لان ام الولادة حملته على جهة الامانة فكون فيها

وتغذى بدم طمثها من غير ارادة لها فى ذلك فما تغذى الا بما لو لم يخرج

منها لأهلكها وامرضها فللجنين المنة على امه فى ذلك

واما المرضعة فاتما قصدت برضاعه حياته وابقاءه ولهذا المعنى الذى

اشرنا اليه جعل الله المرضعة لموسى ام ولادته حتى لايكون لامرأة عليه

فضل غير امه فلما كبر وبلغ اقامة الحجة عليه جعله الله كلا على بنى

اسرآئيل امتحانا له فقلق من تغير الحال عليه وقال يارب اغننى عن بنى

اسرآئيل فأوحى الله اليه أما ترضى ياموسى أن افرغك لعبادتى واجعل

مؤونتك على غيرك فسكت ثم سئأل ثانيا فأوحى الله اليه لايليق بنبى أن

يرى فى الوجود شيأ لغير سيده فكل من رزق ربك ولا منة لاحد عليك

فسكت ثم سأل ثالثا فأوحى الله اليه ياموسى اذا كانت هذه شكاسة

خلقك على بنى اسرآئيل وأنت محتاج اليهم فكيف لو أغنيتك عنهم فما

سأل بعد ذلك شيأ فالله تعالى يوصل الرزق على بعده بيد من يشاء من

عباده مؤمنا او كافرا وكل ذلك من الحلال الطيب اذا لم يسبق اليه

خاطرة او تعرض ما ولا منة لاحد عليه وانما يمن الجاهل وابتلاؤه تعالى

لاوليائه بالفقر ليس من عدم قدرته على الاعطاء والاغناء من عدم محبته

لهم وكرامتهم عنده بل هو من انعامه عليهم ليكونوا ازهد الناس فى الدنيا وأفر اجرا فى الآخرة ولذا قال عليه السلام فى حق فقرآء المهاجرين

(يسبقون الاغنياء يوم القيامة بأربعين خريفا) وكان عليه السلام يستفتح بصعاليك المهاجرين اى فقرآئهم لقدرهم وقبولهم وجاههم عند الله تعالى على ان الاغنياء ان خصوا بوجود الارزاق فالفقرآء خصوا بشهود الرزاق وهو خير منه وصاحبه انعم فمن سعد بوجود الرزاق لم يضره مافاته من وجود الارزاق قال الجنيد قدس سره خزآئنه فى السموات الغيوب وخزآئنه فى الارض القلوب فما انفصل من الغيوب وقع الى القلوب وما انفصل من القلوب صار الى الغيوب والعبد مرتهن بشيئين تقصيرا الخدمة وارتكاب الزلة وقال الواسطى قدس سره من طالع الاسباب فى الدنيا ولم يعلم ان ذلك يحجبه عن التوفيق فهو جاهل

وفى التأويلات النجمية ولله خزآئن الارزاق السماوية من العلوم والمعارف والحكم والعوارف المخزونة لخواص العباد يرزقهم حيث يشاء ولله خزآئن الارزاق الارضية من المأكولات والمشروبات والملبوسات والخيول

والبغال المخزونة لعوام العباد ينفق عليهم من حيث لايحتسبون ولكن المنافقين بسبب افساد استعداداتهم وعدم نورانيتهم وغلبة ظلمانيتهم مايفهمون الاسرار الالهية والاشارات الربانية

٨

{ يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل } روى ان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين لقى بنى المصطلق وهم بطن من خزاعة على المريسيع مصغر مرسوع وهو ماء لهم فى ناحية قديد على يوم من فرغ بالضم موضع من اضخم اعراض المدينة وهزمهم وقتل منهم واستاق ألفى بعير وخمسة آلاف شاة وسبى مائتى اهل بيت او اكثر وكانت فى السبى جويرية بن الحارث سيد بن المصطلق أعتقها النبى عليه السلام وتزوجها وهى ابنة عشرين سنة ازدحم على الماء جهجاه بن سعيد الغفاررضى الله عنه وهو أجير لعمر رضى الله عنه يقود فرسه وسنان الجهنى المنافق حليف ابن ابى رئيس المنافقين واقتتلا فصرخ جهجاه بالمهاجرين وسنان بالانصار فاعان جهجاه جعل بالكسر من فقرآء المهاجرين ولطم

سنانا فاشتكى الى ابن أبي فقال لجعال وأنت هناك قال ماصحبنا محمدا

الا لنلطم والله مامثلنا ومثلهم الا كما قيل سمن كلبك يأكلك اما والله لئن

رجعنا من هذا السفر الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عنى بالاعز

نفسه وبالاذل جانب المؤمن فاسناد القول المذكور الى المنافقين لرضاهم به

ثم قال لقوله ماذا فلعم بأنفسكم احللتموهم لابدكم وقاسمتموهم اموالكم

أما والله لو امسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقباكم

ولأوشكوا أن يتحولوا عنكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد

فسمع بذلك زيد بن ارقم وهو حدث فقال أنت والله الذليل القليل المبغض

فى قومك ومحمد مز عز من الرحمن وقوة من المسلمين فقال ابن أبي اسكت

فانما كنت ألعب فأخبر زيد رسول الله بما قال ابن أبي فتغير وجه الرسول

الله فقال عمر رضى الله عنه دعنى يارسول الله أضرب عنق هذا

المنافق فقال (اذا ترغم انوفا كثير بيثرب) يعنى المدينة ولعل تسميته لها

بذلك ان كان بعد النهى لبيان الجواز قال عمر رضى الله عنه فان كرهت

أن يقتله مهاجرى فائمر به انصاريا فقال (اذا تحدث الناس أن محمدا

يقتل اصحابه) وقال عليه السلام لابن أبي (أنت صاحب الكلام الذى بلغنى) قال والله الذى أنزل عليك الكمتاب ماقلت شيأ من ذلك وان زيدا لكاذب فقال الحاضرون شيخنا وكبيرانا لاتصدق عليه كلام غلام وعسى أن يكون قد وهم فروى ان رسول الله قال له (لعلك غضبت عليه) قال لا قال (فلعله اخطأك سمعك) قال لا قال (لعله شبه عليك) قال لا فلما نزلت هذه الآية لحق رسول الله زيدا من خلفه فعرك اذنه وقال (وفت اذنك ياغلام ان الله صدقك وكذب المنافقين)

ورد الله عليم مقالتهم بقوله

{ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين } اى ولله الغلبة والقوة ولمن اعزه من رسوله والمؤمنين لا لغيرهم كما ان المذلة والهوان للشيطان وذويه من المنافقين الكافرين.

وعن بعض الصالحين وكان فى هيئة رثة ألست على الاسلام وهو العز الذى لاذل معه والغنى الذى لافقر معه وعن الحسن بن على رضى

الله عنهما ان رجلا قال له الناس يزعمون ان فيك تيها اى كبرا فقال ليس ذلك بتيه ولكنه عزة وتلا هذه الآية وقال بعض الكبارمن كان فى الدنيا يدعى الملك الشىء ولو من جوارحه نقص من ملكه فى الآخرة بقدر ما ادعاه فى الدنيا فلا اعز فى الآخرة ممن بلغ فى الدنيا غاية الذل فى جناب الحق ولا اذل فى الآخرة ممن بلغ فى الدنيا غاية العزة فى نفسه ولو كان مصفوعا فى الاسواق ولا أريد بعز الدنيا أن يكون من جهة الملوك فيها انما أريد أن يكون صفته فى نفسه العزة وكذا القول فى الذلة وقال الواسطى رحمه الله عزة الله أن لايكون شىء الا بمشيئته وارادته وعزة المرسلين انهم آمنون من زوال الايمان وغزة المؤمنين انهم آمنون من دوام العقوبة وقال عزة الله العظمة والقدرة وعزة الرسول النبوة والشفاعة وعزة المؤمنين التواضع والسخاء والعبودية دل عليه قوله عليه السلام (أنا سيد ولد آدم ولا فخر) اى لا افتخر بالسيادة بل افتخر بالعبودية وفيها عزتى اذ لاعزة الا فى طاعة الله ولا ذل الا فى معصية الله وقال بعضهم عزة الله قهره من دونه

وعزة رسوله بظهور دينه على سائر الأديان كلها وعز المؤمنين باستذلالهم اليهود والنصارى كما قال

{ وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين } يقول الفقير أشار تعالى بالترتيب الى ان العزة له بالاصالة والدوام وصار الرسول عليه السلام مظهر اله فى تلك الصفة ثم صار المؤمنون مظاهر له عليه السلام فيها فعزة الرسول بواسطة عزة الله وعزة المؤمنين بواسطة عز الرسول سوآء أعاصروه عليه السلام ام أتوا بعده الى ساعة القيام وجميع العزة لله لان عزة الله له تعالى صفة وعزة الرسول وعزة المؤمنين لله فعلا ومنة وفضلا كما قال القشيرى قدس سره العز لاذى للرسول وللمؤمنين هو لله تعالى حلقا وملكا وعزه سبحانه له وصفا فاذا العزة كلها لله وهو الجمع بين قوله تعالى

{ من كان يريد العزة فلله العزة جميعا } وقوله

{ ولله العزة ولرسول وللمؤمنين } ومن أدب من عرف انه تعالى هو العزيز أن لايعتقد لمخلوق اجلالا ولهذا قال عليه السلام (من تواضع

لغنى لاجل غناه ذهب ثلثا دينه) قال أبو على الدقاق رحمه الله انما قال ثلثا دينه لان التواضع يكون بثلاثة اشياء بلسانه وبدنه وقلبه فاذا تواضع له بلسانه وبدنه ولم يعتقد له العظمة بقلبه ذهب ثلثا دينه فان اعتقدها بقلبه ايضا ذهب كل دينه ولهذا قيل اذا عظم الرب فى القلب صغر الخلق فى العين ومتى عرفت انه معز لم تطلب العز الا منه ولايكون العز الا فى طاعته قال ذو النون قدس سره لو أراد الخلق أن يثبتوا لأحد عزا فوق مايثبته يسير طاعته لم يقدروا ولو ارادوا أن يثبتوا لاحد ذلة اكثر مما يثبته اليسير من ذلته ومخالفته لم يقدروا (حكى) عن بعضهم انه قال رأيت رجلا فى الطواف وبين يديه خدم يطردون الناس ثم رأيته بعد ذلك على جسر بغداد يتكفف ويسأل فحدقت النظر اليه لأتعرفه هل هو ذلك الرجل اولا فقال لى مالك تطيل النظر الى فقلت انى اشبهك برجل رأيته فى الطواف من شأنه كذا وكذا فقال انا ذاك انى تكبرت فى موضع يتواضع فيه الناس فوضعنى فى موضع يترفع فيه الناس

{ ولكن المنافقين لايعلمون } من فرط جلهلهم وغرورهم فيهذون مايهذون ولعل ختم الآية الاولى بلا يفقهون والثانية بلا يعلمون للتفنن المعتبر فى البلاغة مع ان فالاول بيان عدم كياستهم وفهمهم وفى الثانى بيان حماقتهم وجهلهم وفى برهان القرءآن الاول متصل بقوله

{ ولله خزآئن السموات والارض } وفيه غموض يحتاج الى فطنة والمنافق لا فطنة له والثانى متصل بقوله

{ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون } ان الله معز أوليائه ومذل اعدآئه (روى) ان عبد الله ابن أبي لما أراد أن يدخل المدينة اعترضه ابنه عبدالله بن عبدالله بن ابى وكان مخلصا وسل سيفه ومنع أباه من الدخول وقال لئن لم تقر لله ولرسوله بالعز لأضربن عنقك فقال ويحك افاعل أنت قال نعم فلما رأى منه الجد قال أشهد ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال عليه السلام لابنه (جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا) ولما كان عليه السلام بقرب المدينة هاجت ريح شديدة كادت تدفن الراكب فقال عليه السلام (مات اليوم منافق عظيم النفاق

بالمدينة) اى لاجل ذلك عصفت الريح فكان كما قال مات فى ذلك اليوم زيد بن رفاعة وكان كهفا للمنافقين وكان من عظماء بنى قينقاع وكان ممن اسلم ظاهرا والى ذلك أشار الامام السيكى فى تائيته بقوله

وقد عصفت ريح فأخبر انها ... لموت عظيم فى اليهود بطيبة

ولما دخلها ابن ابى لم يلبث الا اياما قلائل حتى اشتكى ومات

واستغفر له رسول الله وألبسه قميصه فنزل لن يغفر الله له وروى انه مات بعد القفول من غزوة تبولك قال بعض الكبار ما أمر الله عباده بالرفق بالخلق والشفقة الا تأسيا به تعالى فيكونون مع الخلق كما كان الحق معهم فينصحونهم ويدلونهم على كل مايؤدى الى سعادتهم وليس بيد العبد الا التبليغ قال تعالى

{ ماعلى الرسول الا البلاغ } فعلى العارف ايضاح هذا الطريق الموصل الى هذا المقام والافصاح عن دسائسه وليس بيده اعطاء هذا المقام فان ذلك خاص بالله تعالى قال تعالى

{ انك لاتهدى من احببت } فوظيفة الرسل والورثة من العلماء

انما هو التبليغ بالبيان والافصاح لاغير ذلك وجزاؤهم جزاء من أعطى

ووهب والدال على الخير كفاعل الخير

وفى التأويلات النجمية ولله العزة اى القوة لله الاسم الاعظم

ولرسول القلب المظهر الاتم الاعم ولمؤمنى القوى الروحانية ولكن منافقى

النفس والهوى وصفاتهما الظلمانية الكدرة لايعلمون لاستهلاكهم فى

الظلمة وانغماسهم فى الغفلة

٩

{ يأيها الذين آمنوا } ايمانا صادقا

{ لاتهلكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله } فى الصحاح لهيت

عن الشيء بالكسر ألهى لهيا ولهيانا اذا سلوت وتركت ذكره واضربت عنه

وفى القاموس لها كدعا سلا وغفل وترك ذكره كتلهى وألهاء اى شغله

ولهوت بالشيء بالفتح ألهو لهوا اذا لبعت به والمعنى لاشغلنكم الاهتمام

بتدبير امورها والاعتناء بمصالحها والتمتع بها عن الاشتغال بذكره تعالى من الصلاة وسائر العبادات المذكرة للمعبود ففى ذكر الله مجاز اطلق المسبب وأريد السبب

قال بعضهم الذكر بالقلب خوف الله وباللسان قرآءة القرءآن والتسبيح والتهليل والتمجيد والتكبير وتعلم علم الدين وتعليمه وغيرها وبالابدان الصلاة وسائر الطاعات والمراد نهيهم عن التلهى بها اى عن ترك ذكر الله بسبب الاشتغال بها وتوجيه النهى اليها للمبالغة بالتجوز بالسبب عن المسبب كقوله تعالى

{ فلا يكن فى صدرك حرج } وقد ثبت ان المجاز ابلغ وقال بعضهم هو كناية لان الانتقال من لاتلهكم الى معنى قولنا لاتلهوا انتقال من اللازم الى الملزوم وقد كان المنافقون بخلاء باموالهم ولذا قالوا لاتنفقوا على من عند رسول الله ومتعززين بأولادهم وعشائرهم مشغولين بهم وباموالهم عن الله وطاعته وتعاون رسوله فنهى المؤمنون أن يكونوا مثلهم فى ذلك

{ ومن يفعل ذلك } اى التلهى بالدنيا والاشتغال بما سواه عنه ولو فى اقل حين

{ فاولئك هم الخاسرون } اى الكاملون فى الخسران حيث باعوا العظيم الباقى بالحقير الفانى (قال الكاشفى) مقتضاى ايمان آنست كه دوستى خداى تعالى غالب بود بردوستى همه اشيا تاحدى كه اكر تمام نوال دنيا ومجمع نعم آخرت بروى عرض كنند بنظر در هيج كدام ننكرد

جشم دل ازنعيم دو عالم به بسته ايم ... مقصود ماز دني وعقبي تويي وبس

وفى الحديث (ماطعلت الشمس الا بجنبيها ملكان يناديان ويسمعان الخلائق غير الثقلين يايها الناس هلموا الى ربكم ماقل وكفى خير مما كثر والهى) وفى الآيةاشارة الى كمل ارباب الايمان الحقيقى الشهودى يقول الله لهم لاتشغلكم رؤية أموال اعمالكم الصالحة من الصلاة والزكاة والحج والصوم ولا اولاد الاحوال التى هى نتيجة الاعمال من المشاهدات

والمكاشفات والمواهب الروحانية والعطايا الربانية عن ذكر ذاته وصفاته واسمائه وظهروه فى صورة الاعمال والاحوال ومن يفعل ذلك فانما يشغل بالخلق ويحتجب بالنعمة عن المنعم فاولئك هم الخاسرون وخسروا رأس مال التجارة ما ربحوا الا الخسران وهو حجاب عن المشهود الحقيقى

قال بعضهم فى الآية بيان ان من لم يبلغ درجة التمكين فى المعرفة لايجوز له الدخول فى الدنيا من الاهل والمال الولد فانها شواغل قلوب الذاكرين عن ذكر الله ومن كان مستقيما فى المعرفة وقرب المذكور فذكره قائم بذكر الله اياه فيكون محفوظا من الخطرات المذمومة والشاغلات الحاجبة

واما الضعفاء فلا يخرجون من بحر هموم الدينا فاذا باشرت قلوبهم الحظوظ والشهوات لايكون ذكرهم صافيا عن كدورات الخطرات وقال سهل قدس سره لايشغلكم اموالكم ولا اولادكم عن ادآء الفرآئض فى اول مواقيتها فان من شغله عن ذكر الله وخدمته عرض من عروض الدنيا فهو من الخاسرين

{ وأنفقوا ممارزقناكم } اى بعض ما أعطيناكم تفضلا من غير أن يكون حصوله من جهتكم ادخال للآخرة يعنى حقوق واجب را اخراج نماييد ، فالمراد هو الانفاق الواجب نظرا الى ظاهر الامر كما فى الكشاف ولعل التعميم اولى وانسب بالمقام

{ من قبل أن يأتى احدكم الموت } بأن يشاهد دلائله ويعاين اماراته ومخايله وتقديم المفعول على الفاعل للاهتمام بما تقدم والتشويق الى ما تاخر ولم يقل من قبل ان يأتيكم الموت فتقولوا اشارة الى ان الموت يأتيهم واحدا بعد واحد حتى يحيط بالكل

{ فيقول } عند تيقنه بحلوله

{ رب } اى آفريد كار من

{ لولا اخرتنى } هلا امهلتنى فلولا للتحضيض

وقيل لا زآئدة للتأكيد ولو للتمنى بمعنى لو أخرتنى

{ الى اجل قريب } اى امد قصير وساعة اخرى قليلة وقال ابو الليث ياسيدى ردنى الى الدنيا وابقنى زمانا غير طويل وفى عين المعانى مثل ما اجلت لى فى الدنيا

{ فأصدق } تاتصدق كنم وزكاة ادا نمايم ، وهو بقطع الهمزة لانها للتكلم وهمزته مقطوعة وبتشديد الصاد لان اصله أتصدق من التصدق فأدغمت التاء فى الصاد وبالنصب لانه مضارع منصوب بأن مضمرة بعد الفاء فى جواب التمنى فى قوله

{ لولا اخرتنى } { واكن من الصالحين } بالجزم عطفا على محل فأصدق كأنه قيل ان أخرتنى اصدق واكن وفيه اشارة ا لى ان التصدق من اسباب الصلاح والطاعة كما ان تركه من اسباب الفساد والفسق والفرق بين التصدق والهداية ان التصدق للمحتاج بطريق الترحم والهداية للحبيب لاجل المودة ولذا كان عليه السلام يقبل الهدية لا الصدقة فرضا كنت او نفلا وعن ابن عباس رضى الله عنهما من كان له مال يجب فيه الزكاة فلم يزكه او مال يبلغه الى بيت الله فلم يحج يسأل عند الموت الرجعة

فقال رجل اتق الله يابن عباس انما سألت الكفار الرجعة قال ابن عباس رضى الله عنما انى اقرأ عليك هذا القرءآن فقال

{ يأأيها الذين آمنوا } الى قوله

{ فأصدق واكن من الصالحين } فقال الرجل يابن عباس وما يوجب الزكاة قال مائتا درهم فصاعدا قال فما يوجب الحج قال الزاد والراحلة فالآية فى المؤمنين واهل القبلة لكن لاتخلو عن تعريض بالكفار وان تمنى الرجوع الى الدنيا لايختص بالكافر بل كل قاصر مفرط يتمنى ذلك قال بعض العلماء فى الآية دلالة على وجوب تعجيل الزكاة لان اتيان الموت محتمل فى كل ساعة وكذا غيرها من الطاعات اذا جاء وقتها لعل الاولى استحبابه فى اغلب الاوقات ولذا اختار بعض المجتهدين اول الوقت عملابقوله عليه السلام (اول الوقت رضوان الله) اى لان فيه المسارعة الى رضى الله الاهتمام بالعمل اذ لايدرى المرء أن يدرك آخر الوقت

١١

{ ولن يؤخر الله نفسا } اى ولن يمهلها مطيعة وعاصية صغير او كبيرة

{ اذا جاء اجلها } اى آخر عمرها او انتهى ان أريد بالاجل الزمان الممتد من اول العمر الى آخره يعنى جون عمر بآخر رسيد جيزى بران نيفزايند وازان كم نكنند(قال الشيخ سعدى)

كه يك لحظه صورت نه بندد امان ... جو بيمانه برشد بدور زمان

واستنبط بعضهم عمر النبى عليه السلام من هذه الآية فالسورة رأس ثلاث وستين سورة وعقبها بالتغابن ليظهر التغابن فى فقده

قال بعضهم الموت على قسمين اضطرارى وهو المشهور فى العموم والعرف وهو الاجل المسمى الذى قيل فيه اذا جاء اجلهم لايستأخرون

عنه ساعة ولا يستقدمون والموت الآخر موت اختيارى وهو موت فى الحياة الدنيا وهو الاجل المقضى فى قوله

{ ثم قضى اجلا } ولايصح للانسان هذا الموت فحياته الا اذا وحد الل تعالى توحيد الموتى الذين انكشفت لهم الأغطية وان كان ذلك الكشف فى ذلك الوقت لايعطى سعادة الا لمن كان فى العامة علاما بذلك فاذا انكشف الغطاء يرى ما علم عينا فهو سعيد فصاحب هذا التوحيد ميت لاميت كالمقتول فى سبيل الله نقله الله الى البرزخ لاعن موت فالشهيد مقتول لاميت وكذلك هذا المعتنى به لما قتل نفسه فى الجهاد الاكبر الذى هو جهاد النفس رزقه الله تعالى حكم الشهادة فولاه النيابة فى البرزخ فى حياته الدنيا فموته معنوى وقتله مخالفة نفسه

{ والله خبير بما تعملون } فماجازيكم عليه ان خيرا فخير وان شرا فشر فسارعوا فى الخيرات واستعدوا لما هو آت القاشانى قضية الايمان غلبة حب الله على محبة كل شيء فلا تكن محبتهم ومحبة الدنيا من شدة التعلق بهم وبالاموال غالبة فى قلوبكم على محبة الله فتحجبون بهم عنه

فتصيرون الى النار فتخسرون نور الاستعداد الفطرى باضاعته فيما يفنى سريعا وتجردوا عن الاموال بانفاقها وقت الصحة والاحتياج اليها لتكون فضيلة فى نفسكم وهيئة نورية لها فان الانفاق انما ينفع اذا كان عن ملكة السخاء وهيئة التجرد فى النفس فاما عند حضور الموت فالمال للوارث لا له فلا ينفعه انفاقه وليس له الا التحسر والندم وتمنى التأخير فى الأجل بالجهل فانه لو كان صادقا فى دعوى الايمان وموقنا بالآخرة لتيقن ان الموت ضرورى وانه مقدر فى وقت معين قدره الله فيه بحكمته فلا يمكن تأخره ولتدارك امره قبل حلول المنية فانه لايدرى المرء كيف تكن العاقبة ولذا قيل لاتغتر بلباس الناس فان العاقبة مبهمة

مسكين دل من كرجة فراوان داند ... در دانش عاقبت فرومى ماند

وفى الحديث (لأن يتصدق المرء فى حياته بدرهم خير من أن يتصدق بمائة عند موته) وقال عليه السلام

(الذى يتصدق عند موته او يعتق كالذى يهدى اذا شبع) وعن

أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رجل يارسول الله اى الصدقة أعظمك

أجرا قال (ان تتصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى

ولاتهمل حتى اذا بلعت الحلقوم) قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان

لفلان يعنى اهمال نكنى تا آن زمان كه جان بحلقوم رسد كويي فلان را اين

وفلانرا اين باشد وخود از ان فلان شود به مرك تو (روى

) الامام الغزالى رحمه الله عن عبدالله المزنى انه قال جمع رجل من بنى

اسرآئيل مالا كثيرا فلما أشرف على الموت قال لبنيه ائتونى بأصناف أموالى

فأتى بشىء كثير من الخيل والابل والدقيق وغيره فلما نظر اليها بكى عليها

تحسرا فرأه ملك الموت وهو يبكى فقال مايبيك فوالذى خولك ماخولك

ما أنا بخارج من منزلك حتى أفرق بين روحك وبدنك قال فالمهلة حتى

أفرقها قال هيهات انقطع عنك المهلة فهلا كان ذلك قبل حضور أجلك

فقبض روحه قال السلطان ولد قدس سره

بكذار جهان راكه جهان آن تونيست ... وين دم كه همى زنى بفرمان تونيست

كرمال جهان جمع كنى شاد مشو ... ورتيكه بجان كنى جان آن تونيست

وفى الآية اشارة الى انفاق الوجود المجازى الخلقى بالارادة الورحانية لنيل الوجود الحقيقى من غير أن يأتى الموت الطبيعى بلا ارادة فيموت ميتة جاهلية من اغير حياة أبدية لان النفس لم تزل جاهلة غير عارفة بربها ولا شك ان الحياة الطبيعية انما هى فى معرفة الله وهى لاتحصل الا بموت النفس والطبيعة وحياة القلب والروح فمن لمن يكن على فائدة من هذا الموت الارادى بتمنى الرجوع الى الدنيا عند الموت الطبيعى لتصدق الوجود المجازى بالارادة والرغبة ولكون من الصالحين لقبول الوجود الحقيقى وكل من كان مستعدا لبذل الوجود الاضافى لقبول الوجود الاطلاقى وجاء زمانه باستيفائه احكام الشريعة الزهرآء واستقصائه آداب الطريقة البيضاء لايمكن له الوقفة على الحجاب والاحتجاب كما اذا جاء زمان نفخ الروح فى

الجنين باستكمال المدة يشتعل بنور الروح البتة اللهم الا ان تعرض آفة تمنعه عن ذلك والله خبير بما تعملون من بذل الوجود الامكانى ونيل الوجود الواجبى الحقانى كما قال تعالى

{ اذا وقعت الواقعة ، ليس لوقعتها كاذبة } جعلنا الله واياكم من الباذلين وجود والمستفيضين منه تعالى فضله وجوده وأن يختم بالخبر بان يوفقنا للاعراض عن الغير

سُورَةُ التَّغَابُنِ مَدَنِيَّةٌ

وَهِيَ ثَمَانِيَ عَشَرَةَ آيَةً

١

{ يسبح لله ما فى السموات } من الروحانيات

{ وما فى الارض } من الجسمانيات اى ينزهه سبحانه جميع ما فيهما من المخلوقات عما لا يليق بجناب كبريائه تنزيها مستمرا والمراد ان تسبيح الاشارة الذى هو الدلالة فتعم ما كل حى وجماد أو تسبيح العبارة الذى هو أن يقول سبحان الله فتعمهما ايضا عند اهل الله وعن بعضهم سمعت تسبيح الحيتان فى البحر المحيط يقلن سبحان الملك القدوس رب الاقوات والارزاق والحيوانات والنباتات ولولا حياة كل شئ من رطب ويابس ما اخبر عليه السلام انه يشهد للمؤذن وكم بين الله ورسوله مما جميع الملخوقات عليه من العلم بالله والطاعة له والقايم بحقه فآمن بعضهم وصدق

وقيل ما اضافه الله الى نفسه وما أضاف اليه رسول وتوقفت

بعضهم فلم يؤمنوا ولم يسمعوا وتأونوا الامر بخلاف ما هو عليه وقصدهم

بذلك أن يكونوا من المؤمنين وهم فى الحقيقة من المكذبين لترجحيهم

حسهم على الايمان بما عرفه لهم ربهم لما لم يشاهدوا ذلك مشاهدة عين

وعن بعض العارفين فى الاية اى يسبح وجودك بغير اختيارك وأنت غافل

عن تسبيح وجودك له وذلك ان وجودك قائم فى كل لمحة بوجودة يحتاج

الى الكينونة بتكوينه اياه ابن قلبك ولسانك اذا اشتغل بذكر غيرنا وفى

الحقيقة لم يتحرك الوجود الا بأمر ومشيئته وتلك الحركة اجابة داعى القدم

فى جميع مراده وذلك محض التقديس ولكن لا يعرفه الا العارف بالوحدانية

{ له الملك } الدائم الذى لا يزول وهو كمال القدرة ونفاذ

التصر وبالفارسية مروراست بادشاهى كه ارض وسما وما بينهما بيافريد

{ وله الحمد } اى حمد الحامدين وهو الثناء بذكر الاوصاف

الجميلة والافعال الجزيلة وتقديم الجار والمجرور للدلالة على تأكيد

الاختصاص وازاحة الشبهة بالكلية فان اللام مشعر بأصل الاختصاص

قدم او اخرأى له الملك وله الحمد لا لغيره أذ هو المبدئ لكل شئ وهو القائم به والمهيمن عليه المتصرف فيه كيف يشاء وهو المولىلاصول النعم وفروعها ولوا انه انعم بها على بعاده لما قدر أحد على ادنى شئ فالمؤمنون يحمدونه على نعمه وله الحمد فى الاولى والآخرة

واما ملك غيره فاسترعاء من جنابه وتسليط منه وحمد غيره اعتداد بأن نعمة الله جرت على يده فللبشر ملك وحمد من حيث الصورة لا من حيث الحقيقة

باغير او اضافت شاهى بود جنان ... بريك دوجوبباره زشطرنج نام شاه

{ وهو على كل شئ قدير } لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل سوآء فهو القادر على الايجاد والاعدام والاسقام والابرآء والعزاز والذلال والتبييض والتسويد ونحو ذلك من الامور الغير المتناهية

قال بعضهم ثقدرة الله تصلح للخلق وقدرة العبد تصلح للكسب فالعبد لا يوصف بالقدرة على الخلق والحق لا يوصف بالقدرة على الكسب فمن عرف انه تعالى قادر خسى من سطوات عقوبته عند مخالفته وامل لطائف نعمته ورحمته عند سؤال حاجته لا بوسيلة طاعته بل بكرمه ومنته وفى التأويلات النجمية ينزه ذاته المسبحة المقدسة عن الامثال والاضداد والاشكال والانداد ما فى السموات القوى الروحانية وما فى ارض القوى الجسمانية له ملك الوجود المطلق وله الحمد على نعمة ظهوره فى الوجود المقيد وهويته المطلقة قادرة على ظهورها بالاطلاق والتقييد وهى فى عينها منزهة عنهما وهما نسبتان اعتباريتان.

٢

{ وهو الذى خلقكم } خلقا بديعا حاويا لجميع مبادى الكمالات العلمية والعملية ومع ذلك

{ فمنكم كافر } اى فبعضكم او فبعض منكم مختار للكفر كاسب له حسبنا تقتضيه خلقته ويندرج فيه المنافق لانه كافر مضمر وكان الواجب عليكم جميعا ان تكونوا مختارين للايمان شاكرين لنعمة الخلق والايجاد وما يتفرع عليها من سائر النعم فما فعلتم ذلك مع تمام تمكنهم منه بل تشعبتم شعبا وتفرقتم فرقا قال فى فتح الرحمن الكفر فعل الكافر والايمان فعل المؤمن والكفر والايمان اكتساب العبد لقول النبى عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة وقوله فطرة الله التى فطر الناس عليها فلكل واحد من الفريقين كسب واختيار وكسبه واختياره بتقدير الله ومشيئته فالمؤمن بعد خلق الله اياه يختار الايمان لان الله تعالى أراد ذلك منه وقدره عليه وعلمه منه والكافر بعد خلق الله اياه يختار الكفر لان الله تعالى قدر عليه ذلك وعلمه منه وهذا طريق اهل السنة انتهى وفى الآية رد للدهرية والطبيعية فانهم ينكرون خالقية الله تعالى والخالق هو المخترع للاعيان المبدع لها (حكى) ان سنيا ناظر معتزليا فى مسألة القدرة فقطف المعتزلى تفاحة من شجرة وقال للسنى أليس انا الذى قطفت هذه فقال له

السنى ان كنت الذى قطفتها فرجها على ما كانت عليه فأفحم المعتزلى وانقطع وانما ألزمه بذلك لان القدرة التى يحصل بها الايجاد لا بد أن تكون صالحة للضدين فلو كان تفريق الاجزآء بقدرته لكان فى قدرته وصلها ومن أدب من عرف انه سبحانه هو المنفرد بالخلق والايجاد أن لا يجحد كسب العبد ولا يطوى بساط الشرع فى الابتلاء بالامر والنهى ولا يعتقد ان للعبد على الله حجة بسبب ذلك (حكى) ان بعض الاكابر تعجب من تجاسر الملائكة فى قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ثم قال ما عليهم شئ هو أنطفهم فبلغ قولهيحيي بن معاذ الرازى رضى الله عنه فقال صدق هو انطقهم ولكن انظر كيف أفحمهم بين بذلك ان مجرد الخلق من جهة الحق لا يكون عذرا للبعيد فى سقوط اللوم عنهم

{ ومنكم مؤمن } مختار للايمان كاسب له ويندرج فيه مرتكب الكبيرة الغير التائب والمبتدع الذى لا تفضى بدعته الى الكفر وتقديم الكفر عليه لانه الا نسب بمقام التوبيخ والأغلب بما بينهم ولذا يقول الله فى يوم الموقف يا آدم أخرج بعث النار يعنى ميز اهلها المبعوث اليها قال وما بعث

النار اى عدده قال الله من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون وفى التنزيل ولكن اكثر الناي لا يؤمنون وقليل من عبادى الشكور والايمان اعظم شعب الشكر (روى) ان عمر رضى الله عنه سمع رجلا يقول اللهم اجعلنا من القليل فقال له عمر ما هذا الدعاء فقال الرجل انى سمعت الله يقول وقليل من عبادى الشكور فانما ادعو أن يجعلنى من ذلك القليل فقال عمر كل الناس اعلم من عمر.

يقول الفقير هذا القول من عمر من قبيل كسر النفس واستقصار العلم والمعرفة واستقلالهما على ما هو عادة الكمل فلا ينافى كماله فى الدين والمعرفة حتى يكون ذلك سببا لجرحه فى باب الخلافة كما استدل به الطوسى الخبيث على ذلك فى كتاب التجريد له وفى الحديث (الا ان ابن آدم خلقوا على طبقات شتى فمنهم من يولد مؤمنا ويحيي مؤمنا ويموت مؤمنا ومنهم من يولد كافرا ويحيي كافرا ويموت كافرا ومنهم من يولد مؤمنا ويحيي مؤمنا ويموت كافرا ومنهم من يولد كافرا ويحيي كافرا ويموت مؤمنا) ومن هنا

قال بعضهم قوم طلبوه فخذلهم وقوم هربوا منه فأدركهم . ابراهم خواص قدس سره كفت دربادیه وقتی بتجرید می رفتم بیری رادیدم كوشه نشسته وكلاهی برسر نهاده وبزاری وخواری می كریست كفتم یا هذا توكیستی كفت من ابو مره ام كفتم جرامی كریي كفت كیست بكریستن سزا وارتراز من جهل هزار سال یدان دركاه خدمت كرده ام ودرافق اعلی ازمن مقدم تركس نبودا كنون تقدیر الهی وحكم غیبی نكر كه مرابجه روز آورد آنكه كفت ای خواص نكر تابدین جهد وطاعت خویش غره نباشی كه بعنایت واختیار اوسست نه بجهد وطاعت بنده بمن یك فرمان آمدكه آدم راسجده كن نكردم وآدم را فرمان آمدكه ازان درخت مخور خورد ودركار آدم عنایت بود عذرش بنهادند وزلت اودر حساب نیاوردند ودركار من عنایت نیود طاعت دیرینه من زلت شمردند

من لم یكن للوصال اهلا ... فكل احسانه ذنوب

ومن هنا یعرف سر قول الشیخ سعدی

هركه در سايه عنايت اوست ... كنهش طاعتست ودشمن دوست

{ والله بما تعلمون } مطلقا

{ بصير } فيجازيكم بذلك فاختاروا منه ما يجديكم من الايمان والطاعة واياكم وما يرديكم من الكفر والعصيان قال القاسم رحمه الله خاطبهم مخاطبة حال كونهم ذرا فسماهم كافرين ومؤمنين فى ازله واظهرهم حين اظهرهم على ما سماهم وقدر عليهم فأخبر بأنه علم ما يعملونه من خير وشر . واعلم ان الله تعالى يعلم لكنه يحلم ويقدر لكنه يغفر الا ان من أقصته السوابق لم تدنه الوسائل ومن اقعده جده لم ينفعه كده قيل ان بعض الاكابر بلغه أن يهوديا أوصى أن يحمل من بدله اذا مات ودفين فى بيت المقدس فقال ايكابر الازل أما علم انه لو دفن فى فراديس العلى لجاءت جهنم بأنكالها وحملته الى نفسها والناس على اربعة اقسام اصحاب السوابق وهم الذين تكون فكرتهم ابدا فيما سبق لهم م الله لعلمهم ان الحكم الازلى لا يتغير باكتساب العبيد واصحاب العواقب وهم الذين يكفرون ابدا فيما يختم به امرهم فان الامور بخواتمها والعاقبة مستورة

ولهذا قيل لا يغرنكم صفاء الاوقات فان تحتها غوامض الآفات واصحاب الوقت وهم الذين لا يتفكرون فى السوابق ولا فى اللواحق اى العواقب بل يشتغلن بمراعاة الوقت وادآء ما كلفوا من احكام ولهذا قيل الارف ابن وقته

وقيل الصوفى من لا ماضى له ولا مستقبل (وفى المثنوى)

صوفى ابن الوقت باشد اى رفيق ... نيست فردا كفتن از شرط طريق

والقسم الرابع هم الذين غلب عليهم ذكر الحق فهم مشغولون بشهود الوقت عن مراعاة الوقت وفى الآية اشارة الى هويته المطلقة عن النسب والاضافات خلقكم اتجلى لتعيناتكم الجنسة والنوعية والشخصية من غير تقييد وانحصار فمنكم اى فمن بعض هذه التعينات كافر يسر الحق المطلق بالحق المقيد ويقول بالتفرقة دفاعا لطعن الطاعن ومن بعض هذه التعينات مؤمن يؤمن بظهور الحق فى خلل ويستر الخلق بالحق ويقول

بالجميعة تأنيسا للمكاشفين بالحقائق والله بما تعملون بصير من ستر الحق بالخلق دفعا للطاعن ومن ستر الخلق بالحق تأنيسا للطالب الواجد.

٣

{ خلق السموات والارض بالحق } اى بالحكمة البالغة المتضمنة للمصالح الدينية والدنيوية والمراد السموات السبع والارضون السبع كما يدل عليه التصريح فى بعض الماضع قال تعالى خلق سبع سموات طباقا وقال تعالى الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن فان قلت ما وجه عدم ذكر العرش والكرسى فى اثمال هذه المواضع مع عظم خلقهما قلت انهما وان كانا من السماء لان السماء هو الفلك والفلك جسم شفاف محيط بالعلم وهما اوسع الافلاك احاطة الا ان آثارهما غير ظاهرة مكشوفة بخلاف السموات والارض وما بينهما فانها أقرب الى المخاطبين المكلفين ومعلوم حالها عندهم وكشوفة آثارها ومنفعتها ولذها قالوا ان الشمس تنضج الفواكه والقمر يلونها والكواكب تعطيها الطعم الى غير ذلك مما لا يتناهى على ان التغيرات فيها اظهر فهى على عظم القدرة

أدل وقد قال تعالى كل يوم هو فى شأن واكثر هذه الشؤون فى عالم الكوت والفساد الذى هو عبارة عن السموات والارض اذ هما من العنصريات بخلاف العرش والكرسى فانهما من الطبيعات ولهذا لا يفنيان

{ وصوركم فأحسن صوركم } الفاء للتفسير اى صوركم احسن تصوير وخلقه فى أحسن تقويم واودع فيكم من القوى والمشاعر الظاهرة والباطنة ما نيط بها جميع الكمالات البارزة والكامنة وزينكم بصفوة صفات مصنوعات وخصكم بخلاصة خصائص مبدعاته وجعلكم انموذج جميع مخلوقاته فى هذه النشأة فلكم جمال الصورة وأحسن الاشكال ولذا لا يتمنى الانسان أن يكون صورته على خلاف ما هو عليه لكون صورته أحسن من سائر الصور ومن حسن صورته امتداد قامته وانتصاب خلقته واعتدال وجوده ولا يقدح فى حسنه كون بعض الصور قبيحا بالنسبة الى بعض لان الحسن وهو الجمال فى الخلق والخلق على مراتب كما قالت الحكماء شيئان لا غاية لهما الجمال والبيان ولكم ايضا جمال المعنى وكمال الخصال

بدرون تست مصرى كه توبى شكر ستانش ... جه غمست

اكرزبيرون مدد شكر ندارى

شده غلام صورت بمثال بت برساتن ... توجو يوسفى وليكن

سوى خود نظرندارى

بخدا جمال خود راجو در آينه بينى ... بت خويش هم توباشى

بكسى كذرندارى

والمعتدبه هو الحسن المعنوى لان الله خلق آدم على صورته اى على الصورة الالهية التى هى عبارة عن صفاته العليا واسمائه الحسنى والا فالحسن الصورى يوجد فى الكافر أيضا

ره راست بايدنه بالى راست ... كه كافرهم ازروى صورت

جوماست

نعم قد يوجب سيرة حسنة وخلق حميد فى الكافر كعدل انوشروان مثلا لكن المعتد به ما يكون مقارنا بالايمان الذى هو احسن السير قال

بعض الكبار كل من كان فيه صفة العدل فهو ملك وان كان الحق تعالى

ما استخلفه بالخطاب الالهى فان من الخلفاء من أخذ المرتبة بنفسه من

غير عهد الهى اليه بها وقام بالعدل فى الرعايا بالعدل ومعلوم ان كسرى فى

ذلك العدل على غير شرع منزل لكنه نائب للحق من ورآء الحجاب وخرج

بقولنا وقام بالعدل فى الرعايا من لم يقم بالعدل كفرعون وامثاله من المنازعين

لحدود الله والماغالبين لجنابه بمغالبة رسله فان هؤلاء ليسوا بخلفاء الله تعالى

كالرسل ولا نوابا له كالملوك العادلة بل هم اخوان الشياطين قال الحسين

رحمه الله أحسن الصور صورة اعتقت من ذلك كن وتولى الحق تصويرها

بيده ونفخ فيها من روحه وألبسها شواهد النعت وحلاها بالتعليم شفاها

واسجد لها الملائكة المقربين واسكنها فى جواره وزين باطنها بالمعرفة

وظاهرها بفنون الخدمة والجمع فى قوله فاحسن صوركم باعتبار الانواع لان

صورة الرومى ليست كصورة الهندى الى غير ذلك والافراد وهو ظاهر

{ واليه المصير } اى والى الله الرجوع فى النشأة الاخرى لا الى

غيره استقلالا او اشتراكا فأحسنوا سرآئركم باستعمال تلك القوى والمشاعر

فيما خلقن له حتى يجازيكم بالانعام لا بالانتقام فكم من صورة حسناء تكون فى العقبى شوهاء بقبح السريرة والسيرة وكم من صورة قبيحة تكون حسناء بحسنهما

جه غم زمنقصت صورت اهل معنى را ... جوجوان زروم بود كوتن ازحبش مى باش

وقد ثبت ان ضرس الكافر يوم القيامة مثل جبل احد وان غلظ جسده مسافة ثلاثة ايام وانه يسوء خلقه فتغلظ شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخى شفته السلفى حتى تضرب سرته وان اهل الجنة ضوء وجوههم كضوء القمر ليلة البدر او على أحسن كوكب درى فى السماء وهم جرد مرد مكحلون ابناء ثلاثة وثلاثين فطوبى لاهل اللطافة وويل لاهل الكثافة.

اعلم ان الله تعالى خلق سموات الكليات وارض الجزئيات بمظهرية الحق وظهره فيهما بحسب استعداد الكل لا بحسبه وتجلى فى مظاهرب

صور الانسان بحسبه ابجمع الاسماء والصفات ولذا قال تعالى فأحسن

صوركم اى جعل صوركم احدية جمع جميع المظهريات الجامعة لجميع

المظاهر السماوية العلوية والارضية السفلية كما قالعليه السلام ان الله خلق

آدم على صورته يعنى اورد الاسم الجامع فى عنوان الخلق اشارة الى تلك

الجميعة فكان مصير الانسان الى الهوية الجامعة لجميع الهويات لكن حصل

التفاوت بين افراده بحسب التجلى والاستتار والفعل والقوة فليس لاهل

الحجاب أن يدعى كمالات اهل الكشف للتفاوت المذكور فيا عجبا من

انسان خفى عليه ما دفن فى ارض وجوده من كنز الهى غيبى من نال اليه

لم يفتقر ابدا وكيف قنع بقشر مع امكان تحصيل اللب وكيف اقام فى

الحضيض مع سهولة العروج الى الاوج

جه شكرهاست درين شهركه قانع شده اند ... شاهبازان طريقت

بمقا مكسم

٤

{ يعلم ما فى السموات والارض } من الامور الكلية والجزئية والاحوال الجلية والخفية

{ ويعلم ما تسرون وما تعلنون } اى ما تسرونه فيما بينكم وما تظهرونه من الامور والتصريح به مع اندراجه فيما قبله لانه الذى يدور عليه الجزآء ففيه تأكيد للوعد الوعيد وتشديد به مع اندراجه فيما قبله لانه الذى يدور عليه الجزآء ففيه تأكيد للوعد والوعيد وتشديد لهما قال فى برهان القرآن انما كرر ما فى اول السورة لاختلاف تسبيح اهل الارض واهل السماء فى الكثرة والقلة والبعد والقرب من المعصية والطاعة وكذلك اختلاف ما تسرون وما تعلنون فانما ضدان ولم يكرر ما فى السموات والارض لان الكل بالاضافة الى علم الله جنس واحد لا يخفى عليه شئ

{ والله عليم بذات الصدور } اى هو محيط بجميع المضمرات المستكنة فى صدور الناس بحيث لا تفارقها اصلا فكيف يخفى عليه ما يسرونه وما يعلنونه وبالفارسيةوخداى تعالى داناست بآنجه درسينهاست ازخواطر وافكار . وانما قيل لها ذات الصدور وصاحبتها لملابستها لها

وكونها مخزونة فيها ففى الآية ترقٍ من الاظهر الى الاخفى لانه عالم بما فى السموات وما فى الارض وبما يصدر من بنى آدم سرا وعلنا وبما لم يصدر بعد بل هو مكنون فى الصدور واظهار الجلال للاشعار بعلية الحكم و تأكيد استقلال الجملة قبل وتقديم القدرة على العلم لان دلالة المخلوقات على قدرته بالذات وعلى علمه بما فيها من الاتفاق والاختصاص ببعض الجهات الظاهرة مثل كون السماء فى العلو والارض فى السفل او الباطنة مثل أن يكون السماء متحركة والارض ساكنة ال غير ذلك فان للمتكلمين مسلكين فى اثبات العلم الولى ان فعله تعالى متقناى محكم خال عن وجوه الخلل ومشتمل على حكم ومصالح متكثرة وكل من فعله متقن فهو عالم والثانى انه فاعل بالقصد والاختيار لتخصيص بعض الممكنات ببعض الانحاء ولا يتصور ذلك الا مع العلم وفى قوله وما تسرون اشارة الى علماء الظاهر من الحكماء والمتكلمين والى علومهم الفكرية النظرية وما يسرون فيها من عقائدهم الفاسدة ومقاصدهم الكاسدة وفى قوله وما تعلنون اشارة الى علماء الباطن من المشايخ والصوفية والى معارفهم ومواجيدهم الذوقية

الكشفية وما يظهرون منها من الكرامات وخوارق العادات والله عليم بصدور عمل كل واحد من صدور قلوبهم بحسب الرياء الاخلاص والحق والباطل.

ه

{ ألم يأتكم } أيها الكفرة والالف للاستفهام ولم للجحد ومعناه التحقيق

{ نبأ الذين كفروا } اى خبر قوم نوح ومن بعدهم من الامم المصرة على الكفر

{ من قبل } اى قبلكم فيكون متعلقا بكفروا او قبل هذا الوقت او هذا العصيان والمعاداة فيكون ظرفا لألم يأتكم

{ فذاقوا وبال امرهم } عطف على كفروا والذوق وان كان فى التعارف للقليل لكنه مستصلح للكثير والوبال الثقل والشدة المترتبة على امر من الامور والوبل المطر الثقيل القطار مقابل الطل وهو المطر الخفيف

وامرهم كفرهم فهو واحد الامور عبر عنه بذلك للايذان بأنه امر هائل

وجناية عظيمة والمعنى فذاقوا فى الدنيا من غير مهلة ما يستتبعه كفرهم من

الضرر والعقوبة واحسوه احساس الذآئق المعطوم يعنى بس جشيدن كران

بارئ خود ودشوارئ سر انجام خويش وضرر كفر وعقوبت اودردنيا بغرق

وريح صرصر وعذاب يوم الظلة وامثال آن . وفى ايراد الذوق رمز الى ان

ذلك المذوق العاجل شئ حقير بالنسبة الى ما سيرون من العذاب الآجل

ولذلك قال تعالى

{ ولهم } فى الآخرة

{ عذاب أليم } اى مؤلم لا يقادر قدره وفيه اخبار بأن ما أصابهم

فى الدنيا لم يكن كفارة لذنوبهم والا لم يعذبوا فى الآخرة بخلاف المؤمنين

فان ما أصابهم فى الدنيا من الآلم والاوجاع والمصائب كفارة لذنوبهم على

ما ورد فى الاخبار.

٦

{ ذلك } اى ما ذكر من العذاب الذى ذاقوه فى الدنيا وما سيذوقونه فى الآخرة

{ بأنه } اى بسبب ان الشان

{ كانت تأتيهم رسلهم بالبينات } اى بالمعجزات الظاهرة والباء اما للملابسة او للتعدية

{ فقالوا } عطف على كانت

{ ابشر } آيا آدميان مثل ما

{ يهدوننا } راه نمايند مارا . اى قال كل قوم من المذكورين فى حق رسولهم الذى اتاهم بالمعجزات منكرين لكون الرسول من جنس البشر متعجبين من ذلك ابشر وآدمى مثلنا يهدينا ويرشدنا الى الدين او الى الله والتقرب منه كما قالت ثمود ابشرا منا واحد نتبعه انكروا أن يكون الرسول بشرا ولم ينكروا أن يكون المعبود حجرا وقد أجمل فى الحكاية فأسند القول الى جميع الاقوام وأريد بالبشر الجنس فوصف بالجمع كما أجمل الخطاب

والامر في قوله تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وارتفاع بشر على انه فاعل فعل مضمر يفسره مان بعده فيكون من باب الاشتغال وهو اولى من جعله مبتدأ وما بعده خبرا لان اداة الاستفهام تطلب الفعل ظاهرا او مضمرا قال القاشانى لما حجبوا بصفات نفوسهم عن النور الذى هو به يفضل عليهم بما لا يقاس ولم يجدوا منه الا البشرية انكروا هدايته فان كان كل عارف لا يعرف معروفه الا بالمعنى الذى فيه فلا يوجد النور الكمالى الا بالنور الفطرة ولا يعرف الكمال الا الكامل ولهذا قيل لا يعرف الله غير الله وكل طالب وجد مطلوبه بوجه ما والا لما امكنه التوجه نحوه وكذا كل مصدق بشئ فانه واحد للمعنى المصدق به فما بى نفسه من ذلك المعنى فلما لم يكن فيهم شئ من النور الفطرة اصلا لم يعرفوا منه الكمال فأنكروه ولم يعرفوا من الحق شيأ ولم يحدث فيهم طلب حتى يحتاجوا الى الهداية فأنكروا الهداية وقال بعضهم العارفين معرفة مقام الاولياء أصعب من الممكن من معرفة الله تعالى لان الله تعالى معروفة بكماله وجماله وجلاله وقهره بخلاف الولى الكامل فانه ملآن من شهود الضعف يأكل ويشرب

ويبول مثل غيره من الخلق ولا كرامة له تظهر الا بأن يناجى ربه وانى للخلق معرفة مقامه و والله لو كشف للخلق عن حقيقة الولى لعبد كما عبد عيسى عليه السلام ولو كشف لهم عن مشرقات نوره لانطوى نور الشمس والقمر من مشرقات نور قلبه ولكن فى ستر الحق تعالى المقام الولى حكم واسرار وأدنى ما فى الستر أن لا يتعرض احد لمحاربة الله تعالى اذا آذاهم بعد أن عرفهم انهم اولياء الله فكان ستر مقامهم عن اخلق رحمة بالخلق وفتحا لباب اعتذار من آذاهم من غالب الخلق فان الاذى لم يزل من الخلق لهم فى كل عصر لجهلهم بمقامهم

{ فكفروا } ابى بالرسل بسبب هذا القول لانهم قالوه استصغارا لهم ولم يعلموا الحكمة فى اختيار كون الرسل بشرا

{ وتولوا } عن التدبير فيما اتوا به من البينات وعن الايمان بهم

{ واستغنى الله } اى اظهر استغناءه عن ايمانهم وطاعتهم حيث اهلكهم وقطع دابرهم ولولا غناه تعالى عنهما لما فعل ذلك وقال سعدى

والمفتى هو حال بتقدير قد وهو بمعنى غنى الثلاثى والمراد كمال الغنى اذا لطلب يلزمه الكمال

{ والله غنى } عن العالمين فضلا عن ايمانهم وطاعتهم

{ حميد } يحمده كل مخلوق بلسان الحال ويدل على اتصافه بالصفات الكمالية او يحمده اولياؤه وان امتنع اعداؤه والحمد هو ذكر اوصاف الكمال من حيث هو كمال ومن عرف انه الحميد فى ذاته وصفاته وافعاله شغله ذكره والثناء عليه فان العبد وان كثرت محامده من عقائد واخلاقه وافعاله واقواله فلا يخلو عن مذمة ونقص الا النبى عليه السلام فانه محمد واحمد ومحمود من كل وجه وله المحمدة والكمال وفى الاربعين الادريسية يا حميد الفعال ذا المن على جميع خلقه بلطفه قال السهروردى رحمه الله من داومه يحصل له من الاموال مالا يمكن ضبطه.

٧

{ زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا } الزعم ادعاء العلم فمعنى أزعم زيدا قائما أقول انه كذا ففى تصدير الجملة بقوله ازعم اشعار بأنه لا سند للحكم سوى ادعائه اياه وقوله به ويتعدى الى مفعولين تعدى العلم وقد قام مقامهما ان المخففة مع ما فى حيزها فأن مخففة لانصابة لئلا يدخل ناصب على مثله والمراد بالموصول كفار مكة ازعموا وادعوا ان الشان لن يبعثوا بعد موتهم ابدا ولن يقاموا ويخرجوا من قبورهم وعن شريح رضى الله عنه لكل شئ كنية وكنية الكذب زعموا قال بعض المخضرمين لابنه هب لى من كلامك كلمتين زعم وسوف انتهى ويكره للرجل ان يكثر لفظ الزعم وامثاله فانه تحديث بكل ما سمع وكفى بذلك كذبا واذا أراد أن يتكلم تكلم بما هو محقق لا بما هو مشتبه بذلك يتخلص من أن يحدث بكل ما سمع فيكون معصوما من الكذب كذا فى المقاصد الحسنة

{ قل } ردا لهم وابطالا لزعمهم باثبات ما نفوه

{ بلى } اى تبعثون فان لا يجاب النفى الذى قبله وقوله

{ وربى لتبعثن ثم لتنبئون بما عملتم } اى لتحاسبن وتجزون بأعمالكم جملة مستقلة داخلة تحت الامر واردة لتأكيد ما أفاده كلمة بلى من اثبات البعث وبيان تحقق امر آخر متفرع عليه منوط به ففيه تأكيد لتحقق البعث بوجهين فقوله وربى قسم لعل اختياره ههنا لما ان فى البعث اظهار كمال الربوبية المفيدة لتمام المعرفة وايثار دوام التربية بالنعم الجسمانية الظاهرة والنعم الروحانية الباطنة وقوله لتبعثن اصله لتبعثون حذفت واوه لاجتماع الساكنين بمجيئ نون التأكيد وان كان على حده طلبا للخفة واكتفاء بالضمة وهو جواب قسم قبله مؤكد باللام المؤكدة للقيم وثم لتراخى المدة لطوب يوم القيامة او لتراخى الرتبة وظاهر كلام اللباب أن يكون وربى قسما متعلقا بما قبله قد تم الكلام عنده وحسن الوقف عليه ويجعل تبعثن بما عطف عليه جواب قسم آخر مقدر مستانف لتأكيد الاول لعل فائدة الاخبار بالقسم مع ان المشركين ينكرون الرسالة كما ينكرون البعث ابطال لزعمهم بالتشديد والتأكيد ليتأثر من قدر الله له الانصاف وتتأكد الحجة على من لم يقدر له وكان محروما بالكلية

{ وذلك } اى ما ذكر من البعث والجزآء

{ على الله يسير } اى سهل على الله لتحقق القدرة التامة وقبول المادة واذا كان الامر كذلك.

٨

{ فآمنوا } بصرف ارادتكم الجزئية الى اسباب حصول الايمان

{ بالله } الباعث من القبور المجازى على كل عمل ظاهر أو مستور

{ ورسوله } محمد صلّى الله عليه وسلّم الذى اخبر عن شؤون الله تعالى وصفاته

{ والنور الى انزلنا } اى انزلناه على رسولنا وهو القرءآن فانه بأعجازه بين بنفسه . انه حق نازل من عند الله مبين لغيره ومظهر للحلال و الحرام كما ان النور كذلك والالتفات الى نون العظمة لابراز كمال العناية

{ والله بما تعملون } من الامتثال بالامر وعدمه

{ خبير } فمجمازيكم عليه.

٩

{ يوم يجمعكم } ظرف لتنبئون وما بينهما اعتراض او معقول الذكر الظاهر ان الخطاب لمن خوطب اولا بقوله ألم يأتكم

{ ليوم الجمع } ليوم يجمع فيه الاولون والآخرة من الجن والانس واهل السماء والارض اى لاجل ما فيه من الحساب والجزآء وهو يوم القيامة فللام للعهد اى جمع هذا اليوم عن النبى عليه السلام اذا جمع الله الاولين والآخرين جاء مناد ينادى بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجسم اليوم من اولى بالكرم ثم يرجع فينادى ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادى ليقم الذين كانوا يحمدون الله فى البأساء والضرآء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس

وقيل المراد مع الله بين العبد وعمله

وقيل بين الظالم والمظلوم او بين كل شئ وامته

{ ذلك } اليوم

{ يوم التغابن } تفاعل من الغبن وهو أن تخسر صاحبك فى معاملة بينك وبينه بضر من الاخفاء والتغابن أن يغبن بعضهم بعضا ويوم القيامة غبن بعض الناس بعضا بنزول السعدآء منازل الاشقيا لو كانوا شعدآء وبالعكس وفيه تهكم لان نزولهم ليس بغبن ان كون نزول الاشقياء منازل السعدآء من النار لو كانوا اشقياء باعتبار الاستعارة التهكمية والا فهم بنزولهم فى النار لم يغبنوا اهل الجنة وفى الحديث ما من عبد يدخل الجنة الا أرى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار الا أرى مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حسرة وتخصيص التغابن بذلك اليوم للايذان بأن التغابن فى الحقيقة هو الذى يقع فيه مالا يقع فى امور الدنيا فاللام للعهد الذى يشار به عند عدم المعهود الخارجى الى الفرد الكامل اى التغابن الكامل العظيم الذى لا تغابن فوقه قال القاشانى ليس التغابن فى الامور الدنيوية فانها امور فانية سريعة الزوال ضرورية الفناء لا

يبقى شئ منها لاحد فان فات شئ من ذلك أو أفاته احد ولو كان حياته

فانما فات او افيت ما لزم فواته ضرورة فلا غبن ولا حيف حقيقة وانما الغبن

والتغابن فى افاته شئ لو لم يفته لبقى دآئما وانتقع به صاحب سرمدا وهو

النور الكمالى والاستعدادى فتظهر الحسرة والتغابن هناك فى اضاعة الربح

ورأس المال فى تجارة الفوز والتجارة كام قال فما ربحت تجارتهم وما كانوا

مهتدين فمن اضاع استعداده او اكتسب منه شيأ ولم يبلغ غايته كان مغبونا

بالنسبة الى الكمال التام وكأنما ظفر ذلك الكامل بمقامه ومرامه وبقى هذا

متحسرا فى نقصانه انتهى وقال الراغب يوم التغبن يوم القيامة لظهور الغبن

فى المبايعة المشار اليها بقوله ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله

وبقوله ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة وقوله الذين

يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا فلعلهم غبنوا فيما تركوا من المبايعة وفيما

تعاطوا من ذلك جميعا وسئل بعضهم عن يوم التغابن فقالوا تبدوا الاشياء

بخلاف مقاديرها فى الدنيا وقال بعضهم يظهر يومئذ غبن الكافر بترك

الايمان وغبن المؤمن بتقصيره فى الاحسان واذا دخل العارف الجنة ورآه

صاحب الحال فانه يراه كما يرى الكوكب الدرى فى السماء فيتمنى أن يكون له مثل مرتبة العارف فلا يقدر عليها فيتحسر على تفويته اسباب ذلك فى الدنيا وقد ورد لا يتحسر اهل الجنة فى الجنة الا ساعة مرت بهم لم يذكرو الله فيها قيل اشد الناس غبنا يوم القيامة ثلاثة نفر عالم علم الناس فعملوا بعلمه وخالف هو علمه فدخل غيره الجنة بعلمه ودخل هو النار بعمله وعبد أطاع الله بقوة مال سيده وعسى الله سيده فدخل العبد الجنة بقوه مال مالكه ودخل مالكه النار بمعصية الله وولد ورث مالا من ابيه وأبوه شح به وعصى الله فيه فدخل أبوه ببخله النار ودخل هو بانفاقه الخير الجنة

بخور اى نيك سيرت وسره مرد ... كان نكون بخت كرد كرد ونخورد

وفى الحديث لا يلقى الله احد الا نادما ان كان مسيئا ان لم يحسن وان كان محسنا ان لم يزدد وقال بعض العافرين لا يجوز الترقى فى الآخرة

الا فى مقام حصله المكلف فى هذه الدار فمن عرف شيأ وتعلقت همته بطلبه كان له اما عاجلا

واما آجلا فان ظفر به فى حياته كان ذلك اختصاصا واعتناء وان لم يظفر به فى حياته معجلا كان مدخرا له بعد المفارقة يناله ثم ضرورة لازمة ومن لم يتحقق بمقام فى هذا الموطن لم يظفر به ثم ولذلك سمى يوم التغابن لانقطاع الترقى فيه فاعلم ذلك وقال بعضهم الغبن كل الغبن أن لا يعرف الصفاء فى الكدورة واللطف فى صورة القهر فتوحش عن الحق بالتفرقة وهو فى عين الجمع والانس وايضا يقع الغبن لمن كان مشغولا بالجزآء والعطاء ورؤية الاعواض

واما من كان مشغولا بمشاهدة الحق فقد خرجعن حد الغبن وايضا يقع الكل فى الغبن اذا عاينوا الحق بوصفه وهم وجدوه اعظم وأجل مما وجدوه فى مكاشفاتهم فى الدنيا فيكونون مغبونين حيث لم يعرفوه حق معرفته ولم يعبدوه حق عبادته وان كانوا لا عيرفونه ابدا حق معرفته واى غبن اعظم من هذا اذ يرونه ولا يصلون الى حقيقة وجوده وقال ابن عطاء

رحمه الله تغابن اهل احلق على مقادير الضياء عند الرؤية والتجلى وقال بعض الكبار يوم شهود الحق فى مقام الجمعية يوم غبن اهل الشهود والمعرفة على اهل الحجاب والغفلة فانهم فى نعيم القرب والجمع واهل احجاب فى جحيم البعد والفراق

{ ومن يؤمن بالله } بالصدق والاخلاص بحسب نور استعداده

{ ويعمل صالحا } اى عملا صالحا بمقتضى ايمانه فان العمل انما يكون بقدرالنظر وهو اى العمل الصالح ما يبتغى به وجه الله فرضا او نفلا (روى) ان ابراهيم بن ادهم رحمه الله أراد ان يدخل الحمام فطلب الحمامى الاجرة فتأوه وقال اذا لم يدخل احد بيت الشيطان بلا أجره فانى يدخل بيت الرحمن بلا عمل

{ يكفر } اى يغفر الله ويمح

{ عنه سيئاته } يوم القيامة فلا يفضحه به

{ ويدخله } بفضله وكرمه لا بالايجاب

{ جنات } على حسب درجات اعماله

{ تجرى من تحتها } اى من تحت صورها واشجارها

{ الانهار } الاربعة

{ خالدين فيها } حال من الهاء فى يدخله وحد أولا حملا على لفظ من ثم جمع حملا على معناه

{ ابدا } نصب على الظرف وهو تأكيد للخلود

{ ذلك } اى ما ذكر من تكفير السيئات وادخال الجنات

{ الفوز العظيم } الذى لا فوز ورآءه لانطوآئه على النجاة من أعظم الهليكات والظفر بأجل الطيبات فيكون على حالا من الفوز الكبير لانه يكون بجلب المنافع كما فى سورة البروج والفوز العظيم فى الحقيقة هو الانخلاع عن الوجود المجازى والتلبس بلباس الوجود الحقيقى وذلك موقوف على الايمان الحقيقى الذوقى والعمل الصالح المقارن بشهود العامل فان نور الشهود حينئذ يستر ظلمان وجوده الاشافى وينوره بنور الوجود الحقيقى

ويدخل جنات الوصول والوصل الى تحرى من تحتها الانهار مملوءه من ماء المعارف والحكم.

١٠

{ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا } تصريح بما علم التزاما والمرد بالآيات اما القرءآن او المعجزات وان كلا منهما آية الصدق الرسول

{ اولئك اصحاب النار } اى هلها اما بمعنى مصاحبوها خلودهم فيها او مالكوها تنزيلا لهم منزلة الملاك للتهكم حال كونهم

{ خالدين فيها } اى ابدا بقرينة المقابلة

{ وبئس المصير } اى لنار كأن هاتين الآيتين الكريمتين بيان لكيفية التغابن وانما قلنا كأن لان الواو يمانع الحمل على البيان كما عرف فى المعانى وفى الآية اشارة الى المحجوبين عن الله المحرومبين من الايمان الحقيقى به بأن يكون ذلك بطريق الذوق والوجدان لا بطريق العلم والبرهان

المكذبين آيات الله الظاهرة فى خواص عبادة بحسب التجليات فانهم اصحاب نار الحجاب وجحيم الاحتجاب على الدوام والاستمرار وبئس المصير هذه النار فعلى العقال أن يجتهد حتى يكشف الله عمى قلبه وغشاوة بصيرته فيشاهد آثار الله وآياته فى الانفس وآفاق ويتخلص من الحجاب على الاطلاق ففى نظر العارفين عبرة وحكمة وفى حركاتهم شأن ومصلحة (حكى) ان أبا حفص النيسابورى رحمه الله خرج مع اصحابه فى الريبيع للتنزه فمر بدار فيها شجرة مزهرة فوقف ينظر اليها معتبرا فخرج من الدار شيخ مجوسى فقال له يا مقدم الاخيار هل تكون ضيفا لمقدم الاشرار فقال نعم فدخلوا وكان معهم من يقرأ القرءآن فلما فرغ قال لهم المجوسى خذوا هذه الدراهم واشتروا بها طعاما من السوق من اهل ملتكم لانكم تتنزهون عن طعامنا ففعلوا فلما أرادوا الخروج قال المجوسى للشيخ لا افارقك بل اكون احد اصحابك ثم اسلم هو واولاده ورهطه وكانوا بضع عشرة نفسا فقالأبو حفص لأصحابه اذا خرجتم للتنزه فاخرجوا هكذا.

جون نظر ميداشت ارباب شهود ... مؤمن آمد بى نفاق اهل جحود

١١

{ ما } نافية ولذا زاد من المؤكدة

{ أصاب } الخلق يعنى نرسد بهيج كس

{ من مصيبة } من المصائب الدنيوية فى الابدان والأولاد والأموال

{ الا باذن الله } استثناء مفرغ منصوب المحل على الحال اى ما أصاب مصيبة ملتبسة بشئ من الاشياء الا باذن الله اى بتقديره وارادته كائنها بذاتها متوجهة الى الانسان متوقفة على اذنه تعالى ان تصيبه وهذا لا يخالف قوله تعالى فى سورة الشعرآء وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير اى بسبب معاصيكم ويتجاوز عن كثير منها ولا يعاقب عليها اما اولا فلان هذا القول فى حق المجرمين فكم من مصيبة

تصيب من أصابته لامر آخر من كثرة الأجر للصبر وتكفير السيئات لتوفيه الأجر الى غير ذلك وما أصاب المؤمنين فمن هذا القبيل

واما ثانيا فلان ما أصاب من ساء بسوء فعله فهو لم يصب الا باذن الله وارادته ايضا كما قال تعالى قل كل من عند الله اى ايجادا وايصالا فسبحان من لا يجرى فى ملكه الا ما يشاء وكان الكفار يقولون لو كان ما عليه المسلمون حقا لصانهم الله عن المصائب فى اموالهم وابدانهم فى الدنيا فبين الله ان ذلك انما يصيبهم بتقديره ومشيئته وفى اصابتها حكمة لا يعرفها الا هو منها تحصيل اليقين بأن ليس شئ من الامر فى يديهم فيبر أون بذلك من حولهم وقوتهم الى حول الله وقوته ومنها ما سبق آنفا من تكفير ذنوبهم وتكثير مثوباتهم بالصبر عليها والرضى بقضاء الله الى غير ذلك ولو لم يصب الانبياء والاولياء محن الدنيا وما يطرأ على الاجسام لافتتن الخلق بما ظهر على أيديهم من المعجزات والكرامات على ان طريان الآلام والاوجاع على ظواهرهم لتحقق بشريتهم لا على بواطنهم لتحقق مشاهدتهم والانس بربهم كأنهم معصومون محفوظون منها لكون وجودها

فى حكم العدم بخلاف حال الكفار والاشرار نسأل العفو والعافية من الله الغفار وفى الآية اشارة الى اصابة مصيبة النفس الامارة بالاستيلاء على القلب والى اصابة مصيبة القلب السيار بالغلبة على النفس فانهما باذن تجلية القهرى للقلب الصافى بحسب الحكمة او باذن تجلية اللطفى الجمالى للنفس الجانية بحسب النقمة

{ ومن يؤمن بالله } يصدق به ويعلم انه لا يصيبه مصيبة الا باذن الله والاكتفاء بالايمان بالله لانه الاصل

{ يهد قلبه } عند اصابتها للثبات والاسترجاع فيثبت ولا يضطرب بأن يقول قولا ويظهر وصفا يدل على التضجر من قضاء الله وعدم الرضى به ويسترجع ويقول انا الله وانا اليه راجعون ومن عرف الله واعتقد انه رب العالمين يرضى بقضائه ويصبر على بلائه فان التربية كما تكون بما يلائم الطبع تكون بما يتنفر عنه الطبع

وقيل يهد قلبه اى يوفقه لليقين حتى يعلم ان ما أصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه فيرضى بقضائه ويسلم لحكمه

وقيل يهد قلبه اى يلطف به ويشرحه لازدياد الطاعة والخير وبالفارسية الله راه نما يدل اورا به بسند كارى ومزيد طاعت.

وقال ابو بكر الوراق رحمه الله ومن يؤمن بالله عند الشدة والبلاء فيعلم انها من عدل الله يهد قلبه الى حقائق الرضى وزوآئد اليقين وقال أبو عثمان رحمه الله من صحح ايمانه بالله يهد قلبه لاتباع سنن نبيه عليه السلام وعلامة صحة الايمان المداومة على السنن وملازمة الاتباع وترك الآرآء والاهوآء المضلة وقال بعضهم ومن يؤمن بالله تحقيقا يهد قلبه الى العمل بمقتضى ايمانه حتى يجد كمال مطلوبه الذى امن به ويصل الى محل نظره وقال بعضهم ومن يؤمن بالله بحسب ذاته نور قلبه بنور المعرفة باسمائه وصفاته اذ معرفة الذات تستلزم معرفة الصفات والاسماء من غير عكس وباعتبار سبق الهداية ولحوقها فان الايمان بالله انما هو بهداية سابقة وهداية القلب انما هى هداية لاحقة يندفع توهم ان الايمان موقوف على الهداية

فاذا كانت هى موقوفة عليه كما تفيده من الشرطية لما ان الشرط مقدم على المشروط لدار فان للهداية مراتب تقدما وتأخرا لا تنقطع ولذلك ندعو الله كل يوم ونقول مرارا اهدنا الصراط المستقيم بناء على ان فى كل عمل نريده صراطا مستقيما يوصل الى رضى الله تعالى

وقيل انه مقلوب ومعناه من يهد قلبه يؤمن بالله . وروى فى يهد سبع قرآآت المختار من السبع يهد مفردا غائبا راجعا ضميره الى الله مجزوز الآخر ليكون جواب الشرط المجزوم من الهداية وقرئ نهد بالنون على الالتفات منها ايضا ويهد مجهولا برفع قلبه على انه قائم مقام الفاعل منها ايضا ويهد بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال ورفع قلبه ايضا بمعنى يهتد كقوله تعالى آمن لا يهدى الا أن يهدى ويهدأ من باب يسأل ويهدا بقلبها ألفا ويهد بحذفها تخفيفا فيهما والمعنى يطمئن ويسكن الى الحق

{ والله بكل شئ } من الاشياء التى من جملتها القلوب واحوالها كتسليم من انقاد لامره وكراهة من كرهه وكآفاتها وخلوصها من الآفات

{ عليم } فيعلم ايمان المؤمن وخلوصه ويهدى قلبه الى ما ذكر.

١٢

{ واطيعوا الله } اطاعة العبد لمولاه فيما يأمره

{ واطيعوا الرسول } اطاعة الامة لنبيها فيما يؤديه عن الله اى لا يشغلنكم المصائب عن الاشتغال بطاعته والعمل بكتابه وعن الاشتغال بطاعة الرسول واتباع سنته وليكن جل همتكم في السرآء والضرآء العمل بما شرع لكم قال القاشانى وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول على حسب معرفتكم بالله وبالرسول فان اكثر التخلف عن الكمال والوقوع فى الخسران والنقصان انما يقع من التقصير فى العمل وتاخر القدم لا من عدد النظر كرر الامر للتأكيد والايذان بالفرق بين الطاعتين فى الكيفية وتوضيح مورد التولى فى قوله

{ فان توليتم } اى اعرضتم عن اطاعة الرسول

{ فانما على رسولنا البلاغ المبين } تعليل للجواب المحذوف اى فلا بأس عليه اذما عليه الا التبليغ المبين وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه واظهار الرسول مضافا الى نون العظمة فى مقام اضماره لتشريفه عليه السلام والاشعار بمدار الحلم الذى هو كون وظيفته عليه السلام محض البلاغ ولزيادة تشنيع التولى عنه وفى التأويلات النجمية أطيعوا الله بتهيئة الاسباب بمظهرية ذاته وصفاته واطيعوا الرسول بتحصيل القابلية لمظهرية احكام شريعته الظاهرة وآداب طريقته الباطنة فان اعرضتم عن تهيئة الاسباب والاستعداد وتصفية هذين الامرين الكليين بالاقبال على الدنيا والاستهلاك فى بحر شهواتها فانما على رسولنا البلاغ المبين وعليكم العذاب المهين.

١٣

{ الله لا اله } فى الوجود

{ الا هو } جملة من مبتدأ وخبر اى هو المستحق للعبودية لا غير وهو القدر على الهداية والضلالة لا شريك له فى الارشاد والاضلال وليس بيد الرسول شئ من ذلك

{ وعلى الله } اى عليه تعالى خاصة دون غيره لا استقلالا ولا اشتراكا

{ فليتوكل المؤمنون } فى تثبيت قلوبهم على الايمان والصبر على المصائب واظهار الجلالة فى موضع الاضمار للاشعار بعلية التوكل والامر به فان الالوهية مقتضية للتبتل اليه تعالى بالكلية وقطع التعلق عما سواه بالمرة وفى الآية بعث لرسول الله وللمؤمنين وحث لهم على الثبات على التوكل والازدياد فيه حتى ينصرهم على المكذبين وعلى من تولى عن الطاعة وقبول احكام الدين . واعلم ان التوكل من المقامات العالية وهو اظهار العجز والاعتماد على الغير وفى الحدآئق التوكل هو الثقة بما عند الله واليأس مما فى أيديي الناس وظاهر الامر يفيد وجوب التوكل مع انه غير موجودفى اكثر الناس فيلزم أن يكونوا عاصين ولعل المأمور به هو التوكل العقلى وهو

أن يعتقد العبد انه ما من مراداته الدنيوية والاخروية الا وهو يحصل من الله فيثق به فى حصوله ويرجو منه وان كانت النفس تلتفت الى الغير وتتوقع منه نظرا الى اعتقاد سببيته والله مسبب الاسباب

واما التوكل الطبيعى الذى لا يكون ثقة صاحبه طبعا الا بالله وحجه ولا اعتماده الا عليه فى جميع مقاصده مع قطع النظر عن الاغيار كلها رأسا فهو عسير قلما يوجد الا فى الكمل من الاولياء كما حكى عن بشر الحافى رحمه الله انه جائه جماعة من الشأم وطلبوا منه أن يحج معهم فقال نعم ولكن بثلاثة شروط أن لا نحمل معنا شيأ ولا نسأل احدا ولا نقبل من احد شيأ فقالوا

اما الاول والثانى فنقدر عليه اما الثالث فلا نقدر فقال أنتم الذين تحجون متوكلين على زاد الحاج

وقيل من ادعى التوكل ثم شبع فقد حمل زادا وعن بعضهم انه قال حججت اربع عشرة مرة حافيا متوكلا وكان يدخل الشوك فلا اخرجه لئلا

ينقص توكلى وعن ابراهيم الخواص رحمه الله بينما أناسير فى البادية اذ قال لى اعرابى يا ابراهيم التوكل عندنا فاقم عندنا حتى يصح توكلك أما تعلم ان رجاءك دخول بلد فيه اطعمة يعملك ويقويك اقطع رجاءك عن دخول البلدان فتوكل فاذا كان رجاء دخول البلدان مانعا عن التوكل التام فما ظنك بالاقامة فى بلاد خصبة ولذا اوقع الله التوكل على الجلالة لانها جامعة لجميع الاسماء فلاتوكل عليه توكل تام والتوكل على الاسماء الجزئية توكل ناقص قمن عرف الله وكل اليه اموره وخرج هو من البين ومن جعل الله وكيله لزمه ايضا أن يكون وكيلا لله على نفسه فى استحقاق حقوقه وفرآئضه وكل ما يلزمه فيخاصم نفسه فى ذلك ليلا ونهارا أى لا يفتر لحظة ولا يقصر طرفة فان الاوقات سريعة المرور خاك دردستش بودجون بادهنكام اجل . هركه اوقات كرامى صرف آب وكل كند.

١٤

{ يا أيها الذين آمنوا } إيمانا خالصا

{ ان من ازواجكم } جمع زوج يعم الحليل والحليلة وسيجئ ما فى اللباب

{ واولادكم } جمع ولدي يعم الابن والبنت

{ عدوا لكم } يشغلونكم عن طاعة الله وان لم يكون لهم عداوة ظاهرة فان العدو لا يكون عدوا بذاته وانما يكون عدوا بفعله فاذا فعل الزوج والولد فعل العدو كان عدوا ولا فعل اقبح من الحيلولة بين العبد وبين الطاقة او يخاصمونكم فى اموار الدنيا واشد المكر ما يكون فى الدين فان ضرره اشد من ضرر ما يكون فى الدنيا وجاء فى الخبر ليس عدوك الذى لقيته فقتلته وآجرك الله على قتله ولكن اعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك وامرأتك تضاجعك على فراشك وولدك من صلبك قدم الازواج لانها مصادر الاولاد ولانها لكونها محل الشهوات ألصق بقلوب الناس وأشد اشغالا لهم عن العبودية ولذا قدمها الله تعالى فى قوله زين للناس حب الشهوات من النساء وفى الالباب ان قوله ان من ازاجكم يدخل فيه الذكر فكما ان الرجل تكون زوجته وولده عدوا له كذلك المرأة

يكون زوجها عدوا لها بهذا المعنى فيكون الخطاب هنا عاما على التغليب ويحتمل أن يكون الدخول باعتبار الحكم لا باعتبار الخطاب

{ فاحذروهم } الحذر احتراز عن مخيف والضمير للعدو فانه يطلق على الجمع

قال بعضهم احذروهم اى احفظوا أنفسكم من محبتهم وشدة التعلق والاحتجاب بهم ولا تؤثروا حقوقهم على حقوق الله تعالى وفى الحديث (اذا كان امر آؤكم خياركم واغنياؤكم اسخياءكم وامركم شورى بينكم اى ذا تشاور لا ينفرد احد برأى دون صاحبه فظهر الارض خير لكم من بطنها واذا كان امراؤكم شراركم واغنياؤكم بخلاءكم وامركم الى نسائكم فبطن الله خير لكم من ظهرها) وفى الحديث (شاوروهن وخالفوهن) وقد استشار النبى عليه السلام ام سلمة رضى الله عنها كما فى قصة صلح الحديبية فصار دليلا لجواز استشارة المرأة الفاضلة ولفضل ام سلمة ووفور عقلها حتى قال امام الحرمين لا نعلم امرأة اشارة برأى فأصابت الا ام سلمة كذا قال وقد استدرك بعضهم ابنة شعيب فى امر

موسى عليهما السلام (حكى) ان خسروا كان يحب اكل السك فكان

يوما جالسا فى المنظرة وشيرين عنده اذ جاء صياد ومعه سمكة كبيرة فوضعها

بين يديه فأعجبته فأمر له بأربع آلاف درهم فقالت شيرين بئس ما فعلت

لانك اذا أعطيت بعد هذا احدا من عسكرك هذا القدر احتقره وقال

أعطانى عطية الصياد فقال خسروا لقد صدقت لكن يقبح على الملوك أن

يرجعوا فى عطياتهم فقالت شيرين تدعو الصياد وتقول له هذه السمكة

ذكر او انثى فان قال ذكر فقل انما أردنا انثى وان قال انثى فقل انما أردنا

ذكرا فنودى الصياد فعاد فقال له الملك هذه المسكة ذكر أو انثى فقال

هذه السمكة خشى فضحك خسروا من كلامه وامر له بأربعة آلاف درهم

اخرى فقبض ثمانية آلاف درهم ووضعها فى جرابه معه وحملها على كاهله

وهم بالخروج فوقع من الجراب درهم واحد فوضع الصياد الجراب وانحنى

على الدرهم فأخذه والملك وشيرين ينظران اليه فقالت شيرين للملك أرأيت

الى خسة هذا الرجل وسفالته سقط من درهم واحد فألقى عن كاهله ثمانية

آلاف درهم وانحنى على ذلك الدرهم وأخذه ولم يسهل عليه أن يتركه

فغضب الملك وقال لقد صدقت يا شيرين ثم امر باعادة الصياد فقال يا دنيئ الهمة لست بانسان ما هذا الحرص والتهالك على درهم واحد فقبل الصياد الارض وقال انى لم ارفع ذلك الدرهم لخطره عندى وانما رفعته عن الارض لان على احد وجهيه اسم الملك وعلى الآخر صورته فخشيت أن يأتى احد بغير علم فيضع عليه قدمه فيكون ذلك استخفافا بالملك وصورته فتعجب خسروا من كلامه فأمر له بأربعة آلاف درهم اخرى وكتب وصية للناس بأن لا تطيعوا النساء اصلا ولا تعملوا برأيهن قطعا (وحكى) ان رجلا من بنى اسرآئيل أتى سليمان عليه السلام وقال يا بنى الله أريد أن تعلمنى لسان البهائم فقال سليمان ان كنت تحب ان تعلم لسان البهائم أنا اعلمك ولكن اذا اخبرت احدا تموت من ساعتك فقال لا اخبر احدا فقال سليمان قد علمتك وكان للجرل ثور وحمار يعمل عليهما فى النهار فاذا امسى ادخل عليهما علفا فحط العلف بين يديهما فقال الحمار للثور اعطنى الليلة عشاءك حتى يحسب صاحبنا انك مريض فلا يعمل عليك ثم انى أعطيك عشائى فى الليلة القابلة فرفع الثور رأسه من علفه فضحك

الرجل فقلت امرأته لم تضحك قال لا شئ فلما جاءت الليلة القابلة أعطى
الرجل للحمار علفه وللثور علفه وقال الثور اقضنى السلف الى عندك فانى
أمسيت مغلوبا من الجوع والتعب فقال له الحمار انك لا تدرى كيف كان
الحال قال الثور وما ذاك قال ان صاحبنا البارحة ذهب وقال لجزار ثورى
مريض اذبحه قبل أن عجف فاصبر الليلة وأسلفنى ايضا عشاءك حتى اذا
جاءك الجزاء صباحا وجدك عجيفا ولا يذبحك فتنجو من الموت ولو
تعشيت يمتلئ بطنك فيخشى عليك أن يحسبك سمينا فيذبحك انى أرد لك
ما أسفلتنى الليلتين فرفع رأسه عن علفه ولم يأكل فضحك الرجل فقال
المرأة لم تضحك اخبرنى والا طلقنى فقال الرجل اذا اخبرتك بما ضحكت
اموت من ساعتى فقالت لا أبالى فقال ائتينى بالدواة والقرطاس حتى اكتب
وصيتى ثم اخر ثم اموت فناولته فبينما هو يكتب اذ طرحت المرأة كسرة
من الخبز الى الكب فسبق الديك واخذها بمنقاره قال الكلب ظلمتنى قال
الديك صاحبنا يريد الموت فتكون ان تشبعانا من وليمة المأتم ولكن بحن
نبقى فى مبيتا الى ثلاثة ايام لا يفتح لنا البا وان يمت برضى امرأته ابعده

الله واسخطه فان لى تسع نسوة لا تقدر واحد منهن أن تسأل عن سرى ولو كنت أنا مكانه لأضربنها حتى تموت او تتوب وبعد ذلك لا تسأل عن سر زوجها فأخذ الرجل عصا ولم يزل يضربها حتى ثابت من ذلك

زنى راكه جهلست وبارساتى ... بلا برسر خود نه زن خواستى

وافادت من التبعيضية فى قوله ان من ازواجكم الخ ان منها ما ليس بعدو كما قال عليه السلام الدنيا كلها متاع وخير متاعها المرأة الصالحة وقال عليه السلام ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرا له من زوجة صالحة ان امرها اطاعته وان نظر اليها سرته وان اقسم عليها أبرته وان غاب عنها نصحته فى نفسها وما له فاذا كانت المرأة على هذه الاوصاف فهى ميمونة مباركة والا فهى مشئومة منحوسة.

كرا خانه آباد وهمخوا به دوست ... خدارا برحمت نظر سوى اوست

{ وان تعفوا } عن ذنوبهم القابلة للعفو بأن تكون متعلقة بامور الدنيا او بامور الدين لكن مقارنة للتوبة

{ وتصفحوا } بترك التثريب والتعبير يقال صفحت عن فلان اذا أعرضت عن ذنبه والتثريب عليه

{ وتغفروا } باخفائها وتمهيد عذرها

{ فان اللّه غفور رحيم } يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم وهذا كقوله وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس بك به علم فلا تطعمهما وصاحبنهما فى الدنيا معروفا نزلت فى عوف بن مالك الا شجعى رضى الله عنه كان ذا اهل وولد وكان اذا أراد الغزو بكوه ورققوه وقالوا الى من تدعنا فيرق ويقيم . وأراد الخطيئة وهو شاعر مشهور سفرا فقال لامرأته

عدى السنين لغيبتى وتصبرى ... وذرى الشهور فانهن قصار

فأجابته

واذكر صبابتنا اليك وشوقنا ... وارحم بناتك انهن صغار

وقيل ان ناسا من المؤمنين أرادوا الهجرة من مكة فثبطهم ازواجهم واولادهم فزينوا لهم القعود قيل قالوا لهم اين تذهبوا وتدعون بلدكم وعشيرتكم واموالكم فغضبوا عليهم وقالوا لئن جمعنا الله فى دار الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا منعوهم الخير فحثوا على أن يعفوا عنهم ويردوا اليهم البر والصلة قال القاشانى وان تعفوا بالمداراة وتصفحوا عن جرآئمهم بالحلم وتغفروا جناياتهم بالرحمة فلا ذنب ولا حرج انما الذنب فى الاحتجاب بهم وافراط المحبة وشدة التعلق لا فى مراعاة العدالة والفضيلة ومعاشرتهم بحسن الخلق فانه مندوب بل اتصاف بصفات الله فان الله غفور رحيم فعليكم بالتخلق باخلاقه وفى الحث على العفو والصفح اشارة الى أن ليس المراد من الامر بالحذر تركهم بالكلية والاعراض عن معاشرتهم ومصاحبتهم كيف والنساء من اعظم نعم الجنة وبها نظام العالم فانه لولا الازواج لما وجد الانبياء والاولياء والعلماء والصلحاء وقد خلق المخلوقات لاجلهم ومن الله على عباده تذكير النعمة حيث قال خلق لكم من أنفسكم ازواجا وهذا

كما روى عنه عليه السالم انه كان يقول اتقوا الدنيا ولنساء فان الامر بالاتقاء انما هو للتحذير عما يضر فى معاشرتها لا للترك بالكلية فكما ان الدنيا لا تترك بالكلية ما دام المرء حبا وانما يحذر من التلعق بها ومحبتها الشاغلة عن محبة الله تعالى فكذا النساء ولأمر ما حبب الله اليه عليه السلام النساء وقال عليه السلام

(اذا مات الانسان انقطع عنه عمله الا من ثلاث صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له) كما سبق بيانه فى سورة النجم فقد حث عليه السلام على وجود الولد الصالح ولم يعده من الدنيا بل عده من الخير الباقى فى الدنيا وبه يحصل العمر الثانى وفى الآية اشارة الى أن النفوس الامارة واللوامة واولادها وهى صفات تلك النفوس واخلاقها الشهوانية عدو للانسان يمنعه عن الهجرة الى مدينة القلب فلا بد من الحذر عن متابعتها ومخالطها بالكلية وتصرفاتها فى جميع الاحوال وأن تعفو عن هفواتهم الباطلة الواقعة منهم فى بعض الاوقات لكونهم مطية لكم وتصفحوا بعد التوبيخ والتعيير وتغفروا بأن تستروا ظلمتهم بنور ايمانكم

وشعاع معرفة قلوبكم فان الله غفور ساتر لكم يستر بلطفه رحيم بكم بافاضة رحمته عليك وجعلنا الله واياكم من اهل تقواه ومغفرته وتغمدنا بأنواع رحمته.

١٥

{ انما اموالكم واولادكم فتنة } بلاه ومحنة يوقعونكم فى الاثم والعقوبة من حيث لا تحتسبون (قال الكاشفى) آز مايش است تا ظاهر كرددكه كدام از ايشان حق را برايشان ايثار ميكند وكدام دل درمال ولد بسته از محبت الهى كرائه ميكيرد . وجيئ بانما للحصر لان جميع الاموال والولاد فتنة لانه لا يرجع الى مال او ولد الا هو مشتمل على فتنة واشتغال قلب وتأخير الاولاد من باب الترقى من الأدنى الى الأعلى لان الاولاد ألصق بالقلوب من الاموال لكونهم من اجزاء الآباء بخلاف الاموال فانها من توابع الوجود وملحقاته ولذا جعل توحيد الافعال فى مقابلة الفناء عن الاولاد وتوحيد الذات فى مقابلة الفناء عن النفس

{ والله عنده اجر عظيم } لمن آثر محبة الله وطاعته على محبة

الاموال والاولاد والتدبير فى مصالحهم زهدهم فى الدنيا بان ذكر عيبها

ورغبهم فى الآخرة بذكر نعيمها وعن ابن مسعود رضى الله عنه لا يقولن

احدكم اللهم اعصمنى من الفتن فانه ليس احد منكم يرجع الى مال وولد

الا وهو مشتمل على فتنة ولكن ليقل اللهم انى اعوذ بك من مضلات

الفتن نظيره ما حكى عن محمد ابن المنكدر رحمه الله انه قال قلت ليلة فى

الطواف اللهم اعصمنى واقسمت على الله تعالى فى ذلك كثيرا فرأيت فى

المنام كأن قائلا يقول لى انه لا يفعل ذلك قلت لم قال لانه يريد أن يعصى

حتى يغفر وهذا من الاسرار المصونة والحكم المسكوت عنها وفى مشكاة

المصابيح كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يخطب اذ

جاء الحسن والحسين رضى الله عنهما عليهما قميصان احمران يمشيان

ويعثران فنزل عليه السلام من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال (

صدق الله انما اموالكم واولادكم فتنة) نظرت الى هذين الصبيين يمشيان

ويعثران فلم اصبر حتى قطعت حديثى رفعتهما ثم اخذ عليه السلام فى

خبطته قال (ابن عطية وهذه ونحوها هى فتنة الفضلاء فاما فتنة الجهال الفسقة فمؤدية الى كل فعل مهلك) يقال ان اول ما يتعلق بالرجل يوم القيامة اهله واولاده فيوقفونه بين يدي الله تعالى ويقولون يا ربنا خذ بحقنا منه فانه ما علمنا ما نجهل وكان يطعمنا الحرام ونحن لا نعلم فيقتص لهم منه و تأكل عياله حسناته فلا يبقى له حسنة ولذا قال عليه السلام (يؤتى برجل يوم القيامة فيقال له اكل عياله حسناته) وعن بعض السلف العيال سوس الطاعات وهو دود يقع فى الطعام والثوب وغيرهما ومن ثم ترك كثير ممن السلف المال والاهل رأسا واعرضوا عنهما بالكلية لان كل شئ يضل عن الله فهو مشئوم على صاحبه ولذا كان عليه السلام يقول فى دعائه (اللهم من أحبنى وأجاب دعوتى فأقلل ماله وولده ومن أبغضنى ولم يجب دعوتى فاكثر ماله وولده) وهذا للغالب عليهم النفس

واما قوله عليه السلام فى حق انس رضى الله عنه (اللهم أكثر ماله وولده وبارك فيما أعطيته فهو لغيره)

{ فاتقوا الله ما استطعتم } اى ابذلوا فى تقواه جهدكم وطاقتكم

قال بعضم اى ان علمتم ذلك وانتصحتم به فاتقوا ما يكون سببا لمؤاخذة

الله اياكم من تدبير امورهما ولا ترتكبوا ما يخالف امره تعالى من فعل او ترك

وهذه الآية ناسخة لقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته لما اشتد عليهم بان قاموا

حتى ورمت اقدامهم وتقرحت جباههم فنزلت تيسيرا لعباد الله وعن ابن

عباس رضى الله عنهما انها آية محكمة لا ناسخة فيها لعله رضى الله

عنه جمع بين الآيتين بأن يقول هنا وهنالك فاتقوا الله حق تقاته ما استطعتم

واجتهدوا فى الاتصاف به بقدر طاقتكم فانه لا يكلف الله نفسا الا وسعها

وحق التقوى ما يحسن أن يقال ويطلق عليه اسم التقوى وذلك لا يقتضى

أن يكون فوق الاستطاعة وقال ابن عطاء رحمه الله هذا لن رضى عن الله

بالثواب فاما من لم يرض عنه الا به فان خطابه فاتقوا الله حق تقاته

أشار رضى الله عنه الى الفرق بين الابرار والمقربين فى حال التقوى فقوله

تعالى فاتقوا الله ما استطعتم ناظر الى الابرار وقوله تعالى فاتقوا الله حق

تقاته ناظر الى المقربين فان حالهم الخروج عن الوجود المجازى بالكلية وهو

حق التقوى وقال القاشانى فاتقوا الله فى هذه المخالفات والآفات فى مواضع البليات ماستطعتم بحسب مقامكم ووسعكم على قدر حالكم ومرتبتكم قال السرى قدس سره المتقى من لا يكون رزقه من كسبه . ودر كشف الاسرار آورده كه دريك آيت اشارت ميكند بواجب امر ودرديكرى بواجب حق جون واجب امر بيامد واجب حق را رقم نسخ بركشيد زيراكه حق بنده راكه مطالبت كند بواجب امر كند تافعل اودر دائره عفو داخل تواندشد واكراورا بواجب حق بكيرد طاعت ومعصيت هزار ساله آنجا يكرنك دارد

بى نيازى بين واستغنانكر ... خواه مطرب باش وخواهى نوحه كر

اكرهمه انبيا واولياء بهم آيند آن كيست كه طاقت آن داردكه بحق اوجل جلاله قيام نمايد ياجبوا حق اوباز دهد امر او متناهيست اما حق او متناهى نيست زيرا كه بقاى امر ببقاى تكليف است وتكليف درد نياست كه سراى تكليف است اما بقاى حق ببقاى ذاتست وذات متناهى نيست بس حق متناهى نيست واجب امر برخيزداما واجب حق

برتخبزد دنيا دركذرد ونوبت امر باوى در كذرد اما نوبت حق نفر كز در

نكذرد امروز هركسى را سودايى درسرست كه درا مر مى نكرند انبيا

ورسول بنبوت ورسالت خونش مى نكرند فرشتكان بطاعت وعبادت

خود مى نكرند مؤحدان ومجتهدان ومؤمنان ومخلصان بتوحيد وايمان

واخلاص خويش مى نكرند فردا جون سرادقات حق ربوبيت باز كشند

انبيا باكمال حال خويش حديث علم خود طى كنند كويند لا علم لنا

ملائكة ملكوت صومعه اى عبادت خود آتش درزنند كه ما عبد ناك

حق عبادتك عارفان وموحدان كيوند ما عرفناك حق معرفتك

{ واسمعوا } مواعظه

{ واطيعوا } اوامره

{ وانفقوا } مما رزقكم فى الوجوه التى امركم بالانفاق فيها خالصا

لوجهه عن ابن عباس رضى الله عنهما ان المراد انفاق الزكاة والظاهر العموم

وهو مندرج فى الاطاعة ولعل افراده بالذكر لما ان الاحتياج اليه كان اشد

حينئذ وان المال شقيق الروح ومحبوب النفس ومن ذلك قدم الاموال على الاولاد فى المواضع حتى قال الامام الغزالى رحمه الله انه قد يكون حب المال من اسباب سوء العاقبة فانه اذا كان حب المال غالبا على حب الله فحين علم محب المال ان الله يفرقه عن محبوب عقد فى قلبه البغض لله نعوذ بالله من ذلك وهذا كما ترى ان احدا اذا احب دنياه حبا غالبا على حب ابنه فلو قصد الابن أن يأخذها منه لأبغض الابن واحب هلاكه

{ خير الانفسكم } خبر لكان المقدر جوابا للاوامر اى يكن خيرا لأنفسكم او مفعول لفعل محذوف اى ائتوا وافعلوا خيرا لأنفسكم واقصدوا ما هو أنفع لها وهو تأكيد للحث على امتثال هذه الاوامر وبيان لكون الامور المذكورة خيرا لأنفسهم من الاموال والأولاد وما هم عاكفون عليه من حب الشهوات وزخارف الدنيا

{ ومن يوق شح نفسه } اى ومن يقه الله ويعصمه من بخل نفسه الذى هى الرذيلة المعجونة فى طينة النفس وقد سبق بيانه فى سورة

الحشر وبالفارسية وهركه نكاه داشت ازبخل نفس خود يعنى حق خدا يرا امساك نكند ودر راه وى بذل مى نمايد.

وهو مجهول مجزوز الآخر بمن الشرطية من الوقاية المتعدية الى المفعولين وشح مفعول ثان له باق على النصب والاول ضمير من القائم مقام الفاعل

{ فاولئك هم المفلحون } الفائزون بكل مرام وفى الحديث (كفى بالمرء من الشخ أن يقول آخذ حقى لا اترك منه شيأ) وفى حديث الاصمعى أتى اعرابى قوما فقال لهم هذا فى الحق او فيما هو خير منه قالوا وما خير من الحق قال التفضل والتغافل افضل من اخذ الحق كله كذا فى المقاصد الحسنة (روى) عن النبي عليه السلامانه كان يطوف بالبيت فاذا رجل متعلق باستار الكعبة وهو يقول (برحمة هذا البيت الا غفرت لى) وقال عليه السلام (وما ذنبك صفه لى) قال هو اعظم من ان اصفه لك قال (ويحك ذنبك اعظم ام الارضون) قال بل ذنبى يا رسول الله قال (ويحك ذنبك اعظم ام الجبال) قال بل ذنبى يا رسول الله قال

(فذنبك اعظم ام السموات) قال بل ذنبي قال (فذنبك اعظم ام العرش) قال بل ذنبي اعظم قال (فذنبك اعظم ام الله) قال بل الله اعظم واعلى قال (ويحك صف لى ذنبك) قال يا رسول الله انى ذو ثروة من المال وان السائل ليأتيني ليسألني فكأنما يستقبلني بشعله من النار فقال عليه السلام (عنى)

يعنى دورشو ازمن . لا تحرقني بنارك فهو الذى بعثني بالهداية والكرامة لو قمت بين الركن والمقام ثم بكيت ألفى عام حتى تجرى من دموعك الانهار وتسقى بها الاشجار ثم مت وأنت لئيم لكبك الله فى النار اما علمت ان البخل كفر وان الكفار فى النار ويحك أما علمت ان الله يقول ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ومن يوق شح نفسه فأولئك المفلحون

فروماند كاترا درون شادكن ... زروز فرو ماندكى ياد كن

نه خواهنده بر در ديكران ... بشكرانه خواهنده ازدر مران

وفى الآية اشارة الى ان الانفاق على الغير علما او مالا انفاق على نفسك بالحقيقة كنفس واحدة لانتفاء الغيرة فى الاحدية وان من وفق لانفاق الوجود المجازى فى الله فاز بالموجود الحقيقى من الله تعالى.

١٧

{ ان تقرضوا الله } بصرف اموالكم الى المصار التى عينها وبالفارسية اكر فرض دهيد خدا يرا يعنى صرف كنيد در آنجه فرمايد

وذكر القرض تلطف فى الاستدعاء كما فى الكشاف قال فى اللباب القرض القطع ومنه المقراض لما يقطع به وانقرض القوم اذا هلكوا وانقطع اثرهم

وقيل للقرض قرض لانه قطع شئ من المال هذا اصل الاشتقاق ثم اختلفوا فيه فقيل اسم لكل ما يلتمس الجزآء عليه

وقيل أن يعطى احد شيأ ليرجع اليه ثم قيل لفظ القرض هنا حقيقة على المعنيين

وقيل مجاز على الثانى لان الراجع ليس مثله بل بدله واليه يميل ما

فى الكشاف فى سورة البقرة اقراض الله مثل لتقديم العمل الذى يطلب

ثوابه لعله الوجه فيكون بقرض استعارة تصريحية تبيعة وقوله

{ قرضا حسنا } تصريحية اصليه اى مقرونا بالاخلاص وطيب

النفس قال سهل رضى الله عنه القرض الحسن المشاهدة بقلوبكم لله فى

اعمالكم كما قال ان تعبد الله كأنك تراه وقرضا ان كان بمعنى اقراضا كان

نصبه على المصدرية وان كان بمعنى مقرضا من النفقة كان مفعولا ثانيا

لتقرضوا لان الاقراض يتعدى الى مفعولين ففى التعبير عن الانفاق

بالاقراض وجعله متعلقا بالله الغنى مطلقا والتعبير عن النفقة بالقرض اشارة

الى حسن قبول الله ورضاه والى عدم الضياع وبشارة باستحقاق المنفق

ببركة انفاقه لتمام الاستحقاق

{ يضاعفه لكم } من المضاعفة بمعنى التضعيف اى التكثير فليس

المفاعلة هنا للاشتراك اى يجعل لكم اجره مضاعفا ويكتب بالواحد عشرة

وسبعين وسبعمائة واكثر بمقتضى مشيئته على حسب النيات والاوقات والمحال

{ ويغفر لكم } ببركة الانفاق ما فرط منكم من بعض الذنوب

{ والله شكور } يعطى الكثير بمقابلة اليسير من الطاعة او يجازى العبد على الشكر وهو الاعتراف بالنعمة على سبيل الخضوع فسمى جزآء الشكر شكرا او الله شكور بمعنى انه كثير الثناء على عبده بذكر افعاله الحسنة وطاعته فالشكر الثناء على المحسن بذكر احسانه وهذا المعنى مختار الامام القشيرى رحمه الله والشكور مبالغة الشاكر والشاكر من له الشكر سئل بعضهم من اشكر الشاكرين فقال الطاهر من الذنوب بعد نفسه من المذنبين والمجتهد فى النوافل بعد أدآء الفرآئض بعد نفسه من المقصرين والراضى بالقليل من الدنيا يعد نفسه من الراغبين والقاطع بذكر الله دهره يعد نفسه من الغافلين والراغب فى العمل يعد نفسه من المفلسين فهذا اشكر الشاكرين ومن ادب من عرف انه تعالى شكور أن يجد فى شكره ولا يفتر وبواظب على حمده ولا يقصر والشكر على اقسام قلبك بغير

ذكره ومعرفته وشكر جوارحك فى غير طاعته وشكر بالقلب وهو آن لا تشغل قلبك بغير ذكره ومعرفته وشكر باللسان وهو أن لا تستعمله فى غير ثنائه ومدحته وشكر بالمال وهو أن لا تنفقه فى غير رضاه ومحبته

نفس مى نيارم زد از شكر دوست ... كه شكرى نه دانم كه درخورد اوست

عطا بيست هر موى از وبر تنم ... جكونه بهر موى شكرى كنم

واحسن وجوه الشكر لنعم الله أن لا تستعملها فى معاصيه بل فى طاعته وخاصية اسم الشكور التوسعة ووجود العافية فى البدن وغيره بحيث لو كتبه من به ضيق فى النفس وتعب فى البدن اعياء اشد الاعياء وثقل فى الجسم وتمسح به وشرب منه برئ باذن الله تعالى وان تمسح به ضعيف البصرعلى عينيه وجد بركة ذلك ويكتب احدى واربعين مرة

{ حليم } لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم بالبخل والامساك ونحوهما فيحلم حتى يظن الجاهل انه ليس يعلم ويستر حتى يتوهم الغافل انه ليس يبصر

قال الامام الغزالى رحمه الله الحليم هو الذى يشاهد معصية العصاة ويرى مخالفة الامر ثم لا يستفزه غضب ولا يعتريه غيظه ولا يحمله على المسارعة الى الانتقام مع غاية الاقتدار عجلة وطيش كما قال الله تعالى ولو يؤاخذه الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة (حكى) ان ابراهيم عليه السلام لما رأى ملكوت السموات والارض رأى عاصيا فى معصيته فقال اللهم أهلكه فأهلكه الله ثم رأى آخر فدعا عليه فأهلكه الله ثم رأى آخر فدعا عليه فأهلكه الله ثم رأى رابعا فدعا عليه فأوحى الله اليه ان قف يا ابراهيم فلو اهلكنا كل عاص رأيناه لم يبق احد من الخلق ولكنا بحلمنا لا نعذبهم بل نمهلهم فاما أن يتوبوا

واما أن يصروا فلا يفوتنا شئ قيل الحلم حجاب الآفات

وقيل الحلم ملح الاخلاق . وشتم الشعبى رجل فقال ان كنت كاذبا غفر الله لك وان كنت صادقا غفر الله لى وكان الاحنف يضرب به المثل فى الحلم وهو يقول انى صبور ولست بحليم والفرق بين الحليم ولاصبور ان المذنب لا يأمن العقوبة فى صفة الصبور كما يأمنها فى صفة الحليم يعنى ان الصبور يشعر بانه يعاقب فى الآخرة بخلاف الحليم كما فى المفاتيح والتخلق بالاسم الحليم انما هو بأن يصفح عن جنايات الناس ويسامح لهم فيما ياملونه به من السيئات بل يجازيهم بالاحسان تحقيقا للحلم والغفران وفى الاربعين الادريسية يا حليم ذا الأناة فلا يعادله شئ من خلقه قال السهروردى رحمه الله من ذكره كان مقبول القول وافر الحرمة قوى الجاش بحيث لا يقدر عليه سبع ولا غيره والأناة على وزن القناة وهو التثبت والوقار.

١٨

{ عالم الغيب والشهادة } خبر بعد خبر أى لا يخفى عليه خافية (وقال الكاشفى) ميداند آنجه ظاهر ميكنند از تصدق وانجه بنهان ميدارند دردلها از ريا واخلاص.

وقد سبق الكلام عليه فى اواخر سورة الحشر ولعل تقديم الغيب به لا بالصورة ولذا رد بلعم بن باعور

وقيل كلب اصحاب الكهف قال ابو على الدقاق قدس سره لما صرفوا ذلك الكلب ولم ينصرف أنطقه الله تعالى فقال لم تصرفوننى ان كان لكم ارادة فلى ايضا ارادة وان كان خلقكم فقد خلقنى ايضا فازدادوا بكلامه يقينا ولم سمعوا كلامه اتفقوا على استصحابه معهم الا انهم قالوا يستدل علينا بآثار قدمه فالحلية فحمله الاولياء على اعناقهم وهم يمشون لما ادركه من العناية الازلية وكذا لم يكن فى الملائكة اكبر قدرا ولا اجل خطرا من ابليس الا ان الحكم الازلى بشقاوته كان خفيا عن العباد فلما ظهر فيه الحكم الازلى لعنه من عرفه ومن لم يعرفه

کلید قدر نیست دردست کس ... توانای مطلق خدایست وبس

ززنبور کرد این حلاوت بدید ... همانکس که در مار زهر آفرید

خدایا بغفلت شکستیم عهد ... جه زور آورد باقضا دست جهد

جه بر خیزد از دست تدبیرما ... همین نکته بس عذر تقصیرما

همه هرجه کردم توبرهم زدی ... جه قوت کندبا خدای خودی

نه من سرز حکمت بدرمی روم ... که حکمت جنین می رود بر سرم

وقال الحافظ الشیرازی رحمه الله

نفش مستوری ومستی نه بدست من وتست ... آنجه سلطان ازل کفت بکن آن کردم

(وقال ایضا)

درين جمن نكنم سرزنش بخود رويى ... جنانكه برورشم ميد

هندمى رويم

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (ما من مولود يولد الا فى شبابيك رأسه مكتوب خمس آيات من سورة التغابن)يعنى يست هيج مولودى كه مولودمى شود مكركه در مشبكهى سرش مكتوبست بنج آيت از سوره تغابن.

والشبابيك جمع شباك بالضم كزنار مثل خفافيش وخفاش او جمع شباكة بمعنى المشبك وهو ما تداخل بعضه فى بعض وفى الحديث (من قرأ سورة التغبان رفع عنه موت الفجاءة) وهى بالمدمع ضم الفاء وبالقصر مع فتح الفاء البغتة دون تقدم مرض ولا سبب.

سُورَةُ الطَّلَاقِ مَدَنِيَّةٌ

وَهِيَ اثْنَتَا عَشَرَةَ آيَةً

١

{ يا ايها النبى اذا طلقتم النساء } التطليق طلاق دادن يعنى عقده نكاح راحل كردن وكشادن . قال فى المفردات اصل الطلاق التخلية من وثاق ويقال اطلقت البعير من عقاله وطلقته وهو طالق وطلق بلا قيد ومنه استعير طلقت المرأة اذا خليتها فهى طالب اى مخلاة عن حبالة النكاح انتهى والطلاق اسم بمعنى التطليق كالسلام والكلام بمعنى التسليم والتكليم وفى ذلك قالوا المستعمل فى المرأة لفظ التطليق وفى غيرها لفظ الاطلاق حتى لو قال اطلقتك لم يقع الطلاق ما لم بنوا ولو قال طلقتك وقع نوى او لم ينوى والمعنى اذا اردتم تطليق النساء المدخول بهن المعتدات بالاقرآء وعزمتم عليه بقرينة فطلقوهن فان الشئ لا يترتب على فنسه ولا يؤمر أحد بتحصيل الحاصل ففيه تنزيل المشارف للشئ فان الشئ لا يترتب على نفسه ولا يؤمر احد بتحصيل الحاصل ففيه تنزيل المشارف للشئ

منزلة الشارع فيه والظهر انه من ذكر السبب وارادة المسبب وتخصيص النداء به عليه السلام مع عموم الخطاب لأمته ايضا لتحقيق انه المخاطب حقيقة ودخول فى الخطاب بطريق استتباعه عليه السلام اياهم وتغليبه عليهم ففيه تغليب المخاطب على الغائب والمعنى اذا طلقت انت وامتك وفى الكشاف خص النبى بالندآء وعم بالخطاب لان النبى امام امته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا كيت وكيت اظهار التقدمه واعتبار لترؤسه وانه لسان قومه فكأنه هو وحده فى حكم كلهم لصدورهم عن رأيه كما قال البقلى اذا خاطب السيد بان شرفه على الجمهور اذ جمع الجميع فى اسمه ففيه اشارة الى سر الاتحاد وفى كشف السرار فيه اربعة اقوال احدها انه خطاب للرسول وذكر بلفظ الجمع تعظيما كما يخاطب الملوك بلفظ الجمع والثانى انه خطاب له والمراد امته والثالث ان التقدير يا أيها النبى والمؤمنون اذا طلقتم فحذف لان الحكم يدل عليه والرابع معناه يا أيها النبى قل للمؤمنين اذا طلقتم انتهى.

يقول الفقير هذا الاخير انسب بالمقام فيكون مثل قوله يا أيها النبى قل لازواجك قل للمؤمنين قل للمؤمنات ولان النبى عليه السلام وان كان اصيلا فى المأمورات كما ان امته اصيل فى المنهيات الا ان الطلاق لما كان ابغض المباحات الى الله تعالى كما سيجيئ كان الاولى أن يسند التطليق الى امته دونه عليه السلام مع انه عليه السلام قد صدر منه التطليق فانه طلق حفصة بنت عمر رضى الله عنهما واحدة فلما نزلت الآية راجعها وكانت علامة كثرة الحديث قريبا منزلتها من منزلة عائشة رضى الله عنهما فقيل له عليه السلام راجعها فانها صوامة قوامة وانها من نسأئك فى الجنة حكاه الطبرى وفى الحديث بيان فضل العلم وحفظ الحديث ومحبة الله الصيام والقيام وكرامة اهلهما عنده تعالى.

وآورده اندكه عبد الله بن عمر رضى الله عنهما زن خودرا درحال حيض طلاق اد حضرت رسالت فرمود تارجوع كندو آنكاه كه از حيض باك شود اكرخواهد طلاق دهدو درين باب آيت آمد . والقول الاول هو الامثل والاصح فيه انه بيان لشرع مبتدأ كما فى حواشى سعدى المفتى

{ فطلقوهن لعدتهن } العدة مصدر عده يعده وسئل رسول الله عليه السلام متى تكون القيامة قال (اذا تكاملت العدتان) اى عدة اهل الجنة وعدة اهل النار اىعددهم وسمى الزمان الذى تتربص فيه المرأة عقيب الطلاق او الموت عدة لانها تعد الايام المضروبة عليها وتنتظرأ وان الفرج الموعود لها كما فى الاختيار والمعنى فطلقوهن مستقبلات لعدتهن متوجهات اليها وهى الحيض عند الحنفية فاللام متعلقة بمحذوف دل عليه معنى الكلام والمرأة اذا طلقت فى طهر يعقب القرء الاولى من اقرآئها فقد طلقت مستقبلة عدتها والمراد أن يطلقن فى طهر لم يقع فيه جماع ثم يخلين حتى تنقضى عدتهن وهذا احسن الطلاق وأدخله فى السنة وابعده من الندم لانه ربما ندم فى ارسال الثلاث دفعة فالطلاق السنى هو ان يكون فى طهر لم يجامعها فيه وان يرفق الثلاث فى الاطهار الثلاثة وأن يطلقها حاملا فانها اذا على طهر ممتد فتطليقها حلال وعلى وجه السنة والبدعى على وجوه ايضا منها أن يكون فى طهر جامع فيه لما فيه من تطلويل العدة ايضا على قول من يجعل العدة بالاطهار وهو الشافعى حيث ان بقية

الطهر لا تحتسب من العدة ومنها ما كان فى الحيض او النفاس لما فيه من تطيل العدة ايضا على قول من يجعل العدة بالحيض وهو ابو حنيفة رحمه الله لان بقية الحيض لا تحتسب الا أن مما لا يلزمها العدة بالقرآء فان طلاقها لا يتقيد بزمان دون زمان ومنها ما كان بجمع الثلاث اى ان يطلقها ثلاثا دفعة او فى طهر واحدة متفرقة ويقع الطلاق المخالف للسنة فى قول عامة الفقهاء وهو مسيئ بل آثم ولذا كان عمر رضى الله عنه لا يؤتى برجل طلق امرأته ثلاثا الا اوجعه ضربا وطلق رجل امرأته ثلاثا بين يديه عليه السلام فقال (اتلعبون بكتاب الله وانا بين اظهركم) اى مقيم بينكم وفيه اشارة الى ان ترك الأدب فى حضور الاكابر افحش ينبغى أن يصفع صاحبه اشد الصفع وقالالشافعى اللام فى لعدتهن متعلقة بطلقوهن لانها للتوقيت بمعنى عند أوفى فيكون المعنى فى الوقت الذى يصلح لعدتهن وهو الطهر وقال ابو حنيفة رحمه الله الطلاق فى الحيض ممنوع بالاجماع فلا يمكن جعلها للتوقيت فان قلت قوله اذا طلقتم النساء عام يتناول المدخول بهن وغير المدخول بهن من ذوات الاقرآء واليائسات والصغائر والحوامل

فكيف صح تخصيصه بذوات الاقرآء المدخول بهن قلت لا عموم ثمة ولا خصوص ولكن النساء اسم جنس للاناث من الانس وهذه الجنسية معنى قائم فى كلهن وفى بعضهن فجاز أل يراد بالنساء هذا وذاك فلما قيل فطلقوهن لعدتهن علم انه اطلق على بعضهن وهن المدخول بهن من المعتدات بالحيض فان قلت الطلاق موقوف على النكاح سابقا اولاحقا والنكاح موقوف على الرضى من المنكوحة او من وليها فيلزم أن يكون الطلاق موقوفا على الرضى بالنكاح وهو واقع غير باطل لا موقوفا على الرضى نفسه الى هو الباطل الغير الواقع فتكفر.

واعلم ان النكاح والطلاق امران شرعيان من الامور الشرعية العادية لهما حسن موقع وقبح موقع بحسب الاحوال والاوقات وقد طلق عليه السلام حفصة رضى الله عنه تطليقة واحدة رجعية كما سبق وكذا تزوج سودة بنت زمعة بمكة بعد موت خديجة رضى الله عنها وقبل العقد على عائشة رضى الله عنها ثم طلقها بالمدينة حين دخل عليها وهى تبكى على من قتل من اقاربها يوم بدر فاستشفعت الى النبى عليه السلام ووهبت

يومها لعائشة فراجعها فان قلت كيف فعل رسول الله ذلك وقد قال (ابغض الحلال الى الله الطلاق) وقال عليه السلام (يا معاذ ما خلق الله شيأ على وجه الارض احب اليه من العتاق خلق الله شيأ ابغض اليه من الطلاق) وذلك لان النكاح يؤدى الى الوصال والطلاق يؤدى الى الفراق والله يحب الوصال ويبغض الفراض لا شمس ليوم الفراق ولا ا لليلة القطيعة.

رابعه عدويه كفته كه كفر طعم فراق دارد وايمان لذت وصال.

وقس عليه الانكار والاقراره وآن طعم واين لذت فرادى قيامت بديد آيدكه دران صحراى هيبت وعرصه سياست قومى را كويند فراق لا وصال وقمى راكويند وصال لا نهاية له

سوختكان فراق همى كويند ... فراق او ززمانى هزار روز آرد

بلاى اوزشبى هم هزار سال كند ... افروختكان وصال همى كويند

سرابرده وصلت كشيد روزنواخت ... بطبل رحلت برزد فراق يار

دوال

وفى الحديث (تزوجوا ولا تطلقوا فان الطلاق يهتز منه العرش) وعنه عليه السلام (لا تطلقوا النساء الا من ريبة فان الله لا يحب الذواقين والذواقات) وعنه عليه السلام (ايما امرأة سألت زوجها طلاقا فى غير ما باس فحرام عليها رآئحة الجنة) قلت يحتمل أن يكون فى ذلك حكمة لا نطلع عيلها بعد ان علمنا انه عليه السلام نبي حق لا يصدر منه ما هو خلاف الحق وقد دل الحديث الآخر ان النهى انما يكون عما لاوجه فيه وأن يكون لاظهار جواز الطلاق والرجعة منه كما وجهوا بذلك ما وقع من غلبة النوم عليه وعلى اصحابه ليلة التعريس الى أن طلعت الشمس وارتفعت بمقدار فان بذلك علم شرعية القضاء وأن يصلى بالجماعة وأن يصدر منه عليه السلامالاحاديث المذكورة بعد ما وقع قضية حفصة وسودة رضى الله عنهما وان يكون من قبيل ترك الاولى وقد جوزوا ذلك للانبياء عليهم السلام فان قلت لعل ما فعله اولى من وجه وان كان ما امر الله به اولى من وجه آخر قلت لا شك ان ما امر الله به كان ارجح وترك الارجح ترك الاولى هذا ولعل ارجحية المراجعة فى وقت لا تقتضى

ارجحية ترك الطلاق على فعله فى وقت آخر لان فى كل وقت احتمال ارجحية امر الله اعلم.

يقول الفقير امده الله القدير ان النبى عليه السلام كان قد حبب اليه النساء لما يحب فى النكاح من ذوق القربة والوصلة فالنكاح اشارة الى مقام الجمع الذى هو مقام الاولوية كما دل عليه قوله عليه السلام (أرحمنى يا بلال) والطلاق اشارة الى مقام الفرق الذى هو مقام النبوة كما دل قوله عليه السلام (كلمينى يا حميرآء) فالاول وصل الفصل والثانى فصل الوصل وان كان عليه السلام قد جمع بين الفصل والوصل والفرق والجمع فى مقام واحد وهو جمع الجمع كما دل عليه قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك

{ واحصوا العدة } الاحصاء دانستن وشمردن برسبيل استقصاء . اى واضبطوها بحفظ الوقت الذى وقع فيه الطلاق واكملوها ثلاثة اقرآء كوامل لا نقصان فيهناى ثلاث حيض كما عند الحنفية لان الغرض من العدة استبرآء الرحم وكماله بالحيض الثلاث لا بالاطهار كما يغسل الشئ

ثلاث مرات لكمال الطهارة والمخاطب بالاحصاءهم الازواج لا الزوجات

ولا المسلمون ولا يلزم تفكيك الضمائر ولكن الزوجات داخلة فيه بالالحاق

وقال ابو الليث امرالرجال بحفظ العدة لان فى النساء غفلة فربما لا تحفظ

عدتها واليه مال الشفى حيث قال وشمار كنيد اى مردان عدت زنانرا كه

ايشان ازضبط عاجزند يا ازا حصاى آن غافل . فالزوج يحصى ليتمكن

من تفريق الطلاق على الاقرآء اذا أراد أن يطلق ثلاثا فان ارسال الثلاث

فى طهر واحد مكروه عن أبى حنيفة واصحابه وان كان لا بأس به

عند الشافعى وأتباعه حيث قال لا اعرف فى عدد الطلاق سنة ولا بدعة

وهو مباح وليعلم بقاء زمان الرجعة ليراجع ان حدثت له الرغبه فيها وليعلم

زمان وجوب الانفاق عليه وانقضائه وليعلم انها هل تستحق عليه أن

يسكنها فى البيت اوله أن يخرجها وليتمكن من الحاق نسب ولدها به

وقطعه عنه قالوا وعلى الرجال فى بعض المواضع العدة (منها انه اذا كان

للرجل اربع نسة فطلق احداهن لا يحل له أن يترووج بامرأة اخرى ما لم

تنقض عدتها ومنها انه اذا كان له امرأة ولها اخت فطلق امرأته لا يحل له

أن يتزوج باختها ما دامت فى العدة) ومنها انه اذا اشترى جارية لا يحل
له أن يقربها ما لم يستبرئها بحيضة (ومنها انه ان تزوج حربية لا يحل له أن
يقربها ما لم يتبرئها بحيضة ومنها انه اذا بلغ المرأة وفاة زوجها فاعتدت
وتزوجت وولدت ثم جاء زوجها الاول فهى امرأته لانها كانت منكوحته
ولم يعترض شئ من اسباب الفرقة فبقيت على النكاح السابق ولكن لا
يقربها حتى تنقضى عدتها من النكاح الثانى ووجوب العدة لا يتوقف على
صحة النكاح اذا وقع الدخول بل تجب العدة فى صورة النكاح الفاسد
ايضا على تقدير الدخول) ومنها انه اذا تزوج حربية مهاجرة الى دارا بأمان
وتركت زوجها فى دار الحرب فلا تحل له ما لم يستبرئها بحيضة عند الامامين
وقال ابو حنيفة لا يجب عليه العدة (ومنها انه اذا تزوج امرأة حاملا لا
يحل له ان يطأها حتى تضع الحمل) ومنها انه اذا تزوج بامرأة وهى حائض
لا يحل له ان يقربها حتى تتطهر من حيضها ومنها انه اذا تزوج بامرأة
نفساء لا يحل له ان يقربها حتى تتطهر من نفساها ومنها انه اذا زنى بامرأة
ثم تزوجها لا يحل له ان يقربها ما لم يستبرئها بحيضة

{ واتقوا الله ربكم } فى تطويل العدة عليهن والاضرار بهن بايقاع طلاق ثان بعد الرجعة فالامر بالتقوى متعلق بما قبله وفى وصفه تعالى بربوبيته لهم تأكيد للامر ومبالغة فى ايجاب الاتقاء والتقوى فى الاصل اتخاذ الوقاية وهى ما يقى الانسان مما يكرهه ويؤمل ان يحفظه ويحول بينه وبين ذلك المكروه كالترس ونحوه ثم استعير فى الشرع لاتخاذ ما يقى العبد بوعد الله ولطفه من قهره ويكون سببا لنجاته من المضار الدآئمة وحياته بالمنافع القائمة وللتقوى فضائل كثيرة ومن اتقى الله حق تقواه فى جميع المراتب كوشف بحقائق البيان فلا يقع له فى الاشياء شك ولا ريب

{ لا تخرجوهن } بيرون كنيد زنان مطلقه

{ من بيوتهن } من مساكنهن التى يسكنها قبل العدة اى لا تخرجوهن من مساكنكم عند الفراق الى ان تنقضى عدتهن وانما اضيفت اليهن مع انها لا زواجهن لتأكيد النهى ببيان كمال استحقاقهن لسكناها كأنها املاكهن وفى ذكر البيوت دون الدار اشارة الى ان اللازم على الزوج فى سكناهن ما تحصل المعيشة فيه لان الدار ما يشتمل البيوت

{ ولا يخرجن } ولو باذن منكم فان الاذن بالخروج فى حكم

الاخراج ولا اثر عندنا لاتفاقهما على الانتقال لان وجوب ملازمة مسكن

الفراق حق الشرع ولا يسقط باسقاط العبد كما قال فى الكشاف فان

قلت ما معنى الاخراج وخروجهن قلت معنى الاخراج اى لا يخرجهن

البعولة غضبا عليهن وكراهة لمساكنتهن او لحاجة لهم الى المساكن وان لا

يأذنوا فهن فى الخروج اذا طلبن ذلك ايذانا بأن اذنهم لا اثر له فى دفع

الحظر ولا يخرجن بأنفسهن ان اردن ذلك انتهى فان خرجت المعتدة لغير

ضرورة اوحاجة اثمت فان وقعت ضرورة بأن خافت هدما او حرقا لها ان

تخرج الى منزل آخر وذكل ان كانت لها حاجة من بيع غزل او شرآء قطن

فيجوز لها الخروج نهارا لا ليلا كما فى كشف الاسرار

{ الا ان يأتين بفاحشة مبينة } اى الزنى فيخرجن لاقامة الحد

عليهن ثم يعدن وبالفارسية مكر بيارند كردار ناخوش كه روشن كننده

حالزنان بود دربد كردارى.

وقال بعضهم مبينة هنا بالكسر لازم بمعنى بين متبينة كمين من الابانة بمعنى بين والفاحشة ما عظم قبحه من الافعال والاقوال وهو الزنى فى هذا المقام

وقيل البذآء بالمد وهو القول القبيح واطالة اللسان فانه فى حكم النشور فى اسقاط حقهن فالمعنى الا ان يبذون على الازواج واقاربهم كالأب والأخ فيحل حينئذ اخراجهن وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو كل معصية وهو استثناء من الاول اى لا تخرجوهن فى حال من الاحوا لالا حال كونهن آتيان بفاحشة او من الثانى للمبالغة فى النهى عن الخروج ببيان ان خروجها فاحشة اى لا يخرجن الا اذا ارتكبن الفاحشة بالخروج يعنى ان من خرجت اتت بفاحشة كما يقال لا تكذب لا ان تكون فاسقايعنى ان تكذب تكن فاسقا

{ وتلك } الاحكام

{ حدود الله } الى عينها لعباده والحد الحاجز بين الشيئين الذى يمنع اختلاط احدهما بالآخر

{ ومن يتعد } اصله يتعدى فحذفت اللام بمن الشرطية وهو من التعدى المتعدى بمعنى التجاوز أى ومن يتجاوز

{ حدود الله } حدوده المذكورة بأن أخل بشيء منها على ان الاظهار فى حيز الاضمار لتهويل امر التعدى والاشعار بعلية الحكم فى قوله تعالى

{ فقد ظلم نفسه } اى اضرها قال البقلى قدس سره ان الله حد الحدود بأوامره ونواهيه لنجاة سلاكها فاذا تجاوزوا عن حدوده يسقطون عن طريق الحق ويضلون فى ظلمات البعد وهذا اعظم الظلم على النفوس اذ منعوها من وصولها الى الدرجات والقبى

قال بعضهم التهاون بالامر من قلة المعرفة بالآمر فلا بد من الخوف او الرجاء او الحياء او العصمة فى علم الله فهى اسباب اربعة لا

خامس لها حافظة من الوقوع فيما لا ينبغى فمن ليس له واحد من هذه الاسباب وقد وقع فى المعصية وظلم النفس فالكامل يعطى نفسه حقها ظاهرا وباطنا ولا يظلمها (حكى) ان معروف الكرخى قدس سره رأى جارية من الحور العين فقال لمن انت يا جارية فقالت لمن لا يشرب الماء المبرد فى الكيزان وكان قد برد له كوز ماء لشربه فتناولت الحورآء الكوز فضربت به الارض فكسرته قال السرى السقطى رحمه الله ولقد رأيت قطعه فى الارض لم ترفع حتى عفا عليها التراب فكانت الحورآء لمعروف حين امتنع من شرب الماء المبرد وكانت جزآء له فى اعطائه نفسه حقها فان فى جسده من يطلب ضد الجارية ونحوها فلا بد من اعطاء كل ذى حق حقه

لا تدرى تعليل لمضمون الشرطية اى فانك ايها المتعدى لا تدرى عاقبة الامر وقال بعضهم لا تدرى نفس { لعل الله } شايد خدى تعالى

{ يحدث } يوجد فى قلبك فان القلوب بين اصبعين من اصابع الله يقلبها كيف يشاء والحدوث كون الشئ بعد ان لم يكن عرضا كان ذلك او جوهرا او احداثه ايجاده

{ بعد ذلك } الذى فعلت من التعدى

{ امرا } يقتضى خلاف ما فعلته فيبدل ببغضها محبة وبالاعراض عنها اقبالا اليها ولا يتسنى تلافيه برجعة او استئناف نكاح فالامر الذى يحدث الله تعالى ان يقلب قلبه عما فعله بالتعدى الى خلافه فالظلم عبارة عن ضرر دنيوى يلحقه بسبب تعديه ولا يمكن تداركه او عن مطلق الضرر الشامل للدنيوى والاخروى ويخص التعليل بالدنيوى ليكون احتراز الناس منه اشد واهتمامهم بدفعه اقوى وفى الآية دلالة على كراهة التطليق ثلاثة بمرة واحدة لان احداث الرجعة لا يكون بعد الثلاث ففى الثلاث عون للشيطان وفى تركها رغم له فان الطلاق من اهم مقاصده كما روى مسلم من حديث جابر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول

(ان عرش ابليس على البحر فيبعث سراياه) اى جنوده واعوانه من الشياطين (فيفتنون الناس فاظمهم عنده الاعظم فتنة يجيئ احدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيأ ثم يجيئ احدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته فيدينه منه ويقول نعم انت اى نعم المضل او الشرير) انت فيكون نعم بكسر النون فعل مدح حذفا لمخصوص به او نعم انت ذاك الذى يستحق الاكرام فيكون بفتح النون حرف ايجاب.

٢

{ فاذا بلغن } بس جون برسدزنان

{ اجلهن } اى شارفن آخر عدتهن وهى مضى ثلاث حيض ولو لم تغتسل من الحيضة الثالثة وذلك لانه لا يمكن الرجعة بعد بلوغهن آخر العدة فحمل البلوغ على المشارفة كما قال فى المفردات البلوغ والبلاغ الانتهاء الى اقصى القصد والمبتغى مكانا كان او زمانا او أمرا من الامور

المقدرة وربما يعبر به عن المشارفة عليه وان لم ينته اليه مثل فاذا بلغن الخ فانه للمشارفة فانها اذا انتهت الى اقصى الاجل لا يصح للزوج مراجعتها وامساكها والاجل المدة المضروبة للشئ

{ فأمسكوهن } اى فأنتم بالخيار فان شئتم فراجعوهن والرجعة عند ابى حنيفة تحصل بالقول وكذا بالوطئ واللمس والنظر الى الفرج بشهودة فيهما

{ بمعروف } بحسن معاشرة وانفاق لائق وفى الحديث (اكمل المؤمنين احسنهم حلقا وألطفهم بأهله) (او فارقوهن) يا جدا شويد از ايشان وبكذاريد

{ بمعروف } بايفاء الحق واتقاء الضرار بأن يراجعها ثم يطلقها تطويلا للعدة

{ وأشهدوا } كواه كيريد.

اى عند الرجعة والفرقة قطعا للتنازع اذ قد تنكر المرأة بعد انقضاء العدة رجعته فيما وربما يموت احدهما بعد الفرقة فيدعى الباقى منهما ثبوت الزوجية لاخذ الميراث وهذا امر ندب لا وجوب

{ ذوى عدل } تثنية ذا منصوب ذو بمعنى الصاحب اى أشهدوا اثنين رمنكمؤ اى من المسلمين كما قال الحسن او من احراركم كما قاله قتادة يكونان عادلين لا ظالمين ولا فاسقين والعدالة هى الاجتناب عن الكبائر كلها وعدم الاصرار على الصغائر وغلبة الحسنات على السيئات والالمام من غير اصرار لا يقدح فى العدالة اذ لا يوجد من البشر من هو معصوم سوى الانبياء عليهم السلام كذا فى الفروع

{ واقيموا الشهادة } ايها الشهود عند الحاجة خالصة

{ لله } تعالى وذلك ان يقيموها للمشهود له وعليه الغراض من الاغراض سوى اقامة الحق ودفع الظلم فلو شهد لغرض لا لله برئ بها من وبال كتم الشهادة لكن لا يثاب عليها لان الاعمال بالنبيات والحاصل ان

الشهادة امانة فلا بد من تأدية الامانة كما قال تعالى ان الله يأمركم ان تؤدوا الأمانات الى اهلها فلو كتمها فقد خان والخيانة من الكبائر دل عليه قوله تعالى ومن يكتمها فانه آثم قلبه

{ ذلكم } اشارة الى الحث على الشهادة والاقامة او على جميع ما فى الآية من ايقاع الطلاق على وجه السنة واحصاء العدة والكف عن الاخراج والخروج والاشهاد واقامة الشهادة بادآئها على وجهها من غير تبديل وتغيير

{ يوعظ به } الوعظ زجر يقترن بتخويف

{ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر } اذ هو المنتفع به والمقصود تذكيره ولم يقل ذلكم توعظون به كما فى سورة المجادلة لتهييج المؤمنين على الغيرة فان من لا غيرة له لا دين له ومن مقتضى الايمان بالله مراعاة حقوق المعبودية والربوبية وباليوم الآخر الخوف من الحساب والعذب والرجاء للفضل والثواب فالمؤمن بهما يستحيي من الخالق والخلق فلا يترك العمل

بما وعظ به ودلت الآية على ان للانسان يومين اليوم الاول هو يوم الدنيا

واليوم الآخر هو يوم الآخرة واليوم عرفا زمان طلوع الشمس الى غروبها

وشرعا زمان طلوع الفجر الثانى الى غروب الشمس وهذان المعنيان ليسا

بمرادين هنا وهو ظاهر فيكون المراد مطلق الزمان ليلا او نهارا طويلا

كان او قصيرا وذلك الزمان اما محدود وهو زمان الدنيا المراد

باليوم الاول او غير محدود وهو زمان الآخرة المراد باليوم الآخر الذى لا

آخر له لتأخيره عن يوم الدنيا وجوزوا ان يكون المراد من اليوم الآخر ما

يكون محدود ايضا من وقت النشور الى ان يستقر الفريقان مقرهما من الجنة

والنار فعلى هذا يمكن ان يكونا مستعارين من اليومين المحدودين بالطلوع

والغروب اللذين بينهما زمان نوم ورقدة ويراد بما بين ذينك الزمانين زمان

القرار فى القبول قبل النشور كما قال تعالى حكاية من بعثنا من مرقدنا

وعلى هذا يقال ليوم الآخرة عند كما مر فى اواخر سورة الحشر قال بعض

الكبارعلمك باليقظة بعد النوم وعلمك بالبعث بعد الموت والبرزخ واحد

غير ان للبرزخ بالجسم تعلقا فى النوم لا يكون بالموت وكما تستيقظ على

ما نمت عليه كذلك تبعث على ما مت عليه فهو امر مستقر فالعاقل يسعى فى اليوم المنقطع اليوم لا ينقطع ويحيي على الايمان والعمل ليكون موته ونشره عليهما

{ ومن يتق الله } فى طلاق البدعة فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط فى الاشهاد وغيره من الامور

{ يجعل له مخرجا } مصدر ميمى اى خروجا وخلاصا مما عسى يقع فى شأن الازواج من الغموم والوقوع فى المضايق ويفرج عنه ما يعتريه من الكروب وبالفارسيةبيرون شدن.

وقال بعضهم هو عام اى ومن يتق الله فى كل ما يأتى وما يذر يجعل له خروجا من كل ضيق يشوش البال ويكدر الحال وخلاصا من غموم الدنيا والآخرة فيندرج فيه ما نحن فيه اندراجا وليا وعن النبى عليه السلام انه قرأها فقال (مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدآئد يوم القيامة) وفى الجلالين (من الشدة الى الرخاء ومن الحرام الى

الحلال ومن النار الى الجنة) او اسم مكان بمعنى يخرجه الى مكان يستريح

فيه وفى فتح الرحمن يجعل له مخرجا الى الرجعة وعن ابن عباس رضى الله

عنهما انه سئل عمن طلق امرأته ثلاثا او ألفا هل له من مخرج فقال لم يتق

الله فلم يجعل له مخرجا بانت منه بثلاث والزيادة اثم فى عنقه ويقال المخرج

على وجهين احدهما ان يخرجه من تلك الشدة والثانى ان يكرمه بالرضى

والصبر فانه من قبيل العافية ايضا كما قال عليه السلام

(واسأل الله العافية من كل بلية) فالعافية على وجهين احدهما ان

يسأله أن يعافيه من كل شئ فيه شدة فان الشدة انما يحل اكثرها من اجل

الذنوب فكأنه سأل ان يعافيه من البلاء ويعفو عنه الذنوب التى من اجلها

تحل الشدة بالنفس والثانى انه اذا حل بلاء ان لا يكله الى نفسه ولا يخذله

وان يكلأه ويرعاه وفى هذه المرتبة يصبر البلاء ولاء والمحنة منحة والمقت

مقة والألم لذة والصبر شكرا ولا يتحقق بها الا الكمل.

٣

{ ويزرقه } بعد ذلك الجعل

{ من حيث لا يحتسب } من ابتدآئيه متعلقة بيرزقه اى من وجه لا يخطره بباله ولا يحتسبه فيوفى المهر ويؤدى الحقوق ويعطى النفقات قال فى عين المعانى من حيث لا يرتقب من الخاون او يعتد من الحساب

از سببها بكذر وتقوى طلب ... تاخدا روزى رساند بى سبب

حق رجابى بحشدت رزق حلال ... كه نباشد در كمان ودر خيال

وقال عليه السلم (انى لاعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله) فما زال يقرأها ويعيدها وعنه عليه السلام من اكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب (وروى) ان عوف بن مالك الاشجعى رحمه الله اسر المشركون انه سالما فأتى رسول الله فقال اسر ابنى وشكا اليه الفاقة فقال عليه السلام اتق الله واكثر لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ففعل فبينما هو فى بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل غفل عنها العدو فاستقاها

فنزلت(وقال الكاشفى) عوف بازن خود بقول حضرت عليه السلام عم نمودند ابدك فرصتى رابسر عوف ازاهل شرك خلاص يافته وجهار هزار كوسفند ايشانرا رانده بسلامت بمدينه آمد واين آيت نزل شدكه هركه تقوى ورزد روزى حلال يابد.

وفى عين المعانى فأفلت ابنه بأربعة آلاف شاة وبالامتعة وفى الجلالين واصاب ابلا لهم وغنما فساقها الى ابيه.

آورده اندكه درروز كار خلافت عمر رضى الله عنه مردى بيامد وازعمر توليت عمل خواست تادر ديوان خلافت عاملباشد عمر كفت قرآن دانى كفت ندانم كه نيا موخته ام عمر كفت ما عمل بكسى ندهيم كه قرآن نداند مردباز كشت وجهدى وربح عظيم برخود نهاد در تعلم قرآن بطمع آنكه عمر اورا عمل دهد جون قرآن بيا موخت ويدد كرفت بركات قرآن وخواندن ودانستن اورا بدان جاى رسانيدكه دردل وى نه حرص ولايت ماندنه تقاضاى دبدار عمر بس روزى عمر اورا ديد كفت يا هذا هجرتنا اى جوانمرد جه افتاد كه بيكبار كى هجرت ما اختيار

كردى كفت يا امير المؤمنين نونه اران مردان باشى كه كسى وادارد كه
هجرت تواخيار كند ليكن قرآنبياموختم وجنان توانكردل كشتم كه از خلق
واز عمل بى نياز شدم عمر كفت آن كدام آيت است كه ترابدن دركاه
بى نيازى دركشيد كفت آن آيت كه درسورة الطلاق است

{ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب } وعلم
ان كل واحد من الضيق والرزق يكون دنيويا واخرويا جسمانيا وروحانيا
وان أعسر الضيق ما يكون اخرويا واوفر الرزق ما يكون روحانيا فمن يتق
الله حق التقوى يجعل له مخرجا من مضار الدارين ويرزقه من منافعهما فان
قيل أن أتقى الاتقياء هم الانبياء والاولياء مع ان اكثرهم ابتلى بالمشقة
الشديدة والفاقة المديدة كما قال عليه السلام

(اشد الناس بلاء الانبياء والاولياء ثم الامثل فالامثل) اجيب بأن
اشد الشدة وامد المدة ما يكون خرويا وهم مأمونون من ذلك بلطف الله
وكرمه الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون

واما ما ما اصابهم فى الدنيا باختيارهم للأجر الجليل وبغير اختبار للصبر الجميل فله غاية حميدة ومنفعة عظيمة والله عليم حكيم بفعل ما يشاء ويحكم ما يريد

قال بعضهم شكا اليه عيله السلام بعض الصحابة الفاقة فقول عليه السلام (دم على الطهارة يوسع عليك الرزق) فقال كم من مستديم للطهارة لا رتب له كفايته فضلا عن أن يوسع عليه ويوحه بأن تخلف الأكالتوسيع مثل لمانع لا ينافى الاقتضاء اى اقتضاء العلة لمعلولها واثرها اما عند القائلين بتخصيص العلة فظاهر

واما عند غيرهم فيجعل عدم المانع جزء العلة ومن المانع الغفلة وغلبة بعض الجنايات وعند غلبة احد الضدين لا يبقى للآخر تأثير.

يقول الفقير والذى يقع فى قلبى ان اصحاب الطهارة الدآئمة مرزوقون بأنواع ارزق المعنوى والغذآه الروحانى من العلوم والمعارف والحكم والحقائق والتضييق لبعضهم فى الرزق الصورى والغذآء الجسمانى انما هو

لتطبيق الفقر الظاهر بالباطن والفقر الباطن هو الغنى المطلق لقوله عليه السلام اللهم أغنى بالافتقار اليك فأصحاب الطهارة الدآئمة مرزوقون ابدا اما ظاهرا وباطنا معا

واما باطنا فقط على ان لاهلها مراتب من حيث البداية والنهاية ولن ترى من اهل النهاية محروما من الرزق مطلقا الا نادرا والله الغنى وفى التأويلات النجمية ومن يتق الله اى يجعل ذاته الملطقة جنة ذاته وصفاته وافعاله تعالى جنة افعاله باضافة الاشياء كلها خلقا وايجادا الى ذاته وصفاته وافعاله يجعل له مخرجا من مضايق ذاته وصفاته وافعاله الى وسائع ذاته وصفاته وافعاله ويرزقه من حيث لا يحتسب من فيض اسمه الوهاب على طريق الوهب لا على طريق الكسب والاجتهاد

{ ومن يتوكل على الله } التوكل سكون القلب فى كل موجود ومفقود وقطع القلب عن كل علاقة والتعلق بالله فى جميع الاحوال

{ فهو } اى الله تعالى

{ حسبه } بمعنى محسب اى كاف يعنى كافى المتوكل فى جميع اموره ومعطيه حتى يقول حسبى فان قلت اذا كان حكم الله فى الرزق لا يتغير فما معنى التوكل قلتمعناه ان المتوكل يكون فارغ القلب ساكن الجاش غير كاره لحكم الله فلهذا كان التوكل محمدوا قال عليه السلام (لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا)

ومعناه تذهب اول النهار خماصا اى ضامرة البطون من الجوع وترجع آخر النهار بطانا اى ممتلئة البطون وليس فى الحديث دلالة على القعود على الكسب بل فيه ما يدل على طلب الرزق وهو قوله تغدو تروح وانما التوكل بعد الحركة فى امر المعاش كتوكل الزارع بعد القاء الحب فى الارض وكان السلف يقولون اتجرون واكتسبو فانكم فى زمان اذا احتاج احدكم كان اول ما يأكل دينه وربما رأوا رجلا فى جماعة جنازة فقالوا له اذهب الى دكانك (وفى المثنوى)

كر توكل ميكنى دركاركن ... كشت كن بس تكيه بر جباركن

رزمز الكاسب حبيب الله شنو ... از توكل درسبب كاهل مشو

واما الذين قعدوا عن الحركة والكسب وهم الكمل فطريقتهم صعبة لا يسلكها كل ضامر فى الدين ودل الحديث المذكور على ان التوكل الحقيقى ان لا يرجع المتوكل الى رزق معين وغذآء موظف كالطير حتى لا ينتقض التوكل اللهم الا ان يكون من الكمل فان المعين وغيره سوآء عنده لتعلق قلوبهم بالله لا بغيره وفى التأويلات النجمية ومن يتوكل فى رزق نفسه من الاحكام الشرعية وفى رزق قلبه من الواردات القلبية وفى رزق روحه من العطايا والمنح الالهية الروحانية فالله الاسم الاعظم حسبه من حيث الاسماء الكافية او التوكل نفسه حسبه فيكون الضمير راجعا الى التوكل

{ ان الله بالغ امره } بالاضافة اى منفذ امره ومتم مراده وممضى قضائه فى خلقه فيمن توكل عليه وفيمن لم يتوكل عليه الا ان من توكل عليه يكفر عنه شيئاته ويعظم له اجرا وفى التأويلات النجمية ان الله بالغ امره فى كل مأمور بما هو منتهاه واقصاه وقرئ بتنوين بالغ ونصب امره اى يبلغ ما يريد ولا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب (كما

قال الكاشفى) رساننده است كار خودرا بهر جاخواهد يعنى آنجه مراد حق سبحانه باشد از وفوت نشود.

وقرئ بالغ امره على الفاعلية اى نافذ امره وفى القاموس امر الله بلغ اى بالغ نافذ يبلغ اين اريد به

{ قد جعل الله لكل شئ } من الشدة والرخاء والفقر والغنى والموت والحياة ونحو ذلك

{ قدرا } اى تقديرا متعلقا بنفس ذاته وبزمانه وقومه وبجميع كيفياته واوصافه وانه بالغ ذلك المقدر على حب ما قدره وبالفارسية اندازه كه ازان درنكذرداو.

مقدارا وحدا معينا او وقتا واجلا ونهاية ينتهى اليه لا يتقدم عليه ولا يتأخر عنه ولا يتأتى تغييره يعنى بامقدارى از زمانكه بيش وبس نيقتد وفى التأويلات النجميةاى رتبة وكما لا يليق بذلك الشئ وقال القاشانى ومن يتوكل على الله بقطع النظر عن الوسائط والانقطاع اليه من الوسائل

فهو كافيه يوصل اليه ما قدر له ويسوق اليه ما قسم لاجله من انصبة الدنيا والآخرة ان الله يبلغ ما أراد من امره لا مانع له ولا عائق فمن تيقن ذلك ما خاف احدا ولا رجا وفوض امره اليه ونجا قد عين الله لكل امر حدا معينا ووقتا معينا فى الازل لا يزيد بسعى ساع ولا ينتقص بمنع مانع وتقصير مقصر ولا يتأخر عن وقته ولا يتقدم عليه والمتيقن لهذا الشاهد له متوكل بالحقيقة انتهى وفى المفردات تقدير الله الاشياء على وجهين احدهما باعطاء القدرة والثانى أن يجعلها علت مقدار مخصوص ووجه مخصوص حسبما اقتضت الحكمة وذلك ان فعل الله ضربان ضرب اوجده بالفعل ومعنى ايجاده بالفعل انه ابدعه كاملا دفعة لا يعتريه الكون والفساد الى ان يشاء ان يغنيه او يبدله كالسموات وما فى فيها ومنه ما جعل اصوله موجودة بالفعل واجزائه بالقوة وقدره على وجه لا يتأتى غير ما قدر فيه كتقديره فى النواة ان ينبت منها النخل دون التفاح والزيتون وتقدير منى الآدمى ان يكون منه الانسان دون سائر الحيوان فتقدير الله

على وجهين احدهما بالحكم منه ان يكون كذا ولا يكون كذا اما على سبيل الوجوب

واما على سبيل الامكان وعلى ذلك قوله تعالى قد جعل الله لك شئ قدرا والثانى باعطاء القدرة عليه انتهى والآية بيان لوجوب التوكل عليه وتفويض الامر اليه لانه اذا علم ان كل شئ من الرزق وغيره لا يكون الا بتقدير الله وتوقيته لا يبقى الا التسليم للقدر والتوكل (قال الكاشفى) بناى اين آيت برتقوى وتوكلست تقوى نفحه بوستان قربست واز رتبه معيت خبر دهدكه ان الله مع الذين اتقوا وتوكل رائحه كلزار كفايتست واز بوى ريحان محبت رسدكه ان الله يحب المتوكلين وبى اين دوصفت قدم در طريق تحقيق نتوان نهاد

سلوك راه معنى راتوكل بايد وتقوى ... توكل مركب راهست وتقوى توشه رهرو

قال سهل قدس سره لا يصح التوكل الا للمتقين ولا تتم التقوى

الا بالتوكل ولذلك قرن الله بينهما فقال ومن يتق الله الخ وقال بعضهم من

تحقق فى التقوى هون الله على قلبه الاعراض عن الدنيا ويسر له امره فى

الاقبال عليه والتزين بخدمته وجعله اماما لخلقه يقتدى به اهل الارادة

فيحملهم على اوضح السنن واوضح المناهج وهو الاعراض عن الدجنيا

والاقبال على الله تعالى وذلك منزلة المتقين وقال سهل رحمه الله من يكل

اموره الى ربه فان الله يكفيه هم الدارين اجمع قال الربيع رحمه الله ان الله

قضى على نفسه ان من توكل عليه كفاه ومن آمن به هداه ومن اقرضه

جازاه ومن وثق به انجاه ومن دعاه اتاه وتصديق ذلك فى كتاب الله ومن

يتوكل على الله فهو حسبه ومن يؤمن بالله يهد قلبه من ذا الذى يقرض

الله قرضا حسنا فيضاعفه له ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم

أجيب دعوة الداعى اذا دعان.

٤

{ واللائى } من الموصولات جمع التى يعنى آن زنان كه

{ يئسن من المحيض من نسائكم } اللاتى دخلتم بهن لكبرهن ويبسهن وقدروه بستين سنة وبخمس وخمسين فلو رأته بعد ذلك لا يكون حيضا قوله يئسن فعل ماض واليأس القنوط ضد الرجاء يقال يئس من مراده ييأس يأسا وفى معناه أيس يأيس يأسا واياسا لا ايساً وفاعلهما آيس لا يائس يقال امرأة آيس اذا كان يأسها من الحيض دون آيسة لان التاء انما زيدت فى المؤنث اذا استعلمت الكلمة للمذكر ايضا فرقا بينهما واذا لم تستعمل له فأى حاجة الى الزيادة ومن ذلك يقال امرأة حائض وطالق وحامل بلا تاء اذا كان حملها من الولد

واما اذا كان يأسها وحملها من غير الحيض وحمل الولد يقال آيسة وحاملة وفى المغرب اليأس انقطاع الرجاء

واما الا ياس فى مصدر الآيسة من الحيض فهو فى الاصل ايئاس على افعال حذفت منه الهمزة التى هى عين الكلمة تخفيفا والمحيض الحيض وهو فى اللغة مصدر حاضت الانثى فهى حائض وحائضة اى خرج الدم من قبلها ويكون للأرنب والضبع والخفاش كام ذكره الحاحظ وفى القاموس

حاضت المرأة تحيض حيضا ومحيضا ومحاضا فهى حائض وحائضا من حوآئض وحيض سال دمها والمحيض اسم ومصدر قيل ومنه الحوض لان الماء يسيل اليه والحيضة المرة انتهى وفى الشرع دم ينفضه رحم امرأة بالغة لاداء بها ولا اياس لها اى يجعلها الشارع منقطعة الرجاء عن رؤية الدم ومن الاولى لابتدآء الغاية ومتعلقة بالفعل قبلها والثانية للتبيين ومتعلقة بمحذوف

{ ان ارتبتم } من الارتياب بالفارسية بشك شدن.

اى شككتم واشكل عليكم حكمهن لانقطاع دمهن بكبر السن وجهلتم كيف عدتهن

{ فعدتهن ثلاثة اشهر } فقوله واللائى يئسن الخ مبتدأ خبره فعدتهن وقوله ان ارتبتم اعتراض وجواب الشرط محذوف اى ارتبتم فيه فاعلموا انها ثلاثة أشهر كذا قالوا والأشهر جمع شهر وهو مدة معروفة مشهورة باهلال الهلالك او باعتبار جزء من اثنى عشر جزأ من دوران

الشمس من نقطة الى تلك النقطة قال فى القاموس الشهر العدد المعروف من الايام لانه يشهر بالقمر

{ واللآئى } وآن زنان كه

{ لم يحضن } اى ما رأين الدم لصغرهن اى فعدتهن ايضا كذلك فحذف ثقة بدلالة ما قبله عليه والشابة التى كانت تحيض فارتفع حيضها بعذر من الاعذار قبل بلوغها سن الآيسات فعند أبي حنيفة والشافعى لا تنقضى عدتها حتى يعادوها الدم فتعتد بثلاثة اقرآء او تبلغ سن الآيسات فتعتد بثلاثة اشهر وضع السجاوندى الطاء الدالة على الوقف الملطق على وضعه وقانونه فى لم يحضن لانقطاعه عما بعده وكان الظاهر أن يضع الميم الدالة على اللازم لان المتبادر الاتصال الموهم معنى فاسدا العله نظر الى ظهور عدم حمل التى لم تحض لغصرها

{ وأولات الاحمال } واحدتها ذات بمعنى صاحبة والاحمال جمع حمل بالفتح بالفارسية بار.

والمراد الحبل الى الثقل المحمول فى الباطن وهو الولد فى البطن والمعنى وذوات الاحمال من النساء والحبالى منهن

{ اجلهن } اى منتهى عدتهن

{ أن يضعن حملهن } سوآء كن مطلقات او متوفى عنهن ازواجهن فلو وضعت المرأة حملها اى ولدت وحطت ما فى بطنها يعنى ازبالا بزير آورد.

بعد طلاق الزوج او وفاته بلحظة انقضت عدتها وحلت للازواج فكيف بعد ساعة او يوم او شهر وقد نسخ به عموم قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بأنفسهن اربعة اشهر وعشرا لتراخى نزوله عن ذلك وقد صح ان سبيعة بنت الحارث الاسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله عليه السلامفقال (قد حللت فتزوجى)

{ ومن يتق الله } فى شأن الحكامه وحقوق

{ يجعل له من امره يسرا } اى يسهل عليه امره ويوفقه للخير ويعصمه من لمعاصى والشر بسبب التقوى فمن للبيان قدم على المبين للفواصل او بمعنى فى

٥

{ ذلك } المذكور من الاحكام وافراد الكاف مع ان الخطاب للجمع كما يفصح عنه ما بعده لما انها لمجرد الفرق بين الحاضر والمنقضى لا للتعيين خصوصية المخاطبين

{ امر الله } حكمه الشرعى

{ انزله } من اللوح المحفوظ

{ اليكم } الى جانبكم وقال ابو الليث انزله فى القرآن على نبيكم لتستعدوا للعمل به فاياكم ومخالفته

{ ومن يتق الله } بالمحافظة على احكامه

{ يكفر عنه سيئاته } يسترها لرضاه عنه باتقانه وبالفارسية بيوشد خدى تعالى از وبديهاى ويرا.

وربما يبدلها حسنات

{ ويعظم له اجرا } بالمضاعفة وبالفارسية وبزرك ساز دبراى او مزدرا يعنى اورامزد زياده دهدر آخر.

قال بعضهم يعطيه اجرا عظيما اى اجر كان ولذلك نكر فالتنكير للتعميم المنبئ عن التتميم قال فى برهان القرآن امر بالتقوى فى احكام الطلاق ثلاث مرات وعد فى كل مرة نوعا من الجزآء فقال اولا يجعل له مخرجا يخرجه مما دخل فيه وهو يكرهه ويهيئ له محبوبه من حيث لا يأمل وقال فى الثانى يسهل عليه الصعب من امره ويفتح له خيرا من طلقها والثالث وعد عليه الجزآء بأفضل الجزاء وهو ما يكون فى الآخرة من النعماء.

٦

{ أسكنوهن من حيث سكنتم } استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ مما قبله من الحث على التقوى كانه قيل كيف نعمل بالتقوى فى شان المعتدات فقيل اسكنوهن من حيث سكنتم اى بعض مكان سكناكم والخطاب للمؤمنين المطلقين

{ من وجدكم } اى من وسعكم اى مما تطيقونه يعنى مسكن ايان بقدر طاقت وتواناى خويش سازيد والوجد القدرة والغنى يقال افتقر فلان بعد وجده وهو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسير له وفى عين المعانى ومن لتبيين الجنس لما فى حيث من الابهام انتهى واعترض عليه ابو حيان بأنه لم يعهد فى عطف البيان اعادة العامل انما عهد ذلك فى البدل فالوجه جعله بدلا قال قتادة ان لم يكن الا بيت واحد اسكنها فى بعض جوانبه قال صاحب اللباب ان كانت الدار التى طلبها فيها ملكه يجيب عليهأن يخرج منها ويترك الدار لها مدة عدتها وان كانت باجرة فعليه

الاجرة وان كانت عارية فرجع المعير فعليه ان يكترى لها دارا تسكنها قال فى كشف الاسرار

واما المعتدة من وطئ الشبهة والمفسوخ نكاحها بعيب او خيار عتق فلا سكنى لها ولا نفقة وان كانت حاملا

{ ولا تضاروهن } اى ولا تقصدوا عليهن الضرر فى السكنى بأى وجه كان فان المفاعلة قد لا تكون للمشاركة وبالفارسية ورنج مرسانيد مطلقات را

{ لتضيقوا عليهن } فى المسكن ببعض الاسباب من انزال من لا يوافقهن او يشغل مكانهن او غير ذلك وتلجئوهن الى الخروج وبالفارسية براى آنكه تنك كردانيد برايشان مساكن ايشان.

وفيه حث المروءة والمرحمة ودلالة على رعاية الحق السابق حتى يتيسر لها لاتدارك فى امر المعيشة من تزوج آخر أو غيره

{ وان كن } اى المطلقات

{ اولات حمل } ذوات حبل وبالفارسية خدواندبار.

يعنى حاملة واولات منسوب بالكسر على قانون جمع المؤنث وتنوين حمل للتعميم يعنى اى حمل كان قريب الوضع او بعيده

{ فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن } فيخرجن من العدة وتتخلصوا من كلفة الاحصاء ويحل لهن زوج غيركم ايا شئن فالبائن بالطلاق اذا كانت حاملا لها النفقة والسكنى بالانفاق

واما البائن الحائل اى غير الحامل فتستحق النفقة والسكنى عند أبي حنيفة كالحامل الى أن تنقضى عدتها بالحيض او بالاشهر خلافا للثلاثة

واما المتوفى عنهن ازواجهن فلا نفقة لهن من التركة ولا سكنى بل تعتد حيث تشاء وان كن اولات حمل لوقوع الاجماع على ان من اجبر الرجل على النفقة عليه من امرأة او ولد صغير لا يجب أن ينفق عليه من ماله بعد موته فكذا المتوفى عنها الحامل وهو قول الاكثرين قال ابو

حنيفة تجب النفقة والسكنى لكل مطلقة سوآء كانت مطلقة بثلاث او واحدة رجعية او بائنة ما دامت على العدة اما المطلقة الرجعية فلانها منكوحة كما كانت وانما يزول النكاح بمضى العدة وكونه فى معرض الزوال بمضى العدة لا يسقط نفقتها كما لو آلى وعلق طلاقها بمضى شهر فالمطلقة الرجعية لها النقة والسكنى بالاجماع

واما المبتوتة فعندنا لها النفقة والسكنى ما دامت فى العدة لقوله تعالى اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم اذا المعنى اسكنوا المعتدات مكانا من المواتضع التى تسكنونها وأنفقوا عليهن فى العدة من سعتكم لما قرأ ابن مسعود رضى الله عنه اسكنوهن من حيث سكنتم وأنفقوا عليهن من وجدكم وعند الشافى علها السكنى لهذه الآية ولا نفقة لها الا أن تكون حاملا لقوله تعالى وان كن اولات حمل الخ فان قلت فاذا كانت كل مطلقة عندكم يجب لها النفقة فما فائدة الشرط فى قوله وان كن اولات حمل الخ قلت فائدته ان مدة الحمل ربما طالبت فظن ظان ان النفقة تسقط اذا مضى مقدار عدة الحامل فنفى ذلك الوهم كما فى الكشاف

{ فان أرضعن لكم } الرضاع لغة شرب اللبن من الضرع او الثدى وشريعة شرب الطف حقيقة او حكما للبن خالص او مختلفط غالبا من آدمية فى وقت مخصوص والارضاع شيردادن يعنى هؤلاء المطلقات ان ارضعن لكم ولدا من غيرهن او منهن بعد انقطاع عصمة الزوجية وعلاقة النكاح قال لكم ولم يقل اولادكم لما قال تعالىوالوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة فالاب يجب عليه ارضاع الولد دون الام وعليه أن يتخذ له ظئزالا اذا تطوعت الام بارضاعه وهى مندوبة الى ذلك ولا تجبر عليه ولا يجوز استئجار الام عند أبي حنيفة رحمه الله ما دامت زوجة معتدة من نكاح

{ فآتوهن اجورهن } على الارضاع ان طلبن او رجون فان حكمهن فى ذلك حكم الاظئآر حينئذ قال فى اللباب فان طلقها فلا يجب عليها الارضاع الا أن لا يقبل الولد ثدى غيرها فيلزمها حينئذ فان اختلفا فى الاجر فان دعت الى اجرة المثل وامتنع الأب الا تبرعا فالام اولى بأجر المثل اذ لا يجد الأب متبرعة وان دعا الأب على اجر المثل وامتنعت

الام لتطلب شططا فالأب اولى به فان اعسر الأب بأجرتها اجبرت على ارضاع ولدها انتهى ان قيل ان الولد للأب فلم لا يتبعه فى الحرية والرقية بل يتبع الام لانها اذا كانت ملكا لغير الأب كان الولد ملكا له وان كان الأب حرا واذا كانت حرة كان الولد حرا وان كان الأب رقيقا اجيب أن الفقهاء قالوا فى وجهه رجح ماء الام على ماء الأب فى الملكية لان ماءها مستقر فى موضع وماء الأب غير معلوم أفادت هذه المسألة ان المالكة تغلب الوالدية والتحقيق ان الاحكام شرعية لا عقلية والعلم عند شارعها يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد

{ وائتمروا } ايها الآباء والامهات

{ بينكم } ميان يكدركر دركار فرزند

{ بمعروف } اى تشاوروا وحقيقته ليأمر بعضكم بعضا بجميل فى الارضاع والأجر فيه فى وجوب الاشفاق عليه فالائتمار بمعنى التآخر

كالاشنوار بمعنى التشاور يقال ائتمر القوم وتأمروا اذا امر بعضهم بعضا يعنى الافتعال قد يكون بمعنى التفاعل وهذا منه

{ وان تعاسرتم } يقال تعاسر القوم اذا تحروا تعسير الامر اى تضايقتم وبالفارسية واكر دشوار كنيد ومضايقه نماييد اى بدر ومادر رضاع ومزد دادن يعنى شوهر از اجرا باكند يازن شيرندهد

{ فسترضع له } اى للأب كما فى الكشاف وهو الموافق لقوله فان ارضعن لكم او للصبي والولد كما فى الجلالين وتفسير الكاشفى ونحوهما وفيه ان الظاهر حينئذ أن يقول فسترضعه

{ اخرى } اى فستوجد ولا نعوز مرضعة اخرى غير الام ترضعه يعنى مرددايه كيرد براى رضيع خود ومادررا باكراه واجبار نفر مايد.

وفيه معاتبة للام على المعاسرة كما تقول لمن تستقضيه حاجة فيتوانى سيقضيها غيرك تريد ان تبق غير مقضية فأنت ملوم قال سعدى المفتى ولا يخلو عن معاتبة الأب ايضا حيث اسقط فى الجواب عن حيز

شرف الخطاب مع الاشارة الى انه ان ضويقت الام فى الاجر فامتنعت من الارضاع لذلك فلا بد من ارضاع امرأة اخرى نوهى ايضا تطلب الأجر فى الأغلب الاكثر والام اشفق واحن فهى به اولى وبما ذكرنا يظهر كمال الارتباط بين الشرط والجزاء.

٧

{ لينفق } الام الامر

{ ذو سعة } خداوند فراخي وتوانكرى

{ من سعته } ازغناى خود يعنى بقدر تواناى خويش برمطلقه ومرضعة نفقه كنيد.

ومن متعلقة بقوله لينفق

{ ومن قدر عليه رزقه } اى ضيق وكان بمقدار القوت وبالفارسية وهركه تنك كرده شده است برو روزى او يعنى فقير وتنكدست است.

ومن هذا المعنى اشتق الا قدراى القصير العنق وفرس اقدر يضع

حافر رجله موضع حافريده وقوله تعالى وعلى الموسع قدره وعلى المقتر

قدره اى ما يليق بحاله مقدرا عليه

{ فلينفق مما آتاه الله } وان قل اى لينفق كل واحد من الموس

والمعسر ما يبلغه وسعه ويطيقه

{ لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها } من المال جل او قل فانه

تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها وبالفارسية وتكليف نفر مايد خداى

تعالى هيج تنى رامكر آنجه بدو عطا كرده است ازمال يعنى تكليف مالا

يطاق نفر ما يد.

وقد اكد ذلك بالوعد حيث قال

{ سيجعل الله بعد عسر يسرا } اى عاجلا او آجلا اذ ليس فى

السين دلالة على تعين زمان وكل آت قريب ولو كان

الآخرة وبالفارسية زود المعسر اليس وفرج الله فان الانتظار عبادة وفيه

تطييب لقلب المعسر وتغريب له فى بذل مجهوده ووعد لفقرآء ذلك الوقت بفتح ابواب الرزق عليهم او لفقرآء الازواج ان انفقوا ما قدرو عليه ولم يقصروا.

يقول الفقير لا بعد فى ذلك من حيث ان القراءآن ليس بمحصور لالتفات فى مثل هذه المقام الى سوق الكلام قال البقلى سيجعل الله بعد ضيق الصدر من الاختمام بالرزق وانفاقه سعة الصدر ويسر السخاء والطمأنينة والرضى بالله وايضا سيجعل الله بعد عسر الحجاب للمشتاقين يسر كشف النقاب فى التأويلات النجميةيعنى كل ذى سعة مأمور بانفاق ما يقدر على انفاق فالخفى المنفق عليه من جانب الحق ينفق على الروح من سعته والروح ينفق على السر من سعته والسر ينفق على القلب من سعته ونالقلب ينفق على النفس من سعته والنفس ينفق على الصدر من سعته والصدر ينفق على الجسم من سعته ومن قدر عليه رزقه من الفيوض الالهية فلينفق مما آتاه الله بحسب استعداده لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها

فى استعدادها الازلى وقابليتها الغيبية سيجعل الله بعد عسر انقطاع الفيض يسر اتصال الفيض.

٨

{ وكأين من قرية } بمعنى كم الخبرة فى كونها للتكثير والقرية اسم للموضع الى يجتمع فيه الناس والمعنى وكثر من اهل قرية وبالفارسية وبسيار ازاهل ديهى وشهرى.

فهو من حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ثم وصفه بصفته او من المجاز العقلى والاسناد الى المكان وهذه الآية تحذير للناس عن المخالفة فى الاحكام المذكور وتأكيد لاجيابها عليهم

{ عتت عن امر ربها ورسله } قال فى المفردات العتو النبو عن الطاعة وفى القاموس عتا عتو وعتيا وعتيا استكبر وجاوز اتلحد فهو عات وعتى انتهى والعتو لا يتعدى بعن وانما عدى بها لتضمينه معنى الاعراض كأنه قيل اعرضت عن امرر بها وامر رسل ربها بسبب التجاوز عن الحد

فى التكبر والعناد وفى ايراده صفة الرب توبيخ لهم وتجهيل لما ان عصيان البعي لربهم ومولاهم طغيان وجهل بشأن سيدهم مالكم وبمرتبة انفسهم ودوام احتياجهم اليه فى التربية قوله وكأين مبتدأ ومن قرية بيان له وعتت خبر المبدأ

{ فحاسبناها حسابا شديدا } اى ناقشناها فى الحساب وضيقنا عليها فى الدنيا واخذناها بدقائق ذنوبها وجرآئمها من غير عفو بنحو القحط والجوع والامراض والاوجاع والسيف وتسليط الاعدآء عليها وغير ذلك من البلايا مقدما معجلا على استئصالهم وذوقها العذاب الاكبر لترجع الى الله تعالى لان البلاء كالسوط للسوق فلم تفعل ولم ترفع رأسا فابتلاها الله بما فوق ذلك كما قال

{ وجنبناها عذابنا نكرا } اى منكرا عظيما هائلا متنفرا عنه بالطبع لشدته وايلامه او غير متوقع فانهم كانوا لا يتوقعونه ولو قيل لهم لما يصدقونه والقهر الغير المتوقع اشد ألما واللطف الغير المتوقع اتم

لذة وبالفارسية وعذاب كرديم ايشانرا عذابى جنانكه نديده بودند ونشناخته.

وهو العذاب العاجل بالاستئصال بنحو الاغراق والاحراق والريح والصيحة فالنكر الامر الصعب الذى لا يعرف والانكار ضد العرفان.

يقول الفقير اضاف الله المحاسبة والتعذيب الى نفسه مع ان سببهما كان العتو عن امره وامر رسله لان الرسل كانوا فانين فى الله فاتخذوا الله وكيلا فى جميع امورهم وتركوا التصرف والتعرض للقهر ونحوه وذلك انهم قد بثعوا بعد رسوخهم ولهذا صبروا على تكذيب امم لهم ولو بعثوا قبل الرسوخ ربما بطشوا بمن كذبهم واهلكوه وقس عليهم احوال الكمل من الاولياء.

٩

{ فذاقت } بس بجشيديد اهل آن ديه

{ وبال امرها } اى ضرر كفرها وثقل عقوبة معاصيها اى احسته احساس الذآئق المطعوم

{ وكان عاقبة امرها خسرا } هائلا لا خسر ورآؤه يعنى زيانكارى وكدام زيان ازان بدتركه ازحيات ومنافع آن محروم شدند وبعقوبات مبتلى كشتند.

فتجارتهم خسارة لا ربح فيها لتضييعهم بضاعة العمر والصحة والفراغ بصرفها فى المخالفات قال فى المفردات الخسر والخسران انتقاض رأس المال وينسب الى الانسان فيقال خسر فلان والى الفعل فيقال خسرت تجارته ويستعمل ذلك فى القنيات الخاريجة كالمال والجاه فى الدنيا وهو الاكثر وفى النفسية كالصحة والسلامة والعقل والايمان والثواب وفى الآية اشارة الى اهل قرية الوجود الانسانى وهو النفس والهوى وسائر القوى فانها اعرضت عن حكم الروح فلم تدخل فى حكم الشريعة وكذا عن متابعة امر القلب والسر والخفى فعذبت بعذاب الحجاب واستهلكت فى بحر الدنيا وشهواتها ولذاتها وكان عاقبة امرها خسران الضلالة ونيران الجهالة.

١٠

{ اعد الله لهم } مع ذلك فى الآخرة ولام لهم لام التخصيص لا لام النفع كما فى قولهم دعا له فى مقابلة دعا عليه

{ عذابا شديدا } اى قدره فى علمه على حسب حكمته او هيأ اسبابه فى جهنم بحيث لا يوصف كهنه فهم اهل الحساب والعذاب فى الدنيا والآخرة لا فى الدنيا فقط فان ما اصابهم فى الدنيا لم يكن كفارة لذنوبهم لعدم رجوعهم عن الكفر فعذبوا بعذاب الآخرة ايضا وهذا المعنى من قوله فحاسبناها الى هنا وهو اللائق بالنظم الكريم هكذا ألهمت به حين المطالعة ثم وجدت فى تفسير الكواشى وكشف الاسرار وأبى الليث والاسئلة المقحمة ما يدل على ذلك والحمد لله تعالى فلا حاجة الى ان يقال فيه تقديما وتأخيرا وان المعنى انا عذبناها عذابا شديدا فى الدنيا ونحاسبها حسابا شديدا فى الآخر على ان لفظ الماضى للتحقيق كأكثر ألفاظ القيامة فان فيه وفى نحوه تكلفا بينا على ما ارتكبه من يعد من اجلاء المفسرين ودل قوله فى الاثر حاسبوا أنفسكم قبل ان تحاسبوا

على ان المحاسبة عامة لما فى الدارين وان المراد بها فى بعض المواضع هو التضييق والتشديد مطلقا

{ فاتقوا الله يا أولى الالباب } اى اعتبروا بحال الامم الماضين من المنكرين المعاندين وما نزل بهم من العذاب والوبال فاتقوا الله اوامره ونواهيه ان خلصت عقولكم من شوب الوهم فان اللب هو العقل الخالص من شوآئب الوهم وذلك بخلوص القلب من شوآئب صفات النفس والرجوع الى الفطرة الاولى واذا خلص العقل من الوهم والقلب من النفس كان الايمان يقينا فلذلك وصفهم بقوله

{ الذين آمنو } اى الايمان التحققى اليقينى العيانى الشهودى وفيه اشارة الى ان منشأ التقوى هو الخلوص المذكور ولا ينافى ذلك زيادة الخلوص بالتقوى فكم من شئ يكون سببا لاصل شئ آخر ويكون سببا فى زيادته وقوته على ذلك الآخر وبكمال التقوى يحصل الخروج من قشر الوجود المجازى والدخول فى لب الوجود الحقيقى والاتصاف بالايمان العيانى

قال بعضهم الذين آمنوا حقا وصدقا ويجوز أن يكون صفة كاشفة لا مقيدة فانه لا يليق أن يعد غير المؤمنين من اولى الالباب اللهم الا أن يراد باللب العقل العارة عن الضعف بأى وجه كان من البلادة والبله والجنون وغيرها فتخصيص الامر بالتقوى بالمؤمنين من بينهم لانهم المنتفعون انتهى والظاهر ان قوله الذين آمنوا مبتدأ خبره قوله تعالى

{ قد انزل الله اليكم } والخطاب من قبيل الالتفات

{ ذكرا } هو النبي عليه السلام كما بينه بأن ابدل منه قوله

١١

{ رسولا } وعبر عنه بالذكر لمواظبته على تلاوة القرآن او تبليغه والتذكير به وعبر عن ارساله بالانزال بطريق الترشيح اى للتجوز فيه عليه السلام بالذكر او لانه مسبب عن انزال الوحى اليه يعنى ان رسول الله شبه بالذكر الذى هو القرآن لشدة ملابسته به فأطلق عليه اسم المشبه به استعارة تصريحية وقرن به ما يلائم المستعار منه وهو الانزال ترشيحا

لها او مجازا مرسلا من قبيل اطلاق اسم السبب على المسبب فان انزال الوحى اليه عليه السلام سبب لارساله وقال بعضهم ان التقدير قد انزل الله اليكم ذكرا يعنى القرءآن وارسل اليكم رسولا يعنى محمدا عليه السلام لكن الايجاز اقتضى اختصار الفعل الناصب للرسول وقد دل عليه القرينة وهوقوله انزل نظيره قوله علفتها تبنا وماء باردا اى وسقيتها ماء باردا فيكون الوقف فى ذكرا تاما بخلافه اذا كان بدلا وقال القاشانى قد انزل الله اليكم ذكرا اى فرقانا مشتملا على ذكر الذات والصفات والاسماء والافعال والمعاد رسولا اى روح القدس الذى انزله به فأبدل منه بدل الاشتمال لان انزال الذكر هو انزاله بالاتصال بالروح النبوى والقاء المعانىن فى القلب

{ يتلو } يقرأ ويعرض

{ عليكم } يا اولى الالباب او يا ايها المؤمنون

{ آيات الله } اى القرءان

{ مبينات } اى حال كون تلك الآيات مبينات ومظهرات لكم ما تحتاجون اليه من الاحكام اومبينات بالفتح بمعنى واضحات لخافاء فى معانيها عند الاهالى اولا مرية فى اعجازها عند البلغاء المنصفين وانما يتلوها او انزله

{ ليخرج } الرسول ويخلص او الله تعالى

قال بعضهم اللام متعلقة بأنزل لا بقوله يتلو لان يتلو مذكورعلى سبيل التبعية دون انزل

{ الذين آمنوا وعملوا الصالحات } الموصول عبارة عن المؤمنين بعد انزاله والا فاخراج الموصوفين بالايمان من الكفر لا يمكن اذ لا كفر فيهم حتى يخرجوا منه اليحصل لهم الرسول ما هم عليه الآن من الايمان والعمل الصالح باخراجهم عما كانوا عليه أو ليخرج الله من علم او قدر انه سيؤمن ولم يقل ليخرجكم اظهار لشرف الايمان والعمل الصالح وبيانا لسبب الاخراج وحثا على التحقق بهما

{ من الظلمات الى النور } اى من الضلالة الى الهدى ومن الباطل الى الحق ومن الجهل الى العلم ومن الكفر الى الايمان ومن الشهبات الى الدلالات والبراهيم ومن الغفلة الى اليقظة ومن الانس بغير الله الى الانس بالله على طبقاتهم ودرجاتهم فى السعى والاجتهاد بعناية الله تعالى وفى التأويلات النجمية ليخرج الذين آمنوا بالايمان العلمى وعملوا الصالحات بمقتضى العلم الظاهر لا بمقتضى الحال من ظلمات التقييد بالاعمال والاحوال الى نور الاطلاق برؤية فاعلية الحق فى الاشياء انتهى.

يقول الفقير انما جمع الظلمات لتراكمها وتكاثفها ولكثرة اسبابها وانواعها ولذا قال تعالى قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر اى شدآئدهما فانها كالظمات وكذا الاعمال السيئة ظلمات يوم القيامة كما ورد فى حق الظلم

{ ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا } خالصا من الرياء والتصنع والغرض وهو استئناف لبيان شرف الايمان والعمل الصالح ونهاية امر من اتصف بهما تنشيطا وترغيبا لغير اهلهما لهما قال بعض الكبار لو كان

الايمان بذاته يعطى مكارم الاخلاق لم يقل للمؤمن افعل كذا واترك كذا وقد توجد مكارم الاخلاق بدونه وللايمان وللمكارم آثار ترجع على اصحابها فى اى دار كان كما ورد فى حق أبى طالب فانه قال العباس رضى الله عنه يا رسول الله ان أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل ينفعه ذلك قال نعم ولولا انا كان فى الدرك الاسفل من النار وكما رؤى ابو لهب فى المنام وهو يمص ماء من ابهامه ليلة الاثنين لعتقه بعض جواريه حين بشرته بولادة رسول الله عليه السلاموكما قيل انه عليه السلام لما عرج به اطلع على النار فرأى حظيرة فيها رجل لا تمسه النار فقال عليه السلام

(ما بال هذا الرجل فى هذه الحظيرة لا تمسه النار) فقال جبريل عليه السلام هذا خاتم طى صرف الله عنه عذاب جهنم بسخائه وجوده كما فى انيس الوحدة وجليس الخلوة فاذا كانت المكارم بهذه المرتبة بلا ايمان فكيف مع ايمان وعطف العمل الصالح من الصلاة والزكاة وغيرهما على الايمان الذى هو تصديق القلب عن المحققين والتصديق مع الاقرار عند البعض يفيد المغايرة على ما هو المذهب الاصح وهو كاف

فى دخول الجنة بوعد الله وكرمه فى القول الحق المثبت بالادلة القوية فذكر العمل الصالح بعده للاهتمام والحث عليه اخبارا بأن اهله يدخلون ابتدآء بلا حساب او بحساب يسير

{ يدخله جنات تجرى من تحتها } اى من تحت قصورها او اشجارها

{ الانهار } الاربعة المذكورة فى سورة محمد عليه السلام

{ خالدين فيها } مقيمين فى تلك الجنات دآئمين فيها وو حال من مفعول يدخله والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد فى الشمائر الثلاثة باعتبار لفظها

{ ابدا } ظرف زمان بمعنى دآئما غير منقطع فيكون تأكيدا للخلود لئلا يتوهم ان المراد به المكث الطويل المنقطع آخرا

{ قد احسن الله له رزقا } حال اخرى منه وفيه معنى التعجب والتعظيم لما رزقه الله المؤمنين من الثواب لان الجملة الخبرية اذا لم يحصل

منها فائدة الخر ولا لازمها تحمل على التعجب اذا اقتضاه المقام

كأنه قيل ما احسن رزقهم الذى رزقهم الله وما اعظمه فرزقا ظاهره المفعولية

لأحسن والتنوين للتعظيم لاعداده تعالى فيها ما هو خارج عن

الوصف او للتكثير عددا لما فيه مما تشتهيه الانفس من الرزق

والانفس او مددا لان اكلها دآئم لا ينقطع ولا بعد فى أن يكون

له بمعنى اليه ويكون رزقا تمييزا بمعنى قد هيأ له واعد ما يحسن اليه به من

جهة الرزق قال بعض الكبار الجزآء على الاعمال فى حق العارفين من

عين المئة فهو جزآء العمل لا جزآء العامل فافهم قال فى الاسئلة المقحمة

الظاهر ان الرزق الحسن مال فى قدر الكفاية بلا زيادة تطغى ولا حاجة

تنسى.

يقول الفقير هذا التفسير ليس فى محله لان المراد رزق الآخرة كما

دل عليه ما قبل الآية لا رزق الدنيا وفى التأويلات النجمية ومن يؤمن بالله

ايمانا حقيقيا عيني ويعمل عملا صالحا منزها عن رؤيته مقدسا عن نسبته

الى العامل المجازى يدخله جنات المكاشفات والمشاهدات والمعاينات

والمحاضرات من غير الفترة الحجابية قد احسن الله له رزقا فرزق الروح بالتفريد ورزق القلب بالتجريد ورزق السر بالتوحيد ورزق الخفى بالفناء والبقاء.

۱۲

{ الله الذى } الخ مبتدأ وخبر اى الملك القادر الذى

{ خلق سبع سموات } بيافريد فت آسمان بعضى بالاى بعض.

نكرها للتعظيم المفيد لكمال قدرة صانعها او لكفايته فى المقصود من اثبات قدرته الكاملة على وفق حكمته الشاملة وذلك يحصل باخبار خلقه تعالى سبع سموات من غير نظر الى التعبين

{ ومن الارض } اى وخلق من الارض

{ مثلهن } اى مثل السموات السبع فى العدد والطباق وبالفارسية وبيافريد از زمين مانند آسمانها بعضى درتحت بعض.

فقوله مثلهن منصوب بفعل مضمر بعد الواو دل عليه الناصب لسبع سموات وليس بمعطوف على سبع سموات لانه يستلزم الفصل بين حرف العطف وهو صرف واحد وبين المعطوف بالجار والمجرور وصرح سيبويه وابو على بكراهيته فى غير موضع الضرورة واختلف فى كيفية طبقات الارض فالجمهور على انها سبع ارضين طبقا بعضها فوق بعض بين كل ارض وارض مسافة كما بين السماء والارض وفى كل ارض سكان من خلق الله وقال الضحاك مطبقة بعضها فوق بعض من غير فتوق وفرجة اسوآء كان بالبحار او بغيرها بخلاف السموات قال القرطبى والاول الاصح لان الاخبار دالة عليه كما روى البخارى وغيره من ان كعبا حلف بالذى فلق البحر لموسى ان صهيبا حدثه ان النبى عليه السلام لم ير قرية يريد دخولها الا قال حين يراها اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما اذرين نسألك من خير هذه القرية وخير اهلها وخير من فيها ونعوذ بك من شرها وشر اهلها وشر من فيها (روى) شيبان ابن عبد

الرحمن قتادة عنالحسن عن أبي هريرة رضى الله عنه قال بينهما النبى عليه السلام جالس اذا أتى عليهم سحاب فقال (هل تدرون ما هذا العنان) قالوا الله ورسوله اعلم قال (هذه زوايا الارض يسوقها الله الى قوم لا يشكر ولا يدعونه) ثم قال (هل تدرون ما الذى فوقكم) قالوا الله ورسوله اعلم قال (فانها الرقيع سقف محفوظ وبحر مكفوف) ثم قال (هل تدرون ما بينكم وبينها) قالوا الله ورسوله اعلم قال (فوقها العرش وبينه وبين السماء كبعد ما بين سماءين او كما قال) ثم قال (هل تدرون ما تحتكم) قالوا الله ورسوله اعلم قال (الارض وتحتها ارض اخرى بينهما خمسمائة عام) ثم قال (والذى نفس محمد بيده لو أنكم ادلتم بحبل لهبطتم على الله) ثم قرأ عليه السلام (هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم كما فى خريدة العجائب وفى المقاصد الحسنة لو أنكم لدليتم بحبل الى الارض السفلى لهبط على الله فسره بعض اهل العلم فقال انما هبط على علم الله وقدرته وسلطانه وعلم الله وقدرته وسلطانه فى كل مكان وهو على العرش كما وصف)

فى كتابه انتهى.

قال شيخنا معناه ان علم الله شمل جميع الاقطار فالتقدير لهبط على علم الله والله تعالى منزه عن الحلول فى الاماكن فالله سبحانه كان قبل أن يحدث الاماكن انتهى كلام المقاصد الحسنة قال بعض العارفين فيه اشارة الى انه ما من جوهر فى العالم العلوى والسفلى الا وهو مرتبط بالحق ارتباط الرب بالمربوب وفى الحديث (اجتمع املاك عند الكعبة واحد نازل من السماء وواحد صاعد من الارض السفلى وثالث من ناحية المشرق ورابع من ناحية المغرب فسأل كل واحد صاحبه من اين جئت فكلهم قالوا من عند الله ثم نرجع ونقول قال ارض بعضها فوق بعض وغلظ كل ارض مسيرة خمسمائة عام) وكذا ما بينهما على ما دل عليه حديث ابى هريرة وفى الحديث (من اخذ من الارض شبرا بغير حقه خسف به يوم القيامة الى سبع ارضين) قال ابن الملك وفيه اشعار بأن الارض فى الآخرة ايضا سبع طباق وفى الكواشى قيل ما فى القرءآن آية تدل على ان الارضين سبع الا هذه الآية وان ما بين كل سمائين مسيرة خمسمائة عام

وكذا غلظ كل سماء والارضون مثل السموات فكما ان فى كل سماء نوعا من الملائكة يسبحون الله ويقدسونه ويحمدونه فكذا لكل ارض اهل على صفة وهيئة عجيبة ولكل ارض اسم خاص كما ان لكل سماء اسما خاصا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان نافع بن الازرق سأله هل تحت الارضين خلق قال نعم ق فما الخلق قال اما ملائكة او جن وعن عطاء بن يسار فى هذه الآية فى كل ارض آدم كآدمكم ونوح مثل نوحكم وابراهيم مثل ابراهيمكم وعيسى كعيساكم قالوا معناه ان فى كل ارض خلق الله لهم سادة يقومون عليهم مقام آدم ونوح وابراهيم وعيسى فينا قال السخاوى فى المقاصد الحسنة حديث الارضون سبع فى كل ارض من الخلق مثل ما فى هذه حتى آدم كآدمكم وابراهيم كابراهيمكم وهو مجهول ان صح نقله عن ابن عباس رضى الله عنهما على انه اخذه عن الاسر الاسرآئيليات اى اقاويل بنى اسرآئيل مما ذكر فى التوراة او اخذه من علمائهم ومشايخهم كما فى شرح النخبة وذلك وامثاله اذا لم يخبر به ويصح سنده الى معصوم فهو مردود على قائله انتهى كلام المقاصد مع تفسير

الاسرائيليات وقال فى انسان العيون قد جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى ومن الارض مثلهن قال سبع ارضين فى كل ارض نبى كنبيكم وآدم كآدمكم ونوح كنوحكم وابراهيم كابراهيمكم وعيسى كعيساكم رواه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح الاسناد وقال البيهقى اسناده صحيح لكنه شاذ بالمرة اى لانه لا يلزم من صحة الاسناد صحة المتن فقد يكون فيه مع صحة اسناده ما يمنع صحته فهو ضعيف قال الجلال السيوطى ويمكن أن يؤول على ان المراد بهم النذر الذين كانوا يبلغون الجن عن انبياء البشر ولا يبعد أن يسمى كل منهم باسم النبى الذى يبلغ عنه هذا كلامه وحينئذ كان لنبينا عليه السلام رسول من الجن اسمه كاسمه ولعل المراد اسمه المشهور وهو محمد فليتأمل انتهى ما فى انسان العيون ونظير هذا المقام قول حضرة الشيخ الشهير بافتاده خطابا لحضرة محمود الهدائى قدس سرهما الآن عوالم كثيرة يتكلم فيها محمود وافتاده كثير قال فى خريدة العجائب وليس هذا القول اى خبر فى كل ارض آدم الخ بأعجب من قولالفلاسفة ان الشموس شموس كثيرة والاقمار اقمار كثيرة ففى كل

اقليم شمس وقمر ونجوم وقالت القدماء الارض سبع على المجاورة والملاصقة

وافتراق الاقاليم لا على المطابقة والمكابسة واهل النظر من المسلمين يميلون

الى هذا القول ومنهم من يرى ان الارض سبع على الانخفاض والارتفاع

كدرج المراقى (حكى) الكلبى عن ابى صالح عن ابى عباس رضى الله

عنهما انها سبع ارضين متفرقة بالبحار يعنى الحائل بين كل ارض وارض

بحار لا يمكن قطعها ولا الوصول الى الارض الاخرى ولا تصل الدعوة

اليهم وتظل الجميع السماء قال الماوردى وعلى هذا اى وعلى انها سبع

ارضين وفى كل ارض سكان من خلق الله تختص دعوة الاسلام بأهل

الارض العليا دون من عداهم وان كان فيهن من يعقل من خلق وفى

مشاهدتهم السماء واستمدادهم الضوء منها قولان احدهما انهم يشاهدون

السماء من كل جانب من ارضهم ويستمدون الضياء منها وهذا قول من

جعل الارض مبسوطة والثانى انهم لا يشاهدون السماء وان الله خلق لهم

ضياء يشاهدونه وهذا قول من جعل الارض كرة قال سعدى المفتى وقد

تؤول الآية تارة بالاقاليم السبعة اى فتكون الدعوة شاملة لجميعها وتارة

بطبقات العناصر القوابل بالنسبة الى الاثيريات فهى ارضها التى ينزل عليها منها لاصور الكائنة وهى النار الصرفة والطبقة الممتزجة من النار والهواء المسماة كرة الاثير التى فيها لاشهب وذوات الاذناب وغيرها وطبقة الزمهرير وطبقة النسيم وطبقة الصعيد والماء المشحونة بالنسيم الشاملة للطبقة الطينية التى هى السادسة وطبقة الارض الصفرة عند المركز وان حملناها على مراتب الغيوب السبعة المذكورة من غيب القوى والنفس والعقل والسر والروح والخفى غيب الغيوب اى عين جمع الذات فالارضون هى الاعضاء السبعة المشهورة وفى التأويلات النجمية هى طبقات القوب من الصدر والقلب والفؤاد والروع والشغاف والمهجة والروح واراضى النفوس وهى النفس الأمارة واللوامة والملهمة والمطمئنة والنفس المعدنية والنباتية والحيوانية

{ يتنزل الامر } اى امر الله واللام عوض عن المضاف اليه

{ بينهن } اى بين السموات السبع والارضين السبع والظاهران الجملة استئنافية للاخبار عن شمول جريان حكمه ونفوذ امره فى العلويات والسفليات كلها فالامر عند الاكثير القضاء والقدر بمعنى يجرى قصاؤه وينفذ حكمه بين السماء السابعة التى هى اعلى السموات وبين الارض السابعة التى هى اسفل الارضين ولا يقتضى ذلك أن لا يجرى فى العرش والكرسى لان المقام اقتضى ذكر ما ذكره والتخصيص بالذكر لا يقتضى التخصيص بالحكم كذ قالوا

يقول الفقير تحقيق هذا المقام يستدعى تمهيد مقدمة وهى انه استوى الامر الارادى الايجادى على العرش كما استوى الامر التكليفى الارشادى على الشرع الذى هو مقلوب العرش والتجليات الايجادية الامرية المتنزلة بين السموات السبع والارضين السبع موقوفة على استوآء امر تمام حصول الاركان الاربعة على العرش وتلك الامور الاربعة هى الحركة المعنوية الاسمائية والحركة النورية الروحانية والحركة الطبيعية المثالية والحركة الصورية الحسية وهى حركة العرش فالعرش مستوى امره الايجادى لا مستوى نفسه

تعالى عن ذلك ومنه ينزل الامر الالهى بينهن وهى التجليات الالهية الدنيوية والرزخية والحشرية والنيرانية والجنانية وكلها تجليات وجودية اشير اليها بقوله تعالى كل يوم هو فى شأن وبقوله يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعجر فيها

واما التجليات الشهودية فما كانت تكون فى الدنيا والآخرة لقلوب اهل الكمال وارواحهم واسرارهم من الانبياء العظام والاولياء الكرام فمعنى الآية يتنزل امر الله بالايجاد والتكوين وترتيب النظام والتكميل بين كل سماء وارض من جانب العرش العظيم ابدا دآئما لان الله تعالى لم يزل ولا يزال خالقا فى الدنيا والآخرة فيفنى ويعدم عوالم ويوجد ويظهر عوالم اخرى لا نهاية لشؤونه فهو كل يوم وآن فى امر وشأن بحسب مقتضيات استعدادات اهل العصر وموجبات قابليات اصحاب الزمان

{ لتعملوا ان الله على كل شئ قدير } متعلق بخلق او يتنزل او بما يعلمهما اى فعل ذلك لتعملوا ان من قدر على ما ذكر قادر على كل شئ ومنه البعث اللحساب والجزاء فتطيعوا امره وتقبلوا حكمه وتستعدوا

لكسب السعادة والخلاص من الشقاوة واللام لام المصلحة والحكمة لان فعله تعالى خال عن العبث (روى) عن الامام الاعظم انه قال ان هذه الآية من أخوف الآيات فى القرءآن لا لام الغرض فانه تعالى منزه عن الغرض اذ هو لمن له الاحتياج والله غنى عن العالمين

{ وان الله قد احاط بكل شئ علما } كما أحاط به قدرة لاستحالة صدور الافاعيل المذكورة ممن ليس كذلك والاحاطة العلم البالغ وبالفارسية وبدرستى كه فراسيده است بهمه جيزازروى علم يعنى علم وقدرت او محيط است بهمه اشيا از موجودات علمى وعينى هيج جيز ازدائره علم وقدرت او خارج نيست

رمزيست زسر قدرتش كن فيكون ... بادانش او يكيست بيرون ودرون

درغيب وشهادة ذره نتوان يافت ... از دائره قدرت وعلمش بيرون

ويجوز أن يكون العامل فى اللام بيان ما ذكر من الخل قوتنزل الامر اى اوحى ذلك وبينه لتعلموا بما ذكر من الامور التى تشاهدونها والتى تتلقونها من الوحى من عجائب المصنوعات انه لا يخرج عن علمه وقدرته شئ ما اصلا قوله علما نصب على التمييز اى أحاط علمه بكل شئ كما فى عين المعانى أو على المصدر المؤكد لانالمعنى وان الله قد علم كل شئ علما كما فى فتح الرحمن قال البقلى قدس سره لو كان للانسان قدرة المعرفة كالارواح لم يخاطبه بالعلل والاستدلال ليعلم برؤية الاشياء وجود الحق وكان كالارواح فى الخطاب بلا علة فى تعريف نفسه ايها يقول ألست بربكم اذ هناك خطاب وشهود وتعريف بغير علة فلما علم عجزه وهو فى عالم الجسم عن حمل واردات الخطاب الصرف أحاله الى الشواهد بقوله خلق سبع سموات الخ وليس بعارف فى الحقيقة من عرفه بشئ من الاشياء او سبب من الاسباب فمن نظر الى خلق الكون يعرف انه ذو قدرة واسعة وذو احاطة شاملة ويخاف من قهره ويذوب قلبه بعلمه فى رؤسة اطلاع الحق عليه قال الشيخ نجم الدين فى تأويلاته وفى هذه

الآية الكريمة غوامض من اسرار القرءآن مكنونة ويدل عليه قول ابن عباس رضى الله عنهما لما سئل عن هذه الآية وقال لو فسرتها لقطعوا حلقومى ورجمونى والمعنى الذى أشار اليه رضى الله عنه مما لا يعبر عنه ولا يشار اليه ولكن يذاق.

سُورَةُ التَّحْرِيمِ مَدَنِيَّةٌ

وَهِيَ اثْنَتَا عَشَرَةَ آيَةً

١

{ يا ايها النبى لم تحرم ما احل الله لك } اصل لم لما والاستفهام لانكار التحريم وهو بالفارسية حرام كردن.

كما ان الحلال حلال كردن.

روى ان النبى عليه السلام خلا بسريته مارية القبطية التى اهداها اليه المقوقس ملك مصر فى يوم عائشة رضى الله عنها ونوبتها وعلمت بذلك حفصة رضى الله عنها فقال لها اكتمى على ولا تعلمى عائشة فقد حرمت مارية على نفسى وابشرك ان أبا بكر وعمر رضى الله عنهما يملكان بعدى امر امتى فأخبرت به عائشة رضى الله عنها ولم تكتم وكانا متصادقتين متظاهرتين على سائر ازواج النبى عليه السلام قال السهيلى رحمه الله امرها أن لا تخبر عائشة ولا سائر ازواجه بما رأت وكانت رأته فى

بيت مارية بنت شمعون القبطية ام ولده ابراهيم المتوفى فى الثدى وهو ابن ثمانية عشر شهرا فخشى أن يلحقهن بذلك غيرة واسر الحديث الى حفصة فأفشته

وقيل خلا بها فى يوم حفصة كما قال بعض اهل التفسير كان رسول الله عليه السلام يقسمك بين نسائه فلما كان يوم حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنه استأذنت رسول الله فى زيارة ابيها فاذن لها فلما خرجت ارسل رسول الله الى ام ولده مارية القبطية (قال كشف الاسرار) دربيرون مدينه در نخلستان درسرايي مقام داشت كه زنان رسول نمى خواستندكه درمدينه بايشان نشيند وكاه كاه رسول خدا از بهر طهرات بيرون شدى واورا ديدى انتهى.

فأدخلها بيت حفصة فوقع عليها فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقا فجلست عند الباب فخرج رسول الله ووجهه يقطر عرقا وحفصة تبكى فقال ما يبكيك فقالت انما أذنت لى من أجل هذا أدخلت امتك بيتى ثم وقعت عليها فى يومى على فراشى فلو رأيت لى حرمة وحقا

ما كنت تصنع هذا بامرأة منهن فقال رسول الله (أليس هى جاريتى أحلها

الله لى اسكنى فهى حرام على ألتمس بذلك رضاك فلا تخبرى بها امرأة

منهن) فلما خرج رسول الله قرعت حفصة الجدار الذى بينها

وبين عائشةفقالت ألا أبشرك ان رسول الله قد حرم عليه امته مارية وقد

أراحنا الله منها وأخبرت عائشة بما رأت فلم تكتم فطلقها رسول الله بطريق

الجزآء على افشاء سره واعتزل نساءه ومكث تسعا وعشرين ليلة فى بيت

مارية قال أبو الليث أقسم أن لا يدخل عليهن شهرا من شدة مؤاخذته

عليهن حتى نزلت الآية ودخل عمل رضى الله عنه على بنته حفصة وهى

تبكى فقال أطلقكن رسول الله فقالت لا أدرى هو ذا معتزلا فى هذه

المشربة وهى بفتح الرآء وضمها الغرفة والعلية كما فى القاموس (روى) انه

قال لها فى آل الخطاب خير لما طلقك قال عمر فأتيته عليه

السلام فدخلت وسلمت عليه فاذا هو متكئ على رمل حصير قد أثر فى

جنبه فقلت أطلقت نساءك يا رسول الله فقال لا فقلت الله اكبر لو رأيتنا

يا رسول الله وكنا معرش قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما

تغلبهم نساؤهم وطفقن نساؤنا يتعلمن من نسائهم فتبسم رسول الله وقال
عمر للنبي عليه السلم لا تكترث بأمر نسائك والله معك وأبو بكر معك
وأنا معك فنزلت الآية موافقة لقول عمر قالت عائشة رضى الله عنها لام
مضت تسع وعشرون ليلة دخل على رسول الله فقلت يا رسول انك
أقسمت أن لا ندخل علينا وانك قد دخلت فى تسع وعشرين أعدهن
فقال ان الشهر تسع وعشرون وكان ذلك الشهر كذلك ونزل جبريل فقال
لرسول الله عن أمر الله راجع حفصة فانها صوامة قوامة وانها لمن نسائك
فى الجنة وكان تحته عليه السلام يومئذ تسع نسوة خمس من قريش عائة
بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر وام حبيبة بنت أبي سفيان وام سلمة بنت
امية وسودة بنت زمعة وغير القرشيات زينب بنت جحش الأسدية وميمونة
بنت الحارث الهلالية وصفية بنت حيي بن أخطب الخيبرية وجويرة بنت
الحارث المصطلقية.

ونقلست كه حضرت بيغمبر صلّى الله عليه وسلّم عسل
وشربت او وهرجيز كه حلو باشد دوست داشتى وقتى زينب رضى الله

عنها مقداری عسل داشت که بعضی خویشان وی درمکه بطریق هدیه
فرستاده بودهرکاه آن حضرت علیه السلام بخانه وی آمدی زینب شربت
فرمودی وآن حضرت راد خانه وی بسبب آن توقف بیشتر واقع شدی
آن حال بربعضی ازواج طاهرات کران آمد عائشه وحفصه اتفاق نمودندکه
جون آن حضرت بعد از آشامیدن شربت عسل درخانه وی نزد هرکدام
ازمادر آیند کوییم ازتوبوی مغافیر میشنویم ومغفور بالضم صمغ درختیست
که عرفط خوانند ازدرختان بادیه واکرجه شیرینست ولکن رایحه کریهه
دارد وحضرت بوی خوش دوست میداشت برای مناجات ملك وازروایح
ناخوش محترزمی بود بس آن حضرت روزی شرب آشامید ونرد هر کدام
آمد از ازواج کفتند یا رسول الله ازشما رایحه مغفور می آید وایشان درجواب
فزمودندکه مغفور نخورده ام اما درخانه زینت شربت عسل آشامیده ام
کفتند جرست النحلة العرفط یعنی ان تلك النحلة اكلت
العرفطوبالفارسية زنبور آن عسل ازشکوفه عرفط جریده بود والجرس
خوردن منج جرارا.

وفى القاموس الجرس اللحس باللسان امام زاهد رحمه الله آورده كه

جون اين صورت مكرر وجود كفرت حضرت عليه السلام فر مود حرمت

العسل على نفسى فوالله لا آكله ابدا واين سوكند بدان خورد تاديكر

كس ويرا ازان عسل نيارد فنزلت الآية قال ابن عطية والقول الاول وهو

ان الآية نزلت بسبب مارية اصح واوضح وعليه تفقه الناس فى الآية وقال

فى كشف الاسرار قصة العسل اسند كام قال فى اللبابين ان هذا هو

الاصح لانه مذكور فى الصحيحين انتهى وقصة مارية اشبه ومعنى الآية لم

تحرم ما احل الله لك من ملك اليمين او من العسل اى تمتنع من الانتفاع

به مع اعتقاد كونه حلا لا لك لان اعتقاد كونه حراما بعد ما احل الله مما

لا يتصور من عوام المؤمنين فكيف من الانبياء قال الفقهاء من اعقتد من

عند نفسه حرمة شئ قد احله الله فقد كفر اذما أحله الله لا يحرم الا

بتحيم الله اياه بنظم القرءآن او بوحى غير متلو والله تعالى انما أحل لحكمة

ومصلحة عرفها فى احلاله فاذا حرم العبد كان ذلك قلب المصلحة مفسدة

{ تبتغى مرضاة ازواجك } الابتغاء جستن.

والمرضاة مصدر كالرضى وفى بعض التفاسير اسم مصدر من الرضوان قلب واوها ألفا والازواج جمع زوج فانه يطلق على المرأة ايضا بل هو الفصيح كما قال فى المفردات وزوجة لغة رديئة وجمع الازواج مع ان من ارضاها النبى عليه السلام فى هذه القصة عائشة وحفصة رضى الله عنهما اما لان ارضاءما فى الامر المذكور ارضاء لكلهناو لان النساء فى طبقة واحدة فى مثل تلك الغيرة لانهن جبلن عليها على انه مضى ما مضى من قول السهيلى او لان الجمع قد يطلق على الاثنين او للتحذير عن ارضاه من تطلب منه عليه السلام ما لا يحسن وتلح عليه أيتهن كانت لانه عليه السلام كان حييا كريما والجملة حال من ضمير تحم اى حال كونك مبتغيا وطالبا لرضى ازواجك والحال انهن أحق بابتغاء رضاك منك فانما فضيلتهن بك فالانكار وارد على مجموع القيد والمقيد دفعة واحدة فمجموع الابتغاء والتحريم منكر نظيره قوله تعالى لا تأكلوا الربا اضعاف مضاعفة وفيه اشارة الى فضل مارية والعسل وفى الحديث (اول نعمة ترفع من الارض العسل) وقد بين فى سورة النحل

{ والله غفور } مبالغ فى الغفران قد غفر لك وستر ما فعلت من التحريم وقصدت الرضى لان الامتناع من الانتفاع باحسان المولى الكريم يشبه عدم قبول احسانه

{ رحيم } قد رحمك ولم يؤاخذك به وانما عاتبك محافظة على عصمتك (قال الكاشفى) مهربان كه كفارت سوكند توفرم د قال فى كشف الاسرار هذا اشد ما عوتب به رسول الله فى القرءآن وقال البقلى ادب الله نبيه أن لا يستبد برأيه ويتبع ما يوحى اليه كما قال بعض المشايخ فى قوله لتحكم بين الناس بما أراك الله ان المراد به الوحى الذى يوحى به اليه لا ما يراه فى رأيه فان الله قد عاتبه لما حرم على نفسه ما حرم فى قصة عائشة وحفصة فلو كان الدين بالرأى لكان رأى رسول الله اولى من كل رأى انتهى كلام ذلك البعض وفيه بيان ان من شغله شئ من دون الله وصل اليه منه ضرب لاتبرأن جراحته الا بالله لذلك قال عقيب الآية والله غفور رحيم قال ابن عطاء لما نزلت هذه الآية على النبى عليه

السلام كان يدعو دائما ويقول اللهم انى اعوذ بك من كل قاطع يقطعنى عنك

آزرده است كوشه نشين از وداع خلق ... غافل كه اتصال حقست انقطاع خلق

٢

{ قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم } الفرض هنا بمعنى الشرع والتبيين كما دل عليه لكم فان فرض بمعنى اوجب انما يتعدى بعلى والتحلة مصدر حلل بتضعيف العينبمعنى التحليل اصله تحللة كتكرمة وتعلة وتبصرة وتذكرة من كرم وعلل وبصر وذكر بمعنى التكريم والتعليل والتبصير والتذكير الا ان هذا المصدر من الصحيح خارج عن القياس فانه من المعتل اللام نحو سمى تسمية او مهموز اللام مثل جزأ تجزئة والمراد تحليل اليمين كان اليمين عقد والكفارة حل يقال حلل المين تحليلا كفرها اى فعل ما يوجب الحنيث وتحلل فى يمينه استثنى وقال ان شاء الله وقوله عليه السلام (لا

يموت لرجل ثلاث اولاد فتمسه النار الا تحلة القسم) اى قدر ما يقول

ان شاء الله كما فى المفردات او قدر ما يبر الله قسمه فيه بقوله وان منكم

الا واردها قال فى تاج المصدر قوله فعلته تحلة القسم اى لم أفعله الا بقدر

ما حللت به يمينى أن لا أفعله ولم ابالغ ثمقيل لكل شئ لم يبالغ فيه تحليل

يقال ضربته تحليلا والباب بدل على فتح الشئ ومعنى الكفارة الاطعام

والكسوة او العتق او الصوم على ما مر تفصيله فى سورة المائدةومعنى الآية

شرع الله لكم تحليل ايمانكم وبين لكم ما تنحل به عقدتها من الكفارة وهى

المرادة ههنا لا الاستثناء اى أن يقول ان شاء الله متصلا حتى لا يحنث

فان الاستثناء المتصل ما كان مانعا من انعقاد اليمين جعل كالحل فالتحليل

لما عقدته الايمان بالكفارة او بالاستثناء وبالفارسية بدرستى كه بيان كرد

خداى تعالى براى شما فرو كشادن سوكند هاى شمارا بكفارت يعنى آنچه

بسوكند ببنديد بكفارت توان كشاد.

قال فى الهدايه ومن حرم على نفسه شيأ مما يملكه لم يصر محرما

وعليه ان استباحه واقدم عليه كفارة فتحريم الحلال يمين عند أبى

حنيفة رحمه الله ويعتبر الانتفاع المقصود فيما يحرمه فاذا حرم طعاما فقد

خلف على اكله او أمة فعلى وطئها قال ابن عباس رضى الله عنهما

التحريم هو اليمين فلو قال لامرأته أنت على حرام فلو نوى الطلاق طلقت

وان نوى اليمين كان يمينا وان أراد الكذب لم يقع شئ وكذا لو حرم طعاما

على نفسه ونى اليمين كان يمينا خلاف للشافعى كما فى عين المعانى وقال

بعضهم لم يثبت عن رسول الله عليه السلام انه قال لما احله الله هو حرام

على وانما امتنع عن مارية ليمين تقدمت منه وهو قوله والله لا أقربها بعد

اليوم فقيل له لم تحرم ما احل الله لك اى لم تمنع منه بسبب

اليمين يعنى اقدم على ما حلفت عليه وكفر عن يمينك وظاهر قوله

تعالى قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم انه كانت منه بيمين فان قلتهل كفر

رسول الله لذلك قلت عن الحسن البصرى قدس سرة انه لم يكفر لانه كان

مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وانما هو تعليم للمؤمنين

وعن مقاتل انه اعتق رقبة فى تحريم مارية وعاودها لانه لا ينافى كونه مغفورا

له أن يكفر فهو والامة سوآء فى الاحكام ظاهرا

{ ولقد مولاكم } سيدكم ومتولى اموركم

{ وهو العليم } بما يصلحكم فيشرعه لكم

{ الحكيم } المتقن فى أفعاله واحكامه فلا يأمركم ولا ينهاكم الا حسبما تقتضيه الحكمة.

٣

{ واذ اسر النبى } الاسرار خلاف الاعلان ويستعمل فى الاعيان والمعانى والسر هو الحديث المكتتم فى النفس واسررت الى فلان حديثا افضيت به اليه فى خفية فالاسرار الى الغير يقتضى اظهار ذلك لمن يفضى اليه بالسر وان كان يقتضى اخفاءه من غيره فاذا قولهم اسررت الى فلان يقتضى من وجه الاظهار ومن وجه الاخفاء والنبى رسول الله عليه السلام فان اللام للعهد واذ ظرف اى اذكر الحاديث وقت الاسرار والأكثر المشهور انه مفعول اى واذكر يا محمد وقت اسرار النبى واخفائه على وجه التأنيت والتعتب او واذكروا أيها المؤمنون فالخطاب ان كان له عليه

السلام فالاظهار فى مقام الاضمار بأن قيل واذ أسررت للتعظيم بايراد وصف ينبئ عن وجوب رعاية حرمته ولزوم حماية حرمه عما يكرهه وان كان لغيره عموما على الاشتراك او خصوصا على الانفراد وذكره بوصف النبي للاشعار بصدقه فى دعوى النبوة

{ الى بعض ازواجه } وهى حفصة رضى الله عنها تزوجها النبي عليه السلام فى شعبان على رأس ثلاثين شهرا من الهجرة قبل احد بشهرين وكانت ولادتها قبل النبوة بخمس سنين وقريش تبنى البيت وماتت بالمدينة فى شعبان سنة خمس واربعين وصلى عليها مروان بن الحكم وهو امير المدينة يومئذ وحمل سريرها وحمله ايضا أبو هريرة وقد بلغت ثلاثا وستين سنة وأبو حفص أبوها عمر رضى الله عنه كناه به رسول الله عليه السلام وحفص ولد الاسد

{ حديثا } قال الراغب كل كلام يبلغ الانسان من جهة السمع او الوحى فى يفظته او منامه يقال له حديث والمراد حديث تحريم مارية او العسل اوامر الخلافة قال سعدى المفتى فيه ان تحريم العسل ليس

مما اسر الى حفصة بل كان ذلك عند عائشة وسودة وصفية رضى اللّه عنهن

{ فما نبأت به } اى اخبرت حفصة صاحبتها التى هى عائشة بالحديث الذى اسره اليها رسول الله صلّى اللّه عليه وسلّم وأفشه اليها

{ واظهره الله عليه } اى أطلع اللّه النبى على افشاء حفصة ذلك الحديث على لسان جبريل فالضمير راجع الى الحديث بتقدير المضاف واظهر ضمن معنى اطلع من ظهر فلان السطح اذا علاه وحقيقته صار على ظهره واظهره على السطح اى رفعه عليه فاستعير للاطلاع على الشئ وهو من باب الافعال بمعنى بررسانيدن كسى را برنهانى وديده وركردانيدن.

قال الراغب ظهر الشئ اصله أن يحصل شئ على ظهر الارض فلا يخفى وبطن اذا حصل فى بطنان الارض فيحقى ثم صار مستعملا فى كل بارز للبصر والبصيرة

{ عرف } ألنبي حفصة والتعريف بالفارسية بيا كاهيدن

{ بعضه } اى بعض الحديث الذى افشته الى صاحبتها على طريق العتاب بأن قال لها ألم أك امرتك أن تكتمى سرى ولا تبديه لأحد وهو حديث الامامة (روى)انه عليه السلام لما عاتبها قالت والذى بعثك بالحق ما ملكت نفسى فرحا بالكرامة التى خص الله بها أباها وبعض الشئ جزء منه

{ واعرض عن بعض } اى عن تعريف بعض تكرما وهو حديث مارية وقال بعضهم عرف تحريم الامة واعرض عن تعريف امر الخلافة كراهة أن ينتشر ذلك فى الياس وتكرما منه وحلما وفيه جواز اظهار الشيوخ الفراسة والكرامات لمريديهم لتزيد رغبتهم فى الطريقة وفيه حث على ترك الاستقصاء كريم قط وقال بعضهم ما زال التغافل من فعل الكرام

{ فلما نبأها به } اى اخبر النبي حفصة بالحديث الذى أفشته بما اظهره الله عليه من انها افشت سره

{ قالت من انبأك هذا } من أخبرك عنى هذا تعنى افشاءها للحديث ظنت أن عائشة اخبرته وفيه تعجب واستبعاد من اخبار عائشة بذلك لانها اوصتها بالكتم ولم يقل من نبأك ليوافق ما قبله للتفنن

{ قال } النبي عليه السلام

{ نبأنى } بفتح ياء المتكلم

{ العليم الخبير } الذى لا يخفى عليه خافية فسكتت وسلمت ونبأ ايضا من قبيل التفنن يقال ان انبأ ونبأ يتعديان الى مفعولين الى الاول بنفسهما والى الثانى بالباء وقد يحذف الاول للعلم به وق يحذف الجار ويتعدى الفعل الى لاثانى بنفسه ايضا فقوله تعالى فلما نبأها به على الاستعمال الاول وقوله فلما نبأت به على الاستعمالالثانى وقوله من أنباك على الاستعمال الثالث وقوله العليم هو ولعالم والعلامة من اسمائه سبحانه ومن أدب من علم انه سبحانه عالم بكل شئ حتى بخطرات الضمائر

ووساوس الخواطر أن يستحيي منه ويكف عن معاصيه ولا يغتر بجميل ستره ويخشى بغتات قهره ومفاجأة مكره وعن بعضهم انه قال كنت جائعا فقلت لبعض معارفى انى جائع فلم يطعمنى شيأ فمضيت فوجدت درهما ملقى فى الطريق فرفعته فاذا عليه مكتوب اما كان الله عالما بجوعك حتى طلبت من غيره والخبير بمعنى العليم وقال الامامالغزالى قدس سره اذا اعتبر العلم الملطق فهو العليم مطلقا واذا أضيف الى الغيب والامور الباطنه فهو الخبير واذا أضيف الى الامور الظاهرة فهو الشهيد واذا علم العبد انه تعالى خبير بأفعاله مطلع على سره علم انه تعالى احصى عليه جميع ما عمله او اخفى فى عمله وان كان هو قد نسيه فيخجل خجلا يكاد يهلكه (حكى) ان رجلا تفكر يوما فقال عمرى كذا كذا سنة يكون كذا كذا شهرا يكون منها كذا كذا يوما فبلغ عمره من الايمام ألو فل كثيره فقال لو لم اعص الله كل يوم الا معصية واحدة لكان فى ديوان عملى كذا كذا ألف معصية وانى فى كل يوم عملت كثيرا من المعاصى ثم صاح وفارق الدنيا (يقول الفقير).

مذنبم كرجه ولى رب غفوريم كرست ... بمن افناده دهد از كرمش

شايد دست

٤

{ أن تتوبا الى الله } خطابا لحفصة وعائشة رضى الله عنهما

فالالتفات من الغيبة الى الخطاب للمبالغة فى الخطاب لكن العتاب يكون

للاولياء كما ان العقاب يكون للاعدآء كما قيل

اذا ذهب العتاب فليس ود ... ويبقى الود ما بقى العتاب

ففيه ارادة خير لحفصة وعائشة بارشادهما الى ما هو اوضح لهما

{ فقد صغت قلوبكما } الفاء للتعليل كما فى قولك اعبد ربك

فالعبادة حق والا فالجزاء يجب أن يكون مرتبا على الشرط مسببا عنه

وصغوا قلبيهما كان سابقا على الشرط وكذا الكلام فى وان تظاهرا

الخ والمعنى فقد وجد منكما ما يوجب التوبة من ميل قلوبكما عما يجب

عليكما من مخالصة رسو لالله وحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه من صغا

يصغو صغوا مال واصغى اليه مال بسمعه قال الشاعر

تصغى القلوب الى اغر مبارك ... من آل عباس بن عبد المطلب

وجمع القلوب لئلا يجمع بين تثنيتين فى كلمة فرار من اجتماع

المتجانسين وربما جمع

{ وان تظاهرا عليه } باسقاط احدى التاءين وهو تفاعل من

الظهر لانه اقوى الاعضاء اى تتعاونا على النبي عليه السلام بما يسوءه

منالافراط فى الغيرة وافشاء سره وكانت كل منكما ظهر لصاحبتهما فيه

{ فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين } قوله هو مبتدأ ثان

جيء به لتقوى الحكم لا للحصر والا لانحصرت الولاية له عليه السلام فى

الله تعالى فلا يصح عطف ما بعده عليه وقوله وجبريل عطف على موضع

اسم ان بعد استكمالها خبرها وكذا قوله وصالح المؤمنين واليه مال

السجاوندى رحمه الله اذ وضع علامة الوقف على المؤمنين والظاهر ان

صالح مفرد ولذلك كتبت الحاء بدون واو الجمع ومنهم من جوز كونه جمعا
بالواو والنون وحذفت النون بالاضافة وسقطت واو الجمع فى التلفظ
لالتقاء الساكنين وسقت فى الكتابة ايضا حملا للكتابة على اللفظ نحو
يمح الله الباطل ويدع الانسان وسندع الزبانية الى غير ذلك والمعنى فلن
يعدم هو اى النبي عليه السلام من يظاهره فان الله هو ناصره
وجبريل رئيس الملائكة المقربين قرينه ورفيقه ومن صلح من المؤمنين اتباعه
واعوانه فيكون جبريل وما بعده اى على تقدير العطف داخلين فى الولاية
لرسول الله ويكون جبريل ايضا ظهيرا له بدخوله فى عموم الملائكة ويجوز
أن يكون الكلام قد تم عند قوله مولاه ويكون جبريل مبتدأ وما بعده عطفا
عليه وظهير خبر للجميع تختص الولاية بالله قال ابن عباس رضى الله
عنهما أراد بصالح المؤمنين أبا بكر وعمر رضى الله عنهما قال فى الارشاد
هو اللائق بتوسيطه بين جبريل والملائكة فانه جمع بين الظهير المعنوى
والظهير الصورى كيف لاوان جبريل ظهيره يؤيده بالتأييدات الالهية وهما

وزيراه فى تدبير امور الرسالة وتمشية الاحكام ظاهرة ومعاون آن حضرت
كه رضاى او بررضاى فرزندان خود ايثار كنند.

ولأن بيان مظاهرتهما له عليه السلام اشد تأثيرا فى قلوب بنتيهما
وتوهينا لامرهما فكان حقيقا بالتقدم بخلاف ما اذا أريد به جنس الصالحين
كما هو المشهور وعن بعضهم ان المراد بصالح المؤمنين
الاصحاب او خيارهم وعن مجاهد هو على رضى الله عنه يقول
الفقير يؤيده قوله عليه السلام يا على أنت منى بمنزلة هرون من موسى فان
الصالحين الانبياء هم عليه السلام كما قال تعالى وكلا جعلنا صالحين
وقال حكاية عن يوسف الصديق عليه السلام وألحقنى بالصالحين فاذا كان
على بمنزلة هرون فهو صالح مثله وقال السهيلى رحمه الله لفظ الآية عام
فالاولى حملها على العموم قال الراغب الصلاح ضد الفساد الذى هو
خروج الشئ عن الاعتدال والانتفاع قل او كثروهما مختصان فى اكير
الاستعمال هو خروج الشئ عن الاعتداء والانتفاع قل او كثروهما مختصان
ف اكثر الاستعمال بالافعال وقوبل الصلاح فى القرءآن تارة بالفساد وتارة

بالسيئة (وروى) ان رجلا قال لابراهيم بن أدهم قدس سره ان الناس يقولون لى صالح فبم اعرف انى صالح فقال اعرض اعم لك فى السر على الصالحين فان قبولها واستحسنوها فاعلم انك صالح والا فلا وهذا من كلم الحكمة

{ والملائكة } مع تكاثر عددهم وامتلاء السموات من جموعهم (وقال الكاشفى) وتمام فرشتكان آسمان وزمين

{ بعد ذلك } اى بعد نصرة اللّه وناموسه الاعظم وصالح المؤمنين وفيه تعظيم لنصرتهم لانها من الخوارق كما وقعت فى بدر ولا يلزم منه افضليه الملائكة على البشر

{ ظهير } خبر والملائكة والجملة معطوفة على جملة فان الله هو مولاه وما عطف عليه اى فوج مظاهر له معين كأنهم يد واحدة على من يعاديه فما ذا يفيد تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه وما ينبئ عنه قوله تعالى بعد ذلك من فضل نصرتهم على نصرة غيرهم من حيث ان نصرة

الكل نصرة الله بهم وبمظاهرتهم افضل من سائر وجوه نصرته يعنى ان نصرة الله اما نصرة ذاتية بلا آلة ولا سبب او نصرة بتوسط مخلوقاته والثانى يتفاوت بحسب تفاوت قدرة المخلوقات وقوتهم ونصرة الملائكة اعظم وابعد رتبة بالنسبة الى سائر المخلوقات على حسبت تفاوت قدرتهم وقوتهم فانه تعالى مكن الملائكة على ما لم يمكن الانسان عليه فالمراد بالبعدية ما كان بحسب الرتبة لا الزمان بأن يكون مظاهرة الملائكة اعظم بالنسبة الى نصرة المؤمنين وجبريل داخل فى عموم الملائكة ولا يخفى ان نصرة جميع الملائكة وفيهم جبريل اقوى من صرة جبريل وحده قال فى الارشاد هذا ما قالوا ولعل الانسب أن يجعل ذلك اشارة المظاهرة صالح المؤمنين خاصة ويكون بيان بعدية مظاهرة الملائكة تداركا لما يوهمه الترتيب من افضلية المقدم انفى نصرة فكأنه قيل بعد ذكر مظاهرة صالح المؤمنين وسائر الملائكة بعد ذلك ظهير له عليه السلام ايذانا يعلو رتبة مظاهرتهم وبعد منزلتها وجبرا لفصلها عن مظاهرة جبريل

قال بعضهم لعل ذكر غير الله مع ان الاخبار بكونه تعالىمولاه كاف فى تهديدهما لتذكير كمال رفعة شأن النبى عليه السلام عند الله وعند الناس وعند الملائكة اجمعين.

يقول الفقير ايده الله القدير هذا ما قالوا والظاهر ان الله تعالى مع كفاية نصرته ذكر بعد نفسه من كان اقوى فى نصرته عليه السلام من المخلوقات لكون المقام مقام التظاهر لكون عائشة وحفسة متظاهرتين وزاد فى الظهير لكون المقام مقام التهديد ايضا وقدم جبريل على الصلحاء لكونه او نصير له عليه السلام من المخلوقا وسفيرا بينه وبين الله تعالى وقدم الصلحاء على الملائكة لفضلهم عليهم فى باب النصرة لان نصرة الملائة نصرة بالفعل القالبي ونصرة الصلحاء نصرة به وبالهمة وهى اشد وما يفيد البعدية من افضلية تظاهرهم على تظاهر الصلحاء فمن حيث الظاهر اذ هم اقدر على الافعال الشاقة من البشر فاقتضى مقام التهديد ذكر البعدية وفى قوله وصالح المؤمنين اشارة الى غريبة الطعنى الله تعالى عليها وهى ان صالحا اسم النبى عليه السلام كما فى المفردات فان قلت كيف

هو ونصرة النبى لنفس محال قلت هذه نصرة من مقام ملكيته لمقام بشريته

ومن مقام جمعه لمقام فرقه ومن مقام ولايته لمقام نبوته كالتسليم فى

قوله السلام عليك أيها النبى ان صح انه عليه السلام قال فى تشهده

ونظيره نصرة موسعليه السلام لنفسه حين فر من القبط كما قال ففرت

منكم وذلك لان فيه نصرة نفسه الناطقة لنفسه الحيوانية وفيه اشارة ايضا

الى القلب والقوى الروحانية المنصورة على النفس بتأييد الله تعالى و تأييد

ملك الالهام قال بعض الكبار ليس فى العالم العظم قوة من المرأة يسر لا

يعرفه الا من عرف فيمن وجد العالم وبأى حركة اوجده الحق تعالى وانه

عن مقدمتين فانه نتيجة والناتج طالب والطالب مفتقر والمنتوج مطلوب

والمطلوب له عزة الافتقار اليه والشهوة فى ذلك غالبة فقد بان لك محل

المرأة من الموجودات وما الذى ينظر اليها من الحضرة الالهية وبما ذا كانت

لها القوة وقد نبه تعالى على ما خصها به من القوة بقوله وان تظاهرا الخ

وما ذكر الا معينا قويا من الملائكة الذين لهم الشدة والقوة فان صالح

المؤمنين يفعل بالهمة وهو اقوى من الفعل فان فهمت فقد رميت بك على

الطريق فانه تعالى نزل الملائكة بعد ذكره نفسه وجبريل وصالح المؤمنين منزلة المعينين ولا قوة الا بالله وقد اخبر الشيخ افضل الدين الأحمدى قدس سره انه تفكر ذات ليلة فى قوله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو قال فقلت اين المنازع الذى يحتاج فى مقاتلته الى جنود السموات والارض وقد قال تعالى ولله جنود السموات والارض واذا كان هؤلاء جنوده فمن يقاتلون وما خرج عنهم شخص واحد فاذا بها تف يقول لى لا تعجب فثمة ما هو اعجب فقلت وما هو فقال الذى قصه الله فى حق عائشة وحفصة قلت وما قص فتلا وان تظاهرا الخ فهذا اعجب من ذكر الجنود انتهى قال فتحرك خاطرى الى معرفة هذه العظمة التى جعل الله نفسه فى مقابلتها وجبريل وصالح المؤمنين فأخبرت بها فى واقعة فما سررت بشئ سرورى بمعرفه ذلك وعلمت من استندنا اليه ومن يقربهما وعلمت ان الله تعالى لولا ذكر نفسه فى النصرة ما استطاعت الملائكة والمؤمنون مقاومتها وعلمت انهما حصل لهما من العلم بالله والتأثير فى العلم ما اعطاهما هذه القوة وهذا من العلم الذى كهيئة المكنون فشكرت

الله على ما اولى انتهى وكان الشيخ على الخواص قدس سره يقول ما أظن احدا من الخلق استند الى ما استند اليه هاتان المرأتان يقول لوط عليه السلام لو أن لى بكم قوة او آوى الى ركن شديد فكان عنده والله الركن الشديد ولكن لم يعرفه وعرفتاه عائشة وحفصة فلم يعرف قدر النساء لا سيما عائشة وحفصة الا قليل فان النساء من حيث هن لهن القوة العظيمة حتى ان اقوى الملائكة المخلوقة من انفاس العامة الزكية من كان مخلوقا من أنفاس النساء ولو لم يكن فى شرفهن الا استدعاؤهن اعظم ملوك الدنيا كهيئة السجود لهن عند الجماع لكان فى ذلك كفاية فان السجود أشرف حالات العد فى الصلاة ولولا الخوف من اثاره امر فى نفوس السامعين يؤديهم الى امور يكون فيها حجابهم عما دعاهم الحق تعالى اليه لأظهرت من ذلك عجبا ولكن لذلك اهل والله عليم وخبير.

ه

{ عسى ربه } سز است وشايد برورد‌كار او.

يعنى النبى عليه السلام

{ ان طلقكن } اكر طلاق دهدشمارا كه زنان اوييد . وهو شرط معترض بين اسم عسى وخبرها وجواب محذوف او متقدم اى ان طلقكن فعسى

{ أن يبدله } اى يعطيه عليه السلم بدلكن

{ ازواجا } مفعول ثان ليبدله وقوله

{ خيرا منكن } صفة للازواج وكذا ما بعده من قوله مسلمات الى ثيبات وفيه تغليب المخاطب على الغائبات فالتقدير ان طلقكما وغير كما او تعميم لخطاب لكل الازواج بأن يكن كلهن مخاطبات لما عاتبهما بأنه قد صغت قلوبكما وذلك يوجب التوبة شرع فى تخوفيهما بان ذكر لهما انه عليه السلام يحتمل أن يطلقكما ثم انه ان طلقكما لا يعود ضرر ذلك الا اليكما لانه يبدله ازواجا خيرا منكما وليس فى الآية ما يدل على انه عليه السلام لم يطلق حفصة وان فى النساء خيرا منهن فان تعليق

الطلاق للكل لا ينافى تطليق واحدة وما علق بام لم يقع لا يجب وقوعه يعنى ان هذه الخيرية لما علقت بما لم يقع لم تكن واقعة فى نفسها وكان الل عالما بأنه عليه السلام لا يطلقهن ولكن اخير عن قدرته على انه ان طلقهن ابدله خيرا منهن تخويفا لهن كقوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم لم لا يكونوا امثالكم فانه اخبار عن القدرة وتخويف لهم لا ان فى الوجود من هو خير من اصحاب محمد عليه السلام قيل كل عسى فى القرءآن واجب الا هذا

وقيل هو اليضا واجب ولكن الله علقه بشرط وهو التطليق ولم يطلقهن فان المذهب انه ليس على وجه الارض نساء خير من امهات المؤمنين الا انه عليه السلام اذا طلقهن لعصيانهن له وأذاهن اياه كان غيرهن من الموصوفات بهذه الصفات مع الطاعة لرسول الله خيرا منهن وفى فتح الرحمن عسى تكون للوجوب فى ألفاظ القرآن واجب الا هذا

وقيل هو ايضا واجب ولكن الله علقه بشرط وهو التطليق ولم يطلقهن فان المذهب انه ليس على وجه الارض نساء خير من امهات

المؤمنين الا انه عليه السلام اذا طلقهن لعصيانهن له وأباهن اياه كان غيرهن

من الموصوفات بهذه الصفات مع الطاعة لرسول الله خيرا منهن وفى فتح

الرحمن عسى تكون للوجوب فى ألفاظ القرءآن الا فى موضعين احدهما فى

سورة محمد هل عسيتم اى علمتم او تمنيتم والثانى هنا ليس بواجب لان

الطلاق معلق بالشرط فلما لم يوجد الشرط لم يوجد الابدال

{ مسلمات مؤمنات } مقرات باللسان مخلصات بالجنان فليس

من قبل التكرار او منقادات انقيادا ظاهريا بالجوارح مصدقات بالقلوب

{ قانتات } مطيعات اى مواظبات على الطاعة او مصليات

{ تائبات } من الذنوب

{ عابدات } متعبدات او متذللات لامر الرسول عليه السلام

{ سائحات } صائمات سمى الصائم سائحا لانه يسيح فى النهار

بلا زاد فلا يزال ممسكا الى أن يجد ما يطعمه فشبه به الصائم فى امساكه

الى أن يجيء وقت افطاره وقال بعضهم الصوم ضربان صوم حقيقى وهو

ترك المطعم والمشرك والمنح وصوم حكمى وهو حفظ الجوارح من المعاصى كالسمع والبصر واللسان والسائح هو الذى يصوم هذا الصوم دون الاول انتهى او مهاجرات من مكة الى المدينة اذ فى الهجرة مزيد شرف ليس فى غيرها كما قال ابن زيد ليس فى امة محمد سياحة الا الهجرة والسياحة فى اللغة الجولان فى الارض

{ ثيبات } شوهر ديدكان

{ وابكارا } ودحتران بكر.

والثيب الرجل الداخل بامرأة والمرأة المدخول بها يستوى فيه المذكر ولمؤنث فيجمع المذكر على ثيبين والمؤنث على ثيبات من ثاب اذا رجع سميت به المرأة لانها راجعة الى زوجها ان اقام بها والى غيره ان فارقها او الى حالتها الاولى وهى انه لا زوج لها فهى لا تخلو عن الوثب اى الرجوع وقس عليها الرجل وسميت العذرآء بالبكر لانها علىاول حالتها التى طلعت عليها قال الراغب سميت التى لم تفتض بكرا اعتبارا بالثيب لتقدمها عليها

فما يراد له النساء ففى البكر معنى الاولية والتقدم ولذا يقال البكرة لاول
النهار والباكورة للفاكهة التى تدرك او لا وسط بينهما العاطف دون غيرهما
لتنا فيهما وعدم اجتماعه٩ما فى ذات واحد بخلاف سائر الصفات
فكأنه قيل ازواجا خيرا منكن متصفات بهذه الصفات المذكورة المحودة
كائنات بعضها ثيبات تعريضا لغيرعائشة وبعضها ابكارا تعريضا لها
فانه عليه السلام تزوجها وحدها بكرا وهو الوجه فى ايراد الواو الواصلة
دون او الفاصلة لانها توهم ان الكل ثيبات او كلها ابكار قال السهيلى
رحمه الله ذكر بعض اهل العام ان فى ههذا اشارة الى مريم البتول وهى
البكر والى آسية بينت مراحكم امرأة فرعون وان الله سيزوجه عليه
السلام اياهما فى الجنة كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال أبو
الليث رحمه الله تكون وليمة فى الجنة ويجتمع عليها اهل الجنة فيزوج الله
هاتين المرأتين يعنى آسية ومريم من محمد عليه السلام وبدأ بالثيب قبل
البكر لان زمن آسية قبل زمن مريم ولان ازواج النبى عليه السلام كلهن
ثيب الا واحدة وافضلهن خديجة وهى ثيبت فتكون هذه القبيلة من قبيلة

الفضل والزمان ايضا لانه تزوج الثيب منهن قبل البكر وفى كشف الاسرار (روى) عن معاذ بن جبلرضى الله عنه ان النبى عليه السلام دخل على خديجة وهى تجود بنفسها يعنى وى وفات ميكند.

فقال أتكرهين ما نزل بك يا خديجة وقد جعل الله فى الكرة خيرا كثيرة فاذا قدمت على ضر انك فاقريئهن منى السلام فقالت يا رسول الله ومن هن قال مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وحليمة اخت موسى فقالت بالرفاء والبنين اى اعرست ملتبسا بالرفاء وهو التئام والانفاق والمقصود حسن المعاشرة وكان هذا دعاء الاوآئل للمعرس واحترز بالبنين عن البنات ثم نهى النبى عليه السلام عن هذا الاول وامر بأن يقول من دخل على الزوج بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما فى خير ثم ان المراد من الابدار أن يكون فى الدنيا كما افاده قوله تعالى ان طلقكن لان نساء الجنة يكن ابكارا سوآء كن فى الدنيا ثيبات او ابكارا وفى الحديث

(ان الرجل من اهل الجنة ليتزوج خمسمائة حورآء واربعة آلاف ثيبت وثمانية الاف بكر يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره فى الدنيا

) فان قلت فاذا يكون اكثر اهل الجنة النساء وهو مخالف لقوله عليه السلام (يا معشر النساء تصدقن فانى أريتكن اكثر اهل النار) قلت لعلم المراد بالرجل بعض الرجال لان طبقات الابرار والمقربين متفاوته كما دل عليه قوله عليه السلم (أدنى اهل الجنة الذى له اثنتان وسبعون زوجة وثمانون ألف خادم ولا بعد فى كثرة الخادم) لما

قال بعضهم ان اطفال الكفار خدام اهل الجنة على ان الخدام لا ينحصرون فيهم بل لاهل الجنة خدام اخر فان قلت كان عليه السام يحب الأخف الأيسر فى كل شئ فلما ذا كثر من النساء ولم يكتف منهن بواحدة او ثنتين قلت ذلك من اسرار النبوة ولذا لم يشبع من الصلاة ومن النساء (روى) انه عليه السلام أعطى قوة أربعين رجلا فى البطش والجماع وكل حلال يكدر النس الا الجماع الحلال فانه يصفيها ويجلى العقل والقلب والصدر ويورث السكون باندفاع الشهودة المحركة على ان شهوة الخواص ليست كشهوة العوام فان نار الشهوة للخواص بعد نور المحبة وللعوام قبله ثم ان فى الآيات المتقدمة فوآئد منها ان تحريم الحلال غير

مرضى كما ان ابتغاء رضى الزوج بغير وجهه وجه ليس بحسن ومنها ان افشاء السر ليس فى المروءة خصوصا افشاء اسرار السلاطين الصورية والمعنوية لا يعفى وكل سر جاوز الاثنين شاع اى المسر والمسر اليه او الشفتين ومنها ان من الواجب على اهل الزلة التوبة والرجوع قبل الرسوه واشتداد القساوة ومناه ان الكبارة وجمال الصورة وطلاقة اللسان ونحوها وان كانت نفاسة جسمانية مرغوبة عند الناس لكن الايمان والاسلام والقنوت والتوبة ونحوها نفاسة روحانية مقبولة عند الله وشرف الحسب أفضل من شرف النسب والعلم الدينى والأدب الشرعى هما الحسب المحسوب من الفضائل فعلى العاقل أن يتجلى بالورع وهو الاجتباب عن الشبهات والتقوى وهو الاجتناب عن المحرمات ويتزين بزين انواع المكارم والاخلاق الحسنة والاوصاف الشريفة المستحسنة.

٦

{ يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم } امر من الوقاية بمعنى الحفظ والحماية والصيانة اصله او قيوا كاضربوا والمراد بالنفس هنا ذات الانسان

لا النفس الامارة والمعنا حفظوا وبعدوا أنفسكم وبالفارسية نكاه داريد نفسهاى خودرا ودور كنيد . يعنى بترك المعاصى وفعل الطاعت

{ وأهليكم } بالنصح والتأديب والتعليم اصله أهلين جمع اهل حذفت النون بالاضافة وقد يجمع على اهالى على غير قياس وهو كل من فى عيال الرجل والنفقته من المرأة والولد والأخ والاخت والعم وابنه والخادم ويفسر بالاصحاب ايضا ودلت الآية على وجوب الأمر بالمعروف للأقرب فالأقرب وفى الحديث (رحم الله رجلا قال يا أهلاه صلاتكم صيامكم زكاتكم مسكينكم يتيمكم جيرانكم لعل الله يجمعكم معهم فى الجنة) وفى الحديث (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) وهو من الرعاية بمعنا الحفظ يعنى كلكم ملتزم بحفظ ما يطالب به من العدل ان كان وليا ومن عدم الخيانة ان كان موليا عليه وكلكم مسئول عما التزم حفظه يوم القيامة فالامام على الناس راع والرجل راع على أهل بيته والمرأة راعية على بيت زوجها وولد وعبد الرجل راع على مال سيده والكل مسئول

وقيل أشد الناس عذابا يوم القيامة من جهل اهله وخص الأهلين بالنصيحة مع ان حكم الاجانب كحكمهم فى ذلك لان الاقارب اولى بالنصيحة لقربهم كما قال تعالى قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وقال تعالى وانذر عشيرتك الاقربين ولان شرآئط الامر والنهى قد لا توجد فى حق الاجانب بخلاف الاقارب لا سيما الاهل فان الرجل سلطان اهله وقال بعض اهل الشارة فى الآية طهروا أنفسكم عن دنس محبة الدنيا حتى تكون اهاليكم صالحين بمتابعتكم فاذا رغبتم فى الدنيا فهم يشتغلون بها فان زلة الامام زلة المأمومين وقال القاشانى رحمه الله الأهل بالحقيق هو الذى بينه وبين الرجل تعلق روحانى واتصال عشقى سوآء اتصل به اتصالا جسمانيا ام لا وكل ما تعلق به تعلقا عشقيا فبالضرورة يكون معه فى الدنيا والآخرة فوجب عليه وقايته وحفظه من النارى كوقاية نفسه فان زكى نفسه عن الهيئات الظلمانية وفيه ميل ومبحة لبعض النفوس المنغمسة فيها لم يزكها بالحقيقة لانه بتلك المحبة ينجذب اليها فيكون معها فى الهاوية محجوبا بها سوآء كانت قواه الطبيعية الداخلة فى تركيبه ام نفوسا انسانية منتكسة

فى عالم الطبيعة خارجة عن ذاته ولهذا يجب على الصادق محبة الاصفياء والاولياء ليحشر معهم فان المرء يحشر مع من احب

{ نارا } نوعا من النار

{ وقودها } ما يوقد به تلك النار يعنى حطبها وبالفارسية آتش انكيزوى.

فالوقود بالفتح اسم لما توقد به النار من الحطب وغيره والوقود بالضم مصدر بمعنى الانقاد وقرئ به بتقدير اسباب وقودها او بالحمل على المبالغة

{ الناس } كفار الانس والجن وانما لم يذكر الجن ايضا لان المقصود فى الآية تحذير الانس ولان كفار الجن تابعة لكفار النس لان التكذيب انما صدر اولا من الانس

{ والحجارة } اى تتقد بها ايضا اتقاد غيرها بالحطب ففيه بيان لغاية احراقها وشدة قوتها فان انقاد النار بالحجارة مكان الحطب من

الشجرة يكون من زيادة حرها ولذلك قال عليه السلام باركم جزء من سبعين جزأ من نار جهنم وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى حجارة الكبريت وهى اشد الاشياء حرا اذا اوقد عليها ولها سرعة الاتقاد ونتن الرآئحة وكثرة الدخان وشدة الالتصاق بالابدان فيكون العذاب بها اشد

وقيل وقودها الناس اذا صاروا اليها ولحجارة قبل أن يصيروا اليها (قال الكاشفى) تابتان سنكين كه كفارمى برستند.

دليله قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقرن الناس بالحجارة لانهم نحتوها واتخذوها اربابا من دون الله يا كنجهاى زروسيم كه منشأ آن سنكست

زدوسيمند سنك زرد وسفيد ... اندرين سنكها مينداميد

دلى ازسنك سختترباید ... كه زسمكيش راحت افزايد

دل ازين سنك اكرتوبرنكنى ... سرز حسرت بسى بسنك زنى

وقيل أراد بالحجارة الذين هم فى صلابتهم عن قبول الحق كالحجارة كمن وصفهم بقوله فهى كالحجارة او اشد قسوة كما قال فى التأويلات النجمية يا أيها الذينان آمنوا بالايمان العلمى قوا أنفسكم واهليكم من القوى الروحانية نار حجاب البعد والطرد التى يوقدها حطب وجود الناسين ميثاق ألست بربكم قالوا بلى وحجارة قلوبهم القاسية وهم الصفات البشرية الطبيعية الحيوانية البهيمية السبعة الشيطانية انتهى وامر الله المؤمنين باتقاء هذه النار المعدة للكافرين كما نص عليه فى سورة البقرة حيث قال فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين للمبالغة فى التحذير ولان الفساق وان كانت دركاتهم فوق دركات الكفار فانهم تبع للكفار فى دار واحد فقيل للذين آمنوا قوا أنفسكم باجتناب الفسوق مجاورة الذين اعدت لهم هذه النار اصالة ويبعد أن يأمرهم بالتوقى عن الارتداد كما فى التفسير الكبير

{ عليها } اى على تلك النار العظيمة

{ ملائكة } تلى امرهم وتعذيب اهلها وهم الزبانية التسعة عشر واعوانهم فليس المراد بعلى الاستعلاء الحسى بل الولاية والقيام والاستيلاء والغلبة على ما فيها من الامور قال القاشانى هى القوى السماوية والملكوتيه الفعالة فى الامور الارضية التى هى روحانيات الكواكب السبعة والبروج الاثنى عشر المشار اليها بالزبانية التسعة عشر وغيرها من المالك الذى هو الطبيعة الجسمانية الموكلة بالعالم السفلى وجميع القوى والملكوت المؤثرة فى الاجسام التى لو تجردت هذه النفوس الانسانية عنها ترقت من مراتبها والصلب بعالم الجبروت وصارت مؤثرة فى هذه القوى الملكونية ولكنها لما انغمست فى الامور البدنية وقرنت أنفسها بالاجرام الهيولانية المعبر عنها بالحجارة صارت متأثرة منها محبوسة فى اسرها معذبة بأيديها

{ غلاظ } غلاظ القلوب بالفارسية سطبر جكران.

جمع غليظ بمعنى خشن خال قلبه عن الشفقة والرحمة

{ شداد } شداد القوى جمع شديد بمعنى القوى لانهم اقوياء لا يعجزون عن الانتقام من اعدآء الله على ما مروا به

وقيل غلاظ الاقوال شداد الافعال اقوياء على الافعال الشديده يعملون بأرجلهم كما يعملون بأيديهم اذا استرحموا لم يرحموا لانهم خلقوا من الغضب وجبلوا على القهر لا لذة لهم الا فيه فمقتضى جبلتهم تعذيب الخلق بلا مرحكمة كام ان مقتضى الحيوان الاكل والشرب ما بين منكى احدهم مسيرة سنة او كما بين المشرق والمغرب بضرب احدهم بمقمعته ضربة واحدة سبعين ألفا فيهوون فى النار

{ لا يعصون الله ما امرهم } اى امره فى عقوبة الكفار وغيرها على انه بدل اشتمال من الله وما مصدرية او فيما امرهم به على نزع الخافض وما موصولة اى لا يمتنعون من قبول الامر ويلتمزنه ويعزمون على اتيانه فليست هذه الجملة مع التى بعدها فى معنى واحد (وقال الكاشفى)

برشوت فرفته نشوند تامخالفت امربايد كرد ... كأعوان ملوك الدنيا

يمتنعن بالرشوة

{ ويفعلون ما يؤمرون } اى يؤدون ما يؤمرون به من غير تثاقل

وتوان وتأخير وزيادة ونقصان وقال القاضى لا يعصون الله ما امرهم فيما

مضى ويستمرون على فعل ما يؤمرون به فى المستقبل

قال بعضهم لعل التعبير فى الامر اولا بالماضى مع نفى العصيان

بالمستقبل لما ان العصيان وعدمه يكونان بعد الامر وثانيا بالمستقبل لما

امرهم بعذاب الاشقياء يكون مرة بعد مرة قال بعض الكبار فى هذه الآية

دليل على عصمة جميع الملائكة السماوية وذلك لانهم عقول مجردة بلا

منازع ولا شهوة فيهم مطيعون بالذات بخلاف البشر والملائكة الى السماء

ابدا كما ان منهم من لا ينزل من السماء الى الارض ابدا وفيها دليل ايضا

على انه لا نهى عند هؤلاء الملائكة فلا عبادة للنهى عندهم ففاتهم اجر

ترك المنهيات بخلاف الثقلين وملائكة الارض فانهم جمعوا بين اجر عبادة

الامر واجر اجتناب النهى قال الكرمانى فى شرح البخارى ان قلت التروك

ايضا عمل لان الاصح ان الترك كف النفس فيحتاج الى النية قلت نعم اذا كان المقصود امثال امر الشارع وتحصيل الثواب اما فى اسقاط العقاب فلا فالتارك للزنى يحتاج فيه لتحصيل الثواب الى النبة وما اشتهر ان التروك لا تحتاج اليها يريدون به فى الاسقاط يعنى لو أريد بالتروك وتحصيل الثواب وامتثال امر الشارع لا فيه من قصد الترك امتثالا لامر الشارع فتارك الزنى ان قصد تركه امتثال الا مريثات

٧

{ يا أيها الذين كفروا } اي يقال لهم عند ادخال الملائكة اياهم النار حسما امرو وابه يعنى جون زبانيه كافران رابكناه دوزخ آرند ايشان آغاز اعتذار كرده داعية خلاصى نمايند بس حق تعالى باملائكة كويد يا ايها الذين كفروا

{ لا تعتذروا اليوم } اى فى هذا اليوم يعنى عذر مكوييد امر وزكه عذر مقبول نيست وفائده نخواهد داد.

قال القاشانى اذ ليس بعد خراب البدن ورسوخ الهيئات المظلمة الى الجزآء على اعمال لامتناع الاستكمال ثمه والاعتذار بالفارسية عذر خواستن.

يقال اعتذرت الى فلان من جرمى ويعدى بمن والمعتذر قد يكون محقا وغير محق قال الراغب العذر تحرى الانسان ما يمحو به وذلك ثلاثة اضرب ان يقول لم أفعل اويقول فعلت لاجل كذا فيذكر ما يخرجه عن كونه مذنبا او يقول فعلت ولا أعود ونحو ذلك وهذا الثالث هو التوبة فكل توبة عذر وليس كل عذر توبة واعتذرت اليه تيت بعذر وعذرته قبلت عذره

{ انما تجزون ما كنتم تعملون } فى الدنيا من الكفر والمعاصى بعد ما نهيتم عنها اشد النهى وامرتم بالايمان والطاعة فلا عذر لكم قطعا أى حقيقة وانهى عن الاتيان بما هو عذر صورة فى حسبانهم وفى بعض التفاسير لا تعذروا اليوم لما انه ليس لكم عذر يعتد به حتى يقبل فينفعكم وهذا النهى لهم ان كان قبل مجيئ الاعتذار منهم فيوافق ظاهر قوله

تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون وان كان بعده فيؤول هذا القول وقال لا يؤذن لهم أن يتموا اعتذارهم ولا يسمع اليه وفى التأويلات النجمية قل للذين ستروا الحق بالباطل وحجبوا عن شهود الحق فى الدنيا لا تطلبوا مشاهدة الحق فى الآخرة انما تكافأون بعدم رؤية الحق اليوم لعدم رؤيتكم له فى يوم الدنيا كما قال ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى واضل سبيلا انتهى.

قال بعض العارفين لا يتحسر يوم القيامة على فوات الاعمال الصالحة الا العامة اما العارفون فلا يرون لهم عملا يتحسرون على فواته بل ولا يصح الفوات ابدا انما هى قسمة عادلة يجب على كل عبد الرضى بها وقول الانسان أنا مقصر فى جنب الله هو من باب هضم النفس لا حقيقة اذ لا يقدر احد أن ينقص مما قسم له ذرة ولا يزيد عليه ذرة فلا يصح الخدم الا فى عمال توهم العبد اهاله ثم فوتها وذلك لا يقوله عارف (مصراع) در دائره قسمت من نقطه تسلم.

٨

{ يا أيها الذين آمنوا توبا الى الله توبة نصوحا } التوبة أبلغ وجوه الاعتذار بان يقول فعلت وأسأت وقد اقلت وفى الشرع ترك الذنب لقبحه والندم على ما فرط منه والعزيمة على ترك المعاودة وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من العمال بالاعادة فمتى اجتمع هذه الاربعة قد كملت شرائط التوبة كما فى المفردات والنصح تحرى فعل او قول فيه صلاح صاحبه والنصوح فعول من ابينة المبالغة كقولهم رجل صبور وشكور اى بالغة فى النصح وصفت التوبة بذلك على الاسناد المجازى وهو وصف التائبين وهو أن ينصحوا أنفسم بالتوبة فيأتوا بها على طريقتها وذلك أن يتوبوا من القبائح لقبحها نادمين عليها مغتمين اشد الاغتمام لارتكابها عازمين على انهم لا يعودون فى قبيح من القبائح الا أن يعود اللبن فى الضرع وكذا لو حزوا بالسيف واحرقوا بالنار موطنين أنفسم على ذلك بحيث لا يلويهم عنه صارف اصلا وعن على رضى الله عنه انه سمع اعرابيا يقول اللهم انى استغفرك وأتوب اليك فقال يا هذا ان سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين قال وما التوبة قال ان التوبة يجمعها ستة اشياء على الماضى من الذنوب

الندامة وللفرآئض الاعادة اى القضاء صلاة او صوما او زكاة او نحوها ورد المظالم واستحلال الخصوم وأن تعزم على أن لا تعود وأن تذيب نفسك فى طاعة الله كما ربيتها فى المعصية وأن تذيقها مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعاصى قال سعدى المفتى والمذهب السنى انه يكفى فى تحقق التوبة الندم والعزم على أن لا يعود بخلاف اهل الاعتزال حيث يلزم فى تحققها عندهم رد المظالم وهو عندنا غير واجب فى التوبة قال بعض الكبار ما لم يتكن التوبة عامة من جميع المخالفات فهى ترك لا توبة

وقيل نصوحا من نصاحة الثوب بالفتح وهى بالفرسية جامعه دوختن اى توبة ترفوا خروقك فى دينك وترم خللك وفى الحديث (المؤمن واه راقع فطوبى لمن مات على رقعه) ومعناه أن يخرق دينه ثم يرقعه بالتوبة ونحوه استقيموا ولن تحصوا اى لن تستطيعوا أن تستقيموا فى كل شئ حتى لا تميلوا ومنه يا حنظلة ساعة فساعة ومن بلاغات الزمخشرى ما منع قول الناصح أن يروقك وهو الذى ينصح خروقك شبه فعل الناصح فيما يتحراه من صلاح المنصوح له بما يسده من خلل الثوب

وقيل خالصة من قولهم عسل ناصح اذا خلص من الشمع شبه التوبة فى خلوصها بذلك وكذا تخلص قول الناصح من الغشب بتخلص العسل من الخلط ويجوز أن يراد توبة تنصح الناس اى تدعوهم الى مثلها لظهور اثرها فى صاحبها واستعماله الجد والعزيمة فى العمل بمقتضياتها وقال ذو النون المصرى قدس سره التوبة ادمان البكاء على على ما سلف من الذنوب والخوف من الوقوع فيها وهجران اخوان السوء وملازمة اهل الجنة وقال التسترى رحمه الله هى توبة ا لسنى لا المبتدع لانه لا توبة له بدليل قولهعليه السلام حجر الله على كل صاحب بدعة أن يتوب وقال الواسطى قدس سره هى أن يتوب لا لغرض وقال الشيخ أبو عبد الله بن حفيف قدس سره طالب عباده بالتوبة وهو الرجوع اليه من حيث ذهبوا عنه والنصوح فى التوبة الصدق فيها وترك ما منه تاب سرا وعلنا وقولا وفكرا وقال القاشانى رحمه الله مراتب التوبة كمراتب التقوى فكما ان اول مراتب التقوى هو الاجتناب عن المنهيات الشرعية وآخرها الاتقاء

عن الانانية والبقية فكذلك التوبة اولها الرجوع عن المعاصى وآخرها الرجوع عن ذنب الوجود الذى هو من امهات الكبائر عند اهل التحقيق

{ عسى ربكم } شايد بروردكار شما وفى كشف الاسرار الله برخود واجب كرد نائب را از شما

{ أن يكفر عنكم سيئاتكم } يسترها بل يمحوها ويبدلها حسنات

{ ويدخلكم جنات } جمع جنات اما لكثرة المخاطبين لان لكل منهم جنة او لتعددها لكل منهم من الانواع

{ تجرى من تحتها الانهار } قال فى الارشاد ورود صيغة الاطماع والترجية للجرى على سنن الكبرياء فان الملوك يجيبون بلعل وعسى ويقع ذلك ذلك موقع القطع والاشعار بأنه تفضل والتوبة غير موجبة له وان العبد ينبغى أن يكون بين خوف ورجاء وان بالغ فى اقامة وظائف العبادة.

يقول الفقير التكفير اشارة الى الخلاص من الجحيم لان السيئات هى سبب العذاب فاذا ذال السب زال المسبب وادخال الجنات اشارة الى

التقريب لان الجنان موضع القرب والكرامة وجريان الانها اشارة الى الحياة الأبدية لان الماء اصل الحياة وعنصرها فلا بد للانسان فى مقابلة هذه الانهار من ماء العلم ولبن الفطرة وعسل الالهام وخمر الحال فكما ان الحياة المعنوية فى الدنيا انما تحصل بهذه الاسباب فكذا الحياة الصورية فى الآخرة انما تحصل بصورا

{ يوم لا يخزى الله النبى } ظرف ليدخلكم والاخزآء دور كردن ورسوا كردن وخوار كردن وهلاك كردن.

ومعنى هذه الكلمة يقرب بعضها من بعض كما فى تاج المصادر والنبى المعهود.

يعنى روزى كه حجل نكند خداى تعالى بيغمبررا يعنى نه نفس اورا عذاب كندونه شفاعت اورا درباره عاصبان مردود سازد.

قال بعض اهل التفسر يخزى اما من الخزى وهو الفضاحة فيكون تعريضا للكفرة الذين قال الله تعالى فيهم ان الخزى اليوم والسوء على

الكافرين او من الخزاية بمعناالحياء والخجل وهو الأنسب هنا بالنظر الى شأن الرسول خصوصا اذا تم الكلام فى النبى وان أريد المعنى الاول حينئذ يجوز أن يكون باعتبار أن خزى الامة لا يخلو عن انشاء خزى ما فى الرسول على ما يشعر به قوله فى دعائه اللهم لا تخزنا يوم القيامة ولا تفضحنا يوم اللقاء بعض الاشعار حيث لم يقل لا تخزنى كما قال ابراهيم عليه السلا ولا تخزنى يوم يبعثون ليكيون دعاؤه عاما لامته من قوة رحمته وأدخل فيهم نفسه العالية من كمال مروءته قيل الخزى كناية من العذات لملازمة بينهما والاولى العموم لكل خزى يكون سببا من الاسباب من الحساب والكتاب والعقاب وغيرها

{ والذين آمنوا معه } عطف على النبى ومعه صلة لا يخزى اى لا يخزى الله معه الذين آمنوا اى يعمهم جميعاً بأن لا يخزيهم او حال من الموصول بمعنى كائنين معهاو متعلق بآمنوا وهو الموافق لقوله تعالى واسلمت مع سليمان اى ولا يخزى المؤمنين الذين اتبعوه فى الايمان كما قال آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون وذلك بسوء الحساب

والتعبير والعتاب وذل الحجاب ورد الجواب فيحاسبهم حسابا يسيرا بل ويرفع الحساب عن بعضهم ويلاطفهم ويكشف لهم جماله ويعطى مأمولهم من الشفاعة لاقاربهم واخواتهم ونحولهم وقال داود القيصرى رحمه الله فى قوله تعالى واسلمت مع سليمان اى اسلام سليمان اى اسلمت كما اسلم سليمان ومع فى هذا الموضع كمع فى قوله يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه وقوله وكفى بالله شهيدا محمد رسول الله والذين معه ولا شك ان زمان ايمان المؤمنين ما كان مقارنا لزمان ايمان الرسول وكذا اسلام بلقيس ما كان عند اسلام سليمان فالمراد كما انه آمن بالله آمنوا بالله وكما انه اسلم اسلمت لله انتهى كلام القيصرى وتم الكلام عند قوله معه وفيه تعريض بمن اخزاهم الله من اهل الكفر ولافسوق كما سبق واستحماد الى المؤمنين على انه عصمهم من مثل حالهم

وقيل قوله والذين الخ مبتدأ خبره ما بعده من قوله نورهم الخ او خبره معه والمراد بالايمان هو الكامل حينئذ حتى لا يلزم أن لا يدخل عصاة المؤمنين النار

{ نورهم } اى نور ايمانهم وطاعتهم على الصراط قال فى عين المعانى نور الاخلاص على الصراط لاهل المعاملة بمنزلة الشمع ونور الصدق لارباب الاحوال بمنزلة القمر ونور الوفاء لاهل المحبة بمنزلة شعاع الشمس

{ يسعى } السعى المشى القوى السريع ففيه اشارة الى كمال اللمعان

{ بين ايديهم } اى يضيء بين ايديهم يعنى قدامهم جمع يد يراد بها قدام الشئ لتكون بين اليدين غالبا فالجمع اما باطلاقه على التثنية او بكثرة ايدى العباد

{ وبأيمانهم } جمع بيمين مقابل الشمال اى وعن ايمانهم وشمائلهم على وجه الاضمار يعنى جهة ايمانهم وشمائلهم او عن جميع جهاتهم وانما اكتفى بذكرهما لانهما أشرف الجهاد ومن ادعيته عليه السلام اللهم اجعل فى قلبى نورا وفى سمعى نورا وفى بصرى نورا وعن يمينى نورا وعن شمالى نورا وأمامى نورا وخلفى نورا وفوقى نورا وتحتى نورا واجعلنى نورا وقال

بعضهم تخصيص الأيدى والايمان لان ارباب السعادة يؤتون صحائف

اعمالهم منهما كما ان اصحاب الشقاوة يؤتون من شمائلهم و ورآء ظهورهم

فيكون ذلك علامة لذلك وقائدا على الصراط الى دخول الجنة وزينة لهم

فيها وقال القاشانى نورهم يسعى بين أيديهم اى الذين لهم بحسب النظر

والكمال العلمى و بأيمانهم اىالذى لهم بحسب العمل وكماله اذ لنور العلمى

من منبع الوحدة والعلمى من جانب القلب الذى هو يمين النفس او نور

السابقين منهم يسعى بين أيديهم ونور الابرار منهم يسعى بايمانهم وقد

سبق تمامه فى سورة الحديد وفى الحديث من المؤمنين من نوره ابعد ما بيننا

وبين عدن ابين ومنهم من نوره لا يجاوز قدمه

{ يقولون } اى يقول المؤمنون وهو الظاهر او الرسول لامته

والمؤمنون لانفسهم اذا طفئ نور المنافقين اشفاقا اى يشفقون على العادة

البشرية على نورهم ويتفكرون فميا مضى منهم من الذنوب فيقولون

{ ربنا } اى بروردكارما

{ اتمم لنا نورنا } نكاه دار وباقى دار نورما تابسلامت بكذريم.

فيكون المراد بالاتمام هو الادامة الى ان يصلوا الى دار السلام

{ واغفر لنا } يعنى از ظلمت كناه باك كن

{ انك على كل شئ قدير } من الاتمام والمغفرة وغيرهما

وقيل يدعون تقربا الى الله تعالى مع تمام نورهم كقوله واستغفر لذنبك وهو مغفور له قال فى الكشاف كيف يتقربون وليست الدار دار تقرب قلت لما كانت حالهم كحال المتقربين يطلبون ما هو حاصل لهم من الرحمة سماه تقربا

وقيل يتفاوت نورهم بحسب اعمالهم فيسألون اتمامه نقضلا فيكون قوله يقولون من باب بنو افلان قتلوا زيدا

وقيل السابقون الى الجية يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم حبو او زخفا واولئك الذين يقولون ربنا اتمم لنا نورنا وقال سهل قدس سره لا يسقط الافتقار الى الله عن المؤمنين فى الدنيا

ولآخرة وهم فى العقبى اشد افتقار اليه وان كانوا فى دار العز والغنى ولشوقهم الى لقائه يقولون اتمم لنا نورنا.

واعلم ان ما لا يتم فى هذه الدار لا يتم هناك الا ما كان متعلق النظر والهمة هنا فاعرف ثم ان الانوار كثيرة نور الذات ونور الصفات ونور الافعال ونور الافعال ونور العبادات مثل الصلاة والوضوء وغيرهما كما قال عليه السلام فى حديث طويل (والصلاة نور والسر فيه ان المصلى يناجى ربه ويتوجه اليه) وقد قال عليه السلام (ان العبد اذا قام يصلى فان الله ينصب له وجهه تلقاءه والله نور وحقيقة العبد ظلمانية فالذات المظلمة اذا واجهت الذات النيرة وقابلتها بمحاذات صحيحة فانها تكتسب من انوار الذات النيرة ألا ترى ان القمر الذى هو فى ذاته جسم اسود مظلم كشيف صقيل كيف يكتسب النور من الشمس بالمقابلة وكيف يتفاوت اكتسابه للنور بحسب التفاوت الحاصل فى المحاذاة والمقابلة فاذا تمت المقابلة وصحت المحاذاة كمل اكتساب النور وفى الحديث بشر المشائين فى الظلم الى المساجد بالنور التام فى يوم القيامة وفيه اشارة الى

ان كل ظلمة ليست بعذر لترك الجماعة بل الظلمة الشديدة فان الاعذار التى تبيح التخلف عن الجماعة المرض الذى يبيح التيمم ومثله كونه مقطوع اليد والرجل من خلاف او مفلوجا او لا يستطيع المشى او أعمى او المطر والطين والبرد الشديد والظلمة الشديدة للصحيح وكذا الخوف من السلطان او غيره من المتغلبين وفى الحديث وددت انا قد رأينا اخواننا)

قالوا يا رسول الله ألسنا اخوانك قال انتم اصحابى واخواننا الذين لم يأتوا بعد فقالوا كيف تعرف من لم يأت بعد من امتك يا رسول الله فقال أرأيتم لو أن رجلا له خيل غر محجلة بين ظهرانى خيل دهم بهم ألا يعرف خليله قالوا بلى يا رسول الله قال فانهم يأتون غرا محجلين من الوضوء وانا فرطهم على الحوض استعار عليه السلام لأثر الوضوء من البياض فى وده المتوضى ويديه ورجليه بنور الوضوء يوم القيامة من البياض الذى فى وجه الفرس ويديه ورجليه فان الغر جمع الاغر والغرة بالضم بياض فى جبهة الفرس فرق الدرهم والتحجيل بتقديم الحاء المهملة بياض قوآئم الفرس كلها ويكون فى رجلين ويد وفى رجلين فقط وفى رجل فقط ولا يكون فى اليدين

خاصة الا مع الرجلين والدهم جمع الأدهم بمعنى الاسود فان الدهمة بالضم السواد والبهم جمع الأبهم وفرس بهيم اذا كان على لون واحد لم يشبه غيره من الالوان ومنه استعير ما روى انه يحشر الناس يوم القيامة بهما بالضم اى ليس بهم شئ مما كان فى الدنيا نحو البرص والعرج والفرط بفتحتين المتقدم لاصلاح الحوض والدلو

٩

{ يا ايها النبى } اى رسول خبر دهنده يا بلند قدر

{ جاهد الكفار } بالسيف يعنى جهادكن با كافران بشمشير

{ والمنافقين } بالحجة او بالوعيد والتهديد او بالقائم بوجه قهر أو بافساد سرهم وقال القاشانى جاهد الكفار والمنافقين للمضادة الحقيقية بينك وبينهم قيل النفاق مستتر فى القلب ولم يكن للنبى عليه السلام سبيل الى ما فى القلوب من النفاق والاخلاص الابعد اعلام من قبل الله فأمر عليه السلام بمجاهدة من علمه منافقا باعلام الله اياه باللسان

دون السيف لحرمة تلفظه بالشهادتين وأن يجرى عليه احكام المسلمين ما دام ذلك الى أن يموت

{ واغلظ عليهم } واستعمل الحشونة على الفريقين فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة وفيه اشارة الى ان الغلظة على اعدآء الله من حسن الخلق فان ارحم الرحماء اذا كان مأمورا بالغلظة عليهم فما ظنك بغيره فهى لا تنافى الرحمة على الاحباب كما قال تعالى أشدآء على الكفار رحماء بينهم

{ ومأواهم جهنم } سيرون فيها عذاب غليظا يعنى ومقام باز كشت كفران ومنافقان اكر ايمان نيارند ومخلص نشوند دوزخست.

قال القاشانى ما داموا على صفتهم او دآئما ابدا الزوال استعدادهم او عدمه

{ وبئس المصير } اى جهنم او مصيرهم وفيه تصريح بما علم التزاما مبالغة فى ذمهم وفيه اشارة الى نبى القلب المجاهد فى سبيل الله فانه

مأمور بجهاد الكفار اىالنفس الامارة بالسوء وصفاتها الحيوانية الشهوانية وبجهاد المنافقين اى الهوى المتبع وصفاته البهيمية والسبعية وبالغلظة عليهم بسيف الرياضة ورمح المجاهدة ومقامهم جهنم البعد والحجاب وبئس المصير اذ ذل الحجاب وبعد الاحتجاب اشد من شدة العذاب.

يقول الفقير اذا كان الاعدآء الظاهرة يحتاجون الى الغلظة والشدة فما ظنك باعدى الاعدآء وهى النفس الامارة ففى الغلظة عليها نجاة وفى اللين هلاك ولذا قال بعض الشعراء

هست نرمى آفت جون سمور ... وزدرشتى مى برد جان خاربشت

وفى المثل العصا لمن عصا وقول الشيخ سعدى

درشتى ونرمى بهم در بهست ... جو فصاد جراح ومرهم نهست

يشير الى ان للمؤمن صفحة الجمال والجلال وبهاء الكمال فأول المعاملات الجمال لان الله تعالى سبقت رحمته ثم الجلال فلما لم تقبل الكفار الدعوة بالرفق واللين وكذا المنافقون الاخلاص واليقين امر الله تعالى

نبيه عليه السلام بالغلظة عليهم ليظهر احكام كل من الاسماء المتقابلة ففيه اشارة الى ان من خلق للرحمة وهم المؤمنون الا يغضب عليهم لوا يغلظ لانه قلب الحكمة وعكس المصلحة وان من خلق للغضب وهم الكفار والمنافقون لا يرحم لهم ولا يرفق بهم لذلك ودخل فيهم اهل البدعة للغضب وهم الكفار والمنافقون لا يرحم لهم ولا يرفق بهم لذلك ودخل فيهم اهل البدعة ولذا لا يجوز أن يلقاهم السنى بوجه طلق وقد عاب الله بعض من فعل ذلك فعلى المؤمن أن يجتهد فى طريق الحق حتى يدفع كيد الأعدآء ومكر الشياطين عن الظاهر والباطن ويديم ذلك لان به يحصل الترقى الذى هو من خصائص الانسان ولذا خص الجهاد بالثقلين

واما جهاد الملائكة فبالتبعية او بتكثير السواد فاعرف.

١٠

{ ضرب الله مثلا للذين كفروا } ضرب المثل فى امثال هذه المواضع عبارة عن ايراد حالة غريبة ليعرف بها حالة اخرى مشاكلة لها فى

الغرابة اى يجعل الله مثالا لحال هؤلاء الكفرة حالا ومآلا على ان مثلا مفعول ثان لضرب واللام متعلقة به

{ امرأة نوح وامرأة لوط } اى حالهما مفعوله الاول اخر عنه ليتصل به ما هو شرح وتفسير لحالهما ويتضح بذلك حال هؤلاء وامرأة نوح هى واعلة بالعين المهمله اووالعة وامراة لوط هى واهلة بالهاء

{ كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين } بيان لحكالهما الداعية لهما الى الخير والصلاة والمراد بكونهما تحتهما وكونهما فى حكمهما وتصرفهما بعلاقة النكاح والزواج وصالحين صفة عبدين اى كانتا تحت تكاح نبيين وفى عصمة رسولين عظيمين الشان متمكنتين من تحصيل خير الدنيا والآخرة وخيازة سعادتهما واظهار العبدين المراد بهما نوح ولوط لتعظيمهما بالاضافة التشريفية الى ضمير التعظيم والوصف بالصلاح والا فيكفى أن يقول تحتهما وفيه بيان شرف العبودية والصلاح

{ فخانتاهما } بيان لما صدر عنهما من الجناية العظيمة مع تحقق ما ينفيهما من صحة النبي والخيانة ضد الامانة فهى انما تقال اعتبارا بالعهد والامانة اى فخانتاهما بالكفر والنفاق والنسبة الى الجنون والدلالة على الاضياف ليتعرضوا لهم بالفجور لا بالبغاء فانه ما بغت امرأة نبي قط فالبغى للزوجة شد فى ايراث الانفة لاهل العار والناموس من الكفر وان كان الكفر اشد منه فى أن يكون جرما يؤاخذ به العبد يوم القيامة وهذا تصوير لحالهما المحاكية لهؤلاء الكفرة فى خيانتهم لرسول الله عليه السلامبالكفر والقصيان مع تمكنهم التام من الايمان والطاعته

{ فلم يغنيا } الخ بيان لما ادى اليه خيانتهما اى فلم يغن النبيان

{ عنهما } اى عن تينك المرأتين بحق الرواج

{ من الله } اى من عذابه تعالى

{ شيأ } من الاغناء اى لم يدفعا العذاب عنهما زن نوح غرق شد بطوفان وبر سرزن لوط سنك باريد

{ وقيل } لهما عند موتهما او يوم القيامة وصيغة المضى للتحقق قاله الملائكة الموكلون بالعذاب

{ ادخل النار مع الداخلين } اى مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الاولياء ذكر بلفظ المذكر لانهن لا ينفردن بالدخول واذا اجتمعا فالغاية للذكور وقطعت هذه لآية طمع من يرتكب المعصية أن ينفعه صلاح غيره من غير موافقة له فى الطريقة والسيرة وان كان بينه وبينه لحكمة نسب او وصلة صهر قال القاشانى الوصل الطبيعية والاتصلات الصورية غير معتبرة فى الامور الاخروية بل المحبة الحقيقية والاتصالات الروحانية هى المؤثرة فحسب والصورية التى بحسب اللحمية الطبيعية والخلط والمعاشرة لا يتبقى لها اثر فيما بعد الموت اذ لا انساب بينهم يوم القيامة وقيس عليه النسب الباطنى فان جميع القوى الخيرية والشريرة وان تولدت من بين زوجى الروح والجسد لكن الشريرة ليست من اهل الروح فى الحقيقة مثل ولد نوح فكل من السعدآء والاشقياء مفترقون فلدارين

جه نسبت است برندى صلاح وتقويرا ... سماع وعظ كجا نغمه رباب كجا

١١

{ وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون } اى جعل حالها مثلا لحال المؤمنين فى ان وصلة الكفر لا تضرهم حيث كانت فى الدنيا تحت اعدآء الله وهى فى اعلى غرف الجنة والمراد آسية بنت مزاحم يقال رجل آسى وامرأة آسية من الأسى وهو الحزن قال بعض الكبار الحزن حلية الادباء ومن لم يذق طعام الحزن لم يذق لذة العبادة على انواعها او من الاسو وهو المداواة والآسى بالمد الطبيب ويقال هذا حث للمؤمنين على الصبر فى الشدة حتى لا يكونوا فى الصبر عند الشدة اضعف من امرأة فرعون التى صبرت على اذى فرعون كما سيجئ

{ اذ قالت } ظرف للمثل المحذوف اى ضرب الله مثلا للمؤمنين حالها اذ قالت

{ رب } اى برووه كار من

{ ابن لى } على ايدى الملائكة او بيدقدرتك فانه روى ان الله تعالى خلق جنة عدن بيده من غيرواسطة وغرس شجرة طوبى بيدة

{ عندك بيتا فى الجنة } اى قريبا من رحمتك على ان الظرف حال من ضمير المتكلم لان الل منزه عن الحلول فى مكان او ابن لى فى اعلى درجات المقربين فيكون عند ظرفا للفعل وفى الجنة صفة لبيتا وفى عين المعانى عندك اى من عندك بلا استحقاق منى بل كرامة منك (روى) انها لما قالت ذلك رفعت الحجب حتى رأت بيتها فى الجنة من درة بيضاء وانتزع روحها سئل بعض الظرفاء اين فى القرءآن مثل قولهم الجار قبل الدار قال قوله ابن لى عندك بيتا فى الجنة فعندك هو المجاورة وبيتا فى الجنة هو الدار

{ ونجنى من فرعون } الجاهل

{ وعمله } الباطل اى من نفسه الخبيثة وسوء جوارها ومن عمله السيئ الذى هو كفره ومعاصيه

{ ونجنى من القوم الظالمين } اى من القبط التابعين له فى الظلم (روى) انه لما غلب موسى عليه السلام السحرة آمنت امرأة فرعون

وقيل هى عمة موسى آمنت به فلما تبين لفرعون اسلامها طلب منها أن ترجع عن ايمانها فأبد فأوتد يديها ورجليها بأربعة اوتاد يعنى اوراجها ميخ كرد وربطها وألقاها فى الشمس حق تعالى ملائكة را بفرمودتا كردوى در آمده بيالها خود اورا سايه كردند.

وأراها الله بيتها فى الجنة ونسيت ما هى فيه من العذاب فضحكت فعند ذلك قالوا هى مجنونة تضحك وهى فى العذاب وفى هذا بيان انها لم تمل الى معصية مع انها كانت معذبه فلتكن صوالح النساء هكذا وقال الضحاك امر بأن يلقى عليها حجر رخى وهى فى الاوتاد فقالت

رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة فما وصل الحجر اليها حتى رفع روحها الى الجنة فالقى الحجر عليها بعد خروج فلم تجد ألما

وقيل اشتاقت الى الجنة وملت من صحبة فرعون فسألت ذلك.

ودر اكثر تفاسير هست كه حق سبحانه ويرا بآسمان ابرد بجسدوى وحالا دربهشت است.

كما قال الحسن البصرى قدس سره رفعت الى الجنة فهى فيها تأكل وتشرب وتنعم قال فى الكشاف وفيه دليل على ان الاستعاذة بالله والالتجاء اليه ومسألة الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير الصالحين وسنن الانبياء والمرسلين (وفى المثنوى)

تا فرود آيد بلايي دافعى ... جون نباشد از تشرع شافعى

جز خضوع وبندكى واضطرار ... اندرين حضرت ندارد اعتبار

فقدم الدعاء بكشف الضر مذموم عند اهل الطريقة لانه كالمقاومة مع الله ودعوى التحمل لمشاقه كام قال ابن الفارض قد سره

ويحسن اظهار التجلد للعدوى ... ويقبح غير العجز عند الاحبة

١٢

{ ومريم ابنة عمران } عطف على امرأة فرعون وجمع فى التمثيل

بين التى لها زوج والتى لا زوج لها تسلية للارامل وتطيبا لانفسهن وسميت

مريم فى القرءآن باسمعها فى سبعة مواضع ولم يسم غيرها من النساء لانها

اقامت نفسها فى الطاعة كالرجل الكامل ومريم بمعنى العابدة وقد سمى الله

ايضا زيدا فى القرءآن كما سبق فى سورة الاحزابوالمعنى وضرب الله مثلا

للذين آمنوا حال مريم ابنة عمران والدة عيسى علهيا السلام وما اوتيت

من كرامة الدنيا وآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع كون قومها كفارا

{ التى احصنت فرجها } الاحصان العفاف يعنى باز ابستادن

ازرشتى كما فى تاج المصادر والفرج ما بين الرجلين وكنى به عن السوءة

وكثر حتى صار كالصريح فيهوالمعنى حفظت فر جها عن مساس الرجال

مطلقا حراما وحلالا على آكدالحفظ وبالفارسية آن زباكه نكاه داشت دامن خود را از حرام.

وفاحشه كما فى تفسير الكاشفى

قال بعضهم صانته عن الفجور كما صان الله آسية عن مباشرة فرعون لانه كان عنينا وهو من لا يقدر على الجماع لمرض او كبر سن او يصل الى الثيب دون البكر فالعتبير عن آسية بالثيب كما مر فى ثيبات لكونها فى سورة الثيب من حيث ان لها بعلا وقال السهيلى رحمة الله احصان الفرج معناه طهارة الثوب يريد فرج القميصاى لم يغلق بثوبها ريبة أى انها طاهرة الاثواب فكنى باحصان فرج القميص عن طهارة الثوب من الريبة وفروج القميص اربعة الكمان والاعلى والاسفل فلا يذهبن وهمك الى غير هذا لان القرءآن انزه معنى واوجز لفظا وألطف اشارة واحسن عبارة من أن يريد ما ذهب اليه وهم الجاهل انتهى قال فى الكشاف ومن بدع التفاسير ان الفرج هو جيب الدرع ومعنى احصنته منعته

{ فنفخنا فيه } الفاء للسببية والنفخ نفخ الريح فى الشئ اى فنفخنا بسبب ذلك فى فرجها على أن يكون المراد بالفرج هنا الجيب (كما قال الكاشفى) بس درد ميديم در كريبان جامه او وكذا السجاوندى فى عين المعانى اى قيام انفرج من جيبها وكذا ابو القاسم فى الاسئلة لم يقل فيها لان المراد بالكناية جيب درعها وهو الى التذكير اقرب فيكون قوله فيه من باب الاستخدام لان الظاهر ان المراد بلفظ الفرج العضو وأريد بضميره معنى آخر للفرج منه قوله تعالى ومالها من فروج وكذا يكون اسناد النفسخ فى الضمير مجاريا اى نفخ جبريل بأمرنا وهو انما نفخ فى جيب درعها

{ من روحنا } اى من روح خلقناه بلا توسط اصل واضاف الروح الى ذاته تعالى تفخيما لها ولعيسى كقوله وطهر بيتى وفى سورة الانبياء فنفخنا فيها اى فى مريماى احيينا عيسى فى جوفها من الروح الذى هو من امرنا وقال بعضهم احيينا فى فرجها واوجدنا فى بطنها ولدا من الروح الذى هو بامرنا وحده بلا سببية اصل وتوسل نسل على العادة

العامة او من جهة روحنا جبريل لانه نفخ من جيب درعها فوصل النفخ الى جوفها او ففعلنا النفسخ فيه وقرئ فيها اعلى وفاق ما فى سورة لانبياء اى فى مريم والمآل واحد انتهى.

يقول الفقير يلوح لى ههنا سر خفى وهو ان النفخ وان كان فى الجيب الا ان عيسى لما كان متولد من الماءين الماء المتحقق وهو ماء مريم والماء المتوهم وهو ما حصل بالنفخ كان النفخ فى الجيب بمنزلة صب الماء فى الفرج فالروح المنفوخ فى الجيب كالماء المصبوب فى الفرج والماء المصبوب وان لم يكن الروح عينه الا انه فى حكمالروح لانه يخلق منه الروح ولذا قال تعالى فنفخنا فيه اى فى الفرج سوآء قالت انه فرج القميص او العضو فاعرف ولا يقبله الا الالباء الروحانيون

{ وصدقت } معطوف على احصنت

{ بكلمات ربها } اى بالصحف المنزلة على الانبياء عليهم السلام

وفى كشف الاسرار يعنى الشرآئع التى شرعها الله للعباد بكلماته المنزلة

ويقال صدقت بالبشارات التى بشر بها جبريل

{ وكتبه } اى بجميع كتبة المنزلة الشاملة للصحف وغيرها من

الكتب الالهية متقدمة او متأخرة

{ وكانت من القانين } اى من عداد المواظبين على الطاعة فمن

للتبعيض وفى عين المعانى من المطيعين المتعكفين فى المسجد الاقصى

والتذكير لتغليب المذكر فان مريم جعلت داخلة فى ذلك اللفظ مع المذكرين

والاشعار بأن طاعتها لم تقتصر عن طاعات الرجال حتى عدت من

جملتهم او كانت من القانتين اى من نسلهم لانها من اعقاب هرون اخى

موسى عليه السلام فمن لابتدآء الغاية وعن النبى عليه السلام كمل

الرجال كثير ولم تكمل من النساء الا اربع آسية بنت مزاحم ومريم بنت

عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء

كفضل الثريد على سائر الطعام كان العرب لا يؤثرون على الثريد شيأ

حتى سموه بحبوحة الجنة وذلك لان الثريد مع اللحم جامع بين المغدآء

واللذة وسهولة التناول وقلة المؤونة فى المضع فضرب به مثلا يؤذن بأنها

اعطيت مع الحسن الخلق حلاوة المنطق وفصاحة اللهجة وجودة القريحة

ورصانة العقل والتحبب الى البعل فهى تصلح للتبعل والتحدث والاستئناس

بها والاصغاء اليها وحسبك انها عقلت من النبى عليه السلام ما لم يعقل

غيرها من النساء وروت ما لم يرو مثلها من الرجال وق قال عليه السلام فى

حقها خذوا ثلثى دينكم من عائشة ولذا قال فى الأمالى

وللصديقة الرجحان فاعلم ... على الزهرآء فى بعض الخصال

لكن الكمال المطلق انما هو لفاطمة الزهرآء رضى الله عنها كما

دل عليه الحديث المذكور وايضا دل تشبيه عائشة بالثريد على تشبيه غيرها

من المذات المذكورات باللحم وهو سيد الادام.

يقول الفقير رأيت فى بعض الليالى المنورة كأن النبى عليه

السلام يقول لى عائشة ست النساء اللاتى اجتمعن ومعناه على ما الهمت

وقتئذأن عاشة رضى الله عنها هى السادسة من النساء الست اللاتى اجتمعن فى نكاح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كأن الست من التسع متساوية فى الفضيله ومنها عائشة لكن اشهرت عائشةبالفضل ونودى عليها بذلك وخفيت احوال الباقيات من الست لحكمة خفية الهية ولذا لم يعين لى رسول الله عليه السلام من بقيت من الست ودل الحديث على كثرة كمال الرجال وقلة كمال النساء فيما بعض عصر النبى عليه السلام وان كانت القرون متفاوتة والاعصار متباينة ولذا قال الحافظ

نشاناهل خدا عاشقيست باخد دآر ... كه در مشايخ شهر اين نشان نمى بينم

(توقال المولى الجامى)

اسرار عاشقانرا بايد زبان ديكر ... درداكه نيست بيدا درشهر همزبانى

والله الهادى.

سُورَةُ الْمُلْكِ مَكِّيَّةٌ

وَهِيَ ثَلاَثُونَ آيَةً

١

{ تبارك الذى بيده الملك } البركة النماء والزيادة حسبة او عقلية ونسبتها الى الله تعالى باعتبار تعاليه عما سواه فى ذاته وصفاته واقعاله يعنى لن البركة تتضمن معنى الزيادة وهى تقتضى التعالى عن الغير كام قال ليس كمثله شئ اى فى ذاته لوجوب وجوده وفى صفاته وافعاله لكماله فيهما

واما قوله تخلقوا باخلاق الله فباعتبار اللوازم وبقدر الاستعداد لا باعتبار الحقيقة والكنة فان الاتصاف بها بهذا الاعتبار مخصوص بالله تعالى فأين احياء عيسى عليه السلام الاموات من احياء الله تعالى فانه من الله بدعائه فالمعجزة استجابة مثل هذا الدعاء ومظهريته له بقدر استعداده وبهذا التقرير ظهر معنى قول بعض المفسرين تزايد فى ذلة فان التزايد فى

ذاته لا يكون الا باعتبار تعاليه بوجوده الواجب وتنزهه عن الفناء والتغير والاستقلال وصيغة تبارك بالدلالة على غاية الكمال وانبائها عن نهاية التعظيم لم يجز استعمالها فى حق غيره سبحانه ولا استعمال غيرها من الصيغ مثل يتبارك فى حقه تبارك وتعالى واسنادها الى الموصول للاستشهاد بما فى حيز الصلة على تحقق مضمونها والموصولات معارف ولا شك ان المؤمنين يعرفونه بكون الملك بيده

واما غيرهم فهم فى حكم العارفين لان الأدلة القطعية لما دلت على ذلك اكن فى قوة المعلوم عند العاقل واليد مجاز عن القدرة التامة والاستيلاء الكامل لما ان اثرها يظهر فى الاكثر من اليد يقال وفلان بيده الامر والنهى والحل والعقد أى له القدرة الغالبة والتصرف العام والحكم النافذ (قال الحكيم السنائى) يد اوقدر تست ووجه بقاش

آمدن حكمش ونزول عطاش ... اصبعينش نفاذ حكم قدر

قد مينش جلال وقهر وخطر ... وفى عين المعانى اليد صلة والقدرة

والمذهب انها صفة له تعالى بلا تأويل ولا تكييف والملك بمعنى التصرف

والسلطنة واللام للاستغراق ولذا قال فى كشف الاسرار ملك هجده خزار

عالم بدست اوست.

والمعنى تعالى وتعاظم بالذات عن كل ما سواه ذاتا وصفة وفعلا

الذى بقبصة قدرته التصرف الكلى فى كل الامور لا بقبضة غيره فيأمر

وينهى ويعطى ويمنع ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفقر ويغنى ويمرض ويشفى

ويقرب ويبعد ويعمر ويخرب ويفرق ويصل ويكف ويحجب الى غير ذلك

من شؤون العظمة وآثار القدرة الالهية والسلطنة الازلية والابدية وقال

بعضهم البركة كثرة الخير ودوامه فنسبتها الى الله تعالى باعتبار كثرة ما

يفيض منه على مخلوقاته من فنون الخيرات اى تكاثر خير الذى بيده الملك

وتزايد نعمه واحسانه كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله تحصوها قال

الراغب البركة ثبوت الخير الالهى فى الشئ والمبارك ما فيه ذلك الخير ولما

كان الخير الالهى يصد ر من حيث لا يحس وعلى وجه لا يحصى ولا

يحصر قيل لكل ما يشاهد منه زيادة غير محسوسة هو مبارك وفيه بركة والى هذه الزيادة أشير بما روى لا ينقص مال من صدقة وقوله تبارك وفيه بركة والى هذه الزيادة أشير بما روى لا ينقص مال من صدقة وقوله تبارك الذى جعل فى السماء بروجا تنبيه على ما يفضيه علينا من عمه بوساطة هذه البروج والنيرات المذكورة وكل موضع ذكر فيه لفظة تبارك فهو تنبيه على اختصاصه تعالى بالخيرات المذكورة مع ذكر تبارك وىى الكواشى معنى تبارك تعالى عن صفات المحدثين وجميع المستعمل من (ب ر ك) وبعكسه يشتمل على معنى اى ثبت الثبوت الخير فى خرآئن الذى وقال سهل قدس سره تعالى من تعظيم عن الاشباه والاولاد والاضداد واتذاد بيده الملك يقلبه بحوله وقوته يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء

وقيل يريد به النبوة يعز بها من اتبع ويذل بها من خالف وقال جعفر قدس سره هو المبارك على من انقطع اليه او كان له اى فانه وارث النبعليه السلام وخليفة وقدقيل فى حقه وبارك عليه وقال القاشانى قدس سيره الملك عالم الاجسام كما ان الملكوت عالم النفوس ولذلك وصف

ذاته باعتبار تصريفه فى عالم الملك بحسب مشيئته بالتبارك الذى هو غاية
العظمة ونهاية الا زدياد فى العلو والبركة وباعتبار تسخير عالم الملكوت
بمقتضى ارادته بالتسبيح الذى هو التنزيه كقوله فسبحان الذى بده
ملكوت كل شئ كلا بما يناسب لان العظمة والازدياد البركة تناسب
الاجسام والتنزه يناسب المجردات عن المادة وفى الآية اشارة الى ان لملك
اذا كان بيده فهو المالك وغيره المملوك فلا للمملوك من خدمة المالك

خدمت اوكن مكروشاهان تراخدمت كنند ... جاكرا وباش
تاسلطان تراكردد غلام

وفى الحدي ... وملك دلها جدا وملك جانها جدا زير انسانيت
ملك در دنيا راند انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة ودل ملك در آخرت
راند يحبهم ويحبونه وجان ملك درعالم حقيقت راند وجوه يومئذ ناضرة الى
ربها ناظرة آن عزيز راه كويد فردا كه علم كبرياى او بقيامت برايدكه لمن
الملك اليوم من ازكوشه دل خويش بدستورى اودرى بر كشايم ودردى
ازدردهاى او بيرون دهم تاكرد قيامت برآيد وكويم لمن الملك اكر معترضى

براه آيد كويم اوكه جون ما ضعفا ومساكين دارد ميكويد لمن الملك ما

جون او ملك جبارى داريم جرانكوييم لمن الملك اكر اوراجون ما

بندكانست مارا جون او خمدا ونداست.

ومن هذا البيان يعرف سر قول عين العارفين ابى يزيد البسطامى

قدس سره الهى ملكى اعظم من ملكك اى فان ملك العبد القديم وملك

الرب هو الحادث فعرف جدا فان هذا المقام من مزالق الاقدام

{ وهو } تعالى وحده

{ على كل شئ } من الاشياء وعلى كل مقدور من الانعام

والانتقال وغيرهما

{ قدير } مبالغ فى القدرة عليه ومنتهى الى اقصاصها بتصرف

فيها حسبنا تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة والجملة معطوفة على

الصلة مقررة لمضمونها مفيدة لجريان احكام ملكه تعالى فى جلائل الامور

ودقائقها

قال بعضهم وهو على كل شئ قدير اى ما يمكن أن تتعلق به المشيئة من المعدومات الممكنة لان الموجود الواجب لا يحتاج فى وجوده الى شئ ويمتنع زواله ازلا وابدا والموجود الممكن لا يراد وجوده اذ هو تحصيل الحاصل والمعدوم الممتنع لا يمكن وجوده فلا تتعلق به المشيئة فتعلق القدرة بالمعدوم باليجاد وبالموجود بالابقاء على ما يشاء فان قرينة القدرة تخص الشئ بالممكن اذ تعلل القدرة به فيقال انه مقدور لانه ممكن (وفى التأويلات النجمية) تعالى وتعاظم فى ذاته وصفاته واسمائه وافعاله الذى بيده المطلقة الملأى السحاء سلطنة الوجود المطلق افائق على الوجودات المقيدة وهو أى هويته المطلق ظارة فى كل شئ قادر على كل شئ.

٢

{ الذى خلق الموت والحياة } شروع فى تحصل بعض احكام الملك وآثار اقدرة والموصول بدل من الموصول الاول فلا وقف على لاقدير والموت عند اهل السنة صفة وجوديةمضادة للحياة كلاحرارة والبرودة والحياة صفة وجودية زآئدة على نفس لذات مغايرة للعلم والقدرة مصححة

لاتصاف الذات بهما وما روى عن ابن عباسرضى الله عنهما من ان الموت

والحياة جسمان وان الله خلق الموت على صورة كبش املح لا يمر بشئ

ولا يجد رائحته شئ الا مات وخلق الحياة على صورة فرس انثى بلقاء وهى

التى كان جبريل والانبياء عليهم السلام يركبونها خطوتها مد البصر فرق

الحمار ودون البغل لا تمر بشئ ولا يجد رائحتها شئ الا حى وهى التى

اخذ السامرى من اثرها قبضة فألقاها على العجل فحيي فكلام وارد على

سبيل التمثيل ولاصتوير والا فهما فى التحقيق من قبيل الصفات لا من

قبيل الاعيان هكذا قالوا وجوابه ان كون الموت والحاية صفتين وجوديتين

لا ينافى أن يكون لهما صورة محسوسة كالاعيان فانهما من مخلوقات عالم

الملكوت ولكل منهما صورة مثالية فى ذلك العالم بها يرى ويشاهد بشاهده

من غيب عن عالم الملك وينسلخ عن البدن يؤيده قوله عليه السلام يذبح

الموت بين الجنة والنار على صورة كبش ولا شك ان الذبح انما يتعلق

بالاعيان وايضا ان عالم الآخرة عالم الصفة يعنى ان كل سفة باطنة فى الدنيا

تتصور بصورة ظاهرة فى العقبى حسنة او قبيحة فلا شئ من المعانى الا

وهو مجسم مصور فقول ابن عباس رضى الله عنهمحمول على هذا نعم ان قولهم ان الحية فرس انثى يخالف قولهم ان البراق حقيقة ثالثة لا ذكر ولانثى وقال بعضهم الموت عبارة عن عدم صفة الحياة عن محل يقبلها يعنى ان الموت والحياة من باب العدم والملكة فان لاحياة هى الاحساس والحركة الارادية والضطرارية كالتنفس والموت عدم ذلك عما من شأنه أن يكون له كما قال صاحب الكشاف الحياة ما يصح بوجوده الاحساس والموت عدم ذلك ومعنى خلق الموت والحياة ايجاد ذلك المصحح واعدامه انتهى.

اى ايجاد اثر الموت بقطع ضوء الروح عن ظاهر الحى وباطنه مع كونه فى غاية الاقتدار على الحركة والتقلب بنفسه بالارادة وعدم تلك الملكلة ليس عدما محضا بل فيه شائبة الوجود والا لم يعتبر فيه المحل القابل للامر الوجودى فلذلك صح تعلق الخلق بالموت كتعلقه بالحياة وبهذا التقرير اندفع ما اعترضوا به من ان العدم حال لا يكون مخلوقا لان المخلوق حادث وعد الحوادث ازلى ولو كان مخلوقا لزم وجود ا لحوادث ازلا وهو

باطل وقال بعضهم معنى خلق الموت على تقدير أن يكون الموت عبارة

عن عدم الحياة قدره فان اخلق يجيئ بمعنى التقدير كما في قوله

تعالى فتبارك الله احسن الخالقين ولا يبعد أن يقال ان تعلق الخلق

بالموت بمعنى الايجاد انما هو بتبعية تعلقه بالحياة بذلك المعنى وقدم على

الحياة لان الموت فى عالم الملك ذاتى والحياة عرضية يعنى ان الموت اسبق

لان الاشياء كانت مواتا ثم عرضت لها الحياة كالنطفة على ما دل عليه قوله

تعالى وكنتم امواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون ولانه ادعى

الى احساس العمل واقرب الى قهر النفوس فمن جعله نصب عينيه افلح

وفي الحديث

(لولا ثلاث ما طأطأ ابن آدم رأسه الفقر والمرض والموت) وفي

الارشاد الأقرب ان المراد به الموت الطارئ وبالحياة ما قبله وما بعده لظهور

مداريتهما كما ينطق به ما بعد الآية ليبلوكم الخ فان استدعاء ملاحظتها

لاحسان العمل مما لا ريب فيه مع ان نفس العمل لا يتحقق بدون الحياة

الدنيوية انتهى.

وظاهره يخالف قوله تعالى ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا فان

المراد بهذه الحياة هى الحياة الدنيوية بقرينة النشور والقرءآن يفسر بعضهم

بعضاً ثم ان الالف واللام فى الموت والحياة عوض عن المضاف

اليه اى موتكم وحياتكم ان المكلفون لان خلق موت غير المكلفين وحياتهم

لابتلاء المكلفين لا معنى له قال بعض العارفين الموت والحياة عرضان

والاعراض والجواهر مخلوقة له تعالى وأصل الحياة حياة تجليه واصل الموت

موت استتاره وهما يتعاقبان فى الدنيا فاذا ارتفعت الحجب يرتفع الموت

عنهم بأنهم يشاهدون عيانا بلا استتار ابدا لا يجرى عليهم طوارق الحجاب

بعد ذلك قال الله تعالى بل احياه عند ربهم خلق الموت والحياة يميت قوما

بالمجاهدات ويعيش قوما بالمشاهدات يميت قوما ينعت الفناء فى ظهور

سطوات القدم ويحي قوما بنعت البقاء فى ظهور انوار البقاء لولا التجلى

والاستتار لم يظهر شوق المشتاقين وتفاوت درجات الشوق ولا يتبين وله

العاشقين وتفاوت درجاتهم فى العشق وقال سهل قدس سره الموت فى

الدنيا بالمعصية والحياة فى الآخرة بالطاعة فى الدنيا وقال الجنيد قدس سره

حياة الاجسام مخلوقة وهى التى قال الله تعالى خلق الموت والحياة وحياة الله دآئمة لا انقطاع لها اوصلها الى اوليائه فى قديم الدهر الذى ليس له ابتدآء فكانوا فى علمه احياء قبل ايجاده لهم ثم اظهرهم فأعارهم الحياة المخلوقة التى احيي بها الخلق وأماتهم فى سره فكانوا فى سره بعد الوفاة كام كانوا ثم اورد عليهم حياة الأبد فكانوا احياء أبدا وقال الواسطى قدس سره من احياء الله عند ذكره فى ازله لا يموت ابدا ومن أماته فى ذلك لا يحيي ابدا وكم حى غافل عن حياته وميت غافل عن مماته

{ ليبولكم ايكم أحسن عملا } اللام متعلقة بخلق وظاهرها يدل على ان افعال الله معللة بمصالح العباد واه تعالى يفعل الفعل لغرض كما ذهب اليه المعتزلة وعند اهل السنة ليس هى على ظاهرها بل معناها ان الله تعالى فعل فعلا لو كان يفعله من يراعى المصالح لم يفعله الا لتلك المصالحة والغرض فمثل هذه اللام لام العلة عقلا ولام الحكمة والمصلحة شرعا وايكم مبتدأ واحسن خبره وعملا تمييزا ولجملة الاسمية سادة مسد المفعول الثانى لفعل البلوى عدى اليه واسطة لتضمنه معنى العلم باعتبار

عاقبته والا فهو لا يتعدى بلا واسطة الا الى مفعول واحد فليس هو من قبيل التعليق المشهور الذى يقتضى عدم ايراد المفعول اصلا وقد ذكر المفعول الاول هنا وهو كم مع اختصاصه بافعال القلوب ولا من التضمين المصطلح بل مستعار لمعنى العلم البلوى الاختبار وليس هنا على حقيقته لانه انما يتصور ممن يخفى عليه عواقب الامور فالابتلاء من الله أن يظهر من العبد ما كان يعلم منه فى الغيب والمعنى ليعاملكم معاملة من يختبركم أيكم أحسن عملا فيجازيكم على مراتب متفاوتة حسب تفاوت طبقات علومكم واعمالكم فان العلم غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره عليه السلام بقوله ايكم أحسن عقلا واورع من محارم الله واسرع فى طاعة الله يعنى أتم عقلا عند الله فهما لمراده فان لكل من القلب والقالب عملا خاصا به فكما ان الاول أشرف من الثانى كذلك الحال فى عمله كيف لا وعمله معرفة الله الواجبة على العباد اول كل شئ وانما طريقها النظر والتفكر فى بدآئع صنع الله والتدبر فى آياته المنصوبة فى الانفس والآفاق كما قال عليه السلام

(لاتفضلونى على يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل اهل الارض) قالوا وانما كان ذلك التفكر فى امر الله الذى هو عمل القلب ضرورة ان احدا لا يقدر على أن يعمل بجوارحه كل يوم مثل عمل اهل الارض كذا فى الارشاد.

يقول الفقير لعل حال يونس عليه السلام اشارة الى انه عمل قالبى مفضل على عمل اهل الارض فى زمانه بخواص قلبية فان اعمال المقربين واحد منهما مقابل بمائة ألف بل بغير حساب باعتبار التفاوت فى الاحسان والشهود والخلوص ولذا قال تعالى احسن فانه بعبارته اشارة الى احوال المقربين وباشارته الى احوال غيرهم من الابرار والكفار والمنافقين وذلك ان نية الانسان لا تخلو اما أن يكون متعلقها فى لسانه وجنانه هو الدنيا فهو سيئ نية وعملا وهو حال الكفار

واما أن يكون متعلقها فى لسانه هو الآخرة وفى جنانه هو الدنيا فهو أسوأنية وعملا وهو حال المنافقين

واما أن يكون متعلقها فى لسانه وجنانه هو الآخرة فهو حسن نية وعملا وهو حال الابرار

واما أن يكون متعلقها فى لسانه وجنانه هو وجه الله تعالى فهو احسن نية وعملا وهو حال المقربين ولما كان المقصود الاعظم هو تحصيل هذا الاحسن صرح بذكره دون ذكر الحسن فانه مفهوم بطريق الاشارة وكذا غيره ولقد أصاب من قال فى تفسير الآية بابيازمايد شمارا يعنى باشما معامله آزمايند كان كند تاظاهر شودكه دردار تكليف كدام ازشما نيكو ترند ازجهت عمل يعنى اخلاص كدام بيشترست.

وكذا من قال أحسن الاعمال ما كان اخلص بأن يكون لوجه الله خالصا وأصوب بأن يكون موافقا للسنة اى واردا على النهج الذى ورد عن الشارع فالعمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل ولذا قال عليه السلام للاعرابى قم صل فانك لم تصل وكذا اذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل ايضا ولذا جعل الله اعمال اهل الرياء والنفاق هبا منثورا وقول من قال من الارفين حسن العمل نسيان العمل ورؤية الفضل هو من مراتب

الاخلاص فان الاخلاص سر عظيم من اسرار الله تعالى لا يناله الا الخواص

وفى الاشارد ايثار صيغة التفضيل مع ان الابتلاء شامل لهم باعتبار اعمالهم

المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط للايذان

بان المراد بالذات والمقصد الاصلى من الابتلاء هو ظهور كمال احسان

المحسنين مع تحقق اصل الايمان والطاعة فى الباقين ايضا لكمال تعاضد

الموجبات له

واما الاعراض عن ذلك فلكونه بمعزل من الاندراج تحت الوقوع

فضلا عن الانتظام فى سلك الغاية للافعال الالهية وانما هو عمل يصدر

عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ولا تقريب انتهى.

ثم ان المراد ياكم عمله احسن من عمل غيره ولا معنى لقول

السجاوندى فى عين المعانى استفهام بمعنى الهمزة ولذا لم يعمل فيه الفعل

تقديره ءأنتم احسن عملا ام غيركم انتهى فانه يشعر بأن يكون التفاوت

بالنسقب الى الانسان وغيره كالملائكة ومؤمنى الجن مثلا وليس بمراد وعبارة

القرءآن فى اسناد الحسن الى الانسان تدل على ان من كان عمله احسن

كان هو أحسن ولو أنه ابشع الناس منظر او من كان عمله اسوأ كان بخلاف ذلك

رءارلست بايدند بالاى راست ... كه كافرهم ازروى صورت جوماست

ولم يقل اكثر عملا لانه لا عبرة بالكثرة مع القبح قالوا والحسن انما يدرك بالشرع فما حسنه الشرع فهو حسن وما قبحه فهو قبيح وقال بعضهم ليبلوكم ايكم احسن اخذا من حايته لموته واحسن اهبة فى دنياه لآخرته قال النبى صلّى الله عليه وسلّم لعبد الله بن عمر رضى الله عنهما (خذ من صحتك لسقمك ومن شبابك لهرمك ومن فراغك لشغلك ومن حياتك لموتك فانك لا تدرى ما اسمك غدا) وسئل عليه السلام اى المؤمنين اكيس قال

(اكثرهم للموت ذكرا واحسنهم له استعدادا) فالاستعداد للموت وللآخرة بكثرة الاعمال المقارنة للاخلاص سوآء كانت

صلاة او صوما او زكاة او حجا او نحوها وان كان لبعض الاعمال تفاوت
بالنسبة الى البعض الآخر كالصلاة فانها معراج الشهود وفيها كسر النفس
واتعاب البدن ولذا كان السلف الصالح يكثرون منها حتى انم منهم من
يصلى فى اليوم والليلة ألف ركعة ونحوها وكالصوم وتقليل الطعام فانه سبب
لورود الحكمة الالهية الى القلب ولذا كان بعض السلف يواصلون فمنهم
من يطوى ثلاثة ايام ومنهم من يطوى فوق ذلك الى سبعة الى ثلاثين الى
اربعين فمن طوى اربعين يوما انفتح له باب الحكمة والعظمى مع ان فى
الصوم تهذيب الاخلاق ايضا فان اكثر المفاسد يجيئ من قبل الاكل والشر
في أيها المؤمنون سابقون وسارعوا فالنفس مطية والدنيا مضمار والسابقون
السابقون اولئك المقربون وقد قال عليه السلام (قد سبق المفردون والتفريد
) هو تقطيع الموحد عن الانفس والآفاق وشهود الحق فى عالم الاطلق فلا
بد من السير والسلوك ثم الطيران فى هوآء الوحدة والهوية الذاتية فان به
يحصل الانفصال عن منازل الاكوان السفلية الحادثة ويتحقق العروج الى

عالم الوجوب والقدم نسأل الله من فضله أن يرينا وجهه الكريم انه هو البر الرحيم

{ وهو } اى والحال انه وحده

{ العزيز } الذى لا يفوته من اساء العمل

{ الغفور } لمن شاء منهم بالتوبة وكذا بالفضل

قال بعضهم لما كان العزيز منا يهلك كل من خالفه اذا علم بمخالفته قال مرغبا للمسيئ فى التوبة حتى لا يقول مثلى لا يصلح للخدمة لما لى من القاطعة واين التراب ورب الارباب الغفور الذى يستر ذنوب المسئ ويتلقى من اقبل اليه احسن تلقٍ كما قال فى الحديث القدسى ومن اتانى يمشى اتيته هرولة.

٣

{ الذى خلق سبع سموات } ابدعها من غير مثال سبق

{ طباقا } صفة لسبع سموات وقولهم الصفة فى الاعداد تكون

للمضاف اليه كما فى قوله سبع بقرات سمان لا يطرد ويجوز جعله حالان

سبع سموات معرفة لشمولها الكل وهو مصدر بمعنى الفاعل يقال طابقه

مطابقة وطباق الشئ مثل كتاب مطابقة بكسر الباء وطابقت بين الشيئين

اذا جعلتهما على حذو واحد وألزقتهما والباب يدل على وضع شئ

مبسوط على مثله حتى يغطيه والمعنى مطابقة بعضها فوض بعض وسماء

فوق سماء غلظ كل سماء خمسمائة عام وكذا جوها بلا علاقة ولا عماد ولا

مماسة فالسماء الدنيا موج مكفوف اى ممنوع من السيلان والثانية من درة

بيضاء والثالثة من حديد والرابعة من نحاس او صفر والخامسة من فضة

والسادسة من ذهب والسابعة من يقاقوته حمرآء وبين السابعة وما فوقها

من الكرسى والعرش بحار من نور قال القاشانى نهاية كمال عالم الملك فى

خلق المسوات ان لا يرى احكم خلقا واحسن نظاما وطباقا منها قال

الجمهور ان الارض مستدير كالكرة وان السماء الدنيا محيطة بها من كل

جانب احاطة البيضة بالمح فالصفرة بمنزلة الارض وبياضها بمنزلة الماء

وجلدها بمنزلة السماء غير أن خلقها اليس فيه استطاله كاستطالة البيضة بل هى مستديرة كاستدارة الكرة المستديرة الخرط حتى قال مهندسوهم لو حفر فى الوهم وجه الارض لادى الى الوجه الآخر ولو ثقب مثلا بارض الاندلس لنفذ الثقب بارض الصين وان السماء الثانية محيطة بالدنيا وهكذا الى أن يكون العرش محيط بالكل والكرسى الذى هو ارقبها اليه بالنسبة اليه كحلقة ملقاة فى فلاة فما ظنك بما تحته وكل سماء فى التى فرقها بهذه النسبة

{ ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت } استئناف والخطاب للرسول او لكل احد ممن يصلح للخطاب ووضع خلق الرحمن موضع الضمر اذا المقام مقام أن يقال فى خلقه وفى السموات على أن يكون بمعنى المخلوق والاضافة بمعنى اللام للاشعار بأنه تعالى خلقها بقدرته القاهرة رحمه وتفضلا ومن لتأكيد النفى والمعنى ما ترى فيه شيأ من اختلاف واضطراب فى الخلقة وعدم تناسب بل هو مستوٍ مستقيمٍ قال القاشانى صلب التفاوت عنها بساطتها واستدارتها ومطابقة بعضها بعضا

وحسن انتظامها وتناسبها وهو من الفوت فان كلا من المتفاوتين يفوت منه بعض ما فى الآخر فلا يناسبه ولا يلائمه قال الراغب التفاوت الاختلاف فى الاوصاف كأنه يفوت وصف احدهما الآخراو وصف كل واحد منهما الآخر وجعل بعض العلماء خلق الرحمن عامل فسئل بأن المخلوقات بأسرها على غاية التفاوت لان الليل غير النهار الى غير ذلك من الاضداد ثم أجاب بأن ليس فيها تناقص او زيادة غير محتاج اليها او نقصان محتاج اليه بل الكل مستقيمة مستوية دالة على ان خالقها عالم انتهى وفى الآية اشارة الى شمول رحمته الواسعة كل شئ كما قال يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة لان الموجودات كلها علوية كانت او سفلية نورانية كانت او ظلمانية روحانية كانت او جسمانية خلقت من نور الرحمن ورحمته من غير تفاوت فى الخلقة واصل الرزق

اديم زمين سفره عام اوست ... برين خوان يغماجه دشمن جه دوست

٤

{ فارجع البصر } اى رده الى رؤية السماء حتى يتضح ذلك بالمعاينة ولا يبقى عندك شبهة ما ورجع يجيئ لازما ومتعديا يقال رجع بنفسه رجوعا وهو العود الى ما منه البدء مكانا كان او فعلا او قولا بذاته كان رجوعه او بجزئ من اجزآئه او بفعل من افعاله ورجعه غيره رجعا اى رده واعاده

{ هل ترى } فيها

{ من فطور } جمع فطر كما فى القاموس وهو الشق (كما قال فى تاج المصادر) الفطر آفريدون وابتدا كردن وشاكفتن.

يقال فطره فانفطر اى شقه فانشق والمعنى من شقوق وصدوع لامتناع خرقها والتئامها قاله القاشانى ولو كان لها فروج لفاتت المنافع التى رتبت لها النجوم المفرقة فى طبقاتها او بعضها او كمالها كما فى المناسبات فاذا لم ير فى السماء فطور وهى مخلوقة فالخالق اشد امتناعا من خواص الجسمانيات

{ ثم ارجع البصر كرتين } اى رجعتين اخريين وأعد النظر مرة بعد مرة فى طلب الخلل والعيب . يعنى اكرتيك نكريستن معلوم نكردد تكراركن نكريستن را.

والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما فى لبيك وسعديك يريد اجابات كثيرة واعانات وفية بعضها ى اثر بعض وذلك لان الكلال الآتى لا يقع بالمرتين اى رجعة بعد رجعة وان كثرت قال الحسن رحمه الله لو كررته مرة بعد مرة الى يوم القيامة لم تر فيه فطور وقال اواسطى رحمه الله كرتين اى قلبا وبصر الان الاول كان بالعين خاصة والحاصل ان تكرار النظر وتجوال الفكر مما فيد تحقيق الحائق واذا كان ذلك النظر فيها عند طلب الخروق والشقوق لا يفيد الا الكلال والحرمان تحقق الامتناع وما اتعب من طلب وجود الممتنع

{ ينقلب } ينصرف ويرجع وبالفارسية باز كردد

{ اليك } بسوى تو

{ البصر } جشم تو

{ خاسئا } اى ذليلا بعيدا محروما من اصابه ما التمسه من العيب والخلل كأنه يطردعن ذلك طرد بالصغار والذلة فقوله ينقلب مجزوم على انه جواب الامر وخاسئا حال من البصر وهو مع انه اسم فاعل من خسأ بمعنى تباعد وهرب ففيه معنى الصغار والذلة فاذا قيل خسأ الكلب خسوء افمعناه تباعد من هو انه وخوفه كأنى زجر وطرد عن مكانه الاول بالصغار وخسأ يجيي متعديا ايضا يقال خسأت الكلف فخسأ اى باعدته وطردته وزجرته مستهينا به فانزجر وذلك اذا قيل له اخسأ قال الراغب ومنه خسأ البصر أى انقبض من مهانة وفى القاموس الخاسئ من الكلاب والخنازير المبعد لا يترك أن يدنو من النار ولا يكون خاسئا فى الآية من المتعدى الا بأن يكون بمعناالمفعول اى مبعدا

{ وهو حسير } اى كليل وبالغ غاية الاعياء لطول المعاودة وكثرة المراجعة وهو فعيل بمعنى الفاعل من الحسور الذى هو الاعياء كما فى تاج المصادر الحسور رنجه شدن وكندشن جسم از مسافت دور.

وقال الراغب يقال للمعي حاسر ومحسور أما الحاسر فتصور انه قد حسر بنفسه قواه

واما المحسور فتصور ان التعب قد حسره وقوله تعالى وهو حسير يصح أن يكون بمعنى حاسر وبمعنى محسور انتهى والجملة حال من البصر او من الضمير المستتر فى خاسئا فيكون من قبيل الاحوال المتداخلة

قال بعضهم فاذا كان الحال هذا فى بعض المصنوع فكيف عند طلب العلم بالصانع فى كماله وجلاله وجماله فكيف بمن يتفوه بالحلو والاتحاد حسبه جهنم وبئس المهاد

سبحانه من تحير فى ذاته سواه ... فهم خرد بكنه كمالش نبرد راه

عمرى خرد جو جشمه ها جشمها كشاد ... تابر كمال كنه اله افكند نكاه

ليكن كشيد عاقبتش در دوديده ميل ... شكل الف كه حرف نخستست ازاله

وفى التأويلات النجمية فارجع بصرك الظاهر من ظواهر الاشياء الى بصرك الباطن ومن بصرك الباطن الى بواطن الاشياء يعنى انظر باتحاد بصرك وبصيرتك الى ظواهر الاشياء كل ذى حق حقه ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير مبعد عن رؤية الخلل ومطالعة الزلل كما قال الامام حجة الاسلام قدس سره فى بعض كلماته ليس فى الامكان ابدع من هذا الوجود لانه لو كان ولم يظهر لكان بخلا وهو جواد ولكان عجزا وهو قادرا كما قال تعالى الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى وقال بعضهم انما لم يكن فى الامكان ابدع مما كان اى اظهر من هذا العالم لانه ماثم الاترتان الحق فى المرتبة الاولى وهو القدم والعالم فى الثانية وهو الامكان والحدوث فلو خلق ما خلق الى مالا يتناهى فلا يزال فى المرتبة الثانية الامكانية.

٥

{ ولقد زينا السماء الدنيا } بيان لكون خلق السموات فى غاية الحسن والبهاء اثر بيان خلوها عن شائبة القصور وتصدير الجملة

بالقسم لابراز كمال الاعتناء بمضمونها اى وبالله لقد زينا اقرب السموات الى الارض والناس وجملناها فالزمين والنريين بالفارسية آراستن . وهو ضد الشين بالفارسية معيوب كردن.

والدنيا تأنيث الأدنى بمعنى الاقرب وكون السماء قرب من سائر السموات انما هو بالاضافة الى ما تحتها من الارض لا مطلقا لان الامر بالعكس بالاضافة الى ما فوقها من العرش

{ بمصابيح } بجراغها . جمع مصباح وهو السراج وتنكيره للتعظيم والمدح اى بكواكب مضيئة بالليل اضاءة السرج من السيارات والثواب تترآءى كلها مركوزة فى السماء الدنيا مع ان بعضها فى سائر السماوات لان السموات اذا كانت شفافة وأجراما صافية ففالكواكب سوآء كانت فى السماء الدنيا او فى سموات اخرى فهى لا بد وان تظهر فى السماء الدنيا وتلوح منها فعلى التقديرين تكون السماء الدنيا مزينة بهذه المصابيح ودخل فى المصابيح القمر لانه اعظم نير يضيئ بالليل واذا جعل الله الكواكب زينة السماء التى هى سقف الدنيا فليجعل العباد المصابيح

والقناديل زينة سقوف المساجد والجوامع ولا سرف وفى الخير وذكر ان
مسجد الرسول صلّى الله عليه وسلّم كان اذا جاء العشاء يوقد فيه بسعف
النخل قلما قدم تميم الدارى رضى الله عنه المدينة صحب معه قناديل
وحبالا وزيتا وعلق تلك القناديل بسوارى المسجد واوقدت فقال عليه
السلام (نورت مسجدنا نور الله عليك اما والله لو كان لى ابنة
لانكحتكها) وسماه سراجا وكان اسمه الاول فتحا ثم اكثرها عمر رضى
الله عنه حين جمع الناس على أبي بن كعب رضى الله عنه فى صلاة التراويح
فلما رآها على رضى الله عنه تزهر قال نورت مسجدنا نور الله قبرك يا
ابن الخطاب وعن بعضهم قال امرنى المأمون ان اكتب بالاستكثار من
المصابيح فى المساجد فلم أدر ما اكتب لانه شئ لم اسبق اليه فرأيت فى
المنام اكتب فان فيه انسا للمتهجدين ونفيا لبيوت الله عنه وحشة الظلم
فانتبهت وكتبت بذلك وفيه اشارة الى سماء القلب لدنوه منك من سماء
الروح وزينة انوار المعارف والعلوم الالهية والواردات الرحمانية

{ وجعلناها } اى المصابيح المعبر بها عن النجوم اى بعضها كام

فى تفسير ابى الليث

{ رجوما } جمع رجم بالفتح وهو ما يرجم به ويرمى للطرد

والزجر او جمع راجم كسجود جمع ساجد

{ للشياطين } هم كفار الجن يخرجون الناس من النور الى

الظلمات وجمع الشياطين على صيغة التكثير لكثرتهم فى الواقع فالمعنى

وجعلنا لها فائدة اخرى هى رجم اعدآئكم بانقضاض الشهب المقتبسة من

الكواكب لا بالكواكب نفسه فانها قارة فى الفلك على حالها فمنهم من

يقتله الشهاب ومنهم من يفسد عضو من اعضائه او عقله والشهاب شعلة

ساطعة من نار وهو ههنا شعلة نار تنفصل من النجم فأطلق عليها النجم

ولفظ المصابح ولفظ الكوكب ويكون معنى جعلناها رجوما جعلنا منها

رجوما وهى تلك الشهب ومما يؤيد ان الشعلة منفصلة فى السماء الدنيا

كتعليق القناديل فى المساجد مخلوقة من نور

وقيل انها معلقة بأيدى الملائكة وينصر هذا القول قوله تعالى اذا السماء النفطرت واذا الكواكب انتثرت لان انتثارها يكون بموت من كان يحملها من الملائكة

وقيل ان هذه ثقب فى السماء وينصره قول بعض المكاشفين ان الكواكب ليست مركوزة فى هذا التعين وانما هى بانعكاس الانوار فى بعض عروقه اللطيفة والذى يرى كسقوط النجم فكدفع الشمس من موضع الى موضع وهذا لا يطلع عليه الحكماء وانما يعرفه اهل السلوك انتهى وقال الفلاسفة ان الشهب انما هى اجزآء نارية تحصل فى الجو عند ارتفاع الابخرة المتصاعدة واتصالها بالنار التى دون الفلك وقد سبق بيان هذا المقام مفصلا فى اوآئل الصافات والحجر فلا نعيده والذى يلوح ان مذهب الفلاسفةقريب فى هذه المادة من مذهب اهل الحقائق ومر بيان مذهبهم فى الصافات والله اعلم بالخفيات

{ واعتد نالهم } اى هيئنا للشياطين فى الآخرة بعدا لاحراق فى الدنيا بالشهب ومنه العتاد اى العدة والاهبة

{ عذاب السعير } اى عذاب جهنم الموقدة المشعلة فالسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا اوقدتها ولذلك لم يؤت بالتاء فى آخره مع انه اسم للدركة الرابعة من دركات النار السبع وهى جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولكن كل من هذه الاسماء يطلق على الآخر فيعبر عن النار تارة بالسعير وتارة بجهنم واخرى بآخر.

واعلم ان فى كل دركة منها فرقة من فرق العصاة كعصاة اهل التوحيد والنصارى واليهود والصابئة والمجوس والمشركين والمنافقين ولم يذكروا الشياطين فى واحدة من الدركات السبع ولعلهم يقسمون على مراتب اضلالهم فيدخل كل قسم منهم مع قسم تبعه فى اضلاله فكان سببا لدخوله فى دركة من الدركاتالست التحتانية جزآء لضلاله واضلاله واذية لمن تبعه فيما دعا اليه بمصاحبته ومقارنته كما قال تعالى وترى المجرمين يومئذ مقرنين اى مع شياطينهم وفى الآية اشارة الى شياطين الخواطر النفسانية والهواجس الظلمانية وعذابها عذاب الرد والانقلاب بغلبة الخواطر الملكية والرحمانية.

{ وللذين كفروا بربهم } من الشياطين وغيرهم وكفرهم به اما بالتعطيل او بالامساك وقال سعدى المفتى الاظهر حمله على الكفرة غير الشياطين كما يشعر به ما بعده ولئلا يلزم شبه التكرار

{ عذاب جهنم } اى الدركة النارية التى تلقاهم بالتجهم والعبوسة يقال رجل جهم الوجه كالح منقبض وفيه اشارة ان عذابه تعالى وانتقامه خارج عن العادة لكونه ليس بسيف ولا سوط ولا عصا ونحوها بل بالنار الخارجة عن الانطفاء وليس للكافر المعذب من الخلاص رجاء

{ وبئس المصير } اى جهنم وقال بعضهم جهنم من الجهنام وهى بئر بعيدة القعر ففيه اشارة الى ان اهل النار مبعدون عن جمال الله تعالى وعن نعيم الجنة محرقون فى نار البعد والقطيعة نسأل الله العافية قال فى فتح الرحمن تضمنت هذه الآية ان عذاب جهنم للكافين المخلدين وقد جاء فى الأثر انه يمر على جهنم زمن تخفق ابوابها قد أخلتها الشفاعة فالذى فى

هذه الآية هى جهنم بأسرها اى جميع الطبقات والتى فى الأثر هى الطبقة العليا لانها مقر العصاة انتهى وهو مراد من قال من كبار المكاشفين يأتى زمان تبقى جهنم خالية عن اهلها وهم عصاة الموحدين ويأتى على جهنم زمان ينبت فى قعرها الجرجير وهى بقلة.

٧

{ اذا ألقوا } اى الذين كفروا اى فى جهنم وطرحوا كما يطرح الحطب فى النار العظيمة وفى ايراد الا لقاء دون الادخال اشعار بتحقيرهم وكون جهنم سفلية

{ سمعوا لها } اى لجهنم نفسها وهو متعلق بمحذوف وقع حالا من قوله

{ شهيقا } لانه فى الاصل صفة فلما قدمت صارت حالا اى سمعوا كائنا لها شهيقا اى صوتا كصوت الحمير الذى هو انكر الاصوات وافظعها غضبا عليهم وهو حسيسها المنكر الفظيع كما قال

تعالى لا يسمعون حسيسها قالوا الشهيق فى الصدر والزفير فى الحلق او شهيق الحمار آخر صوته والزفير اوله والشهيق رد النفس والزفير اخراجه

{ وهى تفور } اى والحال انها تغلى بهم غليان المرجل بما فيها من شدة التهلب والتسعر فهم لا يزالون صاعدين هابطين كالحب اذا كان الماء يغلى به لاقرار لهم اصلا الفور شدة الغليان ويقال ذلك فى لانار وفى القدر وفى لاغضب وفوارات الماء سميت تشبيها بغليان القدر وفعلت كذا من فورى اى من غليان الحال وفارة المسك تشبيها به فى الهيئة كما فى المفردات

قال بعضهم نطقت الآية بأن سماعهم يكون وقت الالقاء على ما هو المفهوم من اذا وعلى المفهوم من قوله وهى تفوران يكون بعده اللهم الا أن تغلى بما فيها كائنا ما كان ويؤول اذا ألقوا باذا أريد الالقاء نواذا قربوا من الالقاء بناء على ان صوت الشهيق يقتضى أن يسمع قبل الالقاء انتهى.

٨

{ تكاد تميز من الغيظ } الجملة خبر آخر وتميز اصله تتميز بتاءين والتميز الانقطاع والانفصال بين المتشابهات والغيظ اشد الغضب يقال يكاد فلان ينشق من غيظه اذا وصف بالافراط فى الغضب والمعنى تكاد تتفرق جهنم من شدة الغضب عليهم اى يقرب أن يتمزق تركيبها.

وينفصل بعضه من بعض وبالفارسية نزديكست كه باره باره شود دوزخ از شدت خشم بركافران.

شبه اشتعال النار بهم فى قوة تأثيرها فيهم وايصال الضرر اليهم باعتياظ المغتاظ على غيره المبالغ فى ايصال الضرر اليه فاستيعر اسم الغيظ لذلك الاستعمال استعارة تصريحية قال الامام لعل سبب هذا المجاز ان دم القلب يغلى عند الغضب فيعظم مقداره فيزداد امتلاء العروق حتى يكاد يتمزق قال فى المناسبات وكان حذف احدى التاءين اشارة الى انه يحصل افتراق واتصال على وجه من السرعة لا يكاد يدرك حق الادراك وذلك

كله لغضب سيدهاغ وتأتى يوم القيامة تقاد الى المحشر بألف زمام لكل زمام سبعون ألف ملك يقود ونهابة وهى من شدة الغيظ تقوى على الملائكة وتحمل على الناس فتقطع الأزمة جميعا وتحطم اهل المحشر وتقول لأنتقمن اليوم ممن اكل رزق الله وعبد غيره فلا يردها عنهم الا النبى صلّى الله عليه وسلّم يقابلها بنوره فترجع مع ان لكل ملك القوة مالو أمر به أن يقتلع الارض وما عليها من الجبال ويصعد بها فعل من غير كلفة وهذا كما اطفأها فى الدنيا بنفحة كما قال عليه السلام (لقد أدنيت منى النار حتى جعلت انفثها خشية أن تشغاكم)

قال بعضهم تلك المهواة لشدة منافاتها بالطبع لعالم النور واصل فطرة النفس ليشتد غيظها على النفوس كما ان شدة منافرة الطباع بعضها بعضا تستلزم شدة العداوة والبغض المقتضية لشدة الغيظ.

يقول الفقيرتقرر من هذا البيان ودل سائر الآثار الصحيحة ايضا ان جهنم لها حياة وشعور كسائر الاحياء ولذا يصدر منها كما يصدر منهم فلا حاجة الى ارتكاب المجاز عند اهل الله تعالى فى امتثال ذلك قال

جعفر الطيار رضى الله عنه كنت مع النبي عليه السلام فى طريق فاشتد على العطش فعلمه النبي عليه السلام وكان خذآءنا جبل فقال عليه السلام (بلغ منى السلام الى هذا الجبل وقل له يسقيك ان كان فيه ماء) قال فذهبت اليه وقلت السلام عليك أيها الجبل فقال الجبل ينطق بنطق فصيح لبيك يا رسول الله فعرضت القصة فقال بلغ سلامى الى رسول الله وقل منذ سمعت قوله تعالى فاتقوا النار الى وقودها الناس والحجارة بكيت لخوف أن اكون من الحجارة التى هى وقود النار بحيث لم يبق فى ماء

{ كلما ألقى } الالقاء بيفكندن

{ فيها } اى فى جهنم

{ فوج } جماعة من الكفرة يدفع الزبانية لهم الذين هم اغيظ عليهم من النار وهو استئناف مسوق لبيان حال اهلها بعد بيان حال نفسها

{ سألهم } اى ذلك الفوج وضمير الجميع باعتبار المعنى

{ خزنتها } اى خزنة النار وهى مالك واعوانه من الربانية بطريق التوبيخ والتقريع ليزدادوا عذابا فوق عذاب وحسرة اى ليزدادوا العذاب الروحانى على العذاب الجسمانى جمع خازن بمعنى الحافظ والموكل يعرف ذلك من قولهم بالفارسية خزينه دار.

قال فى تاج المصادر الخزن نكاه داشتن مال وسر

{ ألم يأتكم } اى وقالوا لهم ايها الكفرة الفجرة ألم يأتكم فى الدنيا

{ نذير } اى منذر يتلو عليكم آيات ربكم وينذركم لقاء يومكم هذا والانذار الابلاغ ولا يكون الا فى التخويف ويعدى الى مفعولين كما فى تاج المصادر.

٩

{ قالوا } اعترافا بأنه تعالى قد ازاح عللهم بالكلية ببعثة الرسل وانذارهم ما وقعوا فيه وانهم لم يأتوا من قدره كما تزعم المجبرة وانما اتوا من قبل انفسهم واحتيارهم خلاف ما اختاروا الله فأمر به واوعد على ضده

{ بلى } لا يجاب نفى اتيان النذير

{ قد جاءنا نذير } جمعوا بين حرف الجواب ونفس الجملة المجب بها مبالغة فى الاعتراف وتحسرا على فوت سعادة التصديق وتمهيد لبيان التفريط الواقع منهم اىقال كل فوج من تلك الافواج قد جاءنا نذير اى واحد حقيقة او حكما كانبياء بنى اسرآئيل فانهم فى حكم نذير واحد فأنذرنا وتلا عيلنا ما نزل الله عليه من آياته روى ابو هريرة رضى الله عنه عن النبى عليه السلام انه قال انا النذير والموت المغير يعنى موت عارت كنند است والساعة الموعد يعنى قيامت وعده كاهست

{ فكذبا } ذلك النذير فى كونه نذيرا من جهته تعالى فان قلت هذا يقتضى أن لا يدخلها الفاسق المصر لانه لم يكذب النذير قلت قد دلت الأدلة السمعية على تعذيب العصاة مطلقا والمراد بالفوج هنا بعض من ألقى فيها وهم الكفرة كما سبق

{ وقلنا } فى حق ما تلاه من الآيات افراطا فى التكذيب وتماديا

فى الكير بسبب الاشتغال فى الامور الدنيوية والاحكام الرسومية الخلقية

{ ما نزل الله } على احد

{ من شئ } من الاشياء فضلا عن تزيل الآيات عليكم وقال

بعضهم ما نزل الله من كتاب ولا رسول

{ ان انتم } اى ما انتم يا معشر الرسل فى ادعاء ان الله تعالى

نزل عليكم آيات تنذر وثنا بما فيها

{ الا فى ضلال كبير } بعيد عن الحق والصواب وجميع ضمير

الخطاب مع ان مخاطب كل فوج نذيره لتغليبه على امثاله مبالغة فى

التكذيب وتماديا فى التضليل كما ينبئ عنه تعميم المنزل مع ترك ذكر المنزل

عليه فانه ملوح بعمومه حتما.

١٠

{ وقالوا } ايضا معترفين بأنهم لم يكؤنوا ممن يسمع او يعقل

{ لو كنا } فى الدنيا

{ نسمع } كلاما

{ او نعقل } شيأ وفيه دليل على ان العقل حجة التوحيد كالسمع وقدم السمع لانه لا بد اولا من سماع ثم تعقل المسموع واقل سعدى المفتى قوله لو كنا الخ يجوز أن يكون اشارة الى قسمى الايمان التقلدي والتحقيق اى الاستدلالى لانه يحتاج الى النظر دون التحقيقى العيانى لانه يحصل بالكشف لا العقل

{ ما كنا } اليوم

{ فى اصحاب السعير } اى فى عداد اله لالنار الموقدة واتباعهم وهم الشياطين لقوله تعالى واعتدنا لهم عذاب السيعر كأن الخزنة قالوا لهم فى تضاعيف التوبيخ ألم تسمعوا آيات ربكم من السنة الرسل ولم تعقلوا معانيها حتى لا تكذبوا بها فأجابوا بذلك وفى التأويلات النجمية لو كنا

نسمع بأسماع قلوبنا او نعقل بعقول ارواحنا ما كنا فى اصحاب السعير ولكنا سمعنا باسماع محتومة وعقول معلولة مقفولة.

١١

{ فاعترفوا } اضطرار احين لا ينفعهم الاعتراف وهو اقرار عن مغفرة وفى عين المعانى عرفوا انفسهم بالجرم

{ بذنبهم } اختيارا بصرف قواهم الى سوء الاقتراف وهو كفرهم وتكذيبهم بآيات الله ورسله وقال بعضهم افرد الذنب لانه يفيد فائدة الجمع بكونه اسم جنس شامل للقيل والكثير وأريد به الكفر وهو وان كان على انواع فهو ملة واحدة فى كونه نهاية الجرم واقتضاء الخلود الابدى فى النار

{ فسحقا } مصدر مؤكد اما لفعل متعد من المزيد بحذف الزوائد اى فأسحقهم الله اى ابعدهم من رحمته سحقا اى اسحاقا وابعادا بسبب ذنبهم او لفعل مرتب على ذلك العفل اى فأسحقهم الله

فسحقوا اى بعدوا سحقا اى بعدا ويقال سحق الشئ مثل كرم فهو سحيق اى بعد فهو بعيد قيل وهو تحقيق

وقيل هو على الدعاء وهو تعليم من الله لعباده أن يدعو عليهم به كما فى التيسير ومعناه بالفارسية بس دور كرد خداى تعالى دور كردنى ايشان را از رحمت خود.

قال بعضهم دعاء عليهم من الله اشعارا بان المدعو عليهم مستحقون لهذا الدعاء وسيقع عليهم المدعو به من البعد والهلاك

{ لاصحاب السعير } اللام للبيان كما كان فى هيت لك والمراد الشياطين والداخلون من الكفرة وفيه اشارة الى ان الله تعالى بعد اهل الحجاب من جنة القرب وقربهم من جهنم ابعد.

١٢

{ ان الذين يخشون ربهم بالغيب } اى يخافون عذابه وهو عذاب يوم القيامة ويوم الموت ويوم القبر خوفا ورآء عيونهم حال كون ذلك العذاب

غائبا عنهم ولم يعاينوه بعد على ان بالغيب حال من المضاف

المقدر او غائبين عنه تعالى اى عن معاينة عذابه واحكامه الآخرة او عن

اعين الناس لانهم ليسوا كالمنافقين الذين اذا لقوا المؤمنين قالوا آمنا واذا

خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤون على انه حال من

الفاعل وهو ضمير يخشون او بما خفى منهم وهو قلوبهم فالباء للستعانة

متعلقة بيخشون والالف واللام اسم موصول وكانوا يشمون من كبد أبي

بكر الصديق رضى الله عنه رآئحة الكبد المشوى من شد الخوف من الله

تعالى وكان عليه السلام يصلى ولصدره ازيز كأزيز المرجل من البكاء

والأزيز الغليان

وقيل صوته والمرجان قدر من نحا

{ لهم مغفرة } عظيمة تأتى على جميع ذنوبهم ولما كان السرور انما

يتم بالاعطاء قال

{ واجر كبير } اى ثواب عظيم فى الآخرة فضلا منه تعالى يكون لهم به من الاكرام ما ينسيهم ما قاسوه فى الدنيا من شدآئد الآلام وتصغر فى جنبه لذآئذ الدنيا وهو الجنة ونعميها.

كفته انديمنى از وشدايد ومكاره يعنى مزد ثرسندكان امان باشد ازهر جه مى ترسند

لا تخافوا مزده ترسنده است ... هركه مى ترسد مبارك بنده است

خوف وخشيت خاص دانايان بود ... هركه دانا نيست كى ترسان بود

ترسكارى رستكارى آورد ... هركه درد آرد عوض درمان بود

فلا بد من العقل اولا حتى يحصل الخوف ثانيا وكان بعض الاكاسرة وكانوا اعقل الملوك يرتب واحدا يكون ورآءه بالقرب منه يقول اذا اجتمعت جنوده انت عبد لا يزال يكرر ذلك والملك يقول له كلما قاله نعم وهكذا حال من يعرف مكر النفس ويخاف الله بقلبه قال مسروق ان المخافة قبل

الرجاء فان الله تعالى خلق جنة ونار فلن تخلصوا الى الجنة حتى تمروا بالنار قال تعالى وان منكم الا واردها قال فضيل قدس سره اذا قيل لك اتخاف الله فاسكت فانك اذا قلت لا فقد جئت بأمر عظيم واذا قلتنعم فالخائف لا يكون على ما أنت عليه ألا ترى ان الله تعالى لما اتخذ ابراهيم عليه السلام خليلا ألقى فى قلبه الوجل حتى ان خفقان قلبه يسمع من بعيد كما يسمع خفقان الطير فى الهوآء

وقيل لفضيل بم بلغ بك الخوف الذى بلغ قال بقلة الذنوب فللخوف اسباب واول الامر العقل السليم ثم يحصل كما له بترك العصيان وذلك ان ترك المعصية وانكان نتيجة الخوف لكن القلب بترقى فى الرقة بترك المعصية فيشتد خوفه فقاسى القلب لا يعرف الخوف لان عقله ضعيف مغلوب يقال العقل كالبعل والنفس كالزوجة والجسم كالبيت فاذا سلط العقل على النفس اشتغلت النفس بمصالح الجسم كما تشتغل المرأة المقهورة بمصالح البيت فصلحت الجملة وان غلبت النفس كان سعيها فاسدا كالمرأة التى قهرت زوجها ففسدت الجملة.

مبر طاعت نفس شهوت برست ... كه هرساعتش قبله ديكرست

كرا جامه باكست وسيرت بليد ... در دوزخش رانبايد كليد

١٣

{ واسروا قولكم او اجهروا به } وبنهان سازيد سخن خودرا درشان بيغمبر عليه السلام يا آشكار كنيد مرانرا.

قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت فى المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم بأشياء يعنى درباب حضرت بيغمبر سخنان ناشايسته كفتندى.

فيظهر الله رسوله عليها فقال بعضهم لبعض اسر واقولكم كيلا يسمع رب محمد فيخبره بما لوتقون فقيل لهم اسر واذلالك او اجهروا به فان الله يعلم واسرار الاقوال واعلانها مستويان عنده تعالى فى تعلق علمه والامر للتهديد لا للتكليف وتقديم السر على الجهر للايذان بافتضاحهم ووقوع ما يحذرون من اول الامر المبالغة فى بيان شمول علمه المحيط بجميع المعلومات كأن علمه تعالى بما يسر ونه اقدم منه بما يجهرون به مع كونهما

فى الحقيقة على السوية فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شئ فى نفسه علم بالنسبة اليه تعالى او لان مرتبة السر متقدمة على مرتبة الجهر اذما من شئ يجهر به الا وهو او مباديه مضمر فى القلب يتعلق به الاسرار غالبا فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية

{ انه عليم بذات الصدور } مبالغ فى الاحاصة بمضمرات جميع الناس واسراهم الخفية المستكنة فى صدورهم بحيث لا تكاد تفارقها اصلا فكيف يخفى عليه ما تسرونه وتجهرون به ويجوز أن يراد بذات الصدور القلوب التى فى الصدور والمعنى انه عليم بالقلوب واحوالها فلا يخفى لعيه سر من اسرارها قال القاشاقنى انه عليم بذات الصدور لكون تلك السرآئر عين علمه فكيف لا يعلم ضمائرهم من خلقها وسواها وجعلها مرآئى اسراره ولم يقل ذوات الصدور لارادة الجنس وذات هنا تأنيث ذى بمعنصاحب حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه اى عليم بالمضمرات صاحبةالصدور وهى الخواطر القائمة بالقلب من الدواعى

والصوارف الموجودة فيه وجعلت صاحبة الصدور بملازمتها لها وحلولها فيها كما يقال اللبن ذو الاناء ولولد المرأة وهو جنين ذو بطنها.

١٤

{ ألا يعلم } آياندادند

{ من خلق } اى ألا يعلم السر والجهر من اوجد بحكمته جميع الاشياء التى هما من جملتها فهو انكار ونفى لعدم احاطة علمه تعالى بالمضمر والمظهر ومن فاعل يعلم ويجوز أن يكون منصوبا على انه مفعول يعلم والعائد محذوف اى ألا يعلم الله من خلقه

{ وهو } اى والحال انه تعالى وحده

{ اللطيف } العالم بدقائق الاشياء يرى اثر النملة السودآء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء

{ الخبير } العالم ببواطنها قال القاشانى هو المحيط ببواطن ما خلق ظواهره بل هو هو فى الحقيقة باطنا وظاهرا لا فرق الا بالوجوب والامكان

والاطلاق والتقييد واحتجاب الهوية بالعندية والحقيقة بالشخصية فان قلت ذكر الخبير بعد اللطيف تكرار قلت لا تكرار فيه فانه قال الامام الغزالى رحمه الله انما يستحق اسم اللطيف من يعلم دقائق المصالح وغوامضاه وما دق منها وما لطف ثم يسلك فى ايصالها الى المستصلح على سبيل الرفق دون العنف فاذا اجتمع الرفق فى الفعل واللطف فى الادراك تم معنى اللطف ولا يتصور كمال ذلك فى العلم والفعل الا الله تعالى والخبير هو الذى لا يعزب عنه الاخبار الباطنة فلا يجرى فى الملك والملكوت شئ ولا تتحرك ذرة ولا تسكن ولا تضطرب نفس ولا تطمئن الا ويكون عنده خبرها وهو بمعنى العليم لكن العلم اذا أضيف الى الخفايا الباطنة يسمى خبرة ويسمى صاحبها خبيرا

قال بعضهم كنا جماعة من الفراء فأصابتنا فاقة ومجاعة فذهبنا الى ابراهيم الخواص قدس سره وقلت فى نفسى اباسط الشيخ فى احوالى واحوال هؤلاء الفقرآء فلما وقع بصره على قال لى الحاجة الى جئتنى فيها الله عليم بها ام لافرفعها اليه فسكت ثم انصرفنا فلما وصلنا الى المنزل فتح علينا

بشئ واذا علم العبد انه مطلع على سره عليم بخفى ما فى صدره يكتفى
من سؤاله برفع همته اليه واحضار حاجته فى قلبه من غير أن ينطق بلسانه
والله لطيف بعباده ومن لطفه بهم انه يوصل اليهم ما يحتاجون اليه بسهولة
فمن قوته رغيب لو تفكر فيه يعلم كم عين سهرت فيه من اول الامر حتى
تم وصلح للاكل من الحارث والباذر للبذر والحاصد والد آيس والمذرى
والطاحن والعاجن والخابز ويتشعب من ذلك الآلات التى تتوقف عليها
هذه الاعمال من الاخشاب ولحجارة والحديد والحبال والدواب بحيث لا
تكاد تنحصر وهكذا كل شئ ينعم به على عبده من مطعوم ومشروب
وملبوس فيه مقدما كثيرة لو احتاج العبد الى مباشرتها بنفسه لعجز عن
ذلك ومن سنة الله سبحانه حفظ كل لطيفة فى طى كل كثيفة كصيانة
الودآئع فى المواضع المجهولة ألا ترى انه جعل التراب الكثيف معدن الذهب
والفضة وغيرهما من الجواهر والصدق معدن الدر والذباب معدن الشهد
والدود معدن الحرير وكذا جعل قلب العبد محلا ومعدنا لمعرفته ومحبته وهو
مضغة لحم فالقلب خلق لهذا لا لغيره فعلى العبد ان يطهره عن لوث التعلق

بما سوى الله فان الله تعالى لطف به بايجاده ذلك القلب فى جوفه ووصف

نفسه بانه لطيف خبير مطلع على ما فى الباطن فاذا كان هو المنظر الالهى

وجب تخليته عن الافكار والاغيار وتحليته بأنواع المعارف والعلوم والاسرا

وتجليته بتجلى الله الملك العزيز الغفار بوجوه اسمائه وصفاته بل بعين ذاته

نسأل الله تعالى نواله وأن يرينا جماله.

١٥

{ هو } وحده

{ الذى جعل لكم} اى لمنافعكم { الارض } اختلفوا فى مبلغ

الارض وكميتها فروى عن مكحول انه قال ما بين اقصى الدنيا الى ادناها

مسيرة خمسمائة سنة مائتان من ذلك فى البحر ومائتان ليس يسكنها احد

وثمانون فيها يأجوج ومأجوج وعشرون فيها سائر الخلق وعن قتادة انه قال

الدنيا ان بسيطها من حيث يحيط بها البحر المحيط اربعة وعشرون الف

فرسخ فملك السودان منها اثنا عشر الف فرسخ وملك الروم ثمانية آلاف

فرسخ وملك العجم والترك ثلاثة آلاف فرسخ وملك العرب الف فرسخ وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما انه قال ربع من لا يلبس الثياب من السودان اكثر من جميع الناس وقد خرج بطليموس مقدار قطر الارض واستدارتها فى المحطى بالتقريبى وهو كتاب له يذكر فيه القوعد التى يتويل بها فى اثبات الاوضاع الفلكية والارضية بأدلتها التفصيلية قال استدارة الارض مائة الف وثمانون الف اسطاربوس وهى اربعة وعشرون الف ميل فتكون على هذا الحكم ثمانية آلاف فرسخ والفرسخ ثلاثة اميال والميل ثلاثة آلاف ذراع بالمكى والذراع ثلاثة اشباع وكل شبر اثنتان عشرة اصبعا والاصبع خمس شعيرات مضمومات بطون بعضها الى بعض وعرض الشعيرة الواحدة ست شعرات من شعر بغل والاسطاربوس اربعمائة الف ذراع قال وغلظ الارض وهو قطرها سبعة آلاف وستمائة وثلاثون ميلا يكون الفين وخمسمائة فرسخ وخمسة واربعين فرسخا وثلثى فرسخ قال فبسيط الارض كلها مائة واثنان وثلاثون الف الف وستمائة الف ميل فيكون مائتى الف وثمانية آلاف فرسخ قال صاحب الخريدة فان كان ذلك

حقا فهو وحى من الحق او الهام وان كان قياسا واستدلالا فهو قريب ايضا من الحق

واما قول قتادة ومكحول فلا يوجب العلم اليقينى الذى يقطع على الغيب به انتهى

{ ذلولا } اى لينة منقادة غاية الانقياد لما تفهمه صيغة المبالغة يسهل عليكم السلوك فيما لتتوصلوا الى ما ينفعكم وبالفارسية نرم ومنقادتا آسان باشد سيرشما بران.

ولو جعلها صخرة خشنة تعسر المشى عليها او جعلها لينة منبتة يمكن فيها حفر الآبار وشق اليعون والانهار وبناء الابنية وزرع الحبوب وغرس الاشجار ولو كانت صخرة صلبة لتعذر ذلك ولكانت حارة فى الصيف جدا وباردة فى الشتاء فلا تكون كفاتا للاحياء والاموات وايضا ثبتها بالجبال الراسيات كيلا تتمايل وتنقل بأهلها ولو كانت مضطربة متمايلة لما كانت منقادة لنا فكانت على صورة الانسان الكامل فى سكونها

وسكونها وكانت هى وحقائقها فى مقابلة القلم الأعلى والملائكة المهيمة والحاصل ان الله تعالى جعل الارض بحيث ينتفع بها وقسمها الى سهول وجبال وبرارى وبحار وانهار وعيون وملح وعذب وزرع وشجر وتراب وحجر ورمال ومدر وذات سباع وحيات وفارغة وغير ذلك بحكمته وقدرته قال سهل قدس سره خلق الله الأنفس ذلولا فمن اذلها بمخالفتها فقد نجاها من الفتن والبلاء والمحن ومن لم يذلها واتبعها اذلته نفسه واهلكته يقال دابة ذلول بينة الذل او هو بالكسر اللين والانقياد وهو ضد الصعوبة فالذلول من كل شئ المناقد الذى يذل لك وبالضم الهوان ضد العز قال الراغب الذل ما كان عن قهر يقال ذل يذر ذلا والذل ما كان بعد تصعب وشماس من غير قهر يقال ذل يذل ذلا وجعلها البيقهى فى تاج المصادر من الباب الثانى حيث قال فى ذلك الكتاب والباب الذل خورشدن والذل رام شدن.

وكذا فى مختار الصحاح وجعل صاحب القاموس الذل ضد الصعوبة بالضم والكسر والذل بمعنى الهوان بالضم فقط والذلول

فعول بمعنى الفاعل ولذا هرى عن علامة التأنيث مع ان الارض مؤنث سماعى

{ فامشوا فى مناكبها } الفاء لترتيب الامر على الجعل المذكور وهو أمر اباحة عند بعض اى فاسلكوا فى جوانبها وخبر فى صورة الامرعند آخرين اى تمشون فى اطرافها من حيث اى منكبي الرجل جانباه فشبه الجوانب بالمناكب واذا مشوا وساروا فى جوانبها واطرافها فقد احاطوا بها وحصل لهم الانتفاع بجميع ما فيها قال الراغب المنكب مجتمع ما بين العضد والكتف ومنه استعير للارض فى قوله فامشوا فى مناكبها كاستعارة الظهر لها فى قوله ما ترك على ظهرها انتهى او فى جبالها وشبهت بالمناكب من حيث الارتفاع وكان لبشر بن كعب سرية فقال لها ان اخبرتنى ما مناكب الارض فأنت حرة فقالت مناكبها جبالها فصارت حرة فأراد أن يتزجها فسال ابا الدردآء رضى الله عنه فقال دع ما يريبك الى ما لا يريبك وهو مثل لفظ التذليل ومجاوزته الغاية اى تذليل البعير لا مطلقا كما فى حواشى سعدى المفتى فان منكب البعير ارق اعضائه وانباها عن أن يطاها

الراكب بقدمه فاذا جعل الارض فى الذل بحيث تيأتى ا لمشى فى مناكبها لم يبق مناه شئ لم يتذلل فخرج الجواب عن وجه تخصيص المشى فى الجبال على تقدير أن يراد بالمناكب الجبال لكن من الجبال ما يتعذر سلوكها كجبل السد بيننا وبين يأجوج ومأجوج ورد فى الحديث انه تزالق عليه الارجل ولا تثبت ومناه ما يشق سلوكها وانما لم تعتبر لندرتها وقلتها وفى التأويلات النجمية هو الذى جعل لكم ارض البشرية ذلولا منقادة فخذوا من ارضها بقدر الحاجة من اعاليها واسافلها من اللذات الجسمانية المباحة لكم بحكم الشرع لتقوية ابدانكم وتهيئة اسباب طاعاتكم وعباداتكم لئلا تضعف بالكلية وتكل عن العبادة

{ وكلوا من لكية رزقه } والتسموا من نعم الله تعالى فيها من الحبوب والفواكه ونحوها والامر ان كان امر اباحة فالرزق ما يكون حلالا وان كان خبرا فى صورة الامربمعنى تأكلون فيجوز أن يكون شاملا للحرام ايضا فانه من رزقه ايضا وان كان التناول منه حراما

{ واليه } اى الله وحده

{ النشور } اى لامرجع بعد البعث فبالغوا فى شكر نعمه يقال

نشر الله رجعا ورجع بنفسه رجوعا الا ان الميت لا يحيي بنفسه بدون احياء

الله اذ هو محال.

١٦

{ ءامنتم } آيا ايمن شديد اى مكذبان . وهو استفهام توبيخ

فالهمزة الاولى استفهامية والثانية من نفس الكلمة

{ من } موصولة

{ فى السماء } اى الملائكة الموكلين بتدبير هذا العالم او الله

سبحانه على تأويل من فى السماء امره وقضاؤه وهو كقوله تعالى وهو الله

فى السموات وفى الارض وحقيقته ءامنتم خالق السماء ومالكها قال فى

الاسئلة خص السماء بالذكر ليعلم ان الاصنام التى فى الارض ليست بآلهة

لا لانه تعالى فى جهة من الجهات لان ذلك من صفات الاجسام واراد

أنه فوق السماء والارض فوقية القدرة والسلطنة لا فوقية الجهة انتهى على

انه لا يلزم من الايمان بالفوقية الجهة فقد ثبت فانظر ماذا ترى وكن مع اهل السنة من الورى كما فى الكبريت الاحمر للامام الشعرانى قدس سره

واما رفع الايدى الى السماء فى الدعاء فلكونها محل البركات وقبلة الدعاء كام ان الكعبة قبلة الصلاة وجناب الله تعالى قبلة القلب ويجوز أن تكون الظرفية باعتبار زعمالعرب حيث كانوا يزعمون انه تعالى فى السماء اى ءأمنتم من تزعمون انه فى السماء وهو متعال عن المكان وفى فتح الرحمن هذا المحل من المتشابه الذى استأثر الله بعلمه ونؤمن به ولا نتعرض لمعناه ونكل العلم فيه الى الله قوله من فى السماء فى موضع النصب على انه مفعول امنتم

{ أن يسخف بكم الارض } بعدما جعلاه لكم ذلولا تمشون فى مناكبها وتأكلون من رزقه لكفرانكم تلك النعمة اى يقلبها ملتبسة بكم فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل اشتمال من من اى ءامنتم من فى السماء خسفه والبلاء للملابسة والخسف بزمين فرو بردن.

والخسوف بزمين فروشدن . والمشهور ان الباء فى مثل هذا الموضع للتعدية اى يدخلكم ويذهبكم فيها وبالفارسية فرو برد شمارا بزمين.

قال الجوهرى خسف المكان يخسف خسوفا ذهب فى الارض وخسف الله به الارض خسفا غاب به فيها وفى القاموس ايضا خسف الله بفلان الارض غيبة فيها

{ فاذا هى } بس آنكاه زمين ابس زفرو بردن شمابوى

{ تمون } قال فى القاموس المور الاضطراب والجريان على وجه الارض والتحرك اى تضطرب ذهابا ومجيئا على خلاف ما كانت عليه من الذل والاطمئنان وقال بعضهم فاذا الارض تدور بكم الى الارض السفلى وبعضهم تنكشف تارة للخوض فيها وتلتئم اخرى للتعذيب بها.

١٧

{ أم أمنتم } يا ايمن شديد . وهو انتقال الى التهديد بوجه آخر

{ من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا } اى حجارة من السماء كما ارسلها على قوم لوط واصحاب الفيل اى ام أمنتم من فى السماء ارسله على ان قوله أن يرسل بدل من من ايضا والمعنى هل جعل لكم من هذين امان واذلا امان لكم منهما فمن معنى تماديكم فى شرككم

{ فستعلمون } عن قريب البتة

{ كيف نذير } اى انذارى عند مشاهدتكم للمنذر به أهو واقع ام لا أشديد ام ضعيف يعنى حين حققتم المنذر به تعلمون انه لا خلف لخبرى وان عذابى لشديد وانه لا دافع عنه ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ فالنذير وكذا النكير الاتى مصدران بمعنى الانذار والانكار وصالهم انذيرى ونكيرى بياء الاضافة فحذفت اكتفاء بكسر ما قبلها قال فى برهان القرءآن خوفهم بالخسف اولا لكونهم على الارض وانها اقرب اليهم من السماء ثم بالحاصب من السماء فلذلك جاء ثانيا.

يقول الفقير أشارت الآية الاولى على ما ألهمت فى جوف اللي الى ان الاستتار تحت اللحاف وعدم النهوض الى الصلاة والمناجاة وقت السحر عقوبة من الله تعالى على اهل الغفلة كالخسف ولذا لما قام بعض العارفين متهجدا فأخذه البرد وبكى من العرى قيل له من قبل الله تعالى اقمناك وانمتاهم فتبكى علينا يعنى ان اقامتك وانامة الغافلين نعمة لك ونقحة لهم فاشكر عليهم ولا تجزع من العرى فان بلاء العرى اهون من بلاء الغفلة واشارت الآية الثانية الى نزول المطر الشديد من السماء فانه ربما يمنع المتهجد عن القيام والاشتغال بالوضوء والطهارة فيكون غضبا فى صورة الرحمة فعلى العاقل أن لا يضيع الوقت ويغتنم الفراغ قبل الشغل أيقظنا الله واياكم.

١٨

{ ولقد كذب الذين من قبلهم } اى من قبل كفار مكة من كفار الامم السالفة كقوم نوح وعاد وأضرابهم والتفات الى الغيبة لابراز الاعراض عنهم

{ فكيف كان نكيرا } اى انكارى عليهم بانزال العذاب اى كان على غاية الهول والفظاعة وهذا مورد التأكيد القسمى لا تكذيبهم فقط وانكار الله تعالى على عبده ان يفعل به امرا صعبا وفعلا هائلا لا يعرف وفى الآية تسلية للرسول صلّى الله عليه وسلّم وتهديد لقومه.

١٩

{ اولم يروا } اى اغفلوا ولم ينظروا

{ الى الطير } فالرؤية بصرية لانها تتعدى بالى

واما القلبية فتعديتها بفى والطير يطلق على جنس الطائر وهو كل ذى جناح يسبح فى الهوآء اما لكون جمعه فى الاصل كركب وراكب او مصدره جعل اسما لجنسه فباعتبار تكثره فى المعنى وصف بصافات وفى المفردات انه جمع طائر

{ فوقهم } يجوز أن يكون ظرفا ليروا وأن يكون حالا من الطير أى كائنات خوقهم

{ صافات } حال من الطير والصف أن يجعل الشئ على خط مستو كالناس باسطات اجنحتهن فى الجو عند طيرانها فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها صفا وقوادم الطير مقاديم ريشه وهى عشر فى كل جناح الواحدة قادمة

{ ويقبض } ويضممنها اذا ضربن بام جنوبهن حينا فحينا للاستظهار به على التحرك وهو الشرك فى ايثار يقبض الدال على تجدد القبض تارة بعد تارة على قابضات فان الطيران فى الهوآء كالسباحة فى الماء فكما ان الاصل فى السباحة مد الاطراف وبسطها فكذا الاصل فى الطيران صف الاجنحة وبسطها والقبض انما يكون تارة بعد تارة للاستظهار المذكور كما فى السابح قال ابن الشيخ ويقبض عطف على صافات لانه بمعنى وقابضات والا لما عطف الفعل على الاسم

{ ما يمسكهن } فى الجو وما يأخذهن عن السقوط عند الصف والقبض على خلاف مقتضى الطبع الجسمانى فانه يقتضى الهبوط الى السفل

{ الا الرحمن } الواسع رحمته كل شئ بأن برأهن على اشكال وخصائص وهيأهن للجرى فى الهوأء

{ انه بكل شئ بصير } يعلم ابداع المبدعات وتدبير العجائب والبصير هو الذى يشاهد ويرى لا يعزب عنه ما تحت الثرى وهو فى حقه تعالى عبارة عن الوصف الذى به ينكشف كمال نعوت المبصرات فالبصر صفة زآئدة على علمه تعالى خلافا للقدرية فمن عرف هذه الصفة كان المراد به دوام المراقبة ومطالبة النفس بدقيق المحاسبة والمراقبة احدى ثمرات الايمان (حكى) ان بعض الملوك كان له عبد يقبل عليه اكثر مما يقبل على امثاله ولم يكن احسن منهم صورة ولا اكثر منهم قيمة فكانوا يتعجبون من ذلك فركب الملك يوما الى الصحرآء ومعه اصحابه وعبيده فنظر الى جبل بعيد عليه قطعه ثلج نظرة واحدة ثم اطرق فركض ذلك العبد فرسه من غير أن ينظر الملك أليه ولا أشار بشئ من ذلك ولم تعلم الجماعة لاىّ شئ ركض فرسه فما لبث الا ساعاة حتى عاد ومعه شئ من الثلج فقل له بم عرفت ان الملك أراد الثلج فقال لانه نظر اليه ونظر الملوك الى شئ لا

يكون عبثا فقال الملك لهذا اقربه واقدمه عليكم فانكم مشغولون بأنفسكم وهو مشغول بمراقبة احوالى وفى التأويلات النجمية يشير الى طيران الارواح العلوية المخلوقة قبل الاجساد من العوالم الهيولانية وما يسمكهن الا الرحمن المشتمل على الاسم الحفيظ وبه يمسكها فى جو سماء القدرة انه بكل شئ بصير يعلم كيف يخلق الاشياء الغريبة وكيف يدبر الامور العجبة.

٢٠

{ أمن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن } اصله ام من على ان ام منقطة مقدرة ببل المفيدة للانتقال من توبيخهم على ترك التأمل فيما يشاهدونه من احوال الطير المبنئة عن تعاجيب آثار قدرة الله الى التبكيت بما ذكر والالتفات للتشديد فى ذلك اوالاستفهام متوجه الى تعيين الناظر لتبكيتهم باظهار عجزهم عن تعيينه ولا سبيلى هنا الى تقدير الهمزة مع بل لان ما بعدها من الاستفهامية ولا يدخل الاستفهام على الاستفهام ومن مبتدأ وهذا خبره والموصول مع صلته صفته وايثار هذا لتحقير المشار اليه وينصركم صفة لجند بالاعتبار لفظه والجند جمع معد

للحرب والمعنى بل من هذا الحقير الذى هو فى زعمكم جند لكم وعسكر
وعون من آلهتكم وغيرها ينصركم عند نزول العذاب والآفات متجاوزا نصر
الرحمن فمن دون الرحمن حال من فاعل ينصركم ودون بمعنى غيرأ وينصركم
نصرا كائنا من دون نصره تعالى على انه نعت المصدره او ينصركم من
عذاب كائن من عند الله على انه متعلق بينصركم وقد تجعل من موصولة
مبتدأ وهذا مبتدأ ثانيا والمصولة مع صلته خبره والجملة سلة من بتقدير
القول وينصركم وام منقطعة او متصلة والقرينة محذوفة بدلالة لاسياق على
ان يكون المعنى الله الذى له هذه الاوصاف الكاملة والقدرة الشاملة
ينصركم وينجيكم من الخسف والحصب ان اصابكم ام الذى يشار اليه
ويقال فى حقه هذا الذى تزعمون انه جند لكم ينصركم من دون الله وايثار
الرحمن للدلالة على ان رحمة الله هى المنجية من عضبه لا غير قال
القاشانى اى من يشار اليه ممن يستعان به من الاغيار حتى الجوارح
والآلات والقوى وكل ما ينسب اليه التأثير والمعونة من الوسائط فيقال هو
جند لكم ينصركم من دون الرحمن فيرسل ما امسك من النعم الباطنة

والظاهرة او يمسك ما ارسل من النعم المعنوية والصورة او يحصل لكم ما منع ولم يقدر لكم او يمنع ما أصابكم به وقدر عليكم

{ ان الكافرون الا فى غرور } ان نافية بمعنى ما اى ما هم فى زعمهم انهم محفوظون من النوآئب بحفظ آلهتهم لا بحفظه تعالى فط او أن آلهتهم تحفظهم من بأس الله الا فى غرور عظيم وضلال فاحش من جهة الشيطان ليس لهم فى ذلك شئ يعتد به فى الجملة والالتفات الى الغيبة للايذان باقضتاء حالهم الاعراض عنهم وبيان قبائحهم ليغرهم والاظهار فى موضع الاضمار لذمهم بالكفر وتعليل غرورهم به.

٢١

{ أمن هذا الذى يرزقكم } يعطيكم الرزق

{ ان امسك } الرحمن وحبس

{ رزقه } بامساك المطر ومباديه ولو كان الرزق موجودا او كثيرا وسهل التناول فوضع الاكلة فى فمه فأمسك الله عنه قوة الابتلاع عجز

اهل السموات والارض عن أن يسوغه تلك اللقمة واعرابه كاعراب ما سبق والمعنى على تقدير كون من موصولة الله ارزاق ذو القوة المتبين يرزقكم ام الذى يقال فى حقه هذا الحقي المهين الذى تدعون انه يرزقكم قال بعض المفسرين كان الكفار يمتنعون عن الايمان ويعاندون الرسول عليه السلام معتمدين على شيئين احدهما اعتمادهم بمالهم وعددهم والثانىاعتقادهم ان الاوثان توصل اليهم جميع الخيرات وتدفع عنهم جميع الآفات فأبطل الله عليهم الاول بقوله امن هذا الذى هو جند لكم الخ ورد عليهم الثانى بقوله امن هذا الذى يرزقكم الخ

{ بل لجوا فى عتو ونفور } منبئ عن مقدر يستعديه المقام كائنه قيل اثر التبكيت والتعجزي لم يتأثروا بذلك ولم يذعنوا للحق بل لجوا وتمادوا فى عتواى عناد واستكبار وطفيان ونفور اى شراد عن الحق وتباعد واعراض لمضادتهم الحق بالباطل الذى اقاموا عليه فاللجاج التمادى فى العناد فى تعاطى الفعل المزجور عنه والعتو والتجاوز عن الحد والنفور الفرار ففيه تحقير لهم واشارة الى انهم

{ حمر مستنفرة فرت من قسورة } يعنى كوييا ايشان خران وحشى
اندر ميدكان كه كريخته باشند از شيريا از صياد ياريسمان دام يا مردم
تيرانداز يا آوازهاى مختلف

كسى راكه بندار درسر بود ... ميندار هركزكه حق بشنود

۲۲

{ افمن يمشى مكبا على وجهه اهدى } الخ مثل ضرب للمشرك
والموحد توضيحا لحالهما والفاء لترتيب ذلك على ما ظهر من سوء حالهم
وتقديم الهمزة عليها صورة انما هو لاقتضائها الصدارة

واما بحسب المعنى فالامر بالعكس حتى لو كان مكان الهمزة هل
لقيل فهل من يمسى مكبا ولمكب الساقط على وجهه وحقيقته صار ذا
كب ودخل فى الكب وكبه قليه وصرعه يعنى اسطقع على وجهه ولا يقال
اكبه فان اكب لازم وعند صاحب القاموس لازم ومتعد ومكبا حال من
فاعل يمشى والمعنى فمن يشمى وهو يعثر فى كل ساعة ويخر على وجهه

فى كل خطوة لتوعر طريقه واختلال قواه اشد هداية ورشدا الى المقصد الذى يؤمه قال فى المناسبات لم يسم سبحانه لمشيانه طريقا لانه لا يستحق ذلك ولما كان ربما صادف السهل لا عن بصيرة بل عن اتفاق قال اهدى

{ امن } اى اهو اهدى ام من

{ يمشى سويا } اى قائما سالما من الخبط والعثار

{ على صراط مستقيم } مستوى الاجزآء لا عوج فيها ولا انحراف

وقيل المكب كناية عن الاعمى لانه لا يهتدى الى الطريق فيتعسف يعنى بى راه ميرود فيلزمه ان يكب على وجهه بخلاف الصير السوى

فرقست ميان آنكه از روى يقين ... باديده بينا روداندرره دين

با آنكه دوجشم بسته بى دست كسى ... هركوشه همى رود بظن وتخمين

وقال قتادة هو الكافر اكب على معاصى الله فى الدنيا فحشره الله على وجهه الى النار فى العقبى والمؤمن استقام على امر الله فى الدنيا فحشره الله على قدميه على الجنة فى الآخرة

وقيل للنبي عليه السلام وكيف يشمون على وجوههم قال ان الذى امشاهم على اقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم وفيه اشارة الى ان الله تعالى يظهر للانسان يوم القيامة ما ابطن اليوم خيرا او شرا

سيرتى كاندر وجودت غالبست ... هم بران تصوير حشرت واجبست

قال القاشانى فامن يمشى منتكسا بالتوجه الى الجهة السفلية والمحبة للملاذ الحسية والانجذابالى الامور الطبيعية أهدى امن يمشى مستويا منتصبا على صراط التوحيد الموصوف بالاستقامة التامة التى لا توصف فالجاهل المحجوب الطالب للدنيا المعرض عن المولى الاعمى عن طريق الحق مكبوب على وجه الخجلة بواسطة ظلمة الغفلة والعارف المحقق التارك

للدنيا المقبل على المولى المبصر البصير لطريق الحق ماش سويا بالظاهر والباطن على طريق التوحيد الذى لا فيه امت ولا عوج.

٢٣

{ قل } يا افضل الخلق

{ هو } تعالى وحده

{ الذى انشأكم } ايها الكفار كا دل عليه السباق والسياق ويندرج فيه الانسان الغافل ايضا ان انشأكم انشاء بريعا قابلا لجمع جميع الحقائق الالهية والكيانية وابتدأ خلقكم على احسن خلق بأن صوركم فأحسن صوركم

{ وجعل لكم السمع } واعطى لكم الاذن لتسموا آيات الله وتعملوا بمو جبها بل لتسمعوا الخطابات الغيبية من ألسنة الموجودات بأسرها فانها كلها تنطق نطق الانسان كما قال الله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم قيل لبرز جمهر من اكمل الناس

قال من لم يجعل سمعه غرضا لفحشاء وقدم السمع لانه شرط النبوة ولذلك ما بعث الله رسولا اصم ولان فوآئد السمع اقوى بالنسبة الى العوام وان كانت فوآئد البصر اعلى بالنسبة الى الخواص ولان السمع مرتبة الخطاب عند انفتاح باب القلب ولابصرة مرتبة الرؤية ولا شك ان مرتبة الخطاب اقدم بالنسبة الى مرتبة الرؤية لان مرتبة الرؤية هى مرتبة لتجلى فهى نهاية الامر ألا ترى انه عليه السالم سمع قبل النبوة صوت اسرافيل ولم ير شخصه

واما بعدها فقد رأى جميع الملائكة وأم لهم ليلة المعراج عند السدرة بل ورأى الله تعالى بلا كيف فترقى من مرتبة الخطاب الى هى مرتبة الوحى الى مرتبة التجلى التى هى مرتبة الموحى

{ والابصار } لتنظيروا بها الى الآيات التكوينية الشاهدة بشؤون الله تعالى ولتبصروا جميع مظاهره تعالى فى غاية الكمال ونهاية الاتقان

{ والافئدة } لتتفكر وابها فيما تسمعونه وتشاهدونه من الآيات التنزيلية والتكوينية وترتقوا فى معارج الايمان والطاعة بل التقبلوا بها الواردات

القلبية والالهامات الغيبية قال فى القاموس التقؤد التحرق والتوقد ومنه الفؤاد للقلب مذكر والجمع افئد انتهى وخص هذه الثلاثة بالذكر لان العلوم والمعارف بها تحصل كما فى الاسرار ولان القلب كالحوض حيث ينصب اليه ما حصل من طريق السمع والبصر

{ قليلا ما تشكرون } اى باستعمال فيما خلت لاجله من الامور المذكورة وقليلا نعت لمحذوف وما مزيدة لتأكيد القلة اى شكرا قليلا او زمانا قليلا تشكرون

وقيل القلة عبارة عن العدم قال سعدى المفتى القلة بمعنى النفى ان كان الخطاب للكفرة او بمعناها المعروف ان كان للكل يقال قلما افعل كذا اى لا أفعله قال بعضى العارفين

لو عشت ألف عام ... فى سجدة لربى

شكر الفضل يوم ... لم اقض بالتمام

والعام ألف شهر ... والشهر ألف يوم

واليوم ألف حين ... والحين ألف عام

قال بعضهم من وظائف السمع فى الشكر العلم من العلماء والحكماء والاصغاء الى الموعظة ونصح العقلاء والتقليد لاهل الحق والصواب ورد اقوال اهل البدعة والهوى ومن وظائف الابصار فيه النظر الى المصاحف وكتب الدين ومعابد المؤمنين ومسالك المسلمين والى وجوه العلماء والصالحين والفقرآء والمساكين بعين الرحمة والتفات المحسنين الى المصنوعات ونظر اصحاب اليقين وارباب الشوق والذوق والحنين الى غير ذلك مما فيه خير

زبان آمد از بهر شكر وسباس ... بغيبت نكر داندش حق شناس

كذركاه قرآن وبندست كوش ... به بهتان وباطل شنيدن مكوش

دوجشم ازبى صنع بارى نكوست ... زعيب برادر فروكير ودوست

بهايم خموشنده وكويا بشر ... برا كنده كوى از بهايم بتر

بنطق است وعقل آدمى زاده فاش ... اكر راست كويى سخن هم بدى

ترا آنكه جشم ودهان دادو كوش ... اكر عاقلى در خلافش مكوش

مكن كردن از شكر منعم مبيج ... كه روزبسين سربر آرى بهيج

ومن وظائف الافئدة الفكر فى جلال الله وكماله وجماله ونواله والخوف والرجاء منه والمحبة به والاشتياق الى لقائه والمحبة لانبيائه واوليائه والبغض لاعدآئه والنظر فى المسائل والدلائل والاهتمام فى حوائج العيال ونحو ذلك مما فيه فائدة

صيقلى كن دلت بنور جمال ... تاكه حاصل شود جميع كمال

٢٤

{ قل } يا اكمل الخلق

{ هو الذى ذرأكم فى الارض } اى حلقكم وكثرتكم فيها لا غيره من الذرء وهو بالفارسية آفريدن قال فى القاموس ذرأ كجعل خلق والشئ كثره ومنه الذرية مثلثة لنسل الثقلين

{ واليه } تعالى لا الى غيره اشتراكا او استقلالا

{ تحشرون } حشر اجسمانيا اى تجمعون وتبعثون للحساب والجزآء شيأ فشيأ على البرزخ دفعة واحدة يوم البعث فابنوا اموركم على ذلك ختم الآية بقوله واليه تحشرون فبين ان جميع الدلائل المذكورة انما كان لاثبات هذا المطلوب.

٢٥

{ ويقولون } من فرط عنادهم واستكبارهم او بطري قالاستهزآء كما دل عليه هذا فى قوله

{ متى هذا الوعد } اى الحشر الموعود كامينبئ عنه قوله تعلاى واليه تحشرون فالوعد بمعنى الموعد والمشار اليه الحشر

وقيل ماحو فوابه من الخسف والحاصب واختيار لفظ المستقبل اما

لان المقصود بيان ما يوجد من الكفار من هذا القول فى المستقبل

واما لان المعنى وكانوا يقولون

{ ان كنتم صادقين } يخاطبون به النبى والمؤمنين حيث كانوا

مشاركين له عليه السلام فى الوعد وتلاوة الآيات المتضمنة له وجواب

الشرط محذوف اى ان كنتم صادقين فيما تخبرونه من مجيئ الساعة والحشر

فبينوا وقته.

٢٦

{ قل } يا اعلم الخلق

{ انما العلم } بوقته

{ عند الله } الذى قدر الاشياء ودبر الامور لا يطلع عليه غيره

{ وانما أنا نذير مبين } مخوف ظاهر بلغة تعرفونها ومظهر للحق

كاشف عن الواقع انذركم وقوع الموعود لا محالة

واما اعلم بوقت وقوعه فليس من وظائف الانذار قال يحيي بن معاذ رضى الله عنه اخفى الله علمه فى عباده وعن عباده وكل يتبع امره على جهة الاشتباه لا يعلم ما سبق له وبما ذا يختم له وذلك قوله تعالى قل انما الخ.

٢٧

{ فلما رأوه } الفاء فصيحة معربة عن تقدير جملتين وترييب الشرطية عليهما كأنه قيل وقد أتاهم الموعود فرأوه اى رؤية بصرية فلما رأوه نزل الامر الغير الواقع منزلة الواقع التحققه

{ زلفة } حال من مفعول رأو الان رأى من رؤية البصر كما اشير اليه آنفا اما بتقدير المضاف الى ذا زلفة وقرب او على انه مصدر بمعنى الفاعل اى مزدلفا وقرب الحشر هو قرب ما اعهد لم فيه

{ سيئت } بذكردد وزشت شود

{ وجوه الذين كفروا } بأنغشيتها لكآبة ورهقها القتر والذلة وخص الوجوه بالذكر لان الوجه الذى يظهر عليه اثر المسرة والمساءة ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بالكفر وتعليل المساءة به واصل الكلام ساءت رؤية الموعود وجوههم فكانت كوجه من يقاد الى القتل او يعرض على بعض العذاب والسياءة من ساءة الشيء يسوءه سوأ ومساءة نقيض سره كما فى تاج المصادر السوء غمكين كردن.

ثم بنى للمفعول وفى القاموس ساء فعل به ما يكره فيكون متعديا ويجوز ان يكون لازما بمعنى قبح ومنه ساء مثلا وسيئ اذا قبح قال بعض المفسرين واهل اللغة ومنه الآية فالفعل فى الحقيقة مسند الى صاحاب الوجوه بمعنى ساؤوا وقبحوا

قال بعضهم المحجوبين مع اعترافهم بالابدآء منكرون للاعادة فلا جرم يسوء وجوههم رؤية ما ينكرونه وتعلوها الكآبة و يأتيهم من العذاب الأليم مالا يدخل تحت الوصف

{ وقيل } توبيخا لهم وتشديدا لعذابهم بالنار الروحانية قبل الاحراق بالنار الجسمانية والقائلون الزبانية وايراد المجحول لكون المراد بيان القائل

{ هذا } مبتدأ اشير به الى ما رأوه زلفة وخبره قوله

{ الذى كنتم به تدعون } اى تطلبونه فى الدنيا وتستعجلونه انكارا واستهزآء على انه تفتعلون من الدعاء والباء على هذا صلة الفعل يقال دعا بكذا اذا استدعاه

وقيل هو من الدعوى اى كنتم بسبب ذكر النبى عليه السلام والمؤمنين العذاب لكم يوم القيامة تدعون ان لا بعث ولا حشر ولا عذاب فالباء للسببية ويجوز ان تكون للملابسة وعن بعض الزهاد انه تلاها فى اول الليلة فى صلاته فيقى يكررها وهو يبكلى أن نودى لصلاة الفجر هذه معاملة العارفين جلال الله مع الله عند ملاحظة جبروته وقهره.

٢٨

{ قل } يا خير الخلق

{ أرأيتم } اى اخبرونى خبرا انتم فى الوثوق به على ما هو كالرؤية

قال بعضهم لما كانت الرؤية سببا للاخبار عبر بها عنه وقال بعضهم لما كان الاخبار قويا بالرؤية شاع أرأيت فى معنى اخبر

{ ان اهلكنى الله } اى اماتنى والتعبير عنه بالاهلاك لما كانوا يدعون عليه صلّى الله عليه وسلّم وعلى المؤمنون بالهلاك ويتر بصون به ريب المنون ويقولون ان امر محمد لا يتم ولا يبقى بل يزول عن قريب

{ ومن معى } من المؤمنين وحصل مقصودكم

{ او رحمنا } بتأخير آجالنا وحصل مقصودنا فنحن فى جوار رحمته متربصون لاحد الحسنيين اما أن يهلك فننقلب الى الجنة او نرحم بالنصرة والادالة للسلام كما نرجو فانتم ما تصنعون واى راحة لكم فى موتنا واى منفعة وغايتكم الى العذاب كما قال تعالى

{ فمن } بس كيست آنكه او

{ يجير } يهجى ويخلص قال فى تهذيب المصادر الاجارة زينهار دادن . وفى القاموس اجاره انقذه وأعاذه

{ الكافرين من عذاب أليم } مؤلم شديد الا يلر لام اى لا ينجيكم منه احد اذا نزل بكم سوآء متنا او بقينا انما النجاة بالايمان والعمل الصالح ووضع الكافرين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالكفر وتعليل نفى الانجاء به وقال بعضهم كيف قال ان اهلكنى الله الخ بعد ان علم انه تعالى لا يهلك الانبياء والمؤمنين قلت فيه مبالغة فى التخويف كأنه قيل نحن معاشر الانبياء والمؤمنين نخاف الله أن يأخذنا بذنوبنا فمن يمنعكم من عذابه وانتم كافرون وكيف لا تخافون وانتم بهذه المثابة من الاجرام فيكون معنى اهلكنا عذبنا بعذاب ومعنى رحمنا غفر لنا كما فى الجلالين.

٢٩

{ قل } يا اشفق الخلق { هو الرحمن } اى الذى ادعوكم الى عبادته مولى النعم كلها وموصلحا

{ آمنا به } وحده لما علمنا ان كل ما سواه فاما نعمة او منعم عليه ولم نكفر به كما كفرتم على ان يكون وقوع آمنا مقدما على به تعريضا للكفار حيث ورد عقيب ذكرهم

{ وعليه توكلنا } فوضنا امولنا لا على غيره اصلا كما فعلتم انتم حيث توكلتم على رجالكم واموالكم لعلمنا بأن ما عداه كائنا ما كان بمعزل من النفع والضر فوقوع عليه مقدما يدل على الاختصاص

{ فستعلمون } يا كفار مكة عن قريب البتة عند معاينة العذاب

{ من } استفهامية او موصولة

{ هو فى ضلال مبين } منا ومنكم اى خطأ ظاهر وفى التأويلات النجمية وعلى فيضة الاتم ولطفه الاعم توكلنا بكليتنا لا على غيره

فستعلمون من هو فى ضلال مبين اى من توجه اليه بالاستفاضة منها او من اعرض عنه بالانكار له.

٣٠

{ قل } يا اكرم الخلق

{ أرأيتم } اى اخبرونى

{ ان اصبح } اكر كردد . فهو بمعنى صار

{ ماؤكم } وكان ماء اهل مكة من بئرين بئر زمزم وبئر ميمون الحضرمى

{ غورا } خبر اصبح وهو مصدر وصف به اى غائرا فى الارض بالكلية ذاهبا ونازلا فيه

وقيل بحيث لا تناله الدلاء ولا يمكن لكم نيله بنوع حيلة كما يدل عليه الوصف بالمصدر وبالفارسية فرورفته بزمين جنانكه دست ودلو بدان نرسد.

يقال غار الماء نضب والضوب فردشدن آب درزمين وفى المفردات الغور المهبط فى الارض

{ فمن يأتيكم } على ضعفكم حينئذ

{ ماء معين } جارو بالفارسية بس كيست آنكه بيارد براى شما آب جارى.

من عان الماء او معن كلاهما بمعنى جرى او ظاهر للعيون سهل المأخذ يعنى تناله الايدى فهو على هذا اسم مفعول من العين بمعنى الباصرة كمبيع من البيع لعل تكرير الامر بقل لتأكيد المقول وتنشيط المقول له فان قلت كيف خص ذكر النعمته بالماء من بين سائد نعمه قلت لان الماء اهون موجوه واعز مفقود كما فى الاسئلة المقحمة.

ودر آثار آمده كه بعد از تلاوت اين آيت بايد كفت كه الله رب العالمين در تفسر زاهدى رحمه الله مذكور است كه زنديقى شنيد كه معلمى شاكره خودرا تلقين مى كرد فمن يأتيكم بماء معين واو جواب

دادكه يأتى به المعول والمعين قال فى القاموس المعول كمنبر الحديدة تنقر بها الجبال انتهى شبانه نابينا شد هاتفى وهو من يسمع صوته ولا يرى شخصه آواز دادكه اينك كه آب جشمه جشم توغائر شد بكوتا بمعول ومعين باز آرند نعوذ بالله من الجرآءة على الله وبيناته وترك حرمة القرءآن وآياته وانما عوقب بذهاب ماء عينيه لان الجزآء من جنس العمل وفى المثنوى

فلسفئ منطقئ مستهان ... مى كذشت ازسوى مكتب آن زمان

جونكه بشنيد آيت اواز ن بسند ... كفت ما اريم آبى بر بلند

تا بزخم بيل وتزئ تبر ... آب را آريم ازبستى زبر

شب بخفت وديد او يك شير مرد ... زد طبانجه هردو جشمش كور كرد

كفت هان زين جشمه جشم اى شقى ... باتبر نورى برآر ار صادقى

روز برجست ودوجشمش كورديد ... نور فائض ازدو جشمش

نابديد

وفى الحديث سورة من كتاب الله ما هى الا لثلاثون ايت شفت

لرجل فأخرجته يوم القيامه من النار وادخلته الجنة وهى سورة تبارك قال

فى التيسير هى ثلاثون آية وثلاثمائ وثلاثون كلمةوالف وثلاثمائة واحد

وعشرون حرفا وفى حديث اخر وردت ان تبارك الذى بيده الملك فى قلب

كل مؤمن وكان عليه السلام لا ينام حتى يقرأ سورة الملك والم تنزيل

السجدة وقال على رضى الله عنه من قرآها يجيئ يوم القيامة على اجنحة

الملائكة وله وجد فى الحسن كوجه يوسف عليه السلام وعن ابن

عباس رضى الله عنهما ضرب بعض الصحابة خباءه على قبر وهو لا

يشعر أنه قبر فاذا فيه انسان يقرآ سورة الملك فأتى النبى عليه السلام فقال

يا رسول الله ضربت خبائى على قبر وأنا لا اعلم انه قبر فاذا انسان يقرأ

سورة الملك فقال عليه السلام فى المانعة اى من عذاب الله تعالى هى

(المنجية تنجيه من عذاب القبر) وكانو يسمونها على عهد رسول

الله عليه السلام المنجية وكانت تسمى فى التوراة المانعة وفى الانجيل الواقية

قال ابن مسعود رضى الله عنه يؤتى الرجل فى قبره من قبل رأسه فيقال

ليس لكم عليه سبيل انه كان يقرأ على رسأه سورة الملك فيؤتى من قبل

رجليه فيقال ليس لكم عليه سبيل انه كان يقوم فيقرأ سورة الملك فيؤتى

من قبل جوفه فيقال ليس لكم عليه سبيل انه وعلى سورة

الملك اى حفظها وأو دعها فى جوفه وبطنه من قرأها فى ليلة او يوم فقد

اكثر واطاب.

يقول الفقير سورة الملك عند اهل الحقائق هى سور المام الذى يلى

يسار القطب وينظر الى عالم الشهادة واليه الاشارت بقوله ملك الناس

فسر هذه السورة فى اولها كما ان سريس فى آخرها وهو قوله تعالى فسبحان

الذى الخ ولذا تقرأ عند المحتضر لان وقت الموت قبض الملكوت الذى هو

الروح وهو بيده تعالى بقى الكلام فى قرآء الموتى فى قبورهم وهل يصلون

وهل يتعلمون العلم بعد الموت فدل حديث ابن عباس رضى الله عنهما

على القرآءة وكذا ما اخرج السيوطى رحمه الله عن عكرمة رضى الله عنهانه
قال يعطى المؤمن مصحفا يقرأ فى القبر واخرج عن سعيد بن جبير رحمه
الله انه رأى بعينه ثابتا البنانى رحمه الله يصلى فى قبره حين سقطت لبنة من
قبره وكانوا ايستمعون القرءآن كثيرا من قبره واخرج عنه الحسن
البصرى قدس سره انه قال بلغنى ان المؤمن اذا مات ولم يحفظ القرءآن امر
حفظته ان يعلمون القرءآن فى قبره حتى يبعثه الله يوم القيامة مع اهله وذكر
اليافعى رحمه الله ان مالك بن دينار ماتت له قبل توبته بنت لها سنتان
فرآها فى المنام وهى تقول له يا أبت الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم
لذكر الله فبكى وقال يا بنية وانتم تعرفون القرءآن فقالت يا ابت نحن
اعرف به منكم فكان ذلك سبب توبته ونقل الامام الشعرانى فى كتاب
الجواهر له عن بعض اهل الله انه قال من اهل البرزخ من يخلق الله تعالى
من همتهم من يعمل فى قبورهم بغالب اعمالهم فى الدنيا ويكتب الله لعبده
ثواب ذلك العمل الى آخر البرزخ كما وقع لثابت البنانى رحمه الله فانهم
وجدوا فى قبره شخصا على صورته يصلى فظنوا انه هو وانما هو مخلوق من

همتهوكذلك المثالات المتخيلة فى صور اهل البرزخ لاهل الدنيا فى النوم واليقظة فاذا رؤى مثال احدهم فهو اما ملك خلقه الله تعالى من همة ذلك الولى

واما مثال اقامه الله تعالى على صورة لتنفيذ ما شاء الله تعالى من حوآئج الناس وغيرها فأرواح الاولياء فى البرزخ مالها خروج منه ابدا

واما ارواح الانبياء عليهم السلام فانها مشرفة على وجود الدنيا والآخرة انتهى.

وقال السيوطى رحمه الله نقلا عن بعض المحققين السادسة فالروح كانت هناك فى مثال البدن ولها اتصال بالبدن بحيث يصلى فى قبره ويرد على المسلم عليه وهو فلرفيق الأعلى ولا تنافى بين الامرين فان شأن الارواح غير شأن الابدان وقد مثل بعضهم بالشمس فى السماء وشعاعها فى الارض كالروح نالمحمدى يرد على من يصلى عليه عند قبره دآئما مع القطع بأن روحه فى أعلى عليين وهو لا ينفك عن قبره كما ورد عنه قال

الامام الغزالى رحمه الله تعالى والرسول عليه السلام له الخيار فى طواف العوالم مع ارواح الصحابة رضى الله عنهم لقدر به كثير من الاولياء وقال صدر الدين القنوى قدس سره فمن ثبتت المناسبة بينه وبين الاوواح الكمل من الانبياء والاولياء الماضين اجتمع بهم متى شاء وتوجه توجها وجدانيا يقظة ومناما انتهى.

سُورَةُ الْقَلَمِ مَكِّيَّةٌ

وَهِيَ اثْنَتَانِ وَخَمْسُونَ آيَةً

١

انظر تفسير الآية:٢

٢

{ ن } اى هذه سورة ن او بحق ن وهى هذه السورة اقسم الله بها على سبيل التأكيد فى اثبات الحكم على ما عليه عدة الخلق مع ما فيه

من بيان عظم شأن المقسم به والا فكما انه تعالى لا يليق القسم بشانه العالى فكذا لا يصح لغيره ان يكون مقسما به والنون حرف واحد فى الكتابة وثلاثة احرف فى التلفظ وقد قال عليه السلام (من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله به حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف) أراد عليه السلام بالحرف ما يتهجى به فيرجى أن يعطى الله بلفظ ن ثلاثين حسنة لانه مشتمل على التلفظ على نونين بينهما واو وقال بعضهم هو مفتاح اسم النور والناصرأ وقسم بنصرة الله المؤمنين اعتبارا بقوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين وقال سهل قدس سره النون اسم من اسماء الله تعالى وذلك انه اذا اجتمعت اوائل هذه السور الثلاث الر وحم ون يكون الرحمن

وقيل فيه انه اسم من اسماء النبى عليه السلام كما فى التكملة لعل هذه القائل أشار الى قوله عليه السلام (اول ما خلق الله نورى) فيكون النور اسمه عليه السلامفان قلت فيلزم التكرار لان القلم ايضا من اسمائه كما قال او لما خلق الله القلم قلت التغاير فى العنوان بمنزلة التغاير فى

الذات فسمى عليه السلام باعتبار نورانيته نورا وباعتبار انه صاحب القللم قلما كما سمى خالد بن وليد رضى الله عنه سيف الله المسلول لكونه صاحب سيف وقال بعضهم هو لوح من نور أو اسم نهر فى الجنة (وفى المفردات) النون الحوت العظيم ولذا قال عكرمة فى الآية اقسم الله بالحوت الذى لطخ سهم نمرود بدمه لان نمرود لما رمى السهم نحو السماء عاد السهم مختصبا بدم سمكة فى بحر معلق فى الهوآء فأكرم الله ذلك الحوت بأن اقسم به واحل جنسه من غير ذكاة فانه لا يحل الا ميتتان السك والجراد وفى معناهما ما يستحيل من الاطعمة كدود الفتاح والجبن فان الاحتراز عنهما غير ممكن فاما اذا افردت واكلت فحكمها حكم الذباب والخنفساء والعقرب وكل ما ليس له نفس سائلة ولا سبب فى تحريمه الاستقذار ولو لم يكن لكان لا يكره وان وجد شخص لا يستقذره لا يلتفت الى خصوص طبعه فانه التحق بالخبائث لعموم الاستقذار فبكره اكله كما لو جمع المخاط وشربه كره كما فى الاحياء يقال لو أريد به معنى

الحوت كانت المناسبة بين المتعاطفين كما فى ما بين كم الخليفة والف باذنجانه.

يقول الفقير المناسبة بينهما خفية لا يدركها الا اهل الحقائق وهى ان كبد الحوت غذآء اهل الجنة قبل كل شئ فيجدون بعد اكله حياة ابدية فى ابدانهم كما ان القلم يكتب به من العلوم ما فيه حساة باقية لارواحهم ولذا سمى جبريل روحا لانه كان يجيئ بالوحى لاذى هو سبب لحياة القلوب والارواح فيكون ن والقلم كالماء والعلم ولا شك فى ثبوت المناسبة التامة بينهما فالقياس الذى ذكره القائل باطل وقائل الباطل جاهل وقال بعضهم هو اسم الحوت الذى احتبس يونس عليه السلام فى بطنه ولذا اسماء الله تعالى ذا النون وقال بعضهم هو الحوت الذى على ظهره الارض وهو فى بحر تحت الارض السفلى اسمه ليوثا بالياء المثناة التحتانية وفى عين المعانى لوثيا او برهوت كما قال على رضى الله عنه

مالى اراكم كلكم سكوتا ... واله ربى خلق البرهوتا

(روى) ان الله تعالى لما خلق الارض كانت نتكفأ كما نتكفأ السفينة اى تضطرب وتميل فبعث الله ملكا فهبط حتى دخل تحت الارض فوضعها على كاهله وهو كصاحب ما بين الكتفين ثم اخرج يديه احداهما بالمشرق والاخرى بالمغرب ثم قبض على الالرضين السبع فضبطها فاستقرت فلم يكن لقدمى الملك قرار فأهبط الله نورا من الجنة له اربعون ألف قرن واربعون الف قائمة فجعل قرار قدمى الملك على سنامه فلم تستقر قدماه على سنامه فبعث الله ياقوتة خضرآء من الجنة غلظها مسيرة كذا الف عام فوضعها على سنام الثور فاستقرت عليها قدما الملك وقرون الثور خارجة من اقطار الارض مشبكة الى تحت العرش ومنخر الثور فى ثقبين من تلك الياقوته الخضرآء تحت البحر فهو يتنفس فى اليوم نفسين فاذا تنفس مد البحر واذا رد النفس جزر البحر وهو ضد مد ولم يكن لقوآئمه قرار فخلق الله كمكاما من الرمل كغلظ سبع سموات وسبع ارضين فاستقر عليه قوآئم الثور ثم لم يكن للمكمكام مستقر فخلق الله حوتا يقال له برهو فوضع الكمكام على وبر الحوت والوبر الجناح الذى يكون فى

وسط ظهره وذلك مزمزم بسلسلة من القدرة كغلظ السموات والارض مرار

وانتهى ابليس لعنه الله الى ذلك الحوت فقال له ما خلق اللخ خلقا اعظم

منك فلم لا تزيل الدنيا عن ظهرك فهم بشئ من ذلك فسلط الله عليه بقة

فى انفه فشغلته وفى رواية بعث الله دابة فدخلت منخره فوصلت الى دماغه

فعج الحوت الى الله تعالى منها فاذن لها فخرجت قال كعب فوالله الذى

نفسى بيده انه لينظر اليها وانها لتنظر اليه ان هم بشئ من ذلك عادت

كما كانت قبل وانبت الله من تلك الياقوته جبل قاف وهو من زمرده وله

رأس ووجه واسنام وانبت من جبل قاف الجبال الشواهق كما نبت الشجر

من عروق الشجر وزعم وهب ان الحوت والثور يبتلعان من مياه الارض

فى البحار فلذلك لا يؤثر فى البحار زيادة فاذا امتلأت اجوافهما من المياءه

قامت القيامة وزعم قوم ان الارض على الماء والماء على الصخرة على سنام

الثور والثور على كمكام من الرمل متلبدا والكمكام على ظهر الحوت

والحوت على الريح العقيم الريح على حجاب من ظلمة والظلمة على

لاثرى وقد انتهى علم الخلائق الى الثرى ولا يعلم ما ورآء ذلك احد الا

الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى وهذه الاخبار مما تزيد المرء بصيرة فى دينه وتعظيما لقدرة ربه وتحيرا فى عجائب خلقه فان صحت فما خلقها على الصانع القدير بعزيز وان تكن من اختراع اهل الكتاب وتنميق القصاص فكلها تمثيل وتشبيه ليس بمنكر كذا فى خريدة العجائب (وقال فى كشف الاسرار)بعض مفسران كفتند ما هيست برآب زير هفت طبقه زمين ما هى از كرانئ بار زمين خم درخم كرديد برمثل نون شدشكم بآب فروبرده وسارز مشرق برآورده وذنب از مغرب وخواست كه ازكران بارى بنالد جبريل بانك بروى زد جنان بترسيدكه كران بارئ زمين فراموش كرد وتا بقيامت نياردكه بجنبد ما هى جون بار برداشت ونناليد رب العالمين او را دو تشريف داديكى آنكه بد وقسم ياد كرد محل قسم خداوند جهان كشت ديكر تشريف آنست كه كارد ازحلق او برداشت همه جانور انرا بكارد ذبح كنند واورا نكنند تا عالميان بدانندكه هركه بار كشد رنج او ضايع نكنند اى جوانمرد اكرماهى بار زمين كشيد بنده مؤمن بار امانت مولى كشيدكه وحملها الانسان ما

هى كه بار زمين برداشت از كار درعقوبت ايمن كشت جه عجب كه اكر مؤمن بار امانت برداشت از كارد قطيعت ايمن كردد

{ والقلم } هو ما يكتب به والواو للقسم على لاتقدير الاول وللعطف على الثانى والمراد قلم اللوح كمام جاء فى الخبران اول ما خلق الله القلم ونظر اليه فانشق بنصفين ثم قال له اجر بما هو كائن الى يوم القيامة فجرى على اللوح المحفوظ بذلك من الآجال والاعمال والارزاق وهو القدر الذى يجب ان يؤمن بخيره وشره ثم ختم على القلم فلم ينطق ولا ينطق الى يوم القيامة وهو قلم من نور طوله كما بين السماء والارض وبعدما خلق القلم خلق النون اى السمكة فدحا الارض عليها فارتفع بخار الماء ففتق منه السموات واضطرب النون فمادت الارض فأثبتت بالجبال وان الجبال لتفخر على الارض الى يوم القيامة وقد عرفت المناسبة بين القلم وبين النون بمعنى السمكة وفى رواية الواحدى فى الوسيط اول جيزى كه خداى تعالى بيا فريد قلم بود بس نون را بيا فريدو آن دو اتست وقلم ازان دوات نوشت آنجه بود وهست وباشدوبرين تقدير

خداى تعالى قسم فرمود بدوات بقلم اعلى كه از نورست كما فى تفسير الكاشفى.

٣

{ وان لك } بمقابلة مقاساتك ألوان الشدآئد من جهتهم وتحملك لاعباء الرسالة

{ لأجرا } لثوابا عظيما

{ غير ممنون } مع عظمه كقوله تعالى عطاء غير مجذوذ اى غير منقوص ولا مقطوع ومنه قيل المنون للمنية لانها تنقص العدد وتقطع المدد وبالفارسية مزدى بردوا مكه هركز انقطاع بدان راه نيابد.

ويقال اجر النبى مثل اجر الامة قاطبة غير منقوص ويجو ان يكون معناه غير مكدر عليه بسبب المنة لانه ثواب تستوجبه على عملك وليس بتفضل ابتدآء وانما تمت الفواضل لا الاجور على الاعمال كما فى

الكشاف (وقال الكاشفى) غير ممنون منب بانهاده يعنى حق تعالى بى واسطه كسى كه ازو منت بايد داشد بتو عطا كرد.

وفى اشارة الى ان انوار المكاشفات والمشاهدات غير مقطوعة لكونها سرمدية فلا يزال العارف يترقى فى الشهود فى جميع المواطن لولا ممنونة لان الفتح والفيض انما يجيئ من عند الله لا من عند غيره فالله يمن على عباده لا العباد بعضهم على بعض وقال بعضهم اجره قبول شفاعته وهى غير منقطعة عن اهل الكبائر من امته لا يخيب الله رجاءه عليه السلام فى غفرانهم جميعا بلا عتاب ولا عذاب.

يقول الفير الظاهر أن اجره عليه السلام هو الله تعالى لانه عوض له عما سواه ولذا جاء اللهم انت الصاحب فى السفر والخليفة فى الاهل والله تعالى مان لا ممنون والى هذا المقام يشير قول الصديق رضى الله عنه الله ورسوله اى ابقيت الله ورسوله حين ما قال له عليه السلام (ما أبقيت لاهلك يا أبا بكر فالله تعالى عوض عن نفس الفانى عن نفسه وعن ولده وماله هو الأجر العظيم لانه العظيم)

٤

{ وانك لعلى خلق عظيم } لا يدرك شاوه احد من الخلق ولذلك تحتمل من جهتهم ما لا يكاد يحتمله البشر

قال بعضهم لكونك متخلقا باخلاق الله واخلاق كلامه القديم ومتأيد بالتأييد القدسى فلا تتأثر بافترآئهم ولا تتأذ بأذاهم اذ بالله تصبر لا بنفسك كما قال واصبر وما صبرك الا بالله والاحد أصبر من الله وكلمة على للاستعلاء فدلت على انه عليه السلام مشتمل على الاخلاق الحميدة ومستولٍ على الافعال المرضية حتى صارت بمنزلة الامور الطبيعية له ولهذا قال تعالى قل لا أسالكم عليه اجرا وما انا من التكلفين اى لست تكلفا فيما يظهر لكم من اخلاقى لان المتكلف لا يدوم امره طويلا بل يرجع اليه الطبع وللانسان صورة ظاهرة لها هيئة يشاهدها البصر الذى هو فى الرأس وهى عالم الملك وهى لاشكل وصورة باطنة لها سيرة يشاهدها البصيرة التى هى فى القلب وهى من عالم الملكوت وهى الخلق فكما ان لهيئته الظاهرة حسنا او قبحا صوريا باعتبار اشكالها واوضاعها وألوانها

فكذلك لسيرته الباطنة حسن او قبح معنوى باعتبار شمائلها وطبائعها ومن ذلك قسموا الخلق الى المحمود والمذموم تارة والى الحسن والقبيح اخرى وكثيرا ما يطلق ويراد به المحمود فقط لانه اللائق بأن يسمى خلقا ومن هذا قوله تعالىخلق عظيم وعليه قول الامام الرازى الخلق ملكة نفسانية يسهل على المتصف بها الاتيان بالافعال الجميلة ونفس الاتيان بالافعال الجميلة شئ وسهلة الاتيان بها شئ آخر فالحالة التى باعتبارها تحصل تلك السهولة الخلق وسمى خلقا لانه لرسوخه وثباته صار بمنزلة الخلقة التى جبل عليها الانسان وان احتاج فى كونه ملكة راسخة الى اعتمال وطول رياضة ومجاهدة ولذا قالوا الخلق يتبدل بالمصاحبة والمعاملة فيكون الحسن قبيحا والقبيح حسنا على حال المصاحبين والمعاملين كما فى الحديث (المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل) وفى حديث آخر (لا تجالسوا اهل الاهوآء والبدع فان لهم عرة كعرة الجرب) ومن ذلك كانت مصاحبة الاخيار مستحسنة مرغبا فيها ومصاحبة الاشرار مستقبحة مرهبا عنها وكذلك يتبدل بالسعى فى اسبابه ولذلك صنف اطباء الارواح ابوابا فى

علم الاخلاق لبيان ما هو صحة روحانية وما هو مرض روحانى كما ألف اطباء الاشباح فصولا فى علم الأبدان لبيان سبب كل مرض وعلاجه وانما أفرد الخلق ووصفه بالعظمة كما وصف القرءآن بالعظيم لينبه على ان ذلك الحلق الذى هوعليه السلام جامع المكارم الاخلاق أجتمع فيه شكر نوح وخلة ابراهيم واخلاص موسى وصدق وعد اسمعيل وصبر يعقوب وايوب واعتذار داود وتواضع سليمان وعيسى وغيرهما من اخلاق سائر الانبياء عليهم السلام كما قال تعالى فبهداهم اقتده اذ ليس هذا الهدى معرفة الله تعالى لان ذلك تقليد وهو غير لائق بالرسول عليه السلام ولا الشرآئع لان شريعته ناسحة لشرآئعهم ومخالفة لها فى الفروع والمراد منه الاقتدآء بكل منهم فيما اختص به من الخلق الكريم لو كان كل منهم مختصا بخلق حسن غالب على سائر اخلاقه فلمامر بذلك فكأنه امر بجمع جميع ما كان متفرقا فيهم فهذه درجة عالية لم تتيسر لاحد من الانبياء عليهم السلام فلا جرم وصفا الله بكونه على خلق عظيم كما قال بعض العارفين.

لكل فى الانام فضيلة ... وجملتها مجموعة لمحمد

ولم يتصف عليه السلام بمقضى قوته النظرية الا بالعلم والعرفان والايقان والاحسان ولم يفعل بمقتضى قوته العملية الا ما فيه رضى الله من فرض او واجب اومستحب ولم يصدر منه حرام او مفسد او مكروه فكان هو الملك بل اعلى منه ويجمع هذا كله قول عائشة رضى الله عنها لما سئلت عن خلقه عليه السلام فقالت كان خلقه القرءآن ارادت به انه عليه السلام كان متحليا بما فى القرءآن من مكارم الاخلاق ومحاسن الاوصاف ومتخليا عما يزجر عنه من السيئات وسفساف الخصال وفى رواية قالت للسائل ألست تقرأ اقرءآن قد افلح المؤمنون يعنى اقرأ الآى العشر فى سورة المؤمنين فذلك خلقه وفيه تنبيه للسامعين على عظام اخلاقه من الايمان الذى هو اصل الاخلاق القلبية والصلاة الى هى عماد الاخلاق البدنية والزكاة التى هى رأس الاخلاق المالية الى آخر ما فى الآيات وفى سلسلة الذهب للمولى الجامى رحمه الله

بود هم بحر مكرمت هم كان ... كوهرش كان خلقه القرءآن

وصف خلق كسى كه قرآنست ... خلق را نعت اوجه امكانست

وفى التأويلات النجمية كان حلقه القرءآن بل كان هو القرءآن كما قال العارف بالحقائق

انا القرءآن والسبع المثانى ... وروح الروح لا روح الأوانى

محمد بن حكيم الترمذى قدس سره فرموده كه هيج خلقى بزر كتراز خلق حضرت محمد عليه السلام نبوده جه زميشت خوددست باز داشت وخودرا كلى باحق كذاشت وامام قشيريي قدس سره كفته كه ازبلا منحرف شد ونه ازعطا منصرف كشت وكفته كه آن حضرت راهيج مقصد ومقصودى جز خدى تعالى نبوده كما قال الجنيد قدس سره كان على خلق عظيم لجوده بالكونين

له هممهم لا منتهى لكبارها ... وهمته الصغر اجلى من الدهر

وقال الحسين النورى قدس سره كيف لا يكون خلقه عظيما وقد تجلى الله لسره بانوار خلاقه.

يقول الفقير كان خلقه عظيما لانه مظهر العظيم فكان خلق

العظيم عظيما فافهم جدا وفى تلقيح الاذهان لحضرة الشيخ الاكبر قدس

سره الاطهر اوتى عليه السلامجوامع الكلم لانه مبعوث لتتميم مكارم

الاخلاق كما قال عليه السلام ولذلك قال الله تعالى وانك لعلى خلق

عظيم وهو عين كونه صراط المستقيم قال صلى الله عليه وسلم

(ان لله ثلاثمائة وستين خلقه من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل

الجنة) قال ابو بكر رضى الله عنه هل فى منها يا رسول الله قال (كلها

فيك يا ابا بكر وأحبها الى الله السخاء) انتهى ولذلك كان احسن اخلاق

المرء فى معاملته مع الحق التسليم والرضى واحسن اخلاقه فى معاملته مع

الخلق العفو والسخاء وانما قال مع التوحيد لانه قد توجد مكارم الاخلاق

والايمان كما انه قد يوجد الايمان ولا اخلاق اذ لو كان الايمان يعطى بذاته

مكارم الاخلاق لم يقل للمؤمن افعل كذا واترك كذا وللمكارم آثار ترجع

على صاحبها فى اى دار كان كما ورد فى حق ابى طالب قال بعض الكبار

من اراده ان يرى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ممن لم يدركه من امته

فلينظر الى القرءآن فانه لا فرق بين النظر فيه وبين النظر الى رسول الله فكأن القرءآن انتشاء صورة جسديه يقال لها محمد بن عبد الله بن عبد المطلب والقرءآن كلام الله وهو صفته فكأن محمدا عليه السلام خلعت عليه صفه الحق من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال بعضهم من أراده ان يرى رسول الله فليعمل بسنته لا سيما فى مكان اميتت السنه فيه فان حياة رسول الله بعد موته هى حساة سنته ومن احياها فكأنما احيي الناس جميعا لانه المجموع الاتم الاكمل صلّى الله عليه وسلّم وقال بعضهم لم يبق بعد بعثة رسول الله سفساف اخلاق ابدا لانه صلّى الله عليه وسلّم أبان لنا عن مصارفها كلها من حرص وحسد وشره وبخل وخوف وكل صفة مذمومة فمن اجراها على تلك المصارف عادت كلها مكارم اخلاق وزال عنها اسم الذم قال صلّى الله عليه وسلّم لمن ركع دون الصف (زادك الله حرصا ولا تعد) وقال (الحسد فى اثنتين) وقال (اكثروا من ذكر الله)وقال تعالى فلا تخافوهم وخافون وقال تعا فلا تقل لهما اف وقال اف لكم وغير ذلك من الآيات ولاخبار فما امر الله باجتناب بعض الاخلاق

الا لمن يعتقد انها سفساف اخلاق وجهل معنى قوله عليه السلام بعثت لاتمم مكارمالاخلاق فمن الناس من علم ومنهم من جهل فالكامل لا يرى فى العالم الا اخلاق الله تعالى التى به وجدت وفى كشف الاسرار فى تفسير الآيه عرض عليه مفاتيح العرض فلم يقبلاه ورقاه ليلة المعراج وأراه جميع الملائكة والجنة فلم يلتفت اليها قال الله تعالى ما زاغ البصر وما طغى ما التفت يمينا وشمالا فقال تعالى انك لعلى خلق عظيم.

اى جوانمرد قدر آن مهتركه داند وكدام خاطر ببدايت عزو رسد صد هذار وبيست وجهار هزار نقطه نبوت كه رفتند دبر برابر درجات او كواكب بودند وبا آنكهاو غائب بودهمه نور نبوت ازو كفرتند جنانكه آفتاب اكرجه غائب باشد كواكب نور ازوى كيرند ليكن جون آفتاب بيدا شود كواكب درنور او بيدا شوند همجنين همه انبيا نور ازو كرفتند ليكن جون محمد عليه السلام بعالم صورت درآمد ايشان هم كم شدند

كأنك شمس والملوك كواكب ... اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وفى القصيدة البردية

فاق النبيين فى خلق وفى خلق ... ولم يدانوه فى علم ولا كرم

فانه شمس فضل هم كواكبها ... يظهر انوارها للناس فى الظلم

ومن اخلاقه عليه السلام ما أشار اليه قوله (صل من قطعك واعف عمن ظلمك واحسن الى من اساء اليك) فانه عليه السلام ما امر امته بشئ قبل الائتمار به وفى الحديث (ان المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل صائم النهار) وروى عن على بن موسى الرضى عن ابيه موسى بن جعفر عن بيه جعفر بن محمد عن ابيه محمد ابن عرى عن ابيه على بن الحسين عن ابيه الحسين عليكم بحسن اخلق فان حسن الخلق فى الجنة لا محالة واياكم وسوء الخلق فان سوء الخلق فى النار لا محالة.

ه

{ فستبصر ويبصرون } يقال ابصرته وبصرت به علمة وادركته فان البصر يقال للجارحة الناظرة ولقوة القلب المدركة ولا يكاد يقال للجارحة بصيرة وفى تاج المصادر الابصار ديدن بجشم وبدل.

فالمعنى فستعلم ويعلمون يوم القيامة حين يتبين الحق من الباطل وقلل القاشانى فستبر ويبصرون عند كشف الغطاء بالموت وقال مقاتل هذا وعيد بعذاب بدر (ولذا قال الكاشفى) بدان وقتكه عذاب نازل شود بر ايشان معلوم كرددكه ديوانه نومى يا ايشان.

وهو الاوضح ففيه وعد لرسول الله عليه السلام بغلبه الاسلام واهله وبالانتقام من الاعداء.

٦

{ بأيكم المفتون } اى ايكم الذى ابتلى بفتنة الجنون فأيكم مبدأ والمفتون بمعنى المجنون خبره والباء مزيدة فى المبتدأ كما فى بحسبك زيد او بأيكم الجنون على ان المفتوى مصدر بمعنى الفتون وهو الجنون

كالمجلود بمعنى الجلادة والمعقول بمعنى العقل كما فى قوله (حتى اذا لم يتركوا العظام لحما ولا لفؤاده معقولا) والباء للالصاق نحو به دآء او بأى الفريقين منكم المجنون ابفريق المؤمنين ام بفريق الكافرين اى فى ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم فالباء بمعنى فى والمفتون مبتدأ مؤخر والامة داخلة فى خطاب فستبصر بالتبعية لا يختص به عليه السلام كالسوابق وهو تعريض بأبى جهل من هشام الوليد ابن المغيرة واضراهما كقوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الأشر اى أصالحعليه السلام ام قومه.

٧

{ ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله } تعالى المؤدى الى سعادة الدارين وهام فى تيه الضلال متوجها الى ما يفضيه الى الشقاوة الأبدية وهذ هو المجنون الذى لا يفرق بين النفع والضر بل يحبس الضر نفعا فيؤثره والنفع ضرا فيهجره

{ وهو اعلم بالمهتدين } الى سبيله الفائزين بكل مطلوب ناحين من كل محذور وهم العقلاء المراجيح فيجزى كلا من الفريقين حسبما يستحقه من العقاب والثواب واعادة هو اعلم لزيادة التقرير وفى الآية اشعار بأن المجنون فى الحقيقة هو العاصى لا المطيع واشارة الى الضال عن سبيل الوصول الى حضرة المولى بسبب محبة الدنيا والميل الى شهواتها والمهتدى الى طريق التوحيد والوحدة بنور العناية الازلية والهداية الأبدية قال بعض الكبار وهو اعلم بالمهتدين اى القابلين للتوفيق فهذه البيان هم الرسل وهادى التوفيق هو الحق تعالى فاللهادى الذى هو الله الابانة والتوفيف وليس للهادى الذى هو المخلوق الا الابانة خاصة ومن لا علم له بالحقائق بظن ان العبد اذا صدق فى الارشاد والوعظ اثر ذلك القبول فى نفوس السامعين واذا لم يصدق فى ذلك لم يؤثر وهذا من الوهم الفاسد فانه لا اقرب الى الله ولا اصدق فى التبليغ عنه ولا احب للقبول لما جاء من عند الله تعالى من الرسل لغلبة لرحمة على قلوبهم ومع ذلك فاعم القبول فيمن سمعهم بل قال الرسول الصادق فى التبليغ انى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم

يزدهم دعائى الا فرارا فلما لم يعم القبول مع تحققنا هذه المهمة العظيمة من اكابر اولى العزم من الرسل علمنا ان الهمة مالها اثر جملة واحدة فى المدعو وان الذى قبل من السامعين ليس هو من اثر همه الداعى الهادى الذى هو المبلغ وانما هو قوة الاستعداد فى محل القبول من حيث ما وهبه الله تعالى فى خلقه من مزاج يقتضى له قبولا مثل هذا وامثاله وهو المزاج الخاص الذى لا يعمله الا الله الذى خلقهم عليه وهو قوله تعالى وهو اعلم بالمهتدين قال الشيخ سعدى قدس سره

كفت عالم بكوش جان بشنو ... ور نماند بكفتنش كردار

باطلست آنكه مدعى كويد ... خفته را خفته كى كند بيدار

مرد بايدكه كيرد اندر كوش ... ورنوشته است بند برديوار

٨

{ فلا تطع المكذبين } اى اذا تبين عندك ما تقدم فدم على ما انت عليه من عدم طاعتهم فيما يدعونك اليه من الكف عنهم ليكفو

عنك وتصلب فى ذلك امرهعليه السلام بالتشدد مع قومه وقوى قلبه بذلك مع قلة العدد وكثرة الكفار فان هذه السورة من اوآئل ما نزل دلت الآية على ان الاطاعة للعاصى عصيان والاقتدآء بالطاغى طغيان.

٩

{ ودوا لو تدهن } لو للتمنى والادهان فى الاصل مثل التدهين واشتقاقهما من الدهن لكن جعل عبارة عن الملاينة وترك الجد قال فى تاج المصادر الادهان مداهنت كردن.

والتركيب يدل على لين وسهولة وقلة والمعنى أحبوا لو تلاينهم وتسامحهم فى بعض الامور وترك الدعوة

{ فيدهنون } اى فهم يداهنونك حينئذ بترك الطعن (كما قال الكاشفى) فرمان مبر مشركان مكه راكه ترا بدين آباء دعوت مى نمايند ودوست مى دارندكه تونرمى كنى بايشان وسرزنشى نكنى برشرك نايشان نيرجرب ونرمى كنند وبردين توطعنه نزنند.

فالفاء للعطف على تدهن فيكون يدهنون داخلا فى حيز لو ولذا لا ينصب يدهنون بسقوط النون جوابا للتمنى والفعل للاستقبال او الفاء للسببية فهو مسبب عن تدهن ويجوز أن يكون الفعل للحال على معنى ودوا ادهانك فهم الان يدهنون طمعا فى ادهانك فالتسبب عن التمنى وتقدير المبتدأ لانه لولاه لكان الفعل منصوبا لاقتضاء التسبب عما فى حيز التمنذلك

قال بعضهم لا توافقهم فى الظاهر كما لا توافقهم فى الباطن فان موافقة الظاهر اثر وافقة الباطن وكذا المخالفة والا كان نفاقا سريع الزوال ومصانعة وشيكة الانقصاء

واما هم فلانهماكهم فى الرذآئل وتعمقهم فى التلون والاختلاف لتشعب اهوآئهم وتفرق امانيهم يصانعون ويضمون تلك الرذيلة الى رذيلتهم طمعا فى مداهنتك معهم ومصانعتك اياهم

قال بعضهم المداهنة بيع الدين بالدنيا فهى من السيئات والمداراة بيع الدنيا بالدين فهى من الحسنات ويقال الادهان الملاينة لمن لا ينبغى له ذلك وهو لا ينافى الامر بالمداراة كما قال عليه السلام (امرت بمداراة الناس كما أمرت بالتبليغ) قال الامام الغزالى رحمه الله فى احياء الرق بين المداراة والمداهنة بالغرض الباعث على الاغضاء فان اغضيت لسلامة دينك ولما ترى فيك من اصلاح اخيم بالاغضاء فأنت مدار وان اغضيت لحظ نفشك واجتلاب شهواتك وسلامة جاهك فأنت مداهن قال ابو الدردآءرضى الله عنه اتالنبش فى وجوه اقوام وانا قلوبنا لتلعنهم وهذا معنى المداراة وهو مع من يخاف شره.

١٠

{ ولا تطع كل حلاف } كثير الحلف فى الحق والباطل لجهله حرمة اليمين وعدم مبالاته من الحنث لسوء عقيدته وتقديم هذا الوصف على سائر الاوصاف الزاجرة عن الطاعة لكونه أدخل فى الزجر قال فى الكشاف وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف ومثله قوله تعالى ولا تجعلوا الله

عرضة لأيمانكم انتهى ودخل فيه الحلف بغير الله تعالى فانه من الكبائر واصل الحلف اليمين الذى يأخذ بعضهم من بعض بها الحلف اى العهد ثم عبر به عن كل يمين

{ مهين } حقير الرأى والتدبير لانه لم يعرف عظمة الله ولذا اقدم على كثرته الحلف من المهانة وهى القلة والحقارة ويجوز أن يراد به الكذاب لانه حقير عند الناس.

١١

{ هماز } عياب طعان يعنى عيب كننده درعقب مردم ياطعنه زننده در روى بايشان.

قال الحسن رحمه الله يلوى شدقيه فى اقفيه الناس وفيه اشارة الى من يعيب ويطعن فى اهل الحق فى رياضاتهم ومجاهداتهم وانزوآئهم وعزلهم عن الناس وفى الحديث (لا يكون المؤمن طعاما ولا لعانا) وفى حديث آخر (طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس) يعنى من ينظر الى عيب

نفسه يكون ذلك ما لعاله عن النظر الى عيب غيره وتعيبه به وذلك لا يقتضى أن لا ينهى العاصى عن معصيته اقدآء بأمر الله تعالى بالنهى عن المنكر لا اعجابا بنفسه وازدرآه لقدر غيره عند الله فاقامه العالم ببواطن الامور والهماز مبالغة هامز والهمز الطعن والضرب والكسر والعيب ومنه المهمز والمهماز بكسر الميم حديده تطعن بها الدابة قيل لاعرابى أتهمز الفارة قال السنور يهمزها واستعير للمغتاب الذى يذكر الناس بالمكروه ويظهر عيوبهم ويكسر اعراضهم كأنه يضربهم بأذاه اياهم

{ مشأ بنميم } مضربه نقال للحديث من قول الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم فان النميم والنميمة السعاة واظهار الحديث بالوشاية وهو من الكبائر اما نقل الكلام بقصد النصحية فواجب كما قال من قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين وفى التعريفات النمام هو الذى يتحدث مع القوم فينم عليهم فيكثف ما يكره كشفه سوآء كرهه المنقول عنه او المنقول اليه او الثالث وسآء كان

الكشف بالعبارة او بالاشارة او بغيرهما وفى الحديث (لا يدخل الجنة نمام)اى ماش بالسعاية وهى بالفراسية غمز كردن.

وفى التأويلات النجمية مشاء بنميم يحفظون كلام اهل الحق من هذه الطائفة الكريمة ثم يحكونه عند الجحال من اصحاب الحجب فيضحكون عليهم وينسبون ذلك الكلام الى السفسفه والسفه.

١٢

{ مناع } مبالغة مانع

{ للخير } اى بخيل والخير المال او مناع الناس من الخير الذى هو الايمان والمطاعة والاتقان ولارباب السلوك من ارشاد الطالبين المسترشدين فذكر الممنوع منه دون الممنوع وكان للوليد بن المغيرة عشرة من البنين وكان يقول لهم ولاقاربه من تبع منكم دين محمد لا انفعه شئ ابداء وكان الولد موسرا له تسعة آلاف مثقال فضة وكانت له حديقة فى الطائف

{ معتد } متجاوز فى الظلم اى يتجاوز الحق والحد بأن يظلم على الناس ويمكن حمله على جميع الاخلاق الذميمة فان جميعها تجاوز عن حد الاعتدار وفى التأويلات النجمية متجاوز فى الظلم على نفسه بانغماسه فى بحر الشهوات وانماكه فى ظلمة المنهيات

{ اثيم } كثير الاثم وهو اسم للفاعال المبطعة عن الثواب (وقال الكاشفى) بسيار كناهكار زيانكار.

وفى التأويلات النجمية كثير الآثام بالركون الى الاخلاق الرديئة والرغبة فى الصفات المردودة.

١٣

{ عتل } جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف وغلظة قال الراغب العتل الاخذ بمجامع الشئ وجره بقهر كعتل البعير وبالفارسية كشدن بعنف (وقال الكاشفى)عتل يعنى سخت روى وزشت خوى انتهى.

ومن كان جافيا فى المعاملة غليظ القلب والطبع بحيث لا يقبل الصفات الروحانية ولا يلين للحق اجترأ على كل معصة قال فى القاموس العتل بضمتين مشددة اللام الا كون المنبع الجافى الغليظ

{ بعد ذلك } اى بعدما عد من مقابحه

{ زنيم } دعى ملصق بالقوم وملحق بهم فى النسب وليس منهم فالزنيم هو الذى تبناه احد اى اتخذه ابنا وليس بابن له من نسبه فى الحقيقة قال تعالى وما جعل ادعياءكم ابناء ذلكم قولكم بأفواههم قال الراغب الزنيم والمزنم الزآئد فى القوم وليس منهم اى المنتسب الى قوم وهو معلق بهم لا منهم تشبيها بالزنمتين من الشاة وهما المتدليتان من اذنها ومن الحلق وفى الكشاف الزنيم من الزنمة وهى الهنة من جلد الماعز تقطع فتخلى معلقة فى حلقها لانه زيادة معلقة بغير أهله وفى القاموس الزنمة محركة شئ يقطع من اذن البعير فيترك معلقا يعفل بكرامها والظاهر من قول ابن عباس رضى الله عنهما الحقيقة حيث قال انه لم يعرف حتى قيل زنيم فعرف انه كان له زنمة اى فى حلقه ويقال كان يعرف بالشر كما تعرف الشاة

نزنمتها قال العتبي لا نعلم ان الله وصف أحدا ولا ذكر من عيوبه ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة فألحق به عار الا يفارقه ابدا وفى قوله بعد ذلك دلالة على ان دعوته اشد معايبه واقبح قبائحه وكان الوليد دعيا فى قريش وليس من نسبهم ونسخهم اى اصلهم ادعاء ابوه المغيرة بعد ثمان عشرة سنة من مولده يعنى وليد هزده ساله بودكه مغيره دعوى كرد كه من بدر اويم واورا بخود كرفت.

فقوله بعد ذلك ههنا نظير ثم فى قوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا من حيث انها للتراخى رتبة وفى الحديث (لا يدخل الجنة جواظ ولا جعظرى ولا العتل الزنيم)فالجوظ الجموع المنوع والجعظ رى الفظ الغليظ والعتل كل رحيب الجوف اكلو وشروب غشوم ظلم وفى الحديث (ألا اخبركم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف لو اقسم على الله لأبره الى اخبركم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر)

وقيل بغت ام الوليد ولم يعرف حتى نزلت هذه الآية فمعنى زنيم حينئذ ولدالزنى وبالفارسية حرام زاده كه بدر او معلوم نباشد قال الشاعر

زنيم ليس يعرف من ابوه ... بغى الام ذو حسب لئيم

در تفسير امام زاهد مذكور است كه جون حضرت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم آيت درانجمين قريش بر وليد خواند بهر عيسى كه رسيد درخود بازيافت مكر حرام زادكى باخود كفت من سيد قريش وبدر من مردى معروفست وميدانم كه محمد دروغ نكويد جكونه اين مهم را بر سر آرم شمشير كشيده نزدما درآمد القصه بعد از تهديد بسياز ازو اقرار كشيدكه بدر تو در قصه زنان جرأتى نداشت واورا برادر زاد كان بودند جشم برميراث وى نهاده مرارشك آمد غلام فلا نرا بمزد كرفتم وتوفر زندا وبي ودليل روشن برصدق قول زن شدت خصومت وليدست وستيزه اوبآن حضرت صلّى الله عليه وسلّم ودرين باب كفته اند

جرم وكناه مدعى از فعل مادرست ... كور اخطاى مادر اوخاكسار كرد

والغالب ان النطفة اذا خبثت خبثت الولد الناشئ منها ومن ثمة قال رسول الله عليه السلام (لا يدخل الجنة ولد الزنى ولا ولده ولا ولد ولده) كما فى الكشاف وفى الحديث (لا تزال امتى بخير ما لم يفش فيهم ولد الزنى فاذا فشا فيهم ولد الزنى او السكران يعمهم الله بعذابه) وفى حديث آخر (ولد الزنى شر الثلاثة) قال الرهاوى فى شرح المنار هذا فى مولود خاص لأنا قد نشاهد ولد الزنى اصلح من ولد الرشدة فى امرين الدين والدنيا ويستحق جميع الكرامات من قبول شهادته وعبادته وصحة قضائه وامامته وغير ذلك فالحديث ليس على عمومه انتهى.

يقول الفقير اذا كان الرضاع بغير الطباع فان من ارتضع امرأة فالغالب عليه اخلاقها من خير وشر فما ظنك بالزنى ولا عبرة بالصلاح الظاهر الكرامات الصورية وفى الحديث (ولدت من نكاح لا من سفاح) وكذا سائر الانبياء عليهم السلام وجميع الاولياء الكرام قدس الله اسرارهم فالزنى اقبح من الكفر من وجه فان الله يخرج الحى من الميت اى المؤمن من الكافر بخلاف الرشيد من الزانى فولد الزنى لا يصلح للولاية الحقيقية

وان كان صالح للولاية الصورة يوقيل نزلت الآية فى الأخنس ابن شريف واسمه ابى وكان ثقفيا مصطلقيا فى قريش فلذلك قال زنيم لا على جهة الذم لنسبه ولكن على جهة التعريف به ذكره السهيلى قال ابن عطية وظاهر اللفظ عموم من بهذه الصفة والمخاطبة بهذا المعنى مستمرة باقى الزمن لا سيما لولاة الامور قال فى فتح الرحمن ثم هذا الترتيب انما هو فى قول الواصف لا فى حصول تلك الصفات فى الموصوف والافكونة عتلا هو قبل كونه صاحب خير يمنعه وفى برهان القرءآن قوله حلاف الى قوله زنيم اوصاف تسعة ولم يدخل بينها واو العطف ولا بعد السابع فدل على ان ضعف القول بواو الثمانية صحيح.

١٤

{ أن كان ذا مال وبنين } متعلق بقوله تعالى لا تطع على حذف الجار اى لا تطع من هذه مثالبه لان كان مثولا ذا مال كثير مستظهرا بالنين.

١٥

{ اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين } استئناف جار مجرى التعليل المنهى اى اذا تقرأ عليه آيات كلامنا القديم قال هى احاديث لانظام لها اكتتبوها كذبا فيما زعموه لقوله اكتتباه فهى تملى عليه وبالفارسية افسا نهاى بيشينيا نست.

وقال السدى اساجيع الاولين اى جعل مجازاة النعم التى خولناها من المال والبنين الكفر بآياتنا قال البرد الاساطير جمع اسطورة نحوا حدوثة واحاديث وقد سبق غير هذا وفى التأويلات النجمية لا تطع الحلاف المهين الحقير فى نفسه بسبب ثروة اعماله المنسوبة اللرياء والسمعة وبنين الاحوال المطعونة بالعجيب والاعجاب اذا تتلى عليه آياتنا من الحقائق والدقائق قال أساطير الاولين ما سطره الصوفية المتقدمون وهى من ترهاتهم وخرافاتهم.

١٦

{ سنسمه على الخرطوم } اصله سنوسمه من الوسم وهو احداث السمة بالكسر اى اى العلامة وبالفارسية داغ كردن.

والمسميم بالكسر المكواة اى آلة الكى والخرطوم كزنبور الالف او مقدمه او ما ضممت عليه الحنكين كالخرطم كقنفذ كما فى القاموس والمعنى سنجعل له سمة وعلامة يعرف باه بالكى على اكرم مواضعه لغاية اهانته واذلاله اذ لا نف اكرم موضع من الوجه لتقدمه له ولذلك جعلوه مكان العز والحمية واشتقوا منه الانفة وقالوا الانف بالانف وحمى انفه وفلان شامخ العرنين وقالوا فى الذليل جدع انفسه ورغم انفه ولقد وسم العباس رضى الله عنه ابا عره فى وجوهها فقال له رسول الله عليه السلام (اكرموا الوجوه فوسمها فى جواعرها) اى فى ادبارها وفى التعبير عن الانفس بلفظ الخرطوم استهانة بصاحبه واستقباح له لانه لا يستعمل الا فى الفيل وخنزير وكلما كان الحيوان اخبث واقبح كانت الاستهانة والاستقباح اشد واكثر قيل اصاب انف الوليد جراحة يوم بدر فبقيت علامتها قال صاحب الكشف هو ضعيف فان الوليد مات قبله فلم يوسم

يوسم بقى اثره مدة حياته وقال الراغب نلزمه هار الا ينمحى عنه كما قال صاحب الكشاف هو عبارة عن ان بذله غاية الاذلال وذلك لان الوجه اكرم موضع والانف ابين عضو منه فالوسم على الانف غاية الاذلال والاهانة لان الوسم على الوجه شين فكيف اذا كان على اظهر موضع منه وكما قال العتبى وصف الله الوليد بالحلف والمهانة والهمزة والمشى بالنميمة والبخل والظلم والاثم والجفوة والدعوة فألحق به عار الا يفارقه فى الدنيا والآخرة قال والذى يدل على ذها ما روى عن الشعبى فى قوله عتل حيث قال العتل الشديد والزنيم الذى له زنمة من الشر يعرف بها كما تعرف الشاة

وقيل سنعلمه يوم القيامة بعلامة مشوهة يعلم بها من سائر الكفرة بأن نسود وجه غاية التسويد اذ كان بالاء فى عداوة سيد المرسلين عليه وعليهم الصلاة والسلام اقصى مراتب العداوة فيكون الخرطوم مجازا عن الوجه على طريق ذكر الجزء وارادة الكل وفى التأويلات النجمية نكوى

خرطوم استعداده بكى نار الحجاب والبعد حتى لا يشم النفحات الالهية والنسمات الربانية.

١٧

{ انا بلوناهم } يقال بلى الثوب بلى اى خلق بلوته اختبرته كأنى اخلقته من كثرة اختبارى له والبلايا اختبارات والمعنى انا ابتلينا اهل مكة بالقحط والجوع سبع سنين بدعوة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حتى اكلوا الجيف والجلود والعظام والدم لتمردهم وكفرانهم نعم الله تعالى

{ كما بلونا اصحاب الجنة } اى ابتلاء مثل ابتلاء اصحاب الجنة المعروف خبرها عندهم واللام للعهد والكاف فى موضع النصب على انها نعت المصدر محذوف وما مصدرية والجنة البستان وبالفارسية باغ.

واصحاب الجنة قوم من اهل صنعاء وفى كشف الاسرار سه برادر بودند.

كانت لأبيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين وقال السهيلى هى جنة بضروان وضروان على فراسخ من صنعاء وفى فتح الرحمن الجنة بستان يقال له ضروان باليمين وكان اصحاب هذه الجنة بعد رفع عيسى عليه السلامبيسير وكانوا بخلاء وكان ابوهم يأخذ منها قوت سنة ويتصدق بالباقى وكان ينادى الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما اخطأ المنجل وما فى اسفل الا كداس وما اخطأه القطاف من العنب وما بقى على البساط الذى يبسط تحت النخلة اذا صرمت (قال الكاشفى) وده ازبك حاصل نيز برايشان قسمت كردى.

فكان يجتمع لهم شئ كثير ويتزودون به اياما كثيرة فلما مات ابوهم قال بنوه ان علنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الامر ونحن اولوا عيال فحلفوا فيما بينهم وذلكقوله تعالى

{ اذا قسموا } ظرف لبولنا والاقسام سوكند خوردن يعنى سوكند خوردند وارثان با غ كه بنهان ازفقرا

{ ليصر منها } الصرام والصرم قطع ثمار النخيل وبالفارسية بار خرما بريدن.

من صرمه اذا قطعه اى ليقطعن ثمارها من الرطب والعنب ويجمعن محصولها من الحرث وغيره

{ مصبحين } اى داخلين فى الصباح مبكرين وسواد الليل باق قوله ليصر منها جواب للقسم وجاء على خلاف منطوقهم ولو جاء على منطوقهم لقيل النصر منها بنون المتكلم ومصبحين حال من فاعل ليصر منها.

١٨

{ ولا يستثنون } اى لا يقولون ان شاء الله وتسميته استثناء مع انه شرط من حيث ان مؤداه مؤدى الاستثناء فان قولك لأخرجن ان شاء الله ولا اخرج الى ان شاء الله بمعنى واحد والجملة مستأنفة او حال بعد حال لعل ايراد بعد ايراد اقسامهم عفى فعل مضمر لمقصودهم مستنكر

عند ارباب المروة واصحاب الفتوة لتقبيح شأنهم بذكر السببين لحرمانهم وان كان احدهما كافيا فيه لكن ذكر الاقسام على ام رمستنكر اولا وجعل ترك الاستثناء حالا منه يفيد اصالته وقوته فى اقتضاء الحرمان والاظهر ان المعنولا يستثنون حصة المساكين اى لا يميزونها ولا يخرجونها كما كان يفعله أبوهم وقال أبو حيان ولا ينثنون عما عزموا عليه من منع المساكين قال فى تاج المصادر الاستثناء ان شاء اللّه كفتن واستثناء كردن . والباب يدل على تكرير الشئ مرتين او جعله شيئين متواليين او متباينين والاستثناء من قياس الباب وذلك ان ذكره يثنى مرة فى الجملة ومرة فى التفصيل لانك قلت خرج الناس ففى الناس زيد وعمرو فاذا قلت الا زيدا فقد ذكرت زيدا مرة اخرى ذكرا ظاهرا انتهى قال الراغب الاستثناء ايراد لفظ يقتضى رفع بعض ما يوجبه عموم لفظ متقدم او يقتضى رفع حكم اللفظ كام هو فمن الاول قوله تعالى قل لا اجد فيما اوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة ومنالثانى قوله لأفعلن كذا ان شاء اللّه وعبده عتيق وامرأته طالق ان شاء اللّه.

١٩

{ فطاف عليها } اى على الجنة اى احاط باه

{ طائف } بلاء طائف كقوله واحيط بثمره وذلك ليلا اذلا يكون الطائف الا بالليل وايضا دل عليه ما بعده من ذكر النوم وكان ذلك الطائف نارا نزلت من السماء فأحرقتها

{ من ربك } مبتدئ من جهته تعالى قال الراغب الطوف الدوران حول الشئ ومنه الطائف لمن يدور حول البيت حافظا ومنه استعير الطائف من الجن والخيال والخادم وغيرها قال تعالى فطاف الخ تعريضا بما نالهم من النائبة انتهى

{ وهم نائمون } غافلون عما جرت به المقادير او غافلون عن طوافه بالنوم الذى هو اخو الموت وبالفارسية وايشان خفتكان بودند.

والنوم استرخاء اعصاب الدماغ برطوبات البخار الصاعد اليه او ان يتوفى الله النفس من غير موت اى ان يقطع ضوء الروح عن

ظاهر الجسد دون باطنه او النوم موت خفيف والموت نوم ثقيل وكل هذه التعريفات صحيحة.

٢٠

{ فأصبحت } بس كشت جنت ايشان با آن بلا

{ كالصريم } فعيل بمعنى مفعول اى كالبستان الذى صرمت ثماره لم بحيث لم يبق فيها شئ لان النار السماوية أحرقتها

وقيل كالليل لان الليل يقال له لاصريم اى لصارت سودآء كالليل لاحتراقها.

٢١

{ فتنادوا } اى نادى بعضهم بعضا

{ مصبحين } حال كونهم داخلين فى الصباح.

٢٢

{ أن اغدوا } اى اى اغدو على ان ان مفسرة او بان اغدوا على

انها مصدرية اى اخرجوا غدوة واول النهار وبالفارسية بامداد بيرون اييد

{ على حرثكم } بستانكم وضيعتكم وفى كشف الاسرار دران

بستان هم زرع بودهم درخت انكور انتهى.

يقول الفقير فالحرث يجوز أن يراد به الحاصل مطلقا وان يراد به

الزرع خصوصا لانه اعز شئ يعيش به الانسان وتعدية الغدو بعلى لتضمنه

معنى الاقبال والاستيلاء وقال بعضهم انه يتعدى بعلى كما فى القاموس

غدا عليه غدوا وغدوة بالضم واغتدى بكر قال الراغب الحرث القاء البذر

فى الارض وتهيئتها للزرع ويسمى المحروث حرثاقال تعالى ان اغدوا على

حرثكم

{ ان كنتم صارمين } قاصدين للصرم وقطع الثمرة وجمع

المحصول اى فاغدوا فجوابه محذوف.

٢٣

{ فانطلقوا } فمضوا اليها وبالفارسية بس برفتند بجانب با غ

{ وهم يتخافتون } التخافت بايكديكر بنهان راز كفتن

. اى يتشاورون فيما بينهم بطريق المخافتة والسر كيلا يسمع احد ولا يدخل عليهم.

٢٤

{ ان لا يدخلنها } اى الجنة

{ اليوم عليكم مسكين } من المساكين فضلا عن ان يكثروا وبالفارسية امروزبر شما يعنى درباغ شمادرويشتى تابهره بكيرد واز حصه ماكم نكردد.

وان مفسرة فما فى التخافت من معنى القول بمعنى اى لا يدخلنها تفسيرا لما لا يتخافنون والمسكين هو الذى لا يشئ له وهو أبلغ من الفقير والمراد بنهى المسكين عن الدخول المبالغة فى النهى عن تمكينه من الدخول كقولهم لا ارينك ههنا فان دخول المسكين عليهم لازم لتمكينهم

اياه من الدخول كما ان رؤية المتكلم المخاطب لازم لحضوره عند فذكر اللام لينتقل منه الى الملزوم.

٢٥

{ وغدوا } مشوا بكرة وبالفارسية وبامداد برفتند

{ على حرد } الحرد المنع عن حدة وغضب يقال نزل فلان حريدا اى ممتنعا من مخالطة القوم وحاردت السنة منعت قطرها والناقة منعت درها وحرد غضب

{ قادرين } حال مقدرة من فاعل غدوا فان القدرة مع الفعل عند اهل الحق والمعنى وخرجوا اول الصباح على امتناع من ان يتناول المساكين من جنتهم حال كونهم قادرين على نفعهم او على الاجتناء والصرم بزعمهم فلم يحصل الا النكد والحرمان وفى الكشاف وغدوا قادرين على نكد لا غير عاجزين عن النفع يعنى انهم عزموا ان ينكدوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحال فقر وذهاب مال لا يقدرون فيها

الاعلى النكد والحرمان وذلك انهم طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة.

٢٦

{ فلما رأوها } بس آن هنكام كه ديدندباغ رابخلاف آنجه كذاشنه بودند

{ قالوا } اى

قال بعضهم لبعض

{ انا لضالون } اى طريق جنتناو ماهى بهالما رأوا من هلاكها.

٢٧

{ بل نحن محرمون } قالوه بعدما تأملوها ووقفوا على حقيقة الامر وانها هى مضربين عن قولهم الاول اى لسنا ظالمين بل نحن محرومون حرمنا خيرها ومنعنا نفعها بجنايتنا على انفسنا بسوء نيتنا وهى ارادة حرمان المساكين وقصد منع حق الفقراء.

{ قال اوسطهم } اى رأيا اوسنا وفى الكشاف أعد لهم وخيرهم من قولهم فلان من وسطة قومه واعطنى من وسطات مالك ومنه قوله تعالى امة وسطان (وقالالكاشفى) كفت فاضلتر ايشان ازروى عقل با بكتربسن يا صائب تربراى.

قال الراغب الوسط تارة يقال فيما له طرفان مذمومان كالجواد الذى بين البخل والسرف فيستعمل استعمال القصد المصون عن الافراط والتفريط فيمدح به نحو السوآء والعدل ونحو وكذلك جعلناكم امة وسطا وعلى ذلك قال اوسطهم وتارة يقال فيما له طرف محمود وطرف مذموم كالخير والشر ويكنى به عن الرذل نحو قولهم وسط بين الرجال تنبيها على انه قد خرج من حد الخير

{ ألم اقل لكم لولا تسبحون } لولا تذكرون الله بالتسبيح والتهليل وتتوبون اليه من خبث نيتكم وقد كان قال لهم حين عزموا على ذلك

اذكروا الله وانتقامه من المجرمين وتوبوا اليه من هذه العزيمة الخبيثة من فروكم

وسارعوا الى حسم شرها قبل حلول النقمة فعصوه فعيرهم وفى الآية دليل

على ان العزم على المعصية مما يؤاخذ به الانسان لانهم عزموا على ان

يفعلوا فعوقبوا قبل فعلهم ونظيرها قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه

من عذاب أليم وعلى هذا قوله تعالى وذروا ظاهر الاثم وباطنه والعزم قوة

قصد الفعل والجزم به والمحققون على انه يؤاخذه به واماالهم وهو ترجيح

قصد الفعل فمرفوع.

٢٩

{ قالوا } معترفين بالذنب والاعتراف به يعد من التوبة

{ سبحان ربنا } ننزه ربنا عن كل سوء ونقصان سيما عن ان

يكون ظالما فيما فعل ابنا

{ انا كنا ظالمين } بقصد حرمان المساكين اتباعا لشح النفس

كأنهم قالوا نستغفر الله من سوء صنيعنا ونتوب اليه من خبث نيتنا حيث

قصدنا عدم اخراج حق المساكين منغلة بستاننا ولو تكلموا بهذه الكلمة قبل نزول العذاب لنجوا من نزوله لكنهم تكلموا بها بعد خراب البصرة.

٣٠

{ فأقبل بعضهم على بعض } بس روى آوردند بعضى ازايشان بربعضى ديكر

{ يتلاومون } اللوم الملامة وبالفارسية نكوهيدن يعنى خوار داشتن . اى يلوم بعضهم بعضا على ما فعلوا فان منهم من اشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا به ومنهم من انكره بالفارسية اين آنرامى كفت توجنين انديشيدى وآن عذرمى آوردكه توهم بدين رضاى بودى.

٣١

{ قالوا } يعنى بكناه خود اعتراف نمودند وازروى نياز كفتند

{ يا ويلنا } اى واى بزمان ودر دزدكى

{ انا كنا طاغين } متجاوزين حدود الله تعالى وبالفارسية أزحد برندكان دركنهكارى كه درويشانرا محروم ساختيم.

٣٢

{ عسى ربنا } شايد بروردكار ماكه ازكرم اواميد واريم

{ ان يبدلنا } ان يعطينا بدلا منها ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة

{ خيرا منها } بهترى ازان با غ

{ انا الى ربنا راغبون } راجون العفو طالبون الخير والى لانتهاء الرغبة لان الله منتهى رجائهم وطلبهم او التضمنها معنى الرجوع والا فالمشهور ان تتعدى الرغبة بكلمة فى اوعن دون الى روى انهم تعاقدوا وقالوا ان بدلنا الله خيا منها لنصنعن كما صنع أبونا فدعوا الله وتضرعوا اليه فأبدلهم الله من ليلتهم ما هو خير منها قالوا ان الله أمر جبريل ان يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزعر من ارض الشام اى موضع قليل النبات ويأخذ من الشام جنة فيجعلها مكانها وقال ابن مسعود رضى الله عنه ان

القوم لما اخلصوا وعرف الله منهم الصدق ابدلهم جنة يقال لها الحيوان فيها

عنب يحمل البغل منه عنقودا قال أبو خالد اليمانى دخلة تلك الجنة فرأيت

كل عنقود منها كالرجل الاسود القائم يعنى دران باغ خوشه انكور ديدم

برابر مردى سياه برباى ايستاده محققان كفته اندهركه ببلايي مبتلاكردد

ومثال او عرضة تلف شودوا و تأمل نمايدوداندكه باستحقاق برونارل شده

بس بكناه اعتراف نموده بحضرت عزت بازكشت كندبهترو خوشتر از آنجه

ازوباز ستده بدودهد جنانجه بوستان حيوان بعوض باغ ضروانى وبيرومى

قدس سره ازين معنى خبر ميدهد آنجا ميفرمايد

اولم خم شكست وسركه بريخت ... من نكويم كه اين زيانم كرد

صدخم شهد صافى ازبى آن ... عوضم داد وشادمانم كرد

وسئل قتادة عن أصحاب الجنة أهم من اهل الجنة ام من اهل النار

فقال لقد كلفتنى تعبا وعن الحسن رحمه الله قول أصحاب الجنة انا الى ربنا

راغبون لا أدرى ايمانا كان ذلك منهم او على حد ما يكون من المشركين

اذا أصابتهم الشدة فتوقف فى امرهم والا كثرون على انهم تابوا وأخلصوا حكاه القشيرى قدس سره.

يقول الفقير لان كان ذلك القول منهم على حد ما يصدر من المضطر فابدال الله اباهم جنة خيرا من جنتهم يكون من قبيل الاستدراج وان كان عن تبوة واخلاص فذلك الابدال من آثار تحقيق التوبة ونتائج الاخلاص فان للاخلاص صمرات عجبة وعن الشيخ أبي الربيع المالقى رحمه الله قال سمعت بامرأة من الصالحات فى بعض القرى اشتهر أمرها وكان من دأبنا ان لا نزور امرأة فدعت الحاجة الى زيارتها للاطلاع على كرامة اشتهرت عنها وكانت تدعى بفضة فنزلنا القرية التى هى بها فذكر لنا ان عندها شاة تحلب لبنا وعسلا فاشترينا قدحا جديدا لم يوضع فيه شئ فمضينا اليها وسلمنا عليها ثم قلنا لها نيرد أن نرى هذه البركة التى ذكرت لنا عن هذه الشاة التى عندكم فأعطتنا الشاة فحلبناها فى القدح فشربنا لبنا وعسلا فلما رأينا ذلك سألناها عن قصة الشاة فقالت نعم كانت لنا شويهة ونحن قوم فقرآء ولم يكن لناشئ فحضر العيد فقال لى

زوجى وكان رجلا صالحا نذبح هذه الشاة فى هذا اليوم فقلت له لا نفعل
فانه قدر خص لنا فى الترك والله يعلم حاجتنا اليه فاتفق ان استضاف
بنافى ذلك اليوم ضيف ولم يكن عندنا قراه فقلت له يا رجل هذا ضيف
وقد أمرنا باكرامه فخذ تلك الشاة فاذبحها قالت فخفنا ان يبكى عليها
صغارنا فقلت له اخرجها من البيت الى ورآء الجدار فاذبحها فلما اراق
دمها قفزت شاة على الجدار فنزلت الى البيت فخيشت ان تكون قد
انفلتت منه فخرجت لانظرها فاذا هو سلخ الشاة فقلت له يا رجل عجبا
وذكرت له القصة فقال لعل الله قد ابدلنا خيرا منها وكانت تلك الشاة
تحلب اللبن تحلب اللبن والعسل ببركة اكرامنا الضيف ثم قالت يا
اولادى او شويهتنا هذه ترعى فى قلوب المريدين فاذا طابت قلوبهم طاب
لبنها وان تغيرت تغير لبنها فطيبوا قلوبكم قال اليافعى عنت بالمريدين
نفسها وزوجها ولكن اطلقت لفظا ظاهره العموم مع ارادة التخصيص
تسترا وتحريضا للمريدين على تطييب قلوبهم اذ بطيب القلوب يحصل كل
طيب محبوب من الانوار والاسرار ولذة العيش بمنادمه الملك الغار والمعنى لما

طابت قلوبنا طاب ما عندنا فطيبوا قلوبكم يطب لكم ما عندكم ولو لم يكن الامر كذلك بل المراد عموم المريدين لكان بطيب اللبن من سائر الغنم ولو خبث قلبهما لما نفعهما طيب قلوب المريدين واذا طاباهما لم يضرهما خبث قلوب المريدين.

٣٣

{ كذلك العذاب } جملة من مبتدأ وخبر مقدم لافادة القصر والالف واللام للعهد أى مثل الذى بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة عذاب الدنيا وفى كشف الاسرار كذلك افعل بامتك اذا لم تعطف اغنياؤهم على فقرآئهم بأن امنعهم القطر وارسل عليهم الجوآئح وأرفع البركة من زروعهم وتجارتهم ففيه وعيد لمانعى الزكاة والصدقة باهلاك المال وانزال العذاب باى طريق كان

مكن بدكه بدبينى اى يارينك ... نيايد زتخم بدى بارنيك

كسى نيك بيند بهر دوسراى ... كه نيكى رساند بخلق خداى

{ ولعذاب الآخرة اكبر } اعظم واشد وبالفارسية بزركتراست جه اين عذاب زوال يابد وآن باقى باشد

{ لو كانوا يعلمون } انه اكبر لاحترزوا عما يؤديهم اليه ويطرحهم ويرميهم عليه.

٣٤

{ ان للمتقين } اى من الكفر والمعاصى

{ عند ربهم } اى فى الآخرة وذكر عند للتشريف والتكريم وذلك لانه لا ملك فيها حقيقة وصورة الا لله فكأنها حاضرة عنده تعالى يتصرف فيها كيف يشاء والافمحال كون عندية الجنة بالنسبة الى الله تعالى مكانية وهى ظرف معمول للاستقرار الذى تعلق به للمتقين ويجوز أن يكون متعلقا بمحذوف منصوب على الحالية من المنوى فى قوله للمتقين ولا يجوز ان يكون حالا من جنات لعدم العامل والاظهر ان معنى عند ربهم فى جوار القدس فالمراد عندية المكانة المنزهة عن الجهة والتحيز لا عندية المكان

كما فى قوله تعالى عند مليك مقتدر اذ للمقربين قرب معنوى من الله تعالى قال الراغب عند لفظ موضوع للقرب فتارة يستعمل فى المكان وتارة يستعمل فى الاعتقاد نحو عندى كذا وتارة فى الزلقى والمنزلة كقوله تعالى بل احياء عند ربهم وعلى ذلك قيل الملائكة المقربون

{ جنات النعيم } جنات ليس فيها الا التنعم الخالص عن شائبة ما ينغصه من الكدورات وخوف الزوال كما عليه نعيم الدنيا واستفيد الحصر من الاضافة اللامية الاختصاصية فانها تفيد اختصاص المضاف اليه.

٣٥

{ افنجعل المسلمين كالمجرمين } كان صناديد قريش يرون وفور حظهم من الدنيا وقلة حظوظ المسلمين منها فاذا سمعوا بحديث الآخرة وما وعد الله المسلمين منها فاذا سمعوا بحديث الآخرة وما وعد الله المسلمين قالوا ان صح انا نبعث كما يعم محمد ومن معه لم تكن حالنا وحالهم المثل

ما هى فى الدنيا والالم يزيدوا علينا ولم يفضلونا واقصى امرهم أن يساوونا فردهم الله تعالى والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى انحيف فى الحكم فنجعل المؤمنين كالكافرين فى حصول النجاة والوصول الدرجات فالمراد من المجرمين الكافرون على ما دل عليه سبب النزول وهم المجرمون الكاملون الذين اجرموا بالكفر والشرك والا فالاجرام فى الجملة لا ينافى الاسلام نعم المسلم المطيع ليس كالمسلم الفاسق فيه وعظ للعاقل وزجر للمتبصر ثم قيل لهم بطريق الالتفات لتأكيد الردوتشديده.

٣٦

{ ما لكم كيف تحكمون } تعجبا من حكمهم واستبعادا له وايذانا بأنه لا يصدر عن عاقل وما استفهامية فى موضع الرفع بالابتدآء والاستفهام للانكار ابلانكار ان يكون لهم وجه مقبول يتد به فى دعواهم حتى يتمسك به ولكم خبرها والمعنى اى شئ ظهر لكم حتى حكمتهم مقبول يعتد به فى دعواهم حتى يتمسك به ولكم خبرها والمعنى اى شئ

ظهر لكم حتى حكمتم هذا الحكم القبيح كأن امر الجزآء مفوض اليكم فتحكمون فيه بما شئتم ومعنى كيف فى حال أفى حال العلم ام فى حال الجهل فيكون ظرفا او أعالمين ام جاهلين فيكون حالا وفى التأويلات النجمية افنجعل المتقين لاحكام الشريعة آداب الطريقة ورموز الحقيقة كالكاسبين للاخلاق الرديئة والاوصاف الرذيلة المخالفة للشريعة والطريقة والحقيقة ما لكم كيف تحكمون بهذا الظلم الصريح والقول القبيح.

٣٧

{ ام لكم } اى بل ألكم وبالفارسية آياشماراست

{ كتاب } نازلت من السماء

{ فيه } متعق بقوله

{ تدرسون } اى تقرأون قال فى المفردات درس الشئ معناه بقى اثره ودرست العلم تناولت اثره بالحفظ ولما كان تناول ذلك بمداومة القرءآة عبر عن ادامة القرءآة بالدرس.

{ ان لكم فيه لما تخيرون } تخير الشئ واختياره اخذ خيره قال

الراغب الاختيار طلب ما هو خير فعله وقد يقال ما يراه الانسان خيرا

وان لم يكن خيرا وفى تاج المصادر التخير بركزيدن . والمعنى ما تتخيرونه

وتشتهونه واصله ان لكم بالفتح لانه مدروس فيكون مفعولا واقعا موضع

المفرد فلا يكسر همزة ان ولكم لما جيئ باللام كسرت فان لم الابتدآء لا

تدخل على ما هو فى حيز أن المفتوحة وهذه اللام للابتدآء داخلة على

اسم ان والمعنى تدرسون فى الكتاب ان لكم ما تختارونه لأنفسكم وأن

يكون العاصى كالمطبع بل ارفع حالا منه فأئتوا بكتاب ان كنتم صادقين

ويجوز أن يكون حكاية للمدروس كما هو كقوله تعالى وتركنا عليه فى

الآخرين سلام على نوح فى العالمين فيكون الموقع من مواقع كسر ان لعدم

وقوعها موقع المفرد حكاه الله فى القرءآن بصورته والفرق بين الوجهين ان

المدروس فى الاول ما انسبك من الجملة وفى الثاناالجملة بلفظها وقوله فيه

لا يستغنى عنه بفيه اولا فقد يكتب المؤلف فى كتابه ترغيبا للناس فى

مطالعته فى هذا الكتاب كذا وكذا قال سعدى المفتى لك أن تمنع كون الضمير للكتاب بل الظاهر انه ليوم القيام المعلوم بدلالة المقام.

٣٩

{ ام لكم أيمان علينا } قوله علينا صفة أيمان وكذا بالغة اى عهود مؤكدة بالايمان

{ بالغة } اى متناهية فى التوكيد والصحة لان كل شئ يكون فى نهاية الجودة وغاية الصحة يوصف بأنه بالغ يقال لفلان على يمين بكذا اذا ضمنت وكفلت له به وحلفت له على الوفاء به اى بل أضمنا لكم او أقسمنا بايمان مغلظة فثبت لكم علينا عهود مؤكدة بالايمان

{ الى يوم القيامة } متعلق بالمقدر فى لكم اى ثابتة لكم الى يوم القيامة لا نخرج عن عهدتها حتى نحكمكم يومئذ ونعطيكم ما تحكمون او ببالغة او ايمان تبلغ ذلك اليوم وتنتهى اليه وافرة لم تبطل منها يمين الى ان يحصل المقسم عليه الذى هو التحكيم واتباعنا لحكمهم

{ ان لكم لما تحكمون } جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان

علينا ام قسمنا لكم كما سبق.

٤٠

{ سلهم } امر من سال يسال بحذف العين وهمزة الوصل وهو

تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم باسقاطهم

عن رتبة الخطاب اى سلهم مبكتا لهم يعنى بپرس اى محمد مشركانرا كه

{ ايهم } كدام ايشان

{ بذلك } الحكم الخارج عن العقول

{ زعيم } اى قائم يتصدى لتصحيحه كما يقول زعيم القول

باصلاح امورهم فقوله بذلك متعلق بزعيم والزعيم بمعنى القائم بالدعوى

واقامة الحجة عليها قال الراغب قوله زعيم اما من

الزعامة اى الكفالة او من الزعم بالقول وهو حكاية قول يكون مظنة

للكذب

وقيل للمتكفل والرئيس زعيم للاعتقاد فى قولهم انه مظنة للكذب.

٤١

{ ام لهم } آيايشا نرست

{ شركاء } يشاركونهم فى هذا القول ويذهبون مذهبهم

{ فليأتوا بشركائهم } بس بكو بياريد شريكان خود . فالباء للتعدية ويجوز أن تكون للمصاحبة

{ ان كانوا صادقين } فى دعواهم اذلا اقل من التقليد يعنى انه كما ليس لهم دليل عقلى فى اثبات هذا المذهب وهو التسوية بين المحسن والمسيئ كما قال ما لكم كيف تحكمون ولا دليل نقلى وهى كتاب يدرسونه ولا عهود موثقة بالايمان فليس لهم من يوافقهم من العقلاء على هذا القول حتى يقلدوهم وان كان التقليد لا يفلح من تشبث بذيله فثبت ان ما زعموا باطل من كل الوجوه وفيه اشارة الى ان اللائق بالحاكم تحرى الصواب بقدر الوسع فيما ليس بحاضر عنده وان حكم بلا تحر فلا يخلو

عن خطأ وان اصاب مصل صلى فى ارض لم يعلم القبلة فيها فانه ان صلى بتحر فصلاته صحيحة وان اخطأ القبلة وان صلى فيها بغير تحر فغير صحيحة وان اصابها واذا كان الحكم بلا تحر خطأ فكيف الحكم بشئ والأدلة قائمة بخلافه.

٤٢

{ يوم يكشف عن ساق } يوم منصوب باذكر المقدر وعن ساق قائم مقام الفاعل ليكشف والمراد يوم القيامة اى اذكر يوم شيتد الامر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل فى ذلك ولا كشف ولا ساق ثمة كما تقول للاقطع الشحيح يده مغلولة ولا يدثمة ولا غل وانما هو مثل فى البخل بأن شبهت حال البخيل فى عدم تيسر الانفاق له بحال من غلت يده وكذا شبهت حال من اشتد عليه الامر فى الموقف بالمخدرات اللاتى اشتد عليهن الامر فاحتجن الى تشمير سوقهن فى الهرب بسبب وقوع امر هائل بالغ الى نهاية الشدة مع انهن لا يخرجن من بيوتهن ولا يبدين زينتهن لغير محارمهن لغاية خوفهن وزوال عقلهن من دهشتن وفرارهن لخلاص انفسهن

فاستعمل فى حق اهل الموقف من الاشقياء ما يستعمل فى حقهن من غير تصرف فى مفردات التركيب بل التصرف انما هو فى الهيئة التركيبية فكشف الساق استعارة تمثيلية فى اشتداد الامر وصعوبته قال المولى الفنارى فى تفسير الفاتحه فالساق التى كشف لهم عبارة عن امر عظيم من اهوال يوم القيامة تقول العرب كشفت الحرب عن ساقها اذا عظم امرها وتقول لمن وقع فى امر عظيم شديد يحتاج فيه الى جهد ومقاساة شمر عن ساقك وكذلك التفت الساق بالساق اى دخلت الاهوال والامور العظام بعضها فى بعض يوم القيامة

وقيل ساق الشئ اصله الذى به قوامه كساق الشجر وساق الانسان فان ساق الشجر مثلا اصله والاغصان تنبت على ذلك الاصل وتقوم به فالمعنى حينئذ يوم يكشف عن اصل الامر فتظهر حقائق الامور واصولها بحيث تصير عيانا وتنكيره على الوجه الاول للتهويل لان يوم القيامة يوم يقع فيه امر فظيع هائل منكر خارج عن المألوف وعلى الثانى للتعظيم

{ ويدعون } اى الكفار والمنافقون

{ الى السجود } توبيخا وتعنيفا على تركهم اياه فى الدنيا وتحسيرا لهم على تفريطهم فى ذلك لا على سبيل التكليف والتعبد لان يوم القيامة لا يكون فيه تعيد ولا تكليف وسيأتى غير هذا

{ فلا يستطيعون } لزوال القدرة الحقيقية عليه وسلامة الاسباب والآلات وفيه دلالة على انهم يقصدون السجود فلا يتأنى منهم ذلك ابن مسعود رضى الله عنهتعقم اصلا به اى ترد عظاما بلا مفاصل لا تنثنى عند الرفع والخفض فيبقون قياما على حالهم حتى تزداد حسرتهم وندامتهم على تفريطهم وفى الحديث (وتبقى اصلابهم طبعا واحدا) اى فقارة واحدة . ودرخبرست كه بشت كافر ومنافق جوق سرون كاويك مهره شود (كأن سفافيد الحديد فى ظهورهم) عن ابى بردة عن ابى موسى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول

(اذا كان يوم القيامة مثل لكل قوم ما كانوا يعبدونه فى الدنيا

فذهب كل قوم الى ما كانوا يعبدون فى الدنيا ويبقى اهل التوحيد فيقال

لهم كيف بقيتم فيقولون ذهب الناس فيقولون ان لنا ربا كنا نعبده فى الدنيا

ولم نره فيقال تعرفونه اذا رأيتموه فيقولون نعم فيقال لهم كيف ولم تروه قالوا

الا يشبهه شئ فيكشف لهم الحجاب فينظرون الى الله تعالى فيخرون ن له

سجدا ويبقى اقوام ظهورهم مثل صياصى البقر فيريدون السجود ولا

يستطيعون كقوله تعالى يوم يكشف الخ يقول الله يا عبادى ارفعوا رؤوسكم

قد جعلت بدل كل رجل منكم رجلا من اليهود والنصارى فى النار) قال

ابو بردة فحدثت بهذا الحديث عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقال والله

الذى لا اله الا هو أحدثك ابوك بهذا الحديث فحلفت له بثلاث ايمان

فقال عمر ما سمعت من اهل التوحيد حديثا هو أحب الى من هذا الحديث

وفى تفسير الفاتحة للفنارى رحمه الله يتجلى الحق فى ذلك اليوم فيقول لتتبع

كل امة ما كانت تعبد حتى تبقى هذه الامة وفيها منافقوها فيتجلى لهم

الحف فى ادنى صورة من الصور التى كان يتجلى لهم فيها قبل ذلك فيقول

أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك نحن منتظرون حتى يأتينا ربنا فيقول لهم جل وعلا هل بينكم وبينه علامة تعرفونه بها فيقولون نعم فيتحول لهم فى الصورة التى عرفوه فيها بتلك العلامة فيقولون أنت ربنا فيأمرهم بالسجود فلا يبقى من كان يسجد لله الا سجد ومن كان يسجد اتقاء ورياء جعل ظهره طبقة نحاس كلما أراد ان يسجد خر على قفاه وذلك قوله تعالى يوم يكشف الخ وقال ايضا يكون على الاعراف من تساوت كفتا ميزانه فهم ينظرون الى النار وينظرون الى الجنة ومالهم رجحان بما يدخلهم احدى الدارين فاذا دعوا الى السجود وهو الذى يبقى يوم القيامة من التكليف يسجدون فيرجح ميزان حسناتهم فيدخلون الجنة انتهى.

وكفته اندكه دران روزنورى عظيم بنمايد وخلق بسجده در افتند.

فيكون كشف الساق عبارة عن التجلى الالهى كما ذهب اليه البعض وفى الحديث (يوم يكشف عن ساق) قيل عن نور عظيم يخرون له سجدا كما فى كشف الاسرار وفيه ايضا عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلّى الله عليه وسلّم قال (يأخذ الله عز وجل للمظلوم من الظالم

حتى لا يبقى مظلمة عند احد حتى انه ليكلف شائب اللبن بالماء ثم يبيعه أن يخلص اللبن من الماء فاذا فرغ من ذلك نادى مناد ليسمع الخلائق كلهم ألا ليلحق كل قوم بآلهتهم وكانوا يعبدون من دون الله فلا يبقى احد عبد شيأ من دون الله الا مثلت له آلهته بين يديه ويجعل الله ملكا من الملائكة على صور عزير ويجعل ملكا من الملائكة على صورة عيسى بن مريم فيتبع هذا اليهود ويتبع هذا النصارى ثم تلويهم آلهتهم الى النار وهم الذين يقولون الله لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيه خالدون واذا لم يبق الا المؤمنون وفيهم المنافقون قال الله لهم ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون فيقولون والله ما لنا اله الا الله وما كنا نعبد غيره فيكشف لهم عن ساق ويتجلى لهم من عظمته ما يعرفون به انه ربهم فيخرون سجدا على وجوههم ويخر كل منافق على قفاه وتجعل اصلابهم كصياصى البقر ثم يضرب الصراط بين ظهرانى جهنم)

انتهى.

واعلم ان حديث التحول مجمع عليه وهو من آثار الصفات الالهية كرؤيته فى المنام فى الصورة الانسانية والا فالله تعالى بحسب ذاته منزه عن الصورة وما يتبعها ومن مشى على امرتب لم يعثر ثم ان الآية دلت على جواز ورود الامر بتكليف ما لا يطاق والقدرية لا يقولون بذلك ففيها حجة عليهم كما فى اسئلة المقحمة لكن ينبغى أن يعلم ان المراد بما لا يطاق هو المحال العادة كنظر الاعمى الى المصحف ولا نزاع فى تجويز التكليف به وكذا المحال العارضى كايمان أبى جهل فانه صار محالا بسبب عارض وهو اخبار الله تعالى بانه لا يؤمن وقد أجاز الاشاعرة التكليف به ومنعه المعتزلة

واما المحال العقلى وهو الممتنع لذاته كاعدام القديم فلم يذهب الى جواز التكليف به احد.

٤٣

{ خاشعة ابصارهم } حال من مرفوع يدعون على ان ابصارهم مرتفع به على الفاعلية ونسبة الخشوع الى الابصار لظهور اثره فيها والا فالاعضاء ايضا خاشعة ذليلة متواضعه بل الخاشع فى الحقيقه هو القلب لكونه مبدأ الخشوع (وقال الكاشفى) يعنى خداوندان ابصار سر درپيش افكنده وشر منده باشد.

قال الو الليث وذلك ان المسلمين اذا رفعوا رؤوسهم من السجود صارت بيضاء كالثلج فيما نظر اليهم اليهود والنصارى والمنافقون وهم الذين لم يقدروا على السجود حزنوا واغتموا واسودت وجوههم كما قال تعالى

{ ترهقهم } تلحقهم وتغشاهم فان الرهق غشيان الشئ الشئ

{ ذلة } شديدة تخزيهم كأنه تفسير لخشوع ابصارهم يقال ذل يذل ذلا بالضم وذلة بالكسر وهو ذليل يعنى خوار

{ وقد كانوا } فى الدنيا

{ يدعون } دعوة التكليف

{ الى السجود } اى اليه والاظهار فى الموضع الاضمار لزيادة التقرير او لان المراد به الصلاة او ما فيها من السجود وخص السجود بالذكر من حيث انه اعظم الطاعات

قال بعضهم يدعون بدعوة الله صريحا مثل قوله تعالى فاسجدوا لله واعبدوا او ضمنا مثل قوله تعالى اقيموا الصلاة فان الدعوة الى الصلاة دعة الى السجدة وبدعوة رسول الله عليه السلام صريحا كقوله عليه السلام (اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد) فاكثروا الدعاء قالوا اى السجود او ضمنا كقوله عليه عليه السلام (صلوا خمسكم وصوموا شهركم وأدوا زكاة اموالكم واطيعوا اذا امركم تدخلوا جنة ربكم) وبدعوة علماء كل عصر ومن اعظم الدعوة الى السجود اذ ان المؤمذنين واقامتهم فان قولهم حى على الصلاة دعوة بلا مرية فطوبى لمن اجاب دعوتهم بطوع لا باكراه امتثالا لقوله تعالى اجيبو اداعى الله والجملة حال من ضمير يدعون

{ وهم سالمون } حال من مرفوع يدعون الثانى اى اصحاء فى الدنيا سلمت اعضاؤهم ومفاصلهم من الآفات والعلل متمكنون من ادآء السجدة وقبول الدعوة اقوى تمكن اى فلا يجيبون اليه ويابونه وانما ترك ذكره ثقة بظهوره وبالفارسية وايشان تندرست بودند وقادر بران جون فرصت فوت كردند درين روز جز حسرت وندامت بهره ندارند

مده فرصت از دست كر بايدت ... كه كوى سعادت زميدان برى

كه فرصت عزيزست جون فوت شد ... بسى دست حسرت بدندان برى

وفى الآية وعيد لمن ترك الصلاة المفروضة او تخلف عن الجماعة عن الجماعة المشروعة قال رجل لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ادع الله أن يرزقنى مرافقتك فى الجنة فقال اعنى بكثرة السجود وكان السلف يعزون انفسهم ثلاثة ايام اذا فاتهم التكبير الاول وسبعة اذا فاتهم الجماعة قال ابو

سليمان الدارانى قدس سره أقمت عشرين سنة ولم أحتلم فدخلت مكة

فأحدثت بها حدثا فما اصبحت الا احتلمت وكان الحديث ان فاتته صلاة

العشاء بجماعة وقال الشيخ ابو طالب المكى قدس سره فى قوت القلوب

ولا بد مق صلاة الجماعة سيما اذا سمع التأذين او كان فى جوار المسجد

وحد الجوار أن يكون بينه وبين المسجد مائة دار واولى المساجد التى يصلى

فيها اقربها اليه الا أن يكون له نية فى الا بعد لكثرة الخطى او لفضل امام

فيه فالصلاة خلف العالم الفاضل افضل او يريد اى يعمر بيتا من بيوت

الله بالصلاة فيه وان بعد وقال سعيد ابن المسيب رحمه الله من صلى

الخمس فى جماعة فقد ملأ البر والبحر عبادة وقال ابو الدردآء رضى الله

عنه حالفا بالله تعالى من احب الاعمال الى الله ثلاثة امر بصدقة وخطوة

الى صلاة جماعة واصلاح بين الناس وفى الآية اشارة الى انه يرفع الحجاب

ويبقى المحجوبون فى حجاب انا نيتهم ويشتد عليهم الامر ويدعون الى

الفناء فى الله فلا يستطيعون لافساد استعدادهم الفطرى بالركون الى الدنيا

وشهواتها ذليلة ابصارهم متحيرة لذهاب قوتها النورية تلحقهم ذلة الحجاب

وهو ان الاحتجاب وقد كانا افى زمان استعدادهم يدعون الى سجود الفناء بترك اللاذت والشهوات وهم نائمون فى نوم الغفلة لا يرفعون له رأسا الفساد استعداد مزاجهم بالعلل النفسانية والامراض الهيولانيه.

٤٤

{ فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث } من منصوب للعطف على ضمير المتكلم او على انه مفعول معه وهو مرجوح لا مكان العطف من غير ضعف اى واذا كان حالهم فى الآخرة كذلك فدعنى ومن يكذب القرءآن وخل بينى وبينه ولا تشغل قلبك بشأنه وتوكل على فى الانتقام منه فانى عالم بما يستحقه من العذاب ويطبق له وكافيك امره يقال ذرنى واياه يريدون كله الى فانى اكفيك قال فى فتح الرحمن وعبد ولم يكن ثمة مانع ولكنه كما تقول دعنى مع فلان اى سأعاقبه والحديث القرءآن لان كل كلام يبلغ الانسان من جهة السمع او الوحى فى يقظته او منامه يقال له حديث

{ سنستدرجهم } يقال استدرجه الى كذا اذا استنزله اليه درجة درجة حتى يورطه فيه وفى تاج المصادر الاستدراج اندك اندك نزديك دانيدن خداى بنده را بخشم وعقوبت خود.

والمعنى ستستنزلهم الى العذاب درجة فدرجة بالاحسان وادامة الصحة وازدياد النعمة حتى نوقعهم فيه فاستدراج الشخص الى العذاب عبارة عن هذا الاستنزال والاستدناء

{ من حيث لا يعلمون } اى من الجهة الى لا يشعرون انه استدراج وهو الانعام عليهم لانهم يحسونه ايثارا لهم وتفضيلا على المؤمنين وهو سبب لهلاكهم وفى الحديث (اذا رأيت الله ينعم على عبد وهو مقيم على معصيته فاعلم انه مستدرج) وتلا هذه الآية وقال امير المؤمنين رضى الله عنه من وسع عليه دنياه فلم يعلم انه قد مكر به فهو مخدوع عن عقله (وروى) ان رجلا من بنى اسرآئيل قال يا رب كم اعصيك ولم أنت لا تعاقبنى فأوحى الله الى نبى زمانه ان قل له كم من عقوبه لى عليك وان لا تشعر كونها عقوبة ان جمود عينك وقساوة قلبك استدراج منى وعقوبة

لو عقلت قال بعض المكاشفين من المكر الالهى بالعبد أن يرزق العلم

ويحرم العمل به او يرزق العمل ويحرم الاخلاص فيه فمن علم اتصافه بهذا

من نفسه فليعلم انه ممكور به واخفى ما يكون المكر الالهى فى المتأولين

من اهل الاجتهاد وغيرهم ومن يعتقد أن كل مجتهد مصيب يدعو الناس

على بصيرة وعلم قطعى وكذلك مكر الله بالخاصة خفى مستور فى ابقاء

الحال عليهم وتأييدهم بالكرامات مع سوء الأدب الواقع منهم فتراه

يتلذذون باحوالهم ويهجمون على الله فى مقام الادلال وما عرفوا ما ادخر

لهم من المؤاخذات نسأل الله العافية وقال بعض العارفين مكر الله فى نعمه

اخفى منه فى بلائه فالعقال من لا يأمن مكر الله فى شئ وأدنى مكر

بصاحب النعمة الظاهرة او الباطنة انه يخطر فى نفسه انه مستحق لتلك

النعمة وانها من اجل اكرامه خلقت ويقول ان الله ليس بمحتاج اليها فهى

لى بحكم الاستحقاق وهذا يقع فيه كثيرا من لا تحقيق عنده من العارفين

لان الله انما خلق الاشياء بالاصالة لتسبح بحمده

واما انتفاع عباده بها فبحكم التبعية لا بالاول وقال بعض المحققين

كل علم ضرورى وجده العبد فى نفسه من غير تعمل فكر فيه ولا تدبر

فهو عطاء من الله لوليه الخاص بلا واسطة ولكن لا يعرف ان ذلك من

الله الا الكمل من الرجال ويحتاج صاحب مقام الفتوح الى ميزان دقيق لانه

قد يكون فى الفتوح مكر خفى واستدراج ولذلك ذكره تعالى فى القرآء

على نوعين بركات وعذاب حتى لا يفرح العاقل بالفتح قال تعالى ولو أن

اهل الكتاب آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء وقال تعالى فتحنا

عليهم بابا ذا عذاب شديد وتأمل فول قوم عاد هذا عارض ممطرنا لما

حجبتهم العادة فقيل لهم بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم.

واعلم ان كل فتح اعطاء أدبا وترقيا فليس هو بمكر بل عناية من

الله لك وكل فتح اعطى العبد أحوالا وكشفا واقبالا من الحق فليحذر منه

فانه نتيجة عجلت فى غيره موطنها فينقلب صاحبها الى الدار الآخرة صفر

اليدين نسأل الله اللطف قال أبو الحسين رضى لاله عنه المستدرج سكران

والسكران لا يصل اليه ألم فجع المعصية الا بعد افاقته فاذا افاقوا من

سكرتهم خلص ذلك الى قلوبهم فانزعجوا ولم يطمئنوا والاستدراج هو السكون الى اللذات والتنعم بالنعمة ونسيان ما تحت النعم من المحن والاغترار بحلم الله تعالى وقال أبو سعيد الخرازقدس سره الاستدراج فقدان اليقين فالمستدرج من فقد فوآئد باطنه واشتغال بظاهره واستكثر من نفسه حركاته وسعيه لغيبوبته عن المنه وقال بعضهم بالاستدراج تعرف العقوبة ويخاف المقت وبالانتباه تعرف النعمة ويرجى القرب.

٤٥

{ وأملى لهم } الاملاء مهلت دادن.

اى وامهلهم باطالة العمر وتأخير الاجل ليزدادوا انما وهم يزعمون ان ذلك لارادة الخير بهم

{ ان كيدى } اى اخذى بالعذاب

{ متين } قوى شديد لا يطاق ولا يدفع بشئ وبالفارسية وبدرستى كه عقوبت من محكم است بهر جيزى دفع نشود وكرفتن من سخت است كس را طاقت آن نباشد.

وفى الكشاف سمى احسانه وتمكينه كيدا كما سماء استدراجا لكونه فى صورة الكيد حيث كان سببا للتورط فى الهلكة ووصفه بالمتانة لقوة ثر احسانه فى التسبب للهلاك

قال بعضهم الكيد اظهارا النفع وابطان الضر للمكيد وفى المفردات الكيد ضرب من الاحتيال وقد يكون محمودا ومذموما وان كان يستعمل فى المذموم اكثر وكذلك الاستدراج والمكر ولكون بعض ذلك محمودا قال تعالى كذلك كدنا ليوسف

قال بعضهم أراد بالكيد العذاب والصحيح انه الامهال المؤدى الى العذاب انتهى وفى التعريفات الكيد ارادة مضرة الغير خفية وهو مل الخلق الحيلة السيئة ومن الله التدبير بالحق لمجازة اعمال الخلق.

٤٦

{ ام تسألهم } آيا مبطلى از ايشان برابلاغ وارشاد ودعوت ايمان وطاعت . وهو معطوف على قوله ام لهم شركاء

{ اجرا } دنيويا

{ فهم } لاجل ذلك

{ من مغرم } اى من غرامة مالية وهى ما ينوب الانسان فى ماله من ضرر لغير جناية منه

{ مثقلون } مكلفون حملا ثقيلا فيعرضون عنك اى لا تسأل منهم ذلك فليس لهم عذر فى اعراضهم وفرارهم.

٤٧

{ ام عندهم الغيب } اى اللوح او المغيبات

{ فهم يكتبون } منه ما يحكمون من التسوية بين المؤمن والكافر ويستغنون به عن علمك.

٤٨

{ فاصبر لحكم ربك } وهو امهالهم و تأخير نصرتك عليهم

{ ولا تكن } فى التضجر والعجلة بعقوبة قومك وبالفارسية مباش در دلتنكى وشتاب زدكى.

{ كصاحب الحوت } اى يونس عليه السلام يعنى يونس كه صبر نكرد براذيت قوم وبى فرمانى الهى ازميان قوم برفت تابشكم ماهى محبوس كشت

{ اذ نادى } داعيا الى اللّه فى بطن الحوت بقوله لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين

{ وهو مكظوم } مملوء غيظا وغما يقال كظم السقاء اذا ملأ وسد رأسه وبالقيد الثانى قال تعالى والكاظمين الغيظ بمعنى الممسكين

عليه وعليه قوله النبى صلّى الله عليه وسلّم (من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا) والجملة حال من ضمير نادى وعليها يدور النهى لانها عبارة عن الضجرة والمغاضبة المذكورة صريحا فى قوله وذا النون اذ ذهب مغاضبا لا على الندآء فانه امر مستحسن ولذلك لم يذكر المنادى واذا منصوب بمضاف محذوف اى لا يكن حالك كحاله وقت ندآئهاى لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاصبة فبتلى ببلائه وهو التقام الحوت او بنحو ذلك

قال بعضهم فاصبر لحكم ربك بسعادة من سعد وشقاوة من شقى ونجاة من نجا وهلاك من هلك ولا تكن كصاحب الحوت فى استيلاء صفات النفس عليه وغلبة الطيش والغضب للاحتاب عن حكم الب حتى رردعن جناب القدس الى مقر الطبع فالتقمه حوت الطبيعة السفلية فى مقام النفس وابتلى بالاجتنان فى بطن حوت الرحم.

٤٩

{ لولا ان تداركه } ناله وبلغه ووصل اليه وبالفارسية اكرنه آتست

كه دريافت اورا

{ نعمة } رحمة كائنة

{ من ربه } وهو توفيقه للتوبة وقبولها منه وحسن تذكير الفعل

للفصل بالضمير وان مع الفعل فى تأويل المصدر مبتدأ خبره

مقدر بمعنى ولولا تدارك نعمة من ربه اياه حاصل

{ لنبذ } اى طرح من بطن الحوت فان النبذ القاي الشئ وطرحه

لقلة الاعتداء به

{ بالعرآء } اى بالارض الخالية من الاشجار قال الراغب العرآء

مكان لا سترة به

{ وهو مذموم } مليم مطرود من الرحمة والكرامة لكنه رحم فنبذ

غير مذموم بل سقيما من جهة الجسد ومليم من ألام الرجل بمعنى اتى ما

يلام عليه ودخل فى اللومفان قلت فسر المذموم بالمليم وقد اثبته الله

تعالى بقوله فالتقمه الحوت وهو مليم اجيب على ذلك التفسير بأن الا لامه حين الالتقام لا تستلزم الا لامة حين النبذاذ التدارك نفاها فالتفت على ما هو حكم لولا الامتناعية كما اشير اليه فى تصوير المعنى آنفا وهو حال من مرفوع نبذ عليها يعتمد جواب لولا لانها هى المنفية لا النبذ بالعرآء كما فى الحال الاولى لانه نبذ غير مذموم بل محمود.

٥٠

{ فاجتباه ربه } عطف على مقدراى فتداركته نعمة ورحمة من ربه فجمعه اليه وقربه بالتوبة عليه يأن در اليه الوحى وارسله الى مائة ألف او يزيدون يقال جيبت الماء فى الحوض جمعته والحوض الجامع له جابية والاجتباء الجمع على طريق الاصطفاء

وقيل اشتنباه ان صح انه لم يكون نبيا قبل هذه الواقعة ومن انكر الكرامات والارهاص لا بد ان يختار القول الاول لان احتباسه فى بطن

الحوت وعدم موته هناك لما لم يكون ارهاصا ولا كرامة لا بد أن يكون معجزة وذلك يقتضى ان يكون رسولا قبل هذه الواقعة

{ فجعله من الصالحين } من الكاملين فى الصلاح بأن عصمه من ان يفعل فعلا يكون تركه اولى روى انها نزلت بأحد حين هم رسول الله عليه السلام ان يدعو على المنهزمين فتكون الآية مدينة

وقيل حين اراد أن يدعو على ثقيف.

حق تعالى فرمودكه صبركن وآن دعا در توقف داركه كارها بصبر نيكوشود

كارها ازصبر كردد دلبسند ... خرم آن كزصبرباشد بهره مند

جون درافتادى بكر داب حرج ... صبركن ولاصبر مفتاح الفرج

دلت الآيات على فضيلة الصبر وعلى ان ترك الاولى يصدر من الانبياء عليهم السلام والا لما كان يونس عليه السلام مليما وعلى ان الندم على ما فرط من العبد والتضرع الى الله لذلك من وسائل الاكرام وعلى ان

توفيق الله نعمة باطنة منه وعلى ان الصلاح درجة عالية لا ينالها الا هل الاجتباء وعلى ان فعل العبد مخلوق لله لدلالةقوله فجعله من الصالحين على ان الصلاح انما يكون بجعل الله وخلقه وان كان للعبد مدخل فيه بسبب الكسب بصرف ارادته الجزئية والمعتزلة يأولونه تارة بالاخبار بصلاحه وتارة باللطف له حتى صلح لكنه مجاز والاصل هو الحقيقة.

٥١

{ وان } مخففة واللام دليلها

{ يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم } يقال الزلقه ازل جله يعنى لمغزانيد

{ لما سمعوا الذكر } لما ظرفية منصوبة بيزلقونك والمعنى انهم من شدة عداوتهم لك ينظرون اليك شزرا اى نظر الغضبان بمؤخر العين بحيث يكادون يزلون قدمك فيرمونك وقت سماعهم القرءآن وذلك لاشتداد بغضهم وحسدهم عند سماعه من قولهم نظر الى نظرا يكاد يصرعنى اى لو

أمكنه بنظره الصرع لفعله اوانهم يكادون يصيبونك بالعين قال فى كشف الاسرار الجمهور على هذا القول روى انه كان فى بنى اسد عيانون والعيان والمعيان والعيون شديد الاصابة بالعين وكان الواحد منهم اذا اراد ان يعين شيأ يتجوع له ثلاثة ايام ثم يتعرض له فيقول تالله ما رأيت احسن من هذا فيتساقط ذلك الشيء وكان الرجل منهم ينظر الى الناقة السمينة او البقرة السمينة ثم يعينها ثم يقول للجارية خذى المكتل والدرهم فأتينا بلحم من لحم هذه فما تبرح حتى تقع فتنحر والحاصل انه لا يمر به شئ فيقول فيه لم ار كاليوم مثله الاعانه وكان سببا لهلاكه وفساده فسأل الكفار من قريش من بعض من كانت له هذه الصفة ان يقول فى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ما رأيت مثله ولا مثل حججه.

تابر توجمال آن حضرت بآسيب عين الكمال از ساحت عالم محو سازد.

فقال فعصمه الله تعالى (وقال الكاشفى) حق تعالى براى عصمت وى از جشم بداين آيت را فرستاد.

قال الحسن البصرى قدس سره دوآء الاصابة بالعين ان تقرأ هذه الآية (كما قال الحافظ)

حضور مجلس انس است دوستان جمعند ... وان يكاد بخوانيد ودر فراز كنيد

وفى الاسرار المحمدية قل قيل ان فى هذه الآية خاصبة لدفع العين تعليقا وغسلا وشربا انتهى وفى الحديث (العين حق) اى اثرها فى المعين واقع قالوا ان الشئ لا يعان الا بعد كماله وكل كامل فانه يعقبه النقض بقضاء ولما كان ظهور القضاء بعد العين اضيف ذلك اليها ولما خاف يعقوب عليه السلام على اولاده من العين لانهم كانوا اعطوا جمالا وقوة وامتداد قامة وكانواولد رجل واحد قال يا بنى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبوا بمتفرقة فأمرهم ان يتفرقوا فى دخولها لئلا يصابوا بالعين وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يعوذ الحسن والحسين فيقول اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ويقول هكذا كان يعوذ ابراهيم اسمعيل واسحق عليهم السلام وعن عبادة بن

الصامت رضى الله عنه قال دخلت على رسول الله عليه السلام فى اول النهار فرأيته شديد الوجع ثم عدت اليه آخر النهار فوجدته معافى فقال

(ان جبريل اتانى فرقانى فقال بسم الله ارقيك من كل شئ يؤذيك ومن كل عين وحاسد الله يشفيك) قال عليه السلام (فأفقت) والرقية بالفارسية افسون كردن.

يقال رقاه الراقى رقيا ورقية اذا عوذه ونفث فى عوذته قالوا وانما تكره الرقية اذا كانت بغير لسان العرب ولا يدرى ما هو ولعله يدخله سحر او كفر

واما ما كان من القرءآن او شئ من الدعوات فلا بأس به كما فى المغرب للمطرزى ولا تختص العين بالانس بل تكون فى الجن ايضا

وقيل عيونهم انفذ من اسنة الرماح وعن ام سلمة رضى الله عنها ان النبى عليه السلام رأى فى بتيها جارية تشتكى وفى وجهها صفرة فقال

اسرتقوا لها فان بها النظرة وأراد بها العين اصابتها من الجن كما فى شرح المصابيح وفى الحديث (لو كان شئ يسبق القدر لسبقة العين) اى لو كان شئ مهلكا او مضرا بغير قضاء الله وقدره لكان العين اى اصابتها لشدة ضررها وعنه عليه السلام ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ومما يدفع العين ما روى ان عثمان رضى الله عنه رأى صبيا مليحا فقال دسموا نونته لئلا تصيبه العين اى سودوا نقرة ذقنه قالوا ومن هذا القبل نصب عظام الرؤوس فى المزارع والكروم ووجهه ان النظر الشؤم يقع عليها اولا فتنكر سورته فلا يظهر اثره ومن الشفاء من العين ان يقال على ماء فى اناء نظيف ويسقيه منه ويغسله عنس عابس بشهاب قابس رددت العين من المعين عليه والى احب الناس اليه فارجع لابصر هل ترى من فطور والفاتحة وآية الكرسى وست آيات الشفاء وهى ويشف صدور قوم مؤمنين شفاء لما فى الصدور فيه شفاء للناس ونتزل من القرءآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين واذا مرضت فهو يشفين قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء.

ومن الشفاء ان يؤمر العائن فيغتسل او يتوضأ بماء ثم يغتسل به المعين قيل وجه اصابة العين ان الناظر اذا نظر الى شئ واستحسنه ولم يرجع الى الله والى رؤية سنعه قد يحدث الله فى المنظور علة بجناية نظره على غفلة ابتلاء لعباده ليقول المحق انه من الله وغيره من غيره فيؤاخذ الناظر لكونه سببها ووجهها بعض بأن العائن قد ينبعث من عينه قوة سمية تتصل بالمعين فيهلك او يفسد كما قيل مثل ذلك فى بعض الحيات قال فى الاسرار المحمدية ذوات السموم تؤثر بكيفياتها الخبيثة الكامنة فيها بالقوة فمتى قابلت عدوها انبعثت منها قوة غضبية وتكيفت نفسها بكيفية خبيثة مؤذية ومثلها ما تشتد كيفيتها وتقوى حتى تؤثر فى اسقاط الجنين ومنها ما يؤثر فى طمس البصر ومنها ما يؤثر فى الانسان كيفيتها بمجرد الرؤية من غير اتصال به لشدة خبث تلك النفس وكيفيتها الخبيثة المؤثرة والتأثير غير موقوف على الاتصالات الجسمية بل بعضه بالمقابلة والرؤية كما اشتهر عن نوع من الافاعى انها اذا وقع بصرها على الانسان هلك فهو من هذا الجنس ولا يستبعد ان تنبعث من عين يعض الناس جواهر لطيفة

غير مرئية فتتصل بالمعين وتتخلل مسام جسمه اى ثقبه كالفم والمنخر

والاذن فيتضرر به واذا كانت النفوس مختلفة فى جواهرها وماهياتها لم يتمتنع

ايضا وبه يحصل الجواب عمن انكر اصابة العين وقال انها لا حقيقة لها

لان تأثير الجسم فى الجسم لا يعقل الا بواسطة المماسة ولا مماسة ههنا

فامتنع حصول التأثير انتهى وعقلاء الامم على اختلاف مللهم ونحلهم لا

تدفع امر العين ولا تنكره وبعض النفوس لا تحتاج الى المقابلة بل بتوجه

الروح ونحوه يحصل الضرر فربما يوصف الشئ للاعمى فتؤثر نفسه فيه

بالوصف من غير مقابلة ورؤية واذا قتلت ذوات لاسموم بعد لسعها خفَّ

اثر لسعها لان الجسد تكيف بكفية الاسم وصار قابلا للانحراف فما

دامت حية فان نفسها تمده بامتزاج الهوآء بنفسها وانتشاق الملسوع به قال

الجاحظ علماء الفرس والهند واطباء اليونانيين ودهاة العرب واهل التجربة

من المعتزلة وحذاق المتكلمين كانوا يكرهون الاكل بين يدى السباع يخافون

عيونها لما فيها من النهم والشره لما ينحل عند ذلك من اجوافها من البخار

الرديئ وينفصل من عيونها ما اذا خالط الانسان نقصه وافسده وكانوا

يكرهون قيام الخدم بالمذاب والاشربة على رؤوسهم مخافة العين وكانوا يأمرون ابتاعهم قبل ان يأكلوا ان يطردوا الكلب والسنور او يشغلوه بما يطرح له ومن هذا يعرف بعض اسرار قولهعليه السلام من اكل وذو عينين ينظر اليه ولم يواسه ابتلاء بدآء لا دوآء له وفائدة الرقى ان الروح اذا تكيفت به وقويت واستعانت بالنفث والتفل قابلت ذلك الا تر الذى حصل من النفوس الخبيثة والخواص الفاسدة فأزالته والحاصل ان الرقية بما ليس بشرك مشروعة لكن التحرز من العين لازم وانه واجب على كل مسلم اعجبه شئ ان يبرك ويقول تبارك الله احسن الخالقين اللهم بارك فيه فانه اذا دعا بالبركة صرف المحذور لا محالة ومن عرف باصابة العين منع من مداخلة الناس دفعا لضرره قال بعض العلماء يأمره الامام بلزوم بينه وان كان فقيرا رزقه ما يقوم به معاشه ويكف اذاه عن الناس

وقيل ينفى والاحتياط الامر بلزوم بيته دون الحبس والنفى وبهذا التقرير يعرف حال المجذومين ولذا اتخذوا لهم فى بعض البلاد مكانا مخصوصا بحيث لا يخالطون الناس ولا بشار كونهم فى محلاتهم وذكر الجاحظ ان

اعجب ما فى الدنيا ثلاثة البوم لا تظهر بالنهار خوفا ان تصيبها العين لحسنها قال فى حياة الحيوان ولما تصور فى نفسه انه احسن الحيوان لم يظهر الا بالليل والثانى الكركى لا يطار الارض بقدميه بل باحداهما فاذا وطئها لم يعتمد عليها خوفا ان تخسف الارض والثالث الطائر الذى يقعد على سواقى الماء من الانهار يعرف بمالك الحزين شبيه الكركى لا يشبع من الماء خشية ان يفنى فيموت عطشا ففى الاول اشارة الى ذم العجب وفى الثانى الى مدح الخوف وفى الثالث الى قدح الحرص فليعتبر العاقل من غير العاقل والسعيد من وعظ بغيره واخذ الاشارة من كل شئ نسأل الله البصيرة التامة بمنه

{ ويقولون } لغاية حيرتهم فى امره عليه السلام ونهاية جهلهم بما فى القرءآنه من بدائع العلوم لوتنفير الناس عنه والا فقد علموا انه اعقلهم

{ انه } عليه السلام

{ لمجنون } الظاهر أنه مثل قولهم يا أيها الذيي نزل عليه الذكر انك لمجنون (وقال الكاشفى) بدرستى كه اين مرد ديو كرفته يعنى باوجنى است كه اورا تعليم ميدهند.

كما قال الوليد ابن المغيرة معلم مجنون يعنى يأتيه رئئ من الجن فيعلمه وحيث كان مدار حكمهم الباطل ما سمعوا منه عليه السلام رد ذلك ببيان علو شأنه وسطوع برهانه فقيل

٥٢

{ وما هو الا ذكر للعالمين } على انه حال من فاعل يقولون مفيدة لغاية بطلان قولهم وتعجيب للسامعين من جرآءتهم على التفوه بتلك العظيمة اى يقولون ذلك والحال ان القرءآن ذكر للعالمين من الجن والانس اى تذكير وبيان لجميع ما يحتاجون اليه من امور دينهم فأين من انزل عليه ذلك وهو مطلع على اسراره طرا ومحيط بجميع حقائقه خبرا مما قالوا فى حقه من الجنون اى انه من اول الامور على كمال عقله وعلو

شأنه فمن نسب اليه القصور فانما هو من جهله وجنته فان الفضل لا يعرفه الا ذووه

اذا لم يكن للمرء عين صحيحة ... فلا غرو وان يرتاب والصحيح مسفر

وقيل معناه شرف وفضل لقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وفيه اشارة الى الالهام فانه ذكر لصاحبه ولمن اعتقده واقتدى به اذا الآثار باقية الى يوم القيامة

وقيل الضمير لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم وكونه ذكرا وشرفا للعالمين لا ريب فيه

اى شرف جمله عالم بتو ... روشنى ديده عالم بتو

وفيه اشارة الى سادات امته واركان دينه.

سُورَةُ الْحَاقَّةِ مَكِّيَّةٌ

وَهِيَ اثْنَتَانِ وَخَمْسُونَ آيَةً

١

{ الحاقة } هى من اسماء القيامة من حق يحق بالكسر اذا وجب وثبت لانها يحق اى يجب مجيئها ويثبت قوعها كما قال تعالى ان الساعة آتية لا ريب فيها فالاسناد حقيقى وقال الراغب فى المفردات لانها يحق فيها الجزآء فالاسناد مجاذى كنهاره صائم ونحو.

٢

{ ما الحاقة } الاصل ما هى اى اى شئ هى فى حالها وصفتها فان ما قد يطلب بها الصفة والحال فوضع الظاهر موضع المضمر تأكيد الهولها كما يقال زيد ما زيد على التعظيم لشأنه فقوله الحاقة مبتدأ وما مبتدأ ثان وما بعده خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول والرابط تكرير المبتدأ بلفظه هذا ما ذكروه فى اعراب هذه الجملة ونظائرها ومقتضى التحقيق أن يتكون ما الاستفهامية خبرا لما بعدها فان مناط الفائدة بيان أن الحاقة امر

بديع وخطب فظيع كما يفيده كون ما خبرا لا بيان ان امرا بديعا الحاقة كما يفيده كونه مبتدأ وكون الحاقة خبرا كذا فى الارشاد.

٣

{ وما أدراك } من الدراية بمعنى العلم يقال دراه ودرى به اى علم به من باب رمى وأدراه به اعلمه قال فى تاج المصادر الدراية والدرية والدرى دانستن ويعدى بالباء وبنفسه قال سيبويه وبالباء اكثر قوله ما مبتدأ وادراك خبره ولا مساغ ههنا للعكس والمعنى واى شئ اعلمك يا محمد وبالفارسية وجه حيز دانا كردانيدترا

{ ما الحاقة } جملة من مبتدأ وخبز فى موضع المفعول الثانى لأدراك والجملة الكبيرة تأكيد لهول الساعة وفظاعتها ببيان خروجها عن دآئرة علم المخلوقات على معنى ان اعظم شأنها ومدى هولها وشدتها بحيث لا يكاد تبلغه دراية احد ولا وهمه وكيفما قدرت حالها فهى اعظم من ذلك واعظم فلا يتسنى الاعلام

قال بعضهم ان النبى عليه السلام وان كان عالما بوقوعها ولكن لم يكن عالما بكمال كيفيتها ويحتمل أن يقال له عليه السلام اسماعا لغيره وفى التأويلات النجمية يشير بالحاقة الى التجلى الاحدى الاطلاقى فى مرءآة الواحدية المفنى للكل كما قال لمن الملك اليوم لله الواحد القهار بقهر سطوات انوار الاحدية جميع ظلمات التعينات الساترة اطلاق الذات المطلقة وسمى بالحاقة لثبوته فى ذاته وتحققه فى نفسه.

٤

{ كذبت ثمود } قوم صالح من الثمد وهو الماء القليل الذى لا مادة له

{ وعاد } قوم هود وهى قبيلة ايضا وتمنع كما فى القاموس

{ بالقارعة } من جملة اسماء الساعة ايضا لانها تقرع الناس اى تضرب بفنون الافزاع والاهوال اى تصيبهم بها كأنها تقرعهم بها والسماء بالانشقاق والانقطار والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم

بالطمس والانكدار ووضعت موضع ضمير الحاقة للدلالة على معنى القرع فيها زيادة فى وصف شدتها فان فى القارعة ما ليس فى الحاقة من الوصف يقال اصابتهم قوارع الدهر أى اهواله وشدآئده قيل منها قوارع القرءآن للآيات التى تقرأ حين الفزع من الجن والانس لقرع قلوب المؤمنين بذكر جلال الله والاستمداد من رحمته وحمايته مثل آية الكرسى ونحوها وفى الآية تخويف لاهل مكة من عاقبة تكذيبهم بالبعث والحشر.

٥

{ فاما ثمود } وكانوا عربا منازلهم بالحجر بين الشأم والحجاز يراها حجاج الشأم ذهابا وايابا

{ فاهلكوا } اى اهلكهم الله لتكذيبهم فأخبر عن الفعل لانه المراد دون الفاعل لانه معلوم

{ بالطاغية } اى بالصيحة التى جاوزت عن حد سائر الصيحات فى الشدة فرجفت منها الرض والقلوب وتزلزلت فاندفع ما يرى من

التعارض بين قوله تعالىفأخذتهم الرجفة وبين قوله تعالى فأخذتهم الصيحة والقصة واحدة وفى الآية اشارة الى اهل العلم الظاهر المحجوبين عن العلوم الحقيقية فانهم اهل العلم القليل كما ان ثمود اهل الماء القليل فلما كذبوا افناء اهل العلم الباطن من طريق السلوك اهلكهم الله بصاعقة نار البعد والاحتجاب فليس لهم صلاح فى الباطن وان كان لهم صلاح فى الظاهر وذلك لانهم لم يتبعوا صالحا من الصلحاء الحقيقيين فبقوا فى فساد النفس.

٦

{ واعما عاد } وكانت منازلهم بالاحقاف وهى الرمل بين عمان الى حضرموت واليمن وكانوا عربا ايضا ذوى بسطة فى الخلق وكان اطولهم مائة ذراع واقصرهم ستين واوسطهم ما بين ذلك وكان رأس الرجل منهك كالقبة يفرخ فى عينيه ومنخره السباع وتأخيره عن ثمود مع تقدمهم زمانا من قبيل الترقى من الضال الشديد الى الاضل الاشد

{ فأهلكوا بريح } هى الدبور لقوله عليه السلام (نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور)

{ صرص } اى شديدة الصوت لها صرصرة فى هبوبها وهى بالفارسية بانك كردن بازوجرغ وآنجه بدان ماند.

او شديدة البرد تحرق ببردها النبات والحرث فان الصر بالكسر شدة البرد

{ عاتية } مجاوزة للحد فى شدة العصن كانها عتت على خزانها فلم يتمكنوا من ضبطها والرياح مسخرة لميكائيل تهب باذنه وتنقطع باذنه وله اعوان كأعوان ملك الموت روى انه ما يخرج من الريح شئ الا بقدر معلوم ولم اشتد غضب الله على قوم عاد أصابتهم ريح خارجة عن ضبط الخزان ولذلك سميت عاتية او المعنى عاتية على عاد فلم يقدروا على ردها بحيلة من استتار ببناء او لياذ بجبل او اختفاء فى حفرة فانها كانت تنزعهم من مكامنهم وتهلكهم.

{ سخرها عليهم } التسخير سوق الشئ الى الغرض المختص به قهرا والمسخر هو المقيض للفعل والمعنى سلط الله تلك الريح الموصوفة على قوم عاد بقدرته القاهرة كما شاء الظاهر أنه صفة اخرى ويقال استئاف لدفع ما يتوهم من كونها باتصالات فلكية مع انه لو كان كذلك لكان بتسببه وتقديره فلا يخرج من تسخيره تعالى

{ سبع ليلا } منصوب على الظرفية لقوله سخرها انت العدد لكون الليالى جمع ليلة وهى مؤنث فتبع مفرد موصوفة يقال ليل وليلة ولا يقال يوم ويوم وكذا نهارة وتجمع الليلة على الليالى بزيادة الياء على غير القياس فيحذف ياؤها حالة التنكير بالاعلال مثل الاهالى والاهال فى جمع اهل الاحالة النصب نحو قوله تعالى سيروا فيها ليالى واياما آمنين لانه غير منصرف والفتح خفيف

{ وثمانية ايام } ذكر العدد لكون الايام جمع يوم وهو مذكر

{ حسوما } جمع حاسم كشهود جمع شاهد وهو حال من مفعول سخرها بمعنى حاسمات عبر عن الريح الصرصر بلفظ الجمع لتكثرها باعتبار وقوعها فى تلك الليالى والايام وقال بعضهم صفة لما قبله (كما قال الكاشفى) روزها وشبهاى متوالى.

والمعنى على الاول حال كون تلك الريح متتابعات ما خفق هبوبها فى تلك المدة ساعة حتى اهلكتهم تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم فى اعادة الكى على دآء الدابة مرة بعد أخرى حتى ينحسم وينقطع الدم كما قال فى تاج المصادر الحسم بريدون وبيوسته داغ كردن . فهو من استعمال المقيد فى المطلق اذا لحسم هو تتابع الكى اونحسات حسمت كل خير واستأصلته او قاطعات قطعت دابرهم والحاصل ان تلك الرياح فيها ثلاث حبثيات الاولى تتابع هبوبها والثانة كونها قاطعة لكل خير ومستأصلة لكل بركة اتت عليها والثالثة كونها قاطعة دابرهم فسميت حوسما بمعنى حاسمات او تشبيهات لها بمن يحسم الدآء فى تتابع الفعل

واما لان الحسم فى اللغة القطع والاستئصال وسمى السيف حساما
لانه يحسم العدو عما يريده من بلوغ عداوته وهى كانت ايام برد العجوز
من صبيحة الاربعاء لثمان بقين من شوال ويقال آخر أسبوع من شهر
صفر الى غروب الاربعاء الآخر وهو آخشر الشهر وعن ابن عباس رضى
الله عنه برفعه آخر أربعاء فى الشهر يوم نحس مستمر وانما سميت عجوزا
لان عجوزا من عادتوارت فى سرب اى فى بيت فى الارض فانتزعتها الريح
فى اليوم الثامن فأهلكتها

وقيل هى اليام العجز وهى آخر الشتاء ذات برد ورياح شديدة
فمن نظر الى الاول قال برد العجوز ومن نظر الى الثانى قال برد العجز
وفى روضة الاخبار رغبت عجوز الى اولادها أن يزوجوها وكان لها سبعة
بنين فقالوا الى أن تصبرى على البرد عارية لكل واحد من الليلة ففعلت
فلما كانت فى السابعة ماتت فسميت تلك الايام ايام العجوز واسماء هذه
الايام الصن وهو بالكسر اول ايام العجوز كما فى القاموس والصنبر وهى

لريح الباردة والثانى من ايام العجوز كما فى القاموس والوبر وهو ثالث ايم العجوز فى القاموس

وقيل مكفئ الظعن اى مميلها وهو جمع ظعينه وهو الهودج فيه امرأة ام لا والآمر والمؤتمر قال فى القاموس آمر ومؤتمر آخر ايام العجوز قال الشاعر

كسع الشتاء بسبعة غبر ... ايام شهلتنا من الشهر

فاذا انقضعت ايام شهلتنا ... بالصن والصنبر واوبر

وبآمر واخيه مؤتمر ومعلل بومطفئ الجمر ذهب الشتاء موليا هاربا ... وأتتك موقدة من الحر

قال فى الكواشى ولم يسم الثامن لان هلاكهم واهلاكها كان فيه وفى عين المعانى ان الاثمن هو مكفئ الظعن ثم قال فى الكواشى ويجوز انها سميت ايام العجوز لعجزهم عما حل بهم فيها ولم يسم الثامن على هذا لاهلاكهم فيه والذى لم يسم هو الاول وان كان العذاب واقعا فى ابتدآئه

لان ليلته غير مذكورة فلم يسم اليوم تبعا للتلة لان التاريخ يكون بالليالى دون الايام فالصن ثانى الايام الثمانية اول الايام المذكورة لياليها انتهى.

يقول الفقير سر العدد أن عمر الدنيا بالنسبة الى الانس سبعة ايام من ايام الآخرة وفى اليوم الثامن تقع القيامة ويعم الهلاك ثم فى الليالى السبع اشارة الى لليالى البشرية الساترة للصفات السبع الالهية التى هى الحياة والعلم والارادة والقدرة والسمع والبصر والكل وفى الايام اشارة الى الايام الكاشفات للصفات الثمان الطبيعية وهى الغضب والشهوة والحقد والحسد والبخل والجبن والعجب والشره التى تقطع امور احق واحكامه من الخيرات والمبرات يعنى قاطعات كل خير وبر وقال القاشانى

واما عاد المغالون المجاوزون حد الشرآئع بالزندقة والاباحة فى التوحيد فأهلكوا بريح هوى النفس الباردة بجمود الطبيعة وعدم حرارة الشوق والعشق العاتية اى الشديدة الغالبة عليم الذاهبة بهم فى اودبة الهلاك سخرها الله عليهم فى مراب الغيوب السبع التى هى لياليهم لاحتجابهم عنها والصفات الثمان الظاهرة لهم كالايام وهى الوجود والحياة والعلم

والقدرة والسمع والبصر والتكلم على ما ظهر منهم وما بطن تقطعهم وتستأصلهم

{ فترى } يا محمد او يامن شأنه أن يرى ويبصر ان كنت حاضرا حينئذ

{ القوم } اى قوم عاد فاللام للعهد وبالفارسية بس توميديدى قوم عاد را اكر حاضر مى بودى

{ فيها } اى فى محال هبوب تلك الريح او فى تلك الليالى والايام ورجحة او حيان للقرب وصراحة الذكر

{ صرعى } موتى جمع صريع كقتلى وقتيل حال من القوم لان الروية بصرية ولرصيع بمعنى مصروع اى مطروح على الارض ساقط لان الصرع الطرح وقد صرعوا بموتهم

{ كأنهم } كوبيا ايشان ازعظم اجسام

{ اعجاز نخل } بيخهاى درخت خرما اند.

الكاف فى موضع الحال اما من القوم على قول من جوز حالين

من ذى حال واحد او من المنوى فى صرعى عند من لم يجوز

ذلك اى مصروعين مشبهين باصول نخل كما قال فى القاموس العجز مثلثة

وكندس وكتف مؤخر الشئ واعجاز النخل اصولها انتهى والنخل اسم

جنس مفرد لفظا وجمع معنى واحدتها نخلة

{ خاوية } اصل الخوى الخلاء يقال خوى بطنه من

الطعام اى خلا والمعنى متأكلة الاجواف خالتتها لا شئ فيها يعنى انهم

متساقطون على الارض امواتا طوالا غلاظا كأنهم اصول نخل مجوفة بلا

فروع شبهوا بها من حيث ان ابدانهم خوت وخلت من ارواحهم كالنخل

الخاوية

وقيل كانت الريخ تدخل من افواهم فتخرج ما فى اجوافهم من

ادبارهم فصاروا كالنخل الخاوية ففيه اشارة الى عظم خلفهم وضخامة

اجسادهم ولذا كانوا يقولون من اشد منا قوة والى الذ الريح ابلتهم فصاروا

كالنخل الموصوفة وفيه اشارة الى ان اهل النفس موتى لا حياء حقيقية لهم

لانهم قائمون بالنفس لا بالله كما قال كأنهم خشب مسندة كأنهم أعجاز نخل اى اقوياء بحسب الصورة لا معنى فيهم ولا حياة ساقطة عن درجة الاعتبار والوجود الحقيقى اذ لا نقوم بالله والى ان النفس وصفاتها مجوفة ليس لهها بقاء انما هو بفيض الروح يعنى ان الذى رش عليه من رطوبة الروح حى باذن الله وصلح قابلا للصفات الالهية والامات وفسد.

٨

{ فهل ترى لهم من باقية } الاستفهام لانكار الرؤية والباقية اسم كالبقية لا وصف والتاء للنقل الاسمية ومن زآئدة وباقية مفعول ترى اى ما ترى منهم بقية من صغارهم وكبارهم وذكورهم واناثهم غير المؤمنين ويجوز أن يكون صفة موصوف محذوف بمعنى نفس باقية او مصدرا بمعنى البقاء كالكاذبة والطاغية والبقاء ثبات الشئ على الحالة الاولى وهو يضاد الفناء

مقرراست كه بودند برزمانه بسى ... شهان تخت نشين خسروان شاه نشان

جوعاصفات قضا ازمهب قهر وزيد ... شدند خاك وازان خاك

نيزنيست نشان

فعلى العاقل أن يجتهد حتى يبقى فى الدنيا بالعمر الثانى كما دل

عليه قوله تعالى حكاية ابراهيم الخليل عليه السلام واجعل لى لسان صدق

فى الآخرين على ان الحياة الباقية الحقيقية هى ما حصلت بالتجلى الالهى

والفيض المآلى الكلى نسأل الله سبحانه أن يفيض علينا سجال فيضه

وجوده بحرمة اسمائه وصفاته ووجوب وجوده.

٩

{ وجاء فرعون } اى فرعون موسى افرده بالذكر لغاية علوه

واستكباره

{ ومن قبله } ومن تقدمه من الكفرة غير عادو ثمود فهو من قبيل

التعميم بعد التخصيص ومن صولة وقبل نقيض بعد وقرأ او عمرو ويعقوب

والكسائى قبله بكسر القاف وفتح الباء بمعنى ومن معه من القبط من اهل مصرف

{ والمؤتفكات } اى قرى قوم لوط اى اهلها لانها عطفت على ما قبلها من فرعون ومن قبله يقال افكه عن الشئ اى قلبه وائتفكت البلدة بأهلها اى انقلبت والله تعالى قلب قرى قوم لوط عليهم فهى المنقلبات بالخسف وهى خمس قريات صعبة وصعده وعمره ودوماسدوم وهى اعظم القرى ثم هذا من قبيل التخصيص بعد التعميم للتتميم لان قوم لوط اتوا بفاحشة ما سبقهم بها من احد من العالمين

{ بالخاطئة } الباء للملابسة والتعدية وهو الاظهر اى بالخطأ او بالغفلة او الافعال ذات الخطأ العظيم التى من جملتها تكذيب البعث والقيامة فالخاطئة على الاولمصدر كالعاقبة وعلى الاخيرين صفة لمحذوف والبناء للنسبة على التجريد والاظهر انه من المجاز العقلى كشعر شاعر.

{ فعصوا رسول ربهم } اى فعصى كل امة رسولهم حين نهاهم عما كانوا يتعاطونه من القبائح فالرسول هنا بمعنى الجمع لان فعولا وفعيلا يستوى فيهما المذكر والمؤنث والواحد والجمع فهو من مقابلة الجمع بالجمع المستدعية لانقسام الآحاد على الاماد فالاضافة ليست للعهد بل للجنس

{ فأخذهم } اى الله تعالى بالعقوبة اى كل قوم منهم

{ اخذه رابية } اى زآئدة فى الشدة على عقوبات سائر الكفار أو على القدر المعروف عن الناس لما زادت معاصيهم فى القبح على معاصى سائر الكفرة أغرق من كذب نوحا وهم كل اهل الارض غير من ركب معه فى السفينة وحمل مدائن لوط بعد ان نتقها من الارض على متن الريح بواسطة من امره بذلك من الملائكة ثم قلبها واتبعها الحجارة وخسف بها وغمرها بالماء المنتهن الذى ليس فى الارض ما يشبه واغرق رعون وجنوده ايضا فى بحر القلزم او فى النيل وهكذا عوقب كل امة عاصية

بحسب اعمالهم القبيحة وجوزيت جزآء وفاقا وفى كل ذلك تخويف لقريش وتحذير لهم عن التكذيب وفيه عبرة موقظة لأولى الالباب يقال ربا الشئ يربوا اذا زاد ومنه الربا الشرعى وهو الفضل الذى يأخذه آكل الرا زآئدا على ما أعطاه

١١

{ انا لما طغى الماء } المعهود وقت الطوفان اى جاوز حده المعتاد حتى رتفع على كل شئ خمسمائة ذراع وقال بعضهم ارتفع على ارفع جبل فى الدنيا خمسة عشر ذاعا او حده فى المعاملة مع خزانه من املالائكة بحيث لم يقدروا على ضبطه وذلك الطغيان ومجاوزة الحد بسبب اصرار قوم نوح على فنون الكفر والمعاصى زمبالغتهم فى تكذيبه فما اوحى اليه من الاحكام التى جملتها احوال القيامة فانتقم الله منهم بالاغراق

{ حملناكم } ايها الناس اى حملنا آباءكم وانتم فى اصلابهم فكأنكم محمولون باشخاصكم وفيه تنبيه على المنة فى الحمل لان نجاة آبائهم سبب ولادتهم

{ فى الجارية } يعنى فى سفينة نوح لان من شأنها أن تجرى على الماء والمراد بحملهم فيها رفعهم فوق الماء الى انقضاء ايام الطوفان لا مجرد رفعهم الى السفينة كما يعرب عنه كلمة فى فانها ليست بصلة للحمل بل متعلقة بمحذوف هو حال من مفعوله اى رفعناكم فوق الماء وحفظناكم حال كونكم فى السفينة الجارية بأمرنا وحفظنا من غير غرق وخرق وفيه تنبيه على ان مدار نجاتهم محض عصمته تعالى وانما السفينة سبب صورى.

١٢

{ لنجعلها } اى لنجعل الفعلة التى هى عبارة عن انجاء المؤمنين واغراق الكافرين

{ لكم تذكرة } عبرة ودلالة على كمال قدرة الصانع وحكمته وقوة قهره وسعة رحمته فضمر لنجعلها الى المفعلة والقصة بدلالة ما بعد الآية من الوعى (وقالالكاشفى) ن كردانيم آن كشتى را براى شمايندى وعبرتى درنجات مؤمنا وهلاك كافران وفى كشف الاسرار تا آنرا يادكارى كنيم تاجهان بود.

وقد ادرك السفينة اوآئل هذه الامة وكان ألوحها على الجودى

{ وتعيها } اى تحفظها وبالفارسية ونكاه دارداين بندرا.

والوعى أن تحفظ العلم ووعيت الشئ فى نفسك يقال وعيت ما قلته ومنه ما قال عليه السلام (لا خير فى العيش الا لعالم ناطق ومستمع واع والايعاء أن تحفظه فى غير نفسك) من وعاء يقال اوعيت المتاع فى الوعاء منه ما قال عليه السلام لا سيما بنت أبى بكر رضى الله عنهما لا توعى فيوعى الله عليك ارضخى ما استطعت وقال الشاعر

الخير يبقى وان طال الزمان به ... والشر أخبث ما اوعيت من زاد

{ اذن واعة } اى اذن من شأنها أن تحفظ مايجب حفظه بتذكره والتفكر فيه ولا تضيعه بترك العمل به يقال الوعى فعل القلب ولكن الآذان تؤدى الحديث الى القلوب الواعية فنعتت الآذن بنعت القلوب (وفى البستان)

وكرنيستى سعى جاسوس كوش ... خبركى رسيدى بسلطان هوش

والتنكير والتوحيد حيث لم يقل الآذان الواعية للدلالة على قلتها وان من هذا شأنه مع قلته يتسبب لنجاة الجم الغفير وادامة نسلهم يعنى ان من وعى هذه القصة انما يعيها ويحفظها لاجل أن يذكرها للناس ويرغبهم فى الايمان المنجى ويحذرهم عن الكر المردى فيكون سببا للنجاة والادامة المذكورتين قال فى الكشاف الاذن الواحدة اذا وعت وعقلت عن الله فهى السواد الاعظم عند الله وان ما ساواها لا يبالى بهم وان ملأ وا ما بين الخافقين وفى الحديث (فلح من جعل الله له قلبا واعيا) وعن النبى عليه السلامانه قال لعلى رضى الله عنه عند نزول هذه الآية سألت الله أن يجعلها اذنك يا على قال على فما نسيت شيأ بعد وما كان لى ان أنسى

اذ هو الحافظ للاسرار الالهية وقد قال ولدت على الفطرة وسبقت الى الايمان والهجرة وفى رواية اخذ بأذن على بن ابى طالب وقال هى هذه ذكره النقاش

كرجه ناصح را بود صدداعيه ... بندرا اذنى بايد واعيه

كرنبودى كوشهاى غيب كير ... وحى ناوردى زكردون يك بشير

قال بعضهم تلك آذان اسمعها الله فى الازل خطابه فهى واعة تعى من الحق كل خطاب وعن أبى هريرة انه قيل لى انك تكثر رواية الحايث وغيرك لا بروى مثلك فقلت ان المهاجرين والانصار كان شغلهم عمل اموالهم وكنت امرأ مسكينا ألزم رسول الله وأقنع بقوتى وقال عليه السلام يوما من ال ايام انه لن يبسط احد ثوبه حتى اقضى مقالتى ثم يجمع اليه ثوبه الاوعى ما اقول فبسطت نمرة على حتى اذا قضى مقالته جمعتها الى صدرى فما نسيت من مقالته عليه السلام شيأ وفيه اشارة الى تأثير

حسن المقال وفائدته والا لكان دعاؤه عليه السلام كافيا فى وعيه كما وقع لأمير المؤمنين رضى الله عنه.

١٣

{ فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة } شروع فى بيان نفس الحاقة وكيفية وقوعها اثر بيان عظم شأنها باهلاك مكذبيها والنفخ ارسال الريح من الفم وبالفارسيةدميدن.

والصور قرن من نور أوسع من السموات ينفخ فيه اسرافيل بأمر الله فيحدث صوت عظيم فاذا سمع الناس ذلك الصوت يصيحون ثم يموتون الا من شاء الله والمصدر المبهم هو الذى يكون لمجرد التأكيد وان كان لا يقام مقام الفاعل فلا يقال ضرب ضرب اذ لا يفيد امرا زآئدا على مدلول الفعل الانه حسن اسناد افعل فى الآية الى المصدر وهو النفخة لكونها نفخا مقيدا بالوحدة والمرة لا نفخا مجردا مبهما والمراد بها ههنا النفخة الاولى التى لا عندها حيوان الا مات ويكون عندها خراب العالم

لما دل عليه الحمل والدك الآتيان والكشاف فان قلت هما نفختان فلم قيل واحدة قلت معناه انها لا تثنى ى وقتها انتهى يعنى ان حدوث الامر العظيم بالنفخة وعلى عقبها انما استعظم من حيث وقوع النفخ مرة واحدة لا من حيث انه نفخ فنيه على ذلك بقوله واحدة وفى كشف الاسرار ذكر الواحدة للتأكيد لان النفخة لا تكون الا واحدة.

١٤

{ وحملت الارض والجبال } اى قلعت ورفعت من اماكنها بمجرد القدرة الالهية او بتوسط الزلزلة والريح العاصفة فان الريح من قوة عصفها تحمل الارض والجبال كما حملت ارض وجود قوم عاد وجبال جمالهم مع هوادجها

{ فدكتا دكتة واحدة } اى فضربت الجملتان جملة الارضين وجملة الجبال اثر رفعها بعضها ببعض ضربة واحدة بلا احتياج الى تكرار الضرب وتثنية الدق حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا والا فالظاهر قد

ككن دكة واحدة لاسناد الفعل الى الارض والجبال وهى امور متعددة ونظيره قوله تعالى ان السموات والارض كانتا رتقا حيث لم يقل كن والدك ابلغ من الدق وفى الصحاح الدك الدق وقد دكه اذا ضربه وكسره حتى سواه بالارض وبابه رد وفى المفردات الدك الارض اللينة السهلة ودكت الجبال دكا اى جعلت بمنزلة الارض اللينة ومنه الدكان.

١٥

{ فيومئذ } اى فحينئذ وهو منصوب بقوله

{ وقعت الواقعة } هى من اسماء القيامة بالغلبة لتحقق وقوعها وبهذا الاعتبار اسند اليه وقعت اى اذا كان الامر كذلك قامت القيامة التى توعدون بها او نزلت النازلة العظيمة التى هى صيحة القيامة وهو جواب لقوله فاذا نفخ فى الصور ويومئذ بدل من اذا كرر لطول الكلام والعامل فيهما وقعت.

١٦

{ وانشقت السماء } وآسمان برشكافت ازطرف مجره . يعنى انفرجت لنزول الملائكة لامر عظيم أراده الله كما قال يوم تشقق السماء بالعمام ونزل الملائكة تنزيلا اوبسبب شدة ذلك اليوم وهو معطوف على وقعت

{ فهى } اى السماء

{ يومئذ } ظرف لقوله

{ واهية } ضعيفة مسترخية ساقطة القوة جدا كالغزل المنقوض بعدما كانت محكمة مستمسكة وان كانت قابلة للخرق والالتئام يقال وهى البناء يهى وهيا فهو واه اذا ضعف جدا قال فى القاموس وهى كوعى وولى تخرق وانشق واسترخى رباطه وفى المفردات الوهى شق فى الديم والثوب ونحوهما.

١٧

{ والملك } اى الخلق المعروف بالملك وهو أعم من الملائكة ألا ترى الى قولك ما من ملك الا وهو شاهد اعم من قولك ما من ملائكة

{على ارجائها } اى جوانب السماء جمع رجى بالقصر وهى جملة حالية ويحتمل ان تعطف على ما قبلها كذا قالوا المعنى تنشق السماء التى هى مساكنهم فيلجأون الى اكنافها وحافاتها قالوا وقوفهم لحظة على ارجائها وموتهم بعدها فان الملائكة يموتون عند النفخة الاولى لا ينافى التعقيب المدلول عليه بالفاء وقد يقال انهم هم المستثنونبقوله الا من شاء الله اى ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا الملائكة ونحوهم قال المولى الفنارى فى تفسير الفاتحة فاذا وهت السماء نزلت ملائكتها على ارجائها فيرون اهل الارض خلقا عظيما اضعاف ما هم عليه عددا فيتخيلون ان الله نزل فيهم الما يرون من عظم الملائكة مما لم يشاهدوه من قبل فيقولون افيكم ربنا فيقول الملائكة سبحان ربنا ليس فينا وهو آت فيصطف الملائكة صفا مستديرا على نواحى الارض محيطين بعالمى الانس والجن وهؤلاء هم عمار السماء الدنيا ثم ينزل اهل السماء

الثانية بعدما يقبضها الله ايضا ويرمى بكوكبها فى النار وهو المسمى كاتبا وهم اكثر عددا من اهل السماء الدنيا فيقول الخلائق افيكم ربنا فيفزع الملائكة فيقولون سبحان ربنا ليس هو فينا وهو آت فيفعلون فعل الاولين من الملائكة يصطفون خلفهم صفا ثانيا مستديرا ثم ينزل اهل السماء الثالثة ويرمى بكوكبها المسمى زهرة فى النار فيقبضها الله بيمينه فيقول الخلائق افيكم ربنا فتقول الملائكة سبحان دينا ليس هو فينا وهو آن فلا يزال الامر هكذا سماء بعد سماء حتى ينزل اهل السماء السابعة فيرون خقا اكثر من جميع من نزل فيقول الخلائق افيكم ربنا فيقول الملائكة سبحان ربنا قد جاء ربنا وان كان وعد ربنا لمفعولا فيأتى الله فى ظلل من الغام والملائكة على المجنبة اليسرى منهم ويكون اتيانه اتيان الملك فانه يقول ملك يوم الدين وهو ذلك اليوم فسمى بالملك ويصطف الملائكة عليه سبعة صفوف محيطة بالخلائق فاذا ابصر الخلائق جهنم لها فوران وغيظ على الجبابرة المتكبرين يفرون بأجمعهم منها لعظم ما يرونه خوفا وفزعا وهو الفزع الاكبر الا الطائفة التى لا يحزنهم الفزع الاكبر فتتلقاهم الملائكة هذا

يومكم الذى كنتم توعدون فهم الآمنون مع النبيين على انفسهم غير ان

النبيين يفزعون على اممهم للشفقة التى جبنلهم الله عليه للخق فليقولون فى

ذلك سلم سلم وكان قد أمر أن ينصل للآمنين من خلقه منابر من نور

متفاضلة بحسب منازلهم فى الموقف فيجلسون عيلها آمنين مبشرين وذلك

قبل مجيئ الرب تعالى فاذا فر الناس خوفا من جهنم يجدون الملائكة صفوفا

لا يتجاوزونهم فتطردهم الملائكة وزرة الملك الحق سبحانه وتعالى الى الحشر

فيناديهم انبياؤهم ارجعوا ارجعوا او ينادى بعضهم بعضا فهو قول الله تعالى

فيما يقول رسول الله عليه السلام

(انى اخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين مالكم من الله

من عاصم) انتهى.

يقول الفقير دل هذا البيان على ان المراد بالوهى سقوط السماء

على الارض التى تسمى بالساهرة وان نزول الملائكة على ارجاء السماء

لا يكون يوم يقوم الناس من قبورهم بالنفخة الثانية وان ذكر فى اثناء

النفخة الاولى كما دل عليه ما بعد الآية من حمل العرش والارض اللذين

انما يكونان بعد النفخة الثانية وان معنى نزولهم طرد الخلق ونحوه كما قال تعالى لا تنفذون الا بسلطان اى لا تقصدون مهربا الا وهناك لى اعوان ولى به سلطان

{ ويحمل عرش ربك } وهو الفلك التاسع وهو جسم عظيم لا علم عظمه الا الله تعالى لانه فى الآفاق بمنزلة لقلب فى الانفس والقلب اوسع شئ لما وسع الله كمافى الحديث وكان عرش الرحمن والفائدة فى ذكر العرش عقيب ما تقدم ان العرش بحاله خلاف السماء والارض ولذلك لا يفنى وايضا له وجه آخر سيأتى وعن على بنالحسن رضى الله عنهما قال ان الله خلق العرش رابعا لم يخلق قبله الا ثلاثة الهوآء والقلم والنور ثم خلق العرش من انوار مختلفة من ذلك نور أخضر منه اخضرت الخضرة ونور أصفر منه اصفرت الصفرة ونورأحمر منه احمرت الحمرة ونور أبيض وهو نور الانوار ومنه ضوء النهار قال بعض الكبار الانوار الاربعة على عدد المراتب الاربع فاذا اعطى الانوار يعطى فى مرتبة الطبيعة نورا اسود وفى مرتبة النفس نورا احمر وفى مرتبة الروح نورا اخضر وفى مرتبة السر نور ابيض

{ فوقهم } اى فوق الملائكة الذين هم على الارجاء او فوق الثمانية اى يحملون العرش فوق انفسهم فالمحمول لا يلزم ان يكون فوق الحامل فقد يكون فى يده وقد يكون فى جيبه فكل واحد من قوله فوقهم ويومئذ ظرف لقوله يحمل حينئذ

واما على التقدير الاول فالظاهر أن فوقهم حال من ثمانية قدمت عليها لكونها نكرة

{ يومئذ } اى يوم القيامة

{ ثمانية } من الملائكة عن النبى عليه السلام هم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة ايدهم الله باربعة اخرى فيكون ثمانية قال بعض العلماء الاربعة اللاحقة اشارة الى الأئمة الاربعة الذين هم أبو حنيفة والشافعى ومالك واحمد لانهم اليوم حملة الشرع فاذا كان يوم القيامة انقلب الشرع والعرش فيكونون من حملته حكما وروى ثمانية املاك ارجلهم فى تخوم الارض الاسبعة والعرش فوق رؤوسهم وهم مطرقون مسبحون

قال عليه السلام (اذن لى ان احدث عن ملك من حملة العرش من شحمة اذنه الى عاتقه خفقان الطير مسيرة سبعمائة سنة)

يقول سبحانك حيث كتت قال يحي بن سلام يبلغنى ان اسمه زوقيل وعن الحسن البصرى قدس سره ثمانية اى ثمانية آلاف وعن الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم عددهم الا الله يقول الفقير الانسب هو الاول لكونه أدخل فى العظمة والهيبة واظهار والقدرة ولان الاركان اربعة كاركان الكعبة واركان القلب اذ فى يمين القلب الروح والسر وفى يساره النفس والطبيعة وباعتبار الظاهر والباطن يحصل ثمانية آلاف اذا لالف تفصيل الواحد بحيث لا تفصيل ورآءه الا باعتبار التضعيف والله اعلم ومر فى اوآئل سورة حم المؤمن بعض ما يتعلق بهذا المقام فلا نعيده وفى التأويلات النجمية يشير الى عرش الذات الحاملة للصفات الثمانية الذاتية الغيبية التى هى مفاتيح الغيب الموصوفة بحمل ذوات الصفات والصفات تحمل ظهورات الصفات فافهم.

١٨

{ يومئذ } العامل فيه قوله

{ تعرضون } على الله اى تسألون وتحاسبون عبر عنه بذلك تشبيها له بعرض لاسكان العسكر لتعرف احوالهم يقال عرض الجند اذا امرهم عليه ونظر ما حالهم والخطاب عام للكل على الغليب (روى) ان فى يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ

واما الثالثة ففيها تنشر الكتب فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك بشماله وهذا العرض وان كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم اسما لزمان متسع يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وادخال اهل الجنة الجنة واهل النار النار صح جعله ظرفا للكل كما تقول جئت عام كذا وانما كان مجيئك فى وقت واحد من اوقاته وذهب المشبهة من حمل العرش والعرش الى كونه تعالى محمولا حاضرا فى العرش واجيب بانه تمثيل لعظمة الله بما يشاهد من احوال السلاطين يوم بروزهم للقضاء العام فيكون المراد من اتيانه تعالى فى ظلل من الغمام بيان امره وقضائه

واما حديث التحول فمحمول على ظهوره تعالى فى مرتبة الصفات ولا مناقشة فيه لان النبى عليه السلام رآه ليلة المعراج فى صورة شاب امرد لان الصورة الانسانية اجمع الصور ومثله الرؤيا المنامية والله تعالى منزه فى ذاته عن اوصاف الجسمانيات

{ لا تخفى منكم خافية } حال من مرفوع تعرضون ومنكم كان فى الاصل صفة لخافية قدم للفاصلة فتحول حالا اى تعرضون غير خاف عليه تعالى فعلة خفية اىسر من اسراركم وانما العرض لافشاء الحال والمبالغة فى العدل وغير خاف يومئذ على الناس كقوله تعالى يوم تبلى السرائر فقوله منكم يتعلق بما قبله وما بعده على التجاذب(قال فى الكشاف) خافية اى سريرة وحال كانت تخفى فى الدنيا بستر الله عليكم والسر والسريرة الذى يكتم ويخفى فتظهر يوم القيامة احوال المؤمنين فيتكامل بذلك سرورهم وتظهر احوال غيرهم فيحصل الحزن والافتضاح ففى الآية زجر عظيم عن المعصية لتأديها الا الافتضاح على رؤوس الخلائق فقلب

الانسان ينبغى ان يكون بحال لو وضع فى طبق وأدير على الناس لما وجد فيه ما يورث الخجالة وهو صفة اهل الاخلاص والنصيحة.

١٩

{ فاما } تفصيل لاحكام العرض

{ من } موصولة

{ اوتى كتابه } اى مكتوبه الذى كتبت الحفظة فيه تفاصيل اعماله

{ بيمينه } تعظيما له لان اليمين يتيمن بما والباء بمعنى فى اول للالصاق وهو الاوجه والمراد منهم الابرار فان ال مقربين لا كتاب لهم ولا حساب لهم لمكانتهم من الله تعالى وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه عليه السلام قال (اول من يعطى كتابه بيمينه من هذه الامة عمر بن الخطاب وله شعاع كشعاع الشمس) قيل له فأين أبو بكر فقال (هيهات زفته الملائكة الى الجنة)

يقول الفقير لعل هذا مكافاة له حين اخذ سيفه بيده وخرج من دار الارقم وهو يظهر الاسلام على ملأ من قريش فبسيفه ظهر الاسلام فرضى الله عنه وعن مجيبه وفى الحديث اثبت احد فانما عليك نبي والصديق وشهيدان وكان عليه رسول عليه السلام وأبو بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم فتحرك فقاله دل الحديث على انه رتبة أبي بكر فوق رتبة غيره لان الصديقية تلى النبة

{ فيقول } فرحا وسرورا فانه لما اوتى كتابه بمينه علم انه من الناجين من النار ومن الفائزين بالجنة يا اهل بيتى وقرابتى واصحابى كتابى وتناولوه اقرأ واكتابى زيرا در اينجا عملى نيست كه از اظهار آن شرم دارم ودر تبيان آورده كه اين كتاب ديكر است بغير كتاب اعمل كه نوشته ودراو بشارت جنت است وبس جه كتاب حفظ ميان بنده وخدا وندست وكسى آنرانه بيند ونه خواند.

وفى الخبر حسنات المؤمن فى ظاهر كتابه وسيئاته فى باطنه لا يراها الا هو فاذا انتهى يرى مكتوبا فقد غفر تهالك فاقلب فيرى فى الظاهر قد

قبلتها منك فيقول من فرط السرور هاؤهم اقرأوا كتابيه اى هلموا اصحابى
كما فى عين المعانى يقال هاء يا رجل بفتح الهمزة وهاء يا امرأة بكسرها
وهؤما يا رجلان او يا امرأتان وهؤم يا رجال وهاؤن يا نسوة بمعنى خذ
خذا خذوا خذى خذا خذن ومفعوله محذوف وكتابى مفعول اقرأ والا اقرب
العاملين فهو أقوى لكونه بمنزلة العلة القريبة واصله هاؤم كتابى اقرأوا كتابى
فحذف الاول لدلالة الثانى عليه ونظيره آتونى افرغ عليه قطرا والهاء للوقف
والاستراحة والسكت تثبت بالوقف وتسقط فى الوصل كما هو الاصل فى
هاء السكت لانها انما جيئ بها حفظا للحركة اى لتحفظ حركة الموقف
عليه اذلو لاها لسقطتالحركة فى الوقف فتثبت حال ال وقف اذ لا حاجة
اليها حال الوصل فلذلك كان حقها ان تثبت فى الوقف وتسقط فى الوصل
الا ان القرآء السبعة اتفقوا فى كل المواضع على اثباتها وقفا وصلا اجرآء
للوصل مجرى الوقف واتباعا لرسم الامام فانها ثابتة فى المصحف فى كل
المواضع وهى كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه وماهيه فى القارعة وما كان
ثابتا فيه لا بد أن يكون مثبتا فى اللفظ الا ان حمزة اسقط الهاء من ثلاث

كلم وصلا وهى ماليه وسلطانيه وماهيه واثبتها وقفا على الاصل ولم يعمل بالاصل فى كتابيه وحسابيه وأثبتها فى الحالين جمعا بين اللغتين وتبين من هذا التقرير ان المستحب ايثار الوقف اتباعا للوصل وان اثباتها وصلا انما هو لاتباع المصحف قال فى القاموس هاء السكت هى اللاحقة لبيان حركة او حرف نحو ماهية وها هناه واصلها ان يوقف عليها وربما وصلت بنية الوقف انتهى وهذه الهاء لا تكون الا ساكنة وتحريكها لحن اى خطأ لانه لا يجوز الوقف على المتحرك وهاء السكت فى القرءآن فى سبعة مواضع فى لم يتسنه وفى فبهداهم اقتده وفى كتابيه وفى حسابيه وفى ماليه وفى سلطانيه وفى ماهيه

واما الهاء التى فى القاضية وهى هاوية وخاوية وثمانية وعالية ودانية وامثالها فللتأنيث فيوقف عليهن بالهاء يوصلن بالتاء.

٢٠

{ انى ظننت انى ملاق حسابيه } الحساب بمعنى المحاسبة وهو عد اعمال العباد فى الآخرة.

خيرا وشرا للمجازاة اى علمت وايقنت انى مصادف حسابى فى ديوان الحساب الالهى وانى احاسب فى الآخرة يعنى دانستم وايمان آوردم كه مرا حساب خواهندكرد وآنرا آماده ومتهيئ شدم.

قال الراغب الظن اسم لما يحصل من امارة ومتى قويت ادت الى العلم ومتى ضعفت جدا لم تتجاوز حد التوهم انتهى ومنه يعلم قول من قال سمى اليقين ظنا لان الظن يلد اليقين انتهى وانما فسر الظن بالعلم لان البعث والحساب مما يجب بهما الايمان ولا ايمان بدون اليقين قال سعدى المفتى وفيه بحث فايمان القلد ذو اعتبار وصرحوا بأن الظن الغالب الذى لا يخطر معه احتمال النقيض يكفى فى الايمان ثم انه يجوز أن يكون المراد ما حصل له من حسابه اليسير ولا يقين به لوجوب ان يكون المؤمن بين الخوف والرجاء والمراد انى ظننت انى ملاق حسابى على الشدة والمناقضة لما سلف منى من الهفوات والآن ازال الله عنى ذلك وفرج همى انتهى.

يقول الفقير هذا عدول عما عليه ظاهر القرءآن فان الظن فى مواضع كثيرة منه بمعنى اليقين كما فى قوله تعالى حكاية قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله وهم المؤمنون بالآخرة وفى قوله تعالى وظن داود انما فتناه اى علم وايقن بالعلامة القوية قال القاضى ولعل التعبير عن العلم بالظن للاشعار بانه لا يقدح فى الاعتقاد وما يهجس فى النفس من الخطرات الى لا تنفك عنها علوم النظرية غالبا يعنى ان الظن استعير للعلم الاستدلالى لانه لا يخلو عن الخطرات والوساوس عند الذهول عما قاد اليه من الدليل للاشعار المذكور

واما العلوم الضرورية والكشفية فعارية عن الاضطراب وفى الكشاف وانما اجرى الظن مجرى العلم لان الظن الغالب يقام مقام العلم فى العادات والاحكام ويقال اظن ظنا كاليقين ان الامر كيت وكيت.

۲۱

{ فهو } اى من اوتى كتابه بيمينه

{ فى عيشة } نوع من العيش وهو بالفتح وكذا العيشة والمعاش والمعيش والعيشوشة بالفارسية زيستن.

قال بعض العلماء اذا كسر العين من العيش يلزمه التاء كما فى عيشة والعيش الحياة المختصة بالحيوان وهو اخص من الحياة لان الحياة تقال فى الحيوان وفى البارى وفى الملك ويشتق منه المعيشة لما يتعيش منه قال عليه السلام (لا عيش الا عيش الآخرة)

{ راضية } ذات رضى يرضاها من يعيش فيها على النسبة بالصيغة فان النسبة نسبتان نسبة بالحرف كمكى ومدنى ونسبة بالصيغة كلابن وتامر ومبعنى ذى لبن وذى تمر ويجوز أن يجعل الفعل لها وهو لصاحبها فيكون من قبيل الاسناد المجازى ومآل الوجهين كون العيشة مرضية والى ما ذكرنا يرجع قول من قال راضية فى نفسها فكأنها لرغادتها قد رضيت بما هى فيه مجازا او بمعنى مرضية كماء دافق اى مدفوق انتهى وفى التأويلات النجمية راضية هنيئة مريئة صافية عن شوآئب الكدر طائرة

عن نوآئب الحذر وبالفارسية در زندكانى باشد بسنديده صافى از كدورت ومقرون بحرمت وشحمت.

وذلك اى كون العيشة مرضية لاشتمالها على امور ثلاثة الاول كونها منفعة صافية عن الشوآئب والثانى كونها آئمة لا يترقب زوالها وانقطاعها والثالث كونها بحيث يقصد بها تعظيم من رضى بهاوا كرامه والا يكون استهزآء واستدراجا وعيشة من اعطى كتابه بيمينه جامعة لهذه الامور فتكون مرضيا بها كمال الرضى قال ابن عباس رضى الله عنهما يعيشون فلا يموتون ويصحون فلا يمرضون وينعمون فلا يرون بؤسا ابدا.

٢٢

{ فى جنة عالية } مرتفعةالمكان لانها فى السماء كما ان المنار سافلة لانها تحت الارض او الدرجات او الابنيه والاشجار فيكون عالية من الصفات الجارية على غير من هى له وهو بدل من عيشة يا عادة الجار ويجوز كونه متعلقا بعيشة راضية اى يعيش عيشا مرضيا فى جنة عاليه.

٢٣

{ قطوفها } ثمراتها جمع قطف بالكسر وهو ما يقطف ويجتبى بسرعة والقطف بالفتح مصدر قال سعدى المفتى اعتبار السرعة فى مفهوم القطف محل كلام قال ابن الشيخ معنى السرعة قطع الكل بمرة وفى القاموس القطف بالكسر العنقود واسم للثمار المقطوفة انتهى فلا حاجة الى أن يقال غلب هنا فى جميع ما يجتنى منى الثمر عنبا كاناو غيره

{ دانية } من الدنو وهو القرب اى قريبة من مريديها . يعنى خوشه هاى آن ازدست جيننده نزديك . ينالهالقائم والقاعد والمضطجع من غير تعب

وقيل لا يتأخر ادراكها انتهى واذا أراد أن تدنو الى فيه دنت بخلاف ثمار الدنيا فان فى قطفها وتحصيلها تعبا ومشقة غالبا وكذا لا تؤكل الا بمزاولة اليد.

يقول الفقير اشجار الجنة على صورة الانسان يعنى ان اصل الانسان رأسه وهى فى طرف العلو ورجله فرعه مع انها فى طرف السفل فكذلك اصول اشجار الجنة فى طرف العلو واغصانها متدلية الى جانب السفل ولذا لايرون تعبا فى القطف على ان نعيم الجنة تابع لارادة المتنعم به فيصرف فيه كيف يشاء من غير مشقة.

٢٤

{ كلوا واشربوا } باضمار القول والجمع بعد قوله فهو باعتبار المعنى والامر امر امتنان واباحة لا امر تكليف ضرورة ان الآخرة ليست بدارتكليف وجمع بين الاكل والشرب لان احدهما شقيق الآخر فلا ينفك عنه ولذا لم يذكر هنا الملابس وان ذكرت فى موضع آخر يقال لمن اوتى كتابه بيمينه كلوا من طعام الجنة وثمارها واشربوا من شرابها مطلقا

{ هنيئا } اكلا وشربا هنيئا اى سائغا لا تنغيص فيه فى الحلقوم وبالفارسية خوردنى وآشاميدنى كوارنده . وجعل الهنيئ صفة لهما

لان المصدر يتناول المثنى ايضا من هنؤ الطعام والشراب وهنئ يهنأ ويهؤ

ويهنئ هناءة وهناء اى صار هنيئا سائغا فهو هنيئ ومنه اليهنئ المشتهر

فى اللسان التركى فى اللحم المطبوخ ويستعمله العجم فالخاء المعجمة بدل

الهاء كما قال فى المثنوى

وين بزاز بهرميان روزرا ... يخنئ باشدشه فيروزرا

واسناد الهناءة الى الاكل والشرب مجاز للمبالغة لانها للمأكول

والمشروب وقولهم هنيئا عند شرب الماء ونحوه بمعنى صحة وعافية لان

السائغ محظوظ منه بسبب الصحة والعافية غالبا

{ بما اسلفتم } بمقابلة ما قدمتم من الاعمال

الصالحة او بدله او بسببه ومعنلاسلاف فى اللغة تقديم ما ترجو أن يعود

عليك بخير فهو كالاقراض ومنه يقال اسلف فى كذا اذا قدم فيه ماله

{ فى الايام الخالية } اى الماضية فى الدنيا وعن مجاهد ايام الصيام

فيكون المعنى كلوا واشربوا بدل ما امسكتم عن الاكل والشرب لوجه الله

فى ايام الصيام لا سيما فى الايام ا لحارة وهو الاولى لان الجزآء لا بدوان يكون من جنس العمل وملائما له كما قال بعض الكبار لم يقل اشهدوا ولا اسمعوا وانما جوزوا من حيث عملوا ونظيره فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وقوله ان تسخروا منافانا نسخر منكم ونظائر ذلك ورؤى بعضهم فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال رحمنى وقال كل يا من لم يأكل واشرب يا من لم يشرب فلم يقل كل يا من قطع الليل تلاوة واشرب يا من ثبت يوم الزحف فان هذا ما لا تعطيه الحكمة كما فى مواقع النجوم (وروى) يقول الله يا اوليائى كالما نظرت اليكم فى الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الاشربة وغارت اعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم فى نعيمكم وكلوا واشربوا هنيئا بما اسفلتم فى الايام الخالية.

قوله قلصت من الباب الثانى يقال قلص الظل اى نقص والماء اى ارتفع فى البئر والشفة اى انزوت والثوب اى انزوى بعد الغسل ومصدر الجميع القلوص والتركيب يدل على انضمام شئ بعضه الى بعض

وخمصه الجوع خمصا ومخمصة من الباب الاول يعنى باريك ميان كرد ويرا كرسنكى.

وفيه اشارةالى ايام الازل الخالية عن الاعمال والعلل والاسباب اى كلوا من نعيم الوصال واشربوا من شراب الفيض بما اسلفه الله لكم فى الازل والقدم من العناية اذ بتلك العناية قمتم مع الحق فى جميع الاحوال.

جون حسن عاقبت نه برندى وزاهديست ... آن به كه كارخود بعنايت رها كنند

٢٥

{ واما من اوتى كتابه بشماله } تحقير اله لان الشمال يتشاءم بها بان تلوى يسراه الى خلف ظهره فيأخذه بها ويرى ما فيه من قبائح الاعمال { فيقول } تحزنا وتحسرا وخوفا مما فيه وهو من قبيل الألم الروحانى الذى هو أشد من الألم الجسمانى

{ يا } هؤلاء يا معشر المحشر

{ ليتنى } كاشكى من . وهو تمنٍ للمحال

{ لم اوت } متكلم مجهول من الايتاء بمعنى لم اعط

{ كتابيه } هذا الذى جمع جميع سيئاتى.

٢٦

{ ولم ادر } متكلم من الدراية بمعنى العلم

{ ما حسابيه } لما شاهد من سوء العاقبة وبالفارسية كاشكى ندانستمى امروز جيست حساب من جه حاصلى نيست مرانرا جزعذاب وشدت ومحنت . فما استفهامية معلق باها الفعل عن العمل ويجوز أن تكون موصولة بتقدير المبتدأ فى الصلة.

٢٧

{ يا ليتها } تكرير للتمنى وتجديد للتحسر أى يا ليت الموتة التى متها وذقتها وذلك ان الموتة وان لم تكن مذكورة الا انها فى حكم المذكور بدلالة المقام

{ كانت القاضية } اى القاطعة لامرى وحياتى ولم ابعث بعدها ولم ألق ألقى ما يتمنى عند مطالعة كتابه ان تدوم عليه الموتة الاولى ونه لا يبعث للحساب لولا يلقى ما اصابه من الخجالة وسوء العاقبة ويجوز ان يكون ضمير لينها لما شاهد من الحالة اى يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التى قضت على بتمنى ان يكون بدل تلك الحالة الموتة القاطعة للحياة لما انه وجد تلك الحالة امر من الموت فتمناه عندها وكان فى الدنيا اشد كراهية للموت قال الشاعر

وشر من الموت الذى ان لقيته ... تمنيت منه الموت والموت اعظم

٢٨

{ ما اغنى عنى } اى لم يدفع عنى شيأ من عذاب الآخرة على ان ما نافية والمفعول محذوف

{ ماليه } اى الذى كان لى فى الدنيا من المال والاتباع على ان ما موصولة واللام جارة داخلة على ياء المتكلم ليعم مثل الاتباع فانه اذا كان اسما مضافا الى ياء المتكلم لم يعم وفى الكشاف ما اغنى نفى واستفهام على وجه الانكار اى اى شئ اغنى عنى ما كان لى من اليسار انتهى حتى ضيعت عمرى فيه اى لم ينفعنى ولم يدفع عنى شيأ من العذاب فما استفهامية منصوبة المحل على انها مفعول اغنى.

يقول الفقير الظاهر أن مالية هو المال المضاف الى ياء المتكلم اى لم يغن عنى المال الذى جمعته فى الدنيا شيأ من العذاب بل ألهانى عن الآخرة وضرنى فضلا عن ان ينفعنى وذلك ليوافق قوله تعالى ولا يغنى عنهم ما كسبوا شيأ وقوله وما يغنى عنه ماله اذا تردى وقوه ما اغنى عنه ماله وما كسب وانظائر ذلك فما ذهب اليه اكثر اليه التفسير من التعميم عدول عما ورد به ظاهر القراءن.

{ هلك عنى سلطانيه } قال الراغب السلاطة التمكن من القهر ومنه سمى السلطان والسلطان يقال فى السلاطة نحو قوله تعالى فقد جعلنا لوليه سلطانا وقد يقال الذى السلاطة وهو الاكثر وسميت الحجة سلطانا وذلك لما لحق من الهجوم على القلوب لكن اكثر تسلطه على اهل العلم والحكمة من المؤمنين وقوله هلك عنى سلطانيه يحتمل السلطانين انتهى والمعنى هلك عنى ملكى وتسلطى على الناس وبقيت فقير ذليلا اوضلت عنى حجتى كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ومعناه بطلت حجتى التى كنت احتج بها عليهم فى الدنيا وبالفارسية كم كشت ازمن حجتى كه دردنيا جنك دران زده بودم . ورجح هذا المعنى بأن من اوتى كتابه بشماله لاختصاص له بالملوك بل هو عام لجميع اهل الشقاوة.

بقول الفقير قوله تعالى ما اغنى عنى ماليه يدل على الاول عى ان فيه تعريضا بنحو الوليد من رؤساء قريش واهل ثروتهم ويجوز أن يكون المعنى تسلطى على القوى والآلات فعجزت عن استمالها فى

العبادت وذلك لان كل احد كان له سلطان على نفسه وماله وجوارحه يزول فى القيامة سلطانه فلا يملك لنفسه نفعا.

٣٠

{ خذوه } حكاية لما يقول الله يومئذ لخزنة النار وهم الزبانية الموكلون على عذابه والهاء راجع الى من الثانى اى خذوا العاصى لربه

{ فغلوه } بلا مهلة اى اجمعوا يديه الى عنقه بالقيد والحديد وشدوه به يقال غل فلان وضع فى عنقه اويده الغل وهو بالضم الطوق من حديد الجامع لليد الى العنق المانع عن تحرك الرأس وبالفتح دست باكردن بستن.

وفى الفقه وكره جعل الغل فى عنق عبده لانه عقوبة اهل النار وقال الفقيه ان فى زماننا جرت العادة بذلك اذا خيف من الاباق كمال فى الكبرى بخلاف التقييد فانه غير مكروه لانه سنة المسلمين فى المتمردين.

٣١

{ ثم الجحيم صلوه } دل التقديم على التخصيص والمعنى لا تصلوه اى لا تدخلوه الا الجحيم ولا تحرقوه الا فيها وهى النار العظمى ليكون الجزآء على وفق المعصية حيث كان يتعظم على الناس قال سعدى المفتى فيكون مخصوصا بالمتعظمين وفيه بحث انتهى وقد مر جوابه.

٣٢

{ ثم فى سلسلة } من نار وهى حلق منتظمة كل حلقة منها فى حلقة والجار متعلق بقوله فاسلكوه والفاء ليست بمانعة عن التعلق

{ ذرعها } طولها وبالفارسية كزان . والذراع ككتاب ما يذرع به حديدا او قضيبا وفى المفردات الذراع العضو المعروف ويعبر به عن المذروع والممسوح يقال ذراع من الثوب والارض والذرع بيمودن . قوله ذرعها مبتدأ خبره قوله

{ سبعون } والجملة فى محل الجر على انها صفة سلسلة وقوله

{ ذراعا } تمييز

{ فاسلكوه } السلك هو الادخال فى الطريق والخيط والقيد

وغيرها ومعنى ثم الدلالة على تفاوت ما بين العذابين الغل وتسلية الجحيم

وما بينهما وبين السلك فى السلسلة فى الشدة لاعلى تراخى المدة يعنى ان

ثم اخرج عن معنى المهلة لاقتضاء مقام التهويل ذلك اذ لا يناسب التوعد

يتفرق العذاب قال ابن الشيخ ان كلمتى ثم والقاء ان كانتا لعطف حملة

فاسلكوه لزم اجتماع حرفى العطف وتواردهما على معطوف واحد ولا وجه

له فينبغى ان يكون كلمة ثم لعطف مضمر على مضمر

قبل قوله خذوه انقيل لخزنة النار خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم قيل لهم

فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه فيكون الفاء لعطف المقول على

المقول مع افادة معنى التعقيب وكلمة ثم لعطف القول على القول مع

الدلالة على ان الامر الاخير أشد وأهول مما قبله من الاوامر مع تعاقب

المأمور بها من الاخذ وجعل يده مغلولة الى عنقه وتصلية الجحيم وسلكهم

اياه السلسلة الموصوفة والمعنى فأدخلوه فيها بأن تلفوها على جسده

وتجعلوه محاطا به فهو فيما بينهما مرهق مضيق عليه لا يستطيع حراكا ما

كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان اهل النار يكونون فلسلسلة كما يكون الثعلب فى الجلبة والثعلب طرف خشبة الرمح الداخل فى الجلبة السنان وهى الدرع وذلك انما يكون رهقااى غشية وبالفارسية بس در آريد اورادران يعنى درجسد او بيجد محكم تاحركت نتواند كرد . وتقديم السلسلة على السكل كتقديم الجحيم على التصلية فى الدلالة على الاختصاص والاهتمام بذكر ألوان ما يعذب به اى لا تسلكونه الا فى هذه السلسلة لانها أفظع من سائر مواضع الارهاق فى الجحيم وجعلها سبعين ذراعا ارادة لوصف بالطول كما قال ان تستغفر لهم سبعين مرة يريد مرات كثرة لانها اذا طالت كان الارهاق اشد فهو كناية عن زيادة الطول لشيع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة فى التكثير وقال سعدى المفتى الظاهر انه لا منع من الحمل على ظاهره من العدد قال الكاشفى يعنى بذراع ملك كه هرذراعى هفتاد باعست وهرباعى ازكوفه تامكه.

وقال بعض المفرسرين هى بالذراع المعروفة عندنا وانما خوطبنا بما نعرفه ونحصله وقال الحسن قدس سره الله اعلم بأى ذراع هى وعن كعب لو جمع حديد الدنيا ما وزن حلقة منها ولو وضعت منها حلقة على جبل لذاب مثل الرصاص تدخل السلسلة فى فيه وتخرج من دبره ويلوى فضلها على عنقه وجسده ويقرن بها بينه وبين شياطنه.

يقول الفقير هذا يقتضى ان يكون ذلك عذاب الكافر لان جسده يكون فى العظم مسيرة ثلاثة ايام وضرسه مثل جبل احد على ما جاء فى الحديث وعن النبى عليه السلام قال لو أن رضراضة اى صخرة قدر رأس الرجل وفى رواية لو أن رضرضة مثل هذه واشار الى صخرة مثل الجمجمة سقطت من السماء الى الارض وهى خمسمائة عام لبلغت الارض قبل الليل ولو أنها ارسلت من رأس السلسلة لسارت اربعين خريفا الليل والنهار قبل ان تبلغ اصلها وقعرها قال الشراح اللام فى السلسلة فى هذا الحديث للعهد اشارة الى السلسلة التى ذكرها الله فى قوله ثم فى سلسلة الخ (روى) ان شابا قد حضر صلاة الفجر مع الجماعة خلف واحد من المشايخ

فقرأ ذلك الشيخ سورة الحاقة فلما بلغ الى قوله تعالى خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه صاح الشاب وسقط وغشى عليه فلما اتم الشيخ صلاته قال من هذا قالوا هو شاب صالح خائف من الله تعالى وله والدة عجوز ليس لها غيره قال الشيخ ارفعوه واحملوه حتى نذهب به الى امه ففعلوا ما امر به الشيخ فلما رأت امه ذلك فزعت واقبلت وقالت ما فعلتم بابنى قالوا ما فعلنا به شيأ الا انه حضر الجماعة وسمع آية مخوفة من القرءآن فلم يطق سماعها فكان هكذا بأمر الله فقالت اية آية هى فاقرأوها حتى اسمع فقرآها الشيخ فلما وصلت الآية الى سمع الشاب شهق شهقة اخرى خرجت معها روحه بأمر الله فلما رأت الام ذلك خرت ميتة وفى التأويلات النجمية قوله ثم فى سلسلة الخ يشير الى كثرة اخلاقه السيئة واوصافه الرديئة واحكام طبيعته الظلمانية اذ هى يوم القيامة كلها سلاسل العذاب واغلال الطرد والحجاب.

٣٣

{ انه } بدرستی که این کس . کأنه قيل ماله يعذب بهذا العذاب الشديد فاجيب بانه

{ كان لا يؤمن بالله العظيم } وصفه تعالى بالعظم للايذان بانه المستحق للعظمة فحسب فمن نسبها الى نفسه استحق العظم العقوبات.

٣٤

{ ولا يحض على طعام المسكين } الحض الحث على الفعل بالحرص على وقوعه قال الراغب الحض التحريك كالحث الا ان الحث يكون بسير وسوق والحض لا يكون بذلك واصله من الحث على الحضيض وهو قرار الارض والمعنى ولا يحث اهله وغيرهم على اعطاء طعام يطعم به الفقير فضلا عن ان يعطى ويبذل من ماله على ان يكون المراد من الطعام العين فاضمر مثل اعطاء او بذل لان الحث والتحريض لا يتعلق بالاعيان بل بالاحداث واضيف الطعام الى المسكين من حيث ان له الية نسبة أوالمعنى ولا يحثهم على اطعامه على ان يكون اسما وضع موضع

الاطعام كما يوضع العطاء موضع الاعطاء فالاضافة الى المفعول وذكر الحض دون الفعل ليعلم ان تاركالحض بهذه المنزلة فيكفي بتارك الفعل يعنى يكون ترك الفعل اشد فى ان يكون سبب المؤآخذة الشديدة وجعل حرمان المسكين قرينة للكفر حيث عطفه عليه للدلالة على عظم الجرم ولذلك قال عليه السلام (البخل كفر والكافر فى النار) فتخصيص الامرين بالذكر لما ان اقبح العقائد الكفر واشنع الرذآئل البخل والعطف للدلالة على ان حرمان المسكين صفة الكفرة كما فى قوله تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة فلا يلزم ان يكون الكفار مخاطبين به بالفروع وفى عين المعانى وبه تعلق الشافعى فى خطاب الكفار بالشرائع ولا يصح عندنا لان توجيه الخطاب بالامر ولا امر ههنا على انه ذكر الايمان مقدما وبه نقول انتهى وقال ابن الشيخ فيه دليل على تكليف الكفار بالفروع على معنى انهم يعاقبون على ترك الامتثال بها كعدم اقامة الصلاة وايتاء الزكاة والانتهاء عن الفواحش والمنكرات لا على معنى انهم يطالبون بها حال كفرهم فانهم غير مكلفين بالفروع بهذا المعنى لانعدام اهلية الادآء

فيهم لان مدار اهلية الادآء هو استحقاق الثواب بالادآء ولاثواب لاعمال الكفار واهلية الوجوب لا تستلزم اهلية الادآء كما تقرر فى الاصول انتهى والحاصل ان الكفار مخاطبون بالفروع فى حق المؤآخذة لا غير وعن أبى الدردآء رضى الله عنه انه كان يحض امرأته على تكثير المرق لاجل المساكين وكان يقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان افلا نخلع نصفها الآخر بالاطعام والحض عليه

جوى بازدارد بلاى درشت ... عصايي شنيدى كه عوجى بكشت

كسى نيك بيند بهردوسراى ... كه نيكى رساند بخلق خداى

٣٥

{ فليس له اليوم } وهو يوم القيامة

{ ههنا } اى فى هذا المكان وهو مكان الاخذ والغل

{ حميم } اى قريب نسبا او ودا يحميه ويدفع عنه يوحزن عليه لان اولياء يتحامونه ويفرون منه كقوله ولا يسأل حميم حميما وقال فى عين المعانى قريب يحترق له قلبه من حميم الماء وقال القاشانى لاستيحاشه من نفسه فكيف لا يستوحش غيره منه وهو من تتمة ما يقال للزبانية فى حقه اعلاما بانه محروم من الرحمة وحثالهم على بطشه.

٣٦

{ ولا طعام الا من غسلين } قال فى القاموس الغسلين بالكسر ما يغسل من الثوب ونحوه كالغسالة وما يسيل من جلود أهل النار والشديد الحر وشجر فى النار انتهى والمعنى ولا طعام الا من غسالة اهل النار وما يسيل من ابدانهم من الصديد والدم بعصر قوة الحرارة النارية وبالفارسية زردابه وريمى كه ازتنهاى ايشان ميرود (روى)انه لو وقعت قطرة منه على الارض لأفسدت على الناس معايشهم يقال للنار دركات ولكل دركة نوع طعام وشراب وسيجيئ وجه التلفيق بينه وبين قوله ليس لهم طعام الا من ضريع فى الغاشية وهو فعلين من الغسل

فالياء والنون زائدتان وفى الكواشى او نونه غير زائدة وهو شجر فى لنار

وهو مناخبث طعامهم والظاهر ان الاستثناء متصل ان جعل الطعام شاملا

للشراب كما فى قوله تعالى ومن لم يطعمه فانه منى فاهم فسروه بمن لم يذقه

من طعم الشئ اذا اذاقه مأكولا كان او مشروبا.

٣٧

{ لا يأكله الا الخاطئون } صفة غسلين والتعبير بالاكل باعتبار

ذكر الطعام اى لا يأكل ذلك الغسلين الا الآثمون اصحاب الخطايا وهم

المشركون كما روى عنابن عباس رضى الله عنهما وقد جوز أن يراد بهم

الذين يتخطون الحق الى الباطل ويعدون حدود الله من خطئ الرجل من

باب علم اذا تعمد الخطا اى الذنب فالخاطئ هو الذى يفعل ضد الصواب

متعمدا لذلك والمخطئ هو الذى يفعله غير متعمد أى يريد الصواب

فيصير الى غيره من غير قصد كما يقال المجتهد قد يخطئ وقد يصيب وفى

عين المعانى الخاطئون طريق التوحيد وفى التأويلات النجمية ولا يحض

مساكين الاعضاء والجوارح بالاعمال الصالحات والاقوال الصادقات

والاحوال الصافيات فليس له اليوم ههنا من يعينه ويؤنسه لان المؤنس ليس الا الاعمال والاحوال ولا طعام لنفسه الميشومة الا غسالة اعماله وافعاله القبيحة الشنيعة لا يأكله الا المتجاوزون عن اعمال الروح والقلب القاصدوم مراضى النفس والهوى متبعون للشهوات الجمسانية واللذات الحيوانية.

٣٨

{ فلا اقسم } اى فأقسم على ان لا مزيدة للتأكيد

واما حمله على معنى نفى الاقسام لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق بالقسم فيرده تعيين المقسم به بقوله بما الخ وقال بعضهم هو جملتان والتقدير وما قاله المكذبون فلا يصح اذ هو قول باطل ثم قال اقسم { بما تبصرون }

٣٩

{ وما لا تبصرون } قسم عظيم لانه قسم بالاشياء كلها على سبيل الشمول والاحاطة لانها لا تخرج عن قسمين مبصر وغير مبصر فالمبصر المشاهدات وغير المبصر المغيبات فدخل فيهما الدنيا والآخرة والاجسام والارراح والانس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة وغير ذلك مما يكون لائقا بأن يكون مقسما به اذ من الاشياء ما لا يليق بأن يكون مقسما به واليه الاشارة بقوله لشانى اى الوجود كله ظاهرا وباطنا وبقول ابن عطاء آثار القدرة واسرارها وبقول الشيخ نجم الدين بما تبصرون من المشهودات والمحسوسات بابصار الظواهر ومالا تبصرون من المغيبات ببصائر البواطن يعنى بالمظاهر الاسمائية والمظاهر الذاتية وبقول الحسين اى بما اظهر الله لملائكته والقلم واللوح وبما اختزن فى علمه ولم يجر القلم به ولم تشعر الملائكة بذلك وما اظهر الله للخلق من صفاته وأراهم من صنعه وأبدى لهم من علمه فى جنب ما اخزن عنهم الا كذرة فى جنب الدنيا والآخرة ولو أظهر الله ما اختزن لذابت الخلائق عن آخرهم فضلا عن حمله قال الشيخ أبو طالب المكى قدس سره فى قوت القلوب اذا كان

العبد من اهل العلم بالله والفهم عنه والسمع منه والمشاهدة له شهد ما غاب عن غيره وابصر ما عمى عنه سواء كما قال تعالى فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون.

٤٠

{ انه } اى القرءآن

{ لقول رسول } وقوله قول الحق كما قال وما ينطق عن الهوى وكما قال فأجره حتى يسمع كلام الله وفى كشف الاسرار أضاف القول اليه لانه لما قال قول رسول اقتضى مرسلا وكان معلوما ما أن يقرأه كلام مرسله وانما هو مبلغه فالاضافة الاختصاصية الى رسول الله تدل على اختصاص القول بالرسول من حيث التبليغ ليس الا اذا شأن الرسول التبليغ لا الاختراع وقد يأتى القول فى القرءآن والمراد به القرآءة قال الله تعالى حتى تعلموا ما تقولوا اى ما تقرأوا فى صلاتكم

{ كريم } على الله تعالى يعنى بزر كوار نزدخداى تعالى.

وهو النبي عليه السلام ويدل عليه مقابلة رسول بشاعر وكاهن

لان المعنى على اثبات انه رسول لا شاعر ولا كاهن ولم يقولوا لجبريل شاعر

ولا كاهن

وقيل هو جبريل اى هو قول جبريل الرسول الكريم وما هو من

تلقاء محمد كما تزعمون وتدعون انه شاعر أو كاهن فالمقصود حينئذ

اثبات حقية القرءآن وانه من عند الله والحاصل ان القرءآن كلام الله حقيقة

اظهره فى اللوح المحفوظ وكلام جبريل ايضا من حيث انه انزله من السموات

الى الارض وتلاه على خاتم النبيين وكلام سيد المرسلين ايضا من حيث

انه اظهره للخلق ودعا الناس الى الايمان به وجعله حجة لنبوته.

٤١

{ وما هو بقوله شاعر } كما تزعمون تارة (

قال الكاشفى) جمانجه ابو جهل ميكويد وسبق معنى الشعر فى يس

{ قليلا ما تؤمنون } ايمانا قليلا تؤمنون بالقرءآن وكونه كلام الله او بالرسول وكونه مرسلا من الله والمراد بالقلة النفى اى لا تؤمنون اصلا كقولك لمن لا يزورك لما تأتينا وانت تريد لا تأتينا اصلا.

يقول الفقير يجوز عندى أن تكون قلة الايمان باعتبار قلة المؤمن بمعنى ان القليل منكم يؤمنون وقس عليه نظائره.

٤٢

{ ولا بقول كاهن } كما تدعون ذلك تارة اخرى (قال الكاشفى) جنانجه عقبة بن ابى معيط كمان ميبرد.

كرر القول مبالغة فى ابطال اقاويلهم الكاذبة على القرءآن الحق والرسول الصادق والكاهن هو الذى يخبر عن الكوآئن فى مستقبل الزمان ويدعى معرفة الاسرار ومطالعة علم الغيب وفى كشف الاسرار الكاهن هو الذى يزعم ان له خدما من الجن يأتونه بضرب من الوحى وقد انقطعت الكهانة بعد نبينا محمد عليه السلام لان الجن حبسوا ومنعوا من الاستماع

انتهى وقال الراغب فى المفردات الكاهن الذى يخبر بالاخبار الماضية الخفية بضرب من الظن كالعراف الذى يخبر بالاخبار المستقبلة على نحو ذلك ولكون هاتين الصناعتين مبنيتين على الظن الذى يخطئ ويصيب قال عليه السلام (من أتى عرافا او كاهنا فصدقه بما قال فقد كفر بما انزل الله على محمد) ويقال كهن فلان كهانة اذا تعاطى ذلك وكهن اذا تخصص بذلك وتكهن تكلف ذلك انتهى وفى شرح المشارق لابن الملك العراف من يخبر بما اخفى من المسروق ومكان الضالة والكاهن من يخبر بما يكون فى المستقبل وفى الصحاح العراف الكاهن

{ قليلا ما تذكرون } اى تذكرا قليلا او زمانا قليلا تتذكرون اى لا تتذكرون اصلا (قال الكاشفى) اندكى بندميكيريد يعنى بندكيرنمى شويد (وفى كشف الاسرار) اندك بندمى بذيريد ودرمى يابيد (وفى تاج المصادر) التذكر ياكردن ويا ياد آوردن وبندكرفتن ومذكرشدن كلمه كه مؤنث بود.

وقال بعضهم المراد من الايمان القليل ايمانهم واستيقانهم بأنفسهم

وقد جحدوا بألسنتهم لا معنى النفى وقال بعضهم ان كان المراد منه الايمان

الشرعى فالتقليل للنفى وان كان اللغوى فالتقليل على حاله لانهم كانوا

يصدقون ببعض احكام القرءآن كالصلة والخير والعفاف ونحوها ويكذبون

ببعضها كالوحدة والحقانية والبعث ونحوها وعلى هذا التذكر قيل ذكر

الايمان مع نفى الشاعرية والتذكر مع نفى الكاهنية لما ان عدم مشابهة

القرءآن الشعر امر بين لا ينكره الا معاند فلا مجال فيه لتوهم عذر لترك

الايمان فلذلك وبخوا عليه وعجب منه بخلاف مباينته للكهانة فانها تتوقف

على تذكر احواله عليه السلام ومعانى القرءآن المنافية لطريقة

الكهنة ومعانى اقوالهم فالكاهن ينصب نفسه للدلالة على الضوآئع

والاخبار بالمغيبات يصدق فيها تارة ويكذب كثيرا و يأخذ جعلا على ذلك

ويقتصر على من يسأله وليس واحد منها من دأبه عليه السلام والحاصل

ان الكاهن من يأتيه الشياطين ويلقون اليه من اخبار السماء فيخبر الناس

بما سمعه منهم وما يلقيه عليه السلام من الكلام مشتمل على ذم الشياطين

وسبهم فكيف يمكن أن يكون ذلك بالقاء الشياطين فانهم لا ينزلون شيأ فيه ذمهم وسبهم لا سيما على من يلعنهم ويطعن فيهم وكذا معانى ما يلقيه عليه السلام منافية لمعانى اقوال الكهنة فانهم لا يدعون الى تهذيب الاخلاق وتصحيح العقائد والاعمال المتعلقة بالمبدأ والمعاد بخلاف معانى قوله عليه السلام فلو تذكر أهل مكة معانى القرءآن ومعانى اقوال الكهنة لما قالوا بأن كاهن وفى برهان القرءآن خص ذكر الشعر بقوله ما تؤمنون لان من قال القرءآن شعر ومحمد عليه السلام شاعر بعدما علم اختلاف آيات القرءآن فى الطول والقصر واختلاف حروف مقاطعه فلكفره وقلة ايمانه فان الشعر كلام موزون مقفى وخص ذكر الكهانة بقول ما ذتكرون لان من ذهب الى ان القرءآن كهانة وان محمداعليه السلام كاهن فهو كاهل عن ذكر كلام الكهان فانه اسجاع لا معانى تحتها واوضاع تنبو الطباع عنها ولا يكون فى كلامهم ذكر الله انتهى قال المولى ابو السعود فى الارشاد وانت خبير بأن ذلك ايضا مما لا يتوقف على تأمل قطعا انتهى اى فتعليلهم بالفرق غير صحيح وفيه ان الانابة شرط

للتذكر كما قال تعالى وما يتذكر الامن ينيب والكافر ليس من اهل الانابة وايضا ما يذكر الا اولوا الالباب اى اولوا العقول الزاكية والقلوب الطاهرة والكافر لبس منهم فليس من اهل التذكر ولا شك ان كون الشئ امر بيننا لا ينافى التذكر ألا ترى الى قوله تعالى اله مع الله قليلا ما ذتكرون مع ان شواهد الالوهية ظاهرة لكل بصير باهرة عند كل خبير على انه يظهر من تقريراتهم انه لا بد من التذكر فى نفى الكهانة لخفاء امرها فى الجملة بالنسبة الى الشعر والعلم عند الله العلام.

٤٣

{ تنزيل } اى هو منزل فعبر عن المفعول بالمصدر مبالغ

{ من رب العالمين } نزله على لسان جبريل تربية للسعدآء وتبشير لهم وانذارا للاشقياء كما قال تعالى نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين وقال تعالى ومبشراً ونذيرا.

٤٤

{ ولو تقول علينا بعض الاقاويل } كما يتقوله الشعرآء اى ولو ادعى محمد علينا شيأ لم نقله كما تزعمون كما قال تعالى ام يقولون تقوله بل لا يؤمنون وفى ذكر البعض اشارة اى ان القليل كاف فى المؤاخذة الآتية فضلا عن الكثير سمى الافترآء تقولا وهو بناء التكلف لانه الاقوال المفتراة اقاويل تحقيرا لها لان صيغة افعولة انما تطلق على محقرات الامور وغرائبها كالاعجوبة لما يتعجب منه والاضحوكة لما يضحك منه وكان الاقاويل جمع اقوولة من القول وان لم يثبت عن نقله اللغة ولم يكن اقوولة مستعملا لكن كونه على صور جمع افعولة كاف فى التحقير ويؤدانه ليس جمع الاقوال لزوم أن لا يعاقب بما دون ثلاثة اقوال فالاقايول ههنا بمعنى الاقوال لا انه جمعه وفى حواشى ابن لشيخ الظاهر ان الاقاويل جمع اقوال جمع قول كأناعيم جمع انعام جمع نعم.

٤٥

{ لأخذنا منه } حال من قوله

{ باليمين } اى بيمينه وقال سعدى المفتى هو من باب ألم نشرح لك فى التفصيل بعد الاجمال.

٤٦

{ ثم لقطعنا منه الوتين } اى نياط قلبه بضرب عنقه والنياط عرق ابيض غليظ كالقصبة علق به القلب اذا انقطع مات صاحبه وفى المفردات الوتين عرق سيقى الكبد اذا انقطع مات صاحبه ولم يقل لاهلكناه او لضربنا عنقه لانه تصوير لاهلاكه بافظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو أن يأخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب عنقه فانه اذا أراد أن يوقع الضرب فى قفاء اخذ بيساره واذا اراد أن يوقعه فى جيده وأن يكفحه بالسيف اى يواجهه وهو أشد من المصبور لنظره الى السيف اخذ بيمينه فلذا خص اليمين درن اليسار وفى المفردات لاخذنا منه باليمين اى منعناه ودفعناه فعبر عن ذلك بالاخذ باليمين كقولك خذ بيمين فلان انتهى

وقيل اليمين بمعنى القوة فالمعنى لانتقمنا بقوتنا وقدرتنا

وقيل المعنى حينئذ لأخذنا منه اليمين وسلبنا منه القوة والقدرة على التكلم بذلك على ان الباء صلة اى زآئدة وعبر عن القوة باليمين لان قوة كل شئ فى ميامنه فيكون من قبيل ذكر المحل وارادة الحال او ذكر الملزوم وارادة اللازم.

٤٧

{ فما منكم } ايها الناس

{ من احد عنه } اى عن القتل او المقتول وهو متعلق بقوله

{ حاجزين } دافعين وهو وصف لاحد فانه عام لوقوعه فى سياق النفى كما فى قوله عليه السلام (لم تحل الغنائم لاحد اسود الرأس غيرنا) فمن احد فى موضع الرفع بالابتدآء ومن زآئدة لتأكيد النفى ومنكم خبره والمعنى فما منكم قوم يحجزون عن المقتول او عن قتله واهلاكه المدلول عليه بقوله ثم لقطعنا مه الوتين اى لا يقدر على الحجز والدفع

وهذا مبنى على اصل بنى تميم فانهم لا يعلمون ما لدخولها على القبلتين وقد يجعل حاجزين خبرا لما على اللغة الحجازية ولعله اولى فتكون كلمة ما هى المشبهة بليس فمن احد اسم ما وحاجزين منصوب على انه خبرها ومنكم حال مقدم وكان فى الاصل صفة لاحد وفى الآية تنبيه على ان النبي عليه السلام لو قال من عند نفسه شيأ او زادأ ونقص حرفا واحدى على ما اوحى اليه لعاقبه الله وهو اكرم الناس عليه فما ظنك بغيره ممن قصد تغيير شئ من كتاب الله او قال شيأ من ذات نفسه كما ضل بذلك بعض الفرق الضالة.

٤٨

{ وانه } اى القرءآن

{ لتذكرة } موعظة وبالفارسية بنديست

{ للمتقين } لمن اتقى الشرك وحب الدنيا فانه يتذكر بهذا القرءآن وينتفع به بخلاف المشرك ومن مال الى الدنيا وغلبه حبها فانه يكذب به

ولا ينتفع وفى تاج المصادر التذكير والتذكرة باياد دادن وحرف را مذكر كردن.

ومنه الحديث فذكروه اى فأجلوه لان فى تذكير الشئ اجلالا له.

٤٩

{ وانا لنعلم ان منكم مكذبين } اى ان منكم ايها الناس مكذبين بالقرءآن فنجازيهم على تكذيبهم قال مالك رحمه الله ما اشد هذه الآية على هذه الامة وفيه اشارة الى مكذبى الالهام ايضا فانهم ملتحقون بمكذبى الوحى لان الكل من عند الله لكن اهل الاحتجاب لا يبصرون النور كالاعمى فكيف يقرون.

٥٠

{ وانه } اى القرءآن

{ لحسرة } ونداءة يوم القيامة

{ على الكافرين } المكذبين له عند مشاهدتهم لثواب المؤمنين المصدقين به وفى الدنيا ايضا اذا رأوا دولة المؤمنين ويجوز أن يرجع الضمير الى التكذيب المدلول عليهبقوله مكذبين.

٥١

{ وانه } اى القرءآن

{ لحق اليقين } اى لليقين الذى لا ريب فيه فالحق واليقين صفتان بمعنى واحد أضيف احدهما الى الآخر اضافة الشىء الى نفسه كحب الحصيد للتأكيد فان الحلق هو الثابت الذى لا يتطرق اليه الريب وكذا اليقين قال الراغب فى المفردات اليقين من صفة العلم فوق المعرفة والدرارة واخواتهما يقال علم اليقين عين اليقين حق اليقين وبينها فرق مذكور فغير هذا الكتاب انتهى وقد سبق الفرق من شرح الفصوص فى آخر سورةالواقعة فالرجع وقال الامام معناه انه حق يقين اى حق لا بطلان فيه ويقين لا ريب فيه ثم أضيف احد الوصفين الى الآخر للتأكيد وقال

الزمخشرى لليقين حق اليقين كقولك هو العالم حق العالم وجد العالم ويراد

به البليغ الكامل فى شأنه وفى تفسير القاشانى محض اليقين من غير شوب

شئ آخر وقال الجنيد قدس سره حق اليقين ما يتحقق العبد بذلك معرفة

بالحق وهو أن يشاهد الغيوب كمشاهدته للمرئيات مشاهدة عيان ويحكم

على المغيبات ويخبر عنها بالصدق كما اخبر الصديق الاكبر فى مشاهدة

النبى عليه السلام حين سأله ماذا أبقيت لنفسك قال الله ورسوله فأخبر

عن تحققه بالحق وانقطاعه عن كل ما سوى الله ووقوفه على الصدق معه

ولم يسأله النبى عليه السلام عن كيفيته ما أشار اليه لما عرف من صدقه

وبلوغه المنتهى فيه ولما سأل عليه السلامحارثة كيف اصبحت قال اصبحت

مؤمنا حقا فأخبر عن حقيقة ايمانه فسأله عليه السلام عن ذلك لما كان

يجد فى نفسه من عظيم دعواه لما اخبر لما بحكم له بذلك فقال عرفت

فالزم اى فرت الطريق الى حقيقة الايمان فالزم الطريق حتى تبلغ اليه وكان

يرى حال أبى بكر رضى الله عنه مشورا من غير استخبار عنه

ولاستكشاف لما علم من صدقه فيما ادعى وهذا مقام حق اليقين واليقين اسم للعلم الذى زال عنه اللبس ولهذا لا يوصف علم رب العزة باليقين.

٥٢

{ فسبح باسم ربك العظيم } اى فسبح الله بذكر اسمه العظيم بأن تقول سبحانه الله تنزيها له عن الرضى بالتقول الله وشكرا على ما أوحى اليك فمفعول سبح محذوف والباء فى باسم ربك للاستعاذة كما فى ضربته بالسوط فهو مفعول ثان بواسطة حرف الجر على حذف المضاف والعظيم صفة الاسم ويحتمل أن يكون صفة ربك ويؤيده ما روى ان رسول الله عليه السلام قال لما نزلت هذه الآية اجعلوها فى ركوعكم فالتزم ذلك جماعة من العلماء كما فى فتح الرحمن وقال فى التأويلات النجمية نزه وقدس تنزيها فى عين التشبيه اسم ربك اى مسمى ربك اذا لاسم عين المسمى عند أرباب الحق واهل الذوق وقال القاشانى نزه الله وجرده عن شوب الغير بذلك الذى هو اسمه الاعظم الحاوى للاسماء كلها بان لا يظهر فى شهودك تلوين من النفس او القلب فحتجب برؤية

الانينية او الاثانية والا كنت كشبها لا مسبحا روى عن عرم بن الخطاب رضى الله عنه انه قال خرجت يوما بمكة متعرضا لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم فوجدته قد سبقنى الى المسجد فجئت فوقفت ورآءه فافتتح سورة الحاقة فلما سمعت سردالقرءآن قلت فى نفسى انه لشاعر كما يقول قريش حتى بلغ الى قوله انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين ثم مر حتى انتهى الى آخر السورة فأدخل الله فى قلبى الاسلام.

سُورَةُ الْمَعَارِجِ مَكِّيَّةٌ

وَهِيَ أَرْبَعٌ وَأَرْبَعُونَ آيَةً

١

{ سأل سائل بعذاب واقع } من السؤال بمعنى الدعا والطلب يقال دعا بكذا استدعاه وطلبه ومنه قوله تعالى يدعون فيها بكل

فاكهة اى يطلبون فى الجنة كل فاكهة والمعنى دعا داع بعذاب واقع نازل

لا محالة سوآء طلبه او لم يطلبه اى استدعاه وطلبه ومن التوسعات الشائعة

فى لسان العرب حمل النظير على النظير وحمل النقيض على النقيض فتعدية

سأل بالباء من قبيل التعدية بحمل النظير على النظير فانه نظير دعا وهو

يتعدى بالباء لا من قبيل التعدية بالتضمين بأن ضمن سأل معنى دعا

فعدى تعديته كما زعمه صاحب الكشاف لان فائدة التضمين على ما

صرح به ذلك الفاضل فى تفسير سورة النحل اعطاء مجموع المعنيين ولا

فائدة فى لجمع بين معنى سأل ودعا لان احدهما يغنى عن الاخر والمراد بهذا

السائل على ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما واختاره الجمهور هو

النضر بن الحارث من بنى عبد الدار حيث قال انكارا واستهزآء اللهم ان

كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء او ائتنا

بعذاب أليم وصيغة الماضى وهو واقع دون سيوقع للدلالة على تحقق

وقوعه اما فى الدنيا وهو عذاب يوم بدر فان النضر قتل يومئذ صبرا

واما فى الآخرة وهو عذاب النار وعن معاوية انه قال لرجل من اهل سبأ ما اجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة قال اجهل من قومى قومك قالوا لرسول الله عليه السلام حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له

وقيل السائل هو الرسول عليه السلام استعجل بعذابهم وسأل ان يأخذهم الله اخذا شديدا ويجعله سنين كسنى يوسف وان قوله تعالى سأل سائل حكاية لسؤالهم المعهود على طريقة قوله تعالى يسألونك عن الساعة وقوله تعالى متى هذا الوعد ونحوهما اذ هو المعهود باوقوع على الكافرين لا ما دعا بها النضر فالسؤال بمعناه وهو التفتيش والاستفسار لان الكفرة كانوا يسألون النبى عليه السلام واصحابه انكارا واستهزآء عن وقوعه وعلى من ينزل ومتى ينزل والباء بمعنى عن كما فى قوله تعالى فاسأل به خبيرااى فاسأل عنه لان الحروف العوامل يقوم بعضها مقام بعض باتفاق العلماء وعن الامام الواحدى ان الباء فى بعذاب زائدة للتأكيد كما فى

قوله تعالى وهزى اليك بجذع النخلة اى عذابا واقعا كقولك سألته الشئ وسألته عن الشئ.

٢

{ للكافرين } اى عليهم فاللام بمعنى على كما فى قوله تعالى وان اسأتم فلها ان فعليها او بهم فاللام بمعنى الباء على كما فى قوله وان اسأتم فلها اى فعليها او بهم فاللام بمعنى الباء على ما ذهب بعضهم فى قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله اى بأن يعبدوا الله او على معناه اى نازل لاجل كفرهم ومتعلقة على التقادير الثلاثة هو واقع قال بعض العارفين بهذا وصف اهل الامل والظن الكاذب الذين يظنون انهم يتركون فى قبائح اعمالهم وهم لا يعذبون

{ ليس له } اى لذلك العذاب { دافع }

٣

{ من الله } اى من جهته تعالى اذا جاء وقته واوجيب الحكمة وقوعه

{ ذى المعارج } صفة لله لانه من السماء المضاءة مثل فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا ونحوهما والمعارج جمع معرج بفتح الميم هنا بمعنى مصعد وهو موضع الصعود الليل سكنا ونحوهما والمعارج جمع معرج بفتح الميم هنا بمعنى مصعد وهو موضع الصعود قال الراغب العروج ذهاب فى صعود والمعارج المصاعد ومعنا ذى المعارج بالفارسيةخداوند درجهاى بلند است . والمراد الافلاك التسعة المرتبة بعضها فوق بعض وهى السموات السبع والكرسى والعرش.

٤

{ تعرج الملائكة } المأمورون بالنزول والعروج دون غيرهم من المهيمين ونحوهم لان من الملائكة من لا ينزل من السماء اصلا ومنهم من لا يعرج من الارض قطعا

{ والروح } اى جبريل افرده بالذكر لتميزه وفضله كما فى قوله

تعالى تنزل الملائكة والروح فقد ذكر مع نزولهم فى آية وعروجهم فى اخرى

{ اليه } اى يعرجون من مسقط الامر الى عرشه والى حيث تهبط

منه اوامره كقول ابراهيم عليه السلام انى ذاهب الى ربى اى الى حيث امرنى

ربى بالذهاب اليه فجعل عروجهم على العرش عروجا الى الرب لان العرش

مجلى صفة الرحمانية فمنه تبتدأ الاحكام والى حيث شاء الله تعالى تهبط

الملائكة بأعمال بنى آدم الى الله تعالى والروح اليهانا ظرفى ذلك المشهد

{ فى يوم } متعلق بتعرج كألى

{ كان مقداره خمسين الف سنة } مما يعده الناس كما صرح

به قوله تعالى فى يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون وقوله خمسين خبر

كان وهو من باب التشبيه البليغ والاصل كمقدار مدة خمسين الف سنة.

واعلم ان تحقيق هذه الآية يستدعى تمهيد مقدمه وهى ان المبروج

اثنا عشرعلى ما افاده هذا البيت وهو قوله

جون حمل جون ثور وجون جوزاء وسرطان واسد ... سنبله ميزان

وعقرب قوس وجدى ودلو وحوت ... وكان مبدأ الدولة العرشية من الميزان

ومنه الى الحوت اوجد الله فيه الارواح السماوية والصور الاصلية الكلية

التعينة فى جوف العرش ولكل برج يوم مخصوص به ومدة هذه البروج السته

وهى الميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت احد وعشرون الف

سنة ومن الحمل الى برج السنبلة فى الحكم خمسون الف سنة ومدة دور

السنبلة سبعة آلاف سنة وهى الآخرة وفى اول هذه الدورة التى هى دور

السنبلة بموجب الامر الالهى الموحى به هناك ظهر النوع الانسانى وبعث

نبينا عليه السلام فى الالف الآخر من السبعة وفى الاجزآء البرزقية بين

احكام دور السنبلة ودور الميزان المختص بالآخرة فانه اذا تم دور البروج

الاثنى عشر ينتقل الحكم الى الميزان وهو زمان القيامة الكبرى فأخذنا كفة

الالف الاولى للدنيا فى الدولة المحمدية والكفة الآخرى للآخرة

والحشر اى أخذنا النصف الاول من الف الميزان الثانى لهذه النشأة

والنصف الاخير منه للنشأة الآخرة ولهذا استقرت الاخبار فى قيام الساعة

وامتدادها الى خمسمائة سنة بعد الالف وهى النصف الاول من الالف الثانى من الميزان الثانى ولم يتجاوز حد الدنيا ذلك عند أحد من علماء الشريعة فبعث النبي عليه السلام فى زمان امتزاج الدنيا بالآخرة كالصح الذى هو اول النهار المشرع ومنه الى طلوع الشمس نظر الزمان الذى هو من المبعث الى قيام الساعة فكما يزداد الضوء بعد طلوع الفجر بالتدريج شيأ بعد شيء كذلك ظهور احكام الآخرة من حين المعث يزداد الى زمان طلوع الشمس من مغربها كما أشار اليه السلام اليه بقوله بعثت انا والساعة كفرسى رهان وبقوله لا تقومالساعة حتى يكلم الرجل عذبة سوطه وحتى يحدثه فخذه بما ينصع اهله بعده وكذا يسمع جمهور الناس فى آخر الزمان نطق الجمادات والنباتات والحيوانات على ما ورد فى الاخبار الصحيحة فلليوم مراتب واحكام.

فيوم كالآن وهو أدنى ما طيلق عليه الزمان ومنه يمتد الكل وهو المشار اليه بقوله تعالىكل يوم هو فى شأن فسمى الزمن الفرد يوما لان

الشان يحدث فيه وهو اصغر الازمان وأدقها والسارى فى كل الادوار سريان المطلق فى المقيد.

ويوم كألف سنة وهو اليوم الالهى ويوم الاخرة كمال قال تعالى وان يوما عند ربك كألف سنة وقال يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون.

ويوم كخمسين الف سنة والى مالا يتناهى كيوم اهل الجنة فلاحد لاكبر الايام يوقف عنده فهذا اليوم الذى كان مقداره خمسين الف سنة هو يوم المعراج ويوم القيامة ايضا.

درفتوحات آورده كه هراسمى را ازاسماء الهيه روزيست خاص كه تعلق بدوداردودر قرآن در روزاز انها مذكوراست يوم الرب كه هزار سالست ويوم ذى المعارج كه بنجاه هزار سالست.

وكل الف سنة دورة واحدة تقع فيها القيامة الصغرى لاهل الدنيا بتبديل الاحكام والشرآئع وانواعها اليهاكل والنفوس وكل سبعة آلاف سنة

دورة لنوع خاص كالانسان وكل خمسين الف سنة دورة ايضا تقع فيما القيامة الكبرى فيفنى العالم واهله وكان عروج الملائكة من الارض الى السماء ونزولهم منا لسماء الى الارض لاجرآء احكام الله وانفاذ امره فى مدة البروج الستة الآخر التى هى الحمل والثور والجوزآء والسرطان والاسد والسنبلة وهى خمسون الف سنة كما سبق وعند العارفين يطلق على نزول الملائكة العروج ايضا وان كانت حقيقة العروج انما هى لطالب العلو وذلك لان لله تعالى فى كل موجود تجليا ووجها خاصا به يحفظه فنزول الملائكة وعروجهم دآئما الى الحق لعدم تحيزه وكل ما كان اليه فهو عروج وان كان فى السفليات لانه هو العلى الأعلى فهو صفة علو على الدوام وجعلت اجنحة الملائكة للهبوط عكس الطائر عبرة ليعرف كل موجود عجزه وعدم تمكنه منتصرفه فوق طاقته التى اعطاها الله له فالملائكة اذا نزلت نزلت بجناحها واذا علت علت بطبعها والطيور بالعكس فاعلم ذلك وكذلك يكون عروجهم ونزولهم اى يقع فى اليوم الطويل الذى هو يوم القيامة لاجرآء احكام الله على ما شاء وانفاذ امره على مقتضى علمه وحكمته

وهو مقدار خمسين الف سنة من سنى الدنيا ودل على مدة هذا اليوم قوله عليه السلام ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمى عليها فى نار جهنم اى مرة ثانية ليشتد حرها فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت اعيدت له اى لمكيه الى نار جهنم فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة اى ان لم يكن له ذنب سوه او كان ولكن الله عفا عنه

واما الى النار اى ان كان على خلاف ذلك رواه مسلم (وروى) ان للقياءة خمسين موقفا يسأل العبد فى كل منها عن امر من امور الدين فان لم يقدر على الجواب وقف فى كل موقف بمقدار اليوم الالهى الذى هو الف سنة ثم لا ينتهى اليوم الى ليل اى يكون وقتاهل الجنة كالنهار ابدا ويكون زمان اهل النار كالليل ابدا اذ كما لا ظلمة لاهل النور كذلك لا نور لاهل الظمة وفيه تذكير للعاقل على ان يوم القيامة اذا كان اوله مقدار خمسين الف سنة فماذا آخره ثم هذا الطول فى حق الكافر والعاصى

لا المؤمن والمطيع لما روى ابو سعيد الحدرى رضى الله عنه انه قيل لرسول الله عليه السلام ما أطول هذا اليوم فقال عليه السلام

(والذى نفسى بيده انه ليخف على المؤمن حتى يكون اخف من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا) وفى التمثيل بالصلاة اشارة الى وجه آخر لمسر العدد وهو ان الكافر اضاع الصلاة وهى فى الاصل خمسون صلاة فكأنه عذب بكل واحدة منها الف سنة ولهذا المسر يكلف يوم القيامة بالسجود لا يغيره ولا يلزم من وجود هذا اليوم بهذا الطول ومن عروج الملائكة فى اثنائه الى المعرش أن يكون ما بيناسفل المعالم واعلى سرادقات المعرش مسيرة خمسين الف سنة لان المراد بيان طول اليوم عروج الملائكة ونزولهم فى مثل هذا اليوم الى العرش ومنه لتلقى امره وتبليغه الى محله مرار او كرارا لابيان طول المعارج لان ما بين مركز الارض ومقعر السماء مسيرة خمسمائة عام وثخن كل واحدة من السموات السبع كذلك فيكون المجموع تسعة آلاف الى العرش اى بالمنظرالظاهرى والا فهى ازيد من ذلك بل من كل عدد متصور كما ستجيئ الاشارة اليه وقول من قال جعل ما

بين الكرسى والعرش كما بين غيرها غير موجه لما فى الحديث الصحيح ان

فى الجنة مائةدرجة اعدها الله للجاهدين فى سبيله كل درجتين ما بينهما

كما بين لسماء والارض فيكون بين الكرسى الذى هو صحن الجنة وبين

العرش الذى هو سقف الجنة خمسمائة سنة مائة مرة اولها من ارض

الكرسى الى الدرجة السافلة من العرش فيكون الجموع مقدار خمسين الف

سنة تأمل تعرف ان كلامه ليس بصحيح من وجوه الاول ان المراد فى هذا

المقام بيان الطول من اسفل العالمالى اعلاه وانه مقدار خمسين الف سنة

لا من صحن الجنة الى سقفها لانه عل ما ذكره من المسافة بين العرشين

يزيد على ذلك المقدار بالنظر الى اسفل اعالم زيادة بينة فلا يحصل

المقصودوالثانى ان امراد النبى عليه السلام من التمثيل بما بين السماء

والارض ليس التحديد بل بيان مجرد السعة وطول الامتداد بما لا يعرفه الا

الله كما يقتضيه المقام والثالث ان الحديث الذى اورده لا يدل على ان

نهاية الدرجة الاخيرة من تلك الدرجات منتهة الى الدرجة السافلة من

العرش بل هو ساكت عنه فيجوز أن يكون المقدار ازيد مما ذكره لان

طبقات المجاهدين متفاوتة على ان سقف الجنة وان كان هو عرش الرحمن لكن المراد به ذروته وهى التى ينتهى دونها عالم التركيب وهى موضع قدم النبى عليه السلام ليلة المعراج وما بين اسفل الجنة من محدب الكرسى الى اعلاها من تلك الذروة التى هى محدب العرش لاحد له يعرف على ما سيجئ فى سورة الاعلى ان شاء الله تعالى فاذا تحققت هذا البيان الشافى فى الآية الكريمة وهو الذى أشار اليه الحكماء الالهية فدع عنك القيل والقال الذى قرره اهل المرآء والجدال فمنه ان قوله فى يوم بيان لغايةارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على منهاج التمثيل والتخييل والمعنى من الارتفاع بحيث لو قدر قطعها فى ذلك لكان ذلك الزمان مقدار خمسين الف سنة من ستى الدنيا انتهى وفيه ان كونه محمولا على التمثيل انما يظهر اذا فسرت المعارج بغير السموات وهو خلاف المقصود ومنه ان معناه تعرج الملائكة والروح الى عرشه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة اى يقطعون فى يوم من ايام الدنيا ما يقطعه الاسنان فى خمسين الف سنة لو فرض ذلك القطع وذلك لغاية سرعتم وقوتهم على الطيران وبالفارسية اكر يكى ازبنى

آدم خواهدكه سير كنداز دنيا تا آنجا كه محل امر ملائكه است وايشان بيكروز ميررند او بدين مقادر سال تواند رفت انتهى.

وفيه ان سير الملائكة لحظى فيصلون من أعلى الاوج الى اسفل الحضيض فى آن واحد فتقدير سيرهم باليوم المعلوم فى العرف غير واضح ومنه ان اليوم فى الآية عبارة عن اول ايام الدنيا الى انقضائها وانها خمسون ألف سنة لا يدرى احدكم مضى وكم بقى الا الله تعالى انتهى وفيه ان ايام الدنيا تزيد على ذلك زيادة بينة كما لا يخفى على اهل الاخيار وعندى انها ثلاثمائة وستون ألف سنة بمقدار ايام السنة دل عليه قوله ان عمر الانسان جامعة من جمع الأخرة وقد سلفناه فى موضعه ومنه ان المراد باليوم هو يوم من ايام الدنيا يعرج فيه الامر من منتهى اسفل الارضين الى منتهى اعلى السموات ومقدار ذلك اليوم خمسون ألف سنة

واما اليوم الذى مقداره ألف سنة كما فى سورة الم السجدة فباعتبار نزول الامر من السماء الى الارض وباعتبار عروجه من الارض الى اسماء فللنزول خمسمائة وكذا للصعود والمجموع ألف وفيه انه زاد فى الطنبور نغمة

اخرى حيث اعتبر العروج من اسفل الارضين ليطول المسافة وظاهر انه لا يتم المقصود بذلك ومنه ان المراد تصعد الحفظة باعمال بنى آدم كل يوم الى محلى قربته وكرامته وهو السماء فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة من سنى الدنيا لو صعد فيه غير الملك لان الملك يصعد من منتهى امرا لله من اسفل السفل الى منتهى امره من فوق السماء السابعة فى يوم واحد ولو صعد فيه بنوا آدم لصعدوا فى خمسين ألف سنة انتهى وفيه ما فى السابق من تقدير اليوم فى حق الملائكة مع ان قصر الصعود على الصعود بمجرد العمل قصور لانه شان الملائكة الحافظين والآية مطلقة عامة لهم ولغيرهم من المدبرات ومنه ان قوله فى يوم متعلق بواقع على أن يكون المراد به يوم القيامة والمعنى يقع العذاب فى يوم طويل مقداره خمسون الف سنة من سنى الدنيا فتكون جملة قوله تعرج الملائكة معترضة بين الظرف ومتعلقه انتهى وفيه انه من ضيق العطن لانه لا مانع من ارادة يوم القيامة على تقدير تعلقه بتعرج ايضا على ما عرف من تقديرنا السابق فان قلت لما ذا وصف الله ذاته فى مثل هذا المقام بذى المعارج قلت للتنبيه على ان عروج

الملائكة على مصاعد الافلاك ونزولهم منها انما هو للامر الالهى كما قال

تعالى يتنزل الامر بينهن ومن امره ايصال اللطف الى اوليائه وارسال القهر

على اعدآئه ففيه تحذيرللكفار من عقوبة السماء النازلة بواسطة الملائكة

كما وقعت للامم الماضية المكذبة وزجر لهم عما يؤدى الى المحاسبة الطويلة

يوم القيامة هذا ما تيسر لى فى هذا المقام والعلم عند الله العلام وفى

التأويلات النجمية فى ذى المعارج اى يصعد بتعذيب اهل الشهوات

واللذات مرتبة فوق امرتبة ومصعدا فوق مصعد منمعرج نفوسهم الى معرج

قلوبهم ومنه الى معرج سرهم ومنه الى معرج روحهم يعذبهم فى كل مرتبة

عذابا اشد من اول وفى قوله تعالى تعرج الخ اى تعرج الخواطر الروحانية

خصوصا خاطر جبريل الروح فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة من ايام

الله وهى ايام السماء التى تحت حيطة الله الاسم الجامع فافهم قال القاشانى

ذى المعارج اىالمصاعد وهى مراتب الترقى من مقام الطبائع الى مقام المعادن

بالاعتدال ثم الى مقام النبات ثم الى الحيوان ثم الى الانسان فى مدارج

الانتقالات المترتبة بعضها فوق بعض ثم فى منازل السلوك بالانتباه واليقظة

والتوبة والانابة الى آخر ما أشار اليه اهلا لسلوك من منازل اليقين ومناهل القلب فى مراتب الفناء فى الافعال فى الذات مما لا يحصى كثرة فان له تعالى بازآء كل صفة مصعدا بعد المصاعد المتقدمة على مقام والصفات الى الفناء الفناء فى الصفات تعرج الملائكة من القوى الارضية والسمائية فى وجود الانسان والروح الانسانى الى حضرته الذاتية الجامعة فى القيامة الكبرى فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة وهو يوم من ايام الله العلى بالذات ذى المعارج العلى وهى الايام الستة السرمدية من ابتدآء الازل الى انتهاء الازل الى انتهاء الابد

واما اليوم المقدار بألف سنة فى قوله وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون فهو يوم من ايام الرب المدبر الذى وقت به العذاب وانجاز الوعد فى قولهويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده والتدبير فى قوله يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقدار الف سنة مما تعدون وذلك اليوم الاخير من الاسبوع الذى هو مدة الدنيا المنتهية بنبوة الخاتم صلّى الله عليه وسلّم والذى قال فيه ان استقامت امتى

فلها يوم وان لم تسبق فلها نصف يوم مع قوله بعثت انا والساعة كهاتين فهذه يوم من ايام الربوبية والتدبير

واما اليوم الذى هو من الايام الالوهية فهو مقدار ابتداء الربوبية باسماء الله الغير المتناهية التى تندرج معها لا تناهيها فى الاسماء السبعة وهى الحى الالم القادر المريد السميع البصير المتكلم ولكل من هذه السبعة ربوبية مطلقة بالنسبة الى ربوبيات الاسماء المندرجة تحته ومقيده بالنسبة الى ربوبية كل واحد من اخوانه الى انتهائها بالتجلى الذاتى وكما ان هذا اليوم المذكور سبع من ايام الدنيا فمدة الدنيا سبع من ذلك اليوم الالهى الحاصل من ضرب ايام الدنيا فى عدد اسماء الربوبية وهى تسع واربعون سنة وآخرة اول الخمسين الذى هو يوم واحد من ايام الله وهو يوم القيامة الكبرى.

٥

{ فاصبر } يا محمد

{ صبرا جميلا } لا جزع فيه ولا شكوى لغير الله فان العذاب يقع في هذه المدة المتطاولة التى تعرج فيها الملائكة والروح وعن الحسن الصبر الجميل هو المجاملة فى الظاهر وعن ابن بحر انتظار الفرج بلا استعجال وهو متعلق بسأل لان السؤال كان استهزآء وتعنت وتكذيب بالوحى وذلك ما يضجره عليه السلام او كان عن تضجر واستبطاء للنصر والمعونة.

٦

{ انهم } اى اهل مكة

{ يرونه } اى العذاب الواقع اى يزعمونه فى رأيهم

{ بعيدا } اى يستبعدونه بطريق الاحالة كما كانوا يقولون ائذا متنا وكنا ترابا الآية من يحيي العظام وهى رميم فلذلك يسألون به وسبب استبعادهم عدم علمهم باستحقاقهم اياه يقول المرء لخصمه هذا بعيد رد الوقوعه وامكانه.

٧

{ ونراه } اى نعلمه

{ قريبا } لعلمنا باستحقاقهم اياه بحسب استعدادهم اى هينا فى قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر فالمراد بالبعد هو البعد من الامكان وبالقرب هو القرب منه وقالسهل رحمه الله انهم يرون المقضى عليهم من الموت والبعث والحساب بعيدا لبعد آمالهم ونرا قريبا فان كل كائن قريب والبعيد مالا يكون وفى الحديث ما الدنيا فيما مضى وما بقى الا كثوب شق باثنين وبقى خيط واحد ألا وكان ذلك الخيط قد انقطع قال الشاعر

هل الدنيا وما فيها جميعا ... سوى ظل يزول مع النهار

ما همجو مسافريم درزير درخت ... جون سايه برفت زود بردار درخت

ومن عجب الايام انك قاعد ... على الارض فى الدنيا وأنت تسير

فسيرك يا هذا كسير سفينة ... بقوم قعود والقلوب تطير

٨

{ يوم تكون السماء كالمهل } وهو ههنا خبث الحديد ونحوه مما يذاب على مهل وتدريج او دردى الزيت لسيلانه على مهل لثخانته وعن ابن مسعود كالفضة المذابة فى تلونها او كالقير والقطران فى سوادهما ويوم متعلق بقريبا اى يمكن ولا يتعذر فى ذلك اليوم اى يظهر امكانه والا فنفس الامكان لا اختصاص له بوقت او متعلق بمضمر مؤخرأى يوم تكون السماء كالمهل يكون من الاحوال والاهوال مالا يوصف.

٩

{ وتكون الجبال كالعهن } العهن الصوف المصبوغ قال تعالى كالعهن المنفوش وتخصيص العهن لما فيه من اللون كما ذكر فى قوله تعالى فكانت وردة كالدهانوالمعنى وتكون الجبال كاصوف المطبوغ ألوانا لاختلاف ألوان الجبال منها جدد بيض وحمر وغرابيب سود فاذا بست

وطيرت فى الجو اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح قال فى كشف الاسرار اول ما تنغير الجبال تصير رملا مهيلا ثم عنها منفوشا ثم تصير هباء منثورا.

١٠

{ ولا يسأل حميم حميما } اى لا يسأل قريب قريبا عن احواله ولا يكلمه لابتلاء كل منهم بما يشغله عن ذلك واذا كان الحال بين الأقارب هكذا فكيف يكون بين الأجانب والتنكير للتعميم.

١١

{ يبصرونهم } استئناف كأنه قيل لعله لا يبصره فكيف يسأل عن حاله فقل يبصرونهم والضمير الاول لحميم اول والثانى للثانى وجمع الضميرين لعموم الحميم لكل حميمين لا لحميمين اثنين قال فى تاج المصادر التبصير بينا كردن . والتعريف والايضاح ويعدى الى المفعول الثانى بالباء وقد تحذف الباء وعلى هذا يبصرونهم انتهى يعنعدى يبصرونهم بالتضعيف

الى ثان وقام الاول مقام الفاعل والشائع المتعارف تعديته الى الثانى بجحرف الجر يقال بصرته به وقد يحذف الجار واذا نسبت الفعل للمفعول به حذفت الجار وقلت بصرت زيدا وما فى الآية من هذا القبيل والمعنى يبصر الاحماء الاحماء يعنى بينا كرده شوند ايشان بخويشان خود.

فلا يخفون عليهم ولا يمنعهم من التسأول الا تشاغلهم بحال انفسهم وليس فى القيامة مخلوق الا وهو نصب عين صاحبه فيبصر الرجل أباه وأخاه واقرباءه وعشيرته ولكن لايسأله ولا يكلمه لاشتغاله بما هو فيه قال ابن عباس رضى الله عنهما يتعارفون ساعة ثم يتنا كرون

{ يود المجرم } اى يتمنى الكافر

وقيل كل مذنب

{ لو } بمعنى التمنى فهو حكاية لودادتهم

{ يفتدى } فدادهد.

وهو حفظ الانسان عن التائبة بما يبذل عنه

{ من عذاب يومئذ } اى من العذب الذى ابتلو به يوم اذ كان الامر ما ذكر وهو بكسر الميم لاضافة العذاب اليه وقرئ يومئذ بالفتح على البناء للاضافة الى غير متمكن

{ ببينه } اصله بنين سقطت نونه بالاضافة وجمعه لان كثرتهم محبوبة مرغوب فيها.

١٢

{ وصاحبته } زوجته التى يصاحبها

{ واخيه } الذى كان ظهيرا له ومعينا والجملة استنئاف لبيان ان اشتغال كل مجرم بنفسه بلغ الى حيث يتمنى أن يفتدى بأقرب الناس اليه واعلقهم بقلبه ويجعله فدآء لنفسه حتى ينجو هو من العذاب فضلا عن أن يهتم بحاله ويسأل عنها كأنه قيل كيف لايسأل مع تمكنه من السؤال فقيل يود الخ.

١٣

{ وفصيلته } وهى فى الاصل القطعة المفصولة من الجسد وتطلق على الآباء الأقربين وعلى الاولاد لان الولد يكون مفصولا من الابوين فلما كان الولد مفصولا منهما كانا مفصولين منه ايضا فسمى فصيلة لهذا السبب والمراد بالفصيلة فى الآية هو الآباء الاقربون والعشيرة الادنون لقوله وبينه

{ التى تؤويه } أوى الى كذا انضم اليه وآواه غيره كما قال تعالى آوى اليه اخاه اى ضمه الى نفسه فمعنى تؤويه تضمه اليها فى النسب او عند الشدآئد فيلوذ بهاوبالفارسية وخويشان خودرا كه جاى داده اند اورا دردنيانزد خود يعنى بناكاه وى بود اند.

١٤

{ ومن فى الارض جميعا } من الثقلين والخلائق ومن للتغليب

{ ثم ينجيه } عطف على يفتدى اى يود لو يفتدى ثم ينجيه الافتدآء . وثم لاستبعاد الانجاء يعنى يتمنى لو كان هؤلاء جميعا تحت يده وبذلهم فى فدآء نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات أن ينجيه وفيه اشارة الى مجرم الروح المنصبغ بصبغة النفس فانه يود أن يفتدى من هول عذاب يوم الفراق والاحتجاب مبنى القلب وصفاته وصاحبة نفسه واخى سره وفصيلته اى توابعه وشيعته ومن فى ارض بشريته جميعا من القوى الروحانية والجسمانية ثم ينجيه هذا الافتدآء ولا ينفعه لفساد الاستعداد وفوات الوقت.

١٥

{ كلا } ردع للمجرم عن الودادة وتصريح بامتناع انجاء الافتدآء اى لا يكون كما يتمنى فانه بهيئته الظلمانية الحاصلة من الاجرام استحق العذاب فلا ينجو منه وفى الحديث يقول الله لأهون اهل النار عذابا يوم القيامة لو أن لك ما فى الارض من شئ اكنت تفتدى به فيقول نعم فيقول اردت منك اهون من هذا وأنت فى صلب آدم ان لا تشرك بى

وعن القرطبى ان كلا يكون بمعنى الردع وبمعنى حقا وكلا الوجهين جائز ان هنا فعلى الثانى يكون تمام الكلام ينجيه فيوقف عليه ويكون كلا من الجملة الثانية التى تليه والمحققون على الاول ومن ذلك وضع السجاوندى علامة الوقف المطلق على كلا

{ انها } اى النار المدلول عليها بذكر العذاب والمراد جهنم

{ لظى } وهو علم للنار وللدرك الثانى منها منقول من اللظى بمعنى اللهب الخالص الى لا يخالطه دخان فيكون فغاية الاحراق لقوة حرارته النارية بالصفاء وهو خبر ان بمعنى مسماة بهذا الاسم ويجوز أن يراد اللهب الخاصل على الاصل فيكون خبرا بلا تأويل (كما قال الكاشفى) بدرستى كه آتش دوزخ كه مجرم ازوفدا دهد زبانه ايست خالص (وفى كشف الاسرار) آن آتشى است زبانه زن.

١٦

{ نزاعة للشوى } نزع الشئ جذبه من مقره وقلعه والشوى الاطراف اى الاعضاء التى ليست بمقتل كالايدى والارجل ونزاعة على الاختصاص للتهويل اى اعنى بلظى جذابة للاعضاء الواقعة فى اطراف الجسد وقلاعة لها بقوة الاحراق لشدة الحرارة ثم تعود كما كانت وهكذا ابدا والشوى جمع شواة وهى جلدة الرأس يعنى ان النار تنزع جلود الرأس وتقشر ما عنه وذلك لانهم كانوا يسعون بالاطراف للاذى والجفاء ويصرفون عن الحق الاعضاء الرئيسة التى تشتمل عليها الرأس خصوصا العقل الذى كانوا لا يعقلون به فى الرأس.

١٧

{ تدعو من ادبر } اى عن الحق ومعرفته وهو مقابل اقبل ومعنى تدعو تجذب الى نفسها وتحضر فهو مجاز عن احضارهم كأنها تدعوهم فتحضرهم (قال الكاشفى) زبانه ميزند وكافر رابخود ميكشد ازصدساله ودويست ساله راه جنانجه مقناطيس آهن راجذب ميكند.

وتقول لهم الى الى يا كافر ويا منافق ويا زنديق فانى مستقرك او تدعو الكافرين والمنافقين بلفظ فصيح باسمائهم ثم تلتقطهم كالتقاط الطير الحب ويجوز ان يخلق الله فيها كلاما كام يخلقه فى جلودهم وايديهم وارجلهم وكما خلقه فى الشجرة او تدعو زبانيتها على حذف المضاف او على الاسناد المجازى حيث اسند فعل الداعى الى المدعو اليه

{ وتولى } اى اعرض عن الطاعة لان من اعرض يولى وجهه وفى التأويلات النجمية من ادبر عن التوجه الى الحق بموافقات الشريعة ومخالفات الطبيعة وتولى عن الاقبال على الآخرة والادبار عن الدنيا وقال القاشانى بمناسبة نفسه للجحيم انجر اليها اذ الجنس الى الجنس يميل ولظى نار الطبيعة السفلية ما استدعيت الا المدبر عن الحق المعرض عن جناب القدس وعالم النور المقبل بوجه الى معدن الظلمة المؤثر لمحبة الجواهر الفانية السفلية المظلمة فانجذب بطبعه الى مواد النيران الطبيعية واستدعته وجذبته الى نفسها للجنسية فاحترق بنارها الروحانية المستولية على الافئدة فكيف يمكن الانجاء منها وقد طلبها بداعى الطبع ودعاها بلسان الاستعداد.

{ وجمع } المال حرصا وحبا للدنيا

{ فأوعى } فجعله فى وعاء وكنزه ولم يؤد زكاته وحقوقه الواجبة فيه وتشاغل به عن الدين وتكبر باقتنائه وذلك لطول امله وانعدام شفقته على عباد الله والا ما ادخر بل بذل وفى جمع الجمع ومع الادبار والتولى تنبيه على قباحة البخل وخساسة البخيل وعلى انه لا يليق بالمؤمن وفى الخبر يجاء بابن آدم يوم القيامة كأنه يذبح بين يدى الله وهو بالفارسية بره . فيقول له اعطيتك وخولتك وانعمت عليك فما صنعت فيقول رب جمعته وصمرته وتركته اكثر ما كان فارجعنى آتك به كله فاذا هو عبد لم يقدم خيرا فيمضى به الى النار وفى الخبر بصق عليه السلام يوما فى كفه ووضع عليها اصبعه فقال (يقول الله لابن آدم تعجزنى وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك ومشيت بين بردين وللارض منك) وئيد يعنى زمين را ازتو آواز شديد بود.

فجمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقى قلت اتصدق وأنى لو ان الصدقة وفى التأويلات النجمية جمع الكمالات الانسانية من الاخلاق الروحانية والاوصاف الرحمانية ولم ينفق على الطلاب الصادقين العاشقين والمحبين المشتاقين بطريق الارشاد والتعليم والتسليك.

١٩

{ ان الانسان } اى جنس الانسان

{ خلق } حال كونه

{هلوعا } مبالغة هالع من الهلع وهو سرعة الجزع عند مس المكروه بحيث لا ستمسك وسرعة المنع عند مس الخير يقال ناقة هلواع سريعة السير وهو من باب علم وقد فسره احسن تفسير على ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قوله تعالى

٢٠

{ اذا } ظرف لجزوعا

{ مسه الشر } اى اصابه ووصل اليه الفقر او المرض او نحوهما

{ جزوعا } مبالغة فى الجزع مكثرا منه لجهله بالقدر وهو ضد الصبر وقال ابن عطاء الهلوع الذى عند الموجود يرضى وعند المفقود يسخط وفى الحديث شر ما اعطى ابن آدم شح هالع وجبن خالع فالهالع المحزن يعنى اند وهكين كننده . والخالع الذى يخلع قلبه قال بعض العارفين انما كرهت نفوس الخلق المرض لانه شاغل لهم اداء ما كلفوا به من حقوق الله تعالى اذ الروح اليحوانى حين يحس بالألم يغيب عن تدبير الجسد الذى يقوم بالتكليف وانما لم تكره نفوس العارفين الموت لما فيه من لقاه الله تعالى فهو نعمة ومنه ولذلك ما خير نبى فى الموت الا اختار.

٢١

{ واذا } ظرف لموعا

{ مسه الخير } اى السعة او غيرهما

{ منوعا } مبالغا فى المنع والامساك لجهله بالقسمة وثواب الفضل

وللصحة مدخل فى الشح فان الغنى قد يعطى فى المرض مالا يعطيه فى

الصحة ولذا كانت الصدقة كالصحة افضل . ودرلباب ازمقاتل نقل

ميكندكه هلوع جانوريست دربس كوه قاف كه هروز هفت صحرا ازكياء

خالى ميكند يعنى همه حشايش آنرامى خورد وآب هفت دريا مى آشامد

ودر كرما وسرما صبر ندارند وهرشب دراندیشه آنست كه فردا جه خواهد

خورد بس حق سبحانه وتعالى آدمى را دربى صبرى واندیشه روزى بدين

دابه تشبيه ميكند

جانور براكه بجز آدميست ... معده جو برشد سبب بى غميست

آدميست آنكه نه سيرى برد ... برسر سيرى غم روزى خورد

خورد همه عمر جه بيش وجه كم ... روزئ هرروزه زخوان كرم

وزره حرص واملش همجنان ... هيج غمى نيست بجز فكرنان

والاوصاف الثلاثة وهى هلوعا وجزوعا ومنوعا احوال مقدرة لان

المراد بها ما يتعلق به الذم والعقاب وهو ما يدخل تحت التكليف والاختيار

وذلك بعد البلوغ اومحققة لانها طبائع جبل الانسان عليها كما قال المنبى

الظلم من شيم النفوس فان تجد . ذا عفة فلعلة لا يظلم . ولا يلزم ان لا

نفارقه بالمعالجات المذكورة فى كتب الاخلاق فانها كبرودة الماء ليست من

اللاوزم المهيئة للوجود بل انما حصولها في بوضع الله تعالى وخلقه وهو يزيلها

ايضا بالاسباب التى سببها اذا أراد فان قيل فيلزم ان يكون له هلع حين

كان فى المهد صبيا قلنا نعم ولا محذور الا يرى انه كيف يسرع الى الثدى

ويحرص على الرضاع ويبكى عند مس الألم ويمنع بما وسعه اذا تمسك بشئ

فزوحم فيه قال الراغب فان قيل ما الحكمة فى خلق الانسان على مساوى

الاخلاق قلنا الحكمة فى خلق الشهوة ان يمانع نفسه اذا نازعته نحوها

ويحارب شيطانه عند تزيينه المعصية فيستحق من الله مثوبة وجنة

انتهى يعنى كما انه ركب فيه الشهوة ركب فيه العقل الرادع وحصلت

الدلالة الى الصراط السوى من الشارع قال بعض العارفين الشح فى الناسن

امر جبلى لا يمكن زواله ولكن يتعطل بعناية الله تعالى استعماله لا غير فلذلك قال ومن يوق شح نفسه فأثبت الشح فى النفس الا ان العبد يوقاه بفضل الله وبرحمته وقال ان الانسان خلق هلوعا الخ واصل ذلك كله ان الانسان استفاد وجوده من الله فهو مفطور على الاستفادة لاعلى افادة فلا عطيه حقيقته ان يتصدق او يعطى احدا شيأ ولذلك ورد الصدقة برهان يعنى دليل ان هذا الانسان وقى بها شح النفس.

يقول الفقير وعليه المزاح المعروف وهو أن بعض العلماء وقع فى الماء فكاد يغرق فقال له بعض الحاضرين يا سلطانى ناولنى يدك فقيل لا تقل هكذا فانه اعتاد الاخذ لا الاعطاء بل قل خذ بيدى وقال بعضهم الغضب والشره والحرص والجبن والبخل والسحد وصف جبلى فى لانسان والجان وما كان من الجبلة فمحال ان يزول الا بانعدام الذات الموصوفة به ولهذا عين الشارع صلّى الله عليه وسلّم لهذه الامور مصارف فقال لا حسد الا فى اثنتين وامر بالغضب لله لا حمية جاهلية وقال ولا تقل لهما اف ثم مدح من قال اف لكم ولما تعبدون من دون الله وقال ولا

تخافوهم ثم قال وخافون فالكل يستعملون هذه الصفات استعمالا محمودا وكثير من الفقرآء يظنون زوال هذه الصفات منهم حين يعطل الله استعمالها فيهم وليس كذلك.

يقول الفقير ومنه يعلم صحة قول من قال ان النفس لامارة بالسوء وان كانت نفس الانبياء على ما اسلفناه فى سورة يوسف والحاصل ان اصول الصفات باقية فى الكل لبقاء المحاربة مع النفس اذا لا يحصل الترقى الا بالمحاربة والترقى مستمر الى الموت فكذا المحاربة المبنية على بقاء اصول السفات فأصل النفس امارة لكن لا يظهر اثرها فى الكاملين كما يظهر فى الناقصين فاعلم ذلك قال القاشانى ان النفس بطبعها معدن الشر ومأوى الرجس لكونها من عالم الظلمات فمن مال اليها بقلبه واستولى عليه مقتضى جبلته وخلقته ناسب الامور السفلية واتصف بالرذآئل التى اردأها الجبن والبخل المشار اليهما بقوله واذا مسه الشر الخ لمحبة البدن ما يلائمه وتسببه فى شهواه ولذاته وانما كانا اردأ لجاذبهما القلب الى اسفل مراتب الوجود وفى التأويلات النجمية يشير الى هلع الانسان المستعد لقبول

الفيض الالهى ساعة فساعة ولحظة فلحظة وعدم صبره عن بلوغه الى الكمال فانه لا يزال فى طريق السلوك يتعلق باسم من الاسماء الالهية ويتحقق به ويتخلق ثم يتوجه الى اسم آخر الى ان يستوفى سلوك جميع الاسماء اذا مسه الشر الفترة الواقعة فى الطريق يجزع ويضطب ويتقلقل ولا يعلم ان هذه الفترة الواقعة فى طريقه سبب لسرعة سلوكه وموجب لقوة سيره وطيرانه واذا مسه الخير من المواهب الذاتية والعطايا الاسمائية يمنع من مستحقيه ويبخل على طالبيه.

٢٢

{ الا المصلين } استثناء من الانسان لانه فى معنى الجمع للجنس وهذا الاستثناء باعتبار الاستمرار أى ان المطبوعين على الصفات الرذيلة مستمرون عليها الا المصلين فانهم بدلو تلك الطبائع واتصفوا باضدادها.

٢٣

{ الذين هم } تقديم هم يقيد تقوية الحكم وتقريره فى ذهن السامع كما فى قولك هو يعطى الجزيل قصدا الى تحقيق انه يفعل اعطاء الجزيل

{ على صلاتهم دائمون } لا يشغلهم عنها شاغل فيواظبون على ادآئها كما روى عن النبي عليه السلام انه قال (افضل العمل اودمه) وان قل وقالت عائشةرضى الله عنها كان عمله ديمة قدم الصلاة على سائر الخصال لقوله عليه السلام (اول ما افترض الله على امتى الصلوات الخمس واول ما يرفع من اعمالها الصلوات واول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته فان صلحت فقد افلح وانجح وان فسدت فقد خاب وخسر وانها آخر ما يجب عليه رعايته فانه يؤخر الصوم فى المرض دون الصلاة)الا ان لا يقدرعلى التميم والايماء ولذا ختم الله الخصال بها كما قال والذين هم على صلاتهم يحافظون وكان آخر ما اوصى به عليه السلام الصلاة وما ملكت ايمانكم وفى الآية اشارة الى صلاة النفس وهى التزكية عن المخالفات الشرعية وصلاة القلب وهى التصفية عن الميل الى الدنيا وشهواتها وزخارفها وصلاة السر وهى التخلية عن الركون الى المقامات

العلية والمراتب السنية وصلاة الروح وهى بالمكاشفات الربانية والمشاهدات الرحمانية والمعاينات الحقانية وصلاة الخفى وهى بالفناء فى الحق والبقاء به فالكمل يداومون على هذه الصلوات.

٢٤

{ والذين } اى والا الذين

{ فى اموالهم حق معلوم } اى نصيب معين يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله تعالى واشفاقا على الناس من الزكاة المفروضة الموظفة.

٢٥

{ للسائل } اى للذى يسأل ومن كان له قوت يوم لا يحل له السؤال

واما حكم الدافع له عالما بحاله فكان القياس ان يأثم لانه اعانة على الحرام لكنه يجعله هبة ولا اثم فى الهبة للغنى وله ان يرده برد جميل مثل ان يقول آتاكم الله من فضله

{ والمحروم } الذى لا يسأل اما حياء او توكلا فيظن انه غنى فيحرم وفيه اشارة الى احوال الحقائق والمعارف الحاصلة من راس مال الاعمال الصالحة والاحوال الصادقة ففيها حق معلوم للسائل وهو المستعد للسلوك والاجتهاد فينبغى ان يفيض عليه ويرشده الى طلب الحق والمحروم هو المرمى الساقط على ارض العجز بسبب الاهل والعيال والاشتغال باسبابهم فيسليهم ويطيب قلوبهم برحمة الله وغفرانه ويفيض عليهم من بركات انفاسه الشريفة لئلا يحرم من كرم الله وفيضه.

٢٦

{ والذين يصدقون بيوم الدين } اى باعمالهم حيث يتعبون انفسهم فى الطاعات البدنية والمالية طمعا فى المثوبة الاخروية بحيث يستدل بذلك على تصديقهم بيوم الجزآء فمجرد التصديق بالجنان واللسان وان كان ينجى من الخلود فى النار لكن لا يؤدى الى ان يكون صاحبه مستثنى من المطبوعين بالاحوال المذكورة قال القاشانى والذين يصدقون من اهل

اليقين البرهانى او الاعتقاد الايمانى باحوال الآخرة والمعاد وهم ارباب القلوب المتوسطون.

٢٧

{ والذين هم من عذاب ربهم مشفقون } خائفون على انفسهم مع ماهم من الاعمال الفاضلة استقصارا لها واستعظاما لجنابه تعالى (قال الكاشفى) وعلامت ترس الهى اجتناب از ملاهى ومناهيست.

وقال الحسن يشفق المؤمن ان لا تقبل حسناته وتقديم من يحسن ان يكون للحصر امتثالا لأمره تعالى فارهبون مع جواز أن يكون للتقوية.

٢٨

{ ان عذاب ربهم غير مأمون } كه عذاب خداوند ايشان نه آنست كه ازان ايمن باشند . وهو اعتراضمؤذن بانه لا ينبغى لاحد أن يأمن عذابه تعالى وان بالغ فى الطاعة والاجتهاد بل يكون بين الخوف والرجاء لانه لا يعلم احد عافيته قال القاشانى والذين هم الخ اى اهل

الخوف من المبتدين فى مقام النفس السائرين عنه بنور القلب لا لوافقين

معه او المشفقين من عذاب الرحمان والحجاب فى مقام القلب من

السالكين او فى مقام الشاهدة من التوين فانه لا يؤمن الاحتجاب ما

بقيت بقية كما قال ان عذاب ربهم غير مأمون ومن العذاب اعجاب المرء

بنفسه فانه من الموبقات الموقعات فى عذاب نار الجحيم العقاب نسأل الله

العافية.

٢٩

{ والذين هم لفروجهم } فرج الرجل والمرأة سوءآتهما اى قبلهما

عبر به به عنها رعاية للأدب فى الكلام وأدب المرء خير من ذهبه والجار

متعلق بقوله

{ حافظون } من الزنى متعففون عن مباشرة الحرام فان حفظ

الفرج كناية عن العفة.

٣٠

{ الا على } بمعنى من كما فى كتب النحو

{ ازوجهم } نسائهم المنكوحات

{ او ما ملكت ايمانهم } من الجوارى فى اوقات حلها كالطهر من الحيض والنفاس ومضى مدة الاستبرآء عبر عنهن بما اجرآء لهن لمملوكيتهن مجرى غير العقلاء اولانوثتهن المنبئة عن القصور وايراد ما ملكت الايمان يدل على المراد من الحافظين هنا الذكور وان كان الحفظ لازما للاناث ايضا بل اشد لانه لازم عليهن على عبيدهن وان كانوا مما ملكت ايمانهن ترجيحا لجانب الذكور فى صيانة عرضهم

{ فانهم } اى الحافظين

{ غير ملومين } على عدم حفظها منهن اى غير معيوبين شرعا فلا يؤاخذون بذلك فى الدنيا والآخرة وبالفارسية بجاى سرزنش نيستند.

وفيه اشعار بأن من لم يحفظ تكفيه ملامة اللائمين فكيف العذاب.

٣١

{ فمن ابتغى } بس هركه طلب كندبراى نفس خود

{ ورآء ذلك } الذى ذكر وهو الاستمتاع بالنكاح وملك اليمين

وحد النكاح اربع من الحرآئر ولاحد الملك اليمين

{ فاولئك } المبتغون

{ هم لعادون } المتعدون لحدود الله الكاملون فى العدوان المتناهون

لانه من عداء عليه اذا تجاوز الحد فى الظلم ودخل فيه حرمة وطئ الذكران

والبهائم والزنى

وقيل يدخل فيه الاستمناء ايضا (روى) ان العرب كانوا يستمنون

فى الاسفار فنزلت الآية وفى الحديث ومن لم يستطع اى التزوج فعليه

بالصوم استدل به بعض المالكية على تحريم الاستمناء لانه عليه

السلام ارشد عند العجز عن التزوج الى الصوم الذى يقطع الشهوة فلو

كان الاستمناء مباحا لكان ا لارشاد اليه اسهل وقد أباح الاستمناه طائفة

من العلماء وهو عند الحنابلة وبعض الحنفية لاجل تسكين الشهوة جائز

وفى رواية الخلاصة الصائم اذا عالج ذكره حتى امنى يجب عليه القضاء ولا كفارة عليه ولا يحل هذا الفعل خارج رمضان ان قصد قضاء الشهوة وان قصد تشكين شهوته ارجو أن لا يكون عليه وبال وفى بعض حواشى البخارى والاستمناء باليد حرام بالكتاب والسنة قال الله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الى قوله فاولئك هم العدون اى الضالون المتجاوزون من الحلال الى الحرام قال البغوى الآية دليلعلى ان استمناء باليد حرام قال ابن جريج سألت ابن عطاء عنه فقال سمعت ان قوما يحشرون حبللى واظنهم هؤلاء وعن سعيد بن جبير عذاب الله امة كانوا يعبثون بمذاكيرهم والواجب على فاعله التعزيز كما

قال بعضهم نعم يباح عند أبي حنيفة واحمد اذا خاف على نفسه الفتنة وكذلك يباح الاستمناء بيد امرأته وجاريته لكن قال القاضى حسين مع الكراهة لانه معنى العزل وفى التاتار خانية قال أبو حنيفة احسبه ان يتجور رأسا برأس.

يقول الفقير من اضطر الى تسكين شهوته فعليه ان يدق ذكره بحجر كما فعله بعض الصلحاء المتقين حين التوقان صيانة لنفسه عن الزنى ونحوه والحق احق ان يتبع وهو العمل بالارشاد النبوى الذى هو الصوم فان اضطر فالعمل بما ذكرناه اولى واقرب من افعال اهل الورع والتقوى.

٣٢

{ والذين هم لاماناتهم وعهدم راعون } لا يخلون بشئ من حقوقها والامانة اسم لجنس ما يؤتمن عليه الانسان سوآء من جهة البارى تعالى وهى امانات الدين التى هى الشرآئع والاحكام او من جهة الخلق وهى الودآئع ونحوها والجمع بالنظر الى اختلاف الانواع وكذا العهد شامل لعهد الله وعهد الناس وهو ما عقده الانسان على نفسه لله او لعباده وهو يضاف الى المعاهد والمعاهد فيجوز هنا الاضافة الى الفاعل والمفعول وقال الجنيد قدس سره الامانة المحافظة على الجوارح والعهد حفظ القلب مع الله على التوحيد والرعاية القيام على الشئ بحفظه واصلاحه وقد جعل رسول

الله صلّى الله عليه وسلّم الخيانة عند ائتمان والكذب عند التحديث والغدر عند المعاهدة والفجوز عند المخاصمة من خصال المنافق.

اكرمى بايد ازآتش امانت ... فرومكذار قانون امانت

بهر عهدى كه مى بندى وفاكن ... رسوم حق كزارى را اردا كن

قال بعض الكبار كل من اتصف بالامانة وكتم الاسرار سمع كلام الموتى وعذابهم ونعيمهم كما سمعت البهائم عذاب اهل القبور لعدم النطق وكذلك يسمع من اتصف بالامانة كلام اعضائه له فى دار الدنيا لانها حية ناطقة ولذلك تستشهد يوم القيامة فتشهد ولا يشهد الا عدل مرضى بلا شك وفى التأويلات النجمية يشير الى الامانة المعروضة على السموات والارض والجبال وهى كمال المظهرية وتمام المضاهاة الالهية والى عهد ميثاق ألست بربكم قالوا بلى ورعاية ذلك العهد أن لا يخالفة بالمخالفات الشرعية والموفقات الطبيعية وقال بعضهم والذين هم لآمانتهم التى استودعوها

بحسب الفطرة من المعارف العقلية وعهدهم الذى اخذ الله ميثاقه منهم فى لازل راعون بأن لم يدنسوا الفطرة بالغواشى الطبيعية والاهوآء النفسانية.

٣٣

{ والذين هم بشهاداتهم } الباء متعلق بقوله

{ قائمون } سوآء كانت للتعدية ام للملابسة والجمع باعتبار انواع الشهادة اى مقيمون لها بالعدل ومؤدونها فى وقتها احياء لحقوق الناس فالمراد بالقيام بالشهادة ادآؤها عند الاحكام على من كانت هى عليه من قريب او بعيد شريف او وضيع قال عليه السلام اذا علمت مثل الشمس فاشهد والا فدع وتخصيصها بالذكر مع اندرجها فى الامانات لابانة فضلها لان فى اقامتها احياء الحقوق وتصحيحها وفى كتمها وتركها تضييعها وابطالها وفى الاشباه اذا كان الحق يقوم بغيرها او كان القاضى فاسقا او كان يعلم انها لا تقبل جاز الكتمان وفى فتح الرحمن تحمل الشهادة فرض كفاية وادآؤها اذا تعين فرض عين ولا يحل خذ اجرة عليها

بالاتفاق فاذا طلبه المدعى وكان قريبا من القاضى لزمه المشى اليه وان كان

بعيد اكثر من نصف يوم لا يأثم بتخفه لانه يلحقه الضرر وان كان الشاهد

يقدر على المشى فأركبه المدعى من عنده لا تقبل شهادته وان كان لا

يقدر فأركبه لا بأس به ويقتصر فلمسلم على ظاهر عدالته عند أبي

حنيفة رحمه الله الا فى الحدود والقصاص فان طعن الخصم فيه سأل عنه

وقال صاحباه يسأل عنهم فى جميع الحقوق سرا وعلانية وعليه الفتوى

وجعل بعضه شهادة التوحيد داخلة فيها كما قال سهل رحمه الله قائمون

بحفظ ما شهدوا به من شهادة أن لا اله الا الله فلا يشركون به فى شئ

من الافعال والاقوال وقال القاشانى فى الآية اى يعملون بمقتضى شاهدهم

من العلم فكل ما شهدوه قاموا بحكمه وصدروا عن حكم شاهدهم لا

غير.

٣٤

{ والذين هم على صلاتهم يحافظون } تقديم على صلاتهم يفيد

الاختصاص الدال على ان محافظتهم مقصورة على صلاتهم لا تتجاوز الى

امور دنياهم اى يراعون شرآئطها ويكملون فرآئضها وسننها ومستحباتها وآدابها ويحفظونها من الاحباط باقتران الذنوب فالدوام المذكور او لا يرجع الى انفس الصلوات والمحافظة على احوالها وفى المفردات فيه تنبيه على انهم يحفظون الصلاة بمراعاة اوقاتها واركانها والقيام بها فى غاية ما يكون منالطوق فان الصلاة تحفظهم بالحفظ الذى نبه عليه فى قوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وفى الحديث من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورا ولا برهانا ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وابى بن خلف وهو الذى ضربه النبى عليه السلام فى غزوة أحد برمح فى عنقه فمات منه فى طريق مكة وكان اشد واطغى من أبى جهل دل عليه كونه مقتولا بيد النبى عليه السلام ولم يقتل عليه السلام بيده غيره وبعض العلماء جعل المحافظة شاملة للادامة على ما هو الظاهر من قوله تعالى حافظوا على الصلوات فيكون من قبيل التعميم بعد التخصيص لتتميم الفائدة وللاشعار بأن الصلاة اول ما يجب على العبد ادآؤه بعد الايمان وآخر ما يجب عليه رعايته بعده كما سبق.

وكفتم اندوام تعلق بفرائض دارد ومحافظت بنوافل . والحاصل ان

فى تكرير ذكر الصلاة ووصفهم بها اولا وآخرا باعتبارين للدلالة على فضلها

واناقتها على سائر الطاعات وتكرير الموصولات التنزيل اختلاف الصفات

منزلة اختلاف الذوات ايذانا بأن كل واحدة من تلك الصفات حقيق بأن

يفرد لها موصوف مستقل لشأنها لاخطير ولا يجعل شئ منها تتمة للاخرى

قال بعضهم دلت هذه الآية على ان التغاير المفهوم من العطف

ليس بذاتى بل هو اعتبارى اذا لا يخفى انه ليس المراد من الدآئمين طائفة

والمحافظين اخرى فالمقصود مدح المؤمنين بما كانوا عليه فى عهد رسول الله

من الاخلاص الحسنة والاعمال المرضية ففيه ترغيب لمن يجيئ منهم الى

يوم القيامة وترهيب عن المخالفة قال فى بهان القرآءنقوله الا المصلين عد

عقيب ذكرهم الخصال المذكورة اول سورة المؤمنين وزاد فى هذه السور

والذين هم بشهاداتهم قائمون لانه وقع عقيب قوله والذين هم لأماناتهم

وعهدهم راعون واقامة الشهادة امانة يؤديها اذا احتاج اليها صاحبها

الاحياء حق فهى اذا من جملة الامانة فى سورة المؤمنين وخصت هذه

السور بزيادة بيانها كما خصت باعادة ذكر الصلاة حيث يقول اوالذين هم على صلاتهم يحافظون بعد قوله الا المصلين الذى هم على صلاتهم دآئمون انتهى هو قال القاشانى والذين هم على صلاة القلب وهى المراقبة يحافظون او صلاة النفس على الظاهر وفى فتح الرحمن واتفق القرآ على الافراد فى صلاتهم هنا وفىلانعام بخلاف الحرف المتقدم فى المؤمنين لانه لم يكتنفها فيهما ما كتفها فى المؤمنين قبل وبعد من عظيم الوصف المتقدم وتعظيم الجزآء فى المتأخر فناسب لفظ الجمع ولذلك قرأ به اكثر لقرآء ولم يكون ذلك فى غيرها فناسب الافراد.

٣٥

{ اولئك } المصوفون بما ذكر من الصفات الفاضلة

{ فى جنات } اى مستقرون فى جنات لا يقادر قدرها ولا يدرك كنهها

{ مكرمون } بالثواب الابدى والجزآء السرمدى اى سيكونون كذلك فكأن الاكرام فيها واقع لهم الآن وهو خبر آخر أو هو الخبر وفى جنات متعلق به قدم عليه لمراعاة الفواصل او بمضمر هو حال من الضمير فى الخبر أى مكرمون كائنيين فى جنات.

٣٦

{ فمال الذين } اى فمال بال الذين

{ كفروا } وحرموا من الاتصاف بالصفات الجليلة المذكورة وما استفهامية للانكار فى موضع رفع بالابتدآء والذين كفروا خبرها واللام الجارة كتبت مفصولة اتباعا لمصحف عثمان رضى الله عنه قال فى فتح الرحمن وقت ابو عمرو والكسائى بخلاف عنه على الالف دون اللام من قوله فمال هؤلاء فى النساء ومال هذا الكتاب فى الكهب ومال هذا الرسول فى الفرقان وفمال الذين فى سأل ووقف الباقون فى فمال على اللام

اتباعا للخط بخلاف عن الكسائى قال ابن عطية ومنعه قوم جملةلانها حرف جرف فهى بعض المجرور هذا كله بحسب ضرورة وانقطاع نفس

واما ان اختار احد الوقف فيما ذكرناه ابتدآء فلا انتهى

{ قبلك } حال من المنوى فى للذين كفروا اى فمالهم ثابتين حولك

{ مهطعين } حال من التكن فى قبلك من الاهطاع وهو الاسراع اى مسرعين نحوك مادى اعناقهم اليك مقبلين بابصارهم عليك.

٣٧

{ عن اليمين وعن الشمال عزين } الجار متعلق بعزين لانه بمعنى مفترقين وعزين حال بعد حال من المنوى فى للذين اى فرقاشتى وبالفارسية كروه كروه حلقه زدكان.

جمع عزة وهى الفرقة من اناس واصلها عزوة من العزو بمعنى الانتماء والانتساب كأن كل فرقة تعتزى الى غير من تعتزى اليه الاخرى اما فى

الولادة او فى المظاهرة فهم مفترقون كان المشركون يتحلقون حول رسول الله حلقا وفرقا فرقا ويستهزئون بكلامه ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزت

٣٨

{ أيطمع } الطمع نزوع النفس الى الشئ شهوة له واكثر الطمع من جهة الهوى

{ كل امرئ } هرمردى

{ منهم } اى من هؤلاء المهطعين

{ أن يدخل جنة نعيم } بالايمان اى جنة ليس فيها الا التنعم المحض من غير تكدر وتنغص.

٣٩

{ كلا } ردع لهم عن الطمع الفارغ اى اتركوا هذا الطمع واقطعوا مثل هذا الكلام وبالفارسية نه اينجنين است وكافرانرا دربهشت راه نيست

آن . قيل كيف يكون الطمع وهم قالون ذلك استهزآء أجيب بأن الله

عليهم بأحوالهم فلعل منهم من كان يطمع والا فيكون المراد من الردع قطع

وهم الضعفاء عن احتمال صدق قولهم لعل وجه ايراد يدخل مجهولا من

الادخل دون يدخل معلوما من الدخول مع انه الظاهر فى رد قولهم

لندخلنها اشعار بأنه لا يدخل من يدخل الا بادخال الله وامره للملائكة

به وبأنهم محرومون من شفاعة تكون سببا للدخول وبأن اسناد الدخول

اخبارا وأنشاء انما يكون للمرضى عنهم والمكرمين عند الله بايمانهم

وطاعتهم كقوله تعالى اولئك يدخلون الجنة وقوله ادخلوا الجنة وفى تنكير

جنة اشعار بأنهم مردودون من كل جنة وان كانت الجنان كثيرة وفى

توصيفها بنعيم اشعار بأن كل جنة مملوءة بالنعمة وان من طرد من راحة

النعيم وقع فى كدر الجحيم وفى ايراد كل اشعار بأن من آمن منهم بعد

قولهم هذا وأطلع الله ورسوله حق له الطمع وتعميم للردع لكل منهم كائنا

من كان ممن لم يؤمن

{ انا خلقناهم مما يعلمون } كما قال ولقد علمتم النشأة الاولى وهو كلام مستأنف ومن ذلك وضع السجاوندى علامة الطاء على كلا لتمام الكلام عنده قد سيق تمهيدا لما بعده من بيان قدرته تعالى على أن يهلكهم لكفرهم بالبعث والجزآء واستهزآءهم برسول الله وبما نزل عليه من الوحى وادعائهم دخو الجنة بطريقة السخرية وينشئ بدلهم قوما آخرين فان قدرته تعالى على ما يعلمون من النشاة الاول من حال الطفة ثم العلقة ثم المضغة حجة بينة على قدرته تعالى على ذلك كما تفصح عنه الفاء الفصيحة فى قوله تعالى فلا أقسم وفى التأويلات النجمية انا خلقناهم من الشقاوة الازلية للعداوة الأبدية باليد اليسرى الجلالية القهرية كيف ينزلون مكان من خلقهم من السعادة الأزلية للمحبة الأبدية باليد اليمنى الجالية اللطفية هذا مما يخالف الحكمة الالهية والاردة السرمدية ولا عبرة بالنطفة والطين لاشتراك الكل فيهما وانما العبرة بالاصطفائية والخاصية فى المعرفة فمن عرف الله كان فى جوار الله لان ترابه من ترات

الجنة فى الحقيقة وروحه من نور الملكوت ومن جهله كان فى بعد عنه لانه من عالم النار فى الحقيقة وكل يرجع الى اصله

٤٠

{ فلا أقسم } اى أقسم كما سبق نظائره (وقال الكاشفى) فلا بس نه جنانست كه كفار ميكويند اقسم سوكند ميخورم

{ برب المشارق والمغارب } جمع المشارق والمغارب اما لان المراد بهما مشرق كل يوم من السنة ومغربه فيكون لكل من الصيف والشتاء مائة وثمانون مشرقا ومغرباوبالفارسية بآفريدكار مشرقها كه آفتاب دارد وهر روز از نقطه ديكر طلوع مينمايد وبخداوند مغربها كه آفتاب راهست وهرورز بنقطه ديكر غروب ميكند او مشرق كل كوكب ومغربه يعنى مراد مشارق ومغارب نجومست جه هريك ازايشان رامحل شروق وغروب ازدائرة افق نقطه ديكرست.

او المراد بالمشرق ظهور دعوة كل نبى وبالمغرب موته أو المراد انواع الهدايات والخذلانات

{ انا لقادرون } جواب القسم.

٤١

{ على أن نبدل خيرا منهم } اى نبدلهم حذف المفعول الاول للعلم به وخيرا مفعوله الثانى بمعنى التفضيل على التسليم اذ لا خير فى المشركين او نهلكهم بالمرة حسبما تقتضيه جناياتهم ونأتى بدلهم بخلق آخرين ليسوا على صفتهم ولم تقع هذا التبديل وانما ذكر الله ذلك تهديدا لهم لكى يؤمنوا

وقيل بدل الله بهم الانصار والمهاجرين

{ وما نحن بمسبوقين } بمغلوبين أن أردنا ذلك لكن مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة اقتضت تأخير عقوباتهم وبالفارسية يعنى كسى

برماييشى نتواند كرفت اكراراده امرى كنيم ومغلوب نتوان ساخت دراظهار آن .

وقيل عاجزين لان من سبق الى شئ عجز.

٤٢

{ فذرهم } فخلهم وشأنهم

{ يخوضوا } ويشرعوا فى باطلهم الذى من جملته ما حكى عنهم وهو جواب الامر وهو تهديد لهم وتوبيخ كقوله اعملوا ما شئتم

{ ويلعبوا } فى الدنيا بالاشتغال بما لا ينفعهم وأنت مشتغل بمأمرت به وهذه الآية منسوخة بالسيف

{ حتى يلاقوا } من الملاقاة بمعنى المعاينة

{ يومهم } هو يوم البعث عند النفخة الثانية والاضافة لانه يوم كل الخلق وهم منهم او لان يوم القيامة يوم الكفار من حيث العذاب ويوم المؤمنين من جهة الثواب فكأنه يومان يوم للكافرين ويوم للمؤمنين

{ الذين يوعدون } الآن او على الاستمرار وهو من الوعد كقولهم متى هذا الوعد ويجوز أن يكون من الايعاد وهو بالفارسية بيم كردن.

٤٣

{ يوم يخرجون من الاجداث } بدل من يومهم ولذا حمل على يوم البعث جمع جدث وهو القبر

{ سراعا } حال من مرفوع يخرجون جمع سريع كظراف جمع ظريف اى مسرعين الى جانب الداعى وصوته وهو اسرافيل ينادى على الصخرة كما سبق

{ كأنهم الى نصب } حال ثانية من المرفوع وهو كل ما نصب فعبد من دون الله وعن ابن عمر رضى الله عنهما هو شبكة يقع فيها الصيد فيسارع اليه صاحبه واحد الانصاب كما قال تعالى وما ذبح على النصب وكان للعرب حجارة تبعدها وتذبح عليها وقال الاخفش جمع نصب كرهن ورهن والانصاب جمع الجمع

{ يوفضون } من الايقاض وهو بالفارسية شتافتن . واصله متعد أى يسرعون أيهم يستمله اولا فيه تهجين لحالهم الجاهلية وتهكم بهم بذكر جهالتهم الى اعتادوها من الاسراع الى مالا يملك نفعا ولا ضرا.

٤٤

{ خاشعة ابصارهم } حال من فاعل يوفضون وابصارهم فاعلها على الاسناد المجازى يعنى وصفت ابصارهم بالخشوع مع انه وصف الكل لغاية ظهور آثاره فيهاوالمعنى ذليلة خاضعة لا يرفعون ما يتوقعون من العذاب

{ ترهقهم ذلة } هو ايضا حال من فاعل يوفضون اى تغشاهم ذلة شديدة وحقارة عظيمة وهو بالفارسية خوارى ونكونارى

{ ذلك } اليوم المذكور الذى سيقع فيه الاحوال الهائلة وهو مبتدأ خبره قوله

{ اليوم الذى كانوا يوعدون } اى يوعدونه فللدنيا على ألسنة الرسل وهم يكذبون به فاندفع توهم التكرار لان الوعد الاول محمول على الآتى والاستمرارى كما مر وهذا الوعد محمول على الماضى بدلالة لفظ كان وفى الذلة اشارة الى ذلة الأنانية فانهم يوم يخرجون من الاجداث يسارعون الى صور تناسب هيئاتهم الباطنة فيكون أهل الأنانية فى انكر الصور بحيث يقع المسخ على ظاهرهم وباطنهم كما وقع لابليس بقوله أنا خير منه فكما ان ابليس طرد من مقام القرب ورهقته ذلة البعد فكذا من فى حكمه من الانس ولذا كان السلف يبكون دما من الاخلاق السيئة لا سيما ما يشعر بالانانية من آثار التعيين فان التوحيد الحقيقى هو أن يضير العبد فانيا عن نفسه باقيا بربه فاذا لم يحصل هذا فقد بقى فيه بقية من الناسوتية وكل اناء يرشح بما فيه فطوبى لمن ترشح منه الحق لا النفس والله أسأل أن يكرمنى به واياكم

سُورَةُ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

مَكِّيَّةٌ وَهِيَ ثَمَانٍ وَعِشْرُونَ آيَةً

١

{ انا أرسلنا نوحا الى قومه } مر سر نون العظمة مرارا والارسال يقابل بالامساك يكون للتسخير كارسال الريح والمطر ببعث من له اختيار نحو ارسال الرسل وبالتخلية وترك المنع نحوانا أرسلنا الشياطين على الكفارين قال قتادة ارسل نوح من جزيرة فذهب اليهم ونوح اسمه عبد الغفار عليه السلام سمى نوحا لكثرة نوحه على نفسهاو هو سريانى معناه الساكن لان الارض طهرت من خبث الكفار وسكنت اليه وهو اول من اوتى الشريعة فى قول واول اولى العزم من الرسل على قول الاكثرين واول نذير على الشرك وكان قومه يعبدون الاصنام واول من عذبت امته وهو شيخ المرسلين بعث ابن اربعين سنة او ثلاثمائة وخمسين او اربعمائة وثمانين ولبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما وعاش بعد الطوفان تسعين سنة قال بعض من تصدى للتفسير فيه دلالة على انه لم يرسل الى اهل الارض كلهم لانه تعالى قال الى قومه فلو ارسل الى الكل

لقيل الى الخلق او ما يشابهه كما قيل لرسول الله وما أرسلناك الا كافة

للناس ولقول رسول الله كان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس

عامة ثم قال ان قيل فما جريمة غير قومه حتى عممهم فى الدعاء عليهم

كما قال لا تذر على الارض من الكافرين ديار افانه فاذا لم يرسل اليهم

لم يكن كلهم مخالفا لامره وعاصيا له حتى يستحقوا الدعاء بالاهلاك أجيب

بأنه يحتمل انه تحقق ان نفوس كفرة زمانه على سجية واحدة يستحقون

بذلك أن يدعى عليهم بالاهلاك ايضا انتهى وفنه نظر لانه قال فى انسان

العيون فى قوله عليه السلام وكان كل نبى انما يرسل الى قومه اى جميع اهل

زمنه او جماعة منهم خاصة ومن الاول نوح عليه السلام فانه كان مرسلا

لجميع من كان فى زمنه من أهل الارض لما اخره بأنه لا يؤمن منهم الا من

آمن معه وهم اهل السفينة وكانواعانين اربعين رجلا واربعين امرأة او كانوا

اربعمائة كما فى العوارف وقد يقال من الآدميين وغيرهم فلا مخالفة دعا

على من عدا من ذكر باستئصال العذاب لهم فكان الطوفان الذى كان به

هلاك جميع أهل الارض الا من آمن ولو لم يكن مرسلا اليهم ما دعا

عليهم بسبب مخالفتهم له فى عبادة الاصنام لقوله تعالى وما كنا معذبين اى فى الدنيا حتى نبعث رسولا وقولا بعض المفسرين ارسل الى آل قابيل لا ينافى ما ذكر لانه يجوز أن يكون آل قابيل اكثر أهل الارض وقتئذ وقد ثبت ان نوحا عليه السلام اول الرسل اى لمن يعبد الاصنام لان عبادة الاصنام اول ما حدثت فى قومه وارسله الله اليهم ينهاهم عن ذلك وحينئذ لا يخالف كون اول الرسل آدم ارسله الله الى اولاده بالايمان به تعالى وتعليم شرآئعه فان قلت اذا كانت رسالة نوح عامة لجميع اهل الارض كانت مساوية لرسالة نبينا عليه السلام قلت رسالة نوح عليه السلام عامة لجميع أهل الارض فى زنه ورسالة نبينا محمد عليه السلام عامة لجميع من فى زمنه ومن يوجد بعد زمنه الى يوم القيامة فلا مساواة وحينئذ يسقط السؤال وهو أنه ليم يبق بعد الطوفال الا مؤمن فصارت رسالة نوح عامة ويسقط جواب الحافظ ابن حجر عنه بأن هذا العموم الذى حصل بعد الطوفان لم يكن من أصل بعثه بل طرأ بعد الطوفان بخلاف رسالة نبينا عليه السلام

{ أن } اى

{ انذر قومك } خوفهم بالنار على عبادة الاصنام كى ينتهوا عن الشرك ويؤمنوا بالله وحده فان مفسرة لما فى الارسال من معنى القول ويجوز أن تكون مصدرية حذف منها لاجار وأوصل اليها الفعل اى بأن أنذرهم وجعلت صلتها امرا كما فى قوله تعالى وأن أقم وجهك لان مدار وصلها بصيغ الافعال دلالتها على المصدر وذلك لا يختلف بالخبرية والانشائية ووجوب كون الصلة خبرية فى الموصول الاسمى انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهى لا توصف الا بالجمل استوايا فى صحة الوصل بها فيتجرد عند ذلك كل منهما عن المعنى الخاص بصيغته فيبقى الحدث المجرد عن معنى الامر والنهى والمضى والاستقبال كأنه قيل أرسلناه بالانذار كذا فى الارشاد وقال بعض العارفين الانبياء والاولياء فى درجات القرب على تفاوت فبعضهم يخرج من نور الجلال وبعضهم من نور الجمال وبعضهم من نور العظمة وبعضهم من نور الكبرياء فمن خرج من نور الجمال اورث قومه البسط والانس ومن خرج من نور العظمه اورث قومه الهيبة والجلال

وكان نوح مشكاة نور عظمة الله ولذلك أرسله الى قومه بالانذار فلما عصوه أخذهم باقهر

{ من قبل أن يأتيهم } من الله تعالى

{ عذاب أليم } عاجل كالطوفان والغرق او آجل كعذاب لآخرة لئلا يبقى لهم عذر ما اصلا كام قال تعالى لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل والاليمبمعنى المؤلم او المتألم مبالغة والألم جسمانى وروحانى والثانى اشد كأنه قيل فما فعل نوح عليه السلام فقيل

٢

{ قال } لهم

{ يا قوم } اى كروه من واصله يا قومى خاطبهم باظهار الشفقة عليهم وارادة الخير لهم وتطيبا لهم

{ انى لكم نذير } منذر من عاقبة الكفر والمعاصى وافرد الانذار مع كونه بشيرا ايضا لان الانذار أقوى فى تأثير الدعوة لما ان اكثر الناس

يطيعون اولا بالخوف من القهر وثانيا بالطمع فى العطاء واقلهم يطيعون بالمحبة للكمال والجمال.

يقال الفقير الظاهر ان الانذار أول الامر كما قال تعالى لنبينا عليه السلام قم فأنذر والتبشير ثانى الامر كما قال تعالى وبشر المؤمنين فالانذار يتعلق بالكافرين والتبشير بالمؤمنين وان امكن تبشير الكفار بشرط الايمان لا فى حال الكفر فانهم فى حال الكفر انما يستحقون التبشير التهكمى كما قال تعالى فبشرهم بعذا أليم

{ مبين } موضح لحقيقة الامر بلغة تعرفونها او بين الانذار.

٣

{ ان اعبدوا الله } متعلق بنذير اى بأن اعبدوا الله والامر بالعبادة يتناول جميع الواجبات والمندوبات من افعال القلوب والجوارح

{ واتقوه } يتناول الزجر عن جميع المحظورات والمكروهات

{ واطيعوا } يتناول امرهم بطاعته فى جميع المأمورات والمنهيات والاعتقاديات العمليات وفى التأويلات النجمية اى فى اخلاقى وصفاتى وافعالى واعمالى واقوالى واحوالى انتهى وهذا وان كان داخلا فى الامر بعبادة الله وتقواه الا انه خصه بالذكر تأكيد فى ذلك التكليف ومبالغة فى تقريره

قال بعضهم اصله واطيعونى بالياء ولم يقل واطيعوه بالهاء مع مناسبته لما قبله يعنى اسند الا طاعة الى نفسه لما ان اطاعة الرسول اطاعة الله كما قال تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال تعالى واطيعوا الرسول فاذا كانوا مأمورين باطاعة الرسول فكان للرسول ان يقول واطيعوا وايضا ان الاجابة كانت تقع له فى الظاهر.

٤

{ يغفر لكم } جواب الامر

{ من ذنوبكم } اى بعض ذنوبكم وهو ما سلف فى الجاهلية فان الاسلام يجب ما قبله لا ما تأخر عن الاسلام فانه يؤآخذ به ولا يكون

مغفورا بسبب الايمان ولذلك لم يقل يغر لكم ذنوبكم بطى من التبعيضية فانه يعم مغفرة جميع الذنوب ما تقدم منها وما تأخر

وقيل المراد ببعض الذنوب بعض ما سبق على الايمان وهو مالا يتعلق بحقوق العباد

{ ويؤخركم } بالحفظ من العقوبات المهلكة كالقتل والاغراق والاحراق ونحوها من اسباب الهلاك والاستئصال وكان اعتقادهم ان من اهلك بسبب من هذه الاسباب لم يمت بأجله فخاطبهم على المعقول عندهم فليس يريد أن الايمان يزيد فى آجالهم كذا فى بعض التفاسير

{ الى اجل مسمى } معين مقدر عند الله والاجل المدة المضروبة للشئ قال فى الارشاد وهو الامد الاقصى الذى قدره الله لهم بشرط الايمان والطاعية صريح فى ان لهم اجلا آخر لا يجاوزونه ان لم يؤمنوابه وهو المراد بقوله تعالى

{ ان اجل الله } وهو ما قدر لكم على تقدير بقائكم على الكفر وهو الاجل القريب المطلق الغير المبرم بخلاف الاجل المسمى فانه البعيد المبرم واضيف الاجل هنا الى الله لانه المقدر والخالق اسبابه واسند الى العبادة فى قوه اذا جاء اجلهم لانهم المبتلون المصابون

{ اذا جاء } وأنتم على ما أنتم عليه من الكفر

{ لا يؤخر } فبادروا الى الايمان والطاعة قيل مجيئه حتى لا يتحققى شرطه الذى هو بقاؤكم على الكفر فلا يجيئ ويتحقق شرط التأخير الى الاجل المسمى فتؤخروا اليه فالمحكوم عليه بالتأخير هو الاجل المشروط بشرط الايمان والمحكوم عليه بامتناعه هو الاجل المشروط بشرط البقاء على الكفر فلا تناقض لانعدام وحدة الشرط ويجوز أن يراد به وقت اتيان العذاب المذكور فى قوله تعالى من قبل ان يأتيهم عذاب أليم فانه اجل موقت له حتما

{ لو كنتم تعلمون } شيأ لسارعتم الى ما امرتكم به او لعلمتم ان الاجل لا تأخير فيه ولا اهمال وفيه اشارة الى انهم ضيعوا اسباب العلم وآلات تحصيله بتوغلهم فى حب الدنيا وطلب لذاتهم حتى بلغوا بذلك الى حيث صاروا كأنهم شاكون فى الموت

روزى كه اجل در آيد ازبيش وبست ... شك نيست كه مهلت ندهديك نفست

يارى نرسد دران دم از هيج كست ... برباد شود جمله هوا وهوست

ه

{ قال } اى نوح مناجيا لربه وحاكياله وهو أعلم بحال ما جرى بينه وبين قومه من القيل والقال فى تلك المدد الطوال بعد ما بذل فى الدعوة غاية المجهود وجاوز فى الانذار كل حد معهود وضاقت عليه الحيل وعيت به العلل

{ رب } اى برورد كارمن

{ انى دعوت قومى } الى الايمان والطاعة

{ ليلا ونهارا } فى الليل والنهار أى دآئما من غير فتور ولا توان فما ظرفان لدعوة أراد بهما لادوام على الدعوة لان الزمان منحصر فيهما وفى كشف الاسرار بشبها درخانهاى ايشان وبروزها در انجمنهاى ايشان . وكان يأتى باب احدهم ليلا فيقرع الباب فيقول صاحب البيت من على الباب فيقول أنا نوح قل لا اله الا الله.

٦

{ فلم يزدهم دعائى الا فرارا } مما دعوتهم اليه وفى التأويلات النجمية من متابعى ودينى وما أنا عليه من آثار وحيك والفرار بالفارسية كريختن . وهو مفعول ثان لقوله لم يزدهم لانه يتعدى الى مفعولين يقال زاده الله خيرا وزيده فزاد وازداد كما فى القاموس واسناد الى

الدعاء مع انها فعل الله تعالى لسببيته لها والمعنى ان الله يزيد الفرار عند الدعوة الصرف المدعو اختياره اليه.

٧

{ وانى كلما دعوتهم } اى الى الايمان وفى التأويلات النجمية كلما دعوتهم بلسان الامر مجردا عن انضام الارادة الموجبة لوقوع المأمور فان الامر اذا كان مجردا عن الارادة لا يجب ان يقع المأمور به بخلاف ما اذا كان مقرونا بالارادة فانه لا بد حينئذ من وقوع المأمور به

{ لتغفر لهم } بسببه

{ جعلوا اصابعهم فى آذانهم } اى سدوا مسامعهم من استماع الدعوة فالجعل المذكور كناية عن هذا السد ولا مانع من الحمل على حقيقته بأن يدخلوا اصابعهم فى ثقب آذانهم قصدا الى عدم الاستماع

{ واستغشوا ثيابهم } الاستغشاء جامه بسر در كشيدن.

كما فى تاج المصادر مأخوذ من الغشاء وهو الغطاء وفى الاصل اشتمال من فوق ولما كان فيه معنى الستر استعمل بمعناه واصل الاستغشاء طلب الغشى اى الستر لكن معنى الطلب هنا ليس بمقصود بل هو بمعنى التغطى والستر وانما جيئ بصيغته التى هى السين للمبالغة والثياب جمع ثوب سمى به لثوب الغزل اى رجوعه الى الحالة التى قدر لها والمعنى وبالغوا فى التغطى بثيابهم كأنهم طلبوا منها ان تغشاهم اى جميع اجزآء بدنهم آلة الابصار وغيرها لئلا يبصروه كراهة النظر اليه فان المبطل يكره رؤية المحق للتضاد الواقع بينهما وقس عليهما المتكبر والكافر والمبتدع بالنسبة الى المتواضع والمؤمن والسنى اولئلا يعرفهم فيدعوهم.

يقال الفقير هذا الثانى ليس بشئ لان دعوته على ما سبق كانت عامة لجميع من فى الارض ذكورهم وناثهم والمعرفة ليست من شرط الدعوة واشتباه الكافر بالمؤمن مدفوع بأن المؤمن كان اقل القليل معلوما على كل حال على ان التغطى من موجبات الدعوة لان بذلك يعلم كونه من اهل الفرار اذ لم يكن فى ذلك الزمان حجاب وقال بعضهم ويجوز ان يكون

التغطى مجارا عن عدم ميلهم الى الاستماع والقبول بالكلية لان من هذا شأنه لا يسمع كلامه غيره

{ وأصروا } اى اكبوا واقاموا على الكفر والمعاصى وفى قول القلوب الاصرار يكون بمعنى ان يعقد بقلبه انه متى قدر على الذنب فعله اولا يعقد الند ولا التوبة منه واكبر الاصرار السعى فى طلب الاوزار (وفى تاج المصادر) الاصرار برجيزى باستادن وكوش راست كردن است.

يقال اصر الحمال على العانة وهى القطيع من حمر الوحش اذا ضم اذنيه الى رأسه واقبل عليها يكدمها ويطردها استعير للاقبال على الكفر والمعاصى والاكباب عليهما بتشبيه الاقبال الكذور باصرار الحمار على العانة يكدمها ويطردها ولو لم يكن فى ارتكاب المعاصى الا التشبيه بالحمار لكفى به مزجرة فكيف والتشبيه فى اسوء حاله وهو حال الكدم والطرد للسفاد

{ واستكبروا } تعظموا عن اتباعى وطاعتى واخذتهم العزة فى ذلك

{ استكبارا } شديدا لانهم قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون

قالبعض العارفين من اصر على المعصية اورثته التمادى فى الضلالة حتى

يرى قبيح اعماله حسنا فاذا رآه حسنا يتكبر ويعلو بذلك على اولياء الله

ولا يقبل بعد ذلك نصيحتهم قال سهل قدس سره الاصرار على الذنب

يورث النفاق والنفاق يورث الكفر.

٨

{ ثم انى دعوتهم } دعوة

{ جهارا } اى اظهرت لهم الدعوة يعنى آشكارا در محافل ايشان

. والجهر ظهور الشيء بافراط لحاسة البصر أو حاسة السمع.

٩

{ ثم انى اعلنت لهم واسررت لهم اسرار } اشارة الى ذكر عموم

الحالات بعد ذكر عموم الاوقات اى دعوتهم تارة بعد تارة ومرة غب مرة

على وجوه متخافة واساليب متقاوتة وثم لتفاوت الوجوه فان الجار اشد

من الاسرار والجمع بينهما اغلظ من الافراد والاعلان ضد الاسرار يقال اسررت الى فلان حديثا افضيت به اليه فى خفية اى من غير اطلاع احد عليه وجهرت به اظهرته بحيث اطلع عليه الغير ويجوز ان يكون ثم لتراخى بعض الوجوه عن بعض بحسب الزمان بأن ابتدأ بمناصحتهم ودعوتهم فى السر فعاملوه بالامور الاربعة وهى الجعل والتغطى والاصرار والاستكبار ثم ينى بالمجاهرة بعد ذلك فلما لم يؤثر جمع بين الاعلان والاسرا أى خلط دعاءه بالعلانية بدعاء السر فكما كلمهم جميعا كلمهم واحدا واحدا سرا وقال بعضهم اشكارا كردم مر بعضى ايشانرا يعنى باشكارا آوز برداشتم وباعلاى صوت دعوت كردم وبارز كفتم مر بعضى ديكر از ايشانرا.

وفى بعض التفاسير ان نوحا عليه السلام لما آذوه بحيث لا يوصف حتى كانوا يضربونه فى اليوم مرات عيل صبره فسأل الله ان يواريه عن ابصارهم بحيث يسمعون كلامه ولا يرونه فينالونه بمكروه ففعل الله ذلك به فدعاهم كذلك زمانا فلم يؤمنوا فسأل ان يعيده الى ما كان وهو قوله اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا وقال القاشانى ثم انى دعوتهم

جهارا اى نزلت عن مقام التوحيد ودعوتهم الى مقام العقل وعالم النور ثم انى اعلنت لهم بالمعقولات الظاهرة واسررت لهم فى مقام القلب بالاسرار الباطنة ليتو صلوا اليها بالمعقول.

١٠

{ فقلت } لهم عقيب الدعوة عطف على قوله دعوت

{ استغفروا ربكم } اطلبعوا المغفرة منه لأنفسكم بالتوبة عن الكفر والمعاصى قبل الفوت بالموت

{ انه } تعالى

{ كان غفارا } للتائبين بجعل ذنوبهم كأن لم تكن والمراد من كونه غفارا فى الازل كونه مريدا للمغفرة فى وقتها المقدر وهو وقت وجود المغفور له وفى كشف الاسرار كان صلة اليه ورؤية التقصير فى العبودية الندم على ما ضاع من ايامهم بالغفلة عن الله وفى الحديث (من اعطى الاستغفار لا يمنع المغفرة) لانه تعالى قال استغفروا ربكم انه كان غفارا ولذا

كان على رضى الله عنه يقول ما ألهم الله عبدا الاستغفار وهو يريد ان يعذبه وعن بعض العلماء قال الله تعالى ان أحب عبادى الى المتحابون بحبي والمعلقة قلوبهم بالمساجد والمستغفرون بالاسحار اولئك الذين اذا اردت اهل الارض بعقوبة ذكرتهم فتركتهم وصرفت العقوبة عنهم والغفار ابلغ من الغفور وهو من الغافر واصل الغفر الستر والتغطية ومنه قيل لجنة الرأس مغفر لانه يستر الرأس والمغفرة من الله سترة للذنوب وعفوه عنها بفضله ورحمته لا بتوبة العباد وطاعتهم وانما التوبة والطاعة للعبودية ورعض الافتقار وفى بعض الاخبار عبدى لو أتيتنى بقراب اصرض ذنوبا لغفرتها لك ما لم تشرك بى (حكى) ان شيخا حج مع شاب لما احرم قال لبيك اللهم لبيك فقيل له لبيك فقال الشاب للشيخ ألا تسمع هذا الجواب فقال كنت اسمع هذا الجواب منذ سبعين سنة قال فلاى شئ تتعب نفسك فبكى الشيخ فقال فالى اباب التجئ فقيل له قد قبلناك

همه طاعت آرند ومسكين نياز ... بياتا بدركاه مسكين نواز

جوشاخ برهنه برآريم دست ... كه بى برك ازين بيش نتوان نشست

{ يرسل السماء } اى المطر كما قال الشاعر اذا نزل السماء بارض قوم وقال بعضهم اى ماء السماء فحذف المشاف

{ عليكم } حال كونه

{ مدرارا } اى كثير الدرور اى السيلان والانصاب وبالفارسية فرو كشايد برشما باران پى در پى وبيهنكام.

وفى الارسال مبالغة بالنسبة الى الانزال وكذا المدرارا صيغة مبالغة ومفعال مما يستوى فيه المذكر والمؤنث كقولهم رجل او امرأة معطار ويرسل جواب شرط محذوف اىان تستغفروا يرسل السماء وفى قول النجاة فى مثلة انه جواب الامر وهو ههنا استغفروا واتسامح فى العبارة اعتمادا على وضوح المراد وكسر اللام بالوصل لتحرك الساكن به كأن قوم نوح تعللوا وقالوا ان كنا على الحق فكيف نتركه وان كنا على الباطل فكيف يقبلنا بعدما عكفنا عيه دهرا طويلا نأمرهم الله بما يمحق ما سلف منهم من

المعاصى ويجلب عليهم المنافع وهو الاستغفار ولذلك وعدهم بالعوآئد العاجلة التى هى اوقع فى قلوبهم من المغفرة وأحب اليهم اذا النفس حريصة بحب العاجل ولذلك جعلها جواب الامر بأن قال يوسل السماء الخ دون المغفرة بأن قال يغفر لكم ليرغبوا فيها ويشاهدوا ان اثرها وبركتها ما يقاس عليه حال المغفرة فالاستغال بالطاعة سبب لانفتاح أبوا بالخيرات كما ان المعصية سبب لخراب العالم بظهور اسباب القهر الالهى

وقيل لما كذبوه بعد تكرير الدعوة حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة

وقيل سبعين سنة فوعدهم ان آمنوا ان يرزقهم الله الخصب ويدفع عنهم ما كانوا فيه . يقول الفقير هذا القول هو الموافق للحكمة لان الله تعالى يبتلى عباده بالخير والشر ليرجعوا اليه ألا ترى الى قريش حيث ان الله جعل لهم سبع سنين كسنى يوسف بدعاء النبى عليه السلام ليرجعوا عما كانوا عليه من الشرك فلم يرفعوا له رأسا.

{ ويمددكم باموال وبنين } اى يوصل اليكم ويعط لكم المدد والقوة بهما كما قال الله تعالى ويزدكم قوة الى قوتكم

{ ويجعل لكم } اى وينشئ لكم

{ جنات } بساتين ذوات اشجار واثمار

{ ويجعل لكم } فيها

{ انهارا } جارية تزينها بالنبات وتحفظها عن اليبس وتفرح القلوب وتسقى النفوس كان الظاهر تقديم الجنات والانهار على الامداد لكونهما من توابع الارسال وانما اخرهما لرعاية رأس الآية وللاشعار بأن كلا منهما نعمة اليهة على حدة وعن الحسن البصرى قدس سره ان رجلا شكا اليه الجدب فقال استغفر الله وشكا اليه آخر الفقر وآخر قلة النسل وآخر قلة ريع ارضه فأمرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح اتاك رجال يشكون أبوابا ويسألون انواعا فأمرتهم كلهم بالاستغفار فتلا له الآية قال

فى فتح الرحمن ولذلك شرع الاستغفار فى الاستسقاء وهو الدعاء بطلب السقيا على وجه مخصوص فاذا اجدبت الارض وقحط المطر ولم يختطلوا بالمسلمين ولم يفردوا بيوم وقد سبق بعض تفصيله فى سورة البقرة.

۱۳

{ ما لكم لا ترجون لله وقارا } انكار لان يكون بالاعتقاد وأدنى درجته الظن والوقار فى الاصل السكون الحلم وهو ههنا بمعنى العظمة لانه يتسبب عنها فى الاغلب ولا ترجون حال من ضمير المخاطبين والعامل فيها معنى الاستقرار فى لكم والله متعلق بمضمر وقع حالا من وقارا ولو تأخر لكان صفة له والمعنى اى سبب حصل لكم واستقر حال كونكم غير معتقدين لله عظمة موجبة لتعظيمه بالايمان والطاعة له اى لا سبب لكم فى هذا مع تحقق مضمون الجملة الحالية وبالفارسية جيست شمارا كه ايمدنداريد يعنى نمى شناسيد مرخدايرا عظمت وبزركوارى واعتقاد نمى كنيد تابترسيد ازنا فرمانئ او.

وفى كشف الاسرار هذا الرجاء بمعنى الخوف والوقار العظمة اى لا تخافون لله عظمة وعن ابن عباس رضى الله عنه ما لكم لا تخشون منه عقابا ولا ترجون منه ثوابا بتوقيركم اياه وفى التأويلات النجمية مالكم لا تطلبون ولا تكسبون من اسم الله الاعظم ما يوقركم عنده بالتخلق بكل اسم تحته حتى تصيروا بسبب تحققكم بجميع اسمائه الداخلة فيه مظهره ومجلاه.

١٤

{ وقد خلقكم اطوارا } يقال فعل كذا طور ابعد طور أى تارة بعد تارة وعدا طوره اى تجاوز حده وقدره والمعنى والحال انكم على حالة منافية لما أنتم عليه بالكلية وهى انكم تعلمون انه تعالى خلقكم وقدركم تارات اى مرات حالا بعد حال عناصر ثم اغذية ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم انشأكم خلقا آخر فان التقصير فى توقير من هذه شؤونه فى القرة القاهرة والاحسان التام مع العلم بها مما لا يكاد يصدر عن العاقل وقال بعضهم هى اشارة الى الاطوار السبعة

المذكورة فى قولهولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جلعناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين فهذه هى التارات والاحوال السبع المترتب بعضها على بعض كل تارة أشرف ما قبلها وحال الانسان فيها احسن ما تقدمها

جون صورت وبت نه نكارند بكشمير ... جون قامت توسرونه كارند بكشور

كرنفش توبيش بت آزر بنكارند ... ازشرم فروريزد نقش بت آزر

وقيل خلقكم صبيانا وشبانا وشيوخا وقبل طوالا وقصارا واقوياء وضعفاء مختلفين فى الخلق والخلق كما قال تعالى واختلاف ألسنتكم وألوانكم

وقيل خلقهم اطوارا حين أخرجهم من ظهر آدم للعهد ثم خلقهم حين اذن بهم ابراهيم عليه السلام للحج ثم خلقهم ليلة اسرى برسول

الله صلّى الله عليه وسلّم فأراه اياهم وقال بعض اهل المعرفة خلقكم اطوارا من اهل المعرفة ومن اهل المحبة ومن اهل الحكمة ومن الله التوحيد ومن اهل الشوق ومن اهل العشق ومن اهل الغناء ومن اهل البقاء ومن اهل الخدمة ومن اهل المشاهدة خلق طور الارواح القدسية من نور الجبروت وطور العقول الهادية العارفة من نور الملكوت وطور القلوب الشائقة من معادن القربة وطور اجسام الصديقين من تراب الجنة فكل جور يرجع الى معدنه من الغيب.

١٥

{ ألم تروا } يا قومى والاستفهام للتقرير والرؤية بمعنى العلم لعلهم علموا ذلك بالسماع من اهله او بمعنى الابصار والمراد مشاهدة عجائب الصنع الدال على كمال العلم والقدرة

{ كيف خلق الله سبع سموات } حال كونها

{ طباقا } اى متطابقا بعضها فوق بعض كما سبق فى سورة الملك اتبع الدليل الدال على انه يمكن ان يعيدهم وعلى انه عظيم القدرة بدلائل الانفس لان نفس الانسان أقرب الاشياء اليه ثم اتبع ذلك بدلائل انه فاق فقال

١٦

{ وجعل القمر فيهن نورا } اى منور الوجه الارض فى ظلمة الليل ونسبته الى الكل مع انه فى السماء الدنيا لان كل واحدة من السموات شفافة لا يحجب ما ورآءها فيرى الكل كأنها سماه واحدة ومن ضرورة ذلك أن يكون ما فى واحدة منها كأنه فى الكل على انه ذهب ابن عباس وابن عمر ووهب بن منبه رضى الله عنهم الى ان الشمس والقمر والنجوم وجوهها مما يلي السماء وظهورها مما يلي الارض وهو الذى يقتضيه لفظ السراج لان ارتفاع نوره فى طرف العلو ولولا ذلك لأحرقت جميع ما فى الارض بشدة حرارتها فجعلها الله نورا وسراجا لأهل الارض والسموات

فعلى هذا ينبغى أن يكون تقدير ما بعده وجعل الشمس فيهن سراجا حذف لدلالة الاول عليه

{ وجعل الشمس } هى فى السماء الرابعة

وقيل فى الخامسة وقال عبد اللّه بن عمر وبن العاص رضى اللّه عنهما فى الشتاء فى الرابعة وفى الصيف فى السابعة ولو أضاءت من الرابعة او من السماء الدنيا لم يطق لها شئ (كما قال فى المثنوى)

آفتابى كزوى اين عالم فروخت ... اندكى كربيش آيد جمله خت

١٧

{ واللّه أنبتكم من الارض نباتا } اى انباتا عجيبا وانشأكم منها انشاء غريبا بواسطة انشاء أبيكم آدم منها او انشأ الكل منها من حيث انه خلقهم من النطف المتولدة من النبات المتولد من الارض استعير الانبات للانشاء لكونه أدل على الحدوث والتكون من الارض لانهم اذا كانوا نباتا كانوا محدثين لا محالة حدوث النبات ووضع نباتا موضع انباتا على انه

مصدر مؤكد لأنبتكم بحذف الزوآئد ويسمعنى اسم مصدر دل عليه القرية

الآتية وهى قوله ويخرجكم اخراجا وقال بعضهم نباتا حال لا مصدر ونبه

بذلك ان الانسان من وجه نبات من حيث ان بدأه ونشأنه من التراب

وانه ينمو نموه وان كان له وصف زآئد على النبات والنبات ما يخرج من

الارض سوآء كان له ساق كالشجر او لم يكن كالنجم لكن اختص فى

التعارف بما لا ساق له بل اختص عند العامة بما يأكله الحيوان وقال بعض

اهل المعرفة والله أنبتكم من الارض نباتا اىجعل غذآءكم الذى تنمو به

اجسادكم الارض كما جعل النبات ينمو بالماء بواسطة التراب فغذآء هذه

النشأة ونموها بما خلقت منه.

١٨

{ ثم يعيدكم فيها } اى فى الارض بالدفن عند موتكم

{ ويخرجكم } منها عند البعث والحشر

{ اخراجا } محققا لا ريب فيه وذلك لجازاة الاولياء ومحاسبة الاعدآء ولم يقل ثم يخرجكم بل ذكروا بالواو الجامعة ايها مع يعيدكم رمزا الى ان الاخراجمع الاعادة فى القبر كشئ واحد لا يجوز أن يكون بعضها محقق الوقوع دون بعض وفى التأويلات النجمية والله أنبت من ارض بشريتكم نبات الاخلاق والصفات ثم يعيدكم فى تلك الارض بالبقاء بعد الفناء بطريق الرجوع الى احكام البشرية بالله لا بالطبع والميل الطبيعى ويخرجكم اى ويظهركم ويغلبكم على النصر فى العالم بالله لا بكم ولا بقدرتكم واستطاعتكم

١٩

{ والله } كرر الاسم الجليل للتعظيم والتيمن والتبرك

{ جعل لكم } اى لمنافعكم

{ الارض } سبق بياتها فى سورة الملك وغيرها

{ بساطا } مبسوطة متسعة كالبساط والفراش تتقلبون عليها تقلبكم على بسطكم فى بيوتكم قال أبو حيان ظاهره ان الارض ليست كرية بل هو مبسوطة قال سعدى المفتى وانما هو فى التقلب عليها على ما فسروه انتهى وقد مر مرارا ان كرة الارض لانتا فى الحرث ولغرس ونحو هما لعظم دآئرتها كما يظهر الفرق بين بيضة الحمامة وبيضة النعامة.

٢٠

{ لتسلكوا } من السلوك وهو الدخول لا من السلك وهو الادخال

{ منها سبلا فجاجا } اى طرقا واسعة جمع سبيل وفج وهو الطريق الوساع فجر دهنا لمعنى الواسع فجعل صفة لسبلا

وقيل هو المسلك بين الجبلين قال فى المفردات الفج طريق يكتنفها جبلان ويستعمل فى الطريق ال واسع ومن متعلقة بما قبلها لما فيه من معنى الاتخاذ اى لستلكوا متخذين من الارض سبلا فتصرفوا فيها مجيئا

وذهابا او بمضمر هو حال من سبلا اى كائنة من الارض ولو تأخر لكان صفة لها ثم جعلها بساطا للسلوك المذكور لا ينافى غيره من الوجوه كالنوم والاستراحة والحرث والغرس ونحوها ثم السلوك اما جسمانى بالحركة الابنية الموصلة الى المقصد

واما روحانى بالحركة الكيفية الموصولة الى المقصود ولكل منها فوآئد جليلة كطلب العلم والحج والتجارة وغيرها وكتحصيل المحبة والمعرفة والانس ونحوها وقال القاشانى والله جعل لكم ارض البدن بساطا لستكلوا منها سبل الحواس فجاجا اى خروقا واسعة او من جهتها سبل سماء الروح الى التوحيد كما قال امير المؤمنين رضى الله عنهسلونى عن طرق السماء فانى أعلم بها من طرق الارض أراد الطرق الموصلة الى الكمال من المقامات والاحوال كالزهد والعبادة والتوكل والرضى وامثال ذلك ولهذا كان معراج النبى عليه السلام بالبدن.

٢١

{ قال نوح } أعيد لفظ الحكاية لطول العهد بحكاية مناجاته لربه فهو بذل من قال الاول ولذا ترك العطف اى قال منا جياله تعالى

{ رب } اى برورذكار من

{انهم عصونى } داموا على عصيانى ومخالفتى فيما امرتهم به مع ما بالغت فى ارشادهم بالعظة والتذكير

{ واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا } اى استمروا على اتباع رؤسائهم الذين ابطرتهم اموالهم وغرتهم اولادهم وصارت تلك الاموال والاولاد سببا لزيادة خسارهم فى الآخرة فصاروا سوة لهم الخسار وفى وصفهم بذلك اشعار بأنهم انما اتبعوهم لوجاهتهم الحاصلة لهم بسبب الاموال والاولاد لما شاهدوا فيهم من شبهة مصححة للاتباع كما قالت قريش لولا نزل هذا القرءآن على رجل من القريتين عظيم فجعلوا الغنى سببا مصححا للاتباع ودل الكلام على ان ازدياد المال والولد كثيرا ما يكون سببا للهلاك الروحانى ويورث الضلال فى الدين اول والاضلال عن

اليقين ثانيا قال ابن الشيخ المفهوم من نظم الآية ان اموالهم واولادهم عين الخسار وان ازديادهما انما هو ازدياد خسارهم والامر فى الحقيقة كذلك فانهما وان كانا من جملة المنافع المؤدية الى السعادة الأبدية بالشكر عليهما وصرفهما الى وجوه الخير الا انهما اذا اديا الى البطر والاغترار وكفران حق المنعم بهما وصارا وسيلتين الى العذاب المؤبد فى الآخرة صارا كأنهما محض الحسار لان الدنيا فى جنب الآخرة كالعدم فمن انتفع بهما فى الدنيا خسر سعادة الآخرة وصار كمن اكل لقمة مسمومة من الحلوى فهلك فان تلك اللقمة فى حقه هلاك محض اذ لا عبرة لانتفاعه بها فى جنب ما ادت اليه

توغافل دراندیشه سود ومال ... كه سرمايه عمر شد بايمال

٢٢

{ ومكروا } عطف على صلة من لان المكر الكبار يليق بكبرآئهم والجمع باعتبار معناها والمكر الحيلة الخفية وفى كشف الاسرار المكر فى اللغة غاية الحيلة وهو من فعل الله تعالى اخفاء التدبير

{ مكرا كبارا } اى كبيرا فى الغاية وقرئ بالتخفيف والاول ابلغ منه وهو أبلغ من الكبير نحو طوال وطوال وطويل ومعنى مكره الكبار احتيالهم فى منع الناس عن الدين وتحريشهم لهم على اذية نوح قال الشيخ لما كان التوحيد اعظم المراتب كان المع منه والأمر بالشرك اعظم الكبائر فلذا وصفه الله بكونه مكرا كبارا.

٢٣

{ وقالوا } اى الرؤساء للاتباع والسفلة

{ لا تذرن آلهتكم } اى لا تتركوا عبادتها على الاطلاق الى عبادة رب نوح ومن عطف مكروا على اتبعوا يقول معنى وقالوا وقال بعضهم لبعض فالقائل ليس هو الجمع

{ ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا } جرد الاخرين عن حرف النفى اذ بلغ التأكيد نهايته وعلم ان القصد الى كل فرد فرد لا الى المجموع من حيث هو مجموع والمعنى ولا تذرن عبادة هؤلاء خصوصا

فهو من عطف الخاص على العام خصوصا بالذكر مع اندراجها فيما سبق لانها كانت اكبر اصنامهم وأعظم ما عندهم وقد انتقلت هذه الاصنام بأعيانها عنهم الى العرب فكان ودلكلب بدومة الجندل بضم دال دومة ولذلك سمت العرب بعبد ود وقال الراغب الود صنم سمى بذلك اما لمودتهم له او لاعتقادهم ان بينه وبين البارى تعالى مودة تعالى عن ذلك وكان سواع لهمدان بسكون الميم قبيلة باليمين ويغوث لمذحج كمجلس بالذال المعجمة وآخره جيم ومنه كانت العرب تسمى عبد يغوث ويعول لمراد وهو كغراب او قبيلة سمى به لانه تمرد ونسر لحمير بكسر الحاء وسكون الميم نوزن درهم موضع عربى صنعاء اليمن

وقيل انتقلت اسماؤها اليهم فاتخذوا امثالها فعبدوها اذ يبعد بقاء اعيان تلك الاصنام كيف وقد خربت الدنيا فى زمان الطوفان ولم يضعها نوح فى السفينة لانه بعث لنفيها وجوابه ان الطوفان دفنها فى ساحل جدة فلم تزل مدفونة حتى اخرجها اللعين لمشركى العرب نظيره ما روى ان آدم عليه السلم كتب اللغات المختلفة فى طين وطبخه فلما أصاب الارض

الغرق بقى مدفونا ثم وجد كل قوم كتابا فكتبوه فأصاب اسمعيل عليه السلام الكتاب العربى

وقيل هى اسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح

وقيل من اولاد آدم ماتوا فحزن الناس عليهم حزنا شديدا واجتمعوا حول قبورم لا يكادون يفارقونها وذلك بأرض بابل فلما رأى ابليس فعلهم ذلك جاء اليهم فى صورة انسان وقال لهم هل لكم أن أصور لكم صورهم اذا نظرتم اليها ذكرتموهم واتسأنستم وتبركتم بهم قالوا نعم فصور لهم صورهم من صفر ورصاص ونحاس وخشب وحجر وسمى تلك الصور بأسمائهم ثم لما تقادم الزمن وانقرضت الآباء والابناء وابناء الابناء قال لمن حدث بعدهم ان من قبلكم كانوا يعبدون هذه الصور فعبدوها فى زمان مهلاييل بن قيتان ثم صارت سنة فى العرب فى الجاهلية وذلك اما باخراج الشيطان اللعين تلك الصور كما سبق او بانه كان لعمرو بن لحى وهو اول من نصب الاوثان فلكعبة تابع من الجن فقال له اذهب الى جدة وائت منها بالآلهة التى كانت تعبد فى زمن نوح وادريس وهى وداخ فذهب وأتى بها الى مكة

ودعا الى عبادتها فنتشرت عبادة الاصنام فى العرب وعاش عمر وبن لحى

ثلاثمائة واربعين سنة ورأى من ولده وولد ولد ولده الف مقاتل ومكث هو

وولده فى ولاية البيت خمسمائة سنة ثم انتقلت الولاية الى قريش فمكثوا

فيها خمسمائة اخرى فكان البيت بين الاصنام ألف سنة وذكر الامام

الشعرانى ان اصل وضع الاصنام انما هو من قوة التنزيه من العلماء الاقدمين

فانهم نزهوا الله عن كل شيء وامروا بذلك عامتهم فلما رأوا ان بعض عامتهم

صرح بالتعطيل وضعوا لهم الاصنام وكسوها الديباج والحلى والجواهر

وعظموها بالسجود وغيره ليتذكروا بها الحق الذى غاب عن عقولهم وغاب

عن اولئك العلماء ان ذلك لا يجوز الا باذل من الله تعالى هنا كلامه قال

السهيلى ولا أدرى من اين سرت لهم تلك السماء القديمة أمن قبل الهند

فقد ذكر عنهم انهم كانوا المبدأ فى عبادتهم الاصنام بعد نوح ام الشيطان

ألهمهم ما كنت عليه الجاهلية الاولى قبل نوح وفى التكملة روى تقى بن

مخلد أن هذه الاسماء المذكورة فى سورة كانوا ابناء آدم عليه السلام من

صلبه وأن يغوث كان اكبرهم وهى اسماء سريانية ثم وقعت تلك الاسماء

الى أهل الهند فسموا بها اصنامهم التى زعموا انها على صور الداراری السبعة وكانت الجن تكلمهم من جوفها فافتتنوا بها ثم ادخلها الى ارض العرب عمرو بن لحى بن قمعة بن الياس بن مضر فمن قبله سرت الى ارض العرب

وقيل كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر وهو طائر عظيم لانه ينسر الشئ ويقتلعه وفى التأويلات النجمية لا تترکن عبودة آلهتكم التى هى ود النفس المصورة بصورة المرأة وسواع الهوى المصور بصورة الرجل ويغوث الطبيعة المشكلة بشكل الأسد ويعوض الشهوة المشكلة بصورة الفرس ونسر الشره المصور بصورة النسر وقال القاشانى اى معبوداتكم التى عكفتم بهواكم عليها من ود البدن الذى عبدتموه بشهواتكم وأحييتموه وسواع النفس ويغوث الاهل ويعوق المال ونسر الحرص.

٢٤

{ وقد أضلوا } اى الرؤساء والجملة حالية

{ كثيرا } اى خلقا كثيرا او اضل الاصنام كقوله تعالى رب انهن اضللن كثيرا من الناس جمعهم جمع العقلاء لعدهم آلهة ووصفهم بأوصاف العقلاء

{ ولا تزد الظالمين } بالاشتراك فان الشرك ظلم عظيم اذ أصل الظلم وضع الشئ فى غير موضعه فهل شئ اسوأ فى هذا من وضع اخس المخلوق وعبادته

{ الا ضلالا } الجملة عطف على قوله تعالى رب انهم عصونى اى قال رب انهم عصونى وقال ولا نزد الظالمين الا ضلالا قالوا ومن الحكاية لا من المحكى او من كلام الله لا من كلام نوح فنوح قال كل واحد من هذين القولين من غيرن يعطف احدهما على الآخر فحكى الله احد قوليه بتصديره بلفظ قال وحكى قوله صاخر بعطفه على قوله الاول بالواو المنائبة عن لفظ قال فلا يلزم عطف الانشاء على

الاخبار ويجوز عطفه على مقر اى فاخذلهم قالوا وحينئذ من

المحكى والمراد بالضلال هو الضيام والهلاك والضلال فى تمشية مكرهم

وترويجه مصالح دنياهم لا فى امر دينهم حتى لا يتوجه انه انما بعث ليصرفهم

عن الضلال فكيف يليق به أن يدعو الله فى أن يزيد ضلالهم وان هذا

الدعاء يتضمن الرضى بكفرهم وذلك لا يجوز فى حق الانبياء وان كان

يمكن أن يجاب بأنه بعدما اوحى اليه انه لا يؤمن من قومك الا من قد

من وان المحذور هو الرضى المقرون باستحسان الكفر ونظيره دعاء

موسى عليه السلام بقوله واشدد على قلوبهم فمن احب موت الشرير

بالطبع على الكفر حتى ينتقم الله منه فهذا ليس بكفر فيؤول المعنى الى أن

يقال ولا يزد الظالمين الا ضلالا وغيرا ليزدادوا عقابا كقوله تعالى انما نملى

لهم ليزدادوا اثما وقوله انى أريد أن تبوء باثمى واثمك فتكون من اصحاب

النار قالوا دعا نوع الابناء بعد الآباء حتى بلغوا سبعة قرون فلما ايس من

ايمانهم دعا عليهم.

{ مما خطيئاتهم } اى من اجل خطيئات قوم نوح واعمالهم المخالفة للصواب وهى الكفر والمعاصى وما مزيدة بين الجار والمجرور لتأكيد الحصر المستفاد من تقديمقوله مما خطيئاتهم فانه يدل على ان اغراقهم بالطوفان لم يكن الا من اجل خطيئاتهم تكذيبا لقول المنجمين من ان ذلك كان لاقتضاء الاوضاع الفلكية اياه ونحو ذلك فانه كفر لكونه مخالفا لصريح هذه الآية ولزيادة ما الابهامية فائدة غير التوكيد وهى تفخيم خطيئاتهم اى من اجل خطيئاتهم العظيمة ومن لم ير زيادتها جعلها نكرة وجعل خطيئاتهم بدلا منها والخطيئات جمع خطيئة وقرأ ابو عمر وخطاياهم بلفظ الكثرة لان المقام مقام تكثير خطيئاتهم لانهم كفروا ألف سنة والخيئات لكونه جمع السلامة لا يطلق على ما فوق العشرة الا بالقرينة والظاهر من كلام الرضى ان كل واحد من جمع السلامة والتكثير لمطلق الجمع من غير نظل الى القلة والكثرة فيصلحان لهما ولذا قيلانهما مشرتكان بينهما واستدلوا عليه بقوله تعالى ما نفذت كلمات الله

{ اغرقوا } فى الدنيا بالطوفان لا بسبب آخر وفيه زجر لمرتكب الخطايا مطلقا

{ فأدخلوا نارا } تنكير النار اما لتعظيمها وتهويلها او لانه تعالى اعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار والمراد اما عذاب القبر فهو عقيب الاغراق وان كانوا فى الماء فان من مات فى ماء او نار او اكلته السباع او الطير أصابه ما يصيب المقبور من العذاب عن الضحاك انهم كانوا يغرقون من جانب اى بالابدان ويحرقون من جانب اى بالارواح فجمعوا بين الماء والنار كما قال الشاعر

الخلق مجتمع طورا ومفترق ... والحادثات فنون ذات اطوار

لا تعجبن لأضداد اذا اجتمعت ... فالله يجمع بين الماء والنار

او عذاب جهنم والتعقيب لتنزيله منزلة المتعقب لاغراقهم لاقترا به وتحققه لا محالة واصتال زمانه بزمانه كما دل عليه قوله من مات فقد قامت قيامته على ان النار اما نصف نار وهى للارواح فى البرزخ

واما تمام نار وهى للارواح والاجسام جميعا بعد الحشر وقس على الجحيم النعيم

{ فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا } اى يجد أحد منهم لنفسه واحدا من الانصار ينصرهم على من اخذهم بالقهر والانتقام وفيه تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله و بأنها غير قادرةعلى نصرهم وتهكم بهم ومن دون الله حال متقدمة من قوله انصارا والجملة الاستئنافية الى هنا من كلام الله اشعارا بدعوة اجابة نوح وتسلية للرسول عليه السلام واصحابه وتخويفا للعاصى من العذاب واسبابه.

۲٦

{ وقال نوح } بعدما قنط من اهتدآئهم قنوطاتا ما بالامارات الغالبة وباخبار الله تعالى

{ رب } اى بروردكار من

{ لا تذر على الارض } لا تترك على الارض

{ من الكافرين } بك وبما جاء من عندك متقدمة من قوله

{ ديارا } احدا يدور فى الارض فيذهب ويجيئ اى فأهلكهم

بالاستئصال والجملة عطف على نظيرها السابق وقوله تعالى مما خطيئاتهم

الخ اعتراض وسط بين دعائهعليه السلام للايذان من اول الامر بان ما

اصابهم من الاغراق والاحراق لم يصبهم الا لأجل خطيئاتهم التى عددها

نوح وأشار الى استدراكهم للاهلاك لاجلها لما انها حكاية لنفس الاغراق

والاحراق على طريقة حكاية ما جرى بينه عليه السلام وبينهم من الاحوال

والاقوال والا لأخر عن حكاية دعائه هذا وديار من الاسماء المستعملة ى

النفى العام يقال ما بالدار ديار أو ديور كقيام وقيوم اى احد وساكن وهو

فيعال من الدور او من الدار اصله ديوار وقد فعل به ما فعل باصل سيد

فمعنى ديار على الاول احد يدور فى الارض فيهب ويجيئ

وعلى الثانى احد ممن ينزل الدار ويسكنها وأنكر بعضهم كونه من الدور

ان وقال لو كان من الدور ان لم يبق على وجه الارض جنى ولا شيطان

وليس المعنى على ذلك وانما المعنى اهلك كل ساكن دار من الكفار أى كل انسى منهم.

يقول الفقير جوابه سهل فان المراد كل من يدور على الارض من امة الدعوة ليس الجن والشيطان منها اذ لم يكن نوح مبعوثا الى الثقلين وليس ديار فعالا من الدار والا لقيل دوار لان اصل دار دون فقلبت واوه ألفا فلما ضعفت عينه كان دوار بالواو الصحيحة المشددة اذ لا وجه لقلبها ياء.

٢٧

{ انك ان تذرهم } عليها كلا او بعضا ولا تهلكهم بيان لوجه دعائه عليهم واظهار بأنه كان من الغيرة فى الدين لا لغلبة غضب النفس لهواها

{ يضلوا عبادك } عن طريق الحق

قال بعضهم عبادك المؤمنين وفيه اشعار بأن الاهل لان يقال لهم عباد اهل الايمان انتهى وفيه نظر بل المراد يصدوا عبادك عن سبيلك كقوله تعالى وصدوا عن سبيل الله دل عليه انه كان الرجل منهم ينطلق بابنه الى نوح فيقول له احذر هذا فانه كذاب وان ابى حذرنيه واوصانى بمثل هذه الوصية فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك

{ ولا يلدوا } ونزايند

{ الا فاجرا } الفجر شق الشئ شقا واسعا كفجر الانسان الكسر وهو بالكسر اسم لسد النهر وما سد به النهر والفجور شق ستر الديانة

{ كفارا } مبالغا فى الكفر والكفارن قال الراغب الكفار بلغ من الكفور وهو المبالغ فى كفران النعمة والمعنى الا من سيفجر ويكفر فالوجه ارتفاعهم عن وجه الارض والعلم لك فوصفهم بما يصيرون اليه بعد البلوغ فهو من مجاز الاول وكأنه اعتذار مما عيسى رد عليه من ان الدعاء بالاستئصال مع احتمال ان يكون من اخلافهم من يؤمن منكر وانما قاله

بالوحى لقوله تعالى فى سورة هود واوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فان قلت هذا اذا كان دعاء نوح متأخرا عن وحى تلك الآية وذلك غير معلوم قلت الظاهر ان مثل هذا الدعاء انما يكون فى الاواخر بعد ظهور امارات النكال

قال بعضهم لا يلد الحية الا الحية وذلك فى الاغلب ومن هناك قيل (اذا طاب اصل المرء طابت فروعه) وفحوه الولد سر أبيه

قال بعضهم فى توجيهه ان الولد اذا كبر انما يتعلم من اوصاف أبيه او يسرق من طباعه بل قد يصحب المرء رجلا فيسرق من طباعه فى الخير والشر.

يقول الفقير معناه فيه ما فيه اى من الجمال والجلال فقد يكون الجمال الظاهر فى الأب باطنا فى الابن كما كان فى قابيل بن آدم حيث ظهر فيه ما بطن فى أبيه من الجلال وكان الامر بالعكس فى هابيل بن آدم وكذا الامر الى يوم القيامة فى الموافقة والمخالفة وقال بعض الكبار اعتذار

نوح يوم القيامة عند طلب الخلق الشفاعة منه بدعوته على قوموا انما هو
لما فيها من قوله ويلدوا الا فاجرا كفارا لا نفس دعائه عليه من حيث كونه
دعاء انتهى اشار الى ان دعاء نوح كان بالامارات حيث جربهم قريبا من
ألف سنة فلم يظهر منهم الا الكفر والفجور ولو كان بالوحى لما اعتذار
كام قال القاشانى مل من دعوة قومه وضجر واستولى عليه الغضب ودعا
ربه لتدمير قومه وقهرهم تنشأ منها النفس الخبيثة المحجوبة وتتربى بهيئتها
المظلمة لا تقبل الا مثلها كالبذر الذى لا ينبت الا من صنفه وسبخه
وغفل عن ان الولد س أبيه اى خاله الغالبة على الباطن فربما كان الكافر
باقى الاستعداد صافى الفطرة نقى الاصل بحسب الاستعداد الفطرى وقد
استولى على ظاهره العادة ودين آبائه وقومه الذين نشأ بينهم فدان بدينهم
ظاهرا وقد سلم باطنه فيلد المؤمن على حال النورية كولادة أبى ابراهيم عليه
السلام فلا جرم تولد من تلك الهيئة الغضبية الظلمانية التى غلبة على باطنه
وحجبته فى تلك الحالة عما قال مادة ابنه كنعان وكان عقوبة لذنب حاله
انتهى ويدل على ما ذكر من ان دعاءه اليس مبنيا على الوحى ما ثبت

ان النبى عليه السلام شبه رضى الله عنه فى الشدة بنوح وأبا بكر رضى

لاله عنه فى اللين بابراهيم قال بعض العارفين فى قوله تعالى وما ارسلناك

الا رحمة للعالمين فى هذه الآية عتاب لطيف فاٮها نزلت حين مكث يدعو

على قوم شهرا مع ان سبب ذلك الدعاء انما هو الغيرة على جناب الله

تعالى وما يستحقه من الطاعة ومعنى العتاب انى ما ارسلتك سبابا ولا

لعانا وانما بعثنك رحمة اى لترحم مثل هؤلاء الذين دعوت عليهم كأنه يقول

لو كان بدل دعائك عليهم الدعاء لهم لكان خيرا فانك اذا دعوتنى لهم

ربما اجبت دعاءك فوفقتهم لطاعتى فترى سرور عينك وقرتها فى طاعتهم

لى واذا لعنتهم ودعوت عليهم واجبت دعاءك فيهم لم يكن من كرمى ان

آخذهم الا بزيادة طغيانهم وكثرة فسادهم فى الارض وكل ذلك انما كان

بدعائك عليهم فكأنك امرتهم بالزيادة فى الطغيان الذى اخناهم به فتنبه

رسول الله عليه السلام لما ادبه به ربه فقال ان الله ادبنى فأحسن تأديبى ثم

صار يقول بعد ذلك اللهم اغفر لقومى فاٮهم لا يعلمون وقام ليلة كاملة

الى الصباح بقوله تعالى ان تعذبهم فاٮهم عبادك وات تغفر لهم فانك أنت

العزيز الحكيم لا يزيد عليها فأين هذا من دعائه قبل ذلك على رعل وذكوان وعصية وعلى صناديد قريش اللهم عليك بفلان اللهم عليك بفلان فاعلم ذلك فاقتد بنبيك فى ذلك والله يتولى هداك (وقال بعض اهل المعرفة) نوح جون از قوم خود برنجيد بهلاك ايشان دعا كرد ومصطفى عليه السلام جون از قوم برنجيد بشفقت كفت اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون.

واعلم انه لا يجوز ان يدعى على كافر معين لانا لا نعلم خاتمته ويجوز على الكفار والفجار مطلقا وقد دعا عله السلام على من تحزب على المؤمنين وهذا هو الاصل فى الدعاء على الكافرين.

٢٨

{ رب اغفر لى } ذنوبى وهى ما صدر منه من ترك الاولى

{ ولوالدى } ذنوبهما ابو ملك بن متوشلخ على وزن الفاعل كمتد حرج او هو بضم الميم والتاء المشددة المضمومة وفتح الشين المعجمة

وسكون اللام وروى بعضهم الفتح فى الميم وامه سمخا بنت انوش كانا مؤمنين قال ابن عباس رضى الله عنه لم يكفر لنوح أب ما بينه وبين آدم وفى اشراق التواريخ امه قسوس بنت كابيل وفى كشف الاشرار هيجل بنت لاموس ابن متوشلخ بنت عمه وكانا مسلمين على ملة ادريس عليه السلام

وقيل المراد بوالديه آدم وحوآء عليهما السلام

{ ولمن دخل بيتى } اى منزلى

وقيل مسجدى فانه بيت اهل الله وان كان بيت الله منَ وجه

وقيل سفينتى فانها كالبيت فى حرز الجوآئج وحفظ النفوس عن الحر والبرد وغيرهما

{ مؤمنا } حال كون الداخل مؤمنا وبهذا القيد خرجت امرأته واعلة وابنه كنعان ولكن لم يجزم عليه السلام بخروجه الا بعد ما قيل له انه ليس من اهلك

{ وللمؤمنين والمؤمنات } بى او من لدن آدم الى يوم القيامة .

وكفته اندمراد ابن امت مرحومه اند.

خص اولا من يتصل به نسبا ودينا لانهم اولى واحق بدعائه ثم عم المؤمنين والمؤمنات وفى الحديث (ما الميت فى القبر الا كالغريق المتغوث ينتظر دعوة تلحقه من أب او أخ او صديق فاذا لحقته كانت أحب اليه من الدنيا وما فيها وان الله ليدخل على اهل القبور من دعاء اهل الارض امثال الجبال وان هديه الاحياء الى الاموات الاستغفار لهم)

{ ولا تزد الظالمين الا تبارا } اى هلاكا وكسرا وبالفارسية مكرهلاكى بسختى.

والتبردقاق الذهب قال فى الاول ولا نزد الظالمين الا ضلالا لانه وقع بعد قوله وقد أضلوا كثيرا وفى الثانى الاتبار الانه وقع بعد قوله لا تذر على الارض الخ فذكر فى كل مكان ما اقتضاه وما شاكل معناه ولظاهر انه عليه السلام ارادأ بالكافرين والظالمين الذين كانوا موجودين فى زمانه .

متمكنين فى الارض ما بين المشرق والمغرب فمسئوله ان يهلكهم الله

فاستجيب دعاؤه فعمهم الطوفان بالغرق وما نقل عن بعض المنجمين من

انه أراد جزيةر العرب فوقع الطوفان عليهم دون غيرهم من الآفاق مخالف

لظاهر الكلام وتفسير العلماء وقول اصحاب التواريخ بأن الناس بعد

الطوفان توالدوا وتناسلوا وانتشروا فى الاطراف مغاربها ومشارقها من اهل

السفينة دل الكلام على الظالم اذا ظهر ظلمه وأصر عليه ولم ينفعه النصح

استحق ان يدعى عليه وعلى اعوانه وانصاره قيل غرق معهم صبيانهم ايضا

لكن لا على وجه العقاب لهم بل لتشديد عذاب آبائهم وامهاتهم بارآء

هلاك اطفالهم الذين كانوا اعز عليهم من انفسهم قال عليه

السلام يهلكون مهلكا واحدا ويصدون مصادر شتى وعن الحسن انه سئل

عن ذلك فقال علم الله برآءتهم فأهلكهم بغير عذاب وكم من الصبيان من

يومت بالغرب والحرق وسائر اسباب الهلاك وقبل اعقم الله ارحام نسائهم

وايبس اصلاب آبائهم قبل الطوفان بأربعين او سبعين سنة فلم يكن معهم

صبى ولا مجنون حين غرقوا لان الله تعالى قال وقوم نوح ولما كذبوا الرسل

اغرقناهم ولم يوجد التكذيب من الاطفال والمجانين وفى الاسئلة المقحمة ولو أهلك الاطفال بغير ذنب منهم ماذا يضر فى الربوبية أليس الله يقول قل فمن يملك من الله شيأ ان أراد أن يهلك المسبح بن مريم وامه ومن فى الارض جميعا.

يقول الفقير الظاهر هلاك الصبيان مع الآباء والامهات لان نوحا عليه السلام ألحقهم بهم حيث قال ولا يلدوا الا فاجرا كفارا اذ من سفيجر ويكفر فى حكم الفاجر والكافر فلذلك دعا على الكفار مطلقا عموما بالهلاك لاستحقاق بعضهم له بالاصلاة وبعضهم بالتبعية ودعا للمؤمنين والمؤمنات عموما وخصوصا بالنجاة لان المغفور ناج لا محالة وروى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما انه كان اذا قرأ القرءآن بالليل فمر بآية بقول لى يا عكرمة ذكرنى هذه الآية غدا فقرأ ذات ليلة هذه الآيةاى رب اغفر لى الخ فقال يا عكرمة ذكرنى هذه غدا فذكرتها له فقال ان نوحا دعا بهلاك الكافرين ودعا للمؤمنين بالمغفرة وقد اسجتيب دعاؤه

على الكافرين فاهلكوا وكذلك استجيب دعاؤه فى المؤمنين فيغفر الله للمؤمنين والمؤمنات بدعائه.

ورد عن بعض الصحاب رضى الله عنهم انه قال نجاة المؤمنين بثلاثة اشياء بدعاء نوح وبدعاء اسحق وبشفاعة محمد عليه السلام يعنى المذنبين وفى التأيلات النجمية رب اغفر لى ولوالدى من العقل الكلى والنفس الكلى ولمن دخل بيتى مؤمنا من الروح والقلب وللمؤمنين من القوى الروحانية والمؤمنات من النفوس الداخلة تحت نور الروح والقلب بسبب نور الايمان ولا تزد الظالمين النفس الكافرة والهوى الظالم الا تبارا هلاكا بالكلية بالفناء فى الروح والقلب وعلى هذا التأويل يكون دعاء لهم لا دعاء عليهم انتهى وقال القاشانى رب اغفر لى اى استرنى بنورك بالفناء فى التوحيد ولروحى ولنفسى اللذين هما أبوا القلقل ولمن دخل بيتى اى مقامى فى حضرة القدس مؤمنا بالتوحيد لعلمى اولا رواح الذين آمنوا ونفوسهم فبلغهم الى مقام الفناء فى التوحيد ولا تزد الظالمين الذين نقصوا حظهم بالاحتجاب بظلمة نفوسهم عن عالم النور الا تبارا اهلاكا

بالغرف فى بحر الهيولى وشدة الاحتجاب انتهى فيكون دعاء عليهم كما لا يخفى.

سُورَةُ الجِنّ مَكِّيَّةٌ

وَهِيَ ثَمَانٍ وَعِشْرُونَ آيَةً

١

{ قل } يا محمد لقومك

{ اوحى الى } اى ألقى على بطريق الوحى واخبرت باعلام من الله تعالى والايحاء اعلام فى خفاء وفائدة اخباره بهذه الاخبار بيان انه رسول الثقلين والنهى عن الشرك والحث على التوحيد فان مع تمردهم وعدم مجانستهم اذا آمنوا فكيف لا يؤمن البشر مع سهولة طبعهم ومجانستهم .

{ استمع } اى القرءآن اوطه او اقرأ وقد حذف لدلالة ما بعده عليه والاستماع بالفارسية نيوشيدن . والمستمع من كان قاصدا للسماع مصغيا اليه والسامع من اتفق سماعه من غير قصد اليه فكل مستمع سامع من غير عكس

{ نفر من الجن } جماعة منهم ما بين الثلاثة والعشرة وبالفارسية كروهى كه ازده كتر وازسه بيشتر بودند.

قال فى القاموس النفر ما دون العشرة من الرجال كالنفير والجمع انفار وفى المفردات النفر عدة رجال يمكنهم الى الحرب بالفارسية بيرون شدن.

والجن واحده جنى كروم وورومى ونحوه قال ابن عباس رضى الله عنهما انطلق رسول الله عليه السلام فى طائفة من اصحابه الى سوق عكاظ فأدركهم وقت صلاة الفجر وهم بنخلة فأخذ هو عليه السلام يصلى باصحابه صلاة الفجر فمر عليهم نفر من الجن وهم فى الصلاة فلما سمعوا القرءآن استمعوا له وفيه دليل على انه عليه السلام ولم ير الجن حينئذ اذ لو رأهم لما اسند معرفة هذه الواقعة الى الوحى فان ما عرف بالمشاهدة لا يستند اثباته الى الوحى وكذا لم يشعر بحضورهم وباستماعهم ولم يقرأ عليهم وانما اتفق حضورهم فى بعض اوقات قرآءته فسمعوها فأخبره الله بذلك وقد مضى ما فيه من التفصيل فى سورة

الاحقاف لا نعيده والجن اجسام رقاق فى صورة تخالف صورة الملك

والانس عاقلة كالانس خفية عن ابصارهم لا يظهرون لهم ولا يكلمونهم

الا صاحب معجزة بل يوسوسون سائر الناس يغلب عليهم

النارية او الهوآئية ويدل على الاول مثل قوله تعالى وخلق الجان من مارج

نار فان المشهور ان المركابت كلها من العناصر فما يغلب فيه النار فنارى

كالجن وما يغلب فيه الهوآء فهوآئى كالطير وما يغلب فيه الماء فمائى

كالسمك وما يغلب فيه التراب فترابى كالانسان وسائر الحيوانات الارضية

واكثر الفاسفة ينكرون وجود الجن فى الخارج واعترف به جمع عظيم من

قدمائهم وكذا جمهور أرباب الملل المصدقين بالانبياء قال القاشانى ان فى

الوجود نفوسا ارضية قوية لا فى غلظ النفوس السبعية والبهيمية وكثافتها

وقلة ادراكها ولا على هيئات النفوس الانسانية واستعداداتها ليلزم تعلقها

بالاجرام الكثيفة الغالب عليها الارضية ولا فى صفاء النفوس المجردة

ولطافتها لتتصل بالعالم العلوى وتتجرد او تتعلق ببعض الاجرام السماوية

متعلقة باجرام عنصرية لطيفة غلبت عليهم الهوآئية او النارية او الدخانية

على اختلاف احوالها سماها بعض الحكماء الصور المعلقة ولها علوم وادراكات من جنس علومنا واركاتنا ولما كانت قريبة بالطبع الى الملكوت السماوى امكنها ان تتلقى من عالمها بعض الغيب فلا يستبعد أن ترتقى افق السماء فتسترق السمع من كلام الملائكة اى النفوس المجردة ولما كانت ارضية ضعيفة بالنسبة الى القوى السماوية تأثرت تلك القوى فرجمت بتأثيرها عن بلوغ شأوها وادراك مداها من العلوم ولا ينكر أن تشتعل اجرامها الدخانية بأشعة الكواكب فتحترق وتهلك او تنزجر عن الارتقاء الى الافق السماوى فتتسفل فانها امور ليست بخرجة عن الامكان وقد اخبر عنها اهل الكشف والعيان الصادقون من الانبياء والاولياء خصوصا اكملهم نبينا محمد صلّى الله عليه وسلّم وهى فى الوجود الانسانى لاستتارها فغيب الباطن

{ فقالوا } لقومهم عند رجوعهم اليهم

{ انا سمعنا قرءآنا } اى كتابا مقروأ على لسان الرسول

{ عجبا } مصدر بمعنى العجيب وضع موضعه للمبالغة والعجيب ما خرج عن حد اشكاله ونظائره والمعنى بدعيا مباينا لكلام الناس فى حسن النظم ودقة المعنوقال البقلى كتابا عجيبا تركبه وفيه اشارة الى انهم كانوا من اهل اللسان قال عيزار بن حريث كنت عند عبد الله بن مسعود وضى الله عنه فأتاه رجل فقال له كنا فى سفر فاذا نحن بحية جريحة تتشحط فى دمها اى تضطرب فان الشحط بالحاء المهملة لاضطراب فى الدم فقطع رجل منا قطعة من عمامته فلفها فيها فدفنها فلما امسينا ونزلنا أتانا امرأتان من احسن نساء الجن فقالتا ايكم صاحب عمر واى الحية التى دفنتموها فأشرنا لهما الى صاحبهما فقالتا انه كان آخر من بقى من استمع القرءآن من رسول اللّهصلّى الله عليه وسلّم كان بين كافرى الجن ومسلميهم قتال فقتل فيهم فان كفتيم اردتم به الدنيا ثوبناكم اى عوضناكم فقلنا لا انما فعلنا ذلك لله فقالتا احسنتم وذهبتا يقال اسم الذى لف الحيه صفوان بن معطل المرادى صاحب قصة الافك والجنى عمرو بن خابر رحمه الله.

٢

{ يهدى الى الرشد } الى الحق الصواب وصلاح الدين والدنيا

كما قال عليه السلام اللهم ألهمنى رشدى اى الاهتدآء الى مصالح الدين الدنيا فيدخل فيه التوحيد والتنزيه وحقيقة الرشد هو الوصول الى الله تعالى

قال بعضهم الرشد كالقفل خلاف الغى يقال فى الامور الدنيوية والاخروية والرشد كالذهب يقال فى الامور الاخروية فقط

{ فآمنا به } اى بذلك القرءآن ومن ضرورة الايمان به الايمان به جاء به ولذا

قال بعضهم

داخل اندر دعوت اوجن وانس ... تاقيامت امتش هر نوع وجنس

اوست سلطان وطفيل اوهمه ... اوست شاهنشاه وخيل اوهمه

{ ولن نشرك } بعد اليوم البتة اى بعد علمنا الحق

{ بربنا احدا } حسبما نطق به ما فيه من دلائل التوحيد اى لا نجعل احدا من المودات شريكا له اعتقادنا ولا نعبد غيره فان تمام الايمان

انما يكون بالبرآءة من الشرك والكفر كما قال ابراهيم عليه السلام انى بريئ مما تشركون فلكونه قرءآنا معجزا بديعا موجب الايمان به ولكونه يهدى الى الرشد موجب قطع الشرك من اصله والدخول فى دين الله كله فمجموع قوله فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا مسبب عن مجموع قوله انا سمعنا قرءآنا عجبا يهدى الى الرشد ولذا عطف ولن نشرك بالواو مع ان الظاهر الفاء.

٣

{ وانه تعالى جد ربنا } بالفتح وكذا ما بعده من الجمل المصدرة بأن فى احد عشر موضعا عطف على انه استمع فيكون من جملة الكلام الموحى به على ان الموحى عين عبارة الجن بطريق الحكاية كأنه قيل قل اوحى الى كيت وكيت وهذه العبارات فاندفع ما قيل من انك لوعطفت وانا ظننا وانا سمعنا وانه كان رجال وانا لمسنا وشبه ذلك على أنه استمع لم يجز لانه ليس مما اوحى اليه وانما هو امر اخبروا به عن انفسهم انتهى

ومن قرأ بالكسر عطف على المحكى بعد القول وهو الاظهر لوضوح اندراج الكل تحت القول

وقيل فى الفتح والكسر غير ذلك والاقرب ما قلناه والمعنى وان الشأن ارتفع عظمة ربنا كما تقول فى الثناء وتعالى جدك اى ارتفع عظمتك وفى اسناد التعالى الى العظمة مبالغة لا تخفى من قولهم جد فلان فى غنى اى عظم تمكنه او سلطانه لان الملك والسلطنة غاية العظمة او غناه على انه مستعار من الجد الذى هو البخت والدولة والحظوظ الدنيوية سوآء استعمل بمعنى الملك والسلطان او بمعنى الغنى فان الجد فى اللغة كما يكون بمعنى العظمة وبمعنى أب الاب وأب الام يكون بمعنى الحظ والبخت يقال رجل مجدود اى محظوظ شبه سلطان الله وغناء الذاتيان الازليان يبخت الملوك والاغنياء فأطلق اسم الجد عليه استعارة

{ ما اتخذ صاحبة ولا ولدا } بيان لحكم تعالى جده كأنه قيل ما الذى تعالى عنه فقيل ما اتخذ أى لم يختر لنفسه لكمال تعاليه زوجة ولا

بنتا كما يقول الظالمون وذلك انهم لما سمعوا القرءآن ووفقوا للتوحيد والايمان تنبهوا للخطأ فيما اعتقده كفرة الجن من تشبيه الله بخلقه فى اتخاذ الصاحبة والولد فاستعظموه ونزهوه تعالى عنه لعظمته ولسلطانه او لغناه فان الصاحبة تتخذ للحاجة اليها والولد للتكثير وابقاء النسل بعد فوته وهذه من لوازم الامكان والحدوث وايضا هو خارج عن دآئرة التصور والادراك فكيف يكيفه احد فيدخل تحت جنس حتى يتخذ صاحبة من صنف تحته او ولدا من نوع يماثله وقد قالت النصارى ايضا المسيح ابن الله واليهود عزيرا ابن الله وبعض مشركى العرب الملائكة بنات الله ويلزم من كون المسيح ابن الله على ما زعموا ان تكوم مريم صاحبة له ولذا ذكر الصحابة يعنى ان الولد يقتضى الام التى هى صاحبة الاب الدالدوا شار بالصحابة الى النفس وبالولد الى القلب فيكون الروح كالزوج والاب لهما وهو فى الحقيقة مجرد عن كل علاقة وانما تعلق بالبدن لتظهر قدرة الله وايضا ليستكمل ذاته من جهة الصفات.

٤

{ وانه } اى الشأن

{ كان يقول سفيهنا } اى جاهلنا هو ابليس او مردة الجن فقوله سفيهنا للجنس والظاهر ان يكون ابليس من الجن كما قال تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه والسفه خفة الحلم ونقيضه او لجهال كما فى القاموس وقال الراغب السفه خفة فى البدن واستعمل فى خفة النفس لنقصان العقل وفى الامور الدنيوية والاخروية والمراد به فى الآية هو السفه فى الدين الذى هو السفه الاخروى كذا فى المفردات

{ على الله } متعلق بيقول اورد على لان ما قالوه عليه تعالى لا له

{ شططا } هو مجاوزة الحد فى الظلم وغيره وفى المفردات الافراط فى البعد اى قولا ذا شطط اى بعد عن القصد ومجاوزة الحد أو هو شطط فى نفسه لفرط بعده عن الحق فوصف بالمصدر للمبالغة والمراد الصاحبة والولد اليه تعالى وفى الآية اشارة الى ان العالم الغير العامل فى حكم الجاهل

فان ابليس كان من اهل العلم فلما لم يعمل بمقتضى علمه جعل سفيها جاهلا لا يجوز التقليد له فالاتباع للجاهل ومن فى حكمه اتباع للشيطان والشيطان يدعو الى النار لانه خلق منها.

ه

{ وانا ظننا ان } مخففة من الثقيلة اى ان الشان

{ لن تقول الانس والجن على الله كذبا } اعتذار منهم عن تقليدهم لسفيههم اى كنا نظن ان الشان والحديث لن يكذب على الله احد ابدا ولذلك اتبعنا قولهوصدقناه فى ان لله صاحبة وولدا فلما سمعنا القرءآن وتبين لنا الحق بسببه علمنا انهم قد يكذبون عليه تعالى وكذا مصدر مؤكد لتقول لانه نوع من القول واشار بالانس الى القوى الروحانية والجن الى القوى الطبيعية وقال القاشانى انس الحواس الظاهرة وجن القوى الباطنة فتوهمنا ان البصر يدرك شكله ولونه والاذن تسمع صوته والوهم والخيال يتوهمه ويتخيله حقا مطابقا لما هو عليه قبل الاهتدآء والتنور بنور الروح

فلعمنا من طريق الوحى الوارد على القلب بواسطة روح القدس ان لسنا في شئ من ادراكه فليس له شكل ولا لون ولا صوت ولا هو داخل فى الوهم والخيال وليس كلام الله من جنس الكلام المصنوع المتلقف بالفكر والتخيل والمستنتج من القياسات العقلية او المقدمات الوهمية والتخيلية فليس الله من قبيل المخلوق جنسا او نوعا او صنفا او شخصا فكيف يكون له صاحبة وولد.

٦

{ وانه } اى وان الشان

{ كان } فى الجاهلية

{ رجال } كائنون

{ من الانس } خبر كان قوله

{ يعوذون } العوذ الالتجاء الى الغير والتعلق به

{ برجال من الجن } فيه دلالة ان للجن نساء كالانس لان لهم رجالا ولذا قيل فى حقهم انهم يتوالدون لكنهم ليسوا بمنظرين كابليس وذريته قال اه لالتفسير كان الرجل من العرب اذا امسى فى واد قفر فى بعض مسايره وخاف على نفسه يقول اعوذ بسيد هذا الوادى من شر سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم فيبيت فى امن وجوار حتى يصبح فاذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا الانس والجن وذلك قوله تعالى

{ فزادوهم } عطف على يعوذون والماضى للتحقق اى فزاد الرجال العائذون الانسيون الجن

{ رهقا } مفعول ثان لزاد اى تكبرا وعتوا وسفها فان الرهق محركة يجيئ على معان منها السفه وركوب الشر والظلم قال فى آكام المرجان وبهذا يجيبون المعزم والراقى باسمائهم واسماء ملوكهم فانه يقسم عليهم باسماء من يعظمونه فيحصل لهم بذلك من الرياسة والشرف على الانس ما يحملهم على ان يعطوهم بعض سؤالهم وهم يعلمون ان الانس أشرف منهم واعظم قدرا فاذا خضعت الانس لهم واستعاذت بهم كان بمنزلة اكابر الناس

اذا خضع لهم أصغرهم يقضون لهم حاجاتهم او المعنى فزاد الجن العائذين

غيا بأن اضلوهم حتى استعاذوا بهم واذا استعاذوا بهم فأمنوا ظنوا ان ذلك

من الجن فازدادوا رغبة فى طاعة الشياطين وقبول وساوسهم والفاء حينئذ

لترتيب الاخبار واسناد الزيادة الى الانس والجن باعتبار السببية (وروى

) عن كردم بن ابي السائب الانصارى رضى الله عنه انه قال خرجت مع

أبي الى المدينة فى حاجة وذلك اول ما ذكر النبي عليه السلام بمكة فأدانى

المبيت الى راعى غننم فلما انتصف الليل جاء الذئب فحمل حملا من

الغنم فقال اراعى يا عامر الوادى جارك فنادى مناد لا نراه يقول يا سرحان

ارسله فأتى الحمل يشتد حتى دخل فى الغنم ولم تصبه كدمة فأنزل الله على

رسوله بمكة وانه كان رجال الخ قال مقاتل كان اول من نعوذ بالجن قوم

من اهل اليمن ثم من حنيفة ثم فشاذ لك فى العرب فلما جاء الاسلام

عوذوا بالله وتركوهم وعن على بن أبي طالب رضى الله عنه انه قال اذا

كنت بواد تخاف فيه السبع فقل اعوذ بدانيال وبالجب من شر الأسد

انتهى أشار بذلك الى ما رواه البيهقى فى الشعب ان دانيال طرح فى الجب

وألقيت عليه السباع فجعلت السباع تلحسه وتبصبص اليه فأتاه رسول

فقال يا دانيال فقال من انت قال أنا رسول ربك اليك أرسلنى اليك بطعام

فقال الحمد لله الذى لا ينسى من ذكره (وروى) اين ابى الدنيا ان بخت

نصر ضرى اسدين وألقاهما فى جب وجاء بدانيان فألقاه عليهما فلم يضراه

وذكر قصته فلما ابتلى دانيال بالسباع جعل الله الاستعاذة به فى ذلك تمنع

الشر الذى لا يستطاع كما فى حياة الحيوان فعلم من ذلك ان الاستعاذة

بغير الله مشروعة فى الجملة لكن بشرط التوحيد واعتنقاد التأثير من الله

تعالى قال القاشانى فة الآية اى تستند القوى الظاهرة الى القوى الباطنة

وتتقوى بها فزاوهم غشيان المحارم واتيان المناهى الدواعى الوهمية والنوارع

الشهوية والغضبية والخواطر النفسانية.

٧

{ وانهم } اى الانس

{ ظنوا كما ظننتم } ايها الجن على انه كلام مؤمنى الجن للكفار حين رجعوا الى قومهم منذرين فكذوهم او الجن ظنوا كما ظننتم أبها لكفرةعلى انه كلام الله تعالى

{ ان لن يبعث الله احدا } ان هى المخففة والجملة سادة مسد مفعولى ظنوا واعمل الاول على ما هو مذهب الكوفيين لان ما فى كما ظننتم مصدرية فكان الفعل بعدها فى تأويل المصدر والفعل أقوى من المصدر فى العمل والظاهر ان المراد بعثة الرسالة اى لن يبعث الله أحدا بالرسالة بعد عيسى او بعد موسى يقيم به الحجة على الخلق ثم انه بعث اليهم محمدا عليه السلام خاتم النبيين فآمنوا فافعلوا أنتم يا معشر الجن مثل ما فعل الانس وقبل بعد القيامة اى لن يبعث الله احدا بعد الموت للحساب والجزآء.

يقول الفقير فيه اشارة الى أهل الغفلة من الانس والجن فانهم يظنون بالله ظن السوء ويقولون ان الله لا يبعث احدا من نوم الغفلة بل يبقيه على حاله من الاستغراق فى اللذات والانهماك فى الشهوات ولا يدرون ان

الله تعالى يبعث من فى القبور مطلقا ويحيي اجسادهم وقلوبهم وارواحهم بالحياة الباقية لان اهل النوم لانقطاع شعورهم لا يعرفون حال اهل اليقظة وفيه اثبات العجز لله تعالى على كل شئ قدير.

٨

{ وانا لمسنا السماء } اى طلبنا بلوغ السماء لاستماع ما يقول الملائكة من الحدوث او خبرها للافشاء بين الكهنة واللمس مستعار من المس للطلب شبه الطلب بالمس واللمس باليد فى كون كل واحد منهما وسيلة الى تعرف حالةالشئ فعبر عنه بالمس واللمس قال الراغب اللمس ادراك بظاهر البشرة كالمس ويعبر به عن الطلب قال فى كشف الاسرار ومنه الحديث الذى ورد ان رجلا قال لرسول الله عليه السلام ان امرأتى لا ندع عنها يدلامس اى لا ترديد طالب حاجة صفرا يشكوا تضييعها ماله

{ فوجدناها ملئت حرسا } اى حراسا وحفظه وهم الملائكة يمنعونهم عنها اسم جمع لحارس بمعنى حافظ كخدم لخادم مفرد اللفظ ولذلك قيل

{ شديدا } اى قويا ولو كان جمعا لقيل شدادا وقوله ملئت حرسا حال من مفعول وجدناها ان كان وجدنا بمعنى اصبنا وصادفنا ومفعول ثان ان كان من افعال القلوب اى فعلمناها مملوءة وحرسا تمييز

{ وشهبا } عطف على حرسا وحكمه فى الاعراب حكمه جمع شهاب وهى الشعلة المقتبسة من نار الكواكب هكذا قالوا وقد مر تحقيقه.

٩

{ وانا كنا نقعد } قبل هذا

{ منها } اى من السماء

{ مقاعد للسمع } خالية عن الحرس والشهب يحصل منها مقاصدنا من استماع الاخبار للالقاء الى الكهنة او صالحة للترصد

والاستماع وللسمع متعلق بنقعد اىعلى الوجه الاول اى لاجل السمع او بمضمر هو صفة لمقاعد اى على الثانى اى مقاعد كائنة للسمع وفى كشف الاسرار اى مواضع لاستماع الاخبار من السماء وكان لكل حى من الجن باب فى السماء يستمعون فيه ومن احاديث البخارى عن عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ان الملائكة تنزل فى العنان وهو بالفتح السحاب فتذكر الامر الذى قضى فى السماء فتسترق الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه الى الكهان فيكذبون معه مائة كذبة من عند أنفسهم.

يقول الفقير وجه التوفيق بين الاستراق من السماء ومن السحاب ان الملائكة مرة ينزلون فى العنان فيتحدثون هناك واخر يتذاكرون فى السماء ولا منع من عروج الشياطين الى السماء فى مدة قليلة للطافة اجسامهم وحيث كانت نارية او هوآئية او دخانية لا يتأثرون من النار او هوآئية حين المرور بكرتهما ولو سلم فعروجهم من قبيل الاستدراج ولله فى كل شئ حكمة واسرار

{ فمن } شرطية

{ يستمع الآن } فى مقعد من المقاعد ويطلب الاستماع والآن اى فى هذا الزمان وبعد المبعث وفى اللباب ظرف حالى استعير للاستقبال

{ يجد له } جواب الشرط والضمير لمن اى يجد لنفسه

{ شهابا رصدا } الرصد الاستعداد للترقب اى شهابا راصدا له ولاجله يصده عن الاستماع بالرجم او ذوى شهاب راصدين له ليرجموه بما معهم من الشهب على انه اسم مفرد فى معنى الجمع كالحرس فيكون المراد بالشهاب الملائكة بتقدير المضاف ويجوز نصب رصدا على المفعول له وفى الآية اشارة الى طلب القوى الطبيعية أن تدخل سماء القلب فوجدتها محفوفة بحراس الخواطر الملكية والرحمانية يحرسونها عن طرق الخواطر النفسانية والشيطانية بشهاب نار نور القلب المنور بنور الرب وكان الشهاب والرجم قبل البعثة النبوية لكن كثر بعدها وزاد زيادة بينة حتى تنبه لها الانس والجن

ومنع الاستراق اصلا الثلايلتبس على الناس اقوال الرسول المستندة الى الوح الالهى باقوال الكهنة المأخوذة من الشياطين مما استقروا من اقوال اهل السماء ويدل على ما ذكر قوله تعالى فوجدناها ملئت حرسا شديدا فانه يدل على ان الحادث هو الكمال والكثرة ازيدت حرسا وشهبا حتى امتلأت بها وقوله تعالى وانا كنا نقعد منها مقاعد اى كنا نجد فيهما بعض المقاعد حالية عن الحرس والشهب والآن قد ملئت المقاعد كلها فلما رأى الجن ذلك قالوا ما هذا الا لام اراده الله بأهل الارض وذلك قولهم.

١٠

{ وانا لا ندرى أشر أريد بمن فى الارض } بحراسة السماء منا

{ ام أراد بهم ربهم رشدا } اى خيرا واصلاحا اوفق لمصالحهم والاستفهام لاظهار العجز عن الاطلاع على الحكمة

قال بعضهم لعل التردد بينهما مخصص بالاستفهام وأن يكون فاعل فعل مضمر مفسر بما بعده بمعنى لا ندرئ اريد شر ام خير ورجحوه

للموافقة بين المعطوفين فى كونهما جملة فعليه والباء فى الموضعين متعلقة بما قبلها والجملة الاستفهامية قائمة مقام المفعول ونسبة الخير الى الله تعالى دون الشر من الآداب الشريفة القرءآنية كما فى قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين ونظائره قال صاحب الانتصاب ومن عقائد الجن ان الهدى والضلال جميعا من خلق الله تعالى فتأدبوا من نسبة الرشاد اليه وجعلوا الشر مضمر الفاعل فجمعوا بين حسن الاعتقاد والأدب.

١١

{ وانا منا الصالحون } اى الموصوفون بصلاح الحال فى شأن أنفسهم وفى معاملتهم مع غيرهم او ما يكون الى الخير والصلاح حسبما تقتضيه الفطرة السليمة لا الى الشر والفساد كام هو مقتضى النفوس الشريرة والقصر ادعائى كأنهم لم يعتدوا بصلاح غير ذلك البعض فالصالحون مبتدأ وما خبره المقدم والجملة خبر ان ويجوز أن يكون الصالحون فاعل الجاروالمجرور الجارى مجرى الظرف لاعتماده على المبتدأ

{ ومنا دون ذلك } اى قوم دون ذلك فى الصلاح فحذف

الموصوف لانه ليجوز حذف هذا الموصوف فى التفصيل بمن حتى قالوا منا

ظعن ومنا اقام يريدون منا فريق ظعن ومنا فريق أقام ودون ظرف وهم

المقتصدون فى صلاح الحال على الوجه المذكور غير الكاملين فيه لا فى

الايمان والتقوى كما توهم فان هذا بيان لحالهم قبل استماع القرءآن

كمايعرب به عنه قوله تعالى

{ كنا طرآئق قددا }

واما حالهم بعد استماعه فسيحكى بقوله وانا لام سمعنا الهدى

الى قوله وانا منا المسلمون اى كنا قبل هذا طرآئق فى اختلاف الاحوال

فهو بيان للقسمة المذكورة وقدر المضاف لامتناع كون الذوات طرآئق قالوا

فى الجن قدرية ومرجئة وخوارج وروافض وشيعية وسنية قال فى المفردات

جمع الطريق طرق وجمع الطرق طرآئق والظاهر أن الطرآئق جمع طريقة

كقصائد جمع قصيدة ثم قال وقوله تعالى كنا طرآئق قددا اشارة الى

اختلافهم فى درجاته كقوله هم درجات والطريق الذى يطرق

بالارجل اى يضرب ومنه استعير كل مسلك يسلكه الانسان فى فعل محمودا كان او مذموما

وقيل طرقة من النخل تشبيها بالطريق فى الامتداد والقد قطع الشئ طولا والقد المقدود ومنه قيل لقامة الانسان قد كقولك تقطيعه والقدرة كالقطعة يعنى انها من القد كالقعطة من القطع وصفت الرآئق بالقدد دلالتها على معنى التقطع والتفرق وفى القاموس القدة الفرقة من الناس هوى كل واحد على حدة ومنه كنا طرآئق قددا افرقا مختلفة اهوآؤها وقد تعددوا قال القاشانى وانا منا الصالحون كالقوى المدبرة لنظام المعاش وصلاح البدن ومنادون ذلك من المفسدات كالوهم ولغضب والشهوة والمعاملة بمقتضى هوى النفس والمتوسطات كالقوى النباتية الطبيعية كنا ذوى مذاهب مختلفة لكل طريق ووجهة مما عينه الله ووكله به قال بعض المفسرين المراد بالصالحين السابقون بالخيرات وبما دون ذلك اى أدنى مكان منهم المقتصدون الذين خلطو اعملا صالحا وآخر سيئا

واما الظالمون لانفسهم فممندرج فى قوله تعالى كسا طرآئق قددا

فيكون تعميما بعد تخصيص على الاستئناف ويحتمل أن يكون

دون بمعنى غير فيندرج القسمان الاخيران فيه.

١٢

{ وانا ظننا } اى علمنا الآن بالاستدلال والتفكر فى آيات الله

فالظن هنا بمعنى اليقين لان الايمان لا يحصل بالظن ولان مقصودهم تغريب

اصحابهم وترهيبهم وذا العلم لا بالظن كما قال عليه السلام انا النذير

العريان

{ ان } اى ان الشان

{ لن نعجز الله } عن امضاء ما اراد بنا كائنين

{ فى الارض } اينما كنا من اقطارها فقوله فى الارض حال من

فاعل نعجز والاعجاز عاجز كردن

{ ولن نعجزه هربا } قوله هربا حال من فاعل لن نعجز اى هاربين من الارض الى السماء والى الجارو والى جبل قاف او لن نعجزه فى الارض ان أراد بنا أمزا ولن نعجزه هرن ان طلبنا فالقرار من موضع الى موضع وعدمه سيان فأن شيأ منهما لا يفيد فواتنا منه ولعل الفائدة فى ذكر الارض حينئذ الاشارة الى انها مع سعتها وانبساطها ليست منجى منه تعالى ولا مهربا.

١٣

{ وانا لما سمعنا الهدى } اى القرءآن الذى يهدى للتى هى أقوم

{ آمنا به } من غير تأخير وتردد

{ فمن يؤمن بربه } وبما أنزله من الهدى

{ فلا يخاف } اى فهو لا يخاف فالكلام فى تقدير مبتدأ وخبر ولذلك دخلت الفاء لولا ذلك القيل لا يخف وفائدة رفع الفعل ووجوب

ادخال الفاء انه دال على تحقيق ان المؤمن ناج لا محالة وانه المختص بذلك دون غيره

{ بخسا } اى نقصا فى الجزآء

{ ولا رهقا } ولا أن ترهقه ذلة وتغشاه او جزآء بخس ولا رهق اى ظلم اذ لم يبخس احدا حقا ولا رهق اى ظلم احدا فلا يخاف جزاء هما وفي دلالة على ان من حق من آمن بالله أن يجتنب المظالم ومنه قوله عليه السلام (المؤمن من امنه الناس على انفسهم واموالهم) قال الواسطى رحمه الله حقيقة الايمان ما اوجب الامان فمن بقى فى مخاوف المرتابين لم يبلغ الى حقيقة الايمان.

١٤

{ وانا منا المسلمون } اى بعد استماع القرءآن

{ ومنا القاسطون } الجائرون عن طريق الحق الذى هو الايمان والطاعة لافقاسط الجائر لانه عادل عن الحق والمقسط العادل لانه عادل الى الحق يقال قسط اذا جاروأقسط اذا عدل وقد غلب هذا الاسم اى القاسط على فرقة معاوية ومنه الحديث خطابا لعلى رضى الله عنه (تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين) فالانكثون اصحاب عائشة رضى الله عنها فانهم الذين نكثوا البيعة اى نقضوها واستنزلوا عائشة رضى الله عنها فانهم الذين نكثوا البيعة اى نقضوها واستنزلوا عائشة وساروا بها الى البصرة على جمل اسمه عسكر ولذا سميت الوقعة يوم الجمل والقاسطون اصحاب معاوية لانهم قسطوا اى جاروا حين حاربوا الامام الحق والوفعة تعرف بيوم صفين والمارقون الخوارج فانهم الذين مرقوا اى خرجوا من دين الله واستحلوا القتال مع خليفة رسول الله عليه السلام وهم عبد الله ابن وهب الراسى وحرقوص بن زهير البجلى المعروف بذى الثدية وتعرف تلك الواقعة بيوم النهروان هى من ارض العراق على اربعة فراسخ من بغداد

{ فمن اسلم } بس هركه كردن نهاد امر خدايرا همجنانجه ما كرده ايم قال سعدى المفتى يجوز أن يكون من كلام الجن ويجوز أن يكون مخاطبة من الله لرسوله ما فيما بعده من الآيات

{ فاولئك } اشارة الى من اسلم والجمع باعتبار المعنى

{ تحروا } التحرى فى الاصل طلب الآحرى والاليق قولا او فعلا اى طلبوا وقصدوا

{ رشدا } يقال رشد كنصر وفرح رشد او رشدا رشادا اهتدى كما فى القاموس اى اهتدآء الى طريق الحق والصواب يبلغهم على دار الثواب فتحرى الرشد مجاز عن ذلك بعلاقة السببية وبالفارسية قصد كرده انداره راست وازان بمقصد خواهندرسيد.

ودل على ان للجن ثوابا على اعمالهم لانه ذكر سبب الثواب وموجبه وقد سبق تحقيقه.

١٥

{ واما القاسطون } الجائرون عن سنن الهدى

{ فكانوا لجهنم حطبا } الحطب ما يعد للايقاد اى حطبا توقد بهم كما توقد بكفرة الانس (روى) ان الحجاج قال لسعيد بن جبير حين أراد قتله منا تقول فى قال انك قاسط عادل فقال الحاضرون ما احسن ما قال حسبوا انه يصفه بالقسط والعدل فقال الحجاج يا جهلة جعلنى جاهلا كافرا وتلا قوله تعالى

واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا وقوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون واسند بعضهم قول سعيد الى امرأة كما قال فى الصحاح ومنه قول تلك المرأة للحجاج انك قاسط عادل فيحتمل التوارد.

١٦

{ وان لو استقاموا } ان مخففة من الثقيلة والجملة معطوفة قطعا على انه استمع والمعنى واوحى الى ان الشان لو استقام الجن او الانس او كلاهما

{ على الطريقة } التى هى ملة الاسلام

{ لاسقيناهم ماء غدقا } الاسقاء والسقى بمعنى وقال الراغب السقى والسقيا هو أن تعطيه ماء ليشرب والاسقاء أن تجعل له ذلك له حتى يتناوله كيف شاء كما يقال اسقينه نهرا فالاسقاء ابلغ وغدق من باب علم اذا غزر وصف الماء به للمبالغة فى غزارته كرجل عدل وتخصيص الماء الكثير بالذكر لانه اصل السعة وان كان اصل المعاش هو اصل الماء لا كثرته ولعزة وجوده بين العرب قال عمر رضى الله عنه اينما كان الماء كان العشب واينما كان العشب كان المال واينما كان المال كانت الفتنةوالمعنى لاعطيناهم مالا كثيرا وعيشا رغدا ووسعنا على الرزق فى الدنيا وبالفارسية هرآيينه بدهيم ايشان را آب بسيار بعد ازنتل سالى يعنى روزى برايشان فراخ كردنيم.

وفيه دلالة على الطريق هو القيام على سبيل السنة والميل الى اهل الصلاح وبالاسقاء الافاضة على قلوبهم ماء الوداد.

{ لنفتنهم فيه } فنختبرهم فى ذلك الاسقاء والتوسيع كيف يشكرونه كما قال تعالى وبلوناهم بالحسنات او فى ذلك الماء والمآل واحد (وقال الكاشفى) ابيازماييم ايشانرادوآن زندكانى كه بوظائف شكر جكونه قيام نمايند.

وفيه اشارة الى ان المرزوق بالرزق الروحانى والغذدآء المعنوى يجب عليه القيام بشكره ايضا وذلك بوظائف الطاعات وصنوف العبادات وضروب الخدمات

{ ومن يعرض عن ذكر ربه } عن عبادته او عن موعظته او وحيه

{ يسلكه } يدخله

{ عذابا صعدا } اى شاقا صعبا يتصعد اى يعلو لمعذب ويغلبه فلا يطيقه على انه مصدر وصف به للمبالغة يقال سلكت الخيط فى الابرة اذا ادخلته فيها ايسلكه فى عذاب صعد كما قال ما سلككم فى

سقر أى ادخلهم فيها فخذف الجار واوصل الفعل ثم ان كان اعراضه بعدم التصديق عذابه بالتأييد والا فبقدر جزيمته ان لم يغفر له وروى ان صعدا جبل فى النار اذا وضع عليه يديه او رجليه ذابتا واذا رفعهما عادتا وقال بعضهم صعدا جبل املس فى جهنم ويكلف الوليد ابن المغيرة صعوده اربعين عاما فيجذب من اعلاه بالسلام فاذا انتهى الى اعلاه انحدر الى اسفله ثم يكلف ثانيا نهكذا يعذب ابدا.

١٨

{ وان المساجد له } عطف على قوله انه استمع اى واوحى الى ان المساجد مختصة بالله تعالى وبعبادته خصوصا المسجد الحرام ولذلك قيل بيت الله فالمراد بالمساجد المواضع التى بنيت للصلاة وذكر الله ويدخل فيها البيوت التى بينها اهل الملل للعبادة نحو الكنائس والبيع ومساجد المسلمين ثم هذا لا ينافى ان تضاف المساجد وتنسب الى غيره تعالى بوجه آخر اما لبانيها كمسجد رسول الله او لمكانها كمسجد بيت المقدس الى غيره ذلك من الاعتبارات واعظم المساجد حرمة المسجد الحرام

ثم مسجد المدينة ثم مسجد بيت المقدس ثم الجوامع ثم مساجد المحال ثم مساجد الشوارع ثم مساجد البيوت

{ فلا تدعوا } اى لا تعبدوا فيها الفاء للسببية

{ مع الله احدا } اى لا تجعلوا احدا غير الله شريكا لله فى العبادة فاذا كان الاشراك مذموما فكيف يكون حال تخصيص العبادة بالغير (قال الكاشفى) بس مخوانيد دران باخداى تعالى يكى راجنانجه يهود ونصارى در كنايس وصوامع خود عزير ومسيح را بالوهيت ياد ميكنند وجنانكه مشركان در حوالئ بيت الحرام ميكويند لبنك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك وكفته اندمراد ازين مساجد تمام روى زمينست كه مسجد حضرت سيد المرسلين است لقوله عليه السلام (جعلت لى الارض مسجدا وتربتها طهورا) بس در هيج بقعه با ياد خدا ياد ديكرى نيكوا نباشد

دلرا بجزا زياد خدى شاد مكن ... بايادوى از كسى ديكر ياد

مكن

قال بعض العارفين انما تبرأ تعالى من الشريك لانه عدم والله وجود

فتبرأ من العدم الذى لا يلحقه اذ هو واجب الوجود لذاته والله تعالى مع

الخلق ما الخلق مع الله لانه تعالى يعلمهم وهم لا يعلمونه فهو تعالى معهم

اينما كانوا فى طرفية امكنتهم وازمانهم واحوالهم ما الخلق معه تعالى فانهم

لا يعرفونه حتى يكونوا معه ولو عرفوه من طريق الايمان كانوا كالاعمى يعلم

انه جليس زيد ولكن لا يراه فهو كأنه يراه بخلاف اهل المشاهدة فانه ذو

بصر الهى فمن دعاء الله مع الله ما هو كمن دعاء الخلق مع الله هذا معنى

فلا تدعوا مع الله احدا ثم ان السجود وان كان لله لا يقع فى الحسن أبدا

الا لغير الله اى لجهة غير الله لان الله ليس بجهة بل هو بكل شئ محيط

فما وقع من عبد سجود الا لغير الله لكن منه ما كان لغير الله عن امر الله

كالسجود لآدم وهو مقبول ومنه ما كان عن غيره امره كالسجود للاصنام

وهو مردود وانما وضعت المساجد للتعظيم كما انه عينت القبلة للأدب

يروى عن كعب انه قال انى لاجد فى التوراة ان الله تعالى يقول ان بيوتى فى الارض المساجد وان المسلم اذا توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد فهو زآئر الله وحق على المزور ان يكرم زآئره ومن هنا قالوا ان من دخل المسجد ينوى زيارة الله تعالى قال بعض اهل المعرفة ان مساجد القلوب لزور تجلية فلا ينبغى ان يكون فيها ذكر غير الله

قال بعضهم ان مساجد القلوب الصافية عن القاذورات مختصة بالله تعالى وبلاتجليات الذاتية والصفاتية والاسمائية فلا تدعوا مع الله احدا من الاسماء الجزئية اطهروا مساجد قلوبكم لتجلى اسم الله الاعظم فيها لا غير وقال ابن عطاء مساجدك اعضاؤك التى امرت ان تسجد عليها لا تخضعها ولا تذللها لغير خالقها وهى الوجه واليدان والركبتان والرجلان والحكمة فى السجود على هذه الاعظم ان هذه الاعضاء التى عليها مدار الحركة هى المفاصل التى تنفتح وتنطبق فى المشى والبطش واكثر السعى ويحصل بها اجتراح السيئات وارتكاب الشهوات فشرع الله به السجود للتكفير ومحو الذنب والتطهير.

١٩

{ وانه } من جملة الموحى به اى واوحى الى ان الشان

{ لما قام عبد الله } اى النبى عليه السلام ولذا جعلو فى اسمائه لانه هو العبد الحقيقى فى الحقيقة المضاف الى اسم الله الاعظم فرقا وان كان هو المظهر له جمعا.

ودر آثار آمده كه آن حضرت را عليه السلام هيج نام ارين خوشتر نيامده جه شريطه عبادت وعبوديت بروجهى كه آن حضرت قيام هيجكس را قدرت براقامت بران نبوده لا جرم دروقت عروج آن حضرت برمنازل ملكى باين اسم مذكور شد كه سبحان الذى اسرى بعبده وبهنكام نزول قرآن از مدارج فلكى اورا بهمين نام ميكندكه تبارك الذى نزل الفرقان على عبده

آن بننده شعار بندكى دوست ... كزجمله بندكان كزين اوست

دادند ببند كيش راهى ... كانراكنديده هيج شاهى

وايراده عليه السلام بلفظ ا لعبد للاشعار بما هو المقتضى لقيامه

وعبادته وهو العبودية اى كونه عبدالله وللتوضع لانه واقع موقع كلامه عن

نفسه اذا التقدير وأوحى الى انى لما قمت وهذا على قرآءة الفتح

واما على قرآءة نافع وأبي بكر فيتعين كونه للاشعار بالمتقضى وفيه

تعريض لقريش بانهم سمعوا عبد ود وعبد يعوث وبعد مناف وعبد شمس

ونحوها لا عبد الله وان من سمى منهم بعد الله فانما هى من قبيل التسمية

المجردة عن معانيها

{ يدعوه } حال من فاعل قام اى يعبده وذلك قيامه لصلاة

الفجر بنخلة كما سبق

{ كادوا } اى قرب الجن

{ يكونون عليه لبدا } جمع لبدة بالسكر نحو قربة وقرب وهى ما

تلبد بعضه على بعد اى تراكب وتلاصق ومنها لبدة الاسد وهى الشعر

املتاركب بين كتفيه والمنى متراكبين بركب بعضهم بعضا ويقع من ازد

حامهم على النبى عليه السلام تعجبا مما شاهدوا من عبادته وسمعوا بما لم يسمعوا بنظيره وعلى قرآءة الكسر اذا جعل مقول الجن فضمير كادوا لاصحاب عليه السلام الذين كانوا مقتدين به فى الصلاة.

يقول الفقير فى هذا المقام اشكار على القرءآتين جميعا لان المراد ان كان ما ذهب اليه ابن عباس رضى الله عنهما على ما ذهب اليه المفسرون فلا معنى للزدحام اذ كان الجن بنخلة نفرا سبعة او تسعة ولا معنى لازدحام النفر القليل مع سعة المكان وقرب القارى وانما وقع الازدحام فى الحجون بعد العود من نخلة على ما رواه ابن مسعودرضى الله عنه ولا مخلص الا بأن يقال لم يزالوا بدنون من جهة واحدة حتى كادوا يكونون عليه لبدا او بأن يتجوز فى النفر وحينئذ يبقى تعيين العدد على ما فعله بعضهم بلا معنى وان كان المراد ما ذهب اليه ابن مسعود رضى الله عنه ففيه ان ذلك كان بطريق المشاهدة على ما اسفلناه فى الاحقاف ولا معنى لاخباره بطريق الوحى على ما مضى فى اول السورة وايضا انه لم يكن معه عليه السلام اذ ذاك الانفر قليل من اصحاب بل لم يكن الا زيد ابن

حارثة رضى الله عنه على ما فى انسان العيود فلا معنى للازدحام والله اعلم بمراده.

٢٠

{ قل انما ادعو } اى اعبد

{ ربى ولا اشرك به } اى بربى فى العبادة

{ احدا } فليس ذلك ببدع فلا مستنكر يوجب التعجب او الاطباق على عداوتى وهذا حالى فليكن حالكم ايضا كذلك.

٢١

{ قل انى لا املك } لا استطيع

{ لكم } ايها المشركون

{ ضرا ولا رشدا } كأنه اريد لا املك ضرا ولا نفعا ولا غيا ولا رشدا اى ليس هذا بيدى بل بيد الله تعالى فانه هو الضار النافع الهادى

المضل فترك من كلا المتقابلين ما ذكر فى الآخر فالآية من الاحتباك وهو الحذف من كل ما يدل مقابله عليه وفى التأويلات النجمية اى من حيث وجوده المضاف اليه كما قال انك لا تهدى من احببت

واما من حيث وجوده الحق المطلق فانه يملك الضر والشر كقوله وانك لتهدى الى صراط مستقيم قال القاشانى اى غيا وهدى انما الغواية والهداية من الله ان سلطنى عليكم تهتدوا بنورى والا بقيتم فى الضلال ليس فى قوتى ان اقسركم على الهداية.

٢٢

{ قل انى لن يجيرنى } ينقذنى ويخلصنى

{ من الله } من قهره وعذابه ان خالفت امره واشركت به

{ احدا } ان استنقذته او لن ينجينى منه احد ان أرادنى بسوء قدره على من مرض او موت او غيرهما

قال بعضهم هذه لفظة تدل على الاخلاص فى التوحيد اذا التوحيد هو صرف النظر الى الحق لا غير وهذا لا يصح الا بالاقبال على الله والاعراض عما سواه والاعتماد عليه دون ما عداه

{ ولن اجد من دونه ملتحدا } يقال ألحد فى دين الله والتحد فيه اى مال عنه وعدل ويقال للملجأ الملتحد لان اللاجئ يميل اليه والمعنى ولن اجد عند الشدآئد ملتجأ غيره تعالى وموئلا ومعد فلا ملجأ ولا موئل ولا معدل الا هو وهذا بيان لعجزه عليه السلام عن شؤون نفسه بعد بيان عجزه عن شؤون غيره اى واذلا املك لنفسى شيأ فكيف املك لكم شيأ.

٢٣

{ الا بلاغا من الله } استثناء متصل من قوله لا املك اى من مفعوله فان التبليغ ارشاد ونفع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفى الاستطاعة عن نفسه فلا يضر طول الفصل بينهما وفائدة الاستثناء المبالغة فى توصيف

نفسه بالتبليغ لدلالته على انه لا يدع التبليغ الذى يستطيعه لتظاهرهم على عداوته وقوله من الله صفة بلاغا اى بلاغا كائنا منه وليس متعلقا بقوله بلاغان صلة التبليغ فى المشهور انما هى كلمة عن دون من وبلاغا واقع موضع التبليغ كما يقع السلام والكلام موقع التسليم والتكليم اواستثناء من قوله ملتحدا اى لن اجد من دونه تعالى منجى الا ان ابلغ عنه ما ارسلى به فهو حينئذ منقطع فان البلوغ ليس ملتحدا من دون الله لانه من الله وباعانته وتوفيقه

{ ورسالاته } عطف على بلاغا باضمار المضاف وهو البلاغ اى لا املك لكم الا تبليغا كائنا منه تعالى وتبليغ رسالاته التى ارسلنى بها يعنى الآن ابلغ عن الله وقول قال الله كذا ناسبا للمقالة اليه وان ابلغ رسالاته التى ارسلنى بها من غير زيادة ولا نقصان وقال سعدى المفتى لعل المراد من بلاغا من الله ما هو ما يأخذه منه تعالى بلا واسطة ومن رسالته ما هو بها انتهى والمراد بالرسالة هو ما ارسل الرسول به من الامور

والاحكام والاحوال لا معنى المصدر والظاهر أن المراد الا التبليغ والرسالة من الله تعالى وجمع الرسالة باعتبار تعدد ما ارسل هو به

{ ومن يعص الله ورسوله } فى الامر بالتوحيد بأن لا يمتثل امرهما به ودعوتهما اليه فيشرك به اذا الكلام فيه وهو يصلح ان يكون مخصصا للعموم فلا متمسك للمعتزلة فى الآية على تخليد عصاة المؤمنين فى النار

{ فان له نار جهنم خالدين فيها } اى فى النار أو فى جهنم والجمع باعتبار المنى

{ ابدا } بلا نهاية فهو دفع لان يراد بالخلوق المكث الطويل.

٢٤

{ حتى اذا رأوا ما يوعدون } غاية لمحذوف يدل عليه الحال من استضعاف الكفار لانصاره عليه السلام ولاستقلالهم لعددهم حتى قالواهم بالاضافة الينا كالحصاة من حبال كأنه قيل لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا رأوا ما يوعدون من فنون العذاب فى الآخرة

{ فسيعلمون } حينئذ عند حلوله بهم

{ من اضعف ناصرا واقل عددا } اى فسيعلمون الذى هو اضعف واقل أهم ام المؤمنون فمن موصولة واضعف خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان تكون استفهامية مرفوعة بالابتدآء واضعف خبره والجملة فى موضع نصب سدت مسد مفعولى العلم وناصر وعددا منصوبان على التمييز وحمل بعضهم ما توعدون على ما رأوه يوم بدر وايا ما كان ففيه دلالة على ان الكفار مخذولون فى الدنيا والآخرة وان كثروا عددا وقورا جسدا لان الكفارين لا مولى لهم وان المؤمنين منصورون فى الدارين وان قلوا عددا وضعفوا جسدا لان الله مولاهم والواحد على الحق هو السود الاعظم فان نصره ينزل من العرش (قال الحافظ)

تيغى كه اسمانش ازفيض خود دهدآب ... تهنا جهان بكيردبى منت سباهى

٢٥

{ قل ان ادرى } اى ما ادرى لان ان نافية

{ اقريب } غير مقدم لقوله

{ ما توعدون } ويجوز ان يكون ما توعدون فاعلا لقريب سادا مسد الخبر لوقوعه بعد الف الاستفهامية وما موصولة والعائد محذوف اى اقريب الذى توعدونه نحو اقائم الزيدان

{ ام يجعل له ربى امدا } اى غاية تطول مدتها والامد وان كان يطلق على القريب ايضا الا ان المقابلة تخصصه بالبعيد والفرق بين الزمان والامد أن الامد يقال باعتبار الغاية ولزمان عام فى المبدأ والغاية والمعنى ان الموعود كائن لا محالة

واما وقته فما ادرى متى يكون لان الله لم يبينه لما رأى فى اخفاء وقته من المصلحة وهو رد لما قاله المشركون عند سماعهم ذلك متى يكون الموعود انكارا له واستهزآءفان قيل أليس قال عليه السلام (بعثت أنا والساعة كهاتين) فكان عالما بقرب وقوع القيامة فكيف قال ههنا لا

أدرى اقريب ام بعيد والجواب ان المراد بقرب وقوعه هو ان ما بقى من الدنيا اقل ممن انقضى فهذا القدر من القرب معلوم

واما قربه بمعنى كونه بحيث يتوقع فى كل ساعة فغير معلوم على ان كل آت قريب ولذا قال تعالى أتى امر الله فلا تستعجلوه وقال كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبقوا الا ساعة من نهار وذلك بالموت للمتقدمين ووقوع عين القيامة للمتأخرين كما اوعد نوح عليه السلام بالطوفان لم يدركه بعضهم بل هلك قبله وغرق فى طوفان الموت وبحر البلاء قال بعض اهل المعرفة قل ان ادرى أقريب ما توعدون فى القيامة الصغرى من افناء الصورى والموت الطبيعى الاضطرارى والدخلو فى نار الله الكبرى عند البعث لعدم الوقوف على قدر الله او فى الكبرى من الموت لارادى والفناء الحقيقى لعدم القوف على قوة الاستعداد فيقع عاجلا ام ضرب الله غاية واجلا.

٢٦

{ عالم الغيب } وحده وهو خبر مبتدأ محذوف اى هو عالم لجميع ما غاب عن الحس على ان اللام للاستغراق والجملة استئناف مقرر لما قبله من عدم الدراية

{ فلا يظهر } آكاه نكند

{ على غيبه احدا } الفاء لترتيب عدم الاظهار على تفرده تعالى بعلم الغيب على الاطلاق اى فلا يطلع على غيبه اطلاعا كاملا ينكشف به جليلة الحال انكشافا تاما موجبا لعين اليقين احد من خلقه.

٢٧

{ الا من ارتضى من رسول } الارتضاء بسنديدون واصله تناول مرضى الشئ اى الا رسولا ارتضاه واختاره لاظهاره على بعض غيوبه المتعلقة برسالته كما يعرب عنه بيان من ارتضى بالرسول تعلقا ما اما لكونه من مبادى رسالته بان يكون معجزة دالة على صحبتها

واما لكونه من اركانها واحكامها كعامة التكاليف الشرعية التى امر بها المكلفون وكيفيات اعمالهم واجزيتها المترتبة عليها فى الآخرة وما تتوقف هى عليه من احوال الآخرة التى من جملتها قيام الساعة والبعث وغير ذلك من الامور الغيبية التى بيانها من وظائف الرسالة

واما ما لا يتعلق بها على احد الوجهين من الغيوب التى من جملتها وقت قيام الساعة فلا يظهر عليه احدا أبدا عى ان بيان وقته محل بالحكمة التشريعية التى عليها ايدور فلك الرسالة وليس فيه ما يدل على نفى كرامات الاولياء المتعلقة بالكشف فان اختصاص الغاية القاصية من مراتب الكشف بالرسل لا يستلزم عدم حصور مرتبة ما من تلك المراتب لغيرهم اصلا ولا يدعى احدا لاحد من الاولياء ما فى مرتبة الرسل من الشكف الكامل الحاصل بالوحى الصريح بل اطلاعهم بالاخبار الغيبى والتلفق من الحق فيدخل فى السرول وارثه قال الجنيد قدس سره قعد على غلام نصرانى متنكرا وقال أيها الشيخ ما معنى قوله عليه السلام اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله قال فأطرقت رأسى ورفعت فقلت اسلم اسلم

فقد حان وقت اسلامك فأسلم الغلام فهذا اما بطريق الفراسة او بغيرها من انواع الشكوف وخرج من البين اهل الكهانة والتنجيم لانهم ليسوا من اهل الارتضاء والاصطفاء كالانبياء والاولياء فليس اخبارهم بطريق الالهام والكشف بل بلامارات والظنون ونحوها ولذا لا يقع اكثرها الا كاذبا ومن قال أنا اخبر من اخبار الجن يكفر لان الجن كالانس لا تعلم غيبا وقد سبق ان الكهانة انقطعت اليوم فلا كهانة أبدا لان الشياطين منعوا من السماء قال ابن الشيه انه تعالى لا يطلع على الغيب الذى يختصب به علمه الا المرتضى الذى يكون رسولا ولما لا يختص به يطلع عليه غير الرسول اما بتوسط الانبياء او بنصب الدلائل وترتيب المقدمات اوبأن يلهم الله بعض الاولياء وقوع بعض المغيبات فى المستقبل بواسطة الملك فليس المراد بهذه الآية ان لا يطلع احدا على شئ من المغيبات الا الرسل لظهور أنه تعالى قد يطلع على شئ من الغيب غير الرسل كما اشتهر ان كهنة فرعون اخبروا بظهور موسى عليه السلام وبزوال ملك فرعون على يده وان بعض الكهنة اخبروا بظهور نبينا محمدعليه السلام قبل زمان ظهوره

ونحو ذلك من المغيبات وكانوا صادقين فيه وارباب الملل والاديان مطبقون على صحة علم التعبير والمعبر قد يخبر عن وقوع الوقائع الآتية فى المستقبل ويكون صادقا فيه ثم الآية نظير قوله تعالى وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبى من رسوله من يشاء

{ فانه يسلك } بس بدرستى كه درمى آرد خداى تعالى يعنى ميسازد.

وبالعربية يدخل ويثبت

{ من بين يديه } اى قدام الرسول المرتضى

{ ومن خلقه رصدا } قال فى القاموس الرصد محركة الراصدون اى الراقبون بالفارسية نكهبانان . يقال للواحد والجماعة كما فى المفردات وهو تقرير وتحقيق للاظهار المستفاد من الاستثناء وبيان لكيفيته اى فانه تعالى يسلك من جميع جوانب الرسول عند اظهاره على غيبه حرسا من الملائكة يحرسونه من بعض الشياطين لما اظهره عليه من

الغيوب المتعلقة برسالته يعنى ان جبريل كان اذا نزل بالرسالة نزل معه ملائكة يحفظونه من ان يسمع الجن الوحى فيلقونه الى كهنتهم فتخبر به الكهنة قبل الرسول فيختلط على الناس امر الرسالة قال القاشانى الامن ارتضى من رسول اى اعده فى الفطرة الاولى وزكاه وصفاه من رسول القوة القدسية فانه يسلك من بين يديه اى من جالبه الالهى ومن خلفه اى ومن جهته البدنية رصدا حفظة اما من جهة الله التى اليها وجهه فروح القدس والانوار الملكوتية والربانية

واما من جهة البدن فالملكات الفاضلة والهيئات النورية الحاصلة من هيا كل الطاعات والعبادات يحفظونه من تخبط الجن وخلط كلامهم من الوساوس والاوهام والخيلات بمعارفها اليقينية ومعانياه القدسية والواردات المغيبية والكشوف الحقيقية.

٢٨

{ ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم } متعلق بيشلك غاية له من

حيث انه مترتب على الابلاغ المترتب عليه اذا لمراديه العلم المتعلق بالابلاغ

الموجود بالفعل وان مخففة من الثقيلة واسمها الذى هو ضمير الشأن محذوف

والجملة خبرها اولابلاغ الايصال وبالفارسية رسانيدن . ورسالات ربهم

عبارة عن الغيب الذى اريد اظهار المرتضى عليه والجمع باعتبار تعدد

افراده وضمير أبلغوا اما للرصد فالمعنى انه تعالى يسلكهم من جميع جوانب

المرتضى ليعلم ان الشأن قد أبلغنوه رسالات ربهم سالمة عن الاختطاف

والتخليط علما مستتبعا للجزآء وهو أن يعلمه موجودا حاصلا بالفعل

كما فى قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين منكم والغاية فى الحقيقة هو الا

بلاغ والجهاد وايراد علمة تعالى لابراز اعتنائه تعالى بأمرهما ولاشعار بترتيب

الجزآء عليهما والمبالغة فى الحث عليهما والتحذير من التفريط فيهما

واما لمن ارتضى والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد فى الضمير

بن السابقين باعتبار لفظهما فالمعنى ليعلم انه قد ابلغ الرسل الموحى عليهم

رسالات ربهم الى اممهم كما هى من غير اختطاف ولا تخليط بعد ما ابلغها الرصيد اليهم كذلك

{ واحاط بما لديهم } اى بما عند الرصد او الرسل حال عن فاعل يسلك باضمار قدا وبدونه على الخلاف المشهور جيء بها لتحقيق استغنائه تعالى اى وقد احاط بما لديهم من الاحوال جميعا

{ واحصى } علم علما بالغا الى حد الاحاطة تفصيلا وبالفارسية وشمرده است

{ كل شئ } مما كان وما سيكون

{ عددا } اى فردا فردا فكيف لا يحيط بما لديهم قال القاسم هو اوجدها فأحصاها عددا وقال ابن عباس رضى الله عنهما احصى ما خلق وعرف عدد ما خلق لم يفته علم شئ حتى مثاقيل الذر والخردل (قال الكشافى) مراد كمال علم است وتعلق آن بجميع معلومات يعنى معلومى مطلقا از دآئره علم او خارج نيست

هرجه دانستنى است درد وجهان ... نيست ازعلم شاملش بنهان

قوله عددا تمييز منقول من المفعول به كقوله وفجرنا الارض عيونا والاصل احصى عدد كل شئ وفائدته بيان ان علمه تعالى بالاشياء ليس على وجه كلى اجمالى بل على وجه جزئى تفصيلى فان الاحصاء قد يراد به الاحاطة الاجمالية كما فى قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها اى لا تقدروا على حصرها اجمالا فضلا عن التفصيل وذلك لان اصل الاحصاء ان الحاسب اذا بلغ عقدا معينا من عقود الاعداد كالعشر والمائة والالف وضع حصاة ليحفظ بها كمية ذلك العقد فيبنى على ذلك حسابه وهذه الآية مما يستدل به على ان المعد ليس بشئ لانه لو كان شيأ لكانت الاشياء غير متناهة وكونه احصى عددها يقتضى كونها وذلك محال فوجب القطع بأان المعدوم ليس بشئ حتى يندفع هذا التناقض والتنافى فى كذا فى حواشى ابن الشيخ رحمه الله.

سُورَةُ الْمُزَّمِّلِ مَكِّيَّةٌ

وَهِيَ عِشْرُونَ آيَةً

١

{ يا ايها المزمل } اى المزمل من تزمل بثاياه اذا تلفف بها وتغطى فأدغم التاء فى الزاى فقيل المزمل بتشديدين كان عليه السلام نائما بالليل متزملا فى قطفية ادثار مخمل فأمر أن يترك التزمل الى التشمر للعبادة ويختار التهجد على الهجود وقال ابن عباس رضى الله عنهما اول ما جاءه جبريل خافه فظن ان به مسا من الجن فرجع من حبل حرآء الى بيت خديجة مرتعدا وقال زملونى فبينما هو كذلك اذ جاء جبريل وناداه وقال يا ايها المزل وعن عكرمة ان المعنى يا أيها الذى زمل امرا عظيما اى حمله والزمل الحمل وازمله احتمله قال السهيلى رحمه الله ليس المزمل من اسمائه عليه السلام التى يعرف بها كما ذهب اليه بعض الناس وعده فى اسمائه وانما المزمل مشتق من حالته التى كان عليها حين الخطاب وكذا المدثر وفى خطابه بهذا الاسم فائدتان احداهما الملاطفة فان العرب

اذا قصدت ملاطفة المخاطب وترك المعاتبة سموه باسم مشتق من حالته التي هى عليها كقوله النبي عليه السلام لعلى رضى الله عنه حين غاضب فاطمة رضى الله عنها اى اغضبها واغضبته فأتاه وهو نائم قد لبق بجنبه التراب فقال له (قم يا أبا تراب اشعارا بأنه غير عاتب عليه وملاطفة له) وكذلك قوله عليه السلام لحذيفة رضى الله عنه (قم يا نومان) وكان نائما ملاطفة واشعارا بترك العتب والتأديب فقول الله تعالى لمحمد عليه السلام يا ايها المزمل تأنيس وملاطفة ليشعر انه غير عاتب عليه والفائدة الثانية التنبيه لكل متزمل راقد ليله لينتبه الى قيام الليل وذكر الله فيه لان الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه مع المخاطب كل من عمل بذلك العمل واتصف بتلك الصفة انتهى وفى فتح الرحمن الخطاب الخاص بالنبى عليه السالك كأيها المزمل ونحوه عام للامة الا بدليل يخصه وهذا قول احمد والحنفية والمالكية وقال اكثر الشافعية لا يعمهم الا بدليل وخطابه عليه السلام لواحد من الامة هل يعم غيره قال الشافعىوالحنفية والاكثر لا يعم وقال أبو الخطاب من ائمة الحنابلة ان وقع جوابا عم والا فلا.

٢

{ قم الليل } بكسر الميم لالتقاء الساكنين اى لا تتزمل وترقد ودع هذه الحال لما هو افضل منها وقم الى الصلاة فى الليل فانتصاب الليل على الظرفية وان استغرق الحدث الواقع فيه فحذف فى واوصل الفعل اليه فنصب لان عمل الجر لا يكون فى الفعل والنصب اقرب اليه من الرفع ومن ذلك

قال بعضهم هو مفعول نظرا الى الظاهر فلاستعمال ومن ذلك فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقوله لينذر يوم التلاق فى احد الوجهين كما سبق ومثله الاحياء فى قوله من احيي ليلة القدر ونحوه فان الأحياء وان كان واقعا على الليل فى الظاهر لكن المراد به احياء الصلاة والذكر فى الليل واستعمالها وحد الليل من غروب الشمس الى طلوع الفجر قال بعض العارفين ان الله اشتقاق الى مناجاة حبيبه فناداه أن يقوم فى جوف الليل وقد قالوا ان القيام والمناجاة ايسا من الدنيا بل من الجنة لما يجده اهل الذوق من الحلاوة

{ الا قليلا } استثناء من الليل.

٣

{ نصفه } بدل من الليل الباقى بعد الثنيا بدل الكل والنصف احد شقى الشئ اى قم نصفه والتعبير عن التصف المخرج بالقليل لاظهار كمال الاعتداد بشأن الجزء المقارن للقيام والايذان بفضله وكون القيام فيه بمنزلة القيام فى اكثرة فى كثرة الثواب يعنى انه يجوز ان يوسف النصف المستثنى بكونه قليلا بالنسبة الى النصف المشغول بالعبادة مع انهما متساويان فى المقدار من حيث ان النصف الفارغ لا يساويه بحسب الفضيلة والشرف فالاعتبار بالكيفية لا بالكمية وقال بعضهم ان القلة فى النصف بالنسبة الى الكل لا الى العديل الآخرون الا لزم أن يكون احد الصفين المسايين اقل من الآخر وفيه انه من عرآئه عن الفائده خلاف الظاهر كما فى الارشاد

{ او انقص منه } اى انقص القيام من النصف المقارن له الى

الثلث

{ قليلا } اى نقصان قليلا او مقدار قليلا بحيث لا ينحط الى

نصف الليل.

٤

{ او زد عليه } اى زد القيام على النصف المقارن له الى الثلثين

فالمعنى تخييره عليه السلام بين أن يقوم نصفه او اقل منه او اكثر اى قم

الى الصلاة فى الزمان الحدود المسمى بالليل الا فى الجزء القليل منه وهو

نصفه او انقص القيام من نصفه او زد عليه قيل هذا التخيير على حسب

طول الليل وقصرها فالنصف اذا استوى لليل والنهار والنقص منه اذا اقصر

الليل والزيادة عليه اذا طال الليل

{ ورتل القرءآن } فى اثناء مذكر من القيام اى اقرأه على تؤدة وتبيين حروف وبالفارسة وقرآرا كشاده حروف خوان بحديكه بمضى آن بربى بمضى باشد

{ ترتيلا } بليغا بحيث يتمكن السامع من عدها ولذا نهى ابن مسعود رضى الله عنه عن التعجل وقال ولا يكن هم احدكم آخر السورة يعنى لا يد للقرئ من الترتيل ليتمكن هو ومن حضرة من التأمل فى حقائق الآيات فعند الوصول الى ذكر الله يستشعر عظمته وجلاله وعند الوصول الى الوعد والوعيد يقع فى الرجاء والخوف وليسلم نظم القرءآن من الخلل والرتل اتساق الشئ وانتظامه على استقامة والترتيل هويدا كردن سخن بى تكلفت.

قال فى الكشاف ترتيل القرءآن قرآءته على ترسل وتؤدة بتبيين الحروف واشباع الحركات حتى يجيئ المتلو منه شبيها بالثغر المرتل وهو المفلج المشبهة بنور الاقحوان وأن لايهزه هزا ولا يسرده سردا كما قال عمر رضى الله عنه شر السير الحقحقة وشر القرآءة الهذمرة حتى يجيئ التلو

فى تتابعه كالثغر الالص والامر بترتيل القرآن يشعر بأن الامر بقيام الليل نزل بعدما تعلم عليه السلام مقدارا منه وان قل وقوله انا سنلقى على الاستقبال بالنسبة الى بقية القرآن ثم الظاهر ان الامر به يعم الامة لانه امر مهم للكل والامر للوجوب كما دل عليه التأكيد وللندب وكانت قرآءته عليه السلام مدا يمد ببسم الله ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم اما الاولان فمدهما طبيعى قدر الالف

واما الخير فمده عارضى بالسكون فيجوز فيه ثلاثة اوجه الطول وهو مقدار الفات ثلاث والتوسط قدر الفين والقصر قدر الف وكان عليه السلام مجودا للقرءآن كما انزل وتجويده تحسين الفاظه باخراج الحروف من مخارجها واعطاء حقوقها من صفاتها كالجهر والهمس واللين ونحوها وذلك بغير تكلف وهو ارتكاب المشقة فى قرآءته بالزيادة على ادآء مخرجه والمبالغة فى بيان صفته فينبغى أن يتجفظ فى الترتيل عن التمطيط وهو التجاوز عن الحد وفى الحدر عن الادماع والتخليط بان تكون قرآءته بحال كأنه يلف بعض الحروف والكلمات فى بعض آخر لزيادة الشرعة وذلك ان القرآءة

بمنزلة البياض ان قل صار سمرة وان كثر صار برصا وما فوق الجعودة فهو القطط فما كان فوق القرآءة فليس بقرءآة فعلم من هذا ان التجويد على ثلاث مراتب ترتيل وحدر وتدوير.

اما الترتيل فهو تؤدة وتأن وتمهل قال فى القاموس ورتل الكلام ترتيلا احسن تأليفه وترتل فيه ترسل انتهى وهو مختار ورش وعاصم وحمزة ويؤديه قوله عليه السلام من قرأ القرءآن اقل من ثلاث لم يفهمه وفى قوت القلوب افضل القآءة الترتيل لان فيه التدبر والتفكر وافضل الترتيل والتدبر للقرءآن ما كان فى صلاة وعن ابن عباس رضى الله عنهما لأن اقرأ البقرة ارتلها وأتدبرها احب الى من أن اقرأ القرءآن كله هذرمة اى سرعة وعن النبى عليه السلام انه قرأ بسم الله الرحمن الرحيم قرأها عشرين مرة وكان له كل مرة فهم وفى كل كلمة علم وقد كان بعضهم يقول كل آية لا أفهما ولا يكون قلبي فيها لم اعد لها ثوابا وكان بعض السلف اذا قرأ سورة لم يكن قلبه اعادها ثانية قال بعض العلماء لكل آية ستون الف فهم وما بقى من فهمها اكثر قال مالك بن دينار رحمه الله اذا قام العبد بتهجد الليل ويرتل

القرءآن كما أمر قرب الجبار منه قال وكانوا يرون ان ما يجدونه فى قلوبهم من الرقة والحلاوة وتلك الفتوح والانوار من قرب الرب من القلب وفى الحديث (يوتى بقارئ القرءآن يوم القيامة فيوقف فى اول درج الجنة ويقل اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فان منزلتك عن آخر آية تقرآها) ولكون المقصود من انزل القرءآن فهم الحقائق والعمل بالفحاوى شرع الانصات لقرآء القرءآن وجوبا فى لاصلاة وندبا فى غيرها وللقارئ اجر وللمستمع اجران لانه يسمع وينصت او يسمع باذنيه بقرأ بلسان واحد والمستمع يؤدى الفرض ولذا قالوا استماعه اثوب من تلاوته(ولى سلسلة الذهب للمولى الجامى)

صرف او كن حواس جسمانى ... وقف او كن قواى روحانى

دل بمعنى زبان بلفظ سبار ... جشم برخط ونقط وعجم كذار

كوش از ومعدن جواهركن ... هوش از ومخزن سرآئركن

دراد ايش مكن زبان كج مج ... حرفهايش اذا كن از مخرج

دور باش ازتهتك وتعجيل ... كام كيراز تأمل وترتيل

واما الحدر فهو الاسراع فى القرءآن كما روى انه ختم القرءآن فى ركعة واحدة اربعة من الامة عثمان بن عفان وتميم الدارى وسعيد ابن جبير وابو حنيفة رضى الله عنهم وكان همسر بن المنهال يختم فى الشهر تسعين ختمة وما لم يفهم رجع فقرأ مرة اخرى وفى القاموس وأبو الحثمنا مع فهام التلاوة النتهى.

واما ما روى فى مناقب الشيخ موسى السدرانى من اكابر اصحاب الشيخ ابى مدين رضى الله عنه من ان له وردا فى اليوم والليلة سبعين ألف ختمة فمعناه ان اليوم والليلة اربع وعشرون ساعة فيكون فى كل اثنتى عشرة ساعة خمصة وثلاثون ألف ختمة لانها اما أن تنبسط الى ثلاث واربعين سنة وتعسة اشهر

واما الى اكثر وعلى التقدير الاول يكون اليوم والليلة منبسطا الى سبع وثمانين سنة وستة اشهر فيكون فى كل يوم وليلة من ايام السنين

المنبسطة ايامها ولياليها ختمتان ختمة فى اليوم وختمة فى الليلة كما هو العادة ويحتمل التوجيه بأقل من ذلك باعتبار سرعة القارئ وهذا اى الحدر مختار ابن كثير وأبى عمرو وقالون.

وام التدوير فهو التوسط بين الترتيل والحدر وهو يختار ابن عامر والكسائى وهذا كله انما يتصور فى مراتب الممدود وفى الحديث (رب قارئ للقرءآن والقرءآن يلعنه)وهو متناول لمن يخل بمبانيه او معانيه او بالعمل بما فيه وذلك موقوف على بيان اللحن وهو انه جلى وخفى فالجلى خطا يعرض للفظ ويخل بالمعنى بأن بدل حرفا مكان حرف بأن يقول مثلا الطالحات بدل الصالحات وبالاعراب كرفع المجرور ونصبه سوآء تغير المعنى به ام لا كما اذا قرأ ان الله بريئ من المشركين ورسوله يجر رسوله الخفى خط يخل بالعرف والضابطة كترك الاخفاء والادغام والاظهار والقلب وكترقيق المفخم وعكسه ومد المقصور وقصر الممدود وامثال ذلك ولا شك ان هذا النوع مما ليس بقرض عين يترتب عليه العقاب الشديد وانما فيه التهديد وخوف العقاب

قال بعضهم اللحن الخفى الى لا يعرفه الا مهرة القرء من تكرير الرآت وتطنين النونات وتغليظ اللامات وترقيق الرآت فى غير محلها لا يتصور ان يكون من فرص العين يترتب عليه العاب على فاعلها لام فيه من حرج ولا يكلف الله نفسا الا وسعها وفى بعض شروح الطريقة ومن الفتنة ان يقول لأهل القرى والبوادى ولعجاز والعبيد والاماء لا تجوز الصلاة بدون التجويد وهم لا يقدرون على التجويد فيتركون الصلاة رأسا فالواجب أن يعلم مقدار ما يصح به النظم والمعنى ويتوغل فى الاخلاص وحضور القلب

لعنت است این که بهر لهجه وصوت ... شود از تو حضور خاطر فوت

فكر حسن غنا برد هوشت ... متكلم شود فراموشت

لعنت است این که سازدت بی سیم ... روز وشب با امیر وخواجه نديم

لعنت است این که همت توتمام ... کنت مصروف لفظ وحرف وکلام

نقد عمرت زفکرت معوج ... خرج شد در رعایت مخرج

صرف کردی همه حیات سره ... در قرآت سبعه وعشره

همجنین هرجه از کلام اخدا ... جزخدا قبله دلست ترا

موجب لعن ومایه طرد ست ... حبذا مقبلی که زان فردست

معنئ لعن جیست مردودی ... بمقامات بعد خشنودی

هرکه ماند ازخدا بیك سرمو ... آمد اندر مقام بعد حرو

کرجه ملعون نشد زحق مطلق ... هست ملعون بقدر بعد ازحق

روی ان عمر ان بن حصین رضی الله عنه مر علی وقاص یقرأ ثم یسأل فاسترجع ثم قال سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول من قرأ القرءآن فليسأل الله به فانه سيجيئ اقوام يقرأون القرءآن يسألون به

الناس انتهى فيكون اعطاء شئ اياه من قبيل الاعانة على المعصية

كالاعطاء لسائل المسجد وهو يتخطى رقاب الناس ولا يدع السواك فى

كل ما استيقظ من نوم الليل والنهار وفى الخبر طيبوا طرق القرءآن من

افواهكم باستعمال السواك والصلاة بعد السواك تفضل على بغير سواك

سبعين ضعفا وفى قوت القلوب وفى الجهر بالقرءآن سبع نيات منها الترتيل

الذى امر به ومنها تحسين البيوت بالقرآن الذى ندب اليه فى قوله عليه

السلام زينوا القرءآن بأصواتكم وفى قولهاليس منا من لم يتغن

بالقرءآن اى يحسن صوته وهو احب من اخذه بمعنى الغنية والاكتفاء

ومنها أن يسمع اذنيه ويوفظ قلبه ليتدبر الكلام ويتفهم المعانى ولا يكون

ذلك كله الا فى الجهر ومنها أن يطرد النوم عنه برفع صوته ومنها أن يرجو

بجهره يقظة نائم فيذكر الله فيكون هو سبب احيائه ومنها أن يره بطال

غافل فينشط للقيام ويشتاق الى الخدمة فيكون هو معاونا له على البر

والتقوى ومنها ان يكثر بجهره تلاوته ويدوم قيامه على حسب عادته للجهر

ففى ذلك كثرة عمله فاذا كان القار على هذه النيات فجهره افضل لان

فيه اعمالا وانما يفضل العمل بكثرة النيات وكان اصحاب رسول الله عليه السلام اذا اجتمعوا امروا احدهم أن يقرأ سورة من القرءآن وفى شرح الترغيب اختلف فى القرآءة بالالحان فكرهها مالك والجمهور لخروجها عما جاء القرءآن له من الخشوع والتفهم واباحها ابو حنيفة وجماعة من السلف للاحاديث لان ذلك سبب للرقة واثارة الخشيه وفى ابكار الافكار انما استحب تحسين الصوت بالقرآءة وتزيينه ما لم يخرج عن حد القرآءة بالتمطيط فان افرط حتى زاد حرفا او اخفاه فهو حرام وقال بعض اهل المعرفة قوله رتل اى اتل وجاءت التلاوة بمعنى الابلاغ فى مواضع من القرءآن فالمعنى بلغ احكام القرءآن لاهل النفوس المتمردة المنحرفة عن الاقبل على الآخرة وهم العوام وهذا من قبيل الظهر كما قال عليه السلام ما من آية الا ولها ظهر وبطن وحد ومطلع وفصل معانية لاصحاب القلوب المقبلة على المولى كما قال تعالى كتاب فصلت آياته وهم الخواص وهذا من قبيل البطن وفهم حقائقه لسدنة الاسرار المستهلكين فى عين المشاهدة المستغرقين فى بحر المعاينة وهم اخص الخواص وهذا من قبيل

الحدو اوجد اسراره لارباب الارواح الطاهرة الفانين عن ناسوتيتهم الباقين بلاهوتيته.

٥

{ انا سنلقى عليك } اى سنوحى اليك وايثار الالقاء عليه لقوله تعالى

{ قولا ثقلا } وهو القرءآن العظيم المنطوى على تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين وايضا ان القرءآن قديم غير مخلوق والحاديث يذوب تحت سطوة القديم الا من كان مؤيدا كالنبى عليه السلام والثقل حقيقة فى الاجسام ثم يقال فى المعانى وقال بعضهم ثقيلا تلقية كما سئل رسول الله عليه السلام كيف يأتيك الوحى قال احيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشد على فيفصم عنى اى يقلع وينحى وقد وعين ما قال واحيانا يتمثل الى الملك رجلا فيكلمنى فأعى ما يقول قالت عائشة رضى الله عنها ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشدسد البرد فيفصم عنه وان جبينه

ليرفض عرقا اى يترشح (قال الكاشفى) در حين نزول وحى برآن حضرت برين وجه كه مذكور شداكر برشتر سوارى بودى دست وباى شترخم كشتى واكرتكيه برران يكى ازياران داشتى خوف شكستن آن بودى ودرين محل روى كلبركش برافر وخته (مصراع) بسان كل كه بصحن جمن برافروزد.

وفى التأويلات النجمية ثقل المحمول بحسب لطف الحامل ولا شك ان نبينا عليه السلام كان ألطف الانبياء خلقا واعدلهم مزاجا وطبعا واكملهم روحانية ورحمانية وافضلهم نشأة وفطرة واشملهم استعدادا وقابلية فلذلك خص القرءآن بالثقل من بين سائر الكتب السماوية المشتملة على الاوامر والنواهى والاحكام والشرآئع للطف فطرته وشمول رحمته والجملة اعتراض بين الامر وهو قم الليل وبين تعليله وسر ان ناشئة الليل الخ لتسهل ما كلفه عليه السلام من القيام يعنى ان فى توصيف ما سياقى عليه بالثقل ايماء الى ان ثقل هذا التكليف بالنسبة اليه كالعدم فاذا كان ما سيكلف اصعب وأشق فقد سهل هذا التكاليف وفى الكشاف أراد بهذا الاعتراض

ان ما كلفه من قيام الليل من جملة التكاليف الصعبة التى ورد بها القرآن لان الليل وقت السبات والراحة والهدوء فلا بد لمن احياه من مضاده لطبعه ومجاهدة لنفسه فمن استأنس بهذا التكليف لا يثقل عليه امثاله.

يقول الفقير سورة المزمل مما نزل فى اوائل النبوة فكان قوله انا سنلقى عليك قولا ثقيلا يشير الى مدة الوحى البافيه لان حروفه مع اعتبار النون المدغم فيها ونوى التنوين اثنان وعشرون فالسين ذلك على الاستقبال ومجموع الحروف على المدة الباقية وجعل القرءآن حملا ثقيلا لانه عليه السلام بعث لتتميم مكارم الاخلاق ولا شك ان ما كان اجمع كان اثقل والله تعالى اعلم بمراده وايضا ان كون القول ثقيلا انما الى النفس الخفيفة اللطفية فخفيف ولطيف ولذا كان تعب التكاليف مرفوعا عن الكمل فهم يجدون العبادات كالعادات فى ارتفاع الكلفة وفى الذوق والحلاوة.

٦

{ ان ناشئة الليل } اى النفس التى تنشأ فى الليل من مضجعها الى العبادة اى تنهض من نشأ من مكانه اذا نهض فالموصوف محذوف والاضافة للملابسة بمعناالنفس الناشئة فى الليل

{ هى } خاصة

{ اشد وطئا } اى كلفة وثقلا مصدر قولك وطئى الشئ اى داسه برجله او جعل عليه ثقله فان النفس القائمة بالليل الى العبادة اشد وطئا من التى تقوم بالنهار فلا بد من قيام الليل فان افضل العبادات اشقها فالوطئ مصدر من المبنى للمفعول لان الواطئ الذى يلقى ثقله على العابد هو العبادة فى الليل فيكون العابد بالليل اشد موطو أله من العابد بالنهار ووطئا نصب على التمييز ويجوز ان يكون معنى اشد ووطئا اشد ثبات قدم واستقرارها فيكون المقصود بيان وجه اختيار الليل وتخصيصه بالامر بالقيام فيه من حيث انه تعالى جعل الليل لباسا يستر النار ويمنعهم عن الاضطراب والانقلاب فى اكتساب المعاش اسم من القول بمعناه بقلب الواو ياء اى ازيد من جهة السداد والاستقامة فى المقال ومن

جهة الثبات والاستقرار على الصواب يعنى خواندن قرآن دور بصوا

بتراست كه دل فارغ باشد واصوات ساكن وزبان بادل موافقت نمايد بزبان

مى خواند وبدل تفكر ميكند

خاموش شد عالم بشب تاجست باشى در طلب ... زيرا كه

بانك عربده تشويش خلوتخانه بود ... ويحتمل ان تكون ناشئة

الليل بمعنى قيام الليل على ان الناشئة مصدر من نشأ كالعافية بمعنى العفو

وهذا وافق لسان الحبشة حيث يقولون نشأ اذا قام او يكون بمعنى العبادة

التى تنشأ بالليل اى تحدث فيكون الوطئ مصدرا من المبنى للفاعل فان

كل واحد من قيام الليل من العبادة التى تحدث فيه ثقيلان على العابد من

قيام النهار والعبادة فيه بمعنى اشد وطئا اثقل واغلظ على المصلى من صلاة

النهار فيكون افضل يعنى آن سخت تراست ازجهت رنج وكلفت جه ترك

خواب وراحت برنفس بغايت شاق است.

ويحتمل ان يكون المراد بناشئة الليل ساعاته فانها تحدث واحدة

بعد واحدة اى ساعات الليل الناشئة اى الحادثة شيأ بعد شئ فتكون

الناشئة صفة ساعات الليل فتكون اشد وطئا اى بملاحظة القيام فيها من ساعات النهار لكن ابن عباس رضى الله عنهما قيد الناشئة بما كان بعد العشاء فما كان قبلها فليس بناشئة وخصصتهاعائشة رضى الله عنها بما كان بعد النوم فلو لم يتقدمها نور لم تكن ناشئة وفى قوت القلوب ان يصلى بين العشاءين ما تيسر الى ان يغيب الشفق الثانى وهو البياض الذى يكون بعد ذهاب الحمرة

وقيل غسق الليل وظلمته لانه آخر ما يبقى من شعاع الشمس فى القطر الغربى اذا قطعت الارض العليا ودارت من ورآء جبل قاف مصعدة تطلب المشرق فهذا الوقت هو المستحب لصلاة العشاء الآخر وهو آخر الورد الاول من اوراد الليل والصلاة فيه ناشئة الليل اى ساعته لانها اول نشوء ساعاته وقرأ ابن عامر وأبو عمرو وطاء بالكسر والمدمن المواطأة بمعنى الموافقة فان فسرت الناشئة بالنفس الناشئة كان المعنى انها اشد من جهة موافقة القلب الكائن لها لسانها وان فسرت بالقيام او العبادة اوالساعات كان المعنى انها اشد من جهة موافقة قلب

القائم لسانه فيها او من جهة كونها موافقة لما يراد من الخشوع والاخلاص وعن الحسن رحمه الله اشد موافقة بين السر والعلانية لانقطاع رؤية الخلائق.

٧

{ ان لك فى النهار سبحا طويلا } اى تقلبا وتصرفا فى مهما تك كتردد السابح فى الماء واشتغالا بشواغلك فلا تستطيع ان تتفرغ للعبادة فعليك بها فى الليل وهذا بيان للداعى الخارجى الى قيام الليل بعد بيان ما فى نفسه من الداعى قال الراغب السبح المر السريع فى الماء او فى الهوآء استعير لمر النجوم فى الفلك كقوله تعالى وكل فى فلك يسبحون ولجرى الفرس كقوله تعالى فالسابحات سبحا ولسرعة الذهاب فى العمل كقوله تعالى ان لك فى النهار سبحا طويلا وفى تاج المصادر السبح تصرف كردن در معيشت.

وفى بعض التفاسير قيل السباحة لما فيه من التقلب باليد والرجل فى الماء

وقيل معنى الآية ان فاتك من الليل شئ فلك فى النهار فراغ تقدر على تداركه فيه حتى لا ينقص شئ من حظك من المناجاة لربك ويناسبه قوله عليه السلام من نام عن حزبه او عن شئ منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل ومن اقوال المشايخ ان المريد الصادق اذا فاته ورد من ا وراده يليق به ان يقضيه ولو بعد شهر حتى لا تتعود النفس بالكسل فالورد من الشؤون الواردة عن الرسول عليه السلام وأخيار امته ومن لا ورد له اى وارد خاص بالخواص وفى قوت القلوب من فاته ورد من الاوراد استحب له فعل مثله متى ذكره لا على وجه القضاء لانه لا تقضى الا الفرآئض ولكن على سبيل التدارك ورياضة النفس بذلك ليأخذ العزآئم كيلا يعتاد الرخص.

٨

{ واذكر اسم ربك } ودم على ذكره تعالى ليلا ونهارا على اى وجه كان من تسبيح وتهليل وتحميد وصلاة وقرآءة قرءآن ودراسة علم خصوصا بعد صلاة الغداة

وقيل غروب الشمس فانهما من ساعات الفتح والفيض وذكر الله على الدوام من وظائف المقربين سوآء كان قلبا او لسانا او اركانا وسآء كان قياما او قعودا اوعلى الجنوب وبالفارسية ويادكن برورد كار خودرا وباسماء حسنى اورا بخوان.

قال عليه السلام من احصاها اى حصلها دخل الجنة فالمراد من ذكر اسمه فكره تعالى بواسطة ذكر اسمه ولذا قال تعالى واذكر ربك اذ نسيت فالذكر والنسيان فى الحقيقة كلاهما من صفات القلب وعند تجلى المذكور يفنى الذكر والذاكر كما قال الاسماء المجازية بما يسر الله الاشتغال به وداوم عليه فلا ريب انه يحصل بينه وبين سر هذا الاسم المشتغل به وروحه بعناية الله وفضله مناسبة ما بقدر الاشتغال ومتى قويت تلك المناسبة بينهما وكملت بحسب قوة الاشتغال وكماله يحصل بينه وبين مدلوله من

الاسماء الحقيقية بواسطة هذه المناسبة الحاصلة مناسبة بقدرها قوة وكمالا

ومتى بلغت الى حد الكمال ايضا هذه المناسبة الثانية الحاصلة بينه وبين

هذا الاسم الحقيقى بجود الحق سبحانه وعطائه يحصل بينه وبين مسماه

الحق تعالى مناسبة بمقدار المناسبة الثانية من جهة القوة والكمال لان العبد

بسبب هذه المناسبة يغلب قدسه على دنسه ويصير مناسبا لعالم القدس

بقدر ارتفاع حكم الدنس فحيئذ يتجلى الحق سبحانه له من مرتبة ذلك

الاسم بحسبها وبقدر استعداده ويفيض عليه ما شاء من العلوم والمعارف

والاسرار الالهية والكونية اما من الوجه العام وطريق سلسلة ترتيب المراتب

والحضرات وغيرها من الوسائط والاسباب والادوات والمواد المعنوية والصورة

واما من الوجه الخاص بدون الوسائل والاغار او منهما معا جميعا

اذ وجه اما هذا او ذاك لا غيرهما غير نسبة الجمع بينهما وقال بعضهم فى

الآية اذا أردت قرآءة القرءآن او الصلاة فقل بسم الله الرحمن الرحيم وقال

القاشانى واذكر اسم ربك الذى هو انت اى اعرف نفسك واذكرها ولا

تنسها فينساك الله واجتهد لتحصيل كمالها بعد معرفة حقيقتها

{ وتبتل اليه تبتيلا } التبتل الانقطاع وتبتيل دل ازدنيا بريدن.

والمعنى وانقطع الى ربك انقطاعا تاما بالعبادة واخلاص والية

والتوجه الكلى كما قال تعالى قل الله ثم ذرهم وبالفارسية يعنى نفس خودرا

از انديشه ما سوى الله مجرد ساز واز همكى روى بردار

دل در وبند واز غيرش بكسل ... هرجه جز اوست برون كن از

دل

وليس هذا منافيا لقوله عليه السلام لارهبانية ولا تبتل فى الاسلام

فان التبتل هنا هو الانقطاع عن النكاح ومنه قيل لمريم العذرآء رضى الله

عنه البتول اى المنقطة عن الرجال والانقطاع عن النكاح والرغبة لقوله

تعالى وأنكحوا الايامى منكم وقوله عليه السلام

(تناكحوا تكثروا فانى اباهى بكم الامم يوم القيامة)

واما اطلاق البتول على فاطمة الزهرآء رضى الله عنها فلكونها

شبيهة بسيدة نساء بنى اسرآئيل فى الانقطاع عما سوى الله لا عن النكاح

وقيل تبتلا مكان تتتلا لا معنى تبتل بتل نفسه فجيئ به على معناه مراعاة الحق الفواصل لان حظ القرءآن من حسن النظم والرصف فوق كل حظ وقال بعضهم لما لم يكن الانقطاع الكلى الى بتجريد النبى عليه السلام نفسه عن اعوائق الصادرة علن مراقبة الله وقطع العلائق عما سواه قيل تبتلا مكان تبتلا فيكون النظم من قبيل الاحتياك كما فى قوله تعالى والله انبتكم من الارض نباتا على وجه وهو ان التقدير انبتكم منها انباتا فنبتم نباتا وكذا التقدير ههنا اى تبتل اليه تبتلا يبتلك عما سواه تبتيلا والانسب يبتلك اسم ربك بفناء صفاتك وافعالك وتبتل اليه تبتيلا بفناء ذاتك وبقاء ذاته ثم ان التبتل يكون من الدنيا ان ظاهرا فقط فهو مذموم كبعض الحفاة العراة الذين اظهروا الفقر فى ظواهرهم وابطنوا الحرص فى ضمائرهم

واما باطنا فقط وهو ممدوح كالاغنياء من الانبياء والاولياء عليهم السلام فانهم انقطعوا عن الدنيا باطنا اذ ليس فيهم حب الدنيا اصلا وانما

لم ينقطعوا ظاهرا لان ارادتهم تابعة لارادة الله والله تعالى أراد ملكهم ودولتهم كسليمان ويوسف وداود وأيوب والاسكندر وغيرهم عليهم السلام

واما ظاهرا وباطنا كالكثر الانبياء والاولياء وقد يكون التبتل من الخلق اما ظاهرا فقط كتبتل بعض المتعبدة فى قلل الجبال واجواف المغارات لجذب القلوب وجلب الهدايا

واما باطنا لاظهارها كأهل الارشاد وهم عامة الانبياء وبعض الاولياء اذ لا بد فى ارشاد الخلق من مخالطتهم

واما ظاهرا وباطنا كبعض الاولياء الذين اختار والعزلة وسكنوا فى المواضع الخالية عن الناس

قال بعضهم السلوك الى الله تعالى يكون بالتبتل ومعناه الاقبال على الله بملازمة لاذكر والاعراض عن غيره بمخالفة الهوى هذا هو السفر بالحركة المعنوية من جانب المسافر الى جانب المسافر اليه وان كان الله أقرب الى العبد من حبل الوريد فان مثال الطالب والمطلوب مثال صورة

حاضرة مع مرآءة لكن لا تتجلى فيها لصدأ فى وجهها فمتى صقلتها تجلب فيها الصور لا بارتحال الصورة اليها ولا بحركتها الى جانب الصورة ولكن بزوال الحجاب فالحجاب فى عين العبد والا فالله متجل بنوره غير خفى على اهل البصيرة وان كان فرق بين تجل وتجل بحسب المحل ولذا قال عليه السلام ان الله يتجلى للناس عامة ولأبى بكر خاصة كتجلى صورة واحدة فى مرءآة واحدة واليه الاشارة بقوله عليه السلام (لى مع الله وقت)

اذ لا يخفى ان التجلى فى ذلك الوقت مخصوص به عليه السلام لا يزاحمه غيره فيه.

يقولالفقير ان فى هذا المقام اشكالا وهو انه عليه السلام اذا كان مستغرق الاوقات فى الذكر دآئم الانقطاع الى الله على ما افاده الآيتان فكيف يتأتى له السبح فى النهار على ما افصح عنه قوله تعالى ان لك فى النهار سباح طويلا ولعل جوابه من وجوه الاول ان الامر بالذكر الدآئم والانقطاع الكلى من باب الترقى من الرخصة الى العزيمة كما يقتضيه شأن الا كامل والثانى ان السبح فى النهار ليس من قبيل الواجب فله ان يختار

التوكل على التقلب ويكون مستوعب الاوقات بالذكر والثالث ان الشغل الظاهر لا يقطع الكمل عن مراقبته تعالى كما قال تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وقال تعالى الذين هم على صلاتهم دآئمون والرابع ان ذلك بحسب اختلاف الاحوال والا شخاص فمن مستغل ومن ذاكر والله اعلم بالمرام.

٩

{ رب المشرق والمغرب } مرفوع على المدح اى هو ربهما وخالقهما ومالكهما وما بينهما من كل شئ قال فى كشف الاسرار يريد به جنس المشارق والمغارب فى الشتاء والصيف

{ لا اله الا هو } استئناف لبيان ربوبيته بنفى الالوهية عما سوه يعنى هيج معبودى نيست سزاوار عبادت مكر او

{ فاتخذه } لمصالح دينك ودنياك والفاء لترتيب الامر وموجبه على اختصاص الا لوهية والربوبية به تعالى

{ وكيلا } موكولا ومفوضا اليه لاصلاحها واتمامها واسترح أنت

وفى التأويلات النجمية رب مشرق الذات المطلقة عن حجب تعينات

الاسماء والصفات ورب مغرب الصفات والاسماء لاستتاره باستتار حجب

الصفات وهى حجب الذات وهو المتعين فى جميع الموجودات فلا اله الا

هو فاتخذه وكيلا اى جرد نفسك عنك وعن وجودك المجازى واتخذ وجوده

الحقيقى مقام وجودك المجازى وامش جانبك هذا مثل ما قال المريد لشيخه

اريد ان احد على التجريد فقال له شيخه جرد نفسك ثم سر حيث شئت

قال المام القشيرى رحمه الله ان الله هو المتولى لاحوال عباده يصرفهم على

ما يشاء ويختار واذا تولى امرعبد بجميل العناية كفاه كل شغل واغناه عن

كل غير فلا يستكثر العبد حوآئجه لعلمه ان مولاه كافيه ولهذا قيل من

علامات التوحيد كثيرة العيال على بساط التوكل (حكى) عن ممشاد

الدينورى رحمه الله انه قال كان على دين فاهتممت به فى بعض الليالى

وضاق صدرى فرأيت كأن قائلا يقول لى أخذت هذا بعد ذلك قصابا ولا

يقال ثم قال القشيرى اعلم ان من جعل المخلوق وكيلا له فانه يسأله الاجر

وقد يخونه فى ماله وقد يخطئ فى تصرفه او يخفى عنه الاصوب والارشد لصاحبه ومن رضى بلالله وكيلا اعطاه الاجر وحقق آماله واثنى عليه ولطف به فى دقائق احواله بما لا يهدتدى اليه اماله بتفاصيل سؤاله ومن جعل الله وكيلا لزمه ايضا ان يكون وكيلا لله على نفسه فى استحقاق حقوقه وفرآئضه وكل ما يلزمه فيخاصم نفسه فى ذلك ليلا ونهارا لا يفتر لحظة ولا يقصر طرفة قال الزروقى رحمه الله خاصية الاسم الوكيل نفى الحوآئج والمصائب فمن خاف ريحا او صاعقة او نحوهما فليكثر منه فانه يصرف عنه لسوء ويفتح له أبواب الخير والرزق.

١٠

{ واصبر على ما يقولون } يعنى قريشا مما لا خير فيه من الخرافات والهذيانات فى حق الله من الشريك والصاحبة والولد وفى حقك من الساحر والشاعر والكاهن والمجنون وفى حق القرءآن من انه اساطير الاولين ونحو ذلك

{ واهجرهم هجرا جميلا } تأكيد للامر بالصبر اى واتركهم تركا حسنا بأن تجابنهم بقلبك وهو اك وتداريهم ولا تكافئهم وتكل امورهم الى ربهم كما اعرب عنه ما بعد الآية قال الراغب الهجر والهجران مفارقة الانسان غيره اما بالبدن او باللسان او بالقلب وقوله تعالى واهجرهم هجرا جميلا يحتمل للثلاثة ويدعو على تحريها ما امكن مع تحرى المجاملة قال الحكماء تسلح على الاعدآء بحسن المداراة حتى تبصر فرصة

آسايش دوكيتى تفسير اين دو حرفست ... بادوستان تلطف بادشمنان مدارا

١١

{ وذرنى والمكذبين } اى دعنى واياهم وكل امرهم الى فانى اكفيكهم وقد سبق فى ن والقلم وقال بعضهم يجوز نصب المكذبين على المعية اى دعنى معهم وهو الظاهر ويجوز على العطف اى دعنى على امرى مما تقتضيه الحكمة ودع المكذبين بك وبالقرءآن وهو اوفق للصناعة لان

النصب انما يكون نصبا فى الدلالة على المصاحبة اذا كان الفعل لازما وهنا الفعل متعد

{ اولى النعمة } ارباب التنعم وبالفارسية خداوندان نازوتن آسانى.

صفة للمكذبين وهم صناديد قريش وكانوا أهل ترفه وتنعم لا سيما بنى المغيرة والنعمة بفتح النون التنعم وبكسرها الانعام وما انعم به عليك وبالضم السرور والتنعم استعمال ما فيه النعمة واللين من المأكولات والملبوسات وفى تاج المصادر التنعم بنازريستن.

وفيه اشارة الى ان متعلق الذم ليس نفس النعمة والرزق بل التنعم بهما كان قال عليه السلام لمعاذ رضى الله عنه حين بعثه الى اليمن واليا (اياك والتنعم فان عباد الله ليسوا بالمتنعمين) وفيه تسلية للفقرآء فانهم يدخلون الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام

{ ومهلهم } التمهيل زمان دادن . والمهل والتؤدية والسكون يقال مهل فى فعله وعمل فى مهلة

{ قليلا } اى زمانا قليلا واجلهم اجلا يسيرا ولا تعجل فان الله سيعذبهم فى الآخرة اذ عمر الدنيا قليل وكل آت قريب ويدل على هذا المعنى ما بعد الآية من بيان عذاب الآخرة وقال الطبرى كان بين نزول هذه الآية ووقعه بدر زمان يسير ولذا قيل انها مدنيه.

١٢

{ ان الدنيا } فى الآخرة وفيما هيأناه للعصاة من آلات العذاب واسبابه وهو اولى من قول بعضهم فى علمنا وتقديرنا لان المقام مقام تهديد العصاة فوجود آلات العذاب بالفعل اشد تأثيرا على ان تلك الآلات صور الاعمال اقبيحة ولا شك ان معاصرى النبى عليه السلام من الكفار قد قدموا تلك الآلات بما فعلوا من السيئات

{ انكالا } قيودا ثقالا يقيد بها ارجل المجرمين اهانة لهم وتعذيبا لا خوفا من فرارهم جمع نكل بالكسر وهو القيد الثقيل والجملة تعليل للامر من حيث ن تعداد ما عنده من اسباب التعذيب الشديد فى حكم بيان اقتداره على الانتقام منهم فهم يتنعمون فى الدنيا ولا يبالون وعند الله العزيز المنتقم فى الآخرة امور مضادة لتعمهم

{ وجحيما } وبالفارسية وآتشى عظيم . وهى كل نار عظيمة فى مهواة وفى الكشاف هى النار الشديدة الحر والاتقاد.

١٣

{ وطعاما ذا غصة } هو ما ينشب فى الحلق ويعلق من عظم وغيره فلا ينساغ اى طعاما غير سائغ يأخذ بالحلق لا هو نازل ولا هو خارج كالضريع والزقوم وهما فى الدنيا من النباتات والاشجار سمان قاتلان للحيوان الذى يأكلهما مستكرهان عند الناس فما ظنك بضريع جهنم

وزقومها وهو فى مقابلة الهنيئ والمريئ لاهل الجنة وانما ابتلوا بهما لانهم اكلوا نعمة الله وكفروا بها

{ وعذابا أليما } ونوعا أخر من العذاب مؤلما لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه كما يدل عليه التنكير كل ذلك معد لهم ومرصد فالمراد بالعذاب سائر انواع العذاب جاء فى التفسير نه لما نزلت هذه الاية خر النبى عليه السلام مغشيا عليه وعن الحسن البصرى قدس سره انه امسى صائما فاتى بطعام فعرضت له هذه ، الآية فقال ارفعه ووضع عنده الليلة الثانية فعرضت له فقال ارفعه وكذلك الثالثة فأخبر ثابت البنانى ويزيد الضبى ويحيي البكاء فجاؤا فلما يزالوا حتى شرب شربة من سويق.

اعلم ان اصناف العذاب الروحانى فى الآخرة ثلاثة حرقة فرقة المشتبهات وخزى خجلة الفاضحات وحسرة فوت المحبوبات ثم ينتهى الامر الى مقاساة النار الجسمانية الحسية والخزى الذل والحقارة والخجلة التحير من الحياء والفاضح الكاشف عيب المجرم.

{ يوم ترجف الارض والجبال } ظرف للاستقرار الذى تعلق به لدينا والرجفة الزلزلة والزعزعة الشديدة اى تضطرب وتتزلزل بهيبة الله وجلاله ليكون علامة لمجيئ القيامة وامارة لجريان حكم الله فى مؤاخذة العاصين افرد الجبال بالذكر مع كونها من الارض . لكونها اجسام عظاما اوتادا لها فاذا تزلزلت الاوتاد لم يبق للارض قرار وايضا ان زلزلة العلويات اظهر من زلزلة السفليات ومن زلزلتها تبلغ القلوب الحناجرخوفا من الوقوع

{ وكانت الجبال } من شدة الرجفة مع صلابتها وارتفاعها

{ كثيبا } فى القاموس الكثيب التل من الرمل انتهى من كثب الشئ اذا جمعه كأنه فعيل بمعنى مفعول فى اصله ثم صار اسمه بالغلبة للرمل المجتمع

{ مهيلا } اى كانت مثل رمل مجتمع هيل هيلا اى نثر واسيل بحيث لو حرك من اسفله انهال من اعلاه وسال لترفق اجزآئه كالعهن

المنفوش ومثل وهذا الرمل يمر تحت الرجل ولا يتماسك فكونه مترفق

الاجزآء منثورا سائلا يا ينافى كونه رملا مجتمعا وبالفارسية كوههاى

سخت جون ريك روان شد از هيبت آن روز.

فقوله مهيلا اسم مفعول من هال يهيل واصله مهيول كمبيع من

باع لا فعيل من مهل بمهل وخص الجبال بالتشبيه بالكثيب المهيل لان

ذلك خاصة لها فان الارض تكون مقررة فى مكانها بعد الرجفة دل

عليه قوله تعا ويسلونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا

صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا والحاصل ان الارض والجبال يدق

بعضها ببعض كما قال تعالى وحملت الارض والجبال فدكتادكة واحدة

فترجع الجبال كثيبا مهيلا ثم ينسفها الريح فتصي هباء منبثا وتبقى الارض

مكانها ثم تبدل كما مر وفى التأويلات النجمية يوم ترجف ارض البشرية

وجبال الانانية وكانت جبال انانية كل واحدة رملا منثورا متفتتا شبه

التعينات الاعتبارية الموهومة بالرمل لسرعة زوالها وانتشارها.

١٥

{ انا ارسلنا اليكم } يا اهل مكة شروع فى التخويف بأهوال الدنيا بعد تخويفهم بأهوال الآخرة

{ رسولا } هو محمد عليه السلام وكونه مرسلا اليهم لا ينافى ارسله الى من عداهم فان مكةام القرى فمن أرسل الىهل مكة فقد أرسل الى اهل الدنيا جميعا ولذا نص الله تعالى عليه بقوله وما أرسلناك الا كافة للناس ليندفع اوهام اهل الوهم

{ شاهدا عليكم } يشهد يوم القيامة بما صدر عنكم من الكفر والعه سيان وكذا يشهد على غيركم كما قال تعالى وجئا بك على هؤلاء شهيدا

{ كما ارسلنا الى فرعون رسولا } هو موسى عليه السلام لان هرون عليه السلام رد له وتابع وعدم تعيينه لعدم دخله فى التشبيه وتخصيص فرعون لانه من رؤساء اولى النعمة المترفهين المتكبرين فبينه وبين قريش جهة جامعة ومشابهة حال ومناسبة سريرة.

١٦

{ فعصى فرعون الرسول } اى فعصى فرعون المعلوم حاله كبرا وتنعما الرسول لذى أرسلناه اليه ومحل الكاف النصب على انها صفة لمصدر محذوف اى انا أرسلنا اليكم رسولا فعصيتموه كما يعرب عنه قوله تعالى شاهدا عليكم ارسالا كائنا كما أرسلنا الى فرعون رسولا فعصا بأن جحد رسالته ولم يؤمن به وفى اعادة فرعون والرسول مظهدين تفظيع لشأن عصيانه وان ذلك لكونه عصيان الرسول لا لكونه عصيان موسى وفى ترك ذكر ملأ فرعون اشارة الى ان كل واحد منهم كأنه فرعون فى نفسه لتمرده

{ فأخذهناه } بسبب عصيانه

{ اخذا وبيلا } ثقيلا لا يطاق يعنى بآتش غرق كرديم وارراه آب بآتش برديم.

والوتيل الثقيل الغليظ ومنه الوابل للمطر العظيم والكلام خارج عن التشبيه جيئ به للتنبيه على انه سيحيق بهؤلاء ما حاق بأولئك لا محالة.

{ فكيف تتقون } قال ابن الشيخ مرتب على الارشال فالعصيان

وكان الظاهر أن يقدم على قوله كما أرسلنا الا انه أخر زيادة فى التهويل

اذ علم من قوله فأخذناه انهم مأخوذون مثله واشد فاذا قيل بعده فكيف

تتقون كان ذلك زيادة كأنه قيل هبوا انكم لا تؤخذون فى الدنيا اخذة

فرعون وامثاله فكيف تتقون اى تقون أنفسكم فاتقى ههنا

مأخوذ بمعنى وقى المتعدى الى مفعولين دل عليه قول الامام البيهقى رحمه

الله فى تاج المصادر الاتقاء حذر كردن وخود رانكاه داشتن انتهى . وافتعل

يجيئ بمعنى فعل نص عليه الزمخشرى فى المفصل وان كانت الامثلة لا

تساعده فانه ليس وقى واتقى مثل جذب واجتذب وخطف واختطف

فتأمل

{ ان كفرتم } اى بقيتم على الكفر

{ يوما } اى عذاب يوم فهو مفعول به لتتقون ويجوز أن يكون ظرفا اى فكيف لكم بالتقوى والتوحيد فى يوم القيامة ان كفرتم فى الدنيا اى لا سبيل اليه لفوات وقته فاتقى على حاله وكذا اذا انتصب بكفرتم على تأويل جحدتم اى فكيف تتقون الله وتخشون عقابه ان جحدتم يوم القيامة والجزآء

{ يجعل الولدان } من شدة هوله وفظاعة ما فيه من الدواهى وهو صفة ليوما نسب الجعل الى اليوم للمبالغة فى شدته والافنفس اليوم لا تأثير له البتة والولدانبالفارسية نوزادكان ازمادر.

جمع وليد يقال لمن قرب عهده بالولادة وان كان فى الاصل يصح اطلاقه على من قرب عهده بها ومن بعد

{ شيبا } شيوخا يعنى بيركندوموى سر ايشان سفيد سازد . جمع اشيب والشيب بياض الشعر وأصله ان يكون بضم الشين كحمر فجمع

احمر لان الضم يقتضى الواو فكسرت لاجل صيانه الياء فرقا بين مثل سود وبين مثل بيض وجعلهم شيوخا فيه وجوه.

الاول انه محمول على الحقيقة كما ذهب اليه بعض اهل التفسير ويؤيده ما قال فى الكشاف وقد مر بى فى بعض الكتب ان رجلا امسى فاحم الشعر كحلك الغراب اى سواده واصبح وهو أبيض الرأس واللحية كالنعامة بياضا وهو بفتح الثاء المثلثة وبالغين المعجة نبت ابيض قال أريت القيامة والجنة والنار ورأيت الناس يقادون فى السلاسل الى النار فمن هول ذلك اصبحت كما ترون وقال احمد الدورقى مات رجل من جيراننا شابا فرأيته فى الليل وقد شاب فقلت وما قصتك قال دفن بشر فى مقبرتنا فزفرت جهنم زفرة شاب منها كل من فى المقبرة كما فصل الخطاب وبشر المريسى ومريس قرية بمصر اخذ الفقه عن أبى يوسف القاضى الا انه اشتغل بالكلام وقال بخلق القرءآن واضل خلقا كثيرا ببغداد فان قلت ايصال الألم والضرر الى الصبيان يوم القيامةغير جائز بل هم لكونهم غير مكلفين معصومون محفوظون عن كل خطر قلت قد يكون فى القيامة من هيبة

المقام ما يجثو به الانبياءعليهم السلام على الربك فما ظنك بغيرهم من الاولياء والشيوخ والشبان والصبيان وفى الآية مبالغة وهى انه اذا كان ذلك اليوم بجعل الولدان شيبا وهم ابعد الناس من الشيخوخة لقرب عهد ولادتهم فغيرهم اولى بذلك وكذا فى القصة السابقة فان من شاب بمجرد الرؤيا فكيف حاله فى اليقظة وهو معاين من الاهوال ما يذوب تحته الجبال الرواسى.

والثانى انه محمول على التمثيل بأن شبه اليوم فى شدة هوله بالزمان الذى يشيب الشبان لكثرة همومه واهواله واصله ان الهموم والاحزان اذا تفاقمت على المرء ضعفت قواه واسرع فيه الشيب لان كثرة الهموم توجب انعصار الروح الى داخل القلب وذلك الانعصار يوجب انطفاء الحرارة الغريزية وضعفها وانطفاؤها يوجب بقاء الاجزآء الغذآئية غير تامة النضج وذلك يوجب بياض الشعر ومسارعة الشيب بتقدير العزيز الحكيم كما يوجب تغير القلب تغير البشرة فتحصل الصفرة من الوجل والحمرة من

الخجل والسواد من بعض الآلام وما على البدن من الشعر تابع للبدن

فتغيره بوجب تغيره فثبت ان كثرة الهموم توجب مسارعة الشيب كما قيل

دهتنا امور تشيب الوليد ... ويخذل فيها الصديق الصديق

فلما كان حصول الشيب من لوازم كثرة الهموم جعلوه كناية عن

الشدة فجعل اليوم المذكور الولدان شيبا عبارة عن كونه يوما شديدا غاية

الشدة وفى الحديث (يقول الله) اى فى يوم القيامة (يا آدم) خص

آدم عليه السلام بهذا الخطاب لانه اصل الجميع (فيقول لبيك وسعديك

والخير فى يديك فيقول اخرج ببعث النار) اى ميز اهلها المبعوث اليها (

قال وما بعث النار) اى عدده (قال الله تعالى من كل ألف تسعمائة

تسعة وتسعون قال) اى النبى عليه السلام (فذلك) التقاول (حين

يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها) قال ابن الملك اعلم ان الشيب

والوضع ليسا على ظاهرهما اذ ليس فى ذلك اليوم حبل ولا صغير بل هما

كنايتان عن شدة اهوال يوم القيامة معناه لو تصورت الحوامل والصغار

هنالك لوضعن احمالهن ولشاب الصغار انتهى.

وفى بيانه نظر ستأتى الاشارة اليه فى الوجه الثالث

{ وترى الناس سكارى } اى من الخوف

{ ما هم بسكارى } اى من الخمر

{ ولكن عذاب الله شديد } والثلاث انه محمول على الفرض والتقدير بأن يكون معناه ان ذلك اليوم بحال لو كان هناك صبى لشاب رأسه من الهيبة والدهشة وهذا الوجه غير موجه وان ذهب اليه بعض من يعد من اجلة اهل التفسير اذ هو يشعر بأن يوم القيامة لا يكون فيه ولدان حقيقة وقد ثبت انه يبعث يومئذ ولدان كثيرة ماتوا فى الصغر وكذا من المقرر ان الحبلى تبعث حبلى ففى ذلك اليوم حبل وضغير نعم اذا دخلوا الجنة صاروا بناء ثلاث وثلاثين.

والرابع انه يجوز ذلك وصفا لليوم بالطول يعنى على الكناية بانه فى طوله بحيث يبلغ الاطفال فيه اوان الشيخوخة والشيب وهو لا ينقضى بعد بل يمتد الى حيث يكن مقداره خمسين ألف سنة فهو كناية عن غاية الطول

لا انه تقدير حقيقى يعنى الانقطاع بقوله ما ناحت حمامة وما لاح كوكب وما تعاقبت الايام والشهور وفى الآيةاشارة الى النفس والهوى وبعد نفوسهم من اللّه فى يوم قيامة الفناء الذى يجعل ولدان اعمالهم السيئة القبيحة الخبيثة الخسيسة شيبا متهدمة متفانية.

١٨

{ السماء } مبتدأ خبره قوله

{ منفطر به } اى منشق بسبب ذلك اليوم لان اللّه تعالى مسبب الاسباب فيجوز أن يجعل شدة ذلك اليوم سببا للانفطار.

ذكر اللّه من هول ذلك اليوم امرين الاول قوله تعالى يجعل الولدان شيبا والثانى قوله السماء منفطر به لان السماء على عظمتها وقوتها اذا انشقت بسبب ذلك اليوم فما ظنك بغيرها من الخلائق فالباء للسببية وهو الظاهر وتذكير الخبر لاجرائه علموصوف مذكر اى شئ منفطر عبر عنها بذلك للتنبيه على انه تبدلت حقيقتها وزال عنها اسمها ورسمها ولم يبق منها

الا ما يعبر عنه بالشئ وفى القاموس السماء معروف ويذكر ويجور أن يكون الباء بمعنى فى واليه ذهب المكى فى قوت القلوب حيث قال حروف العوامل يقوم بعضها مقام بعض وهذا مثال قوله تعالى السماء منفطر به اى فيه يعنى فى ذلك اليوم

وقيل الباء للآلة والاستعانة مثلها فى فطرت العود بالقدوم فانفطر به يعنى ان السماء ينفطر بشدة ذلك اليوم وهو له كما ينفطر الشئ بما يفطر به

قال بعضهم اتخاذا لآلة والاستعانة لا يليق بجناب الله تعالى ولا يناسب ذات السماء ايضا

{ كان وعده مفعولا } الضمير لله وان لم يجر له ذكر للعلم به والمصدر مضاف الى فاعله اى كان وعده تعالى اى يكون يوم القيامة على ما وصف من الشدآئد كائنا متحققا لانه لا يخلف المعياد فلا يجوز لعاقل أن يرتاب فيه او الضمير لليوم والمصدر مضاف الى مفعوله والفعل

وهو الله مقدر قال فى لاصحاح الوعد يستعمل فى الخير والشر فاذا اسقطوا الخير والشر قالوا فى الخير الوعد والعدة وفى الشر الايعاد الوعيد.

١٩

{ ان هذه } اشارة الى الآيات المنطوية على القوارع المذكورة وهى من قوله ان لدينا انكالا الى هنا

{ تذكرة } موعظة لمن يريد الخير لنفسه والاستعداد لربه وبالفارسية يندى وعبرتيست .

وقيل القرءآن موعظة للمتقين وطريق للسالكين ونجاة للهالكين وبيان للمستبصرين وشفاء للمتحيرين وامان للخائفين وانس للمريدين ونور لقلوب العارفين وهدى لمن أراد الطريق الى رب العالمين

{ فمن شاء } من المكلفين . يعنى بس هركه خواهد ازمكلفان

{ اتخذ الى ربه سبيلا } بالتقريب اليه بالايمان والطاعة فانه المنهاج الموصول الى مرضاته ومقام قربه.

٢٠

{ ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثى الليل } اى اقل منهما فاطلاق الأدنى على الاقل مجاز مرسل من قبيل اطلاق الملزوم على اللازم لما ان المسافة بين الشيئين اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز والحدود واذا بعدت كثر ذلك روى انه تعالى افترض قيام الليل فى اول هذه السورة فقال النبى عليه السلام واصحابه حولا من مشقة عظيمة من حيث انه يعسر عليهم تمييز القدر الواجب حتى قام اكثر الصحابة الليل كله خوفا من الخطأ فى اصابة المقدار المفروض وصاروا بحيث انتفخت اقدامهم واصفرت الوانهم وامسك الله خاتمة السورة من قوله ان ربك الخ اثنى عشر شهرا فى السماء حتى انزل الله فى آخر السورة التخفيف فنسخ تقدير اقيام بالمقادير المذكورة مع بقاء فرضية اصل التهجد حسبما تيسير ثم نسخ نفس الوجوب ايضا بالصلوات الخمس لما روى ان الزيادة على الصلوات الخمس زيادة

{ ونصفه وثلثه } بالنصب عطفاعلى ادنى والثلث احد اجزآء الثلاثة والجمع اثلاث اى انك تقوم اقل من ثلثى الليل وتقوم من نصفه وثلثه

{ وطائفة من الذين معك } مرفوع معطوف على الضمير فى تقوم وجاز ذلك للفصل بينهما اى ويقوم معك طائفة من اصحابك ومن تبيينية فلا دلالة فيه على ان قيام الليل لم يكن فرضا على الجميع وحاصل المعنى يتابعك طائفة فى قيام الليل وهم اصحابك وفيه وعد لهم بالاحسان اليهم كما تقول لاحد اذا أردت الوعد له انا اعلم ما فعلت لى وفى قوت القلوب قد قرن الله تعالى قوام الليل برسوله المصطفى عليه السلام وجمعهم معه فى شكر المعاملة وحسن الجزآء وفى التأويلات النجمية يشير الى انسلاخ رسول القلب عن ليل طبيعته فى اكثر الاوقات بالتوجه الله والاعراض عن النفس الا فى اوقات قلائل وذلك لحكمة مقتضية للحجاب فان الحجاب رحمة كما قيل لولا الحجاب ما عرف الآله وطائفة من الذين مع رسول القلب من القوى الروحانية والاعضاء والجوارح

{ والله يقدر الليل والنهار } وحده لا يقدر على تقديرهما ومعرفة مقادير ساعاتهما واوقاتهما احد اصلا فان تقديم الاسم الجليل مبتدأ وبناء يقدر عليه موجب للاختصاص قطعا والتقدير بالفارسية اندازه كردن يعنى وخدى تعالى اندازه ميكند شب وروز را وميداند مقادير ساعات آن.

قال الراغب التقدير تبيين كمية الشيء وقوله تعالى والله الخ اشارة الى ما اجرى مت تكوير الليل على النهار وتكوير النهار على الليل اى ادخال هذا فى هذا او ان ليس احد يمكنه معرفة ساعاتهما وتوفية حق العبادة منهما فى وقت معلوم والحاصل ان العالم بمقادير ساعات الليل والنهارعلى حقائقها هو الله وانتم تعلمون ذلك بالتحرى والاجتهاد الذى يقع فيه الخطأ فربما يقع منكم الخطأ فى اصابتها فتقومون اقل من المقادير المذكورة ولذا قال

{ علم } الله

{ ان } اى ان الشأن

{ لن تحصوه } لن تقدروا على تقدير الاوقات على حقائقها ولن تستطيعوا ضبط الساعات ابدا فالضمير عائد والى المصدر المفهوم من يقدر قال فى تاج المصادر الاحصاء دانستن وشمردن برسبيل استقصا وتوانستن.

قال الراغب الاحصاء التحصيل بالعدد وروى استقيموا ولن تحصوا اى لن تحصلوا ذلك لان الحق واحد والباطل كثير بل الحق بالاضافة الى الباطل كالنقطة بالاضافة الى سائر اجزآء الدآئرة وكالمرمى من الهدف واصابة ذلك شديدة واحتج بعضهم بهذه الآية على وقوع تكليف ما لا يطاق فانه تعالى قال لن تحصوه اى لن تطيقوه ثم انه كلفهم بتقدير الساعات والقيام فيها حيث قال قم الليل الخ ويمكن أن يجاب عنه بان المراد صعوبته التأويلات النجمية يعنى السلوك من ليل الطبيعة الى نهار الحقيقة بتقدير الله لا بتقدير السالك علم أن لن تقدروا على مدة ذلك السلوك بالوصول الى الله اذا الوصول مترتب على فضل الله ورحمته لا على

سلوككم وسيركم فكم من سالك انقطع فى الطريق ورجع القهقرى ولم يصل كما قيل ليس كل من سلك وصل ولا كل من وصل اتصل ولا كل من اتصل انفصل

{ فتاب عليكم } بالترخيص على ترك القيام المقدر ورفع التبعة عن التائب ثم استعمل لفظ المشبه به فى المشبه ثم اشتق منه فتاب اى فرخص والتبعة ما يترتب على الشئ من المضرة

{ فاقرأوا ما تيسر من القرءآن } اى فصلوا ما تيسر لكم من صلاة الليل غير مقدرة بكونها فى ثلث الليل او نحوه ولو قدر حلب شاة فهذا يكون اربع ركعات وقد يكون ركعتين عبر علن الصلاة بالقرءآة كما عبر عنها بسائر اركانهاعلى طريق اطلاق اسم الجزء على الكل مجاز مرسلا فتبين ان التهجد كان واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ بهذه الآية ثم نسخ نفس الوجوب المفهوم منها بالصلوات الخمس على ما سبق وفيه تفضيل صلاة الليل على سائر التطوعات فان التطوع بام كان فرضا فى وقت ثم نسخ افضل من التطوع بما لم يكن فرضا اصلا

كما قالوا صوم يوم عاشورآء افضل لكونه فرض قبل فرلضية رمضان وفى

الحديث ليصل احدكم من الليل ما تيسر فاذا غلب عليه النوم فليرقد وقد

كان ابن عباس رضى الله عنهما يكره النوم قاعدا وعنه عليه

السلام عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم وهو قربة لكم الى

ربكم ومكفرة للسيئات ومنهاة عن الاثم وهذا الحديث يدل على ان قيام

الليل لم يكن فرضا على المتقدمين من الانبياء واممهم بل كان من شعار

صلاحهم وعنهعليه السلام ان الله ليبغض كل جعظرى جواظ سخاب

بالاسواق جيفة بالليل حمار بالنهار عالم بأمر الدنيا جاهل بأمر الآخرة

والجعظرى الفظ الغليظ والجواظ كشداد الضخم المختارون الكثير الكلام

والجمموع المنوع والمتكبر الجافى والسخاب من السخب وهو محركة شدة

الصوت سخب كفرح فهو سخاب واقل الاسحباب من قيام الليل سدسه

سوآء كان متواليا او قام جزأ ثم نام نومة اخرى ثم قام قياما ثانيا لانه عليه

السلام لم يقم ليلة قط حتى اصبح بل كان ينام فيها ولم ينم ليلة قط بل

كان يقوم فيها وبأى ورد احيى الليل فقد دخل فى اهل اليل وله معهم

نصيب ومن احيي اكثر ليلة او نصفها كتب له احياء ليلة جميعها ويتصدق

عليه بما بقى منها كذا فى قوت القلوب

وقيل المراد بالية قرآءة القرءآن بعينها فتكون على حقيقتها فالمعنى

ان شق عليكم القيام فقد رخص فى تركه فاقرأوا ما تيسر من القرءآن من

غير توقيت لصلاة فانه لا يشق وتنالون بقرءآته خارج الصلاة ثواب القيام

فالامر للندب وفى الحديث من قرأ فى ليلة مائة آية لم يحاجه القرءآن قال

الطيبي فى قوله لم يحاجه القرءآن ان قرءآته لازمة لكل انسان واجبة عليه

فاذا لم يقرأ يخاصمه الله ويغلبه بالحجة فاسناد المحاجة الى القرءآن مجاز

ويفهم من كلامه ان قرآءته مقدار مائة آية فى كل ليلة واجبة بها يخلص

من المحاجة وعنه عليه السلام من قرأ بالآيتين من سورة البقرة فى ليلة

كفتاه والمراد آمن الرسول الخ يعنى اغتناه عن قيام الليل او حفظتاه من

كل شر وسوء وعنه عليه السلامايعجز احدكم أن يقرأ فى ليلة ثلث القرءآن

قالوا وكيف يقرأ ثلث القرءآن قال قل هو الله احد تعدل ثلث القرءآن

ومن ذلك قالوا ان قرآءة الاخلاص ثلاث مرات تقوم مقام ختمة واطول

الآى افضلها لكثرة الحروف وان اقتصر على قصار الآى عند فتوره ادرك

الفضل ان حصل العدد كذا فى قوت القلوب وفى التأويلات النجمية فى

اشارة الآيةيعنى اجمعوا واحفظوا فى قلوبكم الصافية عن كدورات النفس

والهوى وما يظهر عليه الاستعداداتكم من الحقائق والدقائق والعوارف

والمعارف ولا تفشوهالى غير اهلها فينكروا عليهم فيرموكم بالكفر والزندقة

والالحاد والاتحاد فان حقائقه ودقائقه من المكنونات الالهية

{ علم ان } اى ان شأن

{ سيكون منكم مرضى } استئناف مبين لحكمة اخرى داعية الى

الترخيص والتخفيف مرضاة جمع مريض والمرض الخروج عن الاعتدال

الخاض بالانسان وفيه اشارة الى مرضى القلوب بحجب الانانية والاشتغال

بحب الدنيا وشهواتها فانه لا يظهر عليه من اسرار القرءآن وحقائقه شئ.

جنانجه شيخ سنائى كويد

عجب نبودكرارز قرآ نصيبت نيست جزحر فى ... كه از خورشيد
جز كرمى ميابد جشم نابينا ... عروس حضرت قرآن نقاب آنكه براندازد
كه دار الملك ايمانرا مجرد يا بداز غوغا

{ وآخرون } عطف على مرضى

{ يضربون فى الارض } صفة آخرون اى يسافرون فيها للتجارة
من ضرب فى الارض سافر فيها ابتغاء الرزق قال الراغب الضرب فى
الارض الذهاب فيها وهو بالارجل

{ يبتغون } الابتغاء جستن

{ من فضل الله } وهو الربح وفيه تصريح بما علم التزاما وبيان ان
ما حصلوه من الرزق من فضل الله ومحل يبتغون حال من ضمير يضربون
وقد عم ابتغاء الفضل تحصيل العلم فانه من افضل المكاسب وفيه ان معلم
الخير وهو رسول الله عليه السلام كان حاضرا عندهم وقت نزول الآية

فاين يذهبون الا ان يجعل آخر السورة مدنيا فقد كانوا يهاجرون من مكة

الى المدينة لطلب العلم وايضا ان هذا بالنسبة الى خصوص الخطاب

واما بالنسبة الى اهل القرن الثانى فبقاء الحكم يوقعهم فى الحرج وفى

حديث ابى ذر رضى الله عنه انه قال حضور مجلس علم افضل من صلاة

الف ركعة وافضل من شهود الف جنازة ومن عيادة الف مريض قيل ومن

قرآءة القرءآن قال وهل تنفع قرآءة القرءآن بلا علم

{ وآخرون يقاتلون } الاعدآء

{ فى سبيل الله } عطف على مرضى ايضا ويقاتلون صفته وسبيل

الله ما يوصل الى الاجر عند الله كالجهاد وفيه تنبي على انه سيؤذن لهم فى

القتال مع الاعدآء سوى الله فى هذه الآية بين درجة المجاهدين فى سبيل

الله وكتسبين للمال الحالا للنفقة على نفسه وعياله والاحسان الى ذوى

الحاجات حيث جمع نبيهما قول على ان التجارة بمنزلة الجهاد وعن عبد

الله بن مسعود رضى الله عنه ايما رجل جلب شيأ من مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله من الشهدآء

{ فاقرأوا ما تيسر منه } اى واذا كان الامر كما ذكر وتعاضدت الدواعى الى الترخيص فاقرأوا ما تيسر من القرآن من غير تحمل المشاق فان قيل كيف ثقل قيام الليل على الاصحاب رضى الله عنهم وقد خف على كثير من التابعين حتى كانوا يقومون الى طلوع الفجر منهم الامام او خنيفة وسعيد بن المسيب وفضل بن عياض وابو سلمان الدارانى ومالك بن دينار وعلى بن بكار وغيرهم حتى قال على بن بكار الشامى منذ أربعين سنة لم يحزنى شئ الا طلوع الفجر قلت الثقلة لم تكن فى قيامه بل فى محافظة القدر الفروض كما سبق على انه لا بعد فى ان يثقل عليهم قبل التعذر بذلك ثم كان من امر بعضهم انه ختم القرءآن فى ركعة واحدة كثعمان وتميم الدارى رضى الله عنهما

{ واقيموا الصلاة } المفروضة

{ وآتوا الزكاة } الواجبة

وقيل هى زكاة الفطر اذ لم يكن بمكة زكاة غيرها وانما وجبت بعدها ومن فسرها بالزكاة المفروضة جعل آخر السورة مدنيا وذلك ان تجعلها من باب ما تأخر حكمه عن نزوله ففيه دلالة على انه سينجز وعده لرسوله ويقيم دينه ويظهره حتى تفرض الزكاة وتؤدى

{ واقرضوالله قرضا حسنا } وقرض دهيد خدايرا قرض نيكو.

والقرض ضرب من القطع وسمى ما يدفع الى الانسان من المال بشرط رد بدله قرضا لانه مقروض مقطوع من ماله اريد به الانفاقات فى سبيل الخيرات غير المفروض فانها كالفرض الذى لا خلف فى ادآئه وفيه حث على التطوع كما قال عليه السلام ان فى المال حقا سوى الزكاة على احسن وجه وهو اخرجها من اطيب الاموال واكثرها نفعا للفقرآن بحسن النية وصفاء الباء الى اخوج لصلحاء وجه هذا التفسير هو أن قوله وآتوا الزكاة امر بمجرد اعطائها على اى وجه كان وقوله واقرضوا الله قرضا حسنا

ليس كذلك بل هو امر بالاعطاء المقيد بكونه حسنا وتسمية الانفاق لوجه الله اقراضا استعارة تشبيها له بالاقراض من حيث انما انفقه يعود عليه مع زيادة وقال بعضهم هو قول سبحان الله والحمد الله ولا اله الا الله والله اكبر والنفقة فى سبيل الله كما قال عمر رضى الله عنه او النفقة على الاهل وفى الحديث ما اطعم المسلم نفسه واهل بيته فهو له صدقة اى يؤجر عليه بحسن نيته ثم ههنا امر غامض وهو انه روى الامام الغزالى رحمه الله عن القاضى الباقلانى ان ادعاء البرءآة من الغرض بالكليلة كفر لان التنزه خاصة الهية لا يتصور الاشراك فيها فلعل ما يقال ان العبد ليبلغ الى درجة بعمل ما يعمل لا لغرض بل لرضى الله اولا متثال امره فقط انما هو من الغفلة عن غرض خفى هل هو غرض جلى لكنه مراد على.

يقول الفقير هذا وارد على اهل الارادة

واما اهل الفناء عن الارادة وهم اهل النهاية الا كملون فلا غرض لهم اصلا وامرهم عجيب لا يعرفه الا امثالهم او من عرفه الله بشأنهم

{ وما } شرطية

{ تقدموا لانفسكم من خير } اى خير كان مما ذكر وما لم يذكر

{ تجدوه } جواب الشرط ولذا جزم

{ عند الله هو خيرا واعظم اجرا } من الذى تؤخرونه الى الوصية عند الموت وفى كشف الاسرار تجدوا ثوابه خيرا لكم من متاع الدينا واعظم اجرا لان الله يعطى المؤمن اجره بغير حساب قوله خيرا ثانى مفعولى تجدون وهو تأكيد للمفعول الاول لتجدوه وفصل بينه وبين المفعول الثانى وان لم يقع بين معرفتين فان افعل فى حكم المعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقوله واعظم عطف على خيرا واجرا تمييز عن نسبة الفاعل والاجر ما يعود من ثواب العمل دنيويا كان او اخرويا وقال بعضهم المشهور ان وجد اذا كان بمعنى صادف يتعدى الى مفعول واحد وهو ههنا بمعناه لا بمعنى علم فلا بعد ان يكون خيرا حالا من الضمير وفى الحديث اعلموا ان كل امرئ على ما قدم قادم وعلى ما خلف نادم وعنه عليه السلام ان العبد اذا

مات قال الانسان ما خلف وقال الملائكة ما قدم ومر عمر رضى الله عنه ببقيع الغرقد اى مقبرة المدينة لانها كانت منبت الغرقد وهو بالغين المعجمة شجر فقال السلام عليكم أهل القبور اخبار ما عندنا ان نساءكم قد تزوجن ودوركم قد سكنت واموالكم قد قسمت فأجابه هاتف يا ابن الخطاب اخبار ما عندنا ان ما قدمناه وجدناه وما انفقناه فقد ربحناه وما خلفنا فقد خسرنا.

قدم لنفسك قبل موتك صالحا ... واعمل فليس الى الخلود سبيل

(وروى) عن عمر رضى الله عنه انه اتخذ حيسا يعنى تمرا بلبن فجاءه مسكين فأخذه ودفعه اليه فقال بعضهم ما يدرى هذا المسكين ما هذا فقال عمر لكن رب المسكين يدرى ما هو فكأنه قال وما تقدموا الخ.

تونيكى كن بآب اندازاى شاه ... اكر ما هى نداند داند الله

{ واستغفروا الله } اى سلوا الله المغفرة لذنوبكم فى جميع اوقاتكم وكافة احوالكم فان الانسان قلما يخلوه عن تفريط وكان السلف الصالح

يصلون الى طلوع الفجر ثم يجلسون للاستغفار الى صلاة الصبح واستحب الاستغفار الى الاسماء من القرءآن مثل أن يقول استغفر الله انه كان توابا استغفر الله ان الله غفور رحيم استغفر الله انه كان غفار رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين واغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين

{ ان الله غفور } يغفر ما دون أن يشرك به

{ رحيم } يبدل السيئات حسنات وفى عين المعانى غفور يستر على اهل الجهل والتقصير رحيم يخفف عن اهل الجهل والتوفير ومن عرف انه الغفور الى لا يتعاظمه ذنب يغفره اكثر من الاستغفار وهو طلب المغفرة ثم ان كان مع الانكسار فهو صحيح وان كان مع التوبة فهو كامل وان كان عريا عنهما فهو باطل ومن كتب سيد الاستغفار وجرعه لمن صعب عليه السموت انطلق لسانه وسهل عليه الموت وقد جرب مرارا وسيد الاستغفار قوله اللهم أنت ربى لا اله الا أنت خلقتنى وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بنبى فاغفر لى انه لا يغفر الذنوب الا أنت.

سُورَةُ الْمُدَّثِّرِ مَكِّيَّةٌ

وَهِيَ سِتٌّ وَخَمْسُونَ آيَةً

١

{ يا ايها المدثر } بتشديدين اصله المتدثر وهو لابس الدثار وهو ما يلبس فوق الشعاف الذى يلى الجسد ومنه قوله عليه السلام (الانصار شعار والناس دثار)وفيه اشارة الى ان الولاية كالشعار من حيث تعلقها بالباطن والنبوة كالدثار من حيث تعلقها بالظاهر ولذلك خوطب عليه السلام فى مقام الانذار بالمدثر (روى) عن جابر رضى الله عنه عن النبي عليه السلام انه قال كنت على جبل حرآء فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يميني وعن يسارى ولم أر شيأ فنظرت فوقى فاذا به قاعد على عراش بين السماء والارض يعنى الملك الذى ناراه فرعبت ورجعت الى خديجة رضى الله عنها فقلت دثرونى دثرونى واصبوا علّى ماء

باردا فنزل جبريل وقال يا أيها المدثر يعنى انه انما تدثر بناءً على اقشعرار جلده وارتعاد فرآئصه رعبا من الملك النازل من حيث انه رأى مالم يره قبل ولم يستأنس به بعد فظن ان به مسا من الجن فخاف على نفسه لذلك وذكر حضرة الشيخ الاكبر قدس سرة الاطهر ان التدثر انما يكون من البرودة التى تحصل عقيب الوحى وذلك ان الملك اذا ورد على النبي عليه السلام بعلماو حكم يلقى ذلك الروح الانسان وعند ذلك تشتعل احرارة الغريزية فيتغير الوجه وتنقل الروطوبات الى سطح البدن لاستيلاء الحرارة فيكون من ذلك العرق فاذا سرى عنه ذلك سكن المزاج وانقشعت تلك الحرارة وانفتحت تلك المسام وقبل الجسم الهوآء من خارج فيتخلل الجسم فيبرد المزاج فتأخذه القشعريرة فتزاد عليه الثياب ليسخن انتهى وقرر بعضهم هذا المقام على غير ما ذكر كما قال فى كشف الاسرار وتفسير الكاشفى جابر بن عبد الله رضى الله عنه نقل ميكند از رسول صلّى الله عليه وسلّم درزمان فترت وحى براهى ميرفتم ناكاه ازآسمان آوازى شنيدم جشم بالاكردم ديدم همان ملك كه درغار حرا بمن آمده بود

بركرسى نسته ميان زمين وآسمان ازسطوت وهيأت وعظمت وهيكل او خوفى برمن طارى شد بخانه بازكشتم وكفتم مرا بپوشانيد جامها برمن بوشيدند ومن در انديشه آن حال بودم كه حضرت عزت جل شأنه وحى فرستادكه ايها المدثر.

وقال السهيل رحمه الله كان عليه السلام متدثرا بثيابه حين فزع من هول الوحى اول نزوله قال دثرونى دثرونى فقال له ربه ايها المدثر ولم يقل يا محمد ولا يا فلان ليستشعر اللين والملاطفة من ربه كما تقدم فى المزمل وفائدة اخرى مشاكلة الآية بما بعدها ووجه المشاكلة بين اول الكلام وبين قوله قم فأنذر خفى الابعد التأمل والمعرفةبقوله عليه السلام انى انا النذير العريان ومعنى النذير العريان الجاد المشمر وكان النذير من العرب اذا جتهد جرد ثوبه وأشار به مع الصياح تأكيدا فى الانذار والتحذير وقدقيل ايضا ان اصل قولهم النذير العريان ان رجلا من خثعم وهو كجعفر جبل واهل خثعميون وابن انما رابوا قبيلة من معد كما فى القاموس اخذه العدو فقطعوا يده وجردوا ثيابه فأفلت الى قومه نذيرا لهم وهو عريان فقيل

لكل مجتهد فى الانذار والتخويف النذير العريان فاذا ثبت هذا فقد تشاكل الكلام بعضه ببعض فأمر المتدثر بالثياب مضاف الى معنى النذير العريان ومقابل ومرتبط به لفظا ومعنى.

٢

{ قم } اى من مضجعك يعنى خوابكاه

{ فأنذر } الناس جميعا من عذاب الله ان لم يؤمنوا لانه عليه السلام مرسل الى الناس كافة فلم تكن ملة من الملل الا وقد بلغتها دعوته وقرعها انذاره وافرد الانذار بالذكر مع انه ارسل بشيرا ايضا لان التخلية بالمعجمة قبل التحلية بالمهملة وكان الناس عاصين مستحقين للتخويف فكان اول الامر هو الانذار.

يقول الفقير امده الله القدير بالفيض الكثير خوطبت بقوله قم فانذر وانا متوجه مراقب عند الرأس الشريف فى الحرم النبوى فحصل لى اضطراب عظيم وحيرة كبرى من سطة الخطاب الالهى وغلبنى الارتعاد

وظننت أنى مأمور بالانذار الظاهرى فى ذلك المقام لما ان اكثر الناس كاناو يسيئون الأدب فى ذلك الحرم حتى انى بكيت مرة بكاء شديدا من غلبة الغيرة فقيل لى اولئك الذين لعنهم الله فأصمهم واعمى ابصارهم ثم انى عرفت بالهام من الله تعالى انى رسول نفسى لا غير مأمور بتزكيتها واصلاح قواها ومن الله الاعانة على ذلك.

٤

{ وثيابك فطهر } وخصص ربك بالتكبير وهو وصفه تعالى بالكبرياء اعتقادا وقولا وعظمة عما يقول فيه عبدة الاوثان وسائر الظالمين ويروى انه لما نزل قال رسول الله عليه السلام (الله اكبرت) فكبرت خديجة ايضا وفرحت وايقنت انه الوحى لان الشيطان لا يأمر بالتكبير ونحوه ودخل فيه تكبير الصلاة وان لم يكن فى اوآئل النبوة صلاة وذلك لان الصلاة عبارة عن اوضاع وهيئات كلها تعطى التقييد والله منزه عن جميع التعينات فلزم التكبير فيها لان وجه الله يحاذى وجه العبد حينئذ على ما ورد فى الخبر الصيح والفاء لمعنى الشرط كأنه قيل ما كان اى اى شئ

حدث فلا تدع تكبيره ووصفه بالكبرياء او للدلالة على ان المقصود الاول من الامر بالقيام ان يكبر ربه وينزهه عن الشرك فان اول ما يجب معرفة الصانع ثم تنزيهه عما لا يليق بجنابه فالفاء على هذا تعقيبية لا جزآئية.

واعلم ان كبرياءه تعالى ذاتى له قائم بنفسه لا بغيره من المكبرين فهو اكبر من أن يكبره غيره بالتكبير الحادث ولذا قال عليه السلام (ليلة المعراج لا احصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) فهو المكبر والمثنى لذاته بذاته بتكبير وثناء قديم من الازل الى الأبد.

٤

{ وثيابك فطهر } جمع ثوب من اللباس اى فطهرها مما ليس بطاهر بحفظها وصيانتها عن النجاسات وغسلها بالماء الطاهر بعد تلطخها فانه قبيح بالمؤمن الطيب أن يحمل خبيثا سوآء كان فى حال الصلاة او فى غيرها وبتقصيرها ايضا فان طولها يؤدى الى جر الذيول على

القاذورات فيكون التطهير كناية عن التقصير لانه من لوازمهومعنى التقصير

أن تكون الى اتصاف الساقين اولى الكعب فانه عليه السلام جعل غاية

طول الازار الى الى الكعب وتوعد على ما تحته بالنار . وحضرت

مرتضى رضى الله عنه كفت كوتاه كن جامه را . فانه أتقى واتقى وابقى

وهو اول ما أمر به عليه السلام من رفض العادات المذمومة فان المشركين

ما كانوا يصونون ثيابهم عن النجاسات وفيه انتقال من تطهير الباطن الى

تطهير الظاهر لان الغالب ان من نقى باطنه أبى الا الاجتناب الخبث

وايثار الطارة فى كل شئ فان الدين بنى على النظافة ولا يدخل الجنة الا

نظيف والله يحب الناسك النظيف وفى الحديث (غسل الاناء وطهارة

الفناء يورثان الغنى) وفى المرفوع (نظفوا أفواهكم فانها طرق القرءآن) قال

الراغب الطهارة ضربان طهارة جسم وطهارة نفس وقد حمل عليهما عامة

الآيات وقوله وثيابك فطهر قيل معناه نفسك نزهها عن المعايب

انتهى او طهر قلبك كما فى القاموس او اخلاقك فحسن قاله الحسن وفى

الخبر حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار او عملك

فأصلح كما فى الكواشى ومنه الحديث (يحشر المرء فى ثوبيه اللذين مات فيهما) اىعمليه الخبيث والطيب كما فى عين المعانى وانه ليبعث فى ثيابه اى اعماله كما فى القامو او اهلك فطهرهم من الخطايا بالوعظ والتأديب والعرب تسمى الاهل ثوبا ولباساقال تعالى هن لباس لكم وانتم لباس لهن (كما فى كشف الاسرار) وقال ابن عباس لا تلبسها على معصية ولا على غدار البسها وأنت بر طاهر كما فى فتح الرحمن قال الشاعر

وانى بحمد الله لاثوب فاحر ... لبست ولا من غدرة أتقنع

وذلك ان الغادر والفاجر يسمى دنس الثيات كما ان اهل الصدق والوفاء يسمى طاهر الثياب.

ودرنفحات ازشيخ ابو الحسن شاذلى قدس سره نقل ميكندكه حضرت رسالت را صلّى الله عليه وسلّم درخواب ديدم ومرا كفت اى على طهر ثيابك من الدنس تحفظ بمدد الله فى كل

نفس يعنى باكيزه كردان جامهاى خود را از جرك تابهره مند كردى بمدد وتأييد خداى تعالى درهر نفسى كفتم يا رسول الله ثياب من كدامست فرمودكه برتو حق تعالى بنج خلعت بوشانيد خلعت محبت وخلعت معرفت ووخلعت توحيد وخلعت ايمان وخلعت اسلام هركه خدا يرا دوست دارد بروى آسان شود هرجيز وهركه خدا برابشنا سد در نظروى خردنمايد هرجيز وهركه خدا يرا به يكانكى بداند بوس شريك نياردهيج جيزرا وهركه خداى تعالى را ايمان آردايمن كردداز هرجيزوهركه باسلام متصف بودخدا يراعاصى نشود واكرعاصى شوداعتذار كندوجون اعتذار كندقبول افتد بفضل الله تعالى بس شيخ فرمود ازاينجا دانستم قول خدا يرا وثيابك فطهر

درتو بوشيد لطف يزدانى ... خلعتى از صفات روحانى

دارش ازلوث خشم وشهوت دور ... تابيا كيزكى شوى مشهور

٦

{ ولا تمنن تستكثر } برفع تستكثر لانه مستقبل فى معنى الحال اى ولا تعط مستكثرا اى رآئيا لما تعطيه كثيرا او طالبا للكثير عى انه نهى عن الاستغزار وهو أن يهب شيأ وهو يطمع أن يتعوض من الموهب له اكثر مما اعطاه وهو جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته اى يعوض منها والغزارة بالغين المعجمة وتقديم الزاى الكثرة فهو اما للتحريم وهو خاص برسول الله عليه السلام لعلو منصبه فى الاخلاص الحسنة ومن ذلك حلت الزكاة لفقرآء امته ولم تحل له ولأهله لشرفه او للتنزيه للكل اى له ولامته وقال بعضهم هو من المنة لان من يمن بما يعطى يستكثره ويعتد به والمنة تهدم الصنيعة خصوصا اذا من بعمله على الله بأن يعده كثيرا فان العمل من الله منة عليه كما قال تعالى بل الله يمن عليكم ومن شكر طول عمره بالعبادة لم يقض شكر نعمة الايجاد فضلا عما لا يحصى من انواع الجود.

٧

{ ولربك فاصبر } اى فاصبر لحكم ربك ولا تتألم من اذية المشركين فان المأمور بالتبليغ لا يخلو عن اذى الناس ولكن بالصبر يستحيل المر حلوا وبالتمرن يحصل الذوق

تحمل جو زهرت نما يدنخست ... ولى شهد كردد جودر طبع رست

وقال بعض اهل المعرفة اى جرد صبرك عن ملاحة الغير فى جميع المراتب اى فى الصبر عن المعصية والصبر على الله والصبر فى البلاء كما قال تعالى واصبر وما صبرك الا بالله وقال القاشانى يا أيها المدثر اى المتلبس بدثار البدن المتحجب بصورته قم عمار كنت اليه وتلبست به من اشغال الطبيعة وانتبه من رقدة الغفلة فأنذر نفسك وقواك وجميع من عداك عذاب يوم عظيم وان كنت تكبر شيأ وتعظم قدره فخصص ربك بالتعظيم والتكبير لا يعظم فى عينك غيره وليصغر فى قلبك كل ما سواه بمشاهدة كبريائه وظاهرك فطهره اولا قبل تطهير باطنك عن مدانس الاخلاق وقباح الافعال ومذام العادات ورجز الهيولى المؤدى الى

العذاب . فاهجر اى جرد باطنك عن اللواحق المادية والهيئات الجسمانية الفلسقة والغواشى الظلمانية والهيولانية ولا تعط المال عند تجردك عنه مستغزرا طالبا للاعواض والثواب والكثير به فان ذلك احتجاب بالنعمة عن المنعم وقصور همه بل خالصا لوجه الله افعل ما تفعل صابرا على الفضيلة له لا لشئ آخر غيره.

٨

{ فاذا نقر فى الناقور } الناقور بمعنى ما ينقر فيه والمراد الصور وهو القرن الذى ينفخ فيه اسرافيل مرة للاصعاق واخرى للاحياء فاعول من النقر بمعنى التصويت واصله القرع الذى هو سبب الصوت يعنى جعل الشئ بحيث يظهر منه الصوت بنوع قرع والمراد هنا النفخ اذ هو نوع ضرب للهوآء الخارج من الحلقوم اى فاذا نفخ فى الصور والفاء للسببية اى سببية ما بعدها لما قبلها دون العكس فهى بمعنى اللام السببية كأنه قيل اصبر على اذاهم فبين ايديهم يوم هائل يلقون فيه عاقبة اذا هم وتلقى عاقبة صبرك عليه والعامل فى اذا ما دل عليه قوله تعالى.

٩

انظر تفسير الآية: ١٠

١٠

{ فذلك يومئذ يوم عسير * على الكافرين } فان معناه عسر الامر على الكافرين من جهة العذاب وسوء الحساب وذلك اشارة الى وقت النقر وهو مبتدأ ويومئذ بدل منه بمنى على الفتح لاضافة الى غير متمكن وهو اذ والتقدير اذ نقر فيه والخبر يوم عسير وعلى متعلقة بعسير دل عليه قوله تعالى وكان يوما على الكافرين عسيرا كأنهقيل فيوم النقر يوم عسير عليهم

{ غير يسير } خبر بعد خبر وتأكيد لعسره عليهم لقطع احتمال يسره بوجه دون وجه مشعر تيسره على المؤمنين ثم المراد به يوم النفخة الثانية التى يحيي الناس عندها اذ هى التى يخص عسرها بالكافرين جميعا

واما النفخة الاولى فهى مختصة بمن كان حيا عند وقوعها وقد جاء فى الاخبار ان فى الصور ثقبا بعدد الارواح كلها وانها تجمع فى تلك الثقب فى النخفة الثانية فيخرج عند النفخ من كل ثقبة روح الى الجسد الذى نزع منه فيعود الجسد حيا باذن الله تعالى وفى الحديث كيف انعم وصاحب القرن قد التقم قرنه ينظر متى يؤمر أن ينفخ فيه فقيل له كيف نصنع قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل وقال القاشانى ينقر فى البدن المبعوث فينقش فيه الهيئات السيئة المردية الموجبة للعذاب او الحسنة المنجية الموجبة للثواب ولا يخفى عسر ذلك اليوم على المحجوبين على احد وان خفى يسرة على غيرهم الا على المحققين من اهل الكشف والعيان.

١١

{ ذرنى ومن خلقت وحيدا } حال اما من الياء اى ذرنى وحدى معه فانى اكفيكه فى الانتقام منه او من التاء اى خلقته وحدى لم يشركنى فى خلقه احدا وأمن العائد المحذوف اى ومن خلقته وحيدا فريدا لا مال له ولا ولد نزلت فى الوليد بن المغيرة المخزومى وكان يلقب فى قومه بالوحيد

زعما منهم انه لا نظير له فى وجاهته ولا فى ماله وكان يفتخر بنفسه ويقول أنا الوحيد ابن الوحيد ليس لى فى العرب نظير لا لأبى المغيرة لنظير أيضا فسماه الله بالوحيد تهكما به واستهزآء بلقبه كقوله تعالى ذق انك أنت العزيز الكريم وصرفا له عن الغرض الذى يؤمونه من مدحه الى جهة ذمه بكونه وحيدا من المال والولد أو وحيدا من أبيه ونسبه لانه كل زنيما وهو من ألحق بالقوم وليس منهم كما مر أو وحيدا فى الشرارة والخباثة والدناءة.

١٢

{ وجعلت له مالا ممدودا } اى مبسوط اكثير وهو ما كان له بين مكة والطائف من صنوف الاموال وقال النورى كان له ألف ألف دينار.

١٣

{ وبنين } ودادم اورا بسران

{ شهودا } جمع شاهد مثل قاعد وقعود وشهده كسمعه حضره اى حضورا معه بمكة يتمتع بمشاهدتهم لا يفارقونه للتصرف فى

عمل او تجارة لكونهم مكفيين لوفور نعمهم وكثرة خدمهم او حضورا معه فى الاندية والمحافل لوجاهتهم واعتبارهم وكان له عشرة بنين اسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة قاله المفسرون واطبق المحدثون على ان الوليد بن الوليد اسلم وعمارة قتل كافرا اما يوم بدرأ وفى الحبشة على يد النجاشى قال السهيلى رحمه الله هم هشام بن الوليد والوليد بن الوليد وخالد بن الوليد الذى يقال له سيف الله

واما غير هؤلاء ممن مات منهم على دين الجاهلية فلم نسمه.

١٤

{ ومهدت له تمهيدا } وبسطت له الرياسة والجاه العريض فأتممت عليه النعمة فان اجتماع المال والجاه هو الكمال عند اهل الدنيا ولذا كان يلقب ريحانة قريش والريحان نبت طيب الرآئحة والولد والرزق وفى التأويلات النجمية يشير الى الوليد بن مغيرة النفس الوحيدة فى الشر والظلم والجور والجهل وكثرة اموال اعماله السيئة الذميمة وثروة اجناس اخلاقه الذميمة

والى بنى اتباعه الخبيثة الخسيسة وبسطة وسلطنته ورياسته ووجاهته عند ارباب النفوس المتمردة عن اوامر الحق ونواهيه المعربدة مع الحق واهاليه وهم القوى الطبيعية الظلمانية يعنى دعنى واياه فانى اسلط عليه أبا بكر الخفى وعمر الروح وعثمان السر وعلى القلب حتى انهم بأنوار روحانيتهم يطمسون ظلمات نفسانية ويغيرون على اعماله ويقتلون بنى اتباعه وشيعته ويطوون بساط سلطنته ويسدون باب بسطته.

١٥

{ ثم يطمع } يرجو

{ ان ازيد } على ما اوتيه من المال والولد وثم استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه اما لانه لا مزيد على ما اوتيه سعة وكثرة يعنى انه اوتى غايه ما اوتى عادة لا مثالهاو لانه مناف لما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم اى لا يجمع له بعد اليوم بين الكفر والمزيد من النعم.

١٦

{ كلا } ردع وزجر له عن طمعه الفارغ وقطع لرجائه الخائب فيكون متصلا بما قبله

{ انه كان لآياتنا عنيدا } يقال عند خالف الحق ورده عارفا به فهو عنيد وعاند يعنى منكر وستيزه كننده.

والمعاندة المفارقة والمجانبة والمعارضة بالخلاف كالعناد والعنيد هنا بمعنى المعاند كالجليس والاكيل والعشير بمعنى المجالس والمؤاكل والمعاشر وهو تعليل لما قبله على وجه الاستئناف التحقيقى فان معاندة آيات المنعم وهى الآيات القرء آتية مع وضوحها وكفران له مع سبوغها مما يوجب حرمانه بالكلية وانما اوتى ما اوتى استدراجا وتقديم لآياتنا على متعلقه وهو عنيدا يدل على التخصيص فتخصيص العناد بها مع كونه تاركا للعناد فى سائر الاشياء يدل على غاية الخسران قيل ما زال بعد نزل هذه الآية فى نقصان من ماله حتى هلك وهو فقير.

آنكس كه نصيحت زعزيزان نكند كوش ... بسيار بخايد سر انكشت ندامت

١٧

{ سائرهقه صعودا } قال الراغب رهقه الامر غشيه بقهر يقال رهقته وارهقته مثل ردفته واردفته وتبعته واتبعته ومنه ارهقت الصلاة اى اخرتها حتى غشى وقت الاخرى والصعود العقبة الشاقة ويستعار لكل مشاق وهو مفعول ثان لأرهق وفى بعض التفاسير صعودا اما فعول بمعنى فاعل يستوى فيه المذكر والمؤنث مثل عقبة كؤود فيكون من قبيل تسمية المحل باسم الحال أو بمعنى مفعول من صعده وهو الظاهر فيكون تذكيرة اما باعتبار كون موصوفه طريقا او باتباع مثل كؤود والمعنى سأكلفه كرها بدل ما يطمعه من الزيادة ارتقاء عقبة شاقة المصعد على حذف المضاف بحيث تغشاه شدة ومشقة من جميع الجوانب على ان يكون الارهاق تكليف الشئ العظيم المشقة بحيث تغشى المكلف شدته ومشقته من جميع الجوانب وقال الغزالى رحمه الله حالة تصعد فيها

نفسه للنزع وان لم يتعقبه موت انتهى وهو مثال لما يلقى من العذاب الصعب الذى لا يطاق ويجوز أن يحمل على حقيقته كما قال عليه السلام (الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى كذا ابدا) يعنى بر بالاى آن نتوان رفت اورادر زنجير هاى آتشين كشيده ازبيش مى كشندوازعقب كرزهاى آتشين كشيده از بس مى كشند وازعقب كرزهاى آتشين ميزنند تار آنجا ميروددر هفتا دسال وبازكشتن وزير افتادن او همجنين است.

قوله سبعين خريفا اى سبعين عاما لان الخريف آخر السنة فيه تتم الثمار وتدرك فصار بذلك كأنه العام كله وهذا كما تسمى العلة الصورة بعلة تامة لذلك قال فى القاموس الخريف كأمير ثلاثة اشهر بين القيظ والشتاء تخترف فيها الثمار اى تجتنى وعنه عليه السلام يكلف ان يصعد عقبه فى النار كلما وضع يده عليه ذات فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت.

١٨

{ انه فكر وقدر } تعليل للوعيد واستحاقه له من التفكير بمعنى التفكر والتأمل كما قال فى تاج المصادر التفكير انديشه كردن . والتقدير اندازه وتهيئه كردن .اى فكر ماذا يقول فى حق القرءآن وشأنه من جهة الطعن وقدر فى نفسه ما يقوله وهياه.

١٩

{ فقتل كيف قدر } تعجيب من تقديره واصابته فيه الغرض الذى كان ينتحيه قريش قاتلهم الله او ثناء عليه بطريق الاستهزآء به على معنى ان هذا لذى ذكره وهو كون القرءآن سحرا فى غاية الركاكة والسقوط او حكاية لما ذكروه من قولهم قتل كيف قدر تهكما بهم وباعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله ومعنى قولهم قتله الله ما اشجعه وأخواه الله ما اشعره الاشعار بانه قد بلغ من الشجاعة والشعر مبلغا حقيقا بأن يدعو عليه حاسده بذلك وقد سبق فى قاتلهم الله فى المنافقين مزيد البيان (روى) ان الوليد مر بالنبي عليه السلام وهو يقر أحم السجدة وفى بعض التفاسير فواتح سورة حم المؤمن فقال لبنى مخزوم والله لقد سمعت

من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له

لحلاوة وان عليه لطلاوة اى حسنا وبهجة وقبولا وان اعلاه لمثمر وان اسفله

لمغدق اى كثير الماء شبه القرءآن بالشجرة الغضة الطرية التى استحكم

اصلها بكثرة الماء واثمرت فروعها فى السماء واثبت له اعلى واسفل ولأعلاه

الاثمار ولأسفله الاغداق على طريق التخييل (قال الكاشفى) مراورا

حلاوتى وعذوبتى هست كه هيج سخن رانباشد وبروى طراوتى وتازكى

هست كه هيج حديثى رانبود اعلاى ن نهال مثمر سعادات كليه واسفل

اين شجره طيبه عروق فضائل وحكم عليه است . ثم قال الوليد وانه يعلو

ولا يعلى فقالت قريش صبأ والله الوليد اى مال عن دينه وخرج الى دين

غيره والله لتصبأن قريش كلهم اى بمتابعته لكونه رئيس القوم فقال ابن أخيه

أبو جهل أنا اكفيكموه فقعد عنده حزينا وكلمه ما احماء اى اغضبه.

يعنى كفت كه قريش ميكويند توسخنان محمدرا عليه

السلام بسند ميدهى وآنرا بزرك ميدارى وثنا ميكويى تا ازفضله طعام ايشان

بهره بردارى اكرجنين است تاهمه قريش فراهم شوند وترا كفايتى حاصل

كنندتا ازطعام ايشان بى نياز شوى ولييد اين سخت او ابو جهل بشنيد

درخشم شد كفت الم تعلم قريش انى من اكثرهم مالا وولدا واين اصحاب

محمد خودهركز ازطعام سير نشوند واز فقر وفاقه نياسايندجه صورت

بنددكه ايشانرا فضله طعام بودتابديكرى دهند بس هردوبر خاستتد وبرا

انجمن قريش شادند وليد كفت شما كه قريش ايدبدانيدكه حال وكار ابن

محمد در عرب منتشر كشت وموسم حج نزديكست كه عرب مى آيند

وازحال وى برسند جواب ايشان جه خواهيداد . تزعمون انه مجنون فهل

رأيتموه يخنق لان العرب كانت تعتقد ان الشيطان ويخنق المجنون ويتخبطه

وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رأيتموه

يتعاطى شعرا قط وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيأ من الكذاب

فقالوا فى كل ذلك اللهم لاثم قالوا فما هو وما تقول فى حقه ففكر فقال

ما هو الا ساحرا أما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه وما الذى

يقوله الا سحر يأثره عن اهل بابل فارتج النادى فرحا وتفرقوا

معجبين بقوله متعجبين منه راضين به.

٢٠

{ ثم قتل كيف قدر } تكرير للتعجيب للمبالغة فى التشتيع وثم للدلالة على ان النكرة الثانية فى التعجيب ابلغ من الاولى اى للتراخى بحسب الرتبة وان اللائق فى شأنه ليس الا هذا القول دعاء عليه وفيما بعد على اصلها من الترخى الزمانى.

٢١

{ ثم نظر } اى فى القرءآن مرة بعد مرة وتأمل فيه.

٢٢

{ ثم عبس } فقلت وجه يعنى روى فاهم كشيد وترش كرفت.

لأن لم يجد فيه مطعنا ولم يدر ماذا يقول

{ وبسر } اتباع لعبس قال سعدى المفتى لكن عطف الاتباع على المتبوع غير معروف والظاهر ان كلا منهما له معنى مغاير لمعنى الآخر فعبس بمعنى قطب وجهه وبسر بمعنى قبض ما بين عينيه من السوء واسود

وجهه منه ذكره الحلبى والعدة عليه وقال الراغب البسر الاستعجال بالشئ قبل اوانه نحو ابسر الرجل حاجته طلبها فى غير اوانها وقوله ثم عبس وبسر اى اظهر اعبوس قبل اوانه وفى غير وقته انتهى.

٢٣

{ ثم أدبر } عن الحق

{ واستكبر } عن اتباعه

{ فقال } عقيب توليه عن الحق.

٢٤

{ أن } نافية بمعنى مالذا اورد الا بعدها

{ هذا } الذى يقوله محمد عليه السلام اى القرءآن

{ الا سحر يؤثر } اى يروى ويتعلم من الغير وليس هو من سحره بنفسه يقال ثارت الحديث آثره اثرا اذا حدثت به عن قوم فى

آثارهم اى بعد ما ماتوا هذا هو الاصل ثم كان بمعنى الرواية عمن كان وحديث مأثور اى منقول ينقله خلف عن سلف وادعية مأثورة اى مروية عن الاكابر وفى تعلم السحر لحكمة رخصة واعتقاد حقيته والعمل به كفر كما قيل (عرفت الشر لا للشر لكنى لتوقيه . ومن لم يعرف الشر من الناس يقع فيه) وقد سبق معناه وما يتعلق به فى مواضعه.

٢٥

{ ان هذا } ما هذا

{ الا قول البشر } تأكيد لما قبله ولذا اخلى عن العاطف قاله تمردا وعنادا لا على سبيل الاعتقاد لما روى قبل انه اقر بأن القرءآن ليس من كلام الانس والجن وأراد بالبشر يسار وجبرا وأبا فكيهة اما الاولان فكانا عبدين من بلاد فارس وكانا بمكة وكان النبى عليه السلام يجلس عندها

واما أبو فكيهة فكان غلاما روميا يتردد الى مكة من طرف مسيلمة الكذاب فى اليمامة.

٢٦

{ سأصليه سقر } اى ادخله جهنم لما قال فى الصحاح سقر اسم من اسماء النار وقال ابن عباس رضى الله عنهما اسم للطبقة السادسة من جهنم يقال سقرته الشمس اذا آذته وآلمته وسميت سقر لا يلامها قوله سأصليه سقر بدل من سارهقه صعود ابدل الاشتمال سوآء جعل مثلا لما يلقى من الشدآئد أو اسم جبل من نار لان سقر تشتمل على كل منهما.

٢٧

{ وما ادراك ما سقر } ما الاولى مبتدأ وادراك خبره وما الثانية خبر لقوله سقر لانها المفيدة لما قصد افادته من التهويل والتفظيع دونن

العكس كما سبق فى الحاقةوالمعنى اى شئ اعلمك ما سقر فى وصفها يعنى انه خارج عن دآئرة ادراك العقول ففيه تعظيم لشأنه.

٢٨

{ لا تبقى ولا تذر } بيان لوصفها وحالها وانجاز للوعد الضمنى الذى يلوح به وما ادراك ما سقر أى لا تبقى شيأ يلقى فيها الا اهلكته بالاحراق واذا هلك لم تذره هالكا حتى يعاد خلقا جديدا وتهلكه اهلاكا ثانيا وهكذا كما قال تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها او لا تبقى على شئ اى لا تترحم عليه ولا تدعه من الهلاك بل كان ما يطرح فيها هالك لا محالة لانها خلقت من غضب الجبال قال فى تهذيب المصادر الابقاء باقى كردن ونيز شفقت بردن .

وقيل لا تبقى حيا ولا تذر ميتا كقوله تعالى ثم لا يموت فيها ولا يحيى.

٢٩

{ لواحة للبشر } يقال لاحت النار الشئ اذا احرقته وسودته ولاحه السفر او العطش اى غيره وذلك ان الشئ اذا كان فيه دسومة فاذا احرق اسود والبشر جمع بشرة وهى ظاهر جلد الانسان اى مغيرة لأعلى الجلد وظواهره مسودة لها قيل تلفح الجلد لفسحة فتدعه اشدسوادا من الليل فان قلت لا يمكن وصفها بتسويد البشرة معقوله لا تبقى ولا تذر قلت ليس فى الآية دلالة على انها تفنى بالكلية مع انه يجوز ان يكون الافناء بعد التسويد

وقيل لائحة للناس على ان لواحة اسم فاعل من لاح يلوح اى ظهر وأن البشر بمعنى الناس قيل انهها تلوح للبشر من مسيرة خمسمائة عام فهو كقوله تعالى وبرزت الجحيم لمن يرى فيصل الى الكافر سمومها وحرورها كما يصل الى المؤمن ريح الجنة ونسيمها من مسيرة خمسمائة عام.

٣٠

{ عليها } اى على سقر

{ تسعة عشر } اى ملكا يتولون امرها ويتسلطون على اهلها

وهم مالك وثمانية عشر معه أعينهم كالبرق الخاطف وانيابهم كالصياصى

واشعارهم تمس اقدامهم يخرج لهب النار من افواههم ما بين منكى احدهم

مسيرة سنة نزعت منهم الرأفة والرحمة يأخذ أحدهم سبعين أفا فى كفه

ويرميهم حيث أراد من جهنم قيل هذه التسعه عشر عد الرؤساء والنقباء

واما جملة اشخاصهم فكما قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا

هو فيجوز أن يكون لكل واحد منهم أعوان لا تعد ولا تحصى ذكر ارباب

المعانى والمعرفة فى تقدير هذا العدد وتخصيصه وجوها

منها ان سبب فساد النفس الانسانية فى قوتها النظرية والعلمية هو

القوى الحيوانية والطبيعية فالقوى الحيوانية هى الخمس الظاهرة والخمس

الباطنة والشهوة والغضب ومجموعها اثنتا عشرة

واما القوى الطبيعية فهى الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة
والغاذية والنامية والمولدة فالمجموع تسع عشرة قال ابن الشيه والمراد بالقوى
الحيوانية القوى التى تختص بالحيوان من بين المواليد الثلاثة الحيوان والنبات
والمعدن وهى قسمان مدركة وافعله فالاركة اى مالها مدخل فى الادراك
بالمشاهدة والحفظ عشر وهى الحواس لخمس الظاهرة والخمس الباطنة
والفاعلة اى مالها مدخل فى الفعل اما باعثة او محركة وهما اثنتان الشهوة
والغصب والقوى الطبيعية هى القوى التى تختص بالحيوان بل توجد فى
النبات ايضا وهى سبع ثلاث منها مخدومة وهى الغاذية والنامية والمولدة
واربع منها خوادم وهى الجاذبة والهاضمة والماسكة والدافعة فلما كان منشأ
الآفات هو هذه القوى التسع عشرة كان عدد الزبانية هكذا قال سعدى
المفتى وأنت خبير بأن اثبات هذه القوى بناؤه على الاصول الفلسفية ونقى
الفاعل المختار فيصان تفسير كلام الله عن امثاله اى وان ذكرها الامام فى
التفسير الكبير وتبعه من بعده وقال ايضا والحق ان يحال علمه الى الله
تعالى فالمعقول البشرية قاصرة عن ادراك امثاله انتهى ويرده ما قال الامام

السهيلى فى الامالى ان النكتة التى من اجلها كانوا تسعة عشر عددا ولم يكونوا اكثرأ وأقل فلعمرى ان فى الكتاب والسنة لدليلا عليها واشارة اليها ولكنها كالسر المكنون والناس اسرع شئ الى انكار ما لم يألفوه وتزييف مالم يعرفوه ولا يؤمن فى نشرها وذكرها سوء التأويل لقصورا كثير الافهام عن الوعى والتحصيل مع قلة الانصاف فى هذا الجبل انتهى

ومنها ان أبواب جهنم سبعة سنة منها للكفار وواحد للفساق ثم ان الكفار يدخلون النار الستة ثلاثة ترك الاعتقاد وترك الاقرار وترك العمل فيكون لكل باب من تلك الابواب الستة ثلاثة فالمجموع ثمانيه عشروا ما باب الفساق فليس هانك الا ترك العمل فالمجموع تسعة عشر

ومنها ان الساعات اربع وعشرون خمس منها مشغولة بالصلوات الخمس فيبقى منها تسع عشرة مشغولة بغير العبادة مصروفة الى ما يؤاخذ به بأنواع العذاب يعنى انه لم يخلق فى مقابلة الخمس التى جعلت مواقيت الصلاة زبانية تكريما لها فلا يلزم الاختصاب المصلين من عصاة المؤمنين كما فى حواشى سعدى المفتى فلا جرم صار عد الزبانية تسعه عشر ومنها

انه تعالى حفظ جهنم بما حفظ به الارض ومن الجبال وهى مائة وتسعون اصلها تسعة شعر

ومنها ان المدبرات للعالم النجوم السيارة وهى سبعة والبروج الاثنى عشر الموكلة بتدبير العالم السفلى المؤثرة فيه تقمعهم بسياط التأثير وترديهم فى مهاويها

ومنها ما قال السجاوندى فى عين المعانى قد تكلموا فى حكمة العدد على انه لا تطلب للاعداد العلل فان التسعة اكثر الآحاد والعشرة اقل العشر ان فقد جمع بين اكثر القليل واقل الكثير يعنى ان التسعة عشر عدد جامع بينهما فلهذا كانت الزبانية على هذا العدد (ومنها ما قال فى كشف الاسرار ان قوله بسم الله الرحمن الرحيم)تسعة عشر حرفا وعدد الزبانية تسعة عشر ملكا فيدفع المؤمن بكل حرف منها واحدا منهم وقد سبقت رحمته غضبه ومنها ما لاح لهذا الفقير قيل الاطلاع على ما فى كشف الاسرار وهو أن عدد حروف البسملة تسعة عشر (كما قال المولى الجامى)

نوزده حر فست كه هزده هزار ... عالم ازو يافته فيض عميم

ولما كانت البسملة آية الرحمة والكفار والفساق لم يقبلوه هذه الآية حيث سلكوا سبيل الكفر والمعاصى خلق الله فى مقابلة كل حرف منها ملكا من الغضب والجلال وجعله آية الغضب كما جعل خازن الجنة آية الحرمة دل على ما قلنا قوله عليه السلام يسلط على الكافر فى قبره تسعة وتسعون تنينا وهو اكبر الحيات بالفارسيةازدر.

فى فمه انياب مثل اسنة المراح وهو طويل كالنخلة السحوق أحمر العينين مثل الدم واسع الفم والجوف يبتلع الانسان والحيوان وسره انه كفر بالله وباسمائه الحسنى التى هى تسعة وتسعون فاستحق ان يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا بعدها فى قبره الذى هو حفرة من حفر النيران فلا يلزم ان يسلط عليه ذلك العدد فى النار فالتسع عدد القهر والحصر

والانقراض لانه ينقرض عن اهل النار امداد الرحمة الرحيمية

ومنها ما فى التأويلات النجمية من ان اختلال النفوس البشرية بحسب العمل والعلم والدخول فى جهنم البعد والطرد واللعن والحجاب والاحتجاب مترتب على موجباتها وهى تسعة غير الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة وهى الاعضاء والجوارح السبع التى ورد بها الحديث بقوله عليه السلام (امرت ان اسجد على سبعة اعضاء وآراب) والطبيعة البشرية المشتملة على الكل المؤثرة فى الكل بحسب الظاهر والباطن ويجوز أن تكون القوة الغضبية والشهوية بدل الطبيعة فصار الكل تسعة عشر

٣١

ثم اعلم ان الله قد جعلفى هذ العالم العنصرى خلقا من جنسهم ولاة عليهم نظير العالم العلوى فمنهم الرسل والخلفاء والسلاطين والملوك وولاة امور جميع العالم من القضاءة واضرابهم ثم جعل بين ارواح هؤلاء الولاة الذين هم فى الارض والولاة الذين هم فى السموات مناسبات ودقائق تمتد اليهم بالعدل مطهرة من الشوآئب مقدسة عن العيوب فيقبل هؤلاء الولاة

الارضيون منهم بحسب استعدادتهم فمن كان استعداده حسنا قويا قبل ذلك الامر على صورته طاهرا مطهرا فكان والى عدل وامام فضل ومن كان استعداده رديئا قبل ذلك الامر الطاهر ورده الى شكله من الردآءة والقبح والجور فكان والى جور ونائب ظلم وبخل فلا يلومن الا نفسه فهذه امهات مراتب حكام العالم اصحاب المراتب على سبيل الاجمال

واما لرعية فلا يحصى عددهم الا الله ولله تعالى فى الر ملائكة لا يصعدون الى السماء أبدا ولمائكة فى السماء لا ينزلون الى الارض أبدا كل قد علم صلاته وتسبيحه بالهام من الله تعالى كذا فى كتاب الجواهر للامام الشعرانى رحمه الله

{ وماهى } اى سقر وذكر صفتها

{ الا ذكرى للبشر } الا تذكرة وعظمة وانذار لهم بسوء عاقبة الكفر والضلال وتخصيص الانس مع انها تذكرة للجن ايضا لانهم هم الاصل فى القصد بالتذكرة اووما عدة الخزنة الا تذكرةلهم ليتذكروا ويعلموا

ان الله قادر على ان يعذب الكثير الغير المحصور من كفار الثقلين وعصاتهم بهذا العدد بل هو لا يحتاج فى ذلك الى أعوان وانصار اصلا فانه لو قلب شعرة واحدة فى عين ابن آجم او سلط الألم على عزق واحد من عروق بدنه لكافه ذلك بلاء ومحنة وانما عين العدد وخلق الجنود لحكمة لا لاحتياج ويجوز أن يعود الضمير الى الآيات الناطقة باحوال سقر فانها تذكرة لاشتمالها على الانذار.

٣٢

{ كلا } ردع لمن انكر سقر أى ارتدع عن انكارها فانها حق او انكار ونفى لان تكون لهم تذكرة فان كونها ذكرى للبشر لا ينافى ان بعضهم لا يتذكرون بل يعرضون عنها بسوء اختيارهم ألا يرى الى قوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين

{ والقمر } مقسم به مجرور بواو القسم يعنى سوكند بماه كه معرفت اوقات وآجال بوى باز بسته است . وفى فتح الرحمن تخصيص

تشريف وتنبيه على النظر فى عجائبه وقدرته فى حركاته المختلفة التى هى مع كثرتها واختلافها على نظام واحد لا يختل وقال أبو الليث وخالق القمر يعنى الهلال بعد ثالثة.

٣٣

{ والليل } معطوف على القمر وكذا الصبح يعنى وبحرمه شب

{ اذ } بسكون الذال وهو ظرف لما مضى من الزمان

{ ادبر } على وزن افعل اى الصرف وذهب فان الادبار نقيض الاقبال.

٣٤

{ والصبح } قال فى القاموس الصبح الفجر او اول النهار والجمع اصباح وفى المفردات الصبح والصباح اول النهار وهو وقت ما احمر الافق بحاجب الشمس

{ اذا } ظرف لما يستقبل من الزمان واتفقوا على اذا ههنا نظرا الى تأخره عن الليل من وجه

{ اسفر } اى ضاء وانكشف فان الاسفار بالفارسية روشن شدن.

قال الراغب السفر كشف الغطاء ويختص ذلك بالاعيان نحو سفر العمامة عن الرأس والخمار عن الوجه والاسفار يختص باللون نحو والصبح اذا اسفر اى شرق لونه ووجهه وأسفروا بالفجر تؤجروا من قولهم اسفرت اى دخلت فيه نحو أصبحت وفى قوت القلوب الفجر الثانى هو انشقاق شفق الشمس وهو بريق بياضاه الذى تحت الحمرة وهو الشفق الثانى على ضد غروبها لان شفقها الاول من العشاء هو الحمرة بعد الغروب وبعد الحمرة البياض وهوالشفق الثانى من اول الليل وهو آخر سلطان شعاع الشمس وبعد البيضا سواد الليل وغسقه ثم ينقلب ذلك على الضد فيكون بده طلوعها الشفق الاول وهو البياض وبعده الحمرة وهو شفقها الثانى وهو أول سلطانها من آخر الليل وبعده طلوع قرص

الشمس فالفجر هو انفجار شعاع الشمس من الفلك الاسفل اذا ظهرت على وجه ارض الدنيا يستر عينها الجبال والبحار والاقاليم المشرفة العالية ويظهر شعاعها منتشرا الى وسط الدنيا عرضا مستطيرا انتهى (قال الكاشفى) اقسم بالقمر اى باقلب المستعد الصافى القابل للانذار المتعظ به المنتفع بتذكره تعظيما وبليل ظلمه النفس اذأ دبرى أى ذهب بانقشاع ظلمتها عن القلب باشراق نور الروح عليه وتلالى طوالعه وبصبح طلوع ذلك اذ اسفر لزالت الظلمة بكليتها وتنور القلب انتهى فظهر من هذا حسن موقع ذكر القمر والليل والصبح فى مقام ذكر سقر ودواهيها لان سقر اشارة الى الطبيعة وجهنم النفس.

٣٥

{ انها لاحدى الكبر } جواب للقسم والكبر جمع الكبرى جعت الف التأنيث كتائه وألحقت بها فكما جمعت فعلة على فعل كركبة وركب جمعت فعلى عليها والا ففعلى لا تجمع على فعل بل على فعالى كحبلى وحبالى والمعنى ان سقر لاحدى البلايا او لاحدى الدواهى الكبر الكثيرة

وهى اى سقر واحد فى العظم لا نظيرة لها كقولك انه احد الرجال هذا اذا كان منكرا لسقر وان كان منكرا لعدة الخزنة فالمعنى انها من احدى الحجج اكبر نذير من قدرة الله على قهر العصاة من لدن آدم عليه السلام الى قيام الساعة من الجن والانس حيث استعمل على تعذيبهم هذا العدد القليل وان كان منكر الآيات فالمعنى انها لاحدى الآيات الكبر.

٣٦

{ نذيرا للبشر } تمييز من نسبة احدى الكبر الى اسم ان لان معناه انها من معظمات الدواهى التى خلقها الله للتعذيب فيصح ان ينتصب منه التمييز كما تقول هى احدى النساء عفافا والنذير مصدر كالنكير والمعنى لاحدى الكبر انذارا اى من جهة الانذار اول مما دلت عليه الجملة اى معنى قوله انها لاحدى الكبر أى كبرت مندرة وحذف التاء مع ان فعيلا بمعنى فاعل يفرق فيه بين المذكر والمؤنث لكون ضمير انها فى تأويلا العذاب او لكون النذير بمعنى ذات انذار على معنى النسب كقولهم امرأة ظاهر اى ذات طهارة.

{ لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر } بدل من للبشر باعادة الجار وان يتقدم مفعول شاء ومنكم حال من من اى نذيرا لمن يشاء منكم ان يسبق الى الخير والجنة والطاعة فيهديه الله او لم يشأ ذلك ويتأخر بالمعصية فيضله وفيه اشارة الى ان لكسب العبد دخلا فى حصول المرحومية والمحرومية وفى التأويلات النجمية اقسم بنور قمر الشريعة الزهرآء وبظلمة ليل الطبيعة الظلماء وبصبح الحقيقة البيضاء حين غلبت على غلس الطبيعة ان الجبود مظاهر احدى هذه المراتب الكلية الكبرى اما اهل الشريعة

واما اهل الحقيقة

واما اهل الطبيعة وقوله نذيرا للبشر اى جعلنا الحصر فى المراتب الثلاث الكلية ليتنبه الانسان ويحترز أن يكون من اهل الانذار لمن شاء منكم ان يتقدم الى مقام الشريعة او يتأخر الى مقام الطبعة ولما كان مقام

الحقيقة اعلى المراتب ولم يصل اليه الا النذر من الكمل اعرض عن ذكره انتهى ويجوز أن يكون اهل الحقيقة داخلا فى ان يتقدم لانه واهل الشريعة كل منهما من المتقدمين وان كان بينهما فرق فى التقدم وتفاوت فى السير والمسارعة والحاصل الا اهل ان ستعداد تقدموا باكتساب الفضائل والخيرات والكمالات الى مقام القلب والروح والسر وما غيرهم فتأخروا بالميل الى البدن وشهواته ولذاته فوقعوا فى ورطة الطبيعة.

٣٨

{ كل نفس } من نفوس الانس والجن المكلفين

{ بما كسبت رهينة } مرهونة عند الله بكسبها محبوسة ثابتة وفى بعض التفاسير بسبب ما كسبت من الاعمال السيئة من رهن الشيئ اى دام وثبت وارهنته اتركته مقيما عنده وثابتا والرهن ما وضع عندك لينوب مناب ما اخذ منك والمرتهن هو الذى يأخذ المرهون ونفس المكلف محبوسة ثابتة عند الله بما اوجبه عليه من التكاليف التى هى حق

خالص له تعالى فان اداها المكلف كما ودبت عليه فك رقبته وخلص

نفسه والا بقيت نفسه مرهونة محبوسة عنده وقال بعضهم الرهينة

اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم على ان تكون التاء للنقل من

الوصفية الى الاسمية وفى فتح الرحمن للمبالغة او على تأنيث اللفظ لا على

معنى الانسان ونحوه وليس اى الرهينة صفة والا لقيل رهين لان

فعيلا بمعنى مفعول لا تدخله التاء بل يستوى فيه المذكر والمؤنث الا ان

يحمل على ما هو بمعنى الفاعل فانه يؤتى فى مؤنثه بالتاء كما فى عكسه فى

قوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين قال الراغب قيل فى قوله كل

نفس بما كسبت رهينة انه فعيل بمعنى فاعل اى ثابتة مقيمة

وقيل بمعنى مفعول اى كل نفس مقامة فى جزآء ما قدم من علمها

ولما كان الرهن يتصور من حبسه استعير ذلك للمحتبس اى شئ كان.

٣٩

{ الا اصحاب اليمين } استثناء متصل من كل نفس لكثرتها فى المعنى واصحاب اليمين اهل الاعمال الصالحة من المؤمنين اى فانهم فاكون رقابهم بما احسنوا من اعمالهم كما يفك الراهن رهنه بأدآء الدين قال القاشانى كل نفس بمكسوبها رهن عند الله لا فكاك لها لاستيلاء هيئات اعمالها وآثار افعالها عليها ولزومها اياها وعدم انفكاكها عنها الا صحاب اليمين من السعدآء الذين تجردوا عن الهيئات الجسدانية وخلصوا الى مقام الفطرة ففكوا رقابهم من الرهن.

٤٠

{ فى جنات } كأنه قيل ما بال اصحاب اليمين فقيل هم فى جنات لا يكتنه كنهها ولا يوصف وصفها كما دل عليا التنكير والمراد ان كلا منهم ينال جنة منها { يتساءلون }

٤١

{ عن المجرمين } تفاعل هنا بمعنى فعل اى يسألون المجرمين عن احوالهم وقد حذف المسئول الكونه عين المسئول عنه ولدلالة ما بعده عليه (يروى) ان الله يطلع اهل الجنة وهم فى الجنة حتى يرون اهل النار وهم فى النار فيسألونهم.

٤٢

{ ما سلككم فى سقر } مقدر بقول هو حال مقدرة من فاعل يتساءلون اى قائلين اى شئ ادخلكم فيها وكان سبب لدخولكم من سلكت الخيط فى الابرة سلكااى ادخلته فيها فهو من السلك بمعنى الادخال لا من السلوك بمعنى الذهاب فان قلت لم يسألونهم وهم عالمون بذلك قلت توبيخا لهم وتحسيرا ولتكون حكاية الله ذلك فى كتابه تذكرة للسامعين قرأ ابو عمر وسلكم بادغال الكاف فى الكاف والباقون بالاظهار

{ قالوا } اي المجرمون مجيبين للسائلين.

٤٣

{ لم نك من المصلين } للصلوات الواجبة فعدم اقرارنا بفرضية الصلاة وعدم ادآئها سلكنا فيها أصله نكن حذف النون للتخفيف مع كثرة الاستعمال.

٤٤

{ ولم نك نطعم المسكين } على معنى استمرار نفى الاطعام لا على نفى استمرار الطعام والمراد ايضا الاطعام الواجب والا فما ليس بواجب من الصلاة والاطعام لا يجوز التعذيب على تركه وكانوا يقولون أنطعم من لو يشاء الله اطعمه فكانوا لا يرحمون المساكين بالاطعام ولا يحضون عليه ايضا كما سبق ففيه ذم للبخل ودلالة عى ان الكفار مخاطبون بالفروع فى حق المؤآخذة قال فى التوضيح الكفار مخاطبون بالايمان والعقوبات والمعاملات اجماعا اما العبادات فهم مخاطبون بها فى حق المؤآخذة فى الآخرة اتفاقا ايضا لقوله تعالى ما سلككم فى سقر الآيات اما

فى حق وجوب الآداء فمختلق فيه قال العراقيون من مشايخنا نعم وقال مشايخ ديارنالا وفى بعض التفاسير وللحنفى ان يقول هذا انما هو تأسف منهم على تفريطهم فى كسب الخير وحرمانهم مما ناله المصلون والمزكون من المؤمنين لا يلزم من ذلك ان يكونوا مأمورين بالعمل قبل الايمان.

٤٥

{ وكنا نخوض مع الخائضين } اى نشرع فى الباطل مع الشارعين فيه والمراد بالباطل ذم النبى عليه السلام واصحابه رضى الله عنهم وغيبتهم وقولهم بانه شاعر اوساحر او كاهن وغير ذلك والخوض فى الاصل بمعنى الشروع مطلقا فى اى شئ كان ثم غلب فى العرف بمعنى الشروع فى الباطل والقبيح ومالا ينبغى وفى الحديث اكثر الناس ذنوبا يوم القيامة اكثرهم خوضا فى معصية الله.

٤٦

{ وكنا نكذب بيوم الدين } اى بيوم الجزآء اضافوه الى الجزاء مع

ان فيه من الدواهى والاهوال ما لا غاية له لانه ادهاها وانهم ملابسوه وقد

مضت بقية الدواهى وتأخير جنايتهم هذه مع كونها اعظم من الكل اذ

هو تكذيب القيامة وانكارها كفر والامور الثلاثة المتقدمة فسق لتفخيمها

والترقى من القبيح الى القبيح كأنهم قالوا وكنا بعد ذلك كله مكذبين بيوم

الدين ولبيان كون تكذيبهم به مقارنا لسائر جناياتهم المعدودة مستمرا الى

آخر عمرهم حسبما ينطق به قولهم.

٤٧

{ حتى اتانا اليقين } اى الموت ومقدماته فانه امر متقن لا شك

فى اتيانه وبالفارسية نفد بما مرك ومقدمات او برهمان حال مرديم . فان

قلت أيريدون ان كل واحد منهم بمجموع هذه الاربع دخل النار أم دخلها

بعضهم بهذه وبعضهم بهذه قلت يحتمل الامرين جميعا كما فى الكشاف

وفيه اشارة الى ان بقاءهم فى سقر الطبيعة انما كان بسبب هذه الرذآئل

والذمائم.

{ فما تنفعهم شفاعة الشافعين } من الانبياء والملائكة وغيرهم اى لو قدر اجتماعهم على شفاعتهم على سبيل فرض المحال لا تنفعهم تلك الشفاعة فليس المراد أيهم يشفعون لهم ولا تنفعهم شفاعتهم اذا الشفاعة يوم القيامة موقوفة على الاذن وقابلية المحل فلو وقعت من أذون للقابل قبلت والكافر ليس بقابل لها فلا اذن فى الشفاعة له فلا شفاعة ولا نفع فى الحقيقة وفيه دليل على صحة الشفاعة ونفعا يومئذ لعصاة المؤمنين والا لما كان لتخصيصهم بعدم منفعة الشفاعة وجه قال ابن مسعود رضى الله عنه تشفع الملائكة والنبيون والشهدآء والصالحون وجميع المؤمنين فلا يبقى فى النار الا اربعة ثم تلا قوله قالوا لم نكن من المصلين الى قوله بيوم الدين وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان محمدا عليه السلام يشفع ثلاث مرات ثم تشفع الملائكة ثم الانبياء ثم الآباء ثم الابناء ثم يقول الله بقيت رحمتى ولا يدع فى النار الا من حرمت عليه الجنة ويقول

الرجل من اهل النار لواحد من اهل الجنة يا فلان اما تعرفنى أنا الذى سقيتك شربة ويقول آخر أنا الذى وهب لك وضوأ ويقول آخر أطعمتك لقمة وآخر كسوتك خرقة وعلى هذا فيشفع له فيدخله الجنة اما قبل دخول النار او بعده.

٤٩

{ فما لهم عن التذكرة معرضين } الفاء لترتيب أنكال اعراضهم عن القرءآن بغير سبب على ما قبلها من موجبات الاقبال عليه والاتعاظ به من سوء حال المكذبين ومعرضين حال من الضمير فى الجار الواقع خبرا لما الاستفهامية وعن متعلقة به اى فاذا كان حال المكذبين به على ما ذكر فأى شئ حصل لهم معرضين عن القرءآن مع تعاضد موجبات الاقبال عليه وتأكد الدواعى للايمان به وفى كشف الاسرار بس جه رسيدست ايشانرا كه ازجنين بندى روكردانيده انده يقال لاعراض يكون بالجحود وبترك الاتباع له.

٥٠

{ كأنهم حمر مستنفرة } حال من المستكن فى معرضين بطريق التداخل وحمر جمع حمار وهو معروف ويكون وحشيا وهو المراد هنا ومستنفرة من نفرت الدواب بمعنىهربت لا من نفر الحاج والمعنى مشبهين بحمر نادرة يعني خران رميدكان . فاستنفر بمعنى نفر كما ان استعجب بمعنى عجب وقال الزمخشرى كأنهم حمر تطلب النفار من نفوسها بسبب انهم جمعواهم نفوسهم للنفار وحملوه عليها فابقى السين على بابها من الطلب قال الراغب مستنفرة قد قرئ بفتح الفاء وكسرها فاذا كسر الفاء فمعناه نافرة واذا فتح فمعناه منفرة.

٥١

{ فرت من قسورة } اى من اسد لان الوحشية اذا عاينت الاسد تهرب اشد الهرب ومثل القسورة الحيدرة لفظا ومعنى وهى فعولة من القسر

وهو القهر والغلبة لانه يغلب السباع ويهقرها قال ابن عباس رضى الله عنهما القسورة هو الاسد بلسان الحبشة

وقيل هى جماعة الرماة الذين يتصيدونها (وقال الكاشفى) كريختند از شيريا از صياد ياريسمان دام يا مردم اتيرانداز يا آوازهاى مختلف . شبهوا فى اعرضهم عن القرءآن واستماع ملا فيه من المواعظ وشرادهم عنه بحمر جدت فى نفارها مما افزعها يعنى جمانجه خربيابانى ازايهامى كريزد ايشان ازاستماع قرآن مى كريزند زيراكه كوش سخن شنوودل بند بذبرندارند كما اشار اليه فى المثنوى ازكجا اين قوم وبيغام ازكجا از جمادى جان كجا باشد رجا

فهمهاى كج مج كوته نظر ... صد خيال بد در آرد در نكر

راز جزبان ازدان انباز نيست ... راز اندركوش منكر راز نيست

وفيه من ذمهم وتهجين حالهم ما لا يخفى يعنى ان فى تشبيهم بالحمر شهادة عليه بالبله ولا ترى مثل نفار حمر الوحش واطرادهم فى

العدو اذا خافت من شئ ومن أراد اهانة غليظة لاحد والتشنيع عليه باشنع شئ شبهه بالحمار (روى) ان واحدا من العلماء كان يعظم الناس فى مسجد جامع وحوله جماعة كثيرة فرأى ذلك رجل من البله وكان قد فقد حماره فنادى للواعظ وقال انى فقدت حمارا فاسأل هذه الجماعة لعل واحدا منهم رآه فقال له الواعظ اقعد مكانك حتى ادلك عليه فقعد الرجل فاذا واحد من اهل المجلس قام واخذ فى أن يذهب فقال الواعظ للرجل خذ هذا فانه حمارك والمظاهر أنه قال ذلك القول اخذ من هذا الكلام فانه فر من تذكرة الملك العلام.

٥٢

{ بل يريد كل امرء منهم ان يؤتى صحفا منشرة } عطف على مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل لا يكفون بتلك التذكرة ولا يرضون أبا جهل بن هشام وعبد الله بن امية واصحابهما قالوا لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم لن نتبعك حتى تأتى كل واحد منا بكتاب من السماء او يصبح عند رأس كل رجل منا اوراق منشورة يعنى مهر بركرفته . عنوانها من رب

العالمين لى فلان ابن فلان نؤمر فيها باتباعك اى بأن يقال اتبع محمدا فانه رسول من قبلى اليك كما قالوا ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرأه وامرئ قال فى القاموس المرء مثلثة الميم الانسان او الرجل ولا يجمع من لفظه ومع الف الوصل ثلاث لغات فتح الرآء دآئما واعرابها دآئما وأن مع صلته مفعول يريد وصحفا مفعول ثان ليؤتى والاول ضمير كل ومنشرة صفة صحف جمع صحيفة بمعنى الكتاب قال فى تاج المصادر وصحف منشرة شدد للكثرة.

٥٣

{ كلا } ردع عن اقتراحهم الآيات ارادتهم ما ارادوه فانهم انما اقترحوها تعنتا وعنادا لا هدى ورشادا

{ بل لا يخافون الآخرة } لاستهلاكهم فى محبة الدنيا فلعدم خوفهم منها اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف.

٥٤

{ كلا } ردع عن اعراضهم عن التذكرة

{ انه } الضمير في انه وفي ذكره للتذكرة لانها بمعنى الذكر أو القرءآن كالموعظة بمعنى الوعظ والصيحة بمعنى الصوت

{ تذكرة } اى تذكرة فالتنوين للتعظيم اى تذكرة بليغة كافية وفي برهان القرءآن اى تذكير للحق وعدل اليها للفاصلة.

٥٥

{ فمن } بس هركه

{ شاء } ان يذكره ويتعظ به نيل الحلول في القبر

{ ذكره } اى جعله نصب عينه وحاز بسببه سعادة الدارين فانه ممكن من ذلك.

٥٦

{ وما يذكرون } بمجرد مشيئتهم للذكر كما هو المفهوم من ظاهر قوله تعالى فمن شاء ذكره اذ لا تأثير لمشيئة العبد وارادته فى افعاله وضمير الجمع اما ان يعود الى الكفرة لان الكلام فيهم او على من نظر الى عموم المعنى لشموله لكل من المكلفين

{ الا ان يشاء الله } استثناء مفرغ من اعم العلل او من اعم الاحوال اى وما يذكرون لعلة من العلل او فى حال من الاحوال الا بأن يشاء الله او حال ان يشاء الله ذكرهم وهذا تصريح بأن افعال العبد بمشيئة الله لا بارادة نفسه قال فى عين المعانى فمن شاء الخ تخيير باعطاء المكنة لتحقيق العبودية وقوله الا ان يشاء الله تخيير امضاء القدرة لتحقيق الالوهية

{ هو } اى الله تعالى

{ اهل التقوى } اى حقيقى بأن يتقى عقابه ويؤمن به ويطاع فالتقوى مصدر من المبنى للمفعول

{ واهل المغفرة } حقيق بأن يغفر لمن آمن به واطاعه

قال بعضهم التقوى هو التبرى من كل شئ سوى الله فمن زم الآداب فى التقوى فهو اهل المغفرة.

سُورَةُ الْقِيَامَةِ مَكِّيَّةٌ

وَهِيَ أَرْبَعُونَ آيَةً

١

{ لا اقسم بيوم القيامة } لا صلة لتوكيد القسم وما كان لتوكيد مدخوله لا يدل على النفى وان كل فى الاصل للنفى قال الشاعر

يلى فاعترتنى صبابة ... كاد ضمير القلب لا يتقطع

والمعنى بالفارسية هرآبنه سوكند ميخورم بروز رستاخيز أو للنفى للكن لا لنفى نفس الاقسام بل لنفى ما ينبئ هو عنه من اعظام المقسم به وتفخيمه كأن معنى لا اقسم بكذا لا أعظمه باقسامى به حق اعظامه فانه حقيق باكثر من ذلك واكثر او لنفى كلام معهود قبل القسم ورده

كأنهم انكروا البعث فقيل لا اى ليس الامر كذلك ثم قيل اقسم بيوم القيامة كقولك لا والله ان البعث حق واياما كان ففى الاقسام على تحقق البعث بيوم القيامة من الجزالة مالا مزيد عليه

واما ما قيل من ان المعنى نفى الاقسام لوضوح الامر فبأباه تعيين المقسم به وتفخيم شأن القسم به قال المغيرة بن شعبة رحمه الله يقولون القيامة القيامة وانما قيامة احدهم موته وشهد علقمة جنازة فلما دفن قال اما هذا فقد قامت قيامته ونظمه بعضهم

الدنيا وقامت قيامتى ... داة اقل الحاملون حنازتى

٢

{ ولا اقسم بالنفس اللوامة } قال فى عين المعانى القسم بالشئ تنبيه على تعظيمه او ما فيه من لطفه الصنع وعظم النعمة وتكرير ذكر القسم تنبيه على ان كلا من المقسم به مقصود مستقل بالقسم لما ان له نوع فضل يقتضى ذلك واللوم عذل الانسان بنسبة ما فيه

لوم والمراد بالنفس اللوامة هى النفس الواقعة بين الامارة والمطمئنة فلها وجهان.

وجه يلى النفس الامارة وهو وجه الاسلام فاذا نظرت الى المارة بهذا الوجه تلومها على ترك المتابعة والاقدام على المخالفة وتلوم ايضا نفساه على ما فات عنها فى الايام الماضية من الاعمال والطاعات والمراتعة فى المراتع الحيوانية الظلمانية . ووجه يلى النفس المطمئنة وهو وجه الايمان فاذا نظرت بهذا الوجه الى المطمئنة وتنورت بنورانيتها والصبغت بصبغتها تلوم ايضا نفسها على التقصيرات الواقعة منها والمحذورات الكائنة عليها فهى لا تزال لائمة لها قائمة على سوق لومها الى ان تتحقق بمقام الاطمئنان ولذلك استحقت ان اقسم الله بها على قيام البعث والنشر والحشر قال القاشانى جمع بين القيامة والنفس اللوامة فلقسم بهما تعظيما لشأنهما وتناسبا بينهما اذ النفس اللوامة هى المصدقة بها المقرة بوقوعها المهيئة لاسبابها لانها تلوم نفسها أبدا فى التقصير والتقاعد عن الخيرات وان احسنت لحرصها على الزيادة فى الخير واعمال البر تيقنا بالجزآء فكيف بها

ان اخطأت وفرطت وبدرت من بادرة غفلة ونسيانا انتهى هذا ودع عنك القيل والقال وجواب القسم محذوف دل عليه قوله تعالى.

٣

{ ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامهؤ } وهو لبيعثن والمراد بالانسان الجنس والاسناد الى الكل بحسب البعض كثير والهمزة لانكار الواقع واستقباحه وان مخففة من الثقيلة وضمير الشأن الذىهو اسمها محذوف والعظام جمع عظم وهو قصب الحيوان الذى عليه اللحم بالفارسية استخوان . ويجيئ جمع عظيم ايضا ككرام وكريم وكبار وكبير ومنه الموالى العظام والمعنى ايحسب الانسوان الذى ينكر البعث ان الشأن والحديث لن نجمع عظامه البالية فان ذلك حسبان باطل فانا نجمعها بعد تشتتها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعد ما نسفتها الرياح وطيرتها فى اقطار الارض وألقتها فى البحار لمجازاته بما عمل فى الدنيا

وقيل ان عدى بن أبي ربيعة ختن الاخنس بن شريف وهما اللذان

كان عليه السلام يقول فيهما اللهم اكفنى جارى السوء قال لرسول الله يا

محمد حدثنى عن يوم القيامة متى يكون وكيف امره فأخبره فقال لو عاينت

ذلك اليوم لم اصدقك يعنى اكذب حسى أو أيجمع الله هذه العظام فكون

الكلام خارجا على قول المنكر كقوله من يحيي العظام وهى رميم

وقيل ذكر العظام واراد نفسه كلها لان بالنسبة الى البعض والله

قادر على الاحياء لا شبهة فيه بالنسبة الى العاقل المتفكر المستدل.

٤

{ بلى } ايجاب لما ذكر بعد النفى وهو

الجمع اى نجمعها وبالفارسية آرى جمع كنيم . حال كوننا

{ قادرين } فهو حال مؤكدة من الضمير المستكن فى نجمع المقدر

بعد بلى

{ على ان نسوى بنانه } اى نجمع سلامياته ونضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام وهو جمع سلامى كحبارى وهى العظام الصغار فى اليد والرجل وفى الحديث كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس اى على صاحبه صدقة من اى انواع الصدقة من قول وفعل ومال وفى القاموس البنان الاصابع او أطرافها قال الراغب البنان الاصابع قيل سميت بذلك لان بها اصلاح الاحوأل التى يمكن للانسان ان يبن بها ما يريد اى يقيم يقال ابن بالمكان بين لذلك خص فى قوله تعالى بلى قادرين على ان نسوى بنانه وقوله واضربوا منهم كل بنان خصه لاجل انها يقاتل بها ويدافع او المعنى على ان نسوى اصابعه التى هى اطرافه وآخر ما يتم به خلفه فالبنان مفرد اللفظ مجموع المعنى كالتمر وفيه جهتان الصغر وكونه طرفا فالى اى جهة نظر ثبت المطلوب بالاولية ولذا خص بالذكر ثم فى العظام اشارة الى كبار اعماله الحسنة والسيئة وفى البنان الى صغار افعاله الحسنة والسيئة فان الله تعالى يجمع كلا منهما ويجازى عليها.

ه

{ بل يريد الانسان ليفجر امامه } الفجر شق الشئ شقا واسعا والفجور شق ستر الديانة وقال بعضهم الفجور الميل فالكاذب والمكذب والفاسق فاجر اى مائل عن الحق ومنه قول الاعرابى فى حق عمر رضى الله عنه.

اغفر له اللهم ان كان فجر اى كذب واللام للتأكيد مثل قوله وانصح لكم فى انصحكم وان يفجر مفعول يريد وقد يقال مفعوله محذوف يدل عليه قوله ليفجر امامه والتقدير يريد شهواته ومعاصيه وقال سعدى المفتى الظاهر ان يريد ههنا منزلة اللازم ومصدره مقدر بلام الاستغراق بمعونة المقام يعنى مقام تقبيح حال الانسان ايوقع جميع ارادته ليفجر المضمون والاخذ فى بين ما عليه الانسان من انهماكه فى الفجور من غير عطف وقال غيره عطف على ايحسب اما على انه استفهام مثله اضرب عن التوبيخ بذلك الى التوبيخ بهذا او على انه ايجاب انتقل اليه من الاستفهام وهذا ابلغ واولى والمعنى بل يريد الانسان ليدوم على فجوره فيما

بين يديه من الاوقات وفيام يستقبله من الزمان لا يرعوى عنه فالأمام ههنا مستعار للزمان من المكان وقال الراغب يريد الحياة ليتعاطى الفجور فيها

وقيل معناه يذنب ويقول غدا اتوب ثم لا يفعل فيكون ذلك فجور البذلة عهدا لا يفى به (وقال الكاشفى) بلكه خواهد آدمى آنكه دروغ كويد بآنجه اورا دربيش است ازبعث وحساب . وفيه اشارة الى ان الانسان المحجوب يريد ليفجر أمامه بحسب الاعتقاد والنية قبل الاتيان بالفعل وذلك بالعزم المؤاخذ به على ما عرف فى محله.

٦

{ يسأل } سؤال استبعاد واستهزآء

{ ايان } اصله اى آن وهو خبر مقدم لقوله

{ يوم القيامة } اى متى يكون والجملة استئناف تعليلى كأنه قيل ما يفعل حين يريد أن يفجر ويميل عن الحق فقيل يستهزئ ويقول ايان يوم القيامة او حال من الانسان فى قوله بل يريد الانسان اى ليس

انكاره للبعث لاشتباه الامر وعدم قيام الدليل على صحة البعث بل يريد أن يستمر على فجوره فى حال كونه سائلا متى تكون القيامة فدل هذا الانكار على ان الانسان يميل بطبعه الى الشهوات والفكرة فى البعث تنغصها عليه فلا جرم ينكره ويابى عن الاقرار به فقوله ايحسب الانسان الخ دل على الشبخة والجهل وقوله بل يريد الخ على الشهوة والتجاهل فالآيتان بحسب الشخصين وفيه اشارة الى ان المحجوب يسأل ايان يوم القيامة لاحتجابه بنفسه الظلمانية لا يشاهد القيامة فى كل ساعة ولحظة بل كل لمحة وطرفة لتعاقب التجليين الافنائى والابقائى كما قال تعالى بل هم فى لبس من خلق جديد.

٧

{ فاذا برق البصر } اى تحير واضطرب وجال فزعا من اهوال يوم القيامة من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش ثم استعمل فى كل حيرة وان لم يكن هناك نظر الى البرق وهو واحد بروق السحاب ولمعانه.

٨

{ وخسف القمر } اى ذهب ضؤوه فان خسف يستعمل لازما ومتعديا يقال خسف القمر وخسفه الله او ذهب نفسه من خسف المكان اى ذهب فى الارض ولكن هذا المعنى لا يناسب ما بعد الآية

قال بعضهم اصل الخسف النقصان ويكون فى الوصف وفى الذات وفيه رد لمن عبد القمر فان القمر لو كان الها كمان عمه ابعابدلدفع عن نفسه الخسوف ولما ذهب ضؤوه قال فى فتح الرحمن الخسوف سنة مؤكدة فاذا كسفت الشمس او القمر فزعوا للصلاة وهى لكسوف الشمس ركعتان كهيئة النافلة ويصلى بهم امام الجمعة ويطيل القرآءة ولا يجهر ولا يخطب وخسوف القمر ليس له اجتماع يصلى الناس ان منازلهم ركعتين كسائر النوافل.

٩

{ وجمع الشمس والقمر } فى ذهاب الضوء كما روى عن النبى عليه السلام او جمع بينهما فى الطلوع من المغرب او فى الالقاء فى النار ليكون حسرة على من يعبدهما وجاز تكرار القمر لانه اخبر عنه بغير الخبر الاول وقال القاشانى فاذا برق البصر اى تحيرو دهش شاخصا من فزع الموت وخسف قمر القلب لذهاب نور العقل عنه وجمع شمس الروح وقمر القلب بأن جعلا شيأ واحدا طالعا من مغرب البدن لا يعتبر لهما رتبتان كما كان حال الحياة بل اتحدرا وحاواحدا انتهى.

١٠

{ يقول الانسان } المنكر للقيامة وهو عامل فى اذا

{ يومئذ } اى يوم اذ تقع هذه الامور قول الآيس من حيث انه لا يرى شيأ من علامات ممكنة للفرار كما يقول من أيس من وجدان زيد ابن زيد حيث لم يجد علامة اصابته

{ اين المفر } اى الفرار وقال سعدى المفتى ولعله لا منع من الابقاء على حقيقته والقول يصدون هذا الكلام بناء على توهمه لتحيره.

١١

{ كلا } ردع عن طلب المفر وتمنيه قال سعدى المفتى هذا لا يناسب ان يقوله قول الآيس اذ لا طلب حينئذ ثم قوله كلا من قول الله تعالى وجوز أن يكون من قول الانسان لنفسه وهو بعيد

{ لا وزر } لا ملجأ يعنى يناه كاه نباشد كافرانرا.

مستعار من الجبل فان الوزر محركة الجبل المنيع ثم يقال لكل ما لتجأت اليه وتحصنت به وزر تشبيها له به وخبر لا محذوف اى لا ملجأ ثمة او فى او وجود ومن بلاغات الزمخشرى اتل على كل من وزر كلالا وزر اى اتل عليا هذه الآية ومعنى وزر الاول بالفارسية كناه كردن . فان الوزر بالكسر الاثم وقال بعضهم

لعمرك ما فى الفتى من وزر ... من الموت يدركه والكبر

اى لا ملجأ للفار من الموت والكبر اذ كل منهما من الامر الالهى والامر المحكم القضاء المبرم يدرك الانسان لا محالة.

١٢

{ الى ربك يومئذ المستقر } اى اليه تعالى وحده استقرار العباد اى لا يتوجهون الا الى حيث امرهم الله من مقام حسابه او الى حكمه استقرار أمرهم فان الملك يومئذ لله فهو كقوله ان الى ربك الرجعى وان الى ربك المنتهى واليه ترجعون اى الى حيث لا حاكم ولا مالك سواه او الى مشيئته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار فيكون المستقر اسم مكان وهو مرفوع بالابتدآء والى ربك خبره ويومئذ معمول الى ربك ولا يجوز أن يكون معمول المستقر لانه ان كان مصدرا بمعنى الاستقرار فلا يتقدم معموله عليه وان كان اسم مكا فلا عمل له البتة وكذا الكلام فى قوله الى ربك يومئذ المساق ونحوه.

١٣

{ ينبأ الانسان يومئذ } اى يخبر كل امرئ برا كان او فاجرا عند وزن الاعمال وحال العرض والمحاسبة والمخبر هو الله او الملك بأمره او كتابه ينشره

{ بما قدم } اى عمل من عمل خيرا كان او شرا فيثاب بالاول ويعاقب بالثانى

{ واخر } اى لم يعمل خيرا كان او شرا فيعاقب بالاول ويثاب بالثانى او بما قدم من حسنة او سيئة وبما اخر من حسنة او سيئة فعمل بها بعده او بما قدم من ماقل تصدق به فى حياته وبما اخر او وقفه او اوصى به او باول عمله وآخره (شيخ الاسلام عبد الله الانصارى قدس سره) فرموده كه كناه از بيش فرستى بجرأت ومال ازبس بكذارى بحسرت كناه رابتوبه نيست كن تانماند ومال را بصدقه بيش فرست تابماند

كرفرستى زبيش به باشد ... كه بحسرت زبس نكاه كنى

وفى الحديث (منكم من احد الا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب يحجبه فينظر ايمن منه فلا يرى الا ما قدم من عمله وينظر أشأم منه فلا يرى الا ما قدم وينظر بين يديه فلا برى الا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة)

١٤

{ بل الانسان على نفسه بصيرة } الانسان مبتدأ وبصيرة خبره وعلى نفسه متعلق ببصيرة بتقدير على اعمال نفسه والموصوف محذوف اى بل هو حجة بصيرة وبينة واضحة على اعمال نفسه شاهدة جوارحه واعضاؤه بما صد عنه من الافعال السيئة كما يعرب عنه كلمة على وما سيأتى من الجملة الحالية ووصفه بالبصارة بمجازا فى الاسناد كما وصفت الآيات بالابصار فى قوله تعالى فملا جاءتهم آياتنا مبصرة او عين بصيرة او ذو بصيرة او التاء للمبالغة كما فى علامة ونسابة ومعنى بل الترقى اى ينبأ الانسان باعماله بل هو لا يحتاج الى ان يخبره غيره فانه يومئذ عالم بتفاصيل احواله شاهد على نفسه لان جورحه تنطق بذلك قال

القاشانى بل الانسان حجة بينة يشهد بعلمه لبقاء هيئة اعماله المكتوبة عليه فى نفسه ورسوخها فى ذاته وصيرورة صفاته صور اعضائه فلا حاجة الى ان ينبأ من خارج

باش ناز صدمه صور سرافيلى شود ... صورت خوبت نهان وسيرت زشت آشكار

١٥

{ ولو القى معاذيره } حال من المستكن فى بصيرة او من مرفوع ينبأ اى هو بصيرة على نفسه تشهد عليه جوارحه وتقبل شهادتها ولو جاء بكل معذرة يمكن ان يعتذر بها عن نفسه ويجادل عنها بأن يوقل مثلا لم افعل او فعلت لاجل كذا او لم اعمل او وجد مانع او كنت فقيرا ذا عيال او خفت فلانا او طمعت فى عطائه الى غير ذلك من المعاذير الغير النافعة

جه جندين عذر انكيزى وجندين حيله هاسازى ... جوميدانى

كه ميدانم وميدانم كه ميدانى ... او ينبأ باعماله ولو اعتذر بكل عذر فى

الذب عنها فان الذب والدفع لا رواح له يومئذ لانه يوم ظهور الحق بحقيقته

والمعاذير اسم جمع للمعذرة كمناكير اسم جمع للمنكر

وقيل جمع معذار وهو الستر بلغة اهل اليمن اى ولو ارخى متواره

صعنى ان احتجابه واستتاره عن المخلوقات فى حال مباشرة المعصية فى

الدنيا لا يغنى عنه شيأ لان عليه من نفسه بصيرة ومن الحفظة شهودا وفى

الكشاف لانه يمنع رؤية المحتجب كما تمنع المعذرة عقوبة المذنب.

١٦

{ لا تحرك به } اى بالقرءآن

{ لسانك } ما دام جبريل يقرأ ويلقى عليك

{ لتعجل به } اى بأخذه اى لتأخذه على عجلة مخافة ان

ينفلت.

١٧

{ ان علينا جمعه } فى صدرك بحكم الوعد بحيث لا يخفى عليك شئ من معانيه

{ وقرءآنه } بتقديره المضاف اى انبات قرآته فى لسانك بحيث تقرأه متى شئت فالقرءآن مصدر بمعنى القرآءة كالغفران بمعنى المغفرة مضاف الى مفعوله والقرآءة ضم الحروف والكلمات بعضها الى بعض فى الترتيل وليس يقال ذلك لكل جمع لا يقال قرأت القوم اذا جمعتهم.

١٨

{ فاذا قرأناه } اى اتمنا قرآءته عليك بلسان جبريل واسناد القرآءة الى نون العظمة للمبالغة فى ايجاب التأنى

{ فاتبع قرءآنه } اى فاشرع فيه بعد فراغ جبريل منه بلا مهلة وقال ابن عباس رضى الله عنهما فاذا جمعناه واثبتناه فى صدرك فاعمل به وقال الواسطى رحمه الله جمعهه فى لاسر وقرءآنه فى العلانية.

{ ثم ان علينا بيانه } اى بيان ما اشكل عليك من معانيه واحكامه وسمى ما يشرح المجمل والمبهم من الكلام بيانا لكشفه عن المعنى المقصود اظهاره وفى ثم دليل على انه يجوز تأخير البيان عن وقت الخطاب لا عن وقت الحجابة الى العمل لانه تكليف بما لا يطاق قال اهل التفسير كان عليه السلام اذا لقن الوحى نازع جبريل القرآءة ولم يصبر الى ان يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا من ان يفلت منه فامر بأن يستنصت له ملقيا اليه قلبه وسمعه حتى يقض اليه الوحى كما قال تعالى ولا تعجل بالقرءآن من قبل ان يقضى اليك وحيه ثم يقضيه بالدراسة الى ان يرسخ فيه وعن بعض العارفين انه قال فيه اشارة الى صحة الاخذ عن الله بواسطة كائه تعالى يقول خذه عن جبريلكأنك ما علمته الا منه ولا تسابق بما عندك منا من غير واسطة واكابر المحققين يسمون هذه الجهة التى هى عدم الوسائط بالوجه الخاص والفلاسفة ينكرون هذا الوجه ويقولون لا ارتباط بين الحق والموجودات الا من جهة الاسباب والوسائط فليس عندهم

ان يقول الانسان أخبرنى ربى اى لا وساطة وهم مخطئون فى هذا الحكم

فانه لما كان ارتباط كل ممكن بالحق من حيث الممكن من جهتين جهة

الواحدة وجهة الكثرة وجب ان تكون جهة والحجة بلا واسطة وهو الوجه

الخاص وجهة الكثرة بواسطة وهو الوجه العام ولما كان نبينا عليه

السلام اكمل الخلق فى جهة الوحدة لكون احكام كثرته وامكانه مستهلكة

بالكلية فى وحة الحق واحكام وجوبه كان ياخذ عن الله بلا واسطة اى من

الوجه الخاص وكان ينطبع فى قلبه ما يريد الحق ان يخبره به فاذا جاءه

الكلام من جهة الوسائط اى من الوجه العام بصورة الالفاظ والعبارات

التى استدعتها احوال المخاطبين كان يبادر اليه بالنطق به لعلمه بمعناه

بسبب تلقيه ايار من حيث اللاواسطة لينفس عن نفس ما يجده من الكربة

والشدة التى يلقاها مزجه من التنزل الروحانى فان الطبيعة تنزعج من ذلك

للمباينة الثابتة بعد المزاج وبين الروح اللكى فعرف الحق نبينا عليه

السلام ان القرءآن وان اخذته عنه من حيث معناه بلا واسطة فان انزلنا

اياه مرة اخرى من جهة الوسائط يتضمن فوآئد زآئده منها مراعاة افهام

المخاطبين به لان الخلق المخاطبين بالقرءآن حكم ارتباطهم بالحق انما هو من جهة سلسلة الترتيب والوسائط كما هو الظاهر بالنسبة الى اكثرهم فلا يفهمون عن الله الا من تلك الجهة ومنها معرفتك اكتساء تلك المعانى العبارة الكاملة وتستجلى فى مظاهرها من الحروف والكلمات فتجمع بين كمالاته الباطنة والظاهرة فيتجلى بها روحانيتك وجسمانيتك ثم يتعدى الامر منك الى امتك فيأخذ كل منهم حصته من علما وعملا فى قوله تعالى لا تحرك به لسانك الخ تعليم وتأديب اما التعليم فما اشير اليه من ان باب جهة الوحدة مسدود على اكثر الناس فلا يفهمون عن الله الى من الجهة المناسبة لحالهم وهى جهة الوسائط والكثرة الامكانية

واما التأديب فانه لما كان الآتى بالوحى من الله جبريل فمتى بودر بذكر ما اتى به كان كالتعجيل له واظهار الاستغناء عنه وهذا خلل فى الادب بلا شك سيما مع المعلم المرشد ومن هذا التقرير عرف ان قوله تعالى لا تحرك به الخ واقع فى البين بطريق الاستطراد فانه لما كان من شأنه عليه السلام للاستعجال عند نزول كل وحى على ما سبق من الوجه

ولم ينه عنه الى ان اوحى اليه هذه السورة من اولها الى قوله ولو ألقى معاذيره وعجل فى ذلك كسائر المرات نهى عنه بقوله لا تحرك الخ ثم عاد الكلام الى تكملة ما ابتدئ به من خطاب الناس ونظيره ما لو ألقى المدرس على الطالب مسألة وتشاغل الطالب بشئ لا يليق بمجلس الدرس فقال ألق الى بالك وتفهم ما اقول ثم كمل المسألة.

يقول الفقير أيده الله القدير لاح لى فى سر المناسبة وجه لطيف ايضا وهو ان الله تعالى بين قبل قوله لا تحرك به الخ جمع العظام ومتفرقات العناصر التى هى اركان ظاهر الوجود ثم انتقل الى جمع القرءآن واجزآئه التى هى اساس باطن الوجود فقال بعد قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه ان علينا جمعه فاجتمع الجمع بالجمع والحمدلله تعالى وقد تحير طائفة من قدماء الروافض خذلهم الله تعالى حيث لم يجدوا المناسبة فزعموا ان هذا القرءآن غير وبدل وزيد فيه ونقض وفى التأويلات النجمية اعلم ان كل ما استعد لاطلاق الشيئية عليه فله ملك وملكوت لقوله تعالى بيده ملكوت كل شئ والقرءآن اشرف الاشياء واكملها فله ايضا ملك

وملكوت فاما ملكه فهو الاحكام والشرآئع الظاهرة التى تتعلق بمصالح الامة من العبادات المالية والبدنية والجنايات والوصايات وامثالها

واما ملكوته فهو الاسرا الاليهة والحقائق اللاهوتية التى تتعلق ببواطن خواص الامة واخص الخواص بل بخلاص اخص الخواص من المكاشفات و والمشاهدات السرية والمعاينات الروحية ولكل واحد من الملك والملكوت مردكات يدرك بها لا غير لان الوجدانيات والذوقيات لا تسعها ألسنة العبارات لانها منقطع الاشارة فقوله لا تحرك الخ يشير الى عدم تعبيره بلسان الظاهر عن اسرار الباطن والحقائق الآبية عن تصرف العبارات فيها بالتعبير عنها وان مظهره الجامع جامع بين ملك القرءآن وملكوته وهو عليه السلام يتبع بظاهره ملكه وبباطنه ملكوته نسأل الله سبحانه ان يجعلنا من المتبعين للقرءآن فى كل زمان

٢٠

{ كلا } عود الى تكملة ما ابتدئ به الكلام يعنى نه جنانست اى آدميان كه كمان برده آيد در امر عقبى

{ بل تحبون العاجلة } اى الدنيا يعنى دنياى شتاب كننده را.

٢١

{ وتذرون الآخرة } فلا تعملون لها بل تنكروها وفى التأويلات النجمية تحبون نعمة شهوة الدنيا وتذرون نعمة خمول الآخرة والخطاب للامة.

٢٢

{ وجوه يومئذ ناضرة } النضرة طراوة البشرة وجمالها وذلك من اثر التنعم والناضر الغض الناعم من كل شئ اى وجوه كثيرة وهى وجوه المؤمنين المخلصين يوم اذ تقوم القيامة بهية متهللة يشاهد عليها نضرة النعيم ورونقه كما قال تعالى فى آية اخرى تعرف فيه وجوههم نضره النعيم على

ان وجوه مبتدأ وناضرة خبره ويومئذ منصوب بناضرة وصحة وقوع النكرة مبتدأ لان المقام مقام تفصيل.

٢٣

{ الى ربها ناظرة } قوله ناظرة خبر ثان للمبتدأ والى ربها متعلق بها والنظر تقليب البصر والبصيرة لادراك الشئ ورؤيته والمراد بنظر الوجوه نظر العيون التى فيها بطريق ذكر المحل وارادة الحال وهذا عند اهل القال

واما عند اهل الحال فلا ينحصر النظر فى البصر والاجاء القيد والله منزه عن ذلك بل ينقلب الباطن ظاهرا والظاهر بصرا بجميع الاجزآء فيشاهد الحق به كما يشاهد بالبصيرة فى الدنيا والآخرة عالم اللطافة ولذا لا حكم للقالب والجسد الظاهر هنا وانما الحكم للقلب والروح الظاهر صور الاعضاء بهما فاعرب جداه بزركى را برسيدند كه

راه از كدام جانب است كفت ازجانب تونيست ... جون ازتو

در كذشتى از همه جانباه راهست ... دون بصديقان بيا كردند وزان ره

ساختند ... زجزبدل رفتن دران ره يك قدم را بار نيست ... والمعنى ان

الوجوه تراه تعالى عيانا مستغرقة فى مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه

وتشاهد تعالى بلا كيف ولا على جهة وحق لها ان تنضر وهى نتظر الى

الخالق . مثل مؤمن مثل بازاست بازرا جون بكيرند وخواهندكه شايسته

دست شاه كردد مدتى جشم او بدور وزند بندى بريايش نهند در خانه

تاريك باز دارند از جفتش جدا كنند يك جندى بكر سنكيش متنى

كنندنا ضعيف ونحيف كردد ووطن خويش فراموش كند وطبع كذاشتكى

دست بدارد آنكه بعاقبت جشمش بكشايند شمعى بيش وى بيفروزند

طبلى از بهروى بزنند طعمه كوشت ببش وى نهند ودست شاه مقروى

سازند باخود كويد دركل عالم كرا بود اين كرامت كه مراست شمع بيش

ديده من آواز طبل نوى من كوشت مرغ طعمه من دست شاه جاى من

بر مثال اين حال جون خوانندكه بنده مؤمن رالحه خلت بوشانند وشراب

محبت نوشاند باوى همين معاملت كنند مدتى در جهار روز كارى برين

صفت بكذارند آنكه ناكاه طبل قيامت بزنند بنده از خاك لحد سر برآرد

جشم كبشايد نور بهشت بيند دنيا فراموش كند شراب وصل نوش كند

برمائده خلد بتشيند جنانجه آن بازجشم بازكند خودراردست شاه بيند

بنده مؤمن جشم باز كندخودارا فقعد صدق بيند سلام ملك شنوديدار

ملك بيتد ميان طوبى وزلفى وحسنى شادان ونازان درجلال وجمال حق

نكران ايسنت كه رب العالمين كفت.

وفي هذا فى جميع الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره من الاشياء الكثيرة والاولى ان التقديم للاهتمام ورعاية الفاصلة لان التقييد ببعض الاحوال تقييد بلا دليل ومناف لمقام المدح المقتضى لعموم الاحوال وغيرها مناسب لقوله وجوه يومئذ ناضرة لعمومه فى الاحوال ولو سلم فالاختصاص ادعائى فان النظر الى غيره فى جنب النظر اليه لا يعد نظرا بل هو بمنزلة العدم كما فى قوله زيد الجواد هكذا قالوا ولكن من اهل الجنة من فاز بالتجلي الذاتى الابدى الذى لا حجاب بعده ولا مستقر للكمل دونه وهو الذى اشار اليه عليه السلام بقوله صنف من اهل الجنة لا يستتر الرب عنهم ولا يحتجب وكان بذكره ايضا فى دعائه ويقوله واسألك لذة

النظر الى وجهك الكريم ابد دآئما سرمدا دون ضرآء مضرة ولا فتنة مضلة فالضرآء المضرة حصول الحجاب بعد التجلى والتجلى بصفة تستلزم سدل الحجب والفتنة المضلة كل شبهة توجب خللا اونقصا فى العلم والضهود.

آورده ان اورا دهريك ازاوتاد اين كلما تست اللهم انى أسألك النظرة الى وجهك الكريم هركس ببهشت آرزويي دارد وعاشق جزآرزوى ديدن ديدارندارد بير طريقت كفت بهره عارف دربهشت سه جيزاست سماع وشراب وديدار سماع را كفت

{ فهم فى روضة يحبرون } شراب را كفت

{ وسقاهم ربهم شرابا طهورا } ديدار كفت

{ وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناضرة } سماع بهره كوش شراب زبان كشايد ديدار صفت ربايد سماع مطلوب را نقد كند شراب را زجلوه كند ديدار عارف را فرد كندسماع را هفت اندام رهى كوش جونساقى اوست شراب همه نوش ديداررا زبر هرموى ديده روشن.

ثم ان جميع اهل السنة جملوا هذه الآية على انها متضمنة رؤيه المؤمنين لله تعالى بلا تكييف ولا تحديد ولا يصح تأويل من قال لا ضرر بها ونحوه وجعله الزمشرى كناية عن معنى التوقع والرجاء على معنى انهم لا يتوقعون النعمة والكرامة الا من ربهم كما كانوا فى الدنيا لا يخشون ولا يرجون الا اياه وجوابه انه لا يعدل الى الكناية بلا ضرورة داعية اليها جناتان من فضة آنيتهما ومائيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم الاردآء الكبرياء على وجهه حيث ان المعتزلة قالوا ان لاردآء حجاب بين المرتدى والناظرين فلا تمكن الرؤية فجوابه انهم حجبوا عن أن المرتدى لا يحجب عن الحجاب اذا المراد بالوجه الذات وبردآء الكبرياء هو العبد الكامل المخلوق على الصورة الجامعة للحقائق الامكانية والالهية يعنى ردآء كبرياء نفس مظهرست ومشاهده ذات بودن مظهرى محالست . والردآء هو الكبرياء واضافته للبيان والكبرياء ردآءه الذى يلبسه عقول العلماء بالله للتفهيم فلا ردآء هناك حقيقة فالرتبة الحجابية باقية ابدا وهو رتبة المظهر لانها كالمرءآة

واما قوله عليه السلام حين سئل هل رأيت ربك ليلة المعراج فقال

(نورأنى أراه) فمعناه ان النور المجرد لا تمكن رؤيته يعنى انما تتعذر الرؤية

والادراك باعتبار تجرد الذات عن المظاهر والنسب والاضافات فاما فى

المظاهر ومن ورآء حجابية المراتب فالادراك ممكن ومن المعتزلة من فسر

النظر بالانتظار وجعل قوله الى اسماء مفربدا بمعناالنعمة مضافا الى الرب

جمعه آلاء فيكون مفعولا مقدما لقوله ناظرة بمعنى منتظرة والتقدير وجوه

يومئذ منتظرة نعمة ربها ورد بان الانتظار لا يسند الى الوجه سوآء أريد

بهالمعنى الحقيقى او أريد به العين بطريق ذكر المحل وارادة الحال وتفسير

الوجه بالذات وجملة الشخص خلاف الظاهر وبأن الانتظار لا يعدى بالى

ان جعل حرفا واخذه بمعنااللنعمة فى هذا المقام يخالف المعقول لان

الانتظار يعد من الآلام ونعيم الجنة حاضر لاهلها ويخالف المنقول ايضا

وهو أنه عليه السلام قال

(أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر الى جنانه وازواجه ونعيمه وخدمه

وسريره مسيرة ألف سنة) يعنى تاهزال ساله راه آنرا نيندوا كرمهم على الله

من ينظر الى وجهه غدوة وعشية يعنى بمقدار ازان ثم قرأ عليه السلام وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فقد فسر النظر بنظر العين والرؤية فظهر ان المخالف اتبع رأيه وهواه (روى) انه عليه السلام نظر الى القمر ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم كما ترون هذا لا تضامون فى رؤيته وهو بفتح التاء وتشديد الميم من الضم أصله لا تتضامون اى لا ينضم بعضكم الى بعض ولا يول أرنيه بل كل ينفرد برؤيته وروى بتخفيف الميم من الضيم وهو الظلم فتكون التاء حينئذ مضمومة يعنى لا ينالكم ظلم بأن يرى بعضكم دون بعض بل تستوون كلكم فى رؤيته تعالى وهذا حديث مشهور تلقته الامة بالقبول ومعنى التشبيه فيه تشبيه الرؤية بالرؤية فى الوضوح لا تشبيه المرئى بالمرئى فثبت ان المؤمنين يرونه بغيره كيف ولا كم وضرب من مثال فينسون النعيم اذا رأوه في اخسران اهل الاعتزال وسئل مالك بن انس رضى الله عنهما عن قوله تعالى الى ربها ناظرة

وقيل له ان قوما يقولون الى ثوابه فقال مالك كذبوا فأين هم عن قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم قال الناس ينظرون

الى الله بأعينهم ولو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعذب الله الكفار بالحجاب وقال صاحب العقد الفريد ومن اعتقد غير هذا فهو مبتدع زنديق وقد يشهد للمطلوب ويرد دعوى أهل البدعة أن الرؤية هى اللذة الكبرى فكيف يكون المؤمنون محرومين منها والدار دار اللذة فينبغى للمؤمنأن تكون همته من نعم الجنة نعمة اللقاء فان غيرها نعم بهيمية مشتركة قال بعض العارفين دلت الآية على ان القول ينظرون الى الله تعالى فى حال السحو والبسط لان النضرة من امارات البسط فلا يتداخلهم حياء ولا دهشة والا لتنغص عيشهم بل لو عاينوه بوصف الجلال الصرف لهلكوا فى اول سطوة من سطواته فهم يرونه فى حال الانس بنوره بل به يرونه وهنا لك وجود الارف كله عين يرى حبيبه بجميع وجوده تلك العيون مستفادة من تجلى الحق فقوم لهم بالنظر من فنسه الى نفسه ويظهر سر الوحدة بين العاشق والمعشوق والرؤية تقتضى بقاه الزآئى وهو من مقتضيات عالم الصفات واستهلاك العبد فى وجود الحق اتم كما هو مقتضى عالم الذات قال النصر ابادى قدس سره من الناس ناس طلبوا الرؤية واشتاقوا اليه تعالى

ومنهم العارفون الذين اكتفوا برؤية الله لهم فقالوا رؤيتنا ونظرنا فيه علل ورؤيته ونظره بلا علة فهو أثم ركة واشمل نفعا وقال بعضهم القرب المذكور فى قوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد هو الذى منع الخلق عن الادراك للحق كما ان الهوآء لما كان مباشر لحاسة البصر لم يدركه البصر وكذلك الماء اذا غاص الغائص فيه وفتح عينيه يمنعه قربه من حاسة بصره أن يراه والحق اقرب الى الناس من نفسه فكان لا يرى لقربه كما انه تعالى لا يرى لبعده وعلو ذاته اين التراب من رب الارباب ولكن اذا أراد العبد أن يراه تنزل من علوه ورفع عبده الى رؤيته فرآءه به ولذلك قال عليه السلام

(انكم سترون ربكّم كما ترون الشمس والقمر) وهما فى شأنهما متوسطان فى القرب والبعد فغاية القرب حجاب كما ان غاية البعد حجاب والكل يراه فى الدنيا لا يعرف انه هو وفرق بين العارف وغيره ألا ترى انه ذا كان فى قلبك لقاء شخص وأنت لا تعرفه بيعنه فلقيك وسلم عليك وانت لم تعرفه فقد رأيته وما رأيته كالسلطان اذ دار فى بلده متنكرا

فانه يراه كثير من الناس ولا يعرفه ثم ان منهم من يقول لم يتيسر لى رؤية السلطان الى الآن وأنا أريد أن انظر اليه مع انه نظر اليه مرارا فهو فى حال بصره اعمى فما اشد حجابه ثم انه لو اتفق له النظر اليه فربما لا يتعمق ففرق بين ناظر وناظر بحسب حدة بصره وضعفه ولذا قالوا انما تفاوتت الافراد فى حضرة الشهود مع كونهم على بساط الحق الذى لا نقص فيه لانهم انما يشهدون فى حقائقهم ولو شهدوا عين الذات لتساووا فى الفضيلة وقال بعضهم العارفين الخلق اقرب جار للحق تعالى وذلك من أعظم البشرى فان للجار حقا مشروعا معروفا يعرفه العلماء بالله فينبغى لكل مسلم أن يحضر هذا الجوار الالهى عند الموت حين يطلب من الحق ما يستحقه الجار على جاره من حيث ما شرع قال تعالى لنبيه عليه السلام قل رب احكم بالحق اى الحق الذى شرعته لنا تعاملنا به حتى لا ننكر شيأ منه مما يقتضيه الكرم الالهى فهو دعاء افتقار وخضوع وذل (حكى) ان الحجاج أراد قتل شخص فقال لهلى اليك حاجة قال أريد أن

امشى معك ثلا خطوات ففعل الحجاج فقال الشخص حق هذه الصبحة

أن تعفو عنى فعفا عنه.

٢٤

{ ووجوه يومئذ } يتعلق بقوله

{ باسرة } اى شديدة العبوس مظلمة ليس عليها أثر السرور

اصلا وهى وجوه الكفرة والمنافقين وقال الراغب البسر الاستعجال بالشئ

قبل أوانه فان قيل فقوله وجوه يومئذ باسره ليس يفعلون ذلك قبل الموت

وقد قلت ان ذلك يقال فيما كان قبل وقته قيل ان ذلك اشارة الى حالهم

قبل الانتهاء بهم الى النار فخص لفظ البسر تنبيها على ان ذلك مع ما

ينالهم من بعد يجرى مجرى التكلف ومجرى ما فيعل قبل وفنه ويدل على

ذلك قوله تعالى

٢٥

{ تظن } تتوقع اربابها بحسب الامارات والجملة خبر بعد خبر رجح ابو حيان والطبي تفسير الظن بمعنى اليقين ولا ينافيهأن المصدرية كما توهم فانها انما لا تقع بعد فعل التحقق الصرف فاما بعد فعل الظن او ما يؤدى معنى العلم فتجيئ المصدرية والمشددة والمخففة نص عليه الرضى

{ ان يفعل بها فاقرة } داهية عظيمة تقصم فقار الظهر ومنه سمى الفقير فان الفقر كسر فقار ظهره فجعله فقيرا اى مفقورا وهو كناية عن غاية الشدة وعدم القدرة على التحمل فهى تتوقع ذلك كما تتوقع الوجوه الناضرة أن يفعل بها كل خير بناء على ان قضية المقابلة بين الآيتين تقتضى ذلك

قال بعضهم اصح آنست كه آن بلا حجابست ازرؤيت رب الارباب (مصراع) كه از فراق بتردرجهان بلايي نيست.

وفى التأويلات النجمية وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة لا الى غيره بسبب الاعراض عن الدنيا فى هذا اليوم والاقبال على الله ووجوه

يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة بسبب الاقبال على الدنيا فى هذا اليوم والادبار عن الله جزآء وفاقا وقال بعضهم وجوه يومئذ ناضرة للتنوي رنوبر القدس والاتصال بعالم النور والسرور والنعيم الدائم ووجوه يومئذ باسرة كالجه لجهامة هيئتها وظلمة ما بها من الجحيم والنيران وسماجة ما تاره هنالك من الاهوال وسوء الجيران.

٢٦

{ كلا } ردع عن ايصار العاجلة عن الآخرة اى ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا لما بين ايديكم من الموت الذى ينقطع عنده ما بينكم وبين العاجلة من العلاقة

{ اذا بلغت التراقى } الضمير للنفس وان لم يجر لاه ذكر لان الكلام الذى وقعت فيه يدل عليها وتقول العرب ارسلت يريدون جاء المطر ولا تكاد تسمعهم بذكرون السماء اى اذا بلغت النفس الناطقة وهى الروح الانسانى أعالى الصدر وهى العظام المكتنفة لثغره النحر عن يمين

وشمال فاذا بلغت اليها يكون وقت الغرغرةوبالفارسية جون برسد روح باستخوا نهاى سينه وكردن.

وفى كشف الاسرار وقت كه جان بجنبر كردن رسد . جمع ترقوة بفتح التاء والواو وسكون الرآء وضم القاف قال فى القاموس الترقوة ولا تضم تاؤه العظم بين ثغرة النحر والعاتق انتهى.

والعاتق موضع الردآء من المنكب

قال بعضهم لكل احد ترقوتان ولكن جمع التراقى باعتبار الافراد وبلوغ النفس التراقى كناية عن عدم الاشفاء يعنى بكناره اورسيدن ونزديك شدن.

والعامل فى اذا بلغت معنى قوله الى ربك يومئذ المساق اى اذا بلغت النفس الحلقوم رفعت وسيقت الى الله اى الى موضع امر الله ان ترفع اليه.

٢٧

{ وقيل من راق } معطوف على بلغت وقف حفص على من وقفة يسيرة من غير تنفس

قال بعضهم لعل وجهه استثقال الرآء المشددة التى بعدها قاف غليظة تلفظ فى الادغام واستكراه القطع التام بين المبتدأ والخبر والاستفهام والمستفهم عنه فى النفس والفرار من الاظهار دون سكتة لانه يعد من اللحن عند اتصال النون الساكنة بالرآء بين اهل القرءآة وقال من حضر صاحبها من يرقيه يعنى افسون ميكنند . وينجيه مما هو فيه من الرقية وهو التعويد بام به يحصل الشفاء كما يقال بسم الله أرقيك وفعله من باب ضرب والاستفهام على هذا يحتمل أن يكون بمعنى الطلب كأن الذين حول ذلك الانسان طلبوا له طبيبا يعالجه وراقيا يرقيه ويحتمل أن يكون استفهام بمعنى الانكار كما يقال عند اليأس من الذى يقدر أن يرقى هذا الانسان المشرف على الموت وهو الظاهر كما قال الراغب من راق اى من يرقية تنبيها على انه لا راقى يرقيه فيحييه وذلك اشارة الى نحو ما قال

واذا المنية انشبت اظفارها ... الفيت كل تميمة لا تنفع

التميمة خرزات كان العرب يعلقونها على اولادهم خوفا من العين

وهو باطل لقوله عليه السلام من علق تميمة فقد أشرك واياها أراد صاحب

البيت المذكور

وقيل هو من كلام ملائكة الموت يقولون أيكم يرقى بروحه ملائكة

الرحمة او ملائكة العذاب من الرقى وفعله من باب علم وقول ملائكة

الرحمة لا يمانعه قوله فلا صدق ولا صلى الآيات لان الضمير فيه لجنس

الانسان فلا يتعين كون المختضر من اهل النار قال الكلبي يحضر العبد

عند الموت سبعة املاك من ملائكة الرحمه وسبعة من ملائكة العذاب مع

ملك الموت فاذا بلغت نفس العبد التراقى نظر بعذهم الى بعض أيهم يرقى

بروحه الى السماء فهو قوله من راق وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان

الملائكة يكرهون القرب من الكافر فيقول ملك الموت من يرقى بروح هذا

الكافر.

٢٨

{ وظن انه الفراق } وأيقن المتحضر حين عاين ملائكة الموت ان ما نزل به هو الفراق من الدنيا المحبوبة ونعيمها الى ضيع العمر النفيس فى كسب متاعها الخسيس وعبر عما حصل لهمن المعرفة حينئذ بالظن لان الانسان ما دامت روحه متعلقة ببدنه فانه يطمع فى الحياة لشدة حبه لهذا الحياة العاجلة ولا ينقطع رجاؤه عنها فلا يحصل له يقين الموت بل ظنه الغالب على رجاء الحياة قال الامام هذه الآية تدل على ان الروح جوهر قائم بنفسه باق بعد موت المعدن لان الله تعالى سمى الموت فراقا والفراق انما يكون اذا كانت الروح باقية فان الفراق والوصال صفة وهى تستدعى وجود الموصوف قال المزنى دخلت على الشافعى فى مرة موته فقلت كيف أصبحت قال أصبحت من الدنيا راحلا وللاخوان مفارقا ولسوء عمى ملاقيا ولكأس المنية شاربا وعلى الله وارادا فلا ادرى أروحى تصير الى الجنة فأهنيها ام الى النار فأعزيها ثم أنشأ يقول

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلت رجائى نحو عفوك سلما

تعاظمنى ذنبى فلما قرنته ... بعفوك ربى كان عفوك اعظما

وقال بعضهم

فراق ليس يشبهه فراق ... قد انقطع الرجاء عن التلاق

وفى الحديث ان العبد ليعالج كرب الموت وسكراته وان مفاصله ليسلم بعضها على بعض يقول السلام عليك أفارقك وتفارقنى الى يوم القيامة (قال الشيخ سعدى)

كوس رحلت بكوفت دست اجل ... اى در جشمم وداع سر بكنيد

اى كف ودست وساعد وبازو ... همه توديع يكدكر بكنيد

بر من افتاده مرك دشمن كام ... آخر اى دوستان كذر بكنيد

روز كارم بشد بنادانى ... من نكردم از شما حذر بكنيد

قال يحيي بن معاذ رحمه الله اذا دخل الميت القبر قام على شفير قبره اربعة املاك واحد عند رأسه والثانى عند رجليه والثالث عن يمينه والرابع عن يساره فيقول الذى عند رأسه يا ابن آدم ارفضت

الآجال اى تفرقت وأنصيت الآمال اى هزلت ويقول الذى عن يمينه ذهبت الاموال وبقيت الاعمال ويقول الذى عن يساره ذهبت الاشغال وبقى الوبال ويقول الذى عند رجليه طوبى لك ان كان كسبك من الحالا وكنت مشتغلا بخدمة ذى الجلال.

٢٩

{ والتفت الساق بالساق } الالتفات برهم بيجبدن اى والتفت ساقه بساقه والتوت عليها عند قلق الموت فالساق العضو المخصوص والتفافهما اجتماعهما والتوآء احناهما بالاخرى او التفت شدة فراق الدنيا بشدة اقبال الآخرة على ان الساق مثل فى الشدة وجه المجاز ان الانسان اذا دهمته شدة شمر لها عن ساقيه فقيل للامر الشديد ساق من حيث ان ظهورها لازم لظهور ذلك الامر وقد سبق فى قوله تعالى يوم يكشف عن ساق وعن سعيد بن مسيب هما ساقاه حين تلفان فى اكفانه.

٣٠

{ الى ربك يومئذ المساق } اى الى الله والى حكمه يساق الانسان لا الى غيره اى يساق الى حيث لا حكم هناك الا الله (وقال الكاشفى) بسوى جزاى بروردكارتوا آروز باز كشت باشد همه كس را.

فالمساق مصدر ميمى بمعنى السوق بالفارسية راندن . والألف واللام عوض عن المضاف اليه اى سوق الانسان.

٣١

{ فلا صدق } الانسان ما يجب تصديقه من الرسول والقرءآن الذى نزل عليه اى لم يصدق فلا ههنا بمعنى لم وانما دخلت على الماضى لقوة التكرار يعنى حسن دخول لا على الماضى تكراره كما تقول لا قام ولا قعد وقلما تقول العرب لا وحدها حتى نتبعها اخرى تقول لا زيد فى الدار ولا عمرو أو فلا صدق ماله بمعنى لا زكاة فحينئذ يطلب وجه لترجيح الزكاة على الصلاة مع ان دأب القرءآن تقديم الصلاة ولعل وجهه ما كان

كفار مكة عليه من منع المساكين وعدم الحض على طعامهم فى وقت الضرورة القوية وايضا لى أخير ولا صلى مراعاة الفواصل كما لا يخفى

{ ولا صلى } ما فرض عليه وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع فى حق المؤاخذة يعنى ان الكافر يستحق الذم والعقاب بترك الصلاة كما يستحقها بترك الايمان وان لم يجب ادآؤها عليه فى الدنيا.

٣٢

{ ولكن كذب } ما ذكر من الرسول والقرءآن والاستدراك لدفع احتمال الشك فان نفى التصديق لا يستلزم أثبات التكذيب لكون الشك بين التصديق والتكذيب فاذا لا تكرار فى الآية

{ وتولى } واعرض عن الطاعة لله ولرسوله.

٣٣

{ ثم ذهب الى اهله } اهل بيته او الى اصحابه

{ يتمطى } يتبختر ويختال فى مشيه افتخارا بذلك وبالفارسية بس باز كشبت بسوى كسان خودمى خراميد ازروى افتخاركه من جنين وجنين كارى كرده ام يعنتكذيب وتولى.

من المط وهو المد فان المتبختر يمد خطاه يعنى ان التمدد فى المشى من لوازم التبختر فجعل كناية عنه فيكون أصله يتمطط بمعنى يتمدد ابدلت الطاء الاخيرة ياء كراهة اجتماع الامثال كما فى تقضى البازى او من المطا مقصورا وهو الظهور فانه يلويه ويحركه فى تبختره فألفه مبدلة من واو ويتمطى جملة حالية من فاعل ذهب وفى الحديث اذا مشت امتى المطيطاء وخدمتهم فارس والروم كأن بأسهم بينهم والمطيطاء كحميرآء التبختر ومد اليدين فى المشى والبأص شدة الحرب.

٣٤

{ اولى لك } واى برتواى انسان مكذب

{ فأولى } بس واى برتو.

{ ثم اولى لك فأولى } تكرير للتأكيد فهو مستعمل فى موضع ويل لك مشتق من الولى وهو القرب والمراد دعاء عليه بأن يليه مكروه وأصله اولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما فى ردف لكم نقل الثلاثى الى أفعل فعدى الى مفعولين وفى القاموس أولى لك تهديد ووعيد أي قاربه ما يهلكه او أولى لك الهلاك فيكون اسما بمعنى احرباى الهلاك أولى واحرى لك من كل شئ فيكون خبر مبتدأ محذوف (وقال الكاشفى) اولى لك سزاوارست ترامركى سخت فأولى بس سزاوارست ترا عذاب اليم در قبر ثم أولى لك بس نيك سزا وارست تراهول قيامت فأولى بس بغايت سزاست تراخلود در دوزخ.

وروى انه لما نزلت هذه الآية أخذ رسول الله بمجامع ثوب أبي جهل بالبطحاء وهزه مرة او مرتين ولكزه فى صدره وقال له أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى فقال ابو جهل أتوعدنى يا محمد ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بى شيأ وانى لأعز اهل هذا الوادى فلما كان يوم بدر صرعه

الله شر مصرع وقتله اسوء قتله اقعصه بتاعفرآء واجهز عليه ابن مسعود رضى الله عنه واقصعه قتله مكانه واجهز على الجريح اثبت قتله واسرعه وتمم عليه وكان رسول الله عليه السلام يقول (ان لكل امة فرعونا وان فرعون هذه الامة أبو جهل)

٣٦

{ ايحسب الانسان ان يترك سدى } اى يحي حال كونه مهملا فلا يكلف ولا يجزى

وقيل ان يترك فى قبره فلا يبعث والسدى المهمل يقال اسد بت ابلى اسداء اى اهملتها وتقول اسديت حاجتى وسديتها اذا اهمتها ولم تقضها وتكرير الانكار لحسبانها يتضمن تكرير انكاره للحشر ويتضمن الاستدلال على صحة البعث ايضا وتقريره ان اعطاء القدرة والآلة والفعل بدون التكليف والامر بالمحاسن والنهى عن المفاسد يقتضى كونه تعالى راضيا بقبائح الاعمال وذلك لا يليق بحكمته اذا لا بد من التكليف فى

الدنيا والتكليف لا يليق بالكريم الرحيم الا لان يميز الذين آمنوا وعملوا الصلاحات من المفسدين فى الارض ولا يجعل المتقين كالفجار ويجازى كل نفس بما تسعى والمجازاة قد لا تكون فى الدنيا فلا بد من البعث والقيامة وانما لم تكن الدنيا دار المجازاة لضيقها وقد قال بعض الكبار من طلب تعجيل نتائج اعماله واحواله فى هذه الدار فقد اساء الادب وعامل الموطن بما لا تقتضيه حقيقته.

٣٧

{ الم يك نطفة من منى يمنى } الخ استئناف وارد لابطال الحسبان المذكور فان مداره لما كان استبعادهم للاعادة استدل على تحققها ببدء الخلق وقال ابن الشيخ هو استدلالى صحة البعث بدليل ثان والاستفهام بمعنى التوبيخ والنطفة بالضم الماء الصافى قل او كثر والمنى ماء الرجل والمرأة اى ما خلق منه حيوان فالحبل لا يكون الا من الماءين ويمنى بالياء صفة منى وبالتاء صفة نطفة بمعنى يصب ويراق فى الراحم ولذا سميت من كالى وهى قرية بمكة لما يمنى فيها من دماء القرابين والمعنى الم يكن

الانسان ماء قليلا كأسا من ماء معروف بخسة القدر وساتقذار الطبع ولذا نكرهما بمنى ويصب فى الرحم نبه سبحانه بهذا على خسة قدر الانسان اولا وكمال مقدرته ثانيا حيث صير مثل هذا الشيي الدنى بشرا سويا وقال بعضهم فائدة قوله يمنى للاشارة الى حقارة حاله كأنه قيل انه مخلوق من المنى الذى يجرى على مخرج النجاسة فكيف يليق بمثل هذا ان يتمرد عن طاعة الله فيما امر به ونهى الا انه تعالى عبر عن هذا المعنى على سبيل الرمز كما فى قوله تعالى فى عيسى ومريم عليهما السلام كانا يأكلان الطعام والمراد منه قضاء الحاجة كناية.

٣٨

{ ثم كان علقة } اى ثم كان المنى بعد اربعين يوما قطعة دم جامد غليظ احمر بقدرة الله تعالى بعد ما كان ماء أبيض كقوله تعالى ثم خلقنا النطفة علقة وهو عطف على قوله ألم يك لان انكار عدم الكون يفيد ثبوت المكون فالتقدير كان الانسان نطلفة ثم كان علقة

{ فخلق } اى فقدر بأن جعلها مضغة مخلقة بعد اربعين

اخرى اى قطعة لحم قابل لتفريق الاعضاء وتمييز بعضها من بعض وجعل

المضغة عظاما تتميز بها الاعضاء بأن صلبها فكسا العظام لحما يحسن به

خلقه وتصويره ويستعد لافاضة القوى ونفخ الروح

{ فسوى } فعدله وكمن نشأته (قال الكاشفى) بس راست

كردصورت واندام اورا ووح دردميد . وفى المفرات جعل خلقه على ما

اقتضته الحكمة الالهية اىجعله معادلا لما تقتضيه الحكمة وقال بعضهم معنى

لانسوية والتعديل جعل كل عضو من اعضائه الزوج معادلا لزوجه.

٣٩

{ فجعل منه } اى من الانسان باعتبار الجنس او من المنى

وجعل بمعنى خلق ولذا اكتفى بمفعول واحد وهو قوله

{ الزوجين } اى الصنفين

{ الذكر والانثى } بدل من الزوجين ويجوز أن يكونا منصوبين باضمار أعني ولا يخفى ان الفاء تفيد التعقيب فلا بد من مغايرة بين المتعاقبين فلعل قوله فخلق فسوى محمول على مقدار مقدر من الخلق يصلح به للتفرقة بين الزوجين وقوله فجعل منه الزوجين على التفرقة الواقعة.

٤٠

{ أليس ذلك } العظيم الشان الذى انشأ هذا الانشاء البديع

{ بقادر على ان يحي الموتى } وهو أهون من البدء فى قياس العقل لوجود المادة وهو عجب الذنب والعناصر الاصلية (روى) ان النبي عليه السام كان اذا قرأها قال سبحانك اللهم بلى تنزيلها له تعالى عدن عدم القدرة على الاحياء واثباتا لوقوعها عليه وفى رواية بلى ولله بلى والله وقال ابن عباس رضى الله عنهما من قرأ سبح اسم ربك الا على اماما كان او غير فليقل سبحان ربى الاعلى ومن قرأ الا اقسم بيوم القيامة فاذا انتهى الى آخرها فليقل سبحانك اللهم بلى اماما كان او غيره وفى

الحديث (من قرأ منكم والتين والزيتون فانتهى الى آخرها أليس الله بأحكم الحاكميم فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ومن قرأ لا اقسم بيوم القيامة فانتهى الى أليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى فليقل سبحانك بلى ومن قرأ والمرسلات عرفا فبلغ فبأى حديث بعده يؤمنون فليقل آمنا بالله) وفى الآية اشارة الى ان الله يحيي موتى اهل الدنيا بالاعراض عنها والاقبال على الآخرة والمولى وايضا يحيي موتى النفوس بسطوع انوار القلوب عليها وايضا يحيي موتى القلوب تحت ظلمة النفوس الكافرة الظلمانية بنور الروح والسر والخفى ومن اسند العجز الى الله فقد كفر بالله نسأل الله تعالى العصمة وحسن الخاتمة.

سُورَةُ الْإِنْسَانِ مَكِّيَّةٌ

وَهِيَ إِحْدَى وَثَلاَثُونَ آيَةً

١

{ هل أتى } استفهام تقرير وتقريب فان هل بمعنى قدو الاصل

أهل أتى اى قد أتى وبالفارسية آيا آمد يعني برستى كه آمده . تركوا الالف

قبل هل لانها لا تقع الا فى الاستفهام وانما لوم ادارة الاستفهام

ملفوظة او مقدرة اذا كان بمعنى قد ليستفاد التقرير من همزة الاستفهام

والتقريب من قد فانها موضوعة لتقريب الماضى الى الحال والدليل على ان

الاستفهام غير مراد ان الاستفهام على الله محال فلا بد من حمله على الخبر

تقول هل وعظتك ومقصودك أن تحمله على الاقرار بأنك قد وعظته وقد

يجيئبمعنى الجحد تقول وهل يقدر أحد على مثل هذا فتحمله على أن

يقول لا يقدر أحد غيرك

{ على الانسان } قبل زمان قريب المراد جنس الانسان لقوله من

نطفة لان آدم لم يخلق منها ثم المراد بالجنس بنوا آدم او ما يعمه وبنيه على

التغليب او نسبة حال البعض الى الكل للملابسة على المجاز

{ حين من الدهرؤ } الحين زمانا مطلق ووقت مبهم يصلح لجميع

الازمان طال او قصر وفى المفردات الحين وقت بلوغ لاشئ وحصلوه وهو

مبهم ويتخصص بالمضاف اليه نحو ولات حين ماص ومن قال حين على اوجه للاجل والمنية واللسعاة وللزمان الملطق انما فسر ذلك بحسب ما وجده قد علق به والدهر الزمان الطويل والمعنطائفة محدودة كائنه من الزمن الممتد وهى مدة لبثه فى بطن امه تسعة اشهر ان صار شيأ مذكورا على ما ذهب اليه ابن عباس رضى الله عنهما

{ لم يكن } فيه فالجملة صفة اخرى لحين بحذف الضمير

{ شيأ مذكورا } بل كان شيأ منسيا غيرمذكورا بالانسانية اصلا نطفة فى الاصلاب فما بين كونه نطفة وكونه شيأ مذكورا بالانسانية مقدار محدود من الزمان وتقدم عالم الارواح لا يوجب كونه شيأ مذكورا عند الخلق ما لم يتعلق بالبدن ولم يخرج الى عالم الاجسام (روى) ان الصديق او عمر رضى الله عنهما كما فى عين المعانى لما سمع رجلا يقرأ هذه الآية بكى وقال ليتها تمت فلا شئ أراد ليست تلك تمت وهى كونه شيأ غير مذكور ولم يخلق ولم يكلف ومعنى الاستفهام التقريرى فى الآية أن يحمل من ينكر البعث على الاقرار بأنه نعم أتى عليه فى زمان قريب من

زمان الحال حين من الدهر لم يكن شيئأ مذكورا فيقال له من أحدثه بعد

أن لم يكن كيف يمتنع عليه بعثه واحياؤه بعد موته وقال القاشانى اى كان

شيأ فى علم الله بل فى نفس الفامر لقدم روحه ولكنه لم يذكر فيما بين

الناس لكونه فى عالم الغيب وعدم شعور من فى عالم الشهادة به وفى

التأويلات النجمية اعلم ان للانسان صورة علمية غيبية وصورة عينية

شهادية وهو من حيث كلتا الصورتين مذكور عند الله ازلا وابدا لا يعزب

عن علمه مثقال ذرة لعلمه الازلى الابدى بالاشياء قبل ايجاد الاشياء وقبل

وجودها خلق الخلق وهم معدومون فى كتم العدم وعلمه بنفسه يستلزم

علمه بأعيان الاشياءلان الاشياء مظهر اسمائه وصفاته وهى عين ذاته

فافهم اى ما أتى على الانسان حاضرته له مشهودة عنده وهل للاستفهام

الانكارى بخلاف المحجوبين عن علم المعرفة والحكمة الالهية وقال جعفر

الصادق رضى الله عنه هل أتى عليك يا انسان وقت لم يكن الله ذاكرا

لك فيه.

٢

{ انا خلقنا الانسان } اى خلقناه يعنى جسمه والاظهار لزيادة التقرير

{ من نطفة } حتى كان علقة فى اربعين يوم ومضغة فى ثمانين ومنفوخا فيه الروح فى مائة وعشرين يوما كما كان ابوهم آدم خلق من طين فألقى بين مكةوالطائف فأقام أربعين سنة ثم من حمأ مستون فأقام أربعين سنة اخرى ثم من صلصال فأقام اربعين سنة اخرى فتم خلقه فى مائة وعشرين سنة اخرى فنفخ فيه الروح على ما جاء فى رواية الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما فما كان سنين فى آدم كان اياما فى اولاده وحمل بعضهم الانسان الاول على آدم والثانى على اولاده على أن يكون الحين هو الزمن الطويل الممتد الذى لا يعرف مقداره والاول وهو حمله فى كلا الموضعين على الجنس اظهر لان المقصود تذكير الانسان كيفية الخلق بعد أن لم يكن ليتذكر او امره من عدم كونه شيأ مذكورا او آخر أمره من كونه شيأ مذكورا مخلوقا من ماء حقير فلا يستبعد البعث كما سبق

{ امشاج } اخلاط بالفارسية آميختها . جمع مشج

كسبب او كتنف على لغتيه او مشيج من مشجت الشئ اذا خلطته

وصف النطفة بالجمع مع افرادها لما ان المراد بها مجموع الماءين يختلطان فى

الرحم ولكل منهما اوصاف مختلفة من اللون والرقة والغلظ وخواص متباينة

فان ملاء الرجل ابيض غليظ فيه قوة العقد وماء المرأة اصفر رقيق فيه قوة

الانعقاد فيخلق منهما الولد فأيهما علا صاحبه كان الشبه له وما كان من

عصب وعظم وقوة فمن ماء الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء

المرأة على ما روى فى المرفوع وفى الخبر ما من مولود الا وقد ذر على نطفته

من تربة حفرته كل واحد منهما مشيخ بالآخر وقال الحسن رحمه الله نطفة

مشيجة بدم وهو دم الحيض فاذا حبلت ارتفع الحيض واليه ذهب

صاحبالقاموس حيث قال ونطفة امشاج مختلطة بماء المرأة ودمها انتهى

فيكون النطفتان ودمها جمعا وقال الراغب هو عبارة عما جعل الله بالنطفة

من القوى المختلفة المشار اليهابقوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من

طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة الآية انتهى

فيكون معنى امشاج ألوان وأطوار على ما قال قتادة وفى التأويلات النجمية اى من نطفة قوة القابلية المتشجة المختلطة بنطفة قوة الفاعلية اى خلقناه من نطفة الفيض الاقدس المتعلق بالفاعل ونطلفة الفيض المقدس المتعلق بالقابل فالفيض الاقدس الذاتى بمنزلة ماء الرجل والفيض المقدس الاسمائى بمنزلة بمنزلة ماء المرأة

{ نبتليه } حال مقدرة من فاعل خلقنا اى مريدين ابتلاءه واختباره بالتكيف فيما سيأتى ليتعلق علمنا بأحواله تفصيلا فى العين بعد تعلقه بها ايا لا فى العلم وليظهر احوال بعضهم لبعض من القبول والرد والسعادة والشقاوة

{ فجعلناه سميعا بصيرا } ليتمكن من استماع الآيات التنزيلية وشماهدة الآيات التكوينية فهو كالمسبب عن الابتلاء اى عن ارادته فلذلك عطف على الخلق المقيد به بالفاء كأنه قيل انا خلقناه مريدين تكليفه فأعطيناه ما يصح معه التكليف والابتلاء وهو السمع والبصر وسائر آلات التفهيم والتمييز وطوى ذكر العقل لان المراد ذكر ما هو من اسبابه العقل

وفى الاختيار صيغة المبالغة اشارة الى كمال احسانه اليه وتمام انعامه وبصيرا مفعول ثان بعد ثان لجعلناه وفى التأويلات النجمية فجعلناه سميعا جميع المسموعات بصيرا جميع المبصرات كما قال كنت سمعه وبصره فبي يسمع وبي يبصر فلا يفوته شيئ من المسموعات ولا من المبصرات فافهم جدا يا مسكين وقال أبو عثمان المغربى قدس سره ابتلى الله الخلق بتسعة امشاج ثلاث فتانات هى سمعه وبصره ولسانه وثلاث كافرات هن نفسه وهواه وعدوه الشيطان وثلاثة مؤمنات هى عقله وروحه وقلبه فاذا أيد الله العبد بالمعونة قهر العقل على القلب فملكه واستأسر النفس والهوى فلم يجدا الى الحركة سبيلا فجانست النفس الروح وجانس الهوى العقل وصارت كلمة الله هى العليا قال الله تعالى قاتلوهم حتى لا تكون فتنة.

٣

{ انا هديناه السبيل } مرتب على ما قبله من اعطاء الحواس فانه استئناف تعليلى لجعله سميعا بصيرا يعنى ان اعطاء الحواس الظاهرة والباطنة والتحلى بها متقدم على الهداية والمعنى أريناه وعرفناه طريق الخير ولاشر

والنجاة والهلاك بانزال الآيات ونصب الدلائل كما قال وهديناه النجدين اى بينا له طريق الخير والشر فان النجد الطريق الواضح المرتفع فالمراد بالهداية مجرد الدلالة لا الدلالة الموصلة الى البغية كام فى بعض التفاسير

{ اما شاكرا

واما كفورا } حالا من مفعول هديناه قال فى الارشاد اى مكناه وأقدرناه على سلوك الطريق الموصل الى البغية فى حالتيه جميعا فاما التفصيل ذى الحال فانه مجمل من حيث الدلالة على الاحوال لا يعلم ان المراد هدايته فى حال كفره او فى حال ايمانه وبالتفصيل تبين انها تعلقت به فى كل واحدة من الحالين فالشاكر الموحد والكفور الجاحد لان الشكر الاقرار بالمنعم ورأس الكفر ان جحوده ويقال شاكر النعمة وكفورها قال الراغب الكفور يقال فى كافر النعمة وكافر الدين جميعا ويجوز أن يكون اما للتقسيم بأن يعتبر ذو الحال من حيث انه مطلق وهو اللفظ الدال على الماهية من حيث هى ويجعل كل واحد من مدخولى اما قيدا له فيحصل بالتقييد بكل

منهما قسم منه اى مقسوما اليهما بعضهم شاكر بالاهتدآء والاخذ فيه وبعضهم كفور بالاعراض عنه وايراد الكنور لمراعاة الفواصل اى رؤوس الآى والاشعار بأن الانسان قلما يخلوا من كفران ما وانما المؤاخذ عليه الكفر المفرط والشكور قليل منهم ولذا لم يقل اما شكورا

واما كفورا

واما شاكرا

واما كافرا والحاصل ان الشاكر والكفور كنايتان عن المثاب والمعاقب ولما لم يكن مجرد الكفران مستلزما للمواخذة لم يصح أن الاثابة على مطلق الشكر لا على المبالغة فيه كما ادير المؤآخذة على المبالغة فى الكفران لا على اصله وكل ذلك بمقتضى سعة رحمة الله وسبقها على غضبه وقرأ ابو السماك بفتح الهمزة فى اما وهى قرآءة حسنة والمعنى اما كونه شاكرا فبتوفيقنا

واما كونه كفورا فبسوء اختياره وفى التأويلات النجمية انا خيرناه فى الاهتدآء الى سبيل التنكر المتعلق باليد اليمنى الجمالية او الى سبيل الكفر المتعلق باليد اليسرى الجلالية فاختار بعضهم سبيل الشكر من مقتضى حقائقهم واستعداداتهم الازلية واختار بعضهم سبيل الكفر من مقتضى حقائقهم وقابليتهم الازلية ايضا كام قال هؤلاء اهل الجنة ولا الالى وهؤلاء اهل النار ولا ابالى اى المدح والذم يتعلق بهم لابى ولما ذكر الفريقين اتعبهما الوعيد والوعد فقال

٤

{ انا اعتدنا } هيأنا فى الآخرة فان الاعتاد اعداد الشئ حتى يكون عتيدا حاضرا متى احتيج اليه

{ للكافرين } الاسرار اعتدنا للكافرين فى جهنم سلاسل كل سلسلة سبعون ذراعا وهو بغير تنوين فى قرآءة حفص

واما الوقف فبالالف تارة وبدونها اخرى وتسلسل الشئ اضطرب كأنه تصور منه تسلسل وتردد فتردد لفظه تنبيه على تردد معناه ومنه السلسلة وفى القاموس السلسلة اى بالفتح ايصال الشئ بالشئ وبالكسر دآئرة من حديد ونحوه

{ واغلالا } بها يقيدون اهانة وتعذيبا لا خوف من الفرار جمع غل بالضم وهو ما تطوق به الرقبة للتعذيب وقد سبق فى الحاقة مفصلا

{ وسعيرا } نارا بها يحرقون يعنى وآتشى آفروخته كه دران بيوسته بسوزند.

وانما يجرون الى جهنم بالسلاسل لعدم انقيادهم للحق ويحقرون بأن يقيدون بالاغلال لعدم تواضعهم لله ويحرقون بالنار لعدم احتراقهم بنار الخوف من الله تعالى وفيه اشارة الى ان الله تعالى اعد للمحجوبين عن الحق المشغولين بالخلق سلاسل التعلقات الظاهرة بحب الدنيا وطلبها واغلال العوآئق الباطنة بالرغبة اليها وفيها ونار جهنم البعد والطرد واللعن

وتقديم وعيد الكافرين مع تأخرهم فى مقام الاجمال للجمع بينهما فى الذكر ولان الانذار أهم وأنفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين احسن على ان فى وصفهم تفصيلا ربما يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم.

٥

{ ان الابرار } شروع فى بيان حسن حال اشلاكرين اثر بيان سوء حال الكافرين وايرادهم بعنوان البر للاشعار بما استحقوا به ما نالوه من الكرامة السنية والابرار جمع بركب وأرباب او جمع بار كشاهد واشهاد وهو من يبر خالقه اى يطيعه يقال بررته ابره كعلمته وضربته وعن الحسن رحمه الله البر من لا يؤذى الذر ولا يضمر الشر كما قيل

ولا تؤذ نملا ان أردت كما لكا فان لها نفسها تطيب كما لكا

وفى المفردات البر خلا البحر وتصور منه التوسع فاشتق منه البر اى التوسع فعل الخير وبر العبد ربه توسع فى طاعته ويشمل الاعتقاد والاعمال الفرآئض والنوافل وقال سهل رحمه الله الابرار الذين فيهم خلق

من اخلاق العشرة الذين وعد لهم النبى عليه السلام بالجنة قال عليه السلام (ان اله ثلاثمائة وستين خلقا من لقبه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة) قال أبو بكر رضى الله عنه هل فى منها يا رسول الله قال كلها فيك يا أبا بكر وأحبها الى الله السخاء

{ يشربون } فى الجنة والشرب تناول كل مائع ماء كان او قال يشربون ابتدآء كالمطيعين او انتهى كالمعذبين من المؤمنين بحكم العدل

{ من كأس } هى الزجاجة اذا كانت فيها خمر ونطلق على نفس الخمر ايضا على طريق ذكر المحل وارادة الحال وهو المراد هنا عند الاكثر حتى روى عن الضحاكانه قال كل كاس فى القرءآن فانما عنى به الخمر فمن على الاول ابتدآئية وعلى الثانى بتعيضية او بيانية

{ كان } بتكوين الله

{ مزجها } اى ما تمزج تلك الكأس به يقال مزج الشراب خطله ومزاج البدن وبمازجه من الصفرآء والسودآء والبلغم والدم والكيفيات المناسبة لكن منها

{ كافورا } اى ماء كافور وهو اسم عين فى الجنة فى المقام المحمدى وكذا سائر العيون ماؤها فى بيان الكافور ورآئحته وبرده دون طعمه ولا فنفس الكافور لا يشرب ونظيره حتى اذا جعله نارا اى كنار والكافور طيب معروف يطيب به الاكفان ولاموات لحسن رآئحته واشتقاقه من الكفر وهو الستر لانه يغطى الاشياء برآئحته وفى القاموس الكافور طيب معروف يكون من شجر بجبال بحر الهند والصين يظل خلقا كثيرا وتالفه النمورة وخشبه أبيض هش ويوجد فى اجوافه الكافور وهو انواع ولونها احمر وانما تبيض بالتصعيد وعين فى الجنة انتهى والجملة صفة كأس.

٦

{ عينا } بدل من كافورا يعنى كافور جشمه ايست . والعين الجارية ويقال لمنبع الماء تشبيها بها فى الهيئة وفى سيلان الماء فيها

{ يشرب بها عباد الله } صفة عين وعباد الله هنا الابرار من المؤمنين لان اضافة التكريم الى اسمه الاعظم مختصة بالمؤمن فى الغالب كالاضافة الى كناية التكلم كقولهيا عبادى لرعايتهم حق الربوبية فمن لم يراه فكأنه ليس بعبد له اى يشربون بها الخمر لكونها ممزوجة بها كما تقول شربت الماء بالعسل فيكون كناية عن قوتها فى لذتها وعلى هذا فيه اشارة الى ان المقربين الاقوياء يشربون شراب الكافور صرفا غير ممزوج والظاهر يشرب منها فالباء بمعنى من فان حروف العوامل ينوب بعضها مناب بعض ونظيرهقوله تعالى فانزلنا به الماء اى انزلنا من السحاب الماء صرح به الشيخ المكى رحمه الله فى قوت القلوب

{ يفجرونها تفجيرا } التفجير والتفجرة آب راندن.

وفى المفردات الفجر شق الشئ شقا واسعا كفجر الانسان السكر

يقال فجرته فانفجر وفجرته فتفجر والمعنى يجرونها حيث شاؤا من منازلهم

كما يفيده بناء التفعيل اذ التشديد للكثرة اجراء سهلا لا تمنع عليهم بل

تجرى جريا بقوة واندفاع لان الانهار منقادة لاهل الجنة كالاشجار وغيرها

فتفجيرا مصدر مؤكد للفعل المتضمن معنى السهولة والجملة صفة اخرى

لعينا وفى التأويلات النجمية يشير بالابرار الى عبادة الله المخلصين

المخصوصين بفيض الاسم الاعظم الشامل للاسماء الذين سقاهم ربهم

المتجلى لهم باسمه الباسط بكأس المحبة طهور شراب العشق الممزوج بكافور

برد اليقين المفجر الجارى فى انهار أوراحهم واسرارهم وقلوبهم من فرط الرحمة

وشمول النعمة وقال القاشانى ان الابرار السعدآء الذين برزوا عن حجاب

الآثار والافعال واحتجبوا بحجب الصفات غير واقفين معها بل متوجهين

الى عين الذات مع البقاء فى عالم الصفات وهم المتوسطون فى السلوك

يشربون من كأس محبة حسن الصفات لا صرفا بل كان فى شرابهم مزج من

لذة محبة الذات وهى العين الكافورية المفيدة للذة برد اليقين وبياض النورية

وتفيح القلب المخترق بحرارة الشوق وتقويته فان للكافور خاصية التبريد والتفريج والبياض والكافور عين يشرب بها صرفة عباد الله الذين هم خاصته من اهل الوحدة الذاتية المخصوص محبتهم بعين الذات دون العسفات لا يفرقون بين القهر واللطعف والرفق والعنف والنعمة والبلاء والشدة والرخاء بل تستقر محبتهم مع الاضداد وتستمر لذتهم فلنعماء والضرآء والرحمة والزحمة كما قال احدهم

هواى له فرض تعطف ام جفا ... ومشربه عذب تكدر ام صفا

وكلت الى المحبوب امرى كله ... فان شاء احيانى وان شاء اتلفا

واما الابرار فلما كانوا يحبون المنعم واللطيف والرحيم لم تبق محبتهم عند تجلى القهار والمبتلى والمنتقم بحالها ولا لذتهم بل يكرهون ذلك يفجرونها تفجيرا لانهم متابعها لا اثنينية ثمة ولا غيرية والا لم يكن كافور الظلمة حجاب الانانية واثنينيته وسواده انتهى.

قال بعضهم اختلفت احوالهم فى الدنيا فاختلفت مشاربهم فى الآأخرة فكل يسقى ما يليق بحاله كعيون الحياء وعيون الصبر وعيون الوفاء وغير ذلك ثم ان الكأس اما نفسانية شيطانية وهى ما تكون لاهل الفسق فى الدنيا وهى حرام وفى الحديث (اذا تناول العبد كأس الخمر ناشده الايمان بالله لا تدخلها على فانى لا استقرأنا وهى فى وعاء واحد فان أبى وشربها نفر الايمان نفرة لا يعود اليه اربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه ونقص من عقله شئ لا يعود اليه أبدا)

واما جسمانية رحمانية وهى ما تكون للمؤمنين فى دار الآخرة عطاء ومنحة من الله الوهاب

واما روحانية ربانية وهى ما تكون لاهل المحبة والشوق فى الدارين وهى ألذ الاقداح قال مولانا جلال الدين قدس سره

ألا يا ساقيا انى نظمئان ومشتاق ... ادر كأسا ولا تنكر فان القوم قد ذاقوا

خذ الدنيا وما فيها فان العشق يكفينا ... لنا فى العشق جنات
وبلدان واسواق

٧

{ يوفون بالنذر } استئناف كأنه قيل ماذا يفعلون حتى ينالوا تلك الرتبة العالية فقيل يوفون بما اوجبوه على انفسهم فكيف بما اوجبه الله عليهم من الصلاة والزكاة والصوم والحج وغيرها فهو مبالغة فى وصفهم بالتوفر على ادآء الواجبات والايفاء بالشئ هو الاتيان به تاما وافيا والنذر ايجاب الفعل المباح على نفسه تعظيما لله أن يقول لله على كذا من الصدقة وغيرها وان شفى مريضى اورد غائبى فعلى كذا واختلفوا فيما اذا علق ذلك بما ليس من وجوه البر كما اذا قال ان دخل فلان الدار فعلى كذا ففى الناس من جعله كاليمين ومنهم من جعله من باب النذور قيل النذر كالوعد الا انه اذا كان من العباد فهو قال واذا كان من الله فهو وعد والنذر قربة مشروعة ولا يصح الا فى الطاعة وفى الحديث (من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه) قال هرون بن معروف

جاءنى فتى فقال ان أبى حلف على بالطلاق ان اشرب دوآء مع مسكر فذهب به الى أبى عبد الله فلم يرخص له وقال قال عليه السلام (كل مسكر حرام) واذا جمع الاطباء على ان شفاء المريض فى الخمر لا يشربها اذا كان له دواء آخر واذا لم يكن يشربها ويتداوى بها فى قول ثم ان الاهتمام بما اوجب الله على عبده ينبغى ان يكون اكمل مما اوجه العبد على نفسه ومن الناس من هو على عكس ذلك فانه يتهاون بما اوجبه الله عليه فلا يؤدى الصلاة الواجبة مثلا واذا نذر شيأ فى بعض المضايقات يسارع الى الوفاء وليس الا من الجهل وقال القاشانى اى الابرار يوفون بالعهد الذى كان بينهم وبين الله صبحة يوم الازل بانهم اذا وجدوا التمكن بالآلات والاسباب ابرزوا ما فى مكا من استعداداتهم وغيوب فطرتهم من الحقائق والمعارف والعلو والفضائل واخرجوها الى الفعل بالتزكية والتصفية

{ ويخافون يوما } اى يوم القيامة

{ كان شره } اى هوله وشدته وعذاب

{ متسطير } فاشيا منتشرا فى الاقطار غاية الانتشار بالغا اقصى المبالغ . يعنى مبهمة كس بهمه جاء رسيده . من الاستطار الحريق اى لانار وكذا الفجر قال فى القاموس المستطير الساطع المنتشر واستطار الفجر انتشر وهو ابلغ من طار بمنزلة استنفر من نفر واطلق الشر على اهوال القيامة وشدآئدها المنتشرة غاية الانتشار حتى ملأت السموات والارض مع انها عين حكمة وصاب لكونها مضرة بالنسبة الى من تنزل السموات والارض مع انها عين حكمة وصاب لكوناه مضرة بالنسبة الى من تنزل عليه ولا يلزم من ذلك ان لا يكون خيره مستطيرا ايضا فان ليوم القيامة امورا سارة كما ان له امورا ضارةقال سهل رحمه الله البلايا والشدآئد عامة فى الآخرة للعامة والملامة خاصة للخالصة ثم ان يوفون الخ بيان لاعمالهم واتيانهم لجميع الواجبات وقوله ويخافون الخ بيان لنياتهم حيث اعتقدوا يوم البعث والجزاء فخافوا منه فان الطاعات انما تتم بالنيات وبمجموع هذين الامرين سماهم الله بالابرار قال بعض العارفين يشير الى ارباب السلوك فى طريق الحق وطلبه حيث اوجبوا على انفسهم انواع

الرياشات واصناف المجاهدات وتركوالرقاد واهلكوا بالجوع الاجساد واحرقوا بالعطش الاكباد وسدوا الاذان من استماع كلام الاغيار وأعموا ابصارهم عن رؤية غير المحبوب الحقيقى وختموا على القلوب عن محبة غير المطلوب الازلى خوفوا انفسهم من يوم تجلى صفة القهر والسخط باستيلاء الهيئات المظلمة على القلب وهو نهاية مبالغ الشر فاجتهدوا حتى خلصهم الله مما خافوا وأدخلهم فى حرمة الآمن.

٨

{ ويطعمون الطعام على حبه } اى كائنين على حب الطعام والحاجة اليه ونحوه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون او على حب الاطعام فيطعمون بطيب النفس فالضمير الى مصدر الفعل كما فى قوله تعالى اعدلوا هو اقرب للتقوى او كائنين على حب الله او اطعاما كائنا على حبه تعالى وهو الانسب لما سيأتى من قوله لوجه الله فالمصدر مضاف الى المفعول والفاعل متروك اى على حبهم لله ويجوز ان يضاف الى الفاعل والمفعول متروك اى عى حب الله الاطعام والطعام خلاف الشراب وقد

يطلق على الشراب ايضا لان طعم الشئ ذوقه مأكولا او مشروبا والظاهر الخصوص وان جاز العموم . واعلم ان مجامع الطاعات محصورة فى امرين الطاعة لامر الله واليه الاشارةبقوله يوفون بالنذر والشفقة على خلق الله واليه الارادة بقوله ويطعمون الطعام فان الطعام وهو جعل الغير طعاما كناية عن الاحسان الى المحتاجين والمواساة معهم بأى وجه كان وان لم يكن ذلك بالطعام بعينه الا ان الاحسان بالطام لما كان اشرف انواع الاحسان عبر عن جنس الاحسان باسم هذا النوع كما فى حواشى ابن الشيخ وقال بعضه اهل المعرفة اى يتجردون عن المنافع المالية ويزكون انفسهم عن الرذائل خصوصا عن الشح لكون محبة الله المال اكثف الحجب فيتصفون بفضيلة الايثار وسد خلة الغير فى حال احتياجهم او يزكون انفسهم عن رذيلة الجهل فيطعمون الطعام الروحانى من الحكم والشرآئع على حب الله من ذكر من قوله

{ مسكينا } فقيرا لا شئ له عاجزا عن الكسب وبالفارسية درويش بى مايه.

وقال الشاقانى المسكين الدائم السكون الى تراب البدن

{ ويتيما } طفلا لا أب له

{ واسيرا } الاسر الشد بالقد سمى الاسير بذلك ثم قيل لكل مأخوذ مقيد وان لم يكن مشدودا بذلك والمعنى واسيرا مأخوذا لا يملك لنفسه نصرا ولا حيلة اى اسير كان فانه عليه السلام كان يوتى بالسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه لانه يجب الطعام الاسير الكافر والاحسان فى دار السلام بما دون الواجبات عند عامة العلماء الى ان يرى الامام رأيه فيه من قتل او من او فداء او استرقاق فان القتل فى حال لا ينافى وجوب الاطعام فى حال اخرى ولا يجب اذا عوقب بوجه ان يعاقب بوجه آخر ولذا لا يحسن فيمن يلزمه القصاص ان يفعل به غير القتل والمعنى اسيرا مؤمنا فيدخل فيه المملوك عبدا او أمة كذا المسبحون . يعنى مسبحون ازاهل فقركه درحقى ازحقوق مسلمين حبس كرده باشند . وقد سمى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الغريم أسيرا فقال غريمك اسيرك

فأحسن الى أسيرك اى بالامهال والوضع عنه بعضا او كلا وهو كل الاحسان وفى الحديث

(من أنظر معسرا ووضع له اظله الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله) اى حماه من حرارة القيامة

وقيل الزوجة من الاسرآء فى يد الازواج لما قال عليه السلام (اتقوا الله فى النساء فانهن عوانى عندكم) والعانى الاسير وفى القاموس العوانى النساء لانهن يظلمن فلا ينتصرن وقال القاشانى الاسير المحبوس فى أسر الطبيعة وقيود صفات النفس وفى التأويلات النجمية ويطعمون طعام المعارف والحكم الالهية المحبوبة لهم مسكين السر لقرب انقياده تحت حكم الروح وذلته تحت عزته وتيتم القلب لبعد عهده ومكانه من أبيه الروح وأسير الاعضاء والجوارح المقيدين بقيود أحكام الشريعة وبحال آثر الطريقة انتهى.

٩

{ انما نطعمكم لوجه الله } جزاين نيست كه ميخورانيم

شمارا اى طعامها براى رضاى خدا . على ارادة قول هو فى موقع الحال

من فاعل يطعمون اى قائلين ذلك بلسان الحال او بلسان المقال ازاحة

لتوهم المن المبطل للصدقة وتوقع المكافأة المنقصة للاجر

هرچه دهى مى ده ومنت منه ... وآنچه بمنت دهى آن خود مده

منت ومزده كه دراحسان بود ... وقت جزا موجب نقصان بود

وعن الصديقة رضى الله عنها انها كانت تبعث بالصدقة الى اهل

بيت ثم تسأل الرسول ما قالوا فاذا ذكر دعاءهم دعت لهم بمثله ليبقى

ثواب الصدقة لها خالصا عند الله والوجه الجارحة عبر به عن الذات لكونه

اشرف الاعضاء وقال بعضهم الوجه مجاز عن الرضى لان الرضى معلوم

فى الوجه وكذا السخط

{ لا نريد منكم جزآء } على ذلك بالمال والنفس والفرق بين الجزآء والاجر أن الاجر ما يعود من ثواب العمل دنيويا كان او اخرويا ويقال فيما كان عن عقد وما يجرى مجرى العقد ولا يقال الا فى النافع

واما الجزآء فيقال فيما كان عن عقد وغير عقد ويقال فى النافع والضار والمجازاة المكافأة وهى ماقبلة نعمة بنعمة هى كفؤها

{ ولا شكورا } اى شكرا باللسان ومدحا ودعاء وهو مصدر على وزن الدخول والجملة تقرير وتأكيد لما قبلها قال القاشانى لا نريد منكم مكافأة وثناء لعدم الاحتجاب بالاعراض والاعواض وفى التأويلات النجمية لا نريد منكم جزآء بالذكر الجميل فى الدنيا ولا شكورا عن عذاب الآخرة اذ كل عمل يعمله العامل لثواب الآخرة لا يكون لوجه الله بل يكون لحظ نفسه كما قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا وقال عليه السلام حكاية عن الله تعالى (أنا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه معى غيرى تركته وشركه) والحاصل ان معاملة العبد المخلص انما هى مع الله فلا حق له

على الغير فكيف يريد ذلك وفيه نصح لمن أراد النصيحة فان الاطعام ونحوه حرام بملاحظة الغير وحظ النفس فيجب ان يكون خالصا لوجه الله من غير شوب بالرياء وبحظ المنعم

زعمرواى بسر جشم اجرت مدار ... جود درخانه زيد باشى بكار

١٠

{ انا نخاف من ربنا يوما } اى عذاب يوم وهو مفعول نخاف فمن ربنا حال متقدمة منه ولو أخر لكان صفة له او مفعوله قوله ربنا بواسطة الحرف على ما هو الاصل فى تعديته لانه يقال خاف منه فيكون يوما بدلا من محله بدون تقدير بناء على التعدية بنفسه او بتقدير نخاف آخر

{ عبوسا } من قبيل اسناد الفعل الى زمانه والمعنى تعبس فيه الوجوه . يعنى روزى كه رويها دروترش كردد ازشدت اهوال . كما روى ان الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران والعبوس

قطوب الوجه من ضيق الصدرأو معنى عبوسا يشبه الاسد العبوس فى الشدة والضراوة اى السطوة والاقدام على ايصال الضرر بالعنف والحدة لكل من رآه فهو من المبالغة فى التشبيه فان العبوس الاسد كالعباس

{ قمطريرا } شديدا العبوس فلذلك نفعل بكم ما نفعل رجاء ان يقينا ربنا بذلك شره لا لارادة مكافأتكم فقوله انا نخاف الخ بدل من انما نطعمكم الخ فى معرض التعليل لاطعامهم يقال وجه قمطرير اى منقبض من شدة العبوس وفى الكشاف والقمطرير العبوس الذى يجمع بين عينيه . وازامام حسن بصرى رحمه الله برسيدندكه قمطرير جيست فرمودكه سبحان الله ما اشد اسمه وهو اشد من اسمه يعنى جه سخت است اسم روزقيامت واوسخت تراست ازاسم خود.

١١

{ فوقاهم الله شر ذلك اليوم } بسبب خوفهم وتحفظهم منه . يعنى نكاه داشت خداى تعالى ايشانرا ازبدى ورنج وهول وعذاب آن

روز . فشر مفعول ثان لوقى المتعدى الى اثنين وفى الحديث الصحيح قال رجل لم يعمل حسنة قط لأهله اذا مات فحرقوه ثم اذر وانصفه فى البر ونصفه فى البحر فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذابا لا يعذبه أحد من العالمين فلما مات الرجل فعلوا ما امرهم فأمر الله البر فجمع ما فيه وأمر البحر فجمع ما فيه ثم قال فلم فعلت هذا قال من خشيتك يا رب وأنت اعلم فغفر الله له اى بسبب خشيته وقوله لئن قدر الله بتخفيف الدال من القدرة اى لئن تعلقت قدرته يوم البعث بعذاب جسمه ظن المسكين انه بالفناء على الوجه المذكور يلتحق بالمحال وقدرة الله لا تتعلق بالمحال فلا يلزم منه الكفر فجمع رماده من البر والبحر محمول على جمع اجزآئه الاصلية يوم القيامة ويجوز أن يحمل على حال البرزخ فان السؤال فيه للروح والسجد جميعا على ما هو المذهب الحق

{ ولقاهم نضرة وسرورا } اى اعطاهم بدل عبوس الفجار وحزنهم نضرة فى الوجوه يعنى تازكى وجوبرويي وسرورا فى القلوب يعنى شادى وفرح دردل فهما مفعولان ثانيان وفى تاج المصادر التلقية جيزى بيش كسى

آوردن . وفى المفرادات لقيته كذا اذا استقبلته به قال تعالى ولقاهم نضرة وسرورا.

١٢

{ وجزاهم } اعطى كل واحد منهم بطريق الاجر والعوض

{ بما صبروا } ما مصدرية اى بسبب صبرهم على مشاق الطاعات ومهاجرة هوى النفس فى اجتناب المحرمات وايثار الاموال وفى الحديث (الصبر اربعة الصبر على الصدمة الاولى وعلى اداء الفرآئض وعلى اجتناب المحارم وعلى المصائب)

{ جنة } مفعول ثان لجزاهم اى بستانا يأكلون منه ما شاؤا

{ وحريرا } يلبسونه ويتزينون به وبالفارسية وجامه ابريسم بهشت بيوشند . فالمراد بالجنة ليس دار السعادة المشتملة على جميع العطايا والكرامات والا لما احتيج الى ذكر الحرير بعد ذكر الجنة بل البستان كما ذكرنا فذكرها لا يغنى عن ذكر الملبس ثم ان البستان فى مقابلة الاطعام

والصبر على الجوع والحرير فى مقابلة الصبر على العرى لان ايثار الاموال

يؤدى الى الجوع والعرى وعن ابن عباس رضى الله عنهما

ان الحسن والحسين رضى الله عنهما مرضا فعادهما النبي عليه السلام فى

ناس معه فقالوا لعلرضى الله عنه لو نذرت على ولديك نذرا يعنى اكر

نذر كنى براميد عافيت وشفاى فرزندان مكر صواب باشد . فنذر على

وفاطمة وفضة جارية لهما رضى الله عنهم ان برئا مما بهما ان يصوموا ثلاثة

ايام تقربا الى الله وطلبا لمرضاته وشكرا له فشفيا فصاموا وما معهم شئ

يفطرون عليه فاستقرض على من شمعون الخيبرى اليهودى ثلاثة اصوع من

شعير وهو جمع صاع وهو اربعة امداد كل مد رطل وثلث قال الداودى

معياره الذى لا يختلف اربع حفنات بكفى الرجل الذى ليس بعظيم الكفين

ولا صغيرهما اذ ليس كل مكان يوجد في صاع النبى عليه السلام فطحنت

فاطمة رضى الله عنها صاعا يعنى فاطمه زهرا ازان جوبك صاع بآسيا

دست آرد كرد . وخبزت خمسة اقراص على عددهم جمع قرص بمعنى الخبزة

فوضعوا بين ايديهم وقت الافطار ليفطروا به فوقف عليهم سائل فقال

السلام عليكم يا اهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين اطعمونى اطعمكم الله من موآئد الجنة فآثروه يعنى حضرت على رضى الله عنه نصيب خود بدان مسكين دادرسائر اهل بيت موافقت كردند يعنى سخن درويش بسمع على رسيد روى فرا فاطمه كرد وكفت

فاطم ذات المجد واليقين ... يا بنت خير الناس اجمعين

اما ترين البائس المسكين ... قد قام بالباب له حنين

يشكو الى الله ويستكين ... يشكو الينا جائعا حزين

فاطمة رضى الله عنها اورا جواب داد وكفت

امرك يا ابن عم سمع طاعة ... ما بيّ من لؤم ولا ضراعه

ارج اذا اشبعت ذا مجاعة ... ألحق بالاخيار والجماعه

وأدخل الخلد ولى شفاعة ... آنكه طعام بيش نهاده بودند جمله بدرويش دادند وبركرسنكى صبر كردند . وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما.

فاطمه رضى الله عنها صاعى ديكر جوآرد كرد واذان نان . فلما

اسموا ووضعوا الطعام بين ايديهم وقف عليهم يتيم فقال السلام عليكم يا

أهل بيت محمد بيتيم من اولاد المهاجرين استشهدوا لدى يوم العقبة

اطعمونى اطعمكم الله من موائد الجنة . حضرت على رضى الله عنه جون

سخن آن يتيم شنيد روى فرافاطمه كرد وكفت

انى لأعطيه ولا أبالى ... واو ثر الله على عيالى

امسوا جياعا وهمو أشبالى ... اصغرهم يقتل فى القتال

ف ثروه يعنى همجنان طعام كه دربيش بود جمله بيتيم دادند وخود

كرسنه خفتند ديكر روز آن صاع كه مانده بود فاطمه رضى الله عنها آنرا

آرد كرد وتان بخت . فما امسوا ووضعوا الطعام بين ايديهم وقف عليهم

اسير فقال السلام عليكم اهل بيت النبوة سير من الاسارى أطعمكم الله

من موآئد الجنة . آن طعام باسر دادند وبجزآب والحسين رضى الله

عنهم فأقبلوا على النبى عليه السلام فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ

من شدة الجوع قال عليه السلام (ما أشد ما يسوءنى ما أرى بكم) وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة فى محرابها قد التصق ظهرها ببطها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل عليه السلام وقال خذ يا محمد هنأك الله فى أهل بيتك فاقرأه السورة ولا يلزم من هذا أن يكون المراد من الابرار أهل البيت فقط لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فيدخل فيه غيرهم بحسب الاشتراك فى العلم وقد ضعفت القصة بتضعيف الراوى الا انها مشهورة بين العلماء مسفورة فى الكتب قال الحكيم الترمذى رحمه الله هذا حديث مفتعل لا يروج الاعلى احمق جاهل ورواه ابن الجوزى فى الموضعات وال لا شك فى وضعه ثم صحة الرواية تقتضى كون الآية مدنية لان انكاح رسول الله فاطمة عليا كان بعد وقعة احد تفسير الفاتحة نقلا عن جمع من العلماء الكبار ان هل أتى على الانسان من السورة النازلة فانها مكية وكذا قال الحسن وعكرمة والماروردى مدنية الا قوله فاصبر لحكم ربك الى بالجهاد فضمت الآيات الملكية الى الآيات المدنية فان

شئت قلت انها اى السورة مكية المكية فالظاهر أن تسمى مدنية لا مكية ونحن لا نشك فى صحة القصة والله اعلم.

١٣

{ متكئين فيها } اى فى الجنة

{ على الارآئك } بر تختهاى آرسته . قوله متكئين حال من هم فى جزاهم والعامل فيها جزى قيد المجازاة بتلك الحال لانها ارفه الاحوال فكان غيرهم لا يدخل فى الجزآء والارآئك هى السرور فى الحجال تكون فى الجنة من الدر واليقاوت موضونة بقضبان الذهب والفضة وألوان الجواهر جمع اريكة كسفينة ولا تكون أركية حتى تكون فى فى حجلة وهى بالتحريك واحد حجار العروس وهى بيت مزين بالثياب والستور والظاهر أن على الارآئك متعلق بمتكئين لان الاتكاء يتعدى بعلى اى مستقرين متمكنين على الارآئك كقوله متكئين على فرض ولا يبعد أن يتعلق بمقدر يكون

حالا من ضمير متكئين اى متكئين فيها على الوسائد او غيرها مستقرين على الارآئك فيكون الاتكاء بمعنى الاعتماد

{ لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا } اى حرارة ولا برودة كما يرون فى الدنيا لان الحرارة غالبة على ارض العرب والبرودة على ارض العجم والروم وهو حال ثانية من الضمير اى يمر عليهم هوآء معتدل لا حار ولا بارد مؤذ يعنى ان قوله لا يرون الخ كناية عنهذا المعنى والزمهرير شدة البرد وازمهر اليوم اشتد برده وفى الحديثهوآء الجنة سجسج لا حرف فيه ولا قر اى معتدل لا حر فيه ولا برد فان القر بالضم البرد وفى الخبر عن النبى عليه السلام انه قال (اشتكت النار الى ربها فقالت اكل بعضهم بعضا فنفسنى فاذن لها فى كل عام بنفسين نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف فأشد ما تجدون من البرد من زمهرير جهنم وأشد ما تجدون من الحر من حرها) وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال فبينما اهل الجنة فى الجنة اذ رأوا ضوأ كضوء الشمس وقد أشرقت الجنان له فيقول اهل الجنة يا رضوان قال ربنا عز وجل لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا فيقول

لهم رضوان ليست هذه بشمس ولا قمر ولكن هذه فاطمة وعلى رضى

الله عهنما ضحكا ضحكا اشرقت الجنان من نور ضحكها وفيهما انزل

الله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر الى قوله وكان سعيكم

مشكورا قال القاشانى لا يرون فى جنة الذات شمس حرارة الشوق اليها مع

الحرمان ولا زمهرير برودة الوقوف مع الاكوان فان الوقوف مع الكون برد

قاسر وثقل عاصر وفى التأويلات النجمية لا يرون فى جنة الوصال حر

شمس المشاهدة المفنى للمشاهد بحيث لا يجد لذة الشهود لان سطوة

المشاهدة تفنى المشاهد بالكلية فلا يجد لذة الشهود من المحبوب المعبود

والى هذا المعنى أشار النبى عليه السلام فى دعاء اللهم ارزقنا لذة مشاهدتك

لا زمهرير برد الحجاب والاستتار.

١٤

{ ودانية عليهم ظلالها } عطف على ما قبلها حال مثلها والظلال

جمع ظل بالكسر نقيض الضح وظلالها فاعل دانية من الدنو بمعنى القرب

اما بحسب الجانب اوبحسب السمك والضمير الى الجنة او اشجارها ومعناه

ان ظلال الاشجار فى الجنة قربت من الابرار من جوانبهم حتى صارت الاشجار بمنزلة المظلة عليهم وان كان لا شمس فيها مؤذية لتظلهم منها ففيه بيان لزيادة نعيمهم وكمال راحتهم فان الظل فى الدنيا للراحة

{ وذللت قطوفها تذليلا } اى سخرت ثمارها لمتناوليها وسهل اخذها للقائم والقاعد والمضطجع تمام التسخير والتسهيل من الذل بالكسر وهو ضد الصعوبة والجملة حال من دانية اى تدنو ظلالها عليهم مذللة لهم قطوفها او معطوفة على دانية اى دانية عليهم ظلالها ومذللة قطوفها وهو جمع قطف بكسر القاف بمعنى العنقود وفطقت العنب قطعته وسمى العنقود قطفا لانه يقطف ويقطع وقت الادراك.

١٥

{ ويطاف } يدر من طاف بمعنى دار والطواف والاطافة كلاهما لازم بالفارسية كرد جيزى بكشتن . وانما جاءب التعدية هنا من الباء فى بآنية

{ عليهم } اى على الابرار اذا أرادوا الشرب والطائف الدآئر هو الخدم كما يجئ

{ بآنية } اوعية جمع اناء نحو كساء واكسية والاوانى جمع الجمع كما فى المفردات واصل آنية آءنية بهمزتين مثل افعلة قال فى بعض التفاسير الباء فيها ان كانت للتعدية فهى قائمة مقام الفاعل لانها مفعول له معنى والا فالظاهر أن يكون القائم مقامه عليهم

{ من فضة } نسب لآنية

{ واكواب } جمع كوب وهو الكوز العظيم المدور الرأس لا اذن له ولا عروة فيسهل الشر منه من كل موضع ولا يحتاج عند التناول الى ادارته وهو مستعمل الآن فى بلاد العرب لما وصف طعامهم ولباسهم ومسكنهم وصف شرابهم وقدم عليه وصف الاوانى التى يشرب بها وذكره بفظ المجهول لان المقصود ما يطاف به لا الطائفون ثم ذكر الطائفين بقوله ويطوف الخ

{ كانت قواريرا } جمع قارورة بالفارسية آبكينه.

وفى القاموس القارورة ما قر فيه الشراب ونحوه.

١٦

{ قوارير من فضة } اى تكونت وحدثت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها ولين الفضة وبياضها يرى ما فى داخلها من خارجها فكان تامة وقوارير الاول حال من فاعل كانت على المبالغة فى التشبيه يعنى ان القوارير انما تتكون من الزجاج لا من الفضة فليس المعنى انها قوارير زجاجية متخذة من الفضة بل الحكم عيلها بانها قوارير وانها من فضة من باب التشبيه البليغ لانها فى نفسها ليست زجاجة الفضة لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ليس فى الدنيا مما فى الجنة الا الاسماء فثبت ان آنية الجنة مباينة فى الحقيقة لقارورة الدنيا وفضتها ولان قارورة الدنيا سريعة الانكسار والهلاك وما فى الجنة لا يقبل ذلك وفضة الدنيا كثيفة الجوهر لا لطافة فيها وما فى الجنة ليس كذلك

وان شارك كل واحد منهما الآخر فى بعض الاوصاف فشبهت بالفضة فى بياضها ونقائها وبقائها وبالقارورة فى شفافيتها وصفائها فهى حقيقة مغايرة لهما جامعة لاوصافهما وذلك كاف فى صحة اطلاق اسم القارورة والفضة عليها وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان ارض الجنة من فضة واوانى كل ارض تتخذ من تربه تلك الارض ويستفاد من هذا الكلام وجه آخر لكون تلك الاكواب من فضة ومن قوارير وهو ان اصل القوارير فى الدنيا الرمل واصل قوارير الجنة هو فضة الجنة فكما ان الجنة قارورة صافية بالغرض من ذكر هذه الآية التنبيه على ان نسبة قارورة الجنة الى قارورة الدنيا كنسبة الفضة الرمل فكما انه لا نسبة بين هذين الاصلين فكذا بين القارورتين كذا فى حواشى ابن الشيخ

قال بعضهم لعل الوجه فى اختيار كون كانت تامة مع امكان جعلها ناقصة وقوارير الاول خبرا بتكوين الله فيكون فيه تفخيم للآنية بكونها اثر قدرة الله تعالى وقوارير الثانى بدل من الاول فى سبيل الايضاح والتبيين اى قوارير مخلوقة من فضة والجملة صفة لاكواب وقرئ بتنوين

قوارير الثانى ايضا وقرئا بغير تنوين وقرئ الثانى بالرفع على هى قوارير ثال ابن الجرزى وكلهم وقفوا عليه بالالف الا حمزة وورشا وانما صرفه من صرفه لانه وقع فى مصحف الامام بالألف وانما كتب فى المصحف بالألف لانه رأس آية فشابه القوافى والفواصل التى تزاد فيها الألف للوقف

{ قدروها تقديرا } صفة لقوارير ومعنى تقدير الشاربين المطاف عليهم لها أنهم قدروها فى أنفسهم وأرادوا أن تكون على مقادير واشكال معينة موافقة لشهواتهم فجاءت حسبما قدروها فان منتهى ما يريده الرجل فى الآأنية التى يشرب منها الصفاء فقد ذكره الله بقوله كانت قوارير وايضا النقاء فقد ذكره الله بقوله من فضة وايضا الشكل والمقدار فقد ذكره الله بقوله قدروها تقديرا او قدروها باعمالهم الحسنة فجاءت على حسبها

وقيل الضمير للطائفين بها المدلول عليهم بقوله ويطاف عليهم اى قدرو اشرابها على اضمار المضاف على قدر استرواآئهم وريهم من غير زيادة ولا نقصان وهو ألذ للشارب لكونه على مقدار حاجته فان

طرفى الاعتدال مذمومان كما قال مجاهد لا فيض فيها ولا غيض اى لا كثرة ولا قلة وقال الضحاك على قدرا كف الخدم.

١٧

{ ويسقون فيها } اى فى الجنة بسقى الله او بسقى الطائفين بأمر الله وفيه زيادة تعظيم لهم ليست فى قوله يشربون من كأس بصيغة المعلوم

{ كأسا } خمرا

{ كان مزاجها } ما تمزج به وخلط

{ زنجبيلا } الزنجبيل عرق يسرى فى الارض ونباته كالقصب والبردى وعلم منه ان ما كان مزاجها زنجبيلا غير ما كان مزاجها كافورا والمعنى زنجبيلا اى ماء يشبه الزنجبيل فى الطعم وكان الشراب الممزوج به اطيب ما يستطيب العرب وألذ ما تستلذ به لانه يحذو اللسان ويهضم الطعام كما فى عين المعانى ولما كان فى تسمية تلك العين بالزنجبيل توهم

ان ليس فيها سلاسة الانحدار فى الحق وسهولة مساغها كما هو مقتى اللدع والاحراق ازال ذلك الوهم بقوله

١٨

{ عينا } بدل من زنجبيل بالحق لسهولة مساغها فكان العين سميت بصفاتها قال بعض يطلق لعيها ذلك وتوصف به لانه علم لها يعنى ان سلسبيل صفة لا اسم والا لامتنع من الصرف للعلمية والتأنيث ولم يقرأ به واحد من العشرة ويقال انما صرف مع انه اسم عين وهى مؤنث معنوى لرعاية رأس الآية قال فى الكواشى لفظ مفرد بوزن فعلليل كدردبيس يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل سهل الدخول فى الحلق لعذوبته وصفائه ولذلك حكم بزيادة الباء اى بعد التفاوت فى المعنى بوجودها وعدمها والا فالباء ليست من حروف الزيادة

وقيل زيدت الباء على السلسال حتى صارت كلمة خماسية للدلالة على غاية السلاسة والحلاوة وقال ابن المبارك من طريق الاشارة معنى

السلسبيل سل منه الله اليه سبيلا قال ابن الشيه جعل الله مزاج شراب الابرار اولا كافورا وثانيا زنجبيلا لان المقصود الاهم حال الدخول البرودة لهجوم العطش عليهم من حر العرصات وعبور الصراط وبعد استيفاء حظوظهم من أنواع نعيمها ومطعوماتها تميل طباهم على الأشرية التى تهيج الاشتهاء وتعيين على تهنئة ما تناولوه من المطعومات ويلتذ الطبع بشربها فلعل الوجه فى تأخير ذكر ما يمزج به الزنجبيل عما يمزجه بالكافور ذلك وفى التأويلات النجمية يشير بالزنجبيل الى شراب الوحدة الممزوجة بزنجبيل الكثرة المعقولة من مفهوم التوحيد وبالسلسبيل الى شراب الوحدة الصافية عن الامتزاج بزنجبيل الكثرة وسميت سلسبيلا لسلاسة انحدارها وذلك لبساطتها وصرافتها وقال القاشانى كان مزاجها زنجبيل لذة الاشتياق فانهم لا شوق لهم ليكون شرابهم الزنجبيل الصرف الذى هو غاية حرارة الطلب لوصولهم ولكن لهم الاشتياق للسير فى الصفات وامتناع حصولهم على جميعها فاتصفو محبتهم من لذة حرارة الطلب كما صفت لذة محبة المستغرقين فى عين جمع الذات فكان شرابهم العين الكافورية الصرفة

والزنجبيل عينفى الجنة لكون حرارة الشون عين المحبة النائشة من منبع الوحدة مع الهجران تسمى سلسبيلا لسلاستها فى الحلق وذوفها قال العشاق المهجورين الطالبين السالكنين سبيل الوصال فى ذوق وسكر من حرارة مشقهم لا يقاس به ذوق.

١٩

{ ويطوف عليهم } اى يدورعلى الابرار

{ ولدان } فانهم اخف فى الخدمة جمع وليد وهو من قرب عهده بالولادة

{ مخلدون } اى دآئمون على ما هم عليه من الطراوة والبهاء لا يتغيرون ابدا وبالفارسية وبخدمت مى كردد برايشان غلامانى جون كودكان نوزاد جاويد مانده درحال طفرليت او مقربون يعنى بسران كوشواره دار.

والخلد القرط وفى التاج انه من الخلد وهو الروح كأنهم روحانيون لا جسم لهم

{ اذا رأيتهم } يا من شأنه الرؤية

{ حسبتهم لؤلؤا } جمعه اللألى وتلألأ الشئ لمع لمعان اللؤلؤ

{ منثورا } متفرقا لحسنهم وصفاء ألوانهم واشراق وجوههم وتفرقهم في مجلس الخدمة عند اشتغالهم بأنواع لخدمة واوافهم على المخدومين مسارعين فى الخدمة ولو اصطفوا على وتيرة واحدة لشبهوا اللؤلؤ المغوم والؤلؤ اذا كان متفرقا يكون احسن فى المنظر من المنظوم لوقوع شعاع بعضه على بعض لغاية بياضه وبريقه فيكونم مخالفا للمجتمع فيه والظاهر على ما ذهب اليه البعض منثورا اى متفرقا فى الجنة فهو احسن من القيد بمجلس الخدمة وشبهت الحور العين باللؤلؤ المكنون اى المخزون لانهن لا ينتشرون انتشار الولدان بل هنحور مقصورات فى الخيام قال فى عين المرائى وفيه اشارة الى ان الاستمتاع بظواهرهم يكون بخلاف الحور المشبهة بالبيض لانه يجمع بياض للون الى لذة الطعم انتهى.

ومنه يعلم أن لا لواطة فى الجن وان قول من جوزها مردود باطل على ما حققناه مرارا

قال بعضهم منثورا من سلكه على البساط وعن المأمون انه ليلة زفت اليه بوران بنت الحسن بن سهل وهو على بساط منسوج بالذهب وقد نثرت عليه نساء والخلافة اللؤلؤ فنظر اليه منثورا على ذلك البساط فاستحسن المنظر وقال درابى نواس كانه ابصر هذا حيث يقول

كان صغرى وكبرى من فقاعها ... حصباء در على ارض من الذهب

وقال بعضهم منثورا من صدفه يعنى انهم شبهوا باللؤلؤ الرطب اذا انتثر من صدفه وهو غير مثقوب لانه احسن واكثر ماء وبالفارسية مرواريد افشانده شده ازصدفيعنى تروتازه كه هنوز دست كس بدان نرسيده ودر روتق وآب داد شان قصورى بيدا نشده . قال فى كشف الاسرار ولدان مخلدون اى غلمان ينشئهم الله لخدمة المؤمنين انتهى فسمى الغلمان ولدان

لانهم على صورتهم على اوفى اطلاقهم عليهم خطابا بما يتعارفه الناس فلا

يلزم ولادتهم فى الجنة وقال فى عين المعانى قيل انهم ولدان الكفار يدخلون

الجنة خدما لاهلها بدليل انهم سموا ولدانا ولاولادة فى الجنة انتهى وفى

اللباب اختلفوا فى الولدان فقيل انشأهم الله لاهل الجنة من غير ولادة لان

الجنة لا ولادة فيها وهم الذين قال الله فيهم ويطوف عليهم غلمان لهم

كأنهم لؤلؤ مكنون اى مخزون مصون لم تمسه الأيدى عن عبد الله بن

عمر رضى الله عنهما ما من احد من اهل الجنة الا يسعى عليه الف غلام

وكل غلام على عمل ما عليه صاحبه وروى ان الحسن رحمه الله لما تلا

هذه الآية قال قالوا يا رسول الله الخادم كاللؤلؤ المكنون فكيف المخدوم

فقال فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر

الكواكب وروى عن على رضى الله عنه والحسن البصرى رضى الله عنه ان

الولدان هنا ولدان المسلمين الذين يموتون صغارا ولا حسنة لهم ولا سيئة

لهم وعن سلمان الفارسى رضى الله عنه اطفال المشركين هم خدم اهل

الجنة وعن الحسن رحمه الله لم تكن لهم حسنات يجازون بها ولا سيئات

يعاقبون عليها فوضعوا هذا الموضع انتهى كلام اللباب فالله تعالى قادر على أن يجعل اموات الكفار الذين لا يليقون بالخدمة فى الدنيا لغاية صغرهم فى مرتبة القابلية لها فى الآخرة بكمال قدرته وتمام رحمته قال النووى الصحيح الذى ذهب اليه المحققون انهم من اهل الجنة وقال الطيبى فى شرح المشكاة الحق التوقف اى لا الحكم بأنهم من اهل الجنة كما ذهب اليه البعض ولا بأنهم تبع لآبائهم فى النار كما ذهب اليه البعض الآخر فالمذاهب اذا فيهم ثلاثة وفى التأويلات النجمية وطيوف عليهم ولدان مخلدونای تجليات ذاتية مقروطون بقرطة الاسماء والصفات اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤ منثورا من تشعشع انوار الذات وتلألؤ أنوار الصفات والاسماء.

٢٠

{ واذا رأيت ثم } وجون بنكرى ونظر كنى دربهشت . قال فى الارشاد ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر ولا منوى بل معناه اى مآل المعنى ان بصرك أينما وقع فى الجنة

{ رأيت نعيما } كثيرا لا يوصف وهو ما يتنعم به

{ وملكا كبيرا } اى واسعا وهنيئا كما فى الحديث أدنى اهل الجنة منزلة ينظر فى ملكه مسيرة ألف عام يرى اقصاه كما يرى أدناه والآية من باب الترقى والتعميميعنى ان هناك امورا اخرا على واعظم من القدر المذكور . در فصول آمده كه نعيم راحت اشباح است وملك كبير لذت ارواح نعيم ملاحظة دارست وملك كبير مشاهدة ديدار ودارىى ديدار بهيج كرنيابد الجار ثم الدار زاهد ان فردوس ميجويند وما ديدار دوست.

وفى التأويلات النجمية يعنى اذا تحققت بمقام التوحيد وحال الوحدة وصلت الى نعيم الشهود والملك المشهود والكبير فى ذاته وصفاته واسمائه وافعاله انتهى . فيكون المراد بالملك الكبير فى الدنيا هو الشهود الحاصل لاهل الجنة المعنويا والملك بالضم بالفارسية بادشاهى ولا سلطنة فوق سلطنة المعرفة والرؤية قال فى بعض التفاسير الملك بالضم هو التصرف فى المأمورين بالامر والنهى ومنه الملك

واما الملك بالكسر فهو الصترف فى الاعيان المملوكة بحسب المشيئة ومنه المالك والاول جامع للثانى لان كل ملك مالك ولا عكس.

٢١

{ عليهم ثياب سندس خضر } عاليهم ظرف على انه خبر مقدم وثياب مبتدأ مؤخر والجملة حال من ضمير عليهم اى يطوف عليهم ولدان عاليا للمعطوف عليهم ثياب الخ اى فوقهم وعلى ظهورهم ثياب سندس وهو الديباج الرقيق الفاخر الحسن واضافة الثياب الى السندس كاضافة الخاتم الى الفضة وبالفارسية برهشتيان يعنلباس زبرين ايشان جامهاى ديباى نازك . ولم يرض الزجاج بكون عاليهم نصبا على الظرف بمعنى فهم لانهم لم يعرف فى الظررف وخضر جمع أخضر صفة ثياب كقولهويلبسون ثيابا خضرا فالضمير للابرار لمطوف عليهم لان المقام مقام تعداد نعيمهم وكرامتهم فالمناسب أن تكون الثياب الموصوفة من الحرير والديباج وهذا من علامات الملك

{ واستبرق } بالرفع عطفا على ثياب بحذف المضاف اى ثياب استبرق وهو معرب استبره . بمعنى الغليظ سبق بيانه فى سورة الرحمن وهو بقطع الهمزة لكونه اسما للديباج الغليظ الذى له بريق

{ وحلوا أساور من فضة } عطف على ويطوف عليهم وهو ماض لفظا ومستقبل معنى وأساور مفعول ثان لحلوا بمعنى ويحلون والتحليه التزيين بالحلى وبالفارسيةباحلى زيور كردن . وفيه تعظيم لهم بالنسبة الى أن يقال وتحلوا وأساور جمع اسورة فى جمع سوار وسوار المرأة اصله دستواره وكان الملك فى الزمان الاول يحلون بها ويسرون من يكرمونه ولا ينافى هذه الآية ما فى الكهف والحج من قوله من أساور من ذهب لا مكان الجمع بين السوار الذهب والسوار الفضة فى أيديهم كما تجمع نساء مدنيا بين انواع الحلى وما احسن المعصم اذ يكون فيه سوار ان من جنسين وزيادة كالذهب والفضة واللؤلؤ وايضا لا مكان المعاقبة فى الاوقات تارة يلبسون الذهب واخرى يلبسون الفضة وايضا لا مكان التبعيض بأن يكون البعض ذهبا والبعض فضة فان حلى اهل الجنة يختلف حسب اختلاف اعمالهم

فللمقربين الذهب وللابرار الفضة وايضا يعطى كل احد ما يرغب فيه ويميل طبعه اليه فان الطبع مختفة فرب النسان يكون استحسانه لبياض الفضة فوق استحسانه صفرة الذهب

{ وسقاهم } بياشاماندا ايشانرا

{ ربهم شرابا } هو ما يشرب

{ طهورا } هذا الشراب الطهور نوع آخر يفوق النوعين السالفين كما يرشد اليه اسناد سقيه الى رب العالمين وصفه بالطهورية لانه يطهر باطنهم عن الاخلاق الذميمة والاشياء المؤذية كالغش والغل والحسد وينزع ما كان فى اجوافهم من قذر وأذى وبه تحصل الصفوة المهيئة لانكعاس نور الجمال الالهى فى قلوبهم وهى الغاية القاصية من منازل الصديقين فلذا ختم بها مقالة ثواب الابرار فالطهور بمعنى المطهر صيغة اسم الفاعل

وقيل مبالغة الطاهر من حيث انه ليس بنجس كخمر الدنيا وما مسته الأيدى القذرة والاقدام الدنسة ولا يؤول الى أن يكون نجسا بل

يرشح عرقا من ابدانهم له ريح كريح المسك (قال الكاشفى) يبايد دانست كه جوى كوثر دربهشت خاصه حضرت رسالة است وذكر آن درسوره كثور خواهد آمد وجهار جوى ديكر ازان متقايأنست آب وشيروخمر وعسل وشمه ازصفات اودرسوره محمد مرقوم رقم بيان شد ودوجشمه ازان اهل خشبت است فيهما عينان تجريان ودوجشمه ازان اهل يمين است فيهما عينان نضاختان واين جهار جشمه درسوورة الرحمن آمد ديكر جشمه رحيق ازان ابرارست وجشمه تسنيم ازان مقربان واين هردودرسوره مطففين مذكورند ودوجشمه ازان اهل بيت است كافور وزنجبيل كه آنرا سلسبيل خوانند وشراب طهور نيز از ايشانست ومحققان آنرا شراب شهود كوبندكه مرآت دل نوشنده را بلوامع انوار قدم روشن ساخته بذير اى نقوش عكوس ازل وابدكرداند ووقت وحال اورا جنان صافى سازدكه مطلقا شوآئب غيريه درمشارع وحدت نماند ورنك دوكانكى مبدل كردانيده جام مدامرا يك رنك سازد

همه جامست ونیست کوبی می ... یا مدامست ونیست کوبی جام

عارفی کفته اکر فردابزم نشینان داربقارا برای آنکه سرور شراب طهور خواهند جشانید امروزباده نوشان خمخانه افضل را بنقدازان نصیبی تمام داره اند

ازسقاهم ربهم بین جمله ابرارمست ... درجمال لا یزال هفت وینج وجارمست

ای جوانمرد شراب آن شرابست که دست غیب دهدرجام دل ریزدوعارف اورانوش کند قومی را شراب مست کرد وقومی رادیدار

وأسکر القوم دور کأس ... وکان سکری من المدیر

بزرکی را بخواب نمودنهکه معروف کرخی رحمه الله کرد عرش طراف می کردورب العزة فرشتکانرامی کفت اورا شناسید کفتندنه کفت معروف

كرخى است بمهرما مست شدة تاديده او برمانيايد هشيار نكردد هركرا امروز شراب محبت نيست فردا اورا شراب طهور نيست.

قال بعضهم صليت خلف سهل بن عبد الله العتمة فيقرأ قوله تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا فجعل يحرك فمه كأنه يمص فلما فرغ من صلاته قيل له أتقرأ ام تشرب قال والله لو لم اجد لذته عند قرآءته كلذتى عند شربه ما قرأنه وفى التأويلات النجمية قوله عاليهم الخ يشير الى اتصاف اهل الجنة بملابس الصفات الالهية والاخلاق الربانية من خضر أى من الصفات الذاتية واستبرق اى من الصفات الاسمائية والى تحليهم بحلى أساور الاسماء الذاتية والصفاتية الزاهرة الباهرة وسقاهم ربهم بكأس الربوبية والتربية شراب المحبا الذاتية الطاهرة عن شوب كدورة رقبة الاغيار.

٢٢

{ ان هذا } على اضمار القول اى يقال لهم ان هذا الذى ترونه من فنون الكرامات ويجوز أن يكون خطابا من الله فى الدنيا للابرار اى ان هذا الذى ذكر من انواع العطايا

{ كأن لكم جزآء } عوضا بمقابلة اعمالكم الحسنة فان قيل كيف يكون جزاء لاعمالهم وهى مخلوقة لله عند اهل السنة وأجيب بأنها لهم كسبا عندهم وله خلقا

{ وكان سعيكم } وهست شتافتن شمادركار خيردردنيا

{ مشكورا } مرضيا مقبولا مقابلا بالثواب لخلوص نيتكم فيزداد بذلك فرحهم وسرورهم كما ان المعاقب يزداد غمه اذا قيل له هذا جزاء علمك الرديئ فالشكر مجاز عن هذا المعنى تشبيها له بالشكر من حيث انه مقابل للعمل كما ان الشكر مقابل للنعم

قال بعضهم أدنى الدرجات أن يكون العبد راضيا عن ربه واليه الاشارة بقوله كان لكم جزآء واعلاها كونه مرضيا له واليه

الاشارة بقوله وكان سعيكم مشكورا ولما كان كونه مرضيا عى الدرجات ختم به ذكر مراتب الابرار وفى التأويلات النجمية ان هذا كان لكم جزآء لاقتضاء استعداداتكم الفطرية وكان سعيكم مشكورا غير مضيع بسبب الر والسمعة.

٢٣

{ انا نحن نزلنا عليك القرءآن تنزيلا } اى مفرقا منجما لحكم بالغة مقتضية له لا غيرنا كما يعرب عنه تكرير الضمير مع ان فكأنه تعالى يقول ان هؤلاء الكفار يقولون ان ذلك كهنة وسحر فانا الملك الحق أقول على سبيل التأكيد ان ذلك وحى حق وتنزيل صدق من عندى فلا تكترث بطعهنم فانك أنت النبى الصادق المصدق.

٢٤

{ فاصبر لحكم ربكم } بتأخير نصرك على الكافرين فان له عاقبة حميدة ولا تستعجل فى امر المقابلة والانتقام فان الامور مرهونة بأوقاتها وكل آت قريب

{ ولا تطع منهم } اى من الكفار

{ آثما او كفورا } او لاحد الشيئين والتسوية بينهما فاذا قلت فى الاثبات جالس الحسن او ابن سيرين كان المعنى جالس احدهما فكذا اذا قلت فى النهى لا تكلم زيد او عمرا كان التقدير لا تكلم احدهما والاحد عام لكل واحد منهما فهو فى المعنى لا تكلم واحدا منهما فمآل المعنى فى الآية ولا تطع كل واحد من مرتكب الاثم الداعى لك اليه ومن الغالى فى الكفر الداعى اليه فاوللاباحة اى للدلالة على انهما سيان فى استحقاق العصيان المخاطب للداعى اليهما والاستقلال به والتقسم الى الآثم والكفور مع ان الداعين يجمعهم الكفر باعتبار ما يدعونه اليه من الأثم والكفر لا باعتبار انقسامهم فى أنفسهم الى اللآثم والكفور لانهم كانوا كفرة والكفر اخبث نواع الاثم فلا معنى للقسمة بحسب نفس

كفرهم واثمهم وذلك ان ترتب النهى على الوصفين مشعر بعليتهما له فلا بد أن يكون النهى عن الاطاعة فى الاسم والكفر لا فيما ليس باثم ولا كفر فالمراد بالاثم ما عدا الكفر اذا العام اذا قوبل بالخاص يراد به ما عدا ذلك الخاص وخص الكفر بالذكر بنبيها على غاية خبثه من بين انواع الاثم فكل كفور آثم وليس كل آثم كفور ولا بعد أن يراد بالآثم من هو تابع وبالكفور من هو متبوع (وقال الكاشفى) آثما كناهكارى راكه ترابا ثم خواند جون عتبة بن ربيعه كه كفت ازدعوت خود بازايست تادختر خودرا بتودهم او كفورا وناسباسى راكه ترا بكفر دعوت كندجون وليد بن مغيره كه كفت بديه اباء رجوع كن تاترا توانكر سازم . وفى نهيه عليه السلام عن الاطاعة فيما يدعونه اليه مع انه كان يطيع احدا منهم ولا يتصور فى حقه ذلك اشارة الى ان الناس محتاجون الى مواصلة التنبيه والارشاد من حيث ان طبيعتهم التى جبلوا عليها ركب فيها الشهوة الداعية الى السهو والغفلة وان احدا لو استغنى عن توفيق الله وامداده وارشاده لكان احق الناس به هو الرسول المعصوم فظهر انه لا بد لكل مسلم أن يرغب الى الله ويتضرع

اليه أن يحفظه من الفتن والآفات فى جميع اموره وقال القاشانى ولا تطع منهم آثما اى محتجبا بالصفات والاحوال او بذاته عن الذات او بصفات نفسه وهيئاتها عن الصفات او كفورا محتجبا بالافعال والآثار واقفا معهم او بافعاله ومكسوباته عن الافعال فتحجب بموافقتهم انتهى عصمنا الله واياكم من موقتة الاعدآء مطلقا.

٢٥

{ واذكر اسم ربك بكرة } اول النهار

{ واصيلا } اى عشيا وهو آخر النهار اى وداوم على ذكره فى جميع الاوقات فاريد بقوله بكرة واصيلا الدوام لانه عليه السلام كان آتيا بنفس الذكر المأمور به وانتصابهما على الظرفية او دم على صلاة الفجر والظهر والعصر فان الاصل كما يطلق على ما بعد العصر الى المغرب فكذا يطلق على ما بعد الزوال فيتناول وقتى الظهر والعصر وقال سعدى المفتى

التأويل بالدوام انما يحتاج اليه لو ثبتت فرضية الصلوات الخمس قبل نزولها والظاهر انه كذلك فانها فرضت ليلة المعرج.

يقول الفقير وفيه ان الصلوات الخمس وان فرضت ليلة المعراج الا ان المعراج كان قبل الهجرة بسنة والتأريخ فى نزول الآية مجهول أهى نازلة قبل المعراج أم بعده فان كان الثانى ثبت مطلوبه والا فلا قال القاشانى اذكر ذلك الذى هو الاسم الاعظم من اسمائه بالقيام بحقوقه واظهار كمالاته فى المبدأ والمنتهى بالصفات الفطرية من وقت طلوع النور الالهى بايجادها فى الازل وايداع كمالاته فيها وغروبه بتعيينها واحتجابه بها واظهارها مع كمالاتها.

٢٦

{ ومن الليل فاسجد له } وفى بعض الليل فصل له ولعله صلاة المغرب والعشاء بس معنى جنين باشدكه برينج نماز مداومت نماى . وتقديم الظرف للاهتمام فما فى صلاة الليل من مزيد كلفة وخلوص وافضل

الاعمال أشقها واخلصها من الياء فاستحقت الاهتمام بشأنها وقدم وقتها لذلك ثم الفاء لافادة معنى الشرط كأنه قال مهما يكن من شئ فاسجد له فقيها وكادة اخرى لامرها وفى التأويلات النجمية واعبد ربك المطلق حق العبودية بالفناء فيه من ليل طبيعتك وغلس بشريتك اذا السجود صورة الفناء الذاتى والركوع صورة الفناء الصفائى والقيام صورة الفناء الافعالى فافهم بعض اسرار الصلاة

{ وسبحه ليلا طويلا } اى صل صلاة التهجد لانه كان واجبا عليه فى طائفة طويلة من الليل ثلثيه او نصفه او ثلثه فقوله ليلا طويلا نصب على الظرفية فان قلتانتصاب ليلا على الظرفية وطويلا نعت له ومعناه سبحه فى الليل الطويل فمن أين يفهم ما ذكرت من المعنى قلت ظاهر أن توصيف الليل بالطول ليس للاحتراز عن القصير فان الامر بالتهجد بتناوله ايضا فهو لتطويل زمان التسبيح وفى التعبير فى التهجد بالتسبيح وتأخير ظرفه دلالة على انه ليس فى مرتبة ما قبله.

{ ان هؤلاء } اى كفار مكة عاد الى شرح احوال الكفار بعد شرح صدره عليه السلام بما ذكر من قوله انا نحن الخ

{ يحبون العاجلة } دوست ميدارند سراى شتا بنده را يعنى دنيارا وينهمكون فى لذاتها الفانية فهو الحال لهم على الكفر والاعراض عن الاتباعلا اشتباه الجن عليهم

{ ويذرون } يتركون

{ ورآءهم } اى أمامهم لا يستعدون فهو حال من يوما او ينبذون ورآء ظهورهم فهو ظرف ليذرون فورآء يستعمل فى كل من أمام وخلف والظاهر فى وجه الاستعمالين ان ورآء اسم للجهة المتوارية اى المستترة المختفية عنك واستتار جهة الخلف عنك ظاهر وما فى جهة الامام قد يكون متواريا عنك غير مشاهد ومعاين لك فيشبه جهة الخلف فى ذلك فيستعار له اسم الورآء

{ يوما ثقيلا } لا يعبأون به ويرما مفعول بذرون وثقيلا صفته

ووصفه بالثقل مع انه من صفات الاعيان الجمسيه لا الامتدادات الوهمية

لتشبيه شدته وهوله لثقل الحمل الثقيل ففيه استعارة تخييلية وفلاآية وعيد

لاهل الدنيا ونعيمها خصوصا لاهل الظلم والرشوة.

٢٨

{ نحن } لا غيرنا

{ خلقناهم } من نطفة

{ وشددنا اسراهم } اى احكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب

ليتمكنوا بذلك من القيام والقعود والاخذ والدفع والحركة وحق الخالق المنعم

أن يشكر ولا يكفر ففيه ترغيب والاسر الربط ومنه اسر الرجل اذا أوثق

بالقد وقدر المضاف وهو المفاصل (وفى كشف الاسرار) وآفرينش انسان

سخت بستيم تا آفرينش واندامان برجاى بود . فمعناه شددنا خلقهم

وقال الراغب اشارة الى الحكمة فى تركيب الانسان المأمور بتدبرها وتأملها فى قوله وفى أنفسكم أفلا تبصرون

وقيل وشددنا مخرج البول والغائط اذا خرج الأذى انقبض او معناه انه لا يسترخى قبل الارادة

{ واذا شئنا } تبديلهم

{ بدلنا امثالهم } اى بدلناهم بأمثالهم بعد اهلاكهم والتبديل يتعدى الى مفعولين غالبا كقوله تعالى يبدل الله سيئاتهم حسنات يعنى يذهب بها ويأتى بدلّها بحسنات

{ تبديلا } بديعا لا ريب فيه وهو البعث كما ينبغى ولا ينافيها الغيرية بحيب العوارض كاللطافة والكثافة وبالفارسية وجون خواستيم بدل كنيم ايشانرا بامثال ايشان در خلقت يعنى ايشانرا بميرانيم ودر نشأت ثانيه بمانند همين صورت وهيأت وز آريم . او المعنى واذا شئنا بدلنا غيرهم ممن يطيع كقوله تعالى يستبدل قوما غيركم ففيه ترهيب فالمثلة باعتبار الصورة

ولا ينافيها الغيرية باعتبار العمل والطاعة واذا للدلالة على تحقق القدرة وقوة الداعية والا فالمناسب كلمة ان اذلا تحقق لهذا التديل قال القاشانى نحن خلقناهم بتعيين استعداداتهم وقيناهم بالميثاق الازلى والاتصال الحقيقى واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا بأن نسلب افعالنا ونمحو صفاتهم بصفاتنا ونفني ذواتهم بذاتنا فيكونوا ابدالا.

٢٩

{ ان هذه تذكرة } اشارة الى السورة او الآيات القريبة اى عظة مذكرة لما لا بد منه فى تحصيل السعادة الابدية جعلت عين التذكرة مبالغة وفى عين المعانى تذكرة اباذكار بام غفلت عنه عقولهم (وقال الكاشفى) يا معاملهء اهل بيت در بذل وابثار عبرتيست مؤمنا نراتا بمثل آن عمل كنند وازمثل اين جزاها بهره يا بند

{ فمن } بس هركه

{ شاء اتخذ الى ربه سبيلا } اى فمن شاء أن يتخذ اليه تعالى سبيلا اى وسيلة توصله الى ثوابه اتخذه اى تقرب اليه بالعمل بما فى تضاعيفها وقال ابن الشيخ فمن شاء النجاة من ثقل ذلك اليوم وشدته اختار سبيلا مقربا الى مرضاة ربه وهو الطاعة.

٣٠

{ وما تشاؤون الا أن يشاء اللّه } تحقيق للحق وبيان أن مجرد مشيئتهم غير كافية فى اتخاذ السبيل كما هو المفهوم من ظاهر الشرطية وان مع الفعل فى حكم المصدر الصريح فى قيامه مقام الظرف والمعنى وما تشاؤن اتخاذ السبيل ولا تقدرون على تحصيله فى وقت من الاوقات الاوقت مشيئته تعالى تحصيله لكم اذ لا دخل لمشيئته العبد الا فى الكسب وانما التأثير والخلق لمشيئة اللّه تعالى غاية ما فى الباب ان المشيئة ليست من الافعال الاختيارية للعبد بل هى متوقفة على أن يشاء اللّه اياها وذلك لا ينافى كون الفعل الذى تعلقت به مشيئة العبد اختياريا له واقعا بمشيئته وان لم تكن مشيئته مستقلة فيه وهو وهو الجبر المتوسط الذى يقول به اهل

السنة ويقولون الامر بين الامرين اى بين القدر والجبر نال فى عين المعانى قوله تعالى فمن شاء الخ حجة تكليف العبود وقوله تعالى وما تشؤن الخ الظاهر قهر الالوهية

{ ان الله كان عليما حكيما } بيان لكون مشيئته تعالى مبنية على اساس العلم والحكمة والمعنى انه تعالى مبالغ فى العلم والحكمة فيفعل ما يستأهله كل احد فلا يشاء لهم الا ما يستدعيه علمه وتقتضيه حكمته قال القاشانى وما تشاؤن الا بمشيئتى بأن أريد فتريدون فتكون ارادتكم مسبوقة بارادتى بل عين ارادتى الظاهرة فى مظاهرهم ان الله كان عليما بما أودع فيهم من العلوم حكيما بكيفته ايداعها وابرازها فيهم باظهار كما لهم.

٣١

{ يدخل من يشاء فى رحمته } بيان لاحكام مشيئته المرتبة على علمه وحكمته اى يدخل فى رحمته من يشاء ان يدخله فيها وهو الذى

يصرف مشيئته نحو اتخاذ السبيل اليه تعالى حيث يوفقه لما يؤدى الى دخول الجنة من الايمان والطاعة

{ والظالمين } وهم الذين صدوا مشيئتهم الى خلاف ما ذكر

{ اعد لهم عذابا أليما } اى متناهيا فى الايلام قال الزجاج نصب الظالمين لان ما قبله منصوب اى يدخل من يشاء فى رحمته ويعذب الظالمين ويكون اعد لهم تفسيرا لهذا المضمر فى الآية اشارة الى ادخال الله بعض عباده فى رحمة معرفته

واما بعض عباده وهم الظالمين الواضعون الضلالة فى مقام الهداية والجهالة فى مقام المعرفة فان الله اعد لهم عذاب الحجاب المؤلم للروح والجسم وايضا عذابا بالوقوف على الرب لوقوفهم مع الغير ثم على النار لوقوفهم مع الآثار وختم الله السورة بالعذاب المعد يوم البعث والحشر ففيه حسن الخاتمة لموافقته الفاتحة على مالا يخفى على اهل النفر والفهم.

سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ مَكِّيَّةٌ

وَهِيَ خَمْسُونَ آيَةً

١

انظر تفسير الآية:٥

٢

انظر تفسير الآية:٥

٣

انظر تفسير الآية:٥

٤

انظر تفسير الآية:٥

٥

{ والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات

فرقا فالملقيات ذكرا } الواو للقسم والمرسلات بمعنى الطوآئف المرسلات

جمع مرسلة بمعنى طائفة مرسلة باعتبار ان ملائكة كل يوم او كل

عام او كل حادثة طائفة وعرفا بمعنى متتابعة من عرف الفرس وهو

الشعرات المتتابعة فوق عنقه فهو من باب التشبيه البليغ بأن شبهت

الملائكة المرسول فى تتابعهم بشعر عرف الفرس وانتصابه على

الحالية اى جاريات بعضها اثر بعض كعرف الفرص والعرف بمعنى المعروف

والاحسان نقيض النكربمعنى المنكر اى الشئ القبيح فانهم ان ارسلوا للرحمة

فظاهر وان ارسلوا لعذاب الكفار فذلك معروف للانبياء والعالمين يعنى ان

عذاب الاعدآء احسان للاولياء فانتصابه على العلية وعصفت الريح

اشتدت وعصفا مصدر مؤكد وكذا نشرا وفرقا والفاء للدلة على اتصاله

سرعة جريهن فى نزولهن وهبوطهن بالارسال من غير مهلة وهى لعطف

الصفة على الصفة اذ الموصوف متحد والنشر بمعنى البسط والعدول الى

اواو فى الناشرات لانها غير المرسلات فالقسم الاول وصفهم الله بوصفين

يتعقب احدهما على الآخر والقسمالثانى وصفهم بثلاثة اوصاف كذلك والفرق الفصل والالقاء هنا بمعنى الايصال والانزال لا الطرح وذكرا بمعنى الوحى مفعول الملقيات وترتيب الالقاء على ما قبله بالفاء ينغبي ان يكون لتأويله بارادة النشر والفرق وسيأتى تمامه اقسم الله بطوآئف من الملائكة ارسلهن بأوامره بنحو التدبير وايصال الارزاق بالتصرف فى الامطار والرياح وكتابة اعمال العباد بالليل والنهار وقبض الارواح فعصفهن فى مضيهن يعنى سخت رفتند . عصف الرياح مسارعة فى الامتثال بالامر وبطوآئف اخرى نشرن اجنحتهن فى الجو عند انحطاطهن بالوحى او نشر الشرآئع فى الاقطار اى فرقن واشعن او نشرن النفوس الموتى بالكف والجهل اى احيين بما اوحين ففرقن بين الحق والباطل فألقين ذكرا الى الانبياء.

٦

{ عذرا } لاهل الحق اى معذرة لهم فى الدنيا والآخرة لاتباعهم الحق

{ او نذرا } لاهل الباطل لعدم اتباعهم الحق وعذرا مصدر من

عذر اذا محا الاساءة ونذرا اسم مصدر من انذر اذا خوف لا مصدر لانه

لم يسمع فعل مصدرا من افعل وانتصابهما على البدلية من ذكرا قال ابن

الشيخ ان كان الذكر المبدل منه بمعنى جميع الوحى يكون عذرا او نذرا

بدل البعض من الكل فان ما يتعلق بمغفرة المطيعين وتخويف المعاندين

بعض من جملة الوحى وان اريد بالذكر المبدل منه ما يتعلق بسعادة المؤمن

وشقاوة الكافر خاصة يكون بدل الكل من الكل فان القاء ما يتعلق

بسعادة المؤمن متحد بالذات مع القاء عذره ومحو اساءته وكذا القاء ما

يتعلق بشقاوة الكافر متحد مع القاء انذاره على كفره انتهى او انتصابهما

على العيه للصفات المذكورة اوللاخيرة وحدها وهو الاولى بمعنى فاللاتى

ألقين ذكرا لمحو ذنوب المعتذرين الى الله بالتوبة والاستغفار ولتخويف

المطبلين المصرين وفى كشف الاسرار لاجل الاعذار من الله الى خلقه لئلا

يكون لاحد حجة فيقول لما يأتنى رسول ولاجل انذارهم من عذاب الله

وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله عذرا او نذرا قال يقول الله يا ابن

آدم انما امرضكم لاذكركم وامحص به ذنوبكم واكفر به خطاياكم وربكم اعلم ان ذلك المرض يشتد عليكم وأان فى ذلك معتذر اليكم

قال بعضهم المعنى ورب المرسلات الخ وفى الارشاد لعل تقديم نشر الشرآئع ونشر النفوس والفرق على الالقاء اى مع ان الظاهر ان الفرق بين الحق والباطل يكون مع النشر لا بعده وان القاء الذكر الى الانبياء متقدم على نشر الشرآئع فى الارض واحياء النفوس الموتى والفرق ين الحق والباطل فلا يظهر التعقيب بينهما للايذان بكونها غاية للالقاء حقيقة بالاعتناء بها او للاشعار بأن كلا من الاوصاف المذكورة مستقل بالدلالة على استحقاق الطوآئف الموصوفة بها للتفخيم والاجلال بالقسم بهن ولو جيئ بهاه على ترتيب الوقوع لربما فهم ان مجموع الالقاء والنشر والفرق هو الموجب لما ذكر من الاستحقاق هذا وقد قيل فى هذا المقام غير ذلك لكن الحمل على الملائكة اوجه وأسد لما ذكرنا فى المدثر أن المحققين على انه من الملائكة المرسلات والناشرات والملقيات وغير ذلك (قال فى كشف الاسرار) در روز كار خلافت عمر رضى الله عنه مردى نيمداز اهل عراق

نام او صبیع وازعمر ذاریات ومرسلات برسید صببغ عادت داشت که بیوسته ازین معضلات آیات برسیدی یعنی تاکه مردمدر وفرومانند عمر اورا دره زد وکفت لو وجدتك مخلوقا لضربت الذی فیه عیناك یعنی اکرمن تراسر سترده یا فتم من تراکردن زدم عمر رضی الله عنه این سخن را ازبهر آن کفت که از رسول خداعلیه السلام شنیده بود در صفت خوارج که سیماهم التحلیق کفت در امت من قومی خوارج بیدا آیند نشان ایشان آنست که میان سرسترده دارند بس عمر نامه نبشت باموسی الاشعری وکان أمیرا علی العراق که یکسال این صبیغ را مهجور دارید باوی منشینید وسخن مکویید بس از یکسال صبغ توبه کرد وعذر خواست وعمررضی الله عنه توبه وعرذوی قبول کرد شافعی رحمه الله کفت حکمی فی اهل الکلام کحکم عمر فی صبیغ قال فی القاموس صبیغ کامیر بن عسیل کان یعنت الناس بالغوامض والسؤالات فنفاه عمر الی البصرة انتهی.

٧

{ انما توعدون لواقع } جواب للقسم اى ان الذى توعدونه من مجيئ القيامة كأن لا عالة فانما هذه ليست هى الحصرية بل ما فيها موصولة وان كتبت متصلة فى خط لمصحف والموعود هو مجيئ القيامة لان المذكور عقيب هذه الآية علامات يومت القيامة وقال الكلبى المراد ان كل ما توعدون به من الخير والشر لواقع نظرا الى عموم لفظ الموصول فى التأويلات النجمية انما توعدون من يوم قيامة الفناء الكلى فى الله لواقع حاصل بالنسبة الى اهل المعرفة والشهود وارباب الذوق والوجود

واما بالنسبة الى اهل الحجاب ولاحتجاب فسيقع ان كانوا مستعدين لرفع الحجاب وكشف النقاب والى هذا الوقوع المحقق اشار بقوله كل شئ هالك الا وجه الى فى الحال وبقوله كل من عليها فان اى فان فى عين البقاء اذا لمقيد مستهلك فى اطلاق المطلق استهلاك نور الكواكب فى نور الشمس واستهلاك اعتبارات النصفة والثلثية والربعية فى الاثنين والثلاثة والاربعة ثم اخبر عن ظهور آثار يوم القيامة وحصول دلائلها لاهل الشقاوة بقوله

٨

{ فاذا النجوم طمست } محيت ومحقت ذواتها فان الطمس محو الاثر الدال على الشئ وهو الموافق لقوله واذا الكواكب انتثرت او ذهب بنورها والاول اولى لانه لا حاجة فيه الى الاضمار والنجوم مرتفعة بفعل يفسره ما بعده او بالابتدآء وطمست خبره والاول اولى لان اذا فيها معنى الشرط والشرط بالفعل اولى ومحل الجملة على الاعرابين الجر باذا وجواب اذا محذوف والتقدير فاذا طمست النجوم وقع ما توعدون او بعثتم او جوزيتم على اعمالكم وحذف لدلالة قوله انما توعدون لواقع عليه وفيه اشارة الى محق نجوم الحواس العشر الظاهرة والباطنة عن ادراك الحقائق عن طلوع الشمس الحقيقة.

٩

{ واذا السماء فرجت } صدعت من خوف الرحمن وشققت ووقعت فيها الفروج التى نفاها بقوله وما لها من فروج وفتحت صفات

ابواب بالفرج الشق وكل مشقوق فرج وبالفارسية وآنكاه كه آسمان شكافته كردد.

وفيه اشارة الى صدع سماء الارواح وشقها عند سطوات التجليات الجلالية.

١٠

{ واذا الجبال نسفت } جعلت كالحب الذى ينسف بالمنسف وهو ما ينقض به الحب ويذرى ونحوه وبست الجبال بسا فالنسف والبس بالفارسية براكنده كردن وداميدن . وفيه اشارة الى تلاشى جبال الخيالات والاوهام الفاسدة الكاسدة عند بوادى المشاهدات وهو ادى المعاينات.

١١

{ واذا الرسل اقتت } اى عين لهم الوقت الذى يحضرون فيه للشهادة على اممهم وذلك عند مجيئه وحضوره اذ لا يتعين لهم قبل حصوله

فان علم ذلك الى الله تعاليعنى ان تبيين وقت حضورهم لهم من جملة

علامات القيامة من حيث ان ذلك التعيين والتبيين لم يكن حاصلا فى

الدنيا لعدم حصول الوقت فيقال لهم عند حصوله اضروا للشهادة فقد

جاؤ وقتها او المعنى واذا الرسل بلغوا الميقات الذى كانوا ينتظرونه وهو يوم

القيامة فان التوقيت كما يجيئ بمعنى تحديد الشئ وتعيين وقته فكذا

يجيئ بمعنجعل الشئ منتهيا الى وقته المحدود وعللمعنى الاول لا يقع على

الذوات يدون اضمار فان الموقت هو الاحداث لا الجثث فلا يقال زيد

موقت الا ان يراد موقت حضوره وكذا توقيت الرسل انما هو بالنسبة الى

حضورهم لا بالنسبة الى ذواتهم لان الذوات قارة لا يعتبر فيها تعيين بخلاف

الزمانيات المتجددة هكذا قالوا وقال سعدى المفتى وفى وقوعه

على المعنى الثانى على الجثث بدل اضمار بحث ظاهر وان ذهب اليه

صاحب الكشف ونحوه وقرأ أبو عمرو وقتت على الاصل لانه من الوقت

والباقون ابدلوا الواو همزة لان الضمة من جنس الواو فالجمع بينهما يجرى

مجرى الجمع بين المثلين فيكون ثقيلا ولهذا السبب تستثقل الكسرة على

الياء ولم تبدل فى نحو ولا تنسوا الفضل بينكم لان ضمة الواو ليست بلازمة فيه وفى كشف الاسرار الالف والواو لغتان والعرب تبدل الالف من الواو تقول وسادة واسادة وكتاب مورخ ومؤرخ وقوس موتر ومؤتر وفى الآيةاشارة الى رسل القلب والسر وتعيين وقت شهادتهم على امة الاعضاء والجوارح.

١٢

{ لاى يوم اجلت } مقدر بقول هو جواب لاذا فى قوله واذا الرسل اقتت اى يقال لاى يوم اخرت الامور المعلقة بالرسل اى بجمعهم واحضارهم كما قال تعاليوم يجمع الله الرسل والمراد تعظيم ذلك اليوم والتعجيب من هوله قال القاشانى واذا الرسل اى ملائكة الثواب والعقاب عينت وبلغت ميقاتها الذى عين لها اما لايصال البشرى والروح والراحة

واما لايصال العذاب والكرب والذلة عين لها اما لايصال البشرى والروح والراحة

واما لايصال العذاب والكرب والذلة ليوم عظيم اخرت عن معاجلة الثواب والعقاب فى وقت الاعمال ورسل البشر وهم الانبياء عينت وبلغت ميقاتها الذى عين لهم فيه الفرق بين المطيع والعاصى والسعيد والشقى فان الرسل يعرفون كلا بسيماهم.

١٣

{ ليوم الفصل } بيان ليوم التأجيل وهو اليوم الذى يفصل فيه بين الخلائق ويقضى بالحقوق ويحكم بين المحسن والمسيئ ويميز بن ارباب شهود الوحدة الذاتية وبين اصحاب شهود الكثرة الاسمائية والصفاتية وقال بعضهم يفصل فيه بين الحبيب وحبيبه الا من كان معاملته لله فى الله وبين الرسل وامه وأبيه وأخيه الا ان يكونوا متفقين على الحق والعدل.

١٤

{ وما ادراك ما يوم الفصل } ما مبتدأ ادراك خبره اى اى شئ جعلك داريا وعالما ما هو وما كنهه اذ لم تر مثله وكذا لم يرا احد قبلك

شدته حتى تسمع منه (قالالكاشفى) وجه جيزدانا كرد تراكه جيست روز فصل جه كنه اورانتوان دانست.

فوضع موضع الضمير لبوم الفصل لزيادة تفظيع وتهويل على ان ما خبر ويوم الفصل مبتدأ لا بالعكس كما اختاره سيبويه لان محط الفائدة بيان كون يولم الفصل أمرا بديعا هائلا لا يقادر قدره ولا يكتنه كنهه كما يفيده خبرية مالا بيان كون امر بديع من الامور يوم الفصل كما يفيده عكسه.

١٥

{ ويل } واى

{ يومئذ } اى فى ذلك اليوم الهائل

{ للمكذبين} بيوم يفصل فيه الرحمن بين الخلائق اى الويل والهلاك ثابت فيه لهم والويل فى الاصل مصدر منصوب ساد مسد فعل لا من لفظه فأصله اهلكه الله اهلاكا او هلك هو هلاكا عدل به اللرفع

للدلالة على ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ويومئذ ظرفه او صفته ووضع الويل موضع الاهلاك او الهلاك فجاز وقوعه مبتدأ مع كونه نكرة فانه لما كان مصدرا سادا مستد فعله المتخصص بصدوره عن فاعل معين كانت النكرة المذكورة متخصصة بذلك الفاعل فساغ الابتدآء بها لذلك كما قالوا فى سلام عليك وقال بعضهم الويل واد فى جهنم لو أرسلت فيه الجبال لماعت من حره اى ذابت وقال الجنيد قدس سره الويل يومئذ لمن كان يدعى فى الدنيا الدعاوى الباطلة.

١٦

{ ألم نهلك الاولين } كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ممن هلكوا قبل بعثة سيد المرسلين عليه السالم وذلك لتكذيبهم بيوم الفصل وهو استئناف انكار لعدم الاهلاك اثباتا وتقريرا له لان نفى النفى يثبت الاثبات ويحقق الاهلاك فكأنه قيل لم يكن عدم الاهلاك بل قد اهلكناهم.

١٧

{ ثم نتبعهم الآخرين } وهم الذين كانوا بعد بعثته عليه السلام وهو بالرفع على ثم نحن نتبعهم الآخرين من نظرآئهم السالكين لمسلكهم فى الكفر والتكذيب انجعلهم تابعين للاولين فى الاهلاك فليس الكلام معطوفا على ما قبله لان العطف يوجب ان يكون المعنى اهلكنا الاولين ثم اتبعناهم الآخرين فى الاهلاك وليس كذلك لان اهلاك الآخرين لم يقع بعد فلذلك رفع نتبع على ان يكون مقطوعا عما قبله ويستأنف به الكلام على وجه الاخبار عما سيقع فى المستقبل باضمار المبتدأ وفيه وعيد لكفار مكة.

١٨

{ كذلك } اى فعلا مثل ذلك الفعل الذى اخبر به فمحل الكاف النصب على انه نعت لمصدر محذوف

{ نفعل بالمجرمين } بكل من اجرم اى سنتنا جارية على ذلك وفيه تحذير من عاقبة الجرم وسوء اثره.

١٩

{ ويل } مكروهى بزرك

{ يومئذ } بوم اذا هلكناهم

{ للمكذبين } بآيات الله وانبيائه وليس فيه تكرير لما ان الويل الاول لعذاب الآخرة وهذا لعذاب الدنيا وفى برهان القرءآن كررها فى هذه السورة عشر مرات لان كل واحدة منها ذكرت عقيب آية غير الاولى فلا يكون تكرارا مستهجنا ولو لم يكرر كان متوعدا على بعض جدون بعض

وقيل ان من عادة العرب التكرار والاطناب كما ان عادتهم الاقتصار والايجاز ولان بسط الكلام فى الترغيب والترهيب ادعى الى ادراك البغية من الايجاز وقد يجد كل احد فى نفسه من تأثير التكرار مالا خفاء به.

٢٠

{ الم نخلقكم } اى ألم نحدثكم واتفق القرآء على ادغام القاف فى الكاف فى هذا الحرف وذكر النقاش انه فى قرآءة ابن كثير ونافع برواية قالون وعاصم فى رواية حفص بالاظهار قاله فى الابضاح

{ من ماء مهين } بهوان الحدوث والامكان والابتذال اى من نطفة قذرة مكهينة يعنى خوار وبى مقدار . والميم اصلية ومهانته قلته وخسته وكل شئ ابتذلته فلم تنصه فقد امتهنته اى خلقناكم منه ولذا عطف عليه قوله

٢١

{ فجلعناه } اى الماء وبالفارسية بس نكاه داشتيم آن آب را

{ فى قرار مكين } وهو الرحم بكسر الحاء المهملة اى وعاء الولد فى بطن الام يعنى درقرار كاه استواركه رحم است . فالقرار موضع الاستقرار والمكين الحصين اىجعلنا ذلك الماء فى مقر حصين يتمكن فيه

الماء محفوظا سالما من التعرض له فمكين من المكانة بمعنى التمكن لا منها بمعنى المنزلة ومرتبة عنده فيكون فعيلا لا مفيلا.

٢٢

{ الى قدر معلوم } اى مقدار معلوم من الوقت الذى قدره الله للولادة تسعة اشهر او اقل منها او اكثر وهو فى موضع الحال من الضمير المنصوب فى فجعلناه امؤخرا الى مقدار معلوم من الزمان

٢٣

{ فقدرنا } اى فقدرناه والمراد تقدير خلقه وجوارحه واعضائه وألوانه ومدة حمله وحياته ويدل على كون قدر المخفف لغة بمعنى قدر المشدد قرآءة نافع والكسائى بالتشديد

{ فنعم القادرون } اى نحن بمعنى المقدرون والى هذا المعنى ذهب ابن مسعود رضى الله عنه ويجوز ان يكون فقدرنا من القدرة بمعنى فقدرنا على ذلك اى على خلقه وتصويره كيف شئنا واردنا

من مثل تلك المادة الحقيرة على ان المراد بالقدرة ما يقارن وجود المقدور بالفعل ويعضده قوله فنعم القادرون حيث خلقناه بقدرتنا وجعلنا على احسن الصور والهيئات.

٢٤

{ ويل } بزركتربلاى

{ يومئذ للمكذبين } اى بقدرتنا على ذلك او على الاعادة قال أبو الليث اى الشدة من العذاب لمن يرى الخلق الاول فانكر الخلق الثانى.

٢٥

{ ألم نجعل الارض كفاتا } عرفهم او لانعمه الا نفسية لانها كالاصل ثم اتبعها النعم الآفاقية والكفت باهم آوردن . والكفات اسم ما يكفت اى يضم ويجمع من كفت الشىء اذا ضمه وجمعه كالضمام لما يضم

والجماع لما يجمع نحو التقوى جماع كل خير والخمر جماع كل اثم وكفتا مفعول ثان لنجعل لانه بمعنى ألم نصيرها كفاتا تكفت وتضم.

٢٦

{ احياء } كثيرة على ظهرها فهو منصوب بفعل مضمر يدل عليه كفاتا وهو تكفت والا فالاسماء الجامدة وكذا اسماء الزمان والمكان واصآله وان كانت مشتقة لا تعمل وفى اسم المصدر خلاف

واما المصدر وجمع اسمالفاعل فهما من الاسماء العاملة فمن جعل الكفات مصدر او جمع اسم الفاعل وهو كافت كصيام جمع صائم جعله عاملا ومن جعله اسما لمن يكفت او جمعا للكفت بمعنى الوعاء منعه من العمل غير الزمخشرى فانه جعل كفاتا وهو اسم عاملا وقد طعن فيه

{ وامواتا } غير محصورة فى بطنها ولهذا كانوا يسمون الارض اما تشبيها لها بالام فى ضمها للناس الى نفسها احياء وامواتا كالام التى تضم اولادها اليها وتضبطهم ولما كانوا ينضمون اليها جعلت كأنها تضمهم

وايضا كما ان الارض كفات الاحياء بمعنى انهم يسكنون فيها كذلك انها كفات لهم بمعنى انها تكفت ما ينفصل من الاحياء من الامور المستقذرة وتنكيرها فى مضى التعريف الاستغراقى لا لا فراد والنوعية ويجوز أن يقال الارض وان كانت كفاتا لجميع احياء الانس وامواتهم لكمن الاحياء والاموات غير منحصرة فيها لان بعض الحيوان يكفته الهوآء والبعض الآخر يكفته الماء فلا تكون كفاتا للجميع بل للبعض فيصح التنكير ونقل عن القفال انه قال دلت الآية على وجوب قطع يد النباش من حيث انه تعالى جعل الارض كفات الميت فتكون حرزا والسارق من الحرز يجب عليه القطع.

٢٧

{ وجعلنا فيها رواسى } اى جبالا ثوابت يعلى وبيافريديم درزمين كوهاى استوار وباى برجاه فمفعول جعلنا مقدر ورواسى صفة له من رسا الشئ يرسو اى ثبت والجبال ثوابت على ظهر الارض لا نزول

{ شامخات } صفة بعد صفة والشامخ العالى المرتفع اى طوالا

شواهق يعنى بلد وسر فرز ومنه شمخ بأنفه عبارة عن الكبر وفى عين المعانى

رواسى اى ثوابت الاصول رواسخ العروق شامخات اى مرتفعات الفروع

ووصف جمع المذكر بجمع المؤنث فى غير العقلاء مطرد كاشهر معلومات

ونحوه والتنكير للتخفيم او للاشعار بان ما يرى ظهر الارض من الجبال

بعض منها وان فى عداد الجبال ما لم يعرف ولم ير فان السماء فيها جبال

ايضا بدلالة قوله تعالى من جبال فيها من برد .

{ وأسقيناكم } وبياشامانيديم شمارا

{ ما فراتا } اى عذابا جدا بأن خلقنا فيها انهارا

ومنابع اى جعلناه سقيا لكم ومكناكم من شربه وكذا من سقيه دوابكم

ومزارعكم وسمى نهر الكوفة فراتا للذته وقال ابو الليث ماء فراتا ايضا بل

هى معدنه ومصبه.

٢٨

{ ويل } واد فى جهنم

{ يومئذ } دران روز خطرناك

{ للمكذبين } بامثال هذه النعم العظيمة.

٢٩

{ انطلقوا } اى يقال يومئذ للمكذبين بطريق التوبيخ والتقريع انطلقوا واذهبوا والقائلون خزنة النار وزبانية جهنم

{ الى ما كنتم به تكذبون } فى الدنيا من العذاب وبه متعلق بتكذبون قدم رعاية نظم الآية.

٣٠

{ انطلقوا } خصوصا

{ الى ظل } اى الى ظل دخان نار جهنم كقوله تعالى وظل من يحموم اى دخان غليظ اسود

{ ذى ثلاث شعب } جمع شعبة يعنى خداوندسه شاخ يتشعب لعظمه ثلاث شعب كما هو شأن الدخان العظيم تراه يتفرق ذوآئب فقوله ذى ثلاث شعب كناية عن كون ذلك الدخان عظيما بناء على ان التشعب من لوزامه

وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كسرادق وهو ما يمد فوق سحن البيت ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون فى ظل العرش قال القاضى اخذا من التفسير الكبير خصوصية الثلاثة اما لان حجاب النفس عن انوار القدس الحس والخيال والوهم او لان المؤدى الى هذا العذاب هو القوة الوهمية الشيطانية الحالة فى الدماغ المشوشة للنفس عن ادراك الحقائق والقوة الغضبية السبعية التى عن يمين القلب الدافعة للنفس عن القيام على حق الاعتدار والقوة الشهوية البهيمية التى عن يساره المانعة للنفس عن الاتصاف بالاوصاف الالهية ولذلك قيل تقف شعبة فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره فجميع ما يصدر عن الانسان من العقائد الفاسدة والاعمال الباطلة لا

ينشأ الا من هذه القوى الثلاث الواهمة والغضبية والشهوية فهذه الثلاث لما كانت منبع جمبع الآفات الصادرة الانسان تشعبت شعب العذات على حسبها.

بس هركه خواهدكه فردا زين دخان كه ظل من يحموم اشارت بدانست كردد امروز بنور عقل متمسك شده ازتيركى صفت شيطانى وسبعى ويهيمى بايد كذشت.

زتاريكئ خشم وشهوت حذركن ... كه ازدود آن جشم دل تيره فردد

غضب جون در آمد رود عقل بيرون ... هوى جون شود جيره جان خيره كردد

ويحتمل أن تكون الخصوصية لتضييعهم القوى الثلاث التى هى السمع والبصر والفؤاد كما قال تعالى وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا منشأ الشقاوات.

يقول الفقير عندى وجه آخر وهو أن الايمان عبارة عن التصديق والاقرار وللعلم فجعلت كل شعبة من الثلاث بمقابلة واحدة من هذه الاركان دل على هذا قوله تعالى انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون فأورد التكذيب الذى هو صفة القلب فان القلب لكونه مدار الاعضاء والقوى اذا فسد فسد اللسان وسائر الاركان فالتكذيب ظلمة باطنة للقلب ضوعفت بظلمة ترك الاقرار والعمل فلما تضاعفت الظلمات الباطنة فلدنيا تضاعفت الظلمات الظاهرة فى الآخرة لان لكل عمل وصفه صورة شخصية جسدانية يوم القيامة

٣١

{ لا ظليل } اخذ من الظل للتأكيد كنوم نائم اى لا يظل من الحر وتوصيف الظل بأنه لا يظل من حر ذلك اليوم وهو حر النار للدلالة على ان تسمية ما يغشاهم من العذاب بالظل استهزآء بهم فان شأن الظل أن يدفع عمن يستظل به مقاساة شدة الحر وانه ينفعه ببرده ونسميه والذى أمروا بالانطلاق اليه يضاعف عليهم ما هم فيه من الحر والعذاب فضلا

عن أن يستريحوا ببرده اورد لما أوهمه لفظ الظل من الاسترواح كما مر فى الواقعة

{ ولا يغنى من اللهب } اى غير مغن لهم من حر اللهب كما يغنى ظل الدنيا من الحر فقوله لا ظليل فى موضع الجر على انه صفة الظل ولفظ غير مانع للصفتيةاى ظل غير ظليل وغير مغن ومفعول يغنى يباعده كما ان المحتاج اليه يقربه فصح أن يعبر باغناء شئ عن شئ عن ابعاده عنه فكان المعنى ان هذا الظل لا يظلكم من حر الشمس ولا يدفع عنكم لهب النار واللهب ما يعلو على النار اذا اضطرمت من أحمر وأصفر وأخضر وفى التأويلات النجمية ظل الروح وظل القلب ظل ظليل ممدود نفعه واثره وروحه لا ظل النفس والهوى وقال بعضهم ظل شجرة النفس الخبيثة المنقطعة عن نور الوحدة بظلمة ذاتها ليس بظليل كظل شجرة طوبى فلا يفيد الروح والراحة بخلاف ظل شجرة النفس الطيبة المنورة بنور الوحدة الغير المتشعبة الى الشعب المختلفة المتضادة كالشيطانية والسبعية والبهيمية.

{ انها } اى الشعب لانها هى المذكورة لا النار

{ ترمى بشرر } مى افكتددر آنروز شرار هاراكه هر شراره

{ كالقصر } مانند كوشكى عظيم . اى كل شررة كقصر من القصور فى عظمها كما دل على هذا التفسير قوله كأنه جمالة صفر فالشرر جمع شررة وهى ما تطاير من النار من الجهات متفرقا كالنجوم كما قال فى القاموس الشرار والشرر ككتاب وجبل ما يتطاير من النار واحدتهما بهاء انتهى وكالقصر فى موضع الصفة للشرر والقصر مفرد وهو البناء العالى ووصف به الجمع باعتبار كل واحد من آحاده والقصر ايضا الحطب الجزل ولذا قال ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير الآية هى الخشب العظام المقطعة وكنا نعمد الى الخشب فتقطعها ثلاثة اذرع وفوق ذلك ودونه ندخرها للشتاء فكنا نسميها القصر اى لكونها مقصورة مقطوعة من الممدودة الطويلة تأمل فى ان نارا دخانها وشررها هكذا فما بالك بحال أهلها.

{ كأنه } اى الشرر وفى فتح الرحمن كأنه اى النار ثم رد الضمير الى لفظ النار دون معناها فقال كأنه

{ جمالة صفر } جمع جمل كحجارة فى جمع حجر والتاء لتأنيث الجمع او اسم جمع كالحجارة والجمل ذكر اصفر والصفرة لون من الالوان التى بين السواد والبياض وهى ان البياض أقرب ولذلك قد يعبر بها عن السواد والمعنى كأن كل شررة جمل أصفر أو كجمل اسود لان سواد ابل يضرب الى الصفرة كما قيل لبعض الظباء آدم لان بياضها تعلوه كدرة ولان صفر الابل يشوب رؤوس اشعارها سواد وفى الحديث (شرار جهنم اسود كالقير) فالاول وهو التشبيه بالقصر تشبيه فى العظم والثانى وهو التشبية بالجمل فى اللون والكثرة والتتابع والاختلاط والحركة وفى المفردات قوله تعالى كأنه جمالة صفر قيل جمع أصفر

وقيل بل أراد به الصفر المخرج من المعادن ومنه قيل للنحاس صفر

وفى التأويلات النجمية كل صفة من الاوصاف البهيمية والسبعية والشياطنية بحسب الغلظة والشدة كالقصور المرتفعة والبروج المشيدة او كأنه جمالة صفر عظيمة ليهكل طويلة الاشر من شدة قوة النار فى ذلك الشرر وهى القوة الغضبية.

٣٤

{ ويل } مشقت بسيار

{ يومئذ للمكذبين } بأهوال يوم القيامة وأحوال العصاة فيه (وقال الكاشفى) مردروع زنانراست كه مشقت دوزخ وشاراهاى آنراباور ندارند.

٣٥

{ هذا يوم لا ينطقون } اشارة الى وقت دخولهم النار ويوم مرفوع على انه خبر هذا اى هذا يوم لا ينطقون فيه بشئ لما ان السؤال والجواب

والحساب قد انقضت قبل ذلك وايضا يوم القيامة يوم طويل له مواطن

ومواقيت ينطقون فى وقت دون وقت فعبر عن كل وقت بيوم اولا ينطقون

بشئ ينفعهم فان ذلك كالنطق قال القاشانى لا ينطقون لفقدان آلات

النطق وعدم الاذن فيه بالختم على الافواه وقال بعضهم لا ينطقون منم

شدة تحيرهم وقوة دهشتهم وقال أبو عثمان رحمه الله اسكتهم هيبة الربوبية

وحياء الذنوب كما قال الشيخ سعدى رحمه الله

سر ار جيب غفلت بر آور كنون ... كه فردا نماند بخجلت نكون

٣٦

{ ولا يؤذن لهم } ودستورى ندهد مرايشانرا در اعتذار

{ فيعتذرون } عطف على يؤذن منتظم فى سلك النفى اى لا

يكون لهم اذن واعتذار متعقب له من غير أن يجعل الاعتذار مسببا عن

الاذن كما لو نصب والنصب يوهم ان لهم عذرا وقد منعوا من ذكره وهو

خلاف الواقع اذلو كان لهم عذر لم يمنعوا واى عذر لمن اعرض عن منعمه وكفر بأياديه ونعمه.

٣٧

{ ويل } كرب واندوه

{ يومئذ للمكذبين } بهذه الاخبار وبما جاء من الحق الواقع البتة.

٣٨

{ هذا } اليوم الذى شاهدتم اهواله واحواله

{ يوم الفصل } بين الحق والباطل وقال البقلى هذا يوم مفارقة النفس والشيطان عن جوار قلب العارف وانفصال كل شئ عن كل محب غير محبوبه حيث استغرق فى وشهوده ووجوده

{ جمعناكم } يا امة محمد

{ والاولين } من الامم وهذا تقرير وبيان للفصل اذ الفصل بين المحق والمبطل والرسل لا يتحقق الا بجمع الكل فلا بد من احضارهم لا سيما عند من لا يجوز القضاء على الغائب.

٣٩

{ فان كان لكم كيد } حيلة تدفعون بها عنكم العذاب والظاهر أن هذا خطاب من الله للكفار

{ فكيدون } اصله فكيدونى حذف ياء المكلم اكتفاء بالكسرة والنون للوقاية وهو أمر من كاد يكيد كيدا وهو المكر والاحتيال والخديعة والمعنى واحتالوا لأنفسكم وتخلصوا من عذابى ان قدرتم فان جميع من كنتم تقلدونهم وتقتدون بهم حاضرون يعنى حيله باخداى بيش نرود وبمكر ودستان عذاب ازخود دفع نتوانيد كرد

بمكر وحيله عذاب خداى رد نشود ... نياز بايد واخلاص وناله سحرى

توان خريد بيك آه ملك هردوجهان ... ازان معامله غافل مشوكه

حيف خورى

وهذا امر اهانة وخطاب تعجيز وتقريع لهم على كيدهم للمؤمنين

فى الدنيا وتخجيل لهم بأنهم كانوا فللدنيا يدفعون الحقوق عن أنفسهم

ويبطلون حقوق الناس بضروب الحيل والمكايد والتلبيسات فخاطبهم الله

حين علموا ان الحيل منقطعة والتلبيسات غير ممكنة بقوله فان كان لكم

كيد فكيدون لما ذكر من التقريع والتخجيل ولاظهار عجزهم عن الكيد

فان مثل هذا الكلام لا يتكلم به الا من تيقن بعجز مخاطبه عما هو

بصدده وفى بعض التفاسير اى فان وجد كيد نافع لكم على ان لكم متعلق

بكان او نافعا لكم على انه حال من كيد.

٤٠

{ ويل } غم وغصة

{ يومئذ } دران روز هولناك

{ للمكذبين } حيث ظهر أن لا حيلة لهم فى الخلاص من العذاب.

٤١

{ ان المتقين } من الكفر والتكذيب لانهم فى مقابلة المكذبين ففيه رد على المعتزلة

{ فى ظلال } جمع ظل كشعاب وشعب او ظلة كقباب وقبة اى فى ظلال ظليلة على الحقيقة كما يدل عليه الاطلاق يعنى لا كظل عن كونهم تحت اشجار مثمرة لهم فى جنانهم.

يقول الفقير الا ظهران كونهم فى ظلال كناية عن راحتهم العظمى لان الظل للراحة وكذا قوله تعالى وندخلهم ظلا ظليلا ونحوه وانما ذكر الله الظل تشويقا للقلوب لان من البلاد ما هى حارة قليلة المياه والاشجار والظلال

{ وعيون } عذبة دافعة عنهم العطش وبالفارسية وبركنار جشمهاى آب.

٤٢

{ وفواكه } اى ألوان الفاكهة يعنى ودرميان ميوها

{ مما يشتهون } ويتمنون يعنى از آنجه آرزو كنند.

فيتناولونها لا عن جوع وامتلاء بل عن شهوة وتلذذ والحاصل انهم مستقرون فى فنون الترفه وانواع التنعم خلاف ما عليه مخالفوهم.

٤٣

{ كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون } مقدر بقول هو حال من ضمير المتقين فى الخبر أى مقولا لهم كلوا من نعم الجنة وثمراتها واشربوا من مائها وشرابها اكلا وشربا هنيئا شائغا رافها بلدآء ولا تخمة بسبب ما كنتم تعملون فى الدنيا من الاعمال الصالحة خصوصا الصيام كما مضى فى الحاقة وهذا أمر اكرم اظهار اللرضى عنهم والمحبة لهم تمسك القائلون بايجاب

العمل للثواب بالباء السببية والجواب ان السببية انما هى بفضل الله ووعده الذى لا يخلف لا بالذات بحيث يمتنع عدمه او يوجب النقصاو الظلم.

٤٤

{ انا كذلك } الجزآء العظيم

{ نجزى المحسنين } اى فى عقائدهم واعمالهم لا جزآء آدنى منه.

٤٥

{ ويل يومئذ للمكذبين } حيث نال اعدآؤهم هذا الثواب الجزيل وهم بقوا فى العذاب المخلد الوبيل (وقال الكاشفى) جهل وقبح وذم مراهل تكذيب راست كه بنعيم بهشت نمى كروند.

وفى التأويلات النجمية ان المتقين بالله عما سواه اى المتقين بنور الوحدة عن ظلمة الكثرة وبنور المعرفة عن ظلمية النكرة فى ظلال الاوصاف الالهية والاخلاق الربانية وعيون من مياه العلوم والحكم وفواكه مما يشتهون من التجليات الروحانية والتنزلات النورانية كلوا من أطعمة المواهب الهنية

واشربوا من أشربة المشارب التوحيدية هنيئا بما كنتم تعملون من الاعمال الصالحة والافعال الحسنة انا كذلك نجزى المحسنين المشاهدين لجمالنا المطلق ويل يومئذ للمكذبين باحسان الجزآء وجزآء الاحسان.

٤٦

{ كلوا } اى مكذبان ازنعيم فانئ دنيا

{ وتمتعوا } تمتعا

{ قليلا } او زمانا قليلا يعنى عيشوا مدة قليلة الى منتهى آجالكم لان زمان الدنيا قليل كمتاعها وبالفارسية وبرخوردار شويد زمانى اندك

{ انكم مجرمون } كافرون مستحقون للعذاب وبالفارسية بدرستى كه شما مشركانيد وعاقبت شمارا عذاب دائمست.

قوله كلوا الخ مقدر بقول هو حال من المكذبين قال فى لاكواشى لا أحب الوقف على المكذبين ان نصبت كلوا حالا منه والمعنى الويل ثابت لهم مقولا لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم فى الدنيا بما جنوا على أنفسهم من

ايثار المتاع الفانى عن قريب على النعيم الخالد فلا يرد كيف يقال لهم ذلك ولا تمتع لهم فيها يعنى ان هذا القول لهم فى الآخرة لا يكون لطلب الاكل والتمتع منهم بنعيم الدنيا حقيقة لعدم امكانه بل انما يقال لهم للتذكير المذكور فيكون الامر امر توبيخ وتحسير وتحزين وعلل ذلك باجرامهم دلالة على ان كل مجرم مآله هذا اى ليس له الا الاكل والتمتع اياما قلائل ثم البقاء فى الهلاك الابدى.

٤٧

{ ويل } واى

{ يومئذ } دران روز جزا

{ للمكذبين } حيث عرضوا انفسهم للعذاب الدآئم بالتمتع القليل وفى التأويلات النجمية انكم مجرمون اى كاسبون الهيئات الردية والملكات الغير المرضية ويل يومئذ للمكذبين بأن الاوصاف الحميدة أفضل من الاخلاق الذميمة.

{ واذا قيل لهم } اى للمكذبين

{ اركعوا } اى أطيعوا الله واخشعوا وتواضعوا له بقبول وحيه واتباع دينه وارفضوا هذا الاستكبار والنخوة لان الركوع والانحناء لاحد تواضع له وتعظيم والسجود اعظم منه فى التواضع والتعظيم ومن ذلك قالوا ان السجود لغير الله كفر ان كان للعبادة وخطر عظيم ان كان للتعظيم وفى حواضى ابن الشيخ لركوع فى اللغة حقيقة فى مطلق الانحناء الحسى وركوع الصلاة من جملة افراده وتفسيره بالاطاعة والخضوع مجاز لغوى تشبيها له بالانحناء الحسى

{ لا يركعون } لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على ما هم عليه من الاستكبار

وقيل اذا أمروا بالصلاة او بالركوع لا يفعلون اذ روى انه نزل حين امر رسول الله عليه السلام ثقيفا بالصلاة فقالوا انا لا نخر ولا نجبى اى لا

يقوم قيام الراكع فانها سبة علينا اى ان هيئة التجبية هيئة تظهروا ترفع فيها السبة وفى الاست اى الدبر وهو عار وعيب علينا فقال عليه السلام (لا خير فى دين ليس فيه ركوع ولا سجود) وفى بعض التفاسير كانوا فى الجاهلية يسجدون للصنام ولا يركعون لها فصار الركوع من اعلام صلاة المسلمين لله تعالى وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع فى حق المؤآخذة فى الآخرة كما سبق مرارا (قال الكاشفى) مراد آنست كه مسلمان نشوند جه ركن اعظم اسلام بعد از شهادتين نمازاست.

وفيه ذم عظيم لتارك الصلاة حيث لا يجب داعى الله اى المؤذن فانه يدعو فى الاوقات الخمسة المؤمنين الى بيت الله واقامة الصلاة وقس عليه سائر الداعين وفى التأويلات النجمية واذا قيل لهم اركعوا اى افنوا عن اللذات الحيوانية وابقوا باللذات الروحانية اذ هى مناجاة الروح والسر مع الله ولا ألذ منها.

٤٩

{ ويل يومئذ للمكذبين } نفرين آن روز بردروغ زنانراست كه

ركوع وسجود را تكذيب كنند وبشرف اسلام نمى رسند.

٥٠

{ فبأى حديث } اى خبر يخبر بالحق وينطق بما كان وما يكون

على الصدق

{ بعده } اى بعد القرءآن الناطق بأحاديث الدارين واخبار

النشأتين على نمط بديع معجز مؤسس على حجج قاطعة وبراهين ساطعة

{ يؤمنون } اذا لم يؤمنوا به اى القرءآن الجامع لجميع الاحاديث

فقوله فبأى الخ جواب شرط محذوف وكلمة بعد بمنزلة ثم فى افادة التراخى

الرتبى اى فاذا لم يؤمنوا به وهو موصوف بما ذكر فبأى كتاب يؤمنون ختم

السورة بالتعجيب من الكفار لان الاستفهام للتعجيب وبين انهم فى أقصى

درجات التمرد والعناد حيث لم ينقادوا لمثل هذا البرهان الباهر والدليل

القاطع على حقية الدين القويم من حيث كونه فى ارفع درجات الفصاحة

والبلاغة وفى أقصى طبقات الاعجاز . درخبر آمده كه بعد ازخواندن اين آيت بايد كفت آمنا به استدل بعض المعتزلة على ان القرآن ليس بقديم بقوله تعالى حديث اذا لحديث ضد القيم لان الحدوث والقدم لا يجتمعان فى شئ واحد ورد بأن الحديث هنا بمعنى الخبر لا بمعنى الحادث ولو سلم فالعبارة لا تدل على ان القرءآن محدث لاحتمال أن يكون المراد فبأى حديث بعد القديم يؤمنون ولو سلم فانما يدل على حدوث الالفاظ الدالة على المعانى ولا خلاف فيه وانما الخلاف فى قدم المعنى القائم بذاته تعالى روى ان المرسلات نزلت فى غار قرب مسجد الخيف بمنى يسمى غار والمرسلات.

يقول الفقير قد زرته وقرأت فيه السورة المذكورة وفى الضخرة العالية من الغار داخله اثر رأس النبى عليه السلام يتبرك به الآن والحمدلله على افضاله وكثرة نواله وزيارة حرمه وحرم مصطفاه مظهر نور جماله وكماله.

http://islamilimleri.com/KKerim/KKerim/29/Tefsir/014/20.htm

سُورَةُ النَّبَأِ مَكِّيَّةٌ

وَهِيَ أَرْبَعُونَ آيَةً

١

{ عم } اصله عن ما ادغمت النون فى الميم لاشتراكهما فى الغنة فصار عما ثم حذفت الالف كما فى لم وبم وفم والى م وعلى م فانها فى الاصل لما وبما وفيما والى ما وعلى ما اما فرقا بين الاستهامية وغيرها او قصدا للخفة لكثرة استعمالها وقد جاءت فى العشر غير محذوفة كما ذكره ابو البقاء وما فيها من الابهام للايذان بفخامة شأن المسئول عنه وهوله وخروجه عن حدود الاجناس المعهودة كأنه خفى جنسه فيسأل عنه فالاستفهام ليس على حقيقته بل لمجرد التفخيم فان المسئول عنه ليس بمجهول بالنسبة الى الله تعالى اذ لا يخفى عليه خافية والمعنى عن اى شئ عظيم

{ يتساءلون } اى اهل مكة وكانوا يتساءلون عن البعث والحشر الجسمانى ويتحدثون فيما بينهم ويخوضون فيه انكارا واستهزآء لكن لا على طريقة التساؤل عن حقيقته ومسماه بل عن وقوعه الذى هو حال من احواله ووصف من اوصافه فان ماوان وضعت لطلب حقائق الاشياء ومسميات اسمائها كما فى قولك ما الملك وما الروح لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال عالم او طيب.

٢

{ عن النبأ العظيم } النبأ الخبر الذى له شأن وخطر وهو جزاب وبيان لشأن المسئول عنه كأنه قيل عن اى شئ يتساءلون هل اخبركم به ثم قيل بطريق الجواب عن النبأ العظيم الخارج عن دآئرة علوم الخلق يتساءلون على منهاج قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والفائدة فى أن يذكر السؤال ثم أن يذكر الجواب معه ان هذا الاسلوب اقرب الى التفهيم والايضاح فعن متعلقة بما يدل عليه المذكور من مضمر حقه أن

يقدر بعدها مسارعة الى البيان ومراعاة لترتيب السؤال فان لجار فيه مقدم على متعلقه

وقيل عن النبأ العظيم استفهام آخر بمعنى أعن النبأ العظيم ام عن غيره الا انه حذف منه حرف الاستفهام لدلالة المذكور عليه ونظيره قوله تعالى أفان مت فهم الخالدون اى أفهم الخالدون.

٣

{ الذى هم فيه مختلفون } وصف للنبأ بعد وصفه بالعظيم تأكيد الخطره اثر تأكيد واشعارا بمدار التساؤل عنه وفيه متعلق بمختلفون قدم عليه اهتماما به ورعاية للفواصل وجعل الصلة جملة اسمية للدلالة على الثابت اى هم راسخون فى الاختلاف فيه فمن جازم باستحالته يقول ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيي وما يهلكنا الا الدهر وما نحن بمبعوثين ومن مقر يزعم ان آلهته تشفع له كما قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ومن شاك يقول ما ندرى ما الساعة أن نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وفيه

اشارة الى القيامة الكبرى وهى البقاء بعد الفناء او بعث القلب بعد موت النفس فالروح وقواه تقربها والنفس وصفاتها تنكرها لانها جاهلة فضلا عن كونها ذآئقة ومن لم يذق لم يعرف (قال الكمال الخجندى)

زاهد تعجب كركند ازعشق توبرهيز ... كين لذت اين باده جه داندكه نخوردست

فطوبى للذائقين ويا حسرة للمحرومين.

٤

{ كلا سيعلمون } ردع كما يستفاد من كلا ووعيد كما يستفاد من سيعلمون اى ليس امر البعث مما ينكر او يشك فيه بحيث يتساءل عنه سيعلمون ان ما يتساءلون عنه حق لا دافع له واقع لا ريب فيه مقطوع لا شك فيه.

٥

{ ثم كلا سيعلمون } تكرير للردع والوعيد للمبالغة فى التأكيد والتشديد وثم للدلالة على ان الوعيد الثانى ابلغ واشد يعنى ان ثم موضوعة للتراخى الزمانى وقد تستعمل مجازا فى التراخى الرتبى اى لتباعد ما بين المعطوفين فى الشدة والفظاعة وذلك لتشبيه التباعد الرتبى بالتراخى الزمانى فى الاشتمال على مطلق التباعد ما بين الامرينوالمعنى المجازى هو المراد هنا لان المقام مقام التشديد والتهديد وذلك انما يكون آكد بالحمل عليه وبعضهم حملها على معناها الحقيقى فقال سيعلمون حقيته عند النرع فى يوم القيامة ولا شك ان القيامة متراخية بحسب الزمان عن وقت النزع او سيعلمون حقية البعث حيث ان يبعثوا من قبورهم ثم حقية الجزآء بحسب العمل هذا وقد حمل اختلافهم فقيه على مخالفتهم للنبى عليه السلام بأن يعتبر فى الاختلاف محض صدور الفعل عن المتعدد لا على مخالفة بعضهم لبعض من الجانبين لان الكل وان استحق الردع والوعيد لكن استحقاق كل جانب لهما ليس لمخالفته للجانب الآخر اذ لا حقية فى شئ منهما حتى يستحق من يخالفه المؤاخذة بل لمخالفته له عليه

السلام فكلا ردع لهم عن التساؤل والاختلاف بالمعنيين المذكورين وسيعلمون وعيد لهم بطريق الاستئناف وتعليل للردع والسين للتقريب والتأكيد وليس مفعوله ما ينبئ عنه المقام من وقوع ما يتساءلون عنه ووقوع بالعلم لوقوعه فى معرض التساؤل والاختلاف والمعنى ليرتدهوا عما هم عليه فانهم سيعلمون عما قليل حقيقة الحال اذا لحل بهم العذاب والنكال.

٦

{ ألم نجعل الارض مهادا } الخ استئناف مسوق لتحقيق النبأ والمتساءل عنه بتعداد بعض الشواهد الباطقة بحقيته اثر ما نبه عليها بما ذكر من الردع والوعيد ومن هنا اتضح ان المتساءل عنه هو البعث لا القرءآن او نبوة النبى عليه السلام كما قيل والهمزة للتقرير والمهاد البساط والفراش وفى بعض الآيات جعل لكم الارض فراشا قال الن الشيخ المهاد مصدر ماهدت بمعنى مهدت كسافرت بمعنى سفرت اطلق على بساطه وبالفارسية آيا نساخته ايم زمين را فراشى كسترده تاقراركاه شمابود وجاى تقلب.

ومهادا مفعول ثان لجعل ان كان الجعل بمعنى التصيير وحال مقدرة ان كان بمعنى الخلق وغيرها ان يكون جمع مهد ككعاب وكعب وجمعه لاختلاف اماكن الارض من القرى والبلاء على تشبيهها بمهد الصبى وهو ما يمهد له فينوم عليه تسمية للممهود بالمصدر.

٧

{ والجبال اوتادا } المراد بجعلها اوتادا لها ارساؤها بها لتسكن ولا تميد بأهلها اذ كانت تميد على الماء كما يرسى البيت بالاوتاد فهو من باب التشبيه البليغ جمع وتد وهو ما يوتد ويحكم به المتزلزل المتحرك من اللوح وغيره بالفارسية ميخ . فان قيل أليست ارادة الله وقدرته كافيتين فى التثبيت اجيب فانه نعم الا انه مسبب الاسباب وذلك من كمال القدرة

قال بعضهم الاوتاد على الحقيقة سادات الاولياء وخواص الاصفياء فانهم جبال ثابتة وبهم تثبت ارض الوجود وسئل أبو سعيد الخراز قدس سره عن الاوتاد والابدال ايهم افضل فقال الاوتاد قيل كيف فقال

لان الابدال يتقلبون من حال الى حال ويبدل بهم من مقام الى مقام والاوتاد بلغ بهم النهاية وثبت اركانهم فهم الذين بهم قوام الخلق قال ابن عطاء الاوتاد هم اهل الاستقامة يقال له عبد الحى وواحد يحفظ الغرب يقال له عبد العليم وواحد يحفظ الشمال يقال له عبد المريد وواحد يحفظ الجنوب يقال له عبد القادر والابدال سبعة يحفظون اقاليم الكرة علوا وسفلا.

وجه تسميه آنست كه جون بكى ازايشان مرديكى ازجهل تن يعنى نجبا بدل اوشد وتتميم جهل تن بيكى از سيصد تن است يعنى نقبا وتكميل سيصد تن بيكى ازصلحاء وابدال مقيم نشوند نيكجا مكر خسته باشند ومعالجه كنندوبخورند وبيوشند ونكاح كنند بيش ازانكه ابدال شوند وقطب الابدال نظير كوكب سهيل كما ان قطب الارشاد نظير الجدى وقطب ابدال درزمان نبى عليه السلام عصام الدين قزنى بو دعم اويس وجون او متوفى شد ابن عطا احمد بود ازدهى كه ميان مكه ويمن است وبلال الحبشى رضى الله عنه درمان نبى عليه

السلام ازبدلاى سبعة بودى . وكان الشافعى رضى الله عنه من الاوتاد الاربعة.

٨

{ وخلقناكم } عطف على المضارع المنفى بلم داخل فى حكمه فانه فى قوة انا جعلنا او على ما يقتضيه الانكار التقريرى فانه فى قوة ان يقال قد جعلنا

{ ازواجا } اى حال كونكم اصنافا ذكرا وانثى ليسكن كل من الصنفين الى الآخر وينتظم امر المعاشرة والمعاش ويتسنى التناسل والزوج يقال لكم واحد من القرينين المزدوجين حيوانا او غيره كالخف والنعل ولا يقال للاثنين زوج بل زوجان ولذا كان الصواب ان يقال قرضته بالمقراضين وقصصته بالمقصين لانهما اثنان لا بالمقراض وبالمقص كذا قال الحريرى فى درة الغواص وقال صاحب القاموس يقال للاثنين هما زوجان وهما زوج انتهى ولعله من قبيل الاكتفاء بأحد الشقين عن الآخرة وزوجة للمرأة لغة

رديئة لقوله تعالى يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ويقال لكل ما يقترن بآخر مماثلا له او مضادا زوج ولذا

قال بعضهم فى الآية وخلقناكم حال كونكم معروضين لاوصاف متقابلة كل واحد منهما مزدوج بما يقابله كالفقر والغنى والصحة والمرض والعلم والجهل والقوة والضعف والذكورة والانوثة والطول والقصر الى غير ذلك وبه يصح الابتلاء فلأن الفاضل يشتغل بالشكر والمفضول بالصبر ويعرف قدر النعمة عند الترقى من الصبر الى الشكر وكل ذلك دليل على كمال القدرة ونهاية الحكمة.

٩

{ وجعلنا } صيرنا

{ نومكم } وهو استرخاء اعصاب الدماغ برطوبات البخار الصاعد اليه ولذا قل فى اهل الرياضة لقلة الرطوبة

{ سباتا } موتا اى كالموت والمسبوت الميت من السبت وهو القطع لانه مقطوع عن الحركة ومنه سمى يوم السبت لان الله تعالى ابتدأ بخلق السموات والارض يوم الاحد فخلقها فى ستة ايام فقطع عمله يوم السبت فسمى بذلك وايضا هو يوم ينقطع فيه بنو اسرآئيل فى منامها اى ويتوفى التى لم تمت فى منامها وذلك لما بينهما من المشاركة التامة فى انقطاع احكام الحياة فالتنوين للنوعية اى وجعلنا نومكم نوعا من الموت وهو الموت الذى ينقطع ولا يدوم اذ لا ينقطع ضوء الروح الا عن ظاهر البدن وبهذا الاعتبار قيل له اخو الموت والنوم بمقدار الحاجة نعمة جليلة

وقيل سباتا اى قطعا عن الاحساس والحركة لا راحة القوى الحيوانية وازاحة كلا لها والاول هو اللائق بالمقام كما ستعرفه.

١٠

{ وجعلنا الليل } الذى يقع فيه النوم

{ لباسا } يقول لبس الثوب استتر به وجعل اللباس لكل ما يغطى الانسان عن قبيح فجعل الزوج لزوجها لباسا من حيث انها تمنعه وتصده عن تعاطى قبيح وكذا البعل وايضا من حيث الاشمال قال تعالى هن لباس لكم وأنتم لباس لهن وجعل التقوى لباسا على طريق التمثيل والتشبيه وكذا جعل الخوف والجوع لباسا على التمثيل والتشبيه تصويرا له وذلك بحسب ما يقولون تدرع فلان الفقر ولبس الجوع والمعنى لباسا يستركم بظلامه كما يستركم اللباس ولعل المراد ما يستتر به عند النوم من اللحاف ونحوه فان شبه الليل به اكمل واعتباره فى تحقيق المقصد أدخل صاحب فتوحات آورده شب لباس اصحاب ليل است كه ايشانرا ازنظر اغيار بيوشاند تادر خلوت خود لذت مكالمه يا محاضره يا مشاهده هريك فراخور استعداد خود برخوردارى يابند حضرت شيخ الاسلام قدس شره فرموده كه شب برده روندكان راهست روز بازار بيدار ان سحر كاه.

الليل للعاشقين ستر ... ياليت اوقاته تدوم

جون دردل شب خيال اويار منست ... من بنده شب كه روز

بازار منست

فهو تعالى جعل الليل محلا للنوم الذى جعل موتا كما جعل النهار

محلا لليقظة المعبر عنها بالحياة فى قوله تعالى

١١

{ وجعلنا النهار معاشا } اى وقت عيش اى حياة تبعثون فيه

من نومكم الذى هو أخو الموت كما فى قوله تعالى وهو الذى جعل لكم

الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا ولم يقل وجعل يقظتكم حياة

لتتم المطابقة بينه وبين قوله وجعلنا نومكم سباتا بل عبر عن اليقظة بالنهار

لكونه مستلزما لها غالبا ولمراعاة مطابقة وجعلنا الليل ومنه يعلم ان قله

وجعلنا الليل ليس مستطردا فى البين لذكر النوم فى القرينة الاولى فمعاش

مصدر من عاش يعيش عيشا ومعاشا ومعيشة وعيشة وعلى هذا لا بد

من تقدير المضاف ولذا قدروا لفظ الوقت ويحتمل ان يكون اسم زمان

على صيغة مفعل فلا حاجة حينئذ الى تقدير المضاف وتفسيره بوقت معاش ابراز لمعنى صيغة اسم الزمان وتفصيل لمفهومها وفى التأويلات النجمية ألم نجعل ارض البشرية مهد استراحتكم وانتشاركم فى انواع المنافع البشرية وجبال نفوسكم القاسية قوآئم ارض البشرية خلقناكم ازوجا ازوج الروح وزوج النفس او ذكر القلب وانثى النفس ودعنا نومك مغفلتكم راحة وستراحة باستيفاء اللذات واستقصاء الشهوات وجعلنا ليل طبعتكم ستر النهار روحانيتكم نهار روحانيتكم معاشا تعيشون فيه بالطاعات والعبادات وهذه صورة البعث.

١٢

{ وبيننا فوقكم } وبنا كرده ايم برسر شمارا

{ سبعا شدادا } جمع شديد أى سبع سموات قوية الخلق محكمة النباء لا يؤثر فيها مر الدهور وكر العصور وقال أبو الليث غلاظا غلظ كل سماء مسيرة خمسمائة عام والتعبيرى عن خلفها بالبناء مبنى على تنزيلها

منزلة القباب المضروبة على الخلق وفيه اشارة الى طبقات القلب السبع الاولى طبقة الصدور وهى معدن جوهر الاسلاموالثانية طبقة القلب وهى محل جوهر الايمان والثالثة الشغاف وهى معدن العشق والمحبة والشفقة والرابعة الفؤاد وهو معدن المكاشفة والمشاهدة والرؤية والخامسة حبة القلب وهى مخصوصة بمحبة الله تعالى لا تعلق لها بمحبة الكونين وعشق العالمين والسادسة السويدآء وهى معدن العلم اللدنى وبيت الحكمة والسابعة بيت العزة وفى قلب الاكملين وفى هذا البيت اسرار الهية لا تخرج من الباطن الى الظاهر اصلا ولا يظهر منها ثر قطعا.

١٣

{ وجعلنا } انشأنا وأدعنا

{ سراجا } هو الشمس والتعبير عندها بالسراج من روادف التعبير عن خلق السموات بالبناء قال الراغب السراج الزاهر بفتيلة ودهن ويعبر به عن كل شئ مضيئ ويقال للسراج مصباح

{ وهاجا } وقادا متلألئا من وهجت النار اذا اضاءت او بالغا

فى الحرارة من الوهج وهو الحر وهو ما قال بعض المفسرين سراجا

وهاجا اى مضيئا جامعا بين النور والحرارة يعنى جراغى افروخته وتابان.

يقال ان الشمس والقمر خلقا فى بدء امرهما من نور العرش

ويرجعان فى القيامة الى نور العرش وذلك فيما روى عكرمة عن ابن

عباس رضى الله عنهما انه قال الا احدثكم بما سمعت من رسول الله صلّى

الله عليه وسلّم يقول فى الشمس والقمر وبدء خلقهما ومصير أمرهما قال

قلنا بلى يرحمك الله فقال ان رسول الله عليه السلام سئل عن ذلك فقال

ان الله تعالى لما ابرز خلقه احكاما ولم يبق من خلقه غير آدم خلق شمسين

من نور عرشه فاما ما كان فى سابق علمه ان يدعها شمسا فانه خلفها من

مثل الدنيا ما بين مشارقها ومغاربها وما كان فى سابق علمه ان يطمسها

ويحولها قمرا فانه خلقها دون الشمس فى العظم ولكن انما يرى صغرهما

لشدة ارتفاعهما فى السماء وبعدها من الارض فلو ترك الله الشمس والقمر

كما كان خلقهما فى بدء امرهما لم يعرف الليل من النهار ولا النهار من

الليل ولا يدرى الاجير متى يعمل ومتى يأخذ اجره ولا يدرى الصائم متى يصوم ومتى يفطر ولا تدرى المرأة متى تعتد ولا يدرى المسلمون متى وقت صلاتهم ومتى وقت حجهم فكان الرب تعالى انظر لعباده وارحم بهم فأرسلجبريل فأمر جناحه على وجه القمر فطمس منه الضوء وبقى فيه النور فذلك قوله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة فالسود الذى ترونه فى القمر شبه الخطوط فيه فهو أثر المحو قال فاذا قامت القيامة وقضى الله بين الناس وميز بين اهل الجنة والنار ولم يدخلوهما بعد يدعو الرب تعالى بالشمس والقمر ويجاء بهما اسودين مكورين قد وقفا فى زلازل وبلابل ترعد فرآئصهما من هول ذلك اليوم ومخافة الرحمن فاذا كانا حيال العرش خر الله ساجدين فيقولان الهنا قد علمت طاعتنا لك وأدبنا فى عبادتك وشرعتنا للمضى فى امرك ايام الندنيا فلا تعذبنا بعبادة المشركين ايانا فقد علمت انا لم ندعهم الى عبادتنا ولم نذهل عن عبادتك فيقول الرب صدقتما انى قد قضيت على نفسى ان ابدئ واعيد وانى معيدكما الى ما ابدأتكما منه فارجعا الى ما خلقتكما

منه فيقولان ربنا مم خلقتنا فيقول خلقتكما من نور عرشى فارجعا اليه قال فتلمع من كل واحد منهما برقة تكاد تخطف الابصار نورا فيختلطان نور العرش فذلك قوله تعالى يبدئ ويعيد كذا فى كشف الاسرار وقال الشيخ رضى الله عنه فى الفتح المكى

واما الكواكب كلها فهى فى جهنم مظلمة الاجرام عظيمة الخلق وكذلك الشمس والقمر والطلوع ولغروب لهما فى جهنم دآئما انتهى.

يقول الفقير لعل التوفيق بين هذا وبين الخبر السابق ان كلا من الشمس والقمس حامل لشيئين النورية والحرارة فما كان فيهما من قبيل النور فيتصل بالعرش من غير جرم لان اجرم لا يخلو من الغلظة والظلمة والكثافة وما كان من قبيل النار والحرارة فيتصل بالنار مع جرمهما فكل منهما يرجع الى اصله فان قلت كان الظاهر ان يتصل نورهما بنور النبى عليه السلام لانهما مخلوقان من نوره قلت ان العرش والكرسى خلقا من نوره وخلق القمران من نور العرش فهما فى الحقيقة مخلوقان من نور النبى عليه السلامومتصل نورهما بنوره والكل نوره والحمد لله تعالى.

شمسهء نه مسند وهفت اختران ... ختم رسل خواجهء بيغمبران

١٤

{ وانزلنا } النون للعظمة وللاشارة الى جمعية الذات والاسماء والصفات

{ من المعصرات } هى السحائب اذا اعصرت اى شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر ولم تعصرها بعد فالانزال من المستعد لا من الواقع والا يلزم تحصيل الحاصل وهمزة اعصر للحينونة والمعصرات اسم فاعل يقال احصد الزرع اذا حان له ان يحصد واعصرت الجارية اى حان لها ان تعصر الطبيعة رحمها فتحيض وفى المفردات المعصر المرأة التى حاضت ودخلت فى عصر شبابها انتهى ولو لم تكن للحينونة لكان ينبغى ان يقرأ المعصرات بفتح الصاد على انه اسم مفعول لان الرياح تعصرها ويجوز أن يكون المراد من المعصرات الرياح التى حان لها ان تعصر السحاب فتمطر فهى ايضا

اسم فاعل والهمزة للحينونة كذلك فان قيل لم لم تجعل الهمزة للتعدية قلنا لان الرياح عاصرة لا معصرة

{ ماء ثجاجا } اى منصبا بكثرة والمراد تتابع القطر حتى بكثر الماء فيعظم النفع به يقال ثج الماء اى سال بكثرة وانصب وثجه غيره اى اساله وصبه فهو لازم ومتعد ومن الثانى قوله عليه السلام (أفضل الحج العج والثج) اى رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدى وفسره الزجاج بالصباب كأنه يثج نفسه مبالغة فيكون متعديا ولا منافاة بين هذا وبين قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء فان ابتدآء المطر ان كان من السماء يكون الانزال منها الى السحاب ومنه الى الارض والا فانزاله منها باعتبار تكونه باسباب سماوية من جملتها حرارة الشمس فانها تثير وتصعد الاجزآء المائية من اعماق الارض الرطبة او من البحار والانهار الى جو الهوآء فتنعقد سحابا فتمطر فالانزال من المعصرات حقيقة ومن السماء مجاز باعتبار السببية والله مسبب الاسباب.

{ لتخرج به } اى بذلك الماء اى بسبب وصوله الى الارض واختلاطه بها وبما فيها وهذه اللام لام المصلح لا لام الغرض كما تقول المعتزلة

{ حبا } كثيرا يقتات به اى يكون قوتا للانسان وهو ما يقوم به بدنه كالحنطةوالشعير ونحوهما وفى عين المعانى الحب اسم جنس يعنى به الجمع قال اراغب الحب والحبة يعنى بالكسر يقال فى بزور الرياحين وحبة القلب تشبيها بالحبة فى الهيئة

{ ونباتا } كثيرا يتلف به اى يكون علفا للحيوان كالتبن والحشيش كما قال تعالى كلوا وارعوا انعامكم وتقديم الحب مع تأخره عن النبات فى الاخراج لاصالته وشرفه لان غالبه غذآء الناس ويقال لنخرج به لؤلؤا وعشبا قال عكرمة ما انزل الله قطرة الا انبت بها عشبة فى الارض او لؤلؤة فى البحر انتهى وهو مخالف للمشهور من ان اللؤلؤ لا يتكون من كل مطر بل من المطر النازل فى نيسان الا ان يعمم اللؤلؤ الى الدر وغيره.

١٦

{ وجنات } ليتفكه بها الانسان والجنة فى الاصل هى السترة من مصدر جنه اذا ستره تطلق على النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه وعلى الارض ذات الشجر قال الفرآء الجنة ما فيه النخيل والفردوس ما فيه الكرم والمراد هنا هو الاشجار لا الارض

{ الفافا } اى ملتفة تداخل بعضها فى بعض وهذا من محسنات الجنان كما ترى فى بساتين الدنيا وبالفارسية درهم بيجده يعنى بسيار ونيكديكر نزديك.

قالوا لا واحجد له كالاوزاع والاخياف الاوزاع بمعنى الجماعات المتفرقة كالاخياف فانه ايضا بمعنى الجماعات المتفرقة المختلطة ومنه الاخياف للاخوة من آباء شتى وامهم واحدة او الواحد لف ككن واكنان او لفيف كشريف واشراف وهو جمع لف جمع لفاء كخضر وخضرآء فيكون ألفافا جمع الجمع او جمع ملتفة بحذف الزوآئد قال ابن

الشيخ قدم ذا الحب لانه هو الاصل فى الغذآء وثنى بالنبات لاحتياج سائر الحيوانات اليه واخرت الجنات لانعدام الحاجة الضرورية الى الفواكه.

واعلم ان فيما ذكر من افعاله تعالى دلالة على صحة البعث وحقيته من وجوه ثلاثة الاول باعتبار قدرته تعالى فان من قدر على انشاء هذه الافعال البديعة من غير مثال يحتذ به وقانون بنتحيه كان على الاعادة اقدر وأقوى والثانى باعتبار علمه وحكمته فان من ابدع هذه المصنوعات على نمط رآئق مستتبع لغايت جليلة ومنافع جملية عائدة على الخلق يستحيل ان يفنيها بالكلية ولا يجعل لها عاقبة باقية والثالث باعتبار نفس الفعل فان اليقظة بعد النوم انموذج للبعث بعد الموت يشاهدونها كل يوم وكذا اخراج الحب والنبات من الارض الميتة يعاينونه كل حين كأنه قيل ألم تفعل هذه الافعال الآفاقية والانفسية الدالة بفنون الدلالات على حقية البعث الموجبة للايمان به فما لكم تخوضون فيه انكارا وتتساءلون عنه استهزآء وفى التأويلات النجمية وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا اى من سموات الارواح بتحريك نفحات الالطاف مياه العلوم الذاتية والحكم

الربانية صباصبا لنخرج به حبا ونباتا اى انزلنا من سحائب سموات ارواحكم على ارض قلوبكم ماء العلوم والحكم لنخرج به حب المحبة الذاتية ونبت الشوق ولاشتياق والود الانزعاج والعشق وامثالها وجنات ألفافا جنة المحبة وجنة المودة وجنة العشق ملتف بعضها ببعض.

١٧

{ ان يوم الفصل } اى فصل اللّه بين الخلائق وبين السعدآء والاشقياء باعتبار تفاوت الهيئات والصور والاخلاف والاعمال وتناسبها

{ كان } فى علمه وتقديره الازلى والا فثبوت الميقاتية ليوم الفصل غير مقيد بالزمان الماضى لانه امر مقرر قبل حدوث الزمان ايضا

{ ميقاتا } وميعاد البعث الاولين والآخرين وما يترتب عليه من الجزآء ثوابا وعقابا لا يكاد يتخطاه بالتقدم والتأخر فالميقات وهو الوقت الموقت اى المعين اخص من مطلق الوقت فهو هنا زمان مقيد بكونه وقت ظهور ما وعد الله من البعث والجزآء.

{ يوم ينفخ فى الصور } بدل من يوم الفصل او عطف بيان له مفيد لزيادة تفخيمه وتهويله ولا ضير فى تأخر الفصل عن النفخ فانه زمان ممتد يقع فى مبدئه النفخة وفى بقيته الفصل ومباديه وآناره والنفخ نفخ الريح فى الشيء ومنه نفخ الروح فى النشأة الاولى كما قال ونفخت فيه من روحى ويقال انتفخ بطنه ومنه استعير انتفخ النهار اذا ارتفع ورجل منفوخ اى سمين والصور القرن النورانى والنافخ فيه اسرافيل عليه السلام والمعنى يوم ينفخ فى الصور نفخة ثانية للبعث حتى تتصل الارواح بالاجساد وترجع بها الى الحياة

{ فتأتون } خطاب عام والفاء فصيحة تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليه وايذانا بغاية سرعة الاتيان كما فى قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانلفلق اى فتبثعون من قبوركم فتأتون الى الموقف عقيب ذلك من غير لبث اصلا

{ افواجا } جمع فوج وهو جماعة من الناس فى المفردات الجماعة

المارة المسرعة اى حال كونكم امما كل امة مع امامها كما فى قوله تعالى يوم

ندعو كل اناس بأمامهم او زمرا وجماعات مختلفة الاحوال متباينة الاوضاع

حسب اختلاف اعمالهم وتباينها عن معاذ رضى الله عنه انه سأل عنها

رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال عليه السلام (يا معاذ سألت عن

امر عظيم من الامور) ثم ارسل عينية وقال (تحشر عشرة اصناف من

امتى بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم

منكسون ارجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها) يعنى نكونساران كه

ايشانرا بروى بدوزخ ميكشند . (وبعضهم عمى وبعضهم صم بكم

وبعضهم يمضغون ألسنتهم وهى مدلاة على صدورهم يسيل القبح من

افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وأرجلهم وبعضهم

مصلبون على جذوع من نار) يعنى بردارهاى آتشين آويخته .(وبعضهم

اشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جبايا سابغة من قطران لازقة

بجلودهم فاما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس) وهو بالضم

جمع قات بالتشديدبمعنى النمّام يعنى سخن حين (حكى) ان رجلا با ع

عيدا وقال للمشترى ما فيه عجب الا النميمة فقال رضيت فاشتراه فمكث

الغلام اياما ثم قال لزوجة مولاه ان زوجك لا يحبك وهو يريد أن تتسرى

عليك فخذى الموسى واحلقى من قفاه حين ينام شعرات حتى اسحر

عليك فيحبك ثم قال للزوج ان امرأتك أخذت خليلا وتريد أن تقتلك

فتناوم لها حتى تعرف فتناوم فجاءت المرأة بالموس فظن انها تقتله فقام

فقتلها فجاء اهل المرأة فقتلوا الزوج فوقع القتال بين القبيلتين وطال الامر

(واما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت اى الحرام لانه

يسحت الدين والمروءة اى يستأصل

واما المنكسون على وجوههم فأكلة الربا والتنكيس تعكيس هيئة

القيام على الرجل بأن يجعل الرجل اعلى والرأس أسفل)

وبالفارسية نكو نسار كردن .

(واما العمى فالذين يجورون فى الحكم

واما البكم فالمعجبون باعمالهم

واما الذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء والقصاص الذين خالف قولهم اعمالهم

واما الذين قطعت ايديهم وارجلهم فهم الذين يؤذون جيرانهم

واما المصلبون على جذوع من النار) فالسعادة بين الناس الى السلطان يعنى غمازان وسعايت كنندكان بسلاطين وملوك .

(واما الذين هم اشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ويمنعون حق الله فى اموالهم

واما الذين يلبسون الجباب فأهل الكبر والفخر والخيلاء) جمع جبة وهو ثوب معروف وفى الحديث نشر على ترتيب اللف وبيان المناسبة بين معاصيهم وبين الصور التى يحشرون عليها يطلب من علم التعبير ثم انه فصل هيئات اهل المعاصى مع الاسباب المؤدية اليها لانه اهم التخلية قبل التحلية واكتفى بالاشارة الاجالية الى هيئات الصالحين بقوله من امتى بمن

التبعيضية والحاصل انه كما ان الاشقياء يحشرون على صور اعمالهم القبيحة كذلك السعدآء يحشرون على صور اعمالهم الحسنة حتى يكون وجوه بعضهم كالقمر ليلة البدر او كالشمس على ما جاء فى صحيح الروايات وقال بعضم المراد امة الدعوة فتعم اصناف الكفرة والمؤمنين لا امة الاجابة والا فالخوف على المؤمنين ايضا فى نهاية المرتبة.

يقول الفقير الظاهر الثانى وهو ان المراد من الامة الاشقياء من اهل الجبابة دل عليه ارساله عليه السلام عينيه حين البيان وكذا بيان اصناف الاعمال من غير ادخال الكفر فيها اذ صور الكفرة اقبح مما ذكر فى الحديث على ما ذكر فى الاخبار الصحيحة ثم الحديث ذكره الثعلبى ونحوه فى التفاسير وقبلاه الطرفين ولا عبرة بما ذهب اليه ابن حجر من انه ظاهر الوضع فانه من الجهل بحقيقة الامر اذ يوم القيامة يوم ظهور الصفات كما دل عليه قوله تعالى يوم تبلى السرآئر ولا شك ان لكل صفة صورة مناسبة لها حسنة او قبيحة ولم نكره احد من العقلاء على انا وان سلمنا ان لفظ الحديث موضوع فمعناه صحيح مؤيد بالاخبار الصحيحة في أيها المؤمن

لا تكن قاسى القلب كالحجر وكن ممن يتفجر من قلبه انهار الفيوض وينابيع الحكم واجتهد أن تكون ممن قيل فيه حفظت شيأ وغابت عنك اشياء فمن عباد الله المخلصين من يأخذ من الله بلا واسط الكتاب واسناده فانه مرتبة باقية الى يوم القيامة قل من وضع قدمه عليها فلذا كثر الانكار وأكب الناس على الرسوم والظواهر من غير اطلاع على الحقائق والبواطن نسأل الله تعالى أن يجعلنا من اهل معرفته.

١٩

{ وفتحت السماء } عطف على ينفخ بمعنى تفتح وصيغة الماضى للدلالة على التحقق اى شقت وصدعت من هبة الله بعد أن كان لا فطور فيها وبالفارسيةوشكافته شود آسمان دران روز

{ فكانت } بس باشد ازبسارى شكاف

{ ابوابا } ذات البواب كثيرة لنزول الملائكة نزولا غير معتاد وهو المراد بقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وهو الغمام الذى ذكر فى

قوله تعالى هل ينتظرون الا أن يأتيهم الله اى امره و بأسه فى ظلل من الغمام والملائكة

وقيل المراد من التفح الكشف بازالتها من مكانها كما قال تعالى واذا السماء كشطت ومن الابواب الطرق والمسالك اى تكشط مكانها طرقا لا يسدها شئ.

٢٠

{ وسيرت الجبال } المسير هو الله تعالى كما قال ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة اى وسيرت الجبال فى الجو بتسيير الله وتسخيره على هيئاتها بعد قلعها عن مقرها وبالفارسية ورانده شود كوهها درهوا . وذلك عند حشر الخلائق بعد النفخة الثانية ليشاهدوها ثم يفرقها فى الهوآء وذلك قوله تعالى

{ فكانت سرابا } السراب ما تراه نصف النهار كأنه ماء قال اراغب هو اللامع فى المفازة كالماء لا نسرا به فى مرأى العين اى ذهابه

وجريانه وكأن السراب فيما لا حقيقة له كالشراب فيما له

حقيقة اى فصارت بتسييرها مثل السراب اى شيأ كلا شئ لتفرق اجزائها

وانبثات جواهرها كقوله تعالى وبست الجبال بسا فكانت هباء

منبثااى غبارا منتشرا وهى وان اندكت وانصدعت عند النفخة الاولى لكن

تسييرها كالسحاب وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة

الثانية قيل اول احوال الجبال الاندكاك والانكسار كما قال

تعالى وحملتاالارض والجبال فدكتا دكة واحدة وحالتها الثانية أن تصير

كالعهن المنفوش وحالحتها الثالثة أن تصير كالبهاء وذلك بأن تنقطع وتتبدد

بعد أن كانت كالعهن كما قال فكانت هباء منبثا وحالتها الرابعة أن

تنسف وتقلع من اصولها لانها مع الاحوال المتقدمة غارة فى مواضعها

والارض تحتها غير بارزة فتنسف عنها بارسال الرياح عليها وهو المراد

من قوله فقل ينسفها ربى نسفا حالتها الخامسة ان الرياح ترفعها عن وجه

الارض فتطيرها فى الهوآء كأنها غبار وهو المراد بقوله تعالىوترى الجبال

تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب اى تراها فى رأى العين ساكنة فى

اماكنها والحال انها تمر مر السحاب التى تسيرها الرياح سيرا حثيثا وذلك ان الاجرام اذا تحركت نحو من الانحاء لا تكاد تتبين حركتها وان كانت فى غاية السرعة لا سيما من بعيد والحالة السادسة أن تصير سرابا يقول الفقير فيه اشارة الى ازالة انانية النفوس وتعيناتها فانها عند القيامة الكبرى التى هى عبارة عن الفناء فى الله تصير سرابا حتى اذا جئتها لم تجدها شيأ ولكن العوام المحجوبون اذا رأوا اهل الفناء يأكلون مما يأكلون منه ويشربون مما يشربون منه يظنون ان نفوسهم باقية لبقاء نفوسهم لكنهم يظنون بهم الظن السواء اذ بينهم وبينهم بون بعيد قطعا وفاروق عظيم جدالاتهم ازالت رياح العناية والتوفيق جبال نفوسهم عن مقار أرض البشرية وجعلها الله متلاشية وفتحت سماء ارواحهم فكانت ابوابا كباب السر والخفى والأخفى فدخلوا من هذه الابواب الى مقام اوأدنى فكانوا مع الحق حيث كان الحق معهم ثم نزلوا من هذه الابواب العالية الحقيقة الناظرة الى عالم الولاية فدخلوا فى ابواب العقل والقلب والمتخيلة والمفكرة والحافظة والذاكرة فكانوا فى مقام قاب قوسين مع الخلق حيث كان الخلق معهم فلم يحتجبوا بالخلق

عن الحق الذى هو جانب الولاية ولا بالحق عن الخلق الذى هو جانب النبوة فكانوا فى الظاهر مصداق قوله تعالى يوحى الى فأين المحجوبون عن مقامهم وانى لهم ادراك شأنهم وحقيقة امرهم.

٢١

{ ان جهنم كانت مرصادا } اى انها كانت فى حكم الله وقضائه موضع رصد يرصد فيه ويرقب خزنة النار الكفار ليعذبوهم فيها فالمرصاد اسم للمكان الذى يرصد فيه كالنهاج اسم للمكان الذى ينهج فيه اى بسلك قال الراغب المرصاد موضع الرصد كالرصد لكن يقال للمكان الذى اختص بالترصد وقوله ان جهنم كانت مرصادا تنبيه على ان عليها مجاز الناس انتهى كأنه عمم المرصاد حيث ان الصراط محبس للاعدآء وممر للاولياء والاول اولى لان الترصد فى مثل ذلك المكان الهائل انما هو للتعذيب وهو للكفار والاشقياء.

٢٢

{ للطاغين } متعلق بمضمر هو اما نعت لمرصادا اى كائنا للطاغين وقوله تعالى

{ مأبا } بدل منه اى مرجعا يرجعون اليه لا محالة

واما حال من مأبا قدمت عليه لكونه نكرة ولو تأخرت لكانت صفة له قالوا الطاغى من طغى فى دينه بالكفر وفى دنياه بالظلم وهو فى اللغة من جاوز الحد فى العصيان والمراد هنا المشركون لما دل عليه ما بعده من الآيات وعدلهم لا يتناهى لكون اعتقادهم باطلا وكذا اذا لم يعتقدوا شيأ اصلا وان كان الاعتقاد صحيحا كالمؤمن العاصى فعذابه متناه.

٢٣

{ لابثين فيها } حال مقدرة من المستكن فى للطاغين اى مقدرين اللبث فيها واللبث أن يستقر فى المكان ولا يكاد ينفك عنه يقال لبعث بالمكان أقام به ملازما له

{ احقابا } ظرف للبثهم وهو جمع حقب وهو ثمانون سنة او اكثروا لدهر وزالسنة أو السنون كما فى القاموس وأصل الحقب من الترادف والتتابع يقال أحقب اذا أردف ومنه الحقيبة وهى الرفادة فى مؤخر القتب وكل ما شد فى مؤخر رحل او قتب فقد احتقب والمحقب المردف وفى تاج المصادر الاحقاب در حقيبه نهادن.

ومنه الحديث فأحقبها على ناقة اى أردفها على حقيقة الرحل والارداف ازپى فراشدن وازپى كسى در نشتن ودر نشاندن فمعنى احقابا دهورا متتابعة كلما مضى حقب تعبه آخر الى غير نهاية فان الحقب لا يكاد يستعمل الا لا يراد تتابع الازمنة وتواليها كما قال ابو الليث انما ذكر أحقابا لان ذلك كان ابعد شئ عندهم فذكر وتكلم بما يذهب اليه اوهامهم ويعرفونها وهو كناية عن التأبيد اى يمكثون فيها ابدا انتهى دل عليه ان عمر رضى الله عنه سأل رجلا من هجر من الاحقاب فقال ثمانون سنة كل يوم منها الف سنة انتهى فانهم انما يريدون بمثله التأبيد وكذا ما قال مجاهد ان الاحقاب ثلاثة واربعون حقبا كل حقب سبعون خريفا كل

خريف سبعمائة سنة كل سنة ثلاثمائة وستون يوما واليوم ألف سنة من ايام الدنيا كما روى ابن عباس وابن عمر رضى الله عنه وكذا لوأريد بالحق الواحد سبعون ألف سنة اليوم منها ألف سنة كما روى عن الحسن البصرى رحمه الله وقال الراغب والصحيح ان الحقبة مدة من الزمان مهمة اى لا ثمانون عاما وكذا قال فى القاموس الحقبة بالكسر من الدهر مدة لا وقت لها انتهى والحاصل ان الاحقاب يدل على التاهى فهو وان كان جمع قلة لكنه بمنزلة جمع كثرة وهو الحقوب او بمنزلة الاحقاب المعرف بلام الاستغراق ولو كان فيه ما يدل على خروجهم منها فدلالته من قبيل المفهوم فلا يعارض المنطوق الدال على خلود الكفار كقوله تعالى يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم لان المنطوق راجح على المفهوم فلا يعارضه وقال ابو حيان المدة منسوخة بقوله فلن نزيدكم الا عذابا انتهى وسيأتى وجوه اخر.

٢٤

انظر تفسير الآية:٢٥

{ لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا * الا حميما وغساقا } جملة مبتدأة ومعنى لا يذوقون لا يحسون والا فأصل الذوق وجود الطعم و (قال الكاشفى) يعنى نمى نمايند الان يكون ذلك باعتبار الشراب والذوق فى التعارف وان كان للقليل فهو صالح للكثير لوجود الذوق فى الكثير ايضا والمراد بالبرد ما يروحهم وينفس عنهم حر النار والا فهم يذوقون فى جهنم برد الزمهرير اى بردا ينتفعون به ويميلون اليه فتنكيره للنوعية قال قتادة كنى بالبرد عن الروح لما بالعرب من الحر حتى قالوا برد الله عيشك اى طيبه اعتبارا بما يجد الانسان من اللذة فى الحر من البرد وقال الراغب اصل البرد خلاف الحرارة وبرد كذا اذا ثبت ثبوت البرد واختصاص الثبوت بالبرد كاختصاص الحركة بالحر وبرد الانسان مات وبرده قتله ومنه السيوف لبوارد وذلك لما يعرض للميت من عدم الحرارة بفقدان الروح او لما عرض له من السكون وقولهم للنوم برد اما لما يعرض له من البرد فى ظاهر جلده لان النوم يبرد صاحبه ألا ترى ان العطشان اذا نام سكن

عطشه او لما يعرض له من السكون وقد علم ان النوم من جنس الموت

وقوله تعالى لا يذوقون فيها بردا اى نوما حتى يستريحوا وبالفارسية تا

آسايش يا بند وبرودت كسب كنند انتهى بزيادة والمراد بالشراب ما يسكن

عطشهم والا بمعنى لكن والحميم الماء الحار الذى انتهى حره . وآن آبيست

كه جون نزديك روى آرند كوشت روى دران رزيد وجون بخورد امعا

واحشا باره باره شود . والغساق ما يغسق اى يسيل من جلود اهل النار

ويقطر من صديدهم وقيحهم اخبر الله تعالى عن الطاغين بأنهم لا يذوقون

فى جهنم شيأ ما من برد وروح ينفس عنهم حر النار ولا من شراب يسكن

عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما وغساقا فالاستثناء منقطع وقال الزجاج

لا يذوقون فيها برد ريح ولا برد ظل ولا برد نوم فجعل البرد برد كل شئ

له راحة فيكون قوله ولا شرابا بمعنى ولا ماء باردا تخصيصا بعد التعميم

لكماله فى الترويح فيكون مجموع البرد والشراب بمعنى المروح

فيكون قوله الا حميما وغساقا مستثنى منقطعا من البرد والشراب وان فسر

الغساق بالزمهرير فاستثناؤه من البرد فقط دون الشراب لان الزمهرير ليس

بما يشرب كما ان استثناء حميما من الشراب والتأخير لتوافق رؤوس الآى

ويؤيد الاول قوله عليه السلام (لو أن دلوا من غساق يهراق فى الدنيا

لانتن اهل الدنيا) وان فسر بما يسيل من صديدهم فالاستثناء من الشراب

وعن ابن مسعود رضى الله عنه الغساق لون من ألوان العذاب وهو البرد

الشديد حتى ان من عذاب الزمهرير يوما واحدا وقال شهرين حوشب

الغساق واد فى النار فيه ثلاثمائة وثلاثون شعبا فى كل شعب ثلاثمائة

وثلاثون بيتا فى كل بيت اربع زوايا فى كل زاوية شجاع كأعظم ما خلق

الله من الخلق فى رأس كل شجاع سم والشجاع الحية هذا وقد جوز بعضهم

أن يكون لا يذوقون حالا من المنوى فى لابثين لا كلاما مستأنفا اى لابثين

فيها احقابا غير ذآئقين فيها شيأ سواهما ثم يبدلون بعد الاحقاب غير

الحميم والغساق من جنش آخر من العذاب فيكون حالا متداخلة

ويكون قوله احقابا ظرف لابثين المقيد بمضمون لا يذوقون وانتهاء هذا

المقيد لا يستلزم انتهاء مطلق اللبث فهو توقيت للعذاب لا للمكث فى

النار عن ابن مسعود رضى الله عنه لو علم اهل النار انهم يلبثون فى النار

عدد حصى الدنيا لفرحوا ولو علم اهل الجنة انهم يلبثون فى الجنة عدد حضى الدنيا لحزنوا وايضا يجوز ان يكون احقابا ظرفا منصوبا بلا يذوقون على قول من يرى تقديم معموم ما بعد لا عليهم لا ظرفا لقوله لابثين فحينئذ لا يكون فيه دلالة على تناهى اللبث والخروج حيث لم يكون احقابا ظرف اللبث وايضا يجوز أن يكون أحقابا ليس بظرف اصلا بل هو حال من الضمير المستكن فى لابثين بمعنى حقبين اى نكدين محرومين من الخير والبركة فى السكون والحركة على أن يكون جمع حقب بفتح الحاء وكسر القاف من حقب الرجل اذا حرم الرزق وحقب العام اذا قل خيره ومطره وقوله لا يذوقون فيها بردا تفسير لكدهم ولا يتوهم حينئذ تناهى مدة لبثهم فيها حتى يحتاج الى التوجيه هذا ما قالوه فى هذا المقام وروى عن عبد الله بن عمر وبن العاص رضى الله عنه انه قال سيأتى على جهنم يوم تصفق ابوابهااى يضرب بعضها بعضا وقد اسندت هذه الرواية الى ابن مسعود رضى الله عنه كما فى العرآئس ويروى عنه انه قال ليأتين على جهنم زمان تخفق ابوابها ليس فيها احد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا

وفى العرآئس ايضا وقال الشعبى حهنم اسرع الدارين عمر انا واسرعهما

خرابا وفى الحديث الصحيح ينبت الجرجير فى قعر جهنم ابلانطفاء النار

وارتفاع العذاب بمقتضى قوله سبقت رحمتى على غضبى كما فى شرح

الفصوص لداود القبصرى والجرجير بالكسر بقلة معروفة كما فى القاموس

وقال المولى الجامى رحمه الله فى شرح الفصوص ايضا اعلم ان لاهل النار

الخالدين فيها كما يظهر فى كلام الشيخ رضى الله عنه وتابعيه حالات

ثلاثا الاولى انهم اذا دخلوها تسلط علذاب على ظواهرهم وبواطنهم

وملكهم الجزع والاضطراب فطلبوا أن يخفف عنهم العذاب او أن يقضى

عليهم او أن يرجعوا الى الدنيا فلم يجابوا الى طلباتهم والثانية انهم اذا لم يجابوا

الى طلباتهم وظنوا انفسهم على العذاب فعند ذلك رفع الله العذاب عن

بواطنهم وخبت نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة والثالثة انهم بعد

مضى الاحقاب ألفوا العذاب وتعودوا به ولم يتعذبوا بشدته بعد طول مدته

ولم يتألموا به وان عظم الى أن آل أمرهم الى أن يتلذذوا به ويستعذبوه حتى

لو هب عليهم نسيم من الجنة استكرهوه وتعذبوا به كالجعل وتأذيه برآئحة

الورد عافانا الله وجميع المسلمين من ذلك والجعل بضم الجيم وفتح العين دويبة تكون بالروث والجمع جعلان بالكسر وقال المولى رمضان والمولى صالح الدين فى شرح العقائد قال بعض الاسلاميين كل ما اخبر الله فى القرءآن من خلود أهل الدارين حق لكن اذا ذبح كبش الموت بين الجنة والنار ونودى اهلهما بالخلود فيما ايس اهل النار من الخلاص فاعتادوا بالعذاب فلم يتألموا به حتى آل أمرهم الى أن يتلذذوا به ولو هب عليهم نسيم الجنة استكرهوه وتعذبوا به كالجعل يستطيب الروث ويتألم من الورد فيصدق حينئذ قوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا على عمومه لارتفاع العذاب عنهم ويصدق ايضا قوله تعالى لا يخفف عنهم العذاب لان المراد العذاب المقدر لهم وقال بعض الاكامل فكما اذا استقر اهل دار الجمال فيها يظهر عليهم اثر الجمال ويتذوقون به دآئما ابدا ويختفى جلال الجمال واثره بحيث يحسنه ولا يرونه ولا يتألمون به قطعا سرمدا فكذلك اذا استقر اهل دار الجلال فيها بعد مرورة الاحقاب يظهر على بواطنهم اثر جمال الجلال ويتذوقون به أبدا ويختفى عنهم اثر نار الجلال بحيث لا يحسونه ولا

يرونه ولا يتألمون به سرمدا لكن ليس ذلك الا بعد انقطاع حراق النار بواطنهم وظواهرهم بمرور الاحقاب وكل منهم تحرقه النار ألف سنة من سنى الآخرة لشرك يوم واحد من ايام الدنيا والظاهر عيلهم بعد مرور الاحقاب هو الحال الذى يدوم عليهم أبدا وهو الحال الذى كانوا عليه فى الازل وما بينهما ابتلاآت رحمانية والابتلاء حادث قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون عفانا الله واياكم من دار البوار انتهى فهذه كلمات القوم فى هذه الآية ولا حرج فى نقلها ونحن لا نشك فى خلود الكفار وعذابهم أبدا فان كان لهم العذاب عذابا بعد مرور الاحقاب فقد بدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون كما ان المعتزلى يقطع فى الدنيا بوجوب العذاب لغير التائب ثم قد يبدوله فى الآخرة ما لم يكن يحتسبه من العفو وسئل الشيخ الامام مفتى الايام عز الدين ابن عبد السلام بعد موته فى منام رآه السائل ما تقول فيما كنت تنكر من وصول ما يهدى من النار من الكفار لا معارض له فبقى على عمومه وخلود أهل الكبائر له معارض فيحمل على المكث الطويل فاهل الظاهر والباطن متفقون على خلود

الكفار سوآء كانوا فرعون وهامان ونمرودا وغيرهم وانما اختلفوا فى ارتفاع العذاب عن ظواهرهم بعد مرور الاحقاب وكل تأول بمبلغ علمه والنصر احق ان يتبع قال حجبة الاسلام الكفرة ثلاث فرق منهم من بلغه اسم نبينا عليه السلام وصفته ودعوته كالمجاورين فى دار الاسلام فهم الخالدون لا عذر لهم ومنهم من بلغه الاسم دون الصفة وسمع ان كذابا مسلما اسمه محمد ادعى النبوة ومنهم من لم يبلغه اسمه ولا رسمه وكل من هاتين الفرقتين معذور فى الكفر ونقل مثله عن الاشعرى كذا فى شرح العقائد لمصلح الدين قول المولى داود القيصرى فى شحر الفصوص الوعيد هو العذاب الذى يتعلق بالاسم المنتقم وتظهر احاكمه فى خمس طوآئف لا غير لان اهل النار اما مشرك أو كافر او منافق او عاص من المؤمنين وهو يقسم الى الموحد العارف الغير العامل والمحجوب وعند تسلط سلطان المنتقم عليهم يتعذبون بنيران الجحيم وانواع العذاب غير مخلدة على اهله لانقطاعه بشفاعة الشافعين وآخر من يشفع وهو أرحم الراحمين.

٢٦

{ جزآء وفاقا } اى جوروا بذلك جزآء وفاقا لاعمالهم واخلاقهم كأنه نفس الوفاق مبالغة او ذا وفاق لها على حذف المضاف او وافقها وفافا فيكون وفاقا مصدرا مؤكدا لفعله كجزآء والجملة صفة لجزآء وجه الموافقة بينهما انهم اتوا بمعصية عظيمة وهى الكفر فعوقبوا عقابا عظيما وهو التعذيب بالنار فكما انه لا ذنب اعظم من الشرك فكذا الاجزآء اقوى من التعذيب بالنار وجزآء سيئة سيئة مثلها فتوافقا

وقيل كان وفاقا حيث لم يزد على قدر الاستحقاق ولم ينقص عنه قال سعدى المفتى اعلم ان الكفار لما كان من نيتهم الاستمرار على الكفر كما سيشير اليه قوله تعالى انهم كانوا لا يرجون حسابا اذ معناه انهم كانوا مستمرين على الكفر مع عدم توقع الحساب فوافقه عدم تناهى العذاب واللبث فيها احقابا بعد احقاب ولما كانوا مبدلين التصديق الذى يروح النفس ويثلج به الصدر بالتكذيب الذى هو ضده جوزوا بالحميم والغساق بدل ما يجعل للمؤمنين مما يروحهم من برد الجنة وشرابها وللمناسبة بين الماء والعلم يعبر الماء فى الرؤيا بالعلم وقال بعض اهل الحقائق ان جهنم

الطبيعة الحيوانية يرصد فيها القوى البشرية وهى خزنة جهنم طبيعة ارباب النفوس الامارة والهوى المتبع للظالمين على نفوسهم بالاهوية والبدع والاباحة والزندقة والاتحاد والحلول والفضول مآبا لابثين فيها احقابا الى وقت الانسلاخ عن حكم البشرية والتلبس ملابس الشريعة وخلع الطريقة والحقيقة لا يذوقون فيها برد اليقين برفع الحجاب عن وجه بشريتهم ولا شراب المحبة لانهماكهم فى محبة الدنيا بسبب جهنم الطبيعة الا حميما وغساقا يسيل من صديد طبيعتهم وقال القاشانى الا حميما من اثر الجهل المركب وغساقا من ظلمة هيئات محبة الجواهر الفاسقة والميل اليها جزآء موافقا لما ارتكبوه من الاعمال وقدموه من العقائد والاخلاق وذلك العذاب لفساد العمل والعلم فلم يعملوا صالحا رجاء الجزآء ولم يعلموا علما صالحا فيصدقوا بالآيات.

٢٧

{ انهم كانوا لا يرجون حسابا } تعليل لاستحقاقهم الجزآء المذكور وبيان لفساد قوتهم العملية اى كانوا ينكرون الآخرة ولا يخافون ان يحاسبوا

باعمالهم فلذا كانوا يقدمون على جميع المنكرات ولا يرغبون فى شئ من الطاعات وفسر الرجاء بالخوف لان الحساب من اصعب الامور على الانسان والشئ الصعب لا يقال فيه انه يرجى بل يقال انه يخاف ويخشى.

٢٨

{ وكذبوا } بيان لفساد قوتهم النظرية

{ بآياتنا } الناطقة بذلك وفى بعض التفاسير بآياتنا القولية والفعلية الظاهرة على ألسنة الرسل وايديهم

{ كذابا } اى تكذيبا مفرطا ولذلك كانوا مصرين على الكفر وفنون المعاصى فعوقبوا بأهوال العقاب جزآء وفاقا وفعال من باب فعل شائع فيما بين الفصحاء مطرد مثل كلم كلاما قال صاحب الكشاف وسمعنى بعضهم افسر آية فقال لقد فسرتهافسارا ما سمع بمثله

قال بعضهم وابدل من احد حرفى تضعيف بعض الاسماء ياء لئلا يلتبس بهذا المصدر المشدد مثل الدينار فان اصله الدنار ومثل السينات

فى قول عمر بن عبد العزيز لكاتبه فى بسم الله طول الباء واظهر السينات ودور الميم فان اصله السنات جمع السن لا جمع السين لانه ليس فى البسملة الا سين واحدة ويجوز ان يقال عبر عن السن بالسين مبالغة كأنه قيل اجعل سنه كسينه فى الاظهار كما ذهب اليه الشريف.

٢٩

{ وكل شئ } اى واحصينا كل شئ من الاشياء التى من جملتها اعمالهم فانتصابه بمضمر يفسره قوله

{ احصيناه } اى حفظناه وضبطناه وذلك اى انتصابه بالاضمار على شريطة التفسير هو الراجح لتقدم جملة فعله ولا يضره كون هذه الجملة معترضة كما سيجئاو لان المقصود المهم هنا الاخبار عن الاحصاء لا الاخبار عن كل شئ

{ كتابا } مصدر مؤكد لاحصيناه من غير لفظه لما ان الاحصاء والكتابة من واد واحد أى يتشار كان فى معنى الضبط فكأنه قال وكل

شئ احصيناه احصاء مساويا فى القوة والثبات بالعلم المقيد بالكتابة او كتبناه كتابا واثبتناه اثباتا ويجوز ان يكون منالاحتباك حذف فعل الثانى بقرينة الاول ومصدر الاول بقرينة لاثانى اىاحصيناه احصاء وكتبناه كتابا او هو اى كتابا حال بمعنى مكتوبا فى اللوح وفى صحف الحفظة والجملة اعتراض لتوكيد كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات بانهما محفوظان للمجازاة قال القاشانى وكل شئ من صور اعمالهم وهيئات عقائدهم ضبطناه ضبطا بالكتابة عليهم فى صحائف نفوسهم وصحائف النفوس السماوية.

٣٠

{ فذوقوا } بس بجشيد عذاب دوزخ

{ فلن نزيدكم الا عذابا } فوق عذابكم والفاء فى فذوقوا جزآئيه دالة على ان الامر بالذوق مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات ومعلل به فيكون وكل شئ الخ جملة معترضة بين السبب ومسببه تؤكد كل

واحد من الطرفين لانه كما يدل على كون معاصيهم مضبوطة مكتوبة يدل

على ان ما يتفرع عليها من العذاب كائن لا محالة مقدر على حسب

استحقاقهم به وفى الالتفات المنبئ عن التشديد فى لاتهديد وايراد لن المفيدة

لكون ترك الزيادة من قبيل ما لا يدخل تحت الصحة من الدلالة على

تبالغ الغضب مالا يخفى وقد روى عن النبي صلى عليه السلام ان هذه

الآية اشد ما فى القرءآن على اهل النار اى لان فيها الاياس من الخروج

فكلما استغاثوا من نوع من العذاب اغيثوا وهذا لا يخالف قوله تعالى ولا

يكلمهم الله لان المراد بالمنفى التكلم باللطف والاكرام لا بالقهر

والجلال فان قيل هذه الزيادة ان كانت غيره مستحقة كانت ظلما وان

كانت مستحقة كان تركها فى اول الامر احسانا والكريم لا يليق به الرجوع

فى احسانه فالجواب انها مستحقة ودوامها زيادة لثقل العذاب وايضا ترك

المستحق فى بعض الاوقات لا يوجب الابرآء والاسقاط حتى يكون ايقاعه

بعده رجوعا فى الاحسان وايضا كانوا يزيدون كفرهم وتكذيبهم واذيتهم

للرسول عليه السلامواصحابه رضى الله عنهم فيزيد الله عذابهم لزيادة

الاستحقاق فلا ظلم فان قيل قوله فذوقوا الخ تكرار لانه ذكر سابقا انهم لا يذوقون الخ قلنا انه تكرار لزيادة المبالغة فى تقرير الدعوى وهو كون العاقب جزآء وفاقا.

٣١

{ ان للمتقين مفازا } شروع فى بيان محاسن احوال المؤمنين اثر بيان سوء احوال الكفرة على ما هو العادة القرآءنية ووجه تقديم بيان حالهم غنى عن البيان اى ان للذين يتقون الكفر وسائر القبائح من اعمال الكفرة فوزا وظفرا بمباغهم دل على هذا المعنى تفسيره بما بعده بقوله حدآئق الخ او موضع فوز فالمفاز على الاول مصدر ميمى وعلى الثانى اسم مكان فان قيل الخلاص من الهلاك اهم من الظفر باللذات فلم اهمل الاهم وذكر غير الاهم قلنا لان الخلاص من الهلاك لا يستلزم الفوز بالنعيم لكونه حاصلا لاصحاب الاعراف مع انهم غير فائزين بالنعيم بخلاف الفوز بالنعيم فانه يستلزم الخلاص من هلاك فكان ذكره اولى.

٣٢

{ حدآئق واعنابا } اى بساتين فيها انواع الاشجار المثمرة وكروما وهو تخصيص بعد التعميم لفضلها قوله حدآئق بدل من مفازا بدل الاشتمال ان كان مصدرا ميميا لان الفوز يدل عليه دلالة التزامية او البعض ان جعل مكانا جمع حديقة وهى الروضة ذات الاشجار ويقال الحديقة كل بستان عليه حائط أى جدار وفيه من النخل والثمار وفى المفردات الحديقة قطعة من الارض ذات ماء سميت تشبيها بحدقة العين فى الهيئة وحصول الماء فيها والاعناب جمع عنب بالفارسية انكور.

قال بعضهم ذكر نفسها ولم يذكر شجرها وهو الكرم لان زيادة الشر فيها لا فى شجرها.

٣٣

{ وكواعب } جمع كاعب يقال كعبت المرأة كعوبا ظهر ثديها وارتفع ارتفاع الكعب اى نساء عذارى فلكت ثديهن اى استدارت

وصارت كالكعب فى النتوء يقال فلك ثدى الجارية تفليكا اى استدار كلفلكة المغزل ويقال لهن النواهد جمع ناهد وناهدة وهى المرأة كعب ثديها وبدا للارتفاع

{ اترابا } لدات اى مستويات فى السن ولدة الرجل تربه وقرينه فى السن والميلاد والهاء عوض عن الواو الذاهبة من اوله لانه من الولادة قال الرغب اى لدات ينشأن معا تشبيها فى التساوى والتماثل بالترآئب التى هى ضلوع الصدر ولوقعهن على الارض مع . در تفسير زاهدى آورده كه شانزده ساله باشند ومردان سى وسه ساله ودراكثر تفاسير هست كه اهل بهشت اززنان ومردان سى وسه ساله خواهندبود.

والظاهر ما فى تفسير الزاهدى وهو كونهن بنات ست عشرة لكونها نصف سن الرجال وايضا دل عليه الوصف بالكعوب وهو ارتفاع ثديهن والمراد انهن بالغات تمام كمال النساء فى الحسن واللطافة والصلاح للمصاحبة والمعاشرة بحيث لا يكون فى سن اصغر حتى تضعف الشهوة لهن ولا فى سن الكبر حتى تنكسر الشهوة عنهن بل روآء الشباب اى ماؤه

جار فيهن لم يشبن ولم يتغير عن حد الحسن حسنهن وانما ذكرن لان بهن نظام الدنيا ولطافة الآخرة من جهة التنعم الجسمانى.

٣٤

{ وكأسا دهاقا } اى مملوءة بالخمر فدهاقا بمعنى مدهقة وصفت به الكأس للمبالغة فى امتلائها يقال ادهق الحوض ودهقه ملأه.

٣٥

{ لا يسمعون } اى المتقون

{ فيها } اى فى الحدآئق

{ لغوا ولا كذابا } اى لا ينطقون بلغو وهو ما يلغى ويطرح لعدم الفائدة فيه ولا يكذب بعضهم بعضا حتى يسمعوا شيأ من ذلك بخلاف حال اهل الدنيا فى مجالسهم لا سيما عند شربهم قال بعض اهل المعرفة لا يسمعون فيها كلاما الا من الحق فان من تحقق بالحق لا يسمعه الحق الا منه ولا يشهده سواه فى الدنيا والآخرة.

{ جزآء من ربك } مصدر مؤكد منصوب بمعنى ان للمتقين مفازا فانه فى قوة ان يقال جازى المتقين بمفاز جزآء عظيما كائنا من ربك على ان التنوين للتعظيم

{ عطاء } اى تفضلا واحسانا منه تعالى اذ لا يجب عليه شئ وذلك ان الله تعالى جعل الشئ الواحد جزآء وعطاء وهو غير ظاهر لان كونه جزآء يستدعى ثبوت الاستحقاق وكونه عطاء يستدعى عدم الاستحقاق فالجمع بينهما جمع بين المتنافيين لكن ذلك الاستحقاق انما يثبت بحكم الوعد لا من حيث ان الطاعة توجب الثواب على الله فذلك الثواب بالنظر الى وعده تعالى اياه بمقابلة الطاعة يكون جزآء وبالنظر الى انه لا يجب على الله لا حد شئ يكون تفضلا وعطاء وهذا بمقابلة قوله جزآء وفاقا لان جزآء المؤمنين من قبيل الفضل لتضاعفه وجزآء الكافرين من قبيل العدل وهو بدل من جزآء بدل الكل من الكل لان العطاء والجزآء متحدان ذاتا وان تغايرا فى المفهوم وفى جعله بدلا من جزآء

نكته لطيفة وهى ان بيان كونه عطاء تفضلا منه هو المقصود وبيان كونه جزآء وسبلة اليه فان حق البدل ان يكون مقصودا بالنسبة وذكر المبدل منه وسيلة اليه

{ حسابا } صفة لعطاء بمعنى كافيا على انه مصدر اقيم مقام الوصف اى محسبا

وقيل على حسب اعمالهم بأن يجازى كل عمل بما وعد له من الاضعاف من عشرة وسبعمائة وغير حساب فما وعده الله من المضاعفة داخل فى الحسب اناالمقدار لان الحسب بفتح السين وسكونها بمعنى القدر والتقدير على هذا عطاء بحساب فحذف الجار ونصب الاسم قال بعضه اهل المعرفة اذا كان الجزآء من الله لا يكون له نهاية لانه لا يكون على حد الاعواض بل يكون فوق الحد لانه ممن لا حد له ولا نهاية فعطاؤه لا حد له ولا نهاية وقال بعضهم العطاء من الله موضع الفضل لا موضع الجزاء فالجزىء على الاعمال والفضل موهبة من الله يختص به الخواص من اهل وداده وفى التأويلات النجمية ان للمتقين الذين يتقون عن نفوسهم المظلمة

المدلهمة بالله وصفاته وأسمائه مفازا اى فوز ذات الله وصفاته حدآئق روضات القلوب المنزهة الارضية واعنابا اشجار المعانى والحقائق الثمرمرة عنب خمر المحبة الذاتية الخامرة عين العقل عن شهود الغير والغيرية وكواعب اترابا ابكارا اللطائف والمعارف وكأسا دهاقا مملوءة من شراب المحبة وخمر المعرفة لا يسمعون فيها لغوا من الهواجس النفسانية ولا كذابا من الوساوس الشيطانية جزآء من ربك عطاء حسابا اى فضلا تاما كافيا من غير عمل وقال القاشانى ان للمتقين المقابلين للطاغين المتعدين فى افعالهم حد العدالة مما عينه الشرع والعقل وهم المتنزلون عن الرذآئل وهيئات السوء من الافعال مفازا فوزا ونجاة من النار التى هى مآؤ الطاغين حدآئف من جنان الاخلاق واعنابا من ثمرات الافعال وهيئاتها وكواعب من صور آثار الاسماء فى جنة الافعال اترابا متساوية فى الترتيب وكأسا من لذة محبة الآثار مترعة ممزوجة بالزنجبيل والكافور لان اهل جنة الآثار والافعال لا مطمح لهم الى ما ورآءها فهم محجبون بالآثار عن المؤثر وبالعطاء عن المعطى عطاء حسابا

كافيا يكفيهم بحسب هممهم ومطامح ابصارهم لانهم لقصور استعداداتهم لا يشتاقون الى ما ورآء ذلك فلا شئ ألذ لهم بحسب اذواقهم مما هم فيه.

٣٧

{ رب السموات والارض وما بينهما } بدل من ربك والمراد رب كل شئ وخالقه ومالكه

{ الرحمن } مفيض الخير والجود على كل موجود بحسب حكمته وبقدر استعداد المرحوم وهو بالجر صفة للرب

وقيل صفة للاول واياما كان ففى ذكر ربوبيته تعالى للكل ورحمته الواسعة اشعار بمدار الجزآء المذكور قال القاشانى اى ربهم المعطى اياهم ذلك العطاء هو الرحمن لان عطاياهم من النعم الظاهرة الجليلة دون الباطنة الدقيقة فمشربهم من اسم الرحمن دون غيره وفى التاويلات النجمية رب سموات الارواح وارض النفوس وما بينهما من السر والقليب واقواهما الروحانية هو الرحمن اى الموصوف بجميع الاسماء والصفات الجمالية

والجلالية لوقوعه بين الاللّه الجامع وبين الرحيم فله وجه الى الالوهية المشتملة على القهر وله ايضا وجه الى الرحيم الجمالى المحض

{ لا يملكون منه خطابا } استئناف فمقرر لما افادته الربوبية العامة من غاية العظمة والكبرياء واستقلاله تعالى بما ذكر من الجزآء والعطاء من غير أن يكون لاحد قدرة عليه وضمير لا يملكون لاهل السموات والارض ومن فى منه صلة للتأكيد على طريقة قولهم بعث منك ان بعتك يعنى ان صلة خطابا قدم عليه فانقلب بيانا والمعنى لا يملكون ان يخاطبوه تعالى من تلقاء انفسهم كما ينبئ عنه لفظ الملك اذ المملوك لا يستحق على مالكه شيأ خطابا ما فى شئ ما لتفرده بالعظمة والكبرياء وتوحده فى ملكه بالامر والنهى والخطاب والمراد نفى قدرتهم على ان يخاطبوه تعالى بشئ من نقض العذاب وزيادة الثواب من غير اذنه على ابلغ وجه وأكده كانه قيل لا يملكون ان يخاطبوه بما سبق من الثواب والعقاب وبه يحصل الارتباط بين هذه الآية وبين ما قبلها من وعيد الكفار ووعد المؤمنين ويظهر منه ان

نفى ان يملكوا خطابه لا ينافى الشفاعة باذنه قال القاشانى لانهم اى اهل الافعال لم يصلوا الى مقام الصفات فلاحظ لهم من المكالمة.

٣٨

{ يوم يقوم الروح والملائكة صفا } اخر الملائكة هنا تعميما بعد التخصيص واخر الروح فى القدر تخصيصا بعد التعميم فالظاهر أن الروح من جنس الملائكة لكنه اعظم منهم خلقا ورتبة وشرفا اذ هو بمقابلة الروح الانسانى كما ان الملائكة بمقابلة القوى الروحانية ولا شك ان الروح اعظم من قواه التابعة له كالسلطان مع امرآئه وجنده ورعاياه وتفسيره الروح بجبريل ضعيف وان كان هو مشتهرا بكونه روح القدس والروح الامين اذ كونه روحا ليس بالنسبة الى ذاته والا فالملائكة كلهم روحانيون وان كانوا اجساما لطيفة غير الارواح المهيمة وانما هو بالنسبة الى كونه نافخ الروح وحامل الوحى الذى هو كالروح فى الاحياء وقد اتفقوا على ان اسرافيل اعظم من جبريل ومن غيره فلو كان احد يقوم صفا واحدا لكان هو اسرافيل دون جبرآئيل والله اعلم بمراده من الروح وان اختلفت الروايات

فيه هذا ما لاح لى فى هذا المقام بعون الملك اللام وصفا حال اى مصطفين لكثرتهم وقيامهم بما امر الله فى امر العباد

وقيل هما صفان الروح صف والملائكة صف

وقيل صفوف وهو الاوفق لقوله تعالى والملائكة فا صفا ويوم ظرف لقوله تعالى

{ لا يتكلمون } وقوله تعالى

{ الا من اذن له الرحمن وقال صوابا } بدل من ضمير لا يتكلمون العائد الى اهل السموات والارض الذين من جملتهم الروح والملائكة وهو أرجح لكون الكلام غير موجب والمستثنى منه مذكور وفى مثله يختار البدل على الاستثناء وذكر قيامهم وصطفافهم لتحقيق عظمة سلطانه تعالى وكبرياء ربوبيته وتهويل يوم البعث الذى عليه مدار الكلام من مطلع السورة الى مقطعها والجملة استئناف مقرر لمضمون قوله تعالى لا يتكلمون الخ ومؤكد له على معنى ان اهل السموات والارض اذ لم يقدروا يومئذ على ان

يتكلموا بشئ من جنس الكلام الا من اذن الله له منهم فى التكلم وقال ذلك المأذون له قولا صوابا اى حقا صادقا او واقعا فى محله من غير خطأ فى قوله فكيف يملكون خطاب رب العزة مع كونه اخص من مطلق الكلام واعز منه مراما

وقيل الا من اذن الخ منصوب على اصل الاستثناء والمعنى لا يتكلمون الا فى حق شخص اذن له الرحمن وقال ذلك الشخص صوابا اى حقا هو التوحيد وكلمة الشهادة دون غيره من اهل الشرك فانه مما يقولوا فى الدنيا صوابا بل تفقهوا بكلمة الكفر والشرك واظهار الرحمن فى موقع الاضمار للايذان بأن مناط الاذن هو الرحمة البالغة لان احدا يستحقه عليه تعالى وفى عرآئس البقلى من كان كلامه فى الدنيا من حيث الاحوال والاحوال من حي الوجد والوجد من حيث الكشف والكشف من حيث المشاهدة والمشاهدة من حيث المعاينة فهو مأذون فى الدنيا والآخرة يتكلم مع الحق على بساط الحرمة والهيبة ينقذ الله به الخلائق من

ورطة الهلاك قال ابن عطاء الخالص ما كان لله والصواب ما كان على وجه السنة وقال بعضهم انما تظهر الهيبة على العموم لاهل الجمع فى ذلك اليوم

واما الخواص واصحاب الحضور فهم ابدا بمشهد العز بنعت الهيبة

وفيه اشارة الا ان الاسرار والقلوب وقواهم الكائنين بين سموات الارواح وبين ارض النفوس لا يملكون أن يخاطبوا الحق فى شفاعة النفس الامارة والهوى المتبع بسبب لحمة النسب الواقع بينهم اذ الكل اولاد الروح والقالب كما لم يملك نوح عليه السلام أن يخاطب الحق فى حق ابنه كنعان بمعنى انه لم يقدر على انجائه اذ جاء الخطاب بقوله فلا تسألن ما ليس لك به علم.

٣٩

{ ذلك } اشارة الى يوم قيامهم على الوجه المذكور ومحله الرفع على الابتدآء خبره ما بعده اى ذلك اليوم العظيم الذى يقوم فيه الروح والملائكة مصطفين غير قادرين هم ولا غير هم على التكلم من الهيبة والجلال

{ اليوم الحق } اى الثابت المتحقق لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه وذلك لانه متحقق علما فلا بد أن يكون متحققا وقوعا كالصباح بعد مضى الليل وفيه اشارة الى انه واقع ثابت فى جميع الاوقات والاحايين ولكن لا يصرون به لاشتغالهم بالنفس الملهية وهواها الشاغل

{ فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا } القاء فصيحة تفصح عن شرط محذوف ومفعول المشيئة محذوف لوقوعها شرطا وكن مفعولها مضمون الجزآء وانتفاء الغرابة فى تعلقه بها حسب القاعدة المستمرة والى ربه متعلق بمآ باقدم عليه اهتماما به ورعاية للفواصل كأنه قيل واذا كان الامر كما ذكر من تحقق اليوم المذكور لا محالة فمن شاه أن يتخذ مرجعا الة ثواب ربه الذى ذكر شأنه العظيم فعل ذلك بالايمان والطاعة وقال قتادة مآبا اى سبيلا وتعلق الجاريه لما فيه من معنى الاقتضاء والايصال وفى التأويلات النجمية مآبا اى مرجعا ورجوعا من الدنيا الى الآخرة ومن الآخرة الى رب الدنيا والآخرة لانهما حرامان على اهل الله.

٤٠

{ انا انذرناكم } اى بما ذكر فى السورة من الآيات الناطقة

بالبعث وبما بعده من الدواعى او بها وبسائر القوارع الواردة فى القرءآن

والخطاب لمشركى العرب وكفار قريش لانهم كانوا ينكرون البعث وفى بعض

التفاسير الظاهرة عموم الخطاب كعموم من لان فى انذار كل طائفة فائدة

لهم

{ عذابا قريبا } هو عذاب الآخرة وقربه لتحقق اتيانه حتما ولانه

قريب بالنسبة اليه تعالى وممكن وان رأوه بعيدا وغير ممكن فيرونه قريبا لقوله

تعالى كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشيةاو ضحاها وقال بعض اهل المعرفة

العذاب القريب هو عذاب الالفتات الى النفس والدنيا والهوى وقال

الشاقانى هو عذاب الهيئات الفاسقة من الاعمال الفسادة دون ما هو

أبعد من عذاب القهر والسخط وهو ما قدمت ايديهم

{ يوم ينظر المرء ما قدمت يداه } تنثية اصلها يدان سقطت نونها

بالاضافة ويوم بدل من عذابا او ظرف لمضمر هو صفة له اى عذابا كائنا

يوم ينظر المرء ايشاهد ما قدمه من خيرأ يعنى بازيابد كردارهاى خودرا

ازخير وشر . على ان ما موصولة منصوبة بينظر لانه يتعدى بنفسه وبالى والعائد محذوف اى قدمته او ينظر اى شئ قدمت ياده على انها استفهامية منصوبة بقدمت متعلقة بينظر فالمرء عام للمؤمن والكافر لان كل احد يرى عمله فى ذلك اليوم مثبتا فى صحيفته خيرا كان او شرا فيرجوا المؤمن ثواب الله على صالح عمله ويخاف العقاب على سيئه

واما الكافر فكما قال الله تعالى

{ ويقول الكافر يا ليتنى } اى يا قوم فالمنادى محذوف ويجوز أن يكون بالمحض التحسر ولمجرد التنبيه من غير قصد الى تعيين المنبه وبالفارسية اى كاشكى من

{ كنت ترابا } فى الدنيا فلم اخلق ولم اكلف وهو فى محل الرفع على انه خبر ليت او ليتنى كنت ترابا فى هذا اليوم فلم ابعث كقوله يا ليتنى لم اوت كتابيه الى أن قال يا ليتها كانت القاضية

وقيل يحشر الله الحيوان فيقتص للجماء من القرناء نطحتها اى قصاص المقابلة لا قصاص التكليف ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله كما قال عليه السلام (لتؤدن الحقوق الى اهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من القرناء) وهذا صريح فى حشر ابهائم وعادتها القصاص المقابلة لا للجزآء ثوابا وعقابا

وقيل الكافر ابليس يرى آدم وولده وثابهم فيتمنى أن يكون الشئ الذى احتقره حين قال خلقتنى من نار وخلقته من طين يعنى ابليس آدم را دران روز كرامت آدم وثواب فرزندان مؤمن او مشاهده نمايد وعذاب وشدت خودرا بيند آرزو بردكه كاشكى من ازخاك بودمى ونسبت بآدم داشتمى اى درويش اين دبدبه وطنطنه كه خاكيا نراست هج طبقة ازطبقات مخلوقا ترا نيست

خاك راخوار وتيره ديد ابليس ... كرد انكارش آن حسود خسيس

ماند غافل زنور باطن او ... نشدا كه زسر كامل او

بهر كنجى كه هست دردل خاك ... اين صدا داده اند در افلاك

كه بجز خاك نيست مظهر كل ... خاك شو خاك تابرويد كل

واما مؤمنوا الجن فلهم ثواب وعقاب فلا يعودونه ترابا وهو الاصح فيكون مؤمنوهم مع مؤمنى الانس فى الجنة او فى الاعراف ونعيمهم ما يناسب مقامهم ويكون كفارهم مع كفار الانس فى النار وعذابهم بما يلائم شانهم

وقيل هو تراب سجدة المؤمن تنطفئ به عنه النار وتراب قدمه عند قيامه فى الصلاة فيتمنى الكافر أن يكون تراب قدمه وفى التأويلات النجمية يوم ينظر المرء ما قدمت يد قلبه ويد نفسه من الاحسان والاساءة وقول كافر النفس الساتر للحق يا ليتنى كنت ترابا اقدام الروح والسر والقلب متذللة بين يديهم مؤتمرة لاوامرهم ونواهيهم (وفى كشف الاسرار) از عظمت آن روز است كه بيست وجهار ساعت شبانروز دنيارا بر مثال بيست وجهار خزانه حشر كنند ودرعرصات قسامت حاضر كرداننديكان

یکان خزانه میکشایند وبربنده عرض میدهندازان خزانه بکشایند بربها وجمال ونور وضیا وآن آن ساعتست که بنده ررخیرات وحسنات وطاعات بود بنده جون حسن ونور بهای آن بیند جندان شادی وطرب واهتزاز بروغالب شود که اکر انرا بر جملهء دوزخیان قسمت کنندان دهشت آن شادی الم ودرد اتش فراموش کنند خزانهء دیکر بکشایند تاريك ومظلم برنتن ووحشت وآن آن ساعتست که بنده در معصیت بوده وحق ازره ظلمت ووحشت آن کردار درآید جندان فزع وهول ورنج وغم اورا فروکیردکه اکر برکل اهل بهشت قسمت کنند نعیم بهشت برایشان منغص شود خزانه دیکر بکشایند حالی درونه طاعت بود که سبب شادی است نه معصیت که موجب اندوهست وآن ساعتی است که بنده در وخفته باشد یا غافل یا بمبا حات دنیا مشغول وبروعرضه میکنند از ان ساعت که درطاعت کرده شاد میکردد وازان ساعت که درو معصیت کرده رنجور میشود وبرساعتی که مهمل کذاشته حسرت وغبن میخورد وجون کار

مؤمن مقصر دران روز اين باشد بس قياس كن كه حال كافر جكونه باشد درحسرت وندامت وآه وزارى.

روى ابى بن كعب رضى الله عنه قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (من قرأ عم يتساءولون سقاه الله برد الشراب يوم لقيامة) وعن ابى الدردآء رضى الله عنه قال قال النبي عليه السلام (تعلموا سورة عما يتساءلون عن النبأ العظيم وتعلموا ق والقرآن المجيد والنجم اذا هوى والسماء ذات البروج والسماء والطارق فانكم لو تعلمون ما فيهن لعطلتم ما أنتم عليه وتعلمتموهن وتقربوا الى الله بهن ان الله يغفر بهن كل ذنب الا الشرك بالله)

وعن ابى بكر الصديق رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله قد أسرع اليك الشيب قال شيبتنى هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت الكل فى كشف الاسرار وفيه اشارة الى ان من تعلم هذه السور ينبغي له ان يتعلم معانيها ايضا اذ لا يحصل المقصود الا به وتصريح بان هم الآخرة ومطالعة الوعيد واستحاضره يشيب الانسان ولذا ذم الحبر

السمين والقرئ السمين از لم يكن سمينا الا بالذهول عما قرأه ولو استحضره وهم به لشاب من همه وذاب من غمه لان الشحم مع الهم لا ينعقد قال الشافعى رحمه الله ما أفلح سمين قط الا أن يكون محمد بن الحسن فقيل له ولم قال لانه لا يخلو العاقل من احداى حالتين اما أن يهم لآخرته ومعاده او لدنياه ومعاشه والشحم مع الهم لا ينعقد فاذا خلا من المعنين صار فى حد البهائم بعقد الشحم.

سُورَةُ النَّازِعَاتِ مَكِّيَّةٌ

وَهِيَ سِتٌّ وَأَرْبَعُونَ آيَةً

١

{ والنازعات غرقا } الواو للقسم والقسم يدل على عظم شأن المقسم به ولله تعالى أن يقسم بما شاء من مخلوقاته تنبيها على ذلك العظم والنازعات جمع نازعة بمعنطائفة من الملائكة نازعة فأنتث صفة الملائكة

باعتبار كونهم طائفة ثم جمعت تلك الصفة فقيل نازعات بمعنى طوائف من الملائكة نازعات وقس عليه الناشطات نحوه والافكان الظاهر أن يقال والنازعين والناشطين والنزع جذب الشئ من مقره بشدة والغرق مصدر بحذف الزوائد بمعنى الاغراق وهو بالفارسية غرقه كردن وكمان رزور كشيدن.

والغرق الرسوب فى الماء وفى البلاء فهو مفعول مطلق للنازعات لانه نوع من النزع فيكون شرطه موجودا وهو اتفاق المصدر مع عامله والاغراق فى النزع التوغل فيه والبلوغ الى اقصى درجاته يقال أغرق النازع فى القاموس اذا بلغ غاية المد حتى انتهى الى النصل أقسم الله بطوآئف الملائكة التى تنزع ارواح الكفار من اجسادهم اغراقا فى النزع يعنى جان كافران بستختى نزع ميكنند.

وايضا يتمزعونها منهم معكوسا من النامل والاظفار ومن تحت كل شعرة كما تنزع الاشجار المتفرقة العروق فى اطراف الارض وكما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبلول وكما يسلخ جلد الحيوان وهو

حى وكما يضرب الانسان ألف شربة بالسيف بل اشد والملائكة وهم ملك الموت واعوانه من ملائكة العذاب يطعنونهم بحربة مسمومة بسم جهنم والميت يظن أن بطنه قد ملئ شوكا وكأن نفسه تخرج من ثقب ابره وكأن اسماء انطبقت على الارض وهو بينهما فاذا نزعت نفس الكافر وهى ترعد اشبه شئ بالزئبق على قدر النحلة وعلى صورة عمله تأخذها الزبانية ويعذبونها فى القبر وفى سجين وهو العذاب الروحانى ثم اذا قامت القيامة انضم الجسمانى الى الروحانى فقوله والنازعات غرقا اشارة الى كيفية قبض ارواح الكفار بشهادة مدلول اللفظ.

٢

{ والناشطات نشطا } قسم آخر معنى بطريق العطف والنشط جذب الشئ من مقره برفق ولين ونصب نشطا على المصدرية اقسم الله بطوآئف الملائكة التى تنشط ارواح المؤمنين اى تخرجها من ابدانهم برفق ولين كما تنشط الدوا من البئر يقال نشط الدلو من البئر ذا أخرجها وكما تنشط الشعرة من السمن وكما تنسل القطرة من السقاء وهم ملك الموت

واعوانه من ملائكة الرحمة ونفس المؤمن وان كانت تجذب من اطراف البنان

ورؤس الاصابع ايضا لكن لا يحس بالألم كما يحس به الكافر وايضا نفس

المؤمن ليس لها شدة تعلق بالبدل كنفس الكافر لكونها منجذبة الى عالم

القدس وانما يشتد الامر على انه لا لتعلق دون اهل التجرد خصوصا اذا

كان ممن مات بالاختيار قبل الموت وايضا حين يجذبونها يدعونها احيانا

حتى تستريح وليس كذلك ارواح الكفار فى قبضها لكن ربما يتعرض

الشيطان للمؤمن الضعيف اليقين والقاصر فى العمل اذا بلغ الروح التراقى

فيأتيه فى صورة ابيه وامه واخيه او صديقه فيأمره باليهودية او النصرانية

ذلك نسأل الله السلامة (حكى) ان ابليس عليه اللعنة تمثل للنبى عليه

السلام يوما وبيده قارورة ماء فقال ابيعه بايمان الناس حالة النزع فبكى

النبى عليه السلام حتى بكت اهل بيته فأوحى الله تعالى اليه انى احفظ

عبادى فى تلك الحالة من كيده والميت يرى الملائكة حينئذ على صوة

اعماله حسنة او قبيحة فاذا اخذوا نفس المؤمن يلفونها فى حرير الجنة وهى

على قدر النحلة وعلى صورة عمله ما فقد شئ من عقله وعلمه المكتسب

فى الدنيا دل عيله قوله تعالى حكاية عن حبيب النجار الشهيد فى انطاكية

قال يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين فيعرجون

بها الى الهوآء ويهيئون له اسباب التنعم فى قبره وفى عليين وهو النعيم

الروحانى ثم اذا قام الناس من قبورهم ازداد النعيم بانضمام الجسمانى الى

الروحانى فقوله والناشطات نشطا اشارة الى كيفية قبض ارواح المؤمنين

بشهادة اللفظ ومدلوله ايضا فان قيل قد ثبت ان النبى عليه السلام اخذ

روحه الطيب ببعض شدة حتى قال (واكرباه) وقال (لا اله الا الله ان

للموت سكرات اللهم أعنى على سكرات الموت) اى غمراته وكان يدخل

يده الشريفة فى قدح فيه ماء ثم يمسح جهه المنور بالماء ولما رأته

فاطمة رضى الله عنها يغشاه الكرب قالت واكرب ابتاه فقال لها عليه

السلام (ليس على ابيك كرب بعد اليوم) فاذا كان امر النبى عليه

السلام حين انتقاله هكذا فما وجه ما ذكر من الرفق واللين أجيب بأن

مزاجه الشريف كان اعدل الامزجة فأحس بالألم اكثر من غيره اذا لخفيف

على الأخف ثقيل وايضا يحتمل أن يبتليه الله بذلك ليدعو الله فى أن يجعل

الموت لامته سهلا يسير وايضا قد روى انه طلب من الله أن يحمل عليه

بعض صعوبة الموت تخفيفا عن امته فانه بالمؤمنين رؤف رحيم وايضا فيه

تسلية امته اذا وقع لاحد منهم شئ من ذلك الكرب عند الموت وايضا

لكى يحصل لمن شاهد من اهله ومن غيرهم من المسلمين الثواب لما يلحقهم

عليه من المشقة كما قيل بمثل ذلك فى حكمة ما يشاهد من حال الطفال

عند الموت واقل الامر للناقصين كفارة الذنوب فاهل الحقيقة لا شدة عليهم

فى الحقيقة لاستغراقهم فى بحر الشهود وانما الشدة لظواهرهم والحاصل كما

ان النار لا ترفع عن الدنيا والدنيا قائم فكذا الشدة لا تعرف عن الظواهر

فى هذا الموطن.

٣

{ والسابحات سبحا } قسم آخر معنى ايضا بطريق العطف

والسبح المر السريع فى الماء او فى الهوآء وسبحا نصب على المصدرية اقسم

الله بطوائف الملائكة التى تسبح فى مضيها اى تسرع فينزلون من السماء

الى الارض مسرعين مشبهين فى سرعة نزولهم بمن يسبح فى الماء وهذا من

قبيل التعميم بعد التخصيص لان نزول الاولين انما هو لقبض الارواح مطلقا ونزول هؤلاء لعامة الامور والاحوال.

٤

{ فالسابقات سبقا } عطف على السابحات بالفاء للدلالة على ترتب السبق على السبح بغير مهلة فالموصوف واحد ونصب سبقا على المصدرية اى التى تسبق سبقا الى ما امروا به ووكلوا عليه اى يصلون بسرعة والسبق كناية عن الاسراع فيما امروا به لان السبق وهو التقدم فى السير من لوازم الاسراع فالسبق هنا لا يستلزم وجود المسبوق اذ لا مسبوق.

٥

{ فالمدبرات امرا } عطف على السابقات بالفاء للدلالة على ترتب التدبير على السبق بغير تراخ والتدبير التفكر فى دبر الامور وامرا مفعول للمدبرات قال الراغبيعنى الملائكة الموكلين بتدبير الامور انتهى اى التى تدبر امرا من الامور الدنيوية والخروية للعباد كما رسم لهم

من غير تفريط وتقصير والمقسم عليه محذوف وهو لتبعثن لدلالة ما بعده

عليه من ذكر القيامة وجه البعث ان الموت يستدعيه للاجر والجزآء لئلا

يستمر الظلم والجور فى الوجود وما ربك بظلام للعبيد فكان الله تعالى

يقول ان الملائكة ينزلون لقبض الارواح عند منتهى الآجال ثم يهجر الامر

الى البعث لما ذكر فكان من شأن من يقر بالموت أن يقر بالبعث فلذا

جمع بين القسم بالنازعات وبين البعث الذى هو الجواب وفى عنوان هذه

السورة وجوه كثيرة صفحنا عن ذكرها واخترنا سوق الكشاف فانه هو

الذى يقتضيه جزالة التنزيل وقال القاشانى اقسم بالنفوس المشتاقة التى

غلب عليها النزع الى جناب الحق غريقة فى بحار الشوق والمحبة والتى تنشط

من مقر النفس وأسر الطبيعة اى تخرج من قيود صفاتها وعلائق البدن من

قولهم نور ناشط اذا خرج من بلد الى بلد او من قولهم نشط من عقاله

والتى تسبح فى بحار الصفات فتسبق الى عين الذات ومقام الفناء فى

الوحدة فتدبر بالرجوع الى الكثرة امر الدعوة الى الحق والهداية وأمر النظام

فى مقام التفصيل بعد الجمع انتهى ثم ان النفوس الشريفة لا يبعد أن يظهر

منها آثار فى هذا العالم سوآء كانت مفارقة عن الابداء اولا فتكون مدبرات

ألا ترى ان الانسان قد يرى فى المنام ان بعض الاموا برشده الى مطلوبه

ويرى استاذه فيسأله عن مسألة فيحلها له سئل زرارة بعد أن توفى رضى

الله عنه فى المنام اى الاعمال أفضل عندكم فقال الرضى وقصر الأمل وعن

بعضهم رأيت ورقاء بن بشر رحمه الله فى المنام فقلت ما فعل الله بك قال

نجوت بعد كل جهد قلت فأى الاعمال وجدتموها أفضل قال البكاء من

خشية الله وقال بعضهم هلكت جارية فى الطاعون فرآها أبوها فى المنام

فقال لها يا بنية اخبريني عن الآخرة قالت يا أبت قدمنا على امر عظيم

نعلم ولا نعمل وتعملون ولا تعلمون والله

لتسبيحة او تسبيحتان او ركعة او ركعتان فى صحيفة عملى احب الى من

الدنيا وما فيها ونظائره كثيرة لا تحصى وقد يدخل بعض الاحياء من جدار

ونحوه على بعض من له حاجة فيقضيها وذلك على خرق العادة فاذا كان

التدبير بيد الروح وهو فى هذا الموطن فكذا اذا انتقل منه الى البرزخ بل هو

بعد مفارقته البدن أشد تأثيرا وتدبيرا لان الجسد حجاب فى الجملة ألا ترى ان الشمس اشد احراقا اذ لم يحجبها غمام او نحوه.

٦

{ يوم ترجف الراجفة } منصوب بالجواب المضمر وهو لتبعثن والمراد بالراجفة الواقعة التى ترجف عندها الاجرام الساكنة كالارض والجبال اى تتحرك حركة شديدة وتتزلزل زلزلة عظيمة من هول ذلك اليوم وهى النفخة الاولى اسند اليها الرجف مجازا على طريق اسناد الفعل الى سببه فان حدوث تلك النفخة سبب لاضطراب الاجرام الساكنة من الرجفان وهى شدة الاضطراب ومنه الرجفة للزلزلة لما فيه من شدة الاضطراب وكثرة الانقلاب وفي اشعار بأن تغير السفلى مقدم على تغير العلوى وان لم يكن مقطوعا.

٧

{ تتبعها الرادفة } اى الواقعة التى تردف الاولى اى تجيئ بعدها وهى لنفخة الثانية لانها تجيئ بعد الاولى يقال ردفه كسمعه ونصره تبعه كأردفه وأردفته معه اركبته معه كما فى القاموس وهى حال مقدرة من الراجفة مصححة لوقوع اليوم ظرفا للبعث اى لتبعثن يوم النفخة الاولى حال كون النفخة الثانية تابعة لها لا قبل ذلك فانه عبارة عن الزمان الممتد الذى تقع فيه النفختان وبينهما أربعون سنة كما قال فى الكشاف لتبعثن فى الوقت الواسع الذى تقع فيه النفختان وهم يبعثون فى بعض ذلك الوقت الواسع وهو وقت النفخة الاخرى انتهى قال فى الارشاد واعتبار امتداد مع ان البعث لا يكون الا عند النفخة الثانية لتهويل اليوم ببيان كونه موقعا لداهيتين عظميتين لا يبقى عند وقوع الاولى حى الامات ولا عند وقوع الثانية ميت الا بعث وقام.

٨

{ قلوب } مبتدأ وتنكيره يقوم مقام الوصف المخصص سوآء حمل على التنويع وان لم يذكر النوع المقابل فان المعنى منسحب عليه او على

التكثير كما فى شر أهر ذا ناب فان التفخيم كما يكون بالكيفية يكون بالكمية ايضا كأنه قيل قلوب كثيرة او عاصية كما قال فى التأويلات النجمية قلوب النفس المتمردة الشاردة النافرة عن الحق

{ يومئذ } يوم اذ تقع النفختان وهو متعلق بقوله

{ واجفة } اى شديدة الاضطراب من سوء اعمالهم وقبح افعالهم فان الوجيف عبارة عن شدة اضطراب القلب وقلقه من الخوف والوجل وعلم منه ان الواجفة ليست جمع القلوب بل قلوب الكافر فان اهل الايمان لا يخافون.

٩

{ ابصارها } اى ابصار اصحاب كما دل عليه قوله يقولون والا فالقلوب لابصار لها وانما اضاف الابصار الى القلوب لانها محل الخوف وهو من صفاتها

{ خاشعة } ذليلة من الخوف بسبب الاعراض عن الله والاقبال على ما سواه يترقبون اى شئ ينزل عليهم من الامور العظام واسند الخشوع اليها مجازا لان اثره يظهره فيها.

١٠

{ يقولون } استئناف بيانى اى هم يقولون الآن يعنى ان منكرى البعث ومكذبي الآيات الناطقة به اذا قيل لهم انكم تبعثون يقولون منكرين له متعجبين منه

{ أئنا } آياما

{ لمردودون } معادون بعد موتنا

{ فى الحافرة } اى فى الحالة الاولى يعنون الحياة من قولهم رجع فلان فى حافرته اى طريقته التى جاء فيها فحرفها اى اثر فيها بمشيه وتسميتها حافرة مع انها محفورة وانما الحافر هو الماشى فى تلك الطريقة كقوله تعالى عيشة راضية اى منسوبة الى الحفر والضرى او على

تشبيه القابل بالفاعل اى فى تعلق الحفر بكل منهما فاطلق اسمالثانى على الاول للمشابهة كما يقال صام نهاره تشبيها لزمان الفعل بفاعله وقال مجاهد والخليل ابن احمد الحافرة هى الارض التى يحرف فيها القبور ولذا قال فى التأويلات النجمية اى حافرة اجسادنا وقبور صدورنا.

١١

{ أئذا } العامل فى اذا مضمر يدل عليه مردودون اى أئذا

{ كنا } باجون كرديم ما

{ عظاما نخرة } بالية نرد ونبعث مع كونها ابعد شئ من الحياة فهو تأكيد لانكار الرد ونفيه بنسبته الى حالة منافية له ظنوا ان من فساد البدن وتفرق اجزآئه يلزم فساد ما هو الانسان حقيقة وليس كذلك ولو سلم ان الانسان هو هذا الهيكل المخصوص فلا نسلم امتاع اعادة المعدوم فان الله قادر على كل الممكنات فيقدر على جمع الاجزآء العنصرية واعادة الحياة اليها لانها متميزة فى علمه وان كانت غير متميزة فى علم الخلق كالماء

مع اللبن فانهما وان امتزجا لكن احدهما متميزعن الآخر فى علم الله وان كان عقل الانسان قاصرا عن ادراكه والنخر البلى يقال نخر العظم والخشب بكسر العين اذا بلى واسترخى وصار بحيث لومس لتفتت ونخرة ابلغ من ناخرة لكونها من صيغ المبالغة او صفة مشبهة دالة على الثبوت ولذا اختارها الاكثر والناخرة اشبه برؤس الآى ولذا اختارها البعض

وقيل النخرة غير الناخرة اذ النخرة بمعنى البالية

واما الناخرة فهى العظام الفارغة المجوفة التى يحصل فيها صوت من هبوب الريح من نخير النائم والمجنون لا من النخر بمعنى البلى قال الراغب النخير صوت من الانف وسمى خرق الانف الذى يخرج منه النخير منخران فالمنخران ثقبتان الانف.

١٢

{ قالوا } اختيار الماضى هنا للايذان بأن صدور هذا الكفر منهم ليس بطريق الاستمرار مثل كفرهم السابق المعبر عنه بالمضارع اى قالوا بطريق الاستهزآء بالحشر

{ تلك } الردة والرجعة فى الحافرة وفيه اشعار بغاية بعدها من الوقوع فى اعتقادهم

{ اذا } آنكاه وتران تقدير

{ كرة } الكر الرجوع والكرة المرة من الرجوع والجمع كرات

{ خاسرة } اى ذات خسران على ارادة النسبة من اسم الفاعل او خاسرة اصحابها على الاسناد المجازى اى على طريق اسناد الفعل الى ما يقارنه فى الوجود كقولك تجارة رابحة والربح فعل اصحاب التجارة وهى عقد المبادلة والريح والتجارة متقارنان فى الوجود والا فهم الخاسرون والكرة مخسور فيها اى ان صحت تلك الكرة فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهذا المعنى افاده كلمة اذ فانها حرف جواب وجزء عند

الجمهور وانما حمل قولهم هذا على الاستهزآء لا تهم ابرزوا ما قطعوا بانتفائه واستحالته فى صورة المشكوك المحتمل الوقوع.

١٣

{ فانما هى زجرة واحدة } جواب من الله عن كلامهم بالانكار وتعليل لمقدر اى لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله فانها سهلة هينة فى قدرته فانما هى صيحة واحدة اى حاصلة بصيحة واحدة لا تكرر يسمعونها وهم فى بطون الارض وهى النفخة الثانية كنفخ واحد فى صور الناس لاقامة القافلة عبر عن الكرة بالزجرة تنبيها على كمال اتصالها بها كأنها عينها يقال زجر البعير اذا صاح عليه.

١٤

{ فاذا هم } بس آنكاه ايشان وسائر خلايق

{ بالساهرة } اى فاجأوا الحصول بها وهو بيان لحضورهم الموقف عقيب الكرة التى عبر عنها بالزجرة واذا المفاجأة تفيد حدوث ما انكروه

بسرعة على فجأة والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجرى فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفى ضدها نائمة يعنى ان بياض الارض عبارة عن خلوها عن الماء والكلأ شبه جريان السراب فيها بجريان الماء عليها فقيل لها ساهرة

وقيل لان سالكها لا ينام خوف الهلكة يقال سهر كفرح لم ينم ليلا او هى جهنم لان اهلها لا ينامون فيها او كأنه مقلوب الصاد سينا من صهرته الشمس احرقته وق الراغب حقيقتها الارض التى يكثر الوطئ بها كأنها سهرت من ذلك وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الساهرة ارض من فضة لم يعص الله عليها قط خلقها حينئذ وقال الثورى الساهرة ارض الشام وقال وهب بن منبه جبل بيت المقدس وكفته اندساهرة نام زمين است نزيك بيت المقدس در حوالئ جبل اريحا كه محشر آنجاخواهد بود خداى آنراكشاده كرداند جندانكه خواهد.

وفى الحديث بيت المقدس ارض المحشر والمنشر وقال المولى الفنارى فى تفسير الفاتحة ان الناس اذا قاموا من قبورهم وأراد الله ان يبدل الارض

غير الارض تمد الارض باذن الله ويكون المحشر فيكون الخلق عليه عند ما يبدل الله الارض كيف يشاء اما بالصورة

واما بارض اخرى ماهم عليها تسمى بالساهرة فيمدها سبحانه مد الاديم ويزيد فى سعتها اضعاف ما كانت من احد وعشرين جزأ الى تسعة وتسعين جزأ حتى لا نرى عوجا والا امتا وقال فى التأويلات النجمية فاذا هم بالساهرة اى بظهر ارض الحياة كما كانوا قبله ببطن ارض الممات.

١٥

{ هل اتاك حديث موسى } كلام مستأنف وارد لتسلية رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن تكذيب قومه بانه يصيبهم مثل ما أصاب من كان اقوى منهم واعظميعنى فرعون ومعنى هل أتاك ان اعتبر هذا او ما أتاه من حديثه ترغيب له فى استماع حديثه وحمل له على طلب الاخبار كأنه قيل هل أتاك حديث موسى قبل هذا ام أنا اخبرك به كما قال الحسن رحمه الله اعلام من الله لرسوله حديث موسى كقول الرجل

لصاحبه هل بلغك ما لقى اهل البلد وهو يعلم انه لم يبلغه وانما قال ليخبره به انتهى وان اعتبر اتيانه قبل هذا وهو المتبادر من الايجاز فى الاقتصاص استفهام تقرير له اى حمل له على الاقرار بأمر يعرفه قبل ذلك اى أليس قد أتاك حديثه وبالفارسية آيا جنين نيست كه آمد بتو خبر موسى كليم عليه السلام تاتسلى دهى دل خودرا برتكذيب قوم وخبر فرستادى ازو عدهء مؤمنا ووعيد كافران . يعنى قد جاءك وبلغك حديثه عن قريب أنه لم يعلم بحديث موسى وانه لم يأته بعد والا لما كان يتحزن على اصرار الكفار على انكار البعث وعلى استهزآئهم به بلى يتسلى بذلك فهل بمعنى قد المقربة للحكم الى الحال وهمزة الاستفهام قبلها محذوفة وهى للتقرير وزيد ليس لانه اظهر دلالة على ذلك لا لانه مقدر فى النظم.

١٦

{ اذ ناداه ربه } ظرف للحديث والمناداة والندآء بالفارسية خواندن.

وفى القاموس النداۤء الصوت اى هل اتاك حديثه الواقع حين ناداه ربه اذا المراد خبره الحادث فلا بد له من زمان يحدث فيه لا ظرف للاتيان لاختلاف وقتى الاتيان والنداء لان الاتيان لم يقع فى وقت النداۤء او مفعول لا ذكر المقدر وعليه وضع السجاوندى علامة الوقف اللازم على موسى واقل لانه لو وصل صار اذ ظرفا لاتيان الحديث وهو محال لعله لم يلتفت الى عمل حديث لكونه هنا اسما بمعنى الخبرمع وجود فعل قوى فى العمل قبله وبالجملة لا يخلو عن ايهام فالوجه الوقف كذا فى بعض التفاسير

{ بالواد المقدس } المبارك المطهر بتطهير الله عما لا يليق حين مكالمته مع كليمه او سمى مقدسا لوقوعه فى حدود الارض المقدسة المطهرة عن الشرك ونحو واصل الوادى الموضع الذى يسيل فيه الماء ومنه سمى المنفرج بين الجبلين واديا والجمع اودية ويستعار للطريقة كالمذهب والاسلوب فيقال فلان فى واد غير واديك

{ طوى } بضم الطاء والتنوين تأويلا له بالمكان او بغير تنوين تأويلا له بالبقعة قال الفراۤء الصرف احب الى اذ لم اجد فى المعدول

نظيرا اى لم اجد اسما من الوادى عدل عن جهته غير طوى وهو اسم للوادى الذى بين المدينة ومصر فيكون عطف بيان له قال القاشانى الوادى المقدس هو عالم الروح المجرد لتقدسه عن التلعق بالمواد اسمه طوى لانطوآء الموجودات كلها من الاجسام والنفوس تحته وفى طيه وقهره وهو عالم الصفات ومقام المكالمة من تجلياتها فلذلك ناداه بهذا الوادى ونهاية هذا العالم هو الافق الاعلى الذى رأى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عنده جبريل على صورته.

١٧

{ اذهب الى فرعون } على ارادة القول اى فقال له اذهب الى فرعون

{ انه طغى } تعليل للامر او لوجوب الامتثال به والطغيان مجاوزة الحدى طغى على الخالق بأن كفر به وطغى على الخلق بأن تكبر عليهم واستعبدهم فكما ان كمال العبودية لا يكون الا بالصدق مع الحق وحسن

الخلق مع الخلق فكذا كمال الطغيان يكون بسوء الماملة معهما وقال القاشانى اى ظهر بانانيته وذلك ان فرعون كان ذا نفس قوية حكيما عالما سلك وادى الافعال وقطع بوادى الصفات واحتجب بانانيته وانتحل صفات الربوبية ونسبها الى نفسه وذلك تفرعنه وجبروته وطغيانه فكان ممن قال فيه عليه السلام (شر الناس من قامت القيامة عليه) فهو حى لقيامة بنفسه وهواها فى مقام توحيد الصفات وذلك من اقوى الحجب.

١٨

{ فقل } بعد ما اتيته

{ هل لك } رغبة وتوجه

{ الى ان تزكى } بحذف احدى التاءين من تتزك اى تتطهر من دنس الكفر والطغيان ووسخ الكدورات البشرية والقاذورات الطبيعة فقوله لك خبر مبتدأ محذوف والى ان متعلق بذلك المبتدأ المضمر وقد

يقال قوله هل لك مجاز عن اجذبك وادعوك والقرينة هى القربية وهى المجاورة.

١٩

{ واهديك الى ربك } وارشدك الى معرفته فتعرفه اشار الى ان فى النظم مضافا مضمرا وتقديم التزكيه لتقدم التخلية على التحلية

{ فتخشى } اذا لخشية لا تكون الا بعد معرفته قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء اى العلماء بالله قيل انه تعالى قال فى آخره ولن يفعل فقال موسى فكيف امضى اليه وقد علمت انه لن يفعل فأوحى اليه ان امض لما تؤمر فان فى السماء اثنى عشر ألف ملك يطلبون علم القدر فلم يدركوه وجعل الخشية غاية للهداية لانها ملاك الامر لان من خشى الله أتى منه كل خير ومن أمن اجترأ على كل شر كما قال عليه السلام من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل يقال ادلج القوم اذا ساروا من اولاللليل وان ساروا من آخر الليل فقد ادلجوا بالتسديد ثم انه تعالى أمر

موسى عليه السلام بأن يخاطبه بالاستفهام الذى معناه العرض ليشتد عليه بالتلطف فى القول ويستنزله بالمداراة من عتوه وهذا ضرب تفصيل لقوله تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى اما كونه لينا فلانه فى صورة العرض لا فى صورة الامر صريحا وليس فيه ايضا ذكر نحو الشرك والجهل والكفر ان من متعلقات التزكى

واما اشتماله على بعض التفصيل فظاهر.

٢٠

{ فأراه } بس بنمود اورا موسى

{ الآية الكبرى } الفاء فصيحة تفصح عن جمل قد طويت تعويلا على تفصيلها فى السور الاخرى فانه جرى بينه وبين فرعون ما جرى من المحاورات الى ان قال كنت جئت بآية فائت بها ان كنت من الصادقين اى فذهب اليه موسى بأمر الله فدعاه الى التوحيد والطاعة وطلب هو منه المعجزة الدالة على صدقه فى دعوته والارآءة اما من التبصيرا

والتعريف فان اللعين حين أبصرها عرفها وادعاء سحريتها انما كل ارآءة منه واظهارا للتجلد ونسبتها اليه بالنظر الى الظاهر كما ان نسبتها الى نون العظمةفى قوله ولقد اريناه آياتنا بالنظر الى الحقيقة والمراد بالآية الكبرى قلب العصا حية والصغرى غيره من معجزاته الباقية وذلك ان القلب المذكور كان المقدم على الكل فى الارآءة فينبغى ان يكون هو المراد على ما تقتضيه الفاء التعقيبية.

٢١

{ فكذب } فرعون بموسى وسمى معجزته سحرا عقيب رؤية الاية من غير رؤية وتأمل وطلب شاهد من عقل وناصح من فكر وقلب لغاية استكباره وتمرده

{ وعصى } الله بالتمرد بعد ما علم صحة الامر ووجوب الطاعة اشد عصيان واقبحه حيث اجترأ على انكار وجود رب العالمين رأسا فدل العطف على ان الذى ترتب على حصول الجزم بأن من كذبه ممن يجب

تصديقه فاما تكذيب من لا يجب تصديقه فلا يكون عصيانا ويجوز أن يراد وعصى موسى فيما أمر به الا ان الاول ادخل فى ذمه وتقبيح حاله وكان اللعين وقومه مأمورين بعبادته تعالى وترك دعوى الربوبية لا بارسال بنى اسرآئيل من الاسر القسر فقط قال بعض اهل المعرفة أراه آية صرفا ولو أراه انوار الصفات فى الآيات لم يكفر ولم يدع الربوبية اذ هناك موضع المحبة والعشق والاذعان لان رؤية الصفات تقتضى التواضع ورؤية الذات تقتضى العربدة فكان هو محجوبا بؤية الآيات عن رؤية الصفات فلما لم يكن معه حظ شهود نور الصفة لم ينل عند رؤيتها حظ المحبة فلم يأت منه الانقياد والاذعان لذلك قال تعالى فكذب وعصى.

٢٢

{ ثم ادبر } اى تولى عن الطاعة وكلمة ثم على هذا معناها التراخى الزمانى اذا السعى فى ابطال امره يقتضى مهلة او انصرف عن المجلس قال الراغب ادبر اىاعرض وولى دبره

{ يسعى } يجتهد فى معارضة الآية تمردا وعنادا لا اعتقادا بانها يمكن معارضتها فهو تعلل بالباطل دفعا للمجلس وهو حال من فاعل ادبر بمعنى مسرعا مجتهدا وفى الكشاف لما رأى الثعبان ادبر مرعوبا يسرع فى مشيته قال الحسن رحمه الله كان رجلا طياشا.

٢٣

{ فحشر } اى فجمع السحرة لقوله تعالى فارسل فرعون فى المدآئن حاشرين وقوله تعالى فتولى فرعون فجمع كيده اى ما يكاد به من السحرة وآلاتهم ويجوز ان يراد جمع الناس

{ فنادى } بنفسه فى المقام الذى اجتمعوا فيه معه او بواسطة المنادى.

٢٤

{ فقال } لقيامه مقام الحكومة والسلطنة

{ أنا ربكم الاعلى } لا رب فوقى اى اعلى من كل من يلى
امركم على ان تكون صيغة التفضيل بالنسبة الى من كان تحت ولايته من
الملوك والامرآء (وقالالكاشفى) يعنى اصنام كه بر صورت منند همهء
ايشان خدايا نند ومن ازهمه برترم.

ولما ادعى العلوية قيل لموسى عليه السلام فى مقابلة هذا الكلام
انك أنت الاعلى لان الغلبة على سرحه غلبة عليه والحاصل انه لم يرد بهذا
القول انه خالق السموات والارض والجبال والنبات والحيوان فان لعلم
بفساد ذلك ضرورى ومن شك فيه كان مجنونا ولو كان مجنونا لما جاز من
الله بعثة الرسول اليه بل الرجل كان دهريا منكرا للصانع والحشر والنشر
وكان يقول ليس للعالم اله حتى يكون له عليكم امر ونهى او يبعث اليكم
رسولا بل المربى لكم والمحسن اليكم أنا لا غيرى

قال بعضهم كان ينبغى له عند ظهور ذله وعجزه بانقلاب العصا
حية ان لا يقول ذلك القول فكأنه صار فى ذلك الوقت كالمعتوه الذى لا
يدرى ما يقول (امام قشيرى رحمه الله) در لطائف آورده كه أبليس اين

سخن شنيده كفت مراطاقت اين سخن نيست من دعىٔ خيريت كفتم بر آدم اين همه بلا بمن رسيد اوكه جنين لاف ميزند تاكار او بكجا رسد.

قال بعض العارفين لم يدع احد من الخلائق من الكمال ما ادعاه ادعاه الانسان فانه ادعى الربوبية وقال أنا ربيكم الاعلى وابليس تبرأ منها وقال انى اخاف الله فلم يدع مرتبة ليس له قط اى انه على جناح واحد وهو الجلال فقط وكذا الملك فانه على الجمال المحض بخلاف الانسان فانه مخلوق باليدين.

شيخ ركن الدين علاء الدولة سمنانى قدس سره فرمودهء كه وقتى مرا حال كرم بود بزيارت حسين منصور حلاج رفتم جون مراقبه كردم روح اورا در مقام عالى يا فتم ازعليين مناجات كردم كه خدايا ابن جه حالتست كه فرعون انا ربكم ومنصورا انا الحق كفت هردويك دعوى كردند روح حسين در عليين است وجان فرعون درسجين بسر من ندا رسيدكه فرعون بخود بينى در افتاده همه خودرا ديدوماراكم كرد وحسين مارادید وخود راکم كرد بس درميان فرق بسياراست (وفى المثنوى)

كفت فرعونى انا الحق كشت بست ... كفت منصورى انا الحق وبرست

انا انارا لعنت الله در عقب ... واين انارا رحمت الله اى محب

زانكه او سنك سيه بود اين عقيق ... آن عدوى نور بود واين عشيق

اين انا هو بود در سراى فضول ... نه زراى اتحاد واز حلول

قال فى اسئلة الحكم فان قلت ما الحكمة فى ان ابليس قد لعن ولم يدع الربوبية وفرعون وامثاله قد ادعوا الربوبية ولم يلعنوا تعيينا وتخصيصا كما لعن ابليس قيل لان نية ابليس شر من نية هؤلاء

وقيل لانه اول من سن الخلاف والشقاق قولا وفعلا ونية والخلق بعده ادعوا الربوبية وسنوا البغى والخلاف بوسوسته وابليس واجه بمخالفته حضرة الرب تعالى وهم واجهوا الانبياء والوسائط وتضرعوا تارة واعترفوا بالذنوب عند المخلوق اخرى وابليس لم يعترف ولم يتضرع وهو اول من

سن الكفر فوزر الكفار بعده راجع اليه الى يوم القيامة ومظهر الضلالة والغواية بذاته بغير واسطة.

٢٥

{ فأخذه الله } بسبب ما ذكر

{ نكال الآخرة والاولى } النكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم وهو التعذيب اى الذى ينكل من رأه او سمعه ويمعنه من تعاطى ما يفضى اليه ومحله النصب على انه مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله كأنه قال نكل الله به نكال الآخرة والاولى وهو الاحراق فى الآخرة والاغراق فى الدنيا واخذ مستعمل فى معنى مجازى يعم الاخذ فى الدنيا وفى الخروى مجاز لتحقق وقوعه واضافة النكال الى الدارين باعتبار وقوع نفس الاخذ فيهما لا باعتبار ان ما فيه من معنى المنع يكون فيهما فان ذلك لا يتصور فى الآخرة بل فى الدنيا فان العقوبة الاخروية تنكل من سمعها وتمنعه من تعاطى ما يؤدى اليها لا محالة وفى التأويلات القاشانية

نازع الحق بشدة ظهور انانيته فى ردآء الكبرياء فقهر وقذف فى لانار ملعونا

كما قال تعالى العظمة ازارى والتكبرياء ردآئى فمن نازعنى واحدا منهما

قذفته فى النار ويروى قصمته وذلك القهر هو معنى قوله فاخذه الله الخ

وقال البقلى لما لم يكن صادقا فى دعواه افتضح فى الدنيا والآخرة وهكذ

كل ما يدعى ما ليس له من المقامات قال بشر انطق الله لسانه بالعريض

من الدعاوى واخلاه عن حقائقها وقال السرى العبد اذا تزيي بزى السيد

صار نكالا ألا ترى كيف ذكر الله فى قصة فرعون لما ادعى الربوبية فأخذه

الله الخ كذبه كل شئ حتى نفسه وفى الوسيط عن رسول الله صلّى الله

عليه وسلّم قال موسى يا رب امهلت فرعون اربعمائة سنة ويقول أنا ربكم

الاعلى ويكذب بآياتك ويجهد برسلك فأوحى الله اليه كان حسن

الخلقسهل الحجاب فأردت ان اكافئه اى مكافأة دنيوية وكذا حسنات كل

كافر

واما المؤمن فاكثر ثوابه فى الآخرة ودلت الآية على ان فرعون مات

كافرا وفى الفتوحات المكية فرعون ونمرود مؤبدان فى النار انتهى وغير هذا

من اقوال الشيخ رحمه الله محمول على المباحثة فصن لسانك على الاطالة فانها من اشد ضلالة.

يقول الفقير صدر من فرعون كلمتان الاولى قوله أنا ربكم الاعلى والثانية قوله ما علمت لكم من اله غيرى وبينهما على ما قيل اربعون سنة فالظاهر أن الربوبية محمولة على الالوهية فتفسير قوله أنا ربكم الاعلى بقولهم اعلى من كل من يلى امركم ليس فيه كثير جدوى اذ لا يقتضى ادعاء الرياسة دعوى الالوهية كسائر الدهرية والمعطلة فانهم لم يتعرضوا للالوهية وان كانوا رؤساء تأمل هذا المقام.

٢٦

{ ان فى ذلك } اى فيما ذكر من قصة فرعون وما فعل به

{ لعبرة } اعتبارا عظيما وعظة

{ لمن يخشى } اى لمن من شأنه لان يخشى وهو من شأنه المعرفة يعنى ان العارف بالله وبشؤونه يخشى منه فلا يتمرد على الله ولا على انبيائه خوفا من نزول العذاب والعاقل من وعظ بغيره.

جو بركشته بختى درافتديه بند ... ازونيك بختان بكيرند بند

توبيش ازعقوبت در عفو كوب ... كه سودى ندارد فغان زير جوب

بر آراز كريبان عفلت سرت ... كه فردا نماند خجل در برت

يعنى درسينه ات

٢٧

{ ءانتم اشد خلقا } خطاب لاهل مكة المنكرين للبعث بناء على صعوبته فى زعمهم بطريق التوبيخ والتبكيت بعدما بين كمال سهولته بالنسبة للاقدرة الله تعالبقوله تعالى فانما هى زجرة واحدة فالشدة هنا بمعنى الصعوبة لا بمعنى الصلابة لانها لا تلائم المقام اى أخلقكم بعد

موتكم اشق واصعب فى تقديركم وزعمكم والا فكلا الامرين بالنسبة الى قدرة الله واحدة

{ ام السماء } ام خلق السماء بلا مادة على عظمها وقوة تأليفها وانطوائها على البدائع التى تحار العقول فى ملاحة اذناها وهو استفهام تقرير ليقروا بأن خلق السماء اصعب فيلزمهم بأن يقول لهم ايها السفهاء من قدر على الصعب الاعسر كيف لا يقدر على اعادتكم وحشركم وهى اسهل وايسر فخلقكم على وجه العادة اولى ان يكون مقدور الله فكيف تنكرون ذلك قوله ءانتم مبتدأ واشد خبره وخلقا تمييزا والسماء عطف على أنتم وحذف خبره لدلالة خبر أنتم عليه اى ام السماء اشد خلقا

{ بناها } الله تعالى وهو استئناف وتفصيل لكيفية خلقها المستفاد من قوله ام السماء فيتم الكلام حينئذ عند قوله ام السما ويبتدأ من قوله بناها وام متصلة واستعمل البناء فى موضع السفق فان السماء سفق مرفوع والبناء انما يستعمل فى اسافل البناء لا فى الاعالى للاشارة الى

انه وان كان سقفا لكنه فى البعد عن الاختلال والانحلال كالبناء فان البناء ابعد عن تطرق الاختلال اليه بالنسبة الى السقف.

٢٨

{ رفع سمكها فسواها } بيان للبناء اى جعل مقدار ارتفاعها من الارض وذهابها الى سمت العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسمائة عام فان امتداد الشيء ان اخذ من اسفله الى اعلاه سمى سمكا واذا اخذ من اعلاه الى اسفله سمى عمقا وقال بعضهم السمك الارتفاع الذى بين سطح السماء الاسفل الذى يلينا وسطحها الاعلى الذى يلى ما فوقها فيكون المراد ثخنها وغلظها وهو ايضا تلك المسيرة.

٢٩

{ واغطش ليلها } الغطش الظلمة قال الراغب واصله من الاغطش وهو الذى فى عينه شبه عمش يقال اغطشه الله اذا جعله مظلما واغطش الليل اذا صار مظلما فهو متعد ولازم والاول هو المراد

هنا اى جعله مظلما ذاهب النور فان قيل الليل اسم لزمان الظلمة الحاصلة بسبب غروب الشمس فقوله واغطش ليلها يرجع معناه الى انه جعل المظلم مظلما وهو بعيد والجواب معناه ان الظلمة الحاصلة فى ذلك الزمان انما حصلت بتدبير الله وتقديريه فلا اشكال

{ وأخرج ضحاها } اى ابرز نهارها عبر عنه بالضحى وهو ضوء الشمس ووقت الضحى وهو الوقت الذى تشرق فيه الشمس ويقوم سلطانها لانه اشرف اوقاتها واطيبها على تسيمة المحل باسم اشرف ما حل فيه فكان احق بالذكر فى مقام الامتنان وهو السر فى تأخير ذكره عن ذكر الليل وفى التعبير عن احداثه بالاخراج فان اضافة النور بعد الظلمة اتم فى الانعام واكمل فى الحسان واضافة الليل والضحى الى السماء لدوران حدوثها على حركتها والاضافة يكفيها ادنى ملابسة المضاف اليه ويجوز ان تكون اضافة الضحى اليها بواسطة الشمس اى ابرز ضوء شمسها بتقدير المضاف والتعبير عنه بالضحى لانه وقت قيام سلطانها وكمال

اشراقها . امام زاهد فرموده كه روز وشب دنيا بآسمان بيداكردد بسبب آفرينش آفتاب وماه دور.

قال بعض العارفين الليل ذكر والنهار انثى فلما تغشاها الليل حملت فولدت فظهرت الكائنات عن غشيان الزمان فالمولدات اولاد الزمان واستخراج النهار من الليل كاستخراج حوآء من آدم قال تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون وقال يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل كعيسى فى مريم وحوآء فى آدم فاذا خاطب ابناء النهار قال يولد الليل واذا خاطب ابناء الليل قال يولج النهار وقال بعض اهل الحقائق ان توارد الليل والنهار اشارة الى توارد السيئة والحسنة فكما ان الدنيا لا تبقى على ليل وحده ولا على نهار وحده بل هما يتعاقبان فكذا المؤمن لا يخلو من نور الايمان والعمل الصالح ومن ظلمة العمل الفاسد والفكر الكاسد ولذ قال عليه السلاملعلى رضى الله عنه (ياعلى اذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة فاذا كان يوم القيامة يلقى الله الليل فى جهنم والنهار فى الجنة فلا يكون فى الجنة ليل كما لا يكون فى النار نهار

) يعنى ان النهارا فى الجنة هو نور ايمان المؤمن ونور عمله الصالح بحسب مرتبته والليل فى النار هو ظلمة كفر الكافر وظلمة عمله السيئ فكما ان الكفر لا يكون ايمانا فكذا الليل لا يكون نهار والنار لا تكون نورا فيبقى كل من اهل النور والنار على صفته الغالبة عليه

واما القلب وحاله بحسب التجلى فهو على عكس حال القالب فان نهاره المعنوى لا يتاقب عليه ليل وان كان يطرأ عليه استتار فى بعض الاوقات.

٣٠

{ والارض بعد ذلك دحاها } اى قبل ذلك كقوله تعالى من بعد الذكر اى قبل القرءآن بسطها ومهدها لسكنى اهلها وتقلبهم فى اقطارها وقال بعضهم بعد علىمعناه الاصلى من التأخر فان الله خلق الارض قبل خلق اسماء من غير أن يدحوها ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات ثم دحا الارض بعد ذلك وقال فى الارشاد انتصاب الارض

بمضمر يفسره دحاها وذلك اشارة الى ما ذكر من بناء السموات ورفع سمكها وتسويتها وغيرها لا الى انسها وبعدية الدحو عنها محمولة على البعدية فى الذكر كما هو المعهود فى السنة العرب والعجم لا فى الوجود فان اتفاق الاكثر على تقدم خلق الارض وما فيها على خلق السماء وما فيها وتقديم الارض لا يفيد القصر وتعيين البعدية فى الوجود لما عرفت من ان انتصابه بمضمر مقدم قد حذف على شرطية التفسير لا بما ذكر بعده ليفيد ذلك وفائدة تأخيره فى الذكر اما التنبيه عل انه قاصر فى الدلالة على القدرة القاهرة بالنسبة الى احوال السماء

واما الاشعار بانه ادخل فى الالزام لما ان المنافع المنوطة بما فى الارض اكثر وتعلق مصالح الناس بذلك اظهر واحاطتهم بتفاصل احواله اكمل وقد مر ما يتعلق بهذا المقام فى سورة حم السجدة.

٣١

{ اخرج منها ماءها } بأن فجر منها عيونا واجرى انهارا

{ ومرعاها } اى رعيها بالكسر بمعنى الكلأ وهو فى الاصل موضع الرعى بالفتح نسب الماء والمرعى الى الارض من حيث انهما منها يظهران تجريد الحملة عن العاطف لانها بيان وتفسير لدحاها او تكملة له فان السكنى لا تتاتى بمجرد البسط والتمهيد بل لا بد من تسوية امر المعاش من المأكل والمشرب حتما.

٣٢

{ والجبال } منصوب بمضمر يفسر قوله

{ ارساها } اى اثبتها واثبت بها الارض ان تميد بها وهذا تحقيق للحق وتنبيه على ان الرسو المنسوب اليها فى مواضع كثيرة من التنزيل بالتعبير عنها بالرواسى ليس من مقتضيات ذواتها بل هو بارسائه تعالى ولولاه لما ثبتت فى نفسها فضلا عن اثباتها للارض.

٣٣

{ متاعا لكم ولانعامكم } مفعول له بمعنى تمتيعا والانعام جمع نعم

بفتحتين وهى المال الراعية بمعنى المواشى وفى الصحاح واكثر ما يقع هذا

الاسم على الابل والمرادهنا ما يكون عاما للابل والبقر والغنم من الضأن

والمعز أى فعل ذلك تمتيعا ومنفعة لكم ولانعامكم لان فائدة ما ذكر من

البسط والتمهيد واخراج الماء والمرعى واصلة اليهم والى انعامهم فان المراد

بالمرعى ما يعم ما يأكله الانسان وغيره بناء على استعارة الرعى لتناول

المأكول على الاطلاق كاستعارة المرسن للأنف ولهذا قيل دل الله تعالى

بذكر الماء والمرعى على عامة ما يرتفق به ويتمتع مما يخرج من الارض حتى

الملح فانه من الماء قال العتبى هذا اى قوله اخرج منها ماءها ومرعاها من

جوامع الكلم حيث ذكر شيئين دالين على جميع ما اخرج من الارض قوتا

ومتاعا للانام من العشب والشجر والحب والثمر والملح والنار لان النار

من الشجر الاخضر والملح من الماء ونكتة الاستعارة توبيخ المخاطبين

المنكرين للبعث والحاقهم بالبهائم فى التمتع بالدنيا والذهول عن الآخرة.

٣٤

{ فاذاجاءت الطامة الكبرى } قال فى الصحاح كل شئ كثر حتى علا وغلب فقد طم من باب رد والكبرى تأنيث الاكبر من كبر بالضم بمعنى عظم لا من كبر بالكسر بمعنى اسن وهذا شروع فى بيان احوال معادهم اثر بيان احوال معاشهم والفاء للدلالة لى ترتب ما بعدها على ما قبلها عما قليل كما ينبئ عنه لفظم المتاع والمعنفاذا جاء وقت طلوع وقوع الداهية العظمى التى تطم على سائر الطامات والدواهى اى تعلوها وتغلبها فوصفها بالكبرى يكون للتأكيد ولو فسر بما تعلو على الخلائق وتغلبهم كان مخصصا والمراد القيامة او النفخة الثانية فانه يشاهد يوم القيامة من الآيات الهائلة الخارجة عن العادة ما ينسى معه كل هائل وعند النفخة الثانية تحشر الخلائق الى موقف القيامة خصت النازعات بالطامة وعبس بالصاخة لان الطم ان كان بمعنى النفخة الأولى للاهلاك فهو قبل الصخ اى الصوت الشديد الذى يحي له الناس حين يصيخون له كما ينتبه النائم بالصوت الشديد فهو بمعنى النفخة الثانية فجعل السابق للسورة السابقة واللائق للاحقة وان

كان بمعنى النفخة الثانية فحسن الموقع فى كلا الموضعين لان العلم ورد بعد قوله تتبعها الرادفة والصخ بعد ما بين عدم اصاخة النبى عليه السلام لابن ام مكتوم.

٣٥

{ يوم يتذكر الانسان ما سعى } منصوب بأعنى تذكيرا للطامة الكبرى وما موصولة وسعى بمعنى عمل اى يتذكر فيه كل احد كائنا من كان ما عمله من خير أوشر بأن يشاهده مدونا فى صحيفة اعماله وقد كان نسيه من فرط الغفلة وطول الامد كقوله تعالى أحصاه الله ونسوه.

٣٦

{ وبرزت الجحيم } عطف على جاءت اى اظهرت اظهارا بينا لا يخفى على احد بعد ان كانوا يسمعون بها والمراد مطلق النار المعبر عنها بجهنم لا الدركة المخصوصة من الدركات السبع

{ لمن يرى } كائنا من كان على ما يفيده من فأنه من ألفاظ العموم يروى انه يكشف عنها فتتلظى فيراها كل ذى بصر مؤمن وكافر وقوله تعالى وبرزت الجحيم لا ينافى ان يراها المؤمنون ايضا حبن بمرون عليها مجاوزين الصراط

وقيل للكافر لان المؤمن يقول اين النار التى توعدنا بها فيقال مررتموها وهى خامدة.

٣٧

{ فاما من طغى } الخ جواب فاذا جاءت على طريقة قوله فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى الخ يقال ان جئتنى فان قدرت احسنت اليك ويقال اذا كانت الدعوة فاما من كان جاهلا فهناك مقامه

واما من كان عالما فههنا مقامه اى فاما من عتا تمرد عن الطاعة وجاوز الحد فى العصيان كالنضر وآتيه الحارث المشهورين بالغو فى الكفر والطغيان.

٣٨

وَآثَرَ اختار الْحَيَاةَ الدُّنْيا الفانية التي على جناح الفوات فانهمك فيما متع به فيها ولم يستعد للحياة الآخرة الابدية بالايمان والطاعة

٣٩

{ فان الجحيم } التى ذكر شأنها

{ هى } لا غيرها وهو ضمير فصل او مبتدأ

{ المأوى } اى مأواه فلا يخرج من النار كما يخرج المؤمن العاصى فالكلام فى حق الكافر لكن فيه موعظة وعبرة موقظة واللام سادة مسد الاضافة للعلم بأن صاحب المأوى هو الطاغى كما فى قولك غض الطرف فانه لا يغض الرجل طرف غيره وذلك لان الخبر اذا كان جملة لا بد فيها من ضمير يربطها بالمبتدأ فسدت اللام مسد العائد لعدم الالتباس فلا احتياج فى مثل هذا المقام الى الرابطة.

٤٠

{ واما من خاف مقام ربه } اى مقامه بين يدى مالك أمره يوم الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ما سعى وذلك لعلمه بالمبدأ والمعاد فان الخوف من القيام بين يديه للحساب لا بد ان يكون مسبوقا بالعلم به تعالى وفى بعض التفاسير المقام اما مصدر ميمى بمعنى القيام او اسم مكان بمعنى موضع القيام اى المكان الذى عينه الله لان يقوم العباد فيه للحساب والجزآء

وقيل المقام مقحم للتأكيد جعل الخوف مقابلا للطغيان مع ان الظاهر مقابلته للانقياد والاطاعة بناء على ان الخوف اول اسباب الاطاعة ثم الرجاء ثم المحبة فالاول للعوام والثانى للخواص والثالث لأخص الخواص

{ ونهى النفس عن الهوى } عن الميل اليه بحكم الجبلة البشرية ولم يعتد بمتاع الحياة الدنيا وزهرتها ولم يغتر بزخارفها وزينتها علما منه بوخامة عاقبتها والهوى ميلان النفس الى ما تشتهيه وتستلذه من غير داعية الشرع وفى الحديث ان اخوف ما اتخوف على امتى الهوى وطول الامل اما الهوى فيصد عن الحق

واما طول الامل فينسى الآخرة قال بعض الكابر الهوى عبارة عن الشهوات السبع المذكورة فى قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث وقد أدرها الله فى امرين كما قال انما الحياة الدنيا لعب ولهو ثم ادرجها فى أمر واحد وهو الهوى فى الآية فالهوى جامع لانواع الشهوات فمن تخلص من الهوى فقد تخلص من جميع القيود والبرازخ قال سهل رحمه الله لا يسلم من الهوى الا الانبياء وبعض الصديقين ليس كلهم وانما يسلم من الهوى من ألزم نفسه الأدب وقال بعضهم حقيقة الانسان هى نفسه لا شئ زآئد عليها وقال تعالى ونهى النفس عن الهوى فمن الناهى لها تأمل انتهى.

يقول الفقير ان الانسان برزخ بين الحقيقة الالهية والحقيقة الكونية وكذا بين الحقيقة الملكية والحقيقة الحيوانية فهو من حيث الحقيقة الاولى ينهى النفس من حيث الحقيق الثانية كما ان النبى عليه

السلام يخاطب نفسه بقوله عليه السلام السلام عليك أيها النبى من جانب مليكته الى جانب بشريته او من مقام جمعه الى مقام فرقه.

٤١

{ فان الجنة هى المأوى } له لا غيرها فنهى النفس عن الهوى معناه نهيها عن جميع الهوى على ان اللام للاستغراق والا فلا معنى للحصر لان المؤمن الفاسق قد يدخل النار اولا ثم يدخل الجنة فلا يصح فى حقه الحصر اللهم الا ان يقال معنى الحصر أن الجنة هى المقام الذى لا يخرج عنه من دخل فيه وفى بعض التفاسير المراد بالجنة مطلق دار الثواب فلا يخالف قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان فان له جنيت بفضل الله فى دار الثواب جنة النعيم بالنعم الجسمانية وجنة التلذذ باللذات الروحانية . ودر فصول آورده كه اين آيت درشان كسى است كه قصد معصيتى كند وبران قادر باشد خلاف نفس نموده از خداى بترسد واز عمل آن دست باز دارد

كر نفسى نفس بفرمان تست ... شبهه مياوركه بهشت آن تست

نفس كشد هرنفسى سوى بست ... هركه خلافش نفسى زد

برست

قال محمد بن الحسن رحمه الله كنت ائما ذات ليلة اذا أنا بالباب يدق ويقرع فقلت انظروا من ذلك فقال رسول الخليفة هرون يدعوك فخفت على روحى وقمت ومضيت اليه فلما دخلت عيله قال دعوتك فى مسئلة ان ام محمد يعنى زبيده قلت لها انى امام العدل وامام العدل فى الجنة فقالت انك ظالم عاص قد شهدت لنفسك بالجنة فكذبت بذلك على الله وحرمت عليك فقلت له يا أمير المؤمنين اذا وقعت فى معصية فهل تخاف الله فى تلك الحال او بعدها فقال اى والله اخاف خوفا شديدا فقلت له أنا اشهد ان لك جنتين لا جنة واحدة قال الله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان فلاطفنى وأمرنى بالانثراف فلما رجعت الى دارى رأيت البدر متبادرة الى عبد الملك بن مروان خليفة روزكار بود وابو حازم امام وزاهد وقت بودازوى برسيدكه يا ابا حازم فردا حال وكار ماجون خواهد

بود كفت اكر قرآن مى خوانى خرآن ترا جواب ميدهد كفت كجا ميكويد كفت فاما من طغى الى قوله فان الجنة هى المأوى بدانكه دردنياهر نفسى را آتش شهوتست ودر عقبى آتش عقوبت هركه امروز بآتش شهوت سوخته كردد فردا بآتش عقوبت رسدوهركه امروزبآ ب رياضت ومجاهده آتش شهوت بنشاند وهمجنين دردنيا دردل هر مؤمن بهشتى است كه آنرا بهشت عرفان كويندودرعقبى بهشتى است كه آنرا رضوان كويند هركه امروز دردنيا بهشت عرفان بطاعت آراسته داردفردا به بهشت رضوان برسد.

وقال القاشانى فاما من طغى اى تعدى طور الفطرة الانسانية وتجاوز حد العدالة والشريعة الى الرتبة البهيمية او السبعية وافرط فى تعديه وآثر الحياة الحسية على الحقيقية بمحبة اللذات السفلية فان الجحيم مرجعه وماواه

واما من خاف مقام ربه بالترقى الى مقام القلب ومشاهدة فقيوميته تعالى نفسه ونهى النفس خوف عقابه وقهره عن هواها فان الجنة مآواه على حسب درجاته وقال بعضهم اشار بالآية الى حالا المبتدئ فانه وقت

قصده الى الله لا ويجز له الرخصة والرفاهية خوفا من الحجاب فاذا بلغ الى مقام التصفية والمعرفة لم يحتج الى نهى النفس عن الهوى فان نفسه وجمسه وشيطانه صارت روحانية والمشتهى هناك مشتهى واحد هو مشتهى الروح فالمبتدئ مع النفس فى الاشتهاء فلذا صار من اهل النهى والمنتهى مع الرب فى ذلك ومن كان مع الرب فقد تحولت شهوته لذة حقيقية مقبولة.

٤٢

{ يسألونك } مى برسند ترا اى يا محمد

{ عن الساعة } اى القيامة

{ ايان مرساها } ارساؤها اى قامتها يريدون متى يقيمها الله ويثبتها ويكونها فأيان ظرف بمعنى متى واصله اى آن ووقت والمرسى مصدر بمعنى الارساء وهو الاثبات وهو مبتدأ وايان خبره بتقدير المضاف اذ لا يخبر بالزمان عن الحدث والتقدير متى وقت ارسائها كان المشركون

يسمعون اخبار القيامة ولاوصافها الهائلة مثل انها طامة كبرى وصاخة وقارعة فيقولون على سبيل الاستهزآء ايان مرسها.

٤٣

{ فيم أنت من ذكراها } رد وانكار لسؤال المشركين عنها واصل فيم فيما كما ان اصل عم عما وقد سبق والذكرى بمعنى الذكر كالبشرى بمعنى البشارة اى فى اىشئ أنت من ان تذكر لهم وقتها وتعلمهم به حتى يسألونك بيانها كقوله تعالى يسألونك كأنك حفى عنها اى ما أنت من ذكرها لهم وتبيين وقتها فى شئ لان ذلك فرع علمك به وأنى لك ذلك وهو مما استأثر بعلمه علام الغيوب فقوله من ذكراها فيه مضاف وصلته محذوفة وهى لهم والاستفهام للانكار وأنت مبتدأ وفيم خبره قدم عليه ومن ذكراها متعلق بما تعلق به الخبر.

٤٤

{ الى ربك منتهاها } اى انتهاه علمها ليس لاحد منه شئ ما

كائنا من كان فلاى شئ يسألونك عنها . عائشه رضى الله عنها فرموده

كه حضرت رسول عليه السلام ميخواست كه وقت آن ازخدا بيرسدحق

تعالى فرمود توازد انستن قيامت برجه جيزى يعنى علم آن حق تونيست

زنهار تانبرسى به برورد كارتست منتهاى علم قيامت يعنى كس راخبرندهد

جه اطلاع بران خاصهء حضرت برورد كارست . قال

القاشانى اى فى اى شئ أنت من علمها وذكرها وانما الى ربك ينتهى

علمها فان من عرف القيامة هو الذى انمحى علمه اولا بعلمه تعالى ثم

فنيت ذاته فى ذاته فكيف يعلمها ولا علم له ولا ذات فأين أنت وغيرك

من علمها بل لا يعلمها الا الله وحده.

٤٥

{ انما أنت منذر من يخشاها } اى وظيفتك الامتثال بما أمرت

به منى بيان اقترابها وتفصيل ما فيها من فنون الاهوال لا تعيين وقتها الذى

لم يفوض اليك فماهم يسألونك عما ليس من وظائفك بيانه اى ما أنت

الا منذر لا يعلم فهو من قصر الموصوف على الصفة او ما أنت منذر الا من يخشاها فهو من قصر الصفة على الموصوف وتخصيص من يخشى مع انه مبعوث الى من يخشى ومن لا يخشى لانهم هم المنتفعون به اى لا يؤثر الانذار الا فيهم كقوله فذكر بالقرءآن من يخاف وعيد والجمهور على ان قوله منذر من يخشاها من اضافة الصفة الى معمولها للتخفيف على الاصل لان الاصل فى السماء الاضافة والعمل فيها انما هو بالشبه ومن قرأها بالتنوين اعتبر أن الاصل فيها الاعمال والاضافة فيها انما هى للتخفيف.

٤٦

{ كأنهم } اى المنكرين وبالفارسية كوييا كفار مكه

{ يوم يرونها } روزى كه بينند قيامت راكه از آمدن آن همى برسند

{ لم يلبثوا الا عشية او ضحاها } الضحى اسم لما بين اشراق الشمس الى استوآء النهار ثم هى عشرى الى الغداة كما فى كشف الاسرار والجملة حال من الموصول فانه على تقدير الاضافة وعدمها مفعول لمنذر كأنه قيل تنذرهم مشبهين يوم يرونها اى فى الاعتقاد بمن لم يلبث بعد الانذار بها الا تلك المدة اليسيرة اى عشية يوم واحد اوضحاه اى آخر يوم او اوله لا يوما كاملا على ان التنوين عوض عن المضاف اليه فلما ترك اليوم أضيف ضحاه الى عشيته والضحى والعشية لما كانا من يوم واحد تحققت بينهما ملابسة مصححة لاضافة احدهما الى الآخرة فلذلك أضيف الضحى الى العشية فان قيل لم لم يقل الا عشية او ضحى وما فائدة الاضافة قلنا لو قيل لم يلبثوا الا عشية او ضحى احتمل أن يكون العشية من يوم والضحى من يوم آخر فيتوهم استمرار اللبث من ذلك الزمان من اليوم الاول الى الزمان الآخر من اليوم الآخر

واما اذا قيل الا عشية او ضحاها لم يحتمل ذلك البتة قال فى الارشاد واعتبار كون اللبث فى الدنيا او فى القبول لا يقتضيه المقام واما

الذى يقتضيه اعتبار كونه بعد الانذار أوبعد الوعيد تحقيقا للانذار وردا لاستبطائهم وفى الآية اشارة الى ساعة الفناء فى الله فانها امر وجدانى لا يعرفها الا من وقع فيها وهم باقون بنفوسهم الغليظة الشديدة فكيف يفهمونها بذكرها بلسان العبارة كما قيل ن لم يذق لم يعرف كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها لاتصال آخر الفناء بأول البقاء كما قال العارف الطيار قدس سره

كربقا خواهى فناى خود كزين ... اولين جيزى كه مى زايد بقاست

وفى الحديث (من قرأ سورة النازعات كان ممن حبسه الله فى القبر والقيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة مكتوبة) وهو عبارة عن استقصار مدة اللبث فيما يلقى من البشرى والكرامة فى البرزخ والموقف كذا فى حواشى ابن الشيخ رحمه الله.

سُورَةُ عَبَسَ مَكِّيَّةٌ

وَهِيَ اثْنَتَانِ وَأَرْبَعُونَ آيَةً

١

{ عبس } من الباب الثانى والعبس والعبوس ترش روى شدن يعنى ترش كرد روى خودرا محمد عليه السلام

{ وتولى } اعرض يعنى روى بكردانيد

٢

{ ان جاءه الاعمى } الضمير لمحمد عليه السلام وهو علة لتولى على رأى المبصريين لقربه منه اى تولى لأن جاءه الأعمى والعمى افتقاد البصر ويقال فى افتقاد البصيرة ايضا ولام الأعمى للعهد فيراد أعمى معروف وهو ابن ام مكتوم المؤذن الثانى لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى الأذن ولذلك قال عليه السلام (ان بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم) وكان من المهاجرين الاولين استخلفه عليه السلام على المدينة مرتين حين خرج غازيا

وقيل ثلاث مرات مات بالمدينة

وقيل شهيدا بالفارسية وهى قرية فوق الكوفة قال أنس رضى الله عنه رأيته يوم القادسية وعليه درع وله راية سودآء ويقال ليوم فتح عمر رضى الله عنه يوم القادسية فانه ظفر على العجم هناك وأخذ منهم غنائم كثيرة واختلفوا فى اسم ابن ام مكتوم فقيل هو عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهرى من بنى عامر ابن لؤى

وقيل هو عمر وبن قيس بن زآئدة بن الأصم من بنى عامر بن هلال وهوابن خال خديجة رضى الله عنها وام مكتوم اسم ام أبيه كما فى الكشاف وقال السعدى هو وهم فقد نص ابن عبد البر وغيره انها أمه واسمها عاتكة بنت عام بن مخزوم (روى) ان ابن ام مكتوم أتى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وذلك فى مكة وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وامية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء أن يسلم باسلامهم غيرهم لان عادة الناس انه اذا مال اكابرهم الى أمر مال اليه غيرهم كما قيل الناس

على دين ملوكهم فقال له يا رسول الله علمنى مما علمك الله انتفع به وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله عليه السلام بالقوم اذ السمع لا يكفى فى العلم بالتشاغل بل لا بد من الابصار على انه يجوز انهم كانوا يخفضون اصواتهم عند المكالمةاو جاء الاعمى فى منقطع من الكلام فكره رسول الله قطعه لكلامه واشتغاله به عنهم وعبس واعرض عنه فرجع ابن ام مكتوم محزونا خائفا أن يكون عبوسه واعراضه عنه انما هو لشئ انكره الله منه فنزلت.

امام زاهد فرموده كه سيد عالم صلّى الله عليه وسلّم ازعقبت او رفت واورابازكردانيده ورداى مبارك خود بكسترانيد وبران نشانيد . فكان رسول الله يكرمه ويقول اذ رآه مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى الى المنى مع بقاء المحبة ويقول له هل لك من حاجة ويقال ان رسول الله عليه السلام لم يغتنم فى عمره كغمه حين انزلت عليه سورة عبس لان فيها عتبا شديدا على مثله لانه الحبيب الرشيد ومع ذلك فلم يجعل ذلك الخطاب بينه وبينه فيكون ايسر للعتاب بل كشف ذلك للمؤمنين ونبه على فعله عباده المتقين ولذلك روى ان عمر ابن الخطاب رضى الله

عنه بلغه ان بعض المنافقين يؤم قومه فلا يقرأ فيهم الا سورة عبس فارسل

اليه فضرب عنقه لما استدل بذلك على كفره ووضع مرتبته عنده وعند

قومه قال ابن زيد لو جاز له أن يكتم شيأ من الوحى لكان هذا وكذا

نحو قوله لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضاة ازواجك ونحو قوله امسك

عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله

أحق أن تخشاه وكان ما فعله عليه السلام من باب ترك الاولى فلا يعد

ذنبا لان اجتهاده عليه السلامكان فى طلب الاولى والتعرض لعنوان عماه

مع ان ذكر الانسان بهذا الوصف يقتضى تحقير شأنه وهو ينافى تعظيمه

المفهوم من العتاب على العبوس فى وجهه اما لتمهيد عذره فى الاقدام على

قطع كلامه عليه السلام للقوم والايذان باستحقاقه الرفق والرأفة لا الغلظة

واما لزيادة الانكار فان أصل الانكار حصل من دلالة المقام

كأنه قيل تولى لكونه أعمى وهو لا يليق بخلقه العظيم كما ان الالتفات فى

قوله تعالى

٣

{ وما يدريك } لذلك فان المشافهة أدخل فى تشديد العتاب

كمن يشكو الى الناس جانيا جنى عليه ثم يقبل على الجانى اذا حمى فى

الشكاية مواجها له بالتوبيخاى واى شيئ يجعلك داريا وعالما بحاله

ويطلعك على باطن امره حتى تعرض عنه اى لا يدريك شئ فتم الكلام

عنده فيوقف عليه وليس ما بعده مفعوله بل هو ابتدآء كلام وقال الامام

السهيلى رحمهالله انظر كيف نزلت الآية بلفظ الاخبار عن الغائب فقال

عبس وتولى ولم يقل عبست وتوليت وهذا شبيه حال الغائب المعرض ثم

أقبل عليه بمواجهة الخطاب فقال وما يدريك علما منه تعالى انه لم يقصد

بالاعراض عنه الا الرغبة فى الخير ودخول ذلك المشرك فى الاسلام وهو

الوليد أو أمية وكان مثله يسلم بالسلامه بشر كثير فكلم نبيه عليه

السلام حين ابتدار الكلام بما يشبه كلام المعرض عنه العاتب له ثم واجهه

بالخطاب تأنيسا له عليه السلام بعد الايحاش فانه قيل ان ابن أم مكتوم

كان قد اسلم وتعلم ما كان يحتاج اليه من امور الدين

واما اولئك الكفار فما كانوا قد اسلموا وكان اسلامهم سببا لاسلام جمع عظيم فكلامه فى البين سبب لقطع ذلك الخير العظيم لغرض قليل وذلك محرم والا هم مقدم على المهم فثبت بهذا ان فعل ابن أم مكتوم كان ذنبا ومعصية وما فعله النبي عليه السلام كان واجبا فكيف عاتب الله على ذلك قيل ان الامر وان كان كما ذكر الا ان ظاهر ما فعله الرسول عليه السلام يوهم تقديم الاغنياء على الفقرآء وقلة المبالاة بانكسار قلوب الفقرآء وهو لا يليق بمنصب النبوة لانه ترك الافضل كما اشير اليه سابقا فلذا عاتبه الله تعالى

{ لعله } اى الاعمى

{ يزكى } بتشديدين اصله يتزكى اى يتطهر بما يقتبس منك من اوضار الاوزار بالكلية وكلمة لعل مع تحقق التزكى وارد على سنن الكبرياء فان لعل فى كلام العظماء يراد به القطع والتحقيق او على اعتبار معنى الترجى بالنسبة اليه عليه السلام للتنبيه على ان الاعراض عنه عند كونه

مرجوا التزكى مما لا يجوز فكيف اذا كان مقطوعا بالتزكى كما فى قولك لعلك ستندم على ما فعلت

٤

{ او يذكر } بتشديدين ايضا اصله يتذكر والتذكر هو الاتعاظ يعنى باخودبند كير

{ فتنفعه الذكرى } اى فتنفعه موعظتك ان لم يبلغ درجة التزكى التام وفى الكشاف المعنى انك لا تدرى ما هو مترقب منه من تزكى او تذكر ولو دريت لما فرط ذلك منك انتهى اشار الى ان قوله يزكى من باب التخلية عن الآثام وقوله او يذكر من باب التحلية ببعض الطاعات ولذا دخلت كلمة الترديد فقوله او يذكر عطف على يزكى داخل معه فى حكم الترجى وقوله فتنفعه الذكرى بالنصب على جواب لعلع تشبيها له بليت وفيه اشارة الى أن من تصدى لتزكيتهم من الكفرة لا يرجى منهم التزكى والتذكر اصل واشعار بأن اللائق بالعلم أن يقصد بتعليمه تزكية

متعلمه ولا ينظر الى شبحه وصورته كما ينظر العوام وبالمتعلم أن يريد بتعلمه تزكية نفسه عن ارجاس الضلالة وتطهير قلبه من أدناس الجهالة لا احكام الدنيا الدنية.

٥

{ اما } للتفضيل

{ من استغنى } عن الايمان وعما عندك من العلوم والمعارف التى ينطوى عليها القرءآن.

٦

{ فأنت له تصدى } بحذف احدى التاءين تخفيفا اى تتصدى وتتعرض بالاقبال عليه والهتمام بارشاده واستصلاحه دون الاعمى وفيه مزيد تنفير له عليه السلامعن صاحبتهم فان الاقبال على المدبر ليس من شيم الكرام والتصدى للشئ التعرض والتقيد به والاهتمام بشأنه وضده التشاغل عنه وفى المفردات التصدى ان يقابل الشئ مقابلة

الصدى اى الصوت الراجع من الجبل وفى كشف الاسرار التصدى التعرض للشئ على حرص كتعرض الصديان للماء اى العشطان وعن بعضه م اصل تصدى تصدد من الصدد وهو ما استقبلك وجاء قبالتك فأبدل احدا لا مثال حرف علة.

٧

{ وما عليك أن لا يزكى } اى وليس عليك بأس ووزر ووبال فى أن لا يتزكى ذلك المستغنى بالاسلام حتى تهتهم بأمره وتعرض عمن أسلم ان عليك الا البلاغ وكيف تحرض على الاسلام من ليس له قابلية وقد خلق على حب الدنيا والعمى عن الآخرة وفيه استهانة لمن اعرض عنه فما نافية وكلمة فى المقدرة متعلقة باسم ما وهو محذوف والجملة حال من ضمير تصدى مقررة لجهة الانكار.

٨

{ واما من جاءك يسعى } اى حال كونه مسرعا طالبا لما عندك من احكام الرشد وخصال الخير.

٩

{ وهو } والحال انه

{ يخشى } الله تعالى او يخشى الكفار وأذا هم اتيانك قال سعدى المفتى الظاهر أن النظم من الاحتباك ذكر الغنى اولا للدلالة على الفقر ثانيا والمجيئ والخشية ثانيا للدلالة على ضدهما اولا.

١٠

{ فأنت عنه تلهى } بحذف احدى التاءين تخفيفا اى تتلهى وتتشاغل من لهى عن الشيئ بكسر الهاء يلهى لهيا اعرض عنه لا من لهوت بالشيئ بالفتح ألهو لهوا اذا لعبت به لان الفعل مسند الى ضمير النبى ولا يليق بشأنه الرفيع أن ينسب اليه التفعل من اللهو بخلاف الاشتغال عن الشيئ لمصحلة وفى بعض التفاسر ولو أخذ من اللهو وجعل التشاغل بأهل

التغافل من جنس اللهو واللعب لكونه عبثا لا يترتب عليه نفع لم يخل عن وجه انتهى وفيه انه يلزم منه أن يكون الاشتغال بالدعوة عبثا ولا يقول به المؤمن وذلك لانه لا يجوز للنبى عليه السلام التشاغل بأهل التغافل الا بطريق التبليغ والارشاد فكيف لا يترتب عليه نفع وفى تقديم ضميره عليه السلام وهو أنت على الفعلين تنبيه على ان مناط الانكار خصوصيته عليه السلام أى مثلك خصوصا لا ينبغى ان يتصدى للمستغنى ويتلهى عن الفقير الطالب للخير وفى تقديم له وعنه للتعريض باهتمامه عليه السلام بمضمونها تنبيه حيث افادت القصة ان العبرة بالارواح والاحوال لا بالاشباح والاموال والعزيز من اعزه الله بالايمان والطاعة وان كان بين الناس ذليلا والذليل من اذله الله بالكفر والمعصية وان كان بين الناس عزيزا روى انه عليه السلام ما عبس بعد ذلك فى وجه فقير قط ولا تصدى لغنى وكان الفقرآء فى مجلسه عليه السلام امرآء يعنى كان يحترمهم كل الاحترام وفيه تأديب للصغير بالكبير فحملة الشرع والعلم والحكام مخاطبون فى تقريب

الضعيف من اهل الخير وتقديمه على الشريف العارى عن الخير بمثل ما خوطب به النبى عليه السلام فى هذه السورة

قال بعضهم بين الله درجة الفقر وتعظيم اهله وخسة الدنيا وتحقيرا اهلها فصح الاشتغال بصحبة الفقرآء لان فيما نعت الصدق والتجرد فالصحبة معهم فدية بخلاف الاشتغال بصحبة الاغنياء اذ ليس فيهم ذلك فالصحبة معهم ضائعة وفى الحديث (من تحامل على فقير لغنى فقد هدم ثلث دينه) يقال تحاملت على الشئ اذا تكلفت الشئ على مشقة وتحامل فلان على فلان اذا لم يعدل وقال بعض الاكابر انما كان صلّى الله عليه وسلّم يتواضع لاكابر قريش لان الاعزآء من الخلائق مظاهر العزة الالهية فكان تقديمهم على الفقرآء من أهل الصفة ليوفى صفة الكبرياء حقها اذا لم يشهد لها مشاركا ولكن فوق هذا المقام ما هو اعلى منه وهو ما امره الله به آخرا بعدما صدر سورة عبس فى قوله واصبر نفسك مع الين يدعون ربهم بالغداة والعشى الآية فأمره بأن لا يشهده فى شئ دون شئ للاطلاق

الذى هو الحق عليه كما قال جعت فمل تطعمنى وظمئت فلم تسقنى الحديث كما فى الجواهر للشعرانى.

١١

{ كلا } انزجر من التصدى للمستنغنى والاعراض عن ارشاد المسترشد قال الحسن لما تلا جبرآئيل هذه الآيات على النبى عليه السلام عاد وجه كأنما استف فيه الرماد اى تغير كأنما ذر عليه الرماد ينتظر ما يحكم الله عيله فلما قال كلاسرى عنه والتسرية اندوه رابردن . اى لا تفعل مثل ذلك فانه غير لائق بك

{ انها } اى القرءآن والتأنيث باعتبار الخبر وهو قوله

{ تذكرة } اى موعظة يجب ان يتعظ بها ويعمل بموجبها.

١٢

{ فمن } بس هركه

{ شاء ذكره } اى القرءآن اى حفظه ولم ينسه او اتعظ به ومن رغب عنه كما فعله المستغنى فلا حاجة الا الاهتمام بأمره.

١٣

{ فى صحف } جمع صحيفة وكل مكتوب عند العرب صحيفة وهو متعلق بمضمر هو صفة لتذكرة وما بينهما اعتراض بين الصفة والموصوف جيئ به للتغريب فيها والحث على حفظها اى كائنة فى صحف منتسخة من اللوح او خبر ثان لان فالجملة معترضة بين الخبرين والسجاوندى على انه خبر محذوف اى وهى فى صحف حتى وضع علامة الوقف اللازم على ذكره هربا من ايهام تعلقة به وهو غير جائز لان ذكر من شاء لا يكون فى صحف

{ مكرمه } عند الله لكونها صحف القرآن المكرم.

١٤

{ مرفوعة } اى فى السماء السابعة او مرفوعة المقدار والذكر فانها فى المشهور موضوعة فى بيت العزة فى السماء الدنيا

{ مطهرة } منزهة عن مساس ايدى الشياطين.

١٥

{ بايدى سفرة } كتبة من الملائكة ينتسخون الكتب من اللوح على انه جمع سافر من السفر وهو الكتب اذ فى الكتابة معنى السفراى الكشف والتوضيع والكتاب سافر لانه يبين الشيئ ويوضحه وسمى السفر بفتحتين سفرا لانه يسفر ويكشف عن اخلاف المرء قالوا هذه اللفظة مختصة بالملائكة لا تكاد تطلق على غيرهم وان جاز الاطلاق بحسب اللغة والباء متعلقة بمطهرة فقال اقفال فى وجه لما لم مسها الا الملائكة المطهرون أضيف التطهير اليها لطهارة من يمسها وقال القرطبى ان المراد فى قوله تعالىلا يمسه الا المطهرون هؤلاء السفرة الكرام البررة والظاهر أن تكون فى محل الجر على انها صفة لصحف اى فى صحف كائنة بأيدى

سفرة او مكتوبة بأيدسفرة ومن هذا وقف بعضهم على مطرهة وقفا لازما هربا من توهم تعلق الباء به.

١٦

{ كرام } عند الله بالقرب والشرف فهو من الكرامة جمع كريم او متعطفين على المؤمنين يستغفرون لهم فهو من الكرم ضد اللؤم وقال ابن عطاء رحمه الله يريد انهم يتكرمون أن يكونوا مع ابن آدم اذا خلا مع زوجته للجماع وعند قضاه الحاجة يشير الى انهم هم الملائكة الموصوفون بقوله كراما كاتبين وفيه تأمل

{ بررة } اتقياء لتقدسها عن المواد ونزاهة جواهرها عن التعلقات او مطيعين الله من قولهم فلان يبر خالفه اى يطيعه او صادقين من بر فى يمينه جمع بار مثل فجرة جمع فاجر.

١٧

{ قتل الانسان } دعاء عليه بأشنع الدعوات فان القتل غاية شدآئد الدنيا وأفظعها ومن فسر اقتل باللعن أرد به الاهلاك الورحانى فانه اشد العقوبات وهوبالفارسية لعنت كرده باد انسان يعنى كافر . وفى عين المعانى عذب

{ ما اكفره } ما اشد كفره بالله مع كثرة احسانه اليه وبالفارسية جه كافر ترين خلقست . تعجب من افراطه فى الكفران اى على صورته فان حقيقة التعجب انما تتصور من الجاهل بسبب ما خفى من سبب الشئ والذى أحاطه علمه بجميع المعلومات لا يتصور منه ذلك فهو فى الحقيقة تعجب من الله لخلقه وبيان لاستحقاقه للدعاء عليه اى اعجبوا من كفره بالله ونعمه مع معرفته بكثرة احاسنه اليه وادعوا عليه بالقتل واللعن ونحو ذلك لاستحقاقه لذلك

قال بعضهم لعن الله الكافر وعظم كفره حيث لم يعرف صانعه ولم يعرف نفسه التى لو عرفها عرف صانعها وقال ابن الشيخ هذا الدعاء وارد على اسلوب كلام العرب فهو ليس من قبيل دعاء من يعجز عن انتقام

من يسوءه وكذا هذا التعجب ليس على حقيقته لانه تعالى منزه عن العجز والجهل بل المقصود بايراد ما هو فى صورة الدعاء الدلالة على سخطه العظيم والتنبيه على انه استحق اهول العقوبات وانعها وبايراد صيغة التعجب الذم ابليغ له من حيث ارتكابه اقبح القبائح ولا شك ان السخط يجوز من الله وكذا الذم ويجوز أن يكوم ام اكفره استفهاما بمعنى التقريع والتوبيخ اى اى شئ حمله على الكفر والمراد من الانسان اما من استغنى عن القرءآن المذكور نعوته

واما الجنس باعتبار انتظامه له ولا مثاله من افراده لا باعتبار جمع افراده.

١٨

{ من اى شئ خلقه } اى من اى شئ حقير مهين خلقه يعنى نمى انديشدكه خداى تعالنزجه جيز بيافريد اورا . ثم بينه بقوله

١٩

{ من نطفة } قذرة

{ خلقه } فمن كان اصله مثل هذا الشئ الحقير كيف يليق به التكبر والتجبر والكفران بحق المنعم الذى كسا ذلك الحقير بمثل هذه الصورة البهية وقف السجاوندى على قوله من نطفة حتى وضع عليه لامة الوقف المطلق بتقدير خلقه آخر بدلالة ما قبله وجعل قوله خلقه فقدره جملة اخرى استئنافية لبيان كيفية الخلق واتمامه من انعامه ومن جعل متعلقا بما بعده على ما هو الظاهر لم يقف عليه

{ فقدره } فهيأه لما يصلح له ويليق به من الاعضاء والاشكال اى احدثه بمقدار معلوم من الاعضاء والاشكال والكمية والكيفية فجعله مستعدا لان ينتهى فيها الى القدر اللائق بمصلحته فلا يلزم عطلف الشئ على نفسه وذلك ان خلق الشئ ايضا تقديره واحداثه بمقدار معلوم من الكمية والكيفية وبالفارسية بس انداره او بديد كرد ازعاضا واشكال وهيئات دربطن ما دره او فقدره اطوار الى ان تم خلقه فالتقدير المنفرع على الخلق مأخوذ من القدر بمعنى الطور أى او جده على

التقدير الاولى ثم جعل ذا اطوار من علقة ومضغة الى آخر اطواره ذكرا او انثى شقيا او سعيدا

قال بعضهم وعلى الوجهين فالفاء للتفصيل فان التقدير يتضمنه على المعنيين.

٢٠

{ ثم السبيل يسره } منصوب بمضمر يفسره الظاهر اى سهل مخرجه من البطن بأن فتح فم الرحمن وكان غير مفتوح قبل الولادة وألهمه ان ينتكس بأن ينقلب ويصير رجله من فوق ورأسه من تحت ولولا ذلك لا يمكنها ان تلد ويسر له سبيل الخير والشر فى الدين ومكنه من السلوك فيهما وذلك بالاقدار والتعريف له بما هو نافع وضار والعقل وبعثة الانبياء وانزال الكتب ونحو ذلك وتعريف السبيل باللام دون الاضافة بأن يقال سبيله للاشعار بعمومه لانه عام للانس والجن على المعنى الثانى وللحيوانات ايضا على المعنى الاول قال ابن عطاء رحمه

الله يسر على من قدر له التوفيق طلب رشده واتباع نجاته وقال أبو بكر بن طاهر رحمه الله يسر على كل احد ما خلقه له وقدره عليه.

٢١

{ ثم اماته } اى قبض روحه عند تمام اجله المقدر المسمى

{ فأقبره } اى جعله فى قبر يوارى فيه تكرمة له ولم يدعه مطروحا على وجه الارض جزرا اى قطعا للسباع والطير كسائر الحيوان قال فى كشف الاسرار لم يجعله مما يطرح للسباع او يلقى للنواويس والقبر مما اكرم به المسلمون انتهى يقال قبر الميت اذا دفنه بيده والقابر هو الدافن والقبر هو مقر الميت وأقبره اذا امر بدفنه او مكن منه فالمقبر هو الله لانه الآمر بالدفن فى القبور قال فى المفرات اقبرته جعلت له مكانا يقبر فيه نحو أسقيته جعلت له ماء يستقى منه

وقيل معناه ألهم كيف يدفن انتهى (وفى المثنوى)

كندن كورى كه كمتر بيشه بود ... كى زمكر ويحله والديشه بود

جمله حرفتها يقين ازوحى بود ... اول اوليك عقل آنرا فزود

وعدا لاماتة من النعم بالنسبة الى المؤمن فان بالموت يتخلص من سجن الدنيا وايضا ان شأن الموت ان يكون تخلفة ووصلة الى الحياة الابدية والنعيم المقيم وانما كان مفتاح كل بلاء ومحنة فى حق الكافر من سوء اعتقاده وسيئات اعماله وفى بعض التفاسير ذكر الاماتة اما لانها مقدمة الاقبار

واما للتخويف والتذكير بأن الحياة الدنيوية فانية آخرهالموت

وعن الشافعى رحمه الله

فلا تمشين فى منكب الارض فخارا ... فعما قليل يحتويك ترابها

واما الحث على الاستعداد

واما رعاية المقابلة بينه وبين النشره تنبيها على كمال قدرته وتمام حكمته.

٢٢

{ ثم اذا شاء انشره } اى اذا شاء انشاره واحياءه وبعثه انشره

واحياه وبعثه وفى تعليق الانشاء بمشيئته له ايذان بأان وقته غير متعين فى

نفسه بل هو تابع لها بخلاف وقت الموت فانا نجزم بأن احدا من ابناء

الزمان لا يتجاوز مائة وخمسين سنة مثلا وليس لاحد مثل هذا الجزم فى

النشور هكذا قالوا وفيه ان الموت ايضا له سن معلوم واجل محدود فكيف

يتعين فى نفسه ويجزم بوقوعه فى سن كذا بحيث لا يكون موكولا الى مجرد

مشيئته تعالى ولعلع تقييد الانشار بالمشيئة لا ينافى تقييد الموت بها ايضا

اذا لا يجرى عليه تعالى زمان وانه من مقدمات القيامة ولذا قال عليه

السلام (من مات فقد قامت قيامته) اى لاتصال زمان الموت بزمان

القيامة فهو قيامة صغرى مجهولة كالقيامة الكبرى وفيه اشارة الى ان الميت

ان كان من اهل السعادة فانشاره من قبور اهل السعادة وان كان مدفونا

فى قبور اهل اشقاوة وان كان من اهل الشقاوة فانشاره من قبور اهل

الشقاوة وان كان مدفونا فى قبور اهل السعادة ولذا قال صاحب المشارق

فى خطبة كتابه ثم اذا شاء منها اشنره اى من مكة فان من دفن بمكة ولم

يكن لائقا بها تنقله الملائكة الى موضع آخر وفى الحديث (من مات من امتى يعمل عمل قوم لوط نقله الله اليهم حتى يحشر معهم) وفى حديث آخر (من مات وهو يعمل عمل قوم لوط سار به قبره حتى يصير معهم ويحشر يوم القيامة معهم) كما فى الدرر المنتثرة للامام السيوطى رحمه الله وحكى ان شخصا كان يقال له ابن هيلان من المبالغين فى التشيع بحيث يفضى الى ما يستقبح فى حق الصحابة مع الاسراف على نفسه بينما هو يهدم حائطا اذ سقط فهلك فدفن بالبقيع فلم يوجد ثانى يوم الدفن فى القبر الذى دفن به ولا التراب الذى ردم به القبر بحيث يستدل بذلك لنبشه وانما وجدوا للبن على حاله حسبنا شاهده الجم الغفير حتى كان ممن وقف عليه القاشى جمال الدين وصار الناس يجيئون لرؤيته أرسالا الى ان اشتهر امره وعد ذلك من الآيات التى يعتبر بها من شرح الله صدره نسأل الله السلام وحكى ايضا ان محمد بن ابراهيم المؤذن حكى عنه انه حمل ميتا فى ايام الحاج ولم يوجد من يشاهده عليه غير شخص قال فحملناه ووضعناه فى اللحد ثم ذهب الرجل وجئت أنا باللبن لاجل اللحد فلم اجد

الميت فى اللحد فذهبت وتركت القبر على حاله ونقل ان بعض الصلحاء

ممن لم يمت بالمدينة رؤى فى النوم وهو يقول للرآئى سلم على اولادى وقل

لهم انى قد حملت ودفنت بالبقيع عند قبر العباس فاذا أرادوا زيارتى فيقفوا

هناك ويسلموا ويدعوا كذا فى المقاصد الحسنة للسخاوى وفى الآية اشارة

الى ان الانسان ما كان له ان يكفر لان الله خلقه من نطلفة الوجود المطلق

وهيأه لمظهرية ذاته وصفاته واسمائه ثم سهل عليه سبيل الظهور بمظاهر

الاسماء الجمالية والجلالية ثم اماته عن انانيته فأقبره فى قبر الفناء عن رؤية

الفناء ثم اذا شاء انشره بصورة البقاء بعد الفناء فعلى العبد ان يعرف قدر

النعمة ولا يظهر بالعجب والغرور بأن يدعى لنفسه ما كان لله من

الكمالات كالعلم والقدرة والارادة ونحوها.

٢٣

{ كلا } ردع للانسان عما هو عليه وجعله

السجاوندى بمعنى حقا ولذا لم يقف عليه بل على امره فانه اذا

كان بمعنى حقا يكون تابعا لما بعده

{ لما يقض ما امره } قال فى بعض التفاسير ما فى لما صلة دخلت للتأكيد كقوله فيما رحمة من الله فلما بمعنى لم وليس فيه معنى التوقع وفى ما امره موصولة وعائده يجوز أن يكون محذوفا والتقدير ما امره به فحذف الجار اولا فبقى ما امره هو ثم حذف الهاء العائدة ثانيا ويجوز أن يكون باقيا على ان المحذوف من الهاءين هو العائد الى الانسان والباقى هو العائد الى الموصول فاعرف وقس عليه امثاله اى لم يقض الانسان ما امره بالله به من الايمان والطاعة ولم يؤد ولم يعرف ولم يعمل به وعدم القضاء محمول على عموم النفى اما على ان المحكوم عليه هو المستغنى او هو الجنس لكن لا على الاطلاق بل عى ان مصداق الحكم بعدم القضاء بعض افراده وقد اسند الى الكل فلا شياع فى اللام بحكم المجانسة

واما على ان مصداقه الكل من حيث هو كل بطريق رفع الايجاب الكلى دون السلب الكلى فالمعنى لما يقض جميع افراده ما امره بل اخل به بعضها بالكفر والعصيان مع أن مقتضى ما فصل من فنون النعماء الشاملة للكل ان لا يتخلف عنه احد اصلا . وكفته اند مراد همه آدميانند از آدم

تابااين غايت وهركز هيج آدمى از عهدهء حقوق اداى اوامر الهى كما ينبغى بيرون نيايد ونتوان آمد

بنده همان به كه زتقصير خويش ... عذر بدر كاه خداى آورد

ورنه سزاور خداوند يش ... كش نتواندكه بجاى آورد

وفى التأويلات النجمية كلا لما يقض ما امره من الاتيان مبواجب حقوقنا من الظهور بحقائق اسمائنا والقيام بفضائل صفاتنا.

٢٤

{ فلينظر الانسان الى طعامه } شروع فى تعداد النعم المتعلقة ببقائه بعد تفصيل النعم المتعلقة بحدوثه اى فلينظر الانسان الى طعامه الذى عليه يدور امر معاشه كيف دبرناه وقال ابن عباس رضى الله عنهما فلينظر الانسان الى طعامه ليعلم خسه قدره وفناء عمره وفى الحديث (ان مطعم ابن آدم جعله الله مثلا للدنيا وان قزحه وملحه فانظر الى ماذا يصير

) يقال قزح القدر جعل التابل فيها وهو كصاحب وهاجرا بزار الطعام ومِلحها جعل الملح فيها.

٢٥

{ انا صببنا } انزلنا انزالا وافيا من السحاب

{ الماء } اى الغيث وهو المطر المحتاج اليه بدل اشتمال من طعامه لان الماء سبب لحدوث الطعام فالثانى مشتمل على الاول اذ لا يلزم فيه ان يكون المبدل منه مشتملا على البدل فحيئذ العائد محذوف والتقدير صببنا له

{ صبا } عجيبا.

٢٦

{ ثم شققنا الارض } بالنبات ولما كان الشق بعد الصب اورد كلمة ثم والشق بالفارسية شكافتن

{ شقا } بديعا لائقا بما يشقها من النبات صغرا وكبرا وشكلا وهيئة.

٢٧

{ فأنبتنا فيها } اى فى الارض المشقوق بالنبات والفاء للتعقيب

{ حبا } فان انشقاق الارض بالنبات لا يزال يتزايد ويتسع الى ان يتكامل النمو وينعقد الحب والحب كل ما حصد من نحو الحنطة والشعير وغيرهما وهو جنس الحبة كالتمر والتمرة فيشمل القليل والكثير قدمه لانه الاصل فى الغذاء.

٢٨

{ وعنبا } عطف على حبا وليس من لوازن العطف ان يقيد المعطوف بجميع ما قيد به المعطف عليه فلا ضمير فى خلو انبات النب عن شق الارض وكذا فى امثاله كذا قال فى الارشاد لعل شق الارض فيه باعتبار اصله اول خروجه منها فان المراد هنا شجرة العنب وانما ذكره

الزيتون باسم الثمرة لشهرتهما بها ووقعوه كل منهما بعد ما يؤكل نفسه فاعرف وأفرد العنب بالذكر من بين الثمار لانه فاكهة من وجه يتلذذ به وطعام من وجه يتغذى به وهو من اصلح الاغذية

{ وقضبا } اى رطبة وهى نبات يقال له الفصفصة وبالفارسية اسبست ومعربه الاسفست . سميت بمصدر قضبه اى قطعه مبالغة كانها لتكرر قطعها وتكثره اذا تقضب مرة بعد اخرى فى السنة نفس القطع وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه الرطب افراد بالذكر تنبيها على اختلاف النباتات وان منها ما اذا قطع عاد ومنها ما لا يعود والقت حب الغاسول وهو الاشنان

وقيل هو حب يابس اسود يدفن فيلين قشره ويطحن ويخبز يقتاته اعراب طى وبعضهم هو كل ما يؤكل رطبا كالبطيخ والخيار والباذنجان والدباء.

٢٩

{ وزيتونا } هو ما يعصر منه الزيت والمراد شجرته وتعمر ثلاث آلاف سنة خصه بالذكر لكثرة فوآئده خصوصا لاهالى بلاد العرب فانهم ينتفعون به اكلا وادهانا واستضاءة وتطهرا فانه يجعل فى الصابون وكان عليه السلام يتطيب به فى الاوقات

{ ونخلا } وهو شجر التمر جمع نخلة والرطب والتمر من أنفع الغذآء وفى العجوة خاصية دفع السم والسحر وشجرته من فضله طينة آدم عليه السلام كما سبق مفصلا.

٣٠

{ وحدآئق غلبا } جمع حديقة وهى وهى الروضة ذات الشجرأ والبستان من النخل والشجر او كل ما احاط به البناء او القطعة من النخل كما فى القاموس وهى هنا من قبيل التعميم بعد التخصيص والغلب جمع اغلب كحمر جمع احمر أو حمرآء مستعار من وصف الرقاب يقال الرجل اغلب واسد اغلب اى غليظ العنق فالمعنى وحدآئق عظاما وصف

به الحدآئق لتكاثفها وكثرة اشجارها اولا بها ذات اشجار غلاظ فعلى الاول الاستعارة معنوية وعلى الثانى مجاز مرسل فان اريد من غلظ العنق والرقبة مطلق الغلظ بطريق اطلاق المقيد وارادة المطلق كاطلاق المرسن على الانف واجرى على الحدآئق وصفا لها بحال متعلقها وهو الاشجار سمى استعارةبناء على اللغة وفى كشف الاسرار الغلب من الشجر التى لا تثمر كالشمار والارز والعرعر والدرداء.

٣١

{ وفاكهة } كثيرة غير ما ذكر والعنب والرمان والرطب من الفواكه عند الامامين لا عند الاعظم لان العطف يقتضى المغايرة والظاهر ان مراد الاعظم ان نحو العنب والرطب لكونه مما يؤكل غذآء يحقق القصور فى معنى التفكه به اى التنعم بعد الطعام وقبله فلا يناوله اسم الفاكهة على الاطلاق حتى لوحلف لا يأكل فاكهة لا يحنث بأكله لكونه غذآء من وجه وان كان فاكهة من وجه آخر وعطل الفاكهة عليه لا ينافى كونه فاكهة من وجه لان المراد بالفاكهة المعطوفة ما هو فاكهة من كل وجه ولا

يخفى ان الفاكهة من كل وجه مغايرة لما هو فاكهة من وجه دون وجه فيصح عطفها عليه او عطفه عليها كما فى مواضع من القرءآن

{ وأبا } اى مرعى من أبه اذا امه اى قصده لانه يؤم ويقصد جزه للدواب او من أب لكذا اذا تهيأ له لانه متهيئ لرعى وأب الى وطنه اذا نزع اليه نزوعا تهيأ لقصده وكذا أب لسيفه اذ تهيأ لسله وابان ذلك فعلان منه وهو الزمان المتهيئ لفعله ومجيئه او الأب الفاكهة اليابسة تؤب للشتاء اى تعد وتهيأ وهو الملائم لما قبله وفى الحديث (خلقتم من سبع ورزقتم من سبع فاسجد والله على سبع) أراد بقوله خلقتم من سبع يعنى من نطفة ثم من علقة الخ وهى التارات السبع وبقوله رزقتم من سبع قولهحبا وعنبا الى أبا لعل الحدآئق خارجة عن الحساب لانها منابت تلك المرزوقات وبقوله فاسجدوا على سبع الاعضاء السبعة وهى الوجه واليدان والركبتان والرجلان.

٣٢

{ متاعا لكم ولأنعامكم } مفعول له اى فعل ذلك تمتيعا لكم والمواشيكم فان بعض النعم المعدودة طعام لهم وبعضها علف لدوابهم وللالتفات لتكميل الامتنان وفى الآية اشارة الى حب المحبة الذاتية وخمير المحبة الصافية المتخذة من عنب الصفات وخمر المحبة الافعالية المتخذة من رطب وزيتون المعرفة ونخل التوحيد العالى من ان يصل اليه كل مدع كذاب وفاكهة الوجدانيات والذوقايات وحدآئق الشوق والاشتياق والود والتجريد ونحوها وأب مراعى الشهوات الحيوانية فبعض هذه النعم الشريفة مخصوص بالخواض كالارواح والاسرار والقلوب وبعضها بالعوام كالنفوس البشرية والقوى الطبيعية العنصرية.

٣٣

{ فاذا جاءت الصاخة } شروع فى بيان احوال معادهم اثر بيان مبدأ خلقهم ومعاشهم والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها من فناء النعم عن قريب كما يشعر لفظ المتاع بسرعة زوالها وقرب اضمحلالها وجواب اذا محذوف يدل عليه يوم يفر الخ اى استغل كل احد

بنفسه والصاخة هى الداهية العظيمة التى يصخ لها الخلائق اى يصيخون لها من صخ لحديثه اذا أصاخ واستمع وصفت بها النفخة الثانية لان الناس يصخون لها فى قبورهم فاسند الاستماع الى المسموع مجازا

وقيل هى الصيحة التى تصم الآذان لشدة وقعها

وقيل هى مأخوذة من صخه بالحجر أى صكه فتكون الصاخة حقيقة فى النفخة.

٣٤

{ يوم يفر المرء } روزى كه بكريزد مرد

{ من أخيه } ازبرادر خودباوجود موانست ومهربانى.

٣٥

{ وامه } واز مادر خود باكثرت حقوق كه او راست

{ وأبيه } واز بدر خود باجود شفقت وعاطفت كه از وديده.

{ وصاحبته } واز زن خودبا آنكه مونس روزكاراو بوده

{ وبنيه } وازفرزندان خود باخيال استظهار بديشان اى يعرض الانسان عنهم ولا يصاحبهم ولا يسأل عن حالهم كما فى الدنيا لاشتغاله بحال نفسه ولعلمه انهم لا يغنون عنه شيأ فقوله يوم منصوب بأعنى تفسيرا للصاخة وتأخير الا حب للمبالغة لان الابوين أقرب من الاخ وتعلق القلب الصاحبة والاولاد اشد من تعلقه بالابوين وهذه الآية تشمل النساء كما تشمل الرجال ولكنها خرجت مخرج كلام العرب حيث تدرج النساء فى الرجال فى الكلام كثيرا قال عبد الله بن طاهر الاهبرى قدس سره يفر منهم اذا ظهر له عجزهم وقلة حيلتهم الى من يملك كشف تلك الكروب والهموم عنه ولو ظهر له ذلك فى الدنيا لما اعتمد على سوى ربه الذى لا يعجزه شئ وتمكن من فسحه التوكل واستراح فى ظل التفويض وفى الآية اشارة الى فرار مرء القلب عن أخيه السر وامه النفس وأبيه الروح وصاحبته القوى البشرية وبنيه الاعمال والاحوال لان فى ذلك اليوم لا

يتخلص احد بعلمله بفضله وطوله كما قال عليه السلام (لن يدخل احدكم الجنة بعمله) قالوا ولا أنت يا رسول الله قال (ولا أنا الا ان يتغمدنى الله بغفرانه)

٣٧

{ لكل امرئ منه يومئذ شأن يغنيه } استئناف وارد لبيان سبب الفرار والشأن لا يقال الا فيما يعظم من الاحوال والامور اى لكل واحد من المذكورين شغل شاغل وخطب هائل يكفيه فى الاهتمام به قال ابن الشيخ اى الهم الذى حصل له قد ملأ صدره فلم يبق فيه متسع فصار بذلك شبيها بالغنى فى انه ملك شيأ كثيرا ودر باب مشغولئ قيامت فريد الدين عطارقدس سره حكايتى منظوم است

كشتئ آورد در جريا شكست ... تختهء زان جمله بر بالا نشتس

كربه وموشى دران تخته بماند ... كارشان بايكدكر بخته بماند

نه ذكر به موشى را روى كريز ... نه آن كربه راجنكال تيز

هردوشان ازهول دریای عجب ... در تحیر بازمانده خشك لب

درقيامت نيز ابن غوغا بود ... يعنى آنجانى توونى ما بود

وفى الخبر ان عائشة رضى الله عنهما قالت يا رسول الله كيف يحشر الناس قال حفاة عراة قالت وكيف تحشر النساء قال (حفاة عراة) قالت عائشة واسوأتاه النساء مع الرجال حفاة عراة فقرأ رسول الله عليه السلام هذه الآية لكل امرئ الخ

واما الفرار حذرا من مطالبتهم بالتبعات بأن يقول الانسان واسيتنى بمالك والابوان قصرت فى برنا والصحابة اطعمتنى الحرام وفعلت وصنعت والبنون ما علمتنا وما ارشدتنا او بغضا لهم كما يروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان يقبل قابيل من أخيه هابيل ويفر النبى من امه وابراهيم من أبيه ونوح من ابنه ولوط من امرأته فليس من قبيل الفرار المذكور وكذا ما يروى ان الرجل يفر من اصحابه واقربائه لئلا يروه على ما هو عليه من سوء الحال قال بعض المشايخ من كان اليوم مشغولا بنفسه فهو غدا

مشغول بنفسه ومن كان اليوم مشغولا بربه فهو غدا مشغول بربه وقال يحيي بن معاذ اذا شغلتك نفسك فى دنياك وعقباك عن ربك اما فى الدنيا ففى طلب مرادها واتباع شهواتها

واما فى الآخرة فكما اخبر الله عنه بقوله لكل امرئ منهم الخ فمتى تفرغ الى معرفة ربك وطاعته وقال بعضهم العارف مع الخلق ولكنه يفارقهم بقلبه كما قيل

ولقد جعلتكم فى الفؤآد محدثى ... وابحت جسمى من أراد جلوسى

٣٨

{ وجوه يومئذ مسفرة } بيان لما آل امر المذكورين وانفسامهم الى السعدآء والاشقياء بعد ذكر وقوعهم فى داهية دهياء فوجوه مبتدأ وان كانت نكرة لكونها فى حيز التنوين ومسفرة خبره ويومئذ اى يوم اذ يفر المرء متعلق به اى مضية متهللة بنورية ذواتهم وصفاتها من اسفر الصبح اذا

اضاء فهو من لوازم الافعال قال فى المفردات الاسفار يختص باللون ومسفرة اى مشرقة لونها وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان ذلك من قيام الليل وفى الحديث (من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار) وعن الضحاكمن آثار الوضوء

وقيل من طول ما اغبرت فى سبيل الله.

٣٩

{ ضاحكة مستبشرة } بما تشاهد من النعيم المقيم والبهجة الدآئمة (قال الكشافى) ضاحكة خندان مستبشرة شادمان وفرحناك بسبب نجات ازنيران ووصول بروضهء جنان.

وفى بعض التفاسير ضاحكة مسرورة فرحة لما علم من الفوز والسعادة او لفراغه من الحساب بالوجه اليسير مستبشرة اى ذات بشارة بالخير كأنه بيان لقوله ضاحكة انتهى وفى عين المعانى ضاحكة من مسرة العين مستبشرة من مسرة القلب

وقيل من الكفار شماتة وبأنفسهم فرحا وقال ابن طاهر رحمه الله كشف عنها ستور الغفلة فضحكت بالدنو من الحق واستبشرت بمشاهدته وقال ابن عطاء رحمه الله اسفرت تلك الوجوه بنظرها الى مولاها واضحكها رضى الله عنها وقال سهل رحمه الله منورة بنور التوحيد واتباع السنة وفى التأويلات النجمية وجوه ارباب الارواح والاسرار والقلوب العارفين بالمعارف الاهية والحقائق اللاهوتية مضيئة بأنوار العلوم والحكم ضاحكة مستبشرة بنعم المكاشفات ومنح المشاهدات.

يقول الفقير وجوه يومئذ مسفرة لابيضاضها فى الدنيا بالتزكية والتصفية وزوال كدورتها ضاحكة لانها بكت فى الله ايام دنياها حتى صارت عمياء عن رؤية ما سوى الله تعالى مطلقا كما وقع لشعيب ويعقوب عليهما السلام مستبشرة لأ منها بدل خوفها فى الدنيا ولذا قال لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة بأن تقول لهم الملائكة لا تخافوا وأبشروا بالجنة والرؤية والضحك انبساط الوجه وتكشر الاسنان من سرور النفس ولظهور الاسنان عنده سميت مقدمات الاسنان ضواحك ويستعمل فى السرور

المجرد كما فى الآية قال الراغب واستبشر أى وجد ما يبشره من الفرح وبشرته اخبرته بسار بسط بشرة وجهه وذلك ان النفس اذا سرت انتشرت الدم انتشار الماء فى الشجرة.

٤٠

{ ووجوه يومئذ عليها غبرة } اى غبار وكدورة وفى الخبر يلجم الكافر العرق ثم تقع الغبرة على وجوههم

وقيل هى غبرة الفراق والذل.

٤١

{ ترهقها } اى تعلوها وتغشاها

{ قترة } اى سواد وظلمة كالدخان ولا ترى اوحش من اجتماع الغبرة والسواد فى الوجه كما اذا اغبر وجه الزنجى قال الراغب القتر هو الدخان الساطع من الشوآء والعود ونحوهما وقترة نحو غبرة وذلك شبه دخان يغشى الوجه من الكذب قال السرى قدس سره ظاهر عليها حزن البعاد

لانها صارت محجوبة من الباب مطرودة وقال سهلقدس سره غلب عليها اعراض الله عنها ومقته ايها فهى تزداد فى كل وقت ظلمة وقترة.

٤٢

{ اولئك هم الكفرة الفجرة } اى اولئك الموصوفون بسواد الوجه وغبرته هم الجامعون بين الكفر والفجور فلذا جمع الله الى سواد وجوههم الغبرة وفى الحديث (ان البهائم اذا صرت ترابا يوم القيامة حول ذلك التراب فى وجوه الكفار) وفى عين المعانى اولئك هم الكفرة فى حقوق الله الفجرة فى حقوق العباد انتهى وفيه اشارة الى ان الفجور الغير المقارن بالكفر ليس فى درجة المقارن فى المذمومية والسببية للحقارة والخذلان اذ اصل الفجوز الكذب والميل عن الحق ويستعمل فى الذنب الكبير وكثير ما يقع ذلك من المؤمن العاصى لكن ينبغى أن يخاف منه ويحذر عنه لان كبائر الذنب تجر الى الكفر كما ان صغائره تجرالى الكبائر.

یکی از جملهء بزرکان دین کفته که این زر وسیم وانواع اموال نه
عین دنیا ست که این ظرفوف واوعیهء دنیاست همجنین حرکات وسکنات
وطاعات بنده نه عین دین است که آن ظروف واوعیهء دین است دین
جمله سوز ودرد است ودنیا همه حسرت وباد سرد است قارون بن همه زر
وسیم وانواع اموال که داشت مکروه نبود بازاز وجون حقوق حق تعالی
طلب کردند امتناع نمود وحقوق حق نکزارد وکشش او بجانب زر وسیم
واموال دنیا مکروه بود ای بساکساکه دانکی در خواب ندید وفردا فرعون
اهل دنیا خواهد بودکه دل او آلودهء حرص دنیاست وای بساکساکه
اموال دنیا در ملك او نهادند وفردا دل خویش باز سباردکه داغی ازین
دنیا بروی ظاهر نبود سرانجام مرد دیندار دنیا کذار اینست که در آخر
سوره کفت وجوه یومئذ مسفرة ضاحکة مستبشرة وعاقبت کاردنیاکار
دین کذار اینست که کفت وجوه یومئذ علیها غبرة الخ وقال بعضهم وجوه
اصحاب النفوس المتمردة وأرباب الهوى علیها غبرة النانیة وغبار الانیة
یغطیها سواد الاثنینیة وظلمة الثنویة هم الذین ستروا وجود الحق بغبرة

وجودهم وشقوا وقطعوا نفوسهم المظلمة عن متابعة الارواح المنورة عصمنا الله واياكم من ذلك.

سُورَةُ التَّكْوِيرِ مَكِّيَّةٌ

وَهِيَ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ آيَةً

١

{ اذا الشمس كورت } ارتفاع الشمس على انه فاعل لفعل مضمر يفسره المذكور لا فاعله لان الفاعل لا يتقدم وعند البعض على الابتدآء لان التقدير خلاف الاصل والاول اولى لان اذا فيها معنى الشرط والشرط مختص بالفعل وعلى الوجهين الجملة فى محل الجر باضافة اذا اليها ومعنى كورت لفت من كورت العمامة اذا لففتها بضم بعض اجزآئها لبعض على جهة الاستدارة على ان المراد بذلك اما رفعها وازالتها عن مقرها فان الثوب اذا أريد رفعه عن مكانه وستره بجعله فى صندوق او غيره

يلف لفا ويطوى نحو قوله تعالى يوم نطوى السماء فكان بين السماء والرفع

علاقة اللزوم فتكويرها كناية عن رفعها قال سعدى المفتى ولا منع من

ارادة المعنى الحقيقى ايضا وكون الشمس كرة مصمتة على تسليم صحته لا

يمنع من تلك الارادة لو اراد أن يحدث الله فيها قابلية التكوير بأن يصيرها

منبسطة ثم يكورها ان الله على كل شئ قدير انتهى.

واما لف ضوئها المنبسطة فى الآفاق المنتشر فى الاقطار بأن يكون

اسناد كورت الى ضمير الشمس مجازيا او بتقدير المضاف على انه عبارة

عن ازالتها والذهابها بحكم استلزام زوال اللازم لزوال الملزوم فاللف على

هذا مجاز عن الاعدام اذ لا مساغ لارادة المعنى الحقيقى لان الضوء لكونه

من الاعراض لا يتصور فيه اللف وقال بعضهمان الله قادر على أن يطمس

نورها مع بقائها فقول الكشاف لانها ما دامت باقية كان ضياؤها منبسطا

غير ملفوفا فيه نظر انتهى وجوابه ما أشير اليه من حكم الاستلزام

وقيل معنى كورت ألقيت من فلكها على وجه الارض كما وصفت

النجوم بالانكدار من طعنه فكوره اذا ألقاه على الارض وفى الحديث (ان

الشمس والقمر نوران مكوران فى النار يوم القيامة) اى مرميان فيها ولما

ذكر هذا الحديث عند الحسن البصرى رحمه الله قال وما ذنبهما وقال

الامام سؤال الحسن ساقط لان الشمس والقمر جمادان فالقاؤهما فى النار

لا يكون سببا لمضرتهما ولعل ذلك يكون سببا لازدياد الحر فى جهنم وكذا

قال الطيبى تكويرهما فيها ليعذب بهما أهل النار لا سيما عباد الانوار لا

ليعذبهما فى النار فانها بمعزل عن التكليف بل سبيلهما فى النار سبيل النار

فنسها وسبيل الملائكة الموكلين بها انتهى وكذا قال فى تفسير الفاتحة للفنارى

ان السماء اذا طويت واحدة بعد واحدة يرمى بكواكبها فى النار.

يقول الفقير قول الحسن أدق فان النور لا يلحق بالنار الا أن

يكون فيه مرتبة النارية ايضا فالشمس يلحق نورها بنور العرش ونارها بنار

جهنم وقد سبق فى سورة النبأ فارجع فان قيل كيف يمكن تكويرهما فى

النار وقد ثبت بالهندسة ان قرص الشمس فى العظم يساوى كرة الارض

مائة وستين مرة وربع الارض وثمنها أجيب بان الله تعالى قادر على أن

يدخلها فى قشرة جوزة على ذلك العظم.

يقول الفقير قد ثبت ان الله تعالى يمد الارض يوم القيامة فتكون أضعاف ما كانت عليه على ان وسعة الدارين تابعة لكثرة اهلهما ووسعتهم لانه ثبت ان ضرس الكافر مثل جبل احد وجسمه مسيرة ثلاثة ايام فاذا كان جسد كل كافر على هذا الغلظ والعظم فاعتبر منه وسعة جهنم فقرص الشمس فى النار كجوزة فى وسط بيت واسع ولا يعرف حد الدارين الا الله تعالى.

٢

{ واذا النجوم } جمع نجم وهو الكوكب الطالع وبه شبه طلوع النبات والرأى فبقيل نجم النبت والرأى نجما ونجوما فالنجم اسم مرة ومصدر اخرى

{ انكدرت } اى تناثرت وتساقطت بالسرعة كما قال واذا الكواكب انتثرت والاصل فى الانكدار الانصباب فان السماء تمطر يومئذ نجومها فلا يبقى فى السماء نجم الا وقع على وجه الارض وذلك ان النجوم

على ما روى ابن عباس رضى الله عنهما فى قناديل معلقة بين السماء والارض بسلاسل من نور وتلك السلاسل بأيدى ملائكة من نور فاذا مات من فى السموات ومن فى الارض تساقطت تلك الكواكب من أيديهم لانه مات من يمسكها وفيه اشارة الى طى ضوء شمس الروح الذى هو الحياة وقبضه عن البدن وازالته وتناثر نجوم الحواص العشر الظاهرة والباطنة وايضا الى تكوير الوجود الاضافى المنعكس من الوجود المطلق الحقيقى عند ظهور الحقيقة والى اضمحلال نجوم الهوايات وهياكل الماهيات بحيث لا يبقى لها اثر لانها نسب عدمية واعتبارات محضة.

٣

{ واذا الجبال سيرت } رفعت عنه وجه الارض وابعدت عن أماكنها بالرجفة الحاصلة لا فى الجو كالسحاب فان ذلك بعد النفخة الثانية والسير المضى فى الارض والتسير ضربان باختيار واردة من السائر نحو هو الذى يسيركم وبقهر وتسخير كتسيير الجبال وفيه اشارة الى جبال

الاعضاء والجوارح والراسيات سيرت عن أرض تعيناتها وأيضا الى جبال الانواع والاجناس الواقعة فى عالم التعينات.

٤

{ واذا العشار } جمع عشرآء ونفساء كما فى القاموس والعشرآء هى الناقة التى أتى على حملها عشرة أشهر وهو اسمها الى أن تضع لتمام السنة وهى أنفس أموال العرب ومعظم اسباب معاشهم

{ عطلت } العطل فقد ان الزينة والشغل ويقال لمن يجعل العالم بزعمه فارغا عن صانع اتفنه وزينه ورتبه معطل وعطل الدار عن ساكبها والابل عن راعيها والمعنواذا العشار تركت مسيبة مهملة غير منظور اليها مع كونها محبوبة مرغوبة عند أهلها لاشتغال أهلها بأنفسهم وذلك عند مجيئ مقدمات قيام الساعة فان الناس حينئذ يتركون الأموال والاملاك ويشتغلون بأنفسهم كما قال تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون وقال الامام أبو الليث وغيره هذا على وجه المثل لان فى القيامة لا تكون ناقة

عشرآء يعنى ان هول القيامة بحال لو كان للرجل ناقة عشرآء لعطلها واشتغل بنفسه لعلهم جعلوا يوم القيامة ما بعد النفخة الثانية أو مبادى الساعى من القيامة لكن يمكن وجود العشرآء فى المبادى فلا يكون تمثيلا وفيه اشارة الى النفوس الحاملات احمال الاعمال والاحوال وأيضا الى تعطيل عشار الارجل المتنفع بها فى السير عن الاستعمال فى المشى وترك الانتفاع بها.

٥

{ واذا الوحوش } قال فى القاموس الوحش حيوان البر كالوحيش والجمع وحوش ووحشان والواحد وحشى قال ابن الشيخ هو اسم لما لا يستأنس بالانسان من حيوان البر والمكان الذى لا انس فيه وحش وخلاف الوحشى الأهلى

{ حشرت } اى جمعت من كل جانب واختلط بعضها ببعض وبالناس مع نفرة بعضها عن البعض وعن الناس ايضا وتفرقها فى الصحارى والقفار وذلك الجمع من هول ذلك اليوم

وقيل بعثت للقصاص اظهارا للعدل قال قتادة يحشر كل شئ حتى الذباب للقصاص فاذا قضى بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لبنى آدم واعجاب بصورته او صورته كالطووس والبلبل ونحوهما فاذا بعثت الحيوانات للقصاص تحقيقا لمقتضى العدل فكيف يجوز مع هذا ان لا يحشر المكلفون من الانس والجن وفيه اشارة الى القوى البشرية الطبيعية النافرة عن جناب الحق وباب القدس بأن أهلكت وأفنبت وجمت الى ما منه بدت.

٦

{ واذا البحار سجرت } اى أحميت او ملئت بتفجير بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا مختلطا عذبها بملحها وبالعكس فتعم الارض

كلها من سجر التنور اذا ملأء بالخطب ليحميه وجه الاحماء ان جهنم فى قعور البحار الا انها الآن مطبقة لا يصل أثر حرارتها الى ما فوقها من البحار ليتيسر انتفاع أهل الارض بها فاذا انتهت مدة الدنيا يرفع الحجاب فيصل تأثير تلك النيران الى البحار فتسخن فتصير حميما لأهل النار او تبعت عليها ربح الدبور فتنفخها وتضربها فتصير نارا على ما قاله ابن عباسرضى الله عنهما فى وجه الاحماء . در فتوحات مذكور است كه هركاه كه عبد الله بن عمر رضى الله عنهما دريارا بديدى كفتى يا بحر متى تعود نارا ووجه الامتلاء ان الجبال تندك وتفرق اجزآؤها وتصير كالتراب الهائل الغير المتماسك فلا جرم تنصب اجزآؤها فى أسافلها فتمتلئ المواضع الغائرة من الارض فيصير وجه الارض مستويا مع البحار فتصير البحار بحرا واحدا مسجورا اى ممتلئا وقال بعضهم ملئت بارسال عذبها على مالحها ثم أسيلت حتى بلغت الثور فابتعلها فلما بلغت الى جوفه نفذت وعنالحسن رحمه الله يذهب ماؤها حتى لا يبقى فيها قطرة قال الراغب وانما يكون كذلك لتجير النار فيها اى اضرامها والتشديد فى مثل هذه الافعال

قد يكون لتكثير الفعل وتكريره والتخفيف يحتمل القليل والكثير وخصت هذه السورة بسجرت موافقة لقوله سعرت لان معنى سجرت عند اكثر المفسرين اوقدت فصارت نارا فيقع التوعد بتسعير النار وتسجير البحار وخصت سورة الانفطار بفجرت موافقة لتقوله واذا الكواكب انتثرت لان فى كل من تساقط الكواكب وسيلان المياه على وجه الارض وبعثرة القبور انقلب ترابها مزايلة الشئ عن مكانه فلا فى كل واحد قرينه وفيه اشارة الى بحار المعرفة الذاتية والحكم الصفاتية والعلوم الاسمائية فانها اذا اتحدث بالتجلى الواحدانى تصير بحرا واحدا وهو بحر الذات المشتمل على جميع المراتب والى البحار الحاصلة من اعتبارات الوجود وشؤونه الكلية ظاهرا او باطنا غيبا وشهادة دنيا وآخرة فانها قد جمعت واتحدت فصار بحر الوجود بحرا واحدا زخارا لا ساحل له ولا قعر والى بحار العناصر بأنه فجر بعضها الى بعض واتصل كل جزء بأصله فصارت بحرا واحدا.

٧

{ واذا النفوس } الظاهر نفوس الانسان ويحتمل أن تعم الجن ايضا كما فى بعض التفاسير

{ زوجت } التزويج جعل احد زوجا لآخر وهو يقتضى المقارنة اى قرنت بأجسادها بأن ردت اليها او قرنت كل نفس بشكلها وبمن كان فى طبقتها فى الخير الشر فيضم الصالح الى الصالح والفاجر الى الفاجر او قرنت بكتابها او بعملها فالنفوس المتمردة زجرت بأعمالها السيئة والمطمئة بأعمالها الحسنة او نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكفرة بالشياطين وفيه اشارة الى ان الارواح الفائضة على هياكل الاشباح من عالم الامر قرنت ببواعتها وموجباتها التى هى الاسماء والصفات الالهية واسبابها اللاهوتية.

٨

{ واذا الموءودة } اى المدفونة حية يقال وأد بنته يئدها واذا وهى موءودة اذا دفنها فى القبر وهى حية وكانت العرب تنئد البنات مخافة

الاملاق او الاسترقاق اولحوق العار بهم من اجلهن وكانوا يقولون ان

الملائكة بنات الله فألحقوا البنات به فهو أحق بهن قال فى الكشاف كان

الرجل اذا ولد ت له بنت فأراد أن يستحييها ألبسها جبة من

صوف او شعر ترعى له الابل والغنم فى البادية وان أراد قتلها تركها حتى

كانت سداسة اى بلغت ست سنين فيقول لامها طيبيها وزينيها حتى

أذهب بها الى احمائها وقد حفر لها بئرا فى الصحرآء فبلغ با البئر فيقول لها

انظرى فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى يستوى البئر

بالارض

وقيل كانت الحامل اذا قربت حفرت حفرة فتمخضت على رأس

الحفرة فاذا ولدت بنتا رمت بها فى الحفرة وان ولد بنتا رمت بها فى الحفرة

وان ولد ب ابنا حبسته

{ سئلت } اى سألها الله بنفسه اظهارا للعدالة او بأمره للملك.

٩

{ بأى ذنب } من الذنوب الموجبة للقتل عقلا ونقلا

{ قتلت } قتلها أبوها حية فعلا او رضى وتوجيه السؤال اليها لتسليتها واظهار كمال الغيظ والسخط لوآئدها واسقاطه عن درجة الخطاب والبالغة فى تبكيته كمافى قوله تعالى انت قلت لناس اتخذونى وامى الهين ولذا لم يسأل الوائد عن موجب قتله لها وجه التبكيت ان المجنى عليه اذا سئل بمحضر من الجانى ونسب اليه الجناية دون الجانى كان ذلك بعثا للجانى على التفكر فى حال نفسه وحال المجنى عليه فيعثر على برآءة ساحة صاحبه وعلى انه هو المستحق لكل نكال فيفحم وهذا نوع من الاستدراج واقع على طريق التعريض وهو أبلغ فلذلك اختير على التصريح وانما قيل قتلت على الغيبة لما ان الكلام اخبار عنها لا حكاية لما خوطبت به حين سئلت ليقال قتلت على الخطاب وعلى قرآءة سألت اى الله او قاتلها لا حكاية لكلامها حين سئلت ليقال قتلت على الحكاية عن نفساه وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه سئل عن اطفال المشركين فقال لا يعذبون واحتج بهذه الآية فانه يثبت بها ان التعذيب لا

يستحق الا بالذنب وعن ابن مسعود رضى الله عنه ان الوآئدة والموءودة فى النار اى اذا كانت الموءودة بالغة وفيه اشارة الى ان الاعمال المشوبة بالرياء المخلوطة بالسمعة والهوى سئلت بأى سبب ابطلت نوريتها وروحانتيها وأيضا سئلت موءودة الناس الناطقة التى أثقلتها وآئدة النفس الحيوانية فى قبر البدن وأهلكتها بأى ذنب قتلت اى طلب الظهار الذنب الذى به استولت النفس الحيوانية على الناطقة من الغضب او الشهوة اوغيرهما فمنعتها عن خواصها وافعالها واهلكتها فأظهر فكنى عن طلب اظهاره بالسؤال ولهذا قال عليه السلام (الوآئدة والموءودة فى النار) لان النفس الناطقة فى النار مقارنة للنفس الحيوانية كذا قال القاشانى.

١٠

{ واذا الصحف نشر } ى صحف الاعمال فانها تطوى عند الموت وتنشر عند الحساب اى تفتح فيعطاها الانسان منشورة بأيمانهم وشمائلهم فيقف على ما فيها وتحصى عليه جميع اعماله فيقول مال هذا

الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وفى الحديث (يحشر الناس عراة حفاة) فقالت أم سلمة رضى الله عنها فكيف بالنساء فقال (شغل النساء يا أم) سلمة قالت وما شغلهم قال (نشر الصحف فيها مثا قيل الذر ومثا قيل الخردل)

وقيل نشرت اى فرقت بين أصحابها وعن مرثد بن وادعة اذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن فى يده فى يده فى جنة عالية وتقع صحيفة الكافر فى يده فى سموم وحميم اى مكتوب فيها ذلك وهى صحف غير صحف الاعمال وفيه اشارة الى صحائف القوى والنفوس التى فيها هيئات الاعمال تطوى عند الموت وتكوير شمس الروح وتنشر عند البعث والعود الى البدن.

١١

{ واذا السماء كشطت } قلعت وأزيلت بحيث ظهر ما ورآءها وهو الجنة والعرش كما يكبشط الاهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشئ

المستور به قال الراغب هو من كشط الناقة اى تنحية الجلد عنها منه استعير انكشط روعه اى زال وفيه اشارة الى كشط سماء الارواح عن ارض الاشباح والى طى ظهور الاسماء والصفات الى البطون والخفاء.

١٢

{ واذا الجحيم سعرت } اى اوقدت للكافرين ايقادا شديدا لتحرقهم ابديا سعرها غضب الله وخطايا بنى آدم فاسعار النار زيادة التهابها لا حدوثها ابتدآء وبه يندفع احتجاج من قال النار غير مخلوقة الآن لانها تدل على ان تسعرها معلق بيوم القيامة وذلك لان فيه الزيادة والاشتداد وفيه اشارة الى جحيم الخسران والخذلان فانها اوقدت باحطاب الاعمال السيئة وحجار الاحوال القبيحة خصوصا نار الغضب والشهوة التى كانوا عليها فى هذه النشأة.

١٣

{ واذا الجنة ازلفت } الازلاف التقريب بالفارسية نزديك كردن

. اى قربت من المتقين ليدخلوها كقوله تعالى وازلفت الجنة للمتقين غير

بعيد وعن الحسن رحمه الله انهم يقربون منها لا انها تزول عن موضعها

فالمراد من التقريب التعكيس للمبالغة كما فى قوله تعالى ويوم يعرض الذين

كفروا على النار حيث تعرض النار عليهم تحقيرا وتحسيرا فقلت مبالغة

ويحتمل ان يكون المراد التقريب المعنوى وهو جعل اهلها مستحقين لدخولها

مكرمين فيها وفيه اشارة الى تقريب نعيم آثار الرضى واللطف من المتقين

وكذا جنة الوصول والوصال لمحبي الجمال والكمال كما قيل هذه اثنتا عشر

خصلة ست منها فى الدنيا اى فيما بين النفختين وهن من اول السورة

الى قوله واذا البحار سجرت على ان المراد بحشر الوحوش جمعها من كل

ناحية لا بعثها للقصاص وسعت فى الآخرة اى بعدالنفخة الثانية وقال أبي

بن كعب رضى الله عنه ست آيات قبل القيامة بينما الناس فى اسواقهم اذ

ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك اذ تناثرت النجوم فبينما هم كذلك

اذ وقعت الجبال على وجه الارض فتحركت واضطربت وفزعت الجن الى

الانس والانس الى الجن واختلطت الدواب والطير والوحوش وماج بعضهم فى بعض فحينئذ تقول الجن للانس نحن نأتيكم بالخبر فينطلقون الى البحر فاذا هو نار تتأجج اى نتهلب قال فبينما هم كذلك اذ صدقت الارض صدعة واحدة الى الارض السابعة السفلى والى السماء السابعة العليا فبينما هم كذلك اذ جاءتهم الريح فأماتتهم كذا فى المعالم.

١٤

{ علمت نفس ما احضرت } اى علمت كل نفس من النفوس ما احضرته على حذف الراجح الى الموصول فنفس فى معنى العموم كما صرح به فى قوله تعالى يوم تجد كل نفس ما علمت من خير محضرا وقوله هناك تبلو كل نفس ما اسلفت وقولهم ان النكرة فى سياق الاثبات لا تعمم بل هى للافراد النوعية غير مطرد ويجوز أن يكون التنوين للافراد الشخصية اشعارا بانه اذا علمت حينئذ نفس من النفوس ما احضرت وجب على كل نفس اصلاح عملها مخافة ان تكون هى التى علمت ما احضرت فكيف وكل نفس تعلمه على طريق قولك لمن تنصحه لعلك

ستندم على ما فعلت وربما ندم الانسان على ما فعل فانك لا تقصد بذلك ان ندمه مرجو الوجود لا متيقن بهاو نادر الوقوع بل تريد ان العاقل يجب عليه ان يجتنب امرا يرجى فيه الندم او قلما يقع فيه فكيف به اذا كان قطعى الوجود كثير الوقوع والمراد بما احضرت اعمالها من الخير والشر وبحضرها اما حضور صحائفها كما يعرب عنه نشرها

واما حضور انفسها لان الاعمال الظاهرة فى هذه النشأة بصور عرضية تبرز فى النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها فى الحسن والقبح على كيفيات مخصوصة وهيئات معينة واسناد حضورها الى النفس مع انها تحضر بأمر الله لما انها عملتها فى الدنيا كأنها احضرتها فى الموقف ومعنى علمها بها حينئذ انها تشاهدها على ما هى عليه فى الحقيقة فان كانت صالحة تشاهدها على صور أحسن مما كانت تشاهدها عليه فى الدنيا لان الطاعات لا تخلو فيها عن نوع مشقة ودر ورد حفت الجنة بالمكاره وان كانت سيئة تشاهدها على ما هى عليه ههنا لانها كانت مزينة لها موافقة لهواها كما ورد وحفت النار بالشهوات وقال بعضهم العلم

بالاعمال كناية عن المجارة عليها من حيث ان العلم لازم للمجازاة وقوله

علمت الخ جواب اذا على ان المراد بها زمان واحد متسع محيط بنما ذكر

من اول السورة الا هنا من الاثنى عشر شيأ مبدأ النفخة الاولىومنتهاه فصل

القضاء بين الخلائق لكن لا بمعنى انها تعلم ما تعمل فى كل خزئ من

الجزآء ذلك الوقت المديد أو عند وقوع داهية من تلك الدواهى بل عند

نشر الصحف الا انه لما كان بعض تلك الدواهى من باديه وبعضها من

روادفه نسب علمها بذلك الى زمان وقوع كلها تهويلا للخطب وتفظيعا

للحال وعن عمر وابن عباس رضى الله عنهم انهما قرأ السورة فلما بلغا

الى قوله علمت نفس ما احضرت قالا لهذه اجريت القصة وعن ابن

مسعود رضى الله عنه ان قارئا قرآها عنده فلما بلغ علمت نفس ما

احضرت قال وانقطاع ظهراه اى قاله خوفا من القيامة ومجازاة الاعمال.

درآنروز هر نفسى بيندكه باهر خيرى كرامتى وعطا بيست وباهر

شرى ملامتى وجزايى برنيكى حسرت خوردكه را زياده تكردم وبريدى اندوه

كشدكه جرا مباشر شدم وآن حسرت واندوه هيج فائده ندارد

تو امروز فرصت غنيمت شمار ... كه فردا ندامت نيايد بكار

بكوش اى توانا كه فرمان برى ... كه در ناتوانى بسى غم خورى

وفى الحديث (المؤمن بين مخافتين عمر قد مضى لا يدرى ما الله صانع فيه واجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه فليتزود العبد لنفسه من نفسه ومن دنياه لآخرته) ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الممات فوالله ما بعد الموت من مستعتب وما بعد الدنيا الا الجنة والنار وقال الواسطة قدس سره فى الآية علمت كل نفس وايقنت ان ما علمت واجتهدت لا يصلح لذلك المشهد وان من اكرم بخلع الفضل نجا ومن قرن بجزآء اعماله هلك وخاب وفى برهان القرءآن هنا علمت نفس ما احضرت وفى الانفطار وما قدمت وأخرت لان ما فى هذه السورة متصل بقوله واذا القبور بعثرت والقبور كانت فى الدنيا بتذكر ما قدمت فى الدنيا وما أخرت للعقبى فكل خاتمة لائقة بمكانها وهذه السورة من اولها الى آخرها شرط وجزآء وقسم وجواب.

{ فلا اقسم } لا صلة اورد لكلام سابق اى ليس الامر كما تزعمون ايها الكفرة من ان القرءآن سحر او شرع او أساطير ثم ابتدأ فقال اقسم

{ بالخنس } جمع خانس وهو المتأخر من خنس الرجل عن القوم خنوسا من باب دخل اذا تأخر واصل الخنوس الرجوع الى خلف والخناس الشيطان لانه يضع خرطومه على قلب العبد فاذا ذكر الله خنس واذا غفل عاد الى الوسوسة والمعنى اقسم بالكواكب الرواجع وهى ما عد النيرين من الدرارى الخمسة وهى المريخ بالكسر ويسمى بهرام ايضا وزحل ويسمى كيوان ايضا وعطارد ويسمى الكاتب ايضا والزهرة وتسمى انا هيذ ايضا والمشترى ويسمى روايس وبرجيس ايضا وما من نجم يقطع المجرة غير الخمسة فلذ اخضها ونظمها بعضهم والنيرين فقال

هفت كوكب كه هست كيتى را ... كاه از ايشان مدار وكاه خلل

قمرست وعطارد وزهره ... شمس ومريخ ومشترى وزحل

وهى الكواكب السبعة السيارة كل منها يجرى فى فلك فالقمر فى الاول وما يليه فى الثانى وهكذا على الترتيب.

١٦

{ الجوارى الكنس } الجوارى جمع جارية بمعنى سارة والكنس جمع كانس وهو الداخل فى الكناس المستتر به وصفت الخنس بهما لانها تجرى فى افلاكها او بأنفسها على ما عليه اهل الظواهر مع الشمس والقمر وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها بينا ترى النجم فى آخر البرج اذكر راجعا الى اوله فرجوعه من آخر البرج الى اوله هو الخنوس وكنوسها اختفاؤها تحت ضوئها

واما القمر ان فلا يكنسان بهذا المعنى قال فى عين المعانى لخنوساه فمجراها واستتارها فى كناسها اى موضع اتتارها فيه كما تكنس الظباء

انتهى من كنس الوحش من باب جلس اذا دخل كناسه وهو بيته الذى يتخذه من اغصان الشجر

وقيل جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل اى تطلع فى اماكنها كالوحش فى كنسها وفى التأويلات النجمية يشير الى الحواس الخمس الباطنة السيارة مع شمس الروح وقمر القلب لرواجع الى بروجها بالاختفاء بحسب شعاع شمس الروح وقمر القلب لغلبة اشعتهما عليهن والدرارى الخمسة الزهرة وعطارد والمشترى وبهرام وزحل مظاهر الحواس الخمس والشمس مظهر الروح والقمر مظهر القلب.

١٧

{ والليل } عطف على الخنس

{ اذا عسعس } اى ادبر ظلامه لان اقبال الصبح يكون بادبار الليل كما قال فى الوسيط لما كان طلوع الصبح متصلا بادبار الليل كان المناسب ان يفسر عسعس بادبر ليكون التعاقب فى الذكر على حسب

التعاقب فلوجود انتهى او أقبل فانه من الاضداد كذلك سعسع وذلك فى مبدأ الليل وهذا المعنى انسب لمراعاة المقابلة مع قرينه.

١٨

{ والصبح } عطف عليه ايضا

{ اذا تنفس } آنكاه دم زند يعنى طلوع كند وتنفس او مبدأ طلوعت . والعامل فى اذا معنى القسم واذا وما بعدها فى موضع الحال اقسم الله بالليل مدبرا وبالصبع مضيئا يقال تنفس الصبح اذا تبلج اى اضاء واشرق جعل تنفس الصبح عبارة عن طلوعه وانبساطه تحت ضوئه بحيث زال معه عسعسة الليل وهى الغبرة الحاصلة فى آخره والنفس فى الاصل ريح مخصوص يروح القلب ويفرج عنه بهبوبه عليه وفى الحديث (لا تسبوا الريح فانها من نفس الرحمن) اى مما يفرج الكرب شبه ما يقبل باقبال الصبح من الروح والنسيم بذلك الريح المخصوص المسمى بالنفس فاطلق اسم النفس عليه استعارة فجعل الصبح متنفسا بذلك ثم كنى بتنفسه

بذلك عن اقبال المصبح وطلوعه واضاءة غبرته لان المتنفس بالمعنى المذكور لازم له فهو كتابة متفرعة على الاستعارة قال القاشانى والليل اى ليل ظلمة الجسد الميت اذا ادبر بابتدآء ذهاب ظلمته بنور الحياة عند تعلق الروح به وطلوع نور شمسه عليه والصبح اى اثر نور طلوع تلك الشمس اذا انتشر فى البدن بافادة الحياة وفى التأويلات النجمية يشير الى ليل الطبيعة المتشعشعة عن ظلام غيب البشرية باتباع احكام الشريعة ومخالفات آثار الطبيعة والى صبح نهار الروحانية اذا كشف واظهر آداب الطريقة ورسوم الحقيقة وهو اعظم الاقسام وافضل الايمان.

١٩

{ انه } الضمير للقرءآن وان لم يجر له ذكر للعلم به اى القرءآن الكريم الناطق بما ذكر من الدواهى الهائلة وهو جواب القسم وجه القسم بهذه الاشياء ان فيها ظهور كمال الحكمة وجلال القدرة.

يقول الفقير سر الاقسام بها ان القرءآن نور من الله فا يرد الا على القلب النورانى الذى هو بمنزلة القدر وعلى الروح الذى هو بمنزلة القمر وعلى الروح الذى هو بمنزلة الشمس وعلى القوى الروحانية التى هى بمنزلة سائر السيارات المضيئة وهذه الانوار لا تظهر فى الوجود الانسانى الا بزوال آثار الطبيعة والنفس وظهور آثار القلب والروح فاذا اشرقت انوار الروح وقواه فى ليل الوجود اضاء جميع ما فى الوجود وزال الظلام

{ لقول رسول كريم } هو جبريل عليه السلام قاله من جهة الله قال السهيلى ولا يجوز انه أراد به انه قول النبى عليه السلام وان كان النبى عليه السلام رسولا كريما لان الآية نزلت فى معرض الرد والتكذيب لمقالة الكفار الذين قالوا ان محمدا عليه السلام بقوله وهو قوله فقال الله تعالى انه لقول رسول كريم فأضافه الى جبريل الذى هو أمين وحيه وهو فى الحقيقة قول الله لكنه اضيف الى جبريل لانه جامعه من عند الله فاسناده اليه باعتبار السببية الظاهرة فى الانزال والايصال ويدل على ان المراد بالرسول هو جبريل ما بعده من ذكر قوته ونحوها وصفه برسول لانه رسول

عن الله الى الانبياء وبكريم اى على ربه عزيز عظيم عنده وكذا عند الناس لانه يجيئ بأفضل العطايا وهو المعرفة والهداية ويتعطف على المؤمنين ويقهر الاعدآء.

٢٠

{ ذى قوة } شديدة كقوله تعالى شدي القوى اى ذى قدرى على ما يكلف به لا عجز له ولا ضعف روى انه عليه السلام قال لجبريل ذكر الله قوتك فأخبرنى بشيء من آثارها قال رفعت قريات قوم لوط الاربع من الماء الاسود بقوادم جناحى حتى سمع اهل السماء نباح الكلب واصوات الديكية ثم قلبتها ومن قوته انه صباح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين وانه يهبط من السماء الى الارض ويصعد فى اسرع من الطرف وانه رأى ان شيطانا يقال له الابيض صاحب الانبياء قصد ان يتعرض للنبى فدفعه دفعة رفيقة وقع بها من مكة الى أقصى الهند وكذا راه يكلم عيسى عليه السلام على بعض الارض المقدسة فنفخه نفخة واحدة ألقاه الى أقصى جبل الهند

وقيل المراد القوة فى ادآء طاعة الله وترك الاخلال بها من اول الخلق الى آخر زمان التكليف وفيه اشارة الى صفة الروح فانه ذو سلطنة على جميع الحقائق الكائنة فى المملكة الانسانية

{ عند ذى العرش } اى الله تعالى وفى ايراد ذ العرش اخبار بغاية كبريائه فى القلوب وعند ظرف لما بعده فى قوله

{ مكين } ذى مكانة رفيعة عند عندية اكرام وتشريف لا عندية مكان فانه تعالى متعال عن امثالها ونحوه انا عند المنكسرة قلوبهم فان المراد به القرب والاكرام ومن مكانته عند الله ومرتبته انه تعالى جعله تالى نفسه فى قوله فان الله هو مولاه وجبريل فله عظم منزلة عندية فأين منزلة من يلازم السلطان عند سرير الملك من مرتبة من يلازمه عند الوضوء ونحوه.

٢١

{ مطاع } فيما بين الملائكة المقربين يصدرون عن أمره ويرجعون الى رأيه لعلمهم بمنزلته عند الله قال فى فتح الرحمن ومن طاعتهم انهم فتحوا أبواب السماء ليلة المعراج بقوله لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم وطاعة جبريل فريضة على اهل السموات كما ان طاعة محمد عليه السلام فريضة على اهل الارض وفيه اشارة الى ان الروح مطاع فيما بين القوى بالنسبة الى السر والقلب

{ ثم امين } على الوحى قد عصمه الله من الخيانة والزلل وثم بفتح الثاه ظرف مكان لما قبله اى مطاع هناك اى فى السموات

وقيل لما بعده اى مؤتمن عند الله على وحيه ورسالاته الى الانبياء فيكون اشارة الى عند الله وقرئ ثم بضم الثاء تعظيما لوصف الامانة وتفصيلا على سائر الاوصاف فيكون للتراخى الرتبي على طريق الترقى من صفاته الفاضلة الى ما هو افضل واعظم وهو الامانة (قال الكاشفى) واكر رسول كريم محمد باشد عليه السلام بس اوصاحب قوت طاعت ونزديك خداى خداوند قدر ومكانتست ومطاع

. يعنى مستجاب الدعوة ولذا قال له عمه أبو طالب ما اطوعك ربك يا محمد فقال له وأنت يا عم لو أطعته اطاعك وامين يعنى برا سرار غيب.

وفيه اشارة الى ان الروح أمين فى افاضة الفيض الروحى على كل احد بحسب استعداده الفطرى.

٢٢

{ وما صاحبكم } يا اهل مكة وهو رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عطف على جواب القسم ولذا قال فى فتح الرحمن وهذا ايضا جواب القسم

{ بمجنون } كما تقولون والتعرض لعنوان المصاحبة للتلويح باحاطتهم بتفاصيل احواله عليه السلام خبرا وعلمه بنزاهته عما نسبوه اليه بالكلية فانه كان بين اظهرهم فى مدد متطاولة وقد جربوا عقله فوجدوه اكمل الخلائق فيه ولقبوه بالامين الصادق وقد استدل على فضل جبرآئيل على رسول الله حيث وصف جبريل بست خصال كل

واحد منها تدل على كمال الشرف ونباهة الشأن واقتصر فى ذكر رسول

الله على نفى الجنون عنه وبين الذكرين تفاوت عظيم وهذا الاستدلال

ضعيف اذا لمقصود رد قول الكفرة فى حقه عليه السلام يا أيها الذى نزل

عليه الذكر انك لمجنون لا تعداد فضائلهما والموازنة بينهما على ا فى

توصيف جبريل بهذه الصفات بيانا لشرف سيد المرسلين بالنسبة اليه من

حيث ان جبريل مع هذه الصفات هو الذى يؤيده ويبلغ الرسالة اليه فأى

رتبة اعلى من مرتبته بعدما ثبت ان السفير بينه وبين ذى العرش مثل هذا

الملك المقرب وقال سعدى المفتى الكلام مسوق لحقية المنزل دلالة على

صدق ما ذكر فيه من اهوال القيامة على ما يدل عليه الفاء السببية فى

قوله فلا اقسم ولا شك ان ذلك يقتضى وصف الآتى به فلذلك بولغ فيه

دون وصف من انزل عليه فلذلك اقتصر فيه على نفى ما بهتوه وفيه اشارة

لى ان الروح ليس بمجنون اى بمستور عن حقائق القرءآن ودقائقه واحكامه

وشرآئعه ووعده ووعيده بل هو مكشوف له بجميع اسراره.

٢٣

{ ولقد رآه } وبالله لقد رأى رسول الله جبريل وفى عين المعانى أبصره لا جنيا

{ بالافق المبين } افق السماء ناحيتها والمبين من أبان اللازم بمعنى الظاهر بالفارسية روشن . اى بمطلع الشمس الاعلى من ناحية المشرق فالمراد بالافق هنا حيث تطلع الشمس استدلالا بوصفه بالمبين فان نفس الافق لا مدخل له فى تبين الاشياء وظهورها وانما يكون له مدخل فى ذلك من حيث كونه مطلعا لكوكب نير يبين الاشياء والكوكب المبين هو الشمس واسناد الابانة الى مطلعها مجاز باعتبار سببيته لها فى الجملة فان البيان فى الحقيقة لضياء الطالع منه ثم خص من بين المطالع ما هو أعلى المطالع وارفعنها وهو المطلع الذى اذا طلعت الشمس منه تكون فى غاية الارتفاع والنهار فى غاية الطول والامتداد وذلك عند ما تكون الشمس عند رأس السرطان قبيل تحولها الى برج الاسد وتوجه النهار الى الانتقاص وانما فعل ذلك حملا للمبين على الكمال فانه كلما كان الكوكب ارفع وأعلى وكلما كان النهار اطول كان البيان والاظهار اتم

واكمل روى ان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سأل جبريل ان يترا اى له

فى صورته التى خلقه الله عليها فقال (ما اقدر على ذلك) وما ذاك الى

فاذن له فأتاه عليها وذلك فى جبل حرآء فى اوآئل البعثة فرآه رسول الله

قد ملأ الآفاق بكلكله رجلاه فى الارض ورأسه فى السماء جناح له بالمشرق

وجناح له بالمغرب وله ستمائة جناح من الزبرجد الاخضر فغشى عليه

فتحول جبريل فى صورة بنى آدم وضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن

وجهه فقيل لرسول الله ما رأيناك منذ بعثت أحسن منك اليوم فقالعليه

السلام (جاءني جبريل فى صورته فعلق بى هذا من حسنه) قالوا ما رآه

احد من الانبياء غيره عليه السلام فى صورته التى جبل عليها فهو من

خصائصه عليه السلام.

واعلم ان وقوع الغشيان انما هو من كمال العلم والاطلاع ألا ترى

الى قوله تعالى لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا فان

توليه وامتلاءه من الرعب ليس عن رؤية اجسامهم فقط لانهم اناس مثله

وانما هو لما اطلعه الله عليه حين روبيتهم من العلم كما غشى

على جبريل ليلة الاسرآء حين رأى الرفرف ولم يغش على رسول الله

وقال عليه السلام فعلمت فضل جبريل فى العلم فكأنه عليه السلام اشار

فضل نفسه ايضا لما غشى عليه برؤية جبريل على صورته الاصلية وانما لم

يغش عليه حين رأى الرفرف كما غشعلى جبريل لانه اذ ذاك فى نهاية

التمكين وفرق بين البداية والنهاية والله اعلم قال القاشانى ولقد رآه بالافق

المبين اى نهاية طور القلب الذى يلى الروح وهو مكان القاء النافث

القدسى على ان المراد بالرسول روح القدس النافث فى روع الانسان وقال

فى التأويلات النجمية اى رأى جبريل الروح حضرة ربه عند افق البقاء بعد

الفناء.

٢٤

{ وما هو } اى رسول الله

{ على الغيب } اى على ما يخبره من الوحى اليه وغيره من

الغيوب

{ بضنين } اى ببخيل اى لا يبخل بالوحى فيزوى بعضه غير مبلغه ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده حتى يأخذ عليه حلوانا اى اجرة أو يسأل تعليمه فلا يعلمه وفيه اشارة الى ان امساك العلم عن أهله بخل من ضن بالشئ يضن بالفتح ضنا بالكسر وضنانة بالفتح اى بخل فهو ضنين به ى بخيل ويضن بالكسر لغة والفتح افصح ذكره البيهقى فى تهذيب المصادر فى باب ضرب حيث قال الضن والضنانة بخيلى كردن.

والغابر يضن والفتح أفصح فيكون من باب علم كما صرح به بعضهم بقوله هو من ضننت بالشئ بكسر النون وهو قرآءة نافع وعاصم وحمزة وابن عامر قال فى النشر كذلك هو فى جميع المصاحف اى المصاحف التى بتداولها الناس والا فهو فى مصحف عبد الله بن مسعود رضى الله عنه بالظاءء وقرئ بظنين على انه فعيل بمعناالمفعول اى بمتهم اى هو ثقة فى جميع ما يخبره لا يتوهم فيه انه ينطق عن الهوى من الظنة وهى التهمة واتهمت فلانا بكذا توهمت فيه

ذلك اختار أبو عبيدة هذه القرآءة لان الكفار لم يبخلوه وانما اتهموه فنفى التهمة أولى من نفى البخل ولان البخل يتعدى بالباء لا بعلى وفى الكشاف هو فى مصحف عبد الله بالظاء وفى مصحف أبي بالضاد وكان رسول الله عليه السلام يقرأ بهما ولا بد للقارئ من معرفة مخرجى الضاد والظاء فان مخرج الضاد من اصل حافة اللسان وما يليها من الاضراس من يمين اللسان اويساره ومخرج الظاء من طرف اللسان واصول الثايا العليا فان قيل فان وضع المصلى احد الحرفين مكان الآخر قلنا قال فى المحيط البرهانى اذا أتى بالظاء مكان الضاد او على العكس فالقياس أن تفسد صلاته وهو قول عامة المشايخ وقال مشايخنا بعدم الفساد للضرورة فى حق العامة خصوصا العجم فان اكثرهم لا يفرقون بين الحرفين وان فرقوا ففرقا غير صواب وفى الخلاصة لو قرأ بالظاء مكان الضاد او بالضاد مكان الظاء تفسد صلاته عند أبي حنيفة ومحمد

واما عند عامة المشايخ كأبي مطيع البلخى ومحمد بن سلمة لا تفسد صلاته.

٢٥

{ وما هو بقول شيطان رجيم } اى قول بعض المسترقة للسمع دل عليه توصيفه بالرجيم لانه بمعنى المرمى بالشهب وهو نفى لقولهم انه كهانة وسحر كما قال وما تنزلت به الشياطين وفيه اشارة الى انه ليس محمد القلب عند الاخبار عن المواهب الغيبية والالهامات السرية بمتهم بالكذب والافترآء وما هو بقول بعض القوى البشرية.

٢٦

{ فأين تذهبون } استضلال لهم فيما يسلكونه فى امر القرءآن والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ظهور انه وحى مبين وليس مما يقولون فى شئ كما تقول لمن ترك الجادة بعد ظهورها هذا الطريق الواضح فأين تذهب شبهت حالهم بحال من يترك الجادة وهو معظم الطريق ويتعسف الى غير المسلك فانه يقال له أين تذهب استضلالا له وانكارا على أسفه فقيل لمن يقول فى حق القرءآن ما لا ينبغى من وضوح كونه

وحيا حقا اى طريق تسلكون آمن من هذه الطريقة التى ظهرت حقيتها ووضحت استقامتها وأين ظرف مكان مبهم منصوب بتذهبون قال أبو البقاء التقدير الى أين فحذف حرف الجر ويجوز أن لا يصار الى الحذف بل الى طريق التضمين فكأنه قيل أين تؤمون وقال الجنيد قدس سره أين تذهبون عنا وان من شئ الا عندنا وفى التأويلات النجمية فأين تذهبون من طريق الحق الى طريق الباطل وتتركون الاقتدآء بالروح وتختارون اتباع النفوس.

٢٧

{ ان هو } ان نافية والضمير الى القرءآن اى ما هو

{ الا ذكر للعالمين } موعظة وتذكير لهم والمراد الانس والجن بدلالة العقل فانهم المحتاجون الى الوعظ والتذكير.

٢٨

{ لمن شاء منكم } أيها المكلفون بالايمان والطاعة وهو بدل من الالمين باعادة الجار بدل البعض من الكل ولا تخالف بين الاصل المتبوع والفرع التابع لان الاولباعتبار الذات والثانى باعتبار التبع

{ ان يستقيم } مفعول شاء اى لمن شاء منكم الاستقامة بتحرى الحق وملازمة الصواب وابداله من العالمين مع انه ذكر شامل لجميع المكلفين لانهم هم المنتفعون بالتذكير دون غيرهم فكأنه مختص بهم ولم يوعظ به غيرهم.

٢٩

{ وما تشاؤون } اى الاستقامة مشيئة مستتبعة لها فى وقت من الاوقات يا من يشاؤها وذلك ان الخطاب فى قوله فمن شاء منكم يدل على ان منهم من يشاء الاستقامة ومن لا يشاؤها فالخطاب هنا لمن يشاؤها منهم يروى ان أبا جهل لما سمع قوله تعالى لمن شاء منكم أن يستقيم قال

الامر الينا ان شئنا استقمنا وان شئنا لم نستقم وهو رأس القدرية فنزل قوله تعالى وما تشاؤون الخ

{ الا أن يشاء الله } من اقامة المصدر موقع الزمان اى الا وقت أن يشاء الله تلك المشيئة المستتبعة للاستقامة فان مشيئتكم لا تستتبعها بدون مشيئة الله لها لان المشيئة الاختيارية مشيئة حادثة فلا بدلها من محدث فيتوقف حدوثها على أن يشاء محدثها ايجادها فظهر ان فعل الاستقامة موقوف على ارادة الاستقامة وهذه الارادة موقوفة الحصول على أن يريد الله أن يعطيه تلك الارادة والموقوف على الموقوف على الشئ موقوف على ذلك الشئ فأفعال العباد ثوبتا ونفيا موقوفة الحصول على مشيئة الله كما عليه اهل السنة

{ رب العالمين } مالك الخلق ومربيهم أجميعن بالارزاق الجمسانية والروحانية وفى الحديث القدسى يا ابن آدم تريد وأريد فتتعب فيما تريد ولا يكون الا ما أريد قال وهب بن منبه قرأت فى كتب كثيرة مما أنزل الله على الانبياء انه من جعل الى نفسه شيأ من المشيئة فقد كفر قال أبو بكر

الواسطى قدس سره أعجزك فى جميع صفاتك فلا تشاء الا فى مشيئته ولا تعمل الا بقوته ولا تطيع الا بفضله ولا تعصى الا بخذلانه فماذا يبقى لك وبماذا تفتخر من أعمالك وليس منها شئ اليك الا بتوفيقه وبالفارسيةحق تعالىترا درهمه وصفها عاجز ساخته است نخواهى مكر بمشيت او ونكنى مكر بقوت او وفرمانبرى مكر بفضل او وعاصى نشوى مكر بخذلان او بس توجه دارى وبكدام فعل مى نازى وحا آنكه ترا هيج نيست

زسرتا باهمه در بيجم بيج ... ج باجه سر همه هيجيم درهيجد

وفى الحديث من سره ان ينظر الى يوم القيامة كأنه رأى عين فليقرأ اذا الشمس كورت واذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت فان فيها بيان أهواله الهائلة على التفصيل.

سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ مَكِّيَّةٌ

وَهِيَ تِسْعَ عَشَرَةَ آيَةً

١

{ اذا السماء انفطرت } اى انشقت لنزول الملائكة كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا او لهيبة الرب وفى فتح الرحمن تشققها على غير نظام مقصود انما هو انشقاق لنزول بنيتها واعرابه كاعراب اذا الشمس كورت فى التأويلات النجمية يعنى سماء الارواح والقلوب والاسرار ارتفعت تعيناتها وزالت تشخصاتها وقال القاشانى اى اذا انفطرت سماء الروح الحيوانى بانفراجها عن الروح الانسانى وزوالها بالموت.

٢

{ واذا الكواكب انتثرت } اى تساقطت من مواضعها سودآء متفرقة كما تتساقط اللآلئ اذا انقطع السلك وهذان من اشراط الساعة متعلقان بالعلويات فان السماء فى هذا العالم كالسقف والارض كالبناء

ومن أراد تخريب دار فانه يبدأ اولا بتخريب السقف وذلك هو قوله اذا السماء انفطرت ثم يلزم من تخريب السماء انتشار الكواكب وفيه اشارة الى انتشار كواكب الحواس العشر الظاهرة والباطنة وذهابها بالموت الطبيعى فانه اذا انقطع ضوء الروح عن ظاهر البدن وباطنه تعطل الحواس مطلقا وكذا بالموت الارادى.

٣

{ واذا البحار فجرت } فتح بعضها الى بعض بزوال المانع وحصول تزلزل الارض وتصدعها واستوآئها وصارت البحار وهى سبعة بحر الروم وبحر الصقالبة وبحر جرجان وبحر القلزم وبحر فارس وبحر الصين وبحر الهند بحرا واحدا فيصب ذلك البحر فى جوف الحوت الذى عليه الارضون السبع كما فى كشف الاسرار وروى ان الارض تنشف من الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن البصرى ودخل فى البحار البحر المحيط لانه اصل الكل اذ منه يتفرع الباقى وكذا الانهار العذبة فانها بحار ايضا التوسعها وفيها اشارة الى بحار الارواح

والاسرار والقلوب حيث فجرت بعضها فى بعض بالتجلى الاحدى وصارت بحر واحدا والى بحار الاجسام العنصرية حيث فجرت بعضها فى بعض بزوال البرازخ الحاجزة عن ذهاب كل الى أصله وهى الارواح الحيوانية المانعة عن خراب البدن ورجوع اجزآئه الى أصلها.

٤

{ واذا القبور بعثرت } قلب ترابها وأخرج موتا ولا يخالف ما سيجئ فى العاديات فان البعثرة تجيئ بمعنى الاستخراج ايضا اى كالقلب وفى تاج المصادر البعثرة شورانيدن وآشكارا كردن . ولذا

قال بعضهم بالفارسية وآنكاه كه كورها زيروزبر كرده شود يعنى خاكهارا بشورانند تامدفونات وى ازاموات وكنجها ظاهر كردد ومردكان زنده شوند.

ونظيره بحثر لفظا ومعنى يقال بعثرت المتاع وبحثرته اى جعلت أسفله أعلاه وجعل أسفل القبور أعلاها انما هو باخراج موتاها

وقيل لسورة براءة المبعثرة لانها بعثرت اسرار المنافقين وهما اى بعثر وبحثر مركبان من البعث والبحث مع رآء ضمت اليهما وقال الراغب من رأى تركيب الرباعى والخماس نحو هلل وبسمل اذا قال لا اله الا الله وبسم الله يقول ان بعثر مركب من بعث واثير اى قلب ترابها وأثير ما فيها وهذا لا يبعد فى هذا الحرف فان البعثرة تتضمن معنى بعث وأثير وهذان من أشراط الساعة متعلقان بالسفليات فانه تعالى بعد تخريب السماء والكواكب يخرب كل ما على وجه الارض بنفوذ بعض البحار فى بعض ثم يخرب نفس الارض التى هى كالبناء بأن يقلبها ظهر البطن وبطنا لظهر وفيه اشارة الى خراب قبور التعينات وصيرورة المتعين مطلقا عن التعينات لان التعينات قبور الحقائق المطلقة والى قبور الابدان فانها تخرج ما فيها من الارواح والقوى بالموت.

٥

{ علمت نفس } اى كل نفس برة كانت او فاجرة كما سبق ف السورة السابقة وفى فتح الرحمن نفس هنا اسم الجنس وافرادها ليبين

لذهن السامع حقارتها وقلتها وضعفها عن منفعة ذاتها الا من رحمن الله تعالى

{ ما قدمت } فى حياتها من عمل خير أو شر فان ما من ألفاظ العموم

{ وأخرت } من سنة حسنة او سيئة يعمل بها بعده قال عليه السلام (أيما داع دعا الى الهدى فاتبع فله مثل اجر من اتبعه) الا انه لا ينقص من اجورهم شئ وأيما داع دعا الى الضلالة فاتبع فله مثل اوزار من اتبعه الا انه لا ينقص من اوزارهم شئ او ما قدم من معصية وما أخر من طاعة وفى التأويلات النجمية علمت نفس ما قدمت أخرجت من القوة الى الفعل بطريق الاعمال الحسنة او السيئة وما أخرت أبقت فى القوة بحسب النية قوله علمت الخ جواب اذا اى اذا وقعت هذه الاشياء وخربت الدنيا علمت كل نفس الخ لكن لا على انها تعلمه عند البعث بل عند نشر الصحف لما عرفت فى السورة السابقة من أن المراد بها زمان واحد مبدأه النفخة الاولى ومنتهاه الفصل بين الخلائق لا ازمنة متعددة حسب

تعدد كلمة اذا وانما كررت لتهويل ما فى حيزها من الدواهى فالمراد العلم التفصيلى الذى يحصل عند قرآءة الكتب والمحاسبة

واما العلم الاجمالى فيحصل فى اول زمان البعث والحشر لان المطيع يرى آثار السعادة العاصى يرى آثار الشقاوة فى اول الامر قال ابن الشيخ فى حواشيه العلم بجميع ذلك كناية عن المجازاة عليه والمقصود من الكلام الزجر عن المعصية والترغيب فى الطاعة.

٦

{ يا أيها الانسان } يعم جميع العصاة ولا خصوص له بالكفار لوقوعه بين المجمل مفصله اى بين علمت نفس الخ وبين ان الابرار الخ

واما قوله بل تكذبون بالدين فمن قبيل بنوا فلان قتلوا زيدا اذا كان القاتل واحدا منهم قال الامام السهيلى رحمه الله قوله يا أيها الانسان يريد امية بن خلف ولكن اللفظ عام يصلح له ولغيره

وقيل نزلت فى الوليد بن المغيرة او الاسود بن كلدة الجمحى قصد النبى عليه السلام فى بطحاء مكة فلم يتمكن منه فلم يعاقبه الله على ذلك وفى زهرة الرياض ضرب على يا فوخ رسول الله عليه السلام فأخذه رسول الله وضربه على الارض فقال له يا محمد الامان الامان منى الجفاء ومنك الكرم فانى لا أوذيك ابدا فتركه رسول الله عليه السلام

{ ما غرك بربك الكريم } ما استفهامية فى موضع الابتدآء وغرك خبره والاستفهام بمعنى الاستهجان والتوبيخ والمعنى اى شئ خدعك وجرأك على عصيانه وأمنك من عقابه وقد علمت ما بين يديك من الدواهى وما سيكون حينئذ من مشاهدة اعمالك كلها يقال غره بفلان اذا جرأه عليه وأمنه المحذور من جهته مع انه غير مأمون والتعرض لعنوان كرمه تعالى للايذان بأنه ليس مما يصلح أن يكون مدار الاغترار حسبما يغويه الشيطان ويقول له افعل ما شئت فان ربك كريم قد تفضل عليك فى الدنيا وسيفعل مثله فى الآخرة فان قياس عقيم وتمنية باطلة بل هو مما يوجب المبالغة فى الاقبال على الايمان والطاعة والاجتناب عن الكفر

والعصيان كأنه قيل ما حملك على عصيان ربك الموصوف بالصفات الزاجرة عن الداعية ولهذا قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لما قرأها غره جهله وقال الحسن البصرى رحمه الله غره والله شيطانه فظهر أن كرم الكريم لا يقتضى الاغتراب به بل هو يقتضى الخوف والحذر من مخالفته وعصيانه من حيث ان اهمال الظالم ينافى كونه كريما بالنسبة الى المظلوم وكذا التسوية بين الموالى والمعادى فاذا كان محض الكرم لا يقتضى الاغترار به فكيف اذا انضم اليه صفة القهر والله الاسماء المتقابلة ولذا قال نبئ عبادى انى أنا الغفور الرحيم وان عذابى هو العذاب الأليم قال القاشانى كان كونه كريما يسوغ الغرور ويسهله لكن له من النعم الكثير والمنن العظيمة والقدرة الكاملة ما يمنع من ذلك اكثر من تجوزه الكرم اياه

وقيل للفضيل بن عياض رحمه الله ان أقامك الله يوم القيامة وقال لك ما غرك بربك الكريم ماذا تقول قال أقول غرتنى ستورك المرخاة ونظمه ابن السماك فقال

يا كاسب الذنب أما تستحى ... والله فى الخلوة ثانيكا

غرك من ربك امهاله ... وستره طول مساويكا

قال صاحب الكشاف قول الفضيل على سبيل الاعتراف بالخطا في الاغترار بالستر وليس باعتذار كما يظنه الطماع ويظن به قصاص الحشوية ويرونه من ائمتهم انما قال بربك الكريم دون سفاته مناالجبال والقهار والمنتقم وغير ذلك ليلقن عبده الجواب حتى يقول غرنى كرم الكريم.

يقول الفقير الحق ان هذا الباب مما يقبل الاختلاف بالنسبةالى أحوال الناس فليس من يفهم الاشارة كمن لا يفهما وكم من فرق بين ذنب وذنب وظن وظن ولذا قال أهل الاشارة ايراد الاسم الكريم من بين الاسماء كأنه من جهة التلقين.

خود تو دادى مزدهء لانقطوا ... من جرا ترسم زعصيان وعتو

جون توهر شكسته راسازى درست ... بس خطاها بر آميد عفوتست

وقال يحيي بن معاذ رحمه الله غرنى بركك سالفا وآنفا

يقول مولاى اما اتستحى ... مما أرى من سوء أفعالك

فقلت يا مولاى رفقا فقد ... أفسدنى كثرة افضالك

وعن على رضى الله عنه انه صوت بلغام له مرارا فلم يجبه وهو بالباب فقال لم لم تجبنى فقال لثقتى بحلمك وأمنى من عقوبتك فأعتقه احسانا لقوله وقال بعض أهل الاشارة عجبت من هذا الخطاب الذى فيه تهديد المخالفةومواساة الموافق كيف يخاطب المخالف بخطاب فيه مواساة الموافق ففيه من الرموز ما لا يعرفه الا اهل الاشارة

قال بعضهم رأيت فى سوق البصرة جنازة يحملها اربعة وليس معهم مشيع فقلت لا اله الا الله سوق البصرة وجنازة رجل مسلم لا يشيعها احدانى لأشيعها فتبعتها وصليت عليها ولما دفنوه سألتهم عنه قالوا ما نعرفه وانما اكترتا تلك المرأة وأشاروا الى امرأة واقفة قريبا من القبر ثم النصرفوا فرفعت المرأة يدها الى السماء تدعو ثم ضحكت وانصرفت فتعلقت بها وقلت لا بد أن تخبرينى بقضيتك فقالت ان هذا الميت ابنى ولم يترك شيأ

من المعاصى الا فعله فمرض ثلاثة ايام فقال لى يا أمى اذا مت لم تخبرى الجيران بموتى فانهم يفرحون بموتى ولا يحضرون جنازتى ولكن اكتبى على خاتمى لا اله الا الله محمد رسول الله وضعيه فى أصبعى وضعى رجلك على خدى اذا مت وقولى هذا جزآء من عصى الله فاذا دفنتنى فارفعى يديك الى الله وقولى اللهم انى رضيت عنه فارض عنه فلما مات فعلت جميع ما أوصانى به فلما رفعت يدى الى السماء ودعوت سمعت صوته بلسان فصيح انصرفى يا أمى فقد قدمت على رب كريم رحيم فرضى عنى فلذلك ضحكت سرورا بحاله اورده الامام القشيرى فى شرح الاسماء (وفى الحديث الصحيح) (ان الله يدنى المؤمن فيضع عليه كنفه وستره فيقول أتعرف ذنب كذا فيقول نعم اى رب حتى قرره بذنوبه ورأى فى نفسه انه هلك قال سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفر لك اليوم)

٧

{ الذى خلقك } صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم لان الخلق اعطاء الوجود وهو خير من العدم منبهة على ان من قدر على الخلق وما يليه بدأ قدر عليه اعادةاى خلقك بعد أن لم يتكن شيا

{ فسواك } اى جعل اعضاءك سوية سليمة معدة لمنافعها اى بحيث يترتب على كل عضو منها منفعته التى خلق ذلك العضو لاجلها كالبطش لليد والمشى للرجل والتكلم للسان والابصار للبصر والسمع للاذن الى غير ذلك

{ فعدلك } عدل بعض تلك الاعضاء ببعض بحيث اعتدلت ولم تتفاوت مثل أن تكون احدى اليدين او الرجلين او الاذنين أطول من الآخرى أو تكون احدى العينين اوسع من الاخرى او بعض الاعضاء ابيض وبعضها اسود أو بعض الشعر فاحما وبعضه أشقر قال علماء التشريح انه تعالى ركب جانبى هذه الجثة على التساوى حتى انه لا تفاوت بين نصفيه لا فى العظام ولا فى اشكالها ولا فى الاوردة والشرايين والاعصاب النافذة فيها والخارجة منها فكل ما فى احد الجانبين ماسو لما فى الجانب

الآخر ويقال عدله عن الطريق اى صرفه فيكون المعنى فصرفك عن الخلقة المكروهة التى هى لسائر الحيوانات وخلقك خلقة حسنة مفارقة لسائر الخلق كما قال تعالى فى احسن تقويم وقرئ فعدلك بالتشديد اى صيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه فهو بالمعنى الاول من المخفف وقال الجنيد قدس سره تسوية الخلقة بالمعرفة وتعديلها بالايمان وقال ذو النون قدس سره اوجدك فسخر لك المكونات اجمع ولم يسخرك لشئ مناه وفى التأويلات النجمية يا أيها الانسان المخلوق على صورته كأنك غرك كمال المظهرية وتمام المضاهاة خلقك فى احسن صورة فسواك فى احسن تقويم فجعل بنيتك الصورة وبنيتك المعنوية سليمة مسواة ومعتدلة ومستعدة لقبول جميع الكمالات الالهية والكيانية كما قال عليه السلام (اوتيت جوامع الكلم اى الكلم الالهة والكلم الكيانية)

٨

{ فى اى صورة ما شاء ركبك } الجار متعلق بركبك وما مزيدة لتعميم النكرة وشاء صفة لصورة والعائد محذوف وانما لم يعطف الجملة

على ما قبلها لانها بيان لعدلك والمعنى ركبك فى اى صورة شاءها

واقتضتها مشيئتة وحكمته من الصور العجيبة الحسنة او من الصور

المختلفة فى الحسن والقبح والطول والقصر والذكورة والانوثة والشبه ببعض

الاوقات وخلاف الشبه كما فى الحديث ان النطفة اذا استقرت فى الرحمن

أحضرها الله كل نسب بينهما وبين آدم وصورها فى اى شبيه شاء وقال

الواسطى رحمه الله صور المطيعين والعاصين فمن صوره على صورة الولاية

ليس كمن صور على صورة العداوة اى صور بعضهم على الصورة الجمالية

اللطفية وبعضهم على الصورة الجلالية القهرية قال حضرة شيخى وسندى

قدس سره فى كتاب اللائحات البرقيات له لاح ببالى ان تلك الصورة

التركيبية تتناول الصورة العلمية والصورة الروحية والصورة المثالية والصورة

الجسمية وغير ذلك من الصور المركبة فى الاطوار لكن المقصود بالذات انما

هو هذه الاربع والتركيب فى الصورة العلمية والروحية عقلى ومعنى وفى

الصور المثالية والجسمية حسى وروحى والمراد من التركيب فى الصورة

العلمية ظهور الذات وفى الصورة الروحية ظهور الصفات وفى الصورة المثالية

ظهور الافعال وفى الصورة الجسمية ظهور الآثار وهذه الظهورات من تلك
التركيبات بمنزلة النتائج من القاسيات وبمنزلة المجزع من الاجتماعات
واجرآؤها انما هى احكام الوجوب واحكام الامكان والمراد من احكام
الوجوب هو الاسماء الالهية الفاعلة المؤثرة والمراد من احكام الامكان هو
الحقائق الكونية القابله المتأثرة والتركيب من هذه اجزآء فى اى صورة كان
انما هو لظهور محل يكون مظهر الظهور آثارها وخواصها مجتمعة وعند هذا
الظهور الاجتماعى فى ذلك المحل الجامع كالنشأة الانسانية المخاطبة ههنا
ان كانت الغلبة لاجزآء احطام الوجوب تكون تلك النشأة علوية مائلة الى
جانب العلو والحق هى تكون باقية على فطرة الاصلية الالهية قابلة مستعدة
للفيض والتجلى والوصول الى عالم القدس وان كانت لاجزاء احكام
الامكان تكون تلك النشأة سفلية مائلة الى جانب السفل والخلق وخارجة
عن الفطرة الاصلية الازلية غير قابلة ومستعدة للفيض والتجلى والوصول
الى عام القدس بل تبقى فى عالم الدنس مدنسة بدنس الجهالة والغفلة
النسيان لا خبر لها عن نفسها وربها وتكون أعمى واصم وابكم لا نعرف

يمينها من شمالها ولا ترى شمالها من يمينها اولئك كالانعام بل هم اضل

انتهى كالمه روح الله روحه.

٩

{ كلا } كلمة ردع فالوقف عنها اى ارتدعوا عن الاغترار بكرم

الله وجعله ذريعة الى الكفر والمعاصى مع كونه موجبا للشكر والطاعة

وقيل توكيد لتحقيق ما بعده بمعنى حقا فالوقف على ركبك كما

رجحه السجاوندى حيث وضع علامة الوقف المطلق على ركبك

{ بل تكذبون بالدين } قال فى الارشاد عطف على جملة ينساق

اليها الكلام كأنه قيل بعد اردع بطريق الاعتراض وأنتم لا ترتدعون عن

ذلك بل تجترئون على اعظم من ذلك حيث تكذبون بالجزآء والبعث رأسا

فانه يراد بالدين الجزآء والمكافأة ومنه الديان فى صفة الله او تكذبون بدين

الاسلام اللذين هما من جملة احكامه فلا تصدقون سؤالا ولا جوابا ولا

ثوابا ولا عقابا.

١٠

{ وان عليكم لحافظين } حال من فاعل تكذبون وجمع الحافظين باعتبار كثرة المخاطبين او باعتبار ان لكل واحد منهم جمعا من الملائكة كما قال اثنان بالليل واثنان بالنهار اى تكذبون بالجزآء والحال ان عليكم أيها المكلفون من قبلنا الملائكة حافظين لأعمالهم وبالفارسية نكهبانان.

١١

{ كراما } جمع كريم اى لدينا يجبرهم فى طاعتنا او بادآء الامانة اذا الكريم لا يكون خوانا وفى فتح الرحمن وصفهم بالكرم الذى هو نفى المذام

وقيل كرام يسارعون الى كتب الحسنات ويتوقفون فى كتب السيئات رجاء ان يستغفر ويتوب فيكتبون الذنب والتوبة منه معا وفى زهرة الرياض سماهم كراما لانهم اذا كتبوا حسنة يصعدون الى السماء ويعرضونها الله ويشهدون ويقولون ان عبدك فلانا عمل حسنة

واما فى السيئة فيسكتون ويقولون الهى أنت ستار العيوب وهم يقرأون كل يوم كتابك ويمدحوننا فانا لا نهتك استارهم

واما معنى التعطف كما فى سورة عبس فلا يلائم هذا المقام كما فى بعض التفاسير

{ كاتبين } للاعمال.

١٢

{ يعلمون } لحضورهم وعدم افتراقهم عنكم

{ ما تفعلون } من الافعال قليلا وكثيرا ويضبطون نفيرا وقطميرا لتجاوزا بذلك (وفى الحديث) (اكرموا الكرام الكاتبين الذى لا يفارقونكم الا عند احدى الحالتين الجنابة والغائط) قال فى عين المعانى قوله يعلمون يدل على ان السهو والخطأ وما لا تبعة فيه لا يكتب وكذا ما استغفر منه حيث لم يقل يكتبون انتهى وقوله ما تفعلون وان كان عاما لافعال القلوب والجوارح لكنه عام مخصوص بافعال الجوارح لان ما كان من المغيبات لا

يعلمه الا الله وفى كشف الاسرار علمهم على وجهين فما كان من ظاهر

قول او حركة جوارح علموه بطاهره وكتبوه على جهته وما كان من باطن

ضمير يقال انهم يجدون لصالحه رآئحة طيبة والطالحة رآئحة خبيثة فيكتبونه

مجملا عملا صالحا وآخر سيئا انتهى وقد مر بيان هذا المقام فى سورتى

الزخرف وق فارجع وخص الفعل بالذكر لانه اكثر من القول ولان القول

قد يراد به الفعل فاندرج فيه وعن الفضيل انه كان اذا قرأ هذه الآية قال

ما اشدها من آية على الغافلين ففيها انذار وتهويل وتشديد للعصاة وتبشير

ولطف للمطيعين وفى تعظيم الكاتبين بالثناء عليهم تفخيم لامر الجزآء وانه

عند الله من جلائل الامور حيث يستعمل فيه هؤلاء الكرام فالتعظيم انما

هو فى وصفهم بالكرم لا بالكتب والحفظ وطعن بعض المنكرين فى حضور

الكاتبين اما اولا فبأنه لو كانت الحفظة وصحفهم واقلامهم معنا ونحن لا

نراهم لجاز أن يكون بحضرتنا جبال واشخاص لا نرا وذلك دخول فى

الجهالات وجوابه ان الملائكة من قبل الاجسام اللطيفة فحضورهم لا

يستلزم الرؤية ألا ترى ان الله امد المؤمنين فى بدر بالملائكة وكانوا لا يروهم

الا من شاء الله رؤيته وكذا الجن من هذا القبيل ولذا قال تعالىايراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم فكما ان الهوآء لا يرى للطافته فكذا غيره من اهل اللطافة

واما ثانيا فبأن هذه الكتابة والضبط ان كان لا لفائدة فهو عبث والله تعالى متعال عن ذلك وان كان لفائدة فلا بد أن تكون للعبد لان الله متعال عن النفع والضرر وعن تطرق النسيان وغاية ذلك ان يكون حجبة على الناس وتشديدا عليهم باقامتها لكن هذه ضعيف لان من علم ان الله لا يجور ولا يظلم لا يحتاج فى حقه الى اثبات هذه الحجة ومن لم يعلم ذلك لانتفعه لاحتمال ان يحمل على الظلم وجوابه الن الله يجرى اموره على عباده على ما يتعارفونه فى الدنيا بينهم ليكون ابلغ فى تقرير المعنعندهم من اخراج كتاب واضحار شهود عدل فى الزام الحجة عند الحاكم ولعبد اذا علمان الله رقيب عليه والملائكة يحفظون اعماله ويكتبونها فى الصحيفة وتعرض على رؤوس الاشهاد يوم القيامة كان ذلك ازجر له عن المعاصى وامنع من السوء

واما ثالثا فبأن افعال القلوب غير مرئية فلا يكتبونها مع انها محاسب

بها لقوله تعالى وان تبدوا ما الامام الغزالى رحمه الله كل ذرك يشعر به قلبك

تسمعه الملائكة الحفظة فان شعورهم يقارن شعورك حتى اذا غاب ذكرك

عن شعورك بذهابك فى المذكور بالكلية غاب عن شعور الحفظة ايضا وما

دام القلب بلتفت الى الذكر فهو معرض عن الله وفهم من هذا المقال ان

قياس اطلاع الملائكة على الوقائع على اطلاع الناس غير مستقيم فان

شؤونهم علما وعملا غير شؤون الناس على ان من اصلح من الناس سريرته

قد يكشف الضمائر ويطلع على الغيوب باطلاع الله تعالى فما ظنك

بالملائكة الذين هم ألطف جسما وأخف روحا.

١٣

{ ان الابرار } الذين يروا وصدقوا فى ايمانهم باداء الفرآئض

واجتناب المعاصى وبالفارسية وبدرستى كه نيكو كاران وفرمان برداران .

جمع بر بالفتح وهو بمعناالصادق والمطيع والمحسن وأحسن الحسنات لا اله

الا الله ثم بر الوالدين وبر التلامذه للاساتذه وبر أهل الارادة للشيوخ كما

قال فى فتح الرحمن هو الذى قد اطرد بره عموما فبرره به فى طاعته اياه وبر الناس فى جلب ما استطاع من الخير لهم وغير ذلك (وفى الحديث) بروا آباءهم كما بروا ابناءهم

{ لفى نعيم } وهو نعيم الجنة وثوابها والتنوين للتخفيم.

١٤

{ وان الفجار } وبدرستى كه دروغ كويان ومنكران حشر جمع فاجر والفجور شق ستر الديانة

{ لفى جحيم } اى النار وعذابها والتنوين للتهويل والجملتان بيان لما يكتبون لاجله وهو أن الغاية اما النعيم

واما الجحيم وفيه اشارة الى النعيم الذكر والطاعة والمعرفة والشهود والحضور والوصال والى جحيم الغفلة والمعصية والجهل والاحتجاب والغيبوبة والفراق قال الخواص رحمه الله طاب النعيم اذا كان منه وطلب الجحيم اذا كان به وفى المثنوى

هر كجا باشد شه مارا بساط ... هست صحرا كربود سم الخياط

هر كجا كه يوسفى باشد جوماه ... جنت است اوراجه باشد قعرجاء

١٥

{ يصلونها } اما صفة لجحيم او استئناف مبنى على سؤال نشأ عن تويلها كأنه قيل ما حالهم فيها فقيل يقاسون حرها كما قال الخليل صلى الكافر النار قاسى حرها وباشره ببدنه ولم يصف النعيم بما يلائمه لان ما سبق من الكلام كان فى المكذبين الفجرة لان المقام مقام التخويف وذكر تبشير الابرار لانه ينكشف به حال الفجار الاشرار لان الاشياء تعرف باضدادها

{ يوم الدين } يوم الجزآء الذى كانوا يكذبون به.

١٦

{ وما هم } ونيست فجار

{ عنها } اى عن الجحيم

{ بغائبين } طرفة عين يعنى دروجاويد باشند وبيرون نيايند كقوله تعالى وما هم بخارجين منها فالمراد دوام نفى الغيبة لا نفى دوام الغيبة

وقيل وما كانوا غائبين عنها قبل ذلك بالكلية بل كانوا يجدون سمومها فى قبورهم حسبنما قال النبى عليه السلام (القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران)

١٧

{ وما ادراك } الخطاب لكل من يتأتى منه الدراية وما مبتدأ وادراك خبره

{ ما } خبر قوله

{ يوم الدين } وما لطلب الوصف وان كان وضعه لطلب الحقيقة وشرح الاسم والمعنى اى شئ جعلك داريا وعالما ما يوم الدين اى اى شئ عجيب هو فى الهول والفظاعة اى ما ادراك الى هذا الآن احد كنه امره

فانه خارج عن دآئرة دراية الخلق على اى صورة يصورونه فهو فوقها واضعافها.

١٨

{ ثم ما ادراك ما يوم الدين } تكرير بثم المفيدة للترقى فى الرتبة للتأكيد وزيادة التخويف والمجوع تعجيب للمخاطبين وتفخيم لشأن اليوم واظهار يوم الدين فى موقع الاضمار تأكيد لهوله وفخامته.

١٩

{ يوم لا تملك نفس لنفس شيأ } بيان اجمال لشأن يوم الدين اثر ابهامه وبيان خروجه عن دآئرة علوم الخلق بطريق انجاز الوعد فان نفى ادرآئهم مشعر بالوعد الكريم بالادرآء قال ابن عباس رضى الله عنهما كل ما فى القرءآن من قول تعالى وما ادراك فقد ادراه وكل ما فيه من قوله وما يدريك فقد طوى عنه ويوم مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف وحركته الفتح لاضافته الى غير متمكن كأنه قيل هو يم لا تملك فيه نفس من

النفوس شيأ من الاشياء او منصوب باضمار اذكر كأنه قيل بعد تفخيم امر يوم الدين وتشويقه عليه السلام الى معرفته اذكر يوم لا تملك الخ فانه يدريك ما هو ودخل فى نفس كل نفس ملكية وبشرية وجنية وفى شئ كل ما كان من قبيل جلب المنفعة او دفع المضرة

{ والامر } كله

{ يومئذ } اى يوم اذ لا تملك نفس لنفس شيأ

{ لله } وحده والامر واحد الاوامر فان الامر والحكم والقضاء من شأن الملك المطاع والخلق كلهم مقهورون تحت سطوات الربوبية وحكمها ويجوز أن يكون واحد الامور فان امور اهل المحشر كلها بيده تعالى لا يتصرف فيها غيره اخبر تعالى بضعف الناس يومئذ وانه لا ينفعهم الاموال والاولاد والاعوان والشفعاء كما فى الدنيا بل ينفعهم الايمان والبر والطاعة وانه لا يقدر أحد أن يتكلم الا باذن الله وامره اذ لامر له فى الدنيا والآخرة فى الحقيقة وان كان يظهر سلطانه فى الآخرة بالنسبة الى المحجوب لان

المحجوب يرى ن الله ملكه فى الدنيا وجعل له شيأ من الامور والاوامر فاذا كان يوم القيامة يظهر له ان الامر والملك لله تعالى لا يزاحمه فيه احد ولا يشاركه ولو صورة وفيه تهديد لارباب الدعاوى واصحاب المخالفة وتبينه على عظيم بطشه تعالى وسطوته.

وفى الحديث (من قرأ اذا السماء انفطرت اعطاه الله من الاجر بعدد كل قبر حسنة وبعدد كل قطرة ماء حسنة واصلح الله شأنه يوم القيامة)

سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ مَكِّيَّةٌ

وَهِيَ سِتٌّ وَثَلاَثُونَ آيَةً

١

{ ويل } شدة الشر او الهلاك او العذاب الاليم وقال ابن كيسان هو كلمة كل مكروب واقع فى البلية فقولك ويل لك عبارة عن استحقاق المخاطب لنزول البلاء والمحنة عليهم الموجب له ان يقول واويلاه ونحوه

وقيل اصله وى لفلان اى الحزن فقرن بلام الاضافة تخفيفا وبالفارسية واى.

وهو مبتدأ وان كان نكرة لوقوعه فى موقع الدعاء على ما سبق بيانه فى المرسلات

{ للمطففين } الباخسين حقوق الناس فى المكيال والميزان وبالفارسية مركاهند كانرا دركيل ووزن . فان التطفيف البخس فى الكيل والوزن والخيانة فيهما بأن لا يعطى المشترى حقه تاما كاملا وذلك لان ما يبخس شئ طفيف حقير على وجه الخفية مبنى جهة دباءة الكيال والوزان وخساستهما اذا الكثير يظهر فيمنع منه ولذا سمى مطففا قال الراغب يقال طفف الكيل قلل نصيب الميكل له فى ايفائه واستيفائه وقال

سعدى المفتى والظاهر ان بناء التفعيل للتكثير لان البخس لما كان من

عادتهم كانوا يكثرون التطفيف ويجوز ان يكون للتعدية انتهى روى ان

رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قدم المدينة وكان اهلها من أبخس الناس

كيلا فنزلت فخرج فقرأها عليهم وقال (خمس بخمس ما نقض قوم العهد

الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم

الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا

منعوا النبات وأخذوا السنين ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر فعملوا

بموجبها واحسنوا الكيل) فهم او فى الناس كيلا الى اليوم وعن على رضى

الله عنه انه مر برجل يزن الزغفران وقد ارجح فقال اقم الوزن بالقسط ثم

ارجح بعد ذلك ما شئت كأنه امره اولا بالتسوية ليعتادها ويفصل الواجب

من اليفل وعن ابن عباس رضى الله عنهما انكم معشر الاعاجم وليتم

امرين بهما هلك من كان قبلكم المكيال والميزان وخص الاعاجم لانهم

كانوا يجمعون الكيل والوزن جميعا وكانا مفرقين فى الحرمين كان اهل مكة

يزنون واهل المدينة يكيلون وعن عكرمة أشهد أن كل كيال ووازن فى النار

فقيل لو أن ابنك كيال او وازن فقال أشهد انه فى النار وعن الفضيل بخس الميزان سواد الوجه يوم القيامة وعن مالك بند ينار انه دخل على جار له احتضر فقال يا مالك جبلان من نار بين يدى أكلف الصعود عليهما فسألت اهله فقال او كان له مكيلان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر فدعوت بهما فضرت احدهما بالآخر حتى كسرتهما ثم سألت الرجل فقال ما يزداد الامر على العظما ودر فصول سبعين آورده كه هركه دركيل ووزن خيانت كند فردا اورا بقعر دوزخ درآورده ميان دوكوه ازآتش بنشانند وكويند كلهما وزنهما آرا ميستجد وميسوزد

توكم دهى وبيش ستانى بكيل ووزن ... روزى بود كه از كم وبيشت خبر كنند

٢

{ الذين } الخ صفة كاشفة للمطففين شارحة لكيفية تطفيفهم الذى استحقوا به الذم . والدعاء بالويل

{ اذا اكتالوا على الناس } اى من الناس مكيلهم بحكم الشرآء ونحوه والاكتيال الاخذ بالكيل كالاتزان الاخذ بالمزان

{ يستوفون } الاستيفاء عبارة عن الاخذ الوافى اى يأخذونه وافيا وافرا وتبديل كلمة من بعلى لتضمين الاكتيال معنى الاستيلاء او للاشارة الى انه اكتيال مضربهم لكن لا على اعتبار الضرر فى حيز الشرط الذى تتضمنه كلمة اذا لا خلاله بالمعنى بل فى نفس الامر بموجب الجواب فان المراد بالاستيفاء ليس أخذ الحق وافيا من غير نقص بل مجرد الاخذ الوافى الوافر حسبما أرادوا فأى وجه يتيسر من وجوه الحيل وكانوا يفعلونه بكبس الكيل وتحريك المكيال والاحتيال فى ملئه فيسرقون من افواه المكاييل وألسنة الموازين.

٣

{ واذا كالوهم او وزنهم } الكيل بيمودن به بيمانه تا مقدارمكيل معلوم كردد.

والوزن والزنة سنجيدن تا مقدار موزون معلوم شود . اى واذا كالوا

للناس او وزنوا لهم المبيع ونحوه بالفارسية وجون مى بيمايند برى ناس

ويامى سنجند حقوق ايشانرا . فحذف الجار واوصل الفعل كما قال فى

تاج المصادر وزنت فلانادرهما ووزنت لفلان بمعنى والاصل اللام ثم حذفت

فوصل الفعل ومنه الآية انتهى فلفظ هم منصوب المحل على المفعولية لا

مرفوعه على التأكيد للواو لان واو الجمع اذا تصل به ضمير المفعول لا

يكتب بعده الالف كما فى نصروك ومنه الآية اذ لم يكتب الالف فى

المصحف واذا وقع فى الطرف بأن يكون الضمير مرفوعا واقعا للتأكيد

فحيئذ يكتب بعده الالف لان المؤكد ليس كالجزء مما قبله بخلاف المفعول

واما نحو شاربو الماء فالاكثر على حذف الالف لقلة الاتصال واو

الجمع بالاسم هذا فان قلت خط المصحف خارج عن

القياس قلت الاصل فى امثاله اثباته فى المصحف فلا يعدل عنه

{ يخسرون } اى ينقصون حقوقهم مع ان وضع الكيل والوزن انما

هو للتسوية والتعديل يقال خسر الميزان واخسره يعنى كم كردومى كاست.

ولعل ذكر الكيل والوزن فى صورة الا خسار والاقتصار على الاكتيال فى صورة الاستيفاء بأن لم يقل اذ اكتالوا على الناس او اتزنوا لما أنهم لم يكونوا متمكنين من الاحتيال عند الاتزان تمكنهم منه عند الكيل والوزن كما قال فى الكشاف كأن المطففين كانوا لا يأخذون ما يكال ويوزن الا بمكاييل دون الموازين لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة لانهم يزعزعون ويحتالون فى الملئ واذا اعطوا كالوا او وزنوا لتمكنهم من البخس فى النوعين جميعا انتهى ويؤيده الاقتصار على التطفيف فى الكيل فى الحديث المذكور سابقا وعدم التعرض للمكيل والموزون فى الصورتين لان مساق الكلام لبيان سوء معاملتهم فى الاخذ والاعطاء لا فى خصوصية المأخوذ والمعطى قال أبو عثمان رحمه الله حقيقة هذه الآية عندى هو من يحس العبادة على رؤية الناس ويسيئ اذا خلا وفى التأويلات النجمية يشير على المقصرين فى اطاعة والعبادة الطالبين كمال الرأفة والرحمة الذين يستوفون من الله ميكال ارزاقهم بالتمام ويكيلونه مكيال الطاعة والعبادة بالنقص والخسران ذلك هو الخسران المبين وقال القاشانى يشير

الى التطفيف فى الميزان الحقيقى الذى هو العدل والموزونات به هى

الاخلاق والاعمال والمطففون هم الذي اذا اعتبروا كمالات انفسهم

متفضلين على الناس يستوفون اى يكثرونها ويزيدون على حقوقهم فى

اظهار الفضائل العلمية والعملية اكثر مما لهم عجبا وتكبرا واذا اعتبروا

كمالاس الناس بالنسبة الى كمالاتهم اخسروا واستحقروها ولم يراعوا العدالة

فى الحالين لرعونة انقسم ومحبة التفضل على الناس كقوله يحبون ان يحمدوا

بما لم يفعلوا . يقول الفقير فيه اشارة الى حال النفس القاصرة فى التوحيد

الحقيقى فانها اذا اعطته الروح تخسره لنقصانها وصورها فيه على انه لا

يدخل فى الميزان اذ لا مقابل له فمن ادخله فى الميزان فقد نقص شأنه

وشأن نفسه ايضا

واما التوحيد الرسمى فهى تستوفيه من الروح لانه حقها ولا نصيب

سواه.

٤

{ ألا يظن } آيانمى بندارند

{ اولئك } المطففون الموصوفون بذلك الوصف الشنيع الهائل فقوله ألا ليست هى التى للتنبيه لان ما بعد حرف التنبيه مثبت وهنا منفى لان ألا التنبيهية اذا حذفت لا يختل المعنى نحو ألا انهم لفى سكرتهم يعمهون واذا حذفت ألا هذه اختل المعنى بل الهمزة الاستفهامية الانكارية داخلة على لا النافية وجوز أن تكون للعرض والتحضيض على الظن { انهم مبعوثون }

ه

{ ليوم عظيم } لا يقادر قدر عظمه وعظم ما فيه من الاهوال ومحاسبون فيه على مقدار الذرة والخردلة فان من يظن ذلك وان كان ظنا ضعيفا فى حد الشك والوهم لا يتجاسر على امثال هاتيك القبائح فكيف بمن يتيقنه فذكر الظن للمبالغة فى المنع عن التطفيف والا فالمؤمن لا يكفى له الظن فى امر البعث والمحاسبة بل لا بد من الاعتقاد الجازم.

٦

{ يوم يقوم الناس } منصوب باضمار أعنى

{ لرب العالمين } بتقدير المضاف اى لمجرد امره وحكمه بذلك لا لشيء آخر او لمحاسبة رب الالمين فيظهر هناك تطفيفهم ومجازاتهم او يقومون من قبورهم لرد رب العالمين ارواحهم الى اجسادهم روى انهم يقومون بين يدى الله تعالى اربعين عاما وفى رواية ثلاثمائة سنة من سنى الدنيا وعرق احدهم الى انصاف اذنيه لا يأتيهم خبر ولا يؤمر فيهم بأمر

وآن مقام هيبت باشد كه كس رازهرهء سخن نباشد ... ثم يخاطبون يفنى ازمقام هيبت بمقام محاسبة آرند

واما فى حق المؤمن فكون المكث كقدر انصرافهم من صلاة مكتوبة وفى تخصيص رب العالمين من بين سائر الصفات اشعار بالماليكة والتربية فلا يمتنع عليه الظالم القوى لكونه مملوكا مسخرا فى قبضة قدرته ولا يترك

حتى المظلوم الضعيف لان مقتضى التربية ان لا يضيع لاحد شيأ من الحقوق وفى هذه التشديدات اشارة الى ان التطفيف وان كان يتعلق بشئ حقير لكنه ذنب كبير قيل كل من نقص حق الله من زكاة وصلاة وصوم فهو داخل تحت هذا الوعيد وعن ابن عمر رضى الله عنهما انه قرأ هذه السورة فلمابلغ الى قوله يوم يقوم الناس لرب العالمين بكى نحيبا اى رفع الصوت وامتنع من قرآءة ما بعد من غلبة البكاء وملاحظة الحساب والجزاء وقال أعرابى لعبد الملك بن مروان انك قد سمعت ما قال تعالى فى المطففين وأراد بذلك ان المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم فى أخذ القليل فما ظنك بنفسك وأنت تأخذو اموال المسلمين بلا كيل ووزن.

٧

{ كلا } ردع عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن العبث والحساب فيحسن الوقف عليه وان كان بمعنى حقا فلا لكونه حينئذ متصلا بما بعده

{ ان كتاب الفجار لفى سجين } تعليل للردع والكتاب مصدر بمعنى المكتوب كاللباس بمعنى الملبوس او على حاله بمعنى الكتابة واللام للتأكيد وسجين علم الكتاب جامع هو ديوان الشر دون اعمال الشياطين واعمال الكفرة والفسقة من الثقلين منقول من وصف كحاتم وهو منصرف لانه ليس فيه الا سبب واحد وهو التعريف واصله فعيل من السجن مبالغة الساجن او لانه مطروح كما قيل تحت الارض السابعة فى مكان مظلم وحش وهو مسكن ابليس وذريته اذلالاهم وتحقير الشأنهم وتشهده الشياطين المدحورون كما ان كتاب الابرار يشهده المقربون فالسجين مبالغة المسجون والمعنى ان كتاب الفجار الذين من جملتهم المطففون اى ما يكتب من اعمالهم اوكتابة اعمالهم لفى ذلك الكتبا المدون فيه قبائح اعمال المذكورين وفى التأويلات النجمية اى كتاب استعدادهم الفطرى مكتوب فى ديوان سجين طبيعتهم المجبولة على الفسق والفجور بقلم اليد اليسرى على ورق صفحة جبينهم كما قال عليه السلام (السعيد من سعد فى بطن امه والشقى من شقى فى بطن امه)

٨

{ وما ادراك ما سجين } تهويل لامره اى هو بحيث لا يبلغه دراية احد.

٩

{ كتاب مرقوم } قال الراغب الرقم الخط الغليظ

وقيل هو تعجم الكتاب وقوله كتاب مرقوم حمل على الوجهين انتهى اى هو مسطور بني الكتابة بحيث كل من نظر اليه يطلع على ما فيه بلا دقة نظر وامعان توجهاو معلم يعلم من رآه انه لا خير فيه لاهاليه اى ذلك الكتاب مشتمل على علامة دالة على شقاوة صاحبه وكونه من اصحاب النار وكونه علامة الشر يستفاد من المقام لانه مقام التهويل وقال القفال قوله كتاب مرقوم ليس تفسيرا لسجين بل هو خبر لان والمعنى ان كتاب الفجار لفى سجين وانه كتاب مرقوم وقوله وما ادراك ما سجين وقع معترضا بين الخبرين وقال القاشانى ان كتاب الفجار اى ما

كتب من اعمال المرتكبين للرذآئل الذين فجروا بخروجهم عن حد العدالة المتفق عليها الشرع والعقل لفى سجين فى مرتبة من الوجود مسجون اهلها فى حبوس ضيقة مظلمة يزحفون على بطونهم كالسلاحف والحيات والعقارب الاء أخساء فى اسفل مراتب الطبيقة ودركاتها وهو ديوان اعمال اهل الشر ولذلك فسر بقوله كتاب مرقوم اى ذلك المحل المكتوب فيه اعمالهم كتاب مرقوم برقوم هيئات رذآئلهم وشرورهم

١٠

{ ويل } عظيم

{ يومئذ } اى يوم يقوم الناس لرب المهين فهو متصل به وما بينهما اعتراض وقال بعضهم اى يوم اذا أعطى ذلك الكتاب

{ للمكذبين } وقال الكاشفى ويل كلمه ايست جامع همه بديها يعنى عذاب وعقاب وشدت ومحنت دران روزمر مكذبان راست.

١١

{ الذين يكذبون بيوم الدين } صفة ذامة للمكذبين كقولك فعل

ذلك فلان الفاسق الخبيث لان تكذيبهم بيوم الدين علم من قوله ألا يظن

اولئك الخ قال بعض اهل الاشارة المكذبون بالحق وآياته هم ارباب النفوس

الذين اقبلوا على الدنيا وأعرضوا عن الحق ودينه الذى هو دين الاسلام

وكل يجازى بحسب دينه فمن لا دين له فجزآؤه سوء الجزاء والويل العظيم

ومن له دين فجزآؤه حسن الجزآء ورؤية الوجه الكريم فعليك بالتصديق.

١٢

{ وما يكذب به الا كل معتد } متجاوز عن حدود النظر

والاعتبار غال فى التقليد حتى استقصر قدرة الله على الاعادة مع مشاهدته

للبدء كالوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث ونحوهما

{ اثيم } كثير الاثم اى منهمك فى الشهوات الناقصة الفانية

بحيث شغلته عما ورآءها من اللذات التامة الباقية وحملته على انكارها

فالاعتدآء دل على اهمال القوة النظرية التى كما لها ان يعرف الانسان

وحدة الصانع واتصافه بصفات الكمال مثل العلم والارداة والقدرة نحوها والاثم دل على اهمال القوة العملية التى كمالها ان يعرف الانسان الخبر لاجل العمل به.

١٣

{ اذا تتلى عليه آياتنا } الناطقة بذلك

{ قال } من فرط جهله واعراضه عن الحق الذى لا محيد عنه

{ أساطير الاولين } اى هى حكايات الاولين واخبارهم الباطلة قال فى فتح الرحمن هى الحكايات التى سطرت قديما وهى جمع اسطورة بالضم واسطارة بالكسر وهى الحديث الذى لا نظام له.

١٤

{ كلا } ردع للمعتدى عن ذلك القول الباطل وتكذيب له فيه ويجوز أن يكون ردعا عن مجموع التكذيب والقول

{ بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون } قرأ حفص عن عاصم بل باظهار اللام مع سكته عليها خفيفة بدون القطع ويبتدئ ران وقرأ الباقون بادغام اللام فى الرآء ومنهم حمزة والكسائى وخلف وأبو بكر عن عاصم يميلون فتحة الرآء قال بعض المفسرين هرب حفص من اجتماع ثقلتى الرآء المفخمة والادغام انتهى ويرد عليه قل رب فانه لا سكتة فيه بل هو بادغام احد المتقاربين فى الآخرة فالوجه انه انما سكت حفص على لام بل ران وكذا على نون من راق خوف اشتباهه بتثنية البر ومبالغة مارق حيث يصير بران ومراق وما موصوله والعائد محذوف ومحلها الرفع على الفاعلية والمعنى ليس فى آياتنا ما يصح ان يقال فى شأنها مثل هذه المقالات الباطلة بل ركب قلوبهم وغلب عليها ما كانوا يكسبونه من الكفر والمعاصى حتى صارت كالصدأ فى المرءآة فحال ذلك بينهم وبين معرفة الحق كما قال عليه السلام (ان العبد كلما اذنب ذنبا حصل فى قلبه نكتة سودآء حتى يسود قلبه) ولذلك قالوا ما قالوا والرين صدأ يعلو الشئ الجلى والطبع والدنس وران ذنبه على قلبه رينا وريونا غلب وكل ما غلبك رانك وبك

وعليك كما فى القاموس وران فيه النوم رسخ فيه وفى التعريفات الران هو الحجاب الحائل بين القلب وعالم القدس باستيلاء الهيئات النفسانية ورسوخ الظلمانية الجسمانية فيه بحيث ينحجب عن أنوار الربوبية بالكلية والغين بالمعجمة دون الرين وهو الصدأ فان حجاب رقيق يزول بالتصفية ونور التجلى لقاء الايمان معه والرين هو الحجاب الكثيف الحائل بين القلب والايمان ولهذ قالوا الغين هو الاحتجاب عن الشهود مع صحة الاعتقاد والطبع ان يطبع على القلب والاقفال ان يقفل عليه قيل الاقفال اشد من الطبع كما ان الطبع اشد من الرين قال القاشانى فى الآية اى صار صدأ عليه بالرسوخ فيها وكدرجوهرها وغيرها عن طبعها والرين حد من تراكم الذنب ورسوخه تحقق عنده الحجاب والغلق باب المغفرة نعوذ باالهل منه قال أبو سليمان الدارانى قدس سره الران والقسوة همازماما الغفلة فمن تيقظ وتكذرأ من من القسوة والرين ودوآؤهما ادمان الصيام فان وجد بعد ذلك قسوة فليترك الادام وقال بعض الكبار القلب مرءآة مصقولة كلها وجه فلا تصدأ ابدا وان اطلق عليها الصدأ فى نحو حديث ان القلوب

لتصدأ كما يصدأ الحديد وان جلاءها ذكر الله وتلاوة القرءآن فليس المراد بذلك الصدأ انه طخاء طلع على وجه القلب ولكنه لما تعلق واشتغل بعلم الاسباب عن العلم بالمسبب كان تعلقه بغير الله صدأ على وجه القلب مانعا من تجلى الحق اليه اذا لحضرة الآلهية متجلية على الدوام لا يتصور فى حقها حجاب عنا فلما لم يقبلها هذا القلب من جهة الخطاب الشرعى المحمود

وقيل غيرها عبر عن قبول الغير بالصدأ ولكن والقفل وغير ذلك وقد نبة الله على ذلك فى قوله وقالوا قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه فهى فى اكنة مما يدعوها الرسول اليه خاصة لا انها فى كن مطبقا فلما تعلقت بغير ما تدى اليه عميت عن ادراك ما دعيت اليه فلم تبصر شيأ فالقلوب أبدا لم تزل مفطورة على الجلاء مقصولة صافية (قال المولى الجامى)

مسكين فقيه ميكند انكار حسن دوست ... با او بكوكه ديدهء جانرا جلى كند

١٥

{ كلا } ردع وزجر عن الكسب الرآئن اى الموقع فى الرين

{ انهم } اى المكذبين

{ عن ربهم } وهو وقوله

{ يومئذ } اى يوم اذ يقوم الناس لرب العالمين متعلقان بقوله

{ لمحجوبون } فلا يرونه لانهم باكسابهم القبيحة صارت مرآءة قلوبهم ذات صدأ وسرت ظلمة الصدأ منها الى قوالبهم فلم يبق محل النور التجلى بخلاف المؤمنين فانهم يرونه تعالى لانهم باكسابهم الحسنة صارت مرآئى قلوبهم مصقولة صافية وسرى نور يرونه تعالى لانهم باكسابهم الحسنة صارت مرآئى قلوبهم مصقولة صافية وسرى نور الصقالة والصفوة منها الى قوالهم فصاروا مستعدين لانكعاس نور التجلى فى قلوبهم وقوالبهم وصاروا وجوها من جميع الجهات كوجود الوجه الباقى بل ابصارا بالكلية سئل مالك بن انس رحمه الله عن هذه الآية فقال لما حجب اعدآؤه فلم يروه لا

بد ان يتجلى لاوليائه حتى يروه يعنى احتج الامام مالك بهذه الآية على مسألة الرؤية من جهة دليل الخطاب والا فلو حجب الكل لم يبق للتخصيص فائدة وكذلك . آنكاه دريمان دوست ودشمن فرق نماند كوبى بهشت ميهمانيست

بى ديدن ميزبان جه باشد ... جون دشمن ودوست راجه باشد

بس فرق دران ميان جه باشد.

وعن الشافعى رحمه الله لما حجب قوما بالسخط دل على ان قوما يرونه بالرضى وقال شيخ الاسلام عبد الله النصارى رحمه الله لمحجوبون عن رؤية الرضى فان الشقى يراه غضبان حين يتجللى فى المحشر قبل دخول الناس الجنة وقال حسين بن الفضل رحمه الله كما حجبهم فى الدنيا عن توحيده حجبهم فى الآخرة عن رؤيته فالموحد غير محجوب عن ربه وقال سهل رحمه الله حجبهم عن ربهم قسوة قلوبهم فى العاجل وما سبق لهم من الشقاوة فى الازل فلم يصلحوا لبساط القرب والمشاهدة فابعدوا

وحجبوا والحجاب هو الغاية فى البعد والطرد وقال ابن عطاء رحمه الله الحجاب حجابان حجاب بعد وحجاب ابعاد فحجاب البعد لا تقريب فيه أبدا وحجاب الابعاد يؤدب ثم يقرب كآدم عليه السلام وقال القاشانى انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون لامتناع قبول قلوبهم للنور وامتناع عودها الى الصفاء الاول الفطرة كالماء الكبريتى مثلا اذ لوروق اوصعد لما رجع الى الطبيعة المائية المبردة لاستحالة جوهره بخلاف الماء المسخن استحالت كيفيته دون طبيعته ولهذا استحقوا الخلود فى العذاب وفى المفردات الحجب المنع عن الوصول والآية اشارة الى منع السور عنهم بالاشارة الى قوله فضرب بينهم بسور اى بحجاب يمنع من وصول لذة الجنة الى اهل النار وأذية اهل النار الى اهل الجنة وقال صاحب الكشاف كونهم محجوبين عنه تمثيل للاستخفاف بهم واهانتهم لانهم لا يؤذن على الملوك الا للوجهاء المكرمين لديهم ولا يحجب عنهم الا الا دنياء المهانون عندهم قال.

اذا اعتروا باب ذى مهابة رجبوا . والناس ما بين مرجوب ومحجوب

انتهى اى ما بين معظم ومهان وانما جعله تمثيلا لا كناية اذ لا يمكن

ارادة المعنى الحقيقى على زعمه من حيث انه معتزلى قال بعض المفسرين جعل الآية تمثيلا عدول عن الظاهر وهو مكشوف فان ظاهر قولهم هو محجوب عن الامير يفيد أنه ممنوع عن رؤيته وهو أكبر سبب الاهانة وما نقل عن ابن عباس رضى الله عنه لمحجوبون عن رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته فالمراد به بيان حاصل المعنى فان المحجوب عن الرؤية ممنوع عن معظم الرحمة والكرامة فالآية من جملة ادلة الرؤية فالحمد لله تعالى على بذل نواله وعطائه وعلى شهود جماله ولقائه.

١٦

{ ثم انهم } مع كونهم محجوبين عن رؤية الله

{ لصالوا الجحيم } اى دخلوا النار ومباشر واحرها من غير حائل اصله صالون حذفت نونه بالاضافة وثم لتراخى الرتبة فان صلى الجحيم أشد من الحجاب والاهانة والحرمان من الرحمة والكرامة فان الحجاب وان كان من قبيل العذاب الروحانى وهو أشد من العذاب الجسمانى لكن مجرد

النجاة من النار أهون من العذاب لان فلاعذاب الحسى حصور العذابين كما لا يخفى.

١٧

{ ثم يقال } لهم توبيخا وتقريعا من جهة الزبانية وانما طوى ذكرهم لان المقصود ذكر القول لا القائل مع ان فيه تعميما لاحتمال القائل وبه يشتد الخوف

{ هذا } العذاب وهو مبتدأ خبره قوله

{ الذى كنتم } فى الدنيا

{ به } متعلق بقوله

{ تكذبون } فذوقوه وتقديمه لرعاية الفاصلة لا للحصر فانهم كانوا يكذبون احكاما كثيرة.

١٨

{ كلا } ردع عما كانوا عليه بعد ردع وزجر بعد زجر

{ ان كتاب الابرار } اى الاعمال المكتوبة لهم على ان الكتاب مصدر مضاف الى مقدر

{ لفى عليين } لفى ديوان جامع لجميع اعمال الابرار فعليون علم لديوان الخير الذى جون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع على على فعيل من العلو للمبالغة فيه سمى بذلك اما لانه سبب الارتفاع الى اعالى الدرجات فى الجنة

واما لانه مرفوع فى السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريما له وتعظيما وروى ان الملائكة لتصعد بعمل العبد فيستقلونه فاذا انتهوا الى ما شاء الله من سلطانه أوحى اليهم انكم الحفظة على عبدى وانا الرقيب على ما فى قلبه وانه اخلص عمله فاجعلوه فى عليين فقد غفلت له لوانها تصعد بعمل العبد فيزكونه فاذا انتهبوا به الى ما شاء الله اوحى اليهم أنتم الحفظة وعلى عبدى وأنا الرقيب على قلبه وانه لم يخلص فى عمله فاجعلوه

فى سجين وفيه اشارة الى ان الحفظة لا يطلعون على الاخلاص والرياء الا بطالع الله تعالى

١٩

{ وما أدراك ما عليون } اى هو خارج عن دآئرة دراية الخلق.

٢٠

{ كتاب مرقوم } اى هو مسطور بين الكتابة يقرأ بلا تكلف او معلم بعلامة تدل على سعادة صاحبه وفوزه بنعيم دآئم وملك لا يبلى ولما كان عليون علما منقولا من الجمع حكم عليه بالمفرد وهو كتاب مرقوم واعرب باعراب الجمع حيث جرأ ولا بفى ورفع بالخبرية لملا الاستفهامية لكونه فى صورة الجمع

وقيل اسم مفرد على لفظ الجمع كعشرين وامثاله فليس له واحد.

٢١

{ يشهده } الملائكة

{ المقربون } عند الله قربة الكرامة اى يحضرونه ويحفظونه من الضياع وفى فتح الرحمن هم سبعة املاك من مقربى لاسماء من كل سماء ملك مقرب فيحضره ويشيعه حتى يصعد به الى ما يشاء الله ويكون هذا فى كل يوم او يشهدون بما فيه يوم القيامة على رؤوس الاشهاد وبه تبين سر ترك الظاهر بأن يقال طوبى يومئذ للمصدقين بمقابلة ويل يومئذ للمكذبين لان الاخبار بحضور الملائكة تعظيما واجلالا يفيد ذلك مع زيادة فخم كل واحد بما يصلح سواه مكانه وقال القاشانى ما كتب من صور أعمال السعدآء وهيئات نفوسهم النورانية وملكاتهم الفاضلة فى عليين وهو مقابل لسجين فى علوه وارتفاع درجته وكونه دويان اعمال اهل الخير كما قال كتاب مرقوم اى محل شريف رقم بصور اعمالهم من جرم سماوى اوعنصر انسانى يحضر ذلك المحل اهل الله الخاصة من اهل التوحيد الذاتى.

٢٢

{ ان الابرار } اى السعدآء الاتقياء عن درن صفات النفوس

{ لفى نعيم } ثم وصف كيفية ذلك النعيم بأمور ثلاثة اولها قوله

٢٣

{ على الارآئك } اى على الاسرة فى الحجال يعنى برتختاهى آرساته.

ولا يكاد تطلق الاريكة على السرير عندهم الا عند كونه فى الحجلة وهو بالتحريك بيت العروس يزين بالثياب والاسرة والستور

{ ينظرون } اى ما شاؤوا امد اعينهم اليه من رغائب مناظر الجنة والى ما اولاهم الله من النعمة والكرامة يعنى مى نكرندبجز هاكه ازان شادمان وفرحناك ميكردند از صور حسنه ومنتزهات بهيه.

وكذا الى اعدآئهم يعذبون فى النار وما تحجب الحجاب ابصارهم عن الادراك للطافتها وشفوفها اى رقتها فحذف المفعول لتعميم وقوله على الارآئك ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون حالا من المنوى فى الخبر او فى الفاعل فى ينظرون والتقديم لرعاية فواصل الآى

واما ينظرون فيجوز ان يكون مستأنفا وأن يكون حالا اما من

الموى فى الخبراو فى الظرف اى ناظرين قال ابن عطاء رحمه الله على ارآئك

المعرفة ينظرون الى المعروف وعلى ارآئك القربة ينظرون الى الرف وفيه

اشارة الى ان أرباب المقامات العالية ينظرون الى جميع مراتب الوجود لا

يحجبهم شئ عن المطالعة بخلاف الاغيار فانهم محجوبون عن مطالعة احوال

اهل الملكوت ورمز الى ان لكل من أهل روضة مخصوصة من الاسماء

والصفات فمنها ينظرون فمنهم عال واعلى وليس الاشراف على الكل الا

لاشرف الاشراف وهو قطب الاقطاف.

٢٤

{ تعرف فى وجوههم نضرة النعيم } وهو ثانى الاوصاف اى بهجة

التنعم وماءه ورونقه اى اذا رأيتهم عرفت انهم اهل النعمة بسبب ما يرى

فى وجوههم من القرآئن الدالة على ذلك كالضحك والاستبشار كما يرى

فى وجوه الاغنياء وأهل اترفه فمن هذا الاخير تعرف على ترى مع ان

المعرفة تتلعق بالخفيات غالبا والرؤية بالجليات غالبا والخطاب لكل احد

ممن له حظ من الخطاب للايذان بأن مالهم من آثار النعمة واحكام البهجة بحيث لا يختص برؤية رآئ دون رآئ قال جعفر رضى الله عنه يعنى لذة النظر تنلألأ مثل الشمس فى وجوههم اذا رجعوا مالا زيارة الله الى اوطانهم وقال بعضهم تعرف فى وجوههم رضى محبوبهم عنهم.

٢٥

يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ قيل بعض رحيق او مقدر معلوم اى شرابا كائنا من رحيق مبتدأ منه فمن ابتدآئية والرحيق صافى الخمر وخالها والمعنى يسقون فى الجنة من شراب خالص لا غش فيه ولا ما يكرهه الطبع ولا شئ يفسده وايضا صاف عن كدورة الخمار وتغيير النكهة وايرات الصداع { مختوم }

٢٦

{ ختامه } اى ما يختم ويطبع به

{ مسك } وهو طيب معروف اى مختوم اوانيه واكوابه بالمسك مكان الطين قال فى كشف اسرارا ما ختم به مسك رطب ينطبع فيه الخام امر الله باختم عليه اكراما لاصحابه فختم ومنع أن يمسه ماس او تتناوله يد الى أن يفك ختمه الابرار والاظهر انه تمثيل لكمال نفاسته اذا لشئ النفيس يختم لا سيما اذا كان ما يختم به المسك مكان الطين

وقيل ختام الشئ خاتمته وآخره فمعنى ختامه مسك ان الشارب اذا رفع فاه من آخر شربه وجد رآئحة كرآئحة المسك او وجد رآئحة المسك لكونه ممزوجا به كالاسربة الممسكة فى الدنيا فانه يوجد فيه رآئحة المسك عند خاتمة الشرب لا فى اول زمان الملابسة بالشرب وعن أبي الدردآء رضى الله عنه ان الرحيق شراب ابيض مثل الفضة يختمون به آخر شربهم ولو أن رجلا من اهل الدنيا ادخل فيه يده ثم اخرجها لم يبق ذو روح الا وجد طيب ريحه.

٢٧

{ وفى ذلك } الرحيق خاصة دون غيره من النعيم المكدر السريع الفناء او فيما ذكر من احوالهم لا فى احوال غيرهم من اهل الشمال

{ فليتنافس المتنافسون } فليرغب الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله يعنى عمل بجاى آرندكه سبب استحقاق شرب آن كردند . والامر للتحضيض والترغيب ظاهرا وللوجوب باطنا بوجوب الايمان والطاعة واصل التنافس التغالب فى الشئ النفيس اى المرغوب كأن كل واحد من الشخصين يريد أن يستأثر به واصله من النفس لعزتها وقال البغوى اصله من الشئ النفيس الذى يحرص عليه نفوس الناس ويريده كل احد لنفسه وينفس به على غيره اى يبخل وفى المفردات المنافسة مجاهدة النفس للتشبه بالافاضل واللحوق بهم من غير ادخال ضرر على غيره قال ذو النون المصرى رحمه الله علامة التنافس تعلق القلب به وطيران الضمير اليه والحركة عند ذكره والتباعد من الناس والانس بالوحدة والبكاء على ما سلف وحلاوة سماع الذكر والتدبر فى كلام الرحمن وتلقى النعم بالفرح والشكر والتعرض للمناجاة.

٢٨

{ ومزاجه من تسنيم } عطف على ختامه صفة اخرى لرحيق مثله وما بينهما اعتراض مقرر لنافسته اى ما يمزج به ذلك الرحيق من ماء تسنيم وهو علم العين بعينها تجرى من جنة عدن سميت بالتسنيم الذى هو مصدر سنمه اذا رفعه اما لانها ارفع شراب فى الجنة قدرا فيكون من علو المكانة

واما لانها تأيتهم من فوق فيكون من علو المكان روى انها تجرى فى الهوآء متنسمة فتنصب فى أوانيهم فاذا امتلأت امسك الماء حتى لا يقع منه قطرة على الارض فلا يحتاجون الى الاستقاء.

٢٩

{ عينا } نصب على المدح والاختصاص اى بتقدير أعنى

{ يشرب بها المقربون } من جناب الله قربا معنويا روحانيا اى يشربون ماءها صرفا وتمزج لسائر اهل الجنة وهم اصحاب

اليمن فالباء مزيدة او بمعنى من وفيه اشارة الى التسنيم فى الجنة الروحانية هو معرفة الله ومحبته ولذة النظر الى وجهه الكرمي والرحيق هو الاتبهاج تارة بالنظر الى الله واخرى بالنظر الى مخلوقاته فالمقربون افضل من الابرار بمحبت غير نيا ميخته اندشراب ايشان صرفست وآنهاكه محبت ايشان آميخته باشد شراب ايشان ممزوج باشد

ما شراب عيش ميخواهيم بى دردئ غم ... صاف نوشان ديرودردى فروشان ديكرند

وقال بعضهم

تسبيح رهى وصف جمال توبست ... وزهر دوجهان ورا وصال توبست

اندردل هركسى ذكر مقصوديست ... مقصود دل رهى خيال توبست

ودر بحر الحقائق آورده كه رحيق اشارتست بشراب خالص

ازكدورات خمار كونين واوانى مختومهء رى قلوب اولياء واصفيا كه ختام

اومسك محبت است لا يشرب من تلك الاوانى الا الطالبون الصادقون فى

طريق السلوك الى الله (على نفسه فليبك من شاع عمره . وليس له منها

نصيب ولا سهم) وتسنيم اعلاى مراتب محبت ذاتيه كه غير ممزوج باشد

بصفات وافعال ومقربان اهل فنا ف الله وبقا بالله انه كما قال العارف فى

خمر المحبة الصرفة الخالصة من المزج

عليك بها صرفا فان شئت مزجها ... فعد لك عن ظلم الحبيب

هو الظلم

العدل بمعنى العدول والظلم بالفتح هو ماء الاسنان وبريقها وبالضم

هو الجور أى فان شئت مزجها فامزجها بزلال فم الحبيب وبريقه ان لم

يتقدر على شربها صرفا ولا تعدل فان العدول عن ظلم الحبيب ورشحة

زلاله هو الظلم . وتاكسى بربساط قرب در مجلس انس ورياض قدس

ازدست ساقئ رضا جرعهء ازين شراب ناب نجشد بويى ازسراين سخنان بمشام جان وى نرسد

سرمايهء ذوق دوجهان مستى عشقست ... آنهاكه ازين مى نجشيد ندجه دانند

٣٠

{ ان الذين اجرموا } كانوا ذوى جرم وذنب ولا ذنب اكبر من الكفر واذى المؤمنين لايمانهم فالمراد بهم رؤساء قريش واكابر المجرمين المشركين كأبى جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وامثالهم

{ كانوا } فى الدنيا

{ من الذين آمنوا } ايمانا صادقا

{ يضحكون } اى يستهزئون بفقرآئهم كعمار وصهيب وبلال وخباب وغيرهم وتقدم الجار والمجرور لمراعاة الفواصل.

٣١

{ واذا مروا } اى فقرآء المؤمنين

{ بهم } اى بالمشركين وهم فى أنديتهم وهو الاظهر وان جاز العكس ايضا يقال مرمرا ومرورا جازو ذهب كاستمر ومره وبه جاز عليه كما فى القاموس قال فى تاج المصادر المر بكذشتن بكسى . ويعدى بالباء وعلى

{ يتغامزون } اى يغمز بعضهم بعضا ويشيرون بأعينهم ويعيبونهم ويقولون انظروا الى هؤلاء يتعبون انفسهم ويتركون اللذات ويتحملون المشقات لما يرجونه فى الآخر من المثوبات وامر البعث والجزآء لا يقين به وانه بعيد كل البعد والتغامز تفاعل من الغمز وهو الاشارة بالجفن والحاجب ويكون بمعنى العيب ايضا وفى التاج التغامز يكديكررا بجشم اشارة كردن.

٣٢

{ واذا انقلبوا } من مجالسهم

{ الى اهلهم } الى اهل بيتهم واصحابهم كونهم

{ فاكهين } متلذذين بذكرهم بالسوء والسخرية منهم وفيه اشارة الى انهم كانوا لا يفعلون ذلك بمرأى من المارين ويكتفون حينئذ بالتغامز.

٣٣

{ واذا رأوهم } اى المجرمون المؤمنين اينما كانوا

{ قالوا } مشيرين الى المؤمنين بالتحقير

{ ان هؤلاء لضالون } اى نسبوا المسلمين ممن رأوهم ومن غيرهم الى الضلال بطريق التاكيد وقالوا تركوا دين آبائهم القديم ودخلوا فى الدين الحادث او قالوا تركوا التنعم الحاضر بسبب طلب ثواب لا يدرى هل له وجود أولا وهذا كما ان بعض غفلة العلماء ينسبون الفقرآء السالكين الى الضلال والجنون خصوصا اذا كان اهل السلوك من اهل المدرسة فانهم يضللونه أكثر من تضليل غيره

منعم كنى زعشق وى اى زاهد زمان ... معذور دارمت كه تواور انديده

٣٤

{ وما ارسلوا } اى المجرمون

{ عليهم } اى على المسلمين

{ حافظين } حال من واو قالوا اى قالوا ذلك والحال انهم ما ارسلوا من جهة الله موكلين بهم يحفظون عليهم امورهم ويهيمنون على اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم وانما امروا باصلاح انفسهم واى نفع لهم فى تتبع احوال غيرهم وهذا تهكم بهم واشعار بان ما اجترأوا عليه من القول من وظائف من ارسل من جهته تعالى وقد جوز أن يكون ذلك من جملة قول المجرمين كأنهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما ارسلوا علينا حافظين انكارا لصدهم عن الشرك ودعائهم الى الاسلام وانما قيل نقلا له بالمعنى.

٣٥

{ فاليوم الذين آمنوا } اى المعهودون من الفقرآء

{ من الكفار } المعهودين وهو الاظهر وان امكن التعميم من الجانبين

{ يضحكون } حين يروهم اذلاء مغلولين وغشيهم فنون الهوان والصغار بعد العز والكبر ورقهم ألوان العذاب بعد التنعم والترفه قال فى بعض التفاسير لعل الفاء جواب شرط مقدر كأنه قيل اذا عرفتم ما ذكر فاعلموا ان اليوم اى يوم القيامة فاللام للعهد والذين مبتدأ ومن الكفار متعلق بقوله يضحكون وحرام للوهم ان يتوهم كونه بيانا للموصول نظرا الى ظاهر الاتصال من غير تفكر فى المعنى ويضحكون خبر المبتدأ وهو ناصب اليوم لصحة المعنى

{ على الارآئك } برتختهاى آراسته بادروياقوت

{ ينظرون } اى يضحكون منهم حال كونهم ناظرين اليهم والى ما فيهم من سوء الحال فهو حال من فاعل يضحكون.

٣٦

{ هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون } كلام مستأنف من قبل

الله او من قبل الملائكة والاستفهام للتقرير وثوب بمعنى يثوب عبر عنه

بالماضى لتحققه والتثويب والاثابة المجازاة استعمل فى المكافاة بالشر قال

الراغب الاثابة تستعمل فى المحبوب نحو فأثابهم الله بما قالوا جنات

وقد قيل ذلك فى المكروه نحو فأثابكم غما بغم على الاستعارة والتثويب

فى القرءآن لم يجئ الا فى المكروه ثوب الخ انتهى وفى تاج المصادر التثويب

باداش دادن وفى تهذيب المصادر التثويب ثواب دادن وفى القاموس التثويب

التعويض انتهى وهو الموافق لما فى التاج والمراد بما كانوا يفعلون استهزآؤهم

بالمؤمنين وضحكهم منهم وهو صريح فى ان ضحك المؤمنين منهم فى

الآخرة انما هو جزآء لضحك الكافرين منهم فى الدنيا وفيه تسلية للمؤمنين

بانه سينقلب الحال ويكون الكفار مضحوكا منهم وتعظيم لهم فان اهانة

الاعدآء تعظيم للاولياء والله ينتقم لاوليائه من اعدآئهم فانه يغضب

لاوليائه كما يغضب الليث الجرى لجروه ومن الله العصمة وعلم منه ان

الضحك والاستهزآء والسخرية والغمز من الكبائر فالحائض فيها من المجرمين الملحقين بالمشركين نسأل الله السلامة.

سُورَةُ الْاِنْشِقَاقِ مَكِّيَّةٌ

وَهِيَ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ آيَةً

١

{ اذا السماء انشقت } اعرابه كأعراب اذا السماء انفطرت اى انفتحت بغمام أبيض يخرج منها كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام والباء للآلة كما فى قولك انشقت الارض بالنبات وفى ذلك الغمام الملائكة ينزلون وفى ايديهم صحائف الاعمال او فيه ملائكة العذاب وكان ذلك اشد وافظع من حيث انه جاءه العذاب من موضع الخير فيكون انشقاق السماء لنزول الملائكة بالاوامر الالهية

وقيل للسقوط والانتقاض

وقيل لهول القيامة وكيف لا تنشق وهى فى قبضه قهره اقل من خردلة ولا منع من جميع هذه الاقوال فانها تنشق لهبة الله فتنزل الملائكة ثم يؤول امرها الى الفساد والاختلال وعن على رضى الله عنه تنشق من المجرة وهى بفتح الميم باب السماء اى البياض المستطيل فى وسط السماء سميت بذلك لانها كاثر المجر ويقال لها بالفارسية راه حاجيان وكهكشان.

تنشق السماء من ذلك الموضع كأنه مفصل ملتئم فتصدع منه

۲

{ واذنت لربها } واستمعت اى انقادت وأذعنت لتأثير قدرته تعالى حين تعلقت قدرته وارادته بانشقاقها انقياد المأمور المطاع اذا ورد عليه امر الآمر المطاع فهو استعارى تمثيلية متفرعة على المجاز المرسل يعنى اذا اطلق الاذن وهو الاستماع فى حق من له حاسة السمع والاستماع بها يراد بها الاجابة والانقياد مجازا واذا اطلق فى حق نحو السماء مما ليس فى شأنه الاستماع والقبول يكون استعارة تمثيلية فقوله اتينا طائعين

يدل على نفوذ القدرة فى الايجادوالابداع من غير ممانعة اصلا وقوله واذنت لربها يدل على نفوذ القدرة فى التفريق والاعدام من غير ممانعة اصلا والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليها للاشعار بعلة الحكم وهذا الانقياد عند ارباب الحقائق محمول على ن لها حياة وادراكا كسائر الحيوانات اذما من شئ الا وله نصيب من تجلى الاسم الحى وقد سبق مرارا

{ وحقت } من قولهم تعالى اى شأنها ذلك بالنسبة الى القدرة القاهرة الربانية التى يتأتى بها كل مقدور ولا يتخلف عنها امر من الامور وبالفارسية وخود آنرا جنين سزد . فحق الجملة ان تكون اعتراضا مقررة لما قبلها لا معطوفة عليه.

٣

{ واذا الارض مدت } اى بسطت بازالة جبالها وآكامها عن مقارها وتسويتها بحيث صارت كالصحيفة الملساء او زيدت سعة وبسطة

من احد وعشرين جزأ الى تسعة وتسعين جزأ لوقوف الخلائق عليها للحساب ولالام تسعهم من مده بمعنى امده اى زاده وفى الجحديث اذا كان يوم القيامة مد الله الارض مد الاديم حتى لا يكون لبشر من الناس الا موضع قدميه يعنى يكثرة الخلائق فيها قوله مد الاديم لان الاديم اذا مد زال كل انثناء فيه واستوى وفى بعض الروايات مد الاديم العكاظى قال فى القاموس هو كغراب سوق بصحرآء بين نخلة والطائف كانت تقدم هلاك ذى القعد وتستمر عشرين يوما تجتمع قبائل العرب فيتعا كظون اى يتفاخرون ويتناشدون ومنه الاديم العكاظى انتهى.

٤

{ وألقت ما فيها } اى رمت ما فى جوفها من الموتى والكنوز الى ظاهرها كقوله تعالى واخرجت الارض أثقالها وهو من الاسناد المجازى والا فالالقاء والاخراج لله تعالى حقيقة فان قلت اخراج الكنوز وقت خروج الدجال لا يوم القيامة قلت يوم القيامة وقت متسع يجوز اعتباره من وقت

خروجه ولو مجاز مجازا لانه الانه من اشراطه الكبرى فيكون اخراج الكنوز عند قرب الساعة واخراج الموتى عند البعث

{ وتخلت } وخلت عما فيها غاية الخلو حتى لم يبق فيها شئ منه كأنها تكلفت فى ذلك أقصى جهدها كما يقال تكرم الكريم وترحم الرحيم اذا بلغا جهدهما فى الكرم والرحمة وتكلفا فوق ما فى طبعهما.

٥

{ واذنت لربها } وانقادت له فى الالقاء والتخلى

{ وحقت } اى وهى حقيقة بذلك اى شأنها ذلك بالنسبة الى القدرة الربانية ذكره مرتين لان الاول متصل بالسماء والثانى بالارض واذا اتصل كل واحد بغير ما اتصل به الآخر لم يكن تكرارا وجواب اذا محذوف اى اذا وقت هذه الامور كان من الاهوال ما تقصر عن بيانه العبارة وفى تفسير الكاشفى جواب اذا آنست كه به بيند انسان ثواب وعقاب را.

وفيه اشارة الى انشقاق سماء الروح الحيوانية بانفراجها عن الروح الانسانى وزوالها وبسط ارض البدن بنزع الروح عنها والقاء ما فيها من الروح والقوى وتخليها عن كل ما فيها من الآثار والاعراض بالحياة والمزاج والتركيب والشكل بتبعية خلوها عن الروح وفى التأويلات النجمية يشير الى انشقاق سماء الروح عن ظلمة غيم النفس الامارة وانقيادها لفيض ربها بتهيئة الاستعداد بما يتصرف فيها من غير أباء وامتناع والى بسط ارض النفوس البشرية لاربابها وتخليها عن احكام البشرية.

٦

{ يا أيها الانسان } جنس الانسان الشامل للمؤمن والكافر والعاصى فالخطاب عام لكل مكلف على سبيل ابدل يقال هذا ابلغ من العموم لانه يقوم مقام التنصيص فى الندآء على ماطبة كل واحد بعينه كأنه قيل يا فلان ويا فلان الى غير ذلك

{ انك كادح الى ربك كدحا } الكدح جهد النفس فى العمل

والكد فيه بحيث يؤثر فيها والجهد بالفتح بمعنى المشقة والتعب والكد

السعى الشديد فى العمل وطلب الكسب من كدح جلده اذا

خدشه والمعنى انك جاهد ومجد اى ساع باجتهاد ومشقة الى لقاء

ربك اى الى وقت لقائه وهو الموت وما بعده من الاحوال الممثلة باللقاء

مبالغ فى ذلك وفى الخبر انهم قالوا يا رسول الله فيم نكدح وقد جفت

الاقلام ومضت المقادير (فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له)

{ فملاقيه } فملاق له اى لجزآء عملك من خير وشر عقيب

ذلك لا محالة من غير صارف يلويك عنه ولا مفر لك منه ويقال انك

عامل لربك عملا فملاق عملك يوم القيامة يعنى ان جدك وسعيك الى

مباشر الاعمال فى الدنيا بما ينجيك فى العقبى واحذر عما يهلكك فيها

ويوقعك فى الخجالة والافتضاح من سوء المعاملة وفى الحديث النادم ينتظر

الرحمة والمعجب ينتظر المقت وكل عامل سيقدم الى ما اسلف وقال

القاشانى انك ساع بالموت اى تسير مع انفساك سريعا كما قيل انفاسك

خطاك فملاقيه ضرورة فالضمير للرب وفى التأويلات النجمية يشير الى الانسان المخلوق على صورة ربه وكدحه واجتهاده فى التحقق بالاسماء الآلهية والصفات اللاهوتية فهو ملاقى ما يكدح ويجتهد بحسب استعداده الفطرى.

٧

{ فاما من } وهو المؤمن السعيد ومن موصولة وهو تفصيل لما اجمل فيما قبله

{ اوتى } اى يؤتى والماضى لتحققه

{ كتابه } المكتوب فيه اعماله التى كدح فى كسبها

{ بيمينه } لكون كدح بالسعى فيما يكتبه كاتب اليمين والحكمة فى الكتاب ان المكلف اذ اعلم ان اعماله تكتب عليه وتعرض على رؤوس الاشهاد ازجر عن المعاصى وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم احتشامه من خدمه المطلعين عليه.

٨

{ فسوف } بس زود بودكه

{ يحاسب } يوم القيامة بعد مدة مقدرة على ما تقتضيه الحكمة

{ حسابا يسيرا } سهلا لا مناقشة فيه ولا اعتراض بما يسوؤه ويشق عليه كما يناقش اصحاب الشمال والحساب بمعنى المحاسبة وهو بالفارسية باكسى شمار كردن . والمراد عد اعمال العباد واظهارها للمجازاة وعن الصديقة رضى الله عنها هو أى الحساب اليسير أن يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه يعنى ان يعرض عليه اعماله ويعرض ان الطاعة منها هذه والمعصية هذه ثم يثاب على الطاعة ويتجاوز عن المعصية فهذا هو الحساب اليسير لانه لا شدة على صاحبه ولا مناقشة ولا يقال له لم فعلت هذا ولا يطالب بالعذر ولا بالحجة عليه فانه متى طولب بذلك لم يجد عذرا ولا حجة فيفتضح

برادر زكار بدان شرم دار ... كه در روى نيكان شوى شرمسار

بداى كه دهشت خورد انبيا ... تو عذر كنه راجه دارى بيا

ولذا قال عليه السلام (عرض الجيش أعنى عرض الاعمال لانهازى اهل الموقف والله الملك فيعرفون بسيماهم كما يعرف الاجناد هنا بزيهم) قالوا ان عصاة المؤمنين داخلة فى هذا القسم فقوله فسوف يحاسب حسابا يسيرا من وصف الكل بوصف البعض اى فالعصاة وان لم يكن لهم حساب يسير بالنسبة الى المطيعين لكن حسابهم كالعرض بالنسبة الى مناقشة اصحاب الشمال فاصحاب اليمين شاملة لهم وقد يقال كتاب عصاة المؤمنين يعطى عند خروجهم من النار

وقيل يجوز أن يعطوا من الشمال لا من ورآء ظهورهم وفيه ان الاعطاء من الشمال ومن ورآء الظهر امر واحد

وقيل لم نتعرض الا ية للعصاة الذين يدخلهم الله النار وهو الظاهر وقوله عليه السلام فى بعض صلاته (اللهم حاسبنى حسابا يسيرا) وان

دل على ان للانبياء كتابا لكن الظاهر ارشاد الامة وتعليمهم والافهم معصومون داخلون الجنة بلا حساب ولا كتاب.

٩

{ وينقلب } اى يرجع وينصرف من مقام الحساب اليسير

{ الى اهله } اى عشيرة المؤمنين او فريق المؤمنين هم رفقاؤه فى طريق السعادة والكرامة

{ مسرورا } مبتهجا بحاله وكونه من اهل النجاة قائلا هاؤم اقرأوا كتابيه فهذا الانقلاب يكون فى المحشر قبل دخول الجنة لا كما قال فى عين المعانى من انه يدل على ان اهله يدخلون الجنة قبله وفيه اشارة الى كتاب الاستعداد الفطرى المكتوب فى ديوان الازل بقلم كتبه الاسماء الجمالية فان من اوتيه لا تناقشه الاسماء الجلالية وينقب الى اهله مسرورا بفيض تجلى جماله ولطفه.

١٠

{ واما من اوتى كتابه } تكرير كتابه بدون الاكتفاء بالاضمار لتغاير الكتابين وتخالفهما بالاشتمال والحكم فى المآل اى يؤتى كتاب عمله

{ ورآء ظهره } اى بشماله من ورآء ظهره وجانبه ظرف لاوتى مستعمل فى المكان وقال الكلبي يغل يمنه ثم تلوى يده اليسرى من ورآئه فيعطى كتابه بشماله وهى خلف ظهره فلا مخالفة بين هذا وبين ما فى الحاقة حيث لم يذكر فيها الظهر بل اكتفى بالشمال قال الامام ويحتمل ان يكون بعضهم يعطى كتابه بشماله وبعضهم من ورآء ظهره وفى تفسير الفاتحة للفنارى رحمه الله

واما من اوتى كتابه بشماله وهو المنافق فان الكافر لا كتاب له اى لا ن كفره يكفيه فى المؤاخذة فلا حاجة الى الكتاب من حيث انهم ليسوا بمكلفين بالفروع

واما من أوتى كتابه ورآء ظهره فهم الذين اوتوا الكتاب فنبذوه ورآء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فاذا كان يوم القيامة قيل له خذه من ورآء

ظهرك اى من الموضع الى نبذته فيه فى حياتك الدنيا فهو كتابه المنزل عليه لا كتاب الاعمال فانه حين نبذه ورآء ظهره ظن أن لن يحور وقال أبو الليث فى البستان اختلف الناس فى الكفار هل يكون عليهم حفظة اولا

قال بعضهم لا يكون عليهم حفظة لان أمرهم ظاهر وعملهم واحد وقال الله تعالى (يعرف المجرمون بسيماهم ولا نأخذ بهذا القول بل يكون الكفار حفظة) والآية نزلت بذكر الحفظة فى شأن الكفار ألا ترى الى قوله تعالى بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وقال فى آية اخرى

واما من أوتى كتابه بشماله

واما من أوتى كتابه ورآء ظهره فأخبر أن الكفار يكون لهم كتاب وحفظة فان قيل فالذا يكتب عن يمينه اذا اى شئ يكتب ولم يكن لم حسنة يقال له الذى عن شماله يكتب بذان صاحبه ويكون شاهدا على ذلك وان لم يكتب.

١١

{ فسوف يدعو } بس زود باشدكه بخواند . اى بعد مدة منتهية عذاب شديد لا يطاق عليه

{ ثبورا } اى يتمنى لنفسه الثبور وهو الهلاك ويدعوه يا ثبوراء تعالى فهذا اوانك وأتى له ذلك يعنى لما كان ايتاء الكتاب من غير يمينه علامة كونه من أهل النار كان كلامه واثبوراه قال الفرآء نقول العرب فلان يدعو لهفه اذا قال والهفاء قيل الثبور مشتق من المثابرة على الشئ وهو المواظبة عليه وسمى هلاك الآخرة ثبورا لانه لازم لا يزول كما قال تعالى لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا قال فى كشف الاسرار بيربو على سياه وقتى در بازار ميرفت سائلى ميكفت بحق روز بزرك كه مراجيزى بدهيد ببرازهوش برفت جون بهوش بازآمداوراكفتند اى شيخ ترا اين ساعت جه روى نمود كفت هيبت وعظمت آن روز بزرك آنكه كفت واحزناه على قلة الحزن واحسرتاه على قلة التحسر يعنى وا اندوهاى آزبى آند وهى واحسرتا آزبى حسرتى.

{ ويصلى سعيرا } اى يدهلا ويقاسى حرها وعذابها من غير حائل وهذا يدل على ان دعاءهم بالثبور قبل الصلى وبه صرح الامام

واما قوله تعالى فاذا ألقوا منها مكانا ضيقا دعوا هنالك ثبورا فيدل على انه بعده ولا منافاة فى الجمع فانهم يدعونه اولا وآخرا بل دآئما على ان الوان لمطلق الجمع لا للترتيب وفيه اشارة الى صاحب كتاب الاستعداد الفطرى المكتوب فى ديوان الازل بقلم كتبة الاسماء الجلالية فانه يتمنى أن يكون فى الدنيا فانيا فى الحق وهالكا عن أنيته ويصلى نار الرياضة والمجاهدة ورآء ظهره من الجزآء الوفاق لانه خالف أمر ربه فى قوله وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها اى من غير مدخلها بمحافظة طواهر الاعمال من غير رعاية حقوق بواطنها بتقوى الاحوال فسبب الوصول الى حضرة الربوبية والدخل فيها هو التقوى وهواسم جامع لكل بر من اعمال الظاهر واحوال الباطن والقيام باتباع الموافقات واجتناب المخالفات وقال القاشانى

واما من أوتى كتابه ورآء ظهره اى جهته التى تلى الظلمة من الروح الحيوانى والجسد فان وجه الانسان جهته التى الى الحق وخلفه جهته التى الى البدن الظلمانى بأن رد الى الظلمات فى صور الحيوانات فسوف يدعو ثبورا لكونه فى ورطة هلاك الروح وعذاب الابد ويصلى سعير نار الآثار فى مهاوى الطبيعة.

١٣

{ انه } اى لان فالجملة استئناف لبيان علة ما قبلها

{ كان } فى الدنيا

{ فى اهله } فيما بين اهله وعشيرته او معهم على انهم جميعا كانوا مسرورين كما يقال جاءنى فلان فى جماعة اى معهم

{ مسرورا } مترفا بطرا مستبشرا يعنى شادان ونازان بمال فاتى وجاه نابابدار ومحجوب ازمتعم بنعم . كديدن الفجار الذين لا يخطر ببالهم امور الآخرة ولا يتفكرون فى العواقب كسنة الصلحاء المتقين كما قال

تعالى حكاية انا كنا فى اهلنا مشفقين والحاصل انه كان الكافر فى الدنيا فارغا عن هم الآخرة وكان له مزمار فى قلبه فجوزى بالغم الباقى بخلاف المؤمن فانه كان له نائحة فى قلبه فجوزى بالسرور الدائم كتابها من ورآء ظهرها واهلها القوى الروحانية النورانية والقوى الجسمانية الظلمانية.

١٤

{ انه ظن } تيقن كما فى تفسير الفاتحة للفنارى وقال فى فتح الرحمن الظن هنا على بابه بمعنى الحسبان لا الظن الذى بمعنى اليقين وهو تعليل لسروره فى الدنيا اىان هذا الكافر ظن فى الدنيا

{ ان } اى الامر والشأن فهى مخففة من الثقيلة سادة مع ما فى حيزها مسد مفعولى الظن او أحدهما على الخلاف المعروف

{ لن يحور } لن يرجع الى الله تكذيبا للمعاد والحور الرجوع والمحار المرجع والمصير وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما كانت أدرى ما معنى يحور حتى سمعت اعرابية تقول لبنية لها حورى حورى اى ارجعى وحر الى

أهلك اى ارجع ومنه الحديث نعوذ بالله من الحور بعد الكور اى الرجوع عن حالة جميلة والحوارى القصار لرجعة الثواب الى البياض.

١٥

{ بلى } ايجاب لما بعد لن اى بلى ليحورن البتة متعلق بقوله

{ بصيرا } بحيث لا تخفى منها خافية فلا بد من رجعه وحسابه وجزآئه عليها حتما اذ لا يجوز فى حكمته أن يهمله فلا يعاقبه على سوء اعماله وهذا زجر لجميع المكلفين عن المعاصى كلها وقال الواسطى رحمه الله كان بصيرا به اذ خلقه لماذا خلقه والى شئ اوجده وما قدر عليه من السعادة او الشقاوة وما كتب له وعليه من أجله ورزقه.

١٦

{ فلا } كلمة لا صلة للتوكيد كما مر مرارا

{ أقسم بالشفق } هى الحمرة التى تشاهد فى أفق المغرب بعد الغروب وبغيبوبتها يخرج وقت المغرب ويدخل وقت العشاء عند عامة

العلماء او لبياض الذى يليها ولا يدخل وقت العشاء الا بزواله . وجمعى برآنندكه آن بياض اصلا غائب نمى شودبلكه مترداست از أفقى بافقى . وقد سبق تحقيق المقام فى المزمل وهى احدى روايتين عن ابى حنيفة رضى الله عنه ويروى انه رجع عن هذا القول ومن ثمة كان يفتى بالاول الذى هو قول الامامين وغيرهما سمى به يعنى على كل من المعنين لرقته لكن مناسبته لمعنى البياض اكثر وهو من الشفقة التى هى عبارة عن رقة القلب ولا شك ان الشمس أعنى ضوءها يأخذ فى الرقة والضعف من غيبة الشمس الى ان يستولى سواد الليل على الآفاق كلها وعن عكرمة ومجاهد الشفق هو النهار بناء على ان الشفق هو اثر الشمس وهو كوكب نهارى واثره هر النهار فعلى هذا يقع القسم بالليل والنهار اللذيناحدهما معاش وآخر سكن وبهما قوام امور العالم وفى المفردات الشفق اختلاط ضوء النهار بسواد الليل عند غروب الشمس.

قال القاشانى فلا اقسم بالشق اى النورية الباقية من الفطرة الانسانية بعد غروباه واحتجابها فى أفق البدن الممزوجة بظلمة النفس

عظمها بالاقسام بها لا مكان كسب الكمال والترقى فى الدرجات بها وفى التأويلات النجمية يشير الى أن الله تعالى أقسم بالشفق لكونه مظهر الواحدة الحقيقة الذاتية والكثرة النسبية الاسمائية وذلك لان الشفق حقيقة برزخية بن سواد ليل الوحدة وبياض نهار الكثرة والبرزخ بين الشيئين لا بد له من قوة كل واحد منهما فيكون جامعا لحكم الوحدة والكثرة فحق له أن يقسم به وانما جعل الليل مظهرا الوحدة لاستهلاك الاشياء المحسوسة فيه استهلاك التعينات فى حقيقة الوحدة ويدل عليه قوله وجعلنا الليل لباسا لاستتار الاشياء بظلمته وجعلنا النهار معاشا مظهر الكثرة لظهور الاشياء فيه ولاشتمال المعاش على الامور الكثيرة.

١٧

{ والليل وما وسق } قال الراغب الوسق جمع المتفرق اى وأقسم بالليل وما جمعه وما ضمه وستره بظلمته فما موصولة يقال وسقه فاتسق واستوسق يعنى ان كلا منهما مطاوع لوس اى جمعه فاجتمع وما عبارة

عما يجتمع بالليل و يأوى الى مكانه من الدواب والحشرات والهوام والسباع وذلك انه اذا اقبل الليل اقبل كل شئ الى مأواه مما كان منتشرا بالنهار

وقيل يجوز ان يكون المراد بما جمعه الليل العباد المتهجدين بالليل لانه تعالى قد مدح المستغفرين بالاسحار فيجوز أن يقسم بهم قال القاشانى اى ليل ظلمة البدن وما جمعه من القوى والآلات والاستعدادات الى يمكن بها اكتساب العلوم والفضائل والترقى فى المقامات ونيل المواهب والكمالات وفى التأويلات النجمية يشير الى القيم بلبل النفس المطمئنة المستترة بغلسية النفس الامارة بعد الوصول الى المقام المأمول وانما صارت مطمئنة من الرجوع الى حكم النفس الامارة وبقى لها التلوين فى التمكين من أوصاف الكمل من الذرية المحمديين ولهذا أمرت بالرجوع الى ربها بقوله يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك وليس المقصود الذاتى من الرجوع نفس الرجوع بل المقصود الكلى هو الاتصال بالمرجوع اليه قوله وما وسق اى وما جمع من القوى الروحانية المستخلصة من يد تصرف النفس الامارة.

١٨

{ والقمر اذا اتسق } اى اجتمع وتم بدر الليلة اربع عشرة وفى فتح الرحمن امتلأ فى الليالى البيض يقال امور فلان متسبقة اى مجتمعة على الصلاح كما يقال منتظمة قال فى القاموس وسقه يسقه جمعه وحمله ومنه والليل وما وسق واتسق وانتظم انتهى أقسم الله بهذه الأشياء لأن فى كل منها تحولا من حال فناسبت المقسم عليهايعنى ان اللّه تعالى أقسم بتغيرات واقعة فى الافلاك والعناصر على تغير احوال الخلق فان الشفق حالة مخالفة لما قبلها وهو ضوء النهار ولما بعدها وهو ظلمة الليل وكذا قولهوالليل وما وسق فانه يدل على حدوث ظلمة بعد نور وعلى تغير احوال الحيوانات من اليقظة الى النوم وكذا قوله والقمر اذا اتسق فانه يدل على حصول كمال القمر بعد ان كان نقاصا قال القاشانى اى قمر القلب الصافى عن خسوف النفس اذا اجتمع وتم نوره وصار كاملا وفى التأويلات النجمية يشير الى القسم بقمر قلب العارف المحقق عند استدارته وبدريته.

١٩

{ لتركبن طبقا } مفعول تركبن

{ عن طبق } اى لتلاقن حالا بعد حال يعنى برسيد ومتلاشى شويد حالى را بعد ازحالى كه كل واحدة منها مطابقة لاختها فى الشدة والفظاعة يقال ما هذا بطبق هذا اى لا يطابقه قال الراغب المطابقة من الاسماء المتضايفة وهو أن يجعل الشئ فوق آخر بقده ومنه طابقت النعل بالنعل ثم يستعمل الطباق فى الشئ الذى يكون فوق الآخر تارة وفيما يوافق غيره اخرى

وقيل الطبق جمع طبقة وهى المرتبة وهو الاوفق للركوب المنبئ عن الاعتلاء والمعنى لتركبن احوالا بعد احوال هى طبقات فى الشدة بعضها أرفع من بعض وهى الموت وما بعده من مواطن القيامة ودواهيها الى حين المستقر فى احدى الدارين وقرئ لتركب بالافراد على خطاب الانسان باعتبار اللفظ لا باعتبار شموله لافراده كالقرآءة الاولىومحل عن طبق النصب على انه صفة لطبقا اى طبقا مجاوز الطبق او حال من الضمير فى لتركبن طبقا اى مجاوزين لطبق او مجاوزا على حسب القرآءة فعن

على معناهاالمشهور وهو المجاوزة وتفسيره بكلمة بعد بيان لحاصل المعنى وقال ابن الشيخ عن هنا بمعنى بعد لان النسان اذا صار الى شئ مجاوزا عن شئ آخر فقد صار الى الثانى بعدالاول فصح انه يستعمل فيه بعد وعن معا وايضا لفظ عن يفيد البعد والمجاوزة فكان مشابها للفظ بعد فصح استعمال احدهما بمعنى الآخر وفى التأويلات النجمية يخاطب القلب الانسانى المتوجه الى الله بأنواع الرياضات واصناف المجاهدات والتقلبات فى الاحوال المطابقة كل واحدة منها الاخرى فى الشدة والمشقة من الجوع والسهر والصمت والعزلة وامثال ذلك.

٢٠

{ فما لهم لا يؤمنون } اى اذا كان حالهم يوم القيامة كما ذكر فأى شئ لهم حال كونهم غير مؤمنين اى اى شئ يمنعهم من الايمان مع تعاضد موجباته وفيه اشارة الى النفس والهوى والقوى البشرية الطبيعية وعدم ايمانهم بالقلب وامتثالهم أمره باتباع احكام الشريعة وآداب الطريقة آثار الحقيقة.

{ واذا قرئ عليهم القرءآن لا يسجدون } جملة شرطية محلها

النصب على الحالية نسقا على ما قبلها اى اى مانع لهم حال عدم

سجودهم وخضوعهم واستكانتهم عند قرآءة النبى عليه السلام او واحد

من اصحابه وامته القرءةآن فانهم من اهل اللسان فيجب عليهم أن يجزموا

باعجاز القرءآن عند سماعه وبكونه كلاما اليها ويعلموا بذلك صدق محمد

فى دعوى النبوة فيطيعوه فى جميع الاوامر والنواهى ويجوز أن يراد به نفس

السجود عند تلاوة آية السجدة على أن يكون المراد بالقرءآن آية السجدة

بخصوصها لا مطلق القرءآن كما روى انه عليه السلام قرأ ذات يوم واسجد

واقترب فسجد هو ومن معه المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم وتصفر

استهزآء وبه احتج أبو حنيفة على وجوب السجدة فان الذم على ترك

الشئ يدل على وجوب ذلك وعن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول

الله عليه السلام سجد فيها وكذا الخلفاء وهى الثالث عشرة من اربع عشرة

سجدة تجب عندها السجدة عن ائمتنا على التالى والسامع سوآء قصده

ام لا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ليس فى مفصل سجدة وكذا قالالحسن هى غير واجبة ثم ان الائمة الثلاثة يسجدون عند قوله لا يسجدون والامام مالك عند آخر السورة وفى التأويلات النجمية واذا قرئ على النفس والهوى والقوى البشرية الطبيعية المواعظ الالهية القرءآنية المنزلة على رسول القلب لا يخضعون ولا ينقادون لاستماعها وامتثال اوامرها وائتمار أحكامها.

٢٢

{ بل الذين كفروا يكذبون } بالقرءآن الناطق بما ذكر من احوال القيامة واهوالها مع تحقق موجبات تصديقه ولذلك لا يخضعون عند تلاوته وهذا من وضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل عليهم بالكفر والاشعار بما هو العلة فى عدم خضوعهم للقرءآن وفى البروج فى تكذيب لانه راعى فى السورتين فواصل الآى مع صحة اللفظ وجودةالمعنى وفى بعض التفاسير الظاهر ان المرأد التكذيب بالقلب بمعنى عدم التصديق وهو اضراب ترق

فان عدم الايمان يكون بالشك ايضا والتكذيب من شدة الكفر وقوة الانكار الحاملة على الاضراب.

٢٣

{ والله أعلم بما يوعون } بما يضمرونه فى قلوبهم ويجمعونه فى صدورهم من الفر والحسد والبغى والبغضاء فيجازيهم على ذلك فى الدنيا والآخرة فما موصولة يقال اوعيت الشئ اى جعلته فى وعاء اى ظرف ثم استعير هو والوعى لمعنى الحفظ او بما يجمعونه فى صحفهم من اعمال السوء ويدخرونه لانفسهم من أنواع العذاب علما فعليا تفصيليا قال القاشانى بما يوعونه فى وعاء أنفسهم وباطنهم من الاعتقادات الفاسدة والهيئات الفاسقة وقال نجم الدين من اغراقهم فى بحر الشهوات الدنيوية واحراقهم بنيران العذاب الاخروية.

٢٤

{ فبشرهم } اى الذين كفروا

{ بعذاب أليم } مؤلم غاية الايلام لان علمه تعالى بذلك على

الوجه المذكور موجب لتعذيبهم حتما وهو استهزآء بهم وتهكم كما قال

تعالى الله يستهزئ بهم لان البشارة هى الاخبار بالخبر السار وقد استعملت

فى الخبر المؤلم (قال الكاشفى) يعنى خبركن ايشارا بعذاب دردناك وفيه

رمز الى الى تبشير المؤمنين بالثواب المريح راحة جسمانية وروحانية لان

التخصيص ليس بضائع ولذلك قال تعالى

٢٥

{ الا الذين } استثناء منقطع من الضمير المنصوب فى فبشرهم

الراجع الى الذين كفروا والمستثنى وهم المؤمنون خارج عنهم اى لكن الذين

{ آمنوا } ايمانا صادقا وايضا الايمان العلمى بتصفية قلوبهم عن

كدر صفات النفس

{ وعملوا الصالحات } من الطاعات المأمور بها وايضا باكتساب

الفضائل

{ لهم } فى الآخرة

{ اجر غير ممنون } اى غير مقطوع بل متصل دآئم من منه منا بمعنى قطعه قطعا او ممنون به عليهم فان المنة تكدر النعمة من من عليه منة والاول هو الظاهر ولعل المراد من الثانى تحقيق الأجر وان المأجور استحق الأجر بعمله اطاعة لربه وان كان ذلك الاستحقاق من فضل الله كما ان اعطاء القدرة على العمل والهداية اليه من فضله أيضا . حسن بصرى قدس سره كفت كسانى را يافتيم كه ايشان بدنيا جوانمرد وسخى بودند همه دنيا بدادندى ومنت نهادندوموقت خويش جنان بخيل بودند كه يك نفس از روز كار خويش نه به بدردادندى ونه بفرزند.

قال القاشانى لهم أجر من ثواب الآثار والصفات فى جنة النفس والقلب غير مقطوع لبرآءته من الكون والفساد وتجرده عن المواد وفى التأويلات النجمية الا الذين آمنوا من الروح والسر والقلب وقواهم الروحانية وعملوا الصالحات من الاعراض عن الدنيا والاقبال على الله لهم أجر غير ممنون بمنة نفسهم واجتهادهم واكتسابهم بل بفضل الله ورحمته .

قال بعض العلماء النكتة فى ترتيب السورة الثلاث ان فى انفطرت التعريف بالحفظة الكاتبين وفى المطففين التعريف بمستقر تلك الكتب وفى هذه السورة ابالانشقاق ابتاؤها يوم القيامة عند العرض والله تعالى اعلم.

سُورَةُ الْبُرُوجِ مَكِّيَّةٌ

وَهِيَ اثْنَتَانِ وَعِشْرُونَ آيَةً

١

{ والسماء } كل جرم علوى فهو سماء فدخل فيه العرش

{ ذات البروج } جمع برج بمعنى القصر بالفارسية كوشك.

والمراد البروج الاثنا عشر التى فى الفلك الاعلى فالمراد بالسماء فلك الافلاك قال سعدى المفتى لكن المعهود فى لسان الشرع اطلاق العرش عليه دون السماء ويجوز أن يراد الفلك الاقرب الينا فالآية كقوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح انتهى وجوابه ما أشرنا اليه فى عنوان

السماء ثم انها شبهت بروج السماء بالقصور التى تنزل فيها الاكابر والاشراف لانها منازل السيارات ومقر الثوابت قال الامام السهيلى رحمه الله اسماء البروج الحمل وبه يبدأ لان استدارة الافلاك كان مبدأها من برج الحمل فيما ذكروا وفى شهر هذا البرج نيسان حيث تم العشرون منه كان مولد النبي عليه السلام وكان مولده عند طلوع الغفر وهو بفتح الغين المعجمة وسكون الفاء منزل للقمر ثلاثة أنجم صغار والغفر يطلع فى ظاهر الشهر اول الليل لان وقته النطح وهو الشرطان بالمعجمة وبفتحتين وهما نجمان من الحمل هما قرناه والى جنب الجنوبى منهما وفى القاموس والى جانب الشمالى منهما كوكب صغير ومنه من يعده معهما فيقول هذا المنزل ثلاثة كواكب ويسميها الاشراط والى الحمل أيضا يضاف البطين وهو كزبير منزل للقمر ثلاثة كواكب صغار كأنها اثا فى وهو بطن الحمل وبعد الحمل الثور ثم الجوزآء ويقال لها النسر والجبال والتوأمان قال فى القاموس التوأم منزل للجوزآء انتهى وهامة الجوزآء الهقعة وهى ثلاثة كواكب فوق منكبى الجوزآء كمالا نافى اذا طلعت مع الفجر اشتد حر الصيف ثم السرطان

المهملة ثم الأسد ثم السنبلة ثم الميزان ثم العقرب وبين الزبانيين من العقرب وهما قرناها وكوكبان نيران فى قرنى العقرب كما فى القاموس وبين وركى الأسد ورجليه وهما السماك ككتاب يطلع الغفر الذى به مولد الانبياءعليهم السلام وفيه قالوا

خير المنازل فى الأبد ... بين الزبانى والأسد.

لانه يليه من الأسد ذنبه ولا ضرر فيه ومن العقرب زبانياها ولا ضرر فيهما وانما تضر بذنبها اذا شالته اى رفعته وهو اشولة فى المنازل اى ما تشول العقرب من ذنبها وكوكبان نيران ينزلهما القمر يقال لهما حمة العقرب ثم القوس ثم الجدى ثم الدلو ثم رشا الدلو وهو منزل للقمر وهو الحوت يحسب فى البروج وفى المنازل وجعل الله الشهور على عدد هذه البروج فقال تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا قال فى كشف الاسرار واين برجها برجهار فصل است يك فصل از ان وقت بهار است سه ماه وآفتاب اندرين سه ماه در حمل وثور وجوزا باشد وفصل دوم روزكار صيف است تابستان كرم سه ماه وآفتاب اندرين سه

ماه درسرطان واسد وسنبله باشد وفصل سوم روزكار خريف است سه
ماه وآفتاب اندرين سه ماه در ميزان وعقرب وقوس باشد وفصل جهارم
روزكار زمستانست سه ماه وآفتاب اندرين سه ماه درجدى ودلو وحوت
باشد وهر فصلى راطبعى ديكرست وكردش اوديكر.

يقول الفقير أيده الله القدير الفصل الربيعى عبارة عن ثلاثة اشهر
يعبر عن اولها بأذار وعن الثانى بنيسان وعن الثالث بأيار فاذا مضت سبع
عشرة ليلة من الشهرالاول استوى الليل والنهار بأن يكون كل منهما ثنتى
عشرة ساعة ثم يأخذ النهار من الليل كل يوم شعيرة حتى اذا مضت سبعة
عشر يوما من حزيران وهو اول فصل الصيف وبعده تموز ثم اغستوس
يكون النهار خمس عشرة ساعة والليل تسع ساعات ويكون اليوم اطول
الايام كما ان الليلة تكون أقصر الليالى ثم يأخذ الليل من النهار على
عكس ما سبق فينتقص من النهار كل يوم شعيرة حتى اذا مضت سبعة
عشر يوما من ايلول وهو اول فصل الخريف وبعده تشرين الاول الذى هو
اوسط الخريف ثم تشرين الثانى الذى هو آخره استوى الليل والنهار ايضا

ثم يتزايد الليل كل يوم شعيرة حتى اذا كان سبعة عشرة يوما من
كانون الاول وهو أول فصل الشتاء وبعده كانونالثانى ثم شباط ينتهى
طول الليل بان يكون خمس عشرة ساعة وقصر النهار بأن يكون تسع
ساعات فهذا الحساب يعود ويدور أبدا الى ساعة القيام فالله تعالى يولج
الليل فى النهار اى يدخله فيه بأن ينقص من ساعات الليل ويزيد فى
ساعات النهار وذلك اذا مضى من كانون الاول سبعة عشر يوما الى ان
يمضى من حزيران هذا العدد وذلك ستة اشهر وهى كانون الاول وكانون
الثانوشباط وأذار ونيسان وأيار ويولج النهار فى الليل اى يدخله فيه بأن
ينقص من ساعات النهار ويزيد فى ساعات الليل وذلك ستة اشهر أيضا
وهى حزيران وتموز واغستوس وايلول وتشرين الاول وتشرين الثانى وهذا
كله بتقدير العزيز العليم واداراته الاجزام العلوية على نهج مستقيم ويقال
المراد بالبروج هى النجوم التى هى منزل القمر وهى ثمانية وعشرون نجما
ينزل القمر كل ليلة فى واحد منها لا يتخطاها ولا يتقصر عنها واذا صار
القمر الى آخر منازله دق واستقوس ويستتر ليلتين ان كان الشهر ثلاثين

يوما وان كان تسعة وعشرين فليلة واحدة واطلاق البروج على هذه النجوم مبنى على تشبهها بالقصور من حيث ان القمر ينزل فيها ولظهورها ايضا بالنسبة الى بعض الناس كالعرب لان البرج ينبئ عن الظهور مع الاشتمال على المحاسن يقال تبرجت المرأة اى تشبهت بالبرج فى اظهار المحاسن

واما البروج الاثنا عشر فليس لها ظهور حيث لا تدرك حسا والبروج الاثناعشر منقسمة الى هذه المنازل الثمانية ولعشرين والشمس تسير فى تمام هذه البروج الاثنى عشر فى كل سنة والقمر فى كل شهر وقد تعلقت بها منافع ومصالح للعباد فاقسم الله تعالى بها اظهارا لقدرها وشرفها وفيه اشارة الى الروح الانسانى ذات المقامات فى الترقى والدرجات.

٢

{ واليوم الموعود } اى يوم القيامة اقسم الله تعالى به تنبيها على قدره وعظمه ايضا من حيث كونه يوم الفصل والجزآء ويوما تفرد الله بالملك

والحكم فيه وفيه اشارة الى آخر درجات الروح من كشف التوحيد الذاتى وهى القيامة الكبرى.

٣

{ وشاهد ومشهود } اى ومن يشهد فى ذلك اليوم من الاولين والآخرين والانس والجن والملائكة والانبياء وما يحضر فيه من العجائب فالشاهد بمعنى الحاضر من الشهود بمعنى الحضور لا بمعنى الشاهد الذى تثبت به الدعاوى والحقوق وتنكيرهما للابهام فى الوصف اى وشاهد ومشهود لا يكتنه ما طلعت شمس ولا غربت على يوم افضل من يوم الجمعة فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله فيها خيرا الا استجاب له ولا يستعيذه من سوء الاعاذه منه وفى الحديث اكثروا على من الصلاة ويم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة ويقال المشهود يوم عرفة والشاهد من يحضره من الحاج وحسن القسم به تعظيما لامر الحج وعددهم هفتصد هزار كما فى كشف الاسرار ويقال الشاهد كل يوم والمشهود اهله فيكون المشهود بمعنى المشهود عليه والشاهد من الشهادة كما قال الحسن

البصرى رحمه الله ما من يوم الا وينادى انى يوم جديد وانى على ما يفعل فى شهيد فاغتنمنى فلو غاب شمس لم تدركنى الى يوم القيامة

دريغا كه بكنشت عمر عزيز ... بخواهد كذشت اين دمى جند نيز

كذشت آنجه درناصوابى كذشت ... در اين نيزهم درنيابى كذشت

ويقال الشاهد هو الحق من حنث الجميعة والمشهود هو ايضا من حيث التفرقة وان شئت قلت من حيث الاجمال ومن حيث التفصيل لا يراه بالحقيقة احد الا هو ويقال الشاهد نفس الروح والمشهود نفس الطبع وقال الحسين رحمه الله فى هذه الآية علامة انه ما انفصل الكون عن المكون ولا قارنه.

٤

{ قتل اصحاب الاخدود } جواب القسم بحذف اللام المؤكدة

على انه خبر لا دعاء بمعنى لقد قتل اى اهلك بغضب الله ولعنته والاظهر

أن الجملة دعائية دالة على الجواب لا خبرية والقتل كناية عن اللعن من

حيث ان القتل لكونه اغلظ العقوبات لا يقع الا عن سخط عظيم يوجب

الابعاد عن الخير والرحمة الذى هو معنى اللعن فكان القتل من لوازم اللعن

كأنه قيل اقسسم بهذه الاشياء ان كفار مكة ملعونون كما لعن اصحاب

الاخدود اذية الكفرة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب

على الايمان وصبرهم على ذلك حتى يأنسوا بهم ويصبروا على ما كانوا

يلقون من قومهم ويعلموا ان هؤلاء عند الله بمنزلة اولئك المعذبين ملعونون

مثلهم احقاء بأن يقال فيهم ما قد قيل فيهم فظهر من هذا التقرير انه ليس

دعاء على اصحاب الاخدود من قبل المقسم وهو الله تعالى لانه ليس

عاجز وقد سبق تحقيقه فى سورة عبس ونحوها والاخدود الخد فى الارض

وهو شق مستطيل كالنهر غامض اى عميق القرار وأصل ذلك من خدى

الانسان وهما ما اكتفا الانف على اليمين والشمال وفى عين المعانى ومنه

الخد لمجارى الدموع عليه واصحاب الاخدود كانوا ثلاثة وهم انطيانوس

الرومى بالشأم وبخت نصر بفارس ويوسف ذو نواس بنجران وهو بتقديم

النون وتأخير الجيم موضع باليمن فتح سنة عشر سمى بنجران بن زيدان

بن سبأ شق كل واحد منهم شقا عظيما فى الارض كان طوله اربعين ذراعا

وعرضه اثنى عشر ذراعا وهو الاخدود وملأوه نارا وألقوا فيه من لم يرتد

عن دينه من المؤمنين قالوا والقرءآن انما نزل فى لاذين بنجران يعنى ان

اصحاب الاخدود هم ذو نواس الحميرى اليهودى وجنوده وذلك ان عبدا

صالحا يقال له عبد الله بن الثامر وقع الى نجران وكان على دين عيسى عليه

السلام فدعاهم فأجابوه فاسر اليهم ذو نواس بجنود من حمير فخيرهم بين

النار واليهودية فأبوا فحفر الخنادق واضرم فيها النيرات فجعل يلقى فيها

كل من اتبع ابن الثامر حتى أحرق نحوا من اثنى عشر ألفا او عشرين

ألفا أو سبعين ألفا وذو نواس اسمه زرعة بن حسان ملك حمير وما حولها

وكان ايضا يسمى يوسف وكانت له غدآئر من شعرأى ذوآئب

تنوس اى تضطرب فسمى ذا نواس (روى) انه انفلت من اهل نجران

رجل اسمه دوس ذو ثعلبان ووجد انجيلا محترقا بعضه فأتى به ملك الحبشة وكان نصرانيا فقال ان اهل دينك اوقدت لهم نار فأحرقوا بها وأحرقت كتبهم وهذا بعضها فأراه الذى جاء به ففزع لذلك فكتب الى صاحب الروم يستمده بنجارين يعملون له السفن فبعث اليه صاحب الروم من عمل له السفن فركبوا فيها فخرجوا الى ساحل اليمن فخرج اليهم اهل اليمين فلقوهم بتهامة واقتيلوا فلم ير ملك حمير له بهم طاقة وتخوف ان يأخذوه فضرب فرسه حتى وقع فى الحرب فمات فيه او ألقى نفسه فى البحر فاستولى الحبشة على حمير وما حولها وتملكوا وبقى الملك لهم الى وقت الاسلام وقال فى كشف الاسرار اصحاب الاخدود ايشان بت برستان بوده انداز اصحاب ذو نواس يمنى ودر زمان او ساحرى بو دكاهنومشعبذكه مدار ملك بدو بودى جون بسن شيخوخه رسيد بعرض ملك رسانيدكه من بير شده ام وضعف كلى بقو اى من راه يافته

ديده ازهر شعاع تيره شود ... كوش وقت سماع خيره شود

نه زبانرا مجال كويايي ... نه تن خسته را توانا يى

صلاح درآنست كه جوان عاقل تيزفهم بمن سبارتا آنجه دانسته ام بوى آموزم وبعد ازمن خلفى باشدكه امور ملك بوى منتظم تواند بود.

كما جاء فى حديث المشارق كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر بكسر الباء اى شاخ وطعن فى السن قال للملك انى كبرت فابعث الى غلاما اعلمه السحر فبعث اليه غلاما يعلمه فكان فى طريقه اذا سلك اى الغلام راهب فقعد اليه اى متوجها الى الراهب وسمع كلامه فأعجبه اى اعجب كلام الراهب ذلك الغلام فكان اذا اتى الساحر مر بالراهب وقعد اليه فاذا أتى الساحر ضربه اى ضرب الساحر الغلام لمكثه فشكا ذلك الى الراهب فقال اى اراهب للغلام اذا خشيت الساحر فقل حبسنى قد حبست النا اى على أسد أوحية يقال لها بالفارسية ازدر . فقال اى الغلام اليوم اعلم الساحر أفضل ام الراهب أفضل فأخذ حجرا وقال اللهم ان كان أمر الراهب أحب اليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضى الناس فرماها فقتلها ومضى الناس فأتى الراهب فقال الراهب اى بنى أنت اليوم افضل منى قد بلغ من أمرك

ما أدرى وانك ستبنتلى فان ابتليت فلا تدل على وكان الغلام يبرئ الاكمه

وهو الذى ولد أعمى والابرص ويداوى الناس بسائر الادوآء فسمع جليس

للملك كان قد عمى فأتاه بدايا كثيرة فقال ما هنالك اجمع ان أنت شفيتنى

قال انى لا اشفى أحدا انما يشفى الله فان آمنت بالله دعوت الله فشفاك

فآمن بالله فشفاه الله فاتى الملك فجلس اليه كما كان يجلس فقال الملك

من رد عليك بصرك قال ربى فقال أولك رب غيرى قال ربى وربك الله

فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجيئ بالغلام فقال له

الملك اى بنى قد بلغ من سحرك ما تبرئ به الاكمه والابرص وتفعل

وتفعل يعنى تداوى مرضا كذا وتداوى كذا فقال اى الغلام انى لا اشفى

أحدا انما يشفى الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دله على الراهب فجيئ

بالراهب فقيل ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمنشار فى مفرق رأسه فشقه به

حتى وقع شقاه ثم جيئ بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فأبى فوضع

المنشار فى مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جيئ بالغلام فقيل ارجع

عن دينك فأبى فدفعه الى نفر من اصحابه فقال لهم اذهبوا به الى جبل

كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فاذا بلغتم ذروته فان رجع عن دينه والا
فاطرحوه فذهبوابه فصعدوا به الجبل فقال اى الغلام اللهم اكفنيهم بما
شئت يعنادفع عنى شرهم بأى سبب شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا
وجاء يمشى الى الملك فقال له الملك ما فعل اصحابك قال كفانيهم الله
فدفعه الى نفر من اصحابه فقال اذهبوا به فاحملوه فى قرقور أى سفينة
صغيرة فتوسطوا به البحر فان رجع عن دينه والا فاقذفوه فذهبوا به فقال
الله اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة اى مالت وانقلبت فغرقوا
وجاء يمشى الى الملك فقال له الملك فما فعل اصحابك قال كفانيهم الله
فقال للملك انك لست بقاتلى حتى تفعل ما آمرك به قال وما هو قال
تجمع الناس فى صعيد واحد اى ارض بارزة وتصلبنى على جذع ثم خذ
سهما من كنانتى وهى التى يجعل فيها السهام ثم ضع السهم فى كبد القوس
وهو مقبضها عند الرمى ثم قل بسم الله رب الغلام ففعل كما قال الغلام
ثم رماه فوقع السهم فى صدغه وهو ما بين العين والاذن فوضع يده على
صدغه فى موضع السهم فمات فقال الناس آمنا برب الغلام آمنا برب

الغلام آمنا برب الغلام فأتى الملك فقيل له يعنى أتى الملك آث فقال

أرأيت ما كنت تحذر والله قد نزل بك حذرك اى والله قد نزل بك ما كنت

تحذر منه وتخاف قد آمن الناس فأمر بالاخدود أى بحفر شق مستطيل فى

أفواه السك اى فى أبواب الطرق فخدت اى شقت واضرم

النيران اى اوقدها واشعلها وقال من لم يرجع عن دينه فاقحموه

فيها اى فاطرحوه فيها كرها ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبى رضيع

لها فتقاعست اى تأخرت أن تقع فيها فقال لها الغلام يا أما اصبرى فانك

على الحق وفى اهلى امنعونى واذا خشيت اهلك فقل حبسنى الساحر

فبينما هو كذلك اذ أتى على دابة عظيمة بعض الروايات كان للمرأة ثلاثة

اولاد أحدهم رضيع فقال لها الملك ارجعى عن دينك والا ألقيتك واولادك

فى النار فأبت فأخذ ابنها الاكبر فألقاه فى النار ثم قال لها ارجعى عن

دينك فأبت فألقى ابنها الاوسط ثم قال ارجعى عن دينك فأبت فأخذوا

الصبى ليلقوه فيها فهمت بالرجوع فقال الصبى يا اماه لا ترجعى عن

الاسلام فانك على الحق ولا بأس عليك وفى كشف الاسرار فان بين

يديك نارا لا تطفأ فألقى الصبى فى النار وامه على اثره وكان هو ممن تكلم فى المهد وهو رضيع وقد سبق عددهم فى سورة يوسف وكانت هذه القصة قبل مولده عليه السلام بتسعين سنة وفيما ذكر من الحديث اثبات كرامات الاولياء وجواز الكذب عند خوف الهلاك سوآء كان الهالك هو الكاذب او غيره وروى ان خربة اختفرت فى زمن عمر بن الخطاب فوجد الغلام الذى قتله الملك وأصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل وفى بعض التفاسير فوجدوا عبد الله بن الثامر واضعا أصبعه على صدغه فى رأسه اذا اميطت يده عنها سال دمه واذا تركت على حالها انقطع وفى يده خاتم من حديد فيه ربى الله فكتبوا الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان ذلك الغلام صاحب الاخدود فأتركوه على حاله حتى يبعثه الله يوم القيامة على حاله وعن على رضى الله عنه ان بعض الملوك المجوس وقع على اخته وهو سكران فلما صحا ندم وطلب المخرج فأمرته ان يخطب الناس فيقول ان قد أحل نكاح الاخوات ثم يخطبهم بعد ذلك وبقول ان الله حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت له ابسط فيهم السوط ففعل فلم يقبلوا فأمرته

بالاخاديد وايقاد النار وطرح من أبى فيها فهم الذين أرادهم تعالى بقوله قتل اصحاب الاخدود.

٥

{ النار } بدل اشتمال من الاخدود لان الاخدود مشتمل على النار وهو بها يكون مهيبا مشتد الهول والتقدير النار فيه او أقيم ال مقام الضمير على اختلاف مذهبى البصرى والكوفة

{ ذات الوقود } خداوند آتش باهيمه يعنى افروخته بهيزم . هو يفتح الواو ما يوقد به وفيه وصف لها بغاية العظم وارتفاع اللهب وكثرة ما يوجبه من الحطب وابدان الناس ما يدل عليه التعريف الاستغراقى ولو لم يحمل على هذا المعنى لم يظهر فائدة التوصيف اذ من المعلوم ان النار لا تخلو من حطب.

٦

{ اذ هم عليها قعود } ظرف لقتل والضمير لاصحاب الاخدود

وقعود جمع قاعد اى لعنوا حين احرقوا بالنار قاعدين حولاه فى مكان

مشرف عليها من حافات الاخدود ولفظ على مشعر بذلك تقول مررت

عليه مستعليا بمكان يقرب منه وفى بعض التفاسير على سرر وكراسى قعود

عند النار ولو قعدوا على على نفس النار لاحترقوا فالقاتلون كانوا جالسين

فى مكان مشرف او نحوه ويعرضون المؤمنين على النار فمن كان يترك دينه

تركوه ومن كان يضر ألقوه فى النار وأحرقوه وكان عليه السلام اذا ذكر

اصحاب الاخدود تعوذ بالله من جهد البلاء وهو الحالة التى يختار عليها

الموت او كثرة العيال والفقر كما فى القاموس والجهد بالفتح المشقة وجهد

عيشه كفرح نكد واشتد.

٧

{ وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود } جمع شاهد أى يشهد

بعضهم لبعض عند الملك بأن احدا لم يقصر فيما امر به وفوض اليه من

التعذيب الاحراق من غير ترحمن واشفاق او أنهم شهود يشهدون بما فعلوا

بالمؤمنين يوم القيامة يعنى تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم أرجلهم بما كانوا يعملون هذا هو الذى يستدعيه النظم الكريم وتنطق به الروايات المشهورة وقد ذهب بعضهم الى ان الجبابرة لما القوا المؤمنين فى النار وهم قعود حولها علقت بهم النار وفى رواية ارتفعت فوقهم اربعين ذراعا فوقعت عليهم فأخرقتهم ونجى الله المؤمنين سالمين ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله وقبض الله ارواحهم قبلى ان تمسهم النار كما فعل ذلك بآسية امرأة فرعون على ما سبق وعلى ذلك حملواقوله تعالى ولهم عذاب الحريق اى لهم عذاب جهنم فى الآخرة ولهم عذاب الحريق فى الدنيا وفيه اشارة الى النفوس المتمردة الشاردة النافرة عن جناب الحق المستحقة لأخاديد النيران والخذلان والخسران الموقدة بأحطاب اخلاقهم الرديئة المؤصدة بأحجار أوصافهم الخبثة النفسية الهوآئية اذ هم عليها قعود بارتكاب الشهوات ونكبابهم على اللذات والنفس والهوى وقواهم الطبيعية يشهد بعضهم على بعض بما يفعلون بمؤمنى الروح والسر والقلب من الملخالفة والمجادلة والمخاصمة.

٨

{ وما نقموا منهم } اى وما انكروا من المؤمنين وما عابوا يقال نقم الامر اذا عابه وكرهه وفى المفردات نقمت الشئ اذا انكرته اما باللسان

واما بالعقوبة.

{ الا ان يؤمنوا الله العزيز الحميد } قال بلفظ المضارع مع ان الايمان وجد منهم فى الماضى لارادة الاستمرار والدوام عليه فانهم ما عذبوهم لايمانهم فى الماضى بل لدوامهم عليه فى الآتى ولو كفروا فى المستقبل لم يعذبوا على ما مضى فكانه قيل الا ان يستمروا على ايمانهم

واما قوله تعالى حكاية وما تنقم منا الا ان آمنا بآيات ربنا فلان مجرد ايمان السحرة بموسى عليه السلام كان منكرا واجب الانتقام عندهم والاستثناء مفرغ مفصح عن براءتهم مما يعاب وينكر بالكيلة على منهاج قوله

ولا عيب فيهم غير أن ضيوفهم ... ثلام بنسيان الاحبة والوطن

فى ان ما انكروه ليس منكرا فى الواقع وغير حقيق الانكار كما ان ما جعله الشاعر عيبا ليس عيبا ولا ينبغى ان يعد عيبا ولا يضر ذلك كون الاستثناء فى قول الشاعر مبنيا على الادعاء بخلاف ما فى نظم القرءآن فانهم انكروا الايمان حقيقة ووصفه تعالى بكونه عزيز غالبا يخشى عقابه حميدا منعما يرجى ثوابه و تأكيد ذلك بقوله

٩

{ الذى له ملك السموات والارض } للاشعار بمناط ايمانهم والملك بالفارسية بادشاهى . وأخر هذه الصفة لان الملك التام لا يحصل الا عند حصول الكمال فى القدرة التى دل عليها العزيز وفى العلم الذى دل عليه الحميد لان من لا يكون تام العلم لا يمكنه ان يفعل الافعال الحميدة وفى كشف الاسرار وانما وصف ذاته بهذه الصفات ليعلم انه لم يمهل الكفار لاجل أنه غير قادر لكنه أراد أن يبلغ بهؤلاء المؤمنين مبلغا من الثواب لم يكونوا يبلغونه الا بمثل ذلك الصبر وان يعاقب اولئك الكافرين عقابا لم يكونوا يستوجبونه الا بمثل ذلك الفعل وكان قد جرى بذلك قضاؤه

على الفريقين جميعا فى سابق تدجبيره وعلمه وفيه تشنيع على الكفار بغاية جهلهم حيث عد

واما هو منقبة هى سبب المدح منقصة هى سبب القدح.

{ والله على كل شئ شهيد } وخدا رهمه جيزها ازافعال واقوال مؤمن وكافر كواهست و بآن دانا . وهو وعد لهم ووعيد شديد لمعذبيهم فان علمه تعالى بجميع الاشياء التى من جملتها أعمال الفريقين يستدعى توفير جزآء كل منهما حتما قال الامام القشيرى الشهيد العليم ومنه قوله تعالى شهد الله اى علم الله والشهيد الحاضر وحضوره بمعنى علمه ورؤيته وقدرته والشهيد مبالغة من الشاهد واذا علم العبد أن الله تعالى شهيد يعلم أفعاله ويرى أحواله سهل عليه ما يقاسيه لاجله (حكى) ان رجلا كان يضرب بالسيات وهو يصبر ولا يصبح فقال له بعض الحاضرين أما يؤلمك الضرب فقال نعم قال فلم لا تصيح قال فى الحاضرين لى محبوب يرقبنى فأخاف أن يذهب ماء وجهى عنده ان صحت فمن ادعى محبة الحق ولم يصبر على قرص نملة او بعوضة او ادنى أذية كيف يكون صادقا فى دعواه

ولذا قالوا دلت القصة على ان المكره على الكفر بنوع من العذاب الاولى أن يصبر على ما خوف منه وان كان اظهار الكفر كالرخصة فى ذلك (حكى) ان مسيلمة الكذاب أخذ رجلين من أصحاب النبي عليه السلام فقال لاحدهما تشهد أنى رسول الله فقال نعم فتركه وقال للآخر مثله فقال لا بل أنت كذاب فقتله فقال النبي عليه السلام

(اما الذى تركه فأخذ بالرخصة فلا تبعة عليه

واما الذى صبر فأخذ بالفضل فهنيئا له) وفى التأويلات النجمية والله على كل شئ من سموات الارواح وأرض الاشباح والاجساد شهيد اى حاضر لمظهرية الكل وظهوره فيا ذاتا وصفات واسماء لاستلزام الذات جميع التوابع الوجودية.

١٠

{ ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات } الفتن الاحراق والفتنة بالفارسية آزون . اى محنوهم فى دينهم وآذوهم وعذبوهم بأى عذاب كان ليرجعوا عنه كاصحاب الاخدود ونحوهم كما روى ان قريشا كانوا يعذبون بلالا ونحوه فالموصول اللجنس وانما لم يدفع البلاء قبل الابتلاء لان أهل الولاء لا يخلو عن البلاء

وهيهات هيهات الصفاء لعاشق ... وجنة عدن بالمكاره حفت

{ ثم } اى بعدما فعلوا ما فعلوا من الفتنة

{ لم يتوبوا } اى عن كفرهم وفتنتهم فان ما ذكر من الفتنة فى الدين لا يتصور من دين الكافر قطعا وفى ايراد ثم اشعار بكمال حلمه وكرمه حيث لا يعجل فى القهر وقبل التوبة وان طالبت مدة الحوية قال الامام وذلك يدل على ان توبة القاتل عمدا مقبولة.

{ فلهم } فى الآخرة بسبب كفرهم

{ عذاب جهنم } يعذبون به أبدا

{ ولهم } بسبب فتنتهم للمؤمنين

{ عذاب الحريق } او عذاب عظيم زآئد فى الاحراق على عذاب سائر أهل جهنم فظهرت المغايرة بين المعطوفين وان كان كل منهما حاصلا فى الآخرة ويحتمل أن يكون المراد بعذاب جهنم بردها وزمهريرها وبعذاب الحريق حرها فيرددون بين برد وحر على أن يكون الحر لاحراقهم المؤمنين فى الدنيا والبرد لغيره كما قالوا الجزآء من جنس العمل والحريق اسم بمعنى الاحتراق كالحرقة وقول الكاشفى فى تفسيره عذاب الحريق عذاب آتش سوزان . يشير الى ان الحريق بمعنى النار المحرقة كما قال فى المفردات الحريق النار وكذا الحرق بالتحريك بالنار أو لهبها كما فى القاموس وحرق الشئ ايقاع حرارة فى الشئ من غير لهب كحرق الثوب بالدق والاحراق ايقاع نار ذات لهب فى شئ ومنه استعير أحرقنى بلومه اذا بالغ فى أذيته بلوم يقول الفقير الظاهر أن الحريق هنا بمعنى المحرق كالأليم بمعنى المؤلم فيكون اضافة العذاب الحريق من قبيل اضافة الموصوف

الى صفته ويستفاد زيادة الاحراق من المقابلة فان العطف من باب الترقى بحسب العذاب المترتب على الترقى من حيث العمل.

١١

{ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات } على الاطلاق من المفتونين وغيرهم

{ لهم } بسبب ما ذكر من الايمان والعمل الصالح الذى من جملته الصبر على أذى الكفار واحراقهم وايراد الفاء اولا وتركها ثانيا يدل على جواز الامرين

{ جنات } يجازون بها بمقابلة النار ونحوها

{ تجرى من تحتها الانهار } يجازون بذلك بمقابلة الاحتراق والحرارة ونحو ذلك قال فى الارشاد ان أريد بالجنات الاشجار فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان أريد بها الارض المشتملة عليها فالتحتية باعتبار جريها الظاهر فان اشجارها ساترة لساحتها كما يعرب عنه اسم الجنة .

{ ذلك } المذكور العظيم الشان وهو حصول الجنان

{ الفوز الكبير } الذى تصغر عنده الدنيا وما فيها من فنون الرغائب بحذافيرها فالحصر اضافى قال فى برهان القرءآن ذلك مبتدأ والفوز خبره والكبير صفته وليس له فى القرءآن نظير والفوز النجاة من الشر والظفر بالخير فان أشير بذلك الى الجنات نفسها فهو مصدر أطلق على المفعول مبالغة والا فهو مصدر على حاله قال الامام انما قال ذلك الفوز ولم يقل تلك لدقيقة لطيفة وهى ان قوله ذلك اشارة الى اخبار الله بحصول هذه الجنات ولو قال تلك لكانت الاشارة الى نفس الجنات واخبار الله عن ذلك يدل على كونه راضيا والفوز الكبير هو رضى الله لا حصول الجنة يقول الفقير وعندى ان حصول الجنات هو الفوز الكبير وحصول رضى الله هو الفوز الاكبر كما قال تعالى ورضوان من الله اكبر وانما لم يقل تلك لان نفس الجنات من حيث هى ليست بفوز وانما الفوز حصولها ودخولها.

١٢

{ ان بطش ربك لشديد } استئناف خوطب به النبى عليه السلام ايذانا بأن لكفار قومه نصيبا موفورا من مضمونه كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام والبطش تناول الشئ بصولة والأخذ بعنف يقال يد باطشة وحيث وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة والظلمة وأخذ اياهم بالعذاب والانتقام وان كان بعد امهال فانه عن حكمة لا عن عجز.

١٣

{ انه هو } وحده

{ يبدئ ويعيد } اى يبدئ الخلق ويخرجهم من العدم الى الوجود ثم يميتهم ويعيدهم احياء للمجازاة على الخير والشر من غير دخل الأحد فى شئ منهما ففيه مزيد تقدير لشدة بطشها وهو يبدئ البطش بالكفرة فى الدنيا ويعيده فى الآخرة يعنى آشكاره كند بطش خودرا بركافران دردنيا

وبازكرداندهم آنرا بديشان درآخرت واين نشانهء عدلست . اى يبدئ البطش او العذب فى الآخرة ثم يعيده فيها كقوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها قال ابن عباس رضى الله عنهما ان أهل جهنم تأكلهم النار حتى يصيروا فيها فحما ثم يعيدهم خلقا جديدا فهو المراد من الآية وقال حذيفة بن اليمان رضى الله عنه اسر الى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حديثا فى النار فقال يا حذيفة ان فى جهنم لسباعا من نار وكلابا من نار وسيوفا من نار وكلاليب من نار وانه يبعث ملائكة يعلقون أهل النار بتلك الكلاليب بأحناكهم ويقطعونهم بتلك السيوف عضوا عضوا ويلقونه الى تلك السباع والكلاب كلما قطعوا عضوا عاد آخر مكانه غضا طريا او يبدئ من التراب ويعيده فيه او من النطفة ويعيده فى الآخرة يقال بدأ الله الخلق وأبدأهم فهو بادئهم ومبدئهم بمعنى واحد والمبدئ المظهر ابتدآء والمعيد المنشئ بعد ما عدم فالاعادة ابتدآء ثان.

قال الامام الغزالى رحمه الله المبدئ المعيد معناه الموجد لكن الايجاد

اذا لم يكن مسبوقا بمثله يسمى ابدآء وان كان مسبوقا بمثله يسمى اعادة

والله تعالى بدأ خلق الانسان ثم هو الذى يعيدهم اى يحشرهم فالاشياء

كلها منه بدت واليه تعود وبه بدت وبه نعود وفى المفردات والله هو المبدئ

والمعيد اى هو السبب فى المبدأ والنهاية وقال بعضهم الابدآء هو الاظهار

على وجه التطوير المهيئ للاعادة وهى الرجوع على مدرج تطوير الابدآء

فهو سبحانه بدأ الخلق على حكم ما يعيدهم عليه فسمى بذلك المبدئ

المعيد وانما قيل فيهما انهما اسم واحد لان معنى الاول يتم بالثانى وكذا كل

اسم لا يتم معناه فيما يرجع الى كمال اسماء الله الا باسم يتم به معناه قال

الامام القشيرى رحمه الله ان الله تعالى يبدئ فضله واحسانه لعبيده ثم يعيده

ويكرره فان الكريم من يرب صنائعه وخاصية الاسم المبدئ أن يقرأ على

بطن الحامل سحرا تسعا وعشرين مرة فان ما فى بطنها يثبت ولا يزلق

وخاصية الاسم المعيد يذكر مرارا التذكار المحفوظ اذا نسى لا سيما اذا

أضيف له الاسم المبدئ.

{ وهو لغفور } لمن تاب عن الكفر وآمن وكذا لمن تاب عن غيره من المعاصى ولمن لم يتب أيضا ان شاء

{ الودود } المحب لمن أطاع او تاب كما قال ان الله يحب التوابين واين نشأته فضل است بعدل وكذارد ونابود سازد وبفضل بنوازد وبرافرازد

فضل اودلنواز غمخواران ... عدل او سينه سوز جباران

عمر بن الخطاب رضى الله عنه در تخانه مقبول وسيئات او مغفور كه وهو الغفور الودود وعبد الله بن أبي در مسجد مخذول وحسنات او مردود كه ان بطش ربك لشديد . فالودود فعول بمعنى الفاعل ههنا وهو الذى يقتضيه المقام وقال سهل رحمه الله الودود المحب الى عباده باسباغ النعم عليهم ودوام العافية فيكون بمعنى المفعول لانه يحبه عباده الصالحون ومحبة العبد لله طاعته له وموافقته لامره او تعظيمه له وهيبته فى قلبه واجمع أهل الحقيقة ان كل محبة

تكون عن ملاحظة عوض فهى معلولة بل المحبة الصحيحة هى المحبة الصافية عن كل طمع والاثران الله تعالى يقول ان أود الاودآء الى من عبدنى لغير نوال لكن ليعطى الربوبية حقها قال بعض الكبار العشق التفاف الروحين والحب صفاء ذلك الالتفات وخلوصه والود ثباته وتمكنه من القلب والهوى اول وقوع الحب فى القلب وفى التأويلات النجمية الودود لمن يتوجه اليه بالمحبة على سنة من تقرب الى شبرا تقريب اليه زراعا فمن قرب اليه بالمحبة تقرب اليه بالود لان الود أثبت فى أرض القلب من المحبة لاشتقاقه من الوتد انتهى قال فى القاموس الود الوتد وقال الامام الغزالى رحمه الله الودود هو الذى يحب الخير الجميع الخلق فيحسن اليهم ويثنى عليهم وهو قريب من تستدعى مرحوما ضعيفا وأفعال الودود لا تستدعى ذلك بل الانعام على سبيل الابتدآء من نتائج الود كما ان معنى رحمتة تعالى ارادته الخير للمرحوم وكفايته له وهو منزه عو رقة الرحمة فكذلك وده ارادته للكرامة والنعمة وهو منزه عن ميل المودة والودود من عباد الله من يريد لخلق الله كل ما يريده لنفسه وأعلى من ذلك من يؤثرهم

على نفسه كمن قال منهم أريد أن اكون جسرا على النار يعبر على الخلق ولا يتأذون بها وكمال ذلك أنلا يمنعه من الايثار والاحسان الحقد والغضب وما يناله من الأذى كما قال عليه السلام حين كسرت رباعيته ودمى وجهه وضرب (اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون) فلم يمنعه سؤء صنيعهم عن ارادة الخير لهم وكما أمر عليه السلام عليا رضى الله عنه حيث قال (ان أردت أن تسبق المقربين فصل من قطعك وأعط من حرمك واعف عمن ظلمك) وخاصية الاسم الودود ثبوت الوداد لا سيما بين الزوجين فمن قرأه ألف مر على طعام واكله مع زوجته غلبتها محبته ولم يمكنها سوى طاعته وقد روى انه اسم الله الاعظم فى دعاء التاجر الذى قال فيه يا ودود يا ذا العرش المجيد يا مبدئ يا معيد أسألك بنور وجهك الذى ملأ اركان عرشك وبقدرتك التى قدرت بها على جميع خلقك وبرحمتك التى وسعت كل شئ لا اله الا أنت يا مغيث أغثنى يا مغيث أغثنى يا مغيث أغثنى الحديث قد ذكره غير واحد من الائمة.

يقول الفقير كنت اذكر فى السحر الاعلى يا ودود وذلك بلسان القلب فصدر منى بلا اختيار أن اقول يا رب اجعلنى محيطا فعرفت ان للاسم المذكور تأثيرا عظيما فى الاحاطة وذلك ان الودود بمعنى المحبوب ولا شك ان جميع الاسماء الهية يود الاسم الاعظم ويميل اليه فالاسم الاعظم ودود بمعنى المفعول وغيره ودود بمعنى الفاعل فمن ذكره كان ودودا بمعنى المودود فيحبه جميع المظاهر فيحصل له الاحاطة باسرار جميع الاسماء ويصل اليه جميع التوجهات.

١٥

{ ذو العرش } خالقه

وقيل المراد بالعرض الملك مجازا اى ذو السلطنة القاهرة على المخلوقات السفلية والمخترعات العلوية وان لم يكن على السرير ويقال قل عرش فلان اذا ذهب سلطانه

{ المجيد } هو الشريف ذاته الجميل أفعاله الجزيل عطاؤه نواله فكان شرف الذات اذا قارنه حسن افعال سمى مجيدا وهو الماجد أيضا ولكن أحدهما دل على المبالغة وكأنه يجمع من اسم الجليل واسم الوهاب والكى قال فى القاموس المجيد الرفيع العال والكريم والشريف الفعال ومجده عظمه وأثنى عليه والعطاء كثره والتمجيد ذكر الصفات الحسنة وقرئ بالكسر صفة للعرش ومجد العرش علوه فى الجهة وعظم مقداره وحسن صورته وتركيبه فانه أحسن الاجسام تركيبا وصورة وفى الحديث (ما الكرسى فى جنب العرش الا كحلقة ملقاة فى أرض فلاة) فاذا كان الكرسى كذلك مع سعته فما ظنك بسائر الاجرام العلوية والسفلية قال سهل رحمه الله ظهر الله العرش اظهارا للقدرة لا مكانا للذات ولا احتياجا اليه

قال بعضهم ومن العجب ان الله لو ملأ العرش مع تلك السعة من حبوب الذرة وخلق طيرا اكل حبة واحدة منها فى ألف سنة لنفدت الحبوب ولا تنقطع مدة الآخرة ومع هذا لا يخاف بنوا آدم من عذاب تلك المدة

ويضيعون أعمارهم فى شئ حقير سريع الزوال وفيه اشارة الى قلب العارف المستوى للرحمن كما جاء فى الحديث (قلب العارف عرش الله) ومجده هو أنه ما وسع ذلك الواسع المجيد غيره وخاصية هذا الاسم تحصيل الجلالة والمجد والطهارة ظاهرا وباطنا حتى فى عالم الابدان والصور فلقد قالوا اذا صام الابرص اياما وقرأه كل ليلة عند الافطار كثيرة فانه يبرأ باذن الله تعالى اما بلا سبب او بسبب يفتح الله له به.

١٦

{ فعال لما يريد } بحيث لا يتخلف عن ارادته مراد من أفعاله تعالى وأفعال غيره فيكون دليلا لاهل الحق على انه لا يتخلف شئ عن ارادته وهو خبر مبتدأ محذوف وانما قال فعال مبالغة فاعل لان ما يريد ويفعل فى غاية الكثرة من الاحياء والاماتة والاعزاز والاذلال والاغناء والاقتار والشفاء والامراض والتقريب والتبعيد والعمارة والتخريب والوصل والفرق والكشف والحجاب الى غير ذلك من شؤونه وفى التأويلات النجمية فعال لما يريد بالمؤمن والكافر وأرباب الارواح والاسرار والقلوب وأصحاب

النفوس وأهل الهوى ان أراد أن يجعل أرباب الرواح من أرباب النفوس فهو قادر على ذلك وهو عادل فى ذلك وان أراد عكس ذلك فهو كذلك وهو مفضل فى ذلك يحجب من يريد بجلاله كالمنكرين ويتجلى لمن يريد بجماله كالمقربين ويعامل لمن يريد بافاضة كماله كالعارفين قال القفال يدخل اولياءه الجنة لا يمنعه مانع ويدخل اعدآءه النار لا ينصرهم ناصر ويمهل بعض العصاة على ما يشاء الى أن يجازيهم ويعاجل بعضهم بالقوبة اذ شاء فهو يفعل ما يريد (روى) ان أناسا دخلوا على أبي بكر الصديقرضى الله عنه يعودونه فقالوا الا نأتيك بطبيب قال قد رآنى قالوا فما قال لك قال انى فعال لما أريد ..

١٧

{ هل أتاك } آيا آمد بتو . اى قد أتاك لان الاستفهام للتقرير

{ حديث الجنود } اى خبر الجموع الكافرة التى تجندت على الانبياء فى الماضى وخبرهم ما صدر عنهم من التمادى فى الكفر والضلال وما حصل بها من العذاب والنكال.

١٨

{ فرعون وثمود } بدل من الجنود يعنى مع انه غير مطابق ظاهرا للمبدل منه فى الجمعية لان المراد بفرعون هو وقومه وقد يجعل من حذف المضاف بمعنى جنود فرعون اى هل اتاك حديثهم وعرفت ما فعلوا من التكذيب وما فعل بهم من التعذيب فذكر قومك بشؤون الله وأنذرهم أن يصيبهم مثل ما أصاب أمثالهم وقد كانوا سمعوا قصة فرعون وجنوده قوم موسى عليه السلام ورأوا آثار هلاك ثمود قوم صالح عليه السلام لانها كانت فى ممرهم وفى بلادهم وأخر ثمود مع تقدمه على فرعون زمانا لرعاية الفواصل قال القاشانى هل أتاك حديث المحجوبين اما بالانانية كفرعون ومن يدين بدينه او بالآثار والاغيار كثمود ومن يتصل بهم.

{ بل الذين كفروا } من قومك

{ فى تكذيب } اضراب عن مماثلتهم لهم وبيان لكونهم اشد منهم فى الكفر والطغيان وتنكير تكذيب للتعظيم كأنه قيل ليسوا مثلهم فى لك بل هم اشد منهم فى استحقاق العذاب واستيجاب العقاب فانهم مستقرون فى تكذيب شديد للقرءآن الناطق بذلك لكن لانهم يكذبون بوقوع الحادثة بل يكذبون كون ما نطق به قرءآنا من عند الله مع وضوع أمره وظهور حاله بالبينات الباهرة وفى التأويلات النجمية فى تكذيبا لاشمال خلقهم وجبلتهم على صفة الكذب والتكذيب وأمن جبل على صفة لا يقدر على مفارقتها الا القليل من الكمل كما قال تعالى فمن لم يجعل الله له نورا اى فى الاستعداد فما له من نور.

خوى بد در طبيعتى كه نشست ... نرهد جز بوقت مرك ازدست

وفيه اشارة الى تكذيب المنكرين لاهل الحق ووقوفهم مع حالهم واحتجابهم عن حال من فوقهم.

٢٠

{ والله من ورائهم } من خلفهم

{ محيط } بهم بالقدرة وهو تمثيل العدم نجاتهم من بأس الله بعدم فوت المحاط المحيط اذا سد عليه مسلكه بحيث لا يجد هربا منه وفى التأويلات النجمة محيط والمحيط لا يفوته المحاط ولا يفوت المحيط شئ لاحاطة الله سبحانه عند العارفين بالكافرين من الموجودات كلها عبارة عن تجليه بصور الموجودات فهو سبحانه بأحدية جميع اسمائه سار فى الموجودات كلها ذاتا وحياة علما وقدرة الى غير ذلك من الصفات والمراد باحاطته تعالى هذه السراية ولا يعزب عنه ذرة فى السموات والارض وكل ما يعزب عنه يلتحق بالعدم وقالوا هذه الاحاطة ليس كاحاطة الظرف بالمظروف ولا كاحاطة الكل باجزآئه ولا كاحاطة الكلى

بجزيئاته بلى كاحاطة الملزوم بلازمه فان التعينات اللاحقة لذاته المطلقة انما هى لوازم له بواسطة او بغير واسطة وبشرط او بغير شرط ولا تقدح كثرة اللوازم فى وحدة الملزوم ولا تنافيها والله أعلم بالحقائق.

٢١

{ بل هو قرآن مجيد } اى ليس الامر كما قالوا بل هذا الذى كذبوا به قرءآن شريف عالى الطبقة فيما بين الكتب الالهية فى النظم والمعنى متضمن للمكارم الدنيوية والاخروية.

٢٢

{ فى لوح محفوظ } اى من التحريف ووصول الشياطين اليه واللوح كل صحيفة عريضة خشبا او عظما كما فى القاموس قال الراغب اللوح واحد ألواح السفينة وما يكتب فيه من الخشب ونحوه والمراد به هنا ما قال ابن عباس رضى الله عنهما ان الله خلق لوحا محفوظا من درة بيضاء دفتاه يا قوته حمرآء طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق

والمغرب ينظر الله فيه كل يوم ثلاثمائة وستين مرة يحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء وفى صدر اللوح لا اله الا الله وحده ودينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن به وصدق وعده واتبع رسله أخله الجنة وفى التأويلات النجمية بل المتلو المقرء على الكفار والمنافقين قرءآن عظيم مجيد شريف مثبوت فى لوح القلب المحمدى وفى الواح قلوب ورثته الاولياء العارفين المحبين العاشقين محفوظ من تحريف ايدى النفس الكافرة والهوى الماكر وسائر القوى البشرية السارية فى اقطار الوجود الانسانى وقد قال تعالى وانا له لحافظون اى فى صدور الحفاظ وقلوب المؤمنين.

سُورَةُ الطَّارِقِ مَكِّيَّةٌ

وَهِيَ سَبْعَ عَشَرَةَ آيَةً

١

{ والسماء والطارق } الطارق فى الاصل اسم فاعل من طرق

طرقا وطروقا اذا جاء ليلا قال الماوردى واصل الطرق الدق ومنه سميت

المطرقة لانه يطرق بها الحديد وسمى الطريق طريقا لانه يضرب بالرجل وسمى

قاصد الليل ثم اتسع فى كل ما ظهر بالليل كائنا ما كان ثم اتسع فى التوسع

حتى اطلق على الصور الخيالية ابادية بالليلوالمراد هنا الكوكب البادى بالليل

قال اراغب عبر عن النجم بالطارق لاختصاص ظهوره بالليل قال هند

بنت عتبة يوم أحد نحن بنات طارق نمشى على النمارق اى أبونا كالنجم

شرفا وعلوا وقال الشاعر

يا راقد الليل مسورا بأوله ... ان الحوادث قد يطرقن اسحارا

لا تفرحن بليل طاب اوله ... فرب آخر ليل أجج النار

قال سهل رحمه الله وما طرق على قلب محمد من روآئد البيان

والانعام وفى التأويلات النجمية يشير الى سماء القلب وطروق كواكب

الواردات القلبية والالهامات الغيبية العظيمة الشأن القوية البرهان ولفخامة امره وشهامة قدره عقبه بقوله

۲

{ وما أدراك ما الطارق } اى اى شئ أعلمك بالطارق فانه لا يناله ادراك الخلق الا بالتلقى من الخلاق العليم كأنه قيل ما هو فقيل هو

۳

{ النجم الثاقب } النجم الكوكب الطالع والثقب بالفارسية سوارخ كردن والثقوب والثقابة افروخته شدن آتش . يقال ثقبه ثقبا جعل فيه منفذا ومسلكا ونفذ فيه وثبت النار تتقب ثقوبا اتقدت واشتعلت وثقب النجم اضاء وشهاب ثاقب اى مضيئ وعبر عن الطارق اولا بوصف عام ثم فسره بما يخصه تفخيما لشأنه والمعنى النجم المضيئ فى الغاية يعنى ستارء رخشنده وفروزان جون شعلهء آتش . لانه يثقب بنوره واشاءته ما يقع عليه من الظلام والافلاك وينفذ

فيها والمراد الجنس وهو قول الحسن رحمه الله لان لكل كوكب ضوأ ثاقبا لا محالة اى فى نفسه وان حصل التفاوت بالنسبة اقسم اللّه بالسماء وبكواكبها لدلالتهما على قدرته وحكمته او المعهود بالثقب فهو من باب ركب السلطان وهو زحل الذنفى السماء السابعة لانه يثقب بنوره سمك سبع سموات او كوكب الصبحٍ الثريا لان العرب تسميه النجم او الشهاب جنانجه آورده اندكه شى حضرت رسول صلّى الله عليه وسلّم نشسته بود باعم خود ابو طالب ناكاه ستاره بدر خشيد وشعلهء آتش عظيم از وظاهر شد ابو طالب بترسيد وكفت اين جه جيزست حضرت بيغمبر عليه السلام فرمود كه اين ستاره ايست كه ديورا از آسمان مى راند ونشانه ايست از قدرتهاى الهى فى الحال جبريل نازل شد بدين آيت كه والسماء والطارق . وفيه اشارة الى كوكب اسم الجمال الثاقب الطارق وكوكب اسم الجلال وقال القاشانى اى الروح الانسانى والعقل الذى يظهر فى ظلمة النفس وهو النجم الذى يثقب ظلمتها وينفذ فيها ويبصر بنوره ويهتدى به كما قال وبالنجم هم يهتدون.

٤

{ ان كل نفس لما عليها حافظ } جواب للقسم وما بينهما اعتراض جيئ به لتأكيد فخامة المقسم به المستتبع لتأكيد مضمون الجملة المقسم عليها وان نافية ولمابمعنى الا قال الزجاج استعملت لما فى موضع الا فى موضعين احدهما بعد ان النافية ولآخر فى باب القسم تقول سألتك لما فعلت بمعنى الا فلعت وعدى الحفظ بعلى لتضمنه معنى الهيمنة والمعنى ما كل نفس من النفوس الطيبة والخبيثة انسبة او جنية الا عليها حافظ مهيمن رقيب وهو الله تعالى كما قال الله تعالى وكان الله على كل شئ رقيبا.

آورده اندكه درمكه زنى بود فاجره وكفت من طاوس يمانى را بر كردانم ازراه طاعت ودر معصيت كشم وطاوس مردى نيكو ورمى بود وخوش خلق وخوش طبع ان زن برطاوس آمد وباوى سخن در كرفت برسبيل مزاح طاوس بدانست كه مقصودوى جيست كفت آرى صبركن تابفلان جايكاه آييم جون بدان جايكاه رسيدند طاوس كفت اكرترا

مقصودی است اینجا تواند بود آن زن کفت سبحانه الله این جه جای

آن کارست انجمنکاه خلق ومجمع نظار کیان طاوس کفت أليس الله يرانا

فی کل مکان ای زن از دیدار مردم شرم داری واز دیدار الله که بما می

نکرد خود شرم نداری يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله این

سخن درزن کرفت وتوبه کرد واز جملهء اولیا کشت (وحکی) ان ابن

عمر رضی الله عنهما مر بغلام يرعى غنما فقال له بعنى شاة فقال انها

ليست لى فقال له ابن عمر قل اكلها الذئب فقال الغلام فأين الله فاشتراه

ابن عمر واشترى الغنم واعتقه ووهب له الغنم وبقى ابن عمر مدة طويلة

يقول قال ذلك العبد فأين الله فصاحب المراقبة يدع من المعاصى حياء

ومنه تعالى وهيبة له اكثر مما يدعه من يترك الماصى بخوف عقوبته

وقيل المراد بالحافظ هو من يحفظ عملها ويحصى عليها ما تكسب

من خير وشر كما فی قوله تعالى وان عليكم لحافظين . وآنکه که بر

مصطفی صلّی الله علیه وسلّم عرضه میکنند جنانکه در خبرست که

رسول الله عليه السلام فرمود تعرض على اعمالكم فما كان من حسنة

حمدت الله عليه وما كان من سيئة استغفرت الله لكم(وروى) عن

النبي عليه السلام وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه كما يذب عن

قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته

الشياطين وقرئ لما مخففة على أن ان مخففة وما مزيدة واللام فاصلة بين

المخففة والنافية اى ان الشأن كل نفس عليها حافظ رقيب وفى

الآية تخويف للنفوس من الامور الضارة وترغيب فى الشؤون النافعة وفى

بعض التفاسير يحتمل ان يكون المراد من النفس أعم من نفس النفس

المكلف من الانسان والجن ومن نفس المكلف لعموم الحفظ من بعض

الوجوه ومن الكل فيشمل النفوس الحيوانية مطلقا بل كل شئ سوى الله

بناء على ان المراد من النفس الذات فان نفس كل شئ ذاته وذاته نفسه

ومن الحافظ هو الله لان الحافظ لكل شئ عالم بأحواله موصل اليه منافعه

ودافع عنه مضاره والحفيظ من العباد من يحفظ جوارحه وقلبه ويحفظ دينه

عن سطوة الغضب وحلاوة لشهوة وخداع النفس وغرور الشيطان فانه

على شفا جرف هار وقد اكتنفته هذه الملكات المفضية الى البوار ومن

خواص الاسم الحفيظ ان من علقه عليه لو نام بين السباع ما ضرته قال القاشانى الحافظ هو الله ان اريد بالنفس الجملة وان اريد بها النفس المصطلح عليها من القوة الحيوانية فحافظها الروح الانسانى.

٥

{ فلينظر الانسان } ليتفكر الانسان المركب من الجهل والنسيان المنكر للنشور والحشر والميزان

{ مم } اى من اى شئ فأصله مما حذفت الالف تخفيفا كما مر فى عم

{ خلق } حتى يتضح ان من قدر على انشائه من مواد لم تشم رآئحة الحياة قط فهو قادر على اعادته بل اقدر على قياس العقل فيعمل ليوم الاعادة والجزآء ما ينفعه يومئذ ويجد به ولا يملى حافظه ما يرد به.

٦

{ خلق من ماء دافق } استئناف وقع جوابا عن استفهام مقدر كأنه قيل مم خلق فقيل خلق من ماء ذى دفق وهو صب فيه دفع وسيلان بسرعة وبالفارسيةويزانيدن آب . وبابه نصر وانما اول بالنسبة لان الصب لا يتصور من النطفة لظهور انها مصبوبة لاصابة فتوصيفه بانه دافع لمجرد نسبة مبدأ الاشتقاق الى ذات الموصوف به مع قطع النظر عن صدوره منه وقال بعضهم اى مدفوق ومصبوب فى الرحم نحو سر كاتم اى مكتوم وعيشة راضية اى مرضية فهو فاعل بمعنى المفعول والمراد به الممتزج من الماءين فى الرحم كما ينبئ عنه ما بعده فى الآية وللنظر الى امتزاجهما عبر عنهما بصيغة الافراد ووصف الماء الممتزج بالدافق من قبيل توصيف المجموع بعض اجزآئه.

٧

{ يخرج } ذلك الماء الدافق

{ من بين الصلب والترآئب } الصلب الشديد وباعتباره سمى

الظهر صلبا اى من بين ظهر الرجل وترآئب المرأة وهى ضلوع صدرها

وعظام نحرها حيث تكون القلادة وكل عظم من ذلك تربية وعن على وابن

عباس رضى الله عنهما بين الثديين وفى القاموس الترآئب عظام

الصدر او ما ولى الترقوتين منه او ما بين الثديين والترقوتيناو اربع اضلاع

من يمنة الصدر واربع من يسرته او اليدان والرجلان والعينان او موضع

القلادة انتهى ومن ذلك يتحمل الوالد مصالح معيشة الولد وتشتد رقة

الوالدة ومحبتها للولد وايراد بين اشارة الى ما يقال ان النطفة تتكون من

جميع اجزآء البدن ولذلك يشبه الولد والديه غالبا فيجتمع ماء الرجل فى

صلبه ثم يجرى منه ويجتمع ماء المرأة فى ترآئبها ثم يجرى منها وفى قوت

القلوب اصل المنى هو الدم يتصاعد فى خرزات الصلب وهناك مسكنه

فتنضجه الحرارة فيستحيل أبيض فاذا امتلأت منه خرزات الصلب وهو

الفقار طلب الخروج من مسلكه وهو عرقان متصلان الى الفرج منهما ينزل

المنى وفى اسئلة الحكم بين طريق البول وطريق المنى جلد رقيق يكاد لا

يتشخص كيلا يختلط المنى بماء البول فيفسد حرارة جوهرة وفى التأويلات النجمية خلق الانسان من ماء رطوبة النفس الرحمانى الذى اشار اليه عليه السلام بقوله تعالى (كنت كنزا مخفيا فأحببت ان اعرف فخلقت الخلق الخارج من بين الصلب) اى رجل القوة الفاعلية الالهية المسماة باليد اليمنى فى قوله ثم مسح يده اليمنى على جانب الظهر الايمن فاستخرج منه ذرية بيضاء كالفضة البيضاء والترآئب وترآئب امرأة القابلية المسماة باليد اليسرى فى قوله ثم مسح يده اليسرى على جانب الظهر الايسر فاستخرج منه ذرارى حماء سوداء فهو الانسان المخلوق على صورة ربه وخالقه من ماء الفيض والقبول المخمر بيدى الفاعلية والقابلية المشار اليهما بقوله خمرت طينة آدم بيدى اربعين صباحا.

٨

{ انه } الضمير للخالق فان قوله خلق يدل عليه ان ذلك الذى خلق الانسان ابتدآء مما ذكر

{ على رجعه } اى اعادته بعد موته

{ لقادر } اى لين القدرة بحيث لا يرى له عجز أصلا وتقديم الجار والمجرور على عامله وهو لقادر للاهتمام به من حيث ان الكلام فيه بخصوصه فهو لا ينافى قادريته على غيره

قال بعضهم خلقه لاظهار قدرته ثم رزقه لاظهار الكرم ثم يميته لاظهار الجبروت ثم يحييه لاظهار الثواب والعقاب.

٩

{ يوم تبلى السرآئر } ظرف لرجعه ولا يضر الفصل بالاجنبى للتوسع فى الظروف والسرآئر جمع سريرة بمعنى السر وهى التى تكتم وتخفى اى يتعرف ويتصفح ما اسر فى القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما اخفى من الاعمال ويميز بين ما طاب منها وما خبث وبالفارسية روزى كه آشكارا كرده شود نهانها يعنى ظاهر كند مخفيات ضمائر واعمال اطيب آن از خبيث متميز كردد

كر برده زروى كار مابر دارند ... آن كيست كه رسواى دو عالم نشود

والابلاء هو الابتلاء والاختبار واطلاق الابلاء على الكشف والتمييز من قبيل اطلاق اسم السبب على المسبب لان الاختبار يكون للتعريف والتمييز وابتلاء الله عباده بالامر والنهى يكون لكشف ما علم منهم فى الازل وقال بعضهم المراد بالسرآئر الفرائض كالصوم والصلاة والزكاة والغسل من الجنابة فانها سر بين العبد وبين ربه ولو شاء العبد أن يقول فعلت ذلك ولم يفعله امكنه وانما تظهر صحة تلك السرآئر يوم القيامة قال ابن عمر رضى الله عنهما يبدى الله يوم القيامة كل سر فيكون زينا فى وجوه وشينا فى وجوه يعنى من أدى الامانات كان وجهه مشرقا ومن ضيعها كان وجهه اغبر.

١٠

{ فما له } اى للانسان وما نافية

{ من قوة } فى نفسه يمتنع بها من العذاب الذى حل به

{ ولا ناصر } من خارج ينتصر به اذ كل نفس يومئذ رهينة بما كسبت مشغولة بجزآء ما جرت عليه خيرا كان او شرا فالمراد بالقوة المنفية هى القوة الثابتة له فى نفسه لا القوة مطلقا والا لم يبق للعطف فائدة لان القوة المستفادة من الغير قوة ايضا وقد نفيت اولا والقوة عبارة عن شدة البنية وصلابته المضادة للضعف وفى التعريفات هى تمكن الحيوان من الافعال الشاقة ونصر المظلوم أعانه ونصره منه نجاه وخلصه وفيه اشارة الى القوة بحسب نية الباطن وعمل الظاهر فالنية الخالصة المجردة عن العمل قد تنصر الناوى ايضا لكن اذا قرانت العمل كانت اقوى.

١١

{ والسماء ذات الرجع } ذات مؤنث ذو بمعنى الصاحب والرجع المطر سمى رجعا لما ان العرب كانوا يزعمون ان السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجعه الى الارض او أرادوا بذلك التفاؤل ليرجع ولذلك

سموه او باليؤوب فيكون الرجع مصدرا من اللازم بمعنى الرجوع لا من المتعدى قاله بعض العلماء او لان الله يرجعه وقتا فوقنا بعد ايجاده واحداثه وقال الراغب سمى المطر رجعا لرد الهوآء ما تناوله من الماء وفى كشف الاسرار لانه يرجع كل عام ويتكرر وقال عبد القاهر الجرجانى فى كتاب اعجاز القرءآن انما قال لسماء ذات الرجع لان شمسها وقمرها يغيب ويطلع وبعض نجومها يرجع.

١٢

{ والارض ذات الصدع } هو ما تتصدع عنه الارض من النبات اذا المحاكى للنشور هو تشقق الارض وظهور النبات منها لاظهار العيون فالمراد بالصدع نبات الارض سمى به لانه صادع للارض والارض تتصدع به والصدع فى اللغة الشق وفى المفردات شق فى الاجسام الصلبة كالزجاج والحديد ونحوهما وفى الآية اشارة الى ان السماء ذات الرجع كالاب والارض ذات الصدع كالام وما ينبت من الارض كالولد اقسم الله بالسماء اولا مجردة عن التوصيف وثانيا مقيدة بكونها ذات الرجع وكذا بالارض ذات

الصدع ايماء الى المنة عليهم بكثرة المنافع ودلالة على العلم النام والقدرة الكاملة فيهما وفيه اشارة الى سماء الروح ذات الرجع فى النشأة الثانية وارض البدن ذات الصدع بالانشقاق عن الروح وقت زهوقه او الشق بعد اتصاله.

١٣

{ انه } اى القرءآن الذى من جملته ما تلى من الآيات الناطقة بمبدأ حال الانسان ومعاده

{ لقول } لكلام اذا القول كثيرا ما يكون بمعنى المقول

{ فصل } اى فاصل بين الحق والباطل مبالغ فى ذلك كانه نفس الفصل كما قيل له فرقان بمعنى الفارق ..

١٤

{ وما هو بالهزل } الهزل اللعب وفى فتح الرحمن ما استعمل فى غير ما وضع له من غير مناسبة والجد ضده وهو أن يقصد به المتكلم

حقيقة كلامه اى ليس فى شئ من القرءآن شائبة هزل بل كله جد محض لا هزل فيه فمن حقه ان يهتدى به الغواة وتخضع له رقاب العتاة وبالفارسية ونيست او بازى وباطل وفسوس وسخريه . ويظهر من الآية ان من يؤم القرءآن بهزل او بتفكه بمزاح يكفر وفى هدية المهديين اذا انكر رجل آية من القرءآن او سخر بها او عابها فقد كفر ومن قرأ القرءآن على ضرب الدفاو القصب قد كفر ولو قال ألم نشرح لك را كريبا كرفته . او قال بوست ازقل هو الله احد بردى . او قال اين كوته تراز انا أعطيناك . او قيل لم لم تقرأ القرءآن فقال سير شدم از قرءآن . فهذا كله وامثاله كفر ينبغى للمؤمن ان يحترز منه ويجتنب عنه.

١٥

{ انهم } اى اهل مكة ومعاندى قريش

{ يكيدون } فى ابطال امره واطفاء نوره يعنى مكر ميكنند درشان رسول وحق قرآن

{ كيدا } حسبما فى قدرتهم

{ واكيد كيدا } اى اقابلهم بكيد متين لا يمكن رده حيث أستدرجهم من حيث لا يعلمون وكيد المحدث العاجز الضعيف لا يقاوم كيد القديم القادر القوى فتسمية الاستدراج والانتقام فى الدنيا بالسيف وفى الآخرة بالنار كيدا من باب المشاكلة لوقوعه فى مقابلة كسبهم جزآء له والا فالكيد هو المكر والاحتيال لا يجوز اسناده اليه تعالى مرادا به معناه الحقيقى وتسمية جزآء الشئ باسم ذلك الشئ على سبيل المشاكلة شائع كثير.

١٦

{ فمهل الكافرين } اى لا تشتغل بالانتقام منهم ولا تدع عليهم بالهلاك ولا تستعجل به يعنى مهلت ده كافرانرا وتعجيل مكن در طلب هلاك ايشان.

١٧

{ امهلهم } بدل من مهل وهما اى التمهيل والامهال لغتان كما قال تعالى ومهلهم قليلا (روى) عن همام مولى عثمان رضى الله عنه انه قال لما كتبوا المصحف شكوا فى ثلاث آيات فكتبوا فى كتف شاة وارسلونى الى أبي ابن كعب وزيد بن ثابت رضى الله عنهما فدخلت عليهما فناولتها أبي فقرأها فاذا هى فيها لا تبديل للخلق فكتب لا تبديل لخلق الله وكان فيها لم يتسن فكتب لم يتسنه وكان فيها فأمهل الكافرين فمحا الالف وكتب فمهل الكافرين ونظر فيها زيد بن ثابت فانطلقت بها اليهم فاثبتوها فى المصحف وفيه اشارة الى ان الله تعالى حافظ للقرءآن من التحريف والتبديل لانه اثبته فى صدور الحفاظ والى ان المشكلات يرجع فيها الى اهل الحل

{ رويدا } يقال ارود يرود اذا رفق وتأنى ومنه بنى رويد كما فى المفردات وفى الارشاد هو فى الاصل تصغير رود بالضم وهو المهل اوارواد مصدر أورد بالترخيم وهو اما مصدر مؤكد لمعنى العامل او نعت لمصدره المحذوف اى امهلهم امهالا رويدا اى قريبا او قليلا يسيرا فان كل آت

قريب كما قالوا كرجه قيامت دير آيد ولى مى آيد . وفى تسلية لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم بما فيه من الرمز الى قرب وقت الانتقام من الاعدآء وفى كشف الاسرار وما كان بين نزول هذه الآية وبين وقعة بدر الا زمان يسير (حكى) انه دخل ابن السماك على هرون الرشيد فطلب هرون منه العظة وقد جلس فى حصير فقال يا أمير المؤمنين لتواضعك فى شرفك أفضل من شرفك قال الرشيد ما سمعت شيأ احسن من هذا فقال بلى يا أمير المؤمنين من اعطى مالا وجمالا وسلطانا وشرفا فتواضع فى شرفه وعف فى جماله وواسى من فضل ماله وعدل فى سلطانه كتب فى ديوان المخلصين فدعا الرشيد بالقرطاس فكتبها ثم قال زدنى فقال يا أمير المؤمنين لقد امهل حتى كأنه اهمل ولقد ستر حتى كأنه غفر ثم قال يا أمير المؤمنين هب كأن الدينا كلها فى يديك والاخرى مثلها ضمت اليك هب كان الشرق والغرب يجيى اليك فاذا جاء ملك الموت فمذا فى يديك قال زدنى فقال لم يبق من لدن آدم الى يومنا هذا احد الا وقد ذاق الموت قال زدنى فقال انهما موضعان اما جنة

واما نار قال حسبي ثم غشى عليه قال ابن السماك دعوة حتى يموت فلما أفاق امر له بجائزة فقيل له انه قال كذا فسأله الرشيد عن ذلك فقال يا أمير المؤمنين اشيء أحسن من ان يقال ان أمير المؤمنين مات من خشية الله فاستحسن كلامه واحترمه (قال الحافظ) بمهلتى كه سبهرت دهد زراه مرو . تراكه كفت كه اين زال ترك دستان كرد . فطوبى لمن قصر امله وطال عمره وحسن عمله والله نسأل ان لا يجعلنا من المغترين.

سُورَةُ الْأَعْلَى مَكِّيَّةٌ

وَهِيَ تِسْعَ عَشَرَةَ آيَةً

١

{ سبح اسم ربك الأعلى } التسبيح التنزيه واسم الله لا يصح أن يطلق عليه بالنظر الى ذاته او باعتبار من صفاته السلبية كالقدوس او الثبوتية كالعليم او باعتبار فعل من أفعاله كالخالق ولكنها توقيفية عند بعض العلماء وقد سبق والأعلى صفة للرب ويجوز أن يكون

صفة للاسم والاول أظهر ومعنى علوه تعالى أن يعلو عن أن يحيط به وصف الواصفين بل علم العارفين ومعنى أعلويته ان له الزيادة المطلقة فى العلو

قال بعضهم ليس علوه علوجهة ولا كبره كبر جثة سبحانه عن ذلك بل علو استحقاق لنعوت الجلال والكبرياء فمن عرف علوه وكبرياءه تواضع وتذلل بين يديه عباده الصالحين والمعنى نزه اسمه عن الالحاد فيه بالتأويلات الزآئغة نحو أن يجعل الاعلى من العلو فى المكان لا من العلو فى الكمال وأن يؤخذ الاستوآء بمعنى الاستقرار لابمعنى الاستيلاء وكذا نزهه عن اطلاقه على غيره بوجه يشعر بتشاركهما فيه كان يسمى الصنم والوثن بالرب والاله ومنه تسيمة العرب مسيلمة الكذاب برحمان اليمامة وكذا نزهه عن ذكره لاعلى وجه الاعظام والاجلال ويدخل فيه أن يذكر اسمه عند التثاؤب وحال الغائط وكذا بالغفلة وعدم الوقوف على معناه وحقيقته ومنه اكثار القسم بذكر اسمه من غير مبالاة وقال جرير فى الآية ارفع صوتك بذكره اى بذكر اسمه فان ذكر المدلول انما هو بذكر الاسم الدال عليه

فظهر من هذا التقرير أن الاسم غير مقحم وقال بعضهم الاسم والمسمى هنا واحد اى نزه ذاته عما يدخل فى الوهم والخيال وفى الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال عليه السلام (اجعلوها فى ركوعكم) فلما نزل سبح اسم ربك الأعلى قال اجعلوها فى سجودكم وكانوا يقولون فى الركوع اللهم لك ركعت وفى السجود اللم لك سجدت وفى الحديث دلالة على ان لفظ الاسم مقحم قاله سعدى المفتى وعلى ان الامتثال بالامر يحصل بأن يقول سبحان ربى الاعلى الذى الخ فان قوله سبح أمر بالتسبيح فلا بد وأن يذكر ذلك التسبيح وما هو الاقول سبحان ربى الأعلى ومثله سبحان ربك العزة فان معناه نزه ربك العزة فيحصل الامتثال بان يقول سبحان ربنا رب العزة على معنى تنزه ربنا رب العزة وقس على ذلك سائر المواقع المأمور بها وسر اختصاص سبحان ربى العظيم بالركوع والاعلى بالسجود ان الاول اشارة الى مرتبة الحيوان والثانى اشارة الى مرتبة النبات والجماد فلا بد من الترقى فى التنزيه وكان عليه السلام وجيوشه اذا علوا الثنايا كبروا واذا هبطوا سجدوا فوضعت الصلاة على ذلك قال حضرة

الشيخ صدر الدين القنوى قدس سره فى شرح الحديث اعلم ان الرفعة والارتفاع استعلاء وانه من التكبر فان كان الاستعلاء ظاهرا فهو صورة من صور التكبر وان كان باطنا فهو معنى التكبر ولما كان الكبرياء لله وحده وكان فى الصعود على الثنايا ضرب من الاستعلاء موجود وشبيه به ايضا لذلك يوهم الاشتراك

واما الامر بالتسبيح فى الهبوط فهو من أجل سر لمعية المشار اليها بقوله تعالى وهو معكم أينما كنتم فاذا امنا انه معنا أينما كنا فحال كوننا فى هبوط يكون معنا وهو يتنزه عن التحت والهبوط لانه سبحانه فوق التحت كما القوق انه فوق ونسبة الجهات اليه على السوآء لنزاهته عن التقيد بالجهات واحاطته بها فلهذا شرع التكبير فى الصعود والتسبيح فى الهبوط على الوجه المنبه عليه انتهى وأول من قال سبحان ربى الأعلى ميكائيل عليه السلام وذلك انه خطر بباله عظمة الرب تعالى فقال يا رب اعطنى قوة حتى انظر الى عظمتك وسلطانك فأعطاه قوة أهل السموات فطار خمسة آلاف سنة حتى احترق جناحه من نور العرش ثم سأل القوة

فأعطاه قوة ضعف ذلك وجعل يطير ويرتفع عشرة آلاف سنة حتى احترق جناحه وصار فى آخره كالفرخ ورأى الحجاب والعرش على حاله فخر ساجدا وقال سبحان ربى الأعلى ثم سأل ربه أن يعيده الى مكانه والى حالته الاولى ذكره أبو الليث فى تفسيره وقال النبي عليه السلام

(يا جبرآئيل اخبرنى عن ثواب من قال سبحان ربى الأعلى فى صلاته او فى غير صلاته) فقال يا محمد ما من مؤمن ولا مؤمنة يقولها فى سجوده او فى غير سجوده الا كانت له فى ميزانه أثقل من العرش والكرسى وجبال الدنيا ويقول الله صدق عبدى أنا الأعلى وفوق كل شئ وليس فوقى شئ اشهدوا يا ملائكتى انى قد غفرت لعبدى وأدخلته جنتى فاذا مات زاره ميكائيل كل يوم فاذا كان يوم القيامة حمله على جناحة فيوقفه بين يدي الله فيقول يا رب شفعنى فيه فيقول قد شفعتك فيه اذهب به الى الجنة ذكره ابن الشيخ فى حواشيه وفى الحديث (سبحان الله والحمد لله يملآن ما بين السموات والارض) اى لاشتمال هاتين الكلمتين على كمال الثناء والتعريف بالصفات الذاتية والفعلية الظاهرة الآثار فى

السموات والارض وما بينهما وقال القاشانى اسمه الأعلى والاعظم هو الذات مع جميع الصفات اى نزه ذاتك بالتجرد عما سوى الحق وقطع النظر عن الغير ليظهر عليها الكمالات الحقانية باسرها وهو تسبيحه الخاص به فى مقام الفناء لان الاستعداد التام القابل لجميع الصفات الاليهة لم يكن الاله فذاته هو الاسم الاعلى عند بلوغ كماله ولكل شئ تسبيح خاص يسبح به اسما خالصا من اسماء ربه.

٢

{ الذى خلق فسوى } صفة أخرى للرب على الوجه الاول ومنصوب على المدح على الثانى لئلا يلزم الفصل بين الموصوف والصفة غيره اى خلق كل شئ فسوى خلقه بأن جعل له ما به يتأتى كماله ويتسنى معاشه وقال القاشانى انا ظاهرك فعدل بنيتك على وجه قبلت بمزاجه الخاص الروح الأتم المستعد لجميع الكمالات وفى التأويلات النجمية خلق كل شئ بحسب الوجود فسوى تسوية بها يصل

الفيض الالهى المعدله بحسب استعداده الفطرى وقال بعضهم خلق الخلق فسوى بينهم فى الخلقة وميز بينهم باختصاص بعضهم بالهداية.

٣

{ والذى قدر } معطوف على الموصول الاول اى قدر أجناس الاشياء وانواعها وافرادها ومقاديرها وصفاتها وأفعالها وآجالها كما قال عليه السلام (ان الله قدر مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة) اى جعل أجناس الاشياء وكذا اشخاس كل نوع بمقدار معلوم وكذا جعل مقدار كل شخص فى جثته وأوضاعه وسائر صفاته كالحسن والقبح والسعادة والشقاوة والهداية والضلالة والالوان والاشكال والطعوم والروآئح والارزاق والآجال وغير ذلك بمقدار معلوم كما قال وان من شئ الا عندنا خزآئنه وما تنزله الا بقدر معلوم

{ فهدى } فوجه كل واحد منها الى ما يصدر عنه وينبغى له طبعا او اختيارا ويسره لما خلق له بخلق الميول والهامات ونصب الدلائل

وانزال الآيات ولو تتبعت أحوال النباتات والحيوانات لرأيت فى كل منها

ما يحار فيه العقول (يحكى) ان الافعى اذا بلغت ألف سنة عميت وقد

ألهمها الله أن تمسح عينيها بورن الرازيانج الغض فيرد اليها بصرها فربما

كانت عند عروض العمى لها فى برية بينهما وبين الريف مسافة طويلة

فتطويها على طولها وعلى عماها حتى تهجم فى بعض البساتين على شجرة

الرازيانج لات تخطئها فتحك عينيها بورقها وترجع باصرة باذن الله تعالى (

ويحكى) ان التمساح لا يكون له دبر وانما يخرج فضلات ما يأكله من

فيه حيث قيض الله له طائرا قدر الله غذآءه من ذلك فاذا رآء التمساح

يفتح فمه فيدخله الطائر فيأكل ما فيه وقد خلق الله له من فوق منقاره

ومن تحته قرنين لئلا يطبق عليه التمساح فمه والتمساح خلق كالسلحفاة

ضخم يكون بنيل مصر وبنهر مهران فى السند كما فى القاموس ويختطف

البهائم والآدميين وربما بلغ طوله عشرين ذراعا وهو يبيض فى البر فما وقع

من ذلك فى الماء صار تمساحا وما بقى صار سقنقورا وهى دابة بمصر

شكلها كالوزغة على عظم خلقته وهو أنفس ما يهدى لملوك الهند فانهم

يذبحونه بسكين من الذهب ويحشونه من ملح مصر ويحملونه كذلك الى أرضهم فاذا وضعوا مثقالا من ذلك على بيض او لحم واكل نفع ذلك نفعا بليغا والسقنقور والضب والسلحفاة للذكر منها ذكران وللانثى فرجان ومن عجائب هداياته تعالى ان القطا وهو طائر يترك فراخه ثم يطلب الماء من عشرة ايام واكثر فيرده فيما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس ثم يرجع فلا يخطئ لا ذهابا ولا ايابا والجمل والحمال اذا سلكا طريقا فى الليلة الظلماء ففى المرة الثانية لا يخطئان والدبة اذا ولدت ولدها رفعته فى الهوآء يومين خوفا من النمل لانها تضعه قطعة لحم غير متميزة الجوارح ثم يتميز اولا فأولا واذا جمع العقرب والفأرة فى اناء زجاج قرضت الفأرة ابرة العقرب فتسلم منها (وحكى) ان ابن عرس تبع فأره فصعدت شجرة ولم يزل يتبعها حتى انتهت الى رأس الغصن ولم يبق مهرب فنزلت على ورقة وعضت طرفها وعلقت نفسها فعند ذلك صاح ابن عرس فجاءته زوجته فلما انتهت الى تحت الشجرة قطع ابن عرس الورقة التى عضتها الفأرة فسقطت فاصطادها ابن عرس الذى كان تحت الشجرة والفأرة تدخل

ذنبها فى قارورة الدهن ثم تلحسه والثعلب اذا اجتمع فى جلده البق الكثير والبعوض يأخذ بقيه قطعة جلد من الحيوان فينغمس فى الماء فاذا اجتمعت فى الفر وألقاه فى الماء وخرج سالما والعنكبوت تبنى بيتها على وجه عجيب غير مقدور والبشر لا يقدر على بناء البيت المسدس الا بالالبركار والمسطر والنحل تبنى تلك البيوت من غير آلة والنمل تسعى لاعداد الذخيرة لنفسها فاذا أحست بنداوة المكان تشق الحبة نصفين لئلا تنبت واذا وصلت النداوة اليها تخرجها الى الشمس لتجف

قال بعضهم رأيت غواصا وهو طائر غاص وطلع بسمكة فغلبه الغراب عليها فأخذها منه فغاص مرةأخرى فطلع فأخذها منه الغراب وفى الثالثة كذلك فلما اشتغل الغراب بالسمكة وثب الغواص فأخذ برجل الغراب وغاص به تحت الماء حتى مات الغراب وخرج هو من الماء وفى الحديث

(لا تشوبوا اللبن بالماء فان رجلا كان فيمن كان قبلكم يبيع اللبن ويشوبه بالماء فاشترى قردا وركب البحر حتى اذا لجج فيه ألهم الله القرد

فأتى صرة الدنانير فأخذها وصعد الدقل وهو سهم السفينة ففتح نصفين فالقى ثمن الماء فى الماء) وفى عجائب المخلوقات ان شخصا قتل شخصا بأصفهان وألقاه فى بئر وللمقتول كلب يرى ذلك فكان يأتى كل يوم الى رأس البئر وينحى التراب عنها واذا رأى القاتل نبح عليه فلما تكرر منه ذلك حفروا الموضع فوجدوا القتيل ثم اخذوا الرجل فاقر فقتل به ومن عجيب شجرة النخل ان يعرض لها العشق وهى أن تميل الى نخلة أخرى فيخف حملها وتهزل وعلاجها أن يشد بينها وبين معشوقها الذى مالت اليه بحبل او يعلق عليها سعفة منه او يجعل فيها من طلعه وامثال هذا لا تحيط بها العبارة والتحرير كثرة.

٤

{ والذى اخرج المرعى } اى انبت بكمال قدرته ما ترعاه الدواب غضا طريا من بين أخضر واصفر وأحمر وأبيض وقال ابن عباس رضى الله عنه المرعى الكلأ الأخضر وفى الصحاح الرعى بالكسسر الكلأ وبالفتح المصدر والمرعى الرعى والمصدر.

ه

{ فجعله } بعد ذلك

{ غثاء } اى درينا وهو كأمير ييبس كل حطام حمض او شجر او بقال قال الجوهرى الغثاء بالضم والمد ما يحمله السيل من القماش والقمش جمع الشيء من ههنا وههنا وذلك الشيء قماش ما على وجه الارض من فتات الاشياء حتى يقال لرذالة الناس قماش وبالفارسية خشك ويزمرده

{ أحوى } اسود من الحوة بمعنى السواد وذلك ان الكلأ اذا جف وييس اسود سواء كان جفافه واسوداده بتأثر حرارة الشمس او برودة الهوآء الفاء التعقيبية اشارة الى قصر مدة الحضرة ورمز الى قصر مدة العمر وسرعة زوال الدنيا ونعيمها يعنى محققا از مضمون اين آيت فهم كرده اندكه جراكاه متمتعان دنيا اكرجه در اول تازه وسيراب وسبز وخرم نمايد اما

اندك وقتى را بسبب هبوب رياح خزان حوادث تيره وبى طراوت خواهد بود

اكرجه خرم وتازه است كلبن دنيا ... ولى بنكبت باد خزان نمى ارزد

بكرده خورى وقرص قمر زجاى مرو ... كه خوان جرخ نيك تاى نان نمى ارزد

وفيه اشارة الى زينة الحياة الدنيا ومنافعها ومآكلها ومشاربها فانها مرعى النفس الحيوانية ومرتع بهائم القوى جعلها الله سريعة الفناء وشيكة الزوال كالهشيم والحطام البالى المسود فينبغى أن لا يلتفت اليها ولا يشغل بها فانها مانعة عن التسبيح الخاص وهو تنزيه الذات وتجريدها عن العلائق وبها يحصل الاحتجاب عن الكمال المقدر فى حق كل احد.

٦

{ سنقرئك فلا تنسى } بيان لهدايته تعالى الخاصة برسول الله صلّى الله عليه وسلّم أثر بيان هدايته العامة لكافة مخلوقاته وهى هدايته عليه السلام لتلقى الوحى وحفظ القرءآن الذى هو هدى للعالمين وتوفيقه عليه السلام لهداية الناس أجميعن قال الراغب فى المفردات اخبار وضمان من الله تعالى أن يجعله بحيث لا ينسى ما يسمعه من الحق انتهى والسين اما للتأكيد اما لان المراد اقرآء ما أوحى اليه حينئذ وما سيوحى اليه بعد ذلك فهو وعد كريم باستمرار الوحى فى ضمن الوعد بالاقرآء يقال قرأ القرءآن فهو قارئ وأقرأه غيره فهو مقرئ اى علمه اياه فهو معلم وفى تاج المصادر الاقرآء قرآن كوش فرا داشتن وخواننده كردن . ومنه سنقرئك انتهى والمعنى سنقرئك ما نوحى اليك الآن وفيما بعد على لسان جبرآئيل فلا تنسى اصلا من قوة الحفظ والاتقان وفى كشف الاسرار سنجمع حفظ القرءآن فى قلبك وأقرءته فى لسانك حتى لا تنسى كقوله ان علينا جمعه وقرءآنه.

٧

{ الا ما شاء الله } استثناء مفرغ من اعم المفاعيل اى لا تنسى شيأ من الاشياء مما تقرأ الا ما شاء الله أن تنساه ابدا بأن نسخت تلاوته فان النسخ نوع من الانساء وطريق من طريقه فكأنه بالنسخ محى من الصحف والصدور فالمراد بالنسيان هو النسيان الكلى الدآئم بحيث لا يعقبه التذكر بعده ويجوز بأن يراد به النسيان المتعارف الذى يعقبه الذكر بعده وهو النسيان فى الجملة على القلة والندرة اى فلا تنسى الا ما شاء الله نسيانه ثم لا يبقى المنسى منسيا دآئما بل يعقبه الذكر كما هو المفهوم من المقام ويؤيد هذا المعنى ما روى انه عليه السلام أسقط آية فى قرآءته فى الصلاة فحسب أبي رضى الله عنه انها نسخت فسأله فقال عليه السلام (نسبتها) (وروى) ان بعض الصحابة رضى الله عنهم كان يقرأ القرءآن فى الليل فقال عليه السلام (لقد أذكرنى آية أنسيتها) ومن هذا كان عليه السلام يقول فى دعائه (اللهم ارحمنى بالقرءآن العظيم واجعله لى اماما ونورا وهدى رحمة اللهم ذكرنى منه ما نسيت وعلمنى منه ما جهلت وارزقنى تلاوته آناء الليل واطراف النهار واجعله حجة لى يا رب

العالمين) وكان عليه السلام يقول (انما أنا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكرونى) وقال تعالى واذكر ربك اذا نسيت ودل الكل على جواز طيان النسيان عليه وان لم يكن سهوه ونسيانه من قبيل سهو الامة ونسيانهم فانه اهل الحضور الدآئم روى عن جعفر الصادق رضى الله عنه انه عليه السلام كان يقرأ من الكتاب وان كان لا يكتب وفيه معجزة له عليه السلام فانه كان أميا وقد جعله الله قارئا ثم انه كان يقرأ من الحفظ ومن الصحيفة ايضا من غير تعلم الخط وكان منبع الكمالات كلها حتى انه علم الكتاب الخط وقوانينه وأصحاب الحرف دقائق حرفتهم .

{ انه يعلم الجهر وما يخفى } تعليل لما قبله وما موصولة وكل من الجهر والاخفاء شامل لما كان من قبيل القول والعمل والاخفاء والاخفاء لما فى الضمائر من النيات اى يعلم ما ظهر وما بطن من الامور التى من جملتها ما أوحى اليك فينسى ما يشاء انساءه ويبقى محفوظا ما يشاء ابقاءه لما نيط بلك منهما من مصالح دينكم.

٨

{ ونيسرك لليسرى } عطف على نقرئك واليسرى فعلى من اليسر

وهو السهولة ويسرت كذا سهلت وهيأت وضمن نيسرك معنى التوفيق

ولذا عدى بدون اللام والا فالعبارة المعتادة أن يقال جعل الفعل الفلانى

ميسرا لفلان لاأن يقال جعل فلان ميسرا للفعل الفلانى كما فى الآية

فانه قيل ونيسرك لليسرى ولا ونيسر اليسرى لك وقال بنون العظمة لتكون

عظمة المعطى دليلا على عظمة العطاء وفى الارشاد تعليق التيسير به عليه

السلام مع ان الشائع تعليقه بالامور المسخرة للفاعل كما فى قوله

تعالىويسر لى أمرى لليذان بقوة تمكينه عليه السلام من اليسرى والتصرف

فيها بحيث صار ذلك ملكة راسخة له كأنه عليه السلام جبل كما فى

قوله عليه السلام (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) والمعنى ونوفقك توفيقا

مستمرا توفيقا للطريقة اليسرى اى التى هى أيسر وأسهل فى كل باب من

ابواب الدين علما وتعليما واهتدآء وهداية فيندرج فيه نيسير طريق تلقى

الوحى والاحاطة بما فيه من احكام الشريعة السمحة والنواميس الالهية مما

يتعلق بتكميل نفسه عليه السلام وتكميل غيره كما يفصح عنه الفاء فى قوله تعالى

٩

{ فذكر ان نفعت الذكرى } اى فذكر الناس حسبما يسرناك له بما يوحى اليك واهدهم الى ما فى تضاعيفه من الاحكام الشريعة كما كانت تفعله ان نفع التذكير والعظة والنصيحة وتقييد التذكير بنفع الذكرى لما ان رسول الله عليه السلام طالما كان يذكرهم ويستفرغ فيه جهده حرصا على ايمانهم وكان لا يزيد ذلك بعضهم الا كفرا وعنادا فأمر عليه السلام بأن يخص التذكير بمدار النفع فى الجملة بأن يكون من يذكره كلا او بعضا ممن يرجى منه التذكر ولا يتعب نفسه فى تذكير من لا يزيده التذكير الا عتوا ونفورا من المطبوع على قلوبهم كما فى قوله تعالى فذكر بالقرءآن من يخاف وعيد حرف الشك راجع الى النبى عليه السلام لا الى الله وفى كشف الاسرار ان تجيئ فى العربية مثبتة لا لشرط فتكون بدل قد كقوله وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وقد علم عليه السلام ان

الذكرى تنفع لا محالة اما فى ترك الكفر او ترك المعصية او فى الاستكثار من الطاعة فهو حث على ذلك وتنبيه على انها تنفع الا أن يكون مطبوعا على قلبه غير مستعد للقبول فالنفع مشروط بشرط الاستعداد

زمين شوره سنبل بر نيارد ... در وتخم عمل صابع مكردان

والحاصل ان التذكير خاص بالمنتفع وذلك فى النهاية

واما فى البداية فعام وما على الرسول الا البلاغ

من آنجه شرط بلاغست باتوميكويم ... تواخواه ازسخنم بندكير وخواه ملال

قال القاشانى أجمل فى قوله ان نفعت الذى تم فصل بقوله

١٠

{ سيذكر من يخشى } اى سيتذكر بتذكيرك يعنى زود باشد كه بندبذيرد . من من شأنه أن يخشى الله حق خشيته او من يخشى الله فى الجملة فيزداد ذلك بالتذكير فيتفكر فى امر ما تذكر به فيقف على

حقيقته فيؤمن به وفى التفسير الكبير الناس فى أمر المعاد على ثلاثة أقسام منهم من قطع بصحته ومنهم من جوز وجوده ولكنه غير قاطع فيه لا بالنفى ولا بالاثبات ومنهم من أصر على انكاره والقسمان الاولان ينتفعون بالتذكير بخلاف الثالث.

١١

{ ويتجنبها } اى يتبعد من الذكرى ولا يسمعها سماع القبول

{ الاشقى } اى الزآئدة فى الشقاوة من الكفرة لتوغله فى عداوة النبى عليه السلام مثل الوليد بن المغيرة وأبى جهل ونحوها او الاشقى هو الكافر مطلقا لانه أشقى من الفاسق وروى ان من يخشى هو عثمان بن عفان رضى الله عنه والاشقى رجل من المنافقين وذلك ان المنافق كانت له نخلة مائلة فى دار رجل من الانصار فسقط ثمرها فى داره فذكر ذلك لرسول الله عليه السلام فارسل الى المنافق ولم يكن يعلم بنفاقه فسأله ان يعطى النخلة للانصارى على ان يعطيه نخلة فى الجنة فقال أبيع عاجلا بآجل لا

افعل فأعطاه عثمان رضى الله عنه حائط نخل له فنزلت الآية كام فى التكملة ونظيره ان رجلا قضى للنبى عليه السلام حاجة قال أئتنى بالمدية فأتاه فقال ايما أحب اليك ثمانون من الضأن او أدعو الله ان يجعلك معى فى الجنة قال بل ثمانون من الضأن قال اعطوه اياها ثم قال ان اصحابة موسى عليه السلام كانت أعقل منك وذلك ان عجوزا دلته على عظام يوسف عليه السلام فقال لها موسى ايما أحب اليك اسأل الله ان تكون معى فى الجنة او مائة من الغنم قالت الجنة.

هركه بيندمر عطارا صد عوض ... زود در بازد عطار ازين غرض

آرزوى كل بود كل خواره را ... كلشكر نكوارد آن بيجاره را

١٢

{ الذى يصلى النار الكبرى } اى يدخل الطبقة السفلى من طبقات النار.

وآتش آن از آتش دركات ديكر تيز تروسوزنده تراست وآن جاى آل فرعون ومنافقان ومنكران مائده عيسى عليه السلام باشد ونار صغرى رر طبقه عليا كه جاى كنهكاران امت محمد مصطفاست عليه السلام.

فالكبرى اسم تفصيل لانه تأنيث الاكبر والمفضل هو ما فى اسفل دركات جهنم من النار التى هى نصيب الكفار كما قال تعالى ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار والمفضل عليه ما فى الدركات التى فوقها فان لجهنم نيرانا ودركات متفاضلة كما ان فى الدنيا ذنوبا ومعاصى متفاضلة فكما ان الكفار أشقى العصاة كذلك يصلون أعظم النيران

وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا يعنى ان المفضل نار الآخرة والمفصل عليه نار الدنيا لقوله عليه السلام ناركم هذه جزء من سبعين جزأ من نار جهنم وقد غمست فى ماء البحر مرتين ليدنى منها وينتفع بها ولولا ذلك ما دنوتم منها ويقال انها تتعوذ بالله من جهنم وان ترد اليها.

يقول الفقير الظاهر ان المراد بالنار الكبرى هو العذاب الاكبر فى قوله تعالى فيعذبه الله العذاب الاكبر وهو عذاب الآخرة

واما العذاب لاصغر فهو عذاب الدنيا وعذاب البرزخ فانه يصغر بالنسبة الى عذاب الآخرة قال بعض الحكماء علامة الشقاوة اشياء كثيرة الاكل والشرب النوم والاصرار على الذنب وقساوة القلب وكثرة الذنب ونسيان الرب والوقوف بين يدى الملك الجبار فهذا هو الاشقى الذى يدخل النار الكبرى وفى التأويلات النجمية النار ناران نار حجاب الدنيا بالاشتغال بالشهوات والذات وهى الصغرى ونار حجار الآخرة وهو الابتلاء بالخذلان والخسران والطرد والهجران كام قال تعالى ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى واضل سبيلا لفوات الاستعداد وقال القاشانى النار الكبرى هى نار الحجاب عن الرب بالشرك والوقوف مع الغير نار القهر فى مقام الصفات ونار الغضب والسخط فى مقام الافعال ونار جهنم الآثار فى المواقف الاربعة من موقف الملك والملكوت والجبروت وحضرة اللاهوت أبدا الآبدين فما اكبر ناره.

١٣

{ ثم لا يموت فيها } حتى يستريح

{ ولا يحيي } حياة تنفعه كما يقال لمن ابتلى بالبلاء الشديد لا هو حى ولا هو ميت وثم للتراخى من مراتب الشدة لان التردد بين الموت والحاية افظع من نفس الصلى وقال ابن عطاء لا يموت فيستريح من غم القطعية ولا يحيي فيصل الى روح الوصلة وفى التأويلات النجمية لا يموت نفسه بالكلية ليستريح من عقوبات الحجاب والاحتجاب ولا يحيي قلبه بحاية الايمان لكونه فى دار الجزآء لا فى دار التكليف وقال القاشانى لا يموت لامتناع انعدامه ولا يحيي بالحقيقة لهلاكه الروحانى اى يتعذب دآئما سرمدا فى حالة يتمنى عندها الموت وكلما احترق وهلك اعيد الى الحياة عذب فلا يكون ميتا مطلقا ولا حيا مطلقا.

يقول الفقير لا يموت لان الموت يذبح فلا موت ولا يحيي لان المغموم كالميت فيبقى فى العذاب الروحانى كما يبقى فى العذاب الجسمانى

قال بعض الكبار لا حياة الا عن موت ولا موت الا عن رؤية حى فمن مات غير هذا الموت فلا يحي ومن حى غير هذا الحياة فهى حياة حيوانية لا حياة انسانية.

١٤

{ قد افلح } اى نجا من المكروه وظفر بما يرجوه

{ من تزكى } اى تطهر من الكفر والمعاصى يتذكره واتعاظه بالذكرى او تكثر من التقوى والخشية من الزكاء وهو النماء وكلمة قد لما أن عند الاخبار بسوء حال المتجنب عن الذكرى فى الآخرة يتوقع السامع الاخبار بحسن حال المتذكر فيها وينتظره.

١٥

{ وذكر اسم ربه } بقلبه ولسانه

{ فصلى } اقام الصلوات الخمس كقوله اقم الصلاة لذكرى اى كبر تكبيرة الافتتاح فصلى فالمراد بالذكر تكبيرة الافتتاح لكن

لا يختص الذكر عند الحنفية بأن يقول الله اكبر لعموم الذكر ودل العطف بالفاء التعقيبية على عدم دخول الكبير فى الاركان لان العطف يقتضى المغايرة بين المعطوفين قال الامام مراتب اعمال المكلف ثلاث فاولاها ازالة العقائد الفاسدة عن القلب وهى المراد بالتزكى والثانية استحضار معرفة الله بذاته وصفاته واسمائه وهى المراد بالذكر لان الذكر بالقلب ليس الا المعرفة والثالثةالاشتغال بالخدمة والطاعة وهى المرادة بالصلاة فانها عبارة عن التواضع والخشوع فمن استنار قلبه بمعرفة جلال الله لا بدو ان يظهر فى جوارحه واعضائه اثر الخضوع والخشوع

قال بعضهم خلق الله وجها يصلح للسجدة ويعينا تصلح للعبرة وبدنا يصلح للخدمة وقلبا يصلح للمعرفة وسرا يصلح للمحبة فاذكروا نعمة الله عليكم حيث زين ألسنتكم بالشهادة وقلوبكم بالمعرفة وابدانكم بالعبادة (روى) عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن الله تعالى قال الله سبحانه (ان لى مع المصلين ثلاث شرآئط احداها تنزل الرحمة من عنان السماء الى مفرق رأسه ما دام فى صلاته والثانية حفته الملائكة

بأجنحتها والثالثة أناجى معه كلما قال يا رب اقول لبيك) ثم قال عليه السلام (لو علم المصلى من يناجى ما التفت) (وروى) عن ابن عمر رضى الله عنه ان المراد بالتزكى اخراج صدقة الفطر قبل المضى الى المصلى وبالذكران يكبر فى الطريق حين خروجه الى المصلى وبالصلاة ان يصلى صلاة العيد بعد ذلك مع الامام وهذه السورة وان كانت مكية بالاجماع ولم يكن بمكة عيد ولا صدقة فطر الا انه لما كان فى علمه ان ذلك سيكون اثنى الله على من فعل ذلك فانه تعالى قد يخبر عما سيكون وفى الآية اشارة الى تطهير النفس عن المخالفات الشرعية وتطهير القلب عن المحبة الدنيوية بل عن ملاحظة الغير والتوجه الى الله تعالى بقدر الاستعداد اذ لا يكلف الله نفسا الا وسعها.

١٦

{ بل تؤثرون الحياة الدنيا } اضراب عن مقدر ينساق اليه الكلام كأنه قيل اثر بيان ما يؤدى الى الفلاح لا تفعلون ذلك بل تختارون اللذات العاجلة الفانية فتسعون لتحصيلها والخطاب اما للكفرة فالمراد بايثار الحياة

الدنيا هو الرضى والاطمئنان بها والاعراض عن الآخرة بالكية كما فى قوله تعالى وان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها الآية او للكل فالمراد بايثارها ما هو أعم مما ذكر وما لا يخلو عنه اناس غالبا من ترجيح جانب الدنيا على الآخرة فى السعى وترتيب المبادى والالتفات على الاول لتشديد التوبيخ وعلى الثانى كذلك فى حق الكفرة ولتشديد العتاب فى حق المسلمين وفى فتح الرحمن فالكافر يؤثرها ايثار كفر يرى ان لاآخرة والمن يؤثرها ايثار معصية وغلبة نفس الا من عصم الله وفى عين المعانى خطاب للامة اذ كل يميل الى الدنيا اما رغبة فيها وادخار الثواب الآخرة (وفى كشف الاسرار) مصطفعليه السلام اول قلم فتوى.

در حق دنيا اين راندكه حلالها حساب وحرامها عذاب آنكه برو لعنت كردكه . الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله.

اكردينت همى بايد زدننا دار بى بكسل ... ورت دنيا همى بايدبده دين وببر دنيا

ورازدوزخ همى ترسى بمالى بس مشوغره ... كه اينجاصورتش

مالست وآنجاشكلش ازدرها

جه مانى بهر مردارى جوزاغان اندرين بستى ... قفص بشكن جو

طاوسان يكى بربربزين بالا

١٧

{ والآخرة خير وأبقى } حال من فاعل تؤثرون مؤكدة للتوبيخ

والعتاب اى تؤثرونها على الآخرة والحال ان الآخرة خير فى نفسها لما ان

نعيمها مع كونه فى غاية ما يكون من اللذاة خالص عن شائبة الغائلة

أبدى لا الصرام له وعدم التعرض لبيان تكدر نعيم الدنيا بالمنغصات

وانقطاعه عما قليل لغاية ظهوره وفيه اشارة الى ان ظواهر الاشياء بالنسبة

الى حقائقها كالقشر بالنسبة الى اللب واللب خير من القشر وتقى لان

لب الحب يحفظ زمانا طويلا وقشره اذا سلخ من اللب يطرح فى

النار او يرمى بالمزابل فيفنى بعد اليومين او اكثر فأرباب القشر يؤثرون

الامور الظاهرة الخسيسة الدنية الفانية على الامور الباطنة المعنوية الشريفة العزيزة الباقية لكونهم محجوبين عن الآخرة وارباب اللب يختارون الآخرة بل الله الآخر كما قال قل الله ثم ذرهم ويقال قد افلح من تزكى اى من تاب من الذنوب وذكر اسم ربه يعنى اذا سمع الاذان خرج الى الصلاة ثم ذم تارك الجماعة لاجل اشتغاله بالدنيا فقال بل تؤثرون الحياة الدنيا يعنى تختارون عمل الدنيا على عمل الآخرة وعمل الآخرة خير وابقى من عمل الدنيا والاشتغال بها وبزينتها.

١٨

{ ان هذا } اشارة الى ما ذكر من قوله تعالى قد افلح من تزكى

{ لفى الصحف الاولى } جميع صحيفة وهى الكتاب قال الراغب الصحيفة المبسوط من كل شئ كصحيفة الوجه والصحيفة التى كان يكتب فيها والمصحف ما جعل جامعا للصحف المكتوبة والمعنى لثابت فيها يعنى ان تطهير النفس عما لا ينبغى وتكميل الروح بالمعارف وتكميل

الجوارح بالطاعة والزجر عن الالتفات الى الدنيا والترغيب فى الآخرة وفى ثواب الله فى دار كرامته لا يجوزان يختلف باختلاف الشرآئع.

١٩

{ صحف } جدك

{ ابراهيم } الخليل عليه السلام

{ و } صحف اخيك

{ موسى } الكليم عليه السلام بدل من الصحف الاولى (روى) ان جميع ما انزل الله من كتاب مائة واربعة كتب انزل على آدم عليه السلام عشر صحف حروف التهجى صحيفة منها وعلى شيت عليه السلام خمسين صحيفة وعلى ادريس عليه السلام ثلاثين صحيفة وعلى ابراهيم عليه السلام عشر صحائف والتوراة والانجيل والزبور والفرقان فصحف موسى هى الالواح التى كتبت فيها التوراة كذا قال الامام وفى التيسير صحف شيت وهى ستون وصحف ابراهيم وهى ثلاثون وصحف

موسى قبل التوراة وهى عشر والتوراة والانجيل والزبور والقرءآن وكان فى صحف ابراهيم ينبغى للعاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله ان يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شانه وايضا الخروج عما سوى الله بنعت التجريد كما قال انى بريئ مما تشركون والاقبال على الله لقوله انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض ونقل من صحف موسى يقول الله يا ابن آدم اعمل لنفسك قبل نزول الموت بلك ولا تغرنك المطية فان على آثارها السفر ولا تلهينك الحياة وطول الامل عن التوبة فانك تندم على تاخيرها حين لا ينفعك الندم يا ابن آدم اذا لم تخرج حقى من مالى الذى رزقتك اياه ومنعت منه الفقرآء حقوقهم سلطت عليك جبارا ياخذه منك ولا اثيبك عليه وفى صحف موسى ايضا سرعة الشوق الى جماله والندم على الوقوف فى المقامات عند تعريف الصفات لقوله انى تبت اليك وأنا اول المؤمنين وفى التيسير دل الكلام على قول الامام الاعظم رحمه الله ان قرآءة القرءآن بالفارسية فى الصلاة صحيحة وهو قرءآن بأى لسان قرئ لانه جعل هذا المذكور مذكورا فى تلك الصحف ولذلك قال وانه لفى زبر

الاولين ولا شك انه لم يكن فيها بهذا النظم وبهذه اللغة وكان قرءآنا لان العبرة بالمعانى والالفاظ ظروف وقوالب لها انتهى وفيه تأييد لمن جوز نقل الحديث بالمعنى وعن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقرأ فى الركعتين اللتين يوتر بعدهما يسبح اسم ربك الاعلى وقل يا أيها الكافرون وفى الوتر بقل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس وبه عمل الشالعى ومالك رحمهما الله وما عند أبى حنيفة واحمد والمستحب فى الثالثة الاخلاص فقط.

سُورَةُ الْغَاشِيَةِ مَكِّيَّةٌ

وَهِيَ سِتٌّ وَعِشْرُونَ آيَةً

١

{ هل اتاك حديث الغاشية } قال قطرب من ائمة النحو أى قد جاءك يا محمد حديث الغاشية قال المولى أبو السعود رحمه الله فى الارشاد وليس بذاك بل هو استفهام اريد به التعجيب مما فى حيزه والتشويق الى

استماعه والاشعار بانه من الاحاديث البديعة التى حقها ان يتناقلها الرواة ويتنافس فى تلقيها الوعاة من كل حاضر وباد والغاشية الداهية الشديدة التى تغشى الناس بشدآئدها وتكتنفم بأهوالها وهى القيامة كما قال تعالى يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقال يوما كان شره مستطيرا يقال غشيه يغشاه اى غطاه ولك ما احاط بالشئ من جميع جهاته فهو عاش له.

٢

{ وجوه يومئذ خاشعة } استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ عن الاستفهام التشويقى كأنه قيل من جهته عليه السلام ما أنانى حديثها ما هو فقيل وجوه يومئذ وهو ظرف لما بعده من الاخبار الثلاثة اى يوم اذ غشيت تلك الداهية الناس فان الخشوع والخضوع والتطامن والتواضع كلها بمعنى ويكنى بالجميع عما يعترى بالانسان من الذل والخزى والهوان فوجود مبتدأ ولا بأس بتنكيرها لانها فى موقع التنويع وخاشعة خبره قال الشيخ لعل وجه الابتدآء بالنكرة كون تقدير الكلام اصحاب وجوه

بالاضافة الا ان الخشوع والذل لما كان يظهر فى الوجه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وانما قلنا ان الذل يظهر فى الوجه لانه ضد التكبر الذى محله الرأس والدماغ والمرادباصحاب الوجوه هم الكفار بدلالة ما بعده من الاوصاف.

٣

{ عاملة ناصبة } خبر ان آخران لوجوه اذا المراد بها اصحابها كما اشير اليه آنفا والنصب التعب والناصبة التعبة يقال نصب نصبا من باب علم اذا تعب فى العملوالمعنى تعمل اعمالا شاقة تتعب فيها لانها تكبرت عن العمل لله فى الدنيا فاعملها الله فى اعمال شاقة وهى جر السلال والاغلال الثقيلة كما قال فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا والخوض فى النار خوض الابل فى الوحل اى الطين الرقيق والصعود فى تلال النار والهبوط فى وهادها وقال بعضهم خشوع الظاهر ونصب الابدان لا يقربان الى الله تعالى بل يقطعان عنه وانما يقرب منه سعادة الازل وخشوع السر من هيبة الله وهو الذى يمنع صاحبه من جميع المخالفات فالرهابنة

والفلاسفة وأضرابهم من اهل الكر والبدع والضلال انما يضربون حديدا باردا ويتعبون انفسهم فى طريق الهوى والسعى فيه.

٤

{ تصلى } تدخل

{ نارا } وتذوق ألمها

{ حامية } اى متناهية فى الحر وقد أوقدت ثلاثة آلاف سنة حتى اسودت فهى سودآء مظلمة وهو خبر آخر لوجوه قال فى القاموس حمى الشمس والنار حميا وحميا وحموا اشتد حرها وقال السجاوندى حامية اى دآئمة الحمى والا فالنار لا تكون الا حامية.

٥

{ تسقى } بعد مدة طويلة من استغاثتهم من غاية العطش ونهاية الاحتراق اى سقاها الله او الملائكة بأمره

{ من عين } اى جشمه آب كه

{ آنية } اى متناهية بالغة فى الانى اى الحر غايتها لتسخينها بتلك النار منذ خلقت لو وقعت منها قطرة على جبال الدنيا لذابت فاذا ادنيت من وجوههم تناثرت لحوم وجوههم واذا شربوا قطعت امعاءهم كما قال تعالى وبين حميم آن يقال انى الحميم انتهى حره فهو آن وبلغ هذا اناه واناه غايته وفيه اشارة الى نار الطبيعة وعين الجهل المركب الذى هو مشرب اهلها والاعتقاد الفاسد المؤذى.

٦

{ ليس لهم طعام الا من ضريع } بيان لطعام الكفار فى النار اثر بيان شرابهم واورد ضمير العقلاء اشارة الى ان المراد من الوجوه اصحابها وانما اسند اليها ما ذكر من الاحوال لكونها مظهرا يظهر فيه ما فى الباطن مع انها يكنى بها كثيرا عن الذوات والضريع يبس الشبرق كزبرج وهو شوك ترعاه الابل ما دام رطبا واذا يبس تحامته وهو سم قاتل قال فى فتح الرحمن سموا ذلك الشوك ضريعا لانه مضعف للبدن ومهزل يقال ضرع الرجل ضراعة ضعف وذلك وعن ابن عباس رضى الله عنهما يرفعه الضريع شئ

فى النار يشبه الشوك امر من الصبر وأنتن من الجيفة وأشد حرا من النار وهذا طعام بعض اهل النار والزقوم والغسلين الآخرين بحسب جرآئمهم وبه يندفع التعارض بين هذه الآية وبين آية الحاقة وهى قوله تعالى ولا طعام الا من غسلين قال سعدى المفتى ويمكن فى قدرة الله ان يجعل الغسلين اذا انفصل عن أبدان اهل النار على هيئة الضريع فيكون طعامهم الغسلين الذى هو الضيع انتهى.

يقول الفقير ويمكن عندى ان يجعل كل من الضريع والغسلين والزقوم بالنسبة الى شخص واحد بحسب الاعمال المختلفة فان لكل عمل اثرا مخصوصا وجزآء متعينا فيصح الحصر وتحقيقه ان الضريع اشارة الى الشبه والعلوم الغير المنتفع بها المؤذية كالمغالطات والخلايات والسفسطة وما يجرى مجراها على ما قاله القاشانى والغسلين اشارة الى الشهوات الطبيعة ولذا يسل من أبدانهم فان لكل شهوة رشحا وعرقا وكل اناء يترشح بما فيه والزقوم اشارة الى خوضهم فى الانبياء والاولياء وطعنهم فى دينهم وضحكهم منهم وكانوا يتلذذون بذلك على ما اشار اليه قوله تعالى واذا انقلبوا الى

اهلهم انقلبوا فكهين اى متلذذين بما فعلوا من التغامز والسخرية ونحو ذلك على ان الزقمة هو الطاعون ووجه آخر وهو انه يمكن الترتيب بالنسبة الى شخص واحد بأن يكون الزقوم نزلا له والضريع اكلا له بعد ذلك والغسلين شرابا له كالحميم والعلم عند الله.

٧

{ لا يسمن } فربه نمى كند آن ضريع

{ ولا يغنى من جوع } ودفع نمى كند كرسنكى را . اى ليس من شأنه الاسمان والاشباع كما هو شأن طعام الدنيا وانما هو شئ يضطرون الى اكله من غير أن يكون له دفع لضرورتهم لكن لاعلى ان لهم استعدادا للشبعق والسمن الا انه لا يفيدهم شيأ منهما بل على انه لا استعداد من جهتم ولا افادة من جهة طعامهم وتحقيق ذلك ان جوعهم وعطشهم ليسا من قبيل ما هو المعهود منهما فى هذه النشأة من حالة عارضة للانسان عند استدعاء الطبيعة لبدل ما يتحلل من البدن مشوقة له الى المطعوم

والمشروب بحيث يتلذذ بهما عند الاكل والشرب ويستغنى بهما عن غيرهما عند استقرارهما فى المعدة ويستفيد منهما قوة وسمنا عند انهضا مهما بل جوعهم عبارة عن اضطرارهم عند اضطرام النار فى احشائهم الى ادخال شئ كثيف يملأها ويخرج ما فيها من اللهب

واما ان يكون لهم شوق الى مطعوم ما او التذاذ به عند الاكل والاستغناء به عن الغير او ساتفادة قوة فهيهات وكذا عطشهم عبارة عن اضطرارهم عن اكل الضريع والتهابة فى بطونهم الى شئ مائع بارد يطفئه من غير ان يكون لهم التذاذ بشربه او استفادة قوة به فى الجملة وهو المعنى بما روى انه تعالى يسلط عليهم الجوع بحيث يضطرهم الى اكل الضريع فاذا اكلوه يسلط عليهم العطش فيضطرهم الى شرب الحميم فيشوى وجوههم ويقطع امعاءهم وتنكير الجوع للتحقير اى لا يغنى من جوع ما وتأخير نفى الاغناء عنه المراعاة الفواصل والتوسل به الى التصريح بنفى كلا الامرين از لو قدم لما احتيج الى ذكر نفى الاسمان ضرورة استلزام نفى الاغناء عن الجوع اياه بخلاف العكس ولذلك كرر تلأكيد النفى.

٨

{ وجوه يومئذ ناعمة } اى ذات بهجة وحسن وضياء مثل القمر ليلة البدر وبالفارسة تازه باشد اثر نعمت دروبيدا . فناعمة من نعم الشئ بالضم نعزمة اى صار ناعما لينا ويجوز أن يكون بمعنى متنعمة اى بالنعم الجسمانية والروحانية وهى وجوه المؤمنين فيكون المراد بها حقيقة النعمة وانما لم تعطف على ما قبلها ايذانا بكمال تباين مضمون الجملتين وتقديم حكاية اهل النار لانه ادخل فى تهويل الغاشية وتفخيم تباين مضمون الجملتين وتقديم حكاية اهل النار لانه ادخل فى تهويل الغاشية وتفخيم حديثها وفيه اشارة الى نعيم اللقاء الذى هو ثمرة اللطافة والنورية التى هى نتيجة التجرد كما قال تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فان بالنظر الى الرب يحصل نضرة انضرة.

٩

{ لسعيها راضية } اى لعملها الذى عملته فى الدنيا حيث شاهدت ثمرته ورأت عاقبته الحميدة فاللام متعلقة براضية والتقدير راضية سعياه فلما تقدم المعمول على العمل الضعيف جيئ باللام لتوية العمل ويجوز أن تكون لام التعليل اى لاجل سعيها فى طاعة الله راضية جزآءها وثوابها ودخل فى السعى الرياضات والمجاهدات والخلوات.

١٠

{ فى جنة عالية } اى كائنة او متمكنة فى جنة مرتفعة المحل فان الجنات فوق السماوت العلى كما ان النيران تحت الارضين السبع وايضا هى درجات بعضها أعلى من بعض والدرجة مثل ما بين السماء والارض فتكون من العلو فى المكان وفى الحديث (ان المتحابين فى الله فى غرف ينظر اليهم اهل الجنة كما ينظر أهل الدنيا الى كواكب السماء) ويجوز أن يكون معنى عالية علية المقدار فتكون من العلو فى القدر والشرف لتكامل ما فيها من النعيم وفيه اشارة الى المقامات العالية المعنوية لانها مقامات اهل الوجاهة والشرف المعنوى فلا يصل اليها أهل التمنى والدعوى.

{ لا تسمع } أنت يا مخاطب فالخطاب عام لكل من يصلح له او الوجوه فيكون التاء للتأنيث لا للخطاب

{ فيه } اى فى تلك الجنة العالية

{ لاغية } لغو من الكلام وهو ما لا يعتد به فهى مصدر كالعافية او كلمة ذات لغو على انها للنسبة او نفسا تلغو على انها اسم فاعل صفة لموصوف محذوف هو نفس وذلك فان كلام أهل الجنة كله اذكار وحكم اذ لا يدخلها المؤمن الا من مرتبة القلب والروح فان النفس والطبيعة تطرحان فى النار وشأن القلب والروح هو الذكر كما ان شأن النفس والطبيعة هو اللغو فكما لا لغو فى الجنة الصورية فكذا لا لغو فى الجنة المعنوية فى الدنيا لاستغراق أهلها فى الذكر وسماع خطاب الحق ولذا لا تسمع فى مجالسهم الا المعارف الربانية والحكم الرحمانية وفى الحديث (ان أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتلفون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا

يتمخطون قالوا فما بال الطعام قال رشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس)

واما الدنيا ومجالس أهلها فلا تخلو من اللغو ولذلك قال عليه السلام (من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه) وهو الكلام الرديئ القبيح والضجة والاصوات المختلفة لا يفهم معناها فقال (قبل أن يقوم سبحانه اللهم وبحمد أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك الا غفر له ما كان فى مجلسه ذلك) اى ما لم يتعلق بحق آدمى كالغيبة

{ فيها عين جارية } التنوين للتكثير اى عيون كثيرة تجرى مياهها على الدوام حيث شاء صاحبها وهى أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل من شرب منها لا يظمأ بعدها أبدا ويذهب من قلبه الغل والغش والحسد والعداوة والبغضاء وفيه اشارة الى عيون الذوق والكشف والوجدان والتوحيد فان بها يحصل الشفاء والصحة والبقاء لاهل القلوب وأصحاب الارواح.

١٢

{ فيها سرر } يجلسون عليها جميع سرير وهو معروف يعنى درآنجا تحتها برهر تختى هفصد يستر برهر بسترى حورى جون ماه انور.

١٣

{ مرفوعة } رفيعة السمك اى عالية فى الهوآء سمكها شدة علوها فى الهوآء فيرى المؤمن اذا جلس عليها جميع ما عطاه ربه فى الجنة من النعيم الكبير والملك العظيم قال عليه السلام (ارتفاعها كما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام قيل اذا جاء ولى الله ليجلس عليها تطامنت له فاذا استوى عليها ارتفعت) ويجوز أن يكونالمعنى رفيعة المقدار من حيث اشتمالها على جميع جهات الحسن والكمال فى ذواتها وصفاتها.

أصل آن زر مكلل بزبرجد وجواهر . وقال الخراز قدس سره هى سرآئر رفعت عن النظر الى الاعراض والاكوان وفيه اشارة الى مراتب

الاسماء الالهية التى بلغوها بالانصاف والتخلق بها فى السلوك فانها رفيع قدرها عن مراتب الجسمانيات.

١٤

{ واكواب } يشربون منها جمع كوب بالضم وهو اناء لا عروة له ولا خرطوم يعنى بى دسته ولوله مدور الرأس ليمسك من أى طرف أى أريد بخلاف الابريق وهو مستعمل فى بعض بلاد العرب الآن ولذا وقع به التشويق .

{ موضوعة } اى بين أيديهم حاضرة لديهم لا يحتاجون الى أن يدعوا بها وهو لا ينافى أن يكون بعض الاقداح فى أيدى الغلمان كما سبق فى هل أتى على الانسان الخ وفيه اشارة الى ظروف خمور المحبة وثباتها على حالها مع ما فيها.

١٥

{ ونمارق } وسائد يستندون اليها للاستراحة جمع نمرقة بفتح النون وضمها والرآء مضمومة فبهما بمعنى الوسادة

{ مصفوفة } بعضها الى جنب بعض كما يشاهد فى بيوت الاكابر أينما اراد أن يجلس المؤمن جلس على واحدة واستند الى أخرى وعلى رأسه وصائف كأنهن اليقاوت والمرجان وفيه اشارة الى التجيد والتفريد والجمع والتوحيد أينما يريدون يجلسون ويستندون اليها.

١٦

{ وزرابى } اى بسط فاخرة جمع زرابى قال الراغب هو ضرب من الثبات محبر منسوب الى موضع على طريق التشبيه والاستعارة

{ مبثوثة } اى مبسوطة على السرر زينة وتمتعا وفيه اشارة الى انبساط ارواحهم وانشراح صدورهم وانفتاح قلوبهم فى بساط القدس والانس والى مقامات تجليات الافعال التى تحت مقامات الصفات كالتوكل تحت

الرضى مبثوثة اى مبسوطة تحت وأصل البث اثارة الشئ وتفريقه كبث الريح التراب.

١٧

{ أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت } الهمزة للانكار والتوبيخ والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام والابل بكسرتين وتسكن الباء واحد يقع على الجمع وليس يجمع ولا اسم جمع والجمع آبال كما فى القاموس وقال بعضهم اسم جمع لا واحد لها من لفظها وانما واحدها بعير وناقة وجمل وكلمة كيف منصوبة بما بعدها معلقة لفعل النظر والجملة فى حيز الجر على انها بدل اشتمال من الابل اى أينكرون ما ذكر من البعث وأحكامه ويستبعدون وقوعه عن قدرة الله فلا ينظرون نظر اعتبار الى الابل التى هى نصب عينهم يستعملونها كل حين انها كيف خلقت خلقا بديعا معدولا به عن سنن خلقة سائر انواع الحيوانات فى عظم جثتها وشدة قوتها وعجيب هيئتها اللائقة بتأنى ما يصدر عنها من الافاعيل الشاقة كالنهوض من الارض بالاوقار الثقيلة وجر الاثقال الفادحة الى الاقطار النازحة وفى

صبرها على الجوع والعطش حتى ان ظمئها ليبلغ العشر فصاعدا واكتفاءها باليسير ورعيها لكل ما تيسر من شوك وشجر وغير ذلك مما لا يكاد يرعاه سائر البهائم وفى انقيادها مع ذلك للانسان فى الحركة والسكون والبروك والنهوض حيث يستعملها فى ذلك كيفما يشاء ويقتادها بقطارها كل صغير وكبير وتبول من خلفها الان قائدها امها فلا يترشش عليه بولها وعنقها سلم اليها وتتأثر من المودة والغرام وتسكر منهما الى حيث تنقطع عن الاكل والشرب زمانا ممتدا وتتأثر من الاصوات الحسة والحدآ وتصير من كمال التأثر الى حيث تهلك نفسها من سرعة الجرى ويجرى الدمع عينيها عشاقا وغراما يبر رومى فرموده است.

برخوان أفلا ينظر تاقدرت ما بينى ... يكره بشتر بنكر تاصنع خدا بينى

درخار خورى قانع دربار برى راضى ... اين وصف اكرجويى در اهل صفا بينى

ولم يذكر الفيل مع انه اعظم خلقة من الابل لانه لم يكن بأرض العرب فلم تعرفه ولا يحمل عليه عادة ولا يحلب دره ولا يؤمن ضره . بخلاف شتركه هرجه مطلوبست از حيوان مثل نسل وحمل وشير ولحم وركوب هم از وحاصل است.

وقال بعض العلماء ذكر الله الجنة وما اتخذ فيها من المنازل الرفيعة والسرر العالية التى سمكها كذا وكذا ذراعا قالوا فكيف يقعد أحدها عليها وقامته قصيرة وهو لا يكاد يرقى سطحا بغير سلم وتعجب المشكرون منه وأيضا . كفتند بطريق سخريت كه اكراين واقعست بس بلال وخباب امثال ايشانراكار افتاد زيرا بسى زحمتبايد تابرابالاى آن تخت بلند روند وبسى فرصت بايدتا ازان فرود آيند اين آيت أمدكه أفلا ينظرون الخ يعنى شتربا آن همه بلندى وبزركى برشته مسخر كودكى ميشود تابرد برآيد وفرود جرا ارتخت بهشت متعجب ميشوندكه درفرمان بهشتى باشد.

١٨

{ والى السماء } التى يشاهدونها كل لحظة بالليل والنهار

{ كيف رفعت } رفعا سحيق المدى بلا عماد ولامساك بحيث لا يناله الفهم والادراك.

١٩

{ والى الجبال } نصبا رصينا فهى راسخة لا تميل ولا تميد وقال ابو الليث كيف نصبت على الارض اوتادا لها وفيه اشارة الى عالم المثال لانه متوسط بين سماء الروحانيات وأرض الجسمانيات كالجبال فى الخارج.

٢٠

{ والى الارض كيف سطحت } اى والى الارض التى يضربون فيها ويتقلبون عليها كيف سطحت سطحا وبسطت على ظهر الماء بسطا حسبما يقتضيه صلاح امور ما عليها من الخلائق والاستدلال بكونها مسطوحة على عدم كونها كرة مجلب بأن الكرة اذا كانت عظيمة جدا يكون كل قطعة منها كالسطح فيصح أن يطلق عليها البسط ففرق بين

كرة وكرة كما انه فرق بين بيض الحكامة وبيض النعامة والمعنى أفلا ينظرون نظر التدبر والاعتبار الى كيفية خلو هذه المخلوقات الشاهدة بحقية البعث والنشور لاشعارها بأن خالقها متصف بصفات الكمال من القدرة والقوة والحكمة منزه عن صفات النقصان من العجز والضعف والجهل حتى يرجعوا عما هم عليه من الانكار والنفور ويسمعوا انذارك ويستعدوا للقاء الله بالايمان والطاعة . درتبيان آورده كه مخاطب عرب اند واكثر ايشان اهل بريه باشند ومال ايشان شتراست وهر طرفى مينكرند جز آسمان وزمين وكوه نمى بينند لا جرم بعد از ذكر شترآسمان وكوه وزمين يا دميكر . يعنى قرنت الابل بالسماء والجبال بالارض لان الآية نزلت بطريق الاستدلال وهم كانوا أشد ملابسة بهذه الاشياء من غيرهم فلذا جمع الله بينهما وقال الغزالى كرحمه الله خص الابل بالذكر لانها لائقة بقرآئنها معنى فالسماء الظليلة والارض الزاملة والجبال الثقيلة كالابل لفرش والحمولة فالسحاب تحمل الماء الزلال والابل الاحمال الثقل والارض الجبال والكل

مسخر بأمره قال القرطبى قدم الابل فى الذكر ولو قدم غيره جاز وعن القشيرى رحمه الله انه قال ليس هذا مما يطلب فيه نوع حكمة.

يقول الفقير ان قلت لو أخر ذكر الابل لكان له مناسبة تامة مع ذكر الارض لان الابل سفن البر قلت نعم لكنه اعتبر سمك الابل فترقى منه الى سمك السماء.

ثم يقول الفقير ولى كلام عريض فى هذا المقام ذكرته فى كتاب الواردات الحقية لى وخلاصته انه تعالى أشار بالابل الى النفوس فانها ضخمة جسيمة مثلها وبدا بالنفوس لانها اصل بمنزلة الام ولدرجة الانوثة تقدم حكما وان كان لها تأخر صورة كحوآء بالنسبة الى آدم وأشار بالسماء الى الارواح لانها علوية وبمنزلة الاب ولهذا أردفها بها وأشار بالجبال الى القلوب لانها أثبت من الرواسى ولانها خلقت بعد خلق الروح والنفس كما ان الجبال خلقت بعد خلق السماء والارض فهى بمنزلة الولد لهما ولذا عقبهما بها وقد صح ان الجبال تعبر فى الرؤيا بأهل القلوب من الرجال لانهم اوتاد الارض والعمد المعنوية فى الحقيقة كما ان الجبال اوتاد الارض

فى الصورة وأشار بقولهنصبت دون خلقت الى ان القلوب فى الحقيقة امر ملكوتى وان ظهرت فى الصورة ظهور الولد من الابوين وأشار بالارض الى الاجساد السافلة وهى مؤخرة فى المرتبة فالله تعالى سطح ارض البشرية والجسدانية لتكون مستقر النفوس وخلق النفوس لتكون مستوى القلوب وخلق القلوب لتكون عروش الروح بل السر بل الأخفى فما أحسن ترتيب هذه الآية وما أشد انتظام جملتها وتناسبها فهى كالجمع بين كاتب وقلم وقرطاس ودواة والله تعالى أعلم

٢١

{ فذكر } الفاء لترتيب الامر بالتذكير على ما ينبئ عنه الانكار السابق من عدم النظر اى فاقتصر على التذكير ولا تلح عليهم ولا يهمنك انهم لا ينظرون ولا يتذكرون.

٢٢

{ انما أنت مذكر } تعطيل للامر بما أمرت به اى مبلغ وانما للهداية والتوفيق الى الله تعالى

{ لست عليهم بمصيطر } اى لست بمسلط عليهم تجبرهم على ما تريد كقوله تعالى وما انت عليهم بجبار واكثر القرآء قرأوا بمصيطر بالصاد على القلب لمناسبة الطاء بعدها وقرئ بالسين على الاصل وبالاشمام بأن يخلط صوت الصاد بصوت الزاى بحيث يمتزجان فيتولد منهما حرف ليس بصاد ولا زاى وخلط حرف بحرف احد معانى الاشمام فى عرف القرآء يقال سطر يسطر سطرا كتب والمسيطر والمصيطر المسلط على الشئ ليشرف عليه وبتعهد أحواله ويكتب عمله فأصله من السطر فالكتاب مسيطر والذى يفعله مسيطر وقال الراغب يقال سطر فلان على كذا او تسطر عليه اذا قام عليه قيام سطر اى لست عليهم بقائم وحافظ واستعمال مسيطر هنا كاستعمال القائم فى قوله أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت والحفيظ فى قوله وما أنت عليهم بحفيظ انتهى.

٢٣

{ الا من تولى } أعرض عن الحق او عن الداعى اليه بعد التذكير

{ وكفر } وثبت على الكفر او أظهره وفى فتح الرحمن الا من تولى عن الايمان وكفر بالقرءآن او بالنعمة وفى التأويلات النجمية الا من تولى عن الحق بالاقبال على الدنيا وكفر أى ستر الحق بالخلق وهو استثناء منطقع ومن موصولة لا شرطية لمكان الفاء ورفع الفعل اى لكن من تولى وكفر فان لله الولاية والقهر وهو المسيطر عليهم قالوا وعلامة كون الاستثناء متصلا محضا لا يحسن ذلك نحو عندى مائتان الا درهما فلا يدخل عليه ان.

٢٤

{ فيعذبه الله العذاب الاكبر } الذى هو عذاب جهنم حرها شديد وقعرها بعيد ومقامعها من حديد وفى فتح الرحمن الاكبر عذاب جهنم والاصغر ما عذبوا به فى الدنيا من الجوع والاسر والقتل ويؤيده ما قال الراغب فى قوله يوم نبطش البطشة الكبرى فيه تنبيه على ان كل ما

ينال الكافر من العذاب قبل ذلك فى الدنيا وفى البرزخ صغير فى جنب

عذاب ذلك اليوم انتهى وايضا قوله تعالى ولنذيقنهم من العذاب الأدنى

دون العذاب الاكبر فان المراد بالعذاب الأدنى هو العذاب الاصغر الدنيوى

لا البرزخى لقوله تعالى بعده لعلهم يرجعون فان الرجوع انما يعتبر فى الدنيا

لا فى البرزخ وفيما بعد الموت فيكون المراد بالعذاب الاكبر هو العذاب

الاخروى واليه ينظر قوله تعالى يصلى النار الكبرى كما سبق وفى تأويلات

النجمية العذاب الاكبر هو عذاب الاستتار فى الدنيا وعذاب نار الهجران

فىلآخرة.

٢٥

{ ان الينا ايابهم } تعليل لتعذيبه تعالى بالعذاب الاكبر يقال آب

يؤوب اوبا وايابا رجع اى ان الينا رجوعهم بالموت والبعث لا الى أحد

سوانا لا استقلالا ولا اشتراكا كما قال تعالى ألا الى الله تصير الامور واليه

يرجع الامر كله فتقديم الخبر للتخصيص والمبالغة فانه يفيد معنى أن يقال

ان ايابهم ليس الا الى الجبار المقتدر على الانتقام كما ان مبدأهم وصدورهم

كان منه وفيه تخويف شديد فان رجوع العبد العاصى المصر الى مالكه الغضوب فى غاية الصعوبة ونهاية العسرة وجمع الضمير فيه وفيما بعده باعتبار معنى من كان ان افراده فيما سبق باعتبار لفظها.

٢٦

{ ثم ان علينا حسابهم } فبي المحشر لا على غيرنا فنحن نحاسبهم على النقير والقطمير من نياتهم وأعمالهم وثم للتراخى فى الرتبة لا فى الزمان فان الترتب الزمانى بين ايابهم وحسابهما البين كون ايابهم اليه تعالى وحسابهم عليه تعالى فانهما أمران مستمر ان قال أبو بكر بن طاهر رحمه الله ان الينا ايابهم فى الفضل ثم ان علينا حسابهم فى العدل وقال البقلى رحمه الله انظر كيف تفضل بعد الوعيد بأن جعل نفسه مآبهم وتكفل بنفسه حسابهم فينبغى ان يعيشوا بهذين الفضلين أطيب العيش فى الدارين ويطيروا من الفرح بهذين الخطابين.

يقول الفقير ما قاله البقلى هو ما ذاقه العارفون بطريق المكاشفة فينبغى أن لا يغتر به العوام فانه قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وتزينوا للعرض الاكبر على الله تعالى يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية انما خف الحساب فى الآخرة على قوم حاسبوا أنفسهم فى الدنيا وثقلت موازين قوم فى الآخرة وزنوا نفوسهم فى الدنيا ومحاسبة النفس تكون بالورع موازنتها تكون بمشاهدة عين اليقين والتزين للعرض يكون بمخافة الملك الاكبر وعن على رضى الله عنه اما بعد فان المرء يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فما نالك من الدنيا فلا تكثرنه فرحا وما فاتك منها فلا تتبعنه أسفا وليكن سرورك بما قدمت وأسفك على ما خلفت وشغلك لآخرتك وهمك فيما بعد الموت وفى الحديث ثلاث من كن فيه استكمل ايمانه لا يخاف فى الله لومة لائم ولا يرآئى بشئ من عمله واذا عرض له أمران أحدهما للدنيا ولآخرة للآخرة آثر الآخرة على الدنيا وقال عليه السلام (لو لم ينزل على الا هذه الآية لكانت تكفى) ثم قرأ آخر سورة

الكهف فمن كان يرجو لقاء ربه الخ فكان هذا فصل الخطاب وبلاغا لأولى الالباب فالعمل الصالح الاخلاص بالعبادة ونفى الشرك بالخلق وهو اليقين بتوحيد الخالق فما كان لله اىخالصا لاجله وبالله اى بمشاهدة قربه لا بمقارنة نفسه وهواه وفى الله اى سبيله وطلب ما عنده لا لاجل عاجل حظه فمقبول واهله من المقربين وحسابهم حساب يسير بل لا حساب لهم.

سُورَةُ الْفَجْرِ مَكِّيَّةٌ

وَهِيَ ثَلاَثُونَ آيَةً

١

{ والفجر } قال فى كشف الاسرار لما كان العرب اكثر خلق الله قسما فى كلامهم جاء القرءآن على عادتهم فى القسم والفجر فجران مستطيل كذنب السرحان وهو الكاذب ولا يتعلق به حكم ومستطير وهو

الصادق الذى يتعلق به الصوم والصلاة أقسم الله بالفجر الذى هو اول وقت ظهور ضوء الشمس فى جانب المشرق كما أقسم بالصبح حيث قال والصبح اذا تنفس لما يحصل به من انقضاء الليل بظهور الضوء وانتشار الناس وسائر الحيوانات من الطيور والوحوش فى طلب الارزاق وذلك مشاكل لنشور الموتى وفيه عبرة عظيمة لمن تأمل (وقال الكاشفى) سو كند بصبح كه وقت مناجات دوستانست . او أقسم بصباح عرفة لانه يوم شريف يتوجه فيه الحجاج الى جبل عرفات وفى الحديث (الحج عرفة) يعنى صباح روز عرفه كه وظائف دعا ونياز حاجبان درآنست . او صباح يوم النحر لانه يوم عظيم ايضا ويقع فيه الطواف المفروض والحلق والرمى ويروى ان يوم النحر يوم الحج الاكبر.

وبقولى مراد از صبح روز اول محرم است كه سال از ومنفجر ميشود يابامداد آذينه كه حج مسكينانست ودر تبيان آورده كه اشارت بانفجار آب از اصابع حضرت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم در روز طائف وغيرآن وكفته اند انفجار ناقة از صخره صالح عليه السلام يا

انفجار عيون ومنابع يا انفجار آب از حجر موسعليه السلام بانفجار مطر از سحاب يا وران شدن اشك ندامت ارديده عاصيان.

بران ازدوسر جشمه ديده جوى ... ولآلايشى دارى ازخود بشوى

٢

{ وليال عشر } هن عشر ذى الحجة والعرب تذكر الليالى وهى تعينها بأيامها تقول بنى هذا البناء ليالى السامانية اى ايامهم او العشر الاواخر من شهر رمضان وتنكيرها للتعظيم لانها مخصوصة بفضائل ليست لغيرها ولذا اقسم الله بها وذلك كالاشغال بأعمال الحج فى عشر ذى الحجة وفى الحديث (ما من ايام ازكى عند الله ولا أعظم اجرا من خير عمل فى عشر الاضحى) قيل يا رسول الله ولا المجاهد فى سبيل الله قال ولا المجاهد فى سبيل الله الارجل خردج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشئ وفيه اشارة الى ان الغازى ينبغى ان يخرج من بيته على قصد أن لا يعود والله يفعل ما يريد

واما شرف العشر الاواخر فيكفى اى ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر تطلب فيها . وكفته اندمرادده محرم است كه عاشرا از آنست يا دهه ميان شعبان كه شب برآءت درآنست.

وقال البقلى هى ليال ست خلف فى ايامها السموات والارض وليلة خلق فيها آدم عليه السلام وليلة يومها يوم القيامة وليلة كلم الله فيها موسى عليه السلام وليلة اسرى بالنبى عليه السلام وقال القاشانى اقسم بالبتدآء ظهور نور الروح على مادة البدن عند اثر تعلقه به وليال عشر ومحال الحواس العشر الظاهرة والباطنة التى تتعلق عند تعلقه به لكونه اسباب تحصيل الكمال وألانها وفى التأويلات النجمية يشير الى القسم بانفجار الحسنة الواحدة من ارض قلب المؤمن وليال الحسنات العشر المشار اليهابقوله من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وانما سماها بليال لكون ظهور الحسنات العشر من غيب مرتبة احدية الحسنة الواحدة من غير الاكتساب من نهار العمل بل من عالم الغيب بطريق الموهبة الالهية.

٣

{ والشفع } بالفارسية جفت . وذلك لان الشفع ضم الشئ الى مثله

{ والوتر } بفتح الواو وكسرها اى شفع هذه الليالى ووترها والظاهر التعميم لان الالف واللام للاستغراق اى الاشياء كلها شفعها ووترها لان كل شئ لا بد ان يكون شفعا او وترا وقال الراغب المخلوقات كلها من حيث انها مركبات كما قال ومن كل شئ خلقنا زوجين فهو الشفع

واما الترف و الله تعالى من حيث ان له الوحدة من كل وجهواليه يرجع قول من قال من كبار أهل الحال يشير الى القسم بشفع الكثرة الاسمائية ووتر الوحدة الذاتية الحقيقة ودخل فيها العناصر الاربعة والافلاك التسعة والبروج الاثنا عشر والسيارات السبع وصلاة المغرب وسائرها ويوم النحر لانه عاشر ايام ذى الحجة ويوم عرفه لانه تاسع تلك الايام واليومان بعد يوم النحر واليوم الثالث وآدم وحوآء عليهماالاسلام زوجين ومريم عليها السلام زوجين ومريم عليها السلام وتر والعيون الاثنتا عشر التى فجرها الله

لموسى عليه السلام والآيات التسع وايام عاد الشفع ولياليها الوتر كما قال تعالى سبع ليال وثمانية ايام والشهر الى يتم بثلاثين يوما والشهر الذى يتم بتسعة وعشرين والاعضاء والقلب والشفتان واللسان والسجدتان والركوع وابواب الجنة وابواب النار ودرجات الجنة ودركات النار وصفات الخلق كالعلم والجهل والقدرة والعجز وارادة والكراهة والحياة والموت وصفات الحق وجود بلا عدم حياة بلا موتع علم بلا جهل قدرة بلا عجز عزيلا ذل ونفس العدد شفعه ووتره والايام والليالى واليوم الذى لا ليلة بعده وهو يوم القيامة وكل بنى له اسمان مثل محمد وأحمد والمسيح وعيسى ويونس وذو النون وكل من له اسم واحد مثل آدم ونوح وابراهيم ومسجد مكة والمدينة وكذا يقال لهما الحرمان الشريفان والمسجد الاقصى والجبلان الصفا والمروة والبيت الحرام والنفس مع الروح فى حالة الجمع وهما فى حالة الافتراق وقال سهل رحمه الله الفجر محمد عليه السلام منه تفجرت الانوار وليال عشر هى العشرة المبشرة بالجنة والشفع هو الفرض والوتر هو الاخلاص فى الطاعات.

٤

{ والليل } جنس الليل

{ اذا يسر } اى يمضى وبالفارسة آنكاه كه بكذرد

. كقوله والليل اذا ادبر والسرى سير الليل يقال سرى يسرى سرى ومسرى

اذا سار عامة الليل وسار يسير سيرا ذهب والتقييد لما فيه من وضوح

الدلالة على كمال القدرة وفور النعمة كان جميع الحيوانات اعيد اليهم

الحياة بعد الموت وتسببوا بذلك لطلب الارزاق الممدة للحياة الدنيوية التى

بتوسل بها الى سعادة الدارين فان قيل القسم بالليل اذا يسر يغنى عن

القسم بليال عشر قلنا المقسم به فى قوله والليل اذا يسر هو الليل باعتبار

سيره ومضيه وفى قولهوليال عشر هو الليالى بلا اعتبار مضياه بل اعتبار

خصوصية اخرى فلا يغنى اخذهما عن الآخر ويجوز أن يكون المعنى والليل

اذا يسر يعنى يسرى فيه السارى ويسير فيه السائر فاسناد السرى الى الليل

مجاز كما فى نهاره صائم اى هو صائم فى نهاره فالتقييد بذلك لان السير

فى الليل حافظ للسائر متن حر الشمس فان السفر مع مقاساة حر النهار

أشد على النفس وقد قال النبى عليه السلام (عليكم بالدلجة فان الارض تطوى فى الليل) وكذا هو حافظ من شر قطاع الطريق غالا لانهم مشغولون بالنوم فى الليل وحذفت الياء اكتفاء بالكسر ولسقوطها فى خط المصحف ولموافقة رؤوس الآمى وان كان الاصل اثباتها لانها لام فعل مضارع مرفوع وسئل الاخفش عن حذفها فقال اخذ منى سنة فسأله بعد سنة فقال الليل يسرى فيه ولا يسرى فعدل به عن معناه فوجب ان يعدل عن لفظه يعنى ان سقوط الباء ليدل على ان اصل الفعل منفى عن الليل وان كان مسندا الى ضميره كما ان حركة العين فى الحيوان تدل على وجود معنى الحركة فى معنى الحيوان لان للتراكيب خواص بها تخلف وفيه اشارة الى ظلمة البدن اذا ذهبت وزالت بتجرد الروح والى القسم بسريانه ليل الهوية المطلقة فى نهار الحقائق المقيدة كما قال يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل برفع المقيدات بسطوات أنوار المطلق والى القسم بليلة المعراج التى اسرى الله بعبده فيها فكانت أشرف جميع الليالى لانها ليلة القدر والشرف والقرب والوصال والخطاب ورؤية الجمال المطلق.

٥

{ هل فى ذلك } الخ تقرير وتحقيق لفخامة شأن المقسم بها وكونه امور جليلة حقيقة بالاعظام والاجلال عند ارباب العقول وتنبيه على ان الاقسام بها امر معتد به خليق بان يؤكد به الاخبار على طريقة قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم كما يقول من ذكر حجة باهرة هل يقيما ذكرته حجة والمعنى هل فيما ذكر من الاشياء المقسم بها

{ قسم } اى مقسم به وفى فتح الرحمن مقنع ومكتفى

{ لذى حجر } لذى عقل منور بنور المعرفة والحقيقة يراه حقيقا بان يقسم به اجلالا وتعظيما والمراد تحقيق ان الكل كذلك وانما اوثرت هذه الطريقة هضما للخلق وايذانا بظهور الامر او هل فى الاقسام بتلك الاشياء اقسام لذى حجر مقبول عنده يعتمد به ويفعل مثله ويؤكد به المقسم عليه وبالفارسية آبادرين سوكندكه ياد كردم سوكندى بسنديده مرخداوند عقل را تا اعتبار كند وداندكه سوكنديست . محقق ومؤكد

والحجر العقل لانه يحجر صاحبه اى يمنعه من التهافت فيما لا ينبغى كما سمى عقلا ونهيه بضم النون لانه يعقل وينهى وحصاة ايضا من الاحصاء وهو الضبط قال الفرآء يقال انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها والتنوين فى الحجر للتعظيم قال بعض الحكماء العقل للقلب بمنزلة الروح للجسد فكل قلب لا عقل له فهو ميت بمنزلة قلب البهائم والمقسم عليه محذوف وهو لعذبن اى الكفار كما ينبئ عنه قوله تعالى.

٦

{ ألم تر كيف فعل ربك بعاد } الهمزة للانكار وهو فى قوة النفى ونفى النفى اثبات اى ألم تعلم يا محمد علما يقينيا جاريا مخرجى الرؤية فى الجلاء اى قد علمت باعلام الله تعالى وبالتواتر أيضا كيف عذب ربك عادا ونظائرهم فسيعذب كفار قومك ايضا لاشتراكهم فيما يوجبه من الكفر والمعاصى والمراد بعاد أولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام قوم هود عليه السلام سموا باسم ابيهم كما سمى بنوا هاشم هاشما وبنوا تميم تميما فلفظ عاد اسم للقبيلة المنتسبة الى عاد

وقد قيل لاوآئلهم عاد الاولى ولاواخرهم عاد الاخيرة قال عماد الدين بن كثير كل ما ورد فى القرءآن خبر عاد الاولى الا ما فى سورة الاحقاف.

٧

{ ارم } عطف بيان لعاد للايذان بأنهم عاد الاولى بتقدير مضاف اى سبط ارم اوأهل ارم على ما قيل من ان ارم اسم بلدتهم او ارضهم التى كانوا فيها وكانت منازلهم بين عمان الى حضر موت وهى بلاد الرمال والاحقاف ويؤيده القرآءة بالاضافة واياما كان فامتناع صرفها للتعريف والتأنيت وفى المفردات الآرام اعلام تبنى من الحجارة وارم ذات العماد اشارة الى اعلامها المرفوعة المزخرفة على هيئة المنارة او على هيئة القبور وفيه ايضا حذف مضاف بمعنى أهل الاعلام

{ ذات العماد } صفة لارم واللام للجنس الشامل للقيل والكثير والماد كالعمود والجمع عمد وعمد بفتحتين وبضمتين واعمدة اى ذات القدود الطوال على تشبيه قاماتهم بالاعمدة او ذات الخيام والاعمدة

حيث كانوا بدويين أهل عمد يطلبون الكلأ حيث كان فاذا هاجت الريح ويبس العشب رجعوا الى منازلهم او ذات البناء الرفيع وكانوا ذات ابنية مرفوعة على العمد وكانوا يعالجون الاعمدة فينصبونها ويبنون فوقها القصور وكانت قصورهم ترى من ارض بعيدة او ذات الاساطين اذ كانت مدينتهم ذات ابنية مرفوعة على الاسطوانات على ان ارم اسم بلدتهم وقال السهيلى رحمه الله ارم ذات العماد وهو جيرون بن سعد بن ارم وهو الذى بنى مدينة دمشق على عمد من رخام ذكر أنه ادخل فيها اربعمائة ألف عمود واربعين ألف عماد من رخام فالمراد هذه العماد التى كان البناء عليها فى هذه المدينة وكانت تسمى جيرون وبه تعرف وسميت دمشق بدمشق بن نمرود عدو ابراهيم الخليل عليه السلام وكان دمشق قد اسلم وبنى جامع ابراهيم فى الشأم انتهى لعل هذه الرواية أصح فليتأمل.

٨

{ التى لم يخلق مثلها فى البلاد } صفة اخرى لارم والضمير لها على انها اسم القبيلة اى لم يخلق مثلهم فى عظم الاجرام والقوة فى الآفاق

والنواحى حيث كان طول الرجل منهم اربعمائة ذراع وكان يأتى الصخرة العظيمة فيحملها ويلقيها على الحى فيهلكهم ولذا كانوا يقولون من اشد منا قوة ونظيرهم فى الطيور الرخ وهو طير فى جزآئر الصين يكون جناحه الواحد عشرة آلاف باع يحمل حجرا فى رجله كالبيت العظيم ويلقيه على السفينة فى البحر او لم يخلق مثل مدينتهم فى جميع بلاد الدنيا فالضمير لها على انها اسم البلدة.

وقصة آن بر سبيل اجمال آنست كه عبد الله بن قلا به بطلب شترى كم شده صحراى عدن ميكشت دربيابانى بشهرى رسيد كه باره محكم داشتكه اساس آن ازجزع يمانى وبر حوالئ آن قصور بسيار بودباميد آنكه كسى بيندواحوال شترخود نيافت متحيرشد وجون بشهردرامدحيرتش بيفزودجه قصرها ديدبرستونها زبر جد وياقوت بناكرده خشتى از زروخشتى ازنقره وفرشها برهمين وتيره بجاى سنك ريزه مرواردهاى آبدار ريخته ودرحوالئ هرقصرى آبهاى روان برروى لؤلؤومرجان ودرختان بسيار تنهاى

آن اززر وبر كهاى آن اززبرجد وشكوفهاى آن ازسيم باخود كفت هذه

الجنة التى وعد المتقون (مصراع)

اين جه منزل جه بهشت اين جه مقمست اينجا ... وقال والذى

بعث محمدا ما خلق الله مثل هذا فى الدنيا بس قدرى ازان جواهر برداشت

ودربس بالحق وبشت بست ويمين باز آمدومردمان آن كوهر را

دردست او بديدند وحمل برياقتن كنجى كرده قصه وى درزبانها افتاد

تاحدى كه حال اورا بمعاويه كه دران وقت حاكم شام بود آنها كردند

معاويه اورا طلبيد وتمام حكايت اوز اول تا آخر استماع كرديس اورا در

مجلس بنشانيد وكعب الاحبار را طلبيده برسيدكه دردنيا شهرى هست كه

بناى اواز زرو نقره باشد ودرختان مكلل بجواهر كعب كفت آرى

شهريست كه حق سبحانه وتعالى در قرآن مجيد ياد فرمودكه

{ لم يخلق مثلها فى البلاد } وآنراشداد بن عاد ساخته واو بادشاه

عظيم قدر بوده است ونهصد سال عمرداشت هرجا درعالم زرى وجوهرى

بوده همه راجمع كراده وصدقهرمان باهر يكى هزار فرستادنا شهرارم را

بساختند وبسيصد سال باتمام رسيده سال ديكرتهيئة راه اشتغال نمود

امرا او ملوك عالم راجمع كرد واز دار السلطنة خود بتماشاى آن شهر

متوجه شديك شبه راه ميان اوآن بنامانده بودكه حق سبحانه وتعالى

ملكى فرستاد تاصيحه برايشان زدوهمه بمردند وان شهراز نظر مردم بوشيده

شدجنانجه اصحاب كهف درغار وخوانده ام كه درحكومت تومردى

كوتاه بالاسرخ رنك سير جشم كه برروى او خالى وبر كردن آن علامتى

باشد بطلب شترى بدآنجارسد وآنرا بيند بس بازنكريست وابن قلابه راديد

كفت هو والله ذلك الرجل.

قال ابن الشيخ فى حواشيه وفيه بحث لان قوم عاد اهلكوا بالريح

وقوم صالح اهلكوا بالصيحة الا ان يراد بالصيحة ههنا الريح الشديد

الصوت وذكر كعب انه كتب ابن شداد على لوح وضع عند رأس ابيه عن

لسانه حين رفعه من المفازة ودفنه.

ان اشداد بن عاد صاحب الحصن العميد ... واخو القوة والباساء

والملك المشيد

دان اهل الارض لى من خوف وعدى وعيدى ... وملكت الشرق والغرب بسلطان شديد

فأتتنا صيحة تهوى من الافق البعيد ... فتوفتنا كزرع وسط بيدآء حصيد

وذكر فى قوت القلوب تصنيف العالم الربانى ابى طالب المكى قدس سره انه قيل لابى يزيد البسطامى قدس سره لدخلت أرم ذات العماد فقال صه قد دخلت الف مدينة لله تعالى فى ملكه ادناها ذات العماد ثم اخذ يعدد تلك المدآئن جابلق جابلص الى غير ذلك فظاهر قول ابى يزيد ادناها ذات العماد يخالف قوله تعالى لم يخلق مثلها فى البلاد لكن المستفاد من الآية نفى الخلق فى الماضى ويجوز أن تكون تلك المدآئن حادثة بعد نزول القرءآن ويجوز ان يراد بنفى المثل هو المثل فى الزينة وبالادنى صغر الجثة وفى بعض نسخ قوت القلوب ان معنى الآية لم يخلق مثلها فى بلاد اليمن لانهم خوطبوا بما فى بلادهم كما قال الله تعالى او ينفوا من الارض اى ارض

بلادهم وبمثل هذه التوجيهات يندفع الاشكال كذا فى شرح البردة لابن الشيخ.

٩

{ وثمود } وديكرجه كرد خداى تعالى بقوم ثمود . وهو عطف على عاد وثمود قبيلة مشهورة سميت باسم جدهم ثمود اخى جديس وهما ابنا عامر بن رام بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام وكانوا عربا من العاربة يسكنون الحجر بين الحجاز وتبوك وكانوا يعبدون الاصنام كعاد وهم قوم صالح كما قال تعالى والى ثمود أخاهم صالحا .

{ الذين جابوا الصخر بالواد } الجواب القطع تقول جبت البلاد أجوبها جوبا وزاد الفرآء جبت البلاد اجيبها جيبا اذا جلت فيها وقطعتها وجبت القميص ومنه سمى الجيب والصخر هو الحجر الصلب الشديد والواد أصله الوادى حذفت ياؤه اكتفاء بالكسرة ورعاية لرأس الآية وأصل الوادى الموضع الذى يسيل فيه الماء ومنه سمى المنفرج بين الجبلين

واديا والمراد هنا هو وادى القرى بالقرب من المدينة الشريفة من جهة الشأم

قال ابو نضرة اتى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى غزوة تبوك على وادى

ثمود وهو على فرس اشقر فقال اسرعوا السير فانكم فى واد

ملعون والمعنى قطعوا صخر الجبال فاتخذوا فيها بيوتا نحتوها من

الصخر كقوله تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا قيلانهم اول من نحت الجبال

الصخور والرخام وقد بنوا ألفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة.

١٠

{ وفرعون } وجه كرد بفرعون موسى عليه السلام . وهو الوليد

ابن مصعب بن ريان بن ثروان ابو العباس القبطى واليه تنسب الاقداح

العباسية وفرعون لقلب افرده تعالى بالذكر لانفراده فى التكبر والعلو حتى

ادعى الربوبية والالوهية

{ ذى الاوتاد } جمع وتد بالتحيك وبكسر التاء

ايضا بالفارسية ميخ.

وقد سبق فى سورة النبأ وصف بذلك لكثرة جنوده وخيامهم التى

يضر لونها فى منازلهم ويربطونها بالاوتاد والاطناب كما هو الآن عادة فى

ضرب الخيمة والتعذيبة بالاوتاد كما قال فى كشف الاسرار وفرعون آن

كشنده بميخ بند يعنى بطريق جهار ميخ تعذيب كنند (روى) عن ابن

عباس رضى الله عنهما ان فرعون انما سمى ذا الاوتاد لان امرأة خازنه

خربيل كانت ماشطة هيجل بنت فرعون وكان خربيل مؤمنا يكتم ايمانه

منذ مائة سنة وكذا امرأة فبينما هى ذات يوم تمشط رأس بنت فرعون اذ

سقط المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله تعالى فقالت ابنة فرعون

وهل لك اله غير أبى فقالت الهى واله ابيك واله السموات والارض واحد

لا شريك له فقامت ودخلت على ابيها وهى تبكى فقال ما يبكيك قالت

ان الماشطة امرأة خازنك تزعم ان الهك والهها واله السموات والارض واحد

لا شريك له فارسل اليها فسألها عن ذلك فقانت صدقت فقال لها ويحك

اكفرى بالهك قالت لا افعل فمدها بين أربعين أوتاد ثم ارسل عليها الحيات

والعقارب وقال لها اكفرى بالله والا عذبتك بهذا العذاب شهرين فقالت

لو عذبتنى سبعين شهرا ما كفرت به وكانت لها ابنتان فجاء بابنتها الكبرى
فذبحها على فيها وقال لها اكفرى بالهك والا ذبحت الصغرى على فيك
ايضا وكانت رضيعا فقالت لو ذبحت من فى الارض على فى ما كفرت
بالله تعالى فأتى بابنتها فلما اضجعت على صدرها وأرادوا ذبحها جزعت
المرأة فأطلق الله لسان ابنتها فتكلمت وهى من الاربعة الذين تكلموا اطفالا
وقالت يا اماه لا تجزعى فان الله تعالى قد بنى لك بيتا فى الجنة اصبرى
فانك تفضين الى رحمة الله تعالى وكرامته فذبحت فلم تلبث ان ماتت
فأسكنها الله تعالى الى جوار رحمته وكان فرعون قد تزوج امرأة من اجمل
نساء بنى اسرآئيل يقال لها آسة بنت مزاحم فرأت ما صنع فرعون بالماشطة
فقالت فى نفسها كيف يسعنى ان اصر على ما يفعل فرعون وانا مسلمة
وهو كافر فبينما هى تؤامر نفسها اذ دخل عيها فرعون فجلس قريبا منها
فقالت يا فرعون أنت شر الخلق واخبثهم عمدت الى الماشطة فقتلتها قال
فلعلك بك الجنون الذى كان بها قالت ما بى من جنون وانما المجنون من
يكفر بالله الذى له ملك السموات والارض وما بينهما وحده لا شريك

له وهو على كل شئ قدير فمدها بين أربعين أوتاد يعذبها ففتح الله لها

بابا الى الجنة ليهون عليها ما يصنع بها فرعون فعند ذلك قالت رب ابن

لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله فقبض الله روحها واسكنها

الجنة العالية وقد سبق طرف من هذه القصة فى آخر سورة التحريم فارجع

ثم فى عاد اشارة الى الطبيعة البشرية وفى ثمود الى القوة الشهوية وفى فرعون

الى القوة الغضبية فلا بد للسالك من تزكيتها وازالة آثارها.

١١

{ الذين طغوا فى البلاد } صفة للمذكورين من الطوآئف الثلاث

فيكون مجرور المحل لكون بعض المذكورين قبله مجرورا بالباء وبعضها معطوفا

عليه وهو أحسن بحسب اللفظ اذ لا حذف فيه واختار صاحب الكشاف

كونه منصوبا على الذم بتقدير اعنى لكونه صريحا فى الذم والمقام مقام

الذم وهو أحسن نظرا الى المعنى والمعنى طغى كل طائفة منهم فى بلادهم

وتجاوزوا الحد يعنى طغى عاد فى اليمن وثمود بارض الشأم والقبط بمصر

كما ان نمرود طغى بالسواد وقس على هذا سائرهم.

١٢

{ فاكثروا فيها الفساد } اى بالكفر وسائر المعاصى فان الفساد يتناول جميع اقسام الاثم كما ان الصلاح يتناول جميع اقسام البر فمن عمر بغير امر الله وحكم فى عباده بالظلم فهو مفسد متجاوز عن الحد الذى حد له وفيه خوف شديد لاكثر حكام الزمان ونحوهم.

١٣

{ فصب عليهم ربك } صب الماء اراقته من اعلى اى انزل انزالا شديدا على كل طائفة من اولئك الطوآئف عقيب ما فعلت من الطغيان والفساد

{ سوط عذاب } السوط الجلد عالمضفور اى المنسوج المفتول الذى يضرب به اى عذابا شديدا لا تدرك غايته وهو عبارة عما حل بكل منهم من فنون العذاب التى شرحت فى سار السور الكريمة وهى الريح لعاد والصيحة لثمود والغرق للقبط وتسميته سوطا للاشارة الى ان ذلك بالنسبة

الى ما اعد لهم فى الآخرة بمنزلة السوط عند السيف قال ابو حيان استعير السوط للعذاب لانه يقتضى من التكرار والترداد مالا يقتضيه السيف ولا غيره (وقال الكاشفى) دون عرب ضرب تازيانه راسخت ترين عذابها مى دانستند . يعنى ان السوط عندهم غاية العذاب . هركونه از عذاب را نيز سوط ميكفتند حق سبحانه بقانون كلام ايشان عذابهاى خودرا سوط كفت قال الشاعر

لم تر ان الله اظهر دينه ... وصب على الكفار سوط عذاب

والتعبير عن انزاله بالصب للايذان بكثرته واستمراره وتتابعه فانه عبارة عن اراقة شئ مانع او جار مجراه فى السيلان كالرمل والحبوب وافراغه بشدة وكثرة واستمرار ونسبته الى السوط مع انه ليس من ذلك اقبيل باعتبار تشبيه فى نزوله المتتابع المتدارك على المضروب بقطرات الشئ المصبوب فان قيل أليس ان الله تعالى قال ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها من دابة وهو يقتضى تأخير العذاب الى الآخرة فكيف الجمع بين هاتين الآيتين قلنا انه يقتضى تأخير تمام الجزآء الى الآخرة وذلك لا ينافى

ان يعجل شئ من ذلك فى الدنيا فان الواقع فى الدنيا شئ من الجزآء ومقدماته كذا فى حواشى ابن الشيخ.

يقول الفقير وأوجه من ذلك ان المفهوم من الآية المؤاخذة لكل الناس وهو لا ينافى ان يؤاخذ بعضهم فى الدنيا بعذاب الاستئصال كبعض الامم السالفة المكذبة.

١٤

{ ان ربك لبالمرصاد } تعليل لما قبله وايذان بان كفار قومه عليه السلام سيصيبهم مثل ما اصاب المذكورين من العذاب كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام والمرصاد المكان الذى يترقب فيه الراصدون مفعال من رصده كالميقات من وقته والباء للظرفية اى انه لفى المكان الذى تترقب فيه السابلة ويجوز أن يكون صيغة مبالغة كالمطعان والباء تجريدية وهذا تمثيل لارصاده تعالى بالعصاة وانهم لا يفوتنه شبه حاله تعالى فى كونه حفيظ لاعمال العباد مجازيا عليها على

النقير والقطمير ولا محيد للعباد عن ان لا يكون مصيرهم الا الله بحال من قعد على طريق السابلة يترصدهم ليظفر بالجانى او لاخذ المسك او نحو ذلك ولا مخلص لهم من العبور الى ذلك الطريق ثم استعمل هنا ما كان مستعملا هناك (قال الكاشفى) حق سبحانه همه رامى بيند ومى شنود وبرو بوشيده نيست

هم نهان داند وهم آنجه نهان ترباشد ... يعلم السر واخفى صفت حضرت اوست

ويقال يعنى ملائكة ربك على الصراط يترصون على جسر جهنم فى سبعة مواضع فيسأل فى اولها عن الايمان فان سلم من النفاق والرياء والا تردى فى النار وفى الثانىعن الصلاة فان اتم ركوعها وسجودها واقامها فى مواقيتها نجلا والا تردى فى النار وفى الثالث عن الزكاة وفى الرابع عن صوم شهر رمضان وفى الخامس عن الحج والعمرة وفى السادس عن الوضوء والغسل من الجنابة وفى السابع عن بر الوالدين وصلة الرحم فان خرج منها قيل له انطلق الى الجنة والا وقع فى النار.

١٥

{ فاما الانسان } متصل بما قبله من قوله ان ربك لبالمرصاد

وكانه قيل انه تعالى بصدد مراقبة أحوال عباده ومجازاتهم بأعمالهم خيرا وشرا

فاما الانسان فلا يهمه ذلك وانما مطمح نظره ومرصد فكره الدنيا ولذآئذها

قال السهيلى رحمه الله المراد بالانسان عبتة بن ربيعة وكان هو السبب فى

نزولها فيما ذكروا وان كانت هذه الصفة تعم

{ اذا ما ابتلاه ربه } اى عامله معاملة من يبتليه بالغنى واليسار

{ فأكرمه } بس كرامى كندش بجاه واقتدار

{ ونعمه } ونعمت دهدش ومعيشت برو فراخ كرداند وبآسانى

كارا وبسازد . والفاء تفسيرية فان الاكرام والتنعيم عين الابتلاء

{ فيقول } مفتخرا

{ ربى } بروردكار من

{ اكرمته } فضلنى بما اعطانى من الجاه والمال حسبما كنت

استحقه ولا يخطر بباله انه محض تفضل عليه ليبلوه ايشكر ام يكفر وهو

خبر للمبتدأ الذى هو الانسان والفاء لما فى اما من معنى الشرط والظرف

المتوسط على نية التأخير كأنه قيل فاما الانسان فيقول ربى اكرمنى وقت

ابتلائه بالانعام وانما تقديمه للايذان من اول الامر بان الاكرام والتنعيم

بطريق الابتلاء ليتضح اختلال قوله المحكى فاذا لمجرد الظرفية وان هذه الفاء

لا تمنع ان يعمل ما بعدها فيما قبلها.

١٦

{ واما اذا ما ابتلاه } اى

واما هو اذا ما ابتلاه ربه فيكون الواقع بعد اما فى الفقرتين اسما

فتكون الجملتان متعادلتين

{ فقدر عليه رزقه } بس تنك سازد برو روزئ اورا يعنى ضيقه

حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة وجعله على قدر كفايته

وقوت يومه

{ فيقول } متضجرا

{ ربى اهانن } اذلنى بالفقر ولا يخطر بباله ان ذلك ليبلوه ايصبر

ام يجزع مع انه ليس من الاهانة فى شئ ولذا لم يقل فأهانه فقدر عليه رزقه

فى مقابلة اكرمه ونعمه بل التقتير قد يؤدى الى كرامة الدارين فى حق الفقير

الصابر أما تأديته الى كرامة الآخرة فامر ظاهر

واما تأديته الى كرامة الدنيا فلانه قد يسلم به من طمع الاعدآء

فيحصن فيه اعتقاد الكبرآء من أهل الدنيا فيراجعونه ويلتمسون منه الدعاء

والتوسعة قد تفضى الى خسران الدارين بالكفران فيكون استدراجا

اى دل اكر بديده تحقيقى بنكرى ... درويشى اختياركنى بر

توانكرى

قال بعضهم ربما كان التضييق اكراما له بان لا يشغله بالنعمة عن المنعم ويجعل ذلك وسيلة له فى التوجه الى الحق والسلوك فى طريقه لعدم التعلق وعن ابى هريرةرضى الله عنه قال لقد رأيت سبعين من أصحاب الصفة ما منهم رجل عليه ردآء اما ازار

واما كساء قد ربطوه فى اعناقهم فمنها ما يبلغ نصف الساقين ومنها ما يبلغ نصف الكعبين فيجمعه بيده كراهة ان ترى عورته فتأمل هل تكون هذه اهانة لخواص عباد الله فالمؤمن اما فى مقام الشكر او فى مقام الصبر قال عليه السلام والسلام (الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر)

_@_صوفئ از فقر جون درغم شود _@_ عين فقرش دابه ومطعم شود_@_ زانكه جنت از مكاره رسته است _@_ رحم قست عاجزا شكسته است_@_ آنكه سرها بشكند اواز علو_@_ رحم حخق وخلق نايد سوى او_@_ كما قال بعض الكبار فى قوله فيقول ربى اهانن اى تركنى ذليلا مهينا لم يعرف المحجوب المسكين ان ربه ناظر

اليه بنظر الرحمة والشفقة جذبه بالجذبة الرحمانية من العالم الطبيعى الى العالم الروحانى ومن عالم النفس الى عالم القلب ومن عالم الفرق الى عالم الجمع ومن عالم الفراق الى عالم الوصال.

١٧

{ كلا } ردع للانسان عن مقالته المحكية وتكذيب له فيها فى كلا الحالتين قال ابن عباس رضى الله عنهما المعنى لم ابتله بالغنى لكرامته على ولم ابتله بالفقر لهوانه على بل ذلك لمحض القضاء والقدر بلا تعليل بالعلل

{ بل تكرمون اليتيم } انتقال من بيان سوء أقواله الى بيان سوء افعاله والتفات الى الخطاب للايذان باقتضاء ملاحظة جنايته السابقة لمشافهته بالتوبيخ تشديد للتقريع وتأكيد للتشنيع والجمع باعتبار معنى الانسان اذ المراد والجنس اى بل لكم أحوال اشد شرا مام ذكر وادل على تهالككم على المال حيث يكرمكم الله بكثرة المال فلا تؤدون ما يلزمكم فيه من اكرام اليتيم بالنفقة والكسوة ونحوهما وهو من بنى آدم هو الذى

فقد اباه وكان غير بالغ ومن البهائم ما فقد أمه قال عليه الصلاة والسلام (أحب البيوت الى الله بيت فيه يتيم مكرم)

برحمت بكن آبش از ديده باك ... بشفقت بيفيانش از جهره خاك

قال فى الاشباه استخدام اليتيم بلا اجرة حرام ولو لأخيه ومعلمه الا لأمه وفيما اذا ارسله المعلم لاحضار شريكه كما فى القنية.

١٨

{ ولا تحاضون } بحذف احدى التاءين من تتحاضون والحض الحث والتحريض لا يحض بعضكم بعضا ولا يحث من أهل وغيره شكرا لانعام الله تعالى

{ على طعام المسكين } اى على اطعام جنس المسكين ومن لا يحض غيره على اطعامه فان لا يطعمه بنفسه اولى فيؤول المعنى الى ان يقال ولا تطعمون مسكينا ولا تأمرون باطعامه وفيه ذم بليغ للبخيل

قال مقاتل كان قدامة بن مظعون يتيما فى حجر أمية بن خلف فكان يدفعه عن حقه فنزلت

١٩

{ وتأكلون التراث } اى الميراث واصله وراث قلبت واوه تاء والميراث هو المال المنتقل من الميت

{ اكلا لما } اللم الجمع يقال كتيبة ملمومة مجتمعة بعضها الى بعض والمعنى اكلا ذا لم على حذف المضاف وفيه اشارة الى الحلال والحرام فانهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون انصباءهم وفيه اشارة الى انه كان بينهم ميراث يتوارثونه من ابراهيم واسمعيل عليهما السلام لكنهم قد بدلوه كما بدلوا غيره من بعض الاحكام أو يأكلون ما جمع المورث من حلال وحرام مشتبه عالمين بذلك.

٢٠

{ وتحبون المال حبا جما } كثيرا مع حرص وشره ومنع حقوق وعدم انتفاع فان الجم الكثير يقال جم الماء فى الحوض اذا اجتمع فيه وكثر والمقصود ذمهم ببيان ان حرصهم على الدنيا فقط وانهم عادلون عن امر الآخرة وفيه اشارة الى ان حب المال طبيعى فلا يتخلص منه المرء بالكلية الا ان يكون من الاقوياء فكأنه اشار الى ان حبه اذا لم يشتد لا يكون مذموما وقال بعض الكبار وتحبون مال الاعمال السيئة النفسانية والاحوال القبيحة الهوآئية حبا كثيرا.

٢١

{ كلا } ردع لهم عما ذكر من الافعال والتروك والنكار أى لا ينبغى ان يكون الامر كذلك فى الحرص على الدنيا وقصر الهمة على تحصيلها وجمعها من حيث تهيأ من حل او حرام وترك المواساة منها وتوهم ان لا حساب ولا جزآء فان عاقبة ذلك الحسرة والندامة على ايثار الحياة الدنيوية الفانية على الحياة الاخروية الباقية

{ اذا دكت الارض دكا دكا } استئناف بطريق الوعيد تعليل للردع والدك الدق يقال دككت الشئ ادكه دكا اذا ضربته وكسرته حتى سويته بالارض وبالفارسية كوفتن جيزى تابزمين برابر كردد.

وقال الخليل الدك كسر الحائط والجبل ودكته الحمى دكا اى كسرته كسرا وقال المبرد الدك حط المرتفع بالبسط ودكا الثانى ليس تأكيد للاول بل هو دك آخر سوبالاول والمعنى اذا دكت الارض دكا متتابعا وضرب بعضها ببعض حتى انكسر وذهب كل ما على وجهها من جبال وابنية وقوصر حين زلزلت زلزلة بعد زلزلة وحركت تحريكا بعد تحريك وصارت هباء منبثا وهو عبارة عما عرض لها عند النفخة الثانية وبالفارسية جون شكسته شود زيمن شكستنى بعد از شكستنى يعنى بازه باره كردد.

٢٢

{ وجاء ربك } اى ظهرت آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان بنفسه من احكام هيبته وسياسته فانه عند حضوره يظهر ما لا يظهر بحضور وزرآئه وسائر خواصه وعساكره وقال الامام احمد جاء امره وقضاؤه على حذف المضاف للتهويل وفى التأويلات النجمية تجلى فى المظهر الجلالى القهرى

{ والملك } وبيايد فرشتكان بعرصة محشر

{ صفا صفا } اى حال كونهم مصطفين او ذوى صفوف فانه ينزل يومئذ ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف بحسب منازلهم ومراتبهم اصطفاف أهل الصلاة فى الدنيا من الانس والجن كما قال تعالى والملك على ارجائها فهم سبعة صفوف عدد السموات السبع.

٢٣

{ وجيئ يومئذ بجهنم } كقوله تعالى وبرزت الجحيم يعنى ان المجيئ بها عبارة عن اظهارها حتى يراها الخلق مع ثباتها فى مكانها فان من

المعلوم انها لا تنفك عن مكانها والباء للتعدية على ان جهنم قائم مقام الفاعل لجيئ وقال ابن مسعود رضى الله عنه ومقاتل تقاد جهنم بسبعين ألف زمام معه سبعون ألف ملك يجرونها حتى تنصب عن يسار العرش لها تغيظ وزفير يعنى دوزخ ازخشم كافران مى جوشدومى خروشد.

فتشرد شردة لو تركت لاحرقت أهل الجمع وجثوا كل نبى وولى من الهول والهيبة على ركبته ويقول نفسى نفسى حتى يعترض لها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويقول امتى امتى فتقول النار مالى ومالك يا محمد لقد حرم الله لحمك على فالمجيئ بها على حقيقته فان الجر يدل على انفكاكها عن مكانها وتأوله الاولون بحمله على التجوز بان معنى يجرون يباشرون اسباب ظهورها.

يقول الفقير لا حاجة الى الحمل على التجوز فان بعض الامكنة كالكعبة تزور بعض الخواص بالايجاد والاعدام اللذين هما اسراع شئ من طرفة العين فلا بعد فى ان يكون مجيئ جهنم منن هذا القبيل على الارض يومئذ اوسع شئ كما بين فيما سبق فهى تسع جهنم وأهل المحشر جميعا

وايضا المراد بمجيئ جهنم مجيئ صورتها المثالية ولا مناقشة فيه كمجيئ المسجد الاقصى الى مرأى النبي عليه الصلاة والسلام حين سأله قريش عن بعض اوصافه قى قصة المعراج

{ يومئذ } بدل من اذا دكت والعامل فيها قوله تعالى

{ يتذكر الانسان } اى يتذكر ما فرط فيه بتفاصيله بمشاهدة آثاره واحكامه او بمعاينة عينه على ان الاعمال تنجسم فى النشأة الآخرة فيبرز كل من الحسنات والسيئات بما يناسبها من الصور الحسنة والقبيحة او يتعظ اى يقبل التذكير والارشاد الذى بلغ اليه فى الدنيا ولم يتعظ ولم يقبله فى الدنيا فيتعظ به فى الآخرة فيقول يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا وهذا الاتعاظ يستلزم الندم على تقصيراته والندم توبة لكن لا توبة هناك لفوت الوقت قال القاشانى يوم يتذكر الانسان خلاف ما اعتقده فى الدنيا وصار هيئة فى نفسه من مقتضيات فطرته فان ظهور البارئ بصفة القهر والملائكة بصفة التعذيب لا يكون الا لمن اعتقد خلاف ما ظهر عليه بما هو فى نفس الامر كالمنكر والنكير

{ وأنى الذى } اعتراض جيئ به لتحقيق انه ليس يتذكر حقيقة امرآئه عن الجدوى بعدم وقوعه فى اوانه وأنى خبر مقدم للذكرى وله متعلق بما تعلق به الخبر أى ومن اين يكون له الذكرى وقد فات أوانها

وقيل هناك محذوف واللام للنفع اى انى له منفعة الذكرى وبه يرتفع التناقض الواقع بين اثبات التذكر اولا ونفيه ثم انه تعالى لما نفى كون هذه الذكرى والتوبة نافعة لهبقوله وأنى له الذكرى علمنا انه لا يجب قبول التوبة كام ذهب اليه المغزلة وفى الارشاد والاستدلال به على عدم وجواب قبول التوبة فى دار التكليف يعنى عقلا كما تزعم المعتزلة مما لا وجه له على ان تذكره ليس من التوبة فى دار التكيف يعنى عقلا كام تزعم المعتزلة مما لا وجه له على ان تذكرة ليس من التوبة فى شئ فانه عالم بانها انما تكون فى الدنيا كما يعرب عنه قوله تعالى

٢٤

{ يقول يا } أيها الحاضرون

{ ليتنى } كاشكى من

{ قدمت لحياتى } وهو بدل اشتمال من يتذكر أو استئناف وقع

جوابا عن سؤال نشأ عنه كأنه قيل ماذا يقول عند تذكره فقيل يقول يا

ليتنى علمت لاجل حياتى هذه يعنى لتحصيل الحياة الاخروية التى هى

حياة نافعة دآئمة غير منقطعة اعمالا صالحة انتفع بها اليوم او وقت حياتى

على ان اللام بمعنى فى للتوقيت ويجوز أن يكونالمعنى قدمت عملا ينجينى

من العذاب فأكون من الاحياء قال تعالى لا يموت فيها ولا يحيي.

واعلم ان أهل الحق لا يسلبون الاختيار بالكلية وليس فى هذا

التمنى شائبة دلالة على استقلال العبد بفعله كما يزعمه المعتزلة وانما الذى

يدل عليه ذلك اعتقاد كونه متمكنا من تقديم الاعمال الصالحة

واما ان ذلك بمحض قدرته او بخلق الله عند صرف قدرته الكاسية

اليه فلا

واما ما قيل من ان الحجور قد يتمنى ان كان ممكناه منه وموفقا له فربما يوهم ان من صرف قدرته الى احمد طرفى الفعل يعتقد انه محجور من الطرف الآخر وليس كذلك لكل احد جازم بأنه لو صرف قدرته الى اى طرف كان من افعاله الاختيارية لحصل وعلى هذا يدور فلك التكليف والزام الحجة.

٢٥

{ فيومئذ } اى يوم اذ يكون ما ذكر من الاحوال والاقوال { لا يعذب عذابه احد }

٢٦

{ ولا يوثق وثاقه احد } الهاء راجع الى الله تعالى والعذاب بمعنى التعذيب كالسلام بمعنى التسليم وكذا الوثاق بالفتح بمعنى الايتاق وهو الشد بالوثاق وهو ما يشد به من الحديد والحبل والايثاق بالفارسية بند كردن يعنى بسلاسل واغلال واسير كرد دران.

والمعنى لا يتولى عذاب الله ووثاقه احد سواه اذ الامر كله لله فلا يلزم ان يكون يوم القيامة معذب سوى الله لكنه لا يعذب احد مثل ذابه وفى عين المعانى لا يعذب كعذاب الله فى الآخرة احد فى الدنيا ويجوز أن يكون الهاء للانسان اى لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقرأهما الكسائى ويعقوب على بناء المفعول وفى الكشاف هى قرآءة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وعن ابى عمرو أنه رجع اليه فى آخر عمره اى لا يعذب مثل عذاب الانسان أحد وظاهره يقتضى ان يكون عذابه اشد من عذاب ابليس الا ان يكون المراد احد من هذا الجنس كعصاة المؤمنين نسأل الله السلامة والعافية فى الدارين.

٢٧

{ يا ايتها النفس المطمئنة } لما ذكر شقاوة النفس الامارة شرع فى بيان سعادة النفس المطمئنة والاطمئنان السكون بعد الانزعاج وسكون النفس انما هو بالوصول الى غاية الغايات فى اليقين والمعرفة والشهود وفى قوله تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب تنبيه على انه بمعرفته تعالى والاكثار

من عبادته يكتب اطمئنان النفس واذا وصلت الى مقام الاطمئنان بذكر الله صار صاحبها فى مقام التلوين فى التمكين آمنا من الرجوع الى الاحكام الطبيعية والآثار البشرية فان الفانى لا يرد الى اوصافه فمن كان متمكنا فى مقام الترقى تخلص من التنزل الى مقام النفس الامارة وفى التعريفات النفس المطمئنة هى التى تنورت بنور القلب حتى تخلت عن صفاتها الذميمة وتحلت بالاخلاق الحميدة(وقال الكاشفى) اى نفس آرام كرفته بذكر من كه شاكر بودى در نعمت وصبر نمودى درمحنت . والمعنى ان الله تعالى يقول بالذات للمؤمن اكراما له كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام او على لسان الملك وذلك عند تمام الحساب يا ايتها النفس المطمئنة.

٢٨

{ ارجعى الى ربك } اى الى ما وعد لك من الكرامة والزلفى فكونه تعالى منتهى الغاية انما هو بهذا الاعتبار فسقط تمسك المجسمة واستدل بالرجوع الذى هو العود على تقدم الروح خلقا

{ راضية } بما اوتيت من النعيم المقيم

{ مرضية } عند الله.

٢٩

{ فادخلى فى عبادى } فى زمرة عبادى الصالحين المختصين بى.

٣٠

{ وادخلى جنتى } معهم كقوله تعالى وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين فالدخول فى زمرة الخواص هى السعادة الروحانية والدخول معهم فى الجنات ودرجاتها هى السعادة الجسمانية

وقيل المراد بالنفس الروح والمعنى فادخلى فى اجساد عبادى التى فارقت عنها وادخلى دار ثوابى وهذا يؤيد قول من قال ان الخطاب عند البعث وذهب بعضهم الى انه عند الموت.

كما روى ان ابا بكر رضى الله عنه سأل عن ذلك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال (ان الملك سيقولها لك يا ابا بكر عند موتك

) وقال الحسن اذا اراد الله قبضها اطمأنت الى الله ورضيت عن الله ورضى الله عنها وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما اذا توفى العبد المؤمن ارسل الله ملكين وارسل اليه بتحفة من الجنة فيقال لها اخرجى أيتها النفس المطمئنة اخرجى الى روح وريحان ورب عنك راض فتخرج كأطيب ريح مسك وجده أحد فى أنفه والملك على ارجاء السماء يقولون قد جاء من الارض روح طيبة ونسمة طيبة فلا تمر بباب الا فتح ولا بملك الا صلى عليها حتى يؤتى بها الى الرحمن اى الى حضوره ومقام مخصوص من مقامات كراماته فتسجد ثم ثيقال لميكائيل اذهب بهذه فاجعلها مع انفس المؤمنين ثم يؤمر فيوسع عليه قبره سبعون ذراعا عرضه وسبعون ذراعا طوله وينبذ له فيه الريحان فان كان معه شئ من القرءآن كفاه نوره وان لم يكن جعل له نور مثل نور الشمس فى قبره فيكون مثله مث العروس ينام فلا يوقظه الا أحب أهله واذا توفى الكافر ارسل الله اليه ملكين وارسل اليه قطعة بجاد أنتن من كل منتن وأخشن من كل خشن فيقال أيتها النفس الخبيثة اخرجى الى جهنم عذاب أليم ورب عليك غضبان وقال سعيد بن

جبير رحمه الله مات ابن عباس رضى الله عنهما بالطائف فشهدت جنازته فجاه طائر لم ير مثله على خلقته فدخل نعشه ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر لا يرى من تلاها يا أيتها النفس المطمئنة ودل قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها ان من النفوس الطيبة من يتولى الله قبضها بنفسه فيا طوبى لها وقال بعض اهل الاشارة يا أيتها النفس المطمئنة الى الدنيا ارجعى الى الله بتركها وبسلوك سبيل الآخرة فادخلى فى عبادى الاخروية وادخلى جنتى الصورية والمعنوية

اى باز هواكرفته باز آى ومرو ... كزرشته توسرى در انكشت منست

وقال القاشانى يا أيتها النفس المطمئنة التى نزلت عليها السكينة وتنورت بنور اليقين فاطمأنت الى الله من الاضطراب ارجعى الى ربك فى حال الرضى اى اذا تم لك كمال الصفات لا تسكنى اليه وارجعى الى الذات فى حال الرضى الذى هو كمال مقام الصفات والرضى عن الله لا يكون الا بعد رضى الله عنها كما قال رضى الله عنهمورضوا عنه فادخلى

فى زمرة عبادى المخصوصين بى من أهل التوحيد الذاتى وادخلى جنتى المخصوصة بى اى جنة الذات وفى التأويلات النجمية ارجعى الى ربك بالفناء فيه بعد قطع المنازل والمقامات راضية من نتائج الصلوك الى الله والسير فى الله مرضية عند الله بالبأسى خلعة البقاء عليها فادخلى فى عبادى الباقين فى وبصفاتى وادخلى جنة ذاتى لفنائك عن ذاتك وانانيتك.

سُورَةُ الْبَلَدِ مَكِّيَّةٌ

وَهِيَ عِشْرُونَ آيَةً

١

{ ولا اقسم بهذا البلد } اى اقسم بالبلد الحرام الذى هو مكة فكلمة لا صلة دل عليه ان الله اقسم بالبلد الامين فى سورة التين وبالفارسية سوكند ميخورم . بمكه وفى كشف الاسرار لا لتأكيد القسم كقوله العرب لا والله ما فعلت كذا لا والله لافعلن كذا والبلد المكان

والمحدود المتأثر باجتماع قطانه واقامتهم فيه وجمعه بلاد وبلدان ثم ان الله تعالى اقسم بمكة لفضلها فانه جعلها حرما آمنا ومسقط رأس النبي عليه السلام وحرم ابيه ابراهيم ومنشأ ابيه اسماعيل عليهما السلام وجعل البيت قبلة لاهل الشرق والغرب وحج البيت كفارة لذنوب العمر وجعل البيت المعمور فى السماء بازآئه.

٢

{ وانت حل بهذا البيلد } حال من المقسم به وانت خطاب للنبي عليه السلام . كفته اندر قرآن جهار هزار تام وى برد وذكروى كرد بعضى بتعريض وبعضى بتصريح . والحل بمعنى الحال من الحلول وهو النزل الى والحال انك يا محمد حال فى مكة نازل بها قيد اقسامه تعالى بمكة بحلول عليه السلام فيها اظهار لمزيد فضلها فانها بعد ان كانت شريفة بنفسها زاد شرفها بحلول النبي العظيم الشريف فيها فما لا شرف فيه يحصل له شرف بشرف المكين وما فيه شرف ذاتى يحصل له بشرف شرف زآئد فمحل قدمى النبي عليه السلام كمكة والمدينة وغيرهما ينبغى ان يحافظ

على حرمته وقد سمى عليه السلام المدينة طابة لانها طابت به وبمكانه وفيه تعريض لاهل مكة بانهم لجهلهم يرون ان يخرجوا منها من به مزيد شرفها ويؤذوه.

اى كعبه را زيمن قدوم توصد شرف ... وى مرده را زمقدم باك توصد صفا

بطحا زنور طلعت تو يافته فروغ ... يثرب زخاك تو با رونق ونوا

٣

{ ووالد } وزاينده عظف على هذا البلد والمراد به ابراهيم عليه السلام والتنكير للتفخيم

{ وما ولد } وآنجه زاده است . وهو اسماعيل عليه السلام فانه ولده بلا واسطة ومحمد عليه السلام فانه ولده بواسطة اسماعيل فتتضمن السورة القسم بالنبى عليه السلام فى موضعين وايثار ما على من لمعنى التعجب مما اعطاه الله من الكمال كما فى قوله والله اعلم بما

وضعت اى وأى شئ وضعت يعنى موضعا عجيب الشأن وهو مريم او الوالد آدم عليه السلام وما ولد ذريته وهو الانسب لمضمون الجواب فالتفخيم المستفاد من كلمة ما لا بد فيه من اعتبار التغليب اى فهو من باب وصف الكل بوصف البعض او للتعجيب من الامر الذى يشترك فيه الكل كالنطق والبيان والصورة البديعة وغيرها

وقيل الوالد هو النبي عليه السلام وما ولد أمته المرحومة لقوله عليه السلام (انما انا لكم مثل الوالد أعلمكم امر دينكم) ولقوله عليه السلام لعلى رضى الله عنه (أنا وأنت ابوا هذه الامة) والى هذا اشار بقوله عليه السلام (كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة الا سببى ونسبي وهو سبب الدين ونسب التقوى) وقد سمى الله النبعليه السلام أبا للمؤمنين حيث قال النبي (اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجهم أمهاتهم) وفى بعض القرآت وهو أب لهم فان امومية الازواج المطهرة تقتضى ابوته عليه السلام اذ كل من كان سببا لايجاد شئ واصلاحه او ظهوره يسمى ابا وقد قال عليه السلام (انا من الله والمؤمنون من فيض نورى

) وصرح تعالى بفضيلة هذه الامة حيث قال وكذلك جعلناكم أمة وسطا

ولذا عظمهم بالاقسام بهم وفيه اشارة الى ابراهيم الروح الوالد واسمعيل السر

المولود منه او آدم الروح وابراهيم السر او الى روح القدس الذى هو الاب

الحقيقى للنفوس الانسانية كقوله عليه السلام (انى ذاهب الى ابى وابيكم

السماوى) وقوله (تشبهوا بأبيكم السماوى) فالمراد بما ولد هوالنفس التى

ولدها هو فكانه قيل واقسم بروح القدس والنفس الناطقة.

٤

{ لقد خلقنا الانسان فى كبد } جواب للقسم يقال كبد الرجل

كبد اذا وجعت كبده فانتفخت وأصله كبده اذا اصاب كيده كذكرته اذا

قطعت ذكره ورأيته اذا قطعت رئته ثم اتسع فيه حتى استعمل فى كل نصب

ومشقة ومنه اشتقت المكابدة بمعنى مقاساة الشدة وفى كبد حال من

الانسان بمعنى مكابدا وحرف فى واللام متقاربان تقول انما أنت للعناء

والنصب وانما أنت فى العناء والنصب ووجه آخرن أقوله فى كيد يدل على

ان الكبد قد احاط به احاطة الظرف بالمظروف والمعنى لقد خلقنا الانسان

فى تعب ومشقة فانه مع كونه اضعف الخلق لا يزال يقاسى فنون الشدآئد مبدأها ظلمة الرحم ومضيقة ومنتهاه الموت وما بعده فابن آدميكابد من البلايا مالا يكابده غيرهيعنى ان الكبد يتناول شدآئد الدنيا من قطع سرته والنفافة بخرقة محبوس الاعضاء ومكابدة الختان وأوجاعه ومكابدة المعلم وصولته والاستاذ وهيبته ثم مكابدة شغل التزوج وشغل الاولاد والخدم وشغل المسكن ثم الكبر والهرم من جملة مصائب كثيرة لا يمكن تعدادها كالصداع ووجع الاضراس ورمد العين وهم الدين ونحو ذلك ويتناول ايضا شدآئد التكاليف كالشكر على السرآء والصبر على الضرآء والمكابدة فى أدآء العبادات كالصوم والصلاة والزكاة والحج والجهاد ثم بعد ذلك يقاسى شدة الموت وسؤال الملك وظلمة القبر ثم البعث والعرض على الملك المحاسب الى ان يصل الى موضع الاستقار اما فى الجنة

واما فى النار كما قال لتركبن طبعا عن طبق قال الامام ليس فى الدنيا لذة البتة بل ذلك الذى يظن انه لذة فهو خلاص من الألم فاللذة عند الاكل هى الخلاص من ألم الجوع وعند اللبس هى الخلاص الألم فاللذة

عند الاكل هى الخلاص من ألم الجوع وعند اللبس هى الخلاص من لم الحر والبرد فليس للانسان الا ألم او خلاص من ألم وفيه تسلية لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم مما كان يكابده من كفار قريش واشارة الى ان الانسان المقيد بقيد التعين الوجودى خلق فى تعب التعين والتقييد وفيه حرمان من المطلق ونوره فان المقيد بقيد التعين معذب بحرمان المطلق وقال القاشانى لقد خلقنا الانسان فى مكابدة ومشقة من نفسه وهواه او مرض باطن وفساد قلب وغلظ حجاب اذا الكبد فى اللغة غلظ الكبد الذى هو مبدأ القوة الطبيعية وفساده وحجاب القلب وفساده من هذه القوة فاستعير غلظ اكبد لغلظ حجاب القلب ومرض الجهل.

٥

{ أيحسب } ايامى بندارد . والضمير لبعض صناديد قريش الذين كان عليه السلام يكابد منهم اكثر مما يكابد من غيرهم كالوليد بن المغيرة واضرابه

{ ان لن يقدر عليه احد } ان مخففة من الثقيلة سادة مع اسمها مسد مفعولى الحسبان اى يحسب ان الامر والشأن لن يقدر على انتقام منه احد فحسبانه الناشئ عن غلظ الحجاب ومرض القلب فاسد لان الله الاحد يقدر عليه وهو عزيز ذو انتقام.

٦

{ يقول } ذلك الظان على سبيل الرعونة والخيلاء

{ اهلكت } انفقت كقول العرب خسرت عليه كذا اذا انفق عليه

{ مالا لبدا } اى كثيرا متلبدا من تلبد الشئ اذا اجتمع يريد كثرة ما انفقه سمعة ومفاخرة وكان اهل الجاهلية يسمون مثل ذلك مكارم ويدعونه معالى ومفاخر وفى لفظ الاهلاك اشارة الى انه ضائع فى الحقيقة اذ لا ينتفع به صاحبه فى الآخرة كما قالت عائشة رضى الله عنها فى حق عبد الله ابن جدعان كان فى الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل

ذلك نافعه يا رسول الله فقال عليه السلام (لا ينفعه لانه لم يقل يوما رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين)

٧

{ أيحسب } ذلك الاحمق المباهى

{ ان } اى ان الشأن

{ لم يره احد } حين كان ينفق وانه تعالى لا يسأله عنه ولا يجازيه عليه يعنى ان الله رآه واطلع على خبث نيته وفساد سريرته وانه مجازيه عليه فمثل ذلك الانفاق وهو ما كان يطريق المباهاة رذيلة فكيف بعده الجاهل فضيلة وفى الحديث (لا تزول قدما العبد يوم القيامة حتى يسأل عن اربع عن عمره فيم افناه وعن ماله من اين كسبه وفيم انفقه وعن عمله ماذا عمل وعن حبه أهل البيت)

٨

{ ألم نجعل له عينين } يبصر بهما عالم الملك من الارض الى
السماء حتى يشاهد بهما فى طرفة عين النجوم العلوية التى بينه وبينها عدة
آلاف سنة ويفرق بها بين ما يضر وما ينفع وبهما يحصل شرف النظر الى
وجه العالم والى المصحف والى الشواهد قال فى أسئلة الحكم العين نحرس
البدن من الآفات وهى نيرة كالمرءآة اذ قابلها شئ ارتسمت صورته فيها
مع صغر الناظر وهو الحدقة التى هى شحمة وجعل الله العين سريعة الحركة
وجعل لها اجفانا تسترها واهدابا من الشعر كجناح الطائر تطرد بانضمامها
وبانفتاحها الذباب والهوام عن العين وجل العين فى الرأس لان السراج
يوضع على رأس المنار وجعلها ثنتين كالشمس والقمر فانهما عينا التعين
الدنيوى وجعل فوقهما حاجبين اسودين لئلا يتضرر البصر بالضياء ولان
الذى ينظر فى السواد يقوى البصر ولما بنى ذو الرنين الاسكندرية رخمها
بالرخام الابيض جدرها وارضها فكان لباسهم فيها السواد من نصوع بياض
الرخام فمن ذلك لبيس الرهبان السواد فان النظر الى الابيض يفرق البصر
ويضعفه ولذا قال عليه السلام فى الأمد (انه يقوى البصر) وجعل الحدقة

محركة فى مكانها لتتحرك الى الجهات يمنة ويسرة فيبصر بها من غير أن يلوى عنقه وجعل الناظرين جميعا على خط مستقيم عرضا ولم يقع واحد منهما اعلى والا اخفض ليجتمع الناظران على شئ واحد لئلا يترا أى له الشخص الواحد شخصين وفى العينين اشارة الى العين الظاهرة والعين الباطنة فينبغى ان يحافظ على كلتيهما فان نظر عينين اتم من نظر عين واحده.

٩

{ ولسانا } يترجم به عن ضمائره وبه تنعقد المعاملات وتحصل الشهادات ويدرك الطعوم من الحلو والمر ولو يكن اللسان لاحتاج الانسان الى الاشارة او الكتابة فتعسر امره وانما تعدد العين والاذن وتفرد اللسان لان حاجة الانسان الى السمع والبصر اكثر من حاجته الى الكلام وفيه تنبيه ايضا على ان يقل من الكلام الا فى الخير وان لا يتكلم فيما لا فائدة فيه وهو السر فى ان الله تعالى جعل اللسان داخل الفم وجعل دونه الشفتين اللتين لا يمكن الكلام الا بفتحهما ليستعين العبد باطباق شفتيه على رد

الكلام وقد حكه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه كان يجعل فى فمه حجر ليمتنع من الكلام فيما لا يعنيه وفيه اشارة الى لسان القلب فانه يتكلم به بالمفاوضة القلبية وقد ابطله كما أبطل العين الباطنة وأفسد استعداد التكلم الباطنى القلبى

{ وشفتين } يستر بهما فاه اذا اراد السكوت ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب والنفخ قال السجاوندى خص الشفة لخروج اكثر الحروف منها وفى الدعاء الحمد لله الذى جعلنا ننطق بلحم ونبصر بشحم ونسمع بعظم

قال بعضهم اسبل الصانع الحكيم امام الفم سترا من الشفة ذا طرفين بضمهما ما عند الحاجة ويمتص بهما المشروب وجعل الشارب محيطا من العليا ليمنع ما على وجه الشراب من القش والقذى ان يدخل حالة الشر وفى الحديث ان الله يقول

ابن آدم ان نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد اعنتك بطبقتين فاطبق وان نازعك بصرك الى بعض ما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق وان نازعك فرجك الى ما حرمت عليه فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق وفى الخبر الفرج امانة والاذن امانة واليد امانة والرجل امانة والايمان لمن لا امانة له اورا كويند ما دوديده بتوسبرديم باك تو بنظر هاى ناباك ملطخ كردمى تا آثار تقديس ازوى برخاست وخبيث شدا كنون مبخواهى كه ديدار مقدس ما بنظر خويش بينى هيها مابا كيم وباكانوا باك شايد الطيبات للطيبين دون سمع داديم تراتا ازان دوخزانه سازى ودرهاى آثار وحى دروتعبيه كنى وامر وزبازسبارى تواترا محال دروغ شنيدن ساختى وهكذر اصواب خبيثه كردى ونداء مابا كست جز سمع باك نشنود امروز بكدام كوش حديث ما خواهى شنيد زبانى داديم تراتا بامار از كويى در خلوت وقرآن خواتى در عبادت وصدق دروى فروارى وبادوستان ما سخن كويى توخود زبانرا بسلط غيبت ساختى وروز نامه جدل وديوان خصومت كردى توامروز بكدام زبان حديث ما خواهى كرد

زبان آمد از بهر شكر وسباس ... بغيبت نكرد اندش حق شناس

كذركاه قرآن وبندست كوش ... به بهتان وباطل شنيدن كوش

دوجشم ازبى صنع بارى نكوست ... زعيب برادر فروكير ودوست

وفيه اشارة الى شفتى لسان القلب ولسان الرأس.

١٠

{ وهديناه النجدين } معطوف على ألم نجعل لانه فى التقدير مثبت اى جعلنا له ذلك وهديناه طريقى الخير والشرك كما قال عليه السلام (هما النجدان نجد الخير ونجد الشرى فلا يكن نجد الشر أحب اليكم من نجد الخيرأ وطريقى الثديين لانهما طريقان مرتفعان لنزول اللبن سببان لحياة المولود وتمكين مولود عاجز من رضاع امه عقيب الولادة قدرة عليه ونعمه جلية)

نه طفل زبان بسته بودى زلاف ... همى روزى آمد بجوفت زناف

جونافش بريدند وروزى كسست ... به بستان مادر در آويخت

دست

واصل النجد المكان المرتفع جعل الخير بمنزلة مكان مرتفع بخلاف الشرفانه يستلزم الانحطاط عن ذروة الفطرة الى حضيض الشقاوة فكان استعمال النجدين بطريق التغلب او لان فعل الشر بالنسةب الى قوته فى الواهمة مصور بصورة المكان المرتفع ولذا استعمل الترقى فى الوصول الى كل شئ وتكميله وقال ابن الشيخ لما وضحت الدلالة الدالة على الخير والشر صارتا كالطريقين المرتفعين بسبب كونهما واضحين للعقول كوضوح الطريق العالى للابصار وفيه اشارة الى نجد الروح ونجد القلب فابطلهما بغلبة النفس على الروح وغلبة الهوى على القلب.

١١

{ فلا أقتحم العقبة } الاقتحام الدخول فى امر شديد ومجاوزته بصعوبة وفى القاموس قحم فى الامر كنصر قحوما رمى بنفسه فيه فجأة

بلا روية والعقبة الطريق الوعر فى الجبل فلم يشكر تلك النعم الجليلة بالاعمال الصالحة وعبر عنها بالعقبة لصعوبة سلوكها.

١٢

{ وما ادراك ما العقبة } اى اى شئ اعلمك يا محمد ما قتحام العقبة فان المراد ليس العقبة الصورية واقتحامها.

١٣

{ فك رقبة } الفك الفرق بين الشيئين بازالة احدهما عن الآخر كفك القيد والغل وفك الرقبة الفرق ينها وبين سفة الرق بايجاب الحرية والرقبة اسم العضو المخصوص ثم يعبر بها عن الجملة وجعل فى التعارف اسما للمماليك كما عبر بالرأس والظهر عن المركوب فقيل فلان يربط كذا رأسا وكذا ظهرا والمعنى هو أى اقتحام العقبة اعتاق رقبة فالفك ليس تفسيرا لنفس العقبة بل لاقتحامها بتقدير المضاف وذلك لان العقبة عين والفك فعل فلا يكون تفسيرا للآخر ثم فك الرقبة قد يكون بان ينفرد

الرجل فى عتق الرقبة وقد يكون بان يعطى مكاتبه ما يصرفه الى جهة

فكاك رقبته وبان يعين فى تخليص نفس من قود أو غرم فهذا كله يعم الفك

دون الاعتاق ويحتمل ان يكون المراد بفك الرقبة ان يفك المرء رقبة نفسه

من عذاب الله بان يشتغل بالاعمال الصالحة حتى يصير بها الى الجنة

ويتخلص من النار وهى الحرية الوسطى وان يفك رقبة القلب من اسر

النفس وقيد الهوى وتعلق السوى وهى الحرية الكبرى فيكون قوله او اطعام

الخ من قبيل التخصيص بعد التعميم اشارة الى مزيد فضل ذلك الخاص

بحيث خرج به من أن يتناول اللفظ السابق مع عمومه وقال بعضهم تقدم

العتق على الصدقة يدل على انه افضل منها كما هو مذهب ابى

حنيفة رحمه الله وفى الحديث (من فك رقبة فك الله بكل عضو منها عضوا

منه من النار) قال الراغب فك الانسان غيره من العذاب انما يحصل بعد

فك نفسه منه فان من لم يهتد ليس فى قوته ان يهدى وفك الرقبة من قبيل

فك النفس لانه من الاعمال الصالحة التى لها مدخل عظيم فى فكها.

١٤

{ او اطعام فى يوم ذى مسغبة } اى مجاعة لقحط او غلاء من سغب اذا جاع قال الراغب السغب الجوع مع التعب ومتربة قيد الاطعام بيوم المجاعة لان اخراج المال فى ذلك الوقت اثقل على النفس واوجب للاجر.

١٥

{ يتيما } مفعول اطعام { ذا مقربة } اى قرابة من قرب فى النسب قربا ومقربة وقال السجاوندى قرب قرابة او جوار انتهى قيد اليتيم بأن يكون بينه وبين المطعم قرابة نسبية لانه اجتمع فيه جهتا الاستحقاق اليتيم والقرابة فاطعامه افضل لاشتماله على الصدقة وصلة الرحم.

١٦

{ او مسكينا ذا متربة } اى افتقار من ترب بالكسر تربا بفتحتين ومتربا اذا افتقر كأنه لصق بالتراب من فقره وضره فليس فوقه ما يستره ولا تحته ما يوطئه ويفرشه

واما قولهم اترب فمعناه صار ذا مال كالتراب فى الكثرة

كما قيل اثرى وعن النبي عليه السلام فى قوله ذا متربة الذى مأواه المزابل

وقال ابن عباس رضى الله عنهما البعيد التربة يعنى الغريب (كما

قال الكاشفى) واين جنين كس عيال مند بود ياوام دار يابيمار بى

خواستار يا غريبي دور ازديار.

وفى الحديث (الساعى الى الارملة والمسكين كالساعى فى سبيل

الله وكالقائم لا يفتر والصائم لا يفطر) يقول الفقير خص الفك والاطعام

لصعوبة العمل بهما وجعل الاطعام لليتيم والمسكين لما ان ذلك يثقل على

النفس فقد ينفق المرء الوفا فى هواه كاطعام اهل الهوى وبناء الابنية الزائدة

ونحو ذلك ولا يستكثرها

واما الفقير واليتيم فلا يراهما بصره لهوانهما عنده وعلى تقدير الرؤية

فيصعب عليه اعطاء درهم او درهمين او اطعام لقمة او لقمتين

واحتج الشافعى رحمه الله بهذه الآية على ان المسكين قد يكون بحيث

يملك شيأ والالكال تقييده بقوله ذا متربة تكرارا وهو غير جائز وفيه بحث

لجواز أن يكون ذا متربة صفة كاشفة للمسكين وتكون الفائدة فى التوصيف بها التصريح بجهة الاحتياج ليتضح ان اطعام الاحوج افضل والتكرير الذى لا يجوز هو التكرير الخالى عن الفائدة وما نحن فيه ليس من هذا القبيل وفيه اشارة الى يتيم القلب المغلوب فى يد النفس والهوى ومسكين السير الملل تحت قهر النفس وعزتها وفى الارشاد وحيث كان المراد باقتحام العقبة هذه الامور حسن دخول لا على الماضى وليس بشرط اذ قد يكون بمعنى لم فكأنه قيل فلم يقتحم العقبة.

١٧

{ ثم كان } بس باشد اين آزاد كننده وطعام دهنده

{ من الذين آمنوا } عطف على المنفى بلا وثم للدلالة على تراخى رتبة الايمان عن العتق والصدقة ورفعة محله لاشتراط جميع الاعمال الصالحة به والا فهو فى الزمان مقدم على الطاعات والصدقة ورفعة محله لاشتراط جميع الاعمال الصالحة به والا فهو فى الزمان مقدم على

الطاعات والمعنى ان الانفاق على هذا الوجه هو الاتفاق المرضى النافع عند الله لا ان يهلك ما لا لبدا فى الرياء والفخار فيكون مثله كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم وفى ذكر العقبة اشارة الى ان عقبة الآخرة لا يجوزها الا من كان محقا على المحاسبى تلك عقبة لا يجوزها الا من خمص بطنه عن الحرام والشبهات وتناول مقدار بقاء المهجة وقال القاسم العقبة نفسك الا ترى الى قوله فك رقبة فانه ان تعتق نفسك من رق الخلق وتشغلها بعبودية ربك

{ وتواصوا بالصبر } عطف على آمنوا اى اوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله وعن المعاصى وفى المصائب

{ وتواصوا بالمرحمة } مصدر بمعنى الرحمة اى اوصى بعضهم بعضا بالرحمة على عباد الله او بموجبات رحمته تعالى من الخيرات على حذف المضاف او ذكر المسبب وارادة السبب تنبيها على كماله فى السببية والرحمة بهذا المعنى اعم من الرحمة بالمعنى الاول وهى الشفقة لمن يستحقها من العباد يتيما او فقيرا او نحو ذلك وفى الحديث (لا يرحم الله من لا يرحم

الناس) فقوله وتواصوا بالصبر اشارة الى التعظيم لامر الله وقوله وتواصوا بالمرحمة اشارة الى الشفقة على خلق الله والى التكميل بعد الكمال فان الايمان كمال فى نفسه وكذا الصبر والمرحمة وغيرهما من الاعمال الصالحة والتواصى من باب تكميل الغير

قال بعضهم الاطعام خصوصا وقت شدة الحاجة افضل انواع العفة والايمان اجل انواع الحكمة وهو الايمان اجل انواع الحكمة وهو الايمان العلمى اليقينى وجاء فيه بلفظ ثم لبعد رتبته عن الفضيلة الاولى فى الارتفاع والعلو لكونه الاساس والصبر على الشدائد من اعظم انواع شجاعة وأخره عن الايمان لامتناع حصول فضيلة الشجاعة بدون اليقين والتراحم والتعاطف من افضل انواع العدالة.

١٨

{ اولئك } الموصوفون بالنعوت الجليلة المذكورة وفى اسم الاشارة دلة على حضورهم عند الله فى مقام كرامته وعلو رتبتهم وبعد درجتهم

{ اصحاب الميمنة } اى اليمين وهم الذين يعطون كتبهم بايمانهم ويسلك بهم من طريق اليمين الى الجنة او اصحاب اليمين والخير والسعادة لان الصلحاء ميامين على انفسهم بطاعتهم وعلى غيرهم ايضا او اصحاب اليد اليمنى.

١٩

{ والذين كفروا بآياتنا } بما نصبناه دليلا على الحق من كتاب وحجة او بالقرءآن

{ هم } فى ضمير الغالب دلالة على سقوطهم عن شرف الحضور وانهم احقاء بالاخفاء

{ اصحاب المشأمة } اى الشمال وهم الذين يعطون كتبهم بشمائلهم ومن ورآء ظهورهم ويسلك بهم شمالا الى الناراو اصحاب السؤم والشر والشقاوة لان الفساق مشائيم على انفسهم بمعصيتهم وعلى غيرهم

ايضا ويجب التوسل بالصلحاء والاجتناب عن الفسقاء او اصحاب اليد اليسرى.

٢٠

{ عليهم } خبر مقدم لقوله

{ نار مؤصدة } اى نار أبوابها مغلقة فلا يفتح لهم باب فلا يخرج منها غم ولا يدخل فيها روح ابدا الآباد الا انها جعلت صفة للنار اشعارا باحاطتهم فاصل التركيب مؤصدة الابواب فلام تركت الاضافة عاد التنوين اليها لانهما يتعاقبان من اوصدت الباب من المعتل الفاء وآصدته بالمد من المهموز مثل آمن اذا اطبقته واغلته واحكمته فمن قرأها مؤصدة بالهمزة جعلها اسم مفعول من آصدت ومن لم يهمزها اخذها من اوصدت مثل اوعد فهو موعد وذلك موعد ويحتمل ان يكون من آصد مثل آمن لكنه قلبت همزته الساكنة واو الضمة ما قبلها للتخفيف وكان ابو بكر بن عباس روى عاصم يكره الهمزة فى هذا الحرف ويقول لنا امام يهمز مؤصدة

فاشتهى ان اسد أذنى اذا سمعته وكانه لم يحفظه عن شيخه الا بترك الهمز وقد حفظه حفص بالهمزة وهو اضبط للحرف من ابى بكر على ما نقله القرآء وان كان ابو بكر اكبر وأتقن وأوثق عند اهل الحديث وفيها اشارة الى ان نار الحجاب والخذلان والخسران مؤصدة على نفس الامارة.

سُورَةُ الشَّمْسِ مَكِّيَّةٌ

وَهِيَ خَمْسَ عَشَرَةَ آيَةً

١

{ والشمس } سوكند ميخورم بآفتاب

{ وضحاها } اى ضوئها اذا طلعت وقام سلطانها وانبسط نورها يعنى سوكند بتايش وى جون بلند كردد وبموضع جاشت رسد.

يقال وقت الضحى اى وقت اشراق الضوء فالضحى والضحوة مشتقان من الضح وهو نور الشمس المنبسط على وجه الارض المضاد

للظل وفيه اشارة الى الاقسام بشمس الروح وضوئها المنتشر فى البدن الساطع على النفس.

٢

{ والقمر اذا تلاها } من التلو بمعنى التبع اى اذا تبعها بان طلع بعد عروبها آخذا من نورها وذلك فى لاصف لاول من الشهر قال الراغب تلاه تبعه متابعة ليس بينهما ما ليس منهما وذلك يكون تارة بالجسم وتارة بالاقتدآء فى الحكم ومصدره تلو وتلو وتارة بالقرءآن وتدبر المعنى ومصدره تلاوة ثم قال قوله والقمر اذا تلاها فانما يراد به ههنا الاتباع على سبيل الاقتدآء والمرتبة وذلك انه فيما قيل ان القمر يقتبس النور من الشمس وهولها بمنزلة الخليقة قيل وعلى هذا قوله وجعل الشمس ضياء والقمر نورا والضياء على مرتبة من النور اذ كل ضياء نور دون العكس وفيه اشارة الى قمر القلب اذ تلا الروح فى التور بها واقباله نحوها واستضاءته بنورها ولم يتبع النفس فيخسف بظلمتها قال شيخى وسندى روح الله روحه فى كتاب الملائحات البرقيات له ان الشمس آية للحقيقة الالهية الكمالية

الا كملية واشارة الهيا والقمر آية للحقيقة الانسانية الكمالية الاكمية

واشارة اليها فكما ان القمر منذ خلقه الله الى ليوم القيامة كان مجلى

ومظهر التجلى نور الشمس وظهوره فى الليل حتى يهتدى به ارباب الليل

فى الظلمات الليلة فى سيرهم وسلوكهم فى طرق مقاصدهم فكذلك الحقيقة

الانسانية الكمالية الاكمية منذ خلقها الله الى ابد الآبدين كانت مجلى

ومظهرا لتجلى نور الحقيقة الالهية الكمالية الاكملية وظهوره فى الكون

حتى يهتدى به ارباب الكون فى ظلمات الكون عند سلوكهم وسيرهم فى

العوام والاطوار الكونية نزولا عند السر الى عالم الامكان وعروجا عند

السلوك على عالم الوجوب فكما ان القمر يفنى من نوره ونفسه بالنمام فى

نور الشمس ونفسها بحيث لا يبقى اثر من نوره ونفسه عند المقارنة

والمواصلة الحاصلة بينهما بالتوجه الشمس القابض والاقبال الجاذب عليه

ويبقى مع نوره ونفسه اى جرمه بالكمال وبنور الشمس ونفسها بحيث لا

يفنى شئ من نوره ونفسه عند المقابلة الكاملة الحاصلة بينهما بالارسال

الى نفسه والبسط الى نوره مرارا وكرارا دآئما وباقيا الى يوم القيامة فكذلك

الحقيقة الانسانية الكمالية الاكملية تفنى من نورها وتعينها فى نور الحقيقة الالهية الكمالية الاكملية وتعينها بالتمام بحيث لا يبقى لها اتر ما اصلا عند الوصلة الالهية الحاصلة فى مرتبة لذات الاحدية الجمعية المطلقة بالقبض والجذب من نورها وتعينها الى نورها وتعينها الازلى الابدى السرمدى وتبقى مع نورها وتعينها بنورها بحيث لا يفنى منها اثر أصلا عند الفرقة الكونية الحاصلة فى مرتبة المظهرية الكثرتية الفرقية المقيدة بالبسط والارسال الى نورها وتعينها مرارا وكرارا ابدا سرمدا وعند تجلى النور الشمس والالهى وظهوره فى القمر والانسان الكامل تدريجا الى حد الكمال يكمل بقاؤهما وعند استتاره واختفائه عنهما تدريجا ايضا الى حد التمام يتم فناؤهما وفناؤهما على هذا الوجه من قبض جلال الحق سبحانه وبقاؤهما على ذلك النمط من بسط جماله تعالى والله يقبض ويبسط دآئما من مرتبة كماله الذاتى بيدى جلال كماله وجماله بل يداه مبسوطتان كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا انتهى كلامه قدس الله سره فان قلت اذا ههنا ليست بشرطية لعدم جوابها لفظا او تقديرا حتى يعمل فيها

فتكون ظرفا مطلقا فلا بد لها من عامل وهو فى المشهور اقسم المقدر وهو

انشاء فيكون للحال واذا للاستقبال ولا اجتماع بينهما فلا تكون ظرفا

وقتال له قلت اذا فى امثال هذا المقام للتعليل اى اقسم بالقمر اعتبارا

بتلوها وبالنهار اعتبارا بتجليته الشمس وبالليل اعتبرا بغشيانه اياها كما

تقول أشهدك على هذا حيث كنت صالحا متدينا اى لاجل ذلك كذا فى

بعض التفاسير وقال فى القاموس اذا تجئ للحال و

٣

{ والنهار } هو نور الشمس الذى ينسخظل الارض بمحو ظلمة

الليل

{ اذا جلاها } اى جلى الشمس يعنى هويد اكرد فانها تتجلى

عند انبساط النهار واستيفائه تمام الانجلاء فكأنه جلاها مع انها التى

تبسطه يعنى لما كان انتشار الاثر وهو زمان ارتفاع النهار زمانا لانجلاء

الشمس وكان الجلاء واقعا فيه اسند فعل التلجية اليه اسنادا مجازيا مثل

نهاره صائم او جلى الظلمة او الدنيا والارض وان لم يجر لها ذكر للعلم بها وفيه اشارة الى نهار استيلاء نور الروح وقيام سلطانها واستواء نورها اذا جلاها وابرزها فى غاية الظهور كالنهار عند الاستوآء فى تجلية الشمس.

٤

{ والليل } هو ظل الارض الحائلة بين الشمس وبين ما وقع عليه ظلمة الليل

{ اذا يغشاها } اى الشمس فيغطى ضوءها فتغيب وتظلم الآفاق ولما كان احتجاب الشمس بحيلولة الارض بيننا وبينها واقعا فى الليل صار الليل كأنه حجبها وغطاها فاسند التغطية وتغشية الى الليل لذلك او اذا يغشى الآفاق والارض ولعل اختيار صيغة المضارع هنا على المضى للدلالة على انه لا يجرى عليه تعالى زمان فالمستقبل عند كالماضى مع مراعاة الفواصل ولم يجيئ غشاها من التغشية لانه يتعدى الى المفعولين وحيث كانت الواوات العاطفة نواب الواو الاولى القسمية القائمة مقام الفعل

والباء سادة مسدهما معا فى قولك اقسم بالله حق ان يعملن عمل الفعل
والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فترفع الواو وتنصب
لقيامها مقام ضرب الذى هو عاملها فاندفع ما يورد ههنا من ان تلك
الواوات ان كانت عاطفة يلزم العطف على معمولى عاملين مختلفين وان
كانت قسمية يلزم تعداد القسم مع وحدة الجواب وحاصل الدفع اختيار
الشق الاول ومنع لزوم المحذور وفيه اشارة الى ليل النفس عند غشيانه
بظلمتها شمس نهار الروح وهو أيضا آية من آياته الكبرى لان الليل مظهر
الاسم المضل فيجوز القسم به كما جاز القسم بالنهار نظرا الى انه مظهر
الاسم الهادى.

٥

{ والسماء وما بناها } اى ومن بناها على غاية العظم ونهاية
العلو وهو الله تعالى وايثار ما على من لارادة الوصفية تعجبا لأن ما يسأل
بها عن صفة من يعقل كأنه قيل والقادر العظيم الشان الذى بناها وكذا
الكلام فى قوله

{ والارض وما طحاها } اى ومن بسطها من كل جانب على

الماء كى يعيش اهلها فيها والطحو كالدحو بمعنى البسط وابدال الطاء من

الدال جائز وافراد بعض المخلوقات بالذكر وعطف الخالق عليه والاقسام

بهما ليس لاستوآئهما فى استحقاق التعظيم بل النكتة فى الترتيب ان يتبين

وجود صانع العالم وكمال قدرته ويظفر العقل بادراك جلال الله وعظمة

شأنه حسبما امكن فانه تعالى لما اقسم بالشمس التى هى اعظم

المحسوسات شرفا ونفعا ووصفها باوصافها الاربعة وهو شؤوها وكونها

متبوعة للقمر ومتجلية عند ارتفاع النهار ومختفية متغطية بالليل ثم اقسم

بالسماء التى هى مسير الشمس واعظم منها فقدنيه على عظمة شأنهما

لما تبين ان الاقسام بالشئ تعظيم له ومن المعلوم انهما لحركاتهما الوضعية

وتغير أحوالهما من الاجسام الممكنة المحتاجة الى صانع مدبر كامل القدرة

بالغ الحكمة فتوسل العقل بمعرفة احوالهما واوصافهما الى كبرياء صانعمها

فكان الترتيب المذكور كالطريق الى جذب العقل من حضيض عالم

المحسوسات الى يفاع عالم الربوبية وبيدآء كبريائه الصمدية وفيه اشارة الى سماء الارواح وارض الاجساد.

٧

{ ونفس وما سواها } اى ومن انشأها وابدعها مستعدة لكمالاتها والتنكير للتخفيم على ان المراد نفس آدم عليه السلام او للتكثير وهو الانسب للجواب وذكر فى تعريف ذات الله تعالى السماء والارض والنفس لان الاستدلال على الغائب لا يمكن الا بالشاهد والشاهد ليس الا العالم الجسمانى وهو اما علوى بسيط كالسماء

واما سفلى بسيط كالارض

واما مركب وهو أقسام اشرفها ذوات الانفس وقد استدل بعطف ما بعدها على ما قبلها على عدم جواز تقدير المضاف فيه مثل ورب الشمس وكذا فى غيره اذا المقدر فى المعطوف عليه يقدر على المعطوف فيكون التقدير ورب ما بناها ورب ما طحاها ورب ما سواها وبطلانه

ظاهر فان الظاهر ان تكون فى مواضعها موصولة فاعرف وسيجيئ شرح النفس وتسويتها عند اهل التأويل ان شاء الله تعالى.

٨

{ فالهمها فجورها وتقواها } الفاء ان كانت لسببية التسوية فالامر ظاهر وان كانت لتعقيبها فلعل المراد منها اتمام ما يتوقف عليها الالهام من القوى الظاهرة والباطنة والالهام القاء الشئ فى الروع اما من جهة الله او من جهة الملاء الاعلى واصل الهام الشئ ابتلاعه والفجور شق ستر الديانة قدم على التقوى لمراعاة الفواصل اولشدة الاهتمام بنفيه لانه اذا انتفى الفجور وجدت التقوى فقدم ما هم بشأنه اعنى والمعنى افهم النفس اياهما وعرفهما حالهما من الحسن والقبح وما يؤدى اليه كل منهما ومكنها من اختيار ايهما شاءت قال بعض الكبار الالهام لا يكون الا فى الخبر فلا يقال فى الشر الهمنى الله كذا

واما قوله تعالى فالهمها فجورها وتقواها فالمراد فجورها لنجتنبه لا

لتعمل به وتقواها لتعمل به اذ ليس فى كلام الله تناقض ابدا وقال

بعضهم لا يخفى ان محل الالهام هو النفس قال تعالى فالهمها فجورها

وتقواها فاعلمنا ان الفاعل فى الالهام هويته تعالى لا غيره لكن الهم النفس

فجورها لتعلمه به وتقواها لتعلمه وتعمل به فهو فى قسم الفجور الهام

اعلام لا الهام عمل ان الله لا يأمر بالفحشاء وكما لا يأمر بالفحشاء لا

يلهم بها فانه لوالهم بها ما قامت الحجة لله على العبد فهذه الآية

مثل قوله وهديناه النجدين اى بينا له الطريقين وقال بعضهم لم ينسب

سبحانه الى النفس خاطر المباح والالهامه فيها وسبب ذلك ان المباح لها

ذاتى فبنفس ما خلق عينها ظهر المباح فهو من صفاتها النفسية التى لا

تعقل النفس الا بها فخاطر المباح نعت خاص كالضحك للانسان وفى

التأويلات النجمية تدل الآية على كون النفوس كلها حقيقة واحدة متحدة

تختلف باختلاف توارد الاحوال والاسماء فان حقيقة النفس المطلقة من

غير اعتبار حكم معها اذا توجهت الى الله توجها كليا سميت مطمئنة واذا

توجهت الى الطبيعة توجها كليا سميت امارة واذا توجهت تارة الى الحق بالتقوى وتارة ارى الى الطبيعة البشرية بالفجور سميت لوامة انتهى وفى الخبر الصحيح عن عمران بن حصين رضى الله عنه سأل رجل من جهينة او مزينة رسول الله عليه السلام ما يمل الناس ويكدحون فيه أشئ قضى عليهم ام شئ يستقبلونه فقال عليه السلام (بل قضى عليهم) قال ففيم العمل اذا يا رسول الله فقال عليه السلام (من كان خلقه الله لاحدى المنزلتين يهيئه الله لها) ثم تلا الآية وقال ابن عباس رضى الله عنهما كان رسول الله عليه السلام يقول عند الآية (اللهم آت نفسى تقواها وزكها انت خير من زكاها انت وليها وموها)

٩

{ قد افلح من زكاها } جواب القسم وحذف اللام لطول الكلام وقال الزجاج طول الكلام صار عوضا عن اللام وانما تركه الكشاف وغيره لانه يوجب الحذف والحذف لا يجب مع الطول ولم يجعل كذبت جوابها لان اقسام الله انما يؤكد به الوعد او الظفر وادراك البغية وهو دنيوى كالظفر

بالسعادات التى تطيب بها الحياة الدنيا من الغنى والعز والبقاء مع الصحة ونحوها واخروى وهو بقاء فلا فناء وغنى بلا فقر وعز بلا ذل وعلم بلا جهل ولذلك قيل لا عيش الا عيش الآخرة واصل الزكاة الزيادة والنمو ومنه زكا الزرع اذا حصل فيه نمو كثير وبركة ومنه تزكية القاضى الشاهد لانه يرفع قدره بالتعديل ومنه الزكاة لما يخرج الانسان من حق الله الى الفقرآء لما فيها من رجاء البركةاو لتزكية النفس اى تنميتها بالخيرات والبركات اولهما جميعا فان الخيرين موجدان فيها والمعنى قد فاز بكل مطلوب ونجا من كل مكروه من انمى النفس واعلاها بالتقوى ارفعها واظهرها وشهرها بها فاهل الصلاح يظهرون انفسهم ويشهرونها بما سطع من انوار تقواهم الى الملأ الاعلى وبملازمتهم مواضع الطاعات ومحافل الخيرات بخلاف اهل الفسق فانهم يخفون انفسهم ويدسونها فى المواضع الخفية لا يلوح عليهم سيما سعادة يشتهرون به بين عباد الله المقربين واصل هذا ان اجواد العرب كانوا ينزلون فى ارفع المواضع ويوقدون النار للطارقين لتكون اشهر واللئام ينزلون الاطراف والهضاب لتخفى اماكنهم عن

الطالبين فاخفوا انفسهم فالبار ايضا اظهر نفسه اباعمال البر والفاجر دسها وتستعمل التزكية بمعنى التطهير ايضا كما قال فى القاموس الزكاة صفة الشئ وما اخرجته من مالك لتطهره به فالمعنى قد افلح من طهر نفسه من المخالفات الشريعة عقدا وخلقا وعملا وقولا فقد اقسم تعالى بسبعة اشياء على فلاح من زكى نفسه ترغيبا فى تزكيتها.

وابن عباس رضى الله عنهما روايت كرده كه حضرت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم نزديك تلاوت اين آيت فرمودى كه تزكيه انفس موجب تزكيه دل است هركاه كه نفس ازشوب هوا مزكى شود فى الحال دل ارلوث تعلق بما سوى مصفى كردد

تانفس مبراز مناهى لشود ... دل آيينه نور الهى نشود

وكون افعال العبد بتقدير الله تعالى وخلقه لا ينافى اسناد الفعل الى العبد فانه يقال ضرب زيد ولا يقال ضرب الله مع أن الضرب بخلقه وتقديره وذلك لأن وضع الفعل بالنسبة الى الكاسب قال الراغب وبزكاه النفس

وطهارتها يصير الانسان بحيث يستحق فى الدنيا الاوصاف المحمودةوفىلآخرة الاجر والمثوبة وهو أن يتحرى الانسان ما فيه تطهيره وذلك ينسب تارة الى العبد لاكتسابه ذلك بجر قد افلح من زكاها ونارة الى الله لكونه فاعلا لذلك فى الحقيقة نحو بل الله يزكى من يشاء وتارة الى الشيء لكونه واسطة فى وصول ذلك اليهم نحو خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وتارة الى العبادة التى هى آلة فى ذلك نحو وحنانا من لدنا وزكاء انتهى.

١٠

{ وقد خاب من دساها } فى لقاموس خاب يخيب خيبة حرم وخسر وكفر ولم ينل ما طلب واصل دسى دسس كتقضى البازى وتقضض من التدسيس الراغب الدس ادخال الشيء فى الشيء بضرب من الاكراه ودساها اى دسسها فى المعاصى انتهى والمعنى قد خسر من نقصها واخفاها بالفجور وبارسالها فى المشتهيات الطبيعية وقال شيخى وسندى قدس سره فى قوله تعالى ونفس الخ المراد بالنفس هنا الذات والحقيقة

الجمعية الانسانية الكمالية المخلوقة على الصورة الالهية الجمعية الكمالية لتكونمرءآة لها كما ورد خلق الله آدم على صورته ويقال لها النفس الناطقة المدبرة للبدن وما سواها اى خلقها مستوية قابلة لتكون مجلى لتجليات تعينات الكمال والجلال والجمال ومتوسطة ممكنة لتكون مظهرا الظهورات الذات والصفات والافعال ومعتدلة صالحة لتكون مشهدا لمشاهدات آثار الاسماء والمراتب والاحوال وبهذه القابلية الجامعة بين القبضتين الجمال والجلال كانت اتم كل موجود فألهمها افاض عليها بوساطة سادة الجلال فجورها اى آثار الجلال المندرج فى جميعة حقيقتها البرزخية واحكامه واحواله من العقائد والعلوم والاعمال والمذاهب وغير ذلك مما نفجر وتميل فيه من الحق الى الباطل فتجازى بالخسران وتقواها وافاض عليها بوساطة خادم الجمال اى آثار الجمال واموره واحكامه من كلمة التوحيد العلمى الرسمى المنافى للشرك والكفر والهوى اجلى وسائر الفساد فى تبة الشريعة والطريقة ومن كلمة التوحيد العينى الحقيقى المزيل للشرك والكفر والهوى الخفى وباقى الكساد فى مرتبة المعرفة والحقيقة ومن غيرهما من لطائف

العلوم والمعارف ومحاسن الاعمال والاحوال ومكارم الاخلاق والصفات قد أفلح اى دخل فى الفلاح فى جميع المراتب صورة وحقيقة من زكاها من طهرها من رذآئل آثار الجلال فى جميع الاطوار وقد خاب اى حرم من الفلاح من دساها اى اخفى فيها الآثار الجلالية والصفات النفسانية وكتم فيها العيوب والقبائح الشيطانية والاهوآء والشهوات البهيمية والاعمال والاخلاق الرديئة ولم يعالجها باضدادها بل اهملها عن التربية فى مرتبة الشريعة بالتقوى والصلاح وعن التزكية فى مرتبة الطريقة بالمجاهدة والاصلاح وساعدها فى هواها وشهواتها فى النيات والمقصود والاعمال والاقوال وصارت حراتها وسكناتها جميعا بالاهوآء انتهى باختصار فان كلامه رحمه الله فى هذه الآية يبلغ الى نصف جزء بل اكثر.

١١

{ كذبت ثمود } المراد القبيلة ولذا قال

{ بطغواها } وهو استئناف وارد لتقرير مضمون قوله تعالى وقد خاب من دساها فان الطغيان اعظم انواع التدسية والطغوى بالفتح مصدر بمعنى الطغيان الا انه لما كان اشبه برؤوس الآيات اختير على لفظ الطغيان وان كان الطغيان اشهرو فى الكشف الطغوى من الطغيان فصلوا بين الاسم والصفة فى فعلى من بنات الياء بان قلبوا الياء واوا فى الاسم وتركوا القلب فى الصفة فقالوا امرأة خزيا وصديا من الخزى بالفتح والقصر بمعنى الاستحياء ومن الصدى بمعنى العطش والباء للسببية اى فعلت التكذيب بسبب طغيانها كما تقول ظلمنى بجرآءته على الله فافعل منزل منزلة اللازم فلا يقدر له مفعول وهو المشهور او كذبت ثمود نبيها صالحا عليه السلام فحذف المفعول للعلم به وفيه اشارة الى أن العصيان اذا اشتد بلغ الكفر ويجوز ان تكون الباء صلة للتكذيب اى كذبت بما اوعدت به من العذاب ذى الطغوى والتجاوز عن الحد وهو الصيحة كقوله تعالى فاهلكوا بالطاغية اى بصيحة ذات طغيان.

١٢

{ اذ انبعث اشقاها } منصوب بكذبت او بالطغوى اى حين قام اشقى ثمود وهو قدار بن سالف امتثالا لامر من بعثه اليه فان انبعث مطاوع لبعث يقال بعثت فلانا على امر فانبعث له وامتثل قال فى كشف الاسرار الانبعاث الاسراع فى الطاعة للباعث او حين قام قدار ومن تصدى معه لعقر الناقة من الاشقياء فان افعل التفضيل اذا اضيف يصلح للواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث ويدل على الاول قوله تعالى فى سورة القمر فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر فانه يدل على ان المباشر واحد معين وفضل شقاوتهم على من عداهم مباشرتهم العقر مع اشتراك الكل فى الرضى.

١٣

{ فقال لهم } اى لثمود

{ سول الله } لما علم ما عزموا عليه وهو صالح عليه السلام ابن عبيد بن جابر بن ثمود بن عوص بن ارم فالاضافة للعهد عبر عنه بعنوان الرسالة ايذانا بوجواب طاعته وبيانا لغاية عتوهم وتماديهم فى الطغيان

{ ناقة الله } منصوب على التحذير وان لم يكن من الصور التى يجب فيها حذف العامل والناقة بالفارسية اشترماده اضيفت اليه تعالى للشريف كبيت الله اى ذروا ناقة الله الدالة على وحدانيته وكمال قدرته وعلى نبوتى واحذروا عقرها

{ وسقيها } يعنى شربها وهو نصيبها من الماء ولا تطردوها عنه فى توبتها فانها كان لها شرب يوم معلوم ولهم ومواشيهم شرب يوم آخر وكانوا يستضرون بذلك فى مواشيهم فهموا بعقرها.

١٤

اى رسول الله فى وعيده بقوله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب

{ فعقروها } اى الاشقى والجمع على تقدير وحدته لرضى الكل

بفعله قال السهيلى العاقر قدار بن سالف وامه قديرة وصاحب الذى

شاركه فى عقر الناقة اسمه مصدع بن وهراوا بن جهم والعقر النحر وقدم

التكذيب على العقر لأنه كان سبب العقر وفى الحديث قال عليه

السلام لعلى (اتدرى من اشقى الاولين) قال الله رسوله اعلم قال (عاقر

الناقة) قال (اتدرى من اشقى الآخرين) قال الله ورسوله اعلم قال (

قاتلك) وذلك أن الناقة اشارة الى ناقة الروح فكما أن عقرها بالظلمة

النفسانية والشهوات الحيوانية من مزيد شقاوة النفس فكذا قتل على رضى

الله عنه فانه كان مظهرا لروحانية نبينا عليه السلام ولذا كان وارثه الاكبر

فى مقام الحقيقة فالقصد على الولى رضى الله عنه قصد الى محمد النبى عليه

السلام ولا شقاوة فوق الشقاوة من قابل مظهرا الرحمة الكلية بالغضب

وانتقام

{ فدمدم عليهم ربهم } فاطبق علهيم العذاب وهو الصيحة الهائلة

وهو من تكرير قولهم ناقد مدمومة اذا طلبت بالشحم واحيطت بحيث لم

يبق منها شئ لم يمسه الشحم ودم الشئ سده بالقبر ودممت على القبر وغيره اذا اطبقت عليه ثم كررت الدال للمبالغة فى الاحاطة فالدمدمة من الدمدم كالكبكة من الكب قال فى كشف الاسرار تقول العرب دممت على فلان ثم تقول من المبالغة مدممت بالتشديد ثم نقول من تشديد المبالغة دمدمت والتركيب يدل على غشيان الشئ الشئ

{ بذنبهم } اى بسبب ذنبهم المحكى والتصريح بذلك مع دلالة الفاء عليه للانذار بعاقبة لاذنب ليعتبر به كل مذنب

{ فسواها } اى الدمدمة والاهلاك بينهم لم يفلت منهم واحد من صغير وكبير او فسوى ثمود بالارض (روى) أنهم لما رأوا علامات العذاب طلبوا صالحا عليه السلام ان يقتلوه فانجاه الله كما قال فى سورة هود فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمه منا.

١٥

{ ولا يخاف عقباها } الواو للاستئناف او للحال من المنوى فى فسواها الراجع الى الله تعالى اى فسواها الله غيي خائف عاقبة الدمدمة وتبعتاه او عاقبة هلاك ثمود كما يخاف سائر المعاقبين من الملوك والولاة فيترحم بعض الترحم وذلك أن الله تعالى لا يفعل الا بحق وكل من فعل بحق فانه لا يخاف عاقبة ولا يبالى عقابة ما صنع وان كان من شأنه الخوف وقال بعضهم ولا يخاف هواى قدار ولا هم ما يعقب عقرها ويتبعه وما يترتب عليه من انواع البلاء والمصيبة والعقاب مع أن صالحا عليه السلام قد اخبرهم بها.

سُورَةُ الَّيْلِ مَكِّيَّةٌ

وَهِيَ إِحْدَى وَ عِشْرُونَ آيَةً

١

{ والليل اذا يغشى } اذا للحال لكونها بعد القسم كما مر فى السورة السابقة اى اقسم بالليل حين يغشى الشمس وغطيها

ويتسرها كقوله والليل اذا يغشاها فعدم ذكر المفعول للعلم به او النهار او كل ما يواريه بظلامه فعدم ذكر امفعول للتعميم والليل عند اهل النجوم ما بين غروب الشمس وطلوعها وعند اهل الشرع ما بين غروبها وطلوع الفجر الصادق لعله المراد هنا والنهار ما يقابله (وفى كشف الاسرار) الله تعالى شب رامرتبتى وشرفى دادكه آنرا درقرآن مجيد محل قسم خود كردانيد واين شرف ازان يافت كه شب درآيد دوستان خداتنها درمناجات شوند هما شب شراب صفامى نوشند وخلعت رضا مى بوشند وعتاب محبوب مى نيوشند وجون وقت سحر باشد كه فرمان رسد تادرهاى اين قبه بيروزه بازكشايند ودامنها سراد قات عرش مجيد براندازند ومقربان حضرت بامر حق خاموش شوندآنكه جبار كائنات درعلو وكبرياى خود خطاب كندكه الا قد خلا كل حبيب بحبيبه فاين احبائى يعنى هر دوستى بادوست خود درخلوت وشادى آمدند دوستان من كجا اند

اللیل داج والعصاة نيام ... والعابدون لذى الجلال قيام

٢

{ والنهار اذا تجلى } ظهر بزوال ظلمة الليل اى ان كان المغشى غير الشمس او تبين وتكشف بطلوع الشمس اى ان كان المغشى الشمس واختلاف الفاصلتين بالمضى والاستقبال لما ذكرنا فى السورة السابقة وفيه اشارة الى القسم بليل غيب الهوية المطلقة اذا يغشى نهار التعينات الاعتبارية على اهل الذوق والشهود وبنور نهار الوجودات لمقيدة اذا تجلى بسبب التعنات العقلية بالنسبة الى اهل الحجاب والاحتجاب وقال القاشانى اقسم بليل ظلمة النفس اذا ستر نور الروح اذا تجلى وظهر من اجتماعهما وجود القلب الذى هو عرش الرحمن فان القلب يظهر باجتماع هذين له وجه الى الروح يسمى الفؤاد يتلقى به المعارف والحقائق ووجه الى النفس يسمى الصدر يحفظ به السرآئر ويتمثل فيه المعانى.

٣

{ وما خلق الذكر والانثى } ما عبارة عن صفة العالم كما فى وما بناها وانها لتو غلها فى الابهام افادت أن الوصف الذى استعملت هى فيه بالغ الى اقصى درجات القوة والكمال بحيث كان مما لا يكتنه كنهه وانه لا سبيل للعقل الى ادراكه بخصوصه وانما الممكن هو ادراكه بامر عام صادق واللامان للحقيقة ويجوز ان يكونا للاستغراقاى والقادر العظيم القدرة الذى خلق صنفى الذكر والانثى من كل نوع له توالد فخرج مثل البغل والبغلة

وقيل ان الله لم يخلق خلقا من ذوى الارواح ليس يذكر ولا انثى والخنثى وان اشكل امره عندنا فهو عند الله غير مشكل معلوم بالذكورة او الانوثة فلو حلف بالطلاق انه لم يلق يومه ذكرا ولا انثى وقد لقى خشى مشكلا كان حانثا لانه فى الحقيقة اما ذكر او انثى وان كان مشكلا عندنا كما فى الكشاف

وقيل انهما آدم وحوآء عليهما السلام على أن اللام للعهد قال تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وعن ابن مسعود رضى الله

عنه انه كان يقرأ والذكر والانثى قال علقمة قدمنا الشأم فأتانا ابو الدردآء رضى الله عنه فقال أفيكم من يقرأ قرأءة عبد الله بن مسعود فاشاروا الى فقلت نعم انا فقال كيف يقرأ هذه الآية قلتسمعته يقرأ والذكر والانثى قال وانا كهذا والله سمعت رسول الله عليه السلام يقرأها وهؤلاء يريدوننى على أن اقرأها وما خلق فلا اتابعهم وفيه اشارة الى الذكر الذى هو الروح والانثى التى هى النفس وقد ولد القلب من ازدواجهما وعند بعض العارفين الليل ذكر والنهار انثى كما سبق فى النازعات.

٤

{ ان سعيكم لشتى } جواب القسم والمصدر بمعنى الجمع لما عرف أن المصدر المضاف من صيغ العموم ولذلك اخبر عنه بالجمع وشتى جمع شتين كمرضى ومريض وهو المفترق المتشتت والمعنى أن مساعيكم اى اعمالكم المختلفة حسب اختلاف الاستعدادات الازلية فبعضها حسن نافع خير صالح وبعضها قبح ضار شر فاسد وفى الحديث (الناس عاديان فمبتاع نفسه فمعتقها او بائع نفسه فموبقها) قال القاشانى

ان سعيكم استات مختلفة لانجذاب بعضكم الى جانب الروح والتوجه الى الخير لغبة النورية وميل بعضكم الى جانب النفس والانهماك فى الشر الغلبة الظلمة وقال بعضهم باطن هذه الآية ان يرى سعيه قسمة من الحق له من قبل التكوين والتخليق لقوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم وان السعى له مراتب كمراتب المتصلين بالسلطان من الندماء والجلساء واصحاب الاسرار فسعى بالنفوس لطلب الدرجات وبالعقول لطلب الكرامات وبالقلوب لطلب المشاهدات وبالارواح لطلب المداناة وبالاسرار لفنائها فى انوار الذات وبقائها فى انوار الصفات وسعى بالارادة وبالمحبة وبالشوق وبالعشق وبالمعرفة الى غير ذلك.

٥

{ فاما } تفصيل لتلك المساعى المشتتة وتبيين لاحكامها

{ من اعطى } حقوق ماله

{ واتقى } محارم الله التى نهى عنها ومن جملتها المن والاذى.

٦

{ وصدق بالحسنى } بالخصلة الحسنى وهى الايمان او بالكلمة الحسنى وهى كلمة الوحيد او بالملة الحسنى وهى ملة الاسلام او المثوبة الحسنى وهى الجنة.

٧

{ فسنيسره لليسرى } معنى التيسير التهيئة لا ما يقابل التعسير ومنه قوله كل ميسر لما خلق له فلا حاجة الأن يقال استعمل التيسير فى العسرى على المشاكلة كما فى قوله تعالى وجزآء سيئة او على حسب قوله تعالى فبشرهم بعذاب أليم يقال يسر الفرس للركوب اذا اسرجها وألجمها واليسرى تأنيث الايسر والمعنى فسنهيئه ونوفقه للخصلة التى تؤدى الى يسر وراحة كدخول الجنة ومباديه وبالفارسية بس زود باشدكه آسانى دهيم ويرا براى طريقت نيكوكه سبب آساتى راحت باشد يعنى عملى كه اورا به بهشت رساند.

فوصف الخصلة باليسرى مجاز باعتبار كونها مؤدية الى اليسرى وفيه اشارة الى أن من طهر نفسه بالطاعة بالاقبال على الله والاعراض عن الدنيا واتقى فى عين تلك الطاعة عن نسبتها الى نفسه وصدق فى باطنه بالكلمة الحسنى فسنيسره للخصلة اليسرى وهى الوصول الى حضرتنا العليا وسرادقاتنا الكبرى.

٨

{ واما من بخل } اى بماله فلم يبذله فى سبيل الخير والبخل امساك المقتنيات عما لا يحق حبسها عنه ويقابله الجود

{ واستغنى } زهد فيما عنده تعالى اى لم يرغب كأنه مستغن عنه فلم يتق او استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخر فلم يتق فيكون الاستغناء مستتبعا لعدم الاتقاء الذى هو مقابل الاتقاء فى الآية الاولى وبه يحصل التقابل بينهما.

٩

{ وكذب بالحسنى } اى ما ذكر من المعانى المتلازمة.

١٠

{ فسنيسره للعسرى } اى فسنهيئه للخصلة المؤدية الى لاعسر والشدة كدخول النار ومقدماته لاختياره لها وبالفارسية بس مهيا كردانيم مرورا براى صفتى كه مؤدي بدشوارى ومحنت بود يعمى كردارى كه اورا بدوزخ برد.

ولعل تصدير القسمين بالاعطاء والبخل مع أن كلا منهما ادنى رتبة مما بعدهما فى استتباع التيسير لليسرى والتيسر للعسرى للايذان بان كلا منهما اصيل فيما ذكر لانتمة لما بعدها من التصديق والتقوى والتكذيب والاستغناء والظاهر أن السين للدلالة على الجزآء الموعود بمقابلة الطاعة والمعصية وهو يكون فى الآخرة التى هى امر متراخ منتظر فادخلت السين وهى حرف التراخى ليدل بذلك عى أن الوعد آجل غير حاضر كذا فى بعض التفاسير وفيه اشارة الى أن من بخل فى نفسه بالطاعة والعبادة

الروحية والسرية والقلبية واستغنى عن الاقبال علينا وكذب بالحسنى التى اعطيناها اياه من سلامة الاعضاء والجوارح والجاه والمال فسنيسره للعسرى وهى البعد عنا والطرد واللعن ودخول نار الحجاب.

١١

{ وما يغنى عنه ماله } اى شيأ من العذاب فالمفعول محذوف او اى شئ يغنى عنه ماله الذى يبخل به اى لا يغنى شيأ فما مفعول يغنى والاستفهام للانكار

{ اذا تردى } اى هلك ومات تفعل من الردى للمبالغة والردى كالعصا وهو الهلاك قال الراغب الردى الهلاك والتردى التعرض للهلاك انتهى او تردى وسقط فى الحفرة اذا قبر او تردى فى قعر جهنم فالمال الذى ينتفع به الانسان فى الآخرة وقت حاجته هو الذى اعطى حقوقه وقدمه دون الذى بخل به وتركه لوارثه وفيه اشارة الى أنه اذا تردى وتصدى لمخالفتنا

وموافقته الطبيعة البشرية اى شئ له يخلصه من غضبنا وقهرنا عند تجلينا له بصورة القهر والنقمة.

١٢

{ ان علينا للهدى } استئناف مقرر لما قبله اى ان علينا بموجب قضائنا المبنى على الحكم البالغة حيث خلقنا الخلق للعبادة ان نبين لهم طريق الهدى وما يؤدى اليه من طريق الضلال وما يؤدى اليه وقد فعلنا ذلك بما لا مزيد عليه حيث بينا حال من سلك كلا الطريقين ترغيبا وترهيبا ومن هنا تبين أن الهداية هى الدلالة على ما يوصل الى البغية لا الدلالة الموصلة اليها قطعا وان المراد بالوجوب المفهوم من على الوجوب بموجب القضاء ومقتضى الحكة فلا تكون الآية بظاهرها دليلا على وجوب الاصلح عليه تعالى كما يزعم المعتزلة قال القاشانى ان علينا للهدى بالارشاد الينا بنور العقل والحسن والجمع بين الادلة العقلية . والسمعية والتمكين على الاستدلال والاستبصار.

١٣

{ وان لنا للآخرة والاولى } اى التصرف الكلى فيهما كيفما نشاء من الافعال التى من جملتها ما وعدنا من التيسير لليسرى والتيسير للعسرى.

١٤

{ فانذرتكم } خوفتكم بالقرءآن وبالفارسية بس ببم كنم شمارا . اى يا اهل مكة

{ نارا } از آتشى كه

{ تلظى } زبانه زند وهو بحذف احدى التاءين من تتلظى ان تتلهب فان النار مؤنث وصفت به ولو كان ماضيا لقيل تلظت مع أن المراد بوصفها دوام التلظى بالفعل الاستمرارى وفى بعض التفاسير المراد من انذرتكم انشاء الانذار كقولهم بعت واشتريت او اخبار يراد به الانذار السابق فى مثل قوله تعالى فى سورة المدثر سأصليه سقر وما ادراك ما سقر

لا تبقى ولا تذر لواحة للبشر فانها اول سورة نزلت عند الاكثرين وهذا اشد تخويفا من أن يقال خوفوا واتقوا نارا تلظى.

١٥

{ لا يصلاها } صليا لازما ولا يقاسى حرها

{ الا الاشقى } الزآئدة فى الشقاوة وهو الكافر فانه اشقى من الفاسق وفى كشف الاسرار يعنى الشقى والعرب تسمى الفاعل افعل فى كثير من كلامهم منه قوله تعالى وانتم الاعلون وقوله واتبعك الارذلون انتهى فالفاسق لا يصلاها صليا لازما ولا يدخلها دخولا ابديا وقد صرح به قوله تعالى

١٦

{ الذى كذب وتولى } اى كذب بالحق واعرض عن الطاعة وليس هذا الا الكافر.

١٧

{ وسيجنبها } اى سيبعد عنها بحيث لا يسمع حسيسها والفاعل النجنب المبعد هو الله وبالفارسية وزود بودكه دور كرده شوادازان آتش

{ الاتقى } المبالغ فى التقاء عن الكفر والمعاصى فلا يحوم حولها فضلا عن دخولها اوصليها الابدى

واما من دونه ممن يتقى الكفر دون المعاصى فلا يحوم حولها فضلا عن دخولها او صليها الابدى

واما من دون ممن يتقى الكفر دون المعاصى وهو المؤمن الشقى الفاسق الغير التائب فلا يبعد عنها هذا التبعيد بل يصلاها وان لم يذق ضدة حرها كما ذاق الكافر لكونه فى الطبقة الفوقانية من طبقات النار فذلك لا يستلزم صليها بالمعنى المذكور فلا يقدح فى الحصر السابق وفى كشف الاسرار الاتقى بمعنى التقى كالاشقى بمعنالشقى قال الشاعر.

تمنى رجال ان اموات وان امت ... فتلك سبيل لست فيها بأوحد

اى بواحد انتهى.

١٨

{ الذى يؤتى ماله } يعطيه ويصرفه فى وجوه البر والحسنات

{ يتزكى } اما بدل من يؤتى داخل فى حكم الصلة لا محل له او فى حيز النصب على انه حال من ضمير يؤتى اى يطلب ان يكون عند الله زاكيا ناميا لا يريد به رياء ولا سمعة او متزكيا متطهرا من الذنوب ومن دنس البخل ووسخ الامساك.

١٩

{ وما لأحد عنده من نعمة تجزى } استئناف مقرر لكون ايتائه للتزكى خالصا لوجه الله اى ليس لاحد عنده نعمة ومنة من شأنها ان تجزى وتكافأ فيقصد بايتاء ما يؤتى مجازاتها.

٢٠

{ الا ابتغاء وجه ربه الاعلى } استثناء منقطع من نعمة لان ابتغاء

وجه ربه ليس من جنس نعمة تجزى فالمعنى لكن فعل ذلك ابتغاء وجه ربه

الاعلى اى لابتغاء ذاته وطلب رضاه فهو فى الحقيقة مفعول له وما آتى

من المال مكافأة على نعمة سالفة فذلك يجرى مجرى اداآء الدين فلا يكون

له دخل فى استحقاق مزيد الثواب وانما يستحق الثواب اذا كان فعله لاجل

ان الله امره به وحثه عليه ومعنى الاعلى العلى الرفيه فوق خلقه بالقهر

والغلبة كما قاله ابو الليث وقال القاشانى وصف الوجه الذى هو الذات

الموجودة مع جميع الصفات بالاعلى لان لله تعالى بحسب كل اسم وجها

يتجلى به لمن يدعوه بلسان حاله بذلك الاسم ويعبده باستعداده والوجه

الاعلى هو الذى له بحسب اسمه الاعلى الشامل لجميع الاسماء وان جعلته

وصفا لرب فالرب هو ذلك الاسم انتهى والآية نزلت فى حق ابى بكر

الصديق رضى الله عنه حيث اشترى بلالارضى الله عنه فى جماعة كعامر

بن فهيرة واخيه وعبيد وزنيرة كسكينة وهى مملوكة رومية وابنتها ام عميس

وامة بنى المؤمل والنهدية انتها وكانت زنيرة ضعيفة البصر فقال المشركون

اذهب اللات والعزى بصرها لما خالفت دينهما فرد الله بصرها بعد ذلك وكان المشركون يؤذون هؤلاء المذكورين ليرتدوا عن الاسلام فاشتراهم ابو بكر فأعتقهم ولذلك قالوا المراد بالاشقى ابو جهل او أمية بن خلق.

در كشف الاسرار آورده كه اين سوره درباره دوكس است يكى اتقى كه بيشرو صديقانست يعنى ابو بكر رضى الله عنه ويكى اشقى كه بيشرو زنديقانست زاهل ضلالت يعنى ابو جهل ودر فاتحه اين سوره كه بشب وروز قسم ياد ميكند اشارتست بظلمت يكى ونورانيت ديكر يعنى درشب ضلالت كسرا آن كمراهى نبودكه ابو جهل شقى را ودر روز دعوت هيجكس را ان نور هدايت ظاهر نشدكه ابن بكر تقى را

سر روشند لان صديق اعظم ... كه شد اقليم تصديقش مسلم

زمهرش روز دين را روشنايي ... بدو اهل يقين را آشنايي

آورده اندكه اميه بن خلف بلال را كه بنده او بود بانواع آزارها عذاب ميكرد تاز دين بركردد وهر زمان آتش محبت ربانى در باطن او افروخته تربود

آنجا كه منتهاى كمال ارادتست ... هرجندجوربيش محبت زيادتست

روز صديق ديدكه ايمه ويرا برخاك كرم افكنده بود وسنكهاى تفسيده بر سيه وى نهاده واودرين حال احد احد ميكفت يعنى يقول امية لا تزال هكذا حتى تموتاو تكفر بمحمد وهو يقول احدا احد . ابو بكر را دل بروبسوخت وكفت اى اميه واى برتو اين دوست خدايرا جند عذاب كنى كفت اى ابا بكر اكردلت برو ميسوزداز منش بخر.

وفى رواية مر النبى عليه السلام ببلال بن رباح الحبشى وهو يقول احد فقال عليه السلام (احد يعنى الله الاحد ينجيك) ثم قال لأبى بكر رضى الله عنه ان بلالا يعذب فى النار فعرف مراده عليه

السلام فانصرف الى منزله فاخذ رطلا من ذهب ومضى به الى امية بن خلف فقال له اتبيعني بلالا قال نعم فاشتراه وأعتقه فقال المشركون ما اعتقه ابو بكر الا ليدل كانت له عنده فنزلت وقال ابن مسعود رضى الله عنه وقد اشتراه ببرد وعشر اواق جمع اوقية وهى اربعون درهما وكان مدفونا تحت الحجارة فقالوا لو أبيت الا اوقية لبعناك فقال لو أنتم اتيتم الا بمائة اوقية لاشتريته بها

وقيل كان عبدا لعبد الله بن جدعان سلح على اصنام قوى اى تغوط فشكوا اليه فوهبه لهم مع مائة من ابل قربانا لها فعذبوه فى الرمضاء اشد العذاب وفى رواية ابن المسيب بل ابتاعه من امية بلغام له اسمه نسطاس بكسر النون صاحب عشرة آلاف دينار وغلمان وجوار ومواش وهو مشرك بعد ما حمله ابو بكر على السلام على ان يكون ماله له (كما قال الكاشفى) صديق رضى الله عنه كفت يا اميه بجند ميفروشى كفت عوض ميكننم آنرابه نسطاس رومى وآن غلامى بوداز ان صديق رضى الله عنه در هزار دينار استعداد داشت وصديق رضى الله

عنه اورا كفته بودكه اكر ايمان آرى آن مال كه دارى بتو بخشم نسطاس مسلمان نمى شد ودل مبارك صديق رضى الله عنه از وملول بود جون اين كلمه از اميه شنيده غنيمت شمرده نسطاس را باتمام استعداد بداد وبلال را بستد وفى الحال باميد نواب اخروى آراد كرد وفى الحديث (يرحم الله ابا بكر زوجنى ابنته وحملنى الى دار الهجرة أعتق بلالا من ماله) وكان عمير بن الخطاب رضى الله عنه يقول بالا سيدنا ومولى سيدنا وهو نظير قوله عليه السلام (سلمان منا أهل البيت) فانظر الى شرف التقوية كيف ادخل الموالى فى الاشراف ولا تغتر بالنسب المرجد فانه خارج عن حد الاتصاف وقال السهيلى رحمه الله قال لابى بكر رضى الله عنه ابوهلو اشتريت من له نجدة وقوة فيتعصب لك وينفعك كان اجدى من ابتياع الضعفة واعتاقهم فأنزل الله هذه الآية وفهم مما ذكر أن اعلى الاعطاء فضيلة ما يكون لرضى الله واوسطه ما يكون لعوض اخروى وادناه ما يكون لغرض دنيوى مباح

واما ما يكون للرياء والسمعة او ليغر ذلك مما ليس بمباح فهو أخس واقبح وقوله عليه السلام (من صنع اليكم معروفا فكافئوه فان لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له)يدل على ان المكافأة مشروعة ممدوحة لكنها ليست بدرجة ابتغاء المرضاة.

٢١

{ ولسوف يرضى } حواب قسم مضمراى وبالهل لسوف يرضى ذلك الاتقى الموصوف بما ذكر وبالفارسية وزود باشدكه خشنود كردد . وهو وعد كريم بنيل جميع ما يبتغيه على اكمل الوجوه واجملها اذ به يتحقق الرضى

قال بعضهم اى يرضى الله عنه ويرضى هو بما يعطيه الله فى الآخرة من الجنة والكرامة والزلفى جزآء على ما فعل ولم ينزل هذا الوعد الا لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى ولابى بكر رضى الله عنه ههنا قال البقلى هذا الرضى لا يكون من المعارف حتى

يفنى فى المعروف ويتصف بصفاته حتى يكون نعته فى الرضى نعت الحق سبحانه وتعالى.

سُورَةُ الضُّحٰي مَكِّيَّةٌ

وَهِيَ إِحْدَى عَشَرَةَ آيَةً

١

{ والضحى } هو وقت ارتفاع الشمس وصدر النهار اريد بالضحى الوقت المذكورعلى المجاز بعلاقة الحلول والظرفية فان الزمان ظرف لما فيه او على تقدير المضاف وذلك التجوز او الحذف ليناسب الليل قالوا تخصيصه بالاقسام به لانها الساعة التى كلم الله فيها موسى عليه السلام وألقى فيها السحرة سجدا لقوله تعالى وان يحشر الناس ضحى فكان له بذلك شرف ومناسبة بحال المقسم لاجله وصلاة الضحى سنة بالاتفاق ووقتها اذا علت الشمس الى قبيل وقت الزوال وهى عند ابى

حنيفة ركعتان اواربع بتسليمة وعند مالك لا تنحصر وعند الشافعى واحمد أقلها ركعتان واختف فى اكثرها فقال الشافعى ثنتا عشرة وقال احمد ثمان وهو الذى عليه الاكثرون من اصحابالشافعى وصححة النوورى فى التحقيق وقد صح ان النبى عليه السلام صلى صلاة الضحى يوم فتح مكة ثمانى ركعات وهو فى بيت امهانئ وكان يصلى صلاة الضحى قبل ذلك ايضا.

٢

{ والليل } اى وجنس الليل قال ابن خالويه هو نسق على الضحى لا قسم لانه يصلح ان يقع فى موضع الواو ثم او الفاء بأن يقال ثم الليل مثلا وثم لا يكون قسما

{ اذا سجا } اى سكن أهله على المجاز من قبيل اسناد الفعل الى زمانه اوركد ظلامه واستقر وتناهى فلا يزداد بعد ذلك يعنى ان سكون ظلامه عبارة عن عدم تغيره بالاشتداد والتنزل وذلك حين اشتد ظلامه

وكمل فيستقر زمانا ثم يشرع فى التنزل فاسناد سكون الظلمة الكائنة اليه مجاز أيضا يقال سجا البحر سجوا اذا سكنت امواجه وليلة ساجية ساكنة الريح

وقيل معناه سكون الناس والاصوات وعن جعفر الصادق رضى الله عنه ان المراد بالضحى هو الضحى الذى كلم الله فيه موسى وبالليل ليلة المعراج . وصاحب كشف الاسرار كفته مراد از ررز وشب كشف وحجابست كه نشانه نسيم لطف وسموم قهر بود وعلامه انوار جمال وآثار جلال . كما قال الجنيد قدس سره والضحى مقام الشهود والليل اذا سجا مقام الغين الذى قال عليه السلام فيه (انه ليغان على قلبى) يا شارستست بروشنى وروى حضرت مصطفى عليه السلام وكنايتست از سياهى موى وى

والضحى رمزى زروى همجو ماه مصطفى ... معنئ والليل كيسوى سياه مصطفى

ويقيم الليل فى السورة المتقدمة باعتبار الاصل لان النهار انما يحدث بطلوع السير وبغروبه يعود الهوآء على حالته الاصلية ولذا قدم الظلمة فى قوله وجعل الظلمات والنور وتقديم النهار باعتبار الشرف الذاتى والعارضى فان قيل ما السبب فى انه ذكر الضحى وهو ساعة من النهار وذكر الليل بكليته اجيب بأنه وان كان ساعة من النهار لكنه يوازى جميع الليل كما ان محمدا عليه السلام يوازى جميع الانبياء عليهم السلام وبأن النهار ووقت السرور والراحة والليل وقت الوحشة والغم فهو اشارة الى ان هموم الدنيا اكثر من سرورها فان الضحى ساعة والليل له ساعات (روى) ان الله تعالى لما خلق العرش اظلت غمامة سودآء عن يساره ونادت ماذا امطر فاجيبت أن امطرى الهموم والاحزان مائة سنة ثم انكشفت فامرت مرة اخرى بذلك وهكذا الى تمام ثلاثمائة سنة ثم بعد ذلك اظلت عن يمين العرش غمامة بيضاء ونادت ما امطر فأجيبت ان امطرى السرور ساعة فلهذا السبب ترى الغموم والاحزان دآئمة كثيرة والسرور قليلا نادرا.

{ ما ودعك ربك } جواب القسم والتوديع مبالغة فى الوداع وهو
الترك لان من ودعك مفارقا فقد بالغ فى تركك والوداع هو الاعلام بالفراق
وقال الراغب اصل التوديع من الدعة وهو أن يدعو للمسافر بأني يتحمل
الله عنه كآية السفر وان يبلغه الدعة والخفض كما ان التسليم دعاء له
بالسلامة فصار ذلك متعارفا فى تشييع المسافر وتركه وعبر به عن الترك فى
الآية والمعنى ما قطعك قطع المودع وما تركك بالحط عن درجة الوحى
والقرب والكرامة ففيه استعارة تبعية واشارة الى ان الرب لا يترك المربوب

{ وما قلى } اى وما ابغضك والابغاض دشمن داشتن . والقلى
شدة البغض يقال قلا زيدا يقلوه ابغضه من القلو وهو الرمى كما
يقال قلت الناقة براكبها رمت به فكان المقلو هو الذى يقذفه القلب من
بغضه فلا يقبله وقلاه وقليه يقليه ويقلاه ابغضه وكرهه غاية الكراهة
فتركه او قلاه فى الهجر وقليه فى البغض كما فى القاموس فمن جعله من
اليائى فمن قليت البسر والسويق على المقلى كما فى المفردات ولعل عطف
وما قلى من عطف السبب على المسبب لافادة التعليل وحذفت الكاف

من قلاك لدلالة الكلام عليه ولمراعاة الفواصل (روى) ان الوحى تأخر عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بضعة عشر يوما لتركه الاستثناء وذلك ان مشركى قريش ارسلوا الى يهود المدينة وسألوهم عن امر محمد عليه السلام فقالت لهم اليهود سلوه عن اصحاب الكهف وعن قصة ذى القرنين وعن الروح فان اخبركم عن قصة أهل الكهف وقصة ذى القرنين ولم يخبركم عن امر الروح فاعلموا انه صادق فجاءه المشركون وسألوه عنها فقال عليه السلام لهم (ارجعوا سأخبركم غدا) ولم يقل ان شاء الله فاحتبس الوحى عنه اياما فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه اى ان جبريل ابطأ فشكا عليه السلام ذلك الى خديجة فقالت خديجة لعل ربك قد قلاك فنزل جبريل بقوله تعالى ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله فاخبره بما سئل عنه وقد سبق فى سورة الكهف ونزل ايضا بقوله تعالى ما ودعك ربك وما قلى ردا على المشركين وتبشيرا له عليه السلام بأن الحبيب لا يقلى الحبيب وانه تعالى يواصله بالوحى والكرامة فى الدنيا مع ان ما سيؤتيه فى الآخرة اجل واعظم من

ذلك كما تنبئ عنه الآية الآتية (وروى) ان جروا دخل البيت فدخل

تحت السرير فمات فمكث نبى الله اياما لا ينزل عليه الوحى فقال

لخادمته (خوله يا خوله ما حدث فى بيتى ان جبريل لا يأتينى) قالت

خولة فكنست البيت فأهويت بالمكنسة تحت السرير فاذا جرو ميت

فأخذته فالقيته خلف الجدار فجاه نبى الله ترتعد لحياه وكان اذا نزل عليه

الوحى استقبلته الرعدة فقال

(يا خولة دثرينى) فانزل الله هذه السورة فلما نزل جبريل سأله

النبى عليه السلام عن سبب تأخيره فقال اما علمت انا لا ندخل بيتا فيه

كلب ولا صورة

وقيل غير ذلك وفيه اشارة الى انه عليه السلام وقع منه ما هو

ترك الاولى ولذا لم يكن ممقوتا ولا مبغوضا وانما احتبس عند الوحى للتربية

والارشاد وفى التأويلات النجمية ما ودعك ربك بقطع فيض النبوة والرسالة

عن ظاهرك وما قلى بقطع فيض الولاية عن باطنك.

٤

{ وللآخرة خير لك من الاولى } لما انها باقية صافية عن الشوآئب على الاطلاق والاولى اى الدنيا لانها خلقت قبل الآخرة فانية مشوبة بالمضار فالمراد بالآخرة والاولى كراماتهما واللام فى وللآخرة لام الابتدآء المؤكدة لمضمون الجمة وفى التأويلات النجمية يعنى احوال نهايتك أفضل وأكمل من افعال بدايتك كما اخبر بقوله اليوم اكلمت لكم دينكم الآية لانه صلّى الله عليه وسلّم لا يزال يطير بجناحى الشريعة والطريقة فى جو سماء السير ويترقى فى مقامات القرب والكرامة وهكذا حال ورثته.

٥

{ ولسوف يعطيك ربك } اللام للابتدآء دخلت الخبر لتأكيد مضمون الجملة والمبتدأ محذوف تقديره ولانت سوف يعطيك ربك لان لام الابتدآء لا تدخل الاعلى الجملة الاسمية ليست للقسم لانها لا تدخل على المضارع الا مع النون المؤكدة وجمعها مع سول للدلالة على ان الاعطاء

كائن لا محالة وان تراخى لحكمة يعنى ان لام الابتدآء لما تجردت للدلالة على التأكيد وكانت السين تدل على التأخير والتنفيس حصل من اجتماعهما ان العطاء المتأخر لحكمة كائن لا محالة وكانت اللام لتأكيد الحكم المقترن بالاستقبال

{ فترضى } ما تعطاه مما يطمئن به قلبك يعنى شندان عطاراززانى داردكه توكيي بس ومن راضى شدم . وهو نسق على ما قبله بالفاء والآية عدة كريمة شاملة لما اعطاه الله فى الدنيا من كمال النفس وعلوم الاولين والآخرين وظهور الامر واعلاء الدين بالفتوحات والاسلام فى مشارق الارض ومغاربها ولما ادخر له من الكرامات التى لا يعلمها الا الله تعالى وقد انبأ عن سمة منها قوله عليه السلام (لى فى الجنة ألف قصر من لؤلؤ أبيض ترابها المسك) ودر هر كوشكى ازخدم وحور ونعم وامتعه وآنجه لايق آن بود.

روى ان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم دخل على فاطمة رضى الله عنها وعليها كساء من وبر الابل وهى تطحن بيدها وترضع ولدها

فدمعت عيناه لما ابصرها فقال يابنتاه تعجلى مرارة الدنيا الحلاوة الآخرة فقد انزل الله ولسوف يعطيك ربك فترضى.

اما محمد باقر رضى الله عنه در كوفه مى فرموده كه أهل عراق شما ميكوييد كه اميد وارتريت آيتى ازقرآن اينست كه لا تقنطوا من رحمه الله وما أهل البيت برآنيم كه اميد دآيت ولسوف يعطيك ربك فترضى بيشترست يعنى ارجى آية عند أهل البيت هذه الآية جه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم راضى نشود كه يكى ازامت وى دردوزخ باشد

نماند بدوزخ كسى دركرو ... كه دارد جو توسيدى بيشرو

عطاى شفاعت جنانش دهند ... كه امت تمامى زدوزخ رهند

وفى الحديث (اشفع لامتى حتى ينادى لى ارضيت يا محمد فاقول رب قد رضيت) وقال الفهرى ومما يرضيه فيه بعد اخراج كل مؤمن ان لا يسوءه فى امه وبيه وان منع الاستغفار لهما واذن له فى زيارة قبرهما فى وقت دون وقت لانهما من أهل الفترة وقال سبحانه وما كانا معذبين حتى نبعث

رسولا ومن لم يقنعه هذا فحظ المؤمن منهما الوقف فيهما وان لا يحكم عليها بنار الابيض كتاب او سنة او اجماع الامة بخلاف ما ثبت فى عمله ابي طالب انتهى كالمه فى التفسير المسعى بفتح الرحمن وقال حضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر اقمت بمدينة قرطبة بمشهد فأرانى الله اعيان رسله من لدن آدم الى نبينا عليه وعليهم السلام فخاطبنى منهم هود عليه السلام واخبرنى بسبب جمعيتهم وهو أنهم اجتمعوا اشفعاء للحلاج الى نبينا محمد عليه السلام وذلك انه كان قد اساء الادب بأن قال فى حياته الدنيوية ان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم همته دون منصبه قبل له ولم ذلك قال لان الله تعالى قال ولسوف يعطيك ربك فترضى فكان من حقه ان لا يرضى الا يقبل الله شفاعته فى كل كافر ومؤمن لكنه ما قال الا شفاعتى لاهل الكبائر من امتى فلما صدر منه هذا القول جاءه رسول الله فى واقعته وقال له

(يا منصور أنت الذى انكرت على فى الشفاعة) فقال يا رسول الله قد كان ذلك قال (ألم تسمع انى قد حكيت عن ربى عز وجل اذا

احببت عبدا كنت له سمعا وبصرا ولسانا ويدا) فقال بلى يا رسول الله قال

(فاذا كنت حبيب الله كان هو لسانى القائل فاذا هو الشافع والمشفوع

اليه وانا عدم فى وجوده فاى عتاب على يا منصور) فقال يا رسول الله

انا تائب من قولى هذا فما كفارة ذنبى قال (قرب نفسك لله قربانا) قال

فكيف قال (اقتل نفسك بسيف شريعتى) فكان من امره ما كان ثم قال

هود عليه السلام وهو من حيث فارق الدنيا محجوب عن رسول الله والآن

هذه الجمعية لاجل الشفاعة له اليه صلّى الله عليه وسلّم وكانت المدة بين

مفارقته الدنيا وبين الجمعية المذكورة اكثر من ثلاثمائة سنة قال بعض

العارفين الحقيقة المحمدية أصل مادة كل حقيقة ظهرت ومظهرها أصل مادة

كل حقيقة تكونت واليه يرجع الامر كله قال تعالى ولسوف يرضى ولا

يكون رضاه الا بعود ما تفرق منه اليه فأهل الجمال يجتمعون عند جماله

بالعطاء عوضا عن المعطى فيقول لا فقيل له وانك لعلى خلق عظيم اىعلى

همة جليلة اذ لم يؤثر فيك شئ من الاكوان ولا يرضيك شئ منها وقان

بعضهم كم بين من يتكلف ليرضربه وبين من يعطيه ربه ليرضى وقال

القاشانى ولسوف يعطيك ربك الوجود الحقانى لهداية الخلق والدعوة الى الحق بعد الفناء الصرف فترضى به حيث ما رضيت بالوجود البشرى والرضى لا يكون الا حال الوجود وفى التأويلات النجميةاى يظهر عليك بالفعل ما فى قوة استعداك من انواع الكمالات الذاتية واصناف الكرامات الصفاتية والاسمائية

٦

{ الم يجدك يتيما } مات ابواك

{ فآوى } جواب ألم او نسق قاله ابن خالويه اى قد وجدك ربك والوجود بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثانى اى الم يعلمك الله يتيما فجعل لك مأوى تأوى اليه يقال أوى فلان الى منزلة يأوى أويا على فعول رجع ولجأ وآويته انا ايواء والمآوى كل مكان يأوى اليه شئ ليلا او نهارا اى يرجع وينزل ويجوز ان يكون الوجود بمعنى المصادفة ويتيما حال من مفعوله يعنى على المجاز بان يجعل تعلق العلم الوقوعى الحالى مصادفة والا

فحقيقة المصادفة لا تمكن فى حقه تعالى (روى) أن اباه عبد الله ابن عبد المطلب مات وهو عليه السلام جنين قد اتت عليه سنة اشهر وماتت امه وهو ابن ثمان سنين فكفله عمه ابو طالب عطفه الله عليه فأحسن تربيته وذلك ايوآؤه وقال بعضهم لما ولد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان مع جده عبد المطلب ومع آمنة فهلكت امه آمنة وهو ابن ست سنين ثم مات جده بعد امه بسنتين ورسول الله ابن ثمان سنين ولما شرف جده عبد المطلب على الموت اوصى به عليه السلام ابا طالب لأن عبد الله وابا طالب كانا من ام واحدة فكان ابو طالبه و الذى تكفل رسول الله الى ان بعثه الله للنبوة بنصره مدة مديدة ثم توفى ابو طالب نفال المشركون منه عليه السلام ما لم ينالوا فى زمان ابى طالب اى آذوه وكان عليه السلام يقول كنت يتيما فى الصغر وغريبا فى الكبر وكان يحب الايتام ويحسن اليهم وفى الحديث (من ضم يتيما وكان نفقته وكفاه مؤونته كان له حجاب من النار ومن مسح برأس يتيم كان له بكل شعرة حسنة) وانما جعله الله يتيما لئلا يسبق على قلب بشر ان الذى نال من العز والشرف والاستيلاء كان عن

تظاهر نسب او توارث مال او نحو ذلك وفى التأويلات النجمية الم يجدك يتيما اى رآك يتيما فآواك الى صدف النبوة ومشكاة الولاية . بس كه غواص قدم درتك درياى عدم . غطوه زد تابكف آورد جنين دريتيم . يا ديد تراكوهرى يكلنه كه بكمال قابليت ازهمه كائنات منفرد بودى وبقطع علاقة نسبت ازماسوى متوحد ترامتمن ساخته در حضرت احديت جمع كه مقام خاض تست . وفى الكشاف ومن بديع التفاسير أنه من قولهم درة يتيمة وان المعنى الم يجدك واحدا فى قريش عديم النظير اى فى العز والشرف فآواك فى دار اعدآئك فكنت بين القوم معصوما محروسا.

٧

{ ووجدك ضالا } معنى الضلال فقدان الشرآئع والخلو عن الاحكام التى لا يهتدى اليها العقول بل طريقها السماع كما فى قوله تعالى ما كنت تدرى ما الكتابيعنى راه نيافته بودى باحكام وشرآئع.

واليه يؤول معنى الغيبوبة فان ضل يجيئ بمعنى غاب كما فى قوله شربت الاثم حتى ضل عقلى . اى شربت الخمر حتى غاب عقلى وغلب قال الراغب يقال الضلال لكل عدول عن المنهج عمدا كان او سهوا يسيرا كان او كثيرا ولذا نسبت الضلال الى الانبياء والى الكفار وان كان بين الضلالين بون بعيد ألا ترى أنه قال فى النبي عليه السلام ووجدك ضالا فهدى اى غير مهتد لما سبق اليك من النبوة وقال فعلتها اذا وانا من الضالين وقال انا ابانا لفى ضلال مبين تنبيها على ان ذلك منهم سهو انتهى هذا واحذر عن الاساءة فى العبارة

{ فهدى } اى فهداك الى مناهج الشرآئع فى تضاعيف ما اوحى اليك من الكتاب المبين وعلمك ما لم تكن تعلم قدم هذا الامتنان على الاخير لان ابتدآءه بعد زمان اليتيم وقت التكليف فانه عليه السلام كان موفقا للنظر الصحيح حينئذ ولهذا لم يعبد صنما قط ولم يأت بفاحشة وفى الاسئلة المقحمة معناه ووجدك بين ضالين فهداهم بك فعلى هذا يكون الضلال صفة قومه يقال رجل ضعيف اذا ضعف قومه وفى التأويلات

النجمية اى متحير فى نيته الالوهية فهدى الى كمال المعرفة بالصحة بعد

المحو والسكر والضلال الحيرة كما قال انك لفى ضلالك القديم وعن ابن

عباس رضى الله عنهما ان النبى عليه السلام ضل فى شعاب مكة حال

صباه وكان عبد المطلب يطلبه ويقول متعلقا باستار الكعبة

يا رب فاردد ولدى محمد ... ردا الى واصطنعندى يدا

فوجده ابو جهل فرده الى عبد المطلب فمن الله عليه حيث خلصه

على يدى عدوه فكان فى ذلك نظير موسى عليه السلام حين التقط

فرعون تابوته ليكون له عدوا وحزنا

وقيل غير ذلك.

٨

{ ووجدك عائلا } اى فقيرا يؤبده ما فى مصحف عبد الله بن

مسعود رضى الله عنه عديما يقال عال يعيل عيلا وعيلة افتقر اى فاغناك

بمال خديجة رضى الله عنهااو بما افاء عليه من الغنائم حتى كان عليه

السلام يهب المائة من الابل وفى الحديث (جعل رزقى تحت ظل رمحى

) وفيه اشارة الى أنه عليه السلام لو كان متمولا من اولالامر لكان يسبق

الى بعض الاوهام انه انما وجد العز والغلبة بسبب المال فلما علا كل العلو

على الاغنياء والملوك علم أنه كان من جهة الحق

وقيل قنعك واغنى قلبك قال عليه السلام (ليس الغنى عن كثرة

العرض ولكن الغنى غنى انفس) ولذا قال الراغب اى ازال عنك فقر النفس

وجعل لك الغنى الاكبر المعنى بقوله عليه السلام الغنى غنى النفس

وقيل ما عال مقتصد اى ما افتقر وفى التأويلات النجمية اى فقيرا

فانيا عن انيتك وانانيتك بحسب استعدادك القديم فاغنى بالبقاء بوجوده

وجوده واسمائه وصفاته انتهى فالفقر الحقيقى هو التخلى عما سوى الله

وبذل الوجود وما يتبعه وهو الذى وقع الافتخار به قال الامام القشيرى

رحمه الله اغناء الله عبادة على قسمين فمنهم من يغنيهم بتنمية اموالهم وهم

العوام وهو غنى مجازى ومنهم من يغنيهم بتصفية احوالهم وهم الخواص وهو

الغنى الحقيقى لأن احتياج الخلق الى همة صاحب الحال اكثر من احتياجهم

الى نعمة صاحب المال ثم المراد من تعداد هذه النعم ليس الامتنان بل تقوية قلبه عليه السلام للاطمئنان بعد التوديع.

٩

{ فاما اليتيم } منصوب بقوله

{ فلا تقهر } والفاء سببية ليست بمعانعة قال الرضى يتقدم المفعول به على الفعل ان كان المنصوب معمولا لما يلى الفاء التى فى جواب اما اذا لم يكن له منصوب سواه نحو قوله فاما اليتيم فلا تقهر لأنه لا بد من نائب مناب الشرط المحذوف بعد اما والقهر الغلبة والتذليل معا ويستعمل فى كل واحد منهما قال الراغب قوله فلا تقهر اى لا تذلله وقال غيره فلا تغلبه على ماله وحقه لضعفه.

وقدر ايشان بشناس كه شربت يتيمى جشيده . وكانت العرب تأخذ اموال اليتامة وتظلمهم حقوقهم وفى الحديث (اذا بكى اليتيم وقعت

دموعه فى كف الرحمن فيقول من ابكى هذا اليتيم الذى واريت والده تحت الثرى من اسكته اى ارضاه فله الجنة)

الا تانكويد كه عرش عظيم ... بلرزد همى جون بكريد يتيم

وقال مجاهد لا تحتقر فان له ربا ينصره وقرئ فلا تكهر اى فلا تعبس فى وجهه وفى التأويلات النجمية اى لا تقهر يتيم نفسك بكثرة الرياضة والمجاهدة من الجوع والسهر فان نفسك معطيتك وان لنفسك عليك حقا كما قال طه ما انزلنا عليك القرءآن لتشقى.

١٠

{ واما السائل فلا تنهر } النهر والانتهار الزجر بمغالظة اى فلا تزجر ولا تغلظ له القول بل رده ردا جميلا يعنى بانك بروى مزن ومحروم مساركه دردبى نوابى وتنكدستى كشيده . وهذا الثانى بمقابلة الاخير وهو ووجدك عائلا فأغنى لمراعاة الفواصل والآية بينة لجميع الخلق لأن كل واحد

من الناس كان فقيرا فى الاصل فاذا انعم الله عليه وجب ان يعرف حق الفقرآء.

نه خواهنده بر درديكران ... بشكرانه خواهنده ازدرمران

قال ابراهيم بن ادهم قدس سره القوم السؤال يحملون زادنا الى الآخرة وقال ابراهيم النخعى السائل يريد الآخرة يجيئ الى باب احدكم فيقول اتبعثون الى اهليكم بشئ(وروى) ان عثمان بن عفان رضى الله عنه اهدى الى رسول الله عليه السلام عنقود عنب فجاء سائل فاعطاه ثم اشتراه عثمان بدرهم وقدمه الى رسول الله ثانيا ثم عاد السائل فاعطاه ففعل ذلك ثالث فقال النبى عليه السلام ملاطفا للسائل لا غضبان (أسائل انت يا فلان ام تاجر) فنزلت

واما السائل فلا تنهر وهو احد وجوه احتباس الوحى هذا على أن السؤال بمعنى طلب الحاجة من الحوائج الدنيوية وجوز ان يكون من التفتيش عن الامور الدينية وفى الحديث (من كتم علما يعلمه ألجم يوم

القيامة بلجام من نار) وهذا الوعيد يشمل حبس الكتب عمن يطلبها للانتفاع وفى التأويلات النجمية اى لا تنهر سائل قلبك عن الاستغراق فى بعض الاوقات فى بحر الحقيقة لاستراحته بذلك من اعباء تكاليف الانبياء بقولك عند ذلك الاستغراق والاستهلاك يا حميرآء كليمينى.

١١

{ واما بنعمة ربك فحدث } فان تحديث العبد واخباره بنعمة الله شكر باللسان وتذكير للغير وفى الحديث (التحدث بالنعم شكر) واريد بالنعمة ما افاضه الله عليه صلّى الله عليه وسلّم من النعم الموجودة منها والموعودة وحيث كان معظم النعم نعمة النبوة فقد اندرج تحت الامر هدايته عليه السلام لاهل الضلال وتعليمه للشرآئع والحاكم حسبما هداه الله وعلمه من الكتاب والحكمة . صاحب فتوحات قدس سره آورده كه نعمت جيزيست محبوب بالذات ومنعم دراغلب شكور ومياشد بس حق سبحانه وتعالى حبيب خودرا برمودكه از نعمت من سخن كوبى كه خلق محتاجند ومحتاج جون ذكر منعم شنود بدوميل كند واورا دوست دارد بس

بجهنت تحدث بنعمت من خلق را دوست من كردانى ومن ايشانرا دوست ميدارم وهذا الثالث بمقابلة الثانى وهو قوله ووجدك ضالا فهدى اخر لمراعاة الفواصل وان التحلية وهو التحديث بنعمة الله بعد التخلية وهو لا تقهر ولا تنهر وكرر أما لوقوعها فى مقابلة ثلاث آيات قال فى الكواشى رأى بعض التحدث بنعم الله من الطاعات مع امن الرياء وغائلة النفس وطلب الاقتدآء به وكرهه بعض خوف الفتنة وفى عين المعانى قال عليه السلام (التحدث بالنعم شكر وتركه كفر)

واما الحديث الآخر (عليكم بكتمان النعم فان كل ذى نعمة محسود) يعنى عن الحسود لا غير وفى الاشباه اى رجل ينبغى له اخفاه اخراج الزكاة عن بعض دون بعض فقل المريض اذا خاف من ورثته يخرجها سرا عنهم واى رجل يستحب له اخفاؤها فقل الخائف من الظلمة لا يعلمون كثرة ماله وقال ابن عطية فى الآية حديث به نفسك اى لا تنس فضله عليك قديما وحديثا واذا جاز تحديث النعم الظاهرة جاز تحديث النعم الباطنة من الكرامات والمخاطبات ونحو ذلك وفى التأويلات النجمية

اذكر شكر نعمة النبوة على ظاهر نفسك ونعمة الرسالة على باطن قلبك ونعمة الولاية على سرك ونعمة البقاء بعد الفناء على روحك وهو معنى سورة والضحى والليل اذا سجا فافهم وهذا السورة وسورة الانشراح درتان يتيمتان غاليتان لما فيهما من الحكم والمعارف ولذا كانتا هما وسورة النصر من سور الكمل من الاولياء ولما نزلت سورة الضحى كبر صلّى الله عليه وسلّم فرحا بنزول الوحى فصار سنة الله اكبر اولا اله الا الله والله اكبر كما فى الكواشى وقال فى انسان العيون لما نزلت السورة المذكورة كبر عليه السلامفرحا بنزول الوحى واستمر عليه السلام لا يجاهر قومه بالدعوة حتى نزل

واما بنعمة ربك فحدث فعند ذلك كبر عليه السلام ايضا وكان ذلك سببا للتكبير فى افتتاح السورة التى بعدها وفى ختمها الى آخر القرءآن وعن ابى بن كعبرضى الله عنه أنه قرأ كذلك على النبى عليه السلام بعد امره له بذلك وانه كان كلما ختم سورة وقف وقفة ثم قال الله اكبر هذا

وقيل أن اول ابتدآؤه من آخر سورة الضحى الى آخر قل اعوذ برب الناس والاتيان بالتكبير فى الاول والآخر جمع بين الروايتين الرواية التى جاءت بانه يكبر فى اولالسورة المذكورة والرواية الاخرى أنه يكبر فى آخرها ونقل عن الشافعى رحمه الله انه قال لآخر اذا تركت التبكير من الضحى الى الحمد فى الصلاة وخارجها فقط تركت سنة من سنن نبيك عليه السلام لكن فى كلامك الحافظ ابن كثير ولم يرد ذلك اى التكبير عند نزول سورة الضحى باسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف وفى فتح الرحمن صح التكبير عن اهل مكة قرآئهم وعلمائهم وصح ايضا عن ابى جعفر وابى عمر وورد عن سائر القرآ عند الختم وهو سنة مأثورة عن النبى عليه السلام وعن الصحابة والتابعين فى الصلاة وخارجها لكن من فعله فحسن ومن لم يفعله فلا خرج عليه

واما ابتدآؤه فاختلف فيه فروى أنه من اول الم نشرح وروى أنه من اول الضحى واختف ايضا فى انتهائه فروى أن انتهاءه آخر سورة الناس وروى اولها وقد ثبت نصه عن الامامين الشافعى واحمد رحمهما الله ولم

يستحبه الحنابلة لقرآءة غير ابن كثير ولم اطلع على نص فى ذلك لأبى حنيفة ومالك رحمهما الله ولفظه الله اكفر فى رواية البزى ونبل وروى عنهم التهليل قبل التكبير ولفظه لا اله الا الله والله اكبر والوجهان عنهما صحيحان جيدان مشهوران مستعملان وفى صفة التكبير فى رواية ابن كثير بين كل سورتين اربعة عشر وجها الاول قطعه عن آخر السورة ووصله بالبسملة ووصل البسملة باول السورة الآتية وهو ولسوف يرضى قف الله اكبر صل بسم الله الرحمن الرحيم صل والضحى والثانى قطعه عن آخر السورة ووصله بالبسملة والوقوف على البسملة ثم الابتدآء باول السورة وهو ولسوف يرضى قف الله اكبر صل بسم الله الرحمن الرحيم صل والضحى والرابع وصله بآخر السورة والقطع عن البسملة وهو ولسوف يرضى صل الله اكبر قف بسم الله الرحمن الرحيم قف والضحى والخامس قطع التكبير عن آخر السورة وعن البسملة ووصل البسملة بأول السورة وهو ولسوف يرضى قف الله اكبر قف بسم الله الرحمن الرحيم صل والضحى والسادس وصل التكبير بآخر السورة والبسملة و بأول السورة وهو

ولسوف يرضى صل الله اكبر صل بسم الله الرحمن الرحيم صل والضحى والسبع قطع الجميع اى قطع التكبير عن السورة الماضية وعن البسملة وقطع البسملة عن الاسورة الآتية وهو ولسوف يرضى قف الله اكبر قف بسم الله الرحمن الرحيم قف والضحى فهذه السبعة صفته مع التكبير ويأتى مع التهليل مثل ذلك وبقى وجه لا يجوز وهو وصل التكبير بآخر السورة وبالبسملة مع القطع عليها وهو ولسوف يرضى الله ابكر بسم الله الرحمن الرحيم بالوصل فى الجميع ثم يسكت على البسملة ثم يبتدئ والضحى فهذا ممتنع اجماعا لان البسملة لاول السورة فلا يجوز أن تجعل منفصلة عنها متصلة بآخر السورة قبلها.

واعلى أن القارئ اذا وصل التكبير بآخر السورة فان كان آخرها ساكنا كسرة للساكنين نحو فحدث الله اكبر وفارغب الله اكبر وان كان منونا كسره ايضا للساكنين سوآء كان الحرف المنون مفتوحا او مضموما او مكسورا نحو توابا الهل اكبر ولخبير الله اكبر ومن مسد الله اكبر وان كان آخر السورة مفتوحا فتحه وان كان مكسورا كسره

وان كان مضموما ضمه نحو قوله اذا حسد الله اكبر والناس الله اكبر والا

بترالله اكبر وشبهه وان كان آخر السورة هاء كناية موصولة بواو حذف

صلتها للساكنين نحو ربه الله اكبر وشرايره الله ابكر واسقط الف الوصل

التى فى اول اسم الله فى جميع ذلك استغناء عنها الكل فى فتح الرحمن لكل

المواضع منها ينبغى ان يقطع عن التكبير حذرا من الابهام وان كان مقتضى

القياس الوصل نحو الا بترالله اكبر وحسد الله اكبر.

سُورَةُ الْاِنْشِرَاحِ مَكِّيَّةٌ

وَهِيَ ثَمَانِي آياَتٍ

١

{ الم نشرح لك صدرك } قال الراغب الشرح بسط اللحم ونحوه

يقال شرحت اللحم وشرحته ومنه شرح الصدر بنور الهى وسكينة من جهة

الله وروح منه وشرح المشكل من الكلام بسطه واظهار مايخفى من معانيه

انتهى وفى الحديث اذا دخل النور فى القلب انشرح اى عاين القلب

وانفسح اى احتمل البلاء وحفظ سر الربوبية كما قال موسى عليه

السلام رب اشرح لى صدرى اى وضع قلبي حتى لا يضيق بسفاهة

المعاندين ولجاجهم بل يحتمل اذا هم وزيادة لك للايذان بان الشرح من

منافعه ومصالحهعليه السلام وانكار النفى اثبات اى عدم شرحنا لك

صدرك منفى بل قد شرحنا لك صدرك وفسحناه حتى حوى عالم الغيب

والشهادة بين ملكتى الاستفادة والافادة فما صدرك الملابسة بالعلائق

الجسمانية عن اقتباس انوار الملكات الروحانية وما عاقك التعلق بمصالح

الخلق عن الاستغراق فى شؤون الحق اى لم تحتجب لا بالحق عن الخلق ولا

بالخلق عن الحق بل كنت جامعا بين الجمع والفرق حاضرا غائبا وفى

التأويلات النجمية يشير الى انفساح صدر قلبه بنور النبوة وحمل همومها

بواسطة دعوة الثقلين وانشراح صدر سره بضياء الرسالة واحتمال مكاره

الكفار واهل النفاق وانبساط صدر نوره باشعة الولاية وتحققه بالعلوم

اللدنية والحكم الالهة والمعارف الربانية والحقائق الرحمانية

واما شرح الصدر الصورى فقد وقع مرارا مرة وهو ابن خمس اوست لاخراج مغمز الشيطان وهو الدم الاسود الذى به يمل القلب الى المعاصى ويعرض عن الطاعات ةمرة عند ابتدآء الوحى ومرة ليلة المعراج در حديث آمده كه شب معراج جبريل مرا تكيه داد واز بالاى سينه تاناف من بشكافت وميكائيل طشتى از آب زمزم آورده ودرون سينه وعروق حلق مرايدان آب بشتند وجبرئيل دل مرابيرون آورده بشكافت وبشست ودر آخر طشتى ازطلا مملو ازحكمت وايمان آوردند ودل مرا ازان بر ساختند وبرجاى او نهادند ونقلى هست كه بخاتمى ازنور مهر كرد جنانجه اثر راحت ولذت آن هنوز درعروق ومفاصل خودمى يابم . لم خزانة اسرار بود ودست قضا . درش به بست وكليدش بدلستانى داد . ومن هنا قال المشايخ لا بد للطالب فى ابتدآء امره ان يشتغل بذكر لا اله الا الله بحيث يبدأ من الجانب الايمن للصدر ويضرب بالاعلى الجانب الايسر منه ينتقض به العلقة التى هى حظ الشيطان ومنبع الشهوات النفسانية مقدارا بعد مقدار ويمتلئ النور مقام ما ينتقض منها وربما قاء دما اسود رقيقا لانحلاله

بحرارة التوحيد وذوبانه بنار الذكر وهو من صفات الكمل فبدوام الذكر ينشرح الصدر وينفتح القلب.

٢

{ ووضعنا عنك وزرك } اى حططنا واسقطنا عنك حملك الثقيل وعنك متعلق بوضعنا وتقديمه على المفعول الصريح للقصد الى تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر.

٣

{ الذى انقض ظهرك } اى حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك كما يسمع من الرحل المتداعى الى النتقاض من ثقل الحمل وبالفارسية آن بارى كه كران ساخت بشت تراكما قال فى تاج المصادر الانقاض كران كردن . وفى المفردات كسره حتى صار له نقيض وفى القاموس اثقله حتى جعله تقضا اى مهزولا اواثقله حتى سمع نقيضه وفى بعض التفاسير ثقل عليك ثقلا شديدا فان انقاض الحمل الظهر انما

يكون بمعنى تصويت الرحل الذى عليه وهو يكون بثقل الحمل وتأثيره المفضى الى انحراف بعض اجزآء الرحل عن محالها وحصول الصوت بذلك فيه انتهى مثل به حاله عليه السلام مما كان يثقل عليه ويغمه من فرطاته قبل النبوة او من عدم احاطته بتفاصيل الاحكام والشرآئع ومن تهالكه على اسلام المعاندين من قومه وتلهفه ووضعه عند مغفرته كما قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وتعليم الشرائع وتمهيد عذره بعد أن بلغ وبالغ وقد يجعل قوله ووضعنا عنك وزرك كناية عن عصمته من الذنوب وتطهيره من الادناس فيكون كقوله القائل رفعنا عنك مشقة الزيارة لمن لم يصدر عنه زيارة قط على سبل المبالغة فى انتفاء الزيارة منه له.

٤

{ ورفعنا لك ذكرك } بعنوان النبوة واحكامها اى رفع حيث قرن اسمه باسم الله فى كلمة الشهادة والاذان والاقامة وفيه يقول حسان ابن ثابت

اغر عليه للنبوة خاتم ... من الله مشهور يلوح ويشهد

وضم الاله اسم النبي الى اسمه ... اذا قال فى الخمس المؤذن اشهد

وجعل طاعته طاعته تعالى وصلى عليه هو وملائكته وامر المؤمنين بالصلاة عليه وسمى رسول الله ونبى الله وغير ذلك من الالقاب المشرفة.

وذو النون المصرى قدس سره فرمود رفعت ذكر اشارة بآنست كه همم انبيا عليهم السلام بر حوالئ عرش جولان مى نمودند وطاهر همت آن حضرت عليه السلامبرواز ميكرد.

سيمرغ فهم هيجكس ازانبيا نرفت ... آنجاكه تو ببال كرامت بريده

هريك بقدر خويش بجابى رسيده اند ... انجاكه جاى نيست بجاى رسيده

٥

{ قال مع العسر يسرا } تقرير لما قبله ووعد كريم بتيسير كل عسير له عليه السلام وللمؤمنين فاللام للاستغراق قال فى الكشاف فان قلت كيف تعلق قوله فان مع العسر يسرا بما قبله قلت كان المشركون يعيرون رسول الله والمؤمنين بالفقر والضيقة حتى سبق الى وهمه أنهم رغبوا عن الاسلام لافتقار اهله واحتقارهم فذكره ما انعم الله به عليه من جلائل النعم ثم قال فان مع العسر الخ كأنه قيل خولناك من جلائل النعم فكن على ثقة بفضل الله ولطفه فان مع العسر يسرا كثيرا وفى كلمة مع اشعار بغاية سرعة مجيئ اليسر كأنه مقارن للعسر والا فالظاهر ذكر كلمة المعاقبة الاداة المصاحبة لأن الضدين لا يجتمعان بل يتعاقبان

ان مع العسر جو يسرش قفاست ... شاد برآنم كه كلام خداست

وقال بعضهم هذا عند العامة

واما عند الخاصة فالمعية حقيقية كما قيل

برجانم ازتوهرجه رسد جای منت است ... کرناوك جفاست وکر

خنجر ستم

قال حضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر هى معية امتزاج لا معية مقارنة ولا تعاقب ولذلك كررها فلولا وجود اليسر فى العسر لم يبق عسر لعموم الهلاك ولولا وجود العسر فى اليسر لم يبق يسر وبضدها تتبين الاشياء ثم ان العسر يؤول كله الى اليسر فقد سبقت الرحمة الغضب وذلك عناية من الله فان ذلك قد يكون مصقلة وجلاء لقلوب الاكابر وتوسعة لاستعدادهم فتتسع لتجلى الحضرة الالهية وكما أن حظهم من الملائم اوفر فكذلك غير الملائم قال عليه السلام اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل ولذلك قال تعالى ادعونى استجب لكم وقال عليه السلام (ان الله يحب الملحين فى الدعاء) وفى تعريف العسر وتنكير اليسر اشارة لطيفة الى أن الدنيا دار العسر فالعسر عند السامع معلوم معهود واليسر مجهول منهم.

٦

{ ان مع العسر يسرا } تكرير للتأكيد او عدة مستأنفة بأن العسر

مشفوع بيسر آخر كثواب لآخرة كقولك ان للصائم فرحتين اى فرحة عند

الافطار وفرحة عند لقاء الرب وعليه قوله عليه السلام (لن يغلب عسر

يسرين) اى لن يغلب عسر الدنيا يسرى الدنيا والآخرة فان المعرف اذا

اعيد يكون الثانى عين الاول سوآء كان معهودااو جنسا

واما المنكر فيحتمل ان يراد بالثانى فرد مغاير لما اريد بالاول قال

ابن الملك فى شرح المنار المعرفة اذا اعبدت معرفة كانت الثانية

عين الاولى كالعسرين فى قوله تعالىقال مع الخ وهو معنى قول ابن

عباس رضى الله عنهما لن يغلب عسر يسرين قال فخر الاسلام فى جعل

الآية من هذا القبيل نظر لأنها لا يحتمل هذا المعنى كما لا يحتمل قولنا ان

مع الفارس رمحا ان مع الفارس رمحا أن يكون معه رمحان بل هذا من باب

التأكيد فان قلت فاذا حمل على التأكيد فما وجه قول ابن عباس رضى

الله عنهما قلتكأنه قصد باليسرين ما فى قوله يسرا من معنى التفخيم

فيتناول يسر الدارين وذلك يسران فى الحقيقة انتهى

قال بعضهم ان مع عسر المجاهدة يسر المشاهدة ومع عسر الانفصال يسر الاتصال ومع عسر القبض يسر البسط والعسر الواحد هو الحجاب واليسران كشف الحجاب ورفع العتاب.

٧

{ فاذا فرغت } اى من التبليغ او من المصالح المهمة الدنيوية

{ فالنصب } النصب محركة التعب اى فاجتهد فى العبادة واتعب شكرا لما اوليناك من النعم السالفة ووعدناك من الآلاء الآتية وبه ارتبطت الآية بما قبلها ويجوز ان يقال فاذا فرغت من تلقى الوحى فانصب فى تبليغه وقال الحسن رحمه الله اذا كنت صحيحا فاجعل فراغك نصبا فى العبادة كما روى أن شريحا مر برجلين يتصارعان وآخر فارغ فقال ما امر بهذا انما قال الله فاذا فرغت فانصب وقعود الرجل فارغا من غير شغل او اشتغاله بما لا يعنيه فى دينه او دنياه من سفه الرأى وسخافة العقل واستيلاء الغفلة وعن عمر رضى الله عنه انى لأكره أن ارى احدكم فارغا سهلا لا فى عمل

دنياه ولا فى عمل آخرته فلا بد للمرء ان يكون فى عمل مشروع دآئما فاذا فرغ من عمل اتبعه بعمل آخر وقال قتادة والضحاك فاذا فرغت من الصلاة فانصب فى الدعاء . وابو مدين مغربى قدس سره درتأويل اين آيت فرموده كه جون فارغ شوى از مشاهده اكوان نصب كن دل خودرابراى مشاهدة جمال رحمن.

قال فى الكشاف ومن البدع ما روى عن بعض الرافضة أنه قرأ فانصب بكسر الصاد اى فانصب عليا للامامة ولو صح هذا للرافضة لصح للناصى أن يقرأ هكذا ويجعله امرا بالنصب الى هو بغض على وعداوته.

٨

{ والى ربك } وحده

{ فارغب } اصل الرغبة السعة فى الشئ يراد بها السعة فى الارادة فاذا قيل رغب فيه واليه يقتضى الحرص عليه واذا قبل رغب عنه اقتضى

صرف الرغبة عنه والزهد فيه وفى القاموس رغب فيه كسمع رغبا ويضم رغبة اراده وعنه لم يرده اليه رغبا محركة ابتهل او هو الضراعة والمسألة والمعنى فارغب بالسؤال ولا تسأل غيره فانه القادرعلى اسعافك لا غيره . وسخن تو بدركاه قرب مقبولست ودعوات طبت تو در محل قبول.

جو مقصود كون ومكان جودتست ... خدا ميدهد آنجه مقصود تست

وعن بعض الاكابر ألم نشرح لك صدرك برفع غطاء انيتك وكشف حجاب اثنينيتك عن حقيقة احديتنا ووجه صمديتنا ووضعنا عنك ذنب وجودك الذى انقض ظهرك فؤادك بان نطلعك على فناء وجودك الصورى الظلى وبقاء وجودنا الحقيقى العينى ورفعنا لك ذكرك بافنائك فينا وابقائك بنا الى مرتفع الخطاب الوارد فى شأنك بقولنا ان الى ربك المنتهى اى منتهى جميع الارباب الاسماء الالهية فكذلك اليك منتهى كافة المربوبين الحقائق الكونية وبذلك الرفع كنت سيد الكل فارض بالقضاء واصبر على البلاء واشكر على النعماء فان مع عسر الابتلاء بالبلايا المؤدى الى اضطراب

صدرك يسر الامتلاء بالعطايا المفضى الى اطمئنان روحك ان مع العسر

يسرا البتة اذ هكذا جرت سنتنا مع كل عبد ولن تجد لسنتنا تبديلا بأن

يرتفع العسر جميعا ويصيير الكل يسرا او بالعكس فلا تلتفت الى اليسر

والسرور فانه حجاب نورانى ولا الى العسر والالم فانه حجاب ظلمانى فاذا

فرغت من اعطاء حق وارد كل وقت حاضر فانصب نفسك فى منصب

اعطاء وارد كل وقت قابل اذا اتى يعنى فافعل ثانيا كما فعلت اولا وكن

هكذا دآئما الى أن يأنيك اليقين والى ربك اى الى جلاله وجماله وكماله

فارغب لا الى غيره من الامور والاحكام الواردة لعيك فى الاوقات لأن فى

الرغبة والالفات الى غير الرب احتجابا عن الرب وسقوطا عن قرب الى

بعد ومقامك لا يسع غير القرب والانس والحضور وعن طاووس وعمر بن

عبد العزيز رحمهما الله انهما كانا يقولان ان الضحى وألم نشرح سورة واحدة

فكانا يقرآنهما فى ركعة واحدة ولا يفصلان بينهما بالبسملة لأنهما رأيا

أن اول الم نشرح مشاهبة لقوله الم يجدك الخ وليس كذلك لأن تلك حال

اغتمامه عليه السلام بأذى الكفار فهى حال محنة وضيق وهذا حال انشراح الصدر وتطيب القلب فكيف يجتمعان.

ودر ليله معراج ندا آمدكه اى محمد بهواه تابخشيم رسول عليه السلام كفت خداوندا هر بيغمبرى ازتو عطايى يافت ابراهيم را خلت دادى باموسى بى واسطه سخن كفتى ادريس را بمكان عالى رسانيدى داودرا ملك عظيم دادى وزلت وى بيامرزيدى سليمانرا ملكى دادى كه بعد ازوى كن راسزاى آن ندادى عيسى را درشكم مادر توراة وانجيل در آموختى ومرده زنده كردن بردست وى آسان كردى وابراء اكمه وابرص مراودرا دادى جواب الهى آمدكه يا محمد اكر ابراهيم را خلت دادم ترا واكرا باموسى سخن كفتن بى واسطه لكن كوينده را نديد وباتو سخن ميكفتم بى حجاب وكوينده ديدى واكر ادريس را بآسمان رسانيدم ترا از آسمان بحضرت قلب قوسين اوأدنى رسانيدم واكر داودرا ملك عظيم دادم وزلت وى بيامر زيدم امت ترا ملك قناعت دادم وكناهن ايشان بشفاعتت بيامرزيدم واكر سليمان مملكت دادم ترا سبع مثانى وقرآن عظيم دادم

وخاتمه سوره بقره که بهیج بیغمبر بجز تونداده ودعاهای تودر آخر سورة البقره اجابت کردم واعطيتك الكوثر وترابسه خصلت براهل زمين وآسمان فضل دادم يكى الم نشرح لك صدرك ديكر ووضعنا عنك وزرك سوم ورفعنا لك ذكرك واعطيتك ثمانية اسهم الاسلام والهجرة والجهاد والصلاة والصدقة وصوم رمضان والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وارسلتك الى الناس كافة بشيرا ونذيرا وجعلتك فاتحا وخاتما وهذا السوق يشير الى السورة مدنية وفى بعض الروايات سألت ربى مسائل وددت انى لم سألها اياه قط فقلت اتخذت الخ وهو الظاهر وهذا يقتضى ان يكون مسألته عليه السلام من عند نفسه من غير ان يقول الله له سل تعط والله تعالى اعلم

وفى الحديث

(من قرأها اى سورة ألم نشرح فكأنما جاءنى وانا مغتم ففرج عنى)

سُورَةُ التِّينِ مَكِّيَّةٌ

وَهِيَ ثَمَانِي آياَتٍ

١

{ والتين والزيتنون } هما هذا التين الذى يؤكل وهذا الزيتون الذى يعصر منه الزيت خصهما الله من بين الثمار بالاقسام بهما لاختصاصهما بخواص جليلة فان التين فاكهة طيبة لافضل له وغذآء لطيف سريع الهضم ودوآء كثير النفع يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل ما فى المثانة من الرمل ويسمى البدن ويفتح سدد الكبد والطحال وروى ابو ذر رضى الله عنه أنه اهدى للنبى عليه السلام سل من تين فاكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذا الآن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس وعن على بن موسى الرضى رضى الله عنه التين يزيل نكهة الفم ويطول الشعر وهو امان من الفالج قال الامام لما عصى آدم عليه السلام وفارقته ثيابه تستربورق التين ولما نزل وكان مترزا بورق التين استوحش فطافت الظباء

حوله فاستأنس بها فاطعمها بعض ورق التين فرزقها الله الجمال صورة والملاحة معنى وغير دمها مسكا فلما تفرقت الظباء الى مساكنها رأى غيرها عليها من الجبال ما اعجبه فلما كان الغد جاءت ظباء آخر على اثر الاولفاطعمها من الورق فغير الله حالها الى الجمال دون المسك وذلك لأن الاولى جاءت الى آدم لاجله لا لأجل الطمع والطائفة الاخرى جاءت اليه ظاهرا وللطمع باطنا فلا جرم غير الظاهر دون الباطن وفى اسئلة الحكم فان قلت ما الحكمة فى أن سائر الاشجار يخرج ثمارها فى كمامها اولا ثم تظهر الثمرة من الكمام ثانيا وشجرة التين اول ما يبدو ثمرها يبدو بارزا من غير كمام قلت لأن آدم لم يستره الاشجرة التين فقال الله بعدما سترت آدم اخرج منك المعنى قبل الدعوى وسائر الاشجار يخرج منها الدعوى قبلالمعنى قال فى خريدة العجائب اذا نثر رماد خشب التين فى البساتين هلك منه الدود ودخان التين يهرب منه البق والبعوض.

واما الزيتون فهو فاكهة وادام ودوآء ولو لم يكن له سوى اختصاصه بدهن كثير المنافع مع حصوله فى بقاع لا دهنية فيها كالجبال لكفى به

فضلا وشجرته هى الشجرة المباركة المشهورة فى التنزيل ومر معاذ بن جبل رضى الله عنه بشجرة الزيتون فأخذ منها قضيبا واستاك به وقال سمعت النبي عليه السلام يقول نعم سواك الزيتون هو سواكى وساك الانبياء من قبلى وشجرة الزيتون تعمر ثلاثة آلاف سنة ومن خواصها أنها تصبر عن الماء طويلا كالنخل واذا لقط ثمرتها جنب فسدت والقت حملها وانتثر ورقها وينبغى ان تغرس فى المدر لكثرة الغار لان الغبار كلما علا على زيتونها زاد دسمه ونضجه ورماد ورقها ينفع العين كحلا ويقوم مقام التونيا وفى الحديث

(عليكم بالزيت فانه يكشف المرة ويذهب البلغم ويشد العصب ويمنع الغشى ويحسن الخلق ويطيب النفس ويذهب الهم) قال الامام ان التين فى النوم رجل خير غنى فمن ناله فى المنام نال مالا وسعة ومن اكله رزقه الله اولادا ومن اخذ ورق الزيتون فى المنام استمسك بالعروة الوثقى وقال مريض لابن سيرين رأيت فى المنام كأنه قيل لى كل اللاءين تشفى فقال كل الزيتون فانه لا شرقية ولا غربية وقال الطبرى المراد بالتين الجبل

الذى عليه دمشق يعنى جبل الصالحية ويسمى جبل قاسيون والزيتون وهو طور زيتا الجبل الذى يلى بيت المقدس من جهة المشرق وذلك أن التين ينبت كثيرا بدمش والزيتون بايليا.

٢

{ وطور سنين } هو الجبل الذى ناجى عليه موسى عليه السلام ربه قال الماوردى ليس كل جبل يقال له طور الا ان يكون فيه الاشجار والثمار والا فهو جبل فقط وسينين وسيناء علمان للموضع الذى هو فيه ولذلك اضيف اليهما ومعنى سينين بالسريانية ذو الشجر او حسن مبارك بلغة الحبشة وفى كشف الاسرار اصل سينين سيناء بفتح السين كسرها وانما قال ههنا سينين لأن تاج الآيات النون كما قال فى سورة الصافات سلام على الياسين وهو الياس فخرج على تاج آيات السورة.

٣

{ وهذا البلد الأمين } اى الآمن يقال امن الرجل بضم الميم امانة فهو أمين وهو مكة شرفها الله تعالى وامانتها أنها تحفظ من دخلها جاهلية واسلاما من قتل وسبى كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ويجوز ان يكون فعيلا بمعنى مفعول بمعنى المأمون فيه على الحذف والايصال من امنه أنه مأمون الغوآئل والعاهات كما وصف بالامن فى قوله تعالى حرما آمنا بمعنى ذى امن وفى الحديث (من مات فى احد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا) ومعنى القسم بهذه الاشياء الابانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الانبياء والصالحين فمنبت التين والزيتون مهاجر ابراهيم ومولد عيسى ومنشأهما عليهما السلام والطور المكان الذنودى فيه موسى عليه السلاموومكة مكان البيت الذى هو هدى للعالمين ومولد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومبعثه . ودر بحر الحقائق آورده كى بزبان اشارة قسم است بشجره تينيه قلبيه كه مثمر ثمره علوم دينية بتجلئ الهى مجلى است وبلد امين خفى كه محل امن وامانست ازهجوم فات تعلقات اكوان.

يقول الفقير اشار بالتين الى علوم الحقيقة التى محلها السر الانسانى لأنها لذة صرفة ولذا قدمت لأنها المطلب الاعلى لتعلقها بذات الله وصفاته وافعاله وكما أن عمر شجرة التين قصير بالنسبة الى الزيتون فكذا عمر اهل الحقيقة غالبا اذ لا معنى للبقاء فى الدار الفانية بعد حصول المقصود الذى هو الحياة الباقية الا أن يكون لارشاد الناس واشار بالزيتون الى علوم الشريعة التى محلها النفس الانسانية فهى ليست بنعيم محض لأنه لا بد فى الشريعة من اتعاب النفس والقالب واشار بطور سينين الى الروح الذى هو محل المعارف الالهية ومقام المناجاة واشار بالبلد الامين الى مكة الوجود المشتملة على بيت القلب فانه أمن اهلها من اختطاف الشياطين ودخول شر الوسواس الخناس فيها والى الاعمال القالبية الحاصلة بالحواس والاعضاء فالقالب اخذ الشرف من القلب وهو من الروح وهو من السر فلذا كان الكل جديرا بالقسام به.

٤

{ لقد خلقنا الانسان } اى جنس الانسان

{ فى أحسن تقويم } يقال قام انتصب وقام الامر اعتدل كاستقام وقومته عدلته كما فى القاموس والتقويم تصيير الشئ على ما ينغبى ان يكون عليه فى التأليف والتعديل وعن يحيي بن اكثمم القاضى أنه فسر التقويم بحسن الصورة فانه حكى أن ملك زمانه خلا بزوجته فى ليلة مقمرة فقال لها ان لم تكونى احسن من القمر فانت كذا فافتى الكل بالحنث الا يحيي بن اكثم قال لا يحنث فقالوا خالفت شيوخك فقال الفتوى بالعلم ولقد افتى من هو اعلم منا وهو الله تعالى قال لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم فالانسان احسن الاشياء ولا شئ احسن منه وفى المفردات هو اشارة الى ما خص به الانسان من بين الحيوان من العقل والفهم وانتصاب القامة الدال على استبلائه على كل ما فى هذا العالم والمعنى كائنا فى احسن ما يكون من التقويم والتعديل صورة ومعنى حيث يراه تعالى مستوى القامة متناسب الاعضاء حسن الشكل كما قال وصوركم فاحسن صوركم اى صوركم احسن تصوير وكذا خلقه متصفا بالصفات الالهية من الحياة والعلم والارادة والقدرة والسمع والبصر والكلام التى هى الصورة

الحقيقية الالهية المشار اليها بقوله عليه السلام (خلق الله ادم على صورته) وعليه يدور معنى قوله عليه السلام من عرف نفسه فقد عرف ربه فالانسان مظهر الجلال والجمال والكمال.

٥

{ ثم رددناه اسفل سافلين } اى جعلناه من اهل النار الذى هو اقبح من كل قبيح واسفل من كل سافل لعدم جريانه على موجب ما خلقناه عليه من الصفات التى لو عمل بمقتضاها لكان فى اعلى عليين والحاصل انه حول بسوء حاله من احسن تقويم الى اقبح تقويم صورة ومعنى لأن مسخ الظاهر انما هو من مسخ الباطن فالمراد بالسافلين عصاة المؤمنين وافعل التفضيل هنا يتناول المتعدد المتفاوت واسفل سافلين اما حال من المفعول اى رددناه حال كونه اسفل سافلين او صفة لمكان محذوف اردددناه الى مكان هو أسفل امكنة السافلين والاول اظهر ثم هذا بحسب بعض الافراد الانسانية لانغماسهم فى بحر الشهوات الحيوانية البهيمية وانهماكهم فى ظلمات اللذات الجسمانية الشيطانية والسبعية وفيه

اشارة الى أن الاعتبار انما هو بالصورة الباطنة لا بالصورة الظاهرة ولذا قال الشيخ سعدى

ره راست بايدنه بالاى راست ... كه كافرهم ازروى صورت جماست

فكم من مصور على احسن الصور فى الظاهر وهو فى الباطن على اقبح الهيئات ولذا يجيئ الناس يوم القيامة افواجا فان صفاتهم الباطنة تظهر على صورهم الظاهرة فتتنوع صورهم بحسب صفاتهم على انواع

وقيل رددناه الى ارذل العمر وهو الهرم بعد الشباب والضعف بعد القوة كقوله تعالى ومن نعمره ننكسه فى الخلق اى نكسناه فى خلقه فتقوس ظهره بعد اعتداله وابيض شعره بعد سواده وكل سمعه وبصره وتغير كل شئ منه

دورسته درم دردهن داست جاى ... جوديوارى ازخشت سمين بباى

كنونم نكه كن بوقت سخن ... بيفتاده يك يك جو سوركهن

مراهمجنين جعد شبرنك بود ... قبا در براز نازكى تنك بود

درين غايتم رشد بايد كفن ... كه مويم جوبنبه است ودوكم بدن

قال فى عين المعانى ولم تدخل لام الجنس فى سافلين كما ورد فى مصحف عبد الله بن مسعود رضى الله عنه لأنه عنى اسفل الخرفين خاصة دون كل الناس من اهل الزمانة وفى كشف الاسرار السافلون هم الضعفاء من المرضى والزمنى والاطفار فالشيخ الكبي اسفل من هؤلاء جميعا.

٦

{ الا الذين آمنوا } ايمانا صادقا

{ وعملوا الصالحات } المأمور بها والمأجور عليها وهو على الاول استثناء متصل من ضمير ثم رددناه فانه فى معنى الجمل وعلى الثانى منقطع اى لكن الذين كانوا صالحين من الهرمى قال ابو

الليث معنى قوله الا الذين الخ يعنى لا يخرف ولا يذهب عقل من كان عالما عاملا وفى الحديث (طوبى لمن طال عمره وحسن عمله) وعن ابن عباس رضى الله عنهما من قرأ القرءآن لم يرد الى ارذل العمر

{ فلهم اجر } فى دار الكرامة لأنها المحل له ودخول الفاء لتضمن اسم لكن معنى الشرط وهو على الاول للتعليل اى بغير صورهم فى النار لأنهم مثابون فى الجنة

{ غير ممنون } غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على الابتلاء بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على ضعف نهوضهم وفى التيسير عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ان العبد اذا مرض او سافر كتب له مثل ما كان يعمل صحيحا مقيما كذا روى فى الهرم وفى تفسير ابى الليث روى عن النبى عليه السلام أنه قال (ان المؤمن اذا مات صعد الملكان الى السماء فيقولان ان عبدك فلان قد مات فائذن لنا حتى نعبدك على السماء فيقول الله ان سمواتى مملوءة بملائكتى ولكن

اذهبا الى قبره واكتبا حسناته الى يوم القيامة) ويجوز ان يكون المعنى غير ممنون به عليهم كما سبق فى آخر سورة الانشقاق.

٧

{ فما يكذبك بعد بالدين } بعد مبنى على الضم لحذف المضاف اليه ونيته والاستفهام مشعر بالتعجب اى فاى شئ يكذبك يا محمد دلالة او نطقا بالجزآء بعد ظهور هذه الدلائل الناطقة به اى ينبسك الى الكذب بسبب اثباتك الجزآء واخبارك عن البعث والمراد الآلة الدالة على كمال القدرة فان من خلق الانسان السوى من الماء المهين وجعل ظاهره وباطنه على احسن تقويم ودرجه فى مراتب الزيادة الى ان استكمل واستوى ثم نكسه الى ان بلغ الى ارذل العمر لا شك أنه قادر على البعث والجزآء اوفما يجعلك ايها الانسان كاذبا بسبب الدين وانكاره بعد هذا الدليل يعنى انك تكذب اذا كذبت بالجزآء لأن كل مكذب للحق فهو كاذب وحاصله أن خلق الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتحويله من حال الى حال كمالا ونقصانا من اوضح دليل على قدرة الله تعالى على

البعث والجزآء فأى شئ يضطرك بعد هذا الدليل القاطع الى ان تكون كاذبا بسبب تكذيبه ايها الانسان.

٨

{ أليس الله باحكم الحاكمين } اى أليس الذى فعل ما ذكر باحكم الحاكمين صنعا وتدبير حتى يتوهم عدم الاعادة والجزآء اى أليس ذلك بابلغ اتقانا للامور من كل متقن اذ الحاكم هو المتقن للامور ويلزمه كونه تام القدرة كامل العلم وحيث استحال عدم كونه احكم الحاكمين تعين الاعادة والجزآء او المعنى أليس الله باقضى القاضين يحكم بينك وبين من يكذبك بالحق والعدل يقال حكم بينهم اى قضى فالآية وعيد للمكذبين وانه يحكم عليهم بما هم اهله وكان عليه السلام اذا قرأها يقول (بلى وانا على ذلك من الشاهدين) يعنى خارج الصلاة كما فى عين المعانى ويأمر بذلك ايضا قال (من قرأ اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين) ومن قرأ هذه السورة اعطاه الله خصلتين العافية واليقين مادام فى الدنيا ويعطى من الاجر بعدد من قرأها.

سُورَةُ الْعَلَقِ مَكِّيَّةٌ

وَهِيَ تِسْعَ عَشَرَةَ آيَةً

١

{ اقرأ } اى ما يوحى اليك يا محمد فان الامر بالقرآءة يقتضى المقروء قطعا وحيث لم يعين وجب ان يكون ذلك ما يتصل بالام حتما سوآء كانت السورة اول ما نزل ام لا فليس فيه تكليف ما لا يطاق سوآء دل الامر على الفور ام لا والاقرب أن هذا الى قوله ما لم يعلم اول ما نزل عليه صلّى الله عليه وسلّم على ما دلت عليه الاحاديث الصحيحة والخلاف انما هو فى تمام السورة عن عائشة رضى الله عنها اول ما ابتدئ به رسول الله عليه السلام من النبوة حين اراد الله به كرامته ورحمة العباد به الرؤيا الصالحة كان لا يرى رؤيا الا جاءت كفلق الصبح اى كضيائه ونارته فلا يشك فيها احد كما لا يشك فى وضح ضياء الصبح وانما ابتدئ عليه

السلام بالرؤيا لئلا يفجأه الملك الذى هو جبريل بالرسالة فلا تتحملها القوة البشرية لانهما لا تحتمل رؤية الملك وان لم يكن على صورته الاصلية ولا على سماع صوته ولا على ما يخبر به فكانت الرؤيا تأنيسا له وكانت مدة الرؤيا ستة اشهر على على ما هو ادنى الحمل ثم جاءه الملك فعبر من عالم الرؤيا الى عالم المثال ولذا قال الصوفية ان الحاجة الى التعبير انما هى فى مرتبة النفس الامارة واللوامة واذا وصل السالك الى النفس الملهمة كما قال تعالى فألهمها فجورها وتقواها قل احتياجه الى التعبير لأنه حينئذ يكون ملهما من الله تعالى فمرتبة الالهام له كمرتبة مجيئ الملك للرسول عليه السلام فاذا كانت مدة الريا ذلك العدد يكون ابتدآؤها فى شهر ربيع الاول وهو مولده عليه السلام ثم اوحى اليه فى اليقظة فى شهر رمضان وكان عليه السلام فى تلك المدة اذا خلا يسمع ندآء يا محمد يا محمد ويرى نورا اى يقظة وكان يخشى ان يكون الذى يناديه تابعا من الجن كما ينادى الكهنة وكان فى جبل حرآء غار وهو الجبل الذى نادى رسول الله بقوله الى يا رسول الله لما قال له ثبير وهو على ظهره اهبط عنى يا

رسول الله فانى اخاف ان تقتل على ظهرى وكان عليه السلام يتعبد فى ذلك الغار ليالى ثلاثا وسبعا وشهرا ويتزود لذلك من الكعك والزيت وذلك فى تلك المدة وقبلها واول من تعبد فيه من قريش جده عبد المطلب ثم تبعه سائر المتألهين وهم ابو امية بن المغيرة وورقة بن نوفل ونحوهما وكان وقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى بن قصى بن عم خديجة رضى الله عنهما وكان قد قرأ الكتب وكتب الكتاب العبرى وكان شيخا كبيرا قد عمى فى اوآخر عمره ثم لما بلغ عليه السلام رأس الاربعين ودخلت ليلة سبع عشرة من شهر رمضان جاءه الملك وهو فى الغار كما قال المام الصرصرى رحمه الله

واتت عليه أربعون فاشرقت ... شمس النبوة منه فى رمضان

قالت عائشة رضى الله عنها جاءه الملك سحره يوم الاثنين فقال اقرأ قال ما انا بقارئ قال فأخذنى فغطنى اى ضمنى وعصرنى ثم ارسلنى فعله ثلاث مرات ثم قال اقرأ الى قوله مالم يعلم واخذ منه القاضى شريح من التابعين ان المعلم لا يضرب الصبى على تعليم القرءآن اكثر من ثلاث

ضربات فخرج عليه السلام من الغار حتى اذا كان فى جانب من الجبل سمع صوتا يقول يا محمد انت رسول الله وانا جبريل ورجع الى خديجة يرجف فؤآده فحدثها بما جرى فقالت له ابشر يا ابن عمى واثبت فوالذى نفسى بيده انى لارجو أن تكون نبى هذه الامة ثم انطلقت الى ورقة فاخبرته بذلك فقال فيه

فان يك حقا يا خديجة فاعلمى ... حديثك ايانا فاحمد مرسل

وجبريل يأتيه وميكال معهما ... من الله وحى يشرح الصدر منزل

يفوز به من فاز عزا لدينه ... ويشقى به الغاوى الشقى المضلل

فريقان منهم فرقة فى جنانه ... واخرى باغلال الجحيم تغلل

ومكث عليه السلام مدة لا يرى جبريل وانما كان كذلك ليذهب عنه ما كان يجده من الرعب وليحصل له التشوق الى العود وكانت مدة الفترة اى فترة الوحى بين اقرأ وبين يا ايها المدثر وتوفى ورقة فى هذه الفترة دفن الحجون وقد آمن به عليه السلام وصدقه قبل الدعو التى هى الرسالة

ولذا قال عليه السلام (لقد رأيته فى الجنة وعليه ثياب الحرير) ثم نزل يا ايها المدثر قم فانذر فظهر الفرق بين النبوة والرسالة قال بعض العارفين اهل الارداة فى الطلب والمراد مطلوب وهو نعت الحبيب ألا ترا أنه لما قيل له اقرأ استقبله الامر من غير طلب ونظيره الم نشرح لك صدرك فانه فرق بينه وبين قول موسى رب اشرح له صدرى

{ باسم ربك } متعلق بمضمر هو حال من ضمير الفاعل اى اقرأ ملتبسا باسم الله تعالى اى مبتدئا به ليتحقق مقارنته لجميع اجزآء المقروء اى قل بسم الله الرحمن الرحيم ثم اقرأ فعلم أن اقرأ باسم ربك نزلت من غير بسملة وقد صرح بذلك الامام البخارى رحمه الله امره بذلك لأن ذكر اسم الله قوة له فى القرآءة وانس بمولاه فان النس بالاسم يفضى الى الانس بالمسمى والذكر باللسان يؤدى الى الذكر بالجنان والباء فى باسم بره تعالى على على المؤمنين بانواع الكرامات فى الدارين والسين كونه سميعا لدعاء الخلق جميعا والميم معناه من العرش الى تحت الثرى ملكه وملكه وفى الكواشى دخلت الباء فى اقرأ بسم ربك لتدلعلى الملازمة والتكرير

كأخذت بالخطام ولو قلت اخذت الخطام لم يدل على التكرير والجوام

وفى كتاب شمس المعارف اول آية نزلت على وجه الارض بسم الله الرحمن

الرحيم يعنى على آدم الصفى عليه السلام فقال آم الآن علمت أن ذريتى

لا تعذب بالنار ما دامت عليها ثم انزلت على ابراهيم عليه السلام فى

المنجنيق فانجاه الله بها من النار ثم على موسى عليه السلام فقهر بها فرعون

وجنوده ثم على سليمان عليه السلام فقالت الملائكة الآن والله قد تم

ملكك فهى آية الرحمة والامان لرسوله واممهم ولما نزلت على رسول

الله صلّى الله عليه وسلّم فى سورة النمل انه من سلمان وانه بسم الله الرحمن

الرحيم كانت فتحا عظيما فأمر رسول الله فكتبت على رؤوس السور

وظهور الدفاتر واوآئل الرسائل وحلف رب العزة بعزته ان لا يسميه عبد

مؤمن على شئ الا بورك له فيه وكانت لقائلها حجابا من النار وهى تسعة

عشر حرفا تدفع تسعة عشرة زبانية وفى الخبر النبوى لووضعت السموات

والارضون وما فيهن وما بينهن فى كفة والبسملة فى كفة لرجحت

عليها يعنى البسملة

{ الذى خلق } وصف الرب به لتذكير اول النعماء الفائضة عليه منه تعالى والتنبيه على أن من قدر على خلق الانسان على ما هو عليه من الحياة وما يتبعها من الكمالات العلمية والعملية من ماد للم تشم رائحة الحياة فضلا عن سائر الكمالات قادر على تعليم القرآءة للحى العالم المتكلم اى الذى له الخلق والمستأثر به لا خالق سواه فيكون خلق منزل منزلة اللازم وبه يتم مرام المقام لدلالته على أن ك خلق مختص به او خلق كل شئ فيكون من حذف المفعول للدلالة على التعميم وقال فى فتح الرحمن لما ذكر الرب وكانت العرب فى الجاهلية تسمى الاصنام اربابا جاء بالصفة التى لا شركة للاصنام فبها فقال الذى خلق.

٢

{ خلق الانسان } على الاول تخصيص لخلق الانسان بالذكر من بين سائر المخلوقات لاستقلاله ببدآئع الصنع والتدبير وعلى الثانى افراد للانسان من بين سائر المخوقات بالبيان وتفخيم لشأنه اذ هو اشرفهم وعليه نزل التنزيل وهو المأمور بالقرآءة ويجوز أن يراد بالفعل الاول ايضا

خلق الانسان ويقصد بتجريده عن المفهوم الابهام ثم التفسير روما لتخفيم فطرته

{ من علق } جمع علقة كثمر وثمرة وهى الدم الجامد واذا جرى فهو المسفوح اى دم جامد رطب يعلق بما مر عليه لبيان كمال قدرته تعالى باظهار ما بين حالتهاالاولى والآخرة من التباين البين وايراده بلفظ الجمع حيث لم يقل علقة بناء على أن الانسان فى معنى الجمع لأن الالف فيه للاستغراق لمراعاة الفواصل ولعله هو السر فى تخصيصه بالذكر من بين سائر اطوار الفطرة الانسانية مع كون النطفة والتراب ادل منه على كمال القدرة لكونهما ابعد منه بالنسبة الى الانسانية ولما كان خلق الانساناول النعم الفائضة عليه منه تعالى واقوم الدلائل الدالة على وجوده تعالى وكماله قدرته وعلمه وحكمته وصف ذاته تعالى بذلك اولا ليستشهد عليه السلام به على تمكينه تعالى من القرءآة وفى حواشى ابن الشيه ان الحكيم سبحانه لما اراد أن يبعثه رسولا الى المشركين لو قال له اقرأ باسم ربك الذى لا شريك له لابوا أن يقبلوا ذلك منه لكنه تعالى قدم

فى ذلك مقدمة تجلئهم الى الاعتراف به حيث امر رسوله أن يقول لهم انهم هم الذين خلقوا منالعلقة ولا يمكنهم انكاره ثم أن يقول لهم لا بد للفعل من فاعل فلا يمكنهم ان يضيفوا ذلك الفعل الى الوثن لعلمهم بأنهم نحتوه فبهذا التدريج يقرون بأنى انا المستحق للثناء دون دون الاوثان لاءن الالهية موقوفة على الخالقية ومن لم يخلق شيأ كيف يكون الهاء مستحقا للعبادة ومن هذه الطريقة ما يحكى أن زفر لما بعثه ابو حنيفة رحمه الله الى البصرة لتقرير مذهبه فيهم فوصل اليهم وذكر ابا حنيفة منعوه ولم يلتفتوا اليه فرجع الى ابى حنيفة لتقرير بذلك فقال له ابو حنيفة انك لم تعرف طريق التبليغ لكن ارجع اليهم واذكر فى المسألة اقاويل ائمتهم ثم بين ضعفها ثم قل بعد ذلك ههنا قول اخر فاذكر قولى وحجتى فاذا تمكن ذلك فى قلبهم فقل هذا قول ابى حنيفة فانهم حينئذ يستحسنونه فلا يردونه.

٣

{ اقرأ } اى افعل ما امرت به وكرر علامة الامر بالقرآءة تأكيدا للايجاب وتمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى

{ وربك الاكرم } الخ فانه كلام مستأنف ولذا وضع السجاوندى علامة الوقف الجائز على خلق وارد لازاحة ما بينه عليه السلام من العذر بقوله (ما انا بقارئ)يريد أن القرآءة شأن من يكتب ويقرأ وانا امى فقيل له وربك الذى امرك بالقرآءة متبدئا باسمه وهو الاكرم اى الزآئد فى الكرم على كل كريم فانه ينعم بلا غرض ولا يطلب مدحا او ثوابا او تخلصا من المذمة ايضا أن كل كريم انما اخذ الكرم منه فكيف يساوى الاصل وقال ابن الشيخ ربك مبتدأ والاكرم صفته والذى مع صلته خبر.

٤

{ الذى علم بالقلم } اى علم ما علم بواسطة القلم لا غيره فكما علم القارئ بواسطة الكتابة والقلم يعلمك بدونهما وقال بعضهم علم الخط بالقلم والقلم ما يكتب به لأنه يقلم ويقص ويقطع وفيه امتنان على الانسان بتعليم علم الخط وزالكتابة بالقلم ولذلك قيل العلم صيد والكتابة قيده

وقيل

وما من كاتب الا سيبلى ... ويبقى الدهر ما كتبت بداه

فلا تكتب بكفك غير شئ ... يسرك فى القيامة ان تراه

ولولا القلم ما استقامت امور الدين والدنيا وفيه اشارة الى القلم الاعلى الذى هو اول موجود وهو الروح النبوى عليه السلام فان الله علم القلب بواسطته ما لم يعلم من العلوم التفصيلية قال كعب الاحبار اول من وضع الكتاب العربى والسريانى والكتب كلها آدم عليه السلام قبل موته بثلاثمائة سنة كتبها فى الطين ثم طبخه فاستخرج ادريس ما كتب آدم وهذا هو الاصح

واما اول من كتب خط الرمل فادريس عليه السلام واول من كتب بالفارسية طهمورث ثالث ملوك الفرس واول من اتخذ القراطيس يوسف عليه السلام قال السيوطى رحمه الله اول ما خلق الله القلم قال له

لاكتب ما هو كائن الى يوم القيامة واول ما كتب القلم انا التواب اتوب على من تاب

قال بعضهم وجه المناسبة بين الخلق من العلق وتعليم القلم أن ادنى مراتب الانسان كونه علقة واعلاها كونه عالما فالله تعالى امتن على الانسان بنقله من ادنى المراتب وهى العلقة الى اعلاها وهو تعلم العلم ثم الله الذى خلق الانسان على صورته الحقيقية خلقه من علقة التجلى الاولى الحبى المشار اليه بقوله (كنت كنزا مخفيا فاحببت أن اعرف فخلقت الخلق فصارت المحبة الذاتية علقة بالايجاد الحى وهو اكرم الاكرمين) اذ هو جامع محيط بجميع الاسماء الدالة على الكرم كالجواد والواهب والمعطى والرازق وغيرها.

٥

{ علم الانسان ما لم يعلم } بدل اشتمال من علم بالقلم وتعيين للمفعول اى علمه به وبدونه من الامور الكلية والجزئية والجلية والخفية ما

لم يكتب قلت لأنه لو كتب لقيل قرأ القرءآن من صحف الاولين ومن كان القلم الاعلى يخدمه واللوح المحفوظ مصحفه ومنظره لا يحتاج الى تصوير الرسوم وتشكيل العلوم بآيات الجسمانية لأن الخط صنعة ذهنية وقوة طبيعية صدرت بالآلة الجسمانية وفيه اشارة بديعة الى أن امته بين الامم هم الروحانيون وصفهم سبحانه فى الانجيل امة محمد انا جيلهم فى صدورهم لو لم يكن رسم الخطوط لكانوا يحفظون شرآئعه عليه السلام بقلوبهم لكمال قوتهم وظهور استعداداتهم.

٦

{ كلا } ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه وان لم يسبق ذكره للمبالغة فى الزجر فيوقف عليه وقال السجاوندى يوقف على ما لم يعلم لأنه بمعنى حقا ولذا وضع علامة الوقف عليه

{ ان الانسان ليطغى } اى يتجاوز الحد ويستكبر على ربه بيان للمردوع والمردوع عنه قيل ان هذا الى آخر السورة نزل فى ابى جهل بعد زمان وهو الظاهر.

٧

{ أن رآه استغنى } مفعول له اى يطغى لأن رأى وعلم نفسه مستغنيا او ابصر مثل ابى جهل واصحابه ومثل فرعون ادعى الربوبية قال ابن مسعود رضى الله عنهمنهومان لا يشبعان طالب العلم وطالب الدنيا ولا يستويان اما اطالب العلم فيزداد فى رضى الله

واما طالب الدنيا فيزداد فى الطغيان وتعليل طغيانه برؤيته لنفسه الاستغناء للايذان بأن مدار طغيانه زعمه الفاسد روى أن ابا جهل قال لرسول الله عليه السلاماتزعم أن من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة فضة وذهبا لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل جبريل فقال ان شئت فلعنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا

باصحاب المائدة فكف رسول الله عن الدعاء ابقاء عليهم ورحمة واول هذه السورة يدل على مدح العلم وآخرها على مذمة المال وكفى بذلك مرغبا فى العلم والدين ومنفرا عن المال والدنيا وكان عليه السلام يقول اللهم انى اعوذ بك من غنى يطغى وفقر ينسى وفيه اشارة الى أن الانسان اذا رأى نفسه مظهر بعض صفات ربه واسمائه يدعها لنفسه ويظن أن تلك الصفات والاسماء الالهية المودعة فيه بحكمة بالغة ملك له وهو مالكها فيعجب بها وبكمالاتها فيستغنى عن مالكها الذى اودعها فيه ليستدل بها على خالقه وبارئه.

٨

{ ان الى ربك الرجعى } الرجعى مصدر بمعنى الرجوع والالف للتأنيث اى ان الى مالك امرك ايها الانسان رجوع الكل بالموت والبعث لا الى غيره استقلالا اواشتراكا فسترى حينئذ عاقبة طغيانك

وآنجاهمه را عمل بكار آيدنه اموال ... توانكرى نه بمالست نزداهل

كمال ... كه مال تالب كورست وبعد ازان اعمال ...

٩

انظر تفسير الآية:١٠

١٠

{ ارأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى } الاستفهام للتعجيب والرؤية بصرية والخطاب لكل من يتأتى منه الرؤية وتنكير عبدا لتفخيمه عليه السلام كأنه قيل ينهى اكمل الخلق فى العبودية عن عبادة ربه والعدول عن ينهاك الى ينهى عبدا دال على أن النهى كان للعبد عن اقامة خدمة مولاه ولا اقبح منه روى أن ابا جهل قال فى ملأ من طغاة قريش لئن رأيت محمدا يصلى لأطأن عنقه وفى التكملة نهى محمدا عن الصلاة وهم أن يلقى على رأسه حجرا فرآه فى الصلاة وهى صلاة الظهر فجاءه ثم نكص على عقبيه فقالوا مالك فقال ان بينى وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة

فنزلت والمراد اجنحة الملائكة ابصر اللعين الاجنحة ولم يبصر اصحابها

فقال عليه السلام (والذى نفسى بيده لو دنا منى لاختطفته الملائكة

عضو عضوا) وكان ابو جهل يكنى فى الجاهلية بأبى الحكم لأنه كانوا

يزعمون أنه عالم ذو حكمة ثم سمى ابا جهل فى الاسلام.

يقول الفقير كان عليه السلام يدعو ويقول (اللهم اعز الاسلام

بابى جهل او بعمر) فلما اعزه الله بعمر رضى الله عنه دل على أن عمرا

سعد قريش كما ان ابا جهل اشقى قريش اذا الاشياء تتبين باضدادها.

١١

{ ارأيت } رؤية قلبية معناه اخبرنى ذلك الناهى وهو

المفعول الاول

{ ان كان على الهدى } فيما ينهى عنه من عبادة الله.

١٢

{ او امر بالقوى } اى امر بالتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان

كما يعتقده وهذه الجملة الشرطية بجوابها المحذوف وهو ألم يعلم بأن الله

يرى سدت مسد المفعولالثانى فان المفعول الثانى لأرأيت لا يكون الا جملة

استفهامية او قسمية وانما حذف جوب هذه الشرطية اكتفاء عنه بجواب

الشرطية لأن قوله ان كذب وتولى مقابل للشرطالاول وهوان كان على

الهدى او امر بالتقوى والآية فى الحقيقة تهكم بالناهى ضرورة انه ليس فى

النهى عن عبادته تعالى والامر بعبادة الاصنام على هدى البتة.

١٣

{ ارأيت } اخبرنى ذلك الناهى

{ ان كذب وتولى } اى ان كان مكذبا للحق معرضا عن

الصواب كما نقول نحن ونظم الامر والتكذيب والتولى فى سلك الشرط

المتردد بين الوقوع وعدمه ليس باعتبار انفس الافعال المذكورة من حيث

صدورها عن الفاعل فان ذلك ليس فى حيز التردد اصلا بل باعتبار اوصافها التى هى كونها امرا بالتقوى وتكذيبا وتوليا.

١٤

{ ألم يعلم بأن الله يرى } جواب للشرطية الثانية اى يطلع على احواله فيجاريه بها حتى اجترأ على ما فعل اى قد علم ذلك الناهى أن الله يرى فكيف صدر منه ما صدر وانما افرد التكذيب والتولى بشرطية مستقلة مقرونة بالجواب مصدره باستخبار مستأنف ولم ينظمهما فى سلك الشرط الاول بعطفهما على كان للايذان باستقلالهما بالوقوع فى نفس الامر وباستتباع الوعيد الذى ينطق به الجواب

واما القسم الاول فأمر مستحيل قد ذكر فى حيز الشرط لتوسيع الدآئرة وهو السر فى تجريد الشرطية الاولى عن الجوب والاحالة به على جواب الثانية

وقيل المعنى ارأيت الذى ينهى عبدا يصلى والمنهى على الهدى امرا بالتقوى والناهى مكذوب متول ولا اعجب من ذا.

بزركان كفته انددر كلمه ان الله يرى هم وعد مندرجست وهم وعيد اى فاسق توبه كن كه ترامييبند اى مرايي اخلاص ورزكه ترامبيند اى درخلوت قصد كناه كرده هش داركه ترامى بيند درويشى بعد ازكناهى توبه كرده بود وبيوسته مى كريست كفتند جندمى كريي خداى تعالى غفورست كفت ارى هرجند عفو كندخجلت آنراكه اومى ديده جه كونه دفع كنم

كيرم كه تاوز سرك كنه در كذرى ... زان شرم كه ديدى كه جه كردم جه كنم

قال الو الليث رحمه الله والآية عظة لجميع الناس وتهديد لمن يمنع عن الخير وعن الطاعة وقال ابن الشيخ فى حواشيه وهذه الآية وان نزلت فى حق ابى جهل لكن كل من نهى عن طاقة فهو شريك ابى جهل فى هذا

الوعيد ولا يلزم عليه المنع من الصلاة فى الدار المغصوبة والاوقات المكروهة لأن المنهى عنه غير الصلاة وهو المعصية فان عدم مشروعية الوصف المقارن وكونه مستحقا لأن ينهى عنه لا ينفى مشروعية اصل الصلاة الا أنه لشدة الاتصال بينهما بيحث يكون النهى عن الوصف موهمان للنهى عن الاصل احتاط فيه بعض الاكابر حتى روى عن علي رضى الله عنه رأى فى المصلى اقواما يصلون قبل صلاة العيد فقال ما رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يفعل ذلك فقيل له ألا ننهاهم فقال اخشى أن ندخل تحت وعيد قوله تعالى ارأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى فلم يصرح بالنهى عن الصلاة احتياطا واخذ ابو حنيفة هذا الادب الجميل حتى قال له ابو يوسف ايقول المصلى حين يرفع رأسه من الركوع اللهم اغفر لى قال يقول ربنا لك الحمد ويسجد ولم يصرح بالنهى.

١٥

{ كلا } ردع للناهى اللعين وخسوء له عن نهيه عن عبادة الله وامره بعبادة اللات

{ لئن لم ينته } اللام موطئة للقسم المضمر اى والله لئن لم ينته

عما هو عليه ولم ينزجر ولم يتب ولم يسلم قبل الموت والاصل ينتهى بالياء

يقال نهاه ينهاه هيا ضد امره فانتهى

{ لنسفعا بالناصية } اصله لنسفعن بالنون الخفيفة للتأكيد ونظيره

وليكونا من الصاغرين كتب فى المصحف بالالف على حكم الوفق فانه

يوقف على هذا النون بالالف تشبيها لها بالتنوين والسفع القبض على

الشيء وجذبه بعنف وشدة والناسية شعر مقدم الرأس والمعنى لنأخذن فى

الآخرة بناصيته ولنسحبنه بها الى النار بمعنى لنأمرن الزبانية ليأخذوا بناصيته

ويجروه الى النار بالتحقير والاهانة وكانت العرب تأنف من جر الناصية وفى

عين المعانى الاخذ بالناصية عبارة عن القهر والهوان والاكتفاء بلام العهد

عن الاضافة لظهور أن المراد ناصية الناهى المذكور ويحتمل ان يكون المراد

من هذا السفع سحبه على وجهه فى الدنيا يوم بدر فيكون بشارة بان

يمكن المسلمين من ناصيته حتى يجروه على وجهه اذا عاد الى النهى فلما

عاد مكنهم الله من ناصيته يوم بدر (روى) أنه لما نزلت سورة الرحمن

قال عليه السلام (من يقرأها على رؤساء قريش فتثاقلوا) فقام ابن مسعود رضى الله عنه وقال انا فأجلسه عليه السلام ثم قال ثانيا من يقرأها عليهم فلم يقم الا ابن مسعود رضى الله عنه ثم ثالثا الى ان أذن له وكان عليه السلاميبقى عليه لما كان يعلم ضعفه وصغر جثته ثم انه وصل اليهم فرآهم مجتمعين حول الكعبة فافتتح قرآءة السورة فقام ابو جهل فلطمه فشق اذنه وادماها فانصرف وعينه تدمع فلما رآه عليه السالم رق قلبه واطرق رأسه مغموما فاذا جبرآئيل جاء ضاحكا مستبشرا فقال باجبرائيل تضحك ويبكى ابن مسعود فقال سيعلم فلما ظفر المسلمون يوم بدر التمس ابن مسعود ان يكون له حظ فى الجهاد فقال له عليه السلام (خذ رمحك والتمس فى الجرحى من كان له رمق فاقتله فانك تنال ثواب المجاهدين) فاخذ يطالع القتلى فاذا ابو جهل مصروع يخور فخاف ان اتكون به قوة فيؤذيه فوضع الرمح على منحره من بعيد فطعنه ولعل هذا قوله سنسمه على الخرطوم لم لما عرف عجزه لم يقدر ان يصعد على صدره لضعفه فارتقى عليه بحيلة فلما رآه ابو جهل قال له يا رويعى الغنم

لقد ارتقيت مرتقى صعبا فقال ابن مسعود الاسلام يعلو ولا يعلى عليه فقال له ابو جهل بلغ صاحبك انه لم يكن احد ابغض الى منه فى حال مماتى فروى أنه عليه السلام لما سمع ذلك قال

(فرعونى اشد من فرعون موسى) فانه قال آمنت وهو قد زاد عنوا ثم قال يا ابن مسعود اقطع بسيفى هذا لأنه أحد وأقع فلما قطع رأسه لم يقدر على حمله فشق اذنه وجعل الخيط فيها وجعل يجره الى رسول الله عليه السلام وجبرآئيل بين يديه يضحك ويقول يا محمد اذن باذن لكن الرأس ههنا مع الاذن مقطوع ولعل الحكيم سبحانه انما خلقه ضعيفا حتى لم يقو على الرأس المقطوع لوجوه احدها أن ابا جهل كلب والكلب يجر ولا يحمل والثانى ليشق الاذن فيقتص الاذن بالاذن والثالث ليحقق الوعيد المذكور بقوله لنسفعا بالناصية فيجر تلك الرأس على مقدمها قال ابن الشيخ والناصة شعر السبب فى تخصيص السفع بها ان اللعين كان شديد الاهتمام بترجيل الناصية وتطييبها.

١٦

{ ناصية كاذبة خاطئة } بدل من الناصية وانما جاز ابدالها من المعرفة وهى نكرة لوصفها ووصف الناصية بالكذب والخطأ على الاسناد المجازى وهما لصاحبها وفيه من الجزالة ما ليس فى قولك ناصية كاذب خاطئ كأن الكافر بلغ فى الكذب قولا والخطأ فعلا الى حيث أن كلا من الكذب والخطأ ظهر من ناصيته وكان ابو جهل كاذبا على الله فى أنه لم يرسل محمدا وكاذبا فى أنه ساحر ونحوه وخاطئا بما تعرض له عليه السلام بانواع الاذية.

١٧

{ فليدع } من الدعوة يعنى كوبخواند ابو جهل

{ ناديه } اى اه لناديه ومجلسه ليعينوه وهو المجلس الذى ينتدى فيه القوم اى يجتمعون وقدر المضاف لأن نفشس المجلس والمكان لا يدعى ولا يسمى المكان ناديا حتى يكون فيه اهله ودار الندوة بمكة كانوا يجتمعون فيها للتشاور وهى الآن لمحفل الحنفى روى أن ابا جهل مر برسول الله وهو

يصلى فقال ألم ننهك فاغلظ رسول الله فقال اتهددنى وانا اكثر اهل الوادى ناديا يريد كثرة من يعينه فنزلت

١٨

{ سندع الزبانية } اى ملائكة العذاب ليجره الى النار وواحد منهم يغلب على ألف ألف من امثال اهل ناديه قال عليه السلام لو دعا نايده لاخذته الزبانية عيانا.

اجتمعت المصاحف العثمانية على حذف الواو من سندع خطا ولا موجب للحذف من العربية لفظا ولعله للمشاكلة مع فليدع او للتشبيه بالامر فى أن الدعاء امر لا بد منه وقال ابن خالويه فى اعراب الثلاثين آية الاصل سندعو بالواو وغير أن الواو ساكنة فاستثقلتها اللام ساكنة فسقطت الواو فى المصحف من سندع ويدع الانسان ويمح الله الباطل وكذلك الياء من واد النمل وان الله لهاد الذين آمنوا والعلة فيهأ ما انبأتك من بنائهم الخط على اللفظ انتهى والزبانية فى الاصل فى كلام العرب

الشرط كصرد جمع شرط بالضم وهم طائفة من اعوان الولاة سموا بذلك لأنهم اعلموا انفسهم بعلامات يعرفون بها كما فى القاموس والشرط بالتحريك والعلامة والواحد زبنية كعفرية وعفرية الديك شعرة القفا الى يردها الى يا فوخه عند الهراش من الزبن بالفتح كالضرب وهو الدفع لأنهم يزبنون الكفار اى يدفعونهم فى جهنم بشدة وبطش يعنى أن ملائكة العذاب سموا بما سمى به الشرط تشبيها لهم بهم فى البطش والقهر والعنف والدفع

وقيل الواحد زبنى وكأنه نسب الى الزبن ثم غير الى زبانية كأنسى بكسر الهمزة واصلها زبانى

وقيل زبانية بتعويض التاء عن الياء بعد حذفها للمبالغة فى الدفع وفيه اشارة الى التجليات القوية الجلالية الجرارة ابا جهل النفس الامارة واهل ناديه الذى هو الهوى وقواه الظلمانية الى نار الخذلان وجهنم الخسران.

{ كلا } ردع بعد ردع للناهى المذكور وزجر له اثر زجر فهو متصل بما قبله ولذا جعلوا الوقف عليه وقفا مطلقا

{ لا تطعه } اى دم على ما انت عليه من معاصاة ذلك الناهى الكاذب الخاطئى كقوله تعالى ولا تطع المكذبين

{ واسجد } وواظب على سجودك وصلاتك غير مكترث به

{ واقترب } وتقرب بذلك السجود الى ربك وفى الحديث (اقرب ما يكون العبد من ربه اذا سجد فأكثروا من الدعاء فى السجود) كلمة ما مصدرية وأقرب مبتدأ حذف خبره ويكون تامة اى اقرب وجود العبد من ربه حاصل وقت سجوده . ودر فتوحات اين راسجده قرب كفته . وهذا محل سجود عند الثلاثة خلافا لمالك وهم على اصولهم فى قولهم بالوجوب والسنية ثم ان السجود اشارة الى ازالة حجاب الرياسة وفى

الحديث (لا كبر مع السجود) يعنى هركه سجده آرد از كبر دور كشت وبر دركاه الله شرف مت ضعان يافت.

روى أن ابراهيم عليه السلام اضاف يوما مائتى مجوسى فلما اكلوا قالوا امرنا يا ابراهيم قال ان لى الكيم حاجة فقالوا ما حاجتك قال اسجدوا لربي سجدة واحد فتشاوروا فيما بينهم فقالوا ان هذا الرجل قد صنع معروفا كثيرا فلو سجدنا لربه ثم رجعنا الى آلهتنا لا يضرنا ذلك بشئ فسجدوا جميعا فلما وضعوا رؤسهم على الارض ناجى ابراهيم ربه فقال انى جهدت جهدى حتى حملتهم على هذا ولا طاقة لى على غيره وانما التوفيق والهداية بيدك اللهم زين صدورهم بالاسلام فلما رفعوا رؤوسهم من السجود اسلموا وللسجدة اقسام سجدة الصلاة وسجدة التلاوة وسجدة السهو وهذه مشهورة وسجدة التعظيم لجلال الله وكبريائه وسجدة التضرع اليه خوفا وطمعا وسجدة الشكر له وسجدة المناجاة وهذه مستحبة فى الاصلح صادرة عن الملائكة وعن رسول الله عليه السلام وسائر الانبياء والاولياء عليهم السلام وقال ابو حنيفة ومالك سجود الشكر مكروه فيقتصر على

الحمد والكشر باللسان وقال الامامان هى قربه يثاب قاعلها وقال القاشانى قرأ عليه السلام فى هذه السجدة اى سجدة اقرأ اعوذ بعفوك من عقابك اى بفعل لك من فعل لك واعوذ برضاك من سخطك اى بصفة لك من صفة لك واعوذ بك منك اى بذاتك من ذاتك وهو معنى اقترابه بالسجود.

سُورَةُ الْقَدْرِ مَكِّيَّةٌ

وَهِيَ خَمْسُ آياَتٍ

١

{ انا انزلناه فى ليلة القدر } النون للعظمة او للدلالة على الذات مع الصفات والاسماء والضمير للقرءآن لأن شهرته تقوم مقام تصريحه باسمه وارجاع الضمير اليه فكأنه حاضر فى جميع الاذهان وعظمه بأن اسند انزاله الى جنابه مع أن نزوله انما يكون بواسطة الملك وهو جبرآئيل على طريقة القصر بتقديم الفاعل المعنوى الا انه اكتفى بذكر الاصل بمعنى نحن انزلناه

فادخل ان للتحقيق فاختير اتصال الضمير للتخفيف ومعنى صيغة الماضى انا حكمنا بانزاله فى ليلة القدر وقضينا به وقدرناه فى الازل ثم ان الانزال يستعمل فى الدفعى والقرءآن لم ينزل جملة واحدة بل انزل منجما مفرقا فى ثلاث وعشرين سنة وهذه السورة من جملة ينزل جملة ما انزل وجوابه أن المراد أن جبرآئيلنزل به جملة واحده فى ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى بيت العزة فى السماء الدنيا واملاه على السفرة اى الملائكة الكاتبين فى تلك السماء ثم كان ينزل على النبى عليه السلام منجما على حسب المصالح وكان ابتدآء تنزيله ايضا فى تلك الليلة وفيه اشارة الى أن بيت العزة اشرف المقامات السماوية بعد اللوح المحفوظ لنزول القرءآن منه اليه ولذلك قيل بفضل السماء الاولى على اخواتها لائنها مقر الوحى الربانى

وقيل لشرف المكان بالمكين وكل منهما وجه فان السلطان انما ينزل على انزه مكان ولو فرضنا نزوله على مسبخة لكفى نزوله هناك شرفا لها فالمكان الشريف يزداد شرفا بالمكين الشريف كما سبق فى سورة البلد ففى نزول القرءآن بالتدريج اشارة الى تعظيم الجناب المحمدى كما تدخل الهدايا

شيأ بعد شئ على ايدى الخدام تعظيما للمهدى اليه بعد التسوية بيه وبين

موسى عليهما السلام بانزاله جملة الى بيت العزة وفى التدريج ايضا تسهيل

للحفظ وتثبيت لفؤاده كما قال تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه

القرءآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك وكلام الله المنزل قسمان

القرءآن والخبر القدسى لأن جبرآئيل كان ينزل بالسنة كما ينزل بالقرءآن

ومن هنا جاز رواية السنة بالمعنى لان جبرآئيل اداها بالمعنى ولم تجز القرءآن

بالمعنى لأن جبرآئيل اداها باللفظ والسر فى ذلك التعبد بلفظه والاعجاز

به فانه لا يقدر أحد أن يأتى بدله بما يشتمل عليه من الاعجاز لفظا ومن

الاسرار معنى فكيف يقوم لفظ الغير ومعناه مقام حرف القرءآن ومعناه ثم

ان اللوح المحفوظ قلب هذا التعين ولكن قلب الانسان ألطف منه لأنه

زبدته واشرفه لأن القرءآن نزل به الروح الامين على قلب النبى المختار وهنا

سؤال وهو أن الملائكة بأسرهم صعقوا ليلة نزول القرءآن من حضرة اللوح

المحفوظ الى حضرة بيت العزة فما وجهه والجواب أن محمدا صلّى الله عليه

وسلّم عندهم من أشراط القيامة والقرءآن كتاب فنزوله دل على قيام الساعة

فصعقوا هيبة منه واجلالا لكلامه وحضرة وعده ووعيده وفى بعض الاخبار
ان الله تعالى اذا تكلم بالرحمة تكلم بالفارسية والمراد بالفارسية لسان غير
العرب سريانيا كان او عبرانيا واذا تكلم بالعذاب تكلم بالعربية فلما سمعوا
العربية المحمدية ظنوا أنه عقاب فصعقوا وسيأتى معنى القدر ثم القرءآن
كلامه القديم انزله فى شهر رمضان كما قال تعالى شهر رمضان الذى انزل
فيه القرءآن وهذا هو البيان الاول ولم ندر نهار انزل فيه ام ليلا فقال تعالى
ان انزلناه فى ليلة مباركة وهذا هو البيان الثانى ولم ندراى ليلة هى فقال
تعالى انا انزلناه فى ليلة القدر فهذا هو البيان الثالث الذى هو غاية البيان
فالصحيح أن ليلة التى يفرق فيها كل امر حكيم وينسخ فيها امر السنة
وتدبير الاحكام الى مثلها هى ليلة القدر والتقدير الامور فيها سميت ليلة
القدر ويشهد التنزيل لما ذكرنا اذ فى اول الآية انا انزلناه فى ليلة مباركة ثم
وصفها فقال فيها يفرق كل امر حكيم والقرءآن انما نزل فى ليلة القدر
فكانت هذه الآية بهذا الوصف فى هذه الليلة مواطئة لقوله تعالى انا انزلناه
فى ليلة القدر كذا فى قوت القلوب للشيخ ابى طالب المكى قدس سره فان

قلت ما الحكمة فى انزال القرآن ليلا قلت لأن اكثر الكرامات ونزول النفحات والاسرآء الى السموات يكون بالليل والليل من الجنة لأنها محل الاستراحة والنهار من النار لأن فيه المعاش والتعب والنهار حظ اللباس والفراق والليل حظ الفراش والوصال وعبادة الليل افضل من عبادة النهار لأن قلب الانسان فيه اجمع والمقصود هو حضور القلب قال بعض العارفين اعمل التوحيد فى النهار والاسم فى الليل حتى تكون جامعا بين الطريقتين الجلوتية بالجيم والخلوتية ويكون التوحيد والاسم جناحين لك.

٢

{ وما ادراك ما ليلة القدر } اى واى شئ اعلمك يا محمد ماهى اى انك لا تعلم كنهها لان علو قدرها خارج عن دآئرة دراية الخلق لا يدريها الاعلام الغيوب وهو تعظيم للوقت الذى انزل فيه ومن بعض فضائل ذلك الوقت انه يرتفع سؤال القبر عمن مات فيه وكذا فى سائر الاوقات الفاضلة ومن ذلك العيد ثم مقضتى الكرم أن لا يسأل بعده ايضا وقد وقع تجلى الافعال لسيد الانبياء عليه السلام فى رجب ليلة الجمعة الاولى بين

العشاءين فلذا استحب صلاة الرغائب وقتئد وتجلى الصفات فى نصف

شعبان فلذا استحب صلاة البرآءة بعد العشاء قبل الوتر وتجلى الذات فى

ليلة القدر ولذلك استحب صلاة القدر فيها كما سيجئ ولما كان هذا

معربا عن الوعد بادرآئها قال

٣

{ ليلة القدر } القيامها والعبادة فيها

{ خير من ألف شهر } اى من صيامها وقيامها ليس فيها ليلة

القدر حتى لا يلزم تفضيل الشئ على نفسه فخير هنا اى افضل واعظم

قدرا واكثر اجرا من تلك المدة وهى ثلاث وثمانون سنة واربعة اشهر وفى

الحديث (من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذبه وما

تأخر ومن صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

) كما فى كشف الاسرار قال الخطابى قوله ايمانا واحتسابا اى بينية عزيمة

وهو أن يصومه على التصديق والرغبة فى ثوابه طيبة به نفسه غير كاره له

ولا مستثقل لصيامه ولا مستطيل لأيامه لكن يغتنم طول ايامه لعظم الثواب

وقال البغوى قوله احتسابا اى طلبا لوجه الله وثوابه يقال فلان يحتسب

الاخبار اى يطلبها كذا فى الترغيب والترهيب والمراد بالقيام صلاة التراويح

وقال بعضهم المراد مطلق الصلاة الحاصل بها قيام الليل قوله غفر له ما

تقدم من ذنبه قيل المراد الصغائر وزاد بعضهم ويخفف من الكبائر اذا لم

يصادف صغير وقوله وما تأخير هو كناية عن حفظهم من الكبائر بعد

ذلك او معناه أن ذنوبهم تقع مغفورة كذا فى شرح الترغيب المسمى بفتح

القريب وقال سعيد بن المسيب من شهد المغرب والعشاء فى جماعة فقد

اخذ حظه من ليلة القدر كما فى الكواشى ثم أن نهار ليلة القدر مثل ليلة

القدر فى الخير وفيه اشارة الى أن ليلة القدر للعارفين خير من ألف شهر

للعابدين لأن خزآئنه تعالى مملوءة من العبادات ولا قد الا للفناء واهله

وللشهود واصحابه واختلفوا فى وقتها فاكثرهم على أنها فى شهر رمضان

فى العشر الاواخر فى اوتارها لقوله عليه السلام (التمسوها فى العشر

الاواخر من رمضان) فاطلبوها فى كل وتر وانما جعلت فى العشر الاخير

الذى هو مظنة ضعف الصائم وفتوره فى العبادة ليتجدد جده فى العبادة

رجاء ادراكها وجعلت فى الوتر لأن الله وتر يحب الوتر ويتجلى فى الوتر

على ما هى مقتضى الذات الاحدية واكثر الاقوال انها السابعة لامارات

واخبار تدل على ذلك احدها حديث ابن عباس رضى الله عنهما ان

السورة ثلاثون كلمة قوله هى السابعة والعشرون منها ومنها ما قالابن

عباس ايضا ليلة القدر تسعة احرف وهو مذكور فى هذه السورة ثلاث

مرات فتكون السابعة والعشرين ومنها انه كان لعثمان بن العاص غلام

فقال يا مولاى ان البحر يعذب ماؤه ليلة من الشهر قال اذا كانت تلك

الليلة فاعلمنى فاذا هلسابعة والعشرون من رمضان ومن قال انها هى الليلة

الاخيرة من رمضان استدل بقوله عليه السلام

(ان الله تعالى فى كل ليلة من شهر رمضان عند الافطار يعتق

ألف ألف عتيق من النار كلهم استوجبوا العذاب فاذا كان آخر ليلة من

شهر رمضان اعتق الله فى تلك الليلة بعدد من اعتق من اول الشهر الى

آخره ولأن الليلة الاولى كمن ولد له ذكر فهى ليلة شكر والليلة الاخيرة

ليلة الفراق كمن مات له ولد فهى ليلة صبر) وفرق بين الشكر والصبر فان الشاكر مع المزيد كقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم والصابر مع الله لقوله تعالى ان الله مع الصابرين وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت سألت النبي عليه السلام لو وافقتها ماذا اقول قال (قولى اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عنى وعنها ايضا لو ادركتها ما سألت الله الا العافية) وفيه اشارة الى ما قال عليه السلام (اللهم انى اسألك العفو والعافية والمعافاة فى الدين والدنيا والآخرة) ولعل السر فى خفائها تحريض من يدريها لثواب الكثير باحياء الليالى الكثيرة رجاء لموافقتها

اى خواجه جه كويى زشب قدرنشانى ... هر شب شب قدرست اكر قدر بدانى

ونظيره اخفاء ساعة الاجابة فى يوم الجمعة والصلاة الوسطى فى الخمس واسمه الاعظم فى الاسماء ورضاه فى الطاعات حتى يرغبوا فى الكل وغضبه فى المعاصى ليحترزوا عن الكل ووليه فيما بين الناس حتى يعظموا الكل

خورش ده بكنجشك وكبك وحمام ... كه يك روزت افتداهماى

بدام

والمستجاب من الدعوات فى سائرها ليدعوه بكلها

جه هر كوشه تيرنياز افكنى ... اميدست كه ناكه كه صيدى زنى

ووقت الموت ليكون الملكف على احتياط فى جميع الاوقات

وتسميتها بليلة القدر اما لتقدير الامور وقضائها فيها لقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم اى اظهار تقديرها للملائكة بأن تكتبها فى اللوح المحفوظ والا فالتقدير نفسه ازلى فالقدر بمعنى التقدير وهو جعل الشئ على مقدار مخصوص ووجه مخصوص حسبنا اقتضت الحكمة عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الله قدر فيها كل ما يكون فى تلك السنة من مطر ورزق واحياء واماتة وغيرها الى مثل هذه الليلة من السنة الآيتة فيسلمه الى مدبرات الامور من الملائكة فيدفع نسخة الارزاق والنباتات والامطار

الى ميكائيل ونسخة الحروب والرياح والزلازل والصواعق والخسف

الى جبرآئيل ونسخة الاعمال الى اسرافيل ونسخة المصائب الى ملك الموت

فكم من فتى يسمى ويصبح آمنا ... وقد نسجت اكفانه وهو لا

يدرى

وكم من شيوخ ترتجى طول عمرهم ... وقد رهقت اجسادهم ظلمة

القبر

وكم من عروس زينوها لزوجها ... وقد قبضت ارواحهم ليلة القدر

يقال ان ميكائيل هو الامين على الارزاق والاغذية المحسوسة

ويقابله منك الكبد فهو الذى يعطى الغذآء لجميع البدن وكذل اسرافيل

يغذى الاشباح بالارواح ويقابله منك الدماغ وجبرآئيل يغذى الرواوح

بالعلوم والمعارف ويقابله منك العقل وكل محدث لا بدله من غذآئه فغذآه

الجسم بالتأليف والعقل بالعلوم الضرورية والروح القدسى ايضا متعطش ولا

يرتوى الا بالعلوم الالهية هذا

واما لخطرها وشرفها على سائر الليالى فالقدر بمعنى المنزلة والشرف

اما باعتبار العامل على معنى أن من اتى بالطاعة فيها صار ذا قدر وشرف

واما باعتبار نفس العمل على معنى أن الطاعة الواقعة فى تلك

الليلة لها قدر وشرف زآئد وعن ابى بكر الوراق رحمه الله سميت ليلة القدر

لأنه نزل فيها كتاب ذو قدر على لسان ملك ذى القدر لأمة لها قدر

ولعله تعالى انما ذكر لفظ القدر فى هذه السورة ثلاث مرات لهذا السبب

وقال الخليل رحمه الله سميت ليلة القدر اى ليلة الضيق لأن الارض تضيق

فيها بالملائكة فالقدر بمعنى الضيق لأن الارض تضيق فيها بالملائكة

فالقدر بمعنى الضيق كما فى قوله تعالى ومن قدر عليه رزقه وتخصيص

الالف بالذكر اما للتكثير لأن العرب تذكر الالف فى غاية الاشياء كلها

ولا تريد حقيقتها او لما روى أنه عليه السلام ذكر رجلا من بنى اسرآئيل

اسمه شمسون لبس السلاح فى سبيل الله ألف شهر فتجب المؤمنون منه

وتقاصرت اليهم عمالهم فاعطوا ليلة هى خير من مدة ذلك الغازى

وقيل ان الرجل فيما مضى كان لا يقال له عابد حتى يعبد الله الف شهر فاعطوا ليلة ان احيوها كانوا احق بان يسموا عابدين من اولئك العباد من اولئك العباد

وقيل رأى النبي عليه السلام اعمار الامم كافة فاستقصر اعمار امته فخاف ان لا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم فى طول العمر فاعطاه الله ليلة القدر وجعلنا خيرا من ألف شهر لسائر الامم

وقيل كان ملك سليمان عليه السلام خمسمائة شهر وملك ذلى القرنين خمسمائة شهر فجعل الله العمل فى هذه الليلة لمن ادركها خيرا من ملكهما وروىعن الحسنبن على بن ابى طالب انه قال حين عوتب فى تسليمه الامر لمعاوية ان الله ارى نبيه عليه السلام فى المنام بنى امية بنزول على منبره القردة اى يثبون قاغتم لذلك فاعطاه الله ليلة القدر وهى خير له ولذريته لأهل بيته من ألف شهر وهى مدة ملك بنى امية واعلمه انهم يملكون امر الناس هذا القدر من الزمان ثم كشف الغيب ان كان من سنة الجماعة الى قتل مروان الجعدى خر ملوكهم هذا القدر من الزمان بعينه

كما فى فتح الرحمن ودل كلام الله تعالى على ثبوت ليلة اقدر فمن قال ان

فضلها كان لنزول القرءآن يقول انقطعت فكانت مرة والجمهور على انها

باقية آتية فى كل سنة فضلا من الله ورحمة على عباده غير مختصة برمضان

عند البعض وهو قول الامام ابى حنيفةرحمه الله وحضرة الشيخ الاكبر قدس

سره الاطهر حتى لو علق احد طلاق امرأته او عتق عبده بليلة القدر فانه

لا يحكم به الا بأن يتم الحول وعند الاكثرين مختصة به وكانعليه السلام اذا

دخل العشر شد مئزره واحيي ليله وايقظ اهله وكان الصالحون يصلون

فىليلة من العشر ركعتين بنية قيام ليلة القدر وعن بعض الاكابر من قرأ كل

ليلة عرش آيات على تلك النية لم يحرم بركتها وثوابها قال الامام أبو

الليث رحمه الله اقل صلاة ليلة القدر ركعتان واكثرها ألف ركعة واوسطها

مائة ركعة واوسط القرآءة فى كل ركعة أن يقرأ بعد الفاتحة انا انزلناه مرة

وقل هو الله احد ثلاث مرات ويسلم على كل ركعتين ويصلى على النبى

عليه السلم بعد التسليم ويقوم حتى يتم ما اراد من مائة او اقل اواكثر

ويكفى فى فضل صلاتها ما بين الله من جلالة قدرها وما اخبر به

الرسول عليه السلام من فضيلة قيامها وصلاة التطوع بالجماعة جائزة من غير كراهة لو صلوا بغير تداع وهو الاذن والاقامة كما فى الفرآئض صرح بذلك كثير من العلماء قال شرح النقاية وغيره وفى المحيط لا يكره الاقتدآء بالمام فى النوافل مطلقا نحو القدر والرغائب وليلة النصف من شعبان ونحو ذلك لأن ما رأه المؤمنون حسنا فهو عند الله حسن فلا تلتفت الى قول من لا مذاق لهم من الطاعنين فانهم بمنزلة العنين لا يعرفون ذوق المناجاة وحلاوة الطاعات

هركس ازجلوه كل فهم معانى نكند ... شرح آن دفتر ننوشته زبلبل

بشنو

٤

{ تنزل الملائكة والروح فيها } استئناف مبين لما له فضلت على ألف شهر واصل ينزل تتنزل بتاءين والظاهر أن المراد كلهم للاطلاق وقد سبق معنى الروح فى سورة النبأ وقال بعضهم انه ملك لو التقم السموات

والارضين كانت له لقمة واحدة او هو ملك رأسه تحت العرش ورجلاه فى تخوم الارض السابعة وله ألف رأس كل رأس اعظم من الدنيا وفى كل رأس ألف وجه وفى كل وجه ألف فم وفى كل فم ألف لسان يسبح الله بكل لسان ألف نوع من التسبيح والتحميد والتمجيد لكل لسان لغة لا تشبه الاخرى فاذا فتح افواهه بالتسبيح خر كل ملائكة السموات سجدا مخافة ان يحرقهم نور افواهه وانما يسبح الله غدوة وعشية فينزل تلك الليلة فيستغفر للصائمين والصائمات من امة محمد عليه السلام بتلك الافواه كلها الى طلوع الفجر او هو طائفة من الملائكة لا نراهم الا ليلة القدر كالزهاد الذين لا نراهم الا ليوم العيد او هو عيسى عليه السلام لأنه اسمه ينزل فى موافقة الملائكة ليطالع امة محمد عليه السلام.

ودر تفسير جواجه محمد بارسا رحمه الله مذكوراست كه روح حضرت محمد صلّى الله عليه وسلّم فرودآيد.

وفى الحديث (لأنا اكرم على الله من ان يدعنى فى الارض اكثر من ثلاث) وكان الثلاث عشر مرات ثلاثين لأن الحسين رضى الله

عنه قتل فى رأس الثلاثين سنة فغضب على اهل الارض وعرج به الى عليين

وقدر رآه بعض الصالحين فى النوم فقال يا رسول الله بأبى أنت وامى اما

ترى فتن امتك فقال (زادهم الله فتنة قتلوا الحسين ولم يحفظونى ولم يراعوا

حقى فيه) وعلى كل تقدير فالمعنى تنزل الملائكة والروح فى تلك الليلة من

كل سماء الى الارض وهو الاظهر لأن الملائكة اذا نزلت فى سائر الايام

الى مجلس الذكر فلأن ينزلوا فى تلك الليلة مع علو شأنها اولى او الى السماء

الدنيا قالوا ينزلون فوجا فوجا فمن نازل ومن صاعد كأهل الحج فانهم على

كثرتهم يدخلون الكعبة ومواضع النسك بأسرهم لكن الناس بين داخل

وخارج ولهذا السبب مدت الى غاية طلوع الفجر وذكر لفظ تنزل المفيد

للتدريج وبه يندفع ما يرد أن الملائكة لهم كثرة عظيمة لا تحتملها الارض

وكذا السماء على أن شأن الارواح غير شأن الاجسام والملائكة وان كان

لهم اجسام لطيفة يقال لهم الارواح وقال بعضهم النازلون هم سكان سدرة

المنتهى وفيها ملائكة لهم كثرة عظيمة لا تحتملها الارض وكذا السماء على

أن شأن الارواح غير شأن الاجسام والملائكة وان كان لهم اجسام لطيفة

يقال لهم الارواح وقال بعضهم النازلون هم سكان سدرة المنتهى وفيها ملائكة لا يعلم عددهم الا الله ومقام جبرآئيل فى وسطها ولا يدخلون اى الملائكة النازلون الكنائس وبيوت الاصنام والاماكن التى فيها الكلب والتصاوير والخبائث وفى بيوت فيها خمر او مدمن خمر او قاطع رحمن او جنب او آكل لحم خنزير او متضمخ بالزعفرأن وغير ذلك والتضمخبالفارسية بوى خوش برخويشتن آلودن.

ويعدى بالباء كما فى تاج المصادر وقال فى القاموس التضمخ لطخ الجسد الطيب حتى كأنه يقطر قوله الروح معطوف على الملائكة والضمير لليلة القدر والجار متعلق بتنزل ويجز ان يكون والروح فيها جملة اسمية فى موقع الحال من فاعل تنزل والضمير للملائكة والاول هو الوجه لعدم احتياجه الى ضمير فيها.

٥

{ باذن ربهم } اى بأمره متعلق بتنزل وهو يدل على أنهم كانوا يرغبون الينا ويشتاقون فيستأذفيؤذن فى النزول الينا فيؤذن لهم فان قيل كيف يرغبو الينا مع علمهم بكثرة ذنوبنا قلنا لا يقفون على تفصيل المعاصى روى أنهم يطالعون اللوح فيرون فيه طاعة المكلف مفصلة فاذا وصلوا الى معاصيه ارخى الستر فلا يرونه فحيئنذ يقولون سبحان من اظهر الجميل وستر القبيح ولأنهم يرون فى الارض من انواع الطاعات اشياء ما رأوها فى عالم السموات كأطعام الطعام وانين العصاة وفى الحديث القدسى (لأنين المذنبين احل الى من زجل المسبحين فيقولون تعالوا نذهب الى الارض فنسمع صوتا هو احب الى ربنا من صوت تسبيحنا وكيف لا يكون احب وزجل المسبحين اظهار الكمال حال المطيعين وانين العصاة اظهار لغفارية رب العالمين)

نصيب ماست بهشت اى خدا شناس برو ... كه مستحق كرامت كناهكارانند

{ من كل امر } متعلق بتنزل ايضا اى من اجل كل امر قدر فى تلك السنة من خير او شر او بكل امر من الخير والبركة كقوله تعالى يحفظونه من امر الله اى بامر الله قيل يقسم جبرآئيل فى تلك الليلة بقية الرحمة فى دار الحرب على من علم الله أنه يموت مسلما فبتلك الرحمة التى قسمت عليهم ليلة القدر يسلمون ويموتون مسلمين فان قيل المقدرات لا تفعل فى تلك الليله بل فى تمام السنة فلما ذا تنزيل الملائكة فيها لأجل تلك الاتمور قيل لعل تنزلهم لتعين انفاذ تلك الامور وتنزلهم لأجل كل امر ليس تنزل كل واحد لاجل كل امر بل ينزل الجميع لأجل جميع الامور حتى يكون فى الكلام تقسيم العلل على المعلولات.

سُورَةُ الْبَيِّنَةِ مَدَنِيَّةٌ

وَهِيَ ثَمَانِي آياَتٍ

١

{ لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب } اى اليهود والنصارى وايراد الصلة فعلا لما أن كفرهم حادث بعد انبيائهم

{ والمشركين } اى عبدة الاصنام ومن للتبيين لا للتبعيض حتى لا يلزم ان لا يكون بعض المشركين كافرين وذلك أن الكفار كانوا جنسين اهل الكتاب كفرق اليهود والنصارى والمشركين وهم الذين كانوا لا ينسبون الى كتاب فذكر الله الجنسين بقوله الذين كفروا على الاجمال ثم اردف ذلك الاجمال بالتفصيل والتبيين وهو قوله من اهل الكتاب والمشركين وهو حال من الواو فى كفروا اى كائنين منهم

{ منفكين } خبر كان اى عما كانوا عليه من الوعيد باتباع الحق والايمان بالرسول المبعوث فى آخر الزمان والعزم على انجازه وهذا الوعد من اهل الكتاب مما لا ريب فيه حتى أنهم كانوا يستفتحون ويقولون اللهم افتح علينا وانصرنا بالنبى المبعوث فى آخر الزمان ويقولون لاعدآئهم من المشركين قد اظل زمان نبى يخرج بتصديق ما قلان فنتقلكم معه قتل عاد وارم

واما من المشركين فلعله قد وقع من متأخريهم بعدما شاع ذلك من اهل الكتاب واعتقد واصحته بما شاهدوا من نصرتهم على اسلافهم كما يشهد به أنهم كانوا يسألونهم عن رسول الله هل هو المذكور فى كتبهم وكانوا يغرونهم بتغيير نعوته وانفكاك الشئ من الشئ أن يزايله بعد التحامة كالعظم اذا انفك من مفصله وفيه اشارة الى كمال وكادة وعدهم اى لم يكونوا مفارقين للوعد المذكور بل كانوا مجمعين عليه عازمين على انجازه

{ حتى تأتيهم البينة } التى كانوا قد جعلوا اتيانها ميقاتا لاجتماع الكلمة والاتفاق على الحق فجعلوه ميقاتا للانفكاك والافتراق واخلاق الوعد والتعبير عن اتيانها بالمضارع باعتبار حال المحكى لا الحكاية والبينة لحجة والواضحة.

٢

{ رسول } بدل من البينة عبر عنه عليه السلام بها للايذان بغاية ظهور امره وكونه ذلك الموعود فى الكتابين

{ من الله } متعلق بمضمر هو صفة لرسول مؤكد لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اى رسول واى رسول كائن منه تعالى

{ يتلو } صفة اخرى

{ صحفا } جمع صحيفة وهى ظرف المكتوب ومحله من الاوراق

{ مطهرة } اى منزهة من الباطل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ومن ان يمسه غير المطهرين (وقال الكاشفى) صحيفهاى باكيزه از كذبت وبهبان . ونسبة لاتلاوة الى الصحف وهى القراطيس مجازية او هى مجاز عما فيها بعلاقة الحلول والمراد أنه لما كان ما يتلوه الذى هو القرءآن مصدقا لصحف الاولين مطابقا لها فى اصولى الشرآئع والاحكام صار متلوه كأنه صحف الاولين وكتبهم فعبر عنه باسم الصحف مجازا (قال الكاشفى) قرآنرا صحف كفت براى تعظيم با آنكه جامع

اسرار جميع صحفست قال فى عين المعانى وسميت الصحف لأنها اصحف بعضها على بعض اى وضع.

٣

{ فيها كتب قيمة } صفة لصحف اى فى تلك الصحف امور مكتوبة مستقيمة ناطقة بالحق والصواب وبالفارسية دران صحيفها توشتهاى راست ودرست يعنىاحكام . ومواعظ فى المفردات اشارة الى ما فيه من معانى كتب الله فان القرءآن مجمع ثمرة كتب الله المتقدمة.

٤

{ وما تفرق الذين اوتوا الكتاب } عما كانوا عليه من الوعد وافراد اهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدلالة على شناعة حالهم وانهم لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك اولى فخصوا بالذكر لأن جحود العالم اقبح واشنع من انكار الجاهل

{ الا من بعد جاءتهم البينة } استثناء مفرغ من اعم الاوقات اى وما تفرقوا فى وقت من الاوقات الا من ما جاءتهم الحجة الواضحة الدالة على أن رسول الله عليهم السلام هو الموعود فى كتابهم لدلالة جليلة لا ريب فيها.

٥

{ وما امروا الا ليعبدوا الله } جملة حالية مفيدة لغاية قبح ما فعلوا اى والحال انهم ما امروا بما امروا فى كتابهم لشئ من الامور الا لأجل أن يعدبوا الله وهذه اللام فى الحقيقة لام الحكمة والمصلحة يعنى أن فعله تعالى وان لم يكن معللا بالغرض الا أنه مغيا بالحكم والمصالح وكثيرا ما تستعمل لام الغرض فى الحكمة المرتبة على الفعل تشبيها لها بها فى ترتبها على الفعل بحسب الوجود وفى حصر علة كونهم مأمورين بما فى كتبهم من عبادة الله بالاخلاص حيث قيل وما امروا بما امروا الا لأجل ان يتذللوا له ويعظموه غاية التذلل والتعظيم ولا يطلبوا فى امتثال ما كلفوا به شيأ آخر سوى التذلل لربهم ومالكهم كثواب الجنة والخلاص من النار دليل على ما

ذهب اليه اهل السنة من أن العبادة ماوجبت لكونها مفضية الى ثواب الجنة او الى البعد والنجاة من عذاب النار بل لأرجل انك عبد وهو رب ولو لم يحصل فى الدين ثواب ولا عقاب البتة ثم امرك العبادة وجبت لمحض العبودية ومقتضى الربوبية والمالكية وفيه ايضا اشارة الى أن من عبد الله للثواب والعقاب فالمعبود فى الحقيقة هو الثواب والعقاب والحق واسطة فالمقصود الاصلى من العبادة هو المبعود وكذا الغاية من العرفان المعروف فعليك بالعبادة للمعبود وبالعرفان للمعروف واياك وان تلاحظ شيأ غير الله تعالى

عاشقانرا شادمانى وعم اوست ... دست مزد واجرت خدمت هم اوست

وقال بعضهم الاظهر أن تجعل لام ليعبدوا الله زآئدة كما تزاد فى صلة الارادة فيقال اردت لتقوم لتنزيل الامر منزلة الارادة فيكون المأمور به هذه الامور من العبادة ونحوها كما هو الظاهر ثم ان العبادة هى التذلل ومنه طريق معبد اى مذلل ومن زعم أنها الطاعة فقد اخطأ لان جماعة

عبدوا الملائكة والمسبح والاصنام وما اطاعوهم ولكن فى الشرع صارت اسما لكل طاعة لله اديت له على وجه التذلل والنهاية فى التعظيم والعبادة بهذا المعنى لا يستحقها الا من يكون واحدا فى صفاته الذاتية والفعلية فان كان له مثل لم يمكن ان يصرف اليه نهاية التعظيم فثبت بما قلنا أنه لا بد فى كون الفعل عبادة من شيئين احدهما غاية التعظيم وفى حكمه الجاهل الغافل وثانيهما ان يكون مأمورا به ففعل اليهود ليس بعبادة وان تضمن نهاية التعظيم لأنه غير مأمور به فاذا لم يكن فعل الصبى عبادة لفقد التعظيم ولا فعل اليهود لفقد الامر فكيف يكون ركوعك الناقص عبادة والحال أنه لا امر به ولا تعظيم فيه

{ مخلصين له الدين } حال من الفاعل فى ليعبدوا اى جاعلين انفسهم خالصة لله تعالى فى الدين يعنى از شرك والحاد باكيزه باشند واز اغراض نفسانيه وقضاى شهوات صافى وبى غش.

والاخلاص ان يأتى بالفعل خالصا لداعية واحدة ولا يكون لغيرها من الدواعى تأثير فى الدعاء الى ذلك الفعل فالعبادة لجلب المنفعة او لدفع

المضرة ليست من قبيل الاخلاص وكذا الاشتغال بالمباح فى الصلاة مثل التنحنح وغيره من الحظوظ النفسانية وزيادة الخشوع فى الصلاة لأجل الغير رياء ودفع الزكاة الى الوالدين والمولدين وعبيده وامائه ينافى القربة ولذا نهى عنه فالاخلاص فى العبودية تجرد السر عما سوى الله تعالى وقال بعضهم الاخلاص ان لا يطلع على عملك الا الله ولا نرى نفسك فيه وتعلم أن المنة لله عليك فى ذلك حيث اهلك لعبادته ووفقك لها ولا تطلب من الله اجرا وعوضا

{ حنفاء } حال اخرى على قول من جوز حالين من ذى حال واحد ومن المنوى فى مخلصين على قول من لم يجوز ذلك اى مائلين عن جميع العقائد الزآئغة الى الاسلام وهو فى المعنى تأكيد للاخلاص اذ هو الميل عن الاعتقاد الفاسد واكبره اعتقاد الشركة واصل الحنف الميل وانقلاب ظهر اقدم حتى يصير بطنا فالاحنف هو الذى يمشى على ظهر قدميه فى شقها الذى يلى خنصرها ويجيئ الحنف بمعنى الاستقامة فمعنى حنفاء مستقيمين فعلى هذا انما سمى مائل القدم احنف على سبيل التفاؤل

كقولك للاعمى بصيرو للحبشى كافور وللطاعون مبارك وللمهلكة مفازة قال ابن جبير لا يسمى احد حنيفا حتى يحج ويختن لأن الله وصف ابراهيم عليه السلام بكونه حنيفا وكان من شأنه انه حج وختن نفسه

{ ويقيموا الصلاة } التى هى العمدة فى باب العبادات البدنية

{ ويؤتوا الزكاة } التى هى الاساس فى العادات المالية قال فى الارشاد ان اريد بها ما فى شريعتهم من الصلاة والزكاة فالامر ظاهر وان اريد ما فى شريعتنا فمعنى امرهم بهما فلكتابين ان امرهم باتباع شريعتنا امر لهم بجميع احكامها الى هما من جملتها

{ وذلك } اى ما ذكر من عبادة الله بالاخلاص واقامة الصلاة وايتاء الزكاة

{ دين القيمة } اى دين الملة القيمة قدر الموصوف لئلا يلزم اضافة الشئ الى صفته فانها اضافة الشئ الى سفته وصحة اضافة الدين الى الملة باعتبار التغاير الاعتبارى بينهما فان الشريعة المبلغة الى الامة بتبليغ

الرسول ايها من قبل الله تسمى ملة باعتبار أنها تكتب وتملى ودينا باعتبار أنها تطاع فان الدين الطاعة يقال دان له اناطاعه وقال بعضهم اضافة الدين الى القيمة اضافة العام الى الخاص كشجر الاراك ولا حاجة الى تقدير الملة فان القيمة عبارة عن الملة كما يشهد له قرآءة ابى رضى الله عنهوذلك الدين القيم انتهى (وقال الكاشفى) دين القيمة يعنى دين وملت درست است وبابنده.

يعنى اضافة الدين الى القيمة وهى نعته لاختلاف اللفظين والعرب تضيف الشئ الى نعته كثيرا ونجد هذا فى القرآن فى مواضع منها قوله ولدار الآخرة وقال فى موضع وللدار الآخرة لأن الدار هى الآخرة وقال عذاب الحريق اى المحرق كالاليم بمعنى المؤلم وتقول دخلت مسجدا لجامع ومسجدا الحرام وادخلك الله جنة الفردوس هذا وامثاله وانت القيمة لأن الآيات هائية فرد الدين الى الملكة كما فى كشف الاسرار والقيمة بمعنى المستقيمة التى لا عوج فيها وقال الراغب القيمة هنا اسم الامة القائمة بالقسط المشار اليهم بقوله كنتم خيرا امة قال ابن الشيخ

بعض اهل الاديان لما بلغوا فى باب الاعمال من غير احكام الاصول وهم

اليهود والنصارى والمجوس فانهم ربما اتعبوا انفسهم فى الطاعات ولكنهم ما

حلصوا الدين الحق بتحصيل الاعتقاد بالمطابق وبعضهم حصلوا الاصول

واهملوا الفروع وهم المرجئة الذين يقولون لا تضر المعصية مع الايمان فالله

تعالى خطأ الفريقين فى هذه الآية وبين أنه لا بد من العلم والاخلاص فى

قوله مخلصين ومن العمل فى قوله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ثم قال وذلك

المجموع كله هو دين الملة المستقيمة المعتدلة فكما أن مجموع الاعضاء بدن

واحد كذلك هذا المجموع دين واحد.

٦

{ ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم } بيان

لحالهم الاخروى بعد بيان حالهم الدنيوى وذكر المشركين لئلا يتوهم

اختصاص الحكم بأهل الكتاب حسب اختصاص مشاهدة شواهد النبوة

فى الكتبا بهم ومعنى كونهم فيها انهم يصيرون الهيا يوم القيامة وايراد

الجملةالاسمية للايذان بتحقق مضمونها لا محالة او انهم فيها الآن اما على

تنزيل ملابستهم لما يوجبها منزلة ملابستهم لها

واما على أن ما هم فيه من الكفر والمعاصى عين النار الا أنها

ظهرت فى هذه النشاة بصورة عرضية وستخلعها فى النشأة الآخرة وتظهر

بصورتها الحقيقية

{ خالدين فيها } حال من المستكن فى الخبر واشتراك الفريقين

فى دخول دار العذاب بطريق الخلود لاجل كفرهم لا ينافى تفاوت عذابهم

فى الكيفية فان جهنم دركات وعذبها الوان فالمشركون كانوا ينكرون الصانع

والنبوة والقيامة واهل الكتاب نبوة محمد عليه السلام فقط فكان كفرهم

اخف من كفر المشركين لكنهم اشتركوا فى اعظم الجنايات التى هى الكفر

فاستحقوا اعظم العقوبات وهو الخلود ولما كفروا طلبا للرفعة صاروا الى

سفل السافلين فان جهنم نار فى موضع عميق مظلم هائر يقال بئر جهنام

اذا كانت بعيدهة القعر واشتراكهم فى هذا الجنس من العذاب لا يوجب

اشتراكهم فى نوعه

{ اولئك } البعدآء المذكورون

{ هم شر البرية } البرية جمع الخلق لأن الله برأهم اى اوجدهم بعد العدم والمعنى شر الخليقة اى اعمالا وهو الموافق لما سيأتى فى حق المؤمنين فيكون فى حيز التعليل لخلودهم فى النار او شرهم مقاما ومصيرا فيكون تأكيدا لفظاعة حالهم وتوسيط ضمير الفصل لأفادة الحصر اى هم شر البرية دون غيرهم كيف لاوهم شر من السراق لأنهم سرقوا من كتاب الله نعوت محمد عليه السلام وشر من قطاع الطريق لأنهم قطعوا الدين الحق على الخلق وشر من الجهال الاجلاف لأن الكفر مع العلم يكون كفر عناد فيكون اقبح من كفر الجهال وظهر منه أن وعيد العلماء السوء اعظم من وعيد كل احد ومن تاب منهم واسلم خرج من الوعيد

وقيل لا يجوزان يدخل فى الآية ما مضى من الكفار لأن فرعون كان شرا منهم

واما الآية الثانية الدالة على ثواب المؤمنين فعامة فيمن تقدم و تأخر لأنهم افضل الامم والبرية مخففة من المهموز من برا بمعنى خلق فهو البارئ اى الموجد والمخترع من العدم الى الوجود وقد قرأ نافع وابن ذكوان على الاصل.

٧

{ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات } يفهم من مقابلة الجمع بالجمع انه لا يكلف الواحد بجميع الصالحات بل لكل مكلف حظ فحظ الغنى الاعطاء وحظ الفقير الاخذ والصبر والقناعة

{ اولئك } المنعوتون بما هو فى الغاية القاصية من الشرف والفضيلة من الايمان والطاعة

{ هم خير البرية } استدل بالآية على ان البشر أفضل من الملك لظهور أن المراد بقوله ان الذين آمنوا هو البشر والبرية يشمل الملك والجن

سئل الحسن رحمه الله عنقوله اولئك هم خير البرية أهم خير من الملائكة قال ويلك وانى تعادل الملائكة الذين آمنوا وعملوا الصالحات

ملائك راجه سود از حسن طاعت ... جو فيض عشق برآدم فرو ريخت

٨

{ جزآؤهم } بمقابلة ماهم من الايمان والطاعات وهو مبتدأ

{ عند ربهم } ظرف للجزآء

{ جنات عدن } اى دخول جنات عدن وهو خبر للمبتدأ والعدن الاقامة والدوام وقال ابن مسعود رضى الله عنه عدن بطنان الجنة اى وسطها

{ تجرى من تحتها الانهار } ميرود از زير اشجار آن جويهاجه بستان بى آب روان نشايد.

وفى الارشاد ان اريد بالجنات الاشجار الملتفة الاغصان كما هو الظاهر فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها مجموع الارض وما عليها فهو باعتبار الجزء الظاهر وايا ما كان فالمراد جريانها بغير اخدود وجميع جنات يدل على أن للمكلف جنات كما يدل عليه قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قال ومن دونهام جنتان فذكر للواحد اربع جنات والسبب فيه أنه بكى من خوف الله تعالى وذلك البكاء انما نزل من اربعة اجفان اثنان دون اثنين فاستحق به جنتين دون جنتين فحصل له اربع جنان لبكائه باربعة اجفان

وقيل أنه تعالى قابل الجمع بالجمع فى قوله جزآؤهم عند ربهم جنات وهو يقتضى مقابلة الفرد الفرد فيكون لكل مكلف جنة واحدة لكن ادنى تلك الجنات مثل الدنيا بما فيها عشر مرات كذا روى مرفوعا ويدل عليه قوله تعالى وملكا كبيرا او الالف واللام فى الانهار للتعريف فتكون منصرفة الى الانهار المذكورة فى القرءآن وهى نهر الماء ونهر اللبن ونهر العسل ونهر الخمر وفى توصيفها بالجرى بعد ما جعل الجنات الموصوفة

جزآء اشارة الى مدحهم بالمواظبة على الطاعات كأنه تعالى يقول طاعتك كانت جارية ما دمت حيا على ما قال وابعد ربك حتى يأتيك اليقين فلذلك كانت انهار كرمى جارية الى الابد

{ خالدين فيها ابدا } متنعمين بفنون النعم الجسمانية والروحانية وهو حال وذو الحال وعامله كلاهما مضمران يدل عليه جزاؤهم والتقدير يجزون بها خالدين فيها وقوله ابدا ظرف زمان وهو تأكيد للخلود اى لا يموتون فيها ولا يخرجون منها

{ رضى الله عنهم } استئناف مبين لما يتفضل به عليهم زيادة على ما ذكر من اجزية اعمالهم اى استئناف اخبار كأنه قيل تزاد لهم أو استئناف دعاء من ربهم فلذا فصل وقد يجعل خبرا بعد خبر وحالا بتقدير قد قال ابن الشيخ لما كان المكلف مخلوقا من جسد وروح وانه اجتهد بهما فى طاعة ربه اقتضت الحكمة ان يجزيه بما يتنعم ويستريح به كل واحد منهما فجنة الجسد عهى الجنة الموصوفة وجنة الروح هى رضى الرب (مصراع)

جيست جنت روح را رضوان اكبر از خدا ... { ورضوا عنه

} حيث بلغوا من المطالب قاصيتها وملكوا من المآرب ناصيتها وابيح لهم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لا سيما انهم اعطوا لقاء الرب الذى هو المقصد الاقصى

دارند هركس ازتو مرادى ومطلبى ... مقصود مازدنيي وعقبي لقاى تست

{ ذلك } المذكور من الجزآء والرضوان وقال بعضهم الاظهر أنه اشارة الى ما ترتب عليه الجزآء والرضوان من الايمان والعمل الصالح

{ لمن خشى ربه } براى آنكس كه بترسد از عقوبت بروردكار خود وبموجبات ثواب اشتغال نمايد وذلك احشية التى هى من خصائص العلماء بشؤون الله تعالى مناط لجميع الكمالات العلمية والعملية المستتبعة للسعادات الدينية والدنيوية قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء والتعرض لعنوان الربوبية المعربة عن المالكية والتربية للاشعار بعلة الخشية

والتحذير من الاغترار بالتربية وعن انس رضى الله عنه قال عليه السلام لابى بن كعب رضى الله عنه (ان الله امرنى أن اقرأ عليك لم يكن الذين كفروا) الخ قال أو سمانى لك قال (نعم) قال وقد ذكرت عند رب العالمين قال (نعم) فذرفت عيناه اى سال دمع عينيه وعن السنة أن يستمع القرءآن فى بعض الاوقات من غيره فانه قال عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه قال لى رسول الله عليه السلام وهو على المنبر (اقرأ على) قلت اقرا عليه وعليك انزل قال (انى احب أن أسمعه من غيرى) فقرأ سورة النساء حتى اتيت هذه الآية فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال (حسبك الآن) فالتفت اليه فاذا عيناه تذرفان اى تقطران وكان عمر رضى الله عنه يقول لأبى موسى الاشعرى رضى الله عنه ذكرنا ربنا فيقرأ حتى يكاد وقت الصلاة يتوسط فيقول يا امير المؤمنين الصلاة الصلاة فيقول انا فى الصلاة وفى الحديث (من استمع آية من كتاب الله كانت له نورا يوم القيامة) فظهر أن استماع القرءآن من الغير فى بعض الاحيان من السنن

واما أنه هل يفرض استماعه كلما قرئ بناء على قوله تعالى وذا قرئ القرءآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون ففى الصلاة نعم

واما خارجهما فعامة العلماء على استحبابها كما فى شرح شرعة الاسلام للشيخ قورد افتدى رحمه الله.

سُورَةُ الزِّلْزَالِ مَدَنِيَّةٌ

وَهِيَ ثَمَانِي آياَتٍ

١

{ اذا } جون

{ زلزلت الارض } اى حركت تحريكا عنيفا متكررا متداركا فان تكرر حروف لفظه ينبئ عن تكرر معنى الزلل

{ زلزالها } اى الزلزال المخصوص بها الذى تستوجبه فى الحكمة ومشيئة الله وهو الزلزال الشديد الذى لا غاية ورآءه وهو معنى زلزالها

بالاضافة العهدية يقال زلزله زلزلة وزلزالا مثلثة حركه كما فى القاموس وقال اهل التفسير الزلزال بالكسر مصدر وبالفتح اسم بمعنى المصدر وفعلال بالفتح لا يوجد الا فى المضاعف كالصلصال ونحوه.

٢

{ واخرجت الارض اثقالها } اختيار الواو على الفاء مع أن الاحراج متسبب عن الزلزال للتفويض الى ذهن السامع واظهار الارض فى موضع الاضمار لأن اخراج الاثقال حال بعض اجزآئها والانقال كنوز الارض وموتاها جمع ثقل بالكسر

واما ثقل محركة فمتاع المسافر وحشمه على ما فى القاموس والمعنى واخرجت الارض ما فى جوفها من دفائنها وكنوزها كما عند زلزال النفخة الاولى الذى هو من اشراط الساعة وكذا من امواتها عند زلزال النفخة الثانية وفى الخبر تقيئ الارض افلاذ كبدها امثال الاسطوانة من الذهب فيجئ القاتل فيقول فى هذا قتلت ويجئ القاطع رحمه فيقول

فى هذا قطعت رحمى ويجيئ السارق فيقول فى هذا قطعت يدى ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيأ قوله افلاذ كبدها اراد انها تخرج الكنوز المدفونة فيها وقيئها اخراجها ويدل فى الاثقال الثقلان وفيه اشارة الى أن الجن تدفن ايضا.

٣

{ وقال الانسان } اى كل فرد من افراده لما يغشاهم من الاهوال ويلحق بهم من فرط الدهشة وكمال الحيرة

{ مالها } اى شئ للارض زلزلت هذه المرة الشديدة من الزلزال واخرجت ما فيها من الاثقال استعظاما لما شاهده من الامر الهائل وتعجبا لما يرونه من العجائب التى لم تسمع بها الآذان ولا ينطق بهما اللسان لكن المؤمن يقول بعد الافاقة هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون والكافر من بعثنا من مرقدنا.

٤

{ يومئذ } يدل من اذا

{ تحدث اخبارها } عامل فيهما وهو جواب الشرط وهذا على القول بأن العامل فى اذا لشرطية جوابها واخبارها مفعول لتحدث والاول محذوف لعدمم تعلق الغرض بذكره اذ الكلام مسوق لبيان تهويل اليوم وان الجمادات تنطق فيها

واما ما ذكر ابن الحاجب من ان حدث وانبا ونبأ لا يتعدى الا الى مفعول واحد فغير مسلم الصحة على ما فصل فى محله والمعنى تحدث الخلق اخبارها اما بلسان الحال حنث تدل دلالة ظاهرة على ما لاجله زلزالها واخراج اثقالها وان هذا ما كانت الانبياء ينذرونه يوخوفون منه

واما بلسان المقال وهو قول الجمهور حيث ينطقها الله تعالى فتخبر بما عمل على ظهرها من خير وشر حتى يؤد الكافر أنه سيق الى النار مما يرى من الفضوح (روى) أن عبد الرحمن بن صعصعة كان يتيما فى حجر ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه فقال ابو سعيد يا بنى اذا كنت فى البوادى

فارفع صوتك بالأذان فانى سمعت رسول اللّهصلّى الله عليه وسلّم يقول (

لا يسمعه جن ولا انس ولا حجر ولا شجر الا شهد له) وروى أن ابا

امية صلى فى المسجد الحرام المكتوبة ثم تقدم فجعل يصلى ههنا وههنا

فلما فرع قيل له يا ابا امية ما هذا الذى تصنع قال قرأ هذه الآية يومئذ

تحدث اخبارها فأردت أن يشهد لى يوم القيامة فطوبى لمن شهد له المكان

بالذكر والتلاوة والصلاة ونحوها وويل لمن شهد عليه بالزنى والشرب والسرقة

والسماوى ويقال ان لله عليك سبعة شهود المكان كما قال تعالى يومئذ

تحديث اخبارها والزمان كما فى الخبر ينادى كل يوم انا يوم جديد وانا

على ما تعمل فى شهيد واللسان كما قال تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم

والركان كما قال تعالى وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم والملكان كما قال

تعالى وان عليكم لحافظين والديوان كما قال تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم

بالحق والرحمن كما قال انا كنا عليكم شهودا فكيف يكون حالك يا

عاصى بعد ما شهد عليك هؤلاء الشهود.

٥

{ بان ربك اوحى لها } اى تحدث اخبارها بسبب ايحاء ربك لها

وامره اياها بالتحديث بلسان المقال على ما عليه الجمهور أو بسبب أن

احدث فيها احوالا دالة على الاخبار كما اذا كان التحديث بلسان الحال

وفيه اشارة الى زلزلة ارض البدن عند نزع الروح الانسانى باضطراب الروح

الحيوانى والقوى والى اجراجها متاعها التى هى به ذات قدر من القوى

والارواح وهيئات الاعمال والاعتقادات الراسخة فى القلب وقال الانسان

مالها زلزلت واضطرب ما طبها وما دآؤها ألانحراف المزاج ام لغلبة الاخلاص

يومئذ تحدث اخبارها بلسان حالها بأن ربك اشار اليها وامرها بالاضطراب

والخراب واخراج الاثقال عند زهوق الروح وتحقق الموت.

٦

{ يومئذ } اى يوم اذا يقع ما ذكر

{ يصدر الناس } من قبورهم الى موقف الحساب وانتصب يومئذ

بيصدر والصدر يكون عن ورود اى هو رجوع وانصراف بعد الورود والمجيئ

فقال الجمهور هو كونهم مدفونين فى الارض والصدر قيامهم للبعث والصدر والصدور بالفارسية باز كشتن.

يعنى الصدر بسكون الدال الرجوع والاسم بالتحريك ومنه طواف الصدر وهو طواف الوداع

{ اشتاتا } يقال جاؤا اشتاتا اى متفرقين فى النظام واحدهم شت بالفتح اى متفرق ونصب على الحال اى حال كونهم متفرقين بيض الوجوه والثياب آمنين ينادى المنادى بين يديه هذا ولى الله وسود الوجوه حفاة عراة مع السلاسل والاغلال فزعين والمنادى ينادى بين يديه هذا عدو الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن جبرآئيل عليه السلام جاء الى النبي عليه السلام يوما فقال يا محمد ان ربك يقرئك السلام وهو يقول مالى اراك مغموما حيزنا وهو اعلم به فقال عليه السلام (يا جبرآئيل قد طال تفكرى فى امر امتى يوم القيامة) قال يا محمد فى امر اهل الكفر ام فى امر اهل الاسلام قال (يا جبرآئيل بلا بل فى امر اهل لا اله الا الله) قال فأخذ بيده حتى اقامه على مقبرة بنى سلمة فضرب بجناحه الايمن

على قبر ميت فقال قم باذن الله فقام رجل مبيض الوجه وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله الحمد لله رب العالمين فقال له جبرآئيل عد فعاد كما كان ثم ضرب بجناحه الايسر على قبر ميت فقال قم باذن الله فخرج رجل مسود الوجه ازرق العين وهو يقول واحسرتاه واندامتاه واسوأتاه فقال له جبريل عد فعاد كما كان ثم قال جبرآئيل هكذا يبعثون يوم القيامة على ما ماتوا عليه

{ ليروا } اللام متعلقة بيصدر

{ اعمالهم } اى جزآء اعمالهم خيرا كان او شرا والا فنفس الاعمال لا يتعلق بها الرؤية البصرية اذا الرؤية هنا ليست علمية لأن قوله فمن يعمل الخ تفصيل ليروا والرؤية فيه بصربية لعديتها الى مفعول واحد اللهم الا ان يجعل لها صور نورانية او ظلمانية اويتعلق الربية بكتبها كما سيجئ.

٧

انظر تفسير الآية:٨

٨

{ فمن } بس هركه

{ يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره

} تفصيل ليروا والمثقال الوزن والذرة النملة الصغيرة او ما يرى فى شعاع الشمس من الهبال وقال ابن عباس رضى الله عنهما اذا وضعت راحتك اى يدك على الارض ثم رفعتها فكل واحد الارض ثم رفعتها فكل واحد مما لزقى بها من التراب ذرة وقال يحيي بن عمار حبة الشعير أربع ارزات والارزة اربع سمسمات والسمسمة اربع خردلات والخردلة اربعة اوراق نخالة وورق النخالة ذرة ومعنى رؤية ما يعادل الذرة من خير وشر اما مشاهدة اجزيته فمن الاولى مختصة بالسعدآء والمخصص قوله اشتاتا اى فمن يعمل من السعدآء مثقال ذرة خيرا يره والثانية بالاشقياء بقرينة اشتاتا ايضا اى ومن يعمل من

الاشقياء مثقال ذرة شرا يره وذلك لأن حسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات المؤمن المجتنب عن الكبائر معفوة وما قيل من أن حسنة الكافر تؤثر فى نقص العقاب فقد ورد أن حاتما الطائى يخفف الله عنه لكرمه وورد مثله فى ابى طالب وغيره يرده قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقوله عليه السلام فى حق عبد الله بن جدعان(لا ينفعه لأنه لم يقل يوما رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين) وذلك حين قالت عائشة رضى الله عنها يا رسول الله ابن جدعان كان فى الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه وقوله عليه السلام (ولولا انا كان فى حق ابى طالب ولولا انا كان فى الدرك الاسفل من النار) فتلك الشفاعة مختصة به

واما حسنات الكفار فمقبولة بعد اسلامهم

واما مشاهدة نفسه من غير أن يعتبر معه الجزآء ولا عدمه بل يفوض كل منهما الى سائر الدلائل الناطقة بعفو صغائر المؤمن المجتنب عن الكبائر واثباته بجميع حسناته وبحبوط حسنات الكافر ومعاقبته بجميع

معاصيه فالمعنى ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيرا او شرا الا اراه الله اياه اما المؤمن فيغفر له سيئاته ويثيبه بحسناته

واما الكافر فيرد حسناته تحسيرا احبط لبنائه على غير اساس الايمان فهو صورة بلا معنى ليشتد ندمه يويقوى حزنه واسفه والمؤمن يراه ليشتد سروره به وفى جانب الشر يراه المؤمن ويعلم أنه قد غفر له فيكمل فرحه والكافر يراه فيشتد حزنه وترحه وفى التأويلات النجمية ليروا اعمالهم المكتسبة بيدى الاستعدادات الفاعلية العلمية والقابلية العملية فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره فى الصورة الجزآئية لتصور الاعمال بصور تناسبها نورانية كانت او ظلمانية ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره متجسدا فى يوم القيامة فى جسد السباع بحسب القوة الغضبية وفى جسد البهائم بحسب القوة البهيمية وكلما ازدادت الصور الحسنة المتنوعة ازدادت البهجة والسرور كما أنه كلما ازدادت الصورة القبيحة المختلفة ازداد العبوس والالم وفيه رمز الى أنه لا يلزم من مجرد الرؤية المجازاة كما فى حق المؤمن وذلك من فضل الله

تعالى على من يشاء من عباده وفى التفاسير نزلت الآية ترغيبا فى الخير ولو كان قليلا كتمره وعنبة وكسرة وجوزة ونحوها فانه يوشك أن يكثر اذا كان بنية خالصة وتحذيرا من الشر وان كان قليلا كخيانة ذرة فى الميزان وكنظرة وخطوة وكذبة فانه يوشك ان يكون كثيرا عظيما للجرآءة على الله العظيم وكان الناس فى بدء الانسان يرون أن لله لا يؤآخذهم بالصغائر من الذنوب وكان بعضهم يستحيي من صدقة الشئ اليسير ويظن أنه ليس له اجرحتى نزلت الآية وفى الحديث اذا زلزلت تعدل ربع القرءآن رواه ابن ابى شيبة مرفوعا فتكون قرآءتها اربع مرات كقرآءة القرءآن كله وذلك لأن الايمان بالبعث ربع الايمان فى قوله عليه السلام

(لا يؤمن عبد حتى يؤمن باربع يشهد ان لا اله الا الله وانى رسول الله بعثنى الله بالحق ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر) وفى بعض الآثار أن سورة الزلزله نصف القرءآن وذلك لأن احكام القرءآن تنقسم الى احكام الدنيا واحكام الآخرة وهذه السورة تشتمل على احكام الآخرة كلها اجمالا وروى أن جد الفرزدق بن صعصعة بن ناجية اتى رسول

الله صلّى الله عليه وسلّم يستقرئه يعنى كفت از آنجه برنو فرودمى آيد برمن بخوان.

وفى كشف الاسرار صعصعه عم فرزدق بيش مصطفى آمد ومسلمان كشت واز رسول خدا در خواست تا از قآن جيزى بروى بخواند فقرأ عليه السلام عليه هذه الآية اى فمن يعمل الخ فقال حسبي حسبي وآشوبي وشورى از نهاد وى برآمد وبخاك افتاد وزار بكريست وهى احكم آية وسميت الجامعة وعن زيد بن اسلم رضى الله عنهان رجلا جاء الى النبي عليه السلام فقال علمنى ما علمك الله فدفعه الى رجل يعلمه القرءآن فعلمه اذا زلزلت الارض حتى بلغ فمن يعمل الخ قال الرجل حسبي فاخبر بذلك النبي عليه السلام فقال (دعه فقد فقه الرجل) جون كسى داندكه برذره وحبه محاسبه بايد كرد امروز بحساب خود مشغول شود

حساب كارخود امروز كن كه فرصت هست ... زخير وشر بنكر تاجهاست حاصل تو

اكر بنقد نكويى توانكرى خوش باش ... ورت بغير بدى نيست

واى بردل تو

سُورَةُ الْعَادِيَاتِ مَكِّيَّةٌ

وَهِيَ إِحْدَى عَشَرَةَ آيَةً

١

{ والعاديات } جمع عادية وهى الجارية بسرعة من العدو وهو بالفارسية دويدن . وياؤها مقلوبة عن الواو لكسرة ما قبلها اقسم سبحانه بخيل الغزاة التى تعدو نحو العدو

{ ضبحا } مصدر منصوب اما بفعله المحذوف الواقع حالا منها اى تضبح ضبحا على تأويل العاديات بالجماعة وهو صوت انفاسها عند عدوها يعنى صوتا يسمع من افواه الفرس واجوافها اذا عدون وهو صوت غير الصهيل والحمحمة وهى صوت البرذون عند

الشعير أو بالعاديات فان العدو . مستلزم للضبح كأنه قيل والضابحات ضبحا او حال على أنه مصدر بمعنى الفاعل اى ضابحات.

٢

{ فالموريات قدحا } الايرآء اخراج النار والقدح الضرب فان الخيل يضربن بحوافر هن وسنا بكهن الحجارة فيخرجن منها نارا يقال قدح الزند فاورى وقدح فاصلداى صوت ولم يور فالقدح يتقدم على الايرآء بخلاف الضبح حيث يتأخر ويتسبب عن العدو والمعنى تورى النار من حوافرها اذا سارت فى الارض ذات الحجارة لاقدح استعارة لضرب الحجارة بحوافها وانتصاب قدحا كانتصاب ضبحا على الوجوه الثلاثة اى تقدح قدحا او فالقادحات قدحا او قادحات.

٣

{ فالمغيرات } يقال اغار على القوم غارة واغارة دفع عليهم الخليل واغار الفرس اشتد عدوه فى الغارة وغيرها اسند الاغارة التى هى مباغتة

العدو للنهب والقتل واسر الى الخليل وهى حال اهلها ايذانا بانها العمدة فى اغارتهم

{ صبحا } نصب على الظرفية اى فى وقتالصبح وهو المعتاد فى الغارات يعدون ليلا لئلا يشعر بهم العدو ويهجمون عليهم صباحا على حين غفلة ليروا ما يأتون وما يذرون ومنه قولهم عند خوف الغارة يا صباحاه اى يا قوم احذروا من شر توجه الينا صباحا.

٤

{ فأثرن به } عطف على الفعل الذى دل عليه اسم الفاعل اذ المعنى واللاتى عدون فاورين فاغرن فأثرن به اى فهيجن فى ذلك الوقت واصله اثورن من الثور وهو الهيجان نقلت حركة الواو الى الثاء قبلها وقبلت الواو الفا فصار اثارن فحذفت الالف لاجتماع الساكنين فبقى اثرن بوزن افلن ويجوز ان يجعل الضمير لفعل الاغارة فالباء للسببية او للملابسة

{ نقعا } اى غبارا وبالفارسية بس دران وقت كرد انكيختند.

من نقع الصوت اذا ارتفع فالغبار سمى نقعا لارتفاعه او هو من النقع فى الماء فكان صاحب الغبار خاض فيه كما يخوض الرجل فى الماء وتخصص اثارته بالصبح لأنه لا يثور ولا يظهر ثورانه بالليل وبهذا يظهر أن الايراء الذى لا يظهر فى النهار واقع فى الليل ولله در شأن التنزيل قال سعدى المفتى والفر فى المجاولة اثر المدبر الهارب والمصاولة مع المقبل المحارب فيشأ الغبار الكثير.

٥

{ فوسطن به } اى توسطن فى ذلك الوقت فوسط بمعنى توسط والباء ظرفية والتوسط درميان جيزى شدن او توسطن ملتبسات بالنقع فالباء للملابسة

{ جمعا } من جموع الاعدآء اى دخلن فى وسطهم وهو مفعول به لوسطن والفاآت للدلالة على ترتب ما بعد كل منها على ما قبلها فان

توسط الجمع مترتب على الاثارة المترتبة على الاغارة المترتبة على الايرآء المترتب على الغدو.

٦

{ ان الانسان لربه لكنود } جوزاب القسم يقال كند النعمة كنودا كفر بها فالكنود بالضم كفران النعمة وبالفتح الكفور ومنه سمى كندة بالكسر وهو لقب ثور بن عفيرابى حى من اليمن لأنه كند ابوه النعمة ففارقه ولحق باخواله وقال الكلبى الكنود بلسان كندة الاصى وبلسان بنى مالك البخيل وبلسان مضر وربيعة الكفور والمرادبالانسان بعض افراده اى انه لنعمة ربه خصوصا لكفور اى شديد الكفران فقوله لربه متعلق بكنود قدم عليه لافادة التخصيص ومراعاة الفواصل روى أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعث الى ناس من بنى كنانة سرية واستعمل عليها المنذر بن عمرو الانصارى رضى الله عنه وكان احد النقباء فابطأ عليه صلّى الله عليه وسلّم خبرها شهرافقال (المنافقون انهم قتلوا) فنزلت السورة اخبارا للنبى عليه السلام بسلامتها وأشارة له باغارتها على القوم

ونعيا على المرجفين فى حقهم ما هم فيه من الكنود فاللام فى العاديات ان

كانت للعهد كان المقسم به خيل تلك السرية وان كانت للجنس كان

ذلك قسما بكل خيل عدت فى سبيل الله واتصفت بالصفات المذكورة

وعلى التقديرين فهى مستحقة لأن يقسم بها لاتصافها بتلك الصفات

الشريفة وفى تخصيص خيل الغزاة بالاقسام بها من البراعة ما لا مزيد عليه

كأنه قيل وخيل الغزاة التى فعلت كيت وكيت وقد ارجف هؤلاء فى حق

اربابها ما ارجفوا انهم مبالغون فى الكفران واذا كان شرف خيل الغزاة بهذه

المرتبة حتى اقسم الله بها فما ظنك بشرف الغزاة وفضلهم عند الله تعالى

وعنه عليه السلام (الكنود هو الذى يضرب عبده ويأكل وحده ويمنع

رفده) اى عطاه فيكون بخيلا يقال كان ثلاثة نفر من العرب فى عصر

واحد احدهم آية فى السخاء وهو حاتم الطائى والثانى آية فى البخل وهو

ابو حباحب وبخله انه كان لا يوقد النار للخبز الا اذا نام اناس فاذا انتبهوا

اطفأ ناره لئلا ينتفع بها احد والثالث آية فى الطمع وهو اشعب بن جبير

مولى لمصعب بن الزبير بن العوام قرأ صبى فى المكتب وعنده اشعب جالس

ان ابى يدعوك فقام وليس نعليه فقال الصبى انا اقرأ حزبى وكان اذا رأى انسانا يحك عنقه يظن أنه ينتزع قميصه ليدفعه اليه وكان اذا رأى دخانا ارتفع من دار ظن أن اهلها تأتى بطعام وكان اذا رأى عروسا تزف الى موضع جعل يكنس باب داره لكى تدخل داره قال ما رأيت اطمع منى الا كلبا تبعنى على مضغ العلك فرسخا وقال الحسن لكنود اى لوام لربه يذكر المصيبات وينسى النعم وقال ابوعبيدة قليل الخير من الارض الكنود التى لا تنبت شيأ كأنه مقلوب النكد وقال القاشانى لكفور لربه باحتجابه بنعمه عنه ووقوفه معها وعدم استعماله لها فيما ينبغى ليتوصل بها اليه وفى التأويلات النجمي لكنود بنعمة الوجود والصفات والاسماء لادعائها لنفسه بالاستقلال والاستبداد او لعاص باستعمالاها فى غير محالها او لبخيل لاختصاصها لنفسه وعدم ايثارها على الخلق بطرق الارشاد.

٧

{ وانه على ذلك } اى الانسان على كنوده

{ لشهيد } اى يشهد على نفسه بالكنود لظهور اثره عليه فالشهادة بلسان الحال لا بلسان المقال ويحتمل ان يجعل من الشهود بمعنى أنه لكفور مع علمه بكفرانه والعمل السئ مع العلم به غاية المذمة.

٨

{ وانه لحب الخير } اى المال كما فى قوله تعالى ان ترك خيرا وايثار الدنيا وطلبها وفى الاسئلة المقحمة فان قلت سمى الله الجنس المال خيرا وعسى ان يكون خبيثا وحراما قلت أنما سماه خيرا جريا على العادة فانهم كانوا يعدون المال خيرا فسماه الله خيرا جريا على عادتهم كما سمى الجهاد سوأ فقال لم يمسسهم سوء اى قتال والقتال ليس بسوء ولكن ذكره جريا على عادتهم

{ لشديد } اى قوى مطيق مجد فى طلبه وتحصيله متهالك عليه وهو عبادة الله وشكر نعمته ضعيف متقاعس يقال هو شديد لهذا الامر

وقوى له اذا كان مطيقا له ضابطا او الشديد البخيل الممسك يعنى وانه لاجل حب المال وثقل انفاقه عليه لبخيل ممسك ولعل وصفه بهذا الوصف القبيح بعدو صفة بالكنود للايماء الى أن من جملة الامور الداعية للمنافقين الى النفاق حب المال لأنهم بما يظهرون من الايمان يعضمون اموالهم ويجزون من الغنائم نصيبا.

شيخ الاسلام قدس سره فرموده كه اكرمال رادوست ميدارى بده تابازبتو دهند وبراى وارث منه كه داغ حسرت بردل تونهند

مال همان به كه بياران دهى ... كر بدهى به كه بخاكش نهى

زرزبى منفعت است اى حكيم ... بهرنهادن جه سفال وجه سيم

٩

{ افلا يعلم } اى أيفعل ما يفعل من القبائح او ألا يلاحظ فلا يعلم فى الدنيا ان الله مجازية

{ اذا بعثر } بعث واخرج وقد سبق فى الانفطار فناسب اذا محذوف وهو مفعول يعلم لا يعلم لأن الانسان لا يراد منه العلم فى ذلك الوقت وانما يراد منه ذلك فى الدنيا

{ ما فى القبور } من الموتى وايراد ما لكونهم اذ ذاك بمعزل عن مرتبة العقلاء.

١٠

{ وحصل } اى جمع فى الصحف اى اظهر محصلا مجموعا واصل التحصيل اخراج المستور بآخر المغمور فيه واخذه منه كاخراج اللب من القشر واخراج الذهب من حجر المعدن والبر من التين والدهن من اللين ومن الدردى والجمع والاظهار من لوازمه ويجوزان ان يكون المعنى ميز حيزه من شره ومنه قيل للمنخل المحصل اى آلة التحصيل وتمييز الدقيق من النخالة فانه لا بد من التمييز بين الواجب والمندوب والمباح والمروه والمحظور فان لكل واحد حكما على حدة فتمييزا البعض من البعض وتخصيص كل

واحد منها بحكمه اللاحق هو التحصيل وفى القاموس التحصيل تمييز ما يحصل والحاصل من كل شئ ما بقى وثبت وذهب ما سواه

{ ما فى الصدور } من الاسرار الخفية التى من جملتها ما يخفيه المنافقون من الكفر والمعاصى فضلا عن الاعمال الجلية فتخصيص اعمال القلب لأنه لولا البواعث والارادات فى القلوب لما حصلت افعال الجوارح فالقلب اصل واعمال الجوارح تابعة له ولذا قال تعالى آثم قلبه وقال عليه السلام (يبعثون على نياتهم)

١١

{ ان ربهم } اى المبعوثين كنى عنهم بعد الاحياء الثانى بضمير العقلاء بعدما عبر عنهم قبل ذلك بما بناء على تفاوتهم فى الحالين فحين كانوا فى القبور كانوا كجمادات بلا عقل ولا علم وان كان لهم نوع حياة فيها بخلاف وقت الحشر

{ بهم } بذواتهم وصفاتهم واحوالهم بتفاصيلها

{ يومئذ } اى يوم اذ يكون ما ذكر من بعث ما فى القبور وتحصل ما فى الصدور لأخبير اى عالم بظواهره وبواطنه علما موجبا للجزآء متصلا به كما ينبئ عنه تقييده بذلك اليوم والا فمطلق علمه سبحانه محيط بما كان وما سيكون قوله بهم ويومئذ متعلقان بخبير قدما عليه مراعاة للفواصل واللام غير مانعة من ذلك.

سُورَةُ الْقَارِعَةِ مَكِّيَّةٌ

وَهِيَ إِحْدَى عَشَرَةَ آيَةً

١

{ والقارعة } القرع هو الضرب بشدة واعتماد بحيث يحصل منه صوت شديد ثم سميت الحادثة العظيمة من حوادث الدهر قارعة والمراد بها ههنا القيامة التى مبدأها النفخة الاولى ومنتهاها فصل القضاء بين الخلائق سميت بها لأنها تقرع القلوب والاسماع بفنون الافزاع والاهوال وتخرج جميع الاجرام العلوية والسفلية من حال الى حال السماء بانشقاق والانفطار

والشمس والنجوب والتكوير والانكدار والانتثار والارض والجبال بالدك والنسف وهى مبتدأ خبره قوله

٢

{ ما القارعة } على أن ما الاستفهامية خبر والقارعة مبتدأ اى راى شئ عجيب هى فى الفخامة والفظاعة وقد وضع الظاهر موضع الضمير تأكيدا للتهويل.

٣

{ وما ادراك ما القارعة } ما فى حيز الرفع على الابتدآء وادراك هو الخبر اى واى شئ اعلمك ما شان القارعة فان عظم شأنها بحيث لا تكاد تناله دراية احد حتى يدرك بها ولما كان هذا منبئا عن الوعد الكريم باعلامها انجز ذلك بقوله

٤

{ يوم يكون الناس } اى هى يوم يكون الناس على ان يوم مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف وحركته الفتح لاضافته الى الفعل وان كان مضارعا على ما هو رأى الكوفيين او اذكر يوم الخ فانه يدريك ما هى

{ كالفراش المبثوث } جمع فراشة وهى التى تطير وتتهافت على السراج فتحترق وبالفارسية بروانه . والمبثوث المفرق وبه شبه فراشة القفل وهو ما شنب فيه والمبثوثبالفارسية براكنده . والمعنى كالفراش المفرق فى الكثرة والانتشار والضعف والذلة والاضطراب والتطاير الى الداعى كتطاير الفراش الى النار قال جرير فى الكثرة والانتشار والضعف والذلة والاضطراب والتطاير الى الداعى كتطاير الفراش الى النار قال جرير

ان الفرزدق ماعملت وقومه ... مثل الفراش عشين نار المصطلى

وهذا يدل على كثرة الفراش ولو فى بعض المواضع فسقط ما قال سعدى المتفى فيه ان الفراش لا يعرف الكثرة بحيث يصلح ان يكون مشبها به لاهل المحشر فيها الا ان يفسر بصغار الجراد اى كالجراد المنتشر حين

ارادة الطيران كما قال تعالى كأنهم جراد منتشر وفيه ان الفراش لم يفسر فى اللغات بصغار الجراد وقال ابن الشيخ شبه الله الخلق وقت البعث فى هذه الآية بالفراش المبثوث وفى الآية الخرى بالجراد المنتشر وجه التشبيه بالجراد هو الكثرة والاضطراب وبالفراش المبثوث اختلاف جهات حركاتهم فانهم اذا بعثوا فزعوا فيهذب كل واحد منهم الى جهة غير جهة الآخر كالفراش فانها اذا طارت لانتجه الى جهة واحدة بل تختلف جهاتها انتهى وفيه اشارة الى ان السالك الفانى يكون فى الشهود الاحدى فى الذلة وتفرق الوجهة كالفراش واحقر واذل لانه لا قدر ولا وقع له فى عين الموحد.

ه

{ وتكون الجبال كالعهن المنفوش } العهن الصوف المصبوغ ألوانا والنفش نشر الشعر والصوف والقطن بالاصبع وخلخلة الاجزآء وتفريقها عن تراصها قال السجاوندى شبه خفتها بعد رزانتها بالصوف وتلونها بالمصبوغ ومرها بالمندوف واخصاص العهن لا لوان الجبال كما قال تعالى ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب

سود والمعنى وتكون الجبال كما قال تعالى ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود والمعنى وتكون الجبال كالصوف الملون بالالوان المختلفة المندوف فى تفرق اجزآئها وتطايرها فى الجو وكلا الامرين من آثار القارعة بعد النفخة الثانية عند حشر الخلائق يبدل الله الارض غير الارض ويغير هيئاتها ويسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيئات الهائلة ليشاهدها اهل المحشر وهى وان اندكت عند النفخة الاولى ولكن تسييرها وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية.

٦

{ فاما من ثقلت موازينه } جمع الموزون وهو العمل الذى له وزن وخطر عند الله او جمع ميزان وثقلها رجحانها لان الحق ثقيل والباطل خفيف والجمع للتعظيم اولان الكل مكلف ميزانا او لاختلاف الموزونات وكثرتها قال ابن عباس رضى الله عنهما انه ميزان له لسان وكفتان لا يوزن فيه الا الاعمال ليبين الله امر العباد بما عهدوه فيما بينهم قالوا توضع فيه صحف الاعمال اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة او تبرز الاعمال العرضية

بصور جوهرية مناسبة لها فى الحسن والقبح يعنى يؤتى بالاعمال الصالحة على صور حسنة وبالاعمال السيئة على صور سيئة فتوضع فى الميزان اى فمن ترجحت مقادير حسناته.

٧

{ فهو فى عيشة راضية } من قبيل الاسناد الى السبب لان العيش سبب الرضى من منعم العيش وقال بعضهم راضية اى راض صاحبها عنها وبالفارسية درزندكانى باشد بسنديده.

وقد سبق فى الحاقة وفى التأويلات النجمية فاما من ثقلت له موزونات الاوصاف الالهية والاخلاق اللاهوتية فهو فى راحة واستراحة من نتائج تلك الاوصاف والاخلاق.

٨

{ واما من خفت موازينه } بان لم يكن له حسنة يعتد بها او ترجحت سيئاته على حسناته وعن ابن مسعود رضى الله

عنه يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته اكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته اكثر من حسناته بواحدة دخل النار.

٩

{ فامه } اى مأواه

{ هاوية } هى من اسماء النار سميت بها لغاية عمقها وبعد مهواها روى ان أهل النار يهوى فيها سبعين خريفا (وقال الكاشفى) وآن دركه باشد زير ترين همه دركها وعبر عن المأوى بالام لأن اهلها يأوون اليها كما يأوى الولد الى امه وفيه تهكم به او لانها تحيط به احاطة رحم الام بالولد أو لان الام هى الاصل والكافر خلق من النار وكل شئ يرجع الى اصله وهو اللائح وفى الكشاف من قولهم اذا دعوا على لارجل بالهلكة هوت امه لانه اذا هوى اى سقط وهلك فقد هوت امه ثكلا وحزنا فكأنهقيل فقد هلك وعن قتادة فام رأسه هاوية فى جهنم لانه يطرح فيها

منكوسا وام الرأس الدماغ او الجلدة الرقيقة التى عليها وفى التأويلات النجمية

واما من خفت موازينه بالاخلاق السيئة والاوصاف القبيحة الخبيثة فاصله المجبول عليه هاوية الحجاب من الازل الى الابد وهى نار حامية بنار الجهل والعمى وحطب النفس والهوى ونفخ الشيطان والدنيا وفى لفظ الثقل والخفة اشارة الى ان السعدآء والاشقياء مشتركون فى فعل السيئة وان كانت فى الفريق الاول مرجوحة قليلة وفالثانى راجحة كثيرة ولا يرتفع هذا الابتلاء ولذا قال عليه السلام لعلى رضى الله عنه (يا على اذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة) وذلك لما انه مقتضى الاسم الغفور.

اعلم ان ميزان الحق بخلاف ميزان الخلق اذ صعود الموزونات وارتفاعها فيه هو الثقل وهبوطها وانحطاطها هو الخفة لان ميزانه تعالى هو العدل والموزونات الثقيلة اباالمعتبرة الراجحة عند الله التى لها قدر ووزن عنده هى الباقيات الصالحات والخفيفة التى لا اعتبار لها عند الله هى الفانيات الفاسدات من اللذات الحسية والشهوات وفى الهاوية اشارة الى هاوية

الطبيعة الجسمانية التى يهوى فيها اهلها وفى الحقيقة الموزونات هى الاستعدادات الغيبية والقابليات العلمية الازلية المسواة كفتاها بكف اليد اليمنى وبكف اليد اليسرى.

١٠

{ وما ادراك ما هيه } وجه جيزى دانا كردترا كه جيشت هاوية . فهى للهاوية والهاء للسكت والاستراحة والوقف واذا وصل القارئ حذفها

وقيل حقه ان لا يدرج لئلا يسقطها الادراج لانها ثابتة فى المصحف وقد اجيزا ثباتها مع الوصل قال ابو الليث قرأ حمزة والكسائى بغيرها فى الوصل وبالهاء عند الوقف والباقون باثباتها فى الوصل والوقف وقد سبق مفصلا فى الحاقة وفيه اشعار بخروجها عن الحدود المعهودة فلا يدريها احد ثم اعلمها بقوله

١١

{ نار حامية } متناهية فى الحر وبالفارسية آتشى بغايت رسيده درسوزش . يقال حمى الشمس والنار حميا وحميا وحموا اشتد حرها وقد سبق.

سُورَةُ التَّكَاثُرِ مَكِّيَّةٌ

وَهِيَ ثَمَانِي آياَتٍ

١

{ الهاكم التكاثر } اللهو ما يغشل الانسان عما يعنيه ويهمه ويقال لهوت بكذا ولهوت عن كذا اى شاتغلت عنه بلهو ويعبر به عن كل ما به استمتاع ويقال ألهى عن كذا اى شغل عما هو أهم والتكاثر التبارى فى الكثرة والتباهى بها وان يقول هؤلاء نحن اكثر وهؤلاء نحن اكثر والمعنى شغلكم التغالب فى الكثرة والتفاخر بها وبالفارسيةمشغول كرد شمارا فخر كردن به بسيارئ قوم . قال ابن الشيخ الالهاء الصرف الى اللهو

والبعث والتكاثر اذا صرف العبد الى الى اللهو يكون البعد منصرفا اليه

ومعلوم ان الانصراف الى الشئ يقتضى الاعراض عن غيره فتفسير ألهاكم

كذا بشغلكم تفسير له بما يلزم اصل معناه الا انه صار حقيقة عرفية فيه

بالغلبة وحذف الملهى عنه اى الذى الهى عنه وهو ما يعنيهم من امرين

الدين للتعظيم والمبالغة

اما الاول فلان الحذف كالتنكير قد يجعل ذريعة الى التعظيم

لاشتراكهما فى الابهام

واما الثانى فلان تذهب النفس كل مذهب ممكن فيدخل فيه جميع

ما يحتمل المقام مثل الهاكم التكاثر عن ذكر الله وعن الواجبات والمندوبات

مما يتعلق بالقلب كالعلم والتفكر والاعتبار او بالجوارح كأنواع الطاعات

وتعريف التكاثر للعهد والهد المذموم هو التكاثر فى الامور الدنيوية الفانية

كالفتا خربا لمال والجاه والاعوان والاقرباء

واما التفاخر بالامور الاخروية الباقية فممدوح كالتفاخر بالعلم والعمل والاخلاق والصحة والقوة والغنى والجمال وحسن الصوت اذا كان بطريق تحديث النعمة ومن ذلك تفاخر العباس رضى الله عنه بان السقاية بيده وتفاخر شيبة بان مفتاح البيت بيده الى ان قال على رضى الله عنه وانا قطعت خرطوم الكفر بسيفى فصار الكفر مثلة والتكاثر مكاثرة اثنين مالا او عددا بأن يقول كل منهما لصاحبه انا اكثر منك مالا وأعز نفرا والمراد هنا هو التكاثر فى العدد لانه روى ان بنى عبد مناف وبنى سهم تفاخروا وتعادوا وتكاثروا بالسعادة والاشراف فى الاسلام فقال كل من الفريقين نحن اكثر منكم سيدا واعظم نفرا فكرهم بنوا عبد مناف غلبهم بالكثرة فقال بنوا سهم ان البغى افنانا فى الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات (قال الكاشفى) بكورستان رفتند وكورها بر شمردندكه اين قبر فلان واين قبر فلان قبور أشراف قبيله خود شمردند.

فكثرهم بنوا سهم يعنى سه خابدان بنى سهم زياده آمد بربنى عبد مناف برين نسق بريكديكر تطاول نمودند وتفاخر كردند . والمعنى انكم تكاثر تم بالاحياء.

٢

{ حتى زرتم المقابر } اى حتى استوعبتم عددهم وصرتم الى التفاخر والتكاثر بالاموات وبالفارسية تاحدى آمديد بكورستانها ومرد كانرا شماره كرديد . فعبر عن انتقالهم الى ذكر الموتى بزيارة القبور راى جعلت كناية عنه تهكما بهم قال الطيبى انما كان تهكما لان زيادة القبور شرعت لتذكر الموت ورفض حب الدنيا وترك المباهاة والتفاخر وهؤلاء عكسوا حيث جعلوا زيارة القبور سببا لمزيد القسوة والاستغراق فى حب الدنيا والتفاخر فى الكثرة وهذا خبر فيه تفريع وتوبيخ والغاية تدخل تحت المغيا فى هذا الوجه

وقيل المعنى الهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم مضيعين اعماركم فى طلب الدنيا معرضين عما يهمكم من السعى لاخراكم فتكون زيارة القبور عبارة عن الموت والتكاثر هو التكاثر بالمال والولد كام روى انه عليه السلام سمع انه يقرأ هذه الآية ويقول بعدها (ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك الا ما اكلت فأفنيت اولبست فأبليت او تصدقت فامضيت) وفيه اشارة الى انهم يبعثون فان الزآئر منصرف لا مقيم وقرأها عمر بن عبد العزيز قال ما ارى المقابر الا زيارة ولا بد لمن زار ان يرجع الى بيته اما الى الجنة او الى النار وفيه تحذير عن الدنيا وترغيب فى الآخرة والاستعداد للموت

روزى كه اجل كند شبيخون ... البته بيايد از جهان رفت

كردل نبود اسير دنيا ... آسان ره آن جهان توان رفت

٣

{ كلا } ردع عما هم ففيه من التكاثر اى ليس الامر كما يتوهم هؤلاء من ان فضل الانسان وسعادته بكثرة اعوانه وقبائله وامواله اى ارتدعوا عن هذا وتنبهاو من الخطا فيه وتنبيه على ان العاقل ينبغى ان لا يكون معزظم همه مقصورا على الدنيا فان عاقبة ذلك وبال وحسرة

{ سوف يعلمون } اى سوف تعلمون الخطأ فيما انتم عليه اذا عاينتم ما قدامكم من هول المحشر فالعلم بمعنى المعرفة ولذا قدر له مفعول واحد وهو انذار وتخويف ليخافوا وينتبهوا من غفلتهم قال الحسن رحمه الله لا يغرنك كثرة من ترى حولك فانك تموت وحدك وتبعث وحدك وتحاسب وحدك.

٤

{ ثم كلا سوف تعلمون } تأكيد لتكيرير الردع والانذار وفى ثم دلالة على ان الانذار الثانى ابلغ من الاول لان فيه تأكيد خلا

عنه الاول لان فيه تنزيلا لبعد المرتبة منزلة بعد الزمان واستعمالا للفظ ثم فى مجرد التدريج فى درج الارتفاء كما تقول للمنصوح اقول لك ثم اقول لك لا نفعل او الاول عند الموت فى وقت ما بشر به المحتضر من جنة او نار وفى القبر حين سؤال منكر ونكير من ربك وما دينك ومن نبيك والثانى عند النشور حين ينادى المنادى شقى فلان شقاوة لا سعادة بعدها وحين يقال وامتازوا اليوم ايها المجرمون فعلى هذا لا تكرير فى الآية لحصول التغاير بينهما بتغاير زمانى العلمين وبتعلقيهما فانه يلفى فى كل واحد من الزمانين نوعا آخر من العذاب وثم على بابها من المهلة لتباعد ما بين الموت والنشور وكذا ما بين القبور والنشور وعن على رضى الله عنه ما زلنا نشك فى عذاب القبر حتى نزلت السورة الى قوله تعالى ثم كلا سوف تعلمون اى سوف تعلمون فى القبر ثم فى القيامة وفى الحديث (يسلط على الكافر فى قبره تسعة وتسعون تنينا تنهشه وتلذعه حتى تقوم الساعة لو ان تنينا منها نفخ فى الارض ما انبتت خضراء)

٥

{ كلا } تكرير للتنبيه تأكيدا

{ لو تعلمون علم اليقين } جواب لو محذوف للتهويل فانه اذا حذف الجواب يذهب الوهم كل مذهب ممكن والعلم مصدر اضيف الى مفعوله وانتصابه بنزع الخافض واليقين صفة لموصوف محذوف والمعنى لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين اى لو علمتم ما تستيقنونه حتى كأنه عين اليقين والا فيلزم اضافة احد المرادفين الى الآخر اذا العلم فى اللغة بمعنى اليقين وقد يجعل العلم من اضافة العام الى الخاص بناء على ان اليقين اخص من العلم فان العلم قد يعم الظن واليقين فتكون اضافته كاضافة بلد بغداد ويدل عليه قولهم العلم اليقين بالوصف.

٦

{ لترون الجحيم } جواب قسم مضمرا كدبه الوعيد حيث ان ما اوعدوا به مما لا مدخل فيه للريب وشدد به التهديد واوضح به ما انذروه بعد ابهامه تفخيما ولا يجوز ان يكون جواب لو لان رؤية الجحيم محققة

الوقوع وليست بمعلقة فلو جعل جواب لو لكان المعنى انكم سوف تعلمون الجزآء ثم قال لو تعلمون الجزآء علم اليقين الآن لترون الجحيم يعنى يكون الجحيم دآئما فى نظركم لا يغيب عنكم اصلا.

٧

{ ثم لترونها } تكرير للتأكيد او الاولى اذا رأوها من مكان بعيد ببعض خواصها واحوالها مثل رؤية لهبها ودخانها والثانية اذا اوردوها فان معاينة نفس الحفرة وما فيها من الحيوانات المؤذية وكيفية السقوط فيها اجلى واكشف من الرؤية الاولى فعلى هذا يتنازع الفعلان فى عين اليقين او المراد بالاول المعرفة وبالثانية المشاهدة والمعاينة

{ عين اليقين } اى الرؤية التى هى نفس اليقين فان علم المشاهدة للمحسوسات اقصى مراتب اليقين فلا يرد أن اعلى اليقينات الاوليات وانما قيد الؤؤية بعين اليقين احترازا عن رؤية فيها غلط الحسن فانتصاب

عين اليقين على انه صفة المصدر لترونها وجعل الرؤية التى هى سبب اليقين نفس اليقين مبالغة.

٨

{ ثم لتسألن يومئذ عن النعيم } قال فى التيسير كلمة ثم للترتيب فى الاخبار لا فى الوجود فان السؤال بانك اشكرت فى تلك النعمة ام كفرت يكون فى موقف الحساب قبل دخول النار والمعنى ثم لتسألن يوم رؤية الجحيم وورودها عن النعيم الذى ألهاكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه فتعذبون على ترك الشكر فان الخطاب فى لتسألن مخصوص ممن عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعش الا ليأكل الطيب ويلبس اللين ويقطع اوقاته باللهو والطرب لا يعبأ بالعلم والعمل ولا يحمل على نفسه مشاقهما فان من تمتع بنعمة الله وتقوى بها على طاعته وكان ناهضا بالشكر فهو من ذلك بمنزل بعيد واليه اشارة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيما اكل هو واصحابه تمرا وشربوا ماء فقال الحمد لله الذى اطعمنا وسقانا كما فى

الكشاف فدخلت فى الآية كفار مكة ومن لحق بهم فى وصفهم من فسقة المؤمنين

وقيل الآية مخصوصة بالكفار وقال بعضهم المراد بالنعيم هو الصحة والفراغ وفى الحديث (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ) وفى هذا الحديث دلالة على عظم محل هاتين النعمتين وجلالة خطرهما وذلك لان بهما يستدرك مصالح الدنيا ويكتسب دوجات الآخرة فان الصحة تنبئ عن اجتماع القوى الذاتية والفراغ يدل على انتظام الاسباب الخارجة المنفصلة ولا قدرة على تمهيد مصلحة من مصالح الدنيا والآخرة الا بهذين الامرين ثم سائر النعم يعد من توابعهما وقد قال معاوية بن قرة شدة الحساب القيامة على الصحيح الفارغ يقال له كيف أدجيت شكرهما وعن الحسن رحمه الله ما سوى كن يؤويه وثوب بواريه وكسرة تقويه يسأل عنه يوحاسب عليه وقال بعض السلف من اكل فسمى وفرغ فحمد لم يسأل عن نعيم ذلك الطعام وقال رجل للحسن رحمه الله ان لنا جارا لا يأكل الفالوذج ويقول لا أقوم بشكره فقال ما أجهر جاركم نعمة الله عليه

بالماء البارد اكثر من نعمته بجميع الحلاوى ولذلك قال عليه السلام (اول ما يسال العبد عنه من النعيم ألم نصح جسمك ونروك من الماء البارد) وفى عين المعانى عن النعم الخمس شبع البطون وبرد الشراب ولذة النوم وظلال المساكن واعتدال الخلق وقال ابن كعب النعيم ذات محد صلّى الله عليه وسلّم اذ هو الرحمة والنعمة بالآيتين وهما قوله تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وقوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين . وهمه را ازدعوت وملت واتباع سنت اوخواهند برسيد

جه نعمتيست بزرك ازخدا كه برثقلين ... سبس داريء ابن نعمت است فرض العين

يقول الفقير النعيم لما نعيم جسمانى وشكره بمحافظة احكام الشريعة

واما نعيم روحانى وشكره بمراعاة آداب الطريقة فانه كلما ازد ادت المحافظة والمراعاة ازداد النعيم كما قال تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم وما من

عضو من الاعضاء وقوة من القوى الا وهى مطلوبة بنوع شكر ولذلك قال تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا على ان عالم الصفات والاسماء كلها عالم النعيم وفقنا الله واياكم لشكر النعيم انه هو البر الرحيم وفى الحديث

(الا يستطيع احدكم ان يقرأ الف آية فى كل يوم) قالوا ومن يستطيع ان يقرأ الف آية فى كل يوم قال (اما يستطيع احدكم ان يقرأ الهاكم التكاثر مرة) على ما قال السيوطى رحمه الله فى الاتقان ان القرءآن ستة آلاف آية ومائتا آية فاذا تركنا زيادة الآلاف كان الألف سدس القرءآن وهذه السورة تشتمل على سدس مقاصد القرءآن فانها على ما ذكره الغزالى رحمه الله ثلاث عن هذا المعنى بألف آية افهم واجل واصح من التعبير بالسدسد انتهى.

يقول الفقير هذا منتقض بسورة الزلزلة فانها ايضا تشتمل على احكام الآخرة ومعرفتها وقد سبق انها تعدل نصف القرءآن او ربعه

والظاهر ان المراد بالالف التكثير لان اول السورة مما ينبئ عنه ومن الله التوفيق والارشاد.

سُورَةُ الْعَصْرِ مَكِّيَّةٌ

وَهِيَ ثَلاَثُ آيَاتٍ

١

{ والعصر } اقسم سبحانه بصلاة العصر فانه كثيرا ما يطلق العصر ويراد صلاته وذلك لفضلها الباهر لكونها وسطى لتوسطها بين الشفع الذى هو صلاة الظهر وبين الوتر النهارى الذى هو صلاة المغرب فانها لما توسطت بين الطرفين اتصفت بالوصفين وظهرت بالحكمين وتحققت بالكمالين كما هو حكم البرازخ فحصل لها من القدر ما لم يكن لكل واحد من الطرفين وايضا ان اوقات اوآئل الصلوات الاربع محدودة الا العصر يعنى أن اول صلاة العصر غير محدود بالحد المحقق ففيه سرا لتنزيه عن التقييد بالحدود ولذا شرع التكبير فى الصلاة لأن الله تعالى منزه عن

التقييد باوضاع الصلاة وحركات المصلى قال بعض الكبار صلاة العصر بركعاتها الاربع اشارة الى التعينات الاربعة الذاتية والاسمائية والصفاتية والافعالية فى مرتبة الجمال الكونى بالفعل كا ان الظهر اشارة اليها فى مرتبة المال الالهى ولا شك أن الانسان كون جامع ففى العصر اشارة اليه وفى الحديث (من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله) اى نقص اى ليكن من فوتها حذرا كام يحذر من ذهاب اهله وماله وسر الوعيد أن التكليف فى ادآء صلاة العصر اشق لتهافت الناس فى تجارتهم ومكاسبهم واشتغالهم بمعايشهم آخر النهار لبرد الهوآء حينئذ لا سيما فى ارض الحجاز فالكسب الحاصل فى ذلك الوقت مع السهو عن الصلاة فى حكم الخسران وسبب للخذلان (حكى) أن امرأة كانت تصيح فى سكك المدينة وتقول دلونى على النبي عليه السلام فرآها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فسألها (ماذا حدث) قالت يا رسول الله ان زوجى غاب عنى فزنيت فجاءنى ولد من الزنى فألقيت الولد فى دن من الخل حتى مات

ثم بعنا ذلك الخل فهل لى من توبة فقال عليه السلام (اما الزنى فعليك الرجم بسببه

واما القتل فجزآؤه جهنم

واما بيع الخل فقد ارتكبت به كبيرة لكن ظننت انك تركت صلاة العصر) ويقال ان الله تعالى اقسم بوقت العصر نفسه كما اقسم بالفجر فقد خلق فيه اصل البشر آدم عليه السلام فكان له شرف زآئد على غيره ويقال اقسم بالعشى الذى هو ما بين الزوال والغروب كما اقسم بالضحى لما فيها جميعا من دلائل القدرة ويقال اقسم بعصر النبوة الذى مقداره فيما مضى من الزمان مقدار وقت العصر من النهار وهو زمان بعثته الى انقراض امته فى آخر الزمان وهو ألف سنة كما قال عليه السلام (ان استقامت امتى فلها يوم وان لم تستقم فلها نصف يوم) وفضل هذا العصر على سائر الاعصار ظاهر لأنه عصر خير الانبياء والمرسلين وعصر خير الامم وخير الكتب الاهلية وفيه ظهر تمام الكمالات تفصيلا ويقال اقسم بالدهر لانطوآئه على اعاجيب الامور القارةوالمارة وللتعريض بنفى ما يضاف اليه

من الخسران فان الانسان يضيف المكاره والنوائب اليه ويحيل شقاوته
وخسرانه عليه والاقسام بالشئ اعظام له وما يضاف اليه الخسران لا يعظم
عادة وقد قال عليه السلام لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر فاقسم الله
بالدهر لأنه بالنسبة الى الفهم العام محل شهود الآيات الالهية كالليل والنهار
والشمس والقمر والنجوم وغيرها وبالسنبة الى الفهم الخاص مظهر
التجليات الالهية لظهوره تعالى بصفاته وافعاله فى مظهره فلما كان العصر
جامعا لجميع الآيات التى اقسم الله بها فى القرءآن كقوله تعالى والجر واليال
عشر وقوله تعالى والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها وقوله تعالى والليل
اذا يغشى والنهار اذا تجلى وقوله تعالى والضحى والليل اذا سجا ختم الله
بقسم العصر اقسام جميع القسم وفى التأويلات النجمية اقسم الله بكمال
دوام الزمان واستمراره لاشتماله على ولاية النبى عليه السلام ونبوته ورسالته
وخلافته لقوله كنت نبيا وآدم بين الماء والطين اى بين ماء العلم وطين
المعلوم ولقوله نحن الآخرون السابقون ولقوله حكاية عن الله سبحانه لولاك
ارسلناك الا رحمة للعالمين اى من عالمى زمانه وما كان بعده وما كان قبله

لأن العالمين جمع محلى بالالف واللام فيدل على العموم والشمول كام فى قوله تعالى الحمد لله رب العالمين.

٢

{ ان الانسان } التعريف للجنس يعنى الاستغراق بدلالة صحة الاستثناء من الانسان فان صحة الاستثناء من جملة ادلة العموم والاستغراق

{ لفى خسر } الخسر والخسران معناه النقصان وذهاب رأس المال فى حق جنس الانسان هو نفسه وعمره والتنكير للتفخيم اى لفى خسران عظيم لا يعلم كنهه الا الله فى متاجرهم وصرف اعمارهم فى مباغيهم يعنى هر آينه در زيابند بصرف اعمار در مطالب نابايدار . مده به بيهده نقد عزيز عمر بدست.

كه بس زيان كنى ومرترا ندارد ود . والذنب يعظم اما لعظم من فى حقه الذنب او لأنه فى مقابلة النعمة العظيمة وكلا الوجهين حاصل فى

ذنب العبد فى حق ربه فلا جرم كان ذلك الذنب فى غاية العظم ويجوز اين يكون التنوين للتنويع اى نوع من الخسران غير ما يتعارفه الناس.

٣

{ الا الذين آمنوا } بالله الايمان العلمى اليقيني وعرفوا أن لا مؤثر بالحقيقة الا الله وبرزوا عن احجاب الدهر

{ وعملوا الصالحات } اى اكتسبو الفضائل والخيرات الباقية فربحوا بزيادة النور الكمال على النور الاستعدادى الذى هو رأس مالهم فانهم فى تجارة لن تبور حيث باعوا الفانى الخسيس واشتروا الباقى النفيس واستبدلوا الباقيات الصالحات بالغاديات الرائحات فيا لها من صفقة ما اربحها وهذا بيان لتكميلهم لانفسهم واستدل بعض الطجوآئف بالآية على أن مرتكب الكبيرة مخلد لأنه لم يستثن من الخسران الا الذين آمنوا الخ والتقصى منه ان غير المستثنى فى خسر لا محالة اما بالخلود ان مات كافرا

واما بالدخول فى النار ان مات عاصيا لم يغفر له

واما بفوات الدرجات العالية ان غفر

{ وتواصوا بالحق } الخ بيان لتكميلهم لغيرهم اى وصى بعضهم بعضا بالامر الثابت الى لا سبيل الى انكاره ولا زوال فى الدارين لمحاسن آثاره وهو الخير كله من الايمان بالله واتباع كتبه ورسله فى كل عقد وعمل

{ وتواصوا بالصبر } اى عن المعاصى التى تشتاق اليها النفس بحكم الجبلة البشرية وعلى الطاعات التى يشق عليها ادآؤها وعلى ما يبلوا لله به عباده وتخصيص هذا التواصى بالذكر مع اندراجه تحت التواصى بالحق لابراز كمال الاعتناء به او لأن الاول عبارة عن رتبة العبادة التى هى فعل ما يرضى به الله تعالى والثانى عن رتبة العبودية التى هى الرضى بما فعل الله فان المراد بالصبر ليس مجرد حبس النفس عما تشوق اليه من فعل او ترك بل هو تلقى ما ورد منه تعالى بالجميل والرضى به ظاهرا وباطنا ولعله سبحانه انما ذكر سبب الربح دون الخسران اكتفاء ببيان المقصود فان المقصود بيان ما فيه الفوز بالحياة الابدية والسعادة السرمدية واشعارا بان ما عدا ما عد يؤدى الى خسر ونقص حظ او تكرما فان الابهام فى جانب

الخسر كرم لأنه ترك تعداد مثالهم والاعراض عن مواجهتهم به وروى عنه عليه السلام انه قال (اقسم ربكم بآخر النهار أن ابا جهل لفى خسران الا الذين آمنوا) اى ابا بكر رضى الله عنه وعملوا الصالحات اى عمر رضى الله عنه وتواصوا بالحق اى عثمان رضى الله عنه وتواصوا بالصبر اى علينارضى الله عنه فسرها بذلك على بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهم على المنبر فيكون تكرير وتواصوا لاختلاف الفاعلين

واما على الاول فلاختلاف المفعولين وهما قوله بالحق وبالصبر روى عن الشافعى رحمه الله أنها صورة لو لم ينزل الى الناس الا هى لكفتهم وهو معنى قول غيره انها شملت جميع علوم القرءان.

سُورَةُ الْهُمَزَةِ مَكِّيَّةٌ

وَهِيَ تِسْعُ آياَتٍ

١

{ ويل } بالفارسية بمعنى واى . وهو مبتدأ وساغ الابتدآء به مع كونه نكرة لأنه دعاء عليهم بالهلكة او بشدة الشر خبره قوله

{ لكل همزة لمزة } الهمز الكسر واللمز الطعن شاعا فى الكسر من اعراضا الناس والطعن فيهم وفى القاموس الهامز والهمزة الغماز واللمزة العياب للناس او الذى يعيبك فى وجهك والهمزة من يعيبك فى الغيب انتهى وبناء يدل على الاعتياد فلا يقال ضحكة ولعنة الا للمكثير المتعود وفى ادب الكاتب لابن قتيبة فعلة بسكون العين من صفات المفعول وفعلة بفتح العين من صفات الفاعل يقال رجل هزءة للذى يهزأ به وهزأة لمن يهزأ بالناس وعلى هذا القياس لعنة ولعنة ولمزة ولمزة وغيرها ونزولها فى الاخنس بن شريف او فى الوليد بن المغيرة فان كلا منهما كان يغتاب رسول الله عليه السلام والاصح لعموم لقوله تعالى لكل ولم يقل للهمزة واللمزة كما قرأ عبد الله كام فى عين المعانى وفى الحديث (مؤمن كيس فطن حذر وقاف متثبت لا يعجل عالم ورع والمنافق همزة ولمزة حطمة

حطاطب ليل لا يدرى من اين اكتسب وفيم انفق) قال القاشانى الهمز واللمز رذيلتان مركبتان من الجهل والغضب والكبر لانهما يتضمنان الاذية وطلب الترفع على الناس وصاحبهما يريد أن يتفضل على الناس ولا يجد فى نفسه فضيلة يترفع بها فينسب العيب والذيلة اليهم ليظهر فضله عليهم ولا يشعر أن ذلك عين الذيلة وان عدم الرذيلة ليس بفضيلة فهو مخدوع من نفسه وشيطانه موصوف برذيلتى القوة النطقية والغضبية.

٢

{ الذى جمع مالا } بدل من كل كأنه قيل ويل للذى جمع مالا وانما وصفه الله بهذا الوصف المعنوى لأنه يجرى مجرى السبب للهمزة واللمز من حيث انه اعجب بنفسه مما جمع من المال وظن أن كثرة المال سبب لعزا لمرء وفضله فلذا استنقص غيره وانما لم يجعل وصفا نحويا لكل لأنه نكرة لا يصح توصيفها بالموصولات وتنكير مالا للتفخيم والتكثير الموافق لقوله تعالى

{ وعدده } اى عده مرة بعد اخرى من غير ان يؤدى حق الله منه ويؤيده أنه من العد وهو الاحصاء لا من العدة انه قرئ وعدده بفك الادغام على أنه فعل ماضى بمعنى احصاه وضبط عدده

وقيل معنى عدده جعله عدة وذخيرة لنوآئب الدهر وكان للاخنس المذكور اربعة آلاف دينارا وعشرة آلاف ثم فى الجمع اشارة الى القوة الشهوانية وفى عدده الى الجهل لأن الذى جعل المال عدة للنوآئب لا يعلم أن نفس ذلك المال هو الذى يجر اليه النوآئب لا يعلم أن نفس ذلك هو الذى يجر اليه النوآئب لاقتضاء حكمة الله تفريقه بالنائبات فكيف يدفعها وفى التأويلات النجمية جمع مال الاخلاق الذميمة والاوصفا الرديئة وجعله عدة منازل الآخرة والدخول على الله.

٣

{ يحسب أن ماله اخلده } اظهار المال لزيادة التقرير اى يعمل من تشييد البنيان وايثاقه بالصخر والآجر وغرس الاشجار وكرى الانهار

عمل من يظن أنه لا يموت بل ماله يبقيه حيا فالحسبان ليس بحقيقى بل

محمول على التمثيل وقال ابو بكر بن طاهر رحمه الله يزظن أنه ماله يوصله

الى مقام الخلد وانما قال اخلده ولم يقل يخلده لأن المراد أن هذا الانسان

يحسب أن المال قد ضمن له الخلود واعطاء الامان من الموت فكأنه حكم

قد فرغ منه ولذلك ذكره بلفظ الماضى قال الحسن رحمه الله ما رأيت يقينا

لا شك فيه اشبه بشك لا يقين فيه كالموت ونعم ما قال.

٤

{ كلا } ردع له عن ذلك الحسبان الباطل يعنى نه جنانست كه

آدمى بندارد وقال بعضهم الاظهر أنه ردع له على الهمز واللمز

{ لينبذن } جواب قسم مقدر والجملة استيناف مبين لعلة

الردع اى والله ليطرحن ذلك الذى يحسب وقوع الممتنع بسبب تعاطيه

للافعال المذكورة وقال بعضهمولك أن ترد الضمير الى كل من الهمزة واللمزة

ويؤيده قرآءة لينبذان على التثنية

{ فى الحطمة } اى فى النار الى شأنها اى تحطم وتكسر كل ما يلقى فيها كما ان شأنه كسر باعراض الناس وجمع المال

قال بعضهم قولهم ان فعلة بفتح العين للمكثير المتعود ينتقض الحطمة فانها اطلقت على النار وليس الحطم عادتها بل طبيعتها وجوابه أن كونه طبيعيا لا ينافى كونه عادة اذ الادة على ما فى القاموس الديدن والشأن والخاصية وهو يغم الطبيعى وغيره ومنه يعلم ان النبذ فى الحطمة كان جزآء وفاقا لاعمالهم فانه لما كان الهمزة واللمز عادتهم كان الحطم ايضا عادة فقوبل صيغة فعلة بفعلة وكذا ظنوا انفسهم اهل الكرامة والكثرة فعبر عن جزآئهم بالنبذ المنبئ عن الاستحقار والاستقلال يعنى شبههم استحقارا لهم واستقلالا بعددهم بحصيات اخذهن احد فى كفه فطرحهن فى البحر وفيه اشارة الى الاسقاط عن مرتبة الفطرة الى مرتبة الطبيعة الغالبة.

٥

{ وما ادراك ما الحطمة } تهويل لامرها ببيان أنها ليست من الامور التى تنالها عقول الخلق والمعنى بالفارسية وجه جيز دانا كرد تراتا دانى جيست حطمه.

٦

{ نار الله } اى هى نار الله

{ الموقدة } افروخته شد . بامر وقدرت اوجل جلاله وما اوقد واشعل بامره لا يقدر أن يطفئه غيره فاضافة النار اليه تعالى لتفخيمها والدلالة على أنها ليست كسائر النيران وفى الحديث (اوقد عليها ألف سنة حتى احمرت ثم ألف سنة حتى ابيضت ثم ألف سنة حتى اسودت فهى سودآء مظلمة) وعن على رضى الله عنه عجبا ممن يعصى الله على وجه الارض والنار تسعر من تحته.

٧

{ التى تطلع على الافئدة } اى تعلو اوساط القلوب وتغشاها

فان الفؤاد وسط القلب ومتصل بالروح يعنى أن تلك النار تحطم العظام

و تأكل اللحوم فتدخل فى اجواف اهل الشهوات وتصل الى صدورهم

وتستولى على افئدتهم الى أنها لا تحرقها بالكلية اذ لو احترقت لماتت

اصحابها ثم ان الله تعالى يعيد لحومهم وعظامهم مرة اخرى وتخصيصها

بالذكر لما أن الفؤاد ألطف ما فى الجسد واشد تألما بادن اذى يمسه او لأنه

محل العقائد الزآئغة والنيات الخبيثة ومنشأ الاعمال السيئة فاطلاعها على

الافئدة التى هى خزانة الجسد ومحل ودآئعه يستلزم الاطلاع على جميع

الجسد بطريق الاولى . صاحب كشف الاسرار فرموده كه آتشى كه بدل

راه يابد عجبست حسين منصور قدس سره فرموده كه فتادسال آتش نار

الله الموقدة درباطن ما زدند ناتمام سوخته شدنا كاه شررى از مقدحه انا

الحق برون جست ودران سوخته افتاد سوخته بايدكه از سوزش ما خر

دهد . اى شمع نياتا من وتوزار بكريم . كالحوال دل سخته هم سوخته

داند.

٨

{ انها عليهم مؤصدة } اى ان تلك النار الموصوفة مطبقة ابوابها عليهم تأكيدا ليأسهم من الخروج وتيقنهم بحبس الابد من اوصدت الباب واصدته اى اطبقته وقد سبق فى سورة البلد.

٩

{ فى عمد } جمع عمود كما فى القاموس اى حال كونهم موثقين فى اعمدة

{ ممددة } من التمديد بالفارسية كشيدن . اى ممدودة مثل المقاطر التى تقطر فيها اللصوص اى يلقون فيها على احد قطريهم والقطر الجانب والمقطرة الخشبة التى يجعل فيها ارجل اللصوص والشطار يعنى خشبة فيها خروق تدخل فيها ارجل المحبوس كيلا يهربوا فقوله فى عمد حال من الضمير المجرور فى عليهم اوصفة لمؤصدة قاله ابو البقاء اى كائنة فى عمد ممددة بان تؤصد عليهم الابواب وتمد على

الابواب العمد المطولة التى هى ارسخ من القصيرة استيثاقا فى استيثاق لا يدخلها روح ولا يخرج منها غم وفيه اشارة الى ايثاقهم وربطهم فى عمد اخلاقهم واوصافهم واعمالهم ومدهم فى ارض الذل والهوان والخسران لأن اهل الحجاب لاعزلهم نسأل الله تعالى ان لا يذلان بالاحتجاب انه الوهاب.

سُورَةُ الْفِيلِ مَكِّيَّةٌ

وَهِيَ خَمْسُ آيَاتٍ

١

{ الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل } الخطاب لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم والهمزة لتقرير رؤيته بانكار عدمها وكيف معلقة لفعل الرؤية منصوبة بما بعدها والرؤية علمية لأن النبى عليه السلام ولد عام الفيل ولم يرهم والمراد باصحاب الفيل ابرهة وقومه وبالفيل هو الفيل

الاعظم الذى امسه محمود وكنيته ابو العباس كما سيجئ ونسبوا اليه لأنه كان مقدمهم والمعنى الم تعلم علما رصينا متاخما للمشاهدة والعيان باستماع الاخبار المتواترة ومعاينة الآثار الظاهرة وتعليق الرؤية بكيفية فعله تعالى لا بنفسه بان يقال الم تر ما فعل ربك الخ لتهويل الحادثة والايذان بوقعوها على كيفية هائلة وهيئات عجيبة دالة على عظم قدرة الله وكمال علمه وحكمته وعزة بيته وشرف رسوله فان ذلك من الارهاصات والارهاص ان يتقدم على دعوى النبوة ما يشبه المعجزة تأسيسا لها ومقدمة كاظلال الغمام له عليه السلم وتكلم الحجر والمدر معه

قال بعضهم الارهاص الترصد سميت الامور الغريبة التى وقعت للنبى عليه السلام ارهاصات لأن كلا منها مما يترصد بمشاهدته نبوته فالارهاص انما يكون بعد وجود النبى

وقيل مبعثه وفى كلام بعضهم ان الارهاص يكون قبل وجوده ايضا قريبا من عهده كما دل عليه قصة الفيل ورجحوا الاول فان قيل اتحاد السنة بان يكون وقوع القصة عام المولد امر اتفاقى لا يمنع عن كون الواقعة

لتعظيم الكعبة قلنا شرفها ايضا بشرف مكانه عليه السلام ألا يرى أنه تعالى كيف قيد الاقسام بالبلد بحلوله عليه السلام فيه حيث قال لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد قال فى فتح الرحمن كان هذا عام مولد النبي عليه السلام فى نصف المحرم وولد عليه السلام فى شهر ربيعالاول فبين الفيل ومولده الشريف خمس وخمسون ليلة وهى سنة ستة آلاف ومائة وثلاث وستين من هبوط آدم على حكم التواريخ اليونانية المعتمدة عند المؤرخين وبين قصة الفيل والهجرة الشريفة النبوة ثلاث وخمسون سنة والمقصود من تذكير القصة اما تسلية النبي عليه السلام بأنه سيجزى من يظلمه كما جزى من قصد الكعبة

واما تهديد الظلمة وتفصيلها أن ملك حمير وما حولها وهو ذو نواس اليهودى لما احرق المؤمنين بنار الاخدود ذات الوقود على ما سبق فى سورة البروج هرب رجل منهم الى ملك الحبشة وهو اصخمة بن بحر النجاشى تخفيف الياء الذى اسلم فى عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم واخبره بذلك وحرضه على قتال ذى نواس فبعث اصخمة سبعين

ألفا من الحبشة الى اليمن وامر عليهم ارباطا ومعه فى جنده ابرهة بن الصباح الاشرم ومعنى ابرهة بلسان الحبشة الابيض الوجه وسيجئ معنى الاشرم فركبوا البحر حتى نزلوا ساحالا مما يلى الارض اليمن وهزم ارباط ذا نواس وقتله فى المعركة او القى هو نفسه فى البحر فهلك واستقر امرار باط فى ارض اليمن زمانا واقام فيها سنين فى سلطانه ذلك ثم نازعه ابرهة فى امر الحبشة فكان من امرآء الجند فتفرقت الحبشة فرقتين فرقة مع ارباط وفرقة مع ابرهة فكان الامر على ذلك الى ان سار احدهماالى الآخر فلما تقارب الفرقتان للقتال ارسل ابرهة الى ارباط أنك لا تفعل شيأ بان تغرى الحبشة بعضها ببعض حتى تفينها فابرز لى وابرز لك فأينا اصاب صاحبه انصرف اليه جنده فارسل اليه ارباط ان قد انصفت فاخرج فخرج اليه ابرهة كنيته ابو يكسون وكان رجلا قصير الجثمان لحيما ذا دين فى النصرانية وخرج اليه ارباط وكان رجلا طويلا عظيما وفى يده حربة وخلف ابرهة غلام يقال له عتودة يمنع ظهره فرفع ارباط الحربة فضرب ابرهة يريد يافوخه فوقعت الحربة على جبهة ابرهة فشرمت حاجبه وانفه وعينه

وشفتيه اى شقت وقطعت وخدشت فبذلك سمى ابرهة الاشرم وحمل
عتودة على ارباط من خلف ابرهة فقتله وانصرف جند ارباط الى ابرهة
فاجتمعت عليه الحبشة فى اليمين بلا منازع وكان ما صنع ابرهة من غير
علم النجاشى فلما بلغه ذلك غضب غذبا شيديدا فقال عدا على اميرى
فقتله بغير امرى ثم حلف لا يدع ابرهة حتى يطأ بلاده ويجز ناصيته فلما
بلغ هذا الخبر ابرهة حلق رأسه وملأ جرابا ترابا من تراب اليمن ثم بعث به
الى النجاشى مع هدايا جليلة كثيرة وكتب اليه ايها الملك انما كان ارباط
عبدك وانا عبدك فاختلفنا فى امرك وكل طاعة لك الا انى كنت اقوى على
امر الحبشة واضبط له واسوس منه قود حلقت رأسى حين بلغنى قسم
الملك وبعثت اليه بجراب تراب من ارضى ليضعه تحت قدميه فيبر قسمه
فى فلما وثل كتاب ابرهة الى النجاشى لان ورضى عنه وكتب اليه ان اثبت
بارض اليمن حتى يأتيك امرى فأقام ابرهة باليمن ثم انه رأى الناس
يتجهزون ايام الموسم الى مكة لحج بيت الله الحرام فتحرك منه عرق الحسد

فبنى بصنعاء كنيسة من رخام ملون وفى بعض التفاسير ودرو ديوار آنرا بزر وجواهر مرصع ومزين كردانيد.

وفى انسان العيون واجتهد فى زخرفتها فجعل فيها الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب وكان ينقل ذلك من قصر بلقيس صاحبة سليمان عليه السلام وجعل فيها صلبانا من الذهب والفضة ومنابر من العاج والابنوس وسماها اقليس كجميز لارتفاع بنائها وعلوها ومنها القلانيس لانها فى اعلى الرأس واراد ان يصرف اليها الحاج وفى كشف الاسرار جون رسول ابرهه باآن هديها بيش ملك نجاشى رسيد وآن بيغام بداد ملك ازوخشنود شد وولايت يمن جمله بدو ارزانى داشت وبوى تسليم كرد جون آن رسول نبزديك ابرهه باز آمد ابرهه شادشد وبشكرانكه ملك ازوخحشنود كشت وزراء وعقلاء مملكت خويش جمع كرد وايشانرا كفت مراراهى سازيد بعملى كه ملك راخوش آيدواو را دران عزتى ومالى بودتا آنراشكر نعمت عفو اوسازم ايشان همه متفق شدندكه عرب راخانه ايست معظم ومقدس وشرف جمله عرب بدان خانه است ومردمان شرق وغرب

روی بدان خانه دارند وآن خانه ازسنك است تو در صنعاء يمن كنيسه

بساز برنام ملك وبردين ترسايي كه دين نجاشى است واساس آن از

زروسيم والوان جواهر كن وكسى فرست باطراف زمين وديار عرب وايشانرا

بخوان وبزر وسيم وتحفها وهديها ايشانرا رغبتى كن تا عالميان روى بدان

كنيسه نهند وآنجا طواف كنند وملك عزى وجمالى باشد ابرهه همجنان

كردكه ايشان كفتند وآن كنيسه بدان صفت بساخت وازبهر طمع مال

وزروسيم خلقى روى بدان كنيسه نهادند وهركه آنجار فتى باهديه وتحفه

بازكشتى.

وكتب ابرهة اللنجاشى ايها الملك انى بنيت لك كنيسة لم يبن

مثلها لملك قبلك ولست ارضى حتى اصرف اليها حاج العرب فلما تحدث

العرب بكتاب ابرهة ذلك الى النجاشى غضب رجل من بنى كنانة حتى

اتى القليس (وفى كشف الاسرار) وخبر در اطراف افتادكه ازحج وزيارت

وطواف كه درمكه وخانه عرب بود بايمن افتاد ودران وقت رئيس مكه

عبد المطلب بود مردى ازعرب ازساكنان مكه نام وى زهير بن بدر ازبعد

الملطب درخواست وسوكند خوردكه من بروم ودرخانه ايشان حدث كنم برخواست وآنجاشد وجند روزآنجاعبادت كرد رتبه مجاورة يافت شبى كفت من ميخواهم كه اينجا امشب عبادت كنم كه مراسخت نيكو وخوش آمده است اين بقعه اورا آن شب آنجا تنها بكذا شتند ودران خانه مسك وعنبر فراوان بودر بيوسته بوى خوش ازان ميد ميد زهير آنجا حدث كرد وهمه ديوار ومحراب بنجاست بيالود آنكه آهنك بيرون كردوبكر بخت اين خبردرآفاق واقطار منتشرة كشت ومردم ازطواف آن متنفر ابرهه ازين حال آكاه شد ومتأثر كشت دانست كه اين مرد ازمكه بود واز مجاوران كعبه سوكند خوردكه من بالشكر وحشم بروم وآن خانه ايشان خراب كنم وبازمين برابر حتى لا يحجه حاج ابدا.

وفى حواشى ابن الشيخ كان اصل مقصوده من هدم البيت ان يصرف الشرف الحاصل لهم بسبب الكعبة منهم ومن بلدتهم الى نفسه والى بلدته.

ورسولى فرستاد بحبشه وملك راخبر كردازآنجه زهير كرداند ران كنيسه واز رفتن خويش سوى مكة وخراب كردن كعبه.

فخرج بالحبشة وكفته اندنجاشى بيلان بسيار فرستاد ولشكر وحشم.

وقال السجاوندى اغتم النجاشى لذلك وعزاه ابرهة وحجر من قواده وابو يكسوم وزيره وقال لا تحزن ان لهم كعبة هى فخرهم فتنسف ابنيتها وتبيح دماءها وننهب اموالها فخرج ابراهة بجند كثير وجم غفير ومعه فيل ابيض اللون وهو فيل النجاشى بعثه اليه بسؤاله وكان فيلا لم ير مثله عظما وجسما وقوة يعنى بعظمت جثه مشابه كوه بود

بهيكل قوى راست جون كوه قاف ... جوشير غرين جابك اندر مصاف

ومن شأن الفيل المقاتلة ولذلك كان فى مربط ملك الصين ألف فيل ابيض وهو مع عظم صورته ضعيف يخاف من السنور ويفزع منه وكان

دليلهم كبير ثقيف وهو ابو رغال رحيم العرب قبره حين مات كما فى كتاب التعريف والاعلام للامام ا لسيهلى رحمه الله وفى كشف الاسرار ابو رغال درراه هلاك شد وكوروى معروفست براه يمن حاج بمن جون أنجارسند بآن كوروى سنك اندازند . حتى صار كالجبل العظيم وفى ذلك يقول جرير فى الفرزدق الشاعر

اذا مات الفرزدق فارجموه ... كما ترمون قبر ابى رغال

وفى القاموس ابو رغال ككتاب فى سنن ابى داود ودلائل النبوة وغيرهما عن ابن عمر رضى الله عنهما سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين خرجنا معه الى الطائف فمررنا بقبر فقال (هذا قبر ابى رغال) وهو ابو ثقيف وكان من ثمود وكان بهذا الحرم يدفع عنه فلما خرج منه اصابته النقمة التى اصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه الحديث وقول الجوهرى كان دليلا للحبشة حين توجهوا الى مكة فمات فى الطريق غير جيد وكذا قول ابن سيدة كان عبد الشعيب وكان عشارا جائرا انتهى كلامه.

ابرهه جون باطراف حرم رسد بيرون حرم نزول كرد . وبعث رجلا

من الحبشة يقال له الاسود حتى انتهى الى مكة فساق اليه اموال

تهامة يعنى هرجه درحوالئ شهر مكة شتربود وكوسفند غارت كرد ودرجمله

دويست سرشترازان عبد المطلب كه بوقف حاج كرده يود بغارت بردند .

وقال بعضهم فلما بلغ المغمس وهو كمعظم ومحدث موضع بطريق الطائف

فيه قبر ابى رغال دليل ابرهه ويرجم كما فى القاموس اى على ما اشتهر

والاناقض كلامه السابق خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال

تهامة ليرجع فأبى وفى شرح البردة للمرزوقى لما نزل المغمس بعث حناطة

الحميرى الى مكة وقال له سل عن سيد هذا البلد وشريفهم وقل له ان

الملك يقول اننى لم آت لحربكم انما جئت لهدم هذا البيت فان لم تتعرضوا

دونه لحرب فلا حاجة لى بدمائكم فان هو لم يرد حربى فائتنى به وفى

كشف الاسرار ابرهة جون آنجا نزول كرد هيبت خانه كعبه دردل وى اثر

كرد وازان قصدكه داشت بشيمان كشت ودردل خود ميخواست كه

كسى درحق خانه شفاعت كندتابا زكردد وبفرمودكه رئيس مكه رابياريد

ورئيس مكه آنكاه عبد المطلب بودباجمعى بنى هاشم بنزديك ابرهه آمد وآن مردكه فرستاده بودبيش ازرسيدن عبد المطلب دربيش ابرهه شد.

وقال المرزوقى رحمه الله استان لعبد المطلب بعض وزرآئه يقال له انيس سائس الفيل وكفث قد جاءك سيد قريش وصاحب عير مكة الذى يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رؤوس الجبال حقا مردى مى آيد بحضرت توكه بدرستى وراستى سيد قريش است مردى كريم طبع نيكوروى باسيادت وباسخاوت وباهيبت وانكه ازوى نورهمى تابدكه منظروى بترسانيد يعنى نور مصطفى عليه السم از بيشانى وى همى تافت ابرههخويشتن رابزى نيكوبيا راست وبرتخت نشت وبعدا المطلب را اجازت دار جون در آمد نخواست كه اورا باخود برتحب نشاند يعنى كره ان تراه الحبشة يجلس على سرير ملكه ازتخت بزير آمد وباعبد المطلب به بايان تحت بنشست واورا اجلال كرد ونيكو بنواخت سخنان وى اوراخواش آمد وباخود كفت اكردرحق خانه شفاعت كنداور نوميدنكنم بس ترجمانرا كفت تاحاجتى كه دارد بخواهد عبد المطلب كفت حاجت من اينست

كه دويست شترازان من بياورده اند وكانت ترعى بذى المجاز بفرماى تاباز

دهند ابرهه را ازان انده آمدترجمانرا كفت بيرس ازوى تاجرا ازبهر خانه

كعبه حاجت نخواست خانه كه شرف وعزشما بآنست وسبب عصمت

وحرمت شما آنست در قديم دهرومن آمده ام تاآنرا خراب كنم مى نخواهى

اين اشترانراجه خطر باشدكه ميخواهى قال عبد المطلب انا رب الابل

والبيت رب يحفظه كما حفظه من تبع وسيف بن ذى يزن وكسرى ابرهه

ازين سخن درخشم شد وكفت دروا عليه بعرائه لينظر من يحفظ البيت

منى عبد المطلب بازكشت وميكانرا فومود هرجه داشتند ازمال ومتاع

بركرفتند وباكوه شدند ومكه خالى كردنداى تخوفا من معرة الجيش فجهز

ابرهة جيشة وقدم الفيل الاعظم المذكور فكان كلما وجهوه الى الحرم برك

ولم يبرح كما بركت القصوآء فى الحديبية حتى قال عليه السلام

حبسها حابس الفيل ومعنى بروك الفيل سقوطه على الارض لما

جاءه من امر الله او لزوم موضعه كالذبرك والافالفيل لا يبرك كما قال

عبد اللطيف البغدادى الفيلة تحمل سبع سنين واذا تم حملها وارادت الوضع

دخلت النهر حتى تضع ولدها لانها تلد وهى قائمة ولا فواصل لقوآئمها فتلد والذكر عند ذلك يحرسها وولدها من الحيتان انتهى وقال بعضهم الفيل صنفان صنف لا يبرك وصنف يبرك كالجمل انتهى واذا وجوه الى اليمن او الى غيره من الجهات هرول والهرولة كالدحرجة ما بين المشى والعدو وامر ابرهة ان يسقى الفيل الخمر ليذهب تمييزه فسقوه فثبت على امره.

وكفته اند نفيل ابن حبيب الخثعمى كوش آن فيل كرفت وكفت ابرك محمود وارجع راشدا من حيث جئت فانك فى بلد الله الحرام جون اين سخن بكوش بيل فرو كفت بازكشت وباى درحرم نهاد ونفيل هذا قاتل ابرهة بأرض خثعم وهو جبل وأهله خثعميون وأبو قبيلة فهزمه ابرهة فاخذ اسيرا فلما اتى به وهم ابرهة بقتله قال اليها الملك لا تقتلنى فانى دليلك بارض العرب فخلى سبيله وخرج به معه يدله على ارض العرب حتى اذا مر بالطائف رأى اهله ان لا طاقة لهم به فانقادوا له وبعثوا معه بأبى رغال فانزلهم بالمغمس وهو على ستة اميال من مكة ومات ابو رغال

هناك وقبره المرجوم فيه كما فى بعض التفاسير قال المرزوقى رأى العرب

جهاد ابدهة حقا عليهم فكانوا يجتمعون لقتاله فى الطريق قبائل

فهزمهم ابرهة ومن جملة من هزمهم واسرهم نفيل بن حبيب اخذه وما قتله

ليكون دليلا له واخذ عبد المطلب بحلقة البيت ودعا وقال (لا هم ان

المرء يحمى رحله فامنع حلالك) (لا يغلبن صليبهم ومحالهم غدوا محالك

) وذلك انهم كانوا نصارى أهل صليب ولا هم اصله اللهم فان العرب

تحذف الالف واللام وتكتفى بما يبقى والحلال بكسر الحاء المهملة جمع

حلة وهى البيوت المجتمعة والمحال بكسر الميم الشدة والقوة والغدو بالغين

المعجمة اصل الغد وهو اليوم الذى يأتى بعد يومك الذى انت فيه فالفت

وهو يدعو فاذا بطير فقال والله انها لطير غريبة لا نجدية ولا تهامية ولا

حجازية وان لها لشأنا وفى حواشى ابن الشيخ كان عبد المطلب وابو

مسعود الثقفى يشاهدان من فوق الجبل عسكر ابرهة فأرسل الله طيرا سودا

صفر المناقير خضر الاعناق طوالها او حضرا او بيضا او بلقا او حماما كما

سئل من ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن الطير فقال حمام مكة منها

وقد يقال ان هذا اشتباه لان الذى قيل فيه انه من نسل الابابيل انما هو شئ يشبه الزرازير يكون بباب ابراهيم من الحرم والافحام الحرم من نسل الحمام الذى عشش على فم الغار والزرازير جمع زرزور بضم الزاى طائر صغير من نوع سمى بذلك لزرزرته اى لصوته وعن عائشة رضى الله عنها كانت تلك الطير الابابيل اشباه الخطاطيف والوطاويط وقد نشأت فى شاطئ البحر ولها خراطيم الطير واكف الكلام وانيابها وقال ابن جبير لم ير مثلها لا قبلها ولا بعدها وقال عكرمة هى عنقاء مغرب وفى الخبر انها طير بين السماء والارض تعيش وتفرخ

وقيل من طير السماء قيل جاءت عيشة ثم صبحتهم مع كل طائر حجر فى منقاره وحجران فى رجليه اكبر من العدسة واصغر من الخمصة وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه رأى منها عند ام هانى نحو قفيز مخطط بحمرة كالجزع الظفارى وظفار كقطام بلد باليمن قرب صنعاء ينسب اليه الجزع وارسلت ريح فزادتهم شدة فكان الحجر يقع على رأس كل واحد منهم فيخرج من اسفله وينفذ من الفيل ومن بيضهم فيخرق الارض وعلى

كل حجر اسم من يقع عليه قال القاشانى والهام الوحوش والطيور أقرب

من الهام الانسان لكن نفوسهم ساذجة وتأثير الاحجار بخاصية اودعها

الله تعالى فيها ليس بمستنكر ومن اطلع على عالم القدرة وكشف له حجاب

الحكمة عرف لمية اثمال هذه وقد وقع فى زماننا مثلها فى استيلاء الفأر

على مدينة ابى يوزد وافساد زروعهم ورجوعها فى البرية الى شط جيحون

واخذ كل واحدة منهاخشبة من الايك التى على شط النهر وركوبها عليها

وعبورها من النهر فهى لا تقبل التأويل كأحوال القيامة وامثالها انتهى وعن

عكرمة كل من اصابته الحجارة جدرته وفى الخبران اول ما وقعت الحصبة

والجدرى بأرض العرب ذلك العام ففروا وهلكوا فى كل طريق ومنهل

قال بعضهم فلم تصب منهم احدا الا هلك وليس كلهم اصيب

كما قال فى انسان العيون ثم ركب عبد المطلب لما استبطأ مجيئ القوم الى

مكة ينظر ما الخبر فوجدهم قد ملكواى غالبهم وذهب غالب من بقى

فاحتمل ما شاء الله من صفراء وبيضاء.

ثم اعلم اهل مكة بهلاك القوم فخرجوا فانتهبوا انتهى يعنى والذى سلم منهم ولى هاربا مع ابرهة ال نليمن يبتدر الطريق وصاروا يستاقطون بكل منهل.

وقال الكاشفى وبيك نفس قوم ابرهه مستأصل شدند وآن بيلان نيزهمه هلاك كشتند.

وقال بعضهم ولم يسلم الاكندى فقال

أكندة لو رأيت ولو ترينا ... بجنب ربا المغمس ما القينا

حسبنا الله ان قد بث طيرا ... وظل سحابة تهمى علينا

واخذ ابرهة دآء اسقط انامله واعضاءه ووصل الى صنعاء كذلك وهو مثل فرخ الطير وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فملك اليمن ابنه يكسوم بن ابرهة وانفلت وزيره ابو يكسوم وطائر يتحلق فوقه حتى بلغ النجاشى فقص عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه فارى الله النجاشى كيف كان هلاك اصحابه وقال بعضهم همه هلاك

شدندمكر ابرهة كه مرغ بر سروى ايستاد وازمكه بيرون شدروى بحبشة نهاد وآن مرغ برهوا برسورى همى بود واونمى دانست تادربيش نجاشى شد جون ابرهه صورت حال بعرض نجاشى رسانيد نجاشى از روى تعجب برسيد كه جكونه مرغان بودندكه جندين مبارزانرا هلاك كردند ابرهه رادرين حال نظر بران مرغ افتاد كفت اى ملك يكى اذان مرغان اينست همان لحظه آن مرغ سنكى كه داشت بنام وى برسرش افكند وهم درنظر نجاشى هلاك شدوازين سصورت آيت عبرتى بر صحيفة دل نجاشى منقش كشت.

نوشت خامه تقدير برجريده دهر ... خطى كه فاعتبروا يا اولى الابصار

وعن عائشة رضى الله عنها رأيت قائد الفيل وسائسه اعميين مقعدين يسطعمان الناس ويعلم من ذلك انهما من جملة من سلم من قوم ابرهة ولم يذهبا بل بقيا بمكة كما فى انسان العيون وفى حواشى ابن الشيخ كان عبد المطلب وابو مسعود الثقفى يشاهدان من فوق الجبل عسكر

ابرهة حين رماهم الطير بالحجارة فهلكوا فقال عبد المطلب لصاحبه صار

القوم بحيث لا يسمع لهم ركز اى حس فانحاط من الجبل فدخلا المعسكر

فاذا هم موتى فجمعا من الذهب والجواهر وحفر كل منهما لنفسه حفرة

وملأها من المال وكان ذلك سبب غناهما وفى كلام سبط ابن الجوزى

وسبب غنى عثمان بن عفان ان اباه عفان وعبد المطلب وابا مسعود

الثقفى لما هلك ابرهة وقومه كاناو اول من نزل مخيم الحبسة فأخذوا من

اموال ابرهة واصحابه شيأ كثيرا ودفنوهعن قريش فكانوا غنياء قريش

واكثرهم مالا ولما مات عفان ورثه عثمان رضى الله عنه ثم انه يرد على ما

ذكر ان الحجاج خرب مكة بضرب المنجنيق فلم يصبه شئ ولم يستعجل

عذابه ويجاب بأن الحجاج لم يجئ لهدم الكعبة ولا لتخريبها ولم يقصد ذلك

وانما قصد التضييق على عبد الله بن الزبير رضى الله عنه ليسلم نفسه وفيه

انه قد يشكل كونه حرما آمنا وجاء فى حق الحجاج ان عليه نصف عذاب

العالم ويرد عليه ايضا قصة القامطة وهى ان ابا سعيد كبير القامطة وهم

طائفة ملاحدة ظهروا بالكوفة سنة سبعين ومائتين يزعمون ان لا غسل

من جنابة وحل الخمر وانه لا صوم فى السنة الا يومى النيروز والمهرجان وبزيدون فى اذانهم وان محمد بن الحنيفة رسول الله وان الحدج والعمرة الى بيت المقدس وافتتن بهم جماعة من الجهال واهل البرارى وقويت شوكتهم حتى انقطع الحج من بغداد بسببه وسبب ولده ابى طاهر فان ولده ابا طاهر بنى دارا فى الكوفة وسماها دار الهجرة وكثرة فساده واستيلاؤه على البلاد وقتله المسلمين وتمكنت هبته من القلوب وكثرت اتباعه وذهب اليه جيش الخليفة المقتدر بالله السادس عشر من خلفاء بنى العباس غير ما مرة وهو يهزمهم ثم ان المقتدر سير ركب الحاج الى مكة فوافاهم ابو طاهر يوم التروية فقتل الحجيج بالمسجد الحرام وفى جوف الكعبة قتلا ذريعا والقى القتلى فى بئر زمزم وضرب الحجر الاسود بدبوس فكسره ثم اقتلعه واخذه معه وقلع بالب الكعبة ونزع كسوتها وسقفها وقسمه بين اصحابه وهدم قبة زمزم وارتحل عن مكة بع د ان اقام بها احد عشر يوما ومعه الحجر الاسود وبقى عند القرامطة اكثر من عشرين سنة وكان الناس يضعون ايديهم محلة للتبرك ودفع لهم فيه خمسون ألف دسنار فأبوا حتى اعيد الى

موضعه فى خلافة المطيع لامر الله وهو الرابع والعشرون من خلفاء بنى العباس بعد اشترآئه منهم وجعل له طوق فضة شد به رنته ثلاثة آلاف وسبعمائة وتسعون درهما ونصف

قال بعضهم تأملت الحجر وهو مقلوع فاذا السواد فى رأسه فقط وسائره ابيض وطوله قدر عظم الراع وبع د القرامطة فى سنة ثلاث عشر واربعمائة قام رجل من الملاحدة وضرب الحجر الاسود ثلاث ضربات بدبوس فتشقق وجه الحجر من تلك الضربات وتساقطت منه شظيات مثل الاظفار وخرج بكسره فتات اسمر يضرب الى الصفرة محببا مثل حب الخشخاش فجمع بنوا شيبة ذلك الفات وعجنوه بالمسك والللك وحشوه فى تلك الشقوق وطلوه بطلاء من ذلك.

يقول الفقير لعل الجواب عن مثل هذا ان الاستئصال وما يقرب منه مرفوع عن هذه الامة واكثر ما كان من خوارق العادات كان فى ايام الامم السالفة وليست الكعبة بأفضل من الانسان الكامل وقد جرتعادة

الله على التسامع عن بعض من يعاديه بل يقتله وان كان اشتد غضبه عليه فهو يمهل ولا يهمل ولعتة الله على الظالمين.

٢

{ الم يجعل كيدهم فى تضليل } الهمزة للتقرير وضالل كيده اذا جعله ضالا ضائعا ونحوه قوله تعالى وما كيد الكافرين الا فى ضلال وضل الماء فى اللبن اذا ذهب وغاب والمعنى قد جعل مكرهم وحيلتهم فى تعطيل الكعبة عن الزوار وتخريبها فى تضييع وابطال بان اهلكهم اشنع اهلاك وجزاهم بعد اهلاكهم بمثل ما قصدوا حيث خرب كنيستهم قال فى انسان العيون لما اهلك صاحب الفيل وقومه عزت قريش وهابتهم الناس كلهم وقالوا هم اهل الله لان الله معهم مزقت الحبشة كل ممزق وخرب ما حول تلك الكنيسة التى بناها ابرهة فلم يعمرها احد وكثرت حولها السباع والحيات ومردة الجن وكل من أراد أن يأخذ منها شيا اصابته الجن واستمرت كذلك الى زمن السفاح الذى هو اول خلفاء بنى العباس فذكر له امرها فبعث اليها عامله الذى باليمن فخربها واخذ خشبها المرصع بالذهب

والآلات المفضضة التى تساوى قناطير من الذهب فحصل له منها مال عظيم وحينئذ عفا رسمها وانقطع خبرها واندرست آثارها.

٣

{ وارسل عليهم طيرا } عطف على قوله ألم يجعل لان الهزة فيه لانكار النفى كما سبق

{ ابابيل } صفة طيرا اى جماعات لأنها كانت افواجا فوجا بعد فوج متتابعة بعضها على اثر بعض أو من ههنا وههنا جمع ابالة وهى الحزمة الكبيرة بالفارسية دسته بزرك ازحطب . شبهت بها الجماعة من الطير فى تضامها

وقيل ابابيل مفرد كعباديد ومعناه الفرق من الناس الذاهبون فى كل وجه وكشماطيط ومعناه القطع المتفرقة وفيه انها لو كانت مفردات لا شكل قول النحاة ان هذا الوزن من الجمع يمنع صرفه لانه لا يوجد فى المفردات.

٤

{ ترميهم بحجارة } صفة اخرى لطير وقرأ ابو حنيفة رحمه اللّٰه

يرميهم اى اللّٰه او الطير لانه اسم جمع تأنيثه باعتبار المعنى والحجارة جمع

حجر بالتحريك بمعنى الصخرةوالمعنى بالفارسية مى افكندند بدان لشكر

بسنكها.

يقال رمى الشيئ وبه ألقاه

{ من سجيل } من طين متحجر وهو الآجر معرب.

سنك كل . وقال بعضهم متحجر من هذين الجنسين وهما سنج

الذى هو الحجر وجيل الذى هو الطين او هو علم للديوان الذى كتب

فيه عذاب الكفار كما ان سجينا علم للديوان الذى كتب فيه عذاب

الكفار كما ان سجينا علم للديوان الذى تكتب فيه اعمالهم

كأنه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون واشتقاقه من الاسجال

وهو الارسال.

٥

{ فجعلهم كعصف مأكول } كورق زرع وقع فيه الاكال وهو أن يأكله الدود وسمى ورق الزرع بالعصف لان شأنه ان يقطع فتعصفه الرياح اى تذهب به الى هنا وهنا شبههم به فى فنائهم وذهابهم الكلية او من حيث انه حديت فيهم بسبب رميهم منافذة وشقوق كالزرع الذى اكله الدود ويجوز أن يكون المعنى كورق زرع اكل حبه فبقى صفرا منه فيكون من حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اى كعصف مأكول الحب شبههم بزرع اكل حبه فى ذهاب ارواحهم وباقء اجسادهم او كتبن اكلته الدواب وألقته روثا فيبس وتفرقت اجزاؤه شبهة تقطع اوصالهم بتفرق اجزاء الروث وفيه تشويه لحالهم وبمالغة حسنة وهو أنه لم يكتف بجعلهم اهون شئ فى الزرع وهو التبن الذى لا يجدى طائلا حتى جعلهم رجيعا الا انه عبر عن الرجيع بالمأكول او اشير اليه بأول حاله على طريق الكناية مراعاة لحسن الأدب واستهجانا لذكر الروث كنى بالاكل فى قوله تعالى كانا يأكلان الطعام عما يلزم الاكل من التبول والتغوط لذلك فدأب القرءان هو العد ولعن الظاهر فى مثل هذا المقام قال

بعض العارفين من كان اعتماده على غير الله اهلكه الله بأضعف خلقه الا ترى ان اصحاب الفيل لما اعتمدواعلى الفيل من حيث انه اقوى خلق الله اهلكهم الله بأضعف خلق من خلقه وهو الطير.

وكفته اندا كربيل نتوانى بودبارى ازبشه كم مباش كه برصورت بيل است بشه كويدكه اكر من بقوت بيل نيسسنم كه بارى كشم بارى بصورت بيلم كه بار خويش بركس نيفكم . وفيه اشارة الى ابرهة النفس المتصفة بصفة الغضب والحقد المجبولة على خلقة الفيل كالسبعية فى السبع والكبر فى النمر فارسل الله عليها طير الارواح حاملين احجار الاذكار والاوراد فأكلتها أكل الا كلة وعصفت مزروعاتهم السيئة وبطل قليس طبيعتها الجسمانية التى كانت تدعو القوى اليها لان هذه الدعوة كانت بتزيين الشيطان فلا تقاوم دعوة الروح الى كعبة القلب التى كانت من الرحمن.

هركه بر شمع خدا آردتفو ... شمع كى ميرد بسوز دبوزار

جون توخفاشان بسى بينند خواب ... كين جهان مانديتم از آفتاب

قوله مأكول يوقف عليه ثم يكبر ولا يوصل حذرا من الايهام.

سُورَةُ قُرَيْشٍ مَكِّيَّةٌ

وَهِيَ أَرْبَعُ آياَتٍ

١

{ لايلاف قريش } متعلق بقوله تعالى فليعبدوا وهو قول الزجاج والفاء لما فى الكلام من معنى الشرط اذ المعنى ان نعم الله عليهم غير محصورة فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه النعمة الجلية فالايلاف تعدية الألف مصدر من المبنى للمفعول مضاف الى مفعوله الاول مطلقا عن المفعول الثانى الذى هو الرحلة كما قيد به فى الايلاف الثانى يقال الفت الشئ بالقصر وآلفته بالمد بمعنى لزمته ودمت عليه وما تركته فيكون كل من

الألف والايلاف لازما ويقال ايضا آلفته غيرى بالمد اى الزمته اياه وجعلته يألفه فيكون متعديا قال فى تاجالمصادر الايلاف الف دادن والف كرفتن . وضد الايلاف والايناس هو الايحاش

وقيل متعلق بما قبله من قوله فجعلهم كعصف مأكول ويؤيده انهما فى مصحف ابى رضى الله عنه سورة واحدة بلا فصل فيكون الايلاف بمعنى الالف اللازم فالمعنى ابى اهلك الله من قصدهم من الحبشة لان يألفوا هايتن الرحلتين ويجمعوا بينهما ويلزموا اياها ويثبتوا عليهما متصلالا منقطعا بحيث اذ فرغاو من ذه اخذوا فى ذه وبالعكس وذلك لان الناس اذا تسامعوابذلك الاهلاك تهيبوا لهم زيادة تهيب واحترموهم فضل احترام فلا يجترئ عليهم احد فينتظم لهم الا من فى رحلتيهم وكان لقريش رحلتان يرحلون فى الشتاء الى اليمن وفى الصيف الى الشأم فيمتارون ويتجرون وكانوا فى رحلتيهم آمنين لانهم أهل حرم الله وولاة بيته العزيز فلا يتعرض لهم والناس بين متخطف ومنهوب وذلك ان قريشا اذا اصاب واحدا منهم مخمصة خرج هو وعياله الى موضع وضربوا على انفسهم خباء

حتى يموتوا وكانواعلى ذلك الى ان جاء هاشم بن عبد مناف وكان سيد
قومه فقام خطيبا فى قريش فقال انكم احدثتم حدثا تقلون فيه وتذلون
وانتم أهل حرم الله واشرف ولد آدم والناس لكم تبع قالوا نحن تبع لك
فليس عليك منا خلاف فجمع كل بنى اب على الرحلتين فى الشتاء الى
اليمن وفى الصيف الى الشأم لان بلاد اليمن حامية حارة وبلاد الشام
مرتفعة باردة ليتجروا فيما بدا لهم من التجارات فما ربح الغنى قسم بينه
وبين فقرآئهم حتى كان فقيرهم كغنيهم فجاء الاسلام وهم على ذلك فلم
يكن فى العرب بنوا اب اكثر مالا ولا اعز من قريش وكان هاشم اول من
حمل السمراء من الشام وقريش ولد النضر بن كنانة ومن لم يلده فليس
بقرشى سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة فى البحر تعبث بالسفن
وتقلبها وتضربها فتكسرها ولا تطاق الا بالنار فشبهوا بها لانها تأكل ولا
تؤكل وتعلوا ولا تعلى والتصغير للتعظيم فكانه قيل قريش عظيم وقال
بعضهم الا وجه ان التصغير على حقيقته لانه اذا كان القرش دابة عظيمة
والقرش مع صغر حجمه جعل قرشا فهو لا محالة قريش وفيه ان جعل

قريش قريشا لم يكن لمناسبة الحجم بل كان لوصف الآكلية وعدم المأكولية ووصف الغلبة وعدم المغلوبية وهذان الوصفان يوجد ان فى تلك الدابة على وجه الكمال فلا معنى للتصغير الا العظيم قال الزمخشرى سمعت بعض التجار بمكة ونحن قعود عند باب بنى شيبة يصف لى القرش فقال هو مدور الخلقة كما بين مقامنا هذا الى الكعبة ومن شأنه ان يتعرض للسفن الكبار فلا يدره شئ الا ان يأخذ اهلها المشاعل فيمر على وجهه كالبرق وكل شئ عنده قليل الى النار وبه سميت قريش قال الشاعر

وقريش هى التى تسكن البحر بها سميت قريش قريشا ... تأكل الغث والسمين ولا تترك فيه لذى جناحين ريشا ... هكذا فى البلاد حتى قريش ... يأكلون البلاد اكلا كميشا

ولهم آخر الزمان نبى ... يكثر القتل فيهموا والخوشا

الخنوش الخدوش واكلا كميشا اى سريعا وفى القاموس قرشه يقرشه ويقرشه قطعه وجمع من ههنا وههنا وضم بعضه الى بعض ومنه قريش

لتجمعهم الى الحرم او لانهم كانوا يتقرشون البيعات فيشترونها او لان النضر ابن كنانة اجتمع فى ثوبه يوما فقالوا تقرش او لانه جاء الى قومه فقالوا كأنه جمل قريش اى شديد او لان قصيا كان يقال له القريشى او لانهم كانوا يفتشون الحاج فيسدون خلتها او سميت بمصغر القرش وهو دابة بحرية يخافها دواب البحر كلها او سميت بقريش بن يخلد بن غالب بن فهر وكان صاحب عيرهم فكانوا يقولون قدمت عير قريش وخرجت عير قريش والنسبة قرشى وقريشى انتهى.

٢

{ ايلافهم رحلة الشتاء والصيف } بدل من الاول ورحلة مفعول به لايلافهم وهى بالكسر الارتحال وبالضم الجهة التى يرحل اليها واصل الرحلة السير على الراحلة وهى الناقة القوية ثم استعمل فى كل سير وارتحال وافرادها مع انه اراد رحلتى الشتاء والصيف لأ من الالباس مع تناول اسم الجنس للواحد والكثر وفى اطلاق الايلاف عن المفعول اولا ثم ابدال المقيد منه تفخيم لامره وتذكير لعظيم النعمة فيه والشتاءالفصل المقابل للصشيف

وفى القاموس الشتاء احد ارباع الازمنة والموضع المشتى والصيف القيظاو بعد الربيع والقيظ صميم الصيف من طلوع الثريا الى طلوع سهيل.

٣

انظر تفسير الآية:٤

٤

{ فليعبدوا رب هذا البيت * الذى اطعمهم } بسبب تينك الرحلتين اللتين تمكنوا منها بواسطة كونهم من جيرانه وسكان حرمه

وقيل بدعوة ابرهيم عليه السلام يجبى اليه ثمرات كل شئ

{ من جوع } شديد كانوا فيه قبلهما وكان الجوع يصيبهم الى ان جمعهم عمرو العلى وهو هاشم المذكور على الرحلتين قالو ابو حيان من ههنا للتعليل اى لاجل الجوع وقال سعدى المفتى الجوع لا يجامع الاطعام والظاهر انها للبدلية.

يقول الفقير الظاهر ان مآل المعنى نجاهم من الجوع بسبب الاطعام والترزيق

{ وآمنهم من خوف } عظيم لا يقادر قدره وهو خوف اصحاب الفيل او خوف التخطف فى بلدهم ومسايرهم وقال صاحب الكشاف الفرق بين عن ومن ان عن يقتضى حصول جوع قدر زال بالاطعام ومن يقتضى المنع من لحاق الجوع والمعنى اطعمهم فلم يلحقهم جوع وآمنهم فلم يلحقهم خوف فيكون من لابتدآء الغاية والمعناطعمهم فى بدء جوعهم قبل لحاقه اياهم وآمنهم فى بدء خوفهم قبل اللحاق ومن بدع التفاسير وآمنهم من خوف من ان تكون الخلافة فى غيرهم كما فى الكاشف وعن ام هانئ بنت ابى طالب رضى الله عنها قالت ان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فضل قريشا اى ذكر تفضيلهم بسبع خصال لم يعطها احد قبلهم ولا يعطاها احد بعدهم النبوة فيهم والخلافة فيهم والحجابة للبيت فيهم والسقاية فيهم ونصروا على الفيل اى على اصحابه وعبدوا الله سبع سنين وفى لفظ عشر سنين لم يعبده احد غيرهم ونزلت فيهم سورة من القرءآن لم

يكذر فيها احد غيرهم لايلاف قريش وتسمة لايلاف قريش سورة يرد ما قيل ان سورة الفيل ولايلاف قريش سورة واحدة فلينظر ما معنى عبادتهم لله دون غيرهم فى تلك المدة.

يقول الفقير اشار بقريش الى النفس المشركة وقواها الظالمة الخاطئة الساكنة فى البلد الانسانى الذى هو مكة الوجود وبالشتاء الى القهر والجلال وابلصيف الى اللطف والجمال واغنى بالقهر والجلال العجز والضعف لان المقهور عاجز ضعيف وباللطف والجمال القدرة والقوة لان المطلوف به صاحب التمكين فاما عجز النفس وضعفها فعند عدم مساعدة هواها

واما قوتها وقدرتها فعند وجود المساعدة فهى وصفاتها ترتحل عند العجز والضعف الى يمن المعقولات لانها فى جانب يمين القلب وعند القوة والقدرة ترتحل الى شأم المحسوسات لانها فى جانب شمال القلب الذى يلى الصدر فهى تتقلب بين نعم المعقولات ونعم المحسوسات ولا تشكرها بأن تقر بوحدة الوجود ورسالة رسول القلب كالفلاسفة المتوغلة فى المعقولات

والفراعنة المنهمكة فى المحسوسات ولذا قال تعالى فليعدبوا رب هذا البيت الى بيت القلب الذى هو الكعبة الحقيقية لانها مطاف الواردات والالهامات ومن ضرورة العبادة له الاقرار برسالة رسول الهدى الذى هو القلب فالبيت معظم مشرف مطلقا لاضافة الرب اليه فما ظنك بعظمة الرب وجلاله وهيبته ورب القلب هو الاسم لجامع المحيط بجميع الاسماء والصفات وهو الاسم الاعظم الذى نيط به جميع التاثيرات العقلية والروحانية والعلمية والغيبية امروا بأن يكونوا تحت هذا الاسم لا تحت الاسماء الجزئية ليتخلصوا من الشرك ويتحققوا بسر وحدة الوجود فان الاسماء الجزئية تعطى التقييد والاسم الكلى يعطى الاطلاق ومن ثمة بعث النبى عليه السلام فى ام البلاد اشارة الى كليته وجمعيته وهذا الرب الجليل المفيض المعطى ازال عنهم جوع العلوم والفيوض واطعمهم بها وآمنهم من خوف الهلاك من الجوع لان نفس الجاهل كالميت ولا شك ان الاحياء يخافون من الموت هكذا ورد بطريق الالهام من الله العلام.

سُورَةُ الْمَاعُونِ مَكِّيَّةٌ

وَهِيَ سَبْعُ آياَتٍ

١

{ ارأيت } يا محمد اى هل عرفت

{ الذى يكذب بالدين } اى بالجزآء او بالاسلام يعنى آباديدى ودانستى آنكس را كه تكذيب ميكندبر وزجزا ويادين الاسلام وباورنميكند . ان لم تعرفه او ان اردت ان تعرفه.

٢

{ فذلك الذى يدع اليتيم } اى بدفعه دفعا عنيفا ويزجره زجرا قبيحا فهو جواب شرط محذوف على ان ذلك مبتدأ والموصول خبره وهو ابو جهل كان وصيا ليتيم فجاءه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه دفعا شنيعا فأيس الصبى فقال له اكابر قريش قل لمحمد يشفع لك وكان غرضهم الاستهزآء به وهو عليه السلام ما كان يرد محتاجا فذهب معه الى ابى جهل

فقام ابو جهل وبذل المال لليتيم فعيره قريش وقالوا أصبوت فقال لا والله

ما صبوت ولكن رأيت عن يمينه وعن يساره حربة خفت ان لم اجبه يطعنها

فى فالذى للعهد ويحتمل الجنس فيكون عاما لكل من كان مكذبا بالدين

ومن شأنه اذية الضعيف ودفعه بعنف وخشونة لاستيلاء النفس السبعية

عليه.

٣

{ ولا يحض } اى لا يحث اهله وغيرهم من الموسرين

{ على طعام المسكين } اى على بذل طعام له يعنى بر طعام

دان درويش ومحتاج ويمنع المعروف عن المستحق لاستيلاء النفس البهيمة

ومحبة لامال واستحكام رذيلة البخل فانه اذا ترك حيث غيره فكيف يفعل

هو نفسه فعلم ان كلا من ترك الحث وترك الفعل من امارات الكذيب وفى

العدول من الطعام الى الطعام واضافته الى المسكين دلالة على ان

للمساكين شركة وحقا فى مال الاغنياء وانه انما منع المسكين مما هو حقه

وذلك نهاية البخل وقساوة القلب وخساسة الطبع فان قلت قد لا يحض

المرء فى كثر من الاحوال ولا يعد ذلك اثما فكيف يذم به قلت اما لان

عدم حضه لعدم اعتقاده بالجزآء

واما لان ترك الحض كناية عن البخل ومنع المعروف عن المساكين

ولا شبهة فى كونه محل الذم والتوبيخ كما ان منع الغير من الاحسان كذلك

جون زكرم سفله بود در كران ... منع كند از كرم ديكران

سفله نخواهد دكرى رابكام ... خس نكذار دمكسى رابجام

٤

انظر تفسير الآية:٥

٥

{ فويل } الفاء لربط ما يعدها بشرط محذوف كأنه قيل اذا كان

ما ذكر من عدم المبالاة باليتيم والمسكين من دلائل التكذيب الدين

وموجبات الذموالتوبيخ فويلاى شدة العذاب

{ للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون } السهو خطأ عن غفلة وذلك ضربان احدهما ان لا يكون من الانسان جواليه ومولداته كمجنون سب انسانا والثانان يكون منه مولداته كمن شرب خمرا ثم ظهر منه منكر لا عن قصد الى فعله فالاول معفو عنه والثانى مأخوذ به ومنه ما ذم الله فى الآية والمعنى ساهون عن صلاتهم سهو ترك لها وقلة التفات اليها وعدم مبالاة بها وذلك فعل المنافقين او الفسقة من المؤمنين وهو معنى عن ولذا قال انس رضى الله عنه الحمد لله على ان لم يقل فى صلاتهم وذلك انه لو قال فى صلاتهم لكان المعنى ان السهو يعتريهم وهم فيها اما بوسوسة شيطان او بحديث نفس وذلك لا يكاد يخلو منه مسلم والخلوص منه عسير ولما نزلت هذه الآية قال عليه السلام (هذه خير لكم من ان يعطى كل واحد منكم مثل جميع الدنيا) فان قلت هل صدر عن النبي عليه السلام سهو قلت نعم كما قال (شغلونا عن صلاة العصر) اى يوم الخندق (ملأ الله قلوبهم نارا) وايضاسها عن صلاة الفجر ليلة التعريس وايضا صلى الظهر ركعتين ثم سلم فقال له ابو بكر رضى الله

عنه صليت ركعتين فقال واضاف اليهما ركعتين لكن سهوه عليه السلام فيما ذكر وفى غيره ليس كسهو سائر الخلق وايهم مثله عليه السلام وهو فى الاستغراق والانجذاب دآئما وقد قال (تنام عيناى ولا ينام قلبى) وفيه اشارة الى السهو عن شهود لطائف الصلاة والغفلة عن اسرارها وعلومها وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه لا هون مكان ساهون فعلى العاقل ان تفوته الصلاة التى هى من باب المعراج والمناجاة ولا يعبث فيها باللحية والثياب ولا يكثر والتثاؤب والالفتات ونحوها ومن المصلين من لا يدرى عن كم انصرف ولا ما قرأ من السورة.

٦

{ الذين هم يراؤون } اى يرون الناس اعمالهم ليروهم الثناء عليها فان قلت فحينئذ يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز لان الثناء لا يتعلق به الرؤية البصرية قلت هو محمول على عموم المجاز او على جعل الارآءة من الرؤية بمعنى المعرفة قال فى الكشاف والعمل الصالح ان كان فريضة فمن حق الفرآئض الاعلان بها وتشهيرها لقوله عليه السلام (ولا غمة فى

فرآئض الله) لانها اعلام الاسلام وشعائر الدين ولان تاركها يستحق الذم والمقت فوجب اماطة التهمة بالاظهار وان كان تطوعا فحقه ان يخفى لانه مما لا يلام بتركه ولا تهمة فيه وان اظهره قاصدا للاقتدآء فيه كان جميلا وانما الرياء ان يقصد ان تراه الاعين فتثنى عليه بالصلاح واجتناب الرياء صعب لانه اخفى من دبيب النملة السودآء فى الليلة المظلمة على المسح الاسود

كليد در دوزخست آن نماز ... كه در جشم مردم كزارى دراز

والفرق بين المرآئى والمنافق ان المنافق يبطن الكفر ويظهر الايمان والمرآئى يظهر زيادة الخشوع وآثار الصلاح ليعتقد من يراه انه من أهل الصلاة وحقيقة الرياء طلب ما فى الدنيا بالعبادة وفيه اشارة الى ان من يضيف اعماله واحواله الى نفسه الظلمانية فهو مرآى.

٧

{ ويمنعون الماعون } من المعن وهو الشئ القليل وسميت الزكاة ما

عونا لانه يؤخذ من المال ربع العشر وهو قليل من كثير وقال ابو

الليث الماعون بلغة الحبشة المال وفى برهان القرءآن قوله الذين هم ثم بعده

الذين هم كرر ولم يقتصر على مرة واحدة لامتناع عطف الفعل على الاسم

ولم يقل الذين هم يمنعون لانه فعل فحسن العطف على الفعل وهذه دقيقة

انتهى والمعنى ويمنعون الزكاة كما دل عليه ذكره عقيب الصلاة او ما يتعاور

عادة فان عدم المبالاة باليتيم والمسكين حيث كان من عدم الاعتقاد

بالجزآء موجب للذم والتوبيخ فعدم المبالاة بالصلاة التى هى عماد الدين

والرياء الذي هو شبعة من الكفر ومنع الزكاة التى هى قنطرة الاسلام وسوء

المعاملة مع الخلق احق بذلك وكم ترى من المتسمين بالاسلام بل من

العلماء منهم من هو على هذه الصفة فيا مصيبتاه والمراد بما يتعاوره

عادة اى يتداوله الناس بالعارية ويعين بعضهم بعضا باعارته هو مثل الفاس

والقدر والدلو والابرة والقصعة والغربال والقدوم والمقدحة والنار والماء والملح

ومن ذلك ان يلتمس جارك ان يخبز فى تنورك او يضع متاعه عندك يوما

اونصف يوم عن عائشة رضى الله عنها انها قالت يا رسول الله ما الذى لا يحل منعه قال (الماء والنار والملح) فقالت يا رسول اللهذا الماء فما بال النار والملح قال (لها حميرآء من اعطى نارا فكأنما تصدق بجميع ما طبخ بتلك النار ومن اعطى ملحا فكأنما تصدق بجميع ما طيب بذلك الملح ومن سقى شربة من الماء حيث لا يوجد الماء فكانما احيي نفسا) كما فى كشف الاسرار وقد يكون منع هذه الاشياء محظورا فى الشريعة اذا استعيرت عن اضطرار وقبيحا فى المروءة فى غير حال الضرورة وفى عين المعانى فلما منعوا من الكوثر فى الآية الزجر عن البخل الذى هو صفة المنافقين.

سُورَةُ الْكَوْثَرِ

وَهِيَ ثَلاَثَ آيَةً

١

{ انا } ان جار مجرى القسم فى تأكيد الجملة

{ اعطيناك } بصيغة الماضى مع ان العطايا الاخروية واكثر ما يكون فى الدنيا لم تحصل بعد تحقيقا لوقوعها

{ الكوثر } اى الخير المفرط الكثرة من العلم والعمل وشرف الدارين فوعل من الكثرة كنوفل من النفل وجوهر من الجهر قيل لاعرابية آن ابنها من السفر ثم آب ابنك قالت آب بكوثر اى بالعدد الكثير من الخير قال فى القاموس الكثور الكثير من كل شئ وفى المفردات وقد يقال للرجل السخى كوثر ويقال تكوثر الشئ كثر كثرة متناهية وروى عنه عليه السلام انه قرأها فقال (اتدرون ما الكوثر انه نهر فى الجنة وعدنيه ربى فيه خير كثير أحلى من العسل وأشد بياضا من اللبن وأبرد من الثلج وألين من الزبد حافتاه الزبرجد وأوانيه من فضة عدد نجوم السماء لا يظمأ من شرب منه ابدا اول وارد به فقرآء المهاجرين لدنسوا الثياب الشعث الرؤس الذين لا يزوحون المنعمات ولا تفتح لهم ابواب السدد ويموت احدهم وحاجته تتلجلج فى صدره لو أقسم على الله لابره) وعن ابن عباس رضى الله

عنهما انه فسر الكثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبير ان ناسا يقولون هو نهر فى الجنة فقال هو الخير الكثير وعن عائشة رضى الله عنها من ارارد ان يسمع خيرير الكوثر فليدخل اصبعيه فى اذنيه وقال عطاء هو حوضه لكثرة وارديه وفى الحديث (حوضى ما بين صنعاء الى ايلة على احدى زواياه ابو بكر وعلى الثانية عمر وعلى الثالثة عثمان وعلى الرابعة على فمن ابغض واحدا منهم لم يسقه الآخر) فيكون الحوض فى المحشر والاظهر ان جميع نعم الله داخلة فى الكوثر ظاهرة او بطانه فمن الظاهرة خيرات الدنيا والآخر ومن الباطنة العلوم اللدنية الحاصلة بالفيض الالهى بغير اكتساب بواسطة القوى الظاهرة الباطنة.

صاحب تأويلات فرموده كه كوثر معرفت كثرتست بوحدت وشهود وحدت درعين كثرت واين نهريست دربستان معرفت هركه ازو سيراب شدايد ازتشكئ جهالت ايمن است واين معنى خاصه حضرت رسالت عليه السلام وكمل اولياء امت او.

٢

{ فصل لربك وانحر } اى وانحر له فحذف اكتفاء بما قبله والفاء
لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان اعطاءه تعالى اياه عليه السلام ما ذكر
من العطية التى لم يعطها ولن يعطيها احدا من العالمين مستوجب للمأمور
به اى استيجاب والنحر فى البة كالذبح فى الحلق والمعنى قدم عللصلاة
لربك الذى افاض عليك هذه النعمة الجليلة التى لا تضاهيها نعمة خالصا
لوجهه كما دل عليه اللام الاختصاصية خلاف للساهين عنها المرآئين
فيها ادآء لحقوق شكرها فان لاصلاة جامعة لجميع اقسام الشكر وهى
ثلاثة الشكر بالقلب وهو أن يعلم ان تلك النعم منه لا من غيره والشكر
باللسان وهو أن يمدح المنعم ويثنى عليه والشكر بالجوارح وهو ان يخدمه
ويتواضع له والصلاة جامعة لهذه الاقسام وانحر البدن التى هى خيار اموال
العرب بأسمه تعالى يعنى وشتر قربان كن براى وى.

وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع منهم الماعون فالسورة
كالمقابلة للسورة المتقدمة وقد فسرت الصلاة بصلاة العيد والنحر

بالتضحية وهذا يناسب كون السورة مدنية وعن عطية هى صلاة الفجر بجمع والنحر بمنى.

مصطفى را عليه السلام برسيدندكه اكركسى درويش بودوطاقت قربان ندارد جكونه كند تاثواب قربان اورا حاصل شود كفت جهار ركعت نمازكند درهر ركعتى يكبار الحمد خواند ويازده بارانا اعطيناك الكوثر الله تعالى اوراثواب شصت قربان در ديوان وى ثبت كندكما فى كشف الاسرار وعن على رضى الله عنه النحر ههنا وضع اليدين فى الصلاة على النحر وعن سليمان التيمى ارفع يديك بالدعاء الى نحرك وفى التأويلات النجمية وانحر بدن انانيتك وانيتك بوضع يدك اليمنى الروحانية على يدك اليسرى الجسمانية على نحرك المشروح بسيف نص ألم نشرح لك صدرك.

٣

{ ان شانئك } يقال شنأه كمنعه وسمعه شنأ ابغضه اى مبغضك

{ هو } للفصل

{ الأبتر } لبغضه لك لان نسبة امر الى المتق تفيد عليه المأخذ والبغض ضد الحب والبتر يستعمل فى قطع الذنب ثم اجرى قطع العقب مجراه فقيل فلان ابترا اذا لم يكن له عقب يخلفه والمعنى هو الذى لا عقل له حيث لا يبقى له نسل ولا حسن ذكر

واما انت فتبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك الى يوم القيامة

آثار افتدار توتا حشر متصل ... خصم سياه روى توبى حاصل وخجل

ولك فى الآخرة ما لا يندرج تحت البيان وذلك انهم زعموا حين مات ابنه عليه السلام القاسم وعبد الله بمكة ابراهيم بالمدينة ان محمدا صلّى الله عليه وسلّم ينقطع ذكره اذا انقطع عمره لفقدان نسله فنبه الله ان الذى ينقطع ذكره هو الذى يشنأه فاما هو فكما وصفه الله تعالى ورفعنا لك ذكرك وذلك انه اعطاه نسلا يبقون على مر الزمان فانظركم قتل من أهل البيت ثم العالم ممتلئ منهم وجعله ابا للمؤمنين فهم اعقابه واولاده

الا يوم القيامة وقيض له من يراعيه ويراعى دينه الحق والى هذا المعنى اشار امير المؤمنين رضى الله عنه العلماء باقون ما بقى الدهر اعيانهم مفقودة وآثارهم فى القلوب موجودة هذا فى العلماء الذين هم اتباعه عليه السلام فكيف هو وقد رفع الله ذكره وجعله خاتم الانبياء عليهم السلام وفى التاويلات النجمية ان شانئك هو الابتر وهو حمار النفس المبتور ذنب نسله وعقبه فان اولاد الاعمال الصالحة والاحوال الصادقة والاخلاق الروحانية والاوصاف الربانية اولادك يا رسول القلب واتباعك واشياعك واعوانك.

يقول الفقير يده الله القدير وردت على سورة الكوثر وقت الضحى بعد القيلولة والاشارة فيها انا بجميع اسماءنا اللطفية الجمالية الاكرامية اعطيناك يا محمد القلب ورسول الهدى المبعوث الى جميع القوى بالخير والهدى الكوثر وهو العلم الكثير الفائض من منبع الاسم الرحمن فانا رحمناك بهذه الرحمة العامة الشاملة لجميع الرحمات فلذا صرت مظهر الرحمة الكلية فى جميع المواطن فلك علم الاحكام وعلم الحقائق فصل فى مسجد الفناء

والتسليم وهو المسجد الابراهيمى لربك اى لشكر ربك ولادامة شهوده وابقاء حضوره معك فى جميع الحالات وانحر بدنه البدنن فى طريق الخدمة وبدنه الطبيعة فى طريق العفة وبدنه النفس فى طريق الفتوة ان شانئك اى مبغضك من القوى الشريرة الانفسية والآفاقية هو الابتر المقطوع اعقابه وآخره كما قال تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين الذى ربى اولياءه فجعل لهم الوصل كما جعل لاعدآئهم القطع ثم ان قوله هو الابتر يوقف عليه ثم يقال الله اكبر ولا يوصل بالتكبير حذرا من الايهام.

سُورَةُ "الْكَافِرُونَ" مَكِّيَّةٌ

وَهِيَ سِتُّ آيَاتٍ

١

{ قل يا أيها الكافرون } قالوا فى مناداتهم بهذا الوصف الذى يسترذلونه فى بلدتهم ومحل عزهم وشوكتهم ايذان بأنه عليه السلام محروس

منهم ففيها علم من اعلام النبوة وفى التعبير بالجمع الصحيح دلالة على قلتهم او حقارتهم وذلتهم وهم كفرة مخصوصة كالوليد بن المغيرة وابى جهل والعاص بن وائل وامية بن خلف والاسود ن عبد يغوث والحارث بن قيس ونحوهم قد علم الله انه لا يأتى ولا يتأتى منهم الايمان ابدا على ما هو مضمون السورة بالخطاب للرسول عليه السلام بالنسبة الى قوم مخصوصين فلا يد ان مقتضى هذا الامر ان يقول كل مسلم ذلك لكل جماعة من الكفار مع ان الشرع ليس حاكما به روى ان رهطا من عتاة قريش قالوا لرسول الله صلّى الله عليه وسلّمهلم فاتبع ديننا ونتبع دينك بعبد آلهتنا سنة ونبعد الهك سنة فقال (معاذ الله ان اشرك بالله غيره) فقالوا استلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤوسهم فقرأها عليهم فأيسوا منه عند ذلك وآذوه وصاحابه وفيه اشارة الى الذين ستروا نور استعدادهم الاصلى بظلمة صفات النفوس وآثار الطبيعة فحجبوا عن الحق بالغير.

٢

{ لا اعبد ما تعبدون } اى فيما يستقبل لان لا لا تدخل غالبا الاعلى مضارع فى معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع فى معنى الحال الا ترى ان لن تأكيد فيما ينفيه لا قال الخليل فى لن اصله لا والمعنى لا افعل فى المستقبل ما تطلبونه منى من عباده آلهتكم.

٣

{ ولا انتم عابدون ما اعبد } اى لوا انتم فاعلون فى المستقبل ما اطلب منكم من عبادة الهى والمراد ولا انتم عابدون عبادة يعتد بها اذا العبادة مع اشراك الانداد لا تكون فى حيز الاعتداد.

٤

{ ولا انا عابد ما عبدتم } اى وما كنت عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه اى لم يعهد منى عبادة صنم فى الجاهلية فكيف يرجى منى فى الاسلام.

٥

{ ولا انتم عابدون ما اعبد } اى وما عبدتم فى وقت من الاوقات ما انا على عبادته وهو الله تعالى فليس فى السورة تكرار

وقيل هاتان الجملتان لنفى العبادة حالا كما ان الاوليين لنفيها استقبالا وانما لم يقل ما عبدت ليوافق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل البعثة بعبادة الاصنام وهوعليه السلام لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله ومشتهرا بكونه عابدا لله على سبيل الامتثال لامره يعنى على ما يقتضيه جعل العبادة صلة للموصول ثم عدم الموسومية بشئ لا يقتضى عدم ذلك الشئ فلا يلزم ان لا يكون عليه السلام عابدا لله قبل البعثة بل يكون ما وقع منه قبلها من قبيل الجرى على العادة المستمرة القديمة وفى القاموس كانعليه السلام على دين قومه على ما قبى فيهم من ارث ابراهيم واسماعيل عليهما لاسلام فى حجبهم ومناكحهم وبيوعهم وأساليبهم

واما التوحيد فانهم كانوا بذلوه والنبى عليه السلام لم يكن الا عليه الانتهى وايثار ما فى اعبد على من لان المراد هو الوصف كأنه قيل ما ابعد من المعبود العظيم الشان الذى لا يقادر قدر عظمته.

{ لكم دينكم } تقرير لقوله تعالى لا اعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم

{ ولى } بفتح ياء المتكلم

{ دين } بحذف الياء اذ أصله دينى وهو تقرير لقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد والمعنى ان دينكم الذى هو الاشراك مقصور على الحصول لكم لا يتجاوزه الى الحصول لى ايضا كما تطمعون فلا تعلقوا به امانيكم الفارغة فان ذلك من المحال وان دينى الذى هو التوحيد مقصور على الحصول لى لا يتجاوز الى الحصول لكم ايضا لانكم علقتموه بالمحال الذى هو عبادتى لآلهتكم او استلامى اياها ولان ما وعدتموه عين الاشراك وحيث كان مبنى قولهم تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة على شركة الفريقين فى كلتا العبادتين كان القصر المستفاد من تقديم المسند قصر افراد حتما وفى عين المعانى ونحوه هو منسوخ بآية السيف وقال ابو الليث وفيها دليل

على ان الرجل اذا رأى منكرا او سمع قولا منكرا فانكره ولم يقبلوا منه لا يجب عليه اكثر من ذلك وانما عليه مذهبه وطريقه وتركهم على مذهبهم وطرقهم.

يقول الفقير وردت على هذه الوسةر وكانى اقرأها فى صلاة العسر بصوت جهورى حتى اسمعتها جيمع ما فى الكون واشارتها قل يا محمد القلب يا ايها الكافرون اياالقوى النفسانية الساترة للتوحيد بالشرك والطاعة بالمعصية والوحدة بالكثرة والوجود الحقيقة بالوجود المجازى ونور الحقيقة الوجوبية بظلمة الحقيقة الامكانية لا اعبد ما تعبدون من الاصنام التى يعب رعنها بما سوى الله فانى مأمور بالايمان بالله والكفر بالطاغوت وكل ما سوى الله من قبيل الطاغوت والاله المجعول المقدي فلا يستحق العبادة الا الله المطلق عن الاطلاق والتقييد ولا انتم عابدون ما اعبد وهو الله الواحد القهار الذى هقر بوحدته جميع الكثرات ولكن لا يقف عليه الا أهل الوحدة والشهود وانتم أهل الكثرة والاحتجاب فانى لكم هذا الوقف ولا انا عابد ما عبدتم من التوليات والتقلبات فى الكثرات الاسمائية

والصفاتية ولا انتم عابدون ما اعبد من التمكين والتحقيق وكذا من التولين
فى التمكين فانه من مقتضيات ظهور حقائق جميع الاسماء وليس فيه ميل
وانحراف عن الحق اصلا بل فيه بقاء مع الحق فى كل طور لكم دينك الذى
هو الايمان بالطاغوت والكفر بالله وهو الدين يجب التبرى منه ولى دين
الذى هو الايمان بالله والكفر بالطغوت وهو الدين الذى يجب التعلق
باحكامه والتخلق باخلاقه والتحقق بحقائقه هذا فحقائق القرءآن ليست
بمنسوخة ابدا بل العمل بها باق.

ابن عباس رضى الله عنهما فرموده در قرآن سوره نيست برشيطان
سخت ترازين سورة زيرا كه توحيد محض است ودرو برائت از شرك فمن
قرأها برئ من الشرك وتباعد عنه مردة الشياطين وامن من الفزع الاكبر
وهى تعدل ربع القرءآن وفى الحديث (مروا صبيانكم فليقرأوها عند المنام
فلا يعرض لهم شئ ومن خرج مسافرا فقرأ هذه السورة الخمس قل يا ايها
الكافرون اذا جاء نصر الله قل هو الله احد قل اعوذ برب الفلق قل اعوذ
برب الناس رجع سالما غانما)

سُورَةُ النَّصْرِ مَدَنِيَّةٌ

وَهِيَ ثَلاَثُ آيَاتٍ

١

{ اذا جاء نصر الله } اى اعانته تعالى واظهاره اياك على اعدآئك فان قلت لا شك ان ما وقع من الفتوح كان بنصرة المؤمنين فما وجه اضافتها الى الله قلت لان افعالهم مستندة الى دواعى قلوبهم وهى امور حادثة لا بد لها من محدث وهو الله تعالى فالعبد هو المبدأ الاقرب والله هو المبدأ الاول والخالق للدواعى ما يبتنى عليها من الافعال والعامل فى اذا هو سبح اى فسبح اذا جاء نصر الله ولا يمنع الفاء عن العمل على قول الاكثرين او فعل الشرط وليس اذا مضافا اليه على مذهب المحققين واذا لما يستقبل والاعلام بذلك قيل كونه من اعلام النبوة لما روى ان السورة نزلت قبل فتح مكة كما عليه الاكثر

{ والفتح } اى فتح مكة على ان الاضافة واللام للعهد وهو الفتح الذى تطمح اليه الابصار ولذلك سمى فتوح الفتوح ووقع الوعد به فى اول سورة الفتح وقد سبقت قصة الفتح فى تلك السورة

وقيل جنس نصر الله مطلق الفتح على ان الاضافة واللام للاستغراق فان فتح مكة لما كان مفتاح الفتوح ومناطها كما ان نفسها ام القرى وامامها جعل مجيئه بمنزلة مجيئ سائر الفتوح وعلق به امره عليه السلام وانهما على جناح الوصول اليه عن قريب ويمكن ان يقال التعبير للاشارة الى حصول نصر الله بمجيئ جند بهم النصر

وقيل نزلت السورة فى ايام النشريق بمنى فى حجة الوداع وعاش عليه السلام بعدها ثمانين يوما او نحوها فكلمة اذا حينئذ باعتبار أن بعض ما فى حيزها اعنى رؤيته دخول الناس الخ غير منقض بعد وقال سعدى المفتى وعلى هذه الوراية فكلمة اذا تكون خارجة عن معنى الاستقبال فانها قد تخرج عنه كما قيل فى قوله تعالى واذا رأوا تجارة الآية وفى المصطلحات ان الفتوح كل ما يفتح على العبد من الله تعالى بعد ما كان مغلقا عليه من

النعم الظاهرة والباطنة كالارزاق والعبادات والعلوم والمعارف والمكاشفات وغير ذلك والفتح القريب هو ما انفتح على العبد من مقام القلب وظهور صفاته وكمالاته عند قطع منازل النفس وهو المشار اليه بقوله نصر من الله وفتح قريب والفتح المبين هو ما يفتح على العبد من مقام الولاية وتجليات انوار الاسماء الالهية المفنية لصفات القلب وكمالاته المشار اليه بقوله انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر يعنى من الصفات النفسانية والقلبية والفتح المطلق هو أعلى الفتوحات واكملها وهو ما انفتح على العبد من تجلا الذات الاحدية والاستغراق فى عين الجمع بفناء الرسوم الخلقية كلاه وهو المشار اليه بقوله اذا جاء نصر الله والفتح انتهى وقد سبق بعبارة اخرى فى سورة الفتح وعلى هذا فالمراد بالنصر هو المدد الملكوتى والتأييد القدسى بتجليات الاسماء والصفات وبالفتح هو الفتح المطلق الذى لا فتح ورآءه وهو فتح باب الحضرة الالهية الحدية والكشف الذاتى ولا شك ان الفتح الاول هو فتح ملكوت الافعال فى مقام القلب بكشف حجاب حس النفس بافناء افعالها فى افعال

الحق والثانى هو فتح جبروت الصفات فى مقام الروح بكشف حجاب خيالها فابناء صفاتها فى صفاته والثالث هو فتح لاهوت الذات فى مقام السر بكشف حجب وهمها بافناء ذاتها فى ذاته ومن حصل له هذا النصر والفتح الباطنى حصل له النصر والفتح الظاهرى ايضا لان النصر والفتح من باب الرحمة وعند الوصول الى نهاية النهايات لا يبقى من السخط اثر اصلا ويستوعب الظاهر والباطن اثر الرحمة مطلقا ومن ثمة تفاوت احوال الكمل بداية ونهاية فظهر من هذا ان كلا من النصر والفتح فى الآية ينبغى ان يحمل على ما هو المطلق لكنى اقتفيت اثر أهل التفسير فى تقديم ما هو المقيد لكنه قول مرجوح تسامح الله عن قائله.

٢

{ ورأيت الناس } أبصرتهم او علمتهم يعنى العرب واللام للعهد او الاستغراق العرفى جعلوه خطابا للنبى عليه السلام يحتمل الخطاب العام لكل مؤمن وحينئذ يظهر جواب آخر عن امر النبى عليه

السلام بالاستغفار مع انه لا تقصير له اذ الخطاب لا يخصه فالامر بالاستغفار لمن سواه وادخاله فى الامر تغليب

{ يدخلون فى دين الله } اى ملة الاسلام التى لا دين يضاف اليه تعالى غيرها والجملة على تقدير الرؤية البصرية حال وعلى تقدير الؤية القلبية مفعول ثان وقال بعضهم ومما يختلج فى القلب ان المناسب لقوله يدخلون الخ ان يحمل قوله والفتح على فتح باب الدين عليهم

{ افواجا } حال من فاعل يدخلون اى يدخلون فيه جماعات كثرة كأهل مكة والطائف واليمن وهو ازن وسائر قبائل العرب وكانوا قبل ذلك يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين روى انه عليه السلام لما فتح مكة اقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا اذا ظفر بأهل الحرم فلن يقاومه احد وقد كان الله اجارهم من اصحاب الفيل من كل من ارادهم فكانوا يدخلون فى دين الاسلام افواجا من غير قتال (قال الكاشفى) درسال نزول اين سورة تتابع وفود بود جون بنى اسد وبنى مرة وبنى كلب وبنى كنانة بنى هلال وغير ايشان ازا كنف واطراف بخدمت آن حضرت آمده

بشرف اسلام مشرف ميشدند . قال ابو عمر ابن عبد البر لم يمت رسول الله عليه السلام وفى العرب رجل كافر بل دخل الكل وفى الاسلام بعد حنين منهم من قدم ومنهم من قدم وافده وقال ابن عطية والمراد والله اعلم العرب عبدة الاوثان

واما نصارى بنى تغلب فما اسلموا فى حياته عليه السلام ولكن اعطوا الجزية وفى عين المعانى الناس أهل البحر قال عليه السلام (الايمان يمانى والحكمة يمانية) وقال (وجدت نفس ربكم من جانب اليمن) اى تنفيسه من الكرب وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه انى بكى ذات يوم فقيل له فى ذلك فقال سمعت رسول الله عليه السلام يقول (دخل الناس فى دين الله افواجا وسيخرجون منه افواجا)

٣

{ فسبح بحمد ربك } التسبيح مجاز ن التعجب بعلاقة السببية فان من رأى امر اعجبنا يقول سبحان الله قال ابن الشيخ لعل الوجه فى

اطلاق هذه الكلة عند التعجب كما ورد فى الاذكار ولكل اعجوبة سبحانه
الله هو أن الانسان عند مشاهدة الامر العجيب الخارج عن حد أمثاله
يستبعد وقوعه وتنفعل نفسه منه كانه استقصر قدرة الله فلذلك خطر على
قلبه ان يقول من قدرعليه وأوجده ثم انه فى هذا الزعم مخطئ فقال سبحان
الله تنزيها لله عن العجز عن خلق امر عجيب يستبعد وقوعه لتيقنه بأن
الله على كل شئ قدير قال الامام السهيلى رحمه الله سر اقتران الحمد
بالتسبيح ابدا نحو سبح بحمد ربك وان من شئ الا يسبح بحمده ان معرفة
الله تنقسم قسمين معرفة ذاته ومعرفة اسمائه وصفاته ولا سبيل الى اثبات
احد القسمين دون الآخر واثبات وجود الذات من مقتضى العقل واثبات
الاسماء والصفات من مقتضى الشرع فبالعقل عرف المسمى وبالشرع عرفت
الاسماء ولا يتصور فى العقل اثبات الذات الا مع نفى سمات الحدوث عنها
وذلك هو التسبيح ومقتضى العقل مقدم على مقتضى الشرع وانما جاء
الشرع المنقول بعد حصول النظر والعقول فنيه العقول على النظر فعرفت
ثم علمها ما لم تكن تعلم من الاسماء فانضاف لها التسبيح والحمد والثناء

فما امر ان تسبيحه الا بحمده انتهى ومعنى الآية فقل سبحان الله حال كونك ملتبسا بحمده اى فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببال احد من ان يغلب احد على أهل حرمه المحترم واحمده على جميع صنعه هذا على الرواية الاول ظاهر

واما على الثانية فلعله امر بأن يداوم على ذلك استعظاما لنعمته لا باحداث التعجب لما ذكر فانه انما يناسب حالة الفتح وقال بعضهم والاشبه ان يراد نزهه عن العجز فى تأخير ظهور الفتح واحمده على التأخير وصفه بأن توقيت الامور من عنده ليس الا بحكم لا يعرفها الا هو انتهى او فاذكره مسبحا حامدا وزد فى عبادته والثناء عليه لزيادة انعامه عليك او فصل له حامدا على نعمه فالتسبيح مجاز عن الصلاة بعلاقة الجزئية لانها تشتمل عليه فى الاكثر روى انه عليه السلام لما فتح باب الكعبة صلى صلاة الضحى ثمانى ركعات وحملها بعضهم على صلاة الشكر لا على صلاة الضحى وبعضهم على ان اربعا منها للشكر أربعا للضحى او فنزهه عما يقول الظلمة حامدا له على ان صدق

وعده او فأثن على الله بصفات الجلال يعنى الصفات السلبية حامد له

على صفات الاكرام يعنى الصفات الثبوتية اى على آثارها او على تنزيلها

منزلة الاوصاف الاختيارية لكفاية الذات المقدس فى التصاف بها فان

المحمود عليه يجب ان يكون امرا اختياريا وقال القاشانى نزه ذاتك عن

الاحتجات بمقام القلب الذى هو معدن النبوة بقطع علاقة البدن والترقى

الى مقام حق اليقين الذى هو معدن الولاية حامدا له باظهار كمالاته

واوصافه التامة عند التجريد بالحمد الفعلى

{ واستغفره } هضما لنفسك واستقصارا لعلمك واستعظاما

لحقوق الله واستدراكا لما فرط منك من ترك الاولى او استغفره لذنبك

وللمؤمنين وهو المناسب لما فى سورة محمد وتقديم التسبيح ثم الحمد على

الاستغفار على طريق النزول من الخالق الى الخلق حيث لم تشتغل على

رؤية الناس باستغفارهم اولا مع ان رؤيتهم تستدعى ذلك بل اشتغل اولا

بتسبيح الله وحمده لانه رأى الله قبل رؤية الناس كما قيل ما رأيت شيأ الا

ورأيت الله قبله وذلك لان الناس مرءآة العارف وصاحب المرءآة يتوجه اولا

الى المرئى وبرؤية المرئى تلتفت نفسه الى المرءآة ولك ان تقول ان فى التقديم المذكرو تعليم ادب الدعاء وهو ان لا يسأل فجأة من غير تقديم الثناء على المسئول عنه عن عائشةرضى الله عنها انه كان عليه السلام يكثر قبل موته ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك واتوب اليك وعنه عليه السلام انى لاستغفر الله فى اليوم والليلة مائة مرة ومنه يعلم ان ورد الاستغفار لا يسقط ابدا لانه لا يخلو الانسان عن الغين والتلوين وروى انه لما قرأها النبى عليه السلام على اصحابه استبشروا وبكى العباس فقال عليه السلام

(ما يبكيك يا عم) قال نعيت اليك نفسك اى ألقى اليك خبر موت نفسك والنعى ألقاء خبر الموت قال عليه السلام (انها لكما تقول) فلم ير عليه السلام بعد ذلك ضاحكا مستبشرا

وقيل ان ابن عباس رضى الله عنهما هو الذى قال ذلك فقال عليه السلام (لقد اوتى هذا الغلام علما وكثيرا) ولذلك كان عمر يدنيه و يأذن له مع اهل بدر ولعل ذلك للدلالة على تمام امر الدعوة وتكامل امر

الدين كقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم والكمال دليل الزوال

كما قيل.

توقع زوالا اذا قيل تم . او لان الامر بالاستغفار تنبيه على قرب

الاجل كأنه قال قرب الوقت ودنا الرحيل فتأهب للامر ونبه به على ان

العاقل اذا قرب اجله ينبغي ان يستكثر من التوبة وروى انها لما نزلت خطب

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (ان عبدا خيره الله بين الدنيا وبين

لقائه فاختار لقاء الله) فعلم ابو بكر رضى الله عنهفقال فديناك بانفسنا

واموالنا وآبائنا واولادنا وعنه عليه السلام انه دعا فاطمة رضى الله

عنها فقال (يا بنتاه انه نعيت على نفسى) يعنى خبروفات من دهند

نامه رسيد ازان جهان بهر مراجعت برم ... عزم رجوع ميكنم

رخت بجرخ ميبرم

فبكت فقال (لا تبكى فانك اول اهلى لحوقا بى) فضحكت

وعن ابن مسعود ان هذه السورة تسمى سورة التوديع لما فيها من الدلالة

على توديع الدنيا قالعلىرضى الله عنه لما نزلت هذه السورة مرض رسول اله عليه السم فخرج الى الناس فخطبهم وودعهم ثم دخل المنزل فتوفى بعد ايام قال الحسن رحمه الله أعلم انه قد اقترب اجله فامر بالتسبيح والتوبة ليختم له بالعمل الصالح وفيه تنبيه لكل عاقل

{ انه كان توابا } مبالغا فى قبول توبتهم منذ خلق المكلفين فليكن كل تائب مستغفر متوقعا للقبول وذلك ان قبول التوبة من الصفات الاضافية ولا منازعة فى حدوثها فاندفع ما يرد ان المفهوم من الآية انه تعالى تواب فى الماضى وكونه توابای الماضى كيف يكون علة للاستغفار فى الحال والمستقبل وفى اختيار انه كان توابا على غفار مع انه الذى يستدعيه قوله واستغفر حتى قيل وتب مضمر بعده والا لقال غفارا تنبيه على ان الاستغفار انما ينفع اذا كان مع التوبة والندم والعزم على عدم العود ثم ان من اضمر وتب يحتمل انه جعل الآية من الاحتباك حيث دل بالامر بالاستغفار علت التعليل بأنه كان غفارا وبالتعليل بأنه كان توابا على الامر بالتوبة اى استغفره وتب.

ذكر البرهان الرشيدى ان صفات الله تعالى التى على صيغة المبالغة كلها مجاز لانها موضوعة للمبالغة ولا مبالغة فيها لان المبالغة ان يثبت للشئ اكبر اكثر مما له وصفاته تعالى منزهة عن ذلك واستحسنه الشيخ تقى الدين السبكى رحمه الله وقال الزركشى فى البرهان التحقيق ان صيغة المبالغة قسمان احدهما ما تحصل المبالغة فيه بحسب زيادة الفعل والثانى بحسب تعدد المفعولات ولا شك ان تعددها لا يوجب للفعل زيادة اذ الفعل الواحد قد يقع على جماعة متعددين وعلىهذا القسم تنزل صفاته ويرفع الاشكال ولهذا

قال بعضهم فى حكيم معنى المبالغة فيه تكرار حكمه بالنسبة الى الشرآئع وقال فى الكشاف المبالغة فى التواب للدلالة على اكثرة من يتوب عليه او لانه بليغ فى قبول التوبة بحيث ينزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه.

سُورَةُ تَبَّتْ مَكِّيَّةٌ

وَهِيَ خَمْسُ آيَاتٍ

١

{ تبت } اى اهلكت فان التباب الهلاك ومنه قولهم أشابة ام تابة اى هالكة من الهرم والعجز او خسرت فان التباب ايضا خسران يؤدى الى الهلاك

{ يدا ابى لهب } تثنية يد واللهب واللهيب اشتعال النار اذا خلص من الدخان او لهبها لسانها ولهيبها حرها ابو لهب وتسكن الهاء كنية عبد العز بن عبد المطلب لجماله او لماله كما فى القاموس يعنى ان التكنى لاشراق وجنتيه وتلهبهما والا فليس له ابن يسمى باللهب وايثار التباب على الهلاك واسناده الى يديه لما روى انه لما نزل وأنذر عشيرتك الاقربين رقى رسول الله عليه السلام الصفاء وجمع اقاربه فأنذرهم فقال (فقال يا بنى عبد المطلب يا بنى فهر ان اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا

اكنتم مصدقى) قالوا نعم يعنى اكرمن شمارا خبر كنم بآنكه در باى اين

كوه جمعى آمده اند بداعبه آنكه بر شماشبيخون كرده دست بقتل وغارت

بكشايند مرا دران تصديق ميكنيد بانه كفتند جرا نكنيم وتوبيش ما بدروغ

عتهم نشده . قال (فانى نذير لكم بين يدي الساعة) فقال عمه ابو

لهب تبا لك يعنى هلاكت باد . ألهذا دعوتنا واخذ حجرا بيده ليرميه عليه

السلام به فمنعه الله من ذلك حيث لم يستطع ان يرميه فلا كناية فى ذكر

اليدين ووجه وصف يديه بالهلاك ظاهر

واما وصفهما بالخسران فلرد ما اعتقده من نفعه وربحه فى اذية

رسول الله عليه السلام ورميه بالحجر وذكر فى التأويلات الما تريدية انه

كان كثير الاحسان الى رسول الله عليه السلام وكان يقول ان كان الامر

لمحمد فيكون لى عنده يدو ان كان لقريش فلى عندها يد فاخبر أنها

خسرت يده التى كانت عند محمد عليه السلام بعناده له ويده التى عند

قريش ايضا لخسران قريش وهلاكهم فى يد محمد

{ وتب } اى وهلك كله فهو اخبار بعد اخبار والتعبير بالماضى لتحقق وقوعه

وقيل المراد بالاولى هلاك جملته كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة على ان ذكر اليد كناية عن النفس والجملة ومعنى وتب وكان ذلك وحصل ويؤيده قرآءة من قرأ وقد تب فان كلمة قد لا تدخل على الدعاء

وقيل كلاهما دعاء عليه بالهلاك والمراد بيان استحقاقه لان يدعى عليه بالهلاك فان حقيقة الدعاء شأن العاجز وانما كناه والتكنية تكرمه لاشتهاره بكنيته فليست للتكريم او لكراهة ذكر اسمه القبيح اذ فيه اضافة الى الصنم او للتعريض يكونه جهنميا لانه سيصلى نارا ذات لهب يعنى ان ابا لهب باعتبار معناه الاضافى يصلح ان يكون كناية عن حاله وهكونه جهنميا لان معناه باعتبار اضافته ملابس اللهب كما ان معنى ابو الخير واخو الحرب بذلك الاعتبار ملابس الخير والحرب واللهب الحقيقى لهب جهنم وهذا المعنى يلزمه انه جهنمى ففيه انتقال من الملزوم الى اللازم فهى كنية تفيد الذم فاندفع ما يقال هذا يخالف قولهم ولا يكنى كافر فاسق

ومبتدع الا لخوف فتنة اوتعريف لان ذلك خاص بالكنية التى تفيد المدح

لا الذم ولم يشتهر بها صاحبها فى الاتقان ليس فى القرءآن من الكنى غير

ابى لهب ولم يذكر اسمه وهو عبد العزى اى الصنم لانه حرام شرعا انتهى

وفيه ان الحرام وضع ذلك لا استعماله وفى كلام بعضهم ما يفيدان

الاستعمال حرام ايضا الا ان يشهر بذلك كما فى الاوصاف المنقصة

كالاعمشوكان بعد نزول هذه السورة لا يشك المؤمن انه من أهل النار

بخلاف غيره ولم يقل فى هذه السورة قل تبت الخ لئلا يكون مشافها لعمه

بالشتم والغليظ وان شتمه عمه لان للعم حرمة كحرمة الاب لانه مبعوث

رحمة للعالمين وله خلق عظيم فاجاب الله عنه وقرئ ابو لهب بالواو

كما قيل على بن ابو طالب ومعاوية بن ابو سفيان مع ان القياس الياء

لكونه مضافا اليه كيلا يغير منه شئ فيشكل على السامع والحاصل ان

الكنية بمنزلة العلم والاعلام لا تتغير فى شئ من الاحوال وكان لبعض امرآء

مكة ابنان احدهماعبد الله بالجر ولآخر عبد الله بالفتح.

٢

{ ما اغنى عنه ماله وما كسب } اى لم يغن عنه حين حل به التباب ولم ينفعه اصلا على ان ما نافية او أى شئ اغنى عنه على انها استفهايمة فى معنى الانكار منصوبة بما بعدها على انها مفعول به او أى اغناء اغنى عنه على انها مفعول مطلق اصل ماله وما كسبه به من الارباح والنتائج والمنافع والوجاهة والاتباع ولا احد اكثر مالا من قارون وما دفع عنه الموت والعذاب ولا اعظم ملكا من سليمان عليه السلام وقد قيل فيه

نه برياد رفتى سحر كاه وشام ... سرير سليمان عليه السلام

بآخر نديديكه برباد رفت ... خنك آنكهبادانش وداد رفت

او ماله الموروث من ابيه والذى كسبه بنفسه او عمله الخبيث الذى هو كيده فى عداوة النبى عليه السلام او عمله الذى ظن انه منه على شئ كقوله تعالى وقمنا الى ما علموا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقال بعضهم ما كسب منفعة وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما كسب

ولده (وروى) انه كان يقول ان كان ما يقول ابن اخى حقا فانا افتدى

منه نفسى بمالى وولدى فاستخلص منه وقد خاب رجاه وما حصل ما

تمناه فافترس ولده عتبة اسد فى طريق الشأم وذلك ان عتبة بن ابى لهب

وكان تحته ابنة رسول الله عليه السلام اراد الخروج الى الشأم قال لآتين

محمدا فلأوذينه فأتاه فقال يا محمد هو كافر بالنجم اذا هوى وبالذى دنا

فتدلى ثم نفل فى وجه رسول اللّهصلّى الله عليه وسلّم ورد عليه ابنته وطلقها

فقال عليه السلام (اللهم سلط عليه كلبا من كلابك) فرجع عتبة الى أبيه

فأخبره ثم خرجوا الى الشام فنزلوا منزلا فأشرف عليهم راهب من الدير

فقال ان هذه ارض مسبعة فقال ابو لهب اعينونى يا مشر عريش هذه الليلة

فانى اخاف على ابنى دعوة محمد فجمعوا جمالهم وأناخوها حولهم وأحدقوا

بعتبة فجاه الاسد يتخللهم ويتشمم وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله وهلك

ابو لهب بالعدسة بعد وقعة بدر لسبع ليال والعدسة بثرة تخرج فى البدن

تشبه العدسة وهى من جنس الطاعون تقتل غالبا فاجتنبه أهله مخافة

العدوى وكانت قريش تتقيها كالطاعون فبقى ثلاث حتى انتن ثم استأجروا

بعض السودان واحتملوه ودفنوه فكان الامر كما اخبر به القرءآن وفى انسان العيون لم يحفروا له حفرة ولكن اسندوه الى حائط وقذفوا عليه الحجارة خلف الحائط حتى واروه وفى رواية حفرة له ثم دفعوه بعود فى حفرته وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه وعن عائشة رضى الله عنها انها كانت اذا مرت بموضعه ذلك غطت وجهها والقبر الذى يرجم خارج باب الشبيكة الآن ليس بقبر ابى لهب وانما هو قبر رجلين لطخا الكعبة بالعذبة وذلك فى دولة بنى العباس فان الناس اصبحوا يوما فوجدوا الكعبة ملطخة بالعذرة فرصدوا للفاعل فأمسكو هما بعد ايام فصلبا فى ذلك الموضع فصارا يرجمان الى الآن.

٣

{ سيصلى } اى ما ذكر من العذاب مآل امره فى النشأة الاولى وفى النشأة الآخرة سيدخل لا محالة

{ نارا ذات لهب } نارا عظيمة ذات اشتعال وتوقد وهى نار جهنم وليس هذا نصا فى انه لا يؤمن ابدا حتى يلزم من تكليفه الايمان بالقرءآن ان يكون مكلفا بأن يؤمن بأنه لا يؤمن ابدا فيكون مأمورا بالجمع بين النقيضين كما هو المشهور فان صلى النار غير مختص بالكفار فيجوز أن يفهم ابو لهب من هذا ان دخوله النار لفسقه ومعاصيه لا لكفره فلا اضطرار الى الجواب المشهور من ان ما كلفه هو الايمان بجميع ما جاء به النبى عليه السلام اجمالا لا الايمان بتفاصيل ما نطق به القرءآن حتى يلزم ان يكلف الايمان بعدم ايمانه المستمر.

٤

{ وامرأته } عطف على المستكن فى سيصلى لكون الفصل بالمفعول يعنى زن اونيز باودر آيد وداخل نارشود وهى ام جميل بنت حرب بن امية اخت ابى سفيان عمة معاوية رضى الله عنه واسمها العورآء وآن درهمسا يكئ حضرت عليه السلام خانه داشت وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتنشرها بالليل فى طريق النبى عليه السلام تا

خارى نعوذ بالله در دامنش آو يزديا دربايش خلد وكان عليه السلام يطأه كما يطأ الحرير وفى تفسير أبى الليث حتى صار النبى عليه السلام واصحابه فى شدة وعناء وفى تفسير الكاشفى وآن حضرت كه بنماز بيرون آمدى انها برسرراه بركرفتى وبطريق ملايمت كفتى اين جه نوع همسا يكيست كه يامن ميكنيد

ميريختند دره توخار باهمه ... جون كل شكفته بود رخ كلستان تو

{ حمالة الحطب } الحطب ما اعد من الشجر شبوبا كما فى القاموس ونصب حمالة على الشتم والذم اى أذم حمالة الحطب قال الزمخشرى وانا استحب هذه القرآءة وقد توسل الى رسول الله عليه السلام بجميل من احب شتم ام جميل انتهى

وقيل على الحالية بناء على ان الاضافة غير حقيقية اذا المراد انها تحمل يوم القيامة حزمة حطب كالزقوم والضريع وفى جيدها سلاسل النار

كما يعذب كل مجرم بما يناسب حاله فى جرمه وعن قتادة انها مع كثرة مالها تحمل الحطب على ظهرها لشدة بخلها فعيرت بالبخل فانصب حينئذ على الشتم حتما

وقيل كانت تمشى بالنميمة وتفسد بين الناس تحمل الحطب بينهم اى توقد بينهم النائرة وتورث الشر . بس هيزم كشى عبارتست از سخن جينى كه آتش خصومت ميان دوكس برمى افروزد

ميان دوكس جنك جون آتش است ... سخن جين بدبخت هيزم كش است

كنند اين وآن خوش دكر باره دل ... وى اندرميان كور بخت وخجل

ميان دوكس آتش افروختن ... نه عقلست خود درميان سوختن

٥

{ فى جيدها حبل من مسد } جملة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر والجملة حالية والجيد بالكسر العنق ومقلده او مقدمه كما فى القاموس والمسد ما يفتل من الحبال فتلا شديدا من ليف كان او جلدا وغيرهما يقال دابة ممسودة شيديدة الاسر والمعنى فى عنقها حبل ممامسد من الحبال وانها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطهافى جيدها كما يفعل الحطابون تخسيسا لحالها وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات من المواهن لتغضب من ذلك ويشق عليها ويغض بعلها ايضا وهما فى بيت العز والشرف وفى منصب الثروة والجدة قال مرة الهمدانى كانت ام جميل تأتى كل يوم باباله من حسك فتطرحها على طريق المسلمين فبينما هى ذات ليلة حاملة حزمة ايت فقعدت على حجر لتستريح فجذبها الملك من خلفها فاختنقت بحبلها حتى هلكت وبدوزخ رفت وفى ينبوع الحياة انها لما بلغها سورة تبت يدا ابى لهب جاءت الى اخيها ابى سفيان فى بيته وهى متحرقة غضبى فقالت له ويحك يا احمس اى يا شجاع اما تغضب ان هجانى محمد فقال ساكفيك اياه ثم اخذ بسيفه وخرج ثم عاد سريعا فقالت له هل قتلته فقال

لها يا اختى أيسرك ان رأس اخيك فى فم ثعبان قالت لا والله قال فقد كاد ذلك يكون الساعة اى فانه رأى ثعبانا لو قرب منه صلّى الله عليه وسلّم لالتقم رأسه ثم كان من امر ابى سفيان الاسلام ومن امر اخته الموت على الكف روالكل من حكم السابق (قال فى كشف الاسرار) سك اصحاب الكهف رنك كفرداشت ولباس بلعام باعور طراز دين داشت ليكن شقاوت وسعادت ازلى ازهردو جانب دركمين بود جون دولت روى نمودبوست ان سك ازروى صورت دربلعام بوشانيدند كفتند (فمثله كمثل الكلب)ومرقع بلعام دران سك بوشيدند كفتند ثلاثة رابعهم كلبهم قوله من مسد بالوقف يعنى يوقف عليه ثم يجاء بالتكبير لما مر.

سُورَةُ الْإِخْلَاصِ مَكِّيَّةٌ

وَهِيَ أَرْبَعُ آياَتٍ

١

{ قل هو الله احد } الضمير للشأن كقولك هو زيد منطلق

وارتفاعه بالابتدآء وخبره الجملة ولا حاجة الى العائد لانها عين الشان

الذى عبر عنه بالضمير اى الله احد هو الشأن هذا او هو أن الله احد

والسر فى تصدير الجملة به التنبيه من الاوامر على فخامة مضمونها مع ان

فى الابهام ثم التفسير مزيد تقرير او الضمير لما سئل عنهاى الذى سألتم

عنه هو الله اذ روى ان المشركين قالوا للنبى عليه السلام صف لنا ربك

الذى تدعونا اليه وانسبه اى بين نسبه واذكره فنزلت يعنى بين الله نسبه

بتنزيهه عن النسب حيث نفى عنه الوالدية والمولدية والكفاءة فالضمير

حينئذ مبتدأ ولله خبره واحد بدل منه وابدال النكرة المحضة من المعرفة يجوز

عند حصول الفائدة على ما ذهب اليه ابو على وهو المختار والله علم دال

على الاله الحق دالالة جامعة لمعانة الاسماء الحسنى كلها وقال القاشانى

هو عندنا اسم الذات الالهية من حيث هى هى اى المطلقة الصادق عليها

مع جميعها او بضعها ولا مع واحد منها كقوله تعالى قل هو الله احد

انتهى عبد الله هو العبد الذى تحلى بجميع اسمائه فلا يكون فى عباده ارفع

مقاما واعلى شأنا منه لتحققه بالاسم العظم واتصافه بجميع صفاته ولهذا

خص نبينا عليه السلام بهذا الاسم فى قوله وانه لما قام عبد الله يدعوه فلم

يكن هذا الاسم بالحقيقة الا له وللاقطاب من ورثته بتبعيته وان اطلق على

غيره مجازا لاتصاف كل اسم من اسمائه بجميعها بحكم الواحدية واحدية

جميع الاسماء والاحد اسم لمن لا يشاركه شئ فى ذاته كما ان الواحد اسم

لمن لا يشاركه شئ فى صفاته يعنى ان الاحد هو الذات وحدها بلا اعتبار

كثرة فيها فأثبت له الاحدية التى هى الغنى عن كل ما عداه وذلك من

حيث عينه وذاته من غير اعتبار امر آخر والواحد هو الذات مع اعتبار

كثرة الصفات وهى الحضرة الاسمائية ولذا قال تعالى ان الهكم لواحد ولم

يقل لأحد لان الواحدية من اسماء التقييد فبينهما وبين الخلق

ارتباط اى من حيث الالهة والمألوهية بخلاف الاحدية اذلا يصح ارتباطها

بشئ فقولهم العلم الالهى هو العلم بالحق من حيث الارتباط بينه وبين

الخلق وانتشاء العالم منه بقدر الطاقة البشرية اذ منه مالا تفيه الطاقة البشرية

وهو ما وقع به الكمل فى ورطة الحيرة واقروا بالعجز عن حق المعرفة ومنه

يعلم ان توحيد الذات مختص فى الحقيقة بالله تعالى وعبد الاحد هو وحيد الوقت صاحب الزمان الذى له القطبية الكبرى والقيام بالاحدية الاولى وعبد الواحد هو الذى بلغه الله الحضرة الواحدية وكشف له عن احدية جميع اسمائه فيدرك ما يدرك ويفعل ما يفعل باسمائه ويشاهد وجوه اسمائه الحسنى قال ابن الشيخ فى حواشيه قوله هو الله احد ثلاثة ألفاظ كل واحد منها اشارة الى مقام من مقامات السائرين الى الله تعالى فالمقام الاول مقام المقربين وهم الذين نظروا الى ماهيات الاشياء وحقائقها من حيث هى هى فلا جرم ما رأوا موجودا سوى الله لان الحق هو الذى لذته يجب وجوده

واما ما عداه فممكن والممكن اذا نظر اليه من حيث هو هو كان معدوما فؤلاء لم يروا موجودا سوى الحق تعالى وكلمة هو وان كانت للاشارة المطلقة مفتقرة فى تعين المراد بها الى سبق الذكر باحد الوجوه او الى ان يعقبها ما يفسرها الا انهم يشيرون بها الى الحق ولا يفتقرو نفى تلك الاشارة الا ما يميز المراد بها من غيره لان الافتقار الى الممز انما يحصل حيث وقع

الابهام بأن يتعدد ما يصلح لان يشار اليه وقد بينا انهم لا يشاهدون بعيون

عقولهم الا الواحد فقط فلهذا السبب كانت لفظة هو كافية فى حصلة

العرفان التام لهؤلاء والمقام الثانى مقام اصحاب اليمين وهو دون

المقام الاول وذلك النهم شاهدوا الحق موجودا وشاهدوا الخلق ايضا

موجودا فحصلت الكثرة فى الموجودات فلا جرم لم تكن لفظة هو كافية فى

الاشارة الى الحقب ل لا بد هناك من مميز به يتميز الحق من الخلق فهؤلاء

مفتقرون الى ان يقرن لفظة الله بلفظة هو فقيل لاجلهم هو الله لان لفظة

اللاسم للموجود الذى يفقتر اليه ما عاده ويستغنى هو عن كل ما عداه

فتتميز به الذات المراد عما عداه والمقام الثالث مقام اصحاب الشمال وهو

أخس المقامات وهم الذين يجوزون ان يكون واجب الوجود اكثر من واحد

فقرن لفظة الاحد بما تقدم ردا على هؤلاء وابطالا لمقالهم فقيل قل هو الله

احد انتهى كلامه ومنه يعلم صحة ما اعتاده الصوفية من الذكر بالاسم

هو وذلك لان اهل البداية منهم وهم المحجوبون تابعون لاهل النهاية منهم

وهم المكاشفون فكأنهم كلهم ما شاهدوا فى الوجود الا الله فالله عندهم

بهويته المطلقة السارية متعين لا حاجة الى التعيين اصلا فضمير هو راجع اليه لا الى غيره كما ان الضمير فى انزلناه راجع الى القرءآن لتعينه وحضوره فى الذهن فقول الطاعن انه ضمير ليس له مرجع متعين فكيف يكون ذكر الله تعالى مردود على ان الضمائر اسماء وكل الاسماء ذكر لا فرق بينها بالمظهرية والمضمرية فعلى هذا يجوز ان يدخل اللام فكلمة هو فى اصطلاح الصوفية لانها اشارة الى الهوية ولا مناشة فى الاصطلاح ثم قوله قل امر من عين الجمع وارد على مظهر التفصيل وفيه اشارة الى سر قوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم فكأنه يقول انا شهدت بوحدة الهوية فى مقام الجمع فاشهد انت ايضا بتلك الوحدة فى مقام الفرق ليظهر سر الاحدية واللاحدية ويحصل التطابق بينهما جمعا وتفصيلا هكذا لاح بالبال والله اعلم بحقيقة الحال وقرئ هو الله بلا قل وكذا فى المعوذتين لانه توحد والاخريان تعوذ فيناسب ان يدعو بهما وان يؤمر بتبليغهما وقد سبق فى سورة الاعلى ما يغنى عن تكراره ههنا وقال بعضهم انما اثبت فى المصحف قل والتزم فى التلاوة مع انه ليس من دأب المأمور بقل ان يتلفظ

فى مقام الائتمار الا بالمقول لان المأمور ليس المخاطب به فقط بل كل واحد ابتلى بما ابتلى به المأمور فاثبت ليبقى على مر الدهور منا على العباد.

٢

{ الله الصمد } مبتدأ وخبر فعل بمعنى مفعول كقبض بمعنى مقبوض من صمد اليه من باب نصر اذا قصده اى هو السيد المصمود اليه فى الحوائج المستغنى بذاته وكل ما عداه محتاج اليه فى جميع جهاته فلا صمد فى الوجود سوى الله فهو مثل زيد الامير يفيد قصر الجنس على زيد فاذا كان هو الصمد فمن انتفت الصمدية عنه لا يستحق الالوهية وتعريفة لعلمه بصمديته بخلاف احديته وتكرير الاسم الجليل للاشعار بان من يتصف به فهو بمعزل عن استحقاق الالوهية كما اشير اليه آنفا وتعرية الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاولى وبين اولا الوهيته المستتبعة لكافة نعوت الكمال ثم احديته الموجبة لتنزهه عن شائبة التعدد والتركب بوجه من الوجوه وتوهم المشاركة فى الحقيقة وخواصها ثم صمديته

المقتضية لاستغنائه الذاتى عما سواه وافتقار جميع المخلوقات اليه فى وجودها وبقائها وسائر احوالها تحقيقا للحق وارشادا لهم الى سنه الواضح فاثبات الصمدية له سبحانه انما هو باعتبار استنادنا اليه فى الوجود والكمالات التابعة للوجود باعتبار احدية ذاته فهو غنى عن هذه الصفة والحاصل ان الصمدية تقتضى اعتبار كثرة الاسماء والصفات فى الله دون الاحدية وعبد الصمد هو مظهر الصمدية الذى يصمد اليه اى يقصد لدفع البليات وايصال امداد الخيرات ويستشفع به الى الله ادفع العذاب واعطاء الثواب وهو محل نظر الله الى العالم فى ربوبيته له.

يقول الفقير جرى على لسان الباطن بلا اختيار منى وذلك بعد الاشراق ان اقول ازلى ابدى احدى صمدى اى انت يا رب ازلى احدى وابدى صمدى فالازلية ناظرة الى الاحدية كما ان الابدية ناظرة الى الصمدية وذلك باعتبار التحليل والتعقيد فان الاحدية لا تتجلى الا بازالة الكثرات فعند الانتهاء الى مقام الغنى الذى هو الغيب المطلق تزول الكثرة

ويكون الزوال ازلا وهذا تحليل وفناء وعبور عن المنازل وعروج الى المرصد الاعلى والمقصد الاقصى عينا وعلما

واما الصمدية فباعتبار الابدية التى هى البقاء وذلك يقتضى التعقيد بعد التحليل فهى بالنزول الى مقام العين بالمهملة اى العين بالخارجى والعالم الشهادى الذى اسفل منازله عالم الناسوت والحاصل ان الاحدية جمع والصمدية فرق فمقام الاحدية هى النقطة الغير المنقسمة التى انبسطت منها جملة التراكيب لاواحدية فاول تعيناتها هى مرتبة آدم ثم حوآء لان حوآء انما ظهرت بعد الهوآء المنبعث من تعين آدم الحقيقى ولذا انقلبت الهاء حاء فصار الهوآء حوآء وخاصية الاسم الاحد ظهور عالم القدرة وآثارها حتى لو ذكره ألفا فى خلوة على طهارة ظهرت له العجائب بحسب قوته وضعفه وخاصية الاسم الصمد حصول الخير والصلاح فمن قرأه عند السحر مائة وخمسا وعشرين مرة ظهرت عليه آثار الصدق والصديقية وفى اللمعة ذاكره لا يحس بألم الجوع ما دام ملتبسا بذكره والقرآءة وصلا احد الله الصمد منونا مكسور الالتقاء الساكنين وكان ابو عمر وفى

اكثر الروايات يسكت عند هو الله احد وزعم ان العرب لا تصل مثل هذا وروى عنه انه قال وصلها قرآءة محدثة وروى عنه قال ادركت القرآء كذلك يقرأونها قل هو الله احد وان وصلت نونت وروى عنه انه قال احب الى اذا كان رأس آية ان يسكت عندها وذلك لان الآية منقطعة عما بعدها مكتفية بمعناها فهى فاصلة وبها سميت آية

واما وقفهم كلهم فيسكتون على الدال ثم صرح ببعض الحكام جزئية مندرجة تحت الاحكام السابقة فقيل

٣

{ لم يلد } نزاد كسى را.

تنصيصا على ابطال زعم المفترين فى حق الملائكة والمسيح ولذلك ورد النفى على صيغة الماضى من غير ان يقال لن يلد اولا يلد اى لم يصدر عنه ولد لانه لا يجانسه شئ ليمكن ان يكون له من جنسه صاحبة فيتوالد اولا يفتقر الى ما يعينه او يخلفه لاستحالة الحاجة والفناء عليه سبحانه فان

قلت لم قال فى هذه السورة لم يلد وفى سورة بنى اسرائيل لم يتخذ ولدا اجيب أن النصارى فريقان منهم من قال عيسى ولد الله حقيقة فقوله لم يلد اشارة الى الرد عليه ومنهم من قال اتخذه ولدا تشريفا كما اتخذ ابراهيم خليلا تشريفا فقوله لم يتخذ ولدا اشارة الى الرد عليه

{ ولم يولد } نزاده شد ازكسى.

اى لم يصدر عن شئ لاستحالة نسبة العدم اليه سابقا اولا حقا وقال بعضهم الوالدية والمولودية لا تكونان الا بالمثلية فان المولود لا بد ان يكون مثل الوالد ولا مثلية بين هويته الواجبة وهوياتنا الممكنة انتهى وقال البقلى لم يلد ولم يولد اى لم يكن هو محل الحوادث ولا الحوادث محله والتصريح بأنه لم يولد مع كونهم معترفين بمضمونه لتقرير ما قبله وتحقيقه بالاشارة الى انهما متلازمان اذا المعهود ان ما يلد يولد ومالا فلا ومن قضية الاعتراف بأنه لم يولد الاعتراض بأنه لا يلد وفى كشف الاسرار قدم ذكر لم يلد لان من الكفار من ادعى ان له ولدا ولم يدع احد انه مولود (وفى التفسير الفارسى) لم يلد رد يهوداست كه كفتندعزير بسر اوست ولم يولد

رد نصار است كه كويند عيسى خدا است . قال ابو الليث لم يلد يعنى لم يكن له ولد يرثه ولم يولد يعنى لم يكن له ولد يرث ملكه.

٤

{ ولم يكن له كفؤا احد } يقال هذا كفاؤه وكفؤه مثله وكافا فلانا ماثله وله صلة لكفؤا قدمت عليه مع ان حقها التأخر عنه للاهتمام بها لان المقصود نفى المكافأة عن ذاته تعالى اى لم يكافئه احد ولم يماثله ولم يشاكله بل هو خالق الاكفاء ويجوز ان يكون من الكفاءة فى النكاح نفيا للصاحبة

واما تأخير اسم كان فلمراعات الفواصل ولعل ربط الجمل الثلاث بالعاطف لان المراد منها نفى اقسام الامثال فهى جملة واحدة منبه عليها بالجمل قال القاشانى ما كانت هويته الاحدية غير قابلة للكثرة والانقسام ولم تكن مقارنة الوحدة الذاتية الغيرها اذ ما عدا الوجود المطلق ليس الا العدم المحض فلا يكائفه احد اذ لا يكافئ العدم الصرف الوجود المحض)

وقال الكاشفى) رد مجوس ومشركان عربست كه كفتند اورا كفوهست نعوذ بالله وكفته اند هر آيتى ازين سورة تفسير آيت بيش است جون كويند من هو تو كويي احد جون كويند احد كيست توكيي صمد جون كويند صمد كيست توكويي الذى لم يلد ولم يولد جون كويند لم يلد ولم يولد كيست توكويي الذى لم يكن له كفؤا احد.

وقال بعضهم كاشف الواهين بقوله هو وكاشف الموحدين بقوله الله وكاشف العارفين بقوله احد والعلماء بقوله الصمد والعقلاء بقوله لم يلد الخ وهو اى لم يلد اشارة الى توحيد العوام لانهم يستدلون على المصانع بالشواهد والدلائل وقال بعض الكبار ان سورة الاخلاص اشارة الى حال النزول وهو حال المجذوب فأولا بقول هو الله احد الله الصمد الخ وحال الصعود يعتبر من الآخر الى جانب هو فيقول اولا لم يكن له كفؤا احد ثم يترقى الى ان يقول هو لكن لا ينعى للسالك ان يكتفى بوجدان هو فى القرءآن بل ينبغى له ان يترقى الى القرءآن الفعلى فيشاهد هو فى القرءآن وهو محيط بالعوالم كلها وهو اول ما ينكشف

للسالك ولاشتمال هذه السورة مع قصرها على جميع معارف الالهية والرد

على من الحد فيها جاء فى الحديث (انها تعدل ثلث القرءآن) فان

مقاصده منحصرة فى بيان العقائد والاحكام والقصص ومن عدلها بكله

اعتبر المقصود بالذات منه وهو علم المبدأ وصفاته اذ ما عداه ذرآئع اليه

وقال عليه السلام (اسست السموات السبع والارضون السبع على قل

هو الله احد) اى ما خلقت الالتكون دلائل على توحيد الله ومعرفة

صفاته التى نطقت بها هذه السورة وعنه عليه السلام سمع رجلا يقرأ قل

هو الله احد فقال (وجبت) فقيل وما وجبت يا رسول اللّهقال (وجبت

له الجنة) وعن سهيل ابن سعد رضى الله عنه جاء رجل الى النبى عليه

السلام وشكا اليه الفقر فقال اذا دخلت بيتك فسلم ان كان فيه احد وان

لم يكن فيه احد فسلم على نفسك واقرأ قل هو الله احد مرة واحدة ففعل

الرجل ذلك فأدر الله عليه رزقا حتى افاض على جيرانه وعن على رضى

الله عنه انه قال من قرأ قل هو الله احد بعد صلاة الفجر احدى عشرة

مرة لم يلحقه نذب يومئذ ولو اجتهد الشيطان وفى الحديث

(ايعجز احدكم ان يقرأ القرءآن فى ليلة واحدة) فقيل يا رسول الله من يطيق ذلك قال (ان يقرأ قل هو الله احد ثلاث مرات) وروى انه نزل جبريل عليه السلامبتبوك فقال يا رسول الله ان معاوية بن الزنى رضى الله عنه مات فى المدينة أتحب ان اطوى لك الارض فتصلى عليه قال (نعم) فضرب بجناحة على الارض فرفع له سريره وصلى عليه وخلفه صفان من الملائكة كل صف سبعون الف ملك ثم رجع فقال عليه السلام (بم ادرك هذا) قال بحبه قل هو الله احد وقرآءته اياها جائيا وذاهبا وقائما وقاعدا وعلى كل حال رواه الطبرانى وصحب سورة الاخلاص حين نزلت سبعون ألف ملك كلما مروا أهل سماء سألهم عما معهم فقالوا نسبة الرب سبحانه ولذا سميت هذه السورة نسب الرب كما فى كشف الاسرار وسميت سورة الاخلاص لاخلاص الله من الشرك او للخلاص من العذاب او خالصة فى التوحيد قال الامام الغزالى رحمه الله تعالى (غفر ربى وثيقتى بالخلاص . واعتصامى بسورة الاخلاص) او لانها سورة خالصة لله ليس فيها ذكر شئ من الدنيا

والآخرة وقال الحنفى لانها تخلص قارئها من شدآئد الآخرة وسكرات الموت وظلمات القبر واهوال القيامة وقال القاشانى لان الاخلاص تمحيض الحقيقة الاحدية عن شائبة الكثرة.

سُورَةُ الْفَلَقِ مَدَنِيَّةٌ

وَهِيَ خَمْسُ آياَتٍ

١

{ قل اعوذ برب الفلق } الفلق الصبح لانه يفلق عنه الليل ويفرق فهو من باب الحذف والايصال فعل بمعنى مفعول كالصمد والقبض بمعنى المصمود اليه والمقبوض كما مر فان كل واحد من المفلوق والمفلق عنه مفعول وذلك انما يتحقق بأن يكون الشئ مستورا ومحجوبا بآخر ثم يشقق الحجاب الساتر عن وجه المستور ويزول فيظهر ذلك المستور وينكشف بسبب زواله وذلك الحجاب المشقق مفلوق والمحوب المنكشف

بزواله مفلوق عنه والصبح صار مفلوقا عنه بازالة ما عليه من ظلمة الليل يقال فى المثل هو أبين من فلق الصبح والفلق ايضا الخلق لان الممكنات بأسرها كانت اعيانا ثابتة فى علم الله مستورة تحت ظلمة العدم فالله تعالى فلق تلك اللظلمات بنور التكوين والايجاد فاظهر ما فى علمه من المكونات فصارت مفلوقا عنها وفى تعليق العياذ باسم الرب المضاف الى الفلق المنبئ عن النور عقيب الظلمة والسعة بعد الضيق والفتق بعد الرتق عدة كريمة باعادة العائذ مما يعوذ منه وانجائه منه وتقوية لرجائه لتذكير بعض نظائره ومزيد ترغيب له فى الجد والاعتناء بقرع باب الالتجاء اليه والاعاذة بربه قالوا اذا طلع الصبح تتبدل الثقلة بالخفة والغم بالسرور روى ان يوسف عليه السلام لما ألقى فى الجب وجعت ركبته وجعا شديدا فبات ليلته ساهرا فلما قرب طلوع الصبح نزلجبريل باذن الله تعالى يسأله و يأمره بان يدعو ربه فقال يا جبريل ادع انت واؤ من فدعا جبريل وامن يوسف عليهما السلام فكشف الله تعالى ما كان به من الضر فلما طاب وقت يوسف قال يا جبريل وانا ادعو ايضا وتؤمن أنت فسأل يوسف ربه ان

يكشف الضر عن جميع أهل البلاء فى ذلك الوقت فلا جرم ما من مريض الا ويجد نوع خفة فى آخرا لليل وعن بعض الصحابة رضى الله عنهم انه قدم الشأم فرأى دور أهل الذمة وما هم فيه من خفض العيش وما وسع عليهم به من دنياهم فقال لا أبالى اليس من ورآئهم الفلق فقيل وما الفلق قال بيت فى جهنم اذا فتح صاح جميع أهل النار.

٢

{ من شر ما خلق } اى من شر ما خلقه من الثقلين وغيرهم كائنا ما كان من ذوات الطبائع والاختيار وبالفارسية ازبدى آنجه آفريد است ازمؤذيات انس وجن وسباع وهوام . فيشمل جميع الشرور والمضار بدنية كانت او غيرها من ضرب وقتل وشتم وعض ولدغ وسحر ونحوها واضافة الشر اليه لاختصاصه بعالم الخلق المؤسس على امتزاج المواد المتباينة وتفاعل كيفياتها المتضادة المستتبعة للكون والفساد

واما عالم الامر فهو خير محض منزه عن شوآئب الشر بالكلية وقرأ بعض المعتزلة القائلين بأن الله لم يخلق الشر من شر بالتنوين ما خلق على النفى وهى قرآء مردودة مبنية على مذهب باطل الله خالق كل شئ.

٣

{ ومن شر غاسق } تخصيص لبعض الشرور بالذكر مع اندراجه فيما قبله لزيادة مساس الحاجة الى الاستعاذة منه لكثرة وقوعه ولان تعيين المستعاذ ادل على الاعتناء بالاستعاذة وادعى الى الاعاذة اى ومن شر ليل مختلط ظلامه متسند وذلك بعد غيبوبة الشفق من قوله تعالى الى غسق الليل اى اجتمع ظلمته وفى القاموس الغسق محركة ظلمة اول الليل وغسق الليل غسقا ويحرك اشتدت ظلمته فالغاسق الليل المظلم كما فى المفردات واصل الغسق الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلأت دمعا او هو السيلان وغسق العين سيلان دمعها واضافة الشر الى الليل لملابسته له بحدوثه فيه وتنكيره لعدم شمول الشر لجميع افراده ولا لكل اجزآئه

{ اذا وقب } الوقب النقرة فى الشئ كالنقرة فى السخرة يجتمع فيها الماء ووقب اذا دخل فى وقت ومنه وقيت الشمس اذا غابت ووقب الظلام دخل والمعنى اذا دخل ظلامه فى كل شئ وتقييده به لان حدوث الشرفيه اكثر والتحرز منه اصعب واعسر ولذلك قيل الليل اخفى للويل

وقيل اغدر الليل لانه اذا اظلم كثر فيه الغدر والغوث يقل فى الليل ولذا لو شهر انسان بالليل سلاحا فقتله المشهر عليه لا يلزمه قصاص ولو كان نهارا يلزمه لانه يوجد فيه الغوث والحاثل انه ينبعث اهل الحرب فى الليل وتخرج عفاريت الجن والهوام والمؤذيات نهى رسول الله عليه السلام عن السير فى اول الليل وامر بتغيطية الاوانى واغلاق الابواب وايكاء الاسقية وضم الصبيان وكل ذلك للحذر من الشر والبلاء

وقيل الغاسق القمر اذا امتلأ ووقوبه دخوله فى الخسوف واسوداده لما روى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت اخذ رسول الله عليه السلام بيدى فاشار الى القمرفقال (تعوذى بالله من شر هذا فانه الغاسق

اذا وقب وشره الذى يتقى ما يكون فى الابدان) كآفات التى تحدث بسببه ويكون فى الاديان كالفتنة التى بها افتتن من عبده وعبد الشمس

وقيل التعبير عن القمر بالغاسق لان جرمه مظلم وانما يستنير بضوء الشمس ووقوبه المحاق فى آخر الشهر والمنجمون يعدونه نحسا ولذلك لا تشتغل السحرة بالسحر المورث للتمريض الا فى ذلك قيل وهو المناسب لسبب النزول

وقيل الغاسق الثريا ووقو بها اسقطها لانها اذا سقطت كثرت الامراض والطواعين واذا طلعت قلت الامراض والآلم

وقيل هو كل شر يعترى الانسان ووقوب به هجومه ويجوز أن يراد بالغاسق الاسود من الحيات ووقبه ضربه ولبسه وفى القاموس هو الذكر اذا وقام هو منقول عن ابن عباس رضى الله عنهما وجماعة.

٤

{ ومن شر النفاثات } واز شردمند كان . من النفث وهو شبه النفخ يكون فى الرقية ولا ريق معه فان كان معه ريق فهو التفل يقال منه نفث الراقى ينفث وينفث بالضم والكسر والنفاثات بالتشديد يراد منها تكرار الفعل والاحتراف به والنفاثات تكون للدفعة الواحدة من الفعل ولتكراره ايضا

{ فى العقد } جمع عقدة وهى ما يعقده الساحر على وتر أو حبل او شعر وهو ينفث ويرقى واصله من العزيمة ولذلك يقال لها عزيمة كما يقال لها عقدة ومنه قيلللساحر معقد والمعنى ومن شر النفوس او النساء السواحر اللاتى يعقدن عقدا فى خيوط وينفثن عليها وتعريفها اما للعهد او للايذان بشمول الشر لجميع افرادهن وتمحضهن فيه وتخصيصه بالذكر لما روى ابن عباس رضى الله عنهما وعائشة رضى الله عنها انه كان غلام من اليهود يخدم النبى عليه السلام وكان عنده اسنان من مشطه عليه السلامفاعطاها اليهود فسحروه عليه السلام فيها ولذا ينبغى ان يقطع الظفر بعد التقليم وكذا الشعر اذا اسقط من اللحية والرأس

نصفين او اكثر لئلا يسحر به احد وتولاه لبيد بن اعصم اليهودى وبناته

وهن النفاثات فى العقد فدفها فى بئراريس وفى عين المعانى فى بئرلبنى زريق

تسمى ذروان فمرض النبي عليه السلام روى انه لبث فيه ستة اشهر

فنزلجبرائيل بالمعوذتين بكسر الواو فى القاموس واخبره بموضع السرح وبمن

سحره وبم سحره فارسل عليه السلام عليا والزبير وعمارا رضى الله

عنهم فنزحوا ماء البئر فكأنه نقاعة الحناء ثم رفعوا راعونة البئر وهى الصخرة

التى توضع فى أسفل البئر فأخرجوا من تحتها الاسنان ومعها وترقد عقد

فيه احدى عشرة عقدة مغرزة بالابر فجاؤا بها النبى عليه السلام فجعل

يقرأ المعوذتين عليها فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد عليه

السلام خفة حتى انحلت العقدة الاخيرة عند تمام السورتين فقام عليه

السلام كأنما انشط من عقال وجعل جبرائيل يقول بسم الله ارقيك والله

يشفيك من كل شئ يؤذيك من عين وحاسد فلذا جوز الاسترقاء بما كان

من كلام الله وكلام رسوله لا بما كان بالعبرية والسريانية والهندية فانه لا

يحل اعتقاده فقالوا يا رسول الله أفلا نقتل الخبيث فقال عليه السلام (اما

انا فقد عافانى الله واكره ان اثير على الناس شرا) قالت عائشة رضى الله عنها ما غضب النبى عليه السلام غضبا ينتقم لنفسه قط الا ان يكون شيئا هو لله فيغضب الله وينتقم

وقيل المراد بالنفث فى العقد ابطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حلها فعلى هذا فالنفاثات هى جنس النساء اللاتى شأنهن ان يغلبن على الرجال ويحولنهم عن آرآئهم بانواع المكر والحيلة فمعنى الآية ان النساء لاجل استقرار حبهن فى قلوب الرجال يتصرفن فيهم يحولنهم من رأى الى رأى فامر الله تعالى له رسوله بالتعوذ من شرهن.

اعلم ان السرح تخييل لا اصل له عند المعتزلة وعند الشافعى تمريض بما يتصل به كما يخرج من فم المتثائب ويؤثر فى المقابل وعندنا سرعة الحركة ولطافة الفعل فيام خفى فهمه

وقيل طلسم يبنى على تأثير خصائص الكواكب كتأثير الشمس فى زئبق عصى سحرة فرعون والمعتزلة انكروا صحة الرواية المذكورة وتأثير السحر فيه عليه السلاموقالوا كيف يمكن القول بصحتها والله تعالى يقول والله يعصمك من الناس وقال ولا يفلح الساحر حيث اتى ولان تجويزه يفضى الى القدح فى النبوة ولان الكفار كانوا يعيرونه بانه مسحور فلو وقعت هذه الواقعة لكان الكفار صاقين فى تلك الدعوى ولحصل فيه عليه السلام ذكر العيب ومعلوم ان ذلك غير جائز وقال اهل السنة صحة القصة لا تستلزم صدق الكفرة فى قولهم انه مسحور وذلك لانهم كانوا يريدون بكونه مسحورا انه مجنون ازيل عقله بسبب السحر فلذلك ترك دين آبائه فاما ان يكون مسحورا بالم يجده فى بدنه فذلك مما لا ينكره احد وبالجملة فالله تعالى ما كان يسلط عليه لا شيطانا ولا انسيا وجنيا يؤذيه فيما يتعلق بنبوته وعقله

واما الاضرار به من حيث بشريته وبدنه فلا بعد فيه وتأثير السحر فيه عليه السلام لم يكن من حيث انه نبي وانما كان فى بدنه من حيث انه

انسان وبشر فانه عليه السلام يعرض له من حيث بشريته ما يعرض لسائر البشر من الصحة والمرض والموت والاكل والشرب ودفع الفضلات وتأثير السحر فيه من حيث بشريته لا يقدح فى نبوته وانما يكون قادحا فيها لو وجد للسحر تأثير فى امر يرجع الى النبوة ولم يوجد ذلك كيف والله تعالى يعصمه من ان يضره احد فيما يرجع اليها كما لم يقدح كسر رباعتيه يوم احد فيما ضمن الله له من عصمته فى قوله والله يعصمك من الناس وفى كشف الاسرار فان قيل ما الحكمة فى نفوذ السحر وغلبته فى النبى عليه السلام ولماذا لم يرد الله كيد الكائد الى نحره باطبال مكره وسحره قلنا الحكمة فيه الدلالة على صدق رسول الله عليه السلام وصحة معجزاته وكذب من نسبه الى السحر والكهانة لان سحر الساحر عمل فيه حتى التبس عليه بعض الامر واعتراه نواع من الوجع ولم يعلم النبى عليه السلام بذلك حتى دعا ربه ثم دعا فاجابه الله وبين له امره ولو كان ما يظهر من المعجزات الخارقة للعادات من باب السحر على ما زعم اعدآوؤه لم يشتبه عليه ما عمل من السحر فيه ولتوصل الى دفعه من نده وهذا

بحمد الله من اقوىلبارهين على نبوته وانما اخبر النبى عليه السلام عائشة رضى الله عنها من بين نسائه بما كشف الله تعالى له من امر السحر لانه عليه السلام كان مأخوذا عن عائشة رضى الله عنها فى هذا السحر على ما روى يحيى بن يعمر قال حبس رسول الله عليه السلام عن عائشة فبينما هو نائم او بين النوم واليقظة اذا تاه ملكان جلس احدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فهذا يقول للذى عند رأسه ما شكواه قال اسحر قال من فعل به قال لبيد بن اعصم اليهودى قال فاين صنع السحر قال فى بئر كذا قال فماد وآوه قال ينبعث الى تلك البئر فينزح ماءها فانه ينتهى الى صخرة فاذا رآها فليقلعها فان تحتها كوبة وهر كوز سقط عنقها وفى الكوبة وترفيه احدى عشرة عقدة مغروزة بالابر فيحرقها بالنار فيبرأ ان شاء الله تعالى فاستيقظ عليه السلام وقد فهم ما قالا فبعث عليا رضى الله عنه الى آخر ما سبق وعن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله عليه السلام اذا اشتكى شيأ من جسده قرأ قل هو الله احد والمعوذتين فى كفه اليمنى ومسح بها المكان الذى يشتكى وفيه

اشارة الى الهواجس النفسانية والخواطر الشيطانية النفاثات الساحرات فى عقد عقائد القلوب الصافية الظاهرة اخباث السيئات العقلية وألواث الشكوك الوهمية والعياذ بالله منها.

ه

{ ومن شر حاسد اذا حسد } الوقف ثم يكبر لان الوصل لا يخلو من الايهام اى اذا اظهر ما فى نفسه من الحسد وعمل بمقتضاه ترتيب مقدمات الشر ومبادى الاضرار بالمحسود قولا او فعلا والتقييد بذلك ما ان ضرر الحسد قبله انما يحيق بالحاسد لا غير وفى الكشاف فان قلت فلم عرض بعض المستعاذ منه ونكر بعضه قلت عرف النفاثات لان كل نفاثة شريرة ونكر غاسق لان كل غاسق لا يكون فيه الشر انما يكون فى بعض درن بعض وكذلك كل حاسد لا يضر ورب حسد محمود وهو الحسد فى الخيرات ويجوز ان يراد بالحاسد قابيل لانه حسد اخاه هابيل والحسد الاسف على الخير عند الغير وفى فتح الرحمن تمنى زوال النعمة عن مستحقها سوآء كانت نعمة دين اودنيا وفى الحديث (المؤمن يغبط والمنافق يحسد

) وعنه عليه السلام الحسد يأكل الحسنات كما تاكل النار الحطب واول ذنب عصى الله به فى السماء حسد ابليس لآدم فأخرجه من الجنة فطرد وصار شيطانا رجيما وفى الارض قابيل لاخيه هابيل فقتله قال الحسين بن الفضل رحمه الله ذكر الله الشرور فى هذه السورة ثم ختمها بالحسد ليظهر انه اخبث الطبائع كما قال ابن عباس رضى الله عنهما

اكر درعالم ازحسد بدتر بودى ... ختم اين سوره بدان كردى

حسد آتشى دان كه جون بر فروخت ... حسود لعين را همان لحظه سوخت

كرفتم بصورت همه دين شوى ... حسدكى كذاردكه حق بين شوى

وفيه اشارة الى حسد النفس الامارة اذا حسدت القلب وأرادت ان تطفئ نوره وتوقعه فى التلوين وكفران النعمة الذى هو سبب لزوالها وفى الحديث ان النبى عليه السلام قال لعتبة بن عامر رضى الله عنه (ألم تر

آيات انزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس) قوله ألم تر كلمة تعجب وما بعدها بيان لسبب التعجب يعنى لم يوجد آيات كلهن تعويذ غير هاتين السورتين وهما قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس وفى الحديث دليل على انهما من القرءآن ورد على من نسب الى ابن مسعود رضى الله عنه انهما ليستا منه وفى عين المعانى الصحيح انهما من القرءآن الا انهما لم تثبتا فى مصحفه للأمن من نستاهما لانهما تجريان على لسان كل انسان انتهى.

اعلم ان مصحف عبد الله بن مسعود رضى الله عنه حذف منه ام الكتاب والمعوذتان ومصحف ابى بن كعب رضى الله عنه زيد فيه سورة القنوت ومصحف زيد بن ثابت رضى الله عنه كان سليما من ذلك فكان كل من مصحفى ابن مسعود وباى منسوخا ومصحف زيد معمولا به وذلك لانه عليه السلام كان يعرض القرءآن على جبرييل عليه السلام فى كل شهر رمضان مرة واحدة فلما كان العام الذى قبض فيه عرضه مرتين وكان قرآءة زيد من آخر العرض دون قرآءة ابى وابن مسعود رضى الله

عنهما وتوفى عليه السلام وهو يقرأ على ما فى مصحف زيد ويصلى به

قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه جميع سورة القرءآن مائة واثنتا عشرة

سورة قال الفقيه فى البستان انما قال انها مائة واثنتا عشر سورة لانه اكن

لا يعد المعوذتين من القرءآن وكان لا يكتبهما فى مصحفه يوقل انهما

منزلتان من السماء وهما من كلام رب العالمين ولكن النبى عليه

السلام كان يرقى ويعوذ بهما فاشتبه عليه انهما من القرءآن او ليستا منه

فلم يكتبهما فى المصحف وقال مجاهد جميع سور القرءآن مائة وثلاث

عشرة سورة وانما قال ذلك لانه كان يعد الانفال والتوبة سورة واحدة وقال

ابى بن كعب رضى الله عنه جميع سورة القرءآن ماسة وست عشرة سورة

وانما قال ذلك لانه كان يعد القنوت سورتين احداهما من قوله اللهم انا

نستعينك الى قوله من يفجرك والثانية من قوله اللهم اياك نعبد

الى قوله ملحق وقال زيد بن ثابت رضى الله عنه جميع سور القرءآن مائة

واربع عشرة سورة وهذا قول عامة الصحابة رضى الله عنهم وهكذا فى

مصحف الامام عثمان بن عفان رضى الله عنه وفى مصاحف اهل

الامصار فالمعوذتان سورتان من القرءآن روى ابو معاوية عن عثمان بن واقد قال ارسلنى ابى الى محمد بن المنكدر وسأله عن المعوذتين اهما من كتب الله قال من لم يزعم انهما من كتاب الله فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين وفى نصاب الاحتساب لو أنكر آية من القرءآن سوى المعوذتين يكفر انتهى وفى الاكمل عن سفيان بن سختان من قال ان المعوذتين ليستا من القرءآن لم يكفر لتأويل ابن مسعود رضى الله عنه كما فى المغرب للمطرزى وقال فى هدية المهديين وفى انكار قرءآنية المعوذتين اختلاف المشايخ والصحيح انه كفر انتهى

سُورَةُ النَّاسِ مَدَنِيَّةٌ

وَهِيَ سِتُّ آياَتٍ

١

{ قل اعوذ برب الناس } اى مالك امورهم ومربيهم بافاضة ما

يصلحهم ودفع ما يضرهم قال القاشانى رب الناس هو الذات مع جميع

الصفات لان الانسان هو الكون الجامع الحاصر لجميع مراتب الوجود فربه

الذى اوجده وافاض عليه كماله هو الذات باعتبار جميع الاسماء الجمالية

والجلالية تعوذ بوجهه بعد ما تعوذ بصفاته ولهذا تأخرت هذه الصورة عن

المعوذة الاولى اذ فيها تعوذ فى مقام الصفات باسمه الهادى فهداه الى ذاته

وفى الحديث (اعوذ برضاك من سخطك ومعافاتك من عقوبتك واعوذ

بك منك) ابتدأ بالتعوذ بالرضى الذى هو من الصفات لقرب الصفات

من الذات ثم استعاذ بالمعافاة التى هى من صفات الافعال ثم لما ازداد يقينا

ترك الصفات فقال واعوذ بك منك قاصرا نظره على الذات وابتدأ بعض

العلماء فى ذكر هذا الحديث بتقديم الاستعاذة بالمعافاة على التعوذ بالرضى

للترقى من الادنى الذى هو من صفات الافعال الى الاعلى الذى هو

صفات الذات

قال بعضهم من بقى له النفات الى غير الله استعاذ بافعال الله وصفاته فاما من توغل فى بحر التوحيد بحيث لا يرى فى الوجود الا الله لم يستعذ الا بالله ولم يلتجئ الا الى الله والنبى عليه السلام لما ترقى عن هذا المقام وهو المقام الاول قال اعوذ بك منك.

يقول الفقير ففى الالتجاءء الى الله فى هذه السورة لدلالة على ختم الامر فان الله تعالى هو الاول الآخر واليه يرجع الامر كله وان الى ربك المنتهى وفيه اشارة الى نسيان العهد السابق الواقع يوم الميثاق فان الانسان لو لم ينسه لما احتاج الى العود والرجوع بل كان فى كنف الله تعالى دآئما.

٢

{ ملك الناس } عطف بيان جيئ به لبيان ان تربيته تعالى اياهم ليست بطريق تربية سائر الملائكة لما تحت ايديهم من مماليكهم بل بطريق الملك الكامل والتصرف الشامل والسلطان القاهر فما ذكروه فى ترجيح المالك على الملك من ان المالك مالك العبد وانه مطلق التصرف فيه

بخلاف الملك فانه انما يملك بقهر وسياسة ومن بعض الوجوه فقياس لا يصح ولا يطرد الا فى المخلوقين لا فى الحق فانه من البين انه مطلق التصرف وانه يملك من جميع الوجوه فلا يقاس ملكية غيره عليه ولا تضاف النعوت والاسماء اليه الا من حيث اكمل مفهوماته ومن وجوه ترجيح الملك على المالك ان الاحاديث النبوية مبينات لاسرار القرءآن ومنبهات عليه وقد ورد فى الحديث فى بعض الادعية النبوية (لك الحمد لا اله الا انت رب كل شئ ومليكه ولم يرد ومالكه) وايضا فالاسماء المستقلة لها تقدم على الاسماء المضافة لم تنقل فى احصاء الاسماء الثابتة بالنقل مثل قوله عز وجل فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا وذى المعارج وشبهها وايضا فان الحق يقول فى آخر الامر عند ظهور غلبةالاحدية على الكثرة فى القيامة الكبرى والقيامات الصغرى الحاصلة للسالكين عند التحقق بالموصول عقيب انتهاء السير وحال الانسلاخ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والحاكم على الملك هو الملك فدل انه ارجح وقد جوزوا القرآءة بمالك وملك فى سورة الفاتحة لا فى هذه السورة حذرا من التكرار فان احد معانى الاسم الرب

فى اللسان المالك ولا ترد الفاتحة فان الراجح فيها عند المحققين هو الملك لا المالك.

٣

{ اله الناس } هو لبيان ان ملكه تعالى ليس بمجرد الاستيلاء عليهم والقيام بتدبير امور سياستهم والتولى لترتيب مبادى حفظهم وحمايتهم كما هو قصارى امر الملوك بل هو بطريق المعبودية المؤسسة على الالوهية المقتضية للقدرة التامة على التصرف الكلى فيهم احياء واماتة وايجادا واعداما وايضا ان ملك الناس اشارة الى حال الفناء فى الله كما اشرنا اليه واله الناس لبيان حال البقاء بالله لان الاله هو المعبود المطلق وذلك هو الذات مع جميع الصفات فلما فنى العبد فى الله ظهر كونه ملكا ثم رده الله الى الوجود لمقام العبودية فتم استعاذته من شر الوسواس لان الوسوسة تقتضى محلا وجوديا ولا وجود فى حال الفناء ولا صدر ولا وسوسة ولا موسوس بل ان ظهر هناك تلوين بوجود الانانية يقول اعوذ بك منك فلما صار معبودا بوجود العابد ظهر الشيطان بظهور العابد كما

كان اولا موجدا بوجوده وايضا مقام الربوبية المقيدة بالناس هو لحضرة الامام الذى على باب عالم الملكوت وفيها يشهد وهى موضع نظره فانها ثلاث الامامان والقطب والامامان وزيران للقطب صاحب الوقت وينفرد القطب بالكشف الذاتى المطلق كما ينفرد الامام الذى على يسار القطب بباب عالم الشهادة الذى لا سبيل للامام الثانى الذى يمينه اليه وانما اضيف امام الربوبية للناس وهو مع الملكوتيات لانه لا بد له عند موت الامام الثانى المسمى بالملك ان يرث مقامه بخلاف غير وفى الارشاد تخصيص الاضافة بالناس مع انتظام جميع العالمين فى سلك ربوبيته تعالى وملكوته والوهيته لان المستعاذ منه شر الشيطان المعروف بعداوتهم ففى التنصيص على انتظامهم فى سلك عبوديته تعالى وملكوته رمز الى انجائهم من هلكة الشيطان وتسلطه عليهم حسبنا ينطق به قوله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وتكرير المضاف اليه لمزيد الكشف والتقرير بالاضافة فان مالا شرف فيه لا يعبأ به ولا يعاد ذكره بل يترك ويهمل وقد قال من قال

أعد ذكر نعمان لنا ان ذكره ... هو المسك ما كررته يتضوع

والتضوع بوى خوش دميدن فلولا ان الناس اشرف مخلوقاته لما ختم كتابه بذكرهم.

٤

{ من شر الوسواس } هو اسم بمعنى الوسوسة وهو الصوت الخفى الذى لا يحس فيحترز منه كالزلزال بمعنى الزلزلة

واما المصدر فبالكسر والفرق بين المصدر هو أن الحدث ان اعتبر صدوره عن الفاعل ووقوعه على المفعول سمى مصدرا واذا لم يعتبر بهذه الحقيقة سمى اسم المصدر ولما كانت الوسوسة كلاما يكرره الموسوس ويؤكده عند من يلقيه اليه كرر لفظها بازآء تكرير معناها والمراد بالوسواس الشيطان لانه يدعو الى المعصية بكلام خفى يفهمه القلب من غير ان يسمع صوته وذلك بالاغرار بسعة رحمة الله او بتخييل أن له فى عمره سعة وان وقت التوبة باق بعد سمى بفعله مبالغة كأنه نفس الوسوسة لدوام وسوسته فقد

اوقع الاستعاذة من شر الشيطان الموصوف بأنه الوسواس الخ ولم يقل من شر وسوسته لتعم الاستعاذة شره جميعه وانام وصفه بأعظم صفاته واشدها شرا واقواها تأثيرا وأعمها فسادا وانما استعاذ منه بالاله دون بعض اسمائه كما فى السورة الاولى لان الشيطان هو الذى يقابل الرحمن ويستولى على الصورة الجمعية الانسانية ويظهر فى صورة جميع الاسماء ويتمثل بها الا بالله والرحمن فلم تكف الاستعاذة منه بالهادى والعليم والقدير وغير ذلك فلهذا لما تعوذ من الاحتجاب والضلالة تعوذ برب الفلق وههنا تعوذ برب الناس ومن هذا يفهم معنى قوله عليه السلام (من رآنى فقد رآنى فان الشيطان لا يتمثل بى) وكذا لا يتمثل بصور الكمل من امته لانهم مظاهر الهداية المطلقة قال بعض الكبار الالقاء اما صحيح او فاسد.

فالصحيح الهى ربانى متعلق بالعلوم والمعارف او ملكى روحانى وهو الباعث على الطاعة وعلى كل ما فيه صلاح ويسمى الهاما.

والفاسد نفسانى وهو ما فيه حظ النفس ويسمى هاجسا او شيطانى وهو ما يدعو الى معصية ويسمى وسواسا وفى آكام

المرجان وينحصر ما يدعو الشيطان اليه ابن آدم فى ست مراتب المرتبة الاولى الكفر والشرك ومعاداة الله ورسوله فاذا ظفر بذلك من ابن آدم برد أنينه واستراح من تعبه معه وهذا اول ما يريده من العبد والمرتبة الثانية البدعة وهى احب الى ابليس من المعصية لان المعصية يتاب منها فتكون كالعدم والبدعة يظن صاحبها انها صحيحة فلا يتوب منها فاذا عجزعن ذلك انتقل الى المرتبة الثالثة وهى الكبائر على اختلاف انواعها فاذا عجز عن ذلك انتقل الى المرتبة الرابعة وهى الصغائر التى اذا اجتمعت اهلكت صاحبها كالنار الموقدة من الخطب الصغار فاذا عجز عن ذلك انتقل الى المرتبة الخامسة وهى اشتغاله بالمباحات التى لا ثواب فيها ولا عقاب بل عقابها فوات الثواب الذى فات عليه باشتغاله بها فاذا عجز عن ذلك انتقل الى المرتبة السادسة وهى ان يشغله بالعمل المفضول عما هوأفضل منه ليفوته ثواب العمل الفاضل ومن الشياطين شيطان الوضوء ويقال له الولهان بفتحين وهو شيطان يولع الناس بكثرة استعمال الماء

قال عليه السلام

(تعوذوا بالله من وسوسة الوضوء) ومنهم شيطان يقال له خنزب وهو الملبس على المصلى فى صلاته وقرآءته قال ابو عمر والبخارى رحمهما الله اصل الوسوسة ونتيجتها من عشرة اشياء أولها الحرص فقابله بالتوكيل والقناعة والثانى الامل فاكسره بمفاجأة الاجل والثالث التمتع بشهوات الدنيا فقابله بزوال النعمة وطول الحساب والرابعالحسد فاكسره برؤية العدل والخامس البلاء فاكسره برؤية المنة والعوافى والسادس الكبر فاكسره بالتواضع والسابع الاستخفاف بحرمة المؤمنين فاكسره بتعظيمهم واحترامهم والثامن حب الدنيا والمحمدة فاكسره بالاخلاص والتاسع طلب العلو والرفعة فاكسره بالخشوع والذلة والعاشر المنع والبخل فاكسره بالجود والسخاء

{ الخناس } الذى عادته ان يخنس اى يتأخر اذا ذكر الانسان ربه (حكى) ان بعض الاولياء سأل الله تعالى ان يريه كيف يأتى الشيطان ويوسوس فأراه الحق تعالى هيكل الانسان فى صورة بلور وبين كتفيه خال اسود كالعش واوكر فجاء الخناس يتحسس من جميع جوانبه وهو فى صورة

خنزير له خرطوم كخرطوم الفيل فجاء بين الكتفين فادخل خرطومه قبل قلبه فوسوس اليه فذكر الله فخنس ورآءه ولذلك سمى بالخناس لانه ينكص على عقبيه مهما حصل نور الذكر فى القلب ولهذا السر الالهى كان عليه السلام يحتجم بين كتفيه و يأمر بذلك ووصاه جبرآئيل بذلك لتضعيف مادة الشيطان وتضييق مرصده لانه يجرى وسوسته مجرى الدم ولذلك كان خاتم النبوة بين كتفيه عليه السلام اشارة الى عصمته من وسوسته لقوله اعاننى الله عليه فأسلم اى بالختم الالهى وشرح الصدر أيده وبالعصمة الكلية خصه فأسلم قربنه وما اسلم قرين آدمعليه السلام فوسوس اليه لذلك ويجوز ان يدخل الشيطان فى الاجسام لانه جسم لطيف وهو وان كان مخلوقا فى الاصل من نار لكنه ليس بمحرق لانه لما امتزج النار بالهواء صار تركيبه مزاجا مخصوصا كتركيب الانسان وفى الوسواس اشارة الى الوساوس الحاصل من القوة الحسية والخيالية وفى الخناس الى القوة الوهمية المتأخرة عن مرتبتى القوتين فانها تساعد العقل فى المقدمات فاذا آل الامر الى النتيجة خنست و تأخرت توسوسه وتشككه كما يحكم الوهم بالخوف من الموتى

مع انه يوافق العقل فى ان الميت جماد والجماد لا يخاف منه المنتج لقولنا الميت لا يخاف منه فاذا وصل العقل والوهم الى النتيجة نكص الوهم وانكرها.

ه

{ الذى يوسوس فى صدور الناس } اذا غفلوا عن ذكره تعالى ولذا قال فى التأويلات النجمية اى الناسى ذكر الله بالقلب والسر والروح كما قال تعالى يوم يدعو الداع بحذف الياء انتهى ومحل الموصول الجر على الوصف فلا وقف على الخناس او النصب او الرفع على الذم فيحسن الوقف عليه ذكر سبحانه وتعالى وسوسته اولا ثم ذكر محلها وهو صدور الناس تامل السر فى قوله يوسوس فى صدور الناس ولم يقل فى قلوبهم والصدر هو ساحة القلب وبيته فمنه تدخل الواردات عليه فتجتمع فى الصدر ثم تلج فى القلب فهو بمنزلة الدهليز وهو بالكسر ما بين الباب والدار ومن القلب تخرج الارادات والاوامر الى الصدر ثم تتفرق على الجنود فالشيطان يدخل ساحة القلب وبيته فيلقى ما يريد القاءه الى القلب فهو

يوسوس فى الصدور ووسوسته واصله الى القلوب قال بعض ارباب الحقائق للقلب امرآء خمسة ملكية يسمون الحواس كحاسة البصر وحاسة السمع وحاسة الشم وحاسة الذق وحاسة اللمس وامرآء خمسة ملكوتية يسمون ارواحا كالروح الحيوانى والروح الخيالى والروح الفكرى والروح العقلى والروح القدس فاذا نفذ الامر الالهى الى احد هؤلا الامرآء من القلب بادر لامتثال ما ورد عليه على حسب حقيقته وقس عليه الخواطر والوساوس فان عزم الانسان يخرج كلا منها الى الخارج ويجريها من طرق الحواس والقوى وقوله فى صدور الناس يدل على انه لا يوسوس فى صدور الجن قال فى آكام المرجان لم يرد دليل على ان الجنى يوسوس فى صدور الجنى ويدخل فيه كما يدخل فى الانسى ويجرى منه مجراه من الانسى.

٦

{ من الجنة والناس } الجنة بالكسر جماعة الجن ومن بيان للذى يوسوس على انه ضربان جنى وانسى كما قال تعالى شياطين الانس والجن والموسوس اليه نوع واحد وهو الانس فكما ان شيطان الجن قد يوسوس

تارة ويخنس اخرى فشيطان الانس يكون كذلك وذلك لانه يلقى الاباطيل
ويرى نفسه فى صورة الناصح المشفق فان زجره السامع يخنس ويترك
الوسوسة وان قبل السامع كلامه بالغ فيه قال فى الاسئلة المقحمة من دعا
غيره الى الباطل فان تصوره فى قلبه كان ذلك وسوسة وقد قال تعالى ونعلم
ما توسوس به نفسه فاذا جاز أن توسوس نفسه جاز أن يوسوسه غيره
فان حققة الوسواس لا تختلف باختلاف الاشخاص ويجوز أن تكون من
متعلقة بيوسوس فتكون لابتداء الغاية اى يوسوس فى صدورهم من جهة
الجن انهم يعلمون الغيب ويضرون وينفعون ومن جهة الناس كالكهان
والمنجمين كذلك وفى الجنة اشارة الى القوى الباطنة المستجنة المستورة اذ
سمى الجن بالجن لاستجنانه وفى الناس الى القوى الظاهرة اذ الناس من
الايناس وهو الظهور كما قال آنست نارا وفى هذا المقام لطيفة بالغة وهى
ان المستعاذ به فى السورة الاولى مذكور بصفة واحدة وهى انه رب الفلق
والمستعاد منه ثلاثة انواع من الآفات وهى الغاسق والنفاثات والحاسد

واما فى هذه السورة فالمستعاذ به مذكور بثلاثة اوصاف وهى الرب

والملك والاله والمستعاذ منه آفة واحدة وهى الوسوسة ومن المعلوم ان

المطلوب كلما كان اهم والرعية فيه اتم واكثر كان ثناء الطالب قبل طلبه

اكثر وأوفر والمطلوب فى السورة المتقدمة هو سلامة البدن من الآفات

المذكورة وفى هذه السورة سلامة الدين من وسوسة الشيطان فظهر بهذا ان

فى نظم السورتين الكريمتين تنبيها على ان سلامة الدين من وسوسة

الشيطان وان كانت امرا واحدا الا انها اعظم مراد وأهم مطلوب وان سلامة

البدن من تلك الآفات وان كانت امورا متعددة ليست بتلك المثابة فى

الاهتمام وفى آكام المرجان سورة الناس مشتملة على الاستعاذة من الشر

الذى هو سبب الذنوب والمعاصى كلها وهو الشر الداخل فى الانسان

الذى هو منشأ العقوبات فى الدنيا والآخرة وسورة الفلق تضمنت

الاستعاذة من الشر الذى هو سبب ظلم العبد نفسه وهو شر من خارج

فالشر الاول لا يدخل تحت التكليف ولا يطلب منه الكف عنه لانه ليس

من كسبه والشر الثانى يدخل تحت التكليف ويتعلق به النهى

وعن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم اذا اوى الى فراشه كل ليلة جمع كفية فنفث فيهما وقرأ قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس ثم مسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما رأسه ووجهه وما اقبل من جسده يصنع ذلك ثلاث مرات وفى قوت القلوب للشيخ ابى طالب المكى قدس سره وليجعل العبد مفتاد درسه ان يقول

(اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون) وليقرأ قل اعوذ برب الناس وسورة الحمد وليقل عند فراغه من كل سورة صدق الله تعالى وبلغ رسوله صلّى الله عليه وسلّم اللهم انفعنا وبارك لنا فيه الحمد لله رب العالمين واستغفر الله الحى القيوم.

وفى اسئلة عبد الله بن سلام اخبرنى يا محمد ما ابتدآء القرءآن وما ختمه قال ابتدآؤه بسم الله الرحمن الرحيم وختمه صدق الله العظيم قال صدقت وفى خريدة العجائب يعنى ينبغى ان يقول القارئ ذلك عند الختم

والا فختم القرءآن سورة الناس وفى الابتدآء بالباء والاختتام بالسين اشارة الى لفظ بس.

يعنى حسب اى حسبك من الكونين ما اعطيناك بين الحرفين كام

قال الحكيم ناسنى رحمه الله

اول وآخر قرآن زجه باآمد وسين يعنى اندرره دين رهبرتو قرآن بس

يقول الفقير ايده الله القدير ان الله تعالى انما بدأ القرءآن ببسم الله وختمه بالناس اشارة الى الانسان آخر المراتب الكونية كما ان الكلام آخر المراتب الآلهية وذلك لان ابتدآء المراتب الكونية هو العقل الاول وانتهاؤها الانسان ومجموعها عدد حروف التهجى واول المراتب الآلهية هو الحياة وآخرها الكلام ولذا كان اول ما يظهر من المولود الحياة هو جنين وآخر ما يظهر منه الكلام وهو موضوع لان الله تعالى خلق آدم على صورته فكان اول الكلام القرءآنى اسم الله لانه المبدأ الاول وآخره الناس لان الانس هو المظهر الآخر والمبتدئ يعرج تعلما الى ان ينتهى الى

المبدأ الاول واسمه العالى والمنتهى ينزل تلاوة الى ان ينتهى الى ذكر الانس السافل وحقيقته أن الله تعالى هو المبدأ جلاء والمنتهى استجلاء وهو الاول بلا بداية والآخر بلا نهاية (روى) عن ابن كثير رحمه الله انه كان اذا انتهى فى آخر الختمة الى قل اعوذ برب الناس قرأ سورة الحمد لله رب العالمين وخمس آيات من اول سورة البقرة على عدد الكوفى وهوالى واولئك هم المفلحون لان هذا يسمى حال المرتحل ومعناه انه حل فى قرآءته آخر الختمة وارتحل الى ختمة اخرى ارغاما للشيطان وصار العمل على هذا فى امصار المسلمين فى قرآءة ابن كثير وغيرها وورد النص عن الامام احمد بن حنبل رحمه الله ان من قرأ سورة الناس يدعو عقب ذلك فلم يستحب ان يصل ختمه بقرآءة شئ وروى عنه قول آخر بالاستحباب واستحسن ماشيخ العراق قرآءة سورة الاخلاص ثلاثا عند ختم القرءآن الا ان يكون الختم فى المكتوبة فلا يكررها وفى الحديث

(من شهد خاتمة القرءآن كان كمن شهد المغانم حين تقسم ومن شهد فاتحة القرءآن كان كمن شهد فتحا فى سبيل الله تعالى) وعن الامام

البخارى رحمه الله انه قال عند كل ختمة دعوة مستجابة واذا ختم الرجل القرءآن قبل الملك بين عينيه ومن شك فى غفرانه عند الختم فليس له غفران ونص الامام احد على استحباب الدعاء عند الختم وكذا جماعة من السلف فيدعو بما احب مستقبل القبلة رافعا يديه خاضعا لله موقنا بالاجابة ولا يتكلف السجع فى الدعاء بل يجتنبه ويثنى على الله تعالى قبل الدعاء وبعده ويصلى على النبى عليه السلام ويمسح وجهه بيديه بعد فراغه من الدعاء وعنه عليه السلام انه امر على بن ابى طالب رضى الله عنه ان يدعو عند ختم القرءآن بهذا الدعاء وهو (اللهم انى اسألك اخبات المخبتين واخلاص الموقنين ومرافقة الابرار واستحقاق حقائق الايمان والغنيمة من كل بر والسلامة ومن كل اثم ورجوب رحمتك وعزائم مغفرتك والفوز بالجنة والخلاص من النار) وفى شرح الجزرى لابن المصنف ينبغى ان يلح فى الدعاء وان يدعو بالامور المهمة والكلمات الجامعة وان يكون معظم ذلك او كله فى امور الآخر وامور المسلمين وصلاح سلاطينهم وسائر ولاة امورهم فى توفيقهم للطاعات وعصمتهم من المخالفات وتعاونهم على

البر والتقوى وقيامهم بالحق عليه وظهورهم على اعداء الدين وسائر المخالفين وبما كان يقول النبي عليه السلام عند ختم القرءآن (اللهم ارحمنى بالقرءآن العظيم واجعله لى اماما ونورا وهدى ورحمة اللهم ذكرنى منه ما نسيت وعلمنى منه ما جهلت وارزقنى تلاوته آناء الليل واطراف النهار واجعله حجة لى يا رب العالمين) وكان ابو القاسم الشاطى رحمه الله يدعو بهذا الدعاء عند ختم القرءآن اللهم انا عبيدك وأبناء عبيدك وابناء امائك ماض فينا حكمك عدل فينا قضاؤك نسألك اللهم بكل اسم هو لك سميت به نفسك او علمته احدا من خلقك او نزلته فى شئ من كتباك او استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرءآن ربيع قلوبنا وشفاء صدورنا وجلاء احزاننا وهمومنا وسائقنا وقائدنا اليك والى جناتك جنات النعيم ودارك دار السلام مع الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين برحمتك يا ارحم الرحمين.

يقول الفقير رافعا يديه الى الرب القدير اللهم انى اعوذ بمعافاتك من عقوبتك واعوذ برضان من سخطك واعوذ بك منك لا احصى ثناء

عليك أنت كما اثنيت على نفسك فقد انجزت لى ما وعدتنى انك لا تخلف الميعاد وجعلت رؤياى حقا واحسنت بى اذ أخرجتنى من سجن الهم وخاطبتنى عند ذلك بقولك سل تعط فجعلت منتهى سؤلى رضاك وبشرتنى بقبول خدمتى هذه حيث قلت فتقبلها ربها بقبول حسن وكنت ادعوك باتمام النعمة واكمال المنة فلم اكن بدعائك رب شقيا فأنعم على فيما بقى من عمرى القليل باضعاف ما عودتنى به قبل هذا من انواع اولآئك واصناف نعمائك واختم لى بخير وهدى ونور.

وبكل بر وسعادة وسرور وصل على نبيك النبيه الذى هو مفتاح الخيرات . ومصباح السائرين الى منازل القربات فى جنح الاوقات . وعلى آله واصحابه القاده . ومن تبعهم من السادة . وهذا وقد تم تحرير روح البيان.

فى تفسير القرءآن . فى مدة الوحى تقريبا لما ان قسى الاقدار رمتنى الى اقاصى اقطار الارض . وايدى الاسفار النائية تداولتنى من طول الى

عرض . حتى اقامنى الله مقام الاتمام . فجاء باذن الله التمام . يوم الخميس الرابع عشر من جمادى الاولى المنتظم فى سلك شهور

سنة سبع عشرة ومائة ألف ... من هجرة من يرى من قدام وخلف

وقلت فى تاريخه نظاما

ان من جناب ذى المنن ... ختم تفسير الكتاب المستطاب

قال فى تاريخه حقى الفقير ... حامدا لله قد تم الكتاب

وقلت بحساب الحروف المنقوط ... وقع الختم بجود البارى

محمد عمر چند

Muhammad Umar Chand

Auckland 18 Zil Hajj 1439 @ August 30, 2018